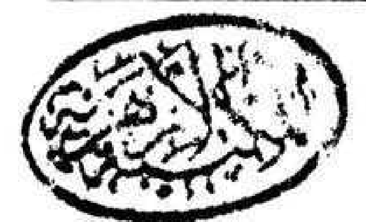
# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
بدل الاشتراك
٥٠ فى جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللطلاب تخفيض خاص

العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٥٩١٤ – ٩٠٥٥٠٦

الجزء الأول — السنة الثامنة والأربعون — المحرم ١٣٩٦ هـ — يناير ١٩٧٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

# أعظم الأحداث فى التاريخ

للأستاذ عبد الرحيم فودة

انه حادث هجرة النبى والمسلمين من مكة الى المدينة ، فقد انتقلت به الدعوة الاسلامية الى حيث وجدت فى المدينة أنصارا يحبونها ، ويحبون من هاجر اليهم من المؤمنين بها . كما يقول الله فيهم : «والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

ثم انتقل العالم بهذه الدعوة من الظلام الى النور ومن الجمود الى الحركة ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن التخلف الى التقدم ، ومن المهانة الى الكرامة ، ولوبقى نور الاسلام حبيسا فى صدور المؤمنين به ، وبقى النبى والمسلمون بمكة — مع ماكانوا يقاسونه ويعانونه-لبقيت الدعوة معهم مختنقة بين قوى الشرك والافك والضلال التى كانت تتحزب ضدهم.

وتتألب عليهم. وتتحين الفرص للفتك بهم ، ولكان أقصى مايرجى لها من بقاء أن تظل رهنا بحياتهم . تعيش معهم . وتموت معهم ، ثم يسود الركود والجمود والظلام العالم كما كان ..

بل لوبقى النبى والمسلمون بمكة مع ما كانوا يلقون فيها من ظلم وبغى واضطهاد - لكان ذلك تفريطا فى حق الله وحق أنفسهم عليهم . كما يفهم من قوله تعالى فى الذين تخلفوا عن الهجرة ، ورضوا بالهوان : « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

فالهجرة كانت ثورة على الظلم ، ونصرة للاسلام . واستجابة لله وجهادا فى سبيله كما يفهم من قوله فى المهاجرين : « الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » ، وكما يفهم من قوله فيهم وفى الأنصار الذين آووهم « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » .

ثم ان الهجرة لم تكن عملا مرتجلا كذلك العمل الذى يثيره الشعور بالخوف والفزع وانما كانت فكرة خطرت فى بال النبى صلى الله عليه وسلم عند أول عهده بالوحى والنبوة فقد ذهبت به خديجة رضى الله عنها الى ابن عمها ورقة بن نوفل ليقص عليه ماكان بينه وبين جبريل فى غار حراء ، فقال له ورقة بعد أن سمع منه حديثه : هذا الناموس الذى نزله الله على موسى ، ياليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم .. ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ..

وقد ظل -عليه الصلاة والسلام- يدعو الى الله فى مكة وفيما حولها ثلاثة عشر عاما ، ويتحمل فى سبيل ذلك ماتنوء بحمله الجبال ، فلم تلن له قناة ، ولم يضعف له عزم ، حتى آذن ليل الجهالة والضلالة والكفر

بالتحول ، فلقى صلى الله عليه وسلم ـ فى موسم الحج ستة من أهل المدينة وجد فيهم اصغاء له . واقبالا عليه ، فأسلموا وعاهدوه على أن يمنعوه ، ثم ذكروا له ما بين الأوس والخزرج فى المدينة من عداوة واحن وقالوا: ان تقدم ونحن كذلك لايكون اجتماع عليك . فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك ، وموعدك الموسم المقبل .. ثم انصرفوا الى المدينة ، وعادوا فى الموعد المحدد وقد تضاعف عددهم فكانوا اثنى عشر رجلا بينهم اثنان أو ثلاثة من الأوس ، فبايعهم النبى بيعة العقبة الثانية ، وبعث معهم الى المدينة مصعب بن عمير ، ليقرئهم القرآن ويدعوالى الاسلام ، وقد نجح فى مهمته. فانتشر الاسلام فى المدينة حتى لم يبق فيها دار الا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات ، ثم عاد فى الموسم مع عدد كبير منهم ، والتقى النبى بنيف وسبعين بعد ثلث الليل الأول عند العقبة . وفى أوسط أيام التشريق . فبايعوه على الايواء والنصرة وعلى أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم بعد الهجرة .

وبلغ ذلك قريشا فهالهم الأمر ، وساورهم الخوف على مصيرهم ، وبخاصة بعد أن هاجر كثير من المسلمين ، وسبقوا النبى الى المدينة ، فصاروا مع الأنصار قوة لايستهان بها ، ومن ثم توقع المشركون أن يتصل بهم النبى ثم يعود لحربهم فاجتمعوا فى دار الندوة لينظروا ماذا يصنعون به ، فمن قائل : نحبسه فى الحديد ثم نغلق عليه الباب ، ثم نتربص به ما أصاب أشباهه ، ومن قائل : نخرجه من بين أظهرنا . وننفيه من بلادنا . ثم لانبالى أين يذهب ، ثم اتفق الجميع على رأى أبى جهل وهو أن يؤخذ من كل قبيلة شاب جلد نهد ، ثم يعطى كل منهم سيفا صارما ، ثم يعمد هؤلاء اليه فيضربوه ضربة رجل واحد ، وبذلك يضيع دمه ويتفرق بين القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حربها جميعها ، وقد ذكر الله هذه المؤامرة الغادرة الماكرة حيث يقول جل شأنه : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ..

وصدق الله ، فقد كان تقديره فوق تقديرهم ، فأطلع نبيه على ما

بيتوه من مكر وغدر ، وأمره بالهجرة من هذه القرية الظالم أهلها ، فخرج على المتربصين به وقد أعماهم الله بالنوم عنه ، ونثر على رؤسهم التراب وهو يتلو قول ربه : « وجعلنا من بين أيديهم سداومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » ، ثم مضى مع صديقهأبى بكر الى غار ثور وكان مايذكره القرآن حيث يقول فيه : الاتنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » •

وخرج عليه السلام مع صديقه من الغار الى المدينة ، ليشرق فيها نوره ، ولينقل بها الوجود كله من الظلمات الى النور ، وليحقق قول الله فيه : هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ».

ومن ثم كان عام الهجرة أحق الأعوام بأن يبدأ به تاريخ الاسلام وكان المحرم أول كل عام هجرى ليكون بدؤه بشهر حرام هو المحرم وختامه بشهر حرام هو ذو الحجة • وفى وسطه شهر حرام وهو رجب ، وبذلك يتميز التقويم القمرى العربى والاسلامى بهذا الطابع الرائع • والذى يلوح فيه اليمن والأمن • والخير والبركة •

وكل عام وأنتم بخير • •

**عبد الرحيم فودة**

# بيـــان
# فضيلة الامام الأكبر

**يناشد الملك الحسن ، والرئيس هوارى بومدين تغليب روح الاسلام والاخوة بين الزعيمين المسلمين بمناسبة ما اذيع اخيرا من أنباء الاشتباكات بين الجيشين المغربى والجزائرى بسبب موقف دولتيهما من قضية الصحراء . أرسل فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر هذا النداء الى جلالة الملك الحسن ، والرئيس هوارى بومدين ، والسيد امين الجامعة العربية .**

**وهذا هو نص البيان :**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعـــد :

فقد روعتنا كما روعت العالم الاسلامى كله تلك الأنباء المؤسفة عن نشوب صدام عسكرى بين قوات القطرين الاسلامين الشقيقين : — الجزائر والمغرب .

فان من شأن مثل هذه الحوادث أن تمزق أواصر الصداقة والأخوة وحسن الجوار بين الأخوة الأشقاء ، وأن تبيح لأصبع الأجانب والدخلاء وأعداء الأمة العربية أن تبث سمومها لافساد العلاقات والروابط الاسلامية التى يفرضها الاسلام على كل مسلم ، تطبيقا لقول الحق جلا وعلا ( ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ) .

لذلك يناشد الأزهر الشريف الرئيس هوارى بومدين وجلالة الملك الحسن أن يتغلبا على نوازع الخلاف بالتفاهم الأخوى والأسلوب الحكيم استجابة لقول المولى عز وجل ( ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن )

وان الأزهر اذ يوجه هذا النداء لأخوة أشقاء ، وحكام أتقياء

أوفياء لدينهم ، خاشعين لربهم ، انما ينبعث ذلك من ايمانه العميق بصدق اخلاص حكومة البلدين وشعبيهما وحرصهم البالغ الشديد على الاستجابة لكتاب الله عز وجل والايمان بقدسية الاسلام ومبادئه فى تنظيم العلاقة بين المسلم وأخيه المسلم .

تلك المبادىء التى يجب على المسلم ممارستها وتطبيقها فى مثل هذه المواقف الحرجة ، والمشكلات الدقيقة الحساسة .

وبذلك يكون الاحتكام الى كتاب الله .

تناشدكم باسم الدين ، وباسم الأخوة والحق والعدل ، أن تلقوا السلاح بينكم وأن تجلسوا على مائدة الأخوة وأمامكم كتاب الله الكريم ، ومبادىء الاسلام القومية لتتفاهموا على قضاياكم فى جو من حسن التفاهم وصدق النية والرغبة الأكيدة فى الحفاظ على وحدة الصف العربى بصفة عامة وصفاء العلاقات وحسن الجوار بين القطرين الشقيقين بصفة خاصة . ( ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ) .

شيخ الأزهر

**دكتور : عبد الحليم محمود**

# بيـــان

**كما ارسل فضيلة الامام الاكبر الى سيادة الرئيس محمد انور السادات البرقية الآتية راجيا تدخله ، وبذل مساعيه الحميدة لانهاء هذا الخلاف .**

الرئيس المؤمن أنور السادات :

تتعلق بزعامتكم قلوب الملايين من مساعيكم الحميدة فى اصلاح ذات البين بمناسبة الصدام المسلح المؤسف بين البلدين الشقيقين الجزائر والمغرب .

وتعبيرا عن هذه القلوب وأملا فى اصلاح ذات البين نرجو باسم الاسلام الداعى الى الوحدة والمحبة والاخاء بين المسلمين أن تعملوا على فض هذا النزاع ودعوة الأشقاء العرب والمسلمين الى حسن الاستجابة لتوجيهات الاسلام وارشاد القرآن .

والله معكم يؤيدكم وينصركم ويؤيد بكم الحق ويحقق بكم الآمال .

شيخ الأزهر

**دكتور : عبد الحليم محمود**

دراسات قرآنية :

# عقاب الحرابة والإفساد فى الأرض واكتساب الفاحشة

للأستاذ محمد مصطفى الطير

**قال الله تعالى :**

« انمـا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطـع أيديهم وأرجلهم من خلاف ... » الآية ٣٣ من سورة المـائدة .

« والسـارق والسارقة فاقطعوا أيديهما .. » الآية ٣٨ من المـائدة .

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة .. » الآية ٢ من سورة النور .

**البيان**

متى تنفذ شريعة الله ونحكمها فى قضـايانا ، لنقول للمجرمين وأهـل الفساد والفاحشة ، قفوا فنحن هنـا **تنفـذ شريعة الله فى المجرمين** ، ولن **نحكم تفسدون فى الأرض** وتنشرون **الفاحشـة** بعـد الذى كان من قتـل **الأبرياء ، وقطع الطريق على** السابلة ومهاجمة ركاب القطارات ووسـائل المواصلات المختلفة ، وسلبهم ونهبهم وقتـل بعضهم وطعن آخرين منهم وبعد الذى كان من اعتداء على الآمنين فى بيوتهم فى جوف الليل وترويعهم وتحطيم أعصابهم وسـلب أموالهم ، وقتل أو طعن من لايستجيب لكم منهم وبعد الذى كان من هتك الأعراض، واهدار الحرمات ، وممارسة الفاحشة طواعية أو اغتصابا ، وما يحدث قبل وبعد ممارستها قهرا ، من ايذاء شنيع قد يصل الى حد القتل ، وغير ذلك من ألوان مذابح الفضيلة ، واهدار القيم الخلقية والانسانية ، حتى لم نعد نحس أننا فى بلد اسلامى يتلى فيه كتاب الله الذى تلين به القلوب ، وتشرق فيه شمس أعظم مدرسة دينية وجامعة اسلامية ، تبعث بروادها الى مشارق الأرض ومغاربها .

ولسـنا وحـدنا على هـذا النمط الصاخب المنحرف عن المعايير الاسلامية،

البعيد عن القيم الفاضلة ، الواغل فى أعماق الفسوق والعصيان ، بل يشاركنا فى هذه البليـة العظمى ، كل البلاد الاسلامية ، فقد عظم فيها البلاء ، واشتد فيها الخطب أكثر مما لدينا ، وكل ذلك ناجم من ضعف الدين ، وفقدان الوازع ، وانتشار المادية التى تبيح التحلل الخلقى ، وتهـاجم الدين والفضيلة ، لتستغل أسوأ غرائز الانسان وتتحكم فى ينابيع الخير فى نفسه فتغلقها ، وتحرمه من الاهتداء بهديها والانتفاع بتوجيهها وارشادها •

من كان يظن أن بلادنا تقام فيها أسواق للدعارة فى عمارات باسقة ، وقصور شامخة وبيوت مفروشـة ، وكلما تنبه لها القـائمون على أجهزة الأمـن والآداب ، فـأغلقوا أبوابهـا وفضوا سوقها ، وقدموبضاعتها للقضاء قامت بعدها أسواق وأسواق روادها مواطنون ومغتربون ، مسلمون وغير مسلمين ، والبضاعة المعروضة ، ما بين زوجات وطليقات ، وعوانس وخـود وأمهات وعقيمات ، وجـامعيات وغير جامعيات ، ياللعـار ياللفضيحة ، لأمة يجب أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ياللعار وياللفضيحة ، لأمة جعلها الله شاهدة على الناس ، وجعل الرسول عليهم شهيدا •

**ثم ماذا ؟ :**

من كان يظن أن ينحـدر الذئاب الى حد الاعتـداء على أطفـال ذكور دون التميز ، وأن يتناوب على طفل دون السابعة ، ذئبان متتابعان من بنى الانسـان ، وأن يخيطـا فمـه حتى لا يصيح ، وأن يقتلاه أو احـدهما بعد اغتصابه حتى لا ينم عليهما ، كما حدث من سفاح الجيزة أحمد عبد الله وصـاحب له يـدعى ( سـعدا ) على ما أتذكر ، وقد أحيلت أوراق الأول عـلى المفتى ، وحـددت جلسـة ١١ ديسمبر للنطق بحكم الاعـدام عليه كما ذكرته صحيفة الأهرام ، بتاريخ ١٩٧٥/١٢/٢

من كان يظن أن رجـلا يتسـمى باسم المسلمين • وله زوجة وبنتـان • ويقيم بالمحلة الـكبرى • تأتيه فتـاة معها عنوان صديقة كانت زميلة لهـا فى المستشفى منذ سنين حيث عملت لهما عمليتان فى صمامات القلب فى أحد مستشفيات القاهرة • وبدلا من أن يهديها السبيل • وصل بها الى المزارع •

فلما أحست بالخطر صرخت • فطرحها أرضا واغتصبها بالقوة • ولم ينجدها توسلها اليه بمرض قلبها • ثم فكر أكثر مما يفكر الشيطان • فقتلها بعد أن أفقدها عرضها الذى هو أعز ما تملكه الفتاة • ولم يتحرك فى قلبه خاطر من خواطر الرحمة • ولانزعة من نوازع الانسانية • ولم يفكر فى عاقبة أمره • لأنه أضحى بلاضمير • بل حجر فى شكل انسان •

من كان يظن أن تجذب الفتيات من الشوارع بالقوة الى السيارات • ويعتدى عليهن فيها بعد جولة نحو مكان سحيق • أو يذهب بها الى مكان أعده المجرم لنزواته ونزوات أمثاله • ثم تضيع الفتاة وتنتهى بانتهاء شرفها وكرامتها • وقد تظل أسيرة الى حين • وأهلها يكوون بنارها • ويتقلبون على سعيرها • وهم لايعلمون ماحل بها • ويبيتون فى دوامة لايقر لهم فيها قرار • ويصبحون فى تيار لاينتهى بهم عند حاجز •

**شيوع الفتنة :**

وليس الأمر قاصرا على ماشرحناه • فنحن فى عصر تخون فيه المرأة زوجها ولا تبالى • وترتكب الاثم أمام صغارها وبناتها ولا تبالى • وقد تغرى عشيقها بزوجها ليقتله فى سبيل نزواتها • ولا تبالى بيتم أولادها وتشردهم بعد قتل أبيهم من أجل آثامها والتفرغ لمتعتها •

نحن فى عصر تصاحب فيه الفتاة زميلها أو زملاءها على الاثم باسم الحب وتحرض زميلتها أو زميلاتها العفيفات على الاثم باسم الحب • وترمى الفتاة المحافظة ( بالعبط ) والرجعية • ولا مانع عندها أن تسرق لتشترى ما تبدوا به مغرية • حتى تمارس الاثم مع من تحب باسم الحب • وتطلب الفتوى ممن أعدوا أنفسهم لفتاوى الحب والغرام •

**موقف القانون الوضعى :**

ماذا صنع القانون الوضعى فى عشرات الآلاف من الجرائم على النفس والمال والعرض • هل نقصت الجريمة ؟ هل قلت المآثم ؟ هل خفت الأعباء على مراكز الشرطة ورجال الآداب ووكلاء النيابات ؟ — كلا — فوربك لقد زادت سوقها رواجا • وآثامها انتشارا • وأخطارها اتساعا • وفى كل صباح تطالعنا الصحف • بما تقشعر له الأبدان • وترتجف منه البوادر • وتشيب له النواصى • من حوادث القتل والسطو

والسرقة بالاكراه • وتجارة الأعراض وغير ذلك من المآسى •

ومن ذلك ماجاء بصحيفة الأخبار صباح الأربعاء ( ١٣٩٥/١٢/٦ هـ - ١٩٧٥/١٢/١٠ م ) بصفحة ٣ تحت عنوان ( ضبط شبكة للتجارة فى الرقيق الأبيض تديرها ممثلتان ) من أنه تم القبض على الفنانة رجاء عبد المنعم - وشهرتها ريرى ٣٩ سنة وابنة خالتها عايدة عبد الحميد سرى• وكلتاهما من ممثلات أفلام التليفزيون وتضم الشبكة خمس فتيات ممثلات بالتليفزيون • و١٤ سيدة من محترفات الدعارة •

والأولى منهن زوجة منتج سينمائى وتدير شبكة بالقاهرة • وابنة خالتها عايدة تدير شبكة بالجيزة •وتتخذان من أحد القصور الفخمة بشارع الجزيرة مركزا لادارة نشاطهما • ويقيم بهذا القصر عدد كبير من النساء اللائى يمارسن الدعارة • ومعظمهن من الفنانات المجهولات • وقد قبض عليهن جميعا • وفى صباح القبض على رجاء عبد المنعم سحبت رصيدها من البنك • وقدره أربعة عشر ألف جنيه • وقد اعترفت المضبوطات بممارسة هذا النشاط القذر •

تلك هى خلاصة ما ذكرته صحيفة الأخبار عن هذه الجريمة الشنعاء • وما موضوع الفنانة العجوز المتصابية ( ميمى شكيب ) وشبكتها الرهيبة ببعيد عن القراء • وما خفى أعظم مما بدا • ولسوف تلد الليالى المثقلات كل عجيب من أنباء الفساد فى الأرض •

ولا شك أن كثرة الفضائح فى الحقبة الأخيرة • نجمت عن تدفق السياح العرب وغيرهم على هذه البلاد • وعرض بعضهم أجورا خيالية مغرية • هوت بالعفة والصون الى الحضيض • وقضت على المثل العربى المشهور ( تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها ) •

ولسوف تستقبل هذه الأسواق النافقة فى الدعارة • مزيدا من البذل والاغراء • يترتب عليهما فساد ذريع فى نساء هذه الأمة • مالم تأخذ بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى علاج هذه الكارثة الخلقية وسائر الانحرافات والنزوات•

**كيف نعالج الانحرافات :**

لا صلاح لهذه الأمة الا بالعودة الى أحكام الشريعة الغراء فى الحدود وغيرها • فهى العلاج الحاسم لأدوائنا وأمراضنا الخلقية والاجتماعية •

ولقد أسعدتنا تصريحات السيد المستشار عادل يونس وزير العدل • بأنه أصدر تعليماته الى لجنة تعديل القانون • بأن يرجعوا فى تعديلاتهم الى أحكام الشريعة المطهرة • وانا لنرجو أن يؤخذ المنحرفون بمواد مستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله • حتى تعود للأخلاق الاسلامية وضاءتها وللسلوك الفردى استقامته • كما كان الأمر عليه حينما كان شرع الله يحكم خير أمة أخرجت للناس • ولم يقهرنا المستعمرون بعد على العمل بقوانينهم •

**عقاب الحرابة والافساد فى الأرض :**

يقول الله تعالى : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض • • » الآية والمحاربون لله ورسوله – هم الذين يحملون على الناس فى مدينة أو صحراء • ويكابرونهم عن أنفسهم وأموالهم كما يقول المالكية يعنون بذلك قطاع الطريق • ومن يسعون فى الأرض بالفساد •

ونقل القرطبى عن طائفة أن حكم الآية عام فى الاعتداء على الناس فى المصر – أى المدينة – أو فى المنازل والطرق وديار أهل البادية والقرى•

هؤلاء هم المحاربون المفسدون • أما حكمهم فبيانه فيما يلى :

قال القرطبى : قالت طائفة : يقام الحد على المحارب لله ورسوله بقدر فعله • فمن أخاف السبيل وأخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف• وان أخذ المال وقتل قطعت يده ورجله ثم صلب • فاذا قتل ولم يأخذ المال قتل • وان هو لم يأخذ المال ولم يقتل نفى • قاله ابن عباس • وأخذ به أبو مجلز والنخعى وعطاء الخرسانى وغيرهم – ثم قال القرطبى:

وقال أبو ثور : الامام مخير على ظاهر الآية • وكذلك قال مالك • وهو مروى عن ابن عباس • وهو قول سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز ومجاهد والضحاك

والنخعى . كلهم قال : الامام مخير فى الحكم على المحاربين . يحكم عليهم بأى الأحكام التى أوجبها الله تعالى . من القتل أو الصلب أو القطع أو النفى . عملا بظاهر الآية . قال ابن عباس : ما كان فى القرآن ( أو ) فصاحبه بالخيار . وهذا القول أقرب الى ظاهر الآية من القول الأول الذى جعل ( أو ) للترتيب وجمع بين حدين ( القطع والصلب ) فيمن أخذ المال وقتل . واحتج الأولون بما ذكره الطبرى عن أنس بن مالك أنه قال : ( سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن الحكم فى المحارب فقال : ( من أخاف السبيل وأخذ المال فاقطع يده للأخذ ورجله للاخافة . ومن قتل فاقتله ومن جمع ذلك فاصلبه ) وفى الآية آراء أخرى . وحسب القارىء والحاكم ما ذكرناه . ففيه الكفاية والعلاج فنرجو أن تطبق عقوبات هذه الآية . على المجرمين وقطاع الطريق . وعصابات السطو على ركاب القطارات ووسائل المواصلات المختلفة . ولصوص المنازل والمصانع وأمثالهم من المجرمين المسلحين الجرآء الذين لا يتورعون عن القتل والطعن فى سبيل الحصول على ما يبتغون فان لم نفعل . فسوف يشتد الأمر ويعظم الخطب . ويعز العلاج . ونظرة الى ترمومتر الجريمة يتبين منها أنها فى تصاعد مستمر . وأن أساليبها تتطور الى أفحش وأعظم . فما لم يؤخذ على أيديهم بحدود الله . فان مصر تصبح ( شيكاغو ) أخرى . أشد وأعنف .

**عقاب لصوص الأموال العامة :**

أما أولئك الذين يسرقون أموال الدولة أو الأفراد بوسائل التزوير المختلفة . فهؤلاء وأمثالهم من الذين لا يستعملون القوة والجبروت فى سرقاتهم . يعاقبون بقوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » وينبغى أن تنفذ العقوبات أمام الجماهير . تشهيرا بهم . وردعا لغيرهم .

**عقاب الزنى :**

لا نجد ما يكف خطر هذا الاثم عن الأمة . خيرا من تنفيذ حكم الله فيمن يمارس جريمته من الرجال والنساء . وقد شرع الله تعالى مائة جلدة لمن يثبت عليه الزنى ولم يسبق له الزواج . ونهانا عن أن تأخذنا رأفة فى دين الله بهؤلاء الزناة .

وأمرنا أن نجعل عقوبتهم علنية . قال تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

أما من سبق له الزواج منهم .فانه يرجم بالحجارة حتى الموت . وقد نفذ الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فى ماعز والغامدية وغيرهما .

وقد كان الزنى فى الجاهلية منتشرا وكان يتخذ للبغايا بيوت خارج المدن . ولا يجد العربى حرجا فى أن يتكسب من عرض بغاياه من الاماء . كما حكت ذلك السيدة عائشة فى حديث لها عن أنكحة الجاهلية (١) ولما شرع الاسلام عقوبة الزنا بنوعيها . تلاشت هذه الجريمة أو كادت من المجتمع الإسلامى . ولو أننا نفذناها فى هذه الموجة العارمة من الفاحشة لتكسرت ولانت وخفت أخطارها .

ولو أجرينا استفتاء فى الأمة على تنفيذ أحكام الشريعة فى أصناف المجرمين . لكانت النتيجة فى صالح العمل بشرع الله تعالى . فقد رأوا بأعينهم . ما وصلت اليه أخلاق الرجال والنساء فى ظل قوانين البشر . ولم يعد محتملا أن نبقى تحت وطأة أهل الشر والفساد . الذين تمردوا على القوانين الوضعية « ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » .

**مصطفى محمد الطير**

---

(١) ذكره البخارى وغيره .

# وظيفة المسلم في مجتمعه

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه :

أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: على كل مسلم صدقة • قيل : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ فقال : يعين ذا الحاجة الملهوف • قال : قيل له : أرأيت ان لم يستطع • قال : يأمر بالمعروف أو الخير • قال : أرأيت ان لم يفعل ؟ قال : يمسك الشر فانها صدقة • أخرجه البخارى - كتب كثير من الكتاب فى هذا الحديث وانه لجدير بتكرار الكلام عنه وشرح ما احتواه من مبادىء تعاونية اجتماعية • فهو منهج متكامل للمسلم ولوظيفته فى جماعته جاء على نسق غريب فى الاجمال والتفصيل والسؤال والجواب حتى كاد يستوعب جوانب نشاط الاحسان وجوانب الخدمات الاجتماعية التى يستطيع المسلم أن يسديها لاخوته المسلمين وفيه تبصير للمسلم بأنواع من العمل قد لا يتنبه اليها ولا يعرف مكانها فى نظر الاسلام •

وأول المبادىء التعاونية التى تناولها الحديث الصدقة • والصدقة هنا تعنى العطاء المادى وهو أعظم أنواع البر فى الاسلام وأجزلها مثوبة • فالعطاء المادى بصوره المختلفة ذو أثر اجتماعى هام تنفرج به الضوائق وتسل السخائم وتقل الجرائم وتتوافر به لجماعة المسلمين الطمأنينة والأمن وما اختلفت الأمم تقدما وتخلفا الا بالعوامل الاقتصادية ومد حاجة الأفراد المادية •

والكلام فى قيمة المادة ومكانهما فى الحياة مكرر محلول ؟ فحكم الفطر والشرائع فيه معلوم واضح ؟ ولم يعن الاسلام بشىء أكثر مما عنى

بالصدقة أعني العطاء المادي حتى جعلها في بعض صورها ركنا من أركان الاسلام كالاقرار بالله وهي ما سماها الزكاة ، وعطاء كل امرىء بحسب طاقته وكل ما يقدمه منهاخير وبر وفي الحديث لا تحقرن من المعروف شيئا •• وفي حديث آخر : اتقوا النار ولو بشق تمرة • وفي قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : على كل مسلم صدقة عموم يتناول كل مسلم ، والاسلام حريص على أن يغرس في نفس المسلمين جميعا فضيلة البذل والسخاء ويطهرهم من رذيلة الشح والامساك كما قال تعالى : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » ، وان يكن العطاء في شرائع غيرنا محبوبا ومندوبا اليه فهو في شريعتنا محتم مفروض وانطلاقا من تقرير مبدأ الصدقة على كل مسلم أوجب عليه أن يلتمس من الأسباب ما يعينه عليها فان لم يكن في يده ما يعطيه فعليه أن يطرق أبواب العمل ليتوافر له من المال ما يسعفه على الصدقة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم لمن سأله عما يعمل من لم يجد ما يتصدق به : يعتمل بيديه فينفع نفسه وينفع الناس ، وفي هذه العبارة الموجزة تنبيه الى ثلاثة أمور ، أولهما : الحث على العمل حتى لا يكون المسلم عالة على غيره لا ينفع نفسه ولا ينفع الناس •

والثاني : أن ينتفع بما تجمع فلا يحرم نفسه ولا أهله مما أفاء الله عليه فذلك شر المنازل عند الله • الثالث : أن ينفع الناس معه ولا يستأثر بالتمتع به هو وأهله دون اخوانه المسلمين ومن حديث لرسول الله : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا الى السوق فتحامل فيصيب المد وان لأحدهم اليوم مائة ألف •

والتصدق بالمال مما يوجد أو يكتسب احدى الوظائف التعاونية الاجتماعية في الاسلام على المسلم وهي أهمها وأبعدها أثرا كما قلنا فان لم يستطع المسلم القيام بها فلن يعفيه الاسلام من غيرها مما يستطيعه وهو التعاون في قضاء الحاجات وحل المشكلات • كما قال الرسول عمن سأله عما يعمل للمسلمين ان لم يستطع التصدق : تعين ذا الحاجة والملهوف • والملهوف من اشتدت حاجته وتعاظم كربه ولا سبيل لحصر المحتاجين والملهوفين ولا سبيل لحصر الحاجات كما قيل :

تموت مع المرء حاجاته
وحاجة من عاش لا تنقضى

والملهوف قد يكون ملهوفا على ولد غائب أو مال ضائع أو حق مغتصب أو استفتاء علمى أو نصيحة خالصة تنقذه من موقف الحيرة والتردد ونحو ذلك من مواقف الشدة التى تستوجب التعاون والتكافل فاذا لم يستطع المسلم ذلك فأمامه ميدان آخر للتعاون العام وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصل اسلامى اعاره الاسلام عناية وقرره على كل مسلم • وفرضه فرضا على من تعين له ؛ لأنه من أهم وسائل الاصلاح الاجتماعى ، وغايته والغرض منه أن يكون كل مسلم رقيبا على اخوانه فى تصرفاتهم الظاهرة يأمرهم بالمعروف من الأعمال ويزجرهم عن المنكر منها والمعروف اسم جامع لكل ماعرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس يعنى أنه العمل الذى يعرف الناس حسنه ويحمدون صاحبه اذا عمله ويذمونه اذا تهاون فيه ، والمنكر هو ماقبحه الشرع وما حرمه وكرهه وعرف الناس ضرره وسوء عاقبته ، والمعروف من الأعمال لا حدود له والمنكر كذلك ومن المنكر ما تناولته القوانين ووضعت له من العقوبات ما يناسبه فيتجنبه الناس اتقاء العقوبة عليه ومنهما ما لم تتناوله القوانين وهذا هو ميدان الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، يجاهدون فيه حسبة لله ورجاء رضوانه وابتغاء ثوابه لابتكليف من سلطان •

ولقد كان لهذا الشأن وظائف رسمية فى فترات من تاريخ الاسلام وكان له دور هام فى مكافحة الانحرافات وتقليل الجرائم • ولقد أوجب الاسلام أن تخصص له جماعة من الأمم الى جانب الجماعات الرسمية التى تناط بها أعمال الدولة كالشرطة والقضاء ونحو ذلك وتنجح وسيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى أداء دورها الاصلاحى اذا انتدب لها من يحسنها بعلمه وكفايته وصبره وشجاعته ومرونته وبصره بطبائع النفوس والتعرف على دواعى الانحرافات على أن يتجنب ماوسعه أسلوب التجريح والتخجيل ويجعل دستوره فى عمله قوله تعالى : «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » ، وأهم من ذلك كله أن يكون قدوة بعمله فلا

يخالف بعمله ما يقول بلسانه فان ذلك هو المنكر ابنبغض الى الله اذ يقول :

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » •

وخير أنواع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وان كان أثقلهما احتمالا - ما كان موجها الى الولاة الظلمة والرؤساء المستبدين حيث يتعرض القائم به للمكروه والأذى فينبغى حينئذ أن يعتصم بايمانه ووعد الله بنصره ومن هنا كان أجره عظيما وجزاؤه موفورا فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ، أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر •

ويرى الامام الغزالى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة ، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد وخربت البلاد •

أن التصدق والعمل واعانة الملهوف والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هى الوظائف العملية الايجابية التى يجب على المسلم أداؤها لمجتمعه وهناك وظائف سلبية ندب الاسلام الالتزام بها لمجتمعه أيضا وموقف الاسلام فى اعداد المسلم وتدريبه على خدمة مجتمعه موقف غريب وكأنه يريد له أن يكون عنصرا نافعا فى جميع أحواله وفى حركاته وسكناته •

ومن هذه الوظائف السلبية التى ذكرها الحديث امساك المسلم عن الشر وأبواب الشرور كثيرة فشر بالقلب ، وشر بالفكر وشر باللسان وشر باليد ، ووجوب الامساك عن الشر يتناولها جميعا ، ولعل شر هذه الشرور شر اللسان •

ومصائب الألسنة كثيرة وجراحاته خطيرة •

جراحات السنان لها التئام
ولا يلتئام ما جرح اللسان

وطالما حذر النبى صلى الله عليه وسلم من زلات الألسنة حتى جعلها من أكثر ما يدخل الناس النار حيث قال : وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار الا حصائد ألسنتهم •

واذا كان امساك اللسان حقا على المسلم فى أوقات السلم فانه فى فترات الحرب أشد وجوبا سيما على من أؤتمنوا على اسرارها وأخطارها ، فان كلمة واحدة تفلت من لسان مسئول عنها قد تودى بأمة وتقضى على مصير وطن •

ان الكلام فى شرح الحديث يطول ، لأن فى كل فقرة منه موضوعا متشعب الأطراف استحق أن يختص بأبحاث أو كتب مستقلة وحسبنا أن نذكر أجيالنا الحاضرة بما تضمنه من المبادىء الاجتماعية التعاونية التى قررها الاسلام على كل مسلم ليكون عضوا عاملا فى جماعة تتأثر به ويتأثر بها ولم يتركه لنفسه تستبد به شهواته وأطماعه وينقطع عن جماعته فشر ماتبتلى به الأمم التدابر والتقاطع وعدم اهتمام كل بأحوال الآخرين •

**ابو الوفا المراغى**

من هدى السنة :

# يسر الإسلام وسماحته

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٥ —

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

( ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشىء من الدلجة ) .

( رواه البخارى )

**تمهيد :**

عند بيان أهداف الحديث قلنا : ان التشريع الاسلامى قام على مبدأ رفع الحرج والمشقة ، وعرضنا فى المقالات الماضية لخمسة أمثلة يتجلى فيها يسر هذا التشريع ، ورعايته لحال المكلفين — وكان المثال الخامس خاصا بشرعية التيمم — وفى هذا المقال نحاول أن نذكر شيئا يتعلق بهذا المثال ، ونسوق بعض أمثلة أخرى ، فنقول :

لما كان القصد من شرعية التيمم هو التيسير على العباد فى أداء عبادة الصلاة — ذهب كثير من الفقهاء الى أن التيمم عند وجود عذر يقتضيه — يعتبر طهارة قوية رتبوا عليها أمرين :

الأول : أن الصلاة التى أديت بالتيمم لاتجب اعادتها .

الثانى : أنه يجوز اقتداء المتوضىء بالمتيمم .

واستدلوا على هذا بما رواه الامام أحمد وأبو داود والدارقطنى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه لما بعث فى غزوة ذات السلاسل قال : احتلمت فى ليلة باردة شديدة البرد ، فأشفقت ان اغتسلت أن أهلك ، فتيممت ثم صليت بأصحابى صلاة الصبح ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم — ذكروا ذلك له ، فقال :

ياعمرو ، صليت بأصحابك ـ وأنت جنب •

فقلت : ذكرت قول الله تعالى :

« ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما »(١)فتيممت ، ثم صليت ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ولم يقل شيئا •

قوله : ( ذات السلاسل ) هي موضع وراء وادى القرى ، وكانت هذه الغزوة في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة •

قوله : ( فأشفقت ) أى خفت وحذرت •

قوله : ( فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يقل شيئا ) المراد أنه لم ينكر عليه تيممه للصلاة فى حال خوفه الهلاك من شدة البرد ، ولا امامته وهو متيمم للمتوضئين ولم يأمره باعادة تلك الصلاة ، وأقره على ما صدر منه ، ورضى عنه •

قال صاحب كتاب ـ نيل الأوطار ـ عند شرحه لهذا الحديث ـ مانصه :

قوله : ( فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ولم يقل شيئا ) •

فيه دليلان على جواز التيمم عند شدة البرد ومخافة الهلاك •

الأول : التبسم والاستبشار •

والثانى : عدم الانكار ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لا يقر على باطل ، والابتسام والاستبشار أقوى دلالة من السكوت على الجواز ، فان الاستبشار دلالته على الجواز بطريق الأولى ـ وقد استدل بهذا الحديث الثورى ومالك وأبو حنيفة وابن المنذر على أن من يتيمم لشدة البرد ، وصلى لا تجب عليه الاعادة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يأمره بالاعادة ؛ ولو كانت واجبة لأمره بها ، ولأنه أتى بما أمر به ، وقدر عليه ، فأشبه سائر من يصلى بالتيمم ـ ثم قال : قال المصنف رحمه الله تعالى بعد أن ساق الحديث مالفظه : فيه من العلم اثبات التيمم لخوف البرد ، وسقوط الغرض به ، وصحة اقتداء المتوضىء بالمتيمم ، وأن التيمم لا يرفع الحدث ، وأن التمسك بالعمومات حجة صحيحة ،

---

(١) سورة النساء آية رقم ٢٩

انتهى – وقوله ان التيمم لا يرفع الحدث ، لعله مستفاد من قوله : صلى الله عليه وسلم :

( صليت بأصحابك وأنت جنب )

ا هـ .

وقول المصنف وأن التمسك بالعمومات حجة صحيحة . يشير الى استدلال عمرو رضى الله عنه على جواز التيمم عند خوف الهلاك من شدة البرد ، بعموم قوله تعالى :

« ولا تقتلوا أنفسكم » ا هـ .

وجاء فى كتاب – الاختيار – لتعليل المختار للفتوى فى مسألة – عدم اعادة الصلاة التى أديت بالتيمم – ما لفظه : ( ولو صلى بالتيمم ثم وجد الماء لم يعد ) لأنه أتى بما أمر به ، وهو الصلاة بالتيمم ، فخرج عن العهدة ا هـ .

وجاء فيه أيضا فى مسألة : اقتداء المتوضىء بالمتيمم ما نصه : ( ويجوز اقتداء المتوضىء بالمتيمم ) وقال محمد: لايجوز ، لأن التيمم طهارة ضرورية كطهارة صاحب العذر ، ولنا ماروى: أن عمرو بن العاص أجنب فى ليلة باردة ، فتيمم وصلى بأصحابه ، ثم أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يأمرهم بالاعادة – وقد تقدم أن التيمم طهارة عند عدم الماء ، فكان اقتداء طاهر بطاهر ا هـ

٦ – وبعد أن ثبت أن اليسر هو الطابع العام فى شرعة الاسلام ومنهاجه – كان لزاما على من يسأل عن حكم الله تعالى – ألا يفتى بما يوقع الناس فى الحرج ، ويعرضهم للهلاك والضرر ، فانه بذلك يكون مجافيا لروح الدين ، وجاهلا بتعاليمه ، ومنحرفا عن سبيله .

لذا غضب النبى صلى الله عليه وسلم من قوم سألهم صاحبهم عن كيفية تطهره من الجنابة – وكان برأسه جراحة يضرها استعمال الماء – فأفتوه بالغسل ، فاغتسل ، فمات.

وكان الفقه فى الدين يقتضيهم أن يفطنوا لحال هذا الجريح ، ويتبصروا فى عاقبته ، فيفتوه بالتيمم، تيسيرا عليه ، ورعاية لشأنه ، وتحقيقا لسلامته .

ويصور مدى غضبه عليه الصلاة والسلام ،وانكاره الشديد لتلك الفتوى التى صدرت عن جهالة – أن جعل

أصحابها قاتلين لمن أفتوه ، ودعا عليهم أن يقتلوا ـ جزاء وفاقا ـ لما كانوا سببا فيه من قتل صاحبهم .

روى أبوداود والدارقطني والحاكم في المستدرك عن جابر رضي الله عنه قال : خرجنا في سفر ، فأصاب رجلا منا حجر ، فشجه في رأسه ، ثم احتلم ، فسأل أصحابه : هل لي رخصة في التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة ـ وأنت تقدر على الماء ـ فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال :

قتلوه قتلهم الله ، ألا سألوا اذ لم يعلموا ، فانما شفاء العي السؤال ، انما كان يكفيه أن يتيمم ، ويعصب على جرحه ، ثم يمسح عليه ، ويغسل سائر جسده ) .

قوله : ( فشجه ) أي جرحه .

قوله : ( ألا سألوا اذ لم يعلموا ) ألا بمعنى هلا كما جاء في رواية أخرى للحديث : ( هلا سألوا اذا لم يعلموا ) ؟ ـ والمراد الحض والحث على سؤال أهل العلم والمعرفة ، كما قال جل شأنه : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (١) .

قوله : ( شفاء العي السؤال ) العي بكسر العين المراد به العجز وعدم الاهتداء الى الصواب ، وفعله عيي بعيا كرضي يرضى ، قال في المصباح : عيي بالأمر وعن حجته يعيا من باب تعب عيا عجز عنه ، وقد يدغم الماضي ، فيقال : عي ، فالرجل عي ، وعيي على فعل وفعيل ، وعيي بالأمر لم يهتد لوجهه ـ والمقصود بقوله : ( شفاء العي السؤال ) أن علاج الجاهل أن يسأل ذا العلم والمعرفة .

( يعصب على جرحه ) يربطه ويشده .

( سائر جسده ) الباقي منه بعد الجزء المجروح ، قال في المصباح : اتفق أهل اللغة : أن سائر الشيء باقيه قليلا كان أو كثيرا ، قال الصغاني : سائر الناس باقيهم ، وليس جميعهم ـ كما زعم من قصر في اللغة باعه ا هـ .

---

(١) سورة النحل آية رقم ٤٣

هذا وقوله صلى الله عليه وسلم : ( انما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب على جرحه ) الخ يفيد أن كل من بجسده جراحة أو مرض ، ووجب عليه الغسل ، ويستطيع غسل بعض بدنه دون بعض ـ لزمه غسل ما قدر عليه ، وتيمم للجزء الباقى ٠

والى هذا ذهب الامام الشافعى وأحمد ٠

وذهب أبو حنيفة ومالك الى أنه اذا كان أكثر البدن صحيحا وجب على الشخص غسل هذا المقدار ، ولايتيمم عليه ـ وان كان أكثره جريحا تيمم ولا يجب عليه غسل ٠

**الأدلة :**

استدل أهل المذهب الثانى بأن التيمم بدل عن الغسل عند العجز عن استعمال الماء ، فالجمع بينهما جمع بين البدل والمبدل منه ، فلايجب كما لا يجب الجمع بين الصيام والاطعام فى كفارة الظهار أو الصيام ٠

واستدل أهل المذهب الأول بما يأتى :

١ ـ الحديث المذكور : فقد دل على الجمع بين التيمم من أجل الجزء الجريح والغسل لباقى الجسد ٠

٢ ـ ان كل جزء من الجسم يجب تطهيره ـ اذا كان الجسم كله صحيحا ، أو مريضا ، فكذا يجب تطهير كل جزء من الجسم بشىء اذا كان بعضه سليما ، والبعض جريحا ٠

٣ ـ القول بأن الاتيان بالتيمم والغسل ـ جمع بين البدل والمبدل منه ، وهو ممنوع ـ يجاب عنه بأن الجمع بينهما جائز فى الجملة ، كما فى الجمع بين المسح على الخفين وغسل باقى أعضاء الوضوء ٠

ويجاب أيضا بأن قياس ما نحن فيه على موضوع الصيام والاطعام ـ قياس مع الفارق فانه فى هذا الموضوع جمع بين البدل والمبدل منه فى محل واحد ـ بخلاف ما نحن بصدده ، فان التيمم بدل فى موضع تعذرت اصابته بالماء دون ما تيسرت اصابته به ، جاء فى كتاب المغنى ـ لموفق الدين بن قدامه ج ١ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ط السلفية ما نصه : الجريح والمريض اذا أمكنه غسل بعض جسده دون بعض ، لزمه غسل ما أمكنه ، وتيمم للباقى ، وبهذا قال الشافعى :

وقال أبو حنيفة ومالك : ان كان أكثر بدنه صحيحا غسله ولا يتيمم

عليه ، وان كان أكثره جريحا تيمم ولا غسل عليه ، لأن الجمع بين البدل والمبدل لا يجب كالصيام والاطعام ، ولنا ما روى جابر قال : خرجنا في سفر ، فأصاب رجلا منا حجر ، فشجه – وساق الحديث المذكور بتمامه – ثم قال : وعن ابن عباس مثله ؛ ولأن كل جزء من الجسد يجب تطهيره بشيء اذا كان الجسم كله في المرض أو الصحة ، فيجب ذلك فيه ، وان خالفه غيره – كما لو كان من جملة الأكثر ، فان حكمه لا يسقط بمعنى في غيره – وما ذكروه ينتقض بالمسح على الخفين مع غسل بقية أعضاء الوضوء – ويفارق ماقاسوا عليه فانه جمع بين البدل والمبدل في محل واحد ، بخلاف هذا ، فان التيمم بدل عما لم يصبه الماء دون ما أصابه أ هـ .

وبعد استعراض أدلة كل من الفريقين – أرى ترجيح المذهب الأول لأمرين :

أحدهما: العمل بالحديث المذكور ، فانه نص في محل النزاع ، فيجب المصير اليه .

ثانيهما : الاحتياط للعبادة يقتضي الحرص على تيقن الطهارة لجميع البدن ، وسبيل ذلك هنا التيمم لأجل الجزء الجريح أو المريض ، والغسل للباقي الصحيح ، والله أعلم ؟

الحديث موصول .

**منشاوى عثمان عبود**

# نحو عقيدة عسكرية إسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين

— ٣ —

لقد عرفنا أن الجهاد فى سبيل الله يكفل بناء الكيان العسكرى للأمة لأنه تكليف لها كلها ، وسقوطه عن بعضهم لا يعفيهم من المسئولية اذا تعطل ولم يقم به ، ومن ثم يجب تأهب الجميع للنهوض بهذا الواجب .

ولا يكون الجهاد وقت الحرب فقط بل هو تكليف مستمر فى السلم والحرب ، فهو فى السلم استعداد لا يفتر معنويا وماديا ، فهو من الناحية المعنوية استعداد معنوى يقوى الايمان ويثبت الاعتماد على الله ويربى فى المسلم ، نفسه وضميره وهذا هو الجهاد الأكبر كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الناحية المادية فالجهاد يقظة وحذر واستعداد دائم لصد العدوان ، وهو اعداد للقوة بكل ما تنطوى عليه من المعانى المادية والمعنوية التى يتحقق بها النصر على العدو .

وهذا من أهم ما يميز العقيدة العسكرية الاسلامية عن غيرها من العقائد العسكرية للأمم ، ذلك لأن تلك العقائد محتواها مادى بحت ، أما العقيدة العسكرية الاسلامية فهى عقيدة عسكرية وتربوية معا لاحتوائها على أصول تربوية ـ الى جانب المحتوى المادى العسكرى ـ هى فى حقيقتها من الضرورات الحيوية للجانب العسكرى ومن أهم عوامل النصر فى المعارك .

وذلك لأن للجهاد أنواعا ثلاثة هى :

ـ جهاد النفس .

ـ جهاد الشيطان .

ـ جهاد العدو الظاهر .

أما جهاد النفس فهو تخليصها من الأهواء والشهوات واتجاهها الى

الحق فى ذاته ، لا حبا فى شهرة ولا رغبة فى متعة ولا رجاء فى أى شأن من شئون الدنيا ، ولم يعتبر مجاهدا من حارب شجاعة وشهرة ، وطلب مال ، وانما اعتبر المجاهد من يجاهد لارضاء الله وطلب ما عنده ولرفعة الحق وجعل كلمة الله هى العليا ، وكلمة أعداء الله هى السفلى، وان ذلك لا ريب لا يكون الا اذا جاهد نفسه وأخضع أهواءه وشهواته لأحكام الله تعالى وجعل هواه تبعا لما جاء به النبى وأمر الله تعالى به وهو ما يفهم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » •

وقد أثر عن النبىأن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ، فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال بعد رجوعه من احدى الغزوات « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » فالجهاد الأكبر هو مجاهدة النفس هو عدة الجهاد الأصغر ، فالمجاهد فى ميدان القتال لا ينتصر فيه الا اذا أتم الانتصار فى الميدان الأكبر ، فلا ينتصر على عدوه الذى يحمل السيف حتى ينتصر على نفسه التى بين جنبيه ، وحتى تكون كل أهوائه وشهواته خاضعة لأمر الله تعالى ونهيه •

وجهاد الشيطان جبهة أخرى من جبهات الجهاد يعنى بها الاسلام ويحرض أتباعه على الجد فيها بالاستمساك بتعاليم الدين ومقاومة نزغات الشيطانالذى يستخدم غرائز الانسان ويزين له القبيح ويقبح الحسن ويقوده الى مزالق الشر والضلال••والشيطان يصدق على كل متمرد من الجن والانس • وهكذا نجد المسلم القائم على حقيقة الاسلام المهتدى بهديه فى جهاد دائم لأن الصراع بين الحق والباطل معركة دائمة لاتنتهى أبدا ، ومكان المسلم المجاهد من هذا الصراع أن يكون فى جانب الحق والايمان وأن يوطن نفسه علىالصبر ويروضها علىاحتمال المكاره والآلام والمشقات لأن ذلك هو السبيل الى الانتصار على الأعداء فى ميدان القتال •

ولقد أوصى عمر بن لخطاب رضى الله عنه سعد بن أبى وقاص قائده الذى وجهه لفتح فارس فقال « أما بعد فانى أوصيك ومن معك

من الأجناد بتقوى الله فى كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وأن تكون أنت ومن معك أشد احتراسا من المعاصى من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وان لم ننتصر عليهم بطاعتنا ، لم نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله ، يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم » .

وصور الله تعالى الجهاد فى سبيل الله بأنه من التجارة الرابحة مع الله عز الله وجل فقال « يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » .

وصورة أيضا بأنه عقد تم بين المؤمنين وربهم فى قوله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » الآية .

وقد أجمل الله ثواب الجهاد فى هذه الآيات فذكر أنه سبيل للنجاة من عذاب أليم وأنه وسيلة لمغفرة الله والعفو عن ذنوب المؤمن وأنه يدخل المجاهدين الجنة ليستمتعوا بما فيها من نعيم دائم ومساكن طيبة ، وأنه يحقق أمل المجاهدين فى النصر والفتح ، والنصر يصدق على النجاه من العدو وعلى التغلب عليه .

ولا شك أن مكانة الشهداء عند الله كريمة عظيمة كما يفهم من قوله تعالى : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

وقوله جل شأنه : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل

أحياء عند ربهم يرزقون • فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون • يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

ولقد عبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عما يناله الشهداء من رضوان الله فى أحاديث كثيرة نذكر منها :

ـ « والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل » •

ـ « ما من نفس تموت لها عند الله خير ، يسرها أن ترجع الى الدنيا وأن لها الدنيا وما فيها الا الشهيد ، فانه يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى لما يرى من فضل الشهادة » •

هذه المكانة العظيمة للشهداء التى تلوح من كلام الله ورسوله كانت تلهب المقاتلين شوقا اليها وتغريهم ببذل المهج والأرواح فى سبيل الله ، حتى لقد كان بعضهم يشم ريح الجنة وهو يخوض الأهوال ، ويقول منتشيا بالسعادة :

ياحبذا الجنة واقترابها
طيبة وباردا شرابها

وفى ضوء ذلك يمكن أن ندرك مقدار الجريمة فى التخلف عن الجهاد مع القدرة عليه ، فاذا تخلف شخص عن أداء واجبه بالنسبة للجهاد ، فقد خرج على المبدأ الاسلامى الالهى اذ أمر الله تعالى بالجهاد وحذر من التخلف عنه أو التثاقل فيه فقال : «يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل • الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا » •

كما بين أن ترك الجهاد والاستئذان فى التخلف عنه من شأن المنافقين وليس من شأن المؤمنين وهو ما يفهم من قوله تعالى : « لا يستأذنك الذين

يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . وانما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون » .

فعلى المؤمن حقا أن يجاهد أو يعزم على الجهاد ، ولقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن من مات دون أن يقوم بالغزو فعلا أو يعزم عليه ، أو يحدث نفسه به فانه يموت على شعبة من نفاق ( أو ميتة جاهلية ) .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من نفاق » .

بقي أن نتناول الجهاد في سبيل الله باعتباره عقيدة عسكرية اسلامية من الناحية الفنية فنتحدث عن خصائص تلك العقيدة وطبيعتها ومبادئها الرئيسية فيما يتصل بالحرب وغاياتها وطرق ادارتها وقوانينها وآدابها .

( للبحث بقية )

**محمد جمال الدين**

من مشاهد الحياة فى القرآن :

# مشاهد الحوار فى سورة البقرة

للأستاذ عبد الغنى أحمد ناجى

اذا كان التفكير أبرز خصائص الانسان فان أهم سماته وشياته الحوار؟ فالطفل ساعة يعرف النطق يحاور ويجادل فى نطاق طفولته ، وفى دائرة لعبه وهواياته،وكلما نما عقله وتفكيره تطور معهما حواره وجداله،وانداحت دائرتهما بما يتناسب مع اتساع أفقه، وغزارة معارفه .

وحوار الانسان ينم عن شخصيته وتفكيره ، ويكشف عن مخبوء طبائعه وسلائقه ، ليحصره فى نمطين اثنين من البشر ، هما : المجادل بحثا عن الحق ، والمجادل عنادا ومشاكسة ، وفى القرآن الكريم من صور ذلك الحوار ما يقنع ويمتع ، وما يعطى النموذج الفريد فى حوار الحق للسير على الحياة ، وما يجلى جدال العناد ، ويفضح نهايته ؛ لينأى عنه الأسوياء من الناس ، وصور الحوار فى القرآن قصيرة ، وبخاصة حوار الحق ، فسرعان ما ينهمر غيث الحقيقة على نار الحيرة والشك فيطفئهما ، وكأن القرآن بذلك يرشدنا الى التمسك بأنوار الصواب متى بدا شعاعه ، فاللجاج حينئذ مضيعة للجهد ، ومورد الى البوار .

واذا قرأنا سورة البقرة وجدنا فى أولها أول حوار حدث فى هذا الوجود انه الحوار بين رب العزة ، وملائكته المقربين ، وهو نموذج فذ لحوار الحق ، فلا اسراف فى الجدال ، ولا شطط فى الحوار ، بل يصب الاقناع فى القلب والعقل صبا ، فينقطع اللجاج ، ويحدث الانصياع ، نلمس ذلك فى قول الله تعالى لملائكته : « .. واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .. » .

قال الله لملائكته ، فقالت له ملائكته ، حوار لم يتعد القولين ، ثم جاء القول

الفصل فى رد رب الخلق : «.. قال انى أعلم مالا تعلمون » ، فلم نسمع بعده همس ملك من الملائكة ، فالله خالق الخلائق،وهو أعلم بمايصلحها، وكأن الملائكة قد داخلهم الندم على ردهم الوحيد الذى قالوا فيه : « .. أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، وان كان ردهم لا يحمل معنى الاعتراض ، فحاشا لله أن يعترض على فعله مخلوق ، ولكنهم يستفهمون عن الحكمة فى ايجاد خليفة لله فى الأرض ، وهم لا يفترون عن عبادته وتسبيحه .

هذا الموقف ان جاز لنا أن نسميه حوارا ــ فهو أدب فريد فى تعليم الطريقة المثلى فى الحوار ، وهذه الآية بالذات تلزم المسلم المنصاع لأوامر ربه بأن يهرع الى الحق ، ويرجع عن اللجاج متى أسفرت الحقيقة ، وتميز الصواب ، فالخير كل الخير فى ذلك ، والشر كل الشر فى المراء واللجاج لحجبهما أشعة الحق ، وفى السورة الكريمة نفسها عقب هذا الموقف مشهدا آخر لحوار اللجاج والشطط ، وما جره من مشاق وعنت ، ذلك الحوار الذى حدث بين نبى الله موسى عليه السلام ، وبنى اسرائيل بشأن البقرة التى أرشدهم ــ عليه السلام ــ الى ذبحها لتحقيق مأربهم ، فلقد كان حوارا عاملا على تصعيب السهل ، وتشديد الهين ، والزام النفس بما كانت عنه فى غناء، حتى أصبح مثلا يضرب للتشدد فى الأمور ، والتضييق على النفوس ، يقول رب العزة : « .. واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، قالوا أتتخذنا هزوا ، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ، قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر ، عوان بين ذلك ، فافعلوا ما تأمرون » .

ولو لم يكن بنو اسرائيل من المسرفين المغالين لانصاعوا لرسولهم الكريم عندما قال لهم: «..افعلوا ماتؤمرون»، ولكن طبيعتهم اللجوج أبت الا التشدد والاعنات ، فانساقوا لطبيعتهم قائلين بعد ذلك : « .. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها ، قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها يسر الناظرين، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا ، وانا ان شاء الله لمهتدون » . ولو كان الواقف أمامهم غير نبى مرسل لضاق بهم ذرعا ، وانصرف غير عابىء بما ينالهم من

خسار وبوار ، ولكنه النبى الحكيم المأمور بالصبر ، وافراغ أقصى الطاقة فى التحمل وسعة الصدر ، فيقول لهم : « .. انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث ، مسلمة لا شية فيها ، قالوا الآن جئت بالحق ، فذبحوها ... » .

واذا قلنا آنفا : ان الحوار يكشف عن طبيعة الشخص وميوله ـ فان هذه السورة الكريمة تصرح عقيب هذا الحوار بطبيعة بنى اسرائيل ؟ حتى لا تدع لسائل أن يسأل عن الدافع لهم الى هذا التشدد والتضييق، اذ أن السبب فى ذلك انما هو قسوة قلوبهم قسوة لم تدع لنسمات اللين أن تهب عليها ، فهى قلوب مصمتة كالحجارة أو أشد ، وأنى لها أن تلين لغيرها،مادامت لم تلن لأصحابها ، نقرأ فى فضحهم قول الله تعالى : « .. ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وان منها لما يهبط من خشية الله ». فالحجارة تلين فيخرج منها الماء ، وقلوبهم لاتلين لينفجر منها العطف ، أو يأوى اليها الحق .

وفى مشهد حوارى آخر لبنى اسرائيل تكشف سورة البقرة نفسها جانبا جديدا من طبائع هذا الصنف من الناس ، وهو جانب الاعتداد على خواء ، ذلك الاعتداد الدافع الى نقض العهود ، واظهار العجز والجبن عند المجابهة والتنفيذ ، فلقد طلب بنو اسرائيل من أحد أنبيائهم ـ بعد موسى عليه السلام ـ أن يرسل اليهم ملكا قائدا ؛ ليقاتلوا فى سبيل الله ، فخشى النبى ألا يقاتلوا لما يعهده فيهم من الجبن والخور ، فذكروا تعلة مقبولة لايجاب الجهاد ، وهى دفاع من شردهم من وطنهم ، وحملهم على ترك مالهم فى الحياة من متاع وولد، فلما كتب عليهم القتال ، وأرسل اليهم الملك القائد نكصوا عن الجهاد ، ونقضوا العهد ، وفروا غير عابئين بوطنهم ومتاعهم ، ولم يجدوا أو لم يجيدوا سوى الجدال المسرف لاكتساب ميزات ليست متحققة لديهم ، فلقد دفعهم حقدهم الأسود الى أن يستكثروا على طالوت أن يكون ملكا قائدا لهم ، كما طلبوا من نبيهم زاعمين أن مقومات الملك والقيادة منحصرة فى المال وحده ، وكان الرد

المفحم لهم متجليا في بيان المقومات الحقيقية للملك والقيادة ، من بسطة العلم والجسم ، ولعنادهم الشديد لم يتصاعوا لهذا الملك من قبل نبيهم الا بعد أن أتاهم بتابوت فيه التوراة ، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ، وفي الآيات التالية ما يجلي هذا الموقف الحواري ، قال تعالى : « ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ، قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله ، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ، فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين • وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا أنى يكون له الملك علينا ، ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ، قال ان الله اصطفاه عليكم ، وزاده بسطة في العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، والله واسع عليم • وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم ، وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ، ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين »

وقبل أن نختم سورة البقرة يطالعنا حواران لأبي الأنبياء ابراهيم عليه السلام ، وقد جاء كل منهما عقب حيرة متفاوتة ، وكانت نتيجة أحدهما ايمانا ويقينا ، ونتيجة ثانيهما بهتا وانقطاع لجاج ، أما الأول حسب ترتيب وروده في السورة الكريمة فهو الحوار الذى حدث بين ابراهيم عليه السلام ومن حاجه في ربه ، واهما أو زاعما نفسه الاله مادام قد أعطى الملك والجبروت في الدنيا ، فرد نبي الله عليه بأن الاله الحق هو الذى يقدر على الاحياء والموت ، فأجابه من أعطى الملك بأنه يستطيع ذلك ، ويقصد أن في مكنته أن يبقى على حياة بعض رعيته،ويعمد الى البعض اهلاكا وتقتيلا ، فيكون قد أحيا وأمات ، فألجمه وأفحمه نبي الله ببيان مالا يستطاعه الا الاله الحق ، فـرب ابراهيم يأتى بالشمس من المشرق فليأت ، بها هذا المعاند من المغرب ، فزاغ بصره ، وحار عقله ، وانقطع لجاجه حينما ألقم هذا الحجر ، وأفحم بهذا الردالقاطع عليه كل سبيل

للشطط فى المراء والجدل . وكأن الله تعالى يسرد هذا الحوار فى كتابه العزيز يقفنا على نماذج من البشر ، بعضها فى قمة البشرية ، والآخر فى السفح أو الحضيض ، فنبى الله ابراهيم عليه السلام يمثل النموذج الأول ، ومن كفر وألحد كان نموذجا للنوع الثانى ، ويرشدنا الله تعالى بجانب ذلك – الى أمثل حوار مجد مع الذين هووا بطبائعهم الى الكفر والعناد ، وركبوا الرءوس تيها وغرورا ، حتى تخيلوا أنفسهم آلهة ، ومثل هؤلاء فى الدنيا كثير عبر الدهور والعصور ، ولا يجدى معهم – لاخراسهم ، وقطع لجاجهم – سوى هذا الأسلوب من الحوار الذى نقرؤه فى قوله تعالى : « ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك ، اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت ، قال أنا أحيى وأميت ، قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين »

وليس مفيدا لتحطيم غرور المغرورين وخيلائهم – سوى أسلوب الاعجاز الممثل فى المطالبة بعمل هو فوق الجهد والطاقة من ناحية ، وهو أخص أعمال من يشرئب اليه المعاند زاعما أنه هو من ناحية أخرى ، واخال ذلك الأسلوب من الحوار أسلوبا طبيعيا ، بمعنى أن الشخص السوى اذا وقف تجاه زاعم واهم مختال – فانه سيندفع فى الحوار الى اعجازه بمطالبته بعمل الشخصية التى يزعمها ، كمن يدعى أنه شاعر مطبوع ، فسرعان ما نجد أنفسنا مدفوعين الى مطالبته بذكر احدى قصائده ، فاذا ذكر هراء عابثا قلنا له: ان الشاعر الحق هو صاحب الاحساس المرهف ، والشفافية الكاشفة ، وهو الذى تصهره التجربة فتخرج من فيه أصدق تعبير عن العاطفة والشعور ، فى أسلوب ساحر آسر يأخذ بالألباب ، فان فغرفاه عيا ودهشا كنا قد عريناه من كل ثياب الزيف والغرور ، وأوقفناه على أرض الحقيقة غير واجد من أسباب الكبر والخداع شيئا ، ذلك هو أسلوب الحوار الذى أرشدتنا اليه الآية الكريمة السالفة ؟ لتسلمنا الى آخر حوار بالسورة ، وهو كأول حوار بدئت به سورة البقرة ، اذ كان

الأول بين رب العزة وملائكته ، وهذا بين رب العـزة وخليله ابراهيـم ـ عليه السلام ـ واذا كان الأول للسؤال عن الحكمـة فى جعل خليفة لله فى الأرض مع وجود الملائكة ـ المسبحين ـ فان هذا للسؤال عن كيفية احياء الله الموتى ، واذا كان الأول ليس اعتراضا على رب الخلق من الملائـكة ، فان هذا ليس منبعثا عن ضعف ايمـان ، أو عن شك : « .. قال أولم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبى » .

وكأنى بهذا الحوار يكشف جانبا من طبيعـة الانسـان ـ أى انسان ـ وهو الجانب الذى سماه علماء النفس حـديثا بغريزة حب الاستطلاع ، اذ أن الانسـان يظل قلبـه فى موران مادام متطلعـا الى معرفة مخبوء ، فاذا كشف الغطاء ورآه ـ هـدأ قلبه بين جوانحه ، واحتواه ما يشبه الايمـان والاطمئنـان ، ولهـذا قال نبى الله ابراهيم ـ عليه السلام ـ بعد أن نفى عن نفسه عدم الايمان : « .. ولكن ليطمئن قلبى » .

ولنقرأ الآية بأكملهـا لنستبين ذلك الحـوار الهـادف ، يقول الله تعالى :

« واذا قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى ، قال : أو لم تؤمن ؟ ، قـال : بـلى ، ولكن ليطمئن قلبى ، قال فخـذ أربعـة من الطير فصرهن اليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ، ثم ادعهن يأتينك سعيا ، واعلم أن الله عزيز حكيم »

وبعد ، فهذه ألوان ومشاهد من الحوار على تفاوته فى درجات القرب من الحق أو النـأى عنـه تضـمنتها سورة البقرة .

واذا كان هناك من فائدة من وراء الكشف عن هذا الحوار وايضاحه ـ فهى منحصرة فى تجليـة مشـاهد الحـوار البـاحث عن الحق ، ثم فى الكشف عن ألوانه الأخرى اللاهثة فى دروب المراء واللجاج ، وان فى اسـتبانة نتائج كل لـون ما يدفع الى اتبـاع الأول ، ومـا يربأ بالمسلم عن سلوك مسالك الثانى ومزالقه .

« ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب »

**عبد الغنى احمد ناجى**

# لماذا كانت الهجـرة ..؟

للأستاذ محمد كمال الدين

كانت هجـرة الرســول الأعظم صـلوات الله وسلامه عليه من أكبر الأحداث الاسلامية ، ومن أجلها أثرا على الدعوة ، ويكفى أنها كانت نقلة كاملة من حال الى حال ، من ضعف الى قوة ومن ضيق الى سعة ، ومن ظلام الى نور ، ومن فقر الى غنى ، ومن قيود الى حرية وكرامة ، ومن خصوصية الى عمومية وانتشار ، ومن خوف الى أمن وطمأنينة ، ومن تبعثر وشـتات الى استقرار ومنعـة ، فذلك أهم الدروس المستفادة منها ، اذ أنها كانت هجرة بالقلوب والأبدان معا ، يدفعهـا ايمـان قوى بالله وبالرسـالة المحمدية ، واخلاص فى الدعوة لها ، والتمسـك بهـا ، وصـبر على المكاره التى لقيها المؤمنون فى سـبيلها ، ومن ثم كان جزاء المهاجرين كما يقول الله « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون • يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم • خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم »(١) •

أما ان الهجرة كانت نقلة كاملة من ضـعف الى قــوة ، فنحن نعلم أن المسـلمين كانـوا فى مبدأ الدعـوة الاسـلامية فى مكـة قلة مستضعفة ، مغلوبة على أمرها ، لاتستطيع وحدها نشر الدعـوة أو الصـمود فى وجه الكثرة الكافرة القوية ، ولذا كان اذن الله بالهجرة تأييدا للرسالة ، ونصرا لهـا •• « فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عنـد الله والله عنـده حسن الثواب » (٢) •

---

(١) سورة التوبة الآيات من ٢٠ ــ ٢٢

(٢) سورة آل عمـران الآية ١٩٥

« واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيـدكم بنصره ورزقكم من الطيبـات لعلكم تشـكرون (١) » • ،

وهكذا كانت الهجرة بمثابة بعث جديد للدعوة ، وبداية ثانية للرسالة حيث الأرض جديدة وخصـبة ، والتأييد مكفول ومضمون ، والنصر موثوق به وكأن الاذن بالهجرة النبـوية ، اذن للبشر جميعا ، إذا ما استضعفوا فى أى مكان وزمان أن يهاجروا فى سـبيل الحق والعدل وكل قيم شريفة فاضلة والا فالويـل لهـم •• « ان الذين توفاهم الملائكـة ظالمى أنفسهم قالوا فيهم كنتم قالوا كنا مسـتضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن الأرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا (٢) » •

وأما أن الهجرة كانت نقلة كاملة من ضيق الى انتشار ، ومن قلة الى كثرة فقد كان المسلمون فى مكة محاصرين بالأعـداء الأقـوياء من كل مكـان ، والايـذاء يلاحقهم فى كل آن وتفنن المشركـون فى تعـذيبهم وتهـديدهم بالـويل والثبور ، ولـكن المسـلمين صبروا وثبتوا على ايمانهم ، وتمكنت العقيـدة من قلوبهم وعقولهم ، وما ضعفوا وما استكانوا ، وكانت الهجرة وسيلة لهم للنجاة بأنفسهم ودعوتهم ، ولم تكن الهجرة الى المدينة المنورة هى الهجرة الأولى فى تاريخ الاسلام ، بل كانت الهجـرة الرابعـة ، كانت الأولى فى السنة الخامسة من النبوة ، حيث أذن الرسول لعشرة من مسلمى الرجال وخمسة من المسلمات بالهجرة الى الحبشة ، فنقلتهم احدى السفن سرا ، واسـتقبلهم النجـاشى بحفاوة ولـم يوافق على طلب وفـد كفـار قريش بطـردهم ومكث المسـلمون المهاجرون ثلاثة أشهر عادوا بعدها الى مكة للاطمئـان على الرسـول والدعاة المسلمين ، وكانت الهجرة الثانية الى الحبشة أيضا وقوامها ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة ، واستقبلهم النجاشى « أصحمة » بحفاوة بالغة ، ورفض ردهم وقال : والله لا أسلم قـوما جـاورونى ونزلـوا بـلادى واختارونى على غيرى ، وسـمع قول جعفـر بـن أبـى طـالب فى سـبب

---

(١) سورة الانفـال الآية ٢٦

(٢) سورة النسـاء الآية ٩٧

قدومهم ، ومبادىء دعـوتهم : « أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميته ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف ، حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى التوحيد وألا نشرك بالله شيئا ، ونخلع ماكنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق القول وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ... الخ وسمع بعض سورة مريم ، فبكى النجاشى وأساقفته وشهد بأن محمدا رسول الله الذى بشر به عيسى فى الانجيل .. فلما مات سنة تسع بعد الهجرة ، أخبر جبريل النبى بوفاته فطلب من أصحابه أن يصلوا معه صلاة الغائب على النجاشى وقال لهم : مات اليوم رجل صالح فقوموا وصلوا على أخيكم أصحمة . أما الهجرة الثالثة فكانت الى الطائف لما اشتد ايذاء قريش له بعد عام الحزن ووفاة زوجه خديجة وعمه أبى طالب وقد استمرت تلك الهجرة عشرين يوما قضاها فى دعوة رؤساء ثقيف الى الاسلام ولكنه لقى منهم العنت الشديد ، والحرب الضروس ، وكان دعاؤه : اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وهوانى على الناس ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » وسمع الله دعاءه وأراد أن يهلك الأعداء بانطباق الأخشبين - جبلى مكة - عليهم واذا برحمة الرسول تتبدى : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لاشريك له » ، « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » .

وهكذا يعود الرسول الى مكة مرة أخرى ليستعد للهجرة الكبرى الى المدينة ، حيث الاستقبال الحافل ، والاستعداد الطيب لتقبل الاسلام ، ولا عجب فقد أخبره الله بها ، « قد أرأيت دار هجرتكم سبخة » ، وهى يثرب ، فمن أراد منكم أن يخرج فليخرج اليها » ، ويروى الشيخان عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال « رأيت فى المنام انى أهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى الى أنها اليمامة أوهجر فاذا هى المدينة يثرب » . وهكذا كانت الهجرة منطلق

الدعوة من جديد ، والأرض الخصبة لانتشار الدعوة وانتصارها ، ثم عودتها الى مكة أشد قوة وأعز جانبا ، ويدخل الناس فى دين الله أفواجا : « اذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا • فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا» •

ـ وهكذا كتب للدعوة الاسلامية أن تنتشر وتذيع ، وأن تستقر بعد خوف ووجل وترحال ، وأن تطمئن بعد شتات واستخفاء ،وأن تقوى وتعز بعد ضعف ومهانة ، ويشاء الله سبحانه وتعالى أن تصل الى مشارق الأرض ومغاربها بالفتوحات السلمية ، التى اعتمدت أولا على المنطق والعقل ، وعلى الايمان المطلق بنصر الله ، وكان السيف لا يرفع الا اتقاء لفتنة ، أو ردا لشر ، أو حسما لموقف ، أو دفاعا عن النفس ، أو اقرارا لحق ، أو ردا لظلم ، أو ردعا لبطش أو خيانة •

ولعلنا فى النهاية نتساءل : لماذا كانت الهجرة بدءا للتاريخ مع أنها لم تحدث فى المحرم ؟ بل فى ربيع الأول ، وفى النصف الأول منه على وجه التحديد ؟ ونقول ان الرسول الكريم بنفسه أمر المسلمين ـ لما وصل الى قباء بعد هجرته أن يؤرخوا بالهجرة بأن يجعلوها مبدأ التاريخ الاسلامى المسلسل (١) والمشهور أن التاريخ بالهجرة حدث فى خلافه عمر سنة سبع عشرة ، لأن الهجرة ـ كما قال سيدنا عمر ـ فرقت بين الحق والباطل ، «فأرخوا بها وبالمحرم» لأنه منصرف الناس من حجهم ، ولأن عزم الناس علىالهجرة كان فى المحرم اذ كانت بيعة العقبة الثانية فى ذى الحجة ، فكان من المناسب أن يكون مبدأ التاريخ الهجرى أول المحرم لا ربيع الأول ، وهو وقت الهجرة الفعلية لقد كانت الهجرة استخلافا فى الأرض وتمكينا للدين ، مصداقا لقوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » (٢) صدق الله العظيم •

**محمد كمال الدين**

---

(١) نافذة على الايمان ـ مصطفى الطير ـ سلسلة البحوث الاسلامية ـ العدد ٦٧ سبتمبر ١٩٧٣ ص ٣٣١ ـ ٣٣٢

(٢) سورة النور الآية ٥٥

# البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

– ١١ –

**ان المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يومئذ يسرون واليوم يعلنون**
**حذيفة بن اليمان**

لعمر الحق لولا أن الشيطان الذى تسلط على هذه الفئة اللعينة من حزبه يستطيع اغراء غيرهم من الأبرياء والبسطاء ما تحرك القلم ليدحض أوهامهم ويفضح سيء مقاصدهم وخبيء خبيث أهدافهم حماية لذوى العقول من العامة ، وأولى الألباب من الجماهير الموحدة ، ذلك لأن الذى يقرأ ما يكتبون أو ما يظنون فى أنفسهم أنهم به يكتبون ، يصاب بالغثيان لمثل هذه المستويات المنحدرة شكلا وموضوعا ، مما كان يسمى قديما بالجهل المركب ٠

على أن الجهل المركب وهو يقوم على تسلط الجهل على قلب صاحبه مع اقتناعه بأنه ليس جاهلا فهو جاهل بالقضية المطروحة وجاهل بأنه جاهل فان مثل هؤلاء المعاصرين الذين يدبون دبيبا فى الاسكندرية وطنطا والقاهرة يضاف الى جهلهم أفق آخر وهو جهلهم بعلم غيرهم من البشر ، « أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » صدق الله العظيم ٠

وكيف لا يصاب المرء بالغثيان اذا قرأ هذا الكلام :

« الحديث رقم ٢٣ وفيه أن موسى يجلس يوم القيامة بجانب العرش ٠ وينسب الى أبى هريرة أنه قال : استب الى أن قال معلقا :

وبراهين الزيف تؤخذ أولا من عجز النبى وسائر الأنبياء وكل الناس عن تصور العرش ذاتا وشكلا وعجزهم عن تكييفه بجانب أو جوانب تحدده أو بقوائم ترفعه ولا يمكن القول بأن النبى ( ص ) زاد فى وصفه للعرش عن قوله ( آمنت بربى وبعرش ربى وباستوائه على عرشه كما جاء فى القرآن الكريم وعلى مراد ربى وعلمه هو ) ومما لا شك فيه أن عقيدته كانت ترسخ على ايمان قوى بصفات الله وصفات عرشه دون تكييف أو تشبيه لعلو ذلك على تصوره وتصور الأنبياء والبشر كلهم ا هـ .

ونسوق الحديث الشريف كما ورد فى صحيح البخارى رضى الله عنه وأرضاه ثم نوضح مبلغ جنون هؤلاء وبعدهم بعدا تاما عن مجتمع المكلفين جاء الحديث فى كتاب الخصومات من صحيح البخارى فى باب ما يذكر فى الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودى وورد فى الأنبياء فى باب وفاة موسى وذكره بعده ، وباب قول الله تعالى ( وان يونس لمن المرسلين ) وفى تفسير سورة الزمر وفى كتاب الرقاق فى باب نفخ الصور وفى كتاب التوحيد فى باب المشيئة والارادة ( وما تشاءون الا أن يشاء الله )

والحديث لم ينفرد بصيغته أبو هريرة وانما ورد عن طريق غيره كما سترى ، وان كان هؤلاء المفاليك لا يتورعون عن الاطاحة بالصحابة أجمعين . وقانا الله سوء الخاتمة ونجانا من بقايا الجاهلية الأولى فى جلافتهم وسوء اعتقادهم وظلام قلوبهم وعقولهم فقد رواه عن أبى هريرة أبو سلمة ابن عبد الرحمن وعبد الرحمن بن هرمز المعروف بالأعرج وسعيد بن المسيب وقد أجمع المحدثون كافة على أن أصح الصحيح أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة وأن أصح الصحيح معناه أعلى اسناد حوى أعظم الرجال حفظا واتقانا وضبطا وورعا وصلاحا وصدقا واتفقوا على أن لكل صحابى اسنادا عاليا هو بمثابة السلسلة الذهبية فى انتقاء رجاله وعلو شأنهم وشرفهم ونبلهم فمثلا اسناد عبد الله بن عمر : مالك عن نافع أو سالم عنه واسناد عبد الله بن عمرو هو على التحقيق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولا يؤثر فى اتفاق أكثر أصحابنا المحدثين خلاف ابن حزم فانه محجوج بحجج لا محل لايرادها هنا الآن وأن أصح الصحيح فى اسناد عائشة رضى الله عنها هشام بن عروة عن أبيه عنها وان أصح الأسانيد عن

عمر اسناد ابنه عبد الله المتقدم عنه وبالجملة فان أصح الأسانيد عن أبى هريرة أبو الزناد عن الأعرج عنه وابن شهاب عن سعيد بن المسيب عنه وقد اجتمع فى هذا الحديث اسنادان من أصح الأسانيد وأعلاها اتفقت الأمة على قبولهما وجعلهما فى هذا المستوى العالى من التوثيق والتوفيق والتحقيق قال الامام البخارى : حدثنا يحيى بن قزعة ثنا (١) ابراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن أبى سلمة وعبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة قال: «استب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، قال المسلم والذى اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودى : والذى اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودى فذهب اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم فدعا النبى صلى الله عليه وسلم المسلم فسأله عن ذلك فأخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم : «لا تخيرونى على موسى فان الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق فاذا موسى باطش جانب العرش فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق قبلى أو كان ممن استثنى الله » ثم يردف البخارى هذا الحديث بمثله من طريق الصحابى الجليل أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وأرضاه فيقول : حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا وهيب ثنا عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس جاء يهودى فقال : يا أبا القاسم ضرب وجهى رجل من أصحابك فقال : من؟ قال : رجل من الأنصار قال : ادعوه فقال : أضربته ؟ قال : سمعته فى السوق يحلف والذى اصطفى موسى على البشر قلت : أى خبيث على محمد صلى الله عليه وسلم فأخذتنى غضبة ضربت وجهه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا تخيروا بين الأنبياء ، فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى ! هـ

ويقول صاحب ذلك المنشور : المعروف أن خروج الناس من قبورهم وحشرهم سيكون على الأرض التى

---

(١) ثنا : اختصار لكلمة (حدثنا) .

ماتوا عليها ودفنوا فيها الى آخر ماهذى المسكين زاعما أنه يعبر عن القرآن بقوله ( المعروف ) والا فما هو هذا المعروف أهو المعروف بينه وبين عصابة من العصابات التى تجتمع على ماكان يجتمع عليه اخوان الصفا وخلان الوفا من متعاطى القنب والخشخاش فاذا ثبت أن القرآن بصريح منطوقة وصحيح مفهومه يخالف ما ادعاه من أن البعث والحشر على الأرض فى قوله تعالى ( يوم تبدل الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ) ثبت مع هذا أن المعروف فى نظر هؤلاء هو شىء اصطفقوا عليه فى حلقة النرجيلة لا فى حلقات العلم والمذاكرة فان هؤلاء أبعد الناس عن هذه الساحات الشريفة ، يدل على ذلك تهكمهم وتظرفهم السمج بأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وتنكيتهم الوقح بأشرف وأصدق ماشنف الأسماع من كلام النبوة أعرفت ياهذا أحداث القيامة ومشاهدها من كتاب الله رب العالمين اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت ، يومئذ يبدل الله تبارك وتعالى الأرض غير الأرض واذن لا يكون لكلامك معنى فى مقياس الأرض بجانب السماوات ومقارنة ذلك بالعرش تلك المقارنة التى ان دلت على شىء فانما تدل على أمية مطلقة فى هجاء الحروف •

لقد فهم المسكين من حديث أبى سعيد الخدرى — وليس حديث أبى هريرة لأنه لايفهم الفرق بين الحديثين وسنوضح الفرق بينهما قبل ختام هذا البحث — أن قوائم العرش يعنى أقدامه وأرجله وأنها لا بد أن تستقر على الأرض فاقشعر لذلك جلده مع صفاقة ذلك الجلد وعدم تأثره بمواطن الخجل أو الحياء ، وعدم مبالاته بخلال ذوى المروءة والعلم ، والا لما توقح عليهم وسبهم ونعتهم بكل نقيصة ، وتصور العرش كأنه سرير أو منضدة لها أرجل أخذ ذلك من كلمة قوائم فلاذ بمنحنى عجيب كشف لنا عن أمر غاية فى الغرابة كان خفيا علينا وعلى الناس من أمر هذه الفئة ، ذلك أنهم يعتقدون أن العرش غير مشابه للحوادث وأن العرش ليس له كيف ، وبعد أن رأوا أهل السنة ينزهون الله عن أن يقله عرش أو يستقر عليه كما يوهم الحشوية من فهمهم لقوله تعالى ( الرحمن على العرش استوى ) فاذا بهم ينفون عن العرش مشابهته للخلق

واذن يكون الذى استولى الله عليه هو شيء يشترك مع الله فى عدم المماثلة للحوادث واذن لا يكون للكون اله واحد وانما يكون الاهان استوى آحدهما على الآخر أحدهما هو الله والثانى هو العرش ، انى لا أقول هذا الكلام أيها القاريء من عندى ولكنى أنقل هذا الكفر ولست الا ناقلا لأحذر الناس من هذا الافك واستصرخ أهل الثقلين أن يصبوا لعناتهم على معتقدى هذا الاعتقاد الفاسد قال فى صفحة ١٧٨ من الجزء الثانى ماسقته لك فى مطلع المقال اذ يقول : وبراهين الزيف تؤخذ من عجز الأنبياء وكل الناس عن تصور العرش ذاتا وشكلا وعجزهم عن تكييفه بجانب أو جوانب تحده أو بقوائم ترفعه .

كل الأنبياء وكل البشر يعجزون عن تكييف العرش أو حده بقوائم ترفعه أو تصور ذاته أو شكله ، لأن العرش منزه فى نظر هؤلاء عن ادراك العقل ، فلو أننا جارينا هؤلاء فى عدم تصور أو تكييف العرش لجرنا ذلك الى أننا أيضا لانتصور معنى ( ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ) فيكون هؤلاء الثمانية فوق التصور والتشبيه وليسوا مما يمكن أن يشابهوا الحوادث فيرتفع عدد الآلهة الى عشرة ثم يأتى الى شعار لجمعيته التى يشتغل داعية لها شعار هو مجرد مبدأ هو كل ما تدور عليه دعوة هذه الجمعية اللهم الا اذا أضفنا اليها اشتغالهم بمحاربة التصوف والصوفية اذ يقول : ولا يمكن القول بأن النبى زاد فى وصفه للعرش عن قوله ( آمنت بربى وبعرش ربى واستوائه على عرشه كما جاء فى القرآن الكريم وعلى مراد ربى وعلمه هو ) هذا شعار احدى الجمعيات انقلب الى حديث شريف بقدرة قادر . ثم يردف هذا الكلام بقوله ( ومما لاشك فيه أن عقيدته كانت ترسخ على ايمان قوى بصفات الله وصفات عرشه دون تكييف أو تشبيه لعلو ذلك على تصوره وتصور الأنبياء والبشر كلهم ) .

فكأن العرش له صفات تضارع صفات الله تبارك وتعالى ، وأنه منزه عما ينزه الله عنه من تشبيه وتكييف لعلو ذلك على مدارك الأنبياء أجمعين هكذا يزعم هؤلاء .

ثم يصف العرش بأنه منفصل عن السموات والأرض ويقول فى صفحة ١٧٩ وأنه منفصل انفصال الشيء العظيم ، عن الشيء الصغير المتضائل ،

ويقول فى وصف العظيم ( المتناهى ) وهو يريد عكسها لعدم ادراكه لمعنى التناهي ومناقضته للعظمة ، بل هو أقل من الشيء الصغير المتضائل ثم يستدل صاحبنا هذا فى الفقرة الثالثة من قوله تعالى على لسان المؤمنين ( لا نفرق بين أحد من رسله ) أن الله نهانا عن المفاضلة بين الأنبياء وينصب نفسه معلما للنبي صلى الله عليه وسلم - ونعوذ بالله من غرور ابليس وجنوده وصعاليك أتباعه - فيقول : كان لابد أن يلفت نظر المسلم الذى فضله على موسى الى ذلك بدلا من أن يقول حديثا يصبح مدعاة للتفكير والتخيل لصورة العرش بسبب جلوس موسى الى جوار ربه يوم القيامة اه أرأيتم الى هذا المنافق كيف يحرف الكلم عن مواضعه ويكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى موسى وعلى البخارى وعلى أبى هريرة اقرأوا ياأهل الثقلين الحديث بجميع طرقه وروایاته هل تجدون فيها شميمة أن موسى جالس على العرش الى جوار ربه ؟ لا شك أن هذا التصور لا يختزن الا فى عقله الباطن للسادة الذين يعمل لحسابهم ممن يزعمون أن ابن الله يجلس على يمين أبيه يشفع للبشر خطاياهم ، فطفح فى مجال خصومته غير الشريفة للاسلام بما هو كامن في عقيدة سادته ففضح نفسه بكذبه على النبى صلى الله عليه وسلم وبتصوره المنطبع مجخيا فى قلبه ، والا فأين فى البخارى أو فى غير البخارى من كتب المسلمين أن موسى جالس على العرش مع ربه • لاحياء ولا خجل ولا ذكاء ولا فهم!!

ويقول في تفسير الصعق أنه ( الهلاك والموت ) وهذه أيضا من جهالات هؤلاء بالقرآن ولغة القرآن هل قوله تعالى : (وخر موسى صعقا) أى هالكا ميتا فكيف رجع موسى الى ربه بالتوبة بعد ذلك فى قوله تعالى : (فلما أفاق) هل الموت يعقبه افاقه أو الهلاك يعقبه افاقة ، ألم أقل ان هؤلاء الجاهلين لا حد لوقاحتهم وصفاقة اهابهم ،ألم يستثن الله تعالى فى الآية بقوله : ( فصعق من فى السموات والأرض الا من شاء الله ) ولعل موسى ممن استثنى الله تعالى من الصعق فأى تناقض بين القرآن والحديث ياهاذى ، وأى مخالفة للتصوير القرآنى ياهاذى •

ونعود كما وعدنا لتوضيح الفرق بين الحديثين :

أن حديث أبى هريرة أعلى اسناداً من حديث أبى سعيد لوروده من طريقين هما أعلى الأسانيد وأصحها

فاقتضى هذا جريا على سنة البخارى فى تدوين كتابه أن يتقدم حديث أبى هريرة حديث أبى سعيد؛ثم يأتى حديث أبى هريرة ويذهب المحققون لتقصى ما أبهم فى الرواية ، وانظر كيف كان السلف الصالح من أهل العلم يصنعون فى مثل هذا المقام يحررون الأسانيد ويترجمون الرواة ويتحرون صفاتهم وأخلاقهم ودينهم ثم يجمعون الروايات التى تحمل معنى الرواية المراد تحقيقها فى معارضتها أو معاضدتها؛ فاذا اطمأنوا الى صحتها ذهبوا من خلال الروايات المتناثرة لهذا الخبر الى معرفة المبهم فعرفوا فى حديث أبى هريرة اسم الرجل المسلم كما روى ذلك سفيان بن عيينة فى جامعه وابن أبى الدنيا فى كتاب البعث أنه أبو بكر الصديق وأن اليهودى يسمى فنحاص وقد يكون غيره .

وقصة أبى سعيد تختلف عن هذه وهى حادثة أخرى كان المسلم فيها أحد الأنصار ، وبذلك يكون الحادث قد تكرر بين مسلمين ويهوديين ، فى الحديثين ، وكل حديث يحمل معنى الآخر بغير تعارض أو تناقض ثم نهمس فى اذن هؤلاء أن المفاضلة بين الأنبياء أمر نزل به القرآن فى قوله تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ) وقال تعالى : ( ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ) فاذا ثبتت المفاضلة فهل يكون أحد منهم أفضل من خاتم الأنبياء الذى جعل الأنبياء يبشرون بظهوره ويذكر الله فضله وأمته فى التوراة والانجيل ، ان الاقرار بفضل محمد صلى الله عليه وسلم على الأنبياء لا يتعارض مع منطق القرآن بل يعضده القرآن ويؤيده يأولى الألباب .

**محمد نجيب المطيعى**

# الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزى

للأستاذ حسن حسب الله

— ٧ —

## المسئولية المدنية

انتهينا فى العدد الماضى من الكلام عن التنظيم القانونى للعقد فى كل من الشريعة الاسلامية والقانون الانجليزى وأوضحنا أوجه الشبه وأوجه الخلاف بين التنظيمين والعناصر التى تجعل التنظيم الاسلامى أفضل وأوفى بحاجات التعامل .

ونتكلم فى هذا العدد عن المسئولية المدنية .

والمسئولية بوجه عام هى حالة الشخص الذى ارتكب أمرا يستوجب مؤاخذته ـ فاذا كان هذا الأمر مخالفا لقواعد الأخلاق فحسب ولا يفرض القانون عقابا له وصفت مسئولية مرتكبه بأنها مسئولية أدبية لا تزيد على مجرد استنكار المجتمع لهذا العمل المنافى للأخلاق أما اذا خالف الشخص قاعدة من قواعد القانون فان المسئولية تصبح مسئولية قانونية وليست مسئولية أدبية .

والمسئولية القانونية نوعان : جنائية ومدنية وقد تكون جنائية ومدنية معا ففى حالة المسئولية الجنائية يكون جزاء مرتكب الفعل عقوبة توقع عليه أما فى حالة المسئولية المدنية فالجزاء هو الزام مرتكب الفعل بتعويض من أصابه ضرر من فعله تعويضا نقديا .

فالمسئولية المدنية عبارة عن الالتزام بالتعويض فهى جزاء الاخلال بالتزام سابق .

ونظرا لأن الالتزامات قد تنشأ عن العقد وقد تنشأ عن القانون لذلك هناك نوعان للمسئولية المدنية مسئولية عقدية وهى الناشئة عن الاخلال بتنفيذ الالتزامات التى أوجبها العقد ومسئولية تقصيرية وهى الناشئة عن الاخلال بالتزام فرضه القانون حيث يفرض القانون عدم الاضرار بالغير كما يفرض بعض الالتزامات المحددة كنفقات الأقارب .

وقد سبق أن تعرضنا للمسئولية العقدية عند الكلام عن التنظيم القانونى للعقد وقلنا ان الأصل فى القانون الانجليزى هو الحكم بالتعويض والاستثناء هو الحكم بالتنفيذ العينى وأن لكل من الطرفين الامتناع عن التنفيذ العينى ودفع التعويض أما فى الشريعة الاسلامية فلا يوجد هذا الخيار لأى من الطرفين فالعقد واجب النفاذ بحذا فيره ومن يمتنع عن التنفيذ الفعلى للعقد يتعرض للعقوبة الجنائية وليس لمجرد دفع تعويض نقدى • والمسئولية التقصيرية هى كما قلنا تعويض المضرور عن الضرر الذى حدث له • وتضع معظم التشريعات الحديثة قواعد للحكم بهذا التعويض سواء من ناحية الأهلية أو من ناحية نوع الضرر وما اذا كان ضررا أدبيا أو ماديا واشتراط وجود خطأ من المطالب بالتعويض وطرق وعبء الاثبات وأثر التأمين من المسئولية وسقوط الحق فى طلب التعويض بالتقادم •

والمتتبع لتطور الشرائع الوضعية بالنسبة لموضوع المسئولية المدنية يجد أنها ربطت أولا التعويض بخطأ الفاعل فجعلت الخطأ أساسا للمسئولية فاشترطت لاستحقاق التعويض أن يكون هناك خطأ ترتب عليه ضرر ومعنى ذلك أنه لا يكفى تحقق الضرر نتيجة للفعل المرتكب وانما يجب على طالب التعويض أن يثبت أن هناك خطأ من جانب مرتكب الفعل وهو أمر يصعب اثباته حيث يتعين النظر فى مسلك الفاعل الشخصى وقصده هذا الى جانب أن الخطأ فى ذاته كان ومايزال وسيظل موضع خلاف فى دلالته وفى تحديد مداه حتى أن معظم التشريعات لا تضع تعريفا له وتترك الأمر فيه لتقدير القاضى بناء على ما يستخلصه من الوقائع ومدى مخالفة المسئول للالتزام بعدم الاضرار بالغير كما أن على طالب التعويض أن يثبت الضرر الذى يقول أن المدعى عليه مسئول عنه وأن يثبت الصلة المباشرة بين الخطأ والضرر ولذلك كانت نظرية الخطأ غير كافية وغير منتجة بالنسبة للمسئولية عن عمل الغير كالتابعين للشخص والعاملين لديه وكذلك المسئولية الناشئة عن الأشياء المملوكة له • ولذلك كانت تبذل محاولات ملتوية لقيام مسئولية رب العمل عن أعمال تابعيه بحجة القول بأنه أخطأ فى اختيارهم ولقيام مسئولية صاحب البناء الذى تهدم

باثبات أن فى البناء عيبا ولذلك ظهرت عدة افتراضات تخالف الحقيقة والواقع والهدف منها الوصول الى تعويض من أصابه الضرر وتيسير عبء الاثبات عن الشخص المضرور فى حالات معينة كاصابات العمل والاصابات الناتجة عن استخدام الآلات والمعدات الحديثة ولذلك ظهرت نظرية الخطأ المفروض ونظرية تحمل التبعة ونظرية الغنم بالغرم ونظرية التعسف فى استعمال الحق وكل ذلك بهدف ايجاد الوسيلة لتعويض من أصابه ضرر والتعاطف معه لتخفيف عبء الضرر عنه ولو كان ذلك على حساب الآخرين الذين لم يساهموا فى ايقاع الضرر به فلو أن أ استخدم ب ليقود سيارته فصدم الأخير ج فانه طبقا للنظرية التقليدية للخطأ لا يسأل أ عن تعويض ج أما بالنسبة للنظريات الحديثة فى المسئولية المدنية فانه يسأل عن تعويضه تارة بحجة أنه أخطأ فى اختيار ب ليقود له سيارته وأنه كان يجب عليه اختيار سائق لا يرتكب أى حادثة من حوادث السيارات وتارة بحجة أنه يتحمل تبعه استخدامه السيارة فهو مسئول عما يحدث نتيجة استعمالها من حوادث وتارة بحجة مبدأ الغنم بالغرم فطالما أنه يستفيد من السيارة فانه تبعا لذلك يتحمل بما ينتج عن استخدامها من تعويض أى اضرار بالغير .

وتكتفى الشرائع الوضعية فى المسئولية المدنية بوضع مبدأ عام يلزم من ارتكب الفعل الضار بتعويض المضرور فمثلا نجد القانون المصرى يضع نصا عاما فى المسئولية عن الأعمال الشخصية هو نص المادة ١٦٣ الذى يقضى بأن « كل خطأ سبب ضررا للغير يلزم من ارتكبه بالتعويض » . اذا انتقلنا بعد ذلك الى دراسة الوضع فى القانون الانجليزى فاننا سنجد الوضع مختلفا فالقانون الانجليزى لا يوجد به مثل هذا النص الذى يضع هذه القاعدة العامة للتعويض عن كل خطأ يترتب عليه ضرر ولكن نجد تعدادا للأخطاء Torts التى يجب فيها التعويض .

وهذه الأخطاء المدنية لا يدخل فيها الاخلال بالعقد وانما تشمل عددا من الأخطاء التى قد تؤدى الى الاضرار بالشخص أو بالأموال أو بالسمعة وقد يحدث أن ينشأ عن فعل واحد كالتهديد باستعمال العنف جريمة

يعاقب مرتكبها جنائيا وخطأ مدنى يخول من وقع عليه الحق فى اقامة دعوى المطالبة بالتعويض وتستقل كل من الدعويين عن الأخرى باجراءاتها

وتنقسم الأخطاء المدنية الى طائفتين كبيرتين تبعا لما اذا كانت النتيجة التى ترتبت عليها مقصودة أم أنها تحققت لمجرد الاهمال وبدون أى تعمد .

وفيما يلى بيان لهذه الأخطاء المدنية الموجبة للتعويض ضد من صدرت عنه :

**أولا ــ التعدى** Trespass :

وهذا التعدى قد يكون على الأشخاص أو على الأموال سواء كانت عقارات أو منقولات . والتعدى هو تدخل بغير مبرر فى الملكية أو الحيازة فاذا دخل شخص عقارا غير مملوك له بدون عذر أو مسوغ قانونى فهو يرتكب خطأ التعدى the tort of trespass وللشخص المضرور ازالة هذا التعدى بغير عنف وله طلب التعويض حتى ولو لم يصبه أى ضرر فالتعويض هنا واجب نتيجة مجرد دخول العقار وليس بسبب ما أحدثه الدخول من أضرار فلو دخلت بسيارتك ممرا فى أحد المنازل ثم غادرت هذا الممر دون أن يحدث به أى خدش فانك تلتزم بتعويض حائز العقار الذى به هذا الممر لأنك تدخلت فى حيازته بدون عذر أو مسوغ شرعى وهذا يكفى لاستحقاقه التعويض .

أما بالنسبة للتعدى على الأشخاص trespass of the person فنجد التهديد بالفعل أو محاولة استعمال العنف assault وهو جريمة جنائية الى جانب أنه خطأ مدنى فاذا ما نفذ التهديد اعتبر ذلك ضربا battery ففى جميع أحوال التعدى على الأشخاص لابد أن يكون هناك فعل مادى صادر من مرتكب التعدى فلا يكفى مجرد الكلام كأن يقول له أنى سأضربك ولكن يتعين أن يكون هناك فعل مادى بأن يرفع يده حتى ولو لم تمس جسم المعتدى عليه ففى هذه الحالة يكون هناك تهديد بمعنى التعدى فاذا ما لمست يده جسمه أصبح وصف الخطأ ضربا battery وليس تهديدا والتعويض مختلف والعقوبة الجنائية مختلفة فى كلتا الحالتين .

وقد يحدث الخطأ تجاه الأموال أو الممتلكات عن طريق الاهمال negligence وليس العمد كما فى

الحالات السابقة ومن هـذه الأخطاء أخطاء المهنيين والحرفيين وأصـحاب الأعمـال كالأطباء والمحامين وغـيرهم ويشترط لاستحاق التعويض فى هذه الحالة توافر ثلاثة عناصر : أولهما أن يكون هنـاك واجب على المدعى عليه لصالح لمدعى وثانيها أن يخل المدعى عليه بهذا الواجب وثالثها أن يلحق المدعى ضرر من جراء هذا الاخلال ويشترط فى الضرر هنـا ألا يكون ضئيلا •

**ثانيا ـ المضايقات Nuisance:**

والمضايقات تعتبر اعتداء على الغير بما ينغص عليـه عيشـه وراحته أو يعرض حيـاته أو صحته للخطر أو اتيان أعمال منـافية للحياء أو منفرة للحواس حتى ولوكان ذلك فى سياق ممارسة حق مشروع •

ومن صور « المضايقات » الضوضاء والروائح الكريهة والدخان ••• الخ مع مـراعاة أن ما يعتبـر من قبيـل المضايقات فى مكان ما قد لا يعتبر من ذلك القبيل فى مكان آخر •

ومن الأمثلة فى هذا الصدد قضية كريستى ضد دافى Christie V. Davey فى سنة ١٨٩٣ وفيها كان المدعيان جارين أحدهما يعلم الموسيقى فى منزله ولم يعجب ذلك جاره فعمد الى احـداث ضوضاء لمضايقته فحكم عليه بالتعويض واعتبـر سـلوكه هـذا من قبيل المضايقات •

وعلاج المضايقـات يكون بالالزام بالتعويض وبالـكف عن الفعل المثير للمضايقـة وأحيـانا ازالة مصـدر المضايقة •

**ثالثا ـ افعال الحيوانات :**

يعتبر مالك الحيوان مسـئولا عن جميع الأضرار التى يحدثها الحيوان المملوك له حتى ولو لم يكن منه أى تقصـير أو اهمال مالم يفر الحيوان منه فاذا فر الحيوان منه دون أن يكون مسئولا عن فراره فانه لا يسـأل عن أية أضرار يحدثها الحيوان بعد ذلك مثال ذلك اذا قاد أحد ثورا الى السوق بـكل الحرص اللازم ولـكنه أثنـاء سيره فى الطريق العام هرب ودخل أحد المحال التجارية فأتلفه عن آخره فان حارس الثور أو صاحبه لا يسألان عن تعويض صاحب المحل •

**رابعا ـ القذف والسب** Defamation.

والقذف والسب قد يكون كتـابة libel وقد يكون شفاهة slander والقذف والسب يعتبران جريمة الى جانب اعتبـارهما من الأخطاء المدنيـة

اذا كانا بالكتابة ويعتبران من الأخطاء المدنيــة فقط اذا كانا شـفاهة وسبب هذه التفرقة أن القذف أو السب متى كان كتابة أصبح شيئا دائمــا أما اذا كان شفاهة فليست له صفة الدوام •

والتعويض يستحق عن القذف أو السب المـكتوب حتى ولو لم يـكن الـكتاب موجها الى المقـذوف ولو لم يحصل أى ضرر له نتيجة القذف أو السب فيكفى تحـقق شرط الـكتابة لايجاب التعويض أما اذا كان القذف أو السب شفاهة فانه يتعين عليــه أن يثبت انه قد أصابه ضرر نتيجة هـذا القـذف أو السب وذلك فيمـا عـدا حالات أربع أولاها اتهـام أى امرأة فى عفتهـا وثانيتها اتهـام أى شخص بارتـكاب جريمـة عقوبتهـا الحبس وثالثتها اتهام أى شخص بأنه مريض بمرض معد ورابعتها الحط من قـدر أى شخص أو الاستخفـاف به ففى هــذه الحـالات الأربع لا يحتـاج المقذوف الى اثبات الضرر الذى لحقه من القـذف أو السب حتى يحكم له بالتعويض •

**خامسا ــ التدخل فى العقود :**
Interference with contracts

يعتبر من الأخطاء المدنيــة الموجبة للتعويض تحريض أى شــخص بأية وسيلة على عدم الوفاء بالتزاماته الناشئة عن أى عقد من العقود وقد حكم فى ١٩٦٤ على مـدير أحــد المســارح بالتعويض لتحريضه احدى المطربات على ترك عملها بمسرح آخر للغنـاء فى مسرحه •

ومن هذا القبيل أيضا التدخل لدى شخص بوسائل غير مشروعة (كالغش أو التهديد أو الاكراه ) لحمله على عــدم التعـاقد مع شخص آخر فان ذلك يعتبـر من الأخطـاء الموجبــة للتعويض •

**سادسا ــ التآمر Conspiracy :**

والتآمر أوالتواطؤ بين شخصين فأكثر على ارتكاب أية جريمة أو أى عمل مناف للقانون الى جانب أنه فى حد ذاته جريمة يعاقب عليهـا جنائيا فانه يعتبر من الأخطاء المدنيــة الموجبـة للتعويض •

**سابعا ــ الاجراءات الكيدية :**
Malicious Prosecution

كأن يرفع شخص دعوى ضد آخر دون سبب معقول ولا يريد من ورائها الا مجرد الايذاء والـكيد له وتنتهى الدعوى بالحكم لصالح المدعى عليــه فذلك يعتبــر خطــأ مدنيــا موجبـا للتعويض •

**ثامنا ـ الحبس بدون وجه حق**
**False Imprisonment.**

والحبس بدون وجه حق فضلا عن أنه جريمة فانه يعتبر من الأخطاء المدنية الموجبة للتعويض ٠

ويأخذ القانون الانجليزى بمسئولية المتبوع عن أعمال تابعيه فيلتزم صاحب العمل بتعويض الغير عن الأضرار التى تسبب فيها العاملون لديه أثناء أو بسبب أدائهم لأعمالهم ٠

أما بالنسبة للأهلية فانه لا يشترط فى الالتزام بالتعويض أن يكون مرتكب الفعل الموجب للتعويض كامل الأهلية فيجوز مطالبة القاصر ومن فى حكمه بالتعويض عن فعله الضار شأنه شأن من اكتملت أهليته تماما ولا يسأل الآباء عن أخطاء أبنائهم القصر الا اذا ارتكب الابن الخطأ الموجب للتعويض باذن من الأب سواء كان هذا الاذن اصريحا أو ضمنيا أو برضائه عن سلوك ولده وعلى القاضى أن يتبين ذلك من الوقائع المطروحة أمامه ٠

والى جانب ما تقدم فانه توجد قوانين خاصة بالتعويض عن اصابات العمل تلزم صاحب العمل بالتعويض ولو لم يكن منه أى خطأ كما أن هناك قوانين خاصة بالتعويض عن حوادث السيارات ٠

وأخيرا يلاحظ أن الحق فى التعويض عن الأخطاء المدنية لا يسقط اطلاقا بالتقادم مهما طال الزمن على عكس معظم التشريعات الوضعية التى تنص على تقادم الحق فى التعويض ٠

وبهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن المسئولية المدنية فى القانون الانجليزى ونبدأ فى العدد القادم بالكلام عن المسئولية المدنية فى الشريعة الاسلامية والى اللقاء فى العدد القادم ان شاء الله ٠

**حسن حسب الله**

# عمر يحارب ردة الشعر

للأستاذ السيد حسن قرون

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى اطار الصورة التى رسمها عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، فقد قال : « كان اسلامه فتحا ، وهجرته نصرا ، وامارته رحمة » . فمنذ أسلم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمل التبعة ، وانطلق يجاهد فى سبيل الله لا يخشى قويا أو ماكرا ، قد ملأ الايمان قلبه ، وتمكنت عقيدة التوحيد من حناياه ، وقد حباه الله قوة فى الجسم ، وبسطة فى العلم ، فكان خبيرا بشئون الدنيا يعرف الجغرافية والحساب وسياسة الدول ، حاذقا فى صناعة الكلام يتذوق الشعر ويحفظه ويتمثل به ، ويغنى به فى بعض الأحايين ، وكانت العدالة فى طبعه ، فزادها الاسلام وضوحا فى رؤياه وسموا فى تطبيقها على القوى والضعيف ، والشريف والوضيع ، والرجل والمرأة ، والحر والعبد على السواء .

ولما أفضت اليه الخلافة برزت فضائله ، وبزغت شمائله ، وسطعت عدالته فشملت العدو والصديق ، وأسس الدولة الاسلامية على الشورى ، وسيادة التشريع الاسلامى ، ووضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، لاينظر الى قرابة ولا صداقة ، فالدولة هى قرابته وصداقته يحوطها بجنانه ويقوم ويقعد ، وينام ويستيقظ ولاهم له الا هذا البناء الذى شارك فيه منذ دل : لا اله الا الله ، وأصبح من جند الرحمن ، وكان موقفه من الشعر والخطب يندرج تحت حاجة الدولة ، وأنه لا يصادر الرأى مادام لا يحدث فتنة أو تصدعا فى جدار الجماعة ، أو يحدث دعوة الى الترف والسرف فهو يبغض الحديث عن الآباء والفخر بالأنساب ويبغض الخمر والتغنى بها ، لأن ذلك فساد ، والاسلام قد حرم كل ذلك فى الكتاب والسنة ، فعلى الخليفة حينئذ أن يحتاط للأمر ، ويحمى الدولة الفتية من أن تصاب بأدواء الأمم المترهلة ، وتأخذ بسلوكها

ونظمها ، وفي القرآن والسنة غناء عن تلك الأدواء ، لذلك كان حربا على كل قائل يدعو بدعاء الجاهلية وعلى كل هاتف بالعربدة وما يتبعها من وساوس القلب بالنساء ، ولو كان الهاتف سليم الصدر ، سليم الايمان ، من ذلك أنه ولى أحد أقاربه من بنى عدى بن كعب ، وهو النعمان بن عدى امارة ( ميسان ) من أرض البصرة ، ولم يوله للقرابة انما كان النعمان ممن هاجر الى الحبشة صغيرا فرارا بدينه من قومه قريش مع أبيه الذى هلك بأرض الحبشة ، وعاد النعمان الى المدينة فى احدى السفينتين اللتين حملتا المسلمين المهاجرين سنة سبع من الهجرة ، ورأى فيه عمر مجاهدا مهاجرا فاستعمله على ميسان كما قدمنا ، ولكن النعمان العدوى القرشي نسى مهمته ، وغره منصبه ، وتسلط على قلبه شيطان الشعر ، فقال : (١)

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها
بميسان يسقى فى زجاج وحنتم(٢)
اذا شئت غنتنى دهاقين (٣) قرية
ورقاصة تجثو على كل منسم (٤)
فان كنت ندمانى فبا لأكبر اسقنى
ولا تسقنى بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه
تنادمنا فى الجوسق (٥) المتهدم

وهذا الشعر خطر على سامعه ؛ ففيه تنويه بالخمر وآنيتها ، والغناء والرقص والندمان والحصن الذى يجمع الشاربين ، ولا شك أن هذا القول ترف وشائن ودعوة مناقضة لدولة تعمر وتبنى ، وتمصر الأمصار ، وترسى قواعد التقوى فى أنحاء العالم يومئذ فماذا كان موقف عمر قال لما بلغته الأبيات : نعم والله ليسوءنى ، فمن لقيه فليخبره أنى قد عزلته ، وعزله . فلما قدم عليه اعتذر اليه ، وقال : ما صنعت شيئا مما بلغك أنى قلته قط ، ولكنى كنت امرأ شاعرا ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء . فقال له عمر : وأيم الله لا تعمل لى على عمل ما بقيت وقد قلت ما قلت . ظن الرجل أن الاعتذار ينفعه ، ويعيده

(١) سيرة ابن هشام ج ٣
(٢) جرار مصبوغة بخضرة .
(٣) رؤساء الأقاليم .
(٤) طرف قدمها .
(٥) الحصن .

الى عمــله ، ولم يدر أن الخليفـة بالمرصاد لمثل هذا الشعر الذى يفتن الشباب،ويضعهم فى دائرة الشيطان •

لقـد كان من أسباب عزل خالد بن الوليد رضى الله عنــه أنه اثاب شعرا مدحـه بعشرة آلاف درهم ، الشاعر اسمه الأشعث بن قيس أعجب ببطولة خالد فأنشده شـعرا يصـــور تلك البطولة ، ولم يعتقد خالد أنه بذلك خرج على تقاليد الاسلام ، لكن عمر أرسل الى أبى عبيدة بن الجراح أن يحاسب خالدا على هـذه الهبة ؛ فان زعم أنها من اصابة أصابها فقـد أقر بالخيـانة ، وان زعم أنهـا من ماله الخاص فقد أسرف • وقد أبى خالد أن يجيب فى مبـدأ الأمر ، فاعتقله أبو عبيدة كما أمر عمر•وقال خالد: ان الهبة من ماله ، فقومت عروضه ، وضـم ما زاد عنهـا الى بيت المـال ، فليس بمعقول أن يستجيب لاعتـذار النعمان ؛ لأنه لم يفعل منكرا ، وانما وجد فضل قول ، فقاله شعرا ، فعمر لايرضيه السرف ولاالترف ولاحديث الندمان والراقصات فى مجلس الحاكم ولو كان خيـالا ؟ وتشـدد عمر له ما يسوغه ! اذ لو ترك الأمر على هوى كل أمير لاختل البناء ، وتمادى الشعراء فى العبث والمجون ، ولاسيمـا أنهم يحفظون شعر الجـاهلية وخمريات الأعشى ، وغوايات امرىء القيس •

واذا كان عمر قد حارب السرف والترف فقد كان سدا منيعا أمام دعاة الفتنة ، والخابطين فى بيداء الجهالة العمياء ، والمتخذين الهجـاء تجـارة لا تبور • هـذا الخطيئة لم يدخـل الايمان قلبه ، ولم تجـذبه الحيـاة الجديدة المجيدة الى أن يكون شاعر البناء لا الهدم وأن يتطور مع الزمن وينظر الى العرب وقد ملكوا الدنيـا بايمانهم وهم عازفون عنهـا ، ولكنـه تأخر وأخذ يتكسب بالشعر ، ويتنقل من قبيلة الى قبيلة كما كان على عهد الجاهليــة حتى تعـــرض لهجـــاء الزبرقان بن بدر التميمى الذى لم يسىء اليه ، انما دعاه ليكون ضيفه ، ودله على منزله ، وتركه لأداء مطالب الدولة ، فكان أن انحاز الى منافسيه من بنى عمومتـه ، ثم هجـاه فرفع الزبرقان أمره الى الخليفة ولم يشـأ الخليفة أن يحكم فى القضية بنفسه ، وهو الرجل البليغ الذى جاء اسلامه نتيجة بلاغته فقـد أسلم حين سمع القرآن وحين قرأه ، فرآه يعلو على

قول البشر – والشعر الذى عرض على القضاء ، منه هذا البيت :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وظاهر الشعر لا يدل على هجاء ، ولذلك قال عمر : ما أسمع هجاء ، ولكنها معاتبة . وسأل حسان بن ثابت فقرر أنه هجاء فاحش لأنه يحقره ولا يجعله أهلا لطلب المكارم ، وعليه أن يقعد ولا يرحل فهو مطعوم مكسو من غيره ، وكان أن حبسه عمر ، ومن سجنه قال شعرا مشهورا يستعطفه به . قال (١) :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الامام الذى من بعد صاحبه
ألقت اليك مقاليد النهى البشر

ما آثروك بها اذ قدموك لها
لكن بك استأثروا اذ كانت الأثر (٢)

فرق له عمر ؛ فيروى أن عمر دعا بكرسى فجلس عليه ، ودعا بالحطيئة فأجلسه بين يديه ، ودعا باشفى وشفرة يوهمه أنه على قطع لسانه حتى ضج من ذاك . ثم عفا عنه واشترى منه سلامة المسلمين من لسانه بالمال ، ونصحه بترك الهجاء فتركه ثم عاد اليه بعد وفاته . وكان (٣) الحطيئة اذا سمع اسم عمر بعد موته ارتعب ، فاذا هدأ قال : « يرحم الله ذلك المرء ويثنى عليه ، والحطيئة يستحق العقاب ولا مراء ، فان له فى حروب الردة لقولا سيئا لولا تسامح المسلمين وعفوهم عمن رجع الى الاسلام لكان من الهالكين ، فهو القائل :

أطعنا رسول الله اذ كان بيننا
فيا لهفتا ما بال دين أبى بكر

أيورثها بكرا اذا مات بعده
فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

فقوموا ولا تعطوا اللئام مقادة
وقوموا ولو كان القيام على الجمر

فدى لبنى نصر طريقى وتالدى
عشية ذادوا بالرماح أبا بكر

---

(١) الكامل للمبرد .
(٢) الواحدة اثرة وهو الاستئثار .
(٣) عبقرية عمر للعقاد .

وهو كاذب في مدحه ( بنى نصر ) فلم يذودوا أبا بكر برماحهم ، بل أتوا بجمالهم الى المدينة فتقعقعوا لها بالشنان فنفرت وفرت ، ولم يبلغوا من أبى بكر شيئا ، ثم رجعوا الى طاعته كرها ، وتسامح عمر معه يرجع الى رحمته بالضعفاء ، وقدرته عليه ، والعفو عند المقدرة ولو كان ذا شوكة لأدبه غير ذلك الأدب ، فقد أدب أبا شجرة السلمى ، وكان ممن ارتد وقال الشعر فاخرا ببلائه في حروب الردة ضد المسلمين . قالوا : أتى هذا الشاعر ( وكان من فتاك العرب ) عمر بن الخطاب يستحمله (١) ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا أبو شجرة السلمى ، فقال له عمر : أى عدى نفسه ألست القائل حيث ارتددت :

ورويت رمحى من كتيبة خالد
وانى لأرجو بعدها أن أعمرا (٢)

وعارضتها شهباء تخطر بالقنا
ترى البيض في حافاتها والسنورا

ثم انحنى عليه بالدرة ، فأسرع الى ناقته فحل عقالها مفرعا ، وأقبلها حرة بنى سليم بأحث السير هربا من الدرة وهو يقول :

قد ضن عنها أبو حفص بنائلة
وكل مختبط يوما له ورق

مازال يضربنى حتى خذيت (٣) له
وحال من دون بعض الرغبة الشفق

ثم التفت اليها وهى حانية
مثل الرتاج اذا مالزه الغلق

أقبلتها الخل من شوران مجتهدا
انى لأزرى (٤) عليها وهى تنطلق

وما قاله عن كتيبة خالد هو من أمانى الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون أو هو رجاء كرجائه في كتيبة عمر ، وقد نال عقابه على أمانيه ورجائه الكاذب من درة عمر رضى الله عنه ، وقد روى الرواة عنه ما يدل على كذبه ، فقد كان يوم الردة يرمى فلا يغنى شيئا فجعل يقول :

(١) يطلب منه المال الذى يحمل .
(٢) افعل ذلك بكتيبة عمر .
(٣) خضعت له .
(٤) اعيب عليها .

ما ان رميى عنهم لمبـول (١)
فلا صريح اليوم الا المصـقول

فلم يرو رمحا ، ولم يصب أحدا ، والشـعر قوى يدل على شاعرية ، وصاحبه يستحق العقاب لما له من أثر فى التجـرؤ على رجالات الدولة ، ولكن عمر الشديد عليه وعلى أمثاله قد تأخذه الرأفة على الشاعر الذى لـم يزد ولم يـؤذ المسلمين قـال الشـعبى : أتى أعرابى عمـر بن الخطاب فقال : ان ببعيرى نقبا ودبرا فاحملنى . فقال عمر : ما ببعيرى نقبا ولادبرا فولى الأعرابى وهو يقول :

أقسـم بالله أبـو حفص عمـر
ماسـها من نقب ولادبـر
فاغفر له اللهم ان كان فجر

فقـال : اللهـم اغفرلى ، ثم دعـا الأعرابى فحملـه . فعمر يحـارب الكلمـة المؤذية ، والتى تورث نار البغضـاء فى النفـوس ، أو تقلب الأوضـاع القائمة ، أو تزين ما نهى الاسـلام عنـه ، وبعـد ذلك فهـو يشـارك فى الاسـتماع الى الشـعر وروايته ، شكا (٢) اليه قوم أن امامهم يصلى بهم العصر ، ثم يتغنى بأبيات من الشعر ، فقام معهم ، واستخرجه من بيته ، واسـتشهده الأبيات التى يغنيها فانشده :

وفـؤادى كلمـا نبهتـه
عـاد فى اللـذات يبغى تعبى
لا أراه الدهـر الا لاهيـا
فى تماديه فقـد برح بى
ياقـرين السـوء ماهذا الصبا
فنى العمـر كـذا باللعب
وشـباب بـان منى فمضى
قبـل أن أقضى منـه أربى
نفسى لا كنت ولا كان الهـوى
اتقى المـولى وخـافى وارهبى

فأعاد عمر البيت الأخير ، وقال لمن شكوا اليه : من كان منكم مغنيا فليغن هكذا . وكان هو يتغنى بالشعر ، كان فى سـفر مع أصـحابه فرفع عقيرته بالغناء وأنشد :

وما حملت من ناقة فوق رحلها
أبـر وأوفى ذمـة من محمـد

---

(١) مردود .
(٢) عبقرية عمر للعقاد .

فاجتمع عليه الركب يستمعون اليه ، فقرأ القرآن فتفرقوا ، فعل ذلك وفعلوه مرات ، فصاح بهم : « اذا أخذت فى مزامير الشيطان اجتمعتم ، واذا أخذت فى كتاب الله تفرقتم ؟ » فحرب عمر للكلمة تنصب على الكلمة التى تمت الى الجاهلية بصلة ، فقد أبطل الاسلام حديث الخمر والنساء والهجاء ؛ لأنه يريد مجتمعا متماسكا يسير فى ضوء الكتاب والسنة وقد وفق فيما اضطلع به .

**السيد حسن قرون**

# صور من كفاح المسلمين وانتصاراتهم

للدكتور محمد جمال الدين على عواد

يشهد تاريخ البشرية أن الأمة الاسلامية هى أمة البطولات التى وقف التاريخ أمامها يشيد بروعتها وجلالها . انها البطولة التى تجمع بين جلال القوة وجلال الخلق ، فلم تكن البطولة التى تدنس قداستها أهواء أو أغراض ، أو محاولة للنيل من حرمات الله ، وان التاريخ ليشهد أيضا أن هذه البطولة انما استهلت عظمتها ، وروحها من دين الله ومن هدى النبوة التى جاء بها نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم : ذلك النبى الرسول العظيم الذى كان يزيده الضيق والحرج اعتصاما بالله والذى وقف يوم حنين وقد فر المسلمون لما أعجبوا بكثرتهم ( ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين،ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين،وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ) .

لو أن انسانا آخر أيا كانت بطولته فاجأه هذا الموقف لأحدق به الذهول أو لهرب طلبا للنجاة وقد رأى الألوف ينصرفون عنه ويتركونه وحده ليس معه الا قلة تعدّ على أصابع اليد الواحدة أما نبينا صلى الله عليه وسلم فما زاده الموقف الا ثباتا ونصاعة بطولة فيندفع بدابته الى الامام وهو يهتف بقوة ايمانه وجلال عزة المؤمنين :

أنا النبى لاكذب
أنا ابن عبد المطلب

بهذه البطولة اقتدى المسلمون فكان منهم أبطال وأبطال نعرض عليك أيها القارىء الكريم فى ايجاز بعض أسطر من بطولاتهم ــ فهذا أبو بكر رضى الله عنه فى شعور بالنكبة الفادحة بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه لم يدع لهذا الحزن سبيلا الى قوة ايمانه ولا سيما حينما يرى

الجزيرة وما حولها فى انتقاضة واحدة ضد الاسلام وهديه وحينما يرى نحيب الكفر تتجاوب به الجزيرة العربية كلها ، فيلهمه ايمانه القوى بطولة عزت منالا على من بعده من الأبطال ، فيقف فى ثبات واصرار وعزم يروع كل من حوله ويجعلهم يشفقون من المصير الغامض المبهم يلوح لهم لو أن أبا بكر نفذ ما صمم عليه ( وهو أن يسكت صوت الكفر فى الجزيرة كلها ) •

ويحاول عمر رضى الله عنه رغم ما نعرفه عنه من شجاعة أن يحول بين أبى بكر وبين ما صمم عليه من قتال المتمردين المرتدين •

ولكن أبا بكر يستلهم القوة من الله ويعلن فى بطولة لا يعرف الخوف سبيلا اليها : ( والله لو منعونى عناقا كانوا يعطونها لرسول الله لقاتلتهم عليها ) •

ويمضى أبو بكر فى سبيل اعلاء كلمة الله حتى يرجع المرتدون عن غيهم ويستسلمون راضين أو صاغرين لقوة الحق التى حارب بها ومن أجلها الخليفة البطل •

وهؤلاء هم أبطال (مؤتة) الأبرار ولنذكر فى هذا المقام طرفا موجزا عن سيرتهم أما أولهم (فزيد بن حارثة رضى الله عنه ) فحينما التقى الجمعان فى تلك الغزوة وتقارعت السيوف وعصفت سمائم المنون بالهول والرعب وأصبح العدو على كثرته وعدته جحافلا تغشى المسلمين وتكر على عددهم وأشخاصهم : يالها من لحظة تطيش منها الأحلام ويرجف منها كيان الكمى ولكنه (زيد القائد) يضرب المثل لمن حوله فيندفع كالسهم النافذ ويشق للجيش طريقه والمسلمون من ورائه تدفعهم حماسته وتقودهم شجاعته فيرونه مقبلا لايرتد عن غايته حتى تمزقه الرماح •

وهذا جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه : لا يخشى الرماح ، ولا السيوف انما يطلب النصر ويخشى الهزيمة أن تحل بالمسلمين وها هو يسرع نحو العدو وها هى يمينه تفصلها عنه ضربة غادرة فما تضعف عزيمته ولا تهن قوته حتى قطعت شماله فأمكن المشركون بعد ذلك منه فيسقط الى الله شهيدا فى ميدان الشرف وقد شهد له بذلك خمسون جرحا ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ثم تسمع تمتمته

المأثورة : ياحبذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها .

وهذا عبد الله بن رواحه يقاتل قتالا تمجده البطولة ، ويدفع دفاع المستميت الذى يحب الشهادة فاما النصر واما الجنة ، ولكنها كانت الشهادة التى تهفو بصاحبها الى الجنة - وهذا خالد بن الوليد رضى الله عنه قائد الاسلام المظفر وعلم البطولة من صناديد المسلمين يصرع المشركين فيذهلهم فنون حربه وجهاده ، ويكتب الله النصر على يديه،فتقر أعين المسلمين وقد شاءت ارادة الله وقدرته أن يموت على فراشه وهو للحياة الحربية أستاذها وبطلها الأعظم فيردد: عبارات التأثر ويؤثر شرف الموت فى الميدان ذودا عن كلمة الله فيقول : ( لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وليس فى جسدى موضع شبر الا وفيه ضربة من سيف أو طعنة من رمح وها أنذا أموت على فراشى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء) فيا جنود العرب هذه بطولة أسلافكم فسيروا عليها وسطروا بدمائكم صحيفة مجدكم وعزكم يرددها العالمون أمام من يأتى بعدكم : ان الاستعمار يتربص بكم الدوائر ومن ذيله ذئاب الصهيونية الشرسة الضارية ، ومن قبل قضى أسلافكم الأبطال عليهم ، وان الاسلام والعروبة ليهتفان بكم - اصنعوا أيها الرجال ما صنع من قبل ( خالد وصلاح الدين ) فهل تسمعون دوى هذا الهتاف - ان جمهورية مصر العربية قلب العروبة النابض بقيادة الرئيس محمد أنور السادات : تخوض الآن المعركة ضد الاستعمار والصهيونية فى عزم وقوة ونصر كما تشهدون ( ان ينصركم الله فلا غالب لكم ) .

والى عدد آخر نذكر لك أيها القارىء الكريم طرفا آخر من بطولاتهم المجيدة التى ينبغى علينا جميعا أن نقتدى بها وأن نسير على منوالها حتى نطهر أرض عروبتنا من شرذمة المستعمرين .

**د. محمد جمال الدين على عواد**

---

# كلمات شاع خطأ استعمالها

## للأستاذ عباس أبو السعود

— ١٣ —

١٦١ — وينكر كثير من الخاصة تعدى التحف الى المفعول به ، وحجتهم فى ذلك أن معاجم اللغة لم تذكره الا لازما ، ففى القاموس : لحفه كمنعه غطاه باللحاف ونحوه والتحف به تغطى ، وككتاب ما يلتحف به .

وفى الأساس : لحفه ثوبا وألحفه، والتحف به وتلحف .

والواقع أنه ينصب المفعول به ، أنشد عبد الملك بن ادريس الحريرى بين يدى المنصور بن أبى عامر فى ليلة يبدو فيها القمر تارة ، ويختفى بين السحاب تارة أخرى قوله :

أرى بدر السماء يلوح حينا
ويبدو ثم يلتحف السحابا

وقال الميدانى فى كتابه مجمع الأمثال عند شرح المثل « العود أحمد»: أول من قال ذلك خداش بن حابس التميمى ، وكان قد خطب فتاة من بنى ذهل يقال لها الرباب ؛ وهام بها زمنا ، فلم يرض أبوها بهذه الخطبة لقلة ماله ، فأضرب عنها زمنا ، ثم أقبل ذات ليلة، فلما انتهى الى محلتهم نزل بجوارها وأنشد :

ألا ليت شعرى يارباب متى أرى
لنا منك نجحا أو شفاء فأشتفى

فقد طالما عنيتنى (١) ورددتنى
وأنت صفيى(٢) دون من كنت أصطفى

لحا (٣) الله من تسمو الى المال نفسه
اذا كان ذا فضل به ليس يكتفى

فعرفت الرباب منطقه ، وحفظت شعره ، ورجعت الى أمها فقالت : يا أمه . هل أنكح الا من أهوى وألتحف الا من أرضى ؟

---

(١) عنيتنى : أنصبتنى واتعبتنى .
(٢) الصفى : الحبيب المصافى .
(٣) لحا الله البخيل : قبحه ولعنه .

قالت : لا فما ذاك ؟ قالت نكحيني خداشا قالت : وما يدعوك الى ذلك مع قلة ماله ؟ قالت : اذا جمع المال السيء الفعال فقبحا للمال ، فأخبرت الأم الأب بذلك ، ثم دخل خداش عليهم وسلم ، وقال : العود أحمد ، والمرأة ترشد ، والورد يحمد ؛ فأرسلها مثلا .

١٦٢ – ويقولون : هذا قائد رهيب ؛ يعنون أنه مخيف مزعج ، وهذا خطأ ؛ لأن كلمة رهيب لم ترد في العربية ، وانما هي عامية ، والفصيح أن يقال : هذا قائد مرهوب ؛ أي مخوف يخافه كل من يراه ، تقول : رهبت فلانا من باب علم فهو مرهوب ؛ ومن سجعات الأساس : فلان مرهوب عدوه منه مرعوب ، قالت ليلى الأخيلية :

وقد كان مرهوب السنان وبين الـ
لسان ومجذام (١) السرى غير فاتر

وتقول : رهب فلان من باب طرب رهبا ورهبة ، وأرهبته ، واسترهبته اذا أزعجت نفسه بالاخافة .

قال تعالى « واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم » .

١٦٣ – ويقولون : فسح فلان لأخيه مكانا في مجلسه ، أو أفسح له مكانا ، فيعدون الفعلين الى المفعول به خطأ ، والفصيح أن كلا من هذين الفعلين لا يتعدى الى المفعول بنفسه .

تقول : فسحت له في المجلس فسحا من باب نفع اذا فرجت له عن مكان يسعه ، ومن هذا قوله تعالى : «فافسحوا يفسح الله لكم » ، وتقول : أفسحوا لأخيكم في المجلس ، وتفسحوا فيه ، وتفاسحوا أي توسعوا ، ومن هذا قوله سبحانه : « اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا » .

وهذا الفعل لا يتعدى الى المفعول بنفسه الا اذا كان مضعفا كما في قولك : فسحت المكان لأخي تفسيحا

١٦٤ – وشاع على ألسنتهم وأسلات أقلامهم قولهم : الى الله تعالى مقصدنا بكسر الصاد ، يعنون لا يقصدون سواه سبحانه ، وهذا خطأ في التعبير يشير الى أنهم أهملوا قواعد النحو ، والصواب أن يقال : الى الله مقصدنا بفتح الصاد ، لأن المقصد هاهنا مصدر ميمي معناه القصد ، أي الى الله قصدنا ؟

---

(١) المجذام : الفيصل القاطع للأمور .

أوالىالله نقصد ، والمعروف عند علماء النحو أن الفعل والمصدر يتبادلان ، والمصدر الميمى من قصـد يصاغ على وزن مفعل بفتح العين ٠

أما المقصد بكسر الصاد فهو اسم مكان على وزن مفعل،لأن عين المضارع مكسـورة ، واسم المكان ليس مرادا هنا ، ولا يمكن أن يراد الا اذا زدنا فعلا فقلنا : نلجأ الى الله مقصـدنا ، وعلى هذا يكون مقصدنا بدلا من لفظ الجلالة ، ويكون المعنى آنئذ نلجأ الى الله فهـو مقصـدنا وملاذنا أى مكان قصدنا ٠

١٦٥ ـ ويقولون فى جمع كلمة ألد وهو من اشتدت خصومته : ألداء على أفعلاء : فيقولون : هم أعداء ألداء ، كأنه جمع لديد ، على أن اللديد دواء يصب فى أحد شقى الفم والصـواب أن ألد ومؤنثـه لداء يجمعان على لد بالضم كحمر ؛ وفى التنزيل « وتنذر به قوما لدا » ٠

١٦٦ ـ ويقولون:التقى فلان بنفس الوزير ، والفصيح أن يقـال : التقى فلان بالوزير نفسه على سبيل التوكيد بالنفس ٠

والتعبير الأول الشائع ـ على الرغم من فساده ـ ورد قديما بأقلام عظماء الكتاب :

قال الجاحظ فى كتاب الرد على النصـارى : وفى نفس الآية أعظم الدليل ، وقال البطليوسى فى كتـاب الاقتضاب : وحذفوا فى مواضع ماهو فى نفس الكلمـة ٠ وقـال ابن أبى السرور فى المقتضب : ويعتقدون أنه نفس العرق ٠

والحق أن هـذه العبـارات التى ذكرها هؤلاء العلماء الأجلاء انماوردت فى أثناء كلامهم ، فلا تقوم دليلا على صحتها ٠

١٦٧ ـ ويقولون فى المدح : وهب الله لفلان ملكة قوية ، ولهؤلاء ملكات مضـيئة ، يعنـون قوة العقـل وحصـافته ، وهـذا التعبير لا يؤدى المعنى الذى يبتغـونه ؛ لأنه للملـكة معنى لا يمت بصلة اليه فهى الملك ، والرق ، والعبودية ، تقـول : طالت ملكة هذا العبد ، أى رقه وخضوعه وذله ، وفى الحـديث « لا يدخـل الجنـة سىء الملكة » أى الذى يسىء صـحبة من يملكهم من المماليك ، ويقـال : فلان حسن الملكة اذا كان

حسن الصنيع الى ممـاليكه ، وأقر العبـد بالملكة ، ولفلان على هـؤلاء العبيد ملكة أى ملك •

وتقول : هـذا ملكة يمينى كمـا تقول : هو ملك يمينى ، وفي الحديث « حسن الملكة نماء » •

والاختيـار ـ لابراز المعنى الذى يريدونه ـ أن يقال : له موهبة ولهم مواهب •

أو يقـال : هـو أريب ، أو حصـيف (١) ، أو برز (٢) موثوف بعلمـه وعقـله ، أو هو أثقوب (٣) دخال فى الأمور ، أو هو نحرير (٤) بصـير بـكل شىء ، أو لوذعى (٥) حـديد الفـؤاد ، أو نقريس (٦) نظار فى الأمور مدقق فيها ، أو هو مستحـكم العقـل صادق الفراسـة والزكانة (٧) •

١٦٨ - ويقولون : انتظرنا زمنـا طويلا فى المقهى بفتح الميم ، والصواب أن يقـال فى المقهى بضمهـا ، لأنه اسم مكان من أقهى فلان اذا دام على شرب القهـوة ، وهى فى الأصـل الخمر ، وسميت بذلك لأنها تقهى عن الطعام أى تذهب بشهوته •

تقول : أقهى فلان عن الطعام اذا اجتواه وكرهه ، وكذلك أقهى عن الشىء ، قال أبو الطمحان القينى :

فأصبحن قـد أقهين عنى كما أبت
حياض الامدان(٨) الهجان(٩) القوامح(١٠)
وأصـبحن لا يسـقيننى من مودة
بلالا(١١) ولو سالت لهن الأباطح

١٦٩ - ويقولون : خولنـا لـكم رياسة الحكومة فيعدون الفعل خول الى مفعول واحد ليس من الأناسى ، وهـذا خطأ ، لأن هـذا الفعل تكثر تعديته بنفسه الى مفعولين أولهما من بنى الانسـان ، لأن التخـويل معنـاه التمليك وهو لايكون الا لهم •

تقـول : خولتك مالا أى ملكتك اياه ، وخوله الله الشىء تخويلا اذا

---

(١) الحصيف : من استحكم عقله . (٢) البرز : الموثوق برايه .
(٣) الأثقوب : نافذ الراى سديده . (٤) النحرير : الحاذق الماهر .
(٥) اللوذعى : اللسن الفصيح والحديد الفؤاد .
(٦) النقريس : الماهر المدقق . (٧) الزكانة : اصابة الظن .
(٨) الامدان : الماء الملح .
(٩) الهجان من الابل : البيض الكريمة .
(١٠) القوامح : جمع قامح وهو الكاره للماء .
(١١) البلال : الماء .

ملكه اياه متفضلا ، ومن هـذا قوله تعالى « ثم اذا خوله نعمة منـه نسى ما كان يدعو اليـه من قبـل » وقوله «ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم » •

وقـد يكتفى بالمفعـول الأول مستوفيا شرطه السابق ، ويستغنى عن الثانى لدلالة الجملة عليه ، كما فى قوله عز شأنه «وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم» أى ملكناكم ماتفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وجعلتموه وراء ظهوركم •

والتخول أيضا التعهـد ، وفى الحديث « كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة» أى يتعهدنا •

١٧٠ – ويقـولون : استنتج المدرس القاعدة من الأمثلة ، والفقيه يستنتج الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة ، وهـذا خطأ صريح ، لأن هذا الفعل لم يرد عن العرب ، وانما هو عامى •

والفصيح أن يستبدل به استنبط، فيقال : استنبط المدرس القـاعدة ، اذا استخرجها بالاجتهـاد ، وأنبطها انبـاطا مثله ، وأصـله من استنباط الحافر المـاء ، ويقال أيضا : استنبط الفقيه اذا استخرج الفقـه البـاطن بفهمه واجتهاده •

وتقـول : نبـط المـاء من البئر نبوطا من بابى دخـل وجلس ، أى نبع ، وأنبطوه واستنبطوه ، واستنبط الأديب من الشـعر المعـانى الحسـنة والآراء السديدة ، قال تعالى « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » ، وتقول : استنبطت من فلان خبرا اذا استخرجته منـه •

ومن معـانى الاستنبـاط الانتساب الى النبيط أو التشبه بهم ، وهم جيل ينزلون بالبطـائح بين العـراقين ، يقال : استنبطنا أى صرنا كالنبيط ، قال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن بقيلة :

أعرب أنتم أم نبيط ؟ فقال : عرب استنبطنا ، ونبيط استعربنا ، قال أبو العلاء المعرى :

أين امرؤ القيس والعذارى
اذ مـال من تحتـه الغبيط (١)
استنبط العرب فى المرامى (٢)
بعـدك واسـتعرب النبيط

---

(١) الغبيط : الرحل . (٢) المرامى : الصحارى الواحدة مرماة .

**١٧١ — ويقولون : هذا المدرس يعضد تلاميذه تعضيدا ، فهو معضد،** يعنون أنه يعاونهم فهو لهم خير معين كما يقولون : ان هذا المشروع لقى من الحكومة التعضيد ؟ وكلاالتعبيرين فاسد وخال من الدقة .

فكلمة التعضيد لا صلة لها بالمعاونة والمؤازرة ، وانما لها معنيان :

أحدهما : الذهاب يمينا أو شمالا ، كما فى قولك : رمى الصياد السهم فعضد تعضيدا ، اذا ذهب يمنة أو يسرة ولم يصب الهدف .

والآخر : العض كما فى قولك : عضد القتب البعير تعضيدا اذا عضه فعقره .

وفى التعبير الأول اشتقوا من المصدر اسم فاعل فقالوا : فهو معضد يعنون أنه معين .

والحق أن العضد لا يمت بأى صلة الى العون والمساعدة ، وانما هو البسر يبدو الترطيب فىأحد جانبيه، وكذلك هو الثوب الذى له علم فى موضع العضد .

ولاصلاح التعبير الأول — ليؤدى المعنى الذى يبتغونه — ينبغى أن يكون اما بالفعل الثلاثى فيقال :

المدرس يعضد تلاميذه عضدا من باب نصراذاكان يؤازرهم ويناصرهم، ويجعل نفسه لهم عضدا ، أى معينا وناصرا ، ومن هذا قول العرب : المؤمن معضود بتوفيق الله .

واما بالفعل الرباعىالموازن لفاعل، تقول : عاضد المدرس تلاميذه معاضدة .

ولك أن تقول : اعتضد التلاميذ بمدرسهم اذا استعانوا به ، وتعاضد التلاميذ اذا عاون بعضهم بعضا .

ولاصلاح التعبير الثانى يجب أن يقال : هذا المشروع لقى منالحكومة التأييد والموافقة .

أما العضد ففيه لغات : يكون بزنة رجل وبضمتين فى لغة الحجاز، وبزنة كبد فى لغة بنى أسد ، ومثال عدل فى لغة بكر ، ومعناه فى الأصل الساعد ، وهو من المرفق الى الكتف، جمعه أعضد وأعضاد .

ويستعمل مجازا بمعنى المعين ، تقول : فلان عضدى ، وهم عضدى وأعضادى .

وتقول لمن لا يفارقك هو عضادتى بكسر العين،ويقول الرجل لصاحبيه ، كفانى بكما عضادتين أى معينين ، وذلك مأخوذ من عضادتى الباب .

ويقال : عضده يعضده من باب نصر اذا أصاب عضده ، وعضد فلان بالبناء للمجهول اذا شكا عضده ، وعضد العامل الشجر من باب ضرب اذا قطعه ، والمعضد وزان منبر ما يقطع به الشجر ، والمعضدة بهاء هى هميان الدراهم أى وعاؤها .

١٧٢ - ويقولون لقوس الله : قوس قزح ، وقزح وزان صرد خطوط من صفرة وخضرة وحمرة، والفصيح - كما فى مراجع اللغة - أن يقال له : قسطان ، وقسطانية ، وقسطانى ؛ بضمهن وتشديد الياء فى الأخيرين ، قال علماء اللغة : والعامة تقول قوس قزح وقد نهى أن يقال، روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال « لا تقولوا قوس قزح ، فان قزح اسم شيطان ، ولكن قولوا: قوس الله ، وقال الدميرى فى المسائل المنثورة : قولهم قوس قزح بالحاء خطأ،والصواب قوس قزع بالتحريك، لأن القزع هو السحاب المتفرق ، واحدته بهاء ، تقول فى التشبيه : كأنهم قزع السحاب ، تعنى أنهم متفرقون ومختلفون فى ألوانهم وأشكالهم ، قال ذو الرمة .

ترى عصب[1] القطا هملا[2] عليه
كأن رعاله [3] قزع الجهام [4]

**عباس ابو السعود**

---

(١) العصب : جمع عصبة وهى الجماعة من العشرة الى الاربعين .
(٢) هملا : مهملة .
(٣) الرعال : جمع رعلة وهى النخلة الطويلة .
(٤) الجهام : السحاب لاماء فيه .

# فى ظلال القرآن

للأستاذ محمد كمال هاشم

حنانيك يا قلبى لم العود والوتر ... وأنس الليالى آية تبعث السحر

هنا طائر النجوى، هنا معزف الهدى ... هنا المنبع الصافى هنا الشمس والقمر

فررت الى القرآن فالذكر راحتى ... وآياته زادى اذا أقبل السفر

أنست به فى ليلة فاض نورها ... على ربوة جرداء قدت من الصخر

فألفيت نفسى طائرا فوق جنة ... تعانق فيها العود والطير والزهر

لكم ذقت شهدا منه لما تفتحت ... عيون الدجى بالفجر فى أبدع الصور

وهامت به روحى فطال أنينها ... وطافت مع الآيات فانشقت السور

عن الطير والألحان والروض والسنا ... عن العلم والعرفان والعقل والفكر

تركت له نفسى فرق صفاؤها ... وشف به قلبى فأينع وازدهر

الى بذكر الله ما أقبل الدجى ... وما غاب فى المحراب قلب وما انفطر

فما أنا الا قطرة تعبر المدى ... ودمعة قلب شده النور فانبهر

ملائكة الرحمن عودى وأقبلى ... على واحة الظمآن بالغيم والمطر

وهيا الى المحراب نستبق الخطى ... بايمان عبد كابد الصبر فانتصر

ويا قبلة الرحمن أحنيت هامتى ... لربى وان مت اشهدى يوم لا مفر

ويا آية الفرقان بالله قربى ... متربة عبد صاحب الوجد والسهر

أنا فى هجير العيش والعمر لمحة ... وبين ظلال النور خلد بلا عمر

فهيا بنا لله والقلب عاشق ... يحث الخطى والروح تستلهم العبر

**محمد كمال هاشم**

# تعقيبات على بعض ما ينشر ويذاع

للأستاذ على البولاقى

— ٣ —

**١ — شحم الخنزير حرام بالاجماع**

فى تفسير الألوسى المسمى « روح المعانى » ج ٢ ص ٤٢ فى تفسير قوله تعالى « انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ... » البقرة ١٧٣ ما نصه « خص اللحم بالذكر مع أن بقية أجزائه حرام ، خلافا للظاهرية ؛ لأنه معظم ما يؤكل من الحيوان ، وسائر أجزائه كالتابع له ، ولعل السر فى اقحام لفظ اللحم هنا اظهار حرمة ما استطابوه وفضلوه على سائر اللحوم واستعظموا وقوع تحريمه » اهـ .

( أقول ) ان قول الألوسى « خلافا للظاهرية » يفيد أن الظاهرية يحل عندهم شحم الخنزير وسائر أجزائه ما عدا اللحم الذى نص عليه فى آيات التحريم الأربع بالبقرة والمائدة والأنعام والنحل .

وهذا الذى قاله الألوسى خطأ وهو افتراء على الظاهرية ؛ ولا أقول ان الألوسى هو الذى افترى هذه الفرية ، وانما افتراها بعض خصوم الظاهرية ، أو بعض المجادلين الذين يظنون أن الظاهرية لا يحرمون الا ما نص على تحريمه ، ويظنون أن أجزاء الخنزير ما عدا اللحم لا نص على تحريمها ، فيأخذون على هذين الظنين أن داود الظاهرى وأصحابه يستحلون هذه الأجزاء ، ثم ينسبون اليهم القول بذلك ، فهو افتراء مبنى على ظنين كاذبين فان داود الظاهرى وأصحابه لا يقولون بحل كل مالا نص على تحريمه فانه قد يدل على التحريم اجماع أو دليل آخر سوى النص ، وأيضا فالتحريم لجميع الأجزاء مأخوذ من نص فى آية ١٤٥ من سورة الأنعام ، فان قوله تعالى « أو لحم خنزير فانه رجس » معناه « فان الخنزير رجس » والرجس حرام ، وأيضا جميع أجزاء الخنزير يحرم تناولها بالاجماع ، وقد صرح بهذا الاجماع كثيرون ، منهم النيسابورى فى تفسيره

المطبوع بهامش تفسير الطبرى ج ٢ ص ١١٩ حيث قال « أما لحم الخنزير فأجمعت الأمة على أن الخنزير بجميع أجزائه محرم ، وتخصيص اللحم بالذكر لأن معظم الانتفاع متعلق به ومنهم ابن حزم الظاهرى فى كتابه المحلى ج٧ص٣٩٠، ٣٩١ حيث قال « لا يحل أكل شىء من الخنزير ، لا لحمه ، ولا شحمه ، ولاجلده ، ولا عصبه ، ولا غضروفه ، ولا حشوته ، ولا مخه ، ولا عظمه ، ولا رأسه ، ولا أطرافه ، ولا لبنه ؛ ولا شعره ؛ الذكر والأنثى والصغير والكبيرسواء ، ولا يحل الانتفاع بشعره لا فى خرز ولا فى غيره لقوله تعالى فى سورة الأنعام: «قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس ».والضمير فى لغة العرب التى نزل بها القرآن راجع الى أقرب مذكور اليه وهو الخنزير نفسه ، فصح بالقرآن أنه الخنزير بعينه رجس ، والرجس حرام واجب اجتنابه ، فالخنزير كله حرام ، لا يخرج من ذلك شعره ولا غيره ، حاشا ما أخرجه النص من الجلد اذا دبغ فحل استعماله ، ثم حكى ابن حزم قول من يقول ان الاجماع على تحريم شحم الخنزير مستنده قياس الشحم على اللحم ، ولم يناقشه فى دعوى الاجماع ، وانما ناقشه فى دعوى استناد الاجماع الى القياس ، وقد قرر هو أنه مستند الى النص الذى فى سورة الأنعام .

وصفوة القول : ان داود الظاهرى لم يقل بحل شحم الخنزير أو شىء من أجزائه الأخرى ، ولو قال ذلك لأشار اليه ابن حزم كعادته ولما استساغ حكاية الاجماع ؛ اذ كيف يحكى الاجماع مع مخالفة داود وهو أعرف بمذهبه من هؤلاء الناقلين ؟

( فان قال قائل ) ان الضمير فى قوله تعالى « فانه رجس » يجب أن يعود الى لحم الخنزير لأنه مضاف ، والضمير انما يعود لأقرب مذكور اذا لم يكن مضافا اليه ، فان كان مضافا اليه عاد الى المضاف لأنه المحدث عنه ،

( قلت ) ان عود الضمير الى المضاف هنا لا يفيد فائدة زائدة ، فيجب أن يعود الى المضاف اليه ليفيد حرمة باقى أجزاء الخنزير .

على أننا لا نلتزم ما التزمه ابن‌حزم الذى يتبرأ من القياس فيلجأ الى دليل آخر ، فتارة يستدل بعود الضمير الى أقرب مذكور وتارة يستدل بأن الله عز وجل قد مسخ قوما قردة وخنازير ، والمسخ انما يكون الى صورة ما هو خبيث ، والخبيث محرم كما قال تعالى « ويحرم عليهم الخبائث » الأعراف ١٥٧

ونحن لانتبرأ من القياس خصوصا هذا القياس الجلى الظاهر فانه اذا حرم اللحم وهو أطيب الأجزاء عرفا حرم سائر الأجزاء •

ثم ان الاجماع اذا صح نقله لم يجب معرفة مستنده ، ونحمد الله تعالى اذ تبين لنا ثلاثة مستندات له ، والله أعلم •

**٢ ـ بيع الاستمارات :**

( سئلت احدى المجلات الدينية )

« هل يجوز بيع الاستمارات التى تصرف للموظفين بنقد معين ؟ أو لابد من صرف ما فى الاستمارة من المحل المحول عليه ؟

( فأجابت المجلة ) « اذا بيعت الاستمارات بمثل ما فيها من النقد فالبيع باطل لما فيه من ربا النساء وهو التأخير لأن المشترى دفع قيمة مافى الاستمارة ولم يأخذ مقابلها الا مؤخرا عندما يتسلم ما فى الاستمارة من المحل المحالة عليه ولا يصح البيع الا يدا بيد وكذا اذا بيعت بأقل • سيأخذ أكثر مما أعطى ، وهو ربا الفضل وسيأخذه مؤخرا وهو ربا النساء وكلاهما حرام ؛ وأيضا هو بيع شيء قبل قبضه فلايجوز لقوله صلى‌الله عليه وسلم لحكيم بن حزام : « يابن أخى لا تبيعن شيئا حتى تقبض » وصاحب الاستمارة لم يقبض شيئا حتى يبيعه أما اذا بيعت هذه الاستمارة بعروض تجارية ، فجاز لانتفاء الربا ولجواز البيع بالأجل » اهـ •

( أقول ) ان استمارة اذن من المصلحة للمتجر أن يبيع للموظف مايختاره من البضاعة بالثمن المكتوب فيها على أن تقتطع المصلحة هذا الثمن من مرتب الموظف على عدة أقساط شهرية فيأخذ المتجر كل شهر من المصلحة ما اقتطعته حتى يتم الثمن •

وهذا الصنيع احسان من المصالح الى موظفيها بتمكينهم من شراء مايلزمهم بثمن مقسط ، وهو احسان

من المتجر أيضا لأنه يبيع للموظف من غير زيادة فى الثمن فى مقابلة التأخير .

وبعض الموظفين يتخذ من هذا الصنيع الحسن وسيلة لفك ضائقة مالية فلا يطلب الاستمارة ليشترى البضاعة لنفسه وانما يطلبها ليبيعها لآخر ويقبض الثمن منه فيفك به ضائقته ، وهو فى الغالب يبيعها بأقل من المبلغ المكتوب فيها .

فلنبحث : ما معنى بيع الاستمارة؟

هل معناه بيع الورقة ؟ أو بيع النقود المكتوبة فيها ؟ أو بيع البضاعة التى سيختارها ؟

الواقع أنه لايبيع الورقة ، وهذا ظاهر ، ولا يبيع النقود المكتوبة فيها لأنه لن يدفعها للمشترى وانما تدفعها المصلحة للمتجر ، ولا يبيع البضاعة التى سيختارها لأن المشترى لا يرضى بما لا يعرف وهو لا يدفع الثمن الا بعد أن يصحب الموظف الى المتجر وينتقى هو بنفسه مايريده .

فالذى يحدث قبل هذا الذهاب ليس بيعا أصلا وانما هو اتفاق سابق على البيع ، ويسمونه بيعا ويضيفونه الى الاستمارة ، فيقولون ان فلانا باع استمارة لفلان بمعنى أنه اتفق معه على أن يذهب معه الى المتجر فينتقى صاحبه البضاعة فيشتريها هو من المتجر بالثمن المقسط ويدفع للمتجر الاستمارة ويدفع لصاحبه البضاعة ويأخذ منه الثمن ان لم يكن أخذه منه قبل ذلك .

فالذى يحدث فى هذه الحالة بيعتان أولاهما بيع المتجر البضاعة للموظف والثانية بيع الموظف البضاعة نفسها لصاحبه .

فليس فى المسألة بيع نقود بنقود حتى يكون من ربا الفضل أو من ربا النساء .

وغاية مايقال هنا أنه اذا باع بنفس الثمن فلا شبهة فيه أصلا ، وصاحبه الذى اشترى بنفس الثمن قد صنع صنيعا يشكر عليه .

واذا باع بأقل من الثمن ــ كما هو الغالب ــ فهذا العمل يسمى « التورق » وهو وسيلة من الوسائل التى يتخلص بها المحتاج من الاقتراض بالربا .

وذلك أن المحتاج الى مال لقضاء مصلحة اذا أراد الاقتراض بغير ربا لم يجد من يقرضه لغلبة الشح على الناس وللخوف من عدم السداد ، واذا أراد الاقتراض بالربا كان مؤذنا بحرب من الله ورسوله .

وان اتفق مع انسان على أن يشترى منه بضاعة بثمن مؤجل ثم يبيعه اياها بثمن حال أقل ـ فهذا يسمى « بيع العينة » ( بوزن : زينة ) وهذه حيلة ربوية محرمة عند الامام أحمد وعند كثير من الأئمة لأن المبيع رجع الى البائع وكأنه أقرضه بالربا .

واذا اشترى شيئا بثمن مؤجل ثم باعه لانسان غير البائع بثمن أقل فهذا يسمى « التورق » ( وهى كلمة مأخوذة من الورق بكسر الراء بمعنى الفضة ) والتورق حيلة ولكنها ليست كالعينة فان العينة ترجع فيها البضاعة الى بائعيها فيصير البيع غير مقصود بخلاف التورق فان البيع فيه مقصود والبضاعة لم ترجع الى البائع بل ذهبت الى انسان آخر فهما بيعتان صحيحتان .

وقد رخص الامام أحمد وكثير من الأئمة رضى الله عنهم فى التورق وقالوا ان المتورق لم يصنع هذا الصنيع الا لحاجته وهو لم يرتكب بيعا صوريا وانما اشترى شراء مقصودا وباع ما اشتراه بيعا فليس هذا من الحيل المذمومة .

ولم يرخص ابن تيمية فى التورق بل جعله حراما مثل العينة .

وهذا الخلاف فى التورق انما هو بالنسبة للانسان المحتاج الذى لم يصنع ذلك الا لحاجته وأما صاحبه الذى اشترى منه بثمن أقل فالذى يظهر أنه ان نقص عن الثمن نقصا فاحشا لا يتسامح به عادة فهذا الصنيع جشع محرم لأن الله عز وجل قال « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » ( النساء ٢٩ ) ولا شك أن النقص الكثير الذى لا يتسامح به عادة ـ اذا تراضيا به فى الظاهر فلا تراضى فى الباطن والله أعلم ؟

( يتبع ) على البولاقى

# صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ١٠ —

## من باب زويلة الى الحلمية الجديدة .

ذكرنا فى مقال سابق أن جوهرا قائد المعز لدين الله الفاطمى أنشأ القاهرة المعزية سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩م) على الشاطىء الشرقى للخليج المصرى وأن أمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستنصر بالله زاد فى رقعة المدينة فى المدة من سنة ٤٨٠ – ٤٨٤ هـ بأن نقل كلا من أسوارها الشمالية والجنوبية بحوالى ١٥٠ مترا . كما وسعها من الجانب الشرقى . ونسمى القاهرة التى أنشأها جوهر بالقاهرة المعزية . ونسمى القاهرة بعد أن وسعها بدر بالقاهرة الفاطمية .

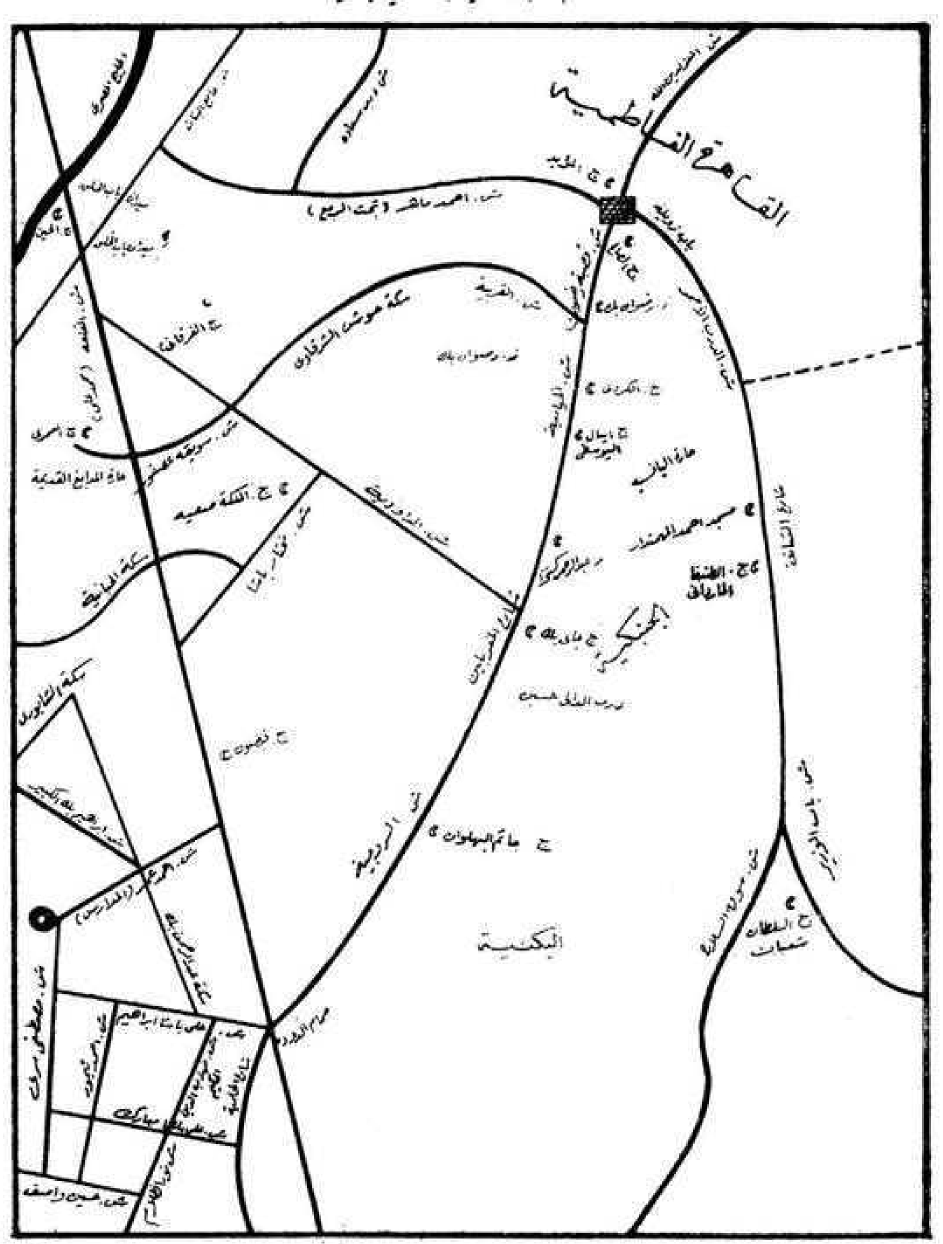
هذه القاهرة الفاطمية – التى كانت مساحتها ٤٠٠ فدان تقريبا (١)وطولها من الشمال الى الجنوب ١٥٠٠ مترا تقريبا . ومن الشرق للغرب ١١٠٠ مترا تقريبا – يمكن أن نحدد موقعها بالتقريب لذهن القارىء بالنسبة للمسميات الحالية : بأن الحد الجنوبى هو شارع أحمد ماهر ( تحت الربع سابقا ) الآخذ من ميدان باب الخلق . وبهذا الحد باب زويلة . أو كما تسميه العامة بوابة المتولى . وحدها الشمالى السور الموجود به باب النصر وباب الفتوح وهو شمال ميدان باب الشعرية بقليل . وحدها الغربى شارع بوز سعيد الحالى الذى كان الخليج المصرى جزءا من عرضه الحالى بالجانب الغربى من الشارع المذكور . والحد الشرقى للقاهرة الفاطمية شارع صلاح سالم الحالى تقريبا .

كما ذكرنا الشارع الأعظم – ويسميه المؤرخون أيضا شارع القاهرة

---

(١) القاهرة الحالية مساحتها أكثر من ٦٠٠٠٠ فدان .

## رسم كروكى
### للشارع الأعظم من باب زويلة إلى الحلمية الجديدة



والقصبة ـ ويسمى الآن شارع المعز لدين الله • والذى يخترق القاهرة الفاطمية من باب الفتوح الى باب زويلة الذى تسميه العامة بوابة المتولى • وذكرنا سبب التسمية ، وأن الشارع الأعظم يمتد شمال باب الفتوح فى حى الحسينية والبيومى،والظاهر• وأنه يمتد جنوبا خارج باب زويلة حتى مقام السيدة نفيسة بأسماء مختلفة • ذكرنا منها حتى تقاطعه مع شارع القلعة ( محمد على سابقا ) عند الحلمية الجديدة بالترتيب من باب زويلةأسماء : قصبة رضوان،والخيامية والمغربلين والسروجية • وهذه الأسماء ـ ماعدا اسم قصبة رضوان ـ أسماء واضحة تدل على صناعة أو تجارة سلع معينة • وسنذكر باذن الله شرح اسم قصبة رضوان •

والواقع أن التوسعة التى عملها بدر الجمالى للسور القبلى للقاهرة بأن نقله ١٥٠ مترا تقريبا جنوبى السور السابق انشاؤه بمعرفة جوهر كانت تقريرا لوضع حاضر • فلم تمض على القاهرة التى أنشأها جوهر ثلاثون عاما حتى زحفت الانشاءات خارجها جنوبا • فجدت حارات • واضطر الحاكم بأمر الله ( ٣٨٦ ـ ٤١١ هـ ) أن يقيم عليها بابا غير باب زويلة سمى بالباب الجديد وباب القوس • ولكن بدرا لم يضم هذه الحارات كلها داخل القاهرة الفاطمية بل كان باب زويلة الجديد شمالا من الباب الجديد الذى أنشأه الحاكم بأمر الله بمسافة ـ فى هذه المسافة كانت حارة المنصورية على يمين الخارج من باب زويلة • وحارة اليانسية على شمال الخارج منه •

**حارة المنصورية أو حارة السودان :**

وكانت تسمى أولا المنصورية ثم سميت حارة السودان لأنه كان يقطنها العبيد السود فى أيام المستنصر بالله ( ٤٢٧ ـ ٤٨٧ ) • وكان للعبيد فى أيامه صولة لأن أمه كانت جارية سوداء • فأكثرت من شرائهم ومكنتهم من النفوذ والسلطة •

ولم يقتصر سكن العبيد السود على هذه الحارة • فقد كانت لهم حارة أخرى شمال القاهرة هى حارة الحسينية خارج باب الفتوح•وأخرى فى الجانب الغربى من المدينة بالقرب من موقع ميدان باب الشعرية الحالى اسمها حارة الفرحية • والاسمان

نسبة الى طائفتين من عبيد الشراء يقال لهما الحسينية والفرحية •

ومكان حارة السودان بأسماء الوقت الحاضر: أحياء قصبة رضوان والقربية والخيامية وتحت الربع وحوش الشرقاوى على يمين الشارع الخارج من باب زويلة •

**واقعة العبيد :**

فى أواخر عهد الفاطميين ضاق رجال قصر الخليفة بصلاح الدين الأيوبى وتسلطه فى الحكم فى وزارته للعاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين • فدبروا سنة ٥٦٤ هـ مؤامرة لاغتيال صلاح الدين • وكان قوامها العبيد • ويرأسها فى التدبير مؤتمن الخلافة جوهر أحد الأستاذين بالقصر الذى انضم اليه عدد من الكبراء والأعيان •

وكان تخطيط المؤامرة أن يبعثوا للفرنج ببلاد ساحل فلسطين يستقدمونهم الى القاهرة • حتى اذا خرج صلاح الدين للقائهم وصدهم، قامت الثورة فى القاهرة •

ووقع الرسول فى أيدى رجال صلاح الدين • فتتبع خط الرسالة • حتى عرف كاتبها أنه أحد اليهود • فقبض عليه وقرر اعدامه • فاحتمى اليهودى من القتل بأن أسلم • وأخبره بالمؤامرة • وخاف جوهر فاستقر بالقصر لا يغادره • وأغضى عنه صلاح الدين عدة شهور حتى اطمأن وخرج الى بستان له خارج القاهرة فقبض عليه رجال صلاح الدين وقطعوا رأسه • وأتوا بها الى صلاح الدين •

وشاع الخبر بالمدينة • وثارت النفوس • وتجمعت العناصر الحاقدة على صلاح الدين • وهجموا عليه بدار الوزارة بجانب القصر • وناصر صلاح الدين جنوده من الغز يتزعمهم أخوه شمس الدولة توران شاه(١)• وكاد العبيد ينتصرون • ودارت المعركة تحت القصر • وكان الخليفة العاضد بالمنظرة فوق باب الذهب(٢) وأخذ رجال القصر يرمون على جنود صلاح الدين بالنشاب والحجارة •

---

(١) ذكرنا فى مقال سابق درب شمس الدولة بجوار الصاغة . وكان اسمه حارة الأمراء . وكان هناك سكن توران شاه فيما بعد . .

(٢) ذكرنا فى مقال سابق أن باب الذهب اهم ابواب القصر الشرقى الكبير وموقعه محل محراب مدرسة الظاهر بيبرس التى اخترقها شارع بيت القاضى .

فأمر شمس الدولة باحراق المنظرة التى بها الخليفة • وأخذوا فى تجهيز قوارير النفط لالقائها عليها • فخاف العاضد على نفسه • وفتح باب المنظرة أحد الأستاذين الملقب زعيم الخلافة وقال بصوت عال : أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والعبيد الكلاب أخرجوهم من بلادكم • فلما سمع السودان ذلك ضعفت نفوسهم • ودب فيهم الفشل• فانهزموا أمام رجال صلاح الدين ، الذين تبعوهم • وكلما دخلوا دارا أحرقوها عليهم • وأغلقت عليهم أبواب المدينة • وظل القتل فيهم يومين • وبلغ العبيد تخريب حارة السودان فاستسلموا وطلبوا الأمان • فأمنهم • وخرجوا الى الجيزة • فعدا عليهم شمس الدولة بعساكره • وحكموا فيهم السيف حتى كادوا أن يفنوا عن آخرهم •

وكانت واقعة العبيد بداية النهاية بالنسبة للعهد الفاطمى وكما أنتمكين حكم الفاطميين فى مصر بدأ بالقائد جوهر • فقد انتهى بمؤامرة مؤتمن الخلافة جوهر • فأبطل صلاح الدين ركوب الخليفة • وظل محبوسا فى قصره • واستقدم صلاح الدين أباه واخوته وأهله من الشام فأنزلهم فى مناظر الخلفاء ودور الأمراء • ووهب اقطاعات الأمراء لأهله وأصحابه • وفى سنة ٥٦٦ هـ عزل قضاة الشيعة واتخذ المذهب الشافعى أساسا للقضاء فى مصر• ومات العاضد ليلة عاشوراء سنة ٥٦٧ هـ • بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للمستضىء بالله(١) العباسى بثلاثة أيام • وانتهت الدولة الفاطمية بعد حكم استمر ٢٦٢ سنة منها بمصر٢٠٣ سنة شمسية تقريبا(٢) فسبحان من له الدوام •

**بستان خطلبا :**

وبعد تخريب صلاح الدين لحارة السودان أصبح مكان الحارة بستانا عرف ببستان خطلبا • نسبة الى الأمير

---

(١) ذكر المقريزى فى الخطط ( ج ١ ص ٣٥٩ ) ان الدعاء للمستنجد العباسى . والمعروف ان المستنجد توفى فى ربيع الأول سنة ٥٦٦ وبويع بالخلافة بعده ابنه المستضىء بالله . ولعل الأصل المستضىء بالله بن المستنجد بالله . واسقط الناسخ او الناشر اسم المستضىء .

(٢) بالحساب القمرى حكم الدولة الفاطمية ٢٧٠ سنة بمصر ٢٠٨ سنة وشهور .

صارم الدين خطلبا كان واليا على القاهرة سنة ٥٧٢ هـ أيام صلاح الدين ثم أضيفت اليه ولاية الفيوم سنة ٥٧٧ ثم صرف الى ولاية زبيد باليمن • ثم قدم القاهرة واتصلت صداقته بالأمير جهاركس وطال عمره حتى أيام الكامل بن العادل الأيوبي حيث توفي سنة ٦٣٥ هـ •

**خان الخليلي :**

وجهاركس لفظ أعجمي معناه أربع أنفس • وجهاركس المذكور كان من كبراء رجال الدولة في عهد صلاح الدين الأيوبي حتى أخيه العادل • وهو غير جهاركس الخليلي المنسوب له خان الخليلي • فالأخير كان أمير أخور ( أى رئيس الاسطبلات وكانت من الوظائف الكبرى ) في عهد السلطان الظاهر برقوق ( ٧٨٤ - ٨٠١ ) •

وكان الخط الذى به خان الخليلي اسمه خط الزراكشة العتيق • أى صناعة وتجارة المزركشات من الثياب • وكان محل خان الخليلي مقابر أسرة الخلفاء الفاطميين • المعروفة بتربة الزعفران جنوبي القصر الشرقي الكبير • وعند انشاء خان الخليلي أهان جهاركس الخليلي حرمة الأموات•وألقى ماكان بالقبور من عظام على تلال البرقية شرقي القاهرة • وقال المقريزى في خططه ( جـ ٢ ص ٩٤ ) : وقد عاقبه الله على هتك رمم الأئمة وأبنائهم بقتله في معركة بالشام ضد يلبغا الناصرى سنة ٧٩١ هـ • وترك على الأرض عاريا وسوأته مكشوفة•وكان طويلا عريضا • فانتفخ جسمه حتى تمزق •

ثم حكرت أراضى بستان خطلبا مبانى في عهد الظاهر بيبرس ( ٦٥٨ ٦٧٦هـ)وموقعها الآن في الأحياء السابق ذكرها قصبة رضوان والخيامية وتحت الربع والقربية وحوش الشرقاوى كما سبق ذكره •

**حارة اليانسية :**

وكان يقابل حارة السودان من الناحية الأخرى من امتداد الشارع الأعظم أى على يسار الخارج من باب زويلة حارة عرفت باسم حارة اليانسية •

والاسم نسبة الى يانس الصقلي خادم العزيز بالله بن المعز • وقد عينه الحاكم بأمر الله بن العزيز واليا على برقة سنة ٣٨٨ هـ • والاسم باق للآن لجزء من الحارة المذكورة •

وقد عارض المقريزى ابن عبد الظاهر فى نسبة هذه الحارة الى يانس الأرمنى وزير الحافظ لدين الله ( ٥٢٤ - ٥٤٤ هـ ) لأن اليانسية كانت موجودة قبل الحافظ بمدة • ولقب ابن عبد الظاهر يانس الأرمنى بلقب يانس الفاصد ؛ لأنه كما يقول فصد الحسن بن الحافظ وترك فصاده محلولا حتى مات •

وابن عبد الظاهر المذكور هو القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر ( ٦٢٠ - ٦٩٢ هـ ) تولى ديوان الانشاء فى عهد الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون وابنه الأشرف خليل • وله من المؤلفات ( الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة ) ، ( سيرة السلطان الملك الظاهر بيبرس ) • وهما مفقودان • وقد اعتمد عليه المقريزى فى خططه•ويشير الى كتابه (الروضة البهية ) فى كثير من المواضع •

**ماساة الحافظ لدين الله مع ولده الحسن :**

ولم يبن المقريزى اعتراضه على ابن عبد الظاهر على أن الحارة اليانسية كانت موجودة قبل يانس الفاصد بمدة فقط • بل على سببين آخرين • أولهما : أن الحسن مات مسموما ولم يمت من انحلال فصاده• والثانى أن يانسا لم يقصد الحسن وانما الذى تولى قتله بالسم الحكيم ابن قرفة •

ونلخص هذه المأساة التاريخية فيما يلى :

لما قتل الآمر بأحكام الله فى ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ • أقيم ابن عمه الحافظ لدين الله على أن يكون كفيلا لمنتظر فى بطن أمه من أولاد الآمر • والحافظ المذكور هو ابن الأمير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله • وأبوه لم يل الخلافة • وكان يقال له فى أيام الآمر ابن عم مولانا •

وكان القائم بتعيينه من يدعى هزار الملوك الذى أصبح وزيرا • وثار الجند وأقاموا فى الوزارة أبا على كتيفات بن الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى • ونهبت العامة شارع القاهرة • واستبد أبو على بالأمر فقتل هزار الملوك • واستقر فى الوزارة مكانه • وقبض على الحافظ وألقاه مقيدا فى السجن • وكل ذلك جرى فى يوم واحد •

ولم يطل أمر أبى على كتيفات • فقد قتل فى ١٦ المحرم سنة ٥٢٦ ، وأفرج عن الحافظ • فاتخذ الحافظ من هذا اليوم عيدا أسماه عيد النصر كان يحتفل به كل عام حتى نهاية حكمه •

وكان القائم بتدبير قتل كتيفات والافراج عن الحافظ يانس مولى الباب أى ما يقرب من وظيفة الحاجب • فعينه الحافظ وزيرا مكافأة له • ويانس هذا هو الذى لقبه ابن عبد الظاهر بالفاصد ونسب اليه حارة اليانسية • وقد نبه المقريزى على خطأ ذلك كما ذكر •

وعلا شأن يانس الفاصد وزاد نفوذه حتى كان يتصرف فى الأمور دون الرجوع الى الحافظ • فثقل على الحافظ وأراد التخلص منه • فطلب من طبيبه تدبير ذلك • فقيل أنه وضع له السم فى ماء الاستنجاء • فانفتح دبره واتسع حتى عجز عن الجلوس • فقال الطبيب للحافظ : هذه هى الفرصة فهو يحتاج للراحة التامة فاذا زاره الخليفة اكتسب أمرين : أولا حسن الأحدوثة بين الناس بسؤاله عن أتباعه • والثانى أن المريض سيضطرب لزيارة الخليفة ويتحرك ويجلس بين يديه مما يزيد فى مرضه ويؤدى به الى الهلاك • وفعلا زاره الحافظ • وأطال المكث عنده وهو يحادثه • وما كاد ينصرف حتى سقطت أمعاء يانس • وتوفى فى نفس الليلة فى ١٦ ذى الحجة سنة ٥٣٦ ، ولم يستوزر الحافظ بعده أحدا •

أما مأساة الحافظ وولده الحسن • فقد عين الحافظ فى ولاية العهد ابنه حيدرة • فشق ذلك على الحسن • وكان الحسن واسع الثراء له كثير من الأتباع والأعوان • فثار على والده • وتغلب عليه • وانضم اليه أوباش الناس • فأخذ يقبض على الكبراء ويقتلهم ويصادر أموالهم ، واختفى الحافظ وابنه حيدرة فى أحد جوانب القصر خوفا من بطش الحسن • ولم يجد الحافظ بدا فى مداراته • فكتب له عهدا بولاية العهد فما زاده هذا الا جرأة عليه • وأرسل الحافظ بعض أتباعه الى الصعيد يطلب العون والمدد • وحضرت الألوف ولكن تغلب عليهم الحسن أيضا • وقتل من استجلبوهم •

ثم استعمل الحافظ المكيدة • فأرسل للحسن مكتوبا فيه أنهما أب وابنه •

ولا يضر أحدهما الآخر . ولكنه علم أن فلانا وفلانا وفلانا من الكبراء قد تآمروا على قتل الحسن فهويحذره منهم . فلم يكن من الحسن الا أن أحضرهم وعاجلهم بالقتل . وكان عجولا سفاكا قليل التروى فى الأمور . فكرهته النفوس . وانفض عنه خيار الناس . ولم يبق معه الا الأوباش . وشعر بضعف مركزه . فالتجأ الى أبيه الحافظ فى القصر ، فسارع أبوه بالقبض عليه . وتقييده .

وأرسل الحافظ الى الأمراء ومن بقى من الكبراء يخبرهم . فطلبوا قتله . وصعب على والد أن يوافق على قتل ابنه . فحاول اقناعهم أنه سيكون تحت يده مقبوضا عليه ولا خوف منه . ولكنهم صمموا على ذلك . وهددوا بأن ينفضوا من حول الحافظ ويعملوا ضده فلم يجد مناصا من الطاعة . واستمهلهم ثلاثة أيام . فأناخوا برجالهم بين القصرين منتظرين انقضاء المهلة .

وكان للحافظ طبيبان أحدهما يهودى واسمه أبو منصور . والثانى نصرانى واسمه ابن قرفة . فطلب الحافظ من أبى منصور اليهودى عمل سم فادعى الجهل وأقسم بالتوراة أنه لا يعرف شيئا من ذلك . أما ابن قرفة فقد أطاع وعمل السم المطلوب . فبعث الحافظ سقية السم مع عدد من الأتباع الى الحسن فى السجن . وأكرهوه على شربها . وتوفى فى ٢٠ جمادى الآخرة سنة ٥٢٩

ولم يقتنعوا بوفاة الحسن حتى أرسلوا من دخل عليه السجن وكشف عن وجهه ووخزه فى جسمه بآلة حادة فى عدة مواضع . فعاد وأخبر الآخرين فتفرقوا . وسكنت الفتنة .

وكان الطبيب اليهودى أكثر وعيا من النصرانى . فبعد ذلك حقد الحافظ على ابن قرفة وقتله وأنعم بجميع ممتلكاته على أبى منصور اليهودى وجعله رئيسا للأطباء .

**جامع الصالح طلائع بن رزيك :**

وقبل أن ننتقل من الكلام على موضع حارة اليانسية نذكر أن بأولها على يسار الخارج من باب زويلة جامعا اسمه جامع طلائع بن رزيك . ولانشاء هذا الجامع قصة . وفى معماره ملاحظة . وهى أن هذا الجامع منخفض عن أرض الشارع بأكثر من متر . مما جعل مصلحة الآثار تدور

حوله بطرقة ودرابزين ليهبط المصلون عدة درجات حتى يستطيعوا الدخول للجامع • وطبعا لم يكن هذا فى تصميم الجامع عند انشائه • ولكن أرضية الشارع ارتفعت من تراكم الأتربة على ممر الزمن •

أما القصة • فقد ذكرنا فى مقال سابق عن درب شمس الدولة المأساة التاريخية التى أدت الى قتل الخليفة الفاطمى الظافر بأمر الله بن الحافظ سنة ٥٤٩ هـ • بمعرفة وزيره عباس الصنهاجى وولده نصر • واستنجاد أهل القصر بوالى المنيا طلائع بن رزيك • ومقتل عباس ونصر • وتولى طلائع الوزارة • وتلقب بالملك الصالح طلائع بن رزيك •

وباشر طلائع عمله فى الوزارة أحسن مباشرة • ولم يكن للخليفة الفائز بنصر الله بن الظافر معه أى شأن • فقد كان الفائز يوم توليته طفلا ابن خمس سنين • وتوفى الفائز سنة ٥٥٥ هـ بعد ست سنين فى الخلافة لم ير فيها خيرا فقد اختبل عقله وكان يصرخ ويصيح فى جنون منذ رأى مقتل عميه أمامه وسمع الصراخ والعويل بالقصر كما سبق ذكره فى مقالنا السابق •

وأقام طلائع بعد الفائز فى الخلافة ابن عمه العاضد لدين الله بن الأمير يوسف بن الحافظ • وهو ابن تسع سنين • وازداد تمكن الصالح طلائع وعظم نفوذه • فثقل على أهل القصر لتضييقه عليهم واستبداده بتصريف الأمور دونهم • فدبروا له كمينا فى أحد دهاليز القصر • وضربوه حتى سقط على الأرض • وحملوه الى داره وهو فى غيبوبة حيث توفى فى ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ هـ •

**راس الامام الحسين بن على :**

والقصة فى بناء الصالح لهذا الجامع • أنه لما خيف من استيلاء الفرنج على عسقلان ( بفلسطين وهى أول ميناء شمالى غزه ) وبها مشهد الامام الحسين بن على بن أبى طالب • بنى طلائع هذا الجامع لينقل اليه هذا الرأس الشريف (١) • فلما تم بناء الجامع رفض رجال القصر تحقيق رغبته وقالوا لا يدفن الرأس الا فى تربة الزعفران داخل القصور

---

( ١ ) فى المصباح المنير ان الراس مذكر .

الزاهرة .. وقد كان . حيث هى بالمشهد الحالى المعروف .

ومقتل الامام الحسين بن على فى ١٠ المحرم سنة ٦١ هـ ( ٩ أكتوبر سنة ٦٨٠ م ) فى خلافة يزيد بن معاوية خبر مشهور . وذكر أن الرأس الشريف حمل الى يزيد بدمشق مع من بقوا أحياء ممن كانوا مع الحسين . والكل نساء ليس بينهن غير رجل واحد هو على زين العابدين ابن الحسين الذى أعفى من القتل لصغر سنة [١] .

ومكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام ، ثم أنزل فى خزائن السلاح . حتى خلافة سليمان ابن عبد الملك ( ٩٦ - ٩٩ هـ ) . فبعث فى طلبه . فجىء به وقد محل وأصبح عظما أبيض . فطيبه ووضع عليه ثوبا وجعله فى سفط ودفنه فى مقابر المسلمين . فلما تولى الخلافة بعده عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١) بعث الى خازن بيت السلاح يطلب رأس الحسين . فأخبره أن سليمان ابن عبد الملك أخذه وكفنه وصلى عليه ودفنه،فلما قامت دولة العباسيين ( ١٣٢ هـ ) سألوا عن موضع الرأس فنبشوه وأخذوه والله أعلم ماصنع به (خطط المقريزى ج ١ ص ٤٣٠) .

وتحقيق ذلك موضوع آخر . ولكن ننقل ما ذكره على مبارك ( الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٩٨ ) أنه عند العمارة التى أجراها الخديوى اسماعيل فى المسجد والتى انتهت سنة ١٢٩٠ هـ = ١٨٧٣ م ( والمئذنة أقيمت سنة ١٢٩٥ هـ اكتفاء بالمئذنة السابقة الباقية للآن) وجدت بالأساسات مقبيات يرجح أنها قبور الفاطميين بتربة الزعفران ١٠ هـ .

وذكر أن الأفضل شاهنشاه بن أميرالجيوش بدر الجمالى سنة ٤٩١ هـ ( ١٠٩٨ م ) عمر بعسقلان مكانا دارسا فيه رأس الامام الحسين . فلما تكامل بناء المشهد حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وبقى ماشيا الى أن أحله فى مقره . ثم يذكر كثير من المؤرخين أن نقل الرأس الشريف كان فى جمادى

---

[١] ذكر الطبرى فى تاريخ الامم والملوك ج ٦ ص ٢٦٩ أنه استصغر أيضا الحسن وعمرو ولدا الحسن بن على فلم يقتلا .

الآخرة سنة ٥٤٨ [1] الى مقره الحالى . كما أن صلاح الدين بعد أن قضى على الفاطميين وتملك جعل بالمشهد حلقة للتدريس وفقها وكانت الحلقة عند المحراب الذى خلف الضريح . ولو كان هناك شك لما أكرم صلاح الدين المكان وهو الذى حارب الشيعة وحاول القضاء على ذكر الفاطميين . والامام الحسين جدهم .

**أسطورتان :**

ونذكر أسطورتين يرتبطان بالموضوع .

الأسطورة الأولى : ما قيل ان الصالح طلائع بن رزيك كان فى صباه من غلاة الشيعة . وذهب الى النجف بالعراق لزيارة مشهد الامام على بن أبى طالب . وبات هناك مع أصحابه المرافقين له . ورأى امام المشهد فى تلك الليلة الامام عليا فى رؤيا مضمونها أنه قال له ان من ضمن زوار المشهد هذه الليلة رجلا اسمه طلائع من أكبر محبينا . فبلغه أن يذهب الى مصر فقد وليناه أمرها. ففى الصباح نادى على من اسمه طلائع . فجاءه . فبلغه الرؤيا . فسار طلائع الى مصر وترقى فى الوظائف حتى وصل الى ولاية المنيا . ثم الى الوزارة كما سبق ذكره .

والأرجح أن الأسطورة ذكرها طلائع . وروجها أنصاره . لاظهار أن حكمه مقرر بارادة عليا .

والأسطورة الثانية: أن صلاح الدين الأيوبى لما استولى على القصر الشرقى الفطمى بلغه أن أحد خدام الفاطميين يعرف مكان خبيئات من الأموال والجواهر . فسأله فأنكر . فأمر بتعذيبه . وكانت طريقة التعذيب تجريح رأسه جروحا خفيفة . ثم وضع خنافس داخل طاقية من الحديد . ووضع الطاقية على رأسه. وقيل ان هذه أشد وسائل التعذيب ايلاما . ولكن الخادم تحملها دون تأوه . فاندهشوا وكشفوا عن الخنافس فوجدت ميتة . فأحضره صلاح الدين

---

[1] منهم المقريزى ، وابن عبد الظاهر ونلاحظ ان الصالح طلائع لم يتول الوزارة الا فى سنة ٥٤٩هـ بعد مقتل الظاهر . فكأن بناء الجامع ونقل الراس الشريف كانت قبل ذلك .

وسأله عن السر فى هذا . فقال : والله ما سبب هذا الا أنى لما وصلت رأس الامام الحسين حملتها . فقال صلاح الدين وأى سر أعظم من هذا !! وعفا عنه .

ولعل السبب ان صحت الرواية أن الخنافس ماتت من انعدام الهواء .

**قصبة رضوان :**

وجنوبى مسجد الصالح طلائع على يسار الخارج من باب زويلة زاوية معروفة باسم زاوية رضوان بك . ويقابلها فى الجهة الأخرى من الشارع - ولكن فى الداخل بحى القربية - زاوية أخرى لرضوان بك . وهو الذى نسب اليه اسم قصبة رضوان . وهو أحد أمراء المماليك الفقارية ( منذ الفتح العثمانى انقسم المماليك الى قسمين فقارية وقاسمية وكان الفريقان فى منازعات ومعارك مستمرة ) . وتولى امارة الحج عدة سنين . وكان خيرا دينا عمر هذه الجهة . وأنشأ الزاويتين بالقرب من بيته . وتوفى سنة ١٠٦٥ هـ ( ١٦٥٥ م ) .

**الدار القردمية والمدرسة المحمودية :**

وكانت داره تقابل المدرسة المحمودية المعروفة الآن باسم جامع الكردى .

والدار المذكورة كانت معروفة باسم الدار القردمية . بناها الجائى الناصرى أحد أتباع الناصر محمد بن قلاوون . واعتنى فى انشائها حتى أنه أنفق على بوابتها مائة ألف درهم فضة تساوى خمسة آلاف مثقال ذهب . ولم يعش فيها الا قليلا وتوفى . فسكنتها بعد وفاته عائشة خاتون ابنة الناصر محمد بن قلاوون المعروفة بالقردمية . فنسبت اليها وكان يضرب بغناها وثرائها المثل . الا أنها عمرت طويلا . وأسرفت فى الانفاق فى اللهو ، حتى ضاعت أموالها . وأصبحت تعد من المساكين . وماتت سنة ٧٧٨ هـ فى فقر وفاقة . حتى أن مخدتها كانت من ليف .

ثم سكن هذه الدار الأستادار محمود بن على بن أصفر عينه وأنشأ تجاهها مدرسته المذكورة . وتوفى سنة ٧٩٩هـ .

ولم تزل الدار تنتقل بعده بين المالكين حتى رضوان بك . وبعده

انتقلت الى عبد الرحمن بك أحد أمراء المماليك وكان كاشفا ( أى مديرا ) للشرقية • وتصادم مع الوالى العثمانى فهجموا على داره فقتلوه ونهبوا الدار بما فيها حتى سبوا الجوارى والحريم سنة ١١١٣ هـ •

وقال على مبارك أن الدار باقية لوقته • والخطط التوفيقية طبعت سنة ١٣٠٥ هـ ( ١٢٨٨م ) •

**جامع اينال اليوسفى :**

وجنوبى المدرسة المحمودية أو جامع الكردى يوجد جامع اينال اليوسفى • وذكره المقريزى فى المدارس وقال تمت عمارتها سنة ٧٩٥ • ولكن اينال توفى سنة ٧٩٤ قبل اتمامها • فدفن خارج باب النصر حتى تمت • ثم نقل اليها ودفن بها ، واينال المذكور كان فى عهد الظاهر برقوق وكان أتابك العساكر عند وفاته •

**حارة المصامدة وحارة الهلالية :**

وكان انشاء الحارتين ـ السودان واليانسية ـ ضروريا حيث ضاقت القاهرة المعزية بسكانها كما ذكرنا • وأنشأ الحاكم بأمر الله عند النهاية الجنوبية للحارتين المذكورتين على امتداد الشارع الأعظم الباب الجديد السابق ذكره •

ثم اقتضى الأمر انشاء حى آخر خارج الباب الجديد بعد الحارتين المذكورتين •

فأنشئت حارة المصامدة جنوبى اليانسية • ثم حارة الهلالية جنوبى حارة المصامدة • على يسار الخارج من الباب الجديد • ومحلهما الآن حى الجنبكية •

والمصامدة اسم لأحدى طوائف عساكر الفاطميين • وقائدهم عبد الله أبو بكر المصمودى فى وزارة المأمون البطائحى وخلافة الآمر بأحكام الله • واختطت لهم الحارة بعد سنة ٥١٥هـ• ( ١١٢١م ) حين وفدوا على مصر من المغرب خارج الباب الجديد لما وجد أن اليانسية قد ازدحمت ولم يبق بها مكان لسكناهم •

أما الهلالية فالأرجح أنها أيضا احدى الطوائف التى نزحت من المغرب من قبيلة بنى هلال • ويرى المقريزى أن حارتى المصامدة والهلالية شىء واحد •

وحى الجنبكية الحالى نسبة الى مسجد جانى بك الموجود بالشارع على

يسار الخارج من الباب الجديد . وجانبك المذكور كان من كبار أمراء دولة الأشراف برسباى . ووصل الى وظيفة دوادار . وتوفى سنة ٨٣١هـ.

وبعد الجنبكية توجد حارة الدالى حسين . والاسم لسكن حسين باشا الدالى الوالى على مصر من ١٠٤٧ - ١٠٥٠ هـ . ثم تقلب فى مناصب الدولة العثمانية حتى كاد يصل الى مركز الصدارة العظمى أى رئاسة الوزراء . ولكن نسبت اليه الخيانة والاهمال وأعدم سنة ١٠٧٢ هـ .

وعند ماصرح للمصامدة بالحارة المذكورة صدرت الأوامر بعدم البناء مقابلها ليظل الفراغ بينها وبين بركة ا لفيل التى تغطى مساحة كبيرة نعرفها بمفهوم أسماء الوقت الحاضر جنوبى باب الخلق وجنوبى الحبانية وأغلب حى الحلمية . وسنتكلم عنها فى مقال لاحق باذن الله .

**حارة المنتجبية وحارة حلب :**

ويظهر أن هذه الأوامر لم تحترم. فقد أنشئت حارة المنتجبية جنوبى حارة السودان ومقابل المصامدة والهلالية . ثم أنشئت حارة حلب جنوبى المنتجبية .

والمنتجبية كما قيل نسبة الى شخص كان اسمه منتجب الدولة . ومحل حارة المنتجبية الآن الحى المعروف بالداودية .

أما حارة حلب فموقعها جنوبى جامع قوصون بشارع القلعة ( محمد على سابقا ) . وقد ضاع جزء كبير من حارة حلب فى شارع محمد على عند فتحه فى عهد الخديوى اسماعيل .

**حوض بن هنس :**

ثم استجد حى آخر بالقرب من حارة حلب عرف باسم حوض ابن هنس . لوجود حوض به لسقى الدواب . وينقل الماء اليه من بئر . وقد أنشأ الحوض المذكور الأمير سعد الدين مسعود بن بدر الدين بن هنس. وكان مسعود أحد الحجاب فى أيام الصالح نجم الدين أيوب . وتوفى ودفن بجوار الحوض المذكور سنة ٦٤٧ هـ . وجده هنس كان أمير جاندار [١] للعزيز عثمان بن صلاح الدين وتوفى سنة ٥٩١ هـ .

(١) جاندار هو الذى يستأذن للأمراء وغيرهم فى المواكب عند جلوس السلطان بدار العدل بالقلعة . واللفظ مركب من كلمتين جان بمعنى الروح ودار بمعنى ممسك .

وتعطل هذا الحوض فأصلحه الأمير ططر سنة ٨٢١ هـ أيام السلطان المؤيد • وططر هو الذى تولى السلطنة فيما بعد سنة ٨٢٤ باسم ططر • ومكث شهورا فى الحكم ثم توفى مسموما من زوجته •

ويوجد داخل عطفة مراد بك – وهى عطفة تصل بين شارعى القلعة وعلى باشا ابراهيم بحى الحلمية – قبر تسميه العامة بالشيخ الأربعين • ويرجح على مبارك أنه قبر ابن هنس المذكور • وكان بحى الحلمية شارع اسمه شارع ابن هنس ثم عدل اسمه الى شارع أحمد باشا تيمور ( ١٨٧١– ١٩٣٠ ) تخليدا لذكراه رحمه الله •

وسنتكلم عن حى الحلمية فى مقال لاحق باذن الله •

**مصلى الأموات وجامع جانم وحى اليكنية :**

وكان جنوبى حارة الهلالية مصلى للأموات • ثم زحفت عليها المبانى والمساكن • فأنشأ جانم جامعه المذكور على يسار الشارع بالنسبة للخارج من الباب الجديد سنة ٨٨٣ • وجانم المذكور هو ابن خالة يشبك بن مهدى الدوادار المنسوب الى قبته اسم حى القبة بالقرب من المطرية •

والحى خلف جامع جانم يعرف بحى اليكنية نسبة الى منزل أحمد باشا يكن كان هناك • وينتهى حى اليكنية الى عطفة الدود لحمام هناك •

**حمام الدود :**

بشارع القلعة مقابل مدخل الحلمية الجديدة • نسبة الى الأمير سيف الدين الدود كان جاشناكير ( أى من يتصدى لتذوق الطعام أو الشراب قبل السلطان خوفا من أن يكون مسموما وهى من الوظائف الكبرى ) فى دولة المعز أيبك التركمانى • وخال ابنه المنصور بن المعز فلما خلع قطز المنصور بن المعز قبض على الدود واعتقله سنة ٦٥٧ هـ •

وهذا الحمام باق للآن للرجال والنساء •

**الداودية والقربية :**

وقد تردد ذكر حى القربية وحى الداودية • وذكرنا أن حى القربية من حقوق حارة السودان القديمة • وأن الداودية من حقوق حارة المنتجبية التى أنشئت جنوبى حارة السودان •

واسم القربية واضح أنه من صناعة وتجارة القرب • أما الداودية فأرجح

أنها نسبة الى داود باشا الوالى على مصر سنة ٩٤٥ - ٩٥٦ هـ .

وكان محل الداودية قديما اسمه درب الفواخير وكانت بها المدابغ القديمة قبل نقلها الى جهة باب اللوق بالقرب من شارع شريف باشا الذى كان اسمه شارع المدابغ . ثم نقلت المدابغ الى محلها الحالى بأرض المذبح والسلخانة وكان طبيعيا أن تكون صناعة القرب الجلدية بحى القربية بجوار المدابغ القديمة .

**داود باشا الخصى وشيخ الجامع الأزهر :**

وداود باشا الوالى المذكور كان خصيا من عبيد السلطان العثمانى سليمان القانونى . وتصدى له مرة الشيخ أحمد بن عبد الحق شيخ الأزهر . وقال له : أنت لا تصلح للحكم وأنت تحت الرق . ومادمت غير معتوق فالأحكام باطلة . فهم الوالى باعدامه . ولكن منعه الجند وتعصبوا للشيخ . وبلغ الأمر السلطنة فأرسلت للوالى ورقة بعتقه . مع الشكر لشيخ الاسلام ( الذى لم يكن له مرتبات فى دفاتر الحكومة حينذاك . والذى لم يقبل أى هبة أو هدية من الوالى ) . ومع التشديد على الوالى بحسن السير مع الرعية والاستعانة بالعلماء فى الحكم حسب الشريعة الاسلامية (تقويم النيل ج ٢ ص ١٩)

ومن هذا الخبر يتبين أن منصب شيخ الجامع الأزهر أقدم مما ذكره الجبرتى فى تاريخه الذى بدأ سلسلة شيوخ الأزهر بالشيخ محمد عبد الله الخرشى المتوفى سنة ١١٠١ هـ .

هذا وصف مجمل للأحياء من باب زويلة حتى تقاطع الشارع الأعظم مع شارع القلعة ( محمد على سابقا ) عند حى الحلمية وتوجد بالشارع زوايا وآثار أخرى ولكن اكتفينا بما ذكر لعدم الاطالة .

وقد ذكرنا أسماء الخيامية والمغربلين والسروجية من أجزاء هذا الشارع . وصناعة الخيم لا تزال باقية للآن فى مكانها العتيق . ويصنع بها صواوين المآتم والأفراح . ولكن لا يوجد بالشارع أثر لصناعة الغرابيل أو السروج .

**محمد كمال السيد محمد المحامى**

# الآداب العربية فى شبه القارة الهندية

للدكتور زبيد أحمد

تحقيق وتعليق الدكتور عبد المقصود محمد شلقامى

## مقدمة المترجم

نجح العرب فى تكوين جاليات عربية على شواطىء الهند الغربية قبل الفتح العربى الاسلامى كنتيجة لنشاطهم التجارى مع الهند وبلاد المشرق قبل الاسلام ومعه (١) ؛ وقد كان من الطبيعى أن ينقل التجار العرب الى عملائهم الهنود أخبارالدين الجديد،ويشرحوا لهم مبادئه وأهدافه خاصة فى المعاملات التجارية والاقتصاد مما كان له أكبر الأثر فى تهيئة العقلية الهندية لقبول الاسلام حتى اذا ما جاء محمد بن القاسم لفتح بلاد السند ٧١١/٩٢ رحب به أهلها ودخلوا فى الاسلام أفواجا وتأثروا بالعرب الفاتحين فقلدوهم فى لباسهم وعاداتهم وأقبلوا علىالثقافة العربية فى شوق وحماس (٢) كما أن كثيرا من الخوارج والشيعة العرب قد هاجروا الى بلاد الهند واستوطنوها فرارا من وجه الخلافة ـ أموية كانت أو عباسية ـ ومن المنطقى أنه كان لهم نشاط فى لغتهم الأم ولكن مما يؤسف له أنه لم يعثر على شىء من ذلك حتى الآن .

واذا كانت الأندلس قد فتحت فى نفس العام الذى فتحت فيه الهند وأسهمت الأولى بانتاجها الفكرى فى بناء الحضارة والثقافةالعربية الاسلامية فانه مما لاشك فيه أن الهند أيضا قد أسهمت ـ ومازالت ـ بانتاج فى ذلك التراث ؟ ومن العجيب حقا أن ينقب العرب الآن عن تراثهم فى المشرق والمغرب ثم يغفلوا عن جانب له أثر

---

(١) مراجع تحفة المجاهدين لزين الدين ص ١٣ ، ١٤ ، ١٥ طبعة حيدر أباد الركن سنة ١٩٣١

(٢) انظر : تاريخ ادبيات مسلمانان فى باكستان وهند ص ٣٦ طبعة لاهور .

كبير - لو أزيح عنه الستار - في تاريخهم الفكري . ولو أن ابن القاسم ومن بعده أتموا فتح بلاد الهند كما حدث في الأندلس لتغير وجه التاريخ ولكنهم لأسباب ما زال معظمها في رأينا غير معرفة انحسروا في دائرة السند وملتان والمنصورة .

تتابعت على فتح بلاد الهند دول اسلامية غير عربية كالدولة الغزنوية والغورية والخلجية وأخيرا المغولية فأخضعت سائر بلاد شبه القارة الهندية وحكمتها باسم الاسلام حتى سنة ١٢٧٤ / ١٨٥٧ حيث نفى الانجليز الامبراطور « بهادور شاه » آخر ملك مغولي وقبضوا على السلطة رسميا في الهند فكان ذلك نهاية الحكم الاسلامي فيها .

وبالرغم من أن العربية لم تكن لغة هؤلاء الفاتحين فانها قد بقيت وعاشت في بلاد الهند لاعتبارات منها أنها لغة الدين والبحث العلمي وأن جميع هؤلاء الفاتحين باسم الاسلام لم يتخذوا منها موقفا عدائيا . واذا كان التأليف العربي قد بدأ في الهند متأخرا عنه في الوطن العربي فانه قد تدرج من المحاكاة والتقليد حتى وصل الى الأصالة والابتكار . فالشاه ولي الله الدهلوي ١١٧٦/١٧٦٢ ، والسيد محمد مرتضى الزبيدي ١٢٠٥/١٧٩١ صاحب « تاج العروس » ، « اتحاف السادة المتقين » وهما من رجال الهند كان لهما تأثير كبير في توجيه الفكر العربي الاسلامي المعاصر ، وقد أنجبت الهند كثيرا من أمثالهما في الفروع المختلفة كالتفسير والحديث والفقه والتصوف والعقائد والطب والهندسة والرياضة والتاريخ وعلوم اللغة العربية وآدابها ، ولم تعرف الهند عهدا أو أعظم من العهد الاسلامي . ولعل ذلك يتضح مما جاء في المراجع من أن سفير بريطانيا « هوكينز » ظل سنتين ينتظر مقابلة الامبراطور المغولي « جهانكير » ١٠٣٧/١٦٢٧ دون جدوى حتى قال له أحد وزراء الامبراطور : انه لا يليق بملك مغولي عظيم أن يقابل مندوب ملك جزيرة يسكنها صيادون بائسون (١) .

---

(١) ملخصا من : حضارات الهند - ترجمة عادل زعيتر - ص ٢٤٢ الطبعة الأولى .

وإذا كانت الهند بهذا المستوى الحضارى فأين ذهب تراثها العربى ؟ ولماذا لم يعرف العرب عنه شيئا ذا بال ؟ والواقع أن بعضا من هذا التراث قد هاجر أو هجر الى أوربا وبالأخص الى بريطانيا التى أقامت مكتبة مستقلة لتراث الهند بالاضافة الى مكتباتها الأخرى وهذه المكتبة تحت اسم « المكتب الهندى » India office • ولست أدرى ألحسن الحظ أم لسوئه بقى معظم التراث العربى الهندى فى مكتبات الهند مثل المكتبة الآصفية وبانكيبور ورامبور والندوة وغيرها ، ومما يدعو للأسف أن بالهند عددا لا يستهان به من المكتبات الخاصة التى يتشبث بها أصحابها ولا يريدون أن يسلموها الى دولة ترعاها أو هيئة تقوم عليها ويتركونها فى حوزتهم نهبا للأرضة وعوامل التعرية مما يؤدى بها الى التلف لامحالة، وأذكر من ذلك مكتبة الأستاذ أحمد حسين قلعدارى بكجرات البنجاب التى ورثها عن والده ، ومكتبة مجددية خانقاه بحيدر آباد السند وكثيرا من الزوايا والأضرحة والتكايا مما لا يعرفه الا من عاش فى تلك البلاد وشارك أهلها الفكر والبحث ، والأدهى من ذلك أن هذه المكتبات الخاصة بل وبعض المكتبات العامة لم يوضع لها فهرس حتى الآن أو أن فهرستها توقفت دون النهاية لسبب أو لغيره •

وبالنسبة الى السؤال الثانى• يقول الأستاذ عبد الحى الحسنى فى مقدمته لنزهة الخواطر : ان هذه البلاد ـ يقصد الهند ـ العامرة بالرجال لم تنل من عناية المؤرخين العرب ما كانت تستحقه ولم تشغل من كتبهم ومؤلفاتهم المكان اللائق ؟ وما ذلك الا لبعد الديار وحيلولة البحار وانقطاع الأخبار وفوق ذلك كله كون كتب الأخبار وتراجم الرجال فى اللغة الفارسية التى يجهلها المؤلفون من العرب • واذا كنا لا نوافق مولانا عبد الحى فى كل ماذكره فاننا نرى أنه قد أصاب فى جعله التغاير فى اللغة فوق كل الأسباب؛ اذ أن التراث العربى فى الهند وأعمال العلماء تقوم عليه أو قل على تخزينه أيدو عقول غير عربية ـ الا من ندر ـ لا تعرف ما هو ولاتقدر مافيه ولا كيف تستفيد به وبالتالى فلا تحسن عرضه ولاتهتبل الفرصة ان أتيحت •

لقد عملت فى تلك البلاد أربع سنوات متواصلة كأستاذ زائر فى جامعة البنجاب ، وكنت أنتهز الفرص لأجوب أرجاء شبه القارة فعايشت هذا التراث عن كثب ، وتألمت كثيرا لعدم معرفة مخطوطاته طريقها الى المطابع بل لا أعلم فى العربية كتابا واحدا تناول هذا التراث بالبحث والدراسة والتعريف ، وقد بدأت بنفسى رغم الصعوبات فقمت بعملين فى هذا المجال لعلى ألقى بعض الضوء أولهما : شعر غلام على آزاد البلكرامى فى العربية ، تناولت فيه شعر واحد من الهنود ـ ولد وعاش ومات فى الهند ـ بالنقد والمقارنة والتقويم ذاكرا ما أضافه من جديد الى فن الشعر العربى وعلوم العربية الأخرى مما هو مبسوط فى البحث الذى لما يزل مخطوطا ، وثانيهما جمع الحديث بطرق ومناهج أخرى .

وفى فصل الفقه لا يغض الطرف عن الاشادة بما أسهمت به الهند مثل « الفتاوى العالمكيرية » المعروفة فى مصر باسم «الفتاوى الهندية» وغيرها .

وتكلم فى فصل التصوف عن الكتب العربية الهندية فى الروحانية والالهام والأخلاق والسلوك والشعر الصوفى ومشروعية سماع الموسيقى وما الى ذلك .

وفى العقائد يذكر أن الهند قامت بشروح على أمهات الكتب وساهمت بأوفى نصيب فى وضع المتون وكتب الجدل الطائفى ، وهكذا يوضح كيف أسهمت الهند فى الفصول الأخرى كالفلسفة والرياضيات، والفلك والطب والتاريخ وعلوم العربية وأدبها شعرا ونثرا مركزا على ما هو جديد مبتكر كما أنه يهتم كثيرا بابراز ناحيتين أولاهما : مراكز التعليم فى الهند من حيث تاريخ ظهورها وعوامل نهضتها ، وثانيهما : المخطوطات التى لها أهمية خاصة .

أما الجزء الثانى من الكتاب فهو احصاء للكتب والمخطوطات العربية التى أنتجتها الهند فى العلوم المختلفة حتى ١٨٥٧/١٢٧٣ . وقد قسمه باعتبار الموضوعات الى أحد عشر فصلا رتب فى كل منها المؤلفين ترتيبا زمنيا بحسب وفاتهم أو العصور التى عاشوا فيها مع ترجمة قصيرة لكل مؤلف عند ذكر أول عمل له ثم يصنف الكتب له أو المخطوطات فى

كل موضوع تحت عناوين ثلاثة أ ، ب ، ج فتحت عنوان (أ) يذكر الكتب المطبوعة مع اشارات بالأرقام الى المكتبات التى توجد بها مخطوطات هذه الكتب ، وتحت عنوان (ب) يورد المخطوطات التى لم تطبع - حتى عصر طباعة هذا الكتاب - والمكتبات الموجودة فيها ورقم كل نسخة ، وتحت عنوان (ج) الكتب أو المخطوطات التى وصل الينا أو الى المؤلف ذكرها لكن لا يعلم وجود نسخ منها مع النص على المراجع التى ذكرتها •

واقتضاب مخل : وأغلب الظن أنه لم يتح له أن يتعرف الا على النذر اليسير من هذا الانتاج الضخم ، الأمر الذى دعا الدكتور زبيد أحمد أن يكمل فى هذا الجزء من الكتاب ما أهمله بروكلمان • ولا ينكر مؤلفنا أنه استفاد مما ذكره بروكلمان عن الانتاج العربى الهندى غير أنه قد أتاحت له لغة الأم ووطنه كذلك أن يعتمد على مراجع وفهارس أرديه محلية ومعلومات شخصية وبيئية لم تتيسر لبروكلمان •

وقد يتساءل البعض : ماذا فعل الدكتور زبيد أحمد أكثر مما فعله بروكلمان فى تاريخه المشهور ؟ • والواقع أن بروكلمان لما يزل قمة فى هذا المضمار لكنه بعد أن نشر كتابه « تاريخ الأدب العربى » سنة ١٨٩٨ م أحس بأنه لم يستوعب كل ما كتب أو نشر من الكتب العربية مماحدا به الى أن يصدر ملحقين لهذا الكتاب سنة ١٩٣٧ كل واحد منهما يزيد حجمه عن الكتاب الأصلى ورغم ذلك فلا يمكن أن توصف أعمال بروكلمان على ضخامتها بالشمول والاحصاء الدقيق، فمثلا ذكر ما أنتجه الهند بالعربية فى اختصار شديد

«الآدب العربية فى شبه القارة الهندية الذى نتكلم عنه بالتفصيل بعد قليل ، ولما عدت الى بلادى - مصر - عرضت العملين على الأوساط المعنية، فأظهرت جميعها أهميتها للمكتبة العربية • وقد يثور فى النفس سؤال : اذا كان فى هذا التراث غناء فلماذا لاتهتم الجماعات والهيئات والحكومات الاسلامية فى شبه القارة بطبعه واخراجه والقيام عليه ؟ • وليست الاجابة بعيدة عن المنال لأننا جميعا نعرف الفقر والحاجة التى تعانى منها تلك الجماعات والهيئات والدول ، هذا بالاضافة الى أن قراء العربية فى شبه القارة أصبحوا فى حكم النادر ، الأمر الذى يجعل نشر كتاب

بالعربية فيها محكوما عليه سلفا بالكساد وليس هناك من أمل سوى أن تأخذ بعض الحكومات العربية أوجامعة الدول العربية ، أو هيئة اليونسكو على عاتقها هذا العبء الضخم غير أننا نفضل أن تتضافر جهود هذه المنظمات والهيئات والدول جميعا وتتعاون فى ذلك الكشف العلمى الذى لا يقل أهمية عن البترول •

وقد رأيت فى كتاب
The Contrileution of india to literature
لصاحبه الدكتور زبيد أحمد فكرة واضحة عن التراث العربى فى شبه القارة الهندية فقمت بترجمته تحت اسم « الآداب العربية فى شبه القارة الهندية » دون أى تكليف الا من ايمانى وحرصى على اثراء المجال الذى أنتسب أنا اليه •

والمؤلف هندى الأصل والموطن عمل أستاذا للأدب العربى والفارسى فى جامعة « الله آباد » وقد حصل بهذا الكتاب على درجة الدكتوراه من جامعة لندن سنة ١٩٢٩ ولما رجع الى بلاده أضاف اليه وعدل فيه ثم قدم له المستشرق البريطانى « جب » وطبع للمرة الأولى سنة ١٩٤٦بجالندر بالهند ثم أعيد طبعه فى لاهور سنة ١٩٦٧، وفى لاهور أيضا طبع مترجما الى اللغة الأردية سنة ١٩٧٣

ويتناول الكتاب موضوع اسهام الهند فى الآداب العربية منذ القدم حتى سقوط دولة المغول ١٢٧٣/ ١٨٥٧ واستيلاء الانجليز رسميا على مقاليد السلطة فى الهند ، ومن ثم فان كل كتاب عربى ألفه هندى أو من يمت الى الهند بسبب من أصل أو سكن يقع فى مجال بحث هذا الكتاب، ويقصد بالهند فى كل تعبيراته البلاد التى يشملها اسم شبه القارة الهندية ويستفاد من الكتاب أن المؤلف معجب بالانجليز وأنظمتهم التى يمتدحها فى اسم شركة الهند الشرقية • كما يصف الثورة الهندية الكبرى ١٨٥٧/١٢٧٣ التى قادها الامبراطور بهادور شاه ضد الانجليز بأنها تمرد • وشتان بين الثورة والتمرد •

والكتاب جزءان يؤرخ فى الأول منهما للتأثير الفكرى المتبادل بين العرب والهنود منذ القدم ثم يفرد فصلا لعلوم القرآن يوضح فيه سير حركة التفسير،ودخول الهند فى هذا المجال وقيمة اسهامها فيه • وهويركز فى هذا الفصل وفى غيره على الكتب التى تحمل طابع العقلية الهندية مثل تفسير « سواطع الالهام » وكتاب « موارد الكلم » لأبى الفيض وتفسير « جب شغب » لعبد الأحدين امام الاله آبادى وغيرهما مما هو مبسوط فى ثنايا الكتاب •

ثم ذكر فى الفصل الثانى أن الهنود أسهموا فى علوم الحديث فقاموا بجموع على طرق سابقة ، وأيضا أعادوا •

ومما يؤخذ على المؤلف عموما أنه تكلم باقتضاب عن بعض الشخصيات والأعمال بل وأغفل منها كما أورد أحيانا معلومات غير صحيحة قمنا بالتعليق عليها أثناء الترجمة وأثبتناها بالهامش ، ونظرا لأن المؤلف كان قد استشهد بأعمال عربية كثيرة مترجما ما أخذه منها الى الانجليزية فقد كان الأجدر بنا أن نرجع الى النص العربى نأخذه من أصوله لكننا لم نستطع أن نحصل على كل المراجع العربية فأخذنا ما تيسر لنا من أصوله وترجمنا عن الانجليزية ما لم نستطع أن نحصل على أصله العربى ونرجو أن يكون ـ بصفة عامة ـ مشابها للنص العربى فى مضمونه ان لم يكنه •

وقد ترجم هذا الكتاب الى الأردية الأستاذ شاهد حسين رزاقى وطبع على نفقة ادارة الثقافة الاسلامية بلاهور ١٩٧٣ ، وقد قرأنا هذه الترجمة وانتفعنا بها غير أنها فى الواقع ترجمة غير واعية لما يلى :

أولا : عدم الدقة كما فى ص ٤٠ ( النسخة الأردية ) حيث يقول ما ترجمته : انأبا حفص ربيع هاجر فى آخر عمره ١٦٠٠/٧٧٦ الى بلاد السند والصحيح كما فى الأصل الانجليزى أنه هاجر فى أخريات عمره الى بلاد السند ومات بها سنة ١٦٠/٧٧٦ كما أنه أحيانا يضم الهامش الى المتن كما فى ص ١١٩ عند ذكر عصمة الله السهارنبورى •

ثانيا : مترجم الأردية لا يعرف العربية مما جعله يترجم ، مثلا كلمة

Asad بأسعد وبالعكس كما يترجم أخبار النحاة الى أخبار النهاة وكلمة Sahaba الى سحابه والعكس فلا يستطيع أن يفهم المراد •

ثالثا : اهمال ترجمة بعض الفقرات كما فى ص ٣٦ حيث أهمل قول البيرونى عن الأرقام الهندية ووصولها الى الغرب عبر العرب ، وأيضا أهمل ذكر محمد أحسن البشاورى وكان يجب أن يكون الشخصية رقم ٧ فى آخر الفصل الرابع من الجزء الثانى ( انظر ص ٣٥٣ ثم قارن بينها وبين الأصل الانجليزى ص ٣٩٤

رابعا : متابعة النسخة الانجليزية حتى فى الأخطاء المطبعية ( انظر وفاة الشاه عبد العزيزالدهلوى بالانجليزية ص ١١١ والأردية ص ١٢٦ تجدها سنة ١١٣٩/١٧٢٦وهوخطأ والصحيح ١٢٣٩/١٨٢٣ بل أحيانا تحيل الانجليزية فى الهامش الى بعض الصفحات بأرقام معينة فيأتى مترجم الأردية ليذكر هذه الاحالة بأرقامها ناسيا أن صفحته الأردية سوف تغاير الانجليزية ( انظر ص ٣١٩ والأردية ص ٢٩٩ ) •

ومجمل القول أن الترجمة الأردية مملوءة بالأخطاء ، وكان السيد م • ميرزا قد أشار الى طرف ضئيل منها فى تعليقه على هذه الترجمة الأردية بصحيفةباكستان‌تايم Pokistam time

اليومية الصادرة فى لاهور بتاريخ ١٩٧٤/٧/٢١ ، ولما جمعتنى بالمترجم الأستاذ رزاقى احدى‌الجلسات ذكرت له بعض الأخطاء فاعترف بها فى شجاعة ثم رجانى أن أكتب تقريرا مفصلا عنها •

وانى‌لعلى ثقة ـ وان كنت لا أدعى الكمال ـ فى أن ترجمة هذا الكتاب الى‌العربية ـ وهو الوحيد من نوعه ـ سوف تضيف الى المكتبة العربية كتابا طال شوقها اليه يفيد القراء ويعين الباحثين من العرب ويجيب على تساؤلاتهم عن دور الهند فى تاريخ الفكر العربى الاسلامى ، ويلبى حاجة المحققين فى مجال التراث العربى خارج الوطن العربى •

والله نسأل أن ينفع به ويثيب عليه ويهدينا سواء السبيل ؟

**دكتور عبد المقصود محمد شلقامى**

# هموم المسلمين وفوائد الديون المصرفية

للأستاذ السيد أحمد صالح

نشرت صفحة الفكر الدينى بجريدة الأهرام الصادرة يوم الجمعة ٦ يونية ١٩٧٥ مقالا للأستاذ فتحى رضوان تحت العنوان عاليه محاولا التماس حل لمشروعية الأرباح عند التعامل مع البنوك وصناديق التوفير ايداعا أو اقتراضا للخروج بالمسلمين من الهموم الثقيلة التى يرى أنهم يرزحون تحتها عند احتكاكهم بالأنشطة الاقتصادية .

وكان من شدة اهتمامه بالتماس الحل أن جمح قلمه وخانته التعبيرات بما جعل لزاما عليه أن يسترجع ويستغفر ربه بل ويجدد ايمانه بالله تعالى .

فقد بدأ مقاله « بأن المسلمين يرون أنفسهم حيارى بين أمرين أحلاهما مر .. فاما أن يلتزموا بما يعرفون أنه دينهم الحق فيسبقهم الآخرون الى جمع المال واحسان تصريفه واستثماره وتحقيق القوة من ورائه ثم الوصول الى المنعة والسيادة والتفوق » .

وهو تعبير صريح بأن التزام الدين الحق لا بد وان يؤدى الى الذلة والحقارة والتخلف .

ثم يبين لهم الحل للعزة فيقول « واما أن يدعوا أحكام هذا الدين » ويخفف عنهم قسوة هذا القول فيضيف «بتأويل يتأولونه على مضض» ثم يستمر فيقول « أو أن يغمضوا العين عما يضطرون اليه » وحتى ييسر لهم ما يقول يضيف كلمة «كارهين» .

وهو يستشعر أن ما قدمه من مبررات « المضض والكراهية » قد لا يستسيغه بعض المسلمين فيعمد الى كتاب الله تبارك وتعالى يحاول التماس

آية كريمة يستعين بها فيقول : عملا بالقاعدة الشرعية «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » •

ومن عجب أن يقول سيادته ذلك وهو الذى كان اذا حدثنا عن أهل الكتاب يذكرهم بقول الله تبارك وتعالى :

«ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم •••» آية ٦٦ سورة المائدة وكان يترنم بقول الحق سبحانه :

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ••• » آية ٩٦ سورة الأعراف •

وكثيرا ما كان يحث على العمل الصالح مستشهدا بقول الحق تعالى :

« والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة •••» آية ٤١ سورة النحل •

ثم يتبع ذلك بقول رب العزة :

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ••• » آية ٩٧ سورة النحل •

وكم كان جميلا حين تسمعه وقد انفعل مذكرا ايانا بوعد المولى سبحانه:

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ••• » آية ٥٥ سورة النور •

أما عندما كان يحيينا فى الاستغفار فلم يكن أحلى لديه من قول الله تعالى :

« فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا • يرسل السماء عليكم مدرارا• ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » آيات ١٠ - ١٢ سورة الجن •

وكان اذا أراد تخويفنا تلا على مسامعنا قول الحق سبحانه :

« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ••• » آية ١٢٤ سورة طه •

يتناسى سيادته ذلك كله وعشرات من الآيات الكريمة التى تؤكد أن التزام الدين الحق هو الطريق الوحيد الى المنعة والسيادة والتفوق •

وهو يتستر وراء الآية الكريمة « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » يعلم يقينا سبب نزولها وعموم دلالتها ومتى وأين يجوز الاستشهاد بها فهى لا تحل حراما ، وأرجو أن أذكره أنه كان يبين لنا معناها العريض بقوله أنه ما عرض حلين لقضية على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما .

وعندما أراد أن يتصدى لصميم المشكلة وهو محاولته تحليل الربا أكد نفس المعنى بأسلوب آخر فقال «ولقد حاول المصريون منذ نصف قرن مواجهة هذا المأزق والخروج منه برأى يوفق بين اصلاح حال المسلمين واقامة دينهم » .

وهذا تعبير قاطع بأن هناك تعارضا مؤكدا بين اصلاح حال المسلمين واقامة الدين ويستلزم الأمر جهدا فكريا للخروج من هذا المأزق .

وقد وجد الحل فى كلام للشيخ عبد العزيز جاويش فقال :

« نظمت دار العلوم فى ناديها سنة ١٩٠٨ سلسلة من المحاضرات لكبار خريجيها فكان منهم الشيخ عبد العزيز جاويش الذى لم يجد صعوبة مطلقا فى الجهر بأن الربا نوعان : ربا النسيئة وهو الذى يتقاضى فيه الناس ضعف الدين أو أكثر مقابل ارجاء سداده ، وهو الربا الذى عناه القرآن فى قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » فهذا ربا منهى عنه ولايجوز لمسلم أن يتعاطاه لا أداء ولا اقتضاء . أما ربا الفضل فهو الفائدة التى تكون دون أصل الدين بكثير وهو مايسميه الامام « ابن القيم » الربا الخفى فلا يحرم ويجوز تعاطيه ولاسيما اذا حقق مصلحة للمسلمين .

وايمانا من الكاتب بمجافاة هذا الكلام للشريعة الاسلامية فقد انساق القلم رغما عنه فعبر عن رأى الشيخ جاويش بقوله « الذى لم يجد صعوبة فى الجهر » أى أنه كلام مردود مقدما .

ونحن لا شك مع العقل الباطن للأستاذ فتحى رضوان الذى يرفض كلام الشيخ عبد العزيز جاويش لأنه مخالف لصريح القرآن الكريم والأحاديث النبوية المتواترة وفتاوى أئمة المسلمين من السلف والخلف .

بل يبدو أنه تحت ضغط الضمير العلمى وهو يحاول أن يقدم كلام الشيخ جاويش كحل للمشكلة التى تؤرقه يضطر أن يضيف ما يهدم الحل فيقول « وتكلم كثيرون فى الموضوع ولم ينته المصريون الى حل، فلما انعقد المؤتمر المصرى سنة١٩١٢ كان من بين موضوعاته «فوائد الديون المصرفية وصناديق التوفير وأسهم الشركات » وبقيت المشكلة تهدأ وتثور ولا تنتهى الى رأى حاسم » .

ولكن الحقيقة أن المصريين المسلمين انتهوا الى رأى حاسم وهو حرمة فوائد الديون المصرفية وصناديق التوفير مهما ضؤلت والى حل أرباح أسهم الشركات ؛ اذ أن الأسهم تشارك مع كافة عناصر رأس المال فى الأرباح والخسائر بنسبة كل منها الى جملة رأس المال .

أما الذين لم ينتهوا ولن ينتهوا الى رأى حاسم فهم الذين يحاولون أن يلتووا بالآراء ليضاهئوا رأى الذين كفروا .

ولنستلهم الرأى الحاسم السديد فى أمر الربا من كتاب الله تبارك وتعالى ففى سورة البقرة ابتداء من الآية ٢٧٥ يقول الحق سبحانه :

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » وهذا تقريع شديد لآكل الربا بصفة عامة .

ثم نستمر فى التلاوة : « ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا .. وأحل الله البيع وحرم الربا » وهنا معاملتان ماليتان متقابلتان : أحل الله أحدهما ( البيع ) لصالحيتها للنفوس البشرية ، وحرم الأخرى لمجافاتها للنفوس البشرية ولما تثيره من حقد وبغضاء فى المجتمع .

ثم نستمر فى التلاوة : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله » وهذا نص رحيم من الله تبارك وتعالى بالعفو عما تم أكله من ربا قبل هذا التحريم ومن ثم فليس من حقه شىء بعد ذلك .

ثم نستمر « ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » وهنا تحذير شديد من العودة لهذا المنكر الخبيث « أكل الربا اطلاقا » .

ثم نستمر « يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم » وهنا يمحق الله الربا كله بكافة أنواعه ويصف آكله بالكفر الشديد » .

ثم نستمر « ان الذين آمنو وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وهنا تتجلى حكمة المولى تبارك وتعالى فيبرز فى هذا الموقف بجلاء ووضوح صفة المؤمنين الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون لتكون صورة ناصعة البياض فى مواجهة النفوس الضعيفة التى لا يحبها الله تعالى .

ثم نستمر « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » وهذا أمر صريح بوجوب التنازل عن كل فائدة سواء كانت كبيرة أو صغيرة بعد أن عفا الحليم الكريم عما سبق أكله من الربا قبل التحريم .

ثم نستمر : « فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » وأعتقد أنه ليس هناك تحذير أقسى من التعرض لحرب الله ذى العزة والجبروت ورسوله عليه الصلاة والسلام .

ثم تختتم الآية بهذا النص القاطع « وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » وهنا قطع رب العزة خط الرجعة وسد الطريق على كل من يحاول أن يستلهم عقله القاصر فى مسألة هى من حق الله تعالى حتى ولو خيل له أنه يعمل لما فيه مصلحة المجتمع وصدق الله تعالى «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

هذا حكم الله تبارك وتعالى فى فوائد الديون المصرفية وصناديق التوفير سواء أكانت الفوائد أقل من الدين بكثير أو أكثر ، والمسلمون ليسوا فى حاجة بعد ذلك لرأى أى انسان مهما ادعى الفلسفة أو العلم .

أم أنه والشيخ جاويش يريان أن الله سبحانه عند انزاله الآيات السابقة من سورة البقرة لم يجد كلمة « أضعافا مضاعفة » ولما اكتشفها أنزلها فى آية سورة آل عمران « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » تعالى الله عن ذلك

علوا كبيرا ••• انه توبيخ وتقريع وتشهير بما كانوا يفعلونه من سيء الخصال واستغلال لبعضهم البعض •

أم أنهما يظنان أن آية آل عمران قد نسخت آية البقرة بوصفها وردت في القرآن الكريم تالية لها في الترتيب ••• فأرجو أن يعلما أن آية الربا في سورة البقرة هي من أواخر ما نزل من آيات الذكر الحكيم •

وما القول في آية الربا في سورة النساء وهي تالية في ترتيب المصحف لسورة آل عمران حيث يقول الحق تبارك وتعالى موبخا اليهود :

« فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما » وفيها نهي عن أكل الربا عامة •

وفي آية الربا في سورة الروم وهي أيضا تالية في ترتيب المصحف لسورة آل عمران وفيها يقول الحق سبحانه : « وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله ••• وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » •

أعتقد أن الحكمة قد تنورت الآن ••• ومع ذلك فلم يرد بالقرآن الكريم ما يفيد من قريب أو بعيد أن اليهود تعاطوا الربا أضعافا مضاعفة بل ان النهي انصب على الربا عامة ومع هذا نجد أن اليهود يحرمون التعامل بالربا بين بعضهم البعض ويحللونه بينهم وبين غيرهم •

بل ان أقساهم قلبا لم تصل نسبة الربا في تعامله مع الغير الى مائة في المائة ولا حتى خمسين في المائة ولا عشرين في المائة في السنة • ومع هذا لعنهم الله تبارك وتعالى وطردهم من رحمته لهذا التعامل •

ولا ننسى أن المجتمعات الشيوعية لا تتعامل بالربا بين بعضها البعض ومع ذلك فهي متقدمة علميا وتكنولوجيا •

ولا شك أن الكاتب يعلم أن حكمة تحريم الربا - والله أعلم - أنه سبحانه يريد المجتمع الاسلامي قويا متماسكا وذلك لن يكون الا بتعاطف أفراده ورعاية الغني للفقير ومعاونة القوي للضعيف وهو ما يتنافى تنافيا كاملا مع الربا •

ثم هو يريده مجتمعا عاملا منتجا يأكل أفراده من عمـل أيديهم وهو ما يتنافى مع التعامل بالربا الذى يقوم على أن يأكل البعض من جهـــد الآخرين •

ومما يضـحك فى المقال – وشر البلية ما يضحك – أن يذكر ما ينبيء عن جهله بأبسط معالم تاريخ التشريع الاسـلامى حيث يقول : « مضى من عمر الدعوة الاسلامية أكثر من نصفها دون أن يفرض على المسـلمين عبادة من عباداتهم أى فرض من الفروض كالصلاة أو الصـوم ••• » مع أن عامة المسـلمين يعلمون أن الصـلاة فرضت على المسلمين منذ فجر البعثة المحمـــدية وكانت ركعتين بالغـــداء وركعتان بالعشى ••• أما ما يظنه من فرض للصـلاة فى ليلة الاسراء فلم يكن الا تعديل لمواقيتها وعدد مرات أدائها وركعاتها •

وتمهيدا للحل الذى ينوى عرضه يلتوى بقصة اسلام « ثقيف » حيث يقــول « وقد كان موقف الرســول الكريم عليه الصـلاة والسـلام أعظم ما يكون وضوحا وابانة مع « قبيلـة ثقيف » فعن وهب قال : سألت جابرا رضى الله عنه عن شأن ثقيف اذ بايعت اشترطت ألا صدقة عليهـا ولا جهاد وأنه سمع رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : سيتصدقون ويجاهدون اذا أسلموا» ومعنى الحديث الشريف فى هـذه الواقعـة المبينـة أن العبرة بالعقيدة وسلامتها فهى الباب الى اقامة الفـروض والتزام الحـدود والأمـر بالمعروف •

وهذا استنتاج حق يراد به باطل•• فهو يظن أن النبى صلى‌الله عليه وسلم قبل اسلام « ثقيف » على ألا يلتزموا بالفروض وهو ما سيقول به فى نهاية مقاله مع أن قول النبى صلى الله عليه وسـلم واضح فى أنه بمجرد نطقهم بالشهادتين «وهو الاسلام» سيلتزمون بكل الفـروض فلابد للنجـاة من الايمـان القلبى والالتزام بالفروض وهو ما حدث من ثقيف من قيـامهم بالصدقة والجهاد •

ومن متابعة المقال نشعر أن الكاتب مؤمن بأن ما سيقدمه مخالف للمنطق السليم والفطرة السوية ، ومن ثم فهو مخالف للقرآن والسـنة فنجده يثير بين يدى الحل قضية يفترض صحتها مع أنهـا واضـحة الفسـاد والواقـع

الملموس يدحضها فيقول : ودنيا المسلمين الآن لا يحكمها دينهم ولا تجرى الأمور فيها على عقيدتهم .

هكذا دفعة واحدة وانى أسائل الكاتب على أى أساس أتى بهذا الحكم الظالم ... فواقع المسلمين فى مصر يدحض حكمه فالملايين منهم لا يتعاملون بالربا «موضوع القضية» ولا يعرفون طريق البنوك أو صناديق التوفير ويتعاملون معا بالتعاطف والتراحم وليس هناك قانون يلزمهم بمخالفة أحكام الشريعة التى ألزموا أنفسهم باتباعها .

ان كل مسلم على أرض مصر وفي ظل من حماية الدولة والقانون قادر على أن يتمسك بما يفرضه عليه دينه دون أدنى مشقة أوتعويق بل يجد كل عون أدبى ومادى من القوانين والجهات التنفيذية بل ومن المال العام .

ولم نسمع عن شخص أو جماعة أتت ما يخالف الشريعة الا كان ذلك نابعا من فساد فى الطوية ونقص فى الايمان وليس عن قهر أو سطوة أو قانون .

ثم يأتى برأيه فى نهاية المطاف وتجده أيضا غير قادر على الافصاح عنه بوضوح ثقة منه بعدم سلامته فيذكره غامضا غير محدد ؟ ونستخلص منه أنه يرى ترك المقصرين فى تقصيرهم واباحة المحرمات المنصوص عنها شرعا وعدم مطالبة الناس بالقيام بالفروض أو مواجهتهم بما ينتظرهم من غضب الله فى الدنيا والآخرة باتيانهم المحرمات والتغاضى عن المطالبة باقامة الحدود والاكتفاء من الناس بالاقرار بالوحدانية وتثبيتها فى نفوسهم وترسيخها فى يقينهم وبعد أن يقتنعوا بصحة ما ينطقون نبدأ فى مواجهتهم بالفروض والمحرمات والحدود ... وفى ذلك يقول :

« وما يجب عملا بسنة رسول الله وأحكام الاسلام فى التدرج والتخفيف عن الناس ودفع المشقة أن نقيم المجتمع الاسلامى فى دأب ومثابرة فاذا اكتمل بناؤه وقامت صروحه على العقيدة حلت هذه المشكلات وان بدت اليوم بلا حل » .

وهو قول بادى الفساد فأى سنة تلك التى أشار اليها وأين تلك الأحكام التى يستند عليها ... وانما

هو خلط في التعبير وقول خطير لا يعني الا تعطيل كافة أحكام الدين وهدم لكافة القواعد الشرعية .

وفي ختام هذا الرد أسوق له حلا قدمه غيره في قضية مماثلة وأظنه لا ينسى حروب الردة وقول الخليفة الراشد أبو بكر رضى الله عنه « والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة ... والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه ما استمسك السيف في يدي » .

ولم يقل رضى الله عنه ما يقوله الكاتب : نهادنهم ونداريهم حتى تتمكن من اعادتهم الى حظيرة الدين . . . والفرق واسع بين العهدين ... فاليوم الناس بخير والاسلام يقف على أرض صلبة والايمان قوى في النفوس وان بدا ضعيفا لدى البعض في الظروف العادية ولكنهم ينقلبون مؤمنين متعصبين لدينهم عند الشدائد وماحرب ١٠ رمضان ببعيدة أما في عهد الخليفة الراشد فكان أكثر الناس حديثي عهد بالاسلام قريبي عهد بالوثنية .

أسأل الله لى وله وللمسلمين الهداية والتوفيق والحفظ من الزلل وأن يجنبنا أن نقول في أى أمر بغير علم .

**السيد احمد صالح**

---

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

* **الفكر الاسلامى مواجهة حضارية**
**تأليف : محمد تقى المدرسى**

هـــذا الـكتاب الذى نشرته دار التربية فى بيروت للمفكر الاسلامى العراقى ، السيد/محمد تقى المدرسى ويقع فى ٤٣٢ ص من القطع الكبير.. دراســة طيبة لهـا أهميتهـا ؛ لأنه فى مقدمة الكتاب أثار المؤلف قضية على جانب من الأهمية ، هى : أن الاسلام لا يغنى شيئا مادام فكرا تاريخيا فى أذهان المسلمين ، ولم يتحول الى مادة حضارية تتفاعل مع الانسان فى واقعه الخارجى .. ولن يقع هذا التحول دون ظهور الاسلام فى روعته الأولى حتى يقوم بدوره كفكرة حضارية ..

قسم المؤلف دراسته الى أقسام ثلاثة رئيسية : عن العلم والفلسفة ، وعن العقيدة والايمــان . ثم عن الانسان والمجتمع ، وهـــذه الأقسام الثلاثة كانت الميادين لدراسة المؤلف ، وفى الميـدان الأول بحث عن المعرفة بين الاسلام والتطورات البشرية ، ونقد لهذه التصورات البشرية ، ثم موقف العـالم بين الاســلام والتصـــورات البشرية ، ومن هذه التصورات بعض النظريات الفلسفية القـديم منهـا والمعاصر ، كنظرية كل من أفلاطون وأرسـطو وجـون لوك وماركس ، وفى الميدان الثـانى ، عرض المؤلف العقيدة والانسان،الرسالة ، الرسول. الولاية لله ، ثم الحياة بعـد الموت ، أما الميدان الثالث والأخير عن الانسان والمجتمع ، فقـــد عرض للمشـكلة الاجتماعية ، والنظـام الاجتمـاعى ، لمشـــكلة الثـروة ، والأخـــلاق ، والسياسة ، ثم ختم المؤلف دراســته ببحث عن ميزات النظـام الاسـلامى الرئيســـية ، والتى تتلخص فى أن الاسلام حق وأجـدر بالانســان أن يتبعه ، وأنه منهج الله رب العـالمين ، وأنه شامل لجميـع نواحى البشر ،

وشامل لـكل أفراد البشر ، وشامل لكل أدواره ، ومراحل تطوره ..

وبعد ـ فلا جدال فى أن المؤلف قدم لنا دراسة شاملة للفكر الاسلامى كمواجهـة حضارية ، وأبرز كل معالم هذا الفكر الحضارية ، وناقش كل التحديات التى تواجه الاسلام . سواء أكانت هذه التحديات من قبيل الفلسفات المادية الملحدة أم من قبيل النظريات العلمية المتحدية .. ناقش المؤلف فى موضوعية واعية ، ومنطق سليم ..

لكن كنت أود أن يسير المؤلف على منهج واحـد فيما قـدم لنـا من أبحـاث ، والحق أنه كان متفوقا فى معظم أبحاث الدراسـة التى تتصـل بابراز مكانة الفـكر الاسـلامى من ناحية ، ومن ناحية أخرى ما يتصـل بمواجهته للتحـديات ، الا أن بحثه الخاص بالولاية وأنها لله..وبالحاجة الى الامام .. هذا البحث فى حاجة الى المناقشة والمراجعة ، لاسيما وهو يدافع عن فكرة الامام الغائب ، ويفتح مجالا للجدل ما أغنى الفكر الاسلامى عنـه اليـوم وهـو يواجـه أعنف التحديات ..

*** مع رجال الفكر فى القاهرة**
**تاليف : السيد مرتضى الرضوى**

كتاب يقع فى أكثر من ثلثمائة ـ صفحة من مطبوعات مكتبة النجـاح بطهـران والمؤلف هـو صاحب دار النشر هذه ، وهو أيضا من الشباب الدارس للاسلام ، وله مؤلفات عديدة تدور فى فلك الفكر الشيعى ، وكتابه الذى بين أيدينـا هو سـجل حافل بشتى الموضوعات التى تتصل بالفكر الاسلامى عقيدة ونظاما ، سجلها من خـلال لقاءاته مع عـدد من العلماء والمفـكرين ، منهم الأساتذة : أمين الخولى ، والباقورى ، وعبد الكريم الخطيب الـذى قـدم للكتـاب ، وأبو الفضـل ابراهيم ، ومحمـود شاكر ، والدكاترة : شوقى ضيف ، وأبو الوفا التفتازانى وبنت الشاطىء وطه حسين ، وسليمان دنيا وغيرهم.

لقد نجح المؤلف من خلال لقاءاته فى أن يخـدم عقيـدته ، وفى أن يستميل بعض هؤلاء الذين التقى بهم فى الوقوف الى جانبه ، كما نجح فى فتح أبواب واسعة للجدل فى القضايا التى أثارها وكلهـا تتصـل بعقيـدة الشـيعة ، والحق أنه كان أمينـا فى تسجيل الحوار ، وتسجيل انطباعاته

عن الذين لهم آراء تخالف اتجاهاته، وقد أحسن المؤلف حين عنى بالترجمة المفيدة عن كل من اتصل بهم ، الا أن الكتاب لم يخل من الحشو الذى لا معنى له ، لذا كنا نود أن يوفر كثيرا من صفحات الكتاب لجوهر القضايا التى أثارها ، كذلك كنا نود ألا يكون موقف المؤلف انفعاليا تجاه الذين خالفوه الرأى ، ونحن لا ننكر أننا أفدنا من الكتاب لاثارته عديدا من القضايا ، فالحوار يبعث فى الفكر الاسلامى الحياة ..

* * *

### ❋ أهداف الأسرة فى الاسلام
### للأستاذ حسين محمد يوسف

هذا الكتيب الذى نشرته دار الاعتصام بالقاهرة ، يقع فى ١٣٠ص من القطع المتوسط ، وهو يمثل الجزء الأول من الدراسة التى أعدها المؤلف عن بناء الأسرة المسلمة ، وموضوع هذا الجزء : أهداف الأسرة فى الاسلام والتيارات المضادة ، أما موضوعا الجزأين الثانى والثالث ، فهما اختيار الزوجين فى الاسلام وآداب الخطبة ، ثم آداب العقد والزفاف فى الاسلام .. والمؤلف من العاملين فى الحقل الاسلامى منذ عشرات السنين ، وقد كان رئيسا لجماعة « شباب محمد » التى ألغتها مراكز القوى منذ بضع عشرة سنة ، والبحث الذى بين أيدينا جاء فى فصلين : الأول : مكانة الأسرة فى الاسلام ، والآخر أهداف الأسرة من تكوين الأسرة ، وفى الفصل الأول عرض المؤلف لمكانة المرأة المسلمة فى الأسرة ، وقضاء الاسلام على ظلمات الجاهلية ، وموقف أعداء الاسلام من الأسرة ، ومحاولات الشيوعية القضاء على تقاليد الأسرة المسلمة ، ثم لخطر التحلل الخلقى، وأنه أشد من خطر العدو ..

وفى الفصل الثانى ، عرض المؤلف للأهداف الستة الرئيسية من تكوين الأسرة : الاجتماعى ، والسياسى والاقتصادى ، والخلقى ، والصحى والروحى ..

وبعد ـ فلا جدال فى أن المؤلف يكتب عن ايمان وصدق وغيره ، وقد أجاد فى كشفه عن التيارات المضادة التى لا تريد بالأسرة المسلمة الا شرا لكن ما ورد فى هذا البحث بعضه فى حاجة الى مناقشة ، فلا نظن أن

الكثرة يمكن أن تكون عاملا من عوامل النهوض بالاسلام ، اذ العبرة بالقوة المادية والقوة الروحية معا ، كما أن بعض الأحاديث التى استشهد بها المؤلف فى هذه النقطة بالذات ، مما تكلم فيه رجال الحديث •• فقد كان المسلمون فى معركة بدر قلة فانتصروا ، وكانوا فى معركة حنين كثرة فلم ينتصروا ، ورسول الله عليه السلام حين قال : ( يوشك أن تداعى اليكم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها •• قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل )••ثم أشار عليه السلام الى العلة ، وهى الوهن الذى فسره بحب الدنيا وكراهية الآخرة ••

* * *

*** اضواء الشريعة :**

هذه المجلة الجامعة تصدرها كلية الشريعة بالرياض بالمملكة العربية السعودية ، وهى مجلة للدراسات الاسلامية •• تعنى بعلوم الشريعة الاسلامية من حيث العقيدة والأحكام والفكر والأخلاق والآداب وشئون العالم الاسلامى •

ورئيس تحرير المجلة هو الأستاذ محمد عبد الله العجلان ••

تقع المجلة فى أكثر من أربعمائة صفحة من القطع الكبير ، وفيها عديد من الدراسات الاسلامية الواعية ، منها : بحث فى المخدرات لعميد الكلية ، ودراسات فى السيرة ، للشيخ مناع القطان مدير المعهد العالى للقضاء ، والتحاكم الى غير ماأنزل الله للاستاذ صالح بن فوزان ، وعلى مسيرة الدعوة للأستاذ عبد الكريم الخطيب ، والتفسير البيانى للقصص القرآنى للدكتور محمد بلتاجى ، والنزعة العنصرية للأستاذ عمر عودة الخطيب ، واليتامى للشيخ الغزالى خليل عبده ، وفى نهاية العدد باب للكتب والمجلات الجديدة ، فيه تعريف جيد بما صدر حديثا ••

وبعد – فلا جدال فى أن هذه المجلة بما ضمته بين دفتيها من دراسات على مستوى رفيع من الفكر الاسلامى – تؤدى رسالة على جانب من الأهمية ، وكم كنا نود أن تصدر المجلة فصلية أى كل ثلاثة شهور بدلا من صدورها كل عام ، والحمد لله فالامكانيات بالنسبة لكلية الشريعة

متوافرة ، المادية منها والفنية والعلمية، كذلك نود أن تعنى المجلة - التى لها وزنها من الناحية العلمية - بقضايا العالم الاسلامى اليوم ، وبالدراسات الاسلامية التى تواجه التحديات المادية الالحادية المعاصرة ، والتى تهب على العقيدة الاسلامية من كل صوب وحدب ..

* * *

*** قراءات :**

« كانت التجارب الانسانية تؤيد اقامة دولة اسلامية فى المدينة اثر الهجرة ، تمنع الظلم وتقيم الحق والعدل بين الناس .. ولقد رأينا من أقدم العصور دولا تقوم ودولا تهبط، والرعايا ضائعون بين الحكام المتغالين، وبمقدار استعلاء الحكام يكون الظلم المستمر الذى يعم ولا يخص ، فمن عهد الرومان والرعايا هم فرائس لغالبة المتحكمين .. وان القرآن الذى نظم الحكم فى الاسلام ، يدعو الى أن تحكم الشعوب نفسها بنفسها ، وأن الحاكم مسئول أمام الله تعالى بعد أحكامه أولا .. وأمام الشعوب لا يرهقهم ولا يظلمهم ولا يشق عليهم ثانيا .. الا أن يكون فى المشقة تنفيذ حكم الله تعالى ..

من كتاب « خاتم النبيين » للشيخ أبى زهرة ..

**محمد عبد الله السمان**

# باب الفتوى

للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات

تجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

**السؤال :**

من السيد / على عبد العزيز السيد طلب :

عقدت قرانى على فتاة ثم حدث خلاف بيننا فقلت لوالدها بنتك طالق طالق طالق وبعد خمسة شهور طلقتها عند المأذون رسميا ، فما الحكم ؟ .

**الجواب :**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد :

فنفيد بأنه بطلاقه لها أول مرة بانت منه بينونة صغرى فما حصل منه بعد ذلك لا يلحقها ويعتبر طلاقه عند المأذون تسجيلا للطلاق الذى وقع منه قبل ذلك ، وعليه فله أن يعقد عليها عقدا جديدا بمهر جديد وتكون معه على طلقتين هذا اذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

**السؤال :**

من السيد / عبد الرحيم سالم عبد الرحيم :

نشأت فى قريتنا نوب طحا مركز شبين القناطر جماعة صوفية ينتسبون الى الطريقة البرهانية الدسوقية ضمت كثيرا من شباب الجامعة ويدعون أن للقرآن الكريم تفسيرا باطنيا فما حكم ذلك ؟

**الجواب :**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

أما بعد :

فنفيد بأن القرآن عربى (إنا جعلناه قرآنا عربيـا لعلكم تعقلون ) ونحن مكلفون بمدلوله على مقتضى اللغـة العربية وماخرج عن ذلك مما يسمى بالتفسـير الباطنى لا نستطيع اقراره اذ لا سند له ، فلا يعول عليه ، والله أعـلم .

**السؤال :**

من السيد / يعقوب واصف مقار .

توفى رجل عن زوجة ، أم ، ابن عم لأب ، عمة شـقيقة ، أولاد عمة ، بنت عم / فمن يرث وما نصيبه ؟

**الجواب :**

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين أما بعـد فنفيد بأن للزوجة الربع فرضا لعدم وجـود الفـرع الوارث وللأم الثلث لعدم وجود الفرع الوارث أيضا وعدد من الأخوة والأخوات والباقى لابن العم لأب تعصيبا ولا شىء للعمة ولا لأولاد العمة ولا لبنت العم لأنهن جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم

**السؤال :**

من السيد/أبو الخـير أبو العينين عطيو .

لى أخت جاء أحـد الجيران وقام بخطبتها وعقد قرانه عليها ولم يدخل بها حتى الآن واتضح أخيرا أن والدتى قامت برضاع زوج أختى معى مرات كثيرة فما الحكم ؟

**الجواب :**

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه حيث ثبت الرضاع بينهما فلا عقد بينهما ويمتنع عليهما أن يدخلا ولا شىء لها عليه ويجب أن ترد اليه كل ما أخذته منه لأجـل الزواج من مهر وشـبكة وللخـلاص من الوثيقة المحررة لدى المأذون بزواجهما : عليها أن يحصلا على وثيقة تفريق رسمية ، هذا اذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

**السؤال :**

من السيدة / فتحية جبر حبش .

توفيت أمرأة عن زوج ، بنت ، أم ، أخوة أشقاء / فمن يرث وما نصيبه ؟

**الجواب :**

الحمد لله رب العــالمين والصــلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصــحبه أجمعين أما بعــد فنفيد بأن للزوج الربع فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنت النصف فرضا لعدم من يعصبها وللأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث أيضا والباقى للأخوة الأشــقاء تعصــيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله تعالى أعلم .

**عبد الفتاح الزيات**

---

# أنبـاء و آراء

للاستاذ ابراهيم حامد النويهى

*** زيارة رئيس جمهورية الهنـد لفضيلة الامـام الأكبر شيخ الجامع الأزهـر :**

قام الرئيس الهندى فخر الدين على أحمد رئيس جمهورية الهند بزيارة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بمكتبه بادارة الأزهر يوم الجمعة ٣ من ذى الحجة ١٣٩٥ هـ ـ ٥ من ديسمبر ١٩٧٥ م •

وحيا فضيلة الامام الأكبر الرئيس الهندى بكلمة قال فيها :

( فخـامة الرئيس الجليل •• أحيك بتحية الاسلام •• السلام عليكم ورحمة الله وبركاته •• وأحيى فى شخصكم الكريم شعب الهند كله ، مسلمين وغير مسلمين ، وان العالم العربى بوجه عام والأمة المصرية بصفة خاصة يربطها بالأمة الهندية روابط قديمة ترجع الى ما قبل الاسلام ، ثم جاء الاسلام فزادت هذه الروابط قوة ومتانة ، وأخذت على مر الزمن تزداد قربا وتزداد أخوة ••• ) •

ثم قال :

( ••• لقد سعدت بزيارة بلادكم ، وتنقلت فى جنباتها الفسيحة ، وأنه ليطيب لى أن أنوه هنا بما لمسناه أثناء زيارتنا لبلادكم العظيمة ، فقد شاهدنا هذه النهضة التى تبدو آثارها واضحة فى كل مناحى الحياة •• ) •

وختم كلمته بقوله :

( ••• وانى اذ أقدر هذه النهضة العظيمة يطيب لى أن أشهد بما قرره رئيس الجمهورية المصرية الزعيم المؤمن محمد أنور السادات من منح دراسية لمسلمى الهند ، ومن ارسال معلمين لهم ، واستقبال طلاب منهم ؛ وذلك توثيقا لروابطنا الثقافية ، وتقوية لما بين شعبينا من محبة واخاء ••

تحية لك يافخامة الرئيس وأهلا بك ومرحبا بين أهلك ، وتحية لأهل الهند

فى شخصك ، وحمتك عناية الله ، وباركت يداه عهدك ، ونفع بك .. وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته ) .

ثم أهدى فضيلته للرئيس الهندى مصحفا شريفا فى علبة صدفية .

ورد الرئيس الهندى على كلمة الترحيب التى ألقاها فضيلة الامام الأكبر بكلمة قال فيها :

( فخامة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود .. أصحاب السعادة .. أيها الأصدقاء .. اننى لسعيد كل السعادة بهذه الفرصة التى أتيحت لى لزيارة القاهرة هذه المدينة التاريخية ، ولا سيما الأزهر ، ذلك المهد العتيق الذى هو من أقدم معاهد العلم فى الدنيا ، واننى لمدين لأخى وصديقى الرئيس أنور السادات بالاستقبال الحار الذى قوبلت به ، ولشعب مصر بما لقيته منه من حب ومودة .

ثم قال :

( انا شديدو الحرص على تنمية معلوماتنا فى اللغة العربية ، شغوفون بزيادة معارفنا عن تاريخ الاسلام الحقيقى وعن الثقافة الاسلامية والاتجاهات الاسلامية فى عالم اليوم ، واننا لندرك ما يقوم به هذا المعهد العتيد ، ونعرف المركز الرفيع الذى تشغلونه فيه ، ونأمل ازدياد هذه الأنشطة عن طريق تبادل الطلاب والأساتذة والمنح الدراسية التى تمنحها بلادكم ... ) .

وختم كلمته بقوله :

... أشكركم جزيل الشكر على هذه الهدية الثمينة ، المصحف الشريف الذى تفضلتم باهدائه لى ، فأى هدية يمكن أن تكون أغلى من كتاب الله العزيز ؟ انها هدية أعتز بها وأحرص عليها، كما أشكركم على المطبوعات العديدة التى تفضلتم فأهديتموها لى ..

أشكركم كل الشكر واسمحوا لى بأن أقدم هذه الهدية المتواضعة رمزا على حبى لكم ... والسلام عليكم ورحمة الله ) .

وكانت الهدية عبارة عن قطعة نادرة من المشغولات الهندية .

ثم توجه فضيلة الامام الأكبر وضيفه الكبير الى الجامع الأزهر لتأدية صلاة الجمعة ، وأدى معهما الصلاة السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء وعدد من الوزراء وكبار رجال الأزهر .

*** بيان فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر بمناسبة عيد الأضحى المبارك :**

وجه فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بيانا الى العالم الاسلامى بمناسبة عيد الأضحى المبارك ، وذلك يوم الخميس ٩ من ذى الحجة ١٣٩٥ هـ – ١١ من ديسمبر ١٩٧٥ م ، تحدث فيه عن المعانى الجليلة المستمدة من عيد الفداء والحج الى بيت الله الحرام وزيارة مسجد رسول الله مما يحتاج اليها كل فرد وكل جماعة وكل أمة .

ثم قال :

( ان فى استمساكنا بديننا حماية للأرض الطيبة ، وتوحيدا للصفوف المتنائرة ، وتجميعا للقلوب على الخير والوئام والمحبة ، وصدا للعدو المشترك للانسانية كلها ... ) .

وقال :

( ان تبعات النصر الذى تحقق فى العاشر من رمضان ، وما تلاه من انسحاب فى أكثر من مجال لهى أثقل عبئا من تبعات البادىء فى المعركة .. ان معركة الغد حامية لأن عدونا يحارب لغايتين هما : النصر والثأر : وهيهات أن يبلغ ثأرا أو يدرك نصرا ، وفى الأمة عزيمة ؛ لأن أولى العزم لاينهزمون .. ان العزيمة خلق ، وهيهات أن ينهزم صاحب خلق .. ان الله سبحانه وتعالى حين اختار هذه الأرض المباركة لتكون مهبط وحيه ، وحين اختار هذه الأمة لتحمل رسالة السماء الى العالم كله ، حين اختار كل هذا ، انما اختاره لحكمة ، وصار حتما علينا أن نضطلع برسالة السماء دائما أبدا .. علينا أن نتذكر هذا كله ، وأن نذكر أنه من مصادر قوتنا التى نستمدها من قوة الله ، وما خاب من استمد قوته من قوة الله .. وكل عام والأمة الاسلامية فى شرق الأرض وغربها بخير ، والعالم كله فى سلام ) .

*** افتتاح قسم الصحافة والاعلام الاسلامى بجامعة الأزهر :**

افتتح فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر – قسم الصحافة والاعلان الاسلامى بكلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، وذلك يوم الخمس ٢٤ من ذى العقدة ١٣٩٥ هـ – ٢٧ من نوفمبر ١٩٧٥ م

وألقى فضيلته كلمة الافتتاح فى الحفل الذى أقيم بهذه المناسبة بقاعة الامام محمد عبده ، وشهده كبار رجال الأزهر ، وأساتذته وطلابه ، أعلن فيها :

ان الصحافة والاعلام الاسلامى فن ، بل دعوة ، ويجب أن تكون مؤمنة ، وأن تسير على هدى الدين ، وصرح فضيلته بأن منهج هذا القسم سيضم الى جانب الاعلام العام والاعلام الاسلامى دراسة التاريخ واللغات الأجنبية والدراسات العربية والاسلامية المتخصصة ، وحفظ القرآن الكريم •

**※ قرار وزارى بالموافقة على انشاء معاهد ازهرية :**

أصدر فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر قرارا وزاريا رقم ٤٣٧ لسنة ١٩٧٥ م بالموافقة على انشاء :

١ ـ معهد اعدادى أزهرى للبنين بالقناطر الخيرية محافظة القليوبية بالمبنى المقام لهذا الغرض •

٢ ـ مرحلة اعدادية أزهرية بمعهد البراجيل الابتدائى ـ مركز امبابة محافظة الجيزة تبدأ بالفرقة الأولى •

٣ ـ مرحلة ثانوية أزهرية بمعهد أولاد طوق الاعدادى محافظة سوهاج تبدأ بالفرقة الأولى •

**※ تقوية محطة اذاعة القرآن الكريم :**

قوبل بالابتهاج ما أدخل على محطة اذاعة القرآن الكريم بجمهورية مصر العربية من تقوية مكنت المستمعين فى فى أنحاء العالم الاسلامى من أن يستمعوا اليها والى ما يذاع فيها •

وقد أرسلت برقيات من جميع أنحاء العالم يعبر فيها أصحابها عن شكرهم وتقديرهم لجمهورية مصر العربية ـ بلد الأزهر الشريف على هذا العمل الجليل ، وعن دورها فى نشر الثقافة الاسلامية على مدى العصور •

**※ فى مؤتمر رسالة المسجد :**

قدمت وزارة الحج والأوقاف السعودية فى الجلسة الختامية لمؤتمر رسالة المسجد الذى عقد بمكة المكرمة قطعا من كسوة الكعبة المشرفة لأعضاء

المؤتمر ، وكتاب محاضرات التوعية الاسلامية التى تنظمها الوزارة فى موسم حج كل عام .

*** افتتاح مكتب جديد لرابطة العالم الاسلامى فى موريتانيا :**

افتتحت الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة مكتبا للرابطة بالعاصمة الموريتانية ، وذلك فى اطار مخطط الرابطة فى افتتاح مكاتب لها فى العواصم الاسلامية ومناطق وجود المسلمين .

**ابراهيم حامد النويهى**

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول
رئيس مجلس الادارة
**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٥/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٣٤-١٩٧٦-٩٠٠٢

The Quran also portrayed resurrection and reckoning on the Day of Resurrection, and that every man is reponsible to Allah, and dealt with the Message of the Emissaries and the Prophets before Muhammad. The Quran was not also confined to the exposition of the religious dogma for it also treated ethical and theological roots, etc, which helped explain the Religion to man in a most explicit manner.

This exposition of the nature of the Moslem call, and Message prevails all through the Quran. The Holy Book in its verses, also declarded the same concept such as in God's words : "And We have not sent thee (0 Muhammad) save as a bringer of good tidings and a warner unto all mankind; but most of mankind know not" He it is who hath sent His messenger with the guidance and the religion of truth, that He may make it conqueror of all religion however, much idolators may be averse. "Blessed is He Who hath revealed unto His slave the Criterion (of right and wrong), that he may be a warner to the peoples. "We sent thee not save as a mercy for the peoples". "It is naught else than a reminder for all peoples. And ye will come in time to know the truth thereof." This is naught else than a Reminder and a Lecture (Quran) making plain, to warn whosoever liveth, and that the word may be fulfilled against the disbelievers."

The role of the Quran in Islam is Most paramount for it encloses in its miraculous style, all the roots and the principles of Islam : text and interpretation.

In this its role is entirely different from the other books.

The Old Testament about the Jews for instance, does not convey to us the concept of creed or od work as held by the Jews.

This is because the Hebrew Book is not a book but rather a collection of Books dealing with the history of an old people, which were written as far back as 1000 years ago, and serve diverse and various purposes.

The Quran on the other hand, came through revelation to one Prophet for a definite and urgent purpose namely the call for a new religion.

The truth is that Judaism was the outcome of protracted development which is manifest in the Old Testament itself and which continued for well over 500 years, Thus the belief inressurection , the Hereafter, heavens and hell fire, was not stated in the Hebrew Book. These roots were defined in more recent times.

thy Lord Who creath, man from a clot. Read : And thy Lord is the Most Bounteous, Who teacheth by the pen, Teaches man that which he knew not". The mention of man in the Quran was made over 60 times.

What is more important still is the concept of man's responsiblity expressed in God's words, "We offered the trust unto the heavens and the earth and the hills, but they shrank from bearing it and were afraid of it. And man assumed it". "And every man's augury have We fastened to his own neck, and We shall bring forth for him on the Day of Resurrection a book which he will find wide open. (And it will be said unto him) : Read thy book. Thy soul sufficeth reckoner against thee this day".

This trend was totally different from the concepts of Jahilia (pre-Islamic era) where the family of an individual defended and protected him. An individual then had no entity except as member of a tribe. But Islam came and asserted the responsibility and the independence of every individual," On the day when a man fleeth from his brother, And his mother and his father: And his wife and his children. Every man that day will have concern enough to make him heedless (of others)".

It is also in keeping with the nature of things that so long as the whole religion is God's, the entire people were one nation, Islam is a Call to man, Muhammad"s message was a continuation of the messages before him, the revelation sent down on him was the same as had inspired those who had come before, an since man will be called to account on an equal footing for another world on the Day of Reckoning and above all this, man is called upon to believe in the unity of God and to worship Him. It follows that in the light of all such facts and the nature of these conditions and circumstances, Islam without external factor, is the Religion of the One God, and the Message of Muhammad, the ever-renovated Message of Allah to the whole mankind, and to man whom God has appointed successor on earth.

For all this it is only right and logical to say that Islam and the Message of Muhammed were a universal call in their nature since their advent.

The Glorious Quran affirmed all these principles beyond the least shadow of a doubt or ambiguity. For it has proclaimed the concept of the Unity of God, and of faith in Allah alone, that mankind was one nation but later differed, that God the Almighty began this creation with Adam and Eve, and that He will replace it by another world.

warning, in order that mankind might have no argument against Allah after the messengers. Allah was ever Mighty, Wise". Why should Muhammad not be as any other messenger ? as indicated in God's Words : Say : I am no new thing among the messengers (of Allah), nor know I what will be done with me or with you. For Muhammad was inspired only the same way as they had been inspired, and what he brought to mankind could not be otherwise than they had brought : the declaration of God's unity and His worship.

Thus the concept of universality finds in the theory of revelation with Muhammad and expression of it in his assuming the role of other messengers and the same divine message.

It is nonsensical to imagine that the principles brought along by Muhammad had been derived by him from the Jewish Gnosticism and Christianity, for the gap is extremely wide between the theoretical Neosophism ideas and the simplicity of faith in its wide sense in Islam.

In this context Professor Gibb says" As regards the sources from which Muhammad derived the roots of the Religions-a question which drew much attention by Christian and Jewish scholars in the west this is absolutely unacceptable. Jewish scholars claimed that many or the most part of the Jesus' sayings in the Bible were recorded in Hebrew writings as the sayings of a leading Rabbi. But this does not change the fact that Christianity even in its simple degrees is entirely different for Judaism. This applies also to Islam for whatever the claims that it contained principles which existed before it, this does not change the fact that the religious trend expressed in the Quran embodied a new religious system which was different from those which came before".

Some verses in the Quran would give the impression that the Quran had been revealed for the Arabs alone such as God's words, "And thus We have inspired in the Quran in Arabic, that thou mayest warn the mother-town (Mecca) and those around it," and "We have appointed it a Quran in Arabic that haply ye may understand". But the Quran did not address the Arabs as Arabs to whom it had been revealed to guide to righteousness and solve their problems but rather addressed them as men and human beings whom it had felt the need of guiding as it had guided peoples before them.

This is borne out by the fact that Islam represents an address to the human being, the successor of Allah on earth. Its first revelation on Muhammed was God's words, "Read : In the name of

## UNIVERSAL OUTLOOK OF ISLAM

*By*

**Dr. Aly Hassan Abdul Kader**

The Religion of God appeared in the world under he name of Islam, and it adopted no special name or appellation attributed to any person such as Christianity which is attributed to Christ, Manichaenism attributed to Mani, and other creeds bearing the names of persons or factions. God said, "Religion with Allah is Islam" meaning surrender to His will and guidance, "Abraham was not a Jew; nor yet a Christian; but he was an upright man who had surrendered (to Allah) and he was not of the idolaters. The Religion of God is surrender to God, "Seek they other than the Religions of Allah, when unto Him submitteth whosoever is in the heavens and the earth willingly or unwillingly, and unto Him they will be returned. "Nay, but whosoever surrendereth his purpose to Allah while doing good, his reward is with his Lord; and there shall no fear come upon them".

It will be seen that from the very outset the appellation, Islam, implies a religion for all creation and for all peoples. For God's Religion is one since the start of the creation with Adam and eve.

Divine messages underwent no changes all through the ages, neither did they have their origin in a definite state or people for peoples as God said "are all one nation" and if they later differed for some wise reason, God's renewed Message reminds the people that God is one and the Religion is one "Had Allah willed He could have made you (all) one nation, but He sendeth whom He will astray and guideth whom He will".

The nature of things is that so long as Religion is all God's and God sent emissaries to call to the Religion, it follows that Muhammad in his message was just as the messengers before him, and that God's revelation to him was the same as that made to them" Lo ! We inspire thee as We inspired Noah and the prophets after him, as We inspired Abraham and Ismael and Isac and Jacob and the tribes, and Jesus and Job and Jonah and Aron and Solomon, and as We imparted unto David the Psalms. And messengers We have mentioned unto thee before and messengers We have not mentioned unto thee; and Allah spoke directly unto Moses; Messengers of good cheer and of

army as survived, in order that Koraish might hear that he was in the field and haply be deterred from any project of attacking Al-Madinah in its weakened attitude. On that occasion many wounded men went out with him. Tradition tells how a friendly nomad met the Muslims and afterwards met the army of Koraish. When questioned by Abu Suffyan, he said that the Prophet was seeking vengenance with an overwhelming force, and that report determined Abu Sufyan to march back to Mecca.

14. The battle of Badr shows how Allah helps and upholds the virtuous, and how patience, perseverance, and discipline find their reward ; on the other hand, the lessons of Uhud must be learnt, not in despair, but in the exercise of the higher virtues and in coutempt of pain and death (3, 121-148).

15. The misfortunes at Uhud are shown to be due to the indiscipline of some, the indecision and selfishness of others, and cowardice on the part of the Hypocrities, but no enemy harms Allah's cause (3, 149-180).

16 The taunts of the enemy should be disregarded, and sincere prayer offered to Allah Who would grant His devotees success and prosperity (3, 181-200) Allah says in this concern III, 192-194 what means : (Our Lord ! Surely we have heard a preacher calling to the Faith, saying : Believe in your Lord ; so we did believe ; our Lord ! forgive us therefore our faults and cover our evil deeds, and make us die with the righteous.

Our Lord : And grant us what You have promised us by Your apostles and disgrace us not on the Day of Resurrection; surely You do not fail to perform promise).

So their Lord accepted their prayer : That I will not waste the work of a worker among you, whether male or female, the one of you being from the other ; they, therefore, who fled and were turned out of their homes and persecuted in My way and fought and were slain, I will most certainly cover their evil deeds, and I will most surely make them enter gardens beneath which rivers flow : a reward from Allah, and with Allah is yet beter reward.

18. We are to exercise for ourselves some virtues like patience, perseverance, constancy, self-restraint, refusing to be cowed down. Allah says in this concern what means (3,200) :

(O you who believe : Be patient and vie in endurance and remain steadfast, and be careful of your duty to Allah, that you may be successful).

In this way we strengthen each other and bind our mutual relations closer, in our common service to Allah.

8. Allah's revelation being continous, all people are invited to accept its completion in Islam, and controversies are deprecated.

The Muslims are asked to hold together in union and harmony, and are promised security from harm, from their enemies, and enjoined to seek friendship among their own people.

9. The Jews have become bolder and more bitter in opposition which cannot have been the case, after the signal victory of Badr, until after the Muslims suffered a reverse at Uhud.

Allah says in verse III, 122 what means :

(And Allah did certainly assist you at Badr when you were weak; be careful of your duty to Allah, that you may give thanks).

10. In the third year of the Hijrah, the Meccans came against Al-Madinah, with an army of 3000 men to avenge their defeat at Badr in the previous year, and to wipe-out the Muslims. The Prophet, against his own first plan which was to defend Al-Madinah, at the instance of his companions, went out to meet them on Mount Uhud, posting his men carefully.

He led an army of 1000 men, a third of whom under Abdullah ibn Ubeyy (the Hypocrite Leader) deserted him before the battle, and said afterwards that they did not think there would be any fighting that day.

11. The battle began well for the Muslims but was changed to something near defeat by the disobedience of a band of fifty archers placed to guard the rear of the army. Seeing the Muslims winning, they feared that they might lose their share of the spoils and ran to take it, leaving a way open for the Meccan cavalry. The infidels then rallied and inflicted considerable loss upon the Muslims, the Prophet himself being wounded in the struggle. A cry arose that the prophet had been slain, and the Muslims were in despair till someone recognized the Prophet and cried out that he was alive. The Muslims then rallied to his side, and retired in some sort of order. The army of the idolaters also retired after the battle.

12. In this battle the wives of the leaders of the idolalers who had been brought with the army to give courage by their presence and their chanting, mutilated the Muslim slain, making necklaces and bracelets of ears and noses. Hind the wife of Abu Sufyan, plucked out the liver of the Prophet's uncle, Hamza publicly, and tried to eat it. The holy Prophet, when he saw the condition of the slain, was moved to vow reprisals. But he was relieved of his vow by a revelation.

13. On the day after the battle of Mount Uhud, the Prophet again went out with such of the

# THE SIGNIFICANCE OF THE EXEGESIS OF SURAH 'AAL IMRAN'

*By*

**Dr. Mohammad Abdel Monem El Gammal**

This Chapter is of 200 verses. It is a Medinite Surah revealed after the Chapter 'Al-Anfaal' or the Spoils of War no. VIII. It can be summed up as follows :

1. The name of this chapter is taken from the mention of Imran's family in verse 32 (Surely Allah chose Adam and Noah and the descendants of Abraham and the descendants of Imran above the Nations). The Imran to whom reference is made is the same as Imran, the father of Moses and Aeron.

2. The chapter opens with a statement relating to the Divine origin of the Holy Quran as well as the Torah and the Gospell, thus affording an illustration of what is said in 11,4 : (And who believe in that which has been revealed to you and that which was revealed before you, and they are sure of the Hereafter).

3. The first section is followed in the second by an assertion of the Oneness of Allah.

4. The third section refers to the departure of the spiritual Kingdom from the House of Isreal; Allah says in III, 25 what means :(Say : O Allah, Master of the Kingdom. You give the Kingdom to whomsoever You please and take away the Kingdom from whomsover You please, and You exalt whom You please and abase whom You Please; in Your hand is the good; surely, You have power over all things).

5. The chapter continues the controversy with the Jews and Christians, and deals too with the testimony of previous books and prophets to the truth of Islam.

6. This Surah takes a general view of the religious history of mankind, with special reference to the people of the Book, proceeds to explain the birth of the new people of Islam and their ordinances, insists on the need of struggle and fighting in the cause of Truth, and exhorts those who have been blessed with Islam to remain constant in Faith and to pray for guidance, and maintain their spiritual hope for the Future.

7. It refers to the story of the family of Imran (the father of Moses) and leads us from the Mosaic Dispensation to the miracles connected with the birth of Jesus.

our religion, our Quran itself directs us to move according to the time, to adjust according to the situation. If we remain static there can be no progress for the Muslims in the world. Therefore I have tremendous appreciation of the basic policies of Egypt under its leadership that they have no communal approach but they have adopted a policy of secularism in their country. Yesterday when I went to see your front in Ismailia and Suez I was happy to see that the Commander of the Second Army was a Christian. This is what should be done and is a very good thing. We have it in our country also. The highest positions are occupied by Muslims whether the Head of the State, whether the Head of the Supreme Court, whether in the Army.

So what I have said is not directed against our brethren in Egypt, but in order to use your influence to remove the misrepresentation and misgiving which is created in another part against our Government and the position of the Muslims in our country. We are very anxious to develop our knowledge about the Arabic language. We are very anxious to know about the real Islamic history, about the Islamic culture and about the trend of Islamic world. We know what is being done in this institution, Al Azhar, and what eminent position Your Eminence holds in this Institution. We hope to extend these activites by exchange of scholars and giving scholarships in your country, by frequent visits by Your Eminence and other friends here to see for themselves that Islam and Islamic culture and Islamic religion is safe in our country.

I thank you very much for the very precious gift of Quran which you have given me. What can be a better gift than the word of God ? I value it very much and also for the large number of publications which Your Eminence has given. Thank you very much. May I also give a small token of my affection to you ?

they cannot worship according to their own way, they cannot go to the mosques and they cannot do their other religious things.

Now if you look to Islam in proper sense itself Your Eminence has recited a verse "Al Hamdu Lillahi Rabbil Alameen". What does that demonstrate ? That demonstrates that God be praised who is the God of the entire world. And if that God had been only for the Muslims the verse would had been "Al Hamdu Lillahi Rabbil Muslimeen''. Therefore our Islam also says that our religion, our God, our Prophet has come for the service of humanity whatever may be the religion, the faith of an individual. According to the Holy Quran (S2 : VI 77) The virtue of Islam is not that you turn towards East or West but virtue lies in our acceptance of the unity of the God, in the belief in the Last Day and the Angels, in the acceptance of the Koran, and in the acceptance of the Prophet Mohamed and other prophets. If a person accepts these fundamental principles of Islam and serves humanity and taken advantage and benefit of the knowledge which God has given to human beings you can tell that person that he is a true Muslim.

It is in this spirit that we would like friends here and also in the Muslim world to know that the attitude of the Government of India in accepting secularism is for the purpose of serving entire people living in the country and to give them equal opportunities.

After centuries of colonialism and imperialism our country was divided on the basis of religion. I want Your Eminence and the friends here to consider whether it is for Islam to have a particular home for the Muslims or it is to take message of Islam throughout the world. Because our God, through our Prophet, wanted the message of Islam to be taken to the entire world and not to confine it to Arabia or other places. It was, therefore, un-Islamic to have or say that there will be only home for the Muslims in particular areas and in practice also it became impossible because 60 million Muslims remained in India after the partition. In these circumstances if the Government of India,, after the partition of the country on the basis of religion, had accepted Hinduism as the religion of the State would it have been better for the Muslims or the present secularism has been better for the Muslims of India ? Therefore I would plead for our Muslims brethren who are here to understand the position very clearly and see that nothing is done by way of anti-propaganda against our Government creating difficulty for the Muslims in our country.

Our religion is a very progressive religion. As long as we accept the fundamental basic principles of

religion of the State. We have accepted secularism as the basic policy of our country. This means that the Government has no religion but it does not mean that the people in our country have not the freedom to profess faith in whatever religion they like. So far as the Government is concerned its policy is to give equal opportunities to people of all faiths living in our country. We want our people, whatever religion they may belong to, to have faith in their own religion, profess their own religion in whatever way they like because we think that without religion, without spiritualism cannot be safe in this world. We feel that spiritualism together with materialism is the salvation of this world. I can therefore assure the friends here and our Muslim brethern all over the world that our population of 60 million Muslims — perhaps third in the world after Indonesia and Bangladesh and twice as many as you have in Egypt — have absolute freedom to profess their own religion, to worship in the way they like, to go to the mosques and to have their own personnal law in the country. Your Eminence had the opportunity of paying last visit to our cultural centre Nadwat Ul Ulema in Lucknow. Nadwat at Lucknow is a very important centre from the point of view of providing learning and teaching in Islamic culture, Islamic history and the Arabic language. It is located in the State called Uttaer Pradesh. The population of Uttar Pradesh is 70 million and of the 70 million only 10 per cent are Muslims. In Uttar Pradesh apart from the school at Nadwat we have the school at Deobandh and the school at Bareilly. I am telling these as an example that only in one State, where there is a small population of Muslims, there are a number of institutions to know about Islamic learing, about Islamic culture and Arabic.

We have in our country a State, Tamil Nadu, where the Muslim population is only 2 per cent and there also we have a large number of institutions which provide for facilities to learn of the Islamic language and culture. Your Eminence has seen the large number of mosques which are spread over the entire country, the large number of tombs of saints were respect is paid not only by Muslims but people belonging to all faiths in the country. By this I only want to say that the policy and the way of thinking of people of India is one of toleration and acceptance of all religions which have come to our country. It has not accepted a State religion because it want to have a neutral attitude towards religions in our country. Therefore I would like to disabuse the impression which some people have that Muslims in India have no opportunity or that

in its various parts. I deem it proper to refer here to what we saw and felt during our visit to your great country. Indeed, we witnessed a great resurgence which manifested itself clearly in every aspect of life.

Mr. President,

You have graciously bestowed upon us a full and splendid opportunity while we were in your country. We visited our Muslim brothers in India and perceived the complete freedom they enjoyed in the performance of the rituals of Islam and the propagation of its principles. We saw the numerous Institutes and Colleges which take deep interest in Islamic studies, and of which hardly a single town has been left out.

As I express my appreciation of all this great resergence in your country I find it necessary to laud also the decision of the President of the Arab Republic of Egypt, the great Faithful Leader Mohamed Anwar Al Sadat, offering scholarship grants to the Muslims of India, dispatching teachers to them and, likewise, receiving some of them here-all for the strengthening of our cultural ties and the conoslidation of the mutual bonds of love and fraternity between our two pepoles.

Greetings to you, Mr. President ! You are certainly most welcome here among your own kith and kin. And through you, greetings to the people of India also !

May God's benevolence extend its protection to you : May He bless your rule : May He render your beneficence all the greater :

And may the peace, mercy and blessings of Allah be upon you !

Replying to the welcome address President Fakhruddin Ali Ahmed said :

Your Eminence Dr. Abdel Halim Mahmoud, Ecellencies and Friends,

I am indeed very happy to have this opportunity of paying a visit to the historic city of Cairo and particularly to the Al-Azhar Educational Institutions in the world. I am grateful for the warm reception which I have received from my brother and friend President El Sadat and the people of Egypt and also the affection which we have received here in this country. You are not stranger to our country and I am not a stranger in this country. You have been to my country several times and during this year we had the honour of receiving you twice. During these frequent visits you had a glimpse of what we are doing for the furtherance and development of Islamic culture, history and language in our country.

Ours is a country where according to the Constitution there is no

## SPEECHES OF THE GRAND SHEIKH AND THE PRESIDENT OF INDIA AT AL-AZHAR

The Indian President H.E. Fakhruddin Ali Ahmed visited Al-Azhar on Friday the 5th of December, 1975 and offered prayer at the ancient Azhar Mosque, in the company of the Grand Sheikh Dr. Abdul Haleem Mahmoud, Prime Minister H.E. Mamdouh Salem and a number of eminent scholars. The President was welcomed on his arrival by the Grand Sheikh and taken to his office for a ceremonial welcome address and presentation of a gift of Holy Quran. Welcoming the President of India, the Grand Sheikh said :

Mr. President,

May I be allowed to greet you in Muslim fashion, 'Al Salem Alaikum Warahmatullahi Wabarkatuh, and through your noble and eminent person to greet the entire people of India, Muslims as well as non-Muslims ? The Arab World in general, and the Egyptian people in particular, are linked with the people of India by old and close bonds which go back to the pre-Islamic Period. Then came Islam. With its advent those bonds gained greater strength and solidarity, and with the passage of years, they became closer and more brotherly.

Mr. President,

This ancient Mosque has witnessed the passage of one thousand years or more. Ever since it was founded and until this day, and in days to come also, it continued to shed the light of knowledge and culture on all parts and corners of the world.

"As I greet you, therefore, in the name of this ancient Mosque and this great World-known Univesity, tens of past centuries will share my greetings and with them thousands of Ulemas who have long carried the torches of knowledge and spread the light of culture, and who have left to the world valuable treasures of knowledge, valuable masterpieces and rare works. Likewise, the sons of Al-Azhar, those who graduated from it, join in greeting you as they perform their message in the various corners of the world, East as well as West, where indeed there is not a place where their task is not being carried out.

Mr. President,

I have had the privilege and pleasure of visiting your great country, and have travelled far and wide

who had disgraced humanity by inflicting cruel outrages upon inoffensive men and women, were now completely at his mercy. But in the hours of triumph every evil suffered was forgotten, every injury inflicted was forgiven, and a general amnesty was extended to the people of Mecca. The army followed his example, and entered gently and peaceably.

Now the Prophet Muhammad saw his mission all but completed. His principal disciples were despatched in every direction to call to Islam and with strict injunctions to preach and good-will. Only in case of violence were they to defend themselves. Deputations began to arrive from all sides to tender the allegiance and adherence of tribes hitherto most inimical to the Muslims. The hosts of Arabia came flocking to join his faith.

In the tenth year of the Hijra took place the conversions of the remaining tribes of Yemen and of Hijaz. Then followed the cnoversions of the tribes of Hazramouth and Kinda. From time immemorial the Arabian peninsula had been wrapped in absolute moral darkness. Spiritual life was utterly unknown. Neither Judaism nor Christianity had made any impression on the Arab mind. Long had Chrisianity and Judaism tried to wean the Arab tribes from their gross superstition, their inhuman practices, and their immorality and cruelty. The idea of a future existence, and of retribution of good and evil, were, as motives of human action, practically unknown. Only a few years before, such was the condition of Arabia. What a change had these few years witnessed ! In the midst of a nation steeped in barbarism a prophet had arisen. He found them sunk in a degrading and murderous superstition ; he inspired them with the belief in One God, the sole Truth, love and Cherisher of all worlds. He saw them disunited, and engaged in perpetual war with each other; he united them by the ties of brotherhood and charity. What had once been a moral desert, were all laws, human and divine were contemned and infringed without remorse, was now transformed into a garden of knowledge, goodness, justice and universal love. This phenomenon has been justly acknowledged as the pre-eminent glory of Islam and the most remarkable evidence of the genius of its teacher.

Aqaba, each one, placing his hand on the Prophet's, swore allegiance to him. Then the Prophet selected twelve men from among them as his delegates. This event occurred in the month of Dhul Hijja. The Prophet stopped at Mecca throughout the remainder of this month and Muharram and Safar. In the month of Rabi al-awwal, he left for Madinah. He entered the city on the morning of a Friday, 16th of Rabi al-awwal coresponding the 2nd of July 622 A.D. after the 13 years of his mission. Thus, was accomplished the Hijra. But the era of the Hijra or the Hijra Calander, was instituted 17 years later by the second Caliph Umar. The commencement, however, is not laid at the real time of the departure from Mecca to Madinah, but on the first day of the first Lunar month of the year i.e. Muharram - which day, in the year when the era was established, fell on the 15th of July.

The migration of the Prophet Muhammad from Mecca to Madina was the turning point in the history of Islam. This important event happened at the age of 53, after the thirteen years of his mission. Although the word Hijra means migration or emigration, departure, the flight and settlement in another country; yet it should be remembered that the Hijra of the Prophet was a goodbye to the old idolatrous past with all its evil connections and customs, so much as the breaking of old ties and a greeting to the new future of purity and true faith. It was, in other words, a Journey in the Way of God.

The Hijra also was the beginning of the reorganisation of the community and the spread of the Prophet's mission in the different parts of the world. The Prophet created a fraternization between the different tribes of Madinah and its suburbs, and between the displaced immigrants and the inhabitants of Madinah. From Madinah the Prophet launched an intensive programme for the propagation of his mission. He addressed letters to the rulers of other lands inviting them to Islam and seeking their help in the spreading of his reformative mission.

The migration to Madinah led not only to the spread of Voice of Islam in the parts of Arabia and foreign countries, but also helped the prophet to conquer Mecca in a bloodless manner as a benevolent conquer. He, who was once a fugitive and persecuted, now came to prove his mission by deeds of Mercy. The city which had treated him so cruelly, driven him and his faithful band for refuge amongst strangers, which had sworn his life and the lives of his devoted disciples, lay at his feet. His old persecutors relentless and ruthless

strike the decisive blow. With that purpose they formed, in the seventh year of the mission, a pact against the descendants of Hashim and Muthalib, not to enter into any contract or to buy and sell with them. They lived in this position with Muhammad in their midst for nearly three years. The year which followed is called the year of mourning for the loss of Abu Talib and Khadija. In Aub Talib, the Prophet lost the guardian of his youth, who had hitherto stood between him and his enemies. The death of Khadija was a severe blow. When non believed him, when everything around him was dark and despairing her love, her faith had stood by him.

With a saddened heart and yet full of trust he determined to turn to some other field to preach his mission. Accompanied by his faithful servant Zaid he went to Tayef, but they rejected his call, and drove, him out of the city hooting and pelting him with stones. The Prophet Muhammad (peace be upon him) returned to Mecca sorely struck in heart. He confined his efforts mainly to the strangers who congregated in Mecca and its vicinity during the season of the annual pilgrimage, hoing to find among them some who would believe in him and carry the mission to their people. One day, while hopefully working among those pilgrims, he came upon a group of men from the distant city of Yathrib. He asked them to listen to him. Struck by his earnestness and the truth of his words they became his believers and returning to their city, they spread the news, with lightning rapidity, that a Prophet had risen among the Arabs who was to call them to God, and put an end to their dissensions which had lasted for centuries. The next year these Yathribites returned with more fellow citizens as deputies from the two principal tribes (Aus and Kharzaj) who occupied that city. They conferred at the hill spot called Aqba and they took the following pledge : "We will not associate anything with God; we will not steal, nor commit adultry nor fornication; we will not kill our children; we will abstain from calumny and slander ; we will obey the Prophet in everything that is right and we will be faithful to him in weal and sorrow."

After the pledge, they returned home with a disciple of the Prophet to teach them the fundamental doctrines of Islam, which rapidly spread among the inhabitants of Yathrib. In the history of Islam, this pledge is called the First Pledge of Aqaba. The following year a seventy-five member delegation came from Yathrib to invite the Prophet to their city. The Prophet appeared among them accompanied by his uncle Abbas. And then, took place the Second Pledge of

# MAJALLATU'L AZHAR

## (AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDU. RAHIM FUDA

| MUHARRAM 1396 | ENGLISH SECTION | JANUARY 1976 |
|---|---|---|

### THE GREATEST EVENT IN THE HISTORY OF ISLAM

*By*

**Dr. Mohiaddin Alwaye**

The distinctive superiority of Prophet Muhammad over the other prophets, sages and philosophers of other times and other countries lies in the fact that his Mission was accomplished and the whole work had been achieved in his lifetime. The humble preacher, who had only the other day been hunted out of the city of his birth and been stoned out of the place where he had gone to preach God's words, had within the short space of ten years, lifted up his people from the abysmal depths of moral and spiritual degradation to a conception of purity and justice. He infused vitality into a dormant people; he consolidated a congeries of warring tribes into a nation inspired into action with the hope of everlasting life. He broke down the barriers of caste and exclusive privileges. He proclamied the value of knowledge and learning.

The Prophet (peace be upon him) began his mission by preaching it secretly among his intimate friends then among the members of his family and near relatives. Thereafter he proclaimed his mission openly and publicly in the city of Mecca and its suburbs. The numbers of his adherents increased gradually, but the opposition also grew more intense on the part of those who were firmly attached to their ancestral beliefs. Besides a large following taken from the humbler and middle walks of life, there were gathered round the Prophet men of energy, talent and worth, like Abu Bakr, Umar, and Hamza.

The Qureish and other hostile clans saw the gravity of the situation. And yet they waited to

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
للمدرسين والطلاب تخفيض خاص

# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثاني — السنة الثامنة والأربعون — صفر سنة ١٣٩٦ هـ — فبراير سنة ١٩٧٦ م






بسم الله الرحمن الرحيم

# نحو العلم والإيمان


للأستاذ عبد الرحيم فوده


العلم كما قال الراغب الأصفهاني في كتابه « المفردات » ادراك الشيء بحقيقته ، وهو ضربان « أحدهما ادراك ذات الشيء » والثاني الحكم على شيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه ، وقد مثل للأول بقول الله : « لا تعلمونهم الله يعلمهم » ومثل للثاني بقوله : « فان علمتموهن مؤمنات » ، فان معنى لا تعلمونهم لاتعرفونهم بذواتهم وأعيانهم ، ومعنى فان علمتموهن مؤمنات عرفتم تعلق الايمان بهن وثبوته لهن فمتعلق العلم في الأول ذات، وفي الثاني نسبة وفي كلا الحالين لابد في العلم من فهم وادراك ومعرفة .

والايمان هو التصديق بالحق والاذعان له . والعمل بمقتضاه أو على هداه ، كما يفهم من قول الله تعالى : « انما المؤمنون الذين آمنو بالله

ورســـوله ثم لم يرتابوا وجاهـدوا بأمــوالهم وأنفســهم فى ســبيل الله أولئـك هـم الصـادقون » فالتصـديق بالحـق سبيله العـلم ، والاذعـان له سبيله الاقناع • والعمل بمقتضاه هو الثمرة الطبيعية للعلم والايمان • ومن ثم نرى مكانة العلم من الايمان بالمثابة الكريمة العظيمة التى يشير اليها قوله تعالى : « انمـا يخشى الله من عبـاده العلماء » وقوله جل شأنه : « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط » •

وقد قيل فى تعليل تسمية ماسوى الله عالمـا ( بفتح اللام ) ان العـلم به يهدى الى صانعه ومبدعه جل شأنه ، ويدل على أنه سبحانه رب العالمين ، وهذه ما نطالعه فى قول الله : « هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه » وقوله :« ان فى خلق السموات والأرض واختــلاف الليـل والنهـار لآيات لأولى الألباب • الذين يذكرون الله قيامـا وقعـودا وعلى جنـــوبهم ويتفكـــرون فى خلق الســـموات والأرض ربنا ما خلقت هـذا باطـلا سبحانك» ،وقوله : «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفســهم حتى يتبين لهــم أنه الحق » •

فالكون بما فيه وبما قام عليه من سنن وقوانين الهية كتاب منظور يجد فيـه الانســان من آيات الله ودلائل حكمته وقدرته ورحمته، ما يملأ قلبه ايمانا به ويطلق لسانه بالثناء عليه ، ويخلص عمله للتقرب اليه ، والقرآن كتاب مقروء يجد فيه الانســان غذاء لروحه • وشــفاء لصـدره • ونمـاء لفكره ، كما يجـد التوافق والتطابق بين ما يكشفه العلم من حقائق كونية وما تشتمل عليه آياته من توجيهـات الهية ، فلا تتعارض حقيقة علمية مع قضية قرآنية كما يشير الى ذلك قول الله فيه : «قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض» ، وقوله :«لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه» ، وقوله:« ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد» ، وقوله «بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العـلم وما يجحـد بآياتنا الا الظالمون •• » وقد لفت الله فيه نظر الانسان الى أن كل ما حوله مسخر له • ميسر لتلبية حاجاته • فقال تعالى: « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض

جديد » وقال جل شأن : « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون • وماذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآيات لقوم يذكرون • وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » •

وهذا التوجيه الالهى وجد عند المسلمين ــ فى أول عهدهم بالاسلام ــ استجابة طيبة فانتفعوا به • ووصلوا الى القمة التى لم تصل اليها أمة ، وآلت اليهم مقادة العالم فى كل شىء كان يعرفه العالم ، ثم كانت حضارتهم المنارة التى أضاءت لأوربا طريق الخلاص من ظلام العصور الوسطى ، وكان ذلك هو التفسير الواقعى العملى لقول الله فيهم وفى الرسول الذى بعث فيهم : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين • وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » •

عبد الرحيم فودة

# الشريعة الإسلامية
## في مجلس الشعب

تقدم النائب الدكتور اسماعيل على معتوق بمشروع الى مجلس الشعب يطالب فيه بتعديل بعض مواد قانون العقوبات المصرى طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية •

وهذا هو نص المشروع الذى تقدم به النائب المحترم الى مجلس الشعب •

**اقتراح بمشروع قانون**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدم من السيد العضو الدكتور اسماعيل على معتوق بتعديل بعض مواد قانون العقوبات المصرى طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية •

باسم الشعب •

رئيس الجمهورية •

قرر مجلس الشعب القانون الآتى نصه وقد أصدرناه :

**(مادة ١)**

تعدل المواد التالية من قانون العقوبات لتكون على النحو التالى :

**الكتاب الأول**

**الباب الثانى**

**انواع الجرائم**

المادة ١٠ :

الجنايات هى الجرائم المعاقب عليها بالعقوبات الآتية :

١ ـ الاعدام •

٢ ـ قطع الأيدى والأرجل من خلاف •

٣ ـ قطع اليد •

٤ ـ الأشغال الشاقة المؤبدة •

٥ ـ الأشغال الشاقة المؤقتة •

٦ ـ الصلب لمدة لا تتجاوز ثلاثة أيام •

المادة ١١ :

الجنح هى الجرائم المعاقب عليها بالعقوبات الآتية :

١ ـ الجلد •

٢ ـ النفى ( السجن ) •

٣ - التغريب ( الحبس ) •

٤ - الغرامة التى يزيد أقصى مقدارها على جنيه •

## الباب الثالث
## العقوبات
### القسم الأول - العقوبات الأصلية

المادة ١٣ :

كل محكوم عليه بالاعدام يشنق أو يرجم فيرمى بالحجارة الى أن يموت أو يقتل بمثل الطريقة التى قتل بها - ويجب فى كل الأحوال ان تحسن القتلة •

تضاف المواد الآتية الى قانون العقوبات :

المادة ١٣ مكرر :

تنفذ عقوبة قطع الأيدى والأرجل من خلاف بقطع اليد اليمنى من العضد والرجل اليسرى من المفصل العلوى للفخذ ، فان عاد - أو اذا تعذر ذلك بسبب عدم وجود ايهما أو عدم جدواها - تقطع اليد اليسرى والرجل اليمنى بنفس الطريقة •

المادة ١٣ مكرر (١) :

تنفذ عقوبة قطع اليد بقطع اليمنى من الرسغ فان عاد - بعد قطع اليمنى أو اذا لم توجد اليد اليمنى حقيقة أو حكما تقطع اليسرى بذات الطريقة •

المادة ١٣ مكرر (٢) :

يكون الجلد بسوط ذى شعبة واحدة غير معقد أو مدهون على الظهر العارى للمحكوم عليه - وتستر المحكوم عليها برداء خفيف غير شفاف ولا يرفع الضارب يده حتى يظهر أبطه على أن يكون الضرب مؤلما غير متلف للجسم •

المادة ١٦ مكرر :

النفى هو ابعاد المحكوم عليه من محل اقامته الى منطقة نائية مدة تتراوح بين عام وعشرة أعوام •

تلغى المادة ١٧ ويستبدل بها النص الآتى :

المادة ١٧ :

يستبدل بكل سنة من الأشغال الشاقة فى نصوص قانون العقوبات والقوانين الملحقة به عشر جلدات بحد أقصى خمس وسبعين جلدة وتعدل نصوصه طبقا لهذه القاعدة الا اذا نص فى المواد التالية على غير ذلك •

تضاف المادة التالية الى قانون العقوبات :

المادة ١٨ مكرر :

التغريب هو النفى فيما لا يجاوز عاما واحدا .

## الكتاب الثانى

### الباب الحادى عشر ـ حد الردة

تضاف المواد الآتية برقم ١٦٠ ويعدل رقم المادة ١٦٠ الى ١٦٠ مكرر .

المادة ١٦٠ :

يعاقب بالاعدام شنقا من يرتد عن دين الاسلام بعد أن يستتاب ثلاثة أيام والمرتدة تستتاب فان تابت والا تلغى حتى تتوب .

## الكتاب الثالث

### الباب الأول ـ القصاص

تلغى المواد من ٢٣٠ حتى ٢٣٧ وتحل محلها المواد الآتية :

المادة ٢٣٠ :

يقتص بطريقة مشروعه من كل من قتل آخر عمدا الا بالحق بأن يقتل بمثل الطريقة التى قتل بها .

فان لم يمكن تحقيق المثلية فى العقوبة يعاقب بالاعدام شنقا .

المادة ٢٣١ :

يعاقب من شارك فى قتل غيره ـ بالتحريض أو الاتفاق أو المساعدة ـ بالأشغال الشاقة المؤبدة .

المادة ٢٣٢ :

اذا سقط القصاص لشبهة ـ سواء فى الأركان أو الأدلة ـ يلزم القاتل بأداء الدية الى ولى الدم فان لم يستطع أدتها عاقلته فان لم تستطع أدتها الدولة عنه .

المادة ٢٣٣ :

كل من جرح أو ضرب أحدا أو أعطاه مواد ضارة ولم يقصد من ذلك قتلا ، لكنه أفضى الى الموت يعاقب بالجلد من ستين الى سبعين جلدة وينفى الى ثلاثة أعوام ويلزم بأداء الدية الى ولى الدم فان لم يستطع ادتها عاقلته فان لم تتمكن ادتها الدولة عنه .

المادة ٢٣٤ :

واذا لم يعلم للقتيل قاتل تؤدى الدولة الدية الى أهله .

المادة ٢٣٥ :

يعفى من العقاب من قتل زوجته أو احدى محارمه والزانى بها أو أيهما اذا فاجأهما حال تلبسهما بالزنى .

المادة ٢٣٦ :

يقتص من أحدث بغيره عمدا جروحا وذلك باحداث مثلها به •

فاذا لم تمكن المماثلة يلزم بأداء أرش للمجنى عليه •

المادة ٢٣٧ :

يجوز للمجنى عليه أو أى من أولياء الدم فقط أن يعفو عن الجانى نظير دية أو أرش أو بدونهما بعد تمكينه منه فى الحالات المنصوص عليها فى المواد من ٢٣٠ الى ٢٣٦

تلغى المواد من ٢٤٠ الى ٢٤٣ مكرر •

## الباب الرابع ـ حد الزنى

تلغى المواد من ٢٦٧ الى ٢٧٩ وتستبدل بها النصوص الآتية :

المادة ٢٦٧ :

يعاقب بالاعدام رجما الثيب الزانى•

المادة ٢٦٨ :

يعاقب الزانى غير المحصن بالجلد مائة جلدة والتغريب عاما هجريا كاملا •

المادة ٢٦٩ :

تعاقب الزانية غير المحصنة بالجلد مائة جلدة وتمسك فى بيتها حتى يتوفاها الموت أو يجعل الله لها سبيلا •

المادة ٢٧٠ :

يعاقب بالجلد من ستين الى تسعين جلدة :

١ ـ من لاوط غيره ذكرا كان أو أنثى ، فان اعتاد يقتل اذا لم يندفع فساده الا بالقتل •

٢ ـ من أقدم ـ بالفعل ـ على شيء من مقدمات الزنى •

٣ ـ من سقط عنه حد الزنى لشبهة •

المادة ٢٧١ :

يعاقب بالجلد من عشرين الى خمسين جلدة :

١ ـ من أقدم ـ بالفعل ـ على شيء من مقدمات اللواط •

٢ ـ من أقدم ـ بالقول ـ على شيء من مقدمات الزنى •

٣ ـ من حرض على الفسق علانية بأقوال أو اشارات •

٤ ـ من فعل علانية فعلا فاضحا مخلا بالحياء .

المادة ٢٧٢ :

الأدلة التى تقبل وتكون حجة على المتهم طبقا للمواد ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ هى شهادة أربعة شهداء رجال عدول أو اقراره أربع مرات أو اذا كان الحبل من غير ذات زوج الا اذا كان الشاهد زوجا ـ ولم يكن هناك شهود غيره فيكفى أن يحلف بالله أربع مرات أنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ويدرأ عنها العقاب ان تحلف بالله أربع مرات أنه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ،فان فعلا يفرق القاضى الجنائى بينهما .

فان حلف وأبت أعدمت رجما وان اتهمها ونكل عن أداء الشهادات أو كذب نفسه بعد اللسان يجلد ثمانين جلدة .

المادة ٢٧٣ :

الأدلة التى تقبل وتكون حجة على المتهم طبقا للمادتين ٢٧٠ ، ٢٧١ هى شهادة رجلين عدلين أو اقراره مرتين .

المادة ٢٧٤ :

لا يجوز العفو عما سبق من جرائم .

المادة ٢٧٥ :

تتقادم هذه الجرائم بمضى سنة من وقوعها .

## الباب السابع
## حد القذف

تلغى المواد من ٣٠٢ الى ٣١٠ ويستبدل بها النصوص الآتية :

المادة ٣٠٢ :

من رمى محصنا أو محصنة بالزنى يعاقب بالجلد ثمانين جلدة ولا تقبل له شهادة أبدا .

المادة ٣٠٣ :

من رمى غير محصن أو غير محصنة بالزنى أو سقط الحد بشبهة يعاقب بالجلد من عشرة الى ثلاثين جلدة .

المادة ٣٠٤ :

لا يجوز العفو عن الجرائم محل المادتين السابقتين .

المادة ٣٠٥ :

من رمى غيره بغير الزنى مما يؤثر فى اعتباره يعاقب بالجلد من خمسة الى عشرين جلدة •

المادة ٣٠٦ :

لا يحكم بهذا العقاب على من أخبر بالصدق وعدم سوء القصد الحكام القضائيين أو الاداريين ـ بأمر يتعلق بارتكاب جريمة من الجرائم •

أما الابلاغ عن الجريمة المنصوص عليها فى المواد ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ فلابد من اجتماع الشهود الأربعة ـ أو اقرار المتهم أربع مرت ـ والا يجلد كل ممن لم يكتمل ثمانين جلدة ولا تقبل له شهادة أبدا •

المادة ٣٠٧ :

يعاقب كل من أخبر بأمر كاذب مع سوء القصد بالجلد من عشرين الى خمسين جلدة •

المادة ٣٠٨ :

كل من تعرض لأنثى على وجه يخدش حياءها بالقول أو بالفعل يعاقب بالجلد من عشرة الى عشرين جلدة فاذا عاد يجلد من عشرين الى خمسين جلدة •

المادة ٣٠٩ :

من أفشى سرا اؤتمن عليه بسبب مهنته يعاقب بالجلد من ثلاثين الى خمسين جلدة •

المادة ٣١٠ :

يجوز العفو من المجنى عليه فقط عما سبق من جرائم وتكفى شهادة رجلين عدلين لاثباتها أو اقرار المتهم بها •

## الباب الثامن
## حد السرقة

تلغى المواد : من ٣١١ الى ٣٦٢ ويستبدل بها النصوص الآتية :

المادة ٣١١ :

يعاقب من سرق خفية مالا مملوكا لغيره فى حرز مثله يزيد على ما قيمته جرامان من الذهب الخالص بالجلد من عشرين الى خمسين جلدة وينذر بقطع يده ان عاد الى السرقة • ولا يجوز العفو عنه •

المادة ٣١٢ :

تقطع يد السارق والسارقة ، ولا يجوز العفو عنهما •

المادة ٣١٣ :

كل من سقط عنه الحد في المادتين السابقتين لشبهـفي الأركان أو الأدلة أو شرع في السرقة يعاقب بالجلدمن عشرة الى أربعين جلدة وتختص بنظرها المحكمة المحال اليها . ولا يجوز العفو عنه .

المادة ٣١٤ :

من أؤتمن على مال فخان الأمانة يعاقب بالجلد من عشرين الىخمسين جلدة .

المادة ٣١٥ :

من استولى على مال غيره بغير حق يعاقب بالجلد منعشرين الى خمسين جلدة .

المادة ٣١٦ :

من تداين بدين الى أجل مسمى ولم يرده في موعد استحقاقه مع قدرته ويساره يعاقب بالحبس من شهر الى ستة أشهر ويجوز تكرار العقوبة اذا أصر على المطل ويفرج عنه بمجرد أن يؤدى الدين كاملا ، ويمتنع تنفيذ العقوبة ان أداه كاملا قبل البدء في تنفيذها .

المادة ٣١٧ :

وفي كل الأحوال يجوز للمجنى عليه أن يعفو فلا يعاقب في الحالات السابقة ويلتزم من اعتدى على المال برده أو برد قيمته وقت الاستيلاء ان تلف أو هلك الى مالكه .

## حد الحرابة

المادة ٣١٨ :

كل من اتفق مع غيره على ارتكاب جرائم من شأنها الاعتداء على الجسم أو المال أو العرض وأقدموا عليها مع حمل سلاح ظاهر فانهم يعاقبون بالعقوبات الآتية :

١ ـ يقتل مرتكبوها ـ فاعلون أصليون أو شركاء ـ شنقا اذا ترتب على اعتدائهم قتل نفس عمدا ـ كفاحا أو غيلة .

٢ ـ ان ترتب على هذا الاعتداء قتل وسلب مال أو هتك عرض يصلبوا ثلاثة أيام ثم يعدموا شنقا ويرد المال الى مالكه .

٣ ـ ان لم يترتب على عدوانهم الا الاستيلاء على المال أو هتك العرض دون الزنا تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف مع رد المال الى مالكه .

٤ ـ ان اقتصر عملهم على الترويع يعاقبوا بالنفى من محال اقامتهم الى جهات أخرى متفرقة ويجوز أن يكون ذلك الى السجن من خمس الى عشر سنوات .

المادة ٣١٩ :

لا يجوز للمجنى عليه أو لولى الدم أن يعفو فى هذه الحالة .

المادة ٣٢٠ :

يعفى من هذه العقوبات من عدل تائبا باختياره قبل القبض عليه دون ارتكاب جرائم فان تاب بعد ارتكاب جريمة فعلية عقوبتها بشروطها .

المادة ٣٢١ :

اذا سقط حد الحرابة بشبهة ـ فى الأركان أو الأدلة ـ أو أوقف أو تخلف أثر الجريمة لسبب لادخل لارادتهم فيه، يعاقب كل منهم بالجلد من عشرين الى خمسة وسبعين جلدة .

**( مادة ٢ )**

يلغى قانون المخدرات وتستبدل بنصوصه المواد التالية وتضاف الى قانون العقوبات بالكتاب الثالث فى الباب الثامن منه .

## حد الشرب

المادة ٣٢٢ :

الخمر هى النيىء من ماء العنب اذا اشتد وغلا وقذف بالزبد .

المادة ٣٢٣ :

المسكر هو ما أسكر كثيره غير الخمر على النحو المعروف به فى المادة السابقة وما اشتمل عليه الجدول الملحق بالمعاهدة الدولية الوحيدة للمخدرات المنعقدة فى نيويورك .

المادة ٣٢٤ :

يعاقب بالجلد ثمانين جلدة كل مسلم شرب الخمر أو سكر من غيرها .

المادة ٣٢٥ :

يعاقب بالجلد من خمسين الى سبعين جلدة كل مسلم :

( أ ) شرب السكر ولم يسكر منه .

(ب) تعاطى الخمر أو السكر عن غير طريق الفم .

المادة ٣٢٦ :

يعاقب بالجلد من عشر الى عشرين جلدة كل مسلم وجد فى مجلس شرب الخمر أو السكر ولم يثبت أنه تعاطى أيهما .

المادة ٣٢٧ :

يعاقب بالجلد من خمسين الى سبعين جلدة :

( أ ) كل مسلم صنع الخمر أو السكر أو اشترك فى تصنيع أيهما .

(ب) كل مسلم باع أى منهما أو تدخل فى تجارتهما عن طريق الوساطة أو الاعلان أو غيرهما .

(ج) كل مسلم أعد مكانا لتعاطى الخمر أو السكر أو قدمهما فيه .

( د) غير المسلم اذا قام بشىء من ذلك وقصد اطلاق تداولهما بين المسلمين أو باعهما أو قدمهما أو أيهما لأحدهم .

تلغى المواد : من ٣٣٦ الى ٣٤٣ .

**( مادة ٣ )**

ينشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية ويعمل به من تاريخ نشره .

يبصم هذا القانون بخاتم الدولة . وينفذ كقانون من قوانينها .

مقدم المشروع
**الدكتور اسماعيل على معتوق**
**عضو مجلس الشعب**

وقد بعث فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بهذه الرسالة الى السيد المهندس/سيد مرعى رئيس مجلس الشعب تأييدا لهذا المشروع راجيا تأييد هذا الاتجاه نحو تطبيق الشريعة الاسلامية ، لتحقيق هذا المطلب الأساسى الذى تحرص عليه الأمة ، وهذا هو نص رسالته الى السيد/ رئيس مجلس الشعب .

السيد الأخ الفاضل المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى الأخوة أعضاء مجلس الشعب أجمعين .

وبعد :

فيسعدنى أن أتحدث اليكم كرئيس للهيئة التشريعية فى وطننا الاسلامى

الذى استقر الاسلام فى ربوعه وآمن أهله بشريعته الغراء ، وأصر أبناؤه على أن يجيء دستورهم وقد نص على أن الدين الرسمى للدولة هوالاسلام وأن الشريعة الاسلامية فيها مصدر رئيسى للقوانين ، وجاء على رأس هذه البلاد بتوفيق من الله - رئيس مؤمن هوالرئيس محمد أنور السادات الذى أعلن دولة العلم والايمان •

وبمقتضى ذلك كله نرى أن الهيئة التشريعية الموقرة قد أتيحت لها اليوم الفرصة لتحقق آمالا تطلعت اليها جماهير الشعب المسلم ، كما تطلع اليها أعضاء هذه الهيئة التشريعية أنفسهم ، وذلك بما عرضه الأخ الدكتور اسماعيل معتوق عضو المجلس من مشروع قدمه لتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية فى مصر •

واننا لنرجو لمجلس الشعب فى هذا الموقف التاريخى أن يحالفه التوفيق فينظر بعين الجدية والاهتمام لهذا المشروع وأن يعمل على تحقيق أهدافه فى تطبيق الشريعة الاسلامية•

ونود فى هذه المناسبة أن نوضح مجال النظر فى هذا المشروع وأمثاله، ذلك أن ماكان من دين الله نصا مقدسا لايملك المؤمنون أمامه الا أن يقولوا سمعنا وأطعنا وماكان مجاله مفتوحا للرأى فلا يجتهد فيه الا من استوعب الكتاب والسنة وعرف بالغيرة على الدين وأن المجتهد ان أخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران • وأن الخطأ لا يجوز على نص شرعى مقدس •

واننا اذ نكتب لسيادتكم والى المجلس الموقر • راجين تأييد هذا الاتجاه الكريم نحو تطبيق الشريعة الاسلامية•لعلى ثقة من أنكم تنطوون على أنبل المشاعر نحو شريعة الله ، وأنكم ساهرون على تحقيق ارادة الله، وارادة الشعب المسلم الذى طال انتظاره لوضع قانون الله موضع التنفيذ •

أسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعا من الذين يتواصون بالحق ، وأن يجمعنا على طريقه سبحانه فى الدنيا والآخرة •

واننى باسمى وباسم علماء الأزهر متطلع الى جهودكم وجهود مجلسكم الموقر فى هذا السبيل •

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز • الذين ان مكنـاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهـوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » •

والسـلام عليـكم ورحمـة الله وبركاته ؟

الامام الأكبر
شيخ الأزهر
دكتور عبد الحليم محمود

٦ من المحرم سنة ١٣٩٦
٧ من يناير سنة ١٩٧٦

دراسات قرآنية :

# العين والحسد

للأستاذ مصطفى الطير

**قال تعالى :**

**« وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر » .**

**« ويقولون انه لمجنون : وما هو الا ذكر للعالمين » .**

( آخر سورة ن )

**« قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق اذا وقب * ومن شر النفاثات فى العقد * ومن شر حاسد اذا حسد » .**

**البيان**

لا يكاد الكثير من الناس يفرقون بين العين والحسد ، اذ يظنونهما شيئا واحدا ، وليس الأمر كذلك فالعين أن يرى الشخص غيره بعينه ، مريدا احداث الضرر فيه بهذه الرؤية فيحدث له الضرر ، واللفظ مأخوذ من عانه - أى أصابه بعينه - ومنه قولهم تعين الرجل - أى تهيأ ليصيب شيئا بعينه ، والحسد أن يتمنى زوال النعمة عن سواه ، فان كان المتمنى من أصحاب خاصية العين حصل للمحسود الضرر المقصود ، والا لم يحصل له ، وفيما يلى بيان ذلك :

روى أنه كان الرجل العربى من أصحاب العين يمكث ثلاثة أيام لا يأكل ، ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الابل أو الغنم فيقول: لم أر كاليوم ابلا ولا غنما أحسن من هذه ، فما تذهب الا قليلا حتى تسقط منها طائفة هالكة .

وقد اشتهر بالاصابة بالعين بنو أسد ، فكان فيهم عيانون كثيرون - أى اناس كثيرون يصيبون بالعين - وكانت البقرة السمينة تمر بأحدهم فيراها بعينه ، ثم يقول لجاريته : خذى المكتل - أى الزنبيل - والدرهم ، فائتينا بلحم من هذه البقرة ، فما

تبرح حتى تقع هذه البقرة، فيسارعون الى نحرها ، وتشترى الجارية من لحمها .

وروى أن المشركين سألوا واحدا من أولئك العيانين أن يصيب لهم النبى صلى الله عليه وسلم بعينه ، فأجابهم الى ما سألوا ، فلما مر به النبى صلى الله عليه وسلم أنشد :

قد كان قومك يحسبونك سيدا
واخال أنك سيد معيون

فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت : « وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر..» الآيتين آخر سورة (ن).

قال الهروى فى تفسير : « ليزلقونك بأبصارهم ليعتانونك بعيونهم ، فيزيلونك عن مقامك الذى أقامك الله فيه عداوة لك :

وقال ابن عباس : ينفذونك بأبصارهم ، يقال : زلق السهم وزهق اذا نفذ ، وهو قول مجاهد ، أى ينفذونك من شدة نظرهم ، وروى عن الحسن أن قراءة هذه الآية تدفع العين .

وقد استدل بهذه الآية على أن العين تصيب ، وصح من عدة طرق قوله صلى الله عليه وسلم :

« العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر » .

وأخرج الامام أحمد بسند رجاله ثقات — كما قال الهيثمى — عن أبى ذر مرفوعا « ان العين لتولع بالرجل حتى يصعد حالقا ، ثم يتردى منه » أى لتعلق بالرجل حتى يصعد الجبل المرتفع ثم يسقط منه هالكا، والحديث كناية عن هلكة المصاب بالعين وان كان فى أوج صحته ، وفى ذروة سلامته .

والعين ليست خاصة بالعرب ولا بطائفة منهم ، بل توجد فى غيرهم ، ويختص بها بعض الناس ممن جبلت نفوسهم على خاصية الايذاء عند النظر أو وصف الضحية للعائن ، فليس بضرورى أن تختص الاصابة برؤية العائن لضحيته ، فقد يحصل ضرره بأن يوصف له شىء ، فتتوجه نفسه نحوه فتفسده ، فربط الاصابة بالرؤية أغلبى .

ومن الناس من قال : ان العين لا تصيب ، ولكن الله هو الذى يصيب

عند مقابلة عين العائن ، ولكن ابن القيم رأى أنه لا مانع من أن يودع الله بعض العيون والنفوس هذه الخاصية من باب ربط المسببات بالأسباب ، قال ابن القيم : ومن قال: ان الله تعالى أجرى العادة بخلق ما شاء عند مقابلة عين العائن من غير تأثير له أصلا ، فقد سد على نفسه باب العلل والتأثيرات ، والأسباب والمسببات ، وخالف جميع العقلاء : ا هـ •

وقد يصيب الانسان نفسه بعينه ، حكى الغساني أن سليمان بن عبد الملك نظر فى المرآة فأعجبته نفسه فقال : كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، وكان أبو بكر صديقا ، وكان عمر فاروقا ، وأنا الملك الشاب ، فما دار عليه الشهر حتى مات •

ولا غرابة فى أن يكون لبعض النفوس تأثير فى سواها ، لقوة مؤذية خاصة بها ، ففى عصرنا هذا ما يدل على امكان ذلك ، ففقراء الهند ومن على شاكلتهم ، يرتاضون برياضات خاصة تتأثر بها نفوسهم ، ثم يأتون بالعجائب ، كنومهم شبه عراة على ألواح من الخشب ، خرج منها مسامير مدببة تغوص فى أجسامهم فلا يتألمون ، ولا تخرج منهم قطرة واحدة من الدم ، ويدفنون أنفسهم تحت طبقات الأرض ساعات ، دون وجود عنصر ( الأوكسجين ) معهم بمحضر من الأطباء والنظارة ، ثم يزال التراب عنهم فاذا هم أحياء ، مع أن حبس الهواء عن الرئتين سبب للموت السريع •

وبعضهم ينظر الى كوب فى اليد فلا يزال يثقل حتى لا تحتمله اليد فتلقيه لشدة ثقله عليها ، وقد حدثت الظاهرتان من رجل عرف باسم ( الدكتور سالمون ) وأجرى الظاهرة الأولى فى الاسكندرية أمام جمع من الأطباء ، والثانية مع الزعيم المرحوم ( سعد باشا زغلول ) •

وفى عصرنا بزغ ناس فى التنويم المغناطيسى ـ كما يسمونه ـ فمنهم من يديم النظر الى عين وسيطه ، ومنهم من ينظر اليه من فرقه الى قدمه ، ومنهم من يقف وراءه ويشير باصبعه الى نقرة رأسه ، ويوجه اليه شحنة من نفسه حتى تضعف قواه ، ويحدث له ما يشبه النوم ، فيتكلم اذ ذاك بما لا يتكلم به حالة الصحو ،

وقد يخبر عن مسروق ويحدد مكانه وسارقه ، وقد يحدث عن غائب ومكانه ، الى غير ذلك من آثار التأثير النفسى والعينى لمنومه :

ولاعجب في ذلك،فالنفس البشرية منطوية على أسرار وعجائب تتحير فيها العقول والأفكار ، فسبحان الخلاق المبدع ، الحكيم العليم •

واذا كان ما ذكرناه حادثا ومشاهدا ، فلا غرابة فى أن تؤثر عين العائن فى غيره أو فى نفسه ، بخاصية مركوزة فى أعماق روحه •

وحكم العائن على ما قاله القاضى عياض أن يجتنب ، وينبغى للامام حبسه ومنعه من مخالطة الناس ، كفا لضرره عنهم ما أمكن ، ويجرى عليه الرزق من بيت المال •

أما الحسد فيطلق على تمنى زوال النعمة عن الغير ، كما يطلق أيضا على تمنى دوام ما فى الغير من نقص أو فقر أو نحوهما ، فان كان فى نفسه خاصية التأثير على سواه ، فحسده يسمى عينا كما يسمى حسدا،

وقد توجد العين بغير حسد ، كما اذا نظر الى ماله أو مال غيره أو حيوانه مثلا وهو لا يتمنى زواله ، ولكن نفسه لخبثها تهلكه بلا ارادة، وبهذا يكون بينهما العموم والخصوص الوجهى ، يجتمعان فيما حصل فيه تمنى زوال النعمة مع الاهلاك،وينفرد كلاهما فى ناحية كما شرحنا وقد أمر الله تعالى باستعاذة من شرالحاسد بنوعيه اذا حسد ، أى وجه نفسه بالضرر الى غيره ، فان كان عائنا فالأمر ظاهر ، وان لم يكن عائنا فتوجهه بالضرر الى غيره يكون بالسعى فى سلب نعمته بالمكايد المختلفة •

والحاسد متضايق من محسوده حاقد على نعمته مهموم منها ، وهمه هذا يضره قبل محسوده ، روى عن على أنه قال : لله در الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله •

وقال ابن المعتز :

اصبر على حسد الحسود فان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله

وقال بعض الأدباء : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحسود ، نفس دائم ، وهم لازم ، وقلب هائم •

وقال أبو الحسن الماوردي : لولم يكن من ذم الحسد الا أنه خلق دنيء يتوجه نحو الأكفاء والأقارب ، ويختص بالمخالط والمصاحب ، لكانت النزاهة عنه كرما ، والسلامة منه مغنما ، فكيف وهو بالنفس مضر ، وعلى الهم مصر ، وربما أفضى بصاحبه الى التلف ، من غير نكاية فى عدو ، ولا اضرار بمحسود •

وقال معاوية رضي الله عنه : ليس فى خصال الشر أعدل من الحسد ، يقتل الحاسد من قبل أن يصل الى المحسود •

فالعاقل من لم يحسد سواه ، بل يتمنى له بقاء نعمته ، ويكف نفسه عن التطلع الى غيره لتسلم له صحته، قال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما أطول عمرك ؟ قال : تركت الحسد فبقيت •

وخير ما يكف الانسان به نفسه عن حسد من هو أعلى منه ، أن يرضى بقضاء الله ، ويقنع بما أعطاه•

قال بعض الحكماء : من رضى بقضاء الله لم يسخطه أحد ، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد ،

ولو ذكر الانسان أن الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء ، وأول ذنب عصى به فى الأرض ، وترتبت عليه آثار ضاره ، لكف نفسه عن الحسد ، وذلك أن ابليس حسد آدم على مكانته عند الله حتى أمر الملائكة بالسجود له تعظيما لخلق الله له ، فأبى أن يسجد له كما سجدت الملائكة ، فأخرجه الله من الجنة ، فكاد لآدم وحمله على الأكل من الشجرة المحرمة ، فأهبطه الله الى الأرض ، وحرمه من نعيم الجنة ، وأن قابيل ولد آدم عليه السلام ، حسد أخاه هابيل على زواجه من أخته الجميلة فقتله ، فكانت أول جريمة على الأرض بسبب الحسد •

وليعلم الحاسد أن الحسد من الكبائر ، وأنه يأكل الحسنات أكل النار للحطب ـ وأنه اذا كان من أمراض الأمم السابقة فلا يليق أن يكون من أخلاق أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، التى بنى أمرها على المحبة والتراحم ، قال صلى الله عليه وسلم : « دب اليكم داء الأمم قبلكم، البغضاء والحسد ، هى الحالقة : حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذى نفس محمد بيده ، لا تؤمنوا حتى

تحابوا ، ألا أنبئكم بأمر اذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم » .

فاذا كان الحسد جبليا لا يستطيع صاحبه أن يستأصله من نفسه ، فعلى صاحبه أن يجاهد نفسه ويحسن معاملة أخيه الذى يجد فى نفسه حسدا له ، ليثاب على هذه المجاهدة، لما فيها من مشقة مخالفة الطبع .

ويطلق الحسد على الغبطة ، وهى تمنى مثل ما للغير من غير تمنى زواله عنه ، واطلاقه على هذا مجازى ، ولا مانع منه شرعا بل هو مأذون فيه ، قال صلى الله عليه وسلم «لاحسد الا فى اثنتين : رجل أتاه الله مالا فسلط على هلكته فى الخير ، ورجل أتاه الله الحكمة فهويقضى بها ويعلمها الناس » ، وهو محمود فى الناس ، قال أبو تمام :

واعذرحسودك فيما قد خصصت به
ان العلا حسن فى مثلها الحسد

وفى النهاية أسأل الله تعالى أن أن يجنب عباده المؤمنين مساوىء الأخلاق ، وأن يهديهم الى معالى الشيم .

**مصطفى محمد الطير**

# من المبادئ الاجتماعية في الإسلام

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أعطى عطاء فليجزبه ان وجد ، وان لم يجد فليثن به ، فان من أثنى به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور» أخرجه الترمذى وغيره .

لابس ثوبى الزور : هو الذى يلبس قميصا واحدا ويصل بكميه كمين آخرين فيظهر أنه عليه قميصين . وقيل : هو الذى يزور على الناس بأن يتزيا بزى الصالحين .

مبدآن خلقيان اجتماعيان هامان قررهما الاسلام فى هذا الحديث ، أحدهما : مبدأ المكافأة على الأعمال ، والثانى : ظهور الانسان بمظهره الحقيقى ومن غير زيف أو تكلف ، أما مبدأ المكافأة على الأعمال فقد قرر الاسلام المكافأة بالمثل أو بأكثر منه على عمل الخير ، وبالمثل على الشر ، قال الله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون » .

وقال الله تعالى : « من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون » . وقال جل شأنه : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

ولعمل الخير صور كثيرة لا يمكن حصرها وأهمها وأحبها الى الله والى الناس ، العطاء والبذل ، لأن به تفرج الكروب وتكشف الغمم وتنجلى المحن ، وبه تسد الجوعات وتستر العورات ، وتقضى الحاجات ، وتستمكن العلاقات . وقد امتدح الله العطاء فى آيات كثيرة وجعل ما ينفق فى سبيل الخير قرضا له ، وقرض الله مضمون الوفاء مضاعف الربح قال الله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه

له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون» . ولم يستقل الاسلام من العطاء شيئا ، وكل ما سد خلة فهو محمود، وفي الحديث : لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة الفرسن : الظلف ـ ومن صور الخير الاعانة بالنفس والجاه والعلم والنصح والمشورة ، وفي أكثر شئون الحياة مجال لعمل الخير يصادفك أنى كنت اذا صح منك العزم وصدقت النية .

وكل من بذل لك معروفا استحق عليك شكرا لأنه أسدى اليك نعمة وقلدك صنيعة ، والشكر اعتراف بتلك النعمة وتقدير لمسديها وقد طلب الله الشكر لنفسه لأنه مصدر النعم كلها وطلب الشكر لمن أجرى النعمة على يديه من خلقه ، فقال الله تعالى : « فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون » ، وقال جل شأنه « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد» . وقال في حديث قدسي « ياعبدي لم تشكرني اذا لم تشكر من أجريت النعمة على يديه » . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » .

وكما أن صور الخير كثيرة فصور الشكر أيضا كثيرة ، فقد تستطيع أن تشكر العطاء بعطاء ان واتتك الفرصة وأيسرت بعد عسرة ، وقد تستطيع أن تشكر بالكلمة الطيبة والثناء الحسن ان ضاق ذرعك ، وضعفت منتك ، وهذا جهد المقل ، أما أن تمنع عطاءك وتبخل بثنائك فذلك كتمان للنعمة وكفران بالصنيعة ، وليس ذلك من شيم المؤمنين ولا يرضى به رب العالمين وقديما قيل:

سأشكر عمرا ان تراخت منيتي
أيادي لم تمنن وان هي جلت

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها
فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وقال المتنبي :

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

المبدأ الثاني : وهو ظهور الانسان على حقيقته وطبيعته لا ينتحل لنفسه فضيلة ليست له ولا عملا طيبا لم يقم به أو يسهم فيه حتى يعرفه الناس على ما هو عليه فلا ينخدعوا به ولا يسايروه ، لأن انتحال الفضل كذب على الله وعلى الناس وتغرير بهم وتلبيس عليهم ، وما يدعوه الى ذلك

الا حب المحمدة واقتناص الفرصة والتوصل الى الغرض ، وانتحال الفضائل سر رذيلة تنطوى على رذائل، تنطوى على النفاق والرياء والغش والخداع • وما أبغض هذه الرذائل الى الله ، قال تعالى : « لاتحسبن الذين يفرحوا بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » وقد شبه النبى صلى الله عليه وسلم المتشبع بما ليس فيه بلابس ثوبى زور ولابس ثوبى الزور هو الذى يلبس قميصا واحدا ويصل بكميه كمين آخرين ليوهم أن عليه قميصين تظاهرا بالغنى والثراء أو هو الذى يتزيا بزى الصالحين وليس منهم وهذا الكلام من غرر كلام الرسول صلى الله عليه وسلم قاله لامرأة أرادت أن تغيظ ضرتها بأن تظهر أن لها حظوة عند زوجها دونها فنهاها النبى عن ذلك لما فيه من الأذى والضرر ، فقد روى البخارى عن أسماء أن امرأة قالت : يارسول الله ، ان لى ضرة فهل على جناح ان تشبعت من زوجى غير الذى يعطينى فقال رسول الله : : « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور •

وفى الحق أن ظهور الانسان على حقيقته مطلب شاق وعسير لأن ادعاء الفضل والتقصى عن النقص من طبيعة الانسان ، فالجاهل يدعى العلم والعالم بشىء يدعى العلم بأكثر منه أو بكل شىء والمحترف على أى مستوى يدعى اتقان حرفته والمرأة مهما كانت صورتها تدعى أنها أجمل النساء والخاطىء قلما يعترف بخطيئته ويدعى أنه على الصراط المستقيم • لهذا كانت معرفة الانسان نفسه على حقيقتها أولى المنازل الى الله عند الصوفية وكانت قضية ـ« أعرف نفسك » أعقد القضايا عند علماء النفس الانسانية •

ويعبر عن هذا المعنى بلغة العصر ـ بمركب النقص يعنى أن من يعوزه الفضل والكمال يحاول أن يضفيه عليها بالحيلة والادعاء وهذا وهم كاذب وسيقع به عكس ما أراد وسيفتح على نفسه أبواب السخرية والاستهزاء ممن عرفوه وخبروه :

ثوب الرياء يشف عما تحته
فاذا التحفت به فانك عارى

ان المتحل لنفسه الفضائل ناقص الفضل لا يكمله أن يدعى

ما ليس فيه • وانما يكمله أن يحقق
بفعله من الفضـل ما يشتهيه ويمحو
عار ما تجرد منه • ان فى الحديث
مبدأين اجتماعيين يطلب الاسلام من
المسـلمين أن يتحلوا بهما فى حياتهم
لتحسن علاقاتهم ولكنهما ليسـا على
مسـتوى واحـد فى التطبيق العلمى
فقد يهون انيشـكر المرء أخاه على
معروف أسداه ، أما ان يظهر الانسان
على حقيقته وبما فيه فذلك هو محل
الايمان الصادق والاخلاص المنشود •

**ابو الوفا المراغى**

من هدى السنة :

# يسر الإسلام وسماحته

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٦ —

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الأغلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة ، والروحة ، وشىء من الدلجة » .

رواه البخارى

راوى الحديث : سبق التعريف به .

الكلمات اللغوية : سبق شرحها .

**البيـــان :**

تمهيد : ذكرنا فى المقالات الماضية عند بيان أهداف الحديث ـ أن التشريع الاسلامى قام على مبدأ رفع الحرج والمشقة ، والتيسير على العباد ، وسقنا لهذا ستة أمثلة ، ونحاول فى هذا المقال أن نذكر مثالا آخر فنقول :

٧ ـ عند التطهر من الحدث الأصغر لأجل الصلاة ـ أوجب الله تعالى أن تتناول الطهارة أعضاء مخصوصة من البدن ، فأمر بغسل الوجه ، وغسل اليدين الى المرفقين ، والمسح بالرأس ، وغسل الرجلين الى الكعبين ، كما قال جل شأنه :

« يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » (١) .

---

(١) سورة المائدة الآية ٦ ـ والمرافق جمع مرفق وهو مفصل الذراع بين العضد والساعد و ( الكعبين ) تثنية كعب ، وهو العظم البارز عند ملتقى الساق والقدم .

ولمزيد العناية بالمكلفين والتيسير عليهم رخص الشارع الحكيم لمن لبس الخفين ، أن يمسح عليهما بدلا من غسل الرجلين فى حال التطهر من الحدث الأصغر - سواء كان اللابس للخفين رجلا أو امرأة ، مقيما أو مسافرا .

ويشترط لصحة المسح على الخفين شروط تكفلت كتب الفقه ببيانها نذكر منها ما يأتى :

١ - أن يمكن تتابع المشى فى الخفين .

٢ - أن يكون الخف ساترا للقدم مع الكعبين .

٣ - أن يكون مانعا لوصول الماء الى ماتحته ، ولا فرق بين أن يكون الخف مصنوعا من جلد ، أو متخذا من لبد ،أو جوخ ، أو صوف ، أو قطن، أو غير ذلك مادام مانعا لوصول الماء الى ما تحته .

٤ - أن يلبسهما بعد طهارة كاملة بالماء تحقق فيها غسل رجليه .

٥ - أن يكون الخفان طاهرين .

٦ - أن يكون المسح عليهما عند التطهر من الحدث الأصغر فقط وأما عند التطهر من الحدث الأكبر فيجب نزع الخفين وغسل الرجلين .

مدة المسح :

للمقيم يوم وليلة ، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها .

**كيفية المسح المسنونة :**

ان الشخص بعد أن يجعل الماء الطهور على يديه - يضع أصابع يده اليمنى على مقدم خف رجله اليمنى ، ويضع أصابع يده اليسرى على مقدم خف رجله اليسرى ، ويمر بهما الى الساق فوق الكعبين ، ويفرج بين أصابع يده قليلا بحيث يكون المسح عليهما خطوطا .

واليك ماورد فى شرعية المسح على الخفين :

١ - روى الامام أحمد والبخارى عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن سعدا - رضى الله عنه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه يمسح على الخفين ، وأن ابن عمر سأل عن ذلك عمر - رضى الله عنه - فقال : نعم اذا حدثك سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم - شيئا فلا تسأل عنه غيره .

قوله : ( فلا تسأل عنه غيره ) أى لقوة الوثوق بنقله .

والحديث أخرجه الامام أحمد من طريق أخرى عن ابن عمر ، وفيها قال : رأيت سعد بن أبي وقاص يمسح على خفيه بالعراق حين توضأ فأنكرت ذلك عليه ، فلما اجتمعنا عند عمر قال سعد : سل أباك ، فذكر القصة .

ورواه ابن خزيمة أيضا عن ابن عمر ، وفيه أن عمر قال : كنا ونحن مع نبينا نمسح على خفافنا لانرى بذلك بأسا .

وروى مالك في الموطأ عن نافع وعبد الله بن دينار أنهما أخبراه أن ابن عمر قدم الكوفة على سعد — وهو أميرها — فرآه يمسح على الخفين ، فأنكر ذلك عليه ، فقال له سعد :

سل أباك ، فذكر القصة (١) .

فتوثيق عمر لسعد روايته ، وقبول ابن عمر لهذه الرواية بعد توثيق أبيه ، وقول عمر — كما جاء في بعض روايات الحديث : كنا ونحن مع نبينا نمسح على خفافنا لانرى بذلك بأسا — يدل هذا كله على أن المسح على الخفين ثبتت شرعيته عند الصحابة — رضوان الله عليهم .

٢ — روى الامام أحمد وأبو داود عن المغيرة بن شعبة — رضى الله عنه — قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فقضى حاجته ، ثم توضأ ، ومسح على خفيه ، قلت يارسول الله أنسيت ؟ قال : ( بل أنت نسيت ، بهذا أمرنى ربى عز وجل ) .

قوله : ( أنسيت ) أى أتركت غسل رجليك عند الوضوء نسيانا .

قوله : ( بهذا أمرنى ربى ) ليس المراد بالأمر هنا مايفيد الوجوب ، لأنه لم يقل أحد بوجوب المسح على الخفين ، وانما المراد شرع لى المسح على الخفين بدلا من غسل الرجلين .

والحديث أيضا شاهد على ثبوت شرعية المسح عنه — صلوات الله وسلامه عليه ، قال الحسن البصرى : روى المسح سبعون نفسا فعلا منه وقولا .

ويعتبر الحديث شاهدا كذلك على أن المسح على الخفين شريعة ماضية لم يطرأ عليها تغير ، اذ أن السفر

---

(١) انظر فتح البارى للحافظ ابن حجر .

الذى تحدث عنه المغيرة ـ رضى الله عنه ـ كان فى غزوة تبوك، وهى تمثل ما استقر عليه هديه ـ صلى الله عليه وسلم ، قال الحافظ بن حجر فى كتابه « فتح البارى »عند التعليق على حديث المغيرة ـ ما نصه فيه الرد على من زعم أن المسح على الخفين منسوخ بآية الوضوء التى فى المائدة ، لأنها نزلت فى غزوة المريسيع ، وكانت هذه القصة فى غزوة تبوك ، وهى بعدها باتفاق ا هـ .

٣ ـ روى البخارى ومسلم عن جرير بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ أنه بال ثم توضأ ومسح على خفيه ، فقيل له : تفعل هكذا ؟ قال : نعم رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بال ، ثم توضأ ، ومسح على خفيه ، قال ابراهيم : فكان يعجبهم هذا الحديث ، لأن اسلام جرير كان بعد نزول المائدة .

( فقيل له : تفعل هكذا ) أى أنكر عليه من رآه يترك غسل الرجلين عند عند الوضوء ، ويكتفى بالمسح على الخفين ، وكان هذا الانكار لعدم علم المنكر بمشروعية المسح ـ ويوضح هذا ما جاء فى رواية الطبرانى للحديث : ( فعاب عليه ذلك رجل من القوم ) .

( قال ابراهيم ) هو النخعى من التابعين الكوفيين .

( فكان يعجبهم هذا الحديث ) المراد بمن يعجبهم : أصحاب عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه ـ كما جاء فى رواية لمسلم زاد فيها : ( فكان أصحاب عبد الله بن مسعود يعجبهم ).

( لأن اسلام جرير كان بعد نزول المائدة ) أى أن سورة المائدة التى منها آية الوضوء المأمور فيها بغسل الرجلين كان نزولها قبل أن يسلم جرير ، فيكون إخباره عن رؤيته لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمسح على خفيه ـ دالا على أن المسح على الخفين ثابت المشروعية ، لم يعرض له ناسخ ـ لكن لو عرف أن مسحه عليه الصلاة والسلام للخفين قبل نزول آية الوضوء ـ تكون الآية ناسخة لجواز المسح .

وما دام قد تقرر أن سورة المائدة نزلت قبل رؤيته صلى الله عليه وسلم يمسح على خفيه ـ يكون المسح شريعة ثابتة مستقرة .

وفي روايات أخرى للحديث يقر جرير أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم - يمسح على خفيه ، وأن ذلك كان بعد نزول آية المائدة .

فقد روى أبو داود الحديث ، وزاد : قالوا : انما كان ذلك - أى مسح النبى صلى الله عليه وسلم - على الخفين - قبل نزول المائدة ، فقال جرير : ما أسلمت الا بعد نزول المائدة .

وعند الطبرانى عن جرير : أن ذلك كان فى حجة الوداع .

وروى الترمذى عن طريق شهر ابن حوشب قال : رأيت جرير بن عبد الله فذكر الحديث ، قال : فقلت له : أقبل المائدة أم بعدها ؟ فقال : ما أسلمت الا بعد المائدة ، قال الترمذى : هذا حديث مفسر ، لأن بعض من أنكر المسح على الخفين تأول أن مسح النبى صلى الله عليه وسلم على الخفين كان قبل نزول آية الوضوء التى فى المائدة ، فيكون منسوخا ، فذكر جرير فى حديثه : أنه رآه يمسح بعد نزول المائدة ، فكان أصحاب ابن مسعود يعجبهم حديث جرير ، لأن فيه ردا على أصحاب التأويل المذكور اهـ .

وبعد هذا يتبين أن الحديث يدل دلالة قوية على أن المسح على الخفين شرع محكم تلقاه سلفنا الصالح بالرضا والقبول ، جاء فى كتاب نيل الأوطار للشوكانى - عند تعليقه على هذا هذا الحديث - مانصه :

والحديث يدل على مشروعية المسح على الخفين ، وقد نقل ابن المنذر عن ابن المبارك قال : ليس فى المسح على الخفين عن الصحابة اختلاف ، لأن كل من روى عنه فهم انكاره فقد روى عنه اثباته ، وجاء فيه أيضا : قال النووى فى شرح مسلم ، وقد روى المسح على الخفين خلائق لايحصون من الصحابة ،قال الحسن: حدثنى سبعون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - كان يمسح على الخفين ، أخرجه عنه ابن أبى شيبة ، قال الحافظ فى الفتح : وقد صرح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر ، وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة،

وقال الامام أحمد : فيه أربعون حديثا عن الصحابة مرفوعة ١ هـ •

**كيفية الجمع بين آية الوضوء واحاديث المسح :**

يجمع بين الآية والأحاديث بأن الآية عامة تشمل حالتى لبس الخف وعدم لبسه ، وتكون الأحاديث مخصصة للماسح من عموم الآية ، ويصير الأمر بغسل الرجلين الذى دلت عليه الآية مقصورا على حالة عدم لبس الخف •

**(يتبع) منشاوى عثمان عبود**

# البخارى المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

— ١٢ —

**« ان من اشراط الساعة ان يتكلم الرويبضة » .**
**حديث شريف**

أطمع هؤلاء أنهم رأوا الساحة خالية من سلطة دينيـة حامية تأخذ بيدها زمام الاجهـاز على أوكار الضـلال والباطل ، تضرب على يدها ، وتسكت تلك النغمات الهجين الملتـاثة بلـوثه التبشير ، والمولودة فى حجر المتآمرين على دين الله رب العالمين .

نعم لم يجـدوا الرادع العـادل ، فأخرجوا ما أسموه بأضواء على السنة، وما هو الا ظلمات، وما أسموه أضواء قرآنية ، معتدين على صدرى العبارتين، اذ الأضواء نور صاف متلألىء ، وهم مثلهم كمثل السكارى حين يحملون المقاعد فيطوحونها فى الهواء ضاربين بها مصابيح الهـداية وأنوار النبـوة وأضواء القرآن فدخلوا صميم السنة، ومحض الهـدى النبـوى ، مما يعـد العدوان عليه وسيلة لهز عقيدة المسلم فى دينه هزا عنيفا .

ولأطلعك أيها القارىء على ما يقضى منه العجب العجاب ، حيث قال لا رعاه الله :

الحديث رقم ٢٨ وفيه دعوى جواز الحج عن الميت خلافا لشريعة الله ، ثم يمضى قائلا :

١ ــ ان الحج فرض لتقويم أخلاق الحى وتدريبه على الطاعة لأداء مناسك حركية ليست فيها منفعة مادية لأحد من الناس ، حتى يكون طائعـا بقيـة حياته ، الأمر الذى يستحيل انطباقه على الميت .

٢ ــ ان الحج يقوم على مناسك الحج والصـلاة . والصـلاة لا تجوز من الحى عن الميت أبـدا والمعـروف أن صلاة الحاج بعد الطواف بالكعبة جزء من مناسكه !!!! فكأن الحى يحج ويصلى عن الميت بمقتضى هذا الحديث

أيضا ، وذلك شيء منكر الى آخر ما هذى .

ثم ذكر أمورا لا تساوى تدوينها أو تلخيصها لما فيها من محاولة الانشاء السمح،وتقليد أرباب الأقلام، وما هو من ذلك فى قبيل ولا دبير .

كقوله « ان الحج معاهدة بين العبد وربه ، وتوبة لفظية عند بيت الله الحرام – ويقول : ان الحج كالصوم والزكاة ، وأن الزكاة اذا مات من هى عليه فلا يجوز أن يؤديها أحد عنه كالصلاة سواء بسواء ! ! ! أو كما قال .

وقبل أن نكتسح هذه الضلالة وتجتاح هذه الجهالة ونكشف هذه الغباوة نأتى الى الحديث الشريف فنرويه بطرقه ونتكلم على ألفاظه وعلى ما أخذه الفقهاء منه . قال الامام البخارى رضى الله عنه . باب حج المرأة عن الرجل حدثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس قال : كان الفضل رديف النبى صلى الله عليه وسلم فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر فقالت : ان فريضة الله أدركت أبى شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : نعم وذلك فى حجة الوداع » وجاء فى كتاب الايمان فى باب من مات وعليه نذر قال : حدثنا آدم بن أبى اناس قال : حدثنا شعبة عن أبى بشر قال : سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : ان أختى نذرت أن تحج وأنها ماتت فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو كان عليها دين أنت قاضيه ؟ قال: نعم قال : فاقض الله فهو أحق بالقضاء » .

وقد أخرج الحديث الأول البخارى فى كتاب الحج فى موضعين وأخرجه النسائى فى الحج والقضاء، وأخرجه أبو داود فى المناسك وابن ماجه فيه أيضا وأحمد فى المسند ج ٤ : ١٠ ، ١١ ، ١٢

أما الحديث الثانى فقد أخرجه غير البخارى أبو داود فى الايمان وأحمد فى مسنده ج ١ : ٢٥٣ ، ٣١١ وقد أخرج البخارى حديثا ثالثا « أن امرأة من جهينة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى

ماتت أفأحج عنها ؟ قال : نعم حجى عنهـا أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء » وهذا فى كتاب الحج وكتاب الاعتصام وكتاب النذور ، وأخرجه مسلم فى الصيام والترمذى فى الحج ، وأخرجه النسائى فى الحج والدارمى فى الصوم ، وفى النذور وأحمد فى مسنده ج ١ : ٢٣٩ ، ٢٧٩ ، ٣٤٥

وواضح من سرد هـذه الروايات تعدد السائل واختلاف جنس المراد الحج عنه فمرة هو أب لامرأة ومرة هى أخت لرجل ومرة هى أم لامرأة مما يدل على تعـدد السائلين واتفاق الاجابة .

وقد تشبث هؤلاء بدعوى عريضة هى أنهم يعرضون السنة على القرآن فاذا لم يـكن فى القرآن ما يؤيدها ردوها وزيفوها وأسـاءوا الأدب فى حقها، وقد تنبه لهؤلاء جمهور الخلف والسلف من أئمة المسلمين ، ونحن عمـلا بواجب الازدجار والاعتبـار والوجل من قوله تبارك وتعالى :

( ومن يشاقق الرسول من بعـد ما تبين له الهـدى ويتبع غـير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصـلـه جهنم وساءت مصيرا ) فاتباعا لسبيل المؤمنين وتوضيحـا لسبيل المؤمنين وانحيـازا لسـبيل المؤمنـين نذكـر الآتى :

يقول العـلامة الشـوكانى فى ارشاد الفحـول الى تحقيق الحـق من علم الأصول :

اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السـنة المطهـرة مسـتقلة بتشريع الأحكام وأنهـا كالقرآن فى تحليل الحلال وتحريم الحرام وقد ثبت عنه صلى الله عليـه وسـلم أنه قال : « ألا وانى أوتيت الـكتاب ومثله معه » أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التى لم ينطق بهـا القرآن وذلك كتحريم لحـوم الحمر الأهلية ، وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير ، وغير ذلك مما لم يأت عليه الحصر . وأما مايروى من طريق ثوبان فى الأمـر بعرض الأحاديث على القرآن فقـال يحيى بن معين : انه موضوع وضعته الزنادقة .

وقال الشافعى : ما رواه أحد عمن يثبت حديثه فى شىء صغير ولا كبير .

وقال ابن عبد البر فى كتاب جامع العلم : قال عبد الرحمن بن مهدى :

الزنادقة والخوارج وضعوا حديث : ما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فان وافق كتاب الله فأنا قلته ، وان خالف فلم أقله .

وقد عارض حديث العرض قوم فقال : وعرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فخالفه ، لأنا وجدنا فى كتاب الله ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) ووجدنا فيه ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ) ووجدنا فيه ( من يطع الرسول فقد أطاع الله ).

قال الأوزاعى : الكتاب أحوج الى السنة من السنة الى الكتاب .

قال ابن عبد البر : انها تقضى عليه وتبين المراد منه . وقال يحيى بن أبى كثير : السنة قاضية على الكتاب ( يعنى حاكمة عليه ) . والحاصل أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ، ولا يخالف فى ذلك الا من لا حظ له فى دين الاسلام .

وقال شارح الورقات لامام الحرمين: ويجوز تخصيص الكتاب بالسنة أى ببعض منها وهى أقوال محمد صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وهمه واشاراته ، وان لم تكن متواترة عند الجمهور . وقال العلامة العضد : انه الحق وبه قال الأئمة الأربعة . وذلك كتخصيص لفظ الأولاد فى قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم) وانته الى آخره الشامل للولد الكافر أى قصره على غير الكافر بحديث الصحيحين ( لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم ) فان الكافر فيه شامل للولد الكافر ، لكن لقائل أن يقول : ان كلا من هذه الآية وهذا الحديث أعم من الآخر من وجه وأخص منه من وجه وهو ظاهر وسيأتى فيما اذا كانا كذلك أنه ان اندفع التعارض بينهما بتخصيص عموم كل منهما بخصوص الآخر وجب والا كما هنا احتيج الى الترجيح بينهما فيما تعارضا فيه فالجزم بالتخصيص هنا يخالف ذلك اللهم الا أن يكون المقصود مجرد التمثيل مع قطع النظر عن صحته أو يكون الحكم بالتخصيص مبنيا على قيام دليل آخر على ارادة عموم الحديث للأولاد ويجوز تخصيص بعض السنة بالكتاب كتخصيص حديث الصحيحين ( لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ ) الشامل لحالة العذر بنحو فقد الماء أى قصره على غير حالة العذر بقوله تعالى ( وان

كنتم مرضى ) واتتـه الى قوله ( فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ) فانه يفيد قبول الصلاة أى صحتها مع الحدث حالة العذر بأن يتيمم وهـذا التخصيص صحيح ، وان وردت السنة بالتيمم أى بجوازه حالة العذر أيضا كما وردت به هذه الآية ، لأن ورود السنة بذلك كان بعد نزول الآية ، فلا يمنـع التخصيص بالآية لتقـدم نزولها ، بل الوجـه ألا يتوقف التخصيص بها ، ويجوز تخصيص السـنة بالسنة كتخصيص ( ما سقت السماء) الشامل لما دون خمسة أوسق فى حديث الصحيحين ( فيما سقت السماء العشر ) أى قصره على ما يبلغ خمسة أو سق بحديثهما ( ليس فيما دون خمسـة أوسـق صـدقة ) وتخصيص النطق بالقياس جائز قال فى شرح جمع الجوامع : القيـاس المستند الى نص خاص •

هذه مكانة السنة عند الله ورسوله وأمة محمـد على اختلاف طبقاتهـا وفئاتها ومذاهبها ومنازعها، لم تختلف فى هذه المكانة ومنزلتها من الكتاب ويقول الامام العلامة المجتهد أبومحمد على بن حزم الأندلسى الظاهرى :

( فصل ) فى نسخ القرآن بالسنة والسنة بالقرآن •

قال أبو محمد : اختلف النـاس فى هـذا بعـد ان اتفقوا على جواز نسخ القرآن بالقرآن وجواز نسـخ السنة بالسنة فقالت طائفة : لا تنسخ السنة بالقرآن ولا القرآن بالسـنة ، وقالت طائفـة : جائز كـل ذلك ، والقرآن ينسـخ بالقرآن وبالسـنة والسنة تنسخ بالقرآن وبالسنة •

قال أبو محمد : وبهذا نقول وهو الصحيح • وسواء عندنا السنة المنقولة بالتواتر والسنة المنقولة بأخبار الآحاد كل ذلك ينسخ بعضه بعضا ، وينسخ الآيات من القرآن ، وينسخه الآيات من القرآن وبرهان ذلك ما بيناه فى باب الأخبـار من هـذا الـكتاب من وجـوب الطاعـة لمـا جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم كوجوب الطاعة لمـا جاء فى القرآن ولافرق ، وأن كل ذلك من عند الله بقولـه تعالى ( وما ينطـق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ) فنسخ الوحى بالوحى جائز لأن كل ذلك سواء فى أنه وحى •

واحتج من منع ذلك بقوله تعالى ( قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى ) •

قال أبو محمد : وهذا لا حجة لهم فيه لأننا لم نقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدله من تلقاء نفسه ، وقائل هذا كافر،وانما نقول: انه عليه الصلاة والسلام بدله بوحى من عند الله تعالى كما قال آمرا له — ان أتبع الا ما يوحى الى • فصح بهذا نصا جواز نسخ الوحى بالوحى والسنة وحى فجائز نسخ القرآن بالسنة والسنة بالقرآن الى أن قال رحمه الله :

وأيضا فالسنة مثل القرآن فى وجهين أحدهما : أن كليهما من عند الله عز وجل على ما تلونا آنفا من قوله تعالى ( وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ) والثانى : استواؤهما فى وجوب الطاعة بقوله تعالى : ( من يطع الرسول فقد أطاع الله ) وبقوله تعالى ( وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ) وانما افترقا فى ألا يكتب فى المصحف غير القرآن ولا يتلى معه غيره مخلوطا به وفى الاعجاز فقط ، وليس فى العالم شيئان الا وهما يشتبهان من وجه ويختلفان من آخر لابد من ذلك ضرورة ، ولا سبيل الى أن يختلفا من كل وجه ولا أن يتماثلا من كل وجه ، واذ قد صح هذا فالعمل بالحديث الناسخ أفضل وخير من العمل بالآية المنسوخة وأعظم أجرا كما قلنا قبل ولا فرق وقد قال تعالى (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ) وقد تكون المشركة خيرا منها فى الجمال وفى أشياء من الأخلاق ونحوها ، وان كانت المؤمنة خيرا عند الله تعالى، وهذا شىء يعلم حسا ومشاهدة •

ونريد بما سقناه هنا من اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وسلم قديما وحديثا بأئمتها وأشياخها وفقهائها ومفسريها ومحدثيها ومؤرخيها ومجتهديها على أن السنة وحى وأن ما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم سندا ومتنا مصدر للتشريع كالقرآن سواء بسواء ، وأنه لاوجه للاعتراض على الأحاديث الصحيحة كالأحاديث الواردة فى الحج عن الغير لأن الدين لا يؤخذ الا من الله ورسوله وما شغب به هذا المخرف لا وزن له ولا قيمة لا فى منطق المعقول ولا فى منطق المنقول •

اذ أن العبادات والشعائر لا تعلل، وليس لأحد أن يزعم القدرة والاحاطة بعللها ويسوغ لنفسه سرد هذا الهراء السمج على أنه علل للعبادات فيسقط سقطات شنيعة تدل على شدة الغباوة والجهل بالأحكام الشرعية ، وعدم التفرقة بين العلة والحكمة اذا سوغنا أن يكون باب الاجتهاد فى ذكر الحكمة لمن يؤهله منصبه ورسوخ قدمه فى العلم لذلك، وطبعا لا نعنى بمنصبه هنا وظيفته الدنيوية ، وانما عنينا منصبه بين أهل التحصيل والاجتهاد والعلم .

والدليل على الجهل الضارب بجرانه على آذان هذه الفئة الباغية قوله : ان فريضة الزكاة لا يجوز الانابة فيها ولا تؤدى عن الغير ، ومثال ذلك أن يقول رجل : من كانت عنده سيارة فلا يحل له أن ينيب سائقه لقيادتها بل يحرم عليه ذلك ، أو أن يقول : يحرم على من يريد أن يشترى سلعة أن يبعث ولده أو أباه أو زوجته ليشتريها له ، أو يقول مصعدا لا يجوز أن يأتى أحد لغسل الميت وتكفينه بل يجب أن يقوم الميت بهذا اما قبل موته أو بعد موته لأن غسل الميت عمل يعود على الميت ولا يعود على الحى منه شىء وتكفينه كذلك فينبغى لمن أراد أن يموت أن يستعد لتكفين نفسه وغسلها والذهاب بنعشه الى قبره، ودفن نفسه والصلاة على نفسه لأن كل هذه أعمال ليس للحى فيها نصيب وانما هذه كلها أعمال تلحق الميت .. استحيوا أيها الناس الزكاة الواجبة ياهؤلاء لها بحث علمى قد لا تصل الى أن ترقى عقولكم الى مادون مشارف فهمه أو شمه . اذ يقال : هل الزكاة واجبة فى عين المال الذى هو النصاب؟ أم واجبة فى ذمة رب المال وهو المكلف ، فان قلنا : ان الزكاة فى عين ادارته ، ولا من يئول اليه المال اخراج حق الفقير منه ، لأن القدر المعلوم فى المال من الزكاة لا يحق لرب المال ولا من ينوب عنه فى ادارته ، ولا من يئول اليه المال بالوراثة أن يتملك هذا الجزء الواجب فصله عن المال لتعلقه بما لكيه شائعين فى المصارف الثمانية .

وان قلنا : ان ذمة رب المال مشغولة بهذا القدر المعلوم الذى حدده الله ليكون حقا للفئات الثمانية وجب اخراجه على الفور اما من قبل رب المال أو من قبل نائبه أو وارثه ، ولا تبرأ ذمة رب المال الا باخراج زكاة

ماله فاذا مات انتقل ذلك الى ذمة خلفائه ولا يسقط هذا الواجب بموته .

وما يقال فى الزكاة وهى عبادة ماليه يقال فى الحج وهو عبادة مالية أيضا ، وليس فيها صلاة يا هذا ان صلاة الركعتين فى مقام ابراهيم عمل مستحب يامسكين فليسا من الأركان ولا من الواجبات التى يجبر بالدم عند الاساءة بتركها فهما كتقبيل الحجرأو استلامه أو الاشارة اليه أو كقولك ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أو كشرب ماء زمزم ، فليس فى شعائر الحج صلاة تبلغ درجة الواجب أو الركن ، وما فيها من صلوات للأوقات فانما تقع عن فاعلها ، فلا يصلى النائب فى الحج الظهر والعصر عن نفسه جمعا ثم يصلى الظهر والعصر عن موكله مرة أخرى ولا يصلى صلاة الفجر فى مزدلفة يوم النحر عن نفسه وعن موكله وانما هذه الصلوات كلها تقع له وحده .. أفهمت ياهذا . فلم يقل أحد : ان الصلاة فيها انابة، وانما الانابة فيما فيه نفقة وبذل وتصدق وزاد وراحلة وما الى ذلك من ضروب البذل والعطاء ولا يعترض على الشارع أن يجعل الحج من حيث كونه أعمالا بدنية وارتيادا لأماكن من الأرض قد لا يقوى عليها بعض الناس فيستعينون بغيرهم ممن أدوا الفريضة عن أنفسهم لقاء أجرة يأخذنها ، فما قاله هذا المسكين من علة الأخلاق والسلوك أمور غير واردة فى هذا المقام ، ولا تقال فى مواجهة من نزل عليه الوحى بهذا صلى الله عليه وسلم ، واتفقت الأمة على اتباع سنته وهديه القولى والفعلى ( ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غيرسبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ) واسمع الى ما يقوله الخبر العظيم جدنا فى سلسلة التفقه الشافعى رضى الله عنه ونفعنا بعلومه قال :

«ان من مات بعد التمكن من أداء الحج لم يسقط عنه الفرض ويجب قضاؤه تركته ، لأنه حق تدخله النيابة فى حال الحياة كدين الآدمى اهـ قلت وبهذا قال ابن عباس وأبو هريرة ، وأحمد بن حنبل ، وقال أبو حنيفة ومالك لا يحج عنه الا اذا أوصى به ويكون تطوعا. دليلنا حديث بريدة .

وقد أخرج أبو داود وابن ماجه وابن حبان وأحمد من حديث ابن عباس « أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع

رجلا يقول : لبيك عن شبرمة قال : من شبرمة ؟ قال : أخ لى أو قريب لى فقال : حججت عن نفسك ؟ قال : لا قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » قال فى سبل السلام : قال ابن تيمية : ان أحمد حكم فى رواية ابنه صالح عنه أنه مرفوع فيكون قد اطلع على ثقة من رفعه ، قال : وقد رفعه جماعة على أنه وان كان موقوفا فليس لابن عباس فيه مخالف .

والحديث دليل على أنه لا يصح أن يحج عن غيره من لم يحج عن نفسه فاذا أحرم عن غيره فانما ينعقد احرامه عن نفسه ، الى أن قال : والنهى يقتضى الفساد وبطلان صفة الاحرام لاتوجب بطلان أصله وهذا قول أكثر الأمة أنه لا يصح أن يحج عن غيره من لم يحج عن نفسه مطلقا مستطيعا كان أولا .

**محمد نجيب المطيعى**

صاحب تكلمة المجموع شرح المهذب

الوطن الإسلامي :

# نيجيريا

للدكتور عبد الودود شلبي

في رسالة من باكستان يقول الأخ عبد الحق الندوي : قرأت في احدى المجلات التي تصدر عندنا هنا في مدينة « لاهور » ان عدد المسلمين في «نيجيريا» يشكل الأغلبية المطلقة بين السكان ، وانها « أي نيجيريا » تعتبر من هذه الناحية قطرا اسلاميا كغيره من الأقطار التي تدين بالاسلام فهل لكم أن توضحوا هذه الحقيقة على صفحات مجلة الأزهر الغراء ؟

وفي الصفحات التالية جواب وتفصيل لسؤال الأخ الفاضل في باكستان

• • •

الموقع : افريقيا الغربية .

العاصمة : لاجوس .

المساحة : ٣٦٧٦٦٩ ميلا مربعا .

السكان : ٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ( ٧٥٪ مسلمون والبقية مسيحيون ووثنيون .

**التاريخ :**

ليس لدينا تقريبا أية سجلات تاريخية تتناول ماضي نيجيريا باستثناء شمال البلاد . ويرتقي أصل العديد من القبائل - وقد تم تصنيف ٣٠٠ قبيلة تنفرد معظمها بلغتها الخاصة المميزة - الى الأراضي النائية الممتدة الى شمال وشمال شرقي الصحراء الكبرى . ويروى الفولكلور الهوسى ان دول هوسا الأصلية السبع ، وهي كانو وكاتسينا وغوبير وداورا ورانو وزاريا وزمفرا ، انحدرت من رجل واحد اسمه باوواتي من الشرق . وبالاضافة الى ذلك كانت هنالك سبع دول مرتبطة فيما بينها بأواصر القربى وتضم شعبي يوروبا ونوب اللذين انحدرا من أصل واحد على ما يقال . الا أننا لا نعرف عن الشعوب التي كانت تتكون من القبائل المشتتة التي تشكل الآن السكان الوثنيين في الجزء الأوسط في أقصى الجنوب .

**مجيء الاسلام :**

أتاحت طرق القوافل الرئيسية عبر الصحراء الكبرى لنيجيريا الاحتكاك

بالحضارات التاريخية المزدهرة فى الشمال • فنشطت حركة التجارة نشاطا عظيما • وأرسل الرقيق والعاج والذهب نحو الشمال من المناطق الداخلية الممتدة من السنغال الى بحيرة تشاد • بينما كان التجار الوافدون من ساحل أفريقيا الشمالية يحملون معهم الملح والأقمشة والحديد والمعادن الأخرى والمرجان والسلع المتنوعة • وسهلت الطرق ـ فضلا عن التجارة ـ دخول الأفكار والثقافة والدين من حضارة المسلمين فى الشمال • وهكذا دخل الاسلام الى شمال نيجيريا فى القرن الثامن للميلاد • وبحلول القرن التاسع يمكن القول أن تاريخ نيجيريا بدأ بوجه عام • وكانت بورنو أول جزء من أجزاء نيجيريا برز بوضوح فى ضوء التاريخ ، وكانت امبراطورية بورنو متطورة سياسيا واقتصاديا وثقافيا وكانت تتمتع بموقع جغرافى ممتاز وفى نهاية أقدم الطرق التجارية فى العالم ـ ألا وهو الطريق المؤدى من القاهرة الى بحيرة تشاد ـ والى غرب بورنو كانت تقوم دول الهوسا وتاريخها أقدم من تاريخ بورنو بقليل • ومن المرجح ان دول الهوسا يرجع عهدها الى حوالى عام ١٠٠٠ للميلاد ، وهو التاريخ الذى ينطبق مع لائحة ملوك تلك الدول •

وفى القرن الرابع عشر بدأ الشعب الفولانى ، الذى يعتقد أنه من أصل حامى ويدين بالاسلام ، يبدأ يهجر المنطقة المعروفة اليوم باسم السنغال فى أفريقيا الغربية • وراح هؤلاء الرعاة البدو يتنقلون بمواشيهم فى جميع أنحاء السودان الغربى الى أن امتزجوا بطريقة سلمية بالسكان الهوسيين واستقروا فى مدنهم وقراهم •

وبينما كانت الحضارة الاسلامية تزدهر فى الشمال ، كانت ممالك يوروبا فى الجنوب ممعنة فى وثنيتها •

وفى أقصى الجنوب ، كانت بنين ـ وهى أحد فروع مملكة يوروبا ـ تزدهر وتقيم العلاقات مع التجار الأوروبيين نظرا لوقوعها على مقربة من الساحل • وفى عام ١٤٨٦ أصبحت بنين ، بعد زيارة البرتغاليين لها مركزا للتجارة ما بين يوروبا وأوروبا •

هذا وشهدت نهاية القرن السادس عشر نقطة تحول فى تاريخ نيجيريا • ففى هذه الفترة كانت مملكة بورنو الاسلامية متركزة فى الشمال

الشرقى • وكانت دول الهوسا ، وهى أيضا اسلامية قد بلغت مستوى رفيعا من الرفاه المادى • وكانت شعوب يوروبا تقطن الجنوب والأراضى القريبة من الساحل ، بينما كانت بنين تزدهر تجارتها مع أوربا ولا سيما تجارة الرقيق • وأما القرنان السابع عشر والثامن عشر فكانا فترة ركود رافقتها حروب أهلية وانحلال سياسى • ولم يكن سبب الانهيار عائدا كله الى عوامل كامنة فى نيجيريا نفسها ، وانما كانت حضارة الشعوب الاسلامية فى نيجيريا الشمالية قد انبثقت من حضارة الاسلام فى أفريقيا الشمالية والشرق الأوسط • وكما أنها قاسمتها أمجاد الظفر الاسلامى فى العصور الوسطى الأوروبية ، هكذا شاركتها فى انهيار الحضارة الاسلامية فى أفريقيا الشمالية والشرق الأوسط خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر •

وفى عام ١٨٠٤ قام عثمان دان فوديو ، وهو فقيه فولانى مسلم ، بحركة لانعاش البلاد • وهو صاحب الكتاب المشهور «احياء السنة[1]» وقد عمل على اصلاح مسلمى نيجيريا الذين ابتعدوا عن تعاليم الاسلام القويمة • واستطاع خلال عشر سنوات أن يجمع زعماء الهوسا المحاربين تحت ادارة واحدة • وأصبح بعدئذ سلطانا وخلع عليه لقب أمير المؤمنين ،وغدا حملة أعلامه زعماء دول الهوسا وتميزوا بلقب « أمير » ومازال أحفاده الى اليوم يسيرون على هذا النهج • وكلف آخرون باقامة اماراتهم فى مناطق الجنوب الوثنية وانتشر نفوذ الفولانيين حتى وادى النيجر مرورا بالنوب ويوروبا فى ايلورين وتعدوها شرقا الى بانو وأقاصى يولا • ولكن المرتفعات الصخرية والغابات الكثيفة حالت دون تقدم الفرسان الفلانيين فى أقصى الجنوب • وهكذا قامت فى مطلع القرن الثامن عشر مملكة اسلامية قوية فى الاقليم الشمالى لنيجيريا ، وازدهرت الثقافة والحضارة الاسلامية من جديد •

وما برحت أسماء البلدان والمقاطعات التى تعتز بانضوائها تحت راية الشيخ عثمان دان فوديو ، المصلح الاسلامى لنيجيريا وأفريقيا الغربية ، كالآتى : سوكوتو ، كانو ، كاتسينا ، زاريا ، ادماوا،بدا ، ايلورين،كونتاه غورا ، غنيا ، حداجة ، كتغوم ، جمعار •

---

(١) وقد أعيد طبع هذا الكتاب فى الأزهر الشريف منذ سنوات .

**الاستعمار البريطانى :**

ترجع زيارة الانكليز الأولى لبنين الى عام ١٥٥٣ • وانتقلت مع الانجليز تجارة الرقيق • الا أن هذه التجارة اعتبرت غير شرعيـة فى بريطانيـا ، فانحصرت العـلاقات البريطانيـة فى تطوير تجارة زيت نواة البلح والعاج• واقتصرت الاتصالات الأوروبية الأولى على المنطقـة السـاحلية • ثم أقبـل الرحالة مونغو بارك الذى « اكتشف » نهر النيجر للأوروبيين ، وتبعه دنهام وكلابرتن وهمـا أول من بلغوا دول الهـوسا ، ثم الاخوان لاندر اللذان تتبعا مجارى نهر النيجر • وحوالى عام ١٨٣٠ تم اكتشاف النيجر بكامله وانشىء طريق للتوغل فيه من الجنوب الى الداخل • وفى أعقاب الرواد أتى المبشرون والتجار •

وفى عام ١٨٦١ ضم البريطانيون الى ممتلكـاتهم جـزيرة لاغـوس • فاتسـع نشـاط المبشرين والتجـار الانكليز فى الداخل ابتداء من لاغوس وعلى ضفاف النيجر • وعندما اشتدت منافسة الشركات الفرنسية والألمـانية فى أفريقيـا الغربية دمجت جميـع شركات التجارة البريطانية فى شركة أفريقيا المتحدة ، وامتدت أعمالها الى سـوكوتو فى الشـمال ، ثم منحت الحكـومة البريطانية هـذه الشركة امتيازا ملكيا خاصا لممارسـة القـانون والقضاء فى المنطقة التى تعمل فيهـا • وأنشئت محميـة شـملت بالتـدريج أراضى يوروبا كلها ماعدا الجزء الذى كان يحكمه أمير ايلورين الفولانى • وبعد حملة قامت عام ١٨٩٧ ضمت بنين اليهـا • وفى عام ١٨٩٨ وقـع البريطانيون معـاهدة مع الفرنسـيين بشأن الحدود الغربية والشمالية • وفى العام التالى تسلمت الحكومة البريطانية السلطات الادارية مباشرة ، بعد الغاء الامتياز المعطى للشركة •

ثم بـدأ الانكليز يقنعـون الأمراء الفولانيين فى الشـمال بقبول الحماية البريطـانية ، بحجة أن الألمـان فى الشرق والفرنسيين فى الغرب يهددون أمن الدول الفولانية•وأكدوا لهم أنهم سيثبتون الحكام الحاليين فى مناصبهم وتعهدوا بعدم التدخل فى شئون الدين الاسلامى والتقاليد المرعيـة ، شريطة أن يعدهم الحاكم بالولاء • ثم أغرى البريطانيون بعض الأمراء الفولانيين بعقـد اتفاقيات • وفى ينـاير ١٩٠٠ أعلنت الحكومة البريطانية قيام محمية نيجيريا الشمالية،وعين السيد فردريك لوغارد منـدوبا سامـيـا ، وأرسلت الحملات العسكرية ضـد الأمراء

الفولانيين الذين رفضوا توقيع اتفاقيات معها وفي عام ١٩٠٣ تم احتلال كانو وسوكوتو ، ولم تقع بورنو في حوزة الانكليز الا في عام ١٩٠٦ واستمر حكم محمية نيجيريا الشمالية على يد الأمراء الفولانيين يساعدهم ضباط بريطانيون سياسيون يسدون لهم المشورة • وادمجت المحمية الجنوبية بمستعمرة لاغوس وأطلق عليها اسم « مستعمرة » ومحمية نيجيريا الجنوبية •

شهدت الأعوام الممتدة ما بين ١٩٠٠ و ١٩١٤ تطورا ملحوظا في المواصلات في نيجيريا • ففي عام ١٩٠٧ بوشرت الأعمال لانشاء مرفأ في لاغوس قادر على استقبال السفن العابرة للمحيطات• وحوالى عام ١٩١٢ تم انشاء الخط الحديدي من لاغوس الى كانو ، وله فروع من منا الى بارو على النيجر ، ومن زازا الى لا جوس وقد أتاح كل ذلك البدء بتصدير المحاصيل الزراعية ،بينما أنشئت في سهل لاجوس صناعة لاستخراج القصدير• وفي عام ١٩١٤ دمج البريطانيون المحميتين الشمالية والجنوبية وجعلوا منهما مستعمرة ومحمية نيجيريا وعين السير لوغارد حاكما لها • وكانت البلاد مقسمة الى مقاطعتين شمالية وجنوبية ، كل منهما تحت امرة مساعد اداري وكانت مستعمرة لاغوس بادارة متصرف • ثم نشبت الحرب في عام ١٩١٤ وجرفت في تيارها نيجيريا بسبب موقعها المجاور لمستعمرة كاميرون الألمانية • واسفرت الحملة ضد الألمان في عام ١٩١٦ عن نتائج مرضية ، وقد قاتلت الكتيبة النيجيرية ببأس وامتياز • وفي عام ١٩٢٢ بسط البريطانيون حكمهم على الأقسام الغربية للكاميرون تحت وصاية عصبة الأمم ، ومنذ عام ١٩٢٤ تولت ادارتها كجزء من نيجيريا ، وقسمت الى مقاطعتين الشمالية والجنوبية •

وفي عام ١٩٢٢ كان من نتائج الوعي السياسي بين أفراد الشعب الغاء المجلس الاستشاري الذي كان قد أنشأه لوغارد « الذي تقاعد في عام ١٩١٩ » وتشكيل مجلس دستوري بكامل أعضائه الرسميين ، الا أن المقاطعة الشمالية لم تمثل في ذلك المجلس •

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ كانت نيجيريا قد خطت خطوات سريعة في مضمار التقدم فقد اكتملت مرافق الميناء في لاغوس ، وأنشيء مرفأ جديد في بور هاركور،

وتم كذلك مد الخط الحديدى فى الشمال من بور هاركور الى كادونا مارا بانيوغو حيث يتصل بخط لاغوس ـ كانو ، وانشىء فرع آخر فى سهل لاجوس ومنذ عام ١٩٤٥ قطع التطور الدستورى شوطا بعيدا• وفى عام ١٩٤٦ صدر دستور جديد قسم الجنوب الى مقاطعتين شرقية وغربية وأقام برلمانات للمقاطعات الشمالية والشرقية والغربية يشرف عليها مجلس تشريعى مركزى بأكثرية غير رسمية• ولكن هذه البرلمانات لم تكن لها سوى صفة استشارية ، لذا لم يكن الشعب راضيا عن هذا الدستور وأجريت مشاورات سياسية على مختلف المستويات بضرورة انعقاد مؤتمر فى ابادان خلال عام ١٩٥١ وطالبت المقاطعة الشمالية بأصرار بأن يكون تمثيل الشمال فى أى تشريع مركزى مساويا لتمثيل الشرق والغرب مجتمعين وذلك على أساس أن الشمال يفوق مرتين عدد سكانهما معا• وتم الاتفاق بهذا الخصوص ، وفى عام ١٩٥١ صدر دستور يدعو الى قيام حكومة اتحادية شبه مسئولة تتمتع بقدر أعظم من الاستقلال الاقليمى •

وفى يناير ١٩٥٢ جرت انتخابات عامة أثر صدور الدستور الآنف الذكر• وبرز الى حيز الوجود مؤتمر الشعوب الشمالية كحزب سيطر فى الاقليم الشمالى بزعامة الحاج أحمد بلو ، أحد أحفاد عثمان دان فوديو وفى الاقليم الغربى فاز حزب « جماعة العمل » الذى أسسه أهولوهو زعيم يوروبا ، بأكثرية عمالية • واتفق حزبا مؤتمر الشعوب الشمالية وجماعة العمل على تسلم زمام الحكم مطالبين بانشاء حكومات اقليمية قوية، ومنددين بحزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون الذى يتمتع بخبرة سياسية أعظم• ولكن الجهود الجبارة التى بذلت فى وضع هذا الدستور موضع التنفيذ باءت بالفشل وانفصل الحزبان فى عام ١٩٥٣ • وفى مايو عام ١٩٥٣ ألغى هذا الدستور بغية تأمين قدر أعظم من الاستقلال الاقليمى •

وفى عام ١٩٥٣ عقد مؤتمر دستورى أعلن فيه الوصول الى اتفاق نظرا لرضوخ حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون للمطالبة باستقلال اقليمى أكبر • وانشىء فى الاقليم الشمالى مؤسسة للخدمة المدنية لدر•

امكانيـة سـيطرة الشرق أو الغـرب اللذين حظيا بقسط أوفر من الثقافة. وجعلت لاغوس أرضـا اتحـادية • وتقرر كذلك أقلمة مجالس التسويق للاقليم الشرقى ، الذى كان من أفقر الأقاليم، وهكذا أرسيت دعائم الاتحاد النيجيرى وكان لـكل اقليم حـكامه المعينـون ودوائر للخـدمة المدنيـة والقضـاء • وكانت الحكومة المركزية مضعضـعة القـوى من جـراء نقـل السلطات الى الأقاليم ، الا أن موقفها ازداد رسـوخا نتيجـة الأخذ بمبـدأ الانتخابات المباشرة للتمثيل المركزى ، بدلا من قيام المجالس الاقليمية باختيار أعضائها كما كان الحال فى الماضى •

وفى انتخـابات عام ١٩٥٤ حصـل حزب مؤتمر الشـعوب الشمالية على أكثرية الأصـوات فى الشـمال على الرغم من خسارة بعض المقاعد لحزب الاتحـاد التقـدمى للعنـاصر الشمالية الذى كان متحالفا مع حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والـكاميرون • وفى الغرب أسفرت كراهية حزب جماعة العمل عن اخفاقها فى الحصـول على أغلبيـة الأصـوات المرجوة ، وذلك بسبب الضرائب الباهظة التى فرضت لتحقيق مشروع جـرىء يرمى الى تطور اجتماعى سريع • فى حين أن حـزب المجلس الوطنى لنيجـيريا والكاميرون نجح فى الحصـــول على الأكثرية فى كلا الاقليمـين الشرقى والغربى ، ولم يشأ أحد الزعماء سواء أكان الحاج أحمدو بللو أم الدكتور ازيكيوه أم الزعيم أولوهـو التخـلى عن مقعـده فى المجلس الاقـليمى، للاعتراض على الانتخابات البرلمـانية الاتحـادية • ونتيـجة للانتخـابات أصبحت أكثرية الـوزراء الاتحاديين تنتـمى لحـزب المجلس الـوطنى لنيجيريا والكاميرون ( سـتة وزراء ، ثلاثة منهم يمثلون الاقليم الغـربى ، وثلاثة يمثلون الاقليم الشرقى ) ، بينما لم يحظ هذا الحزب الا بأقلية مقاعد البرلمان الاتحادى ، وذلك لأن الاقليم الشـمالى كان قد أعاد نصـف عـدد الأعضاء • وعلى الرغم من ذلك شكل حـزب مؤتمـر الشـعوب الشـمالية وحـزب المجـلس الوطنى لنيجـيريا والكاميرون حكومة ائتلافية •

وفى آيار ١٩٥٧ عقـد مؤتمر فى لنـدن • وقبـل الشروع فى المؤتمر كان مجلس النـواب الاتحـادى قد وافق بالاجمـاع على قـرار يطـالب

باستقلال نيجيريا فى عام ١٩٥٩ • وكان من المقرر كذلك أن يغادر الضباط البريطانيون الباقون فى الحكومة مراكزهم وأن تشكل وزارة أفريقية محضة برئاسة رئيس وزراء اتحادى • ونتيجة لذلك عين الحاج أبو بكر تفاوا باليوا ، النائب الأول لحزب مؤتمر الشعوب الشمالية وزعيمه الأكبر فى البرلمان الاتحادى، رئيسا للوزراء ، وكان حتى ذلك الوقت يشغل منصب وزير المواصلات وضمت وزارته القومية عضوين من من حزب جماعة العمل •

وفى سبتمبر عام ١٩٥٨ عقد مؤتمر آخر فى لندن ، لاستعراض التقدم الذى أحرزته البلاد ودراسة تقارير اللجنة المالية ولجنة الأقليات اللتين أنشأهما مؤتمر عام ١٩٥٧ • وطالب ممثلو الاقليم الشمالى بأن يحصل اقليمهم على الحكم الذاتى فى ١٥ مارس عام ١٩٥٩ • وبالتالى أصبح الاقليم الشمالى مستقلا فى ١٥ مارس ١٩٥٩ فى غمرة الاحتفالات الصاخبة المهللة •

أما بشأن منح الاستقلال للاتحاد بأجمعه ، فقد قالت الحكومة البريطانية أنها قد توافق على قرار بطلب منح الاستقلال شريطة أن يصدر ذلك القرار عن مجلس نيابى اتحادى يتم انتخابه من جديد •

وهكذا كانت انتخابات عام ١٩٥٩ ذات أهمية خاصة • فقد أجريت هذه الانتخابات عام ١٩٥٩ فى جميع أرجاء البلاد فى وقت واحد بالطريقة المباشرة وبواسطة الاقتراع السرى • وبينما كان الحاج بلو زعيم حزب مؤتمر الشعوب الشمالية يسعى جاهدا للاستمرار فى تسيير دفة حكومة الاقليم الشمالى، تخلى الدكتور أزيكيوه زعيم حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون،والسيد أهولوهو الزعيم الأكبر لحزب جماعة العمل ، تخلى كلاهما عن منصبيهما كرئيسين اقليميين سعيا وراء الفوز فى الانتخابات البرلمانية الاتحادية •

وفى الانتخابات العامة لم يحصل أى حزب على أكثرية مطلقة فى شغل مقاعد البرلمان البالغة ٣١٢ ، انما فاز كل حزب بأكثرية المقاعد فى اقليمه بالذات • فحصل حزب مؤتمر الشعوب الشمالية على ١٤٢ مقعدا من اصل ١٧٤ مقعدا، وكان نصيب حزب جماعة العمل ٢٤ مقعدا ، كما كان

نصيب حزب الاتحاد التقدمى للعناصر الشمالية (وهو حليف حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون) ٨ مقاعد فقط • وحصل حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون على ٥٨ مقعدا من أصل ٧٢ مقعدا من الأقاليم الشرقية ، فى حين أن حزب جماعة العمل حصل على ١٤ مقعدا أما فى الاقليم الغربى البالغ عدد مقاعده ٦٣ مقعدا فقد أحرز حزب جماعة العمل ٣٤ مقعدا بينما فاز حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون بـ ٢١ مقعدا وحزب الأحرار بـ ٨ مقاعد وقد ظفر حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون باثنين من المقاعد الثلاثة المخصصة للاغوس ، وفاز بالمقعد الثالث حزب جماعة العمل •

وجملة القول أن قوة الأحزاب كانت موزعة على النحو التالى : مؤتمر الشعوب الاسلامية الشمالية ١٤٢ مقعدا المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون ٨٩ مقعدا ، جماعة العمل ٧٣ مقعدا ، الأحرار ٨ مقاعد • وتألفت الحكومة من أفراد حزبى مؤتمر الشعوب الشمالية والمجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون وعين الحاج أبو بكر تفاوا باليوا رئيسا للوزراء ، وضمت وزارته ١٠ أعضاء من حزب مؤتمر الشعوب الشمالية و ٧ أعضاء من حزب المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون وعضوين من الأحرار • وآثر الدكتور أزيكيوه البقاء خارج الحكومة وعين رئيسا لمجلس الشيوخ •

**الاستقلال التام :**

وفى يناير ١٩٦٠ أثار رئيس الوزراء قضية قرار الاستقلال مطالبا بمنح الاستقلال لنيجيريا فى أول أكتوبر ١٩٦٠ ، وقد اتخذ القرار بالاجماع • وهكذا أصبح الاتحاد دولة مستقلة فى نطاق الكومنولث فى أول أكتوبر ١٩٦٠ ، وبقيت الدولة تحت رئاسة ملكة بريطانيا بينما عين الدكتور ازيكيوه حاكما عاما للبلاد ، مع بقاء السيد أبو بكر فى منصبه كرئيس للحكومة • وفى سبتمبر ١٩٦٣ ، وبعد انقضاء ثلاث سنوات، وافق البرلمان النيجيرى على دستور جمهورى ، يعلن نيجيريا جمهورية اتحادية ضمن الكومنولث اعتبارا من أول أكتوبر ١٩٦٣

وبموجب هذا الدستور تنازلت الملكة البريطانية عن رئاسة دولة نيجيريا ، وتقرر أن يتم انتخاب الرئيس من قبل جميع أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس النواب وأن تدوم فترة رئاسته خمس سنوات • وبقيت كافة أحكام الدستور السابق سارية المفعول باستثناء الحكم المتضمن أن رئيس الوزراء لايجوز عزله من قبل رئيس الدولة ، الا فى حال حجب الثقة عنه فى مجلس النواب • وفى أول أكتوبر ١٩٦٣ انتخب البرلمان الاتحادى الدكتور ازيكيوه رئيسا للجمهورية •

ولقد نعمت نيجيريا بالهدوء والاستقرار عدة سنوات بعد حصولها على الاستقلال ، ثم تتابعت الانقلابات والاضطرابات التى أدت الى مقتل زعيمين من أكبر زعماء المسلمين هناك •

وقد حدث الانقلاب الأول فى عام ١٩٦٦ وبدأ قادة الانقلاب بمذبحة ذهب ضحيتها المرحوم الشهيد أحمدو بللو الرجل الذى عمل على توطيد أركان الاسلام فى الشمال • وكان الوحيد من بين زعماء «نيجيريا» الذى وقف فى وجه اسرائيل وأطماعها فى القارة الخضراء ، وخطب حين زار القدس معلنا استعداده لتقديم ستين ألفا من المجاهدين لتحرير فلسطين • ثم قام بعد ذلك الجنرال يعقوب جوون بانقلاب مضاد أسقط فيه حكم « ايرونسى » الذى قاد الانقلاب الأول وأمر باجراء تحقيق فى مقتل الشهيدين أحمدو بللو وأبو بكر تافاوا بليوا رئيس الوزراء ، وقد ظهرت فى بداية عهد « جوون » حركة الانفصال التى قادها الكولونيل « أوجوكو » من الأقليم الشرقى ، ودارت رحى حرب أهلية فقد فيها النيجيريون ألوف الضحايا وملايين الجنيهات ثم انتهت هذه الحرب الأهلية بسحق حركة الانفصال وتركيز سلطة الاتحاد •

وبينما كان الجنرال يعقوب جوون فى « كمبالا » عاصمة أوغندا لحضور مؤتمر افريقى هناك اذا بالأخبار تنقل اليه معلنة عن ميلاد انقلاب جديد بقيادة الجنرال محمد مرتضى ، وكانت المفاجأة الكبرى أن الجنرال «جوون» الرئيس النيجيرى المخلوع سارع وأعلن مباركته لهذا الانقلاب (١) •

---

(١) وفى شهر فبراير ١٩٧٦ قام الكولونيل « ديمكا » بانقلاب ضد حكم الجنرال مرتضى محمد ، ولكن هذا الانقلاب أحبط بعد ساعات ، وان كان الجنرال مرتضى محمد قد قتل فى هذا الانقلاب .

# طريق النصر في التمسك بالإسلام

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فان الله سبحانه وتعالى انما خلق الخلق ليعبد وحده لا شريك له ، وأنزل كتبه وأرسل رسله للأمر بذلك والدعوة اليه كما قال سبحانه: «وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال سبحانه : «يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » وقال عز وجل: «كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أن لا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير وبشير» وقال تعالى : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» الآية، وقال سبحانه : «وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » فهذه الآيات وأمثالها كلها تدل على أن الله عز وجل انما خلق الثقلين ليعبد وحده لا شريك له وأن ذلك هو الحكمة فى خلقهما ، كما تدل على أنه عز وجل انما أنزل الكتب وأرسل الرسل لهذه الحكمة نفسها ، والعبادة هى الخضوع له والتذلل لعظمته بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه عن ايمان به سبحانه وتعالى وايمان برسله واخلاص له فى العمل وتصديق بكل ما أخبر به ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو أصل الدين وأساس الملة وهو معنى لا اله الا الله، فان معناها لا معبود حق الا الله ، فجميع العبادات من دعاء وخوف ورجاء وصلاة وصوم وذبح ونذر وغير ذلك يجب أن يكون لله وحده، وأن لا يصرف من ذلك شىء لسواه للآيات السابقات ، ولقوله عز وجل : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » الآية ، وقوله عز وجل :

« وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » وقوله سبحانه : « ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير • ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولوسمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير » وقال تعالى : «ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون • واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » وقال عز وجل : « ومن يدع مع الله اله آخر لابرهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون » فأبان سبحانه فى هذه الآيات أنه المالك لكل شيء وأن العبادة حقه سبحانه ، وأن جميع المعبودين من دونه من أنبياء وأولياء وأصنام وأشجار وأحجار وغيرهم لا يملكون شيئا ولا يسمعون دعاء من دعاهم ، ولو سمعوا دعاءه لم يستجيبوا له ، وأخبر أن ذلك شرك به عز وجل ، ونفى الفلاح عن أهله ، كما أخبر سبحانه أنه لا أضل ممن دعا غيره ، وأن ذلك المدعو من دون الله لايستجيب لداعيه الى يوم القيامة ، وانه غافل عن دعائه اياه ، وانه يوم القيامة ينكر عبادته اياه ، ويتبرأ منها ، ويعاديه عليها ، فكفى بهذا تنفيرا من الشرك وتحذيرا منه ، وبيانا لخسران أهله وسوء عاقبتهم • وترشد الآيات كلها الى أن عبادة ما سواه باطلة ، وأن العبادة بحق لله وحده ، ويؤيد ذلك صريحا قوله عز وجل : « ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل » الآية من سورة الحج • وذكر سبحانه فى مواضع أخرى من كتابه أن من الحكمة فى خلق الخليقة أن يعرف سبحانه بعلمه الشامل وقدرته الكاملة ، وأنه عز وجل سيجزى عباده فى الآخرة بأعمالهم كما قال عز وجل : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما» وقال تعالى : «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ، وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » فالواجب على كل ذى لب أن ينظر فيما خلق له ، وأن

يحاسب نفسه ويجاهدها لله حتى يؤدى حقه وحق عباده ، وحتى يحذر ما نهاه الله عنه ليفوز بالسعادة والعاقبة الحميدة فى الدنيا والآخرة ، وهذا العلم هو أنفع العلوم وأهمها وأفضلها وأعظمها ، لأنه أساس الملة وزبدة ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وخلاصة دعوتهم ، ولا يتم ذلك ولا يحصل به النجاة الا بعد أن يضاف اليه الايمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم امامهم وسيدهم وخاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومقتضى هذا الايمان تصديقه صلى الله عليه وسلم فى أخباره وطاعة أوامره وترك نواهيه ، وأن لا يعبد الله سبحانه الا بالشريعة التى جاء بها عليه الصلاة والسلام .. وهكذا كل أمة بعث الله اليها رسولا ، لا يصح اسلامها ولا يتم ايمانها ولا تحصل لها السعادة والنجاة الا بتوحيدها لله واخلاص العبادة له عز وجل ومتابعة رسولها صلى الله عليه وسلم وعدم الخروج عن شريعته ، وهذا هو الاسلام الذى رضيه الله لعباده ، وأخبر أنه هو دينه كما فى قوله عز وجل « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » وقوله عز وجل : « ان الدين عند الله الاسلام » وبهذا يتضح لذوى البصائر أن أصل دين الاسلام وقاعدته أمران ، أحدهما : أن لا يعبد الا الله وحده ، وهو معنى شهادة أن لا اله الا الله . والثانى : أن لا يعبد الا بشريعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فالأول يبطل جميع الآلهة المعبودة من دون الله ويعلم به أن المعبود بحق هو الله وحده ، والثانى يبطل التعبد بالآراء والبدع التى ما أنزل الله بها من سلطان ، كما يتضح به بطلان تحكيم القوانين الوضعية والآراء البشرية ويعلم به أن الواجب هو تحكيم شريعة الله فى كل شىء ، ولا يكون العبد مسلما الا بالأمرين جميعا كما قال الله عز وجل : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا » ، وقال سبحانه : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ، وقال تعالى : « أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون »

وقال عز وجل : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » • « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » • « ومن لم يحكم بما أنزل الله فألئك هم الفاسقون » وهذه الآيات تتضمن غاية التحذير والتنفير من الحكم بغير ما أنزل الله ، وترشد الأمة حكومة وشعبا الى أن الواجب على الجميع هو الحكم بما أنزل الله والخضوع له والرضا به ، والحذر مما يخالفه ، كما تدل أوضح دلالة على أن حكم الله سبحانه هو أحسن الأحكام وأعدلها ، وأن الحكم بغيره كفر وظلم وفسق وأنه هو حكم الجاهلية الذى جاء شرع الله بابطاله والنهى عنه ، ولاصلاح للمجتمعات ولا سعادة لها ولاأمن ولا استقرار الا بأن يحكم قادتها شريعة الله وينفذوا حكمه فى عباده ويخلصوا له القول والعمل ويقفوا عند حدوده التى حددها لعباده ، وبذلك يفوز الجميع بالنجاة والعز فى الدنيا والآخرة ، كما يفوزون بالنصر على الأعداء والسلامة من كيدهم واستعادة المجد السليب ، والعز الغابر كما قال سبحانه : «ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» وقال عز وجل: «يا أيها الذين آمنو ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم » وقال سبحانه : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز • الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » ولما حذر سبحانه من اتخاذ الكفار بطانة من دون المؤمنين ، وأخبر أن الكفار لا يألون المسلمين خبالاوأنهم يودون عنتهم قال بعدذلك: « وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط» وهذا الأصل الأصيل والفقه الأكبر هو أولى ما كتب فيه الكاتبون وعنى به دعاة الهدى وأنصار الحق ، وهو أحق العلوم أن يعض عليه بالنواجذ وينشر بين جميع الطبقات حتى يعلموا حقيقته ويبتعدوا عما يخالفه ، وأن جميع المجلات والصحف الاسلامية لجديرة بأن تعنى بهذا العلم وأن تستكتب فيه خواص الكتاب ونخبة حملة الأقلام حتى ينتشر ذلك بين الأنام ويعلمه الخاص والعام لعظم شأنه وشدة الضرورة اليه ، ولما وقع بسبب الجهل به فى غالب البلدان الاسلامية من الغلو فى تعظيم القبور ، ولاسيما قبور من يسمونهم بالأولياء

واتخاذ المساجد عليها وصرف الكثير من العبادة لأهلها كالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك ، ولما وقع أيضا بسبب الجهل بهذا الأصل الأصيل فى غالب البلاد الاسلامية من تحكيم القوانين الوضعية والآراء البشرية ، والاعراض عن حكم الله ورسوله الذى هو أعدل الأحكام وأحسنها .. فنسأل الله أن يرد المسلمين اليه ردا حميدا وأن يصلح قادتهم وأن يوفق الجميع للتمسك بشريعة الله والسير عليها والحكم بها والتحاكم اليها والتسليم لذلك والرضا به والحذر مما خالفه أنه ولى ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وأصحابه ومن سار على طريقه واهتدى بهداه الى يوم الدين .

الرئيس العام
لادارات البحوث العلمية
والافتاء والدعوة والارشاد

**عبد العزيز عبد الله بن باز**

# قصيدة "كعب" ومنزلتها

للأستاذ السيد حسن قرون

مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعر كثير ، واعتذر اليه بشعر نجى قائليه من العقوبة ، قاله شعراء يعتد بشعرهم ، وتعمر المحافل بفنهم ، سواء أكانوا من شعراء الأنصار أم من شعراء مضر ، وقد دونت كتب السيرة والأدب كثيرا منه ، وانك لتعجب اذا قرأت اعتذاريات أبى سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وعبد الله بن الزبعرى السهمى ، وأنس بن زنيم الديلى الذى كان يتغنى بقوله عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، ومنه :

وما حملت من ناقة فوق رحلها
أبر وأوفى ذمة من محمد
أحث على خير وأسبغ نائلا
اذا راح كالسيف الصقيل المهند
واكسى لبرد الخال قبل ابتذاله
وأعطى لرأس السابق المتجرد
تعلم رسول الله أنك مدركى
وأن وعيدا منك كالأخذ باليد

ولكن النقاد ورواة الأخبار وسدنة الشعر لم يعنوا بشعرهم كما عنوا بقصيدة كعب بن زهير التى أطلق عليها الرواة : « بانت سعاد » وأنت لا تحتاج الى بحث طويل لمعرفة أسباب ذلك الاهتمام ، فصاحب ( بانت سعاد ) شاعر كبير له شهرة واسعة فى صناعة القريض ، شهرة استمدها من شعره ، ومن منزلة أبيه الأدبية ، فأبوه زهير بن أبى سلمى من فحول شعراء الجاهلية قبيل الاسلام ، وصاحب المعلقة المشهورة ، والحوليات المنشورة ، وأحد الثلاثة المقدمين على شعراء الجاهلية : امرىء القيس ، والنابغة ، وزهير ، وبعضهم يقدمه عليهما لخصائص تذكر بهذا الصدد ، وقد نشأ كعب وأخوه بجير فى كنف ذلك الأب المجدود فى قبائل غطفان بأرض نجد ، فخرجهما شاعرين عظيمين ، بل أنه لم يجز لكعب صاحبنا أن يقول الشعر الا بعد أن امتحنه امتحانا

عسيرا فى فترات متقاربة أو متباعدة، فكان (١) يقول على البديهة مايحب زهير ، وفى مجلس (٢) جمع زهيرا والنابغة عقد له امتحان فأداه مبرزا ، فكان أن رضى الوالد وشعر الولد الموهوب . وقد ترجع شهرة كعب أيضا الى انحيازه لقريش حين كانت تعادى الاسلام بالسنان واللسان ، فخاض معهم ، وقال مؤيدا لهم ، وكان المرجو من كعب وقد روى لأبيه شعره ومعلقته وفيها حديث عن الثواب والعقاب ، والايمان بالبعث والحساب أن يستجيب لداعى الهداية ، وأن يصغى الى القرآن ويتذوق مراميه ، فيكون من المتقدمين السابقين الى الهدى والتقوى ، لم يفكر فى هذا ولم ينظر الى الذين هاجروا ولا الى الذين نصروا ، ولا الى الذين اعتنقوا الدين الجديد ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم فى سبيله ، وليس بعيدا عنه ما كان يجرى فى ميدان الأحداث من أن هذا الدين فى سبيله قتل الولد أباه ، الدنيا تغيرت حوله وهو لم يتغير ، قريش التى كانت تدافع عن دينها وكعبتها وتجارتها ووحدتها دخلت فى دين الله ودخل الناس أفواجا فيه وراءها . ثم يهدر الرسول دمه لموقفه من الله ورسوله مع نفر من الشعراء أمثاله ، فيلجأ الى القبائل عله يجد وليا ونصيرا فيخيب مسعاه ، ويلوذ بقبيلة مزينة بعد أن طارده الخوف فلا يجد عندها دفاعا ولا امتناعا ، وكيف وقد دخلوا مكة فاتحين تحت لواء رسول الله ؟ قال الرواة (٣) : ان كعبا وبجيرا ابنى زهير خرجا الى ( أبرق العزاف ) رملة بالحجاز لبنى سعد هاربين بعد فتح مكة ، فقال بجير لكعب : اثبت فى الغنم حتى آتى هذا الرجل ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسمع كلامه ، وأعرف ما عنده ، فأقام كعب ، ومضى بجير فأتى رسول الله بالمدينة منصرفه من حصار الطائف فسمع كلامه ، وآمن به وأقام عنده ، وبلغ كعبا اسلام أخيه فأغضبه فقال :

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة
فهل (٤) لك فيما قلت بالخيف هل لكا

---

(١) الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه .
(٢) الموشح للمرزبانى (٣) السيرة النبوية لابن هشام .
(٤) الك ارادة فيما نطقت به .

سقاك بها المأمون كأسا روية
فانهلك المأمون منها وعلكا
وخالفت أسباب الهدى واتبعته
على أى شىء ويب (١) غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا
عليه ، ولم تدرك عليه أخا لكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف
ولا قائل اما عثرت : لعا (٢) لكا

وبعث بالأبيات الى بجير ، وعجيب أن يتحدث عن أسباب الهدى وهو الضال ، وأن يذكر دين زهير ، ويجعل بجيرا عاثرا ولا يدعو له بخير وقد عبر بجير عن دين زهير فقال ومن رده :

فدين زهير وهو لاشىء دينه
ودين أبى سلمى على محرم

وأطلع بجيرا رسول الله على أبيات كعب ، ولم يكتمها اياه ، وقد علق الرسول على بعض أبياتها تعليقا لطيفا ، فحين سمع « سقاك بها المأمون ... » قال صدق وانه لكذوب ، لأنه الأمين والمأمون كما كانت تلقبه قريش فى مكة ، ولما سمع «على خلق لم تلف أما ولا أبا» قال : أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمه ، ومن اين وأبوه وأمه عاشا فى جاهلية عمياء ؟

ولنا أن نتصور هلع كعب حين جاءه رد بجير ، وأنه رصد الموت الا أن يجىء تائبا ، راغبا فى الله ورسوله ، أليس قد أهدر دمه ، وخذله قومه وصحبه ، ولا عقاب بعد اهدار دمه على قاتله ، ضاقت عليه الأرض ، وأرجف به كل من رآه ، وسمع من يقول له : انك مقتول . وهنا آض الى نفسه ، وراجعه عقله ، ونظر الى قول أخيه: أن النبى لا يقتل من جاء تائبا ، وهو شاعر صناعته الشعر ، فليؤم محمدا بشعر يعتذر فيه ، ويمدحه به ، وقد ينجو من القتل ، والا فأين المفر ؟ وجمع فنه كله ، قرض قصيدته التى بدأها بفراق سعاد وما تركه الفراق فى نفسه قال :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم اثرها لم يفد مكبول

(١) هلكت هلاك غيرك .
(٢) لادعو لك بالسلامة .

وقد حظيت تلك القصيدة بسماع سيد الخلق صاحبها وهو ينشدها آن صلاة الصبح بين الصحابة ، وخلع عليه بردته ، وهذا الموقف زادها شهرة وحبا ، وصارت روايتها وسيلة الى التقرب الى الله ورسوله، وأقبل عليها الادباء والنحاة بالشرح والدراسة حتى وصلت الى البوصيرى فعارضها بقصيدة جيدة سنعرض لها فى غير هذا المقام .

واذا نظرت الى « بانت سعاد » ككل وكيان واحد وجدتها من بدئها الى ختامها يخيم عليها جو نفسى من الفزع والهلع،والضياع والاغتراب، والخوف والاضطراب ، تقطر من قلب اعتصره الهم اعتصارا ، ودمره اليأس تدميرا ، وحسبك أنه بدأها بالفراق ، وختمها بالموت ، فأولها : بانت سعاد ... البيت ، وآخرها حديثه عن شجاعة المهاجرين . قال:

لايقع الطعن الا فى نحورهم
ومالهم عن حياض الموت تهليل(١)

وفن كعب فى تلك القصيدة يبدو لأول وهلة أنه يسلك مسلك أبيه أو الشعراء الذين عاصروه أو سبقوه ، ولكن بشىء من التأمل تراه ذا حالة خاصة ، يصورها تصويرا ، ويؤديها تأدية فى ذلك النسق المعروف فى تأليف العبارة ، وهى ينأى عنهم نأيا كبيرا فما حديثه عن سعاد وفراقها الا رمز لما كان فيه وما صار اليه ، الأمانى الحلوة، والحياة اللاهية ، والاضطراب فى أنحاء الجزيرة العربية ، والتنقل من حان الى حان ، واللعب مع الفتيان، والفخر بمضر ، وقرض الشعر وروايته ، والحرية التى لا قيود لها ، هى بانت عنه ، وفرت منه ، وما الناقة التى امتطاها ليلحق بسعاد الا أحلامه وأمانيه وهى كاذبة لا تعطيه واقعا ولا أرضا يقف عليها، وكيف الوصول الى ما نزع عنه من راحة وواحة ، وأمن ودعة ، وغناء ورجاء ؟ والهواتف حوله تقطع رجاءه وتضع الضباب أمامه ، فتشبيهه ووصفه جزء لا يتجزأ من حاله ، والاعتذار والمدح امتداد لتلك الحال ، فليست هنا أغراض عنى الشاعر بها نفسه ليجيد الشعر ويتنخله ويصقله ، ليعجب وينال

---

(١) تأخر .

الجوائز ، وليس هو فى سباق فى حلبة الشعر مع شعراء ينافسونه فى القربى والصلات ، ولنرجع الى القصيدة ففيها مصداق ما نقول ، وما نقوله هو صدى لها ، وحاشية حولها ، أن القصيدة شكليا تنقسم الى أربع مراحل ، أو قل الى أربعة أغراض كما يقول النقاد :

١ ـ التشبيب .
٢ ـ وصف الناقة .
٣ ـ حديث الوشاة .
٤ ـ الاعتذار والمدح .

وتراه فى التشبيب يعطيك معرفة تامة بما يصيب العاشق من المعشوقة التى يصفها بأوصاف حسية وأوصاف معنوية ، ولكنه ان أحسن الحديث عن جمالها ، فقد أساء اليها فى ذكر أوصافها . قال :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم أثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا
الا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة ، عجزاء مدبرة
لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت
كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذى سبم من ماء محنية
صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه (١)
من صوب غادية بيض يعاليل (٢)

هذه هى أوصافها الحسية ، وهى تنقل اليك نظرة العربى الى الجمال عامة ، والى ذوق كعب فيه خاصة ، فالمرأة الجميلة لها صوت جميل فيه غنة ، لا يرتفع فيؤذى ، ولا ينخفض فيتعب ، وهى كحيل الطرف ، والناظر اليها يراها حسنة فى جميع الأوضاع فهى جميلة القد حين تقبل وعجزاء حين تدبر ، وهى ليست بالطويلة ولا القصيرة ، الاعتدال سمتها البارزة ، وحين تبتسم تكشف عن أسنان بيض لها بريق بثغر قد نهل وعل من خمر مزجت بماء بارد صاف من مطر سحابة غادية لم يضرب ماءها الشمس وهو لم يتعرض لوصف شعرها كما فعل امرؤ القيس ، ولم يصف مشيتها

---

(١) سبق اليه وملاه .
(٢) جبال بيض ينحدر عليها ماء المطر .

كمـا وصـف الأعشى ، ولم يتعرض لقدميها ولا جيدها كما فعل الشعراء قبله وبعـده ، بل اكتفى بالمنظر العـام وتبلج الوجه وحسن الصوت والثغر والطـرف ، فاذا جـاء الى وصـف نفسيتها وطبـاعها رماها بكل سيىء من الكـلام ، بكل صـفة لا تجعـل للتمتع اليها سبيلا ، فهى لا تصدق فى وعدها ، ولا تقبل نصـح ناصح ، والشر متأصـل فيها ، قد خلط بدمها افجاع العاشق بالمكروه ، والكذب فى الخبر ، والاخلاف فى الوعد ، وتبديل خليل بآخر ، فمن سجيتها التبـديل ، لا تدوم على حال ، فتتلون بألوان مختلفة ، وترى فى صـور شـتى كما تتلون الغـول ، لذلك لا تمسك بعهـد قطعته على نفسـها ، وكل ما تأتيه أحلام وتضليل ، فهى مثل عرقوب فى اخلاف المواعيد ، ومع ذلك يرجو أن تدنو مودتها ، وان شك فى نوال تلك المـودة . قال :

فيـالها خـلة لـو أنهـا صـدقت … بوعـدها أو لـو النصـح مقبـول
لكنها خلة قد سيط (١) من دمها … فجع ، ولع ، واخلاف ، وتبديل
فما تدوم على حـال تـكون بهـا … كما تلون فى أثوابهـا الغـول (٢)
وما تمسـك بالعهـد الذى زعمت … الا كما يمسـك المـاء الغرابيـل
فـلا يغرنك ما منت وما وعـدت … ان الأمـانى والأحـلام تضـليل
كانت مواعيـد عرقوب لهـا مثـلا … ومـا مواعيـدها الا الأباطيـل
أرجو وآمـل أن تـدنـو مـودتها … ومـا اخال لدينا منـك تنويل

وهأنت ذا تراه قد نفض ما فى جعبتـه من أحـلام وأمـانى ، ويأس ورجاء ، قـد حيـل بينـه وبين ما يشـتهى ، ولا تظـن أن الـذين سمعوه ، وفيهم رسـول الله قـد أنكروا عليه حديثـه عن سـعاد ، ولا عن فمها الذى حلا بشرب الراح ، فذلك عندهم من تمام القول ، وليس بممثل للحقيقة فى شىء ، وهو رجل بين بين ، مقدم من كفر الى ايمان ، والفن لا يتقيـد ، وهو تقليد قـد سايره الجديد ، فلا بأس عليه اذا

---

(١) خلط .
(٢) ساحرة الجن كما توهمها العرب .

قاله ، ولا بأس على سامعيه اذا انصتوا اليه ، والكلام كله رمز لحال جميلة بايتته يصفها ويعرف أنه لا يقارفها ، وحين ينتقل الى الوسيلة التى يريد بها اللحاق بسعاد تجده ينتقل فى يسر وسهولة فلا تحس أنه مال من نوع الى نوع ، فأنت مع سعاد فى رحلتها النائية أشد النأى ، لا تحس بأنه انتقل من غرض الى غرض كما يقول النقاد ، لا اقتضاب ولا تمهيد ، وما عليك الا أن تسير معه ، أو تلحظه بطرفك من قريب أو بعيد فأنت مع سعاد الراحلة :

أمست سعاد بأرض لا يبلغها
الا العتاق النجيبات المراسيل
ولن يبلغها الا عذافرة
لها على الأين ارقال وتبغيل

فكعب يتبعها بناقة نجيبة سريعة فخمة ، لا يأخذ منها التعب أى مأخذ ففى سيرها لها سير النوق ، وقوة البغل فى الأماكن الوعرة ، ويستمر فى وصف الناقة على مدى عشرين بيتا فلا تشعر الا أنه منطلق بالناقة فى الوهاد والنجاد لعله يبلغ سعاد ، على ناقته التى تعودت الأسفار ، وعرفت الطرق التى لا علامات بها ، ترى الأماكن الخفية فى قوة الثور المنفرد فى الصحراء .

ضخم مقلدها ، فعم مقيدها
فى خلقها من بنات الفحل تفضيل

ثم هو لا يترك شيئا منها الا وصفه ، من جلد الى رأس ، الى نحر ، الى ذيل ، الى قوائم ، وأنها تتحمل السفر في القيظ وهو حزين قد ضربته الدنيا بضرباتها ، وهنا يشبهها تشبيها حزينا ، يقفنا لنتأمله أنظر اليه انه يشبه ذراعيها فى انطلاقها بذراعى امرأة ثكلى تنوح على وحيدها ، وقد بدت فى ثياب رثة ، وهى نصف تقوى على الحزن ، وحولها نساء ثاكلات يعاونها فى البكاء والنحيب ، وتشبيهه هذا راجع الى نفسيته الحزينة . قال :

كأن أوب (١) ذراعيها وقد عرقت
وقد تلفع بالقور (٢) العساقيل (٣)

---

(١) رجع .

(٢) الجبال الصغيرة .

(٣) السراب .

يوما يظل به لحرباء مصطخدا (١)
كأن ضاحيه بالشمس مملول (٢)
وقال للقوم حاديهم ـ وقد جعلت
ورق الجنادب يركضن الحصا قيلوا
شد النهار ذرعا عيطل نصف
قامت تجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها
لما نعى بكرها الناعون معقول
تفرى اللبان بكفيها ومدرعها
مشقق عن تراقيها رعابيل (٣)

ولنا نظرة الى هذا الصنيع من الشعر ، فقد كان الجاهليون يتخذونه في التعبير ، وهو أسلوب أخاذ نفاذ اذا جاء صدى للمراد ، وعبر عن تجربة أو احساس صادق وهو أن يعمد الشاعر الى المشبه به، فيوسع دائرته ، ويمد فى جوانبه حتى يستوفى الصورة الناطقة التى تمثل شعوره نحو المشبه ، فشاعرنا هنا كما قدمنا يشبه ذراعى الناقة فى تنقل خطواتها بذراعى « عيطل نصف » وكان فى هذا كفاء ولكنه لأعجابه يرجع ذراعى تلك الناقة وهى منطلقة مد فى المشبه به ورشحه وقواه فى عبارات موضحة معمقة للمشاعر ، فالعيطل النصف تعنف على نفسها ، فتشير بذراعيها لما نعى بكرها الناعون ، تجاوبها نساء نكد مثاكيل لا يعيش لهن ولد ، والمرأة نواحة رخوة العضدين ليس لها عقل ، وهذه المرأة لذهاب عقلها تقطع قميصها بأناملها ، فيظهر عظام صدرها ، كل ذلك ليبين الى أى حد كانت سرعة تلك الناقة ، وفى القرآن المثل الأعلى لهذا الضرب من البيان، بيد أننا فى عصرنا لا نستحسن هذه الصورة الواسعة ، وان كنا قد ارتضيناها فى الاستعارة ، فاننا فى الاستعارة نخلع على المشبه به صفات وتجسيما تجعله مطابقا لشعور الشاعر ، وطويل جدا أن ترى اسم كأن فى البيت الأول من هذه الأبيات ، والخبر فى البيت الرابع منها وهو المشبه به ، ولم يجىء فى أول البيت بل سبقه الظرف « شد النهار » مما يجعل ركنى الجملة متباعدين ، والمعنى

---

(١) محترقا بحرارة الشمس .
(٢) محروق .
(٣) قطع .

يحتاج الى جهد . والصورة هنا حزينه والوقوف عندها غير مرغوب فيه ، ولو كان فى أمر مرغوب فيه لعذب وطلب وأسرع فهمه الى السامع ، فالأبيات الغزلة الثلاثة من « تجلو عوارض .. الى بيض يعاليل » من هذا النوع ، وهو مقبول ، ودائرته لم تتسع اتساع صورة الناقة وذراعيها فى السير حين شبهت بالمرأة الثكلى . وكعب لم يبتكره ، فهو شائع فى شعر من سبقه . يقول الأعشى فى ( هريرة ) متحدثا عن رائحتها الذكية :

ماروضة من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب(١) شرق
مؤزر بعميم النبت مكتهل

يوما بأطيب منها نشر رائحة
ولا بأحسن منها اذ دنا الأصل

فهريرة تشبهها تلك الروضة بالعوامل التى جعلت منها منية النفوس ، وشرك العيون ، وبهجة القلوب المهم أن كعبا سلك ذلك المسلك ، واستخدمه فى وصف الناقة وان جاءت الصورة قاتمة فلأن نفسه قاتمة هذه صورة فرضتها سعاد ، أو قل فرضتها حاله المفزعة ، ومن الناقة ينقلك الى الفكرة نقلا طبيعيا فى نطاق حاله ومن املاء موقفه . اقرأ معى :

تسعى الوشاة جنابيها ، وقولهم :
انك يابن أبى سلمى لمقتول

وقال كل صديق كنت آمله :
لا ألهينك أنى عنك مشغول

وهنا بلغ السيل الزبى ، ولم يبق فى قوس الصبر منزع ، وأن له أن يتماسك ، ويحملق فى وجوه الوشاة والأصدقاء :

فقلت : خلوا سبيلى لا أبالكم
فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وان طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول

ولن تجد أجمل ولا أوفق من هذا المدخل الى الاعتذار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه بما هو أهله ، قال والكلام متصل كأنه صب مرة واحدة :

نبئت أن رسول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمول

---

(١) جماعة الزهر .

وأجمل تكرار قرأته فى شعر هو تكرار كلمة « رسول الله » فهـو متوازن مع الوعيد والعفو ، والنبأ والأمل :

مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ
ـقرآن فيهـا مواعيظ وتفصـيل
لا تأخـذنى بأقوال الوشـاة ولم
أذنب وقد كثرت فىَّ الأقاويـل

وهنا أخـذ يصف هيبة النبى ، وأنه فى مجلس مهيب لو حضـره الفيـل لاضطرب من شدة الأمر ، ولظل يرعـد الا اذا حصـل على الأمان ، حتى وضعت يمينى فى يمينه نازعا اليه ، تائبا ، ثم هـو أخوف حين أكلمه من أسد فى بطن عثر فى غابة يطعم شبلين له من لحم مقطع قطعا صغيرة ، ولا بأس من سوق تلك الأبيات ، فهى تعطيك حالة كعـب وأمثـاله ممن غرتهم الأمانى ، ولم يصحوا الا حين رأوا العذاب . قال :

لقـد أقـوم مقـاما لو يقـوم به
أرى وأسمع ما لو يسـمع الفيل
لظـل يرعـد الا أن يكون له
من الرسـول باذن الله تنـويل
حتى وضـعت يمينى ما أنازعـه
فى كف ذى نقمات قيله (١) القيل
فلهو أخوف عنـدى اذ أكلمـه
وقيل انك منسوب (٢) ومسئول
من ضيغم بضراء الأرض مخدرة
فى بطن عثر غيـل دونه غيـل
يغـدو فيلحم ضرغامين عيشهمـا
لحم من الناس معفور (٣) خراديل
اذا يسـاور قرنا لا يحـل له
أن يترك القرن الا وهو مفـلول

وتراه استخدم ما تحدثنا عنـه سابقا من مد صورة المشـبه به ، فالرسـول يشـبه الضيغم ، واستمر فى حديثه عن الضيغم حتى استوفى الصورة النفسية لرهبة الرسول له ، وتلمح أباه زهيرا فى ( عثر ) فلأبيه بيت يقول فيه :

ليث ( بعثر ) يصطاد الرجال اذا
ما الليث كذب عن أقرانه صـدقا

وميزة كعب أنه جعله يحتل أجمة قريبة من أجمة ، وذلك أشد لتوحشه

---

(١) قوله هو القـول النافذ .

(٢) منسوب الى اشياء قلتها ومسئول عنها .

(٣) ملقى فى التراب .

وقساوته ، وأكد لقدره وضراوته ، وكلما كان الأسد مختفيا كان أبلغ فى الهيبة ، وأروع فى الصـولة . وهذا الأسد :

منــه تظل سباع الجو نافـرة
ولا تمشى بواديه الأراجيــل
ولا يـزال بواديه أخــو ثقــة
مضرج البز(١)والدرسان(٢) مأكول

الجو هنا : البر الواسع يصـف الأسد ـ والوصف امتداد المصورة ـ بأن الأسود والرجال تخافه ؛ فالأسود ساكتة من هيبته ، والرجال لاتقدم على المشى فى واديه ، وأخو الثقـة لـقى حتفـه فهــو مـضرج بدمائه مطروحة ثيابه الخلقة وسـلاحه ولما انتهى من نعت هيبة الرسول قال :

ان الرسـول لنـور يسـتضاء به
مهنــد من سيوف الله مسـلول

وبهــذا البيت نال الأمـــان والرضوان ، رمى عليه رسـول الله البردة ، فكانت بردا وسـلاما على قلبه ، اعتز بها ؛ وقد بذل له معاوية رحمة الله فيها عشرة آلاف ، فقال : ما كنت لأوثر بثـوب رسـول الله صلى الله عليه وسلم أحـدا ، فلما مات بعث معاوية لورثتــه بعشرين ألفا فأخذها منهم . وما أبدع كعبا حين مدح المهاجرين ، انك لاتشعر الا أنه يتحدث عن النبى فحسـب ومع ذلك فهـو يمدح من هاجر من مكة الى المدينة من قريش . قال :

فى عصـبة من قريش قال قائلهم
ببطن مـكة لمـا أسـلموا زولوا
زالوا فمـا زال أنكاس ولا كشف
عنــد اللقـاء ولا ميـل معـازيل

شـم العـرانين أبطـال لبوسـهم
من نسج داود فى الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لهـا حلق
كأنها حلق القفعاء (٣) مجــدول

ليسـوا مفاريح ان نالت رماحهـم
قوما ، وليسوا مجازيعـا اذا نيلوا
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم
ضرب اذا عرد(٤)السود التنابيل(٥)
لا يقـع الطعن الا فى نحـورهم
ومالهـم عن حياض الموت تهليل

---

(١) السلاح . (٢) الخلق من الثياب .
(٣) نبات يشبه الحسك تشبه به حلق الدروع .
(٤) المرض . (٥) القصــار .

وصفهم بالاسلام والهجرة والشجاعة والاستعداد للحرب ، وأنهم كرام أبطال قد عودوا القتال لا يزدهيهم نصر ، ولا تضعفهم هزيمة ، يقبلون على الأعداء تحميهم سيوفهم ، لا يعرفون الفرار فالطعن لايقع الا فى صدورهم ، . والبيت الأخير نال اعجاب الرسول ، فأومأ الى من كان يحضرنه من قريش أن اسمعوا . ويقال ان قوله : « يمشون مشى الجمال الزهر . . البيت » فيه تعريض بالأنصار ؛ لأنهم كانوا حراصا على قتله ولذلك قال المهاجرون حين سمعوا هذا البيت ما مدحنا من هجا الأنصار ، وقد أمره النبى بمدحهم فوفاهم حقهم .

وما جرى بين كعب والأنصار له قصة ... قصاراها أن كعبا حين بلغ المدينة نزل على رجل من جهينة فغدا به على رسول الله حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له الى رسول الله ، فقال : هذا رسول الله فقم اليه فاستأمنه ، فقام كعب حتى جلس اليه ، فوضع يده فى يده والرسول لا يعرفه . فقال : يارسول الله ، ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما ، فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به . قال رسول الله : نعم قال : أنا يارسول الله كعب بن زهير ، فوثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يارسول الله دعنى وعدو الله أضرب عنقه . فقال الرسول : دعه عنك ؛ فانه قد جاء تائبا ، نازعا عما كان عليه ، فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار لما صنع به صاحبهم ، ولم يتكلم رجل من المهاجرين الا بخير . وهو شاعر تتأثر عاطفته بما يلقاه ان خيرا أو شرا .

وهذه القصيدة المثال الحى للقصيدة العربية حين ذهبت الجاهلية وأقبل الاسلام ، ولم يقل أحد من المخضرمين مثلها فى نهجها وأسلوبها، وسمو معانيها ، وتراها واضحة فى غزلها ،وفى اعتذارها ومدحها وغريبة فى وصفها ، وهكذا الشعراء يفعلون حين يصفون ، وأمامهم فى ذلك طرفة ابن العبد ، فقد وصف الناقة في ثمانية وعشرين بيتا ، تحتاج الى الكشف فى المعاجم والتأنى فى القراءة والدراسة ، وتبعه كعب فى ذلك ،

وقد تكون ناقة طرفة أجمل ، ولكن ناقة كعب أسرع وأعرق، فقد وصفها بالعتق قائلا :

حرفٌ أخوها أبوها من مهجنة
وعمها خالها قوداء(١) شمليل(٢)

يصفها بالصلابة ، فهى كحرف الجبل ، كريمة الأصل ، خالصة النسب ، طويلة الظهر والعنق ، خفيفة سريعة وللشراح فى هذا البيت كلام طويل حول « أخوها أبوها ، وعمها خالها » جعلوه ضربا من الأحاجى والألغاز والشاعر لا يريد الا وصفها بالعتق والكرم، وأن نسبها خالص . قالو : والهجنة ممدوحة في الابل مذمومة في الانسان لأن معناه فى الابل كرم الأبوين ، وفى الآدميين أن يكون الأب عربيا والأم أمة ، وقالوا : ان تقارب الأنساب مدح فى الابل ؛ لأنه انما يكون فى الكرائم حفظا لنوعها ، وهوذم فى الناس ؛ لأنه فيهم سبب الضعف . وفى الحديث « اغتربوا لا تضووا » .

وقصارى مانقوله فى « بانت سعاد » أنها ترضى أذواق المعاصرين بوحدتها الفنية ، وصدقها فى الأداء ، فهى تجربة شاعر عبقرى أنشدها بين يدى نبى ، فحازت الاعجاب على مر الأعوام وكر الدهور . ولنا عودة اليها حينما نتحدث عن أختها فى شعر البوصيرى ، والله الموفق .

السيد حسن قرون

(١) طويلة الظهر والعنق .
(٢) خفيفة سريعة .

# تعقيبات على بعض ماينشر ويذاع

للأستاذ على البولاقى

— ٤ —

**١ ـ ماء الآبار فى الصيف والشتاء :**

(فى حاشيته فى الفقه) : فائدة (*) حكمة كون ماء الآبار حارا فى الشتاء وباردا فى الصيف أن الشمس تغرب تحت الأرض وتمكث الى طلوع الفجر ، فبسبب طول ليالى الشتاء مع استمرار الشمس فيها يكون الماء حارا ، وبسبب قصر ليالى الصيف يكون باردا » اهـ •

( أقول ) ألفت هذه الحاشية فى سنة ١٢٥٨ هـ ، وكان مؤلفها رحمه الله متبحرا فى العلوم الدينية والعربية ، ولكنه لم يدرس العلوم الكونية ، فجرى قلمه بأقاويل كنا نتمنى أن تتنزه مؤلفاته عنها ، ومنها هذه الفائدة التى هى خرافة مبنية على خرافة ، وذلك أن مياه الآبار معتدلة الحرارة صيفا وشتاء كما تدل على ذلك مقاييس درجات الحرارة ، فاذا مسها الانسان فى الشتاء بجسده الذى هو أبرد منها أحس أنها ساخنة ، واذا مسها فى الصيف أحس بعكس ذلك ، وهذا من خداع حاسة اللمس فهو احساس متخيل لا حقيقى •

والقول بأن الشمس تغرب تحت الأرض وتستمر فيها الى الفجر ـ قول يتنافى مع ما هو معلوم يقينا من أن جرم الشمس أكبر من جرم الأرض ألوف المرات وأن الشمس فى كل لحظة من لحظات الدنيا طالعة على قوم غاربة عن آخرين •

وأما قوله تعالى حكاية عن ذى القرنين « حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة » فمعناه أن ذا القرنين لما بلغ الأرض التى يسميها العرب مغرب الشمس قرب المحيط الأطلنطى وجدها كأنها تغرب فى عين ذات طين أسود أى تخيل أنها كذلك ، وهذا من خداع حاسة البصر ، فانها لم تزل بعيدة عن الأرض •

والفخر الرازى الذى سبق المؤلف بعدة قرون قد أدرك هذه الحقيقة فقرر أن الأرض كروية يقينا وأن الشمس أكبر منها وأن غروبها فى عين من الأرض مستحيل وأن الآية الكريمة لها تأويلات ومنها هذا التأويل الذى ذكرناه .

وهذا يرشدنا الى أن علماء الدين اذا جهلوا العلوم الدنيوية التى تعلمها غيرهم يقعون فى أوهام قد تحط من شأنهم وتضعف من ثقة الناس بعلمهم ، فيجب عليهم أن يتعلموا منها ما يصونون به أقلامهم عن الأوهام وأن يسألوا من يعلمون فيما لا يعلمون .

ولست أعنى بذلك أن يكلفوا فى أثناء دراستهم للدين واللغة مايشغلهم عن اتقانهما ، وانما أعنى أن يدرسوا هذه العلوم فى أوقات فراغهم ، على أن يفرقوا بين ما هو علم يقينى وما هو رأى أو فرض .

**٢ ـ تواريخ اسلامية :**

كتب أحد كبار العلماء فى أهرام ١٣٩٦/١/١ هـ بعنوان « فى ذكرى الهجرة » ما يلى :

« خرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الخميس ليلا لهلال ربيع الأول من السنة الثالثة عشرة من البعثة ، وأقام فى غار ثور ثلاث ليالى ، وخرج منه ليلة الاثنين ، ووافى المدينة لاثنتى عشرة ليلة خلت من الشهر .

ولما ولى الخلافة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه ، ورأى مسيس الحاجة الى توقيت الحوادث بتاريخ ثابت ، أمر باتخاذ الهجرة تاريخا اسلاميا ، لأنها أهم حادث فى الاسلام فرق بين الحق والباطل ، وأعز الله به الاسلام، وانتشرت به الدعوة فى الجزيرة ، واشتدت به سواعد المسلمين . وكان ذلك سنة ١٧ من الهجرة النبوية ، وجعل التاريخ الهجرى من مستهل شهر المحرم ، لأن ابتداء العزم على الهجرة كان فيه .

ومن هذا التاريخ أصبح التاريخ الهجرى شعار الدولة الاسلامية ، وأصبح مبتدأ السنة الهجرية شهر المحرم ، واحتفال المسلمين بهذه الذكرى العزيزة هو احياء لذكريات وقيم ومعان ، وهو تجديد لشحنة الايمان ، وتجديد لعزيمة المسلم ليتمسك بالحق ويصارع من أجله

الباطل ويصبر عليه ويقود نفسه وأهله الى الخير والى مرضاة الله تبارك وتعالى » اهـ •

( أقول ) لا تعقيب لى على شىء من هذه النبذة النفسية الا على ما جاء فيها من التاريخ •

والواقع أن من تصفح كتب الحديث والسيرة يقع فى حيرة من الأخبار التى يظهر تناقضها حول مبدأ الهجرة ومنتهاها وأيامها وغير ذلك • ولعل فيما يلى تمحيصا ينير الطريق أمام القراء ان شاء الله •

( ) مبدأ الخروج :

أثبت الفلكيون المحققون أن أول المحرم من السنة الأولى الهجرية هو يوم الخميس بالحساب ويوم الجمعة بالهلال وهذا اليوم الأخير يوافق ١٦ من يوليه سنة ٦٢٢ م ( بالحساب الجوليانى ) فيكون أول صفر هو السبت أو الأحد الموافق ١٤ أو ١٥ من أغسطس ، ويكون أول ربيع الأول يوم الأحد أو الاثنين ١٢ أو ١٣ من سبتمبر •

والذى يتفق مع ما فى الروايات أن يوم الاثنين • قال ابن اسحاق:ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج من مكة لهلال ربيع الأول ، وقال الحاكم: تواترت الأخبار أن خروجه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ، والمقصود بالخروج فى هاتين الروايتين هو الخروج من الغار ، والمقصود باليوم هو الليلة مجازا وهذا يوافق قول هشام الكلبى ان الخروج من الغار كان يوم الاثنين أول ربيع الأول ، ومراده باليوم هنا هو الليلة أيضا ، لما صح من رواية البخارى أن الخروج كان ليلا •

ومعلوم من رواية البخارى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم مكث فى الغار ثلاث ليال ، فعلى هذا يكون خروجه عليه الصلاة والسلام من بيته ليلة الجمعة الأخيرة من صفر من السنة الرابعة عشرة من البعثة ، وهذا يتفق مع ما جزم به ابن حزم أن الخروج كان لثلاث ليال بقين من صفر •

وأما قول محمد بن موسى الخوارزمى أنه خرج من مكة يوم الخميس فلعل مقصوده به الاستعداد للخروج ، وذلك بذهاب النبى صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر رضى الله عنه فى ذلك اليوم فى نحر الظهيرة •

واستئجارهما للدليل الذى يدلهما على الطريق ، واعداد الراحلتين اللتين يركبانهما ، ثم كان الخروج منها ليلة الجمعة بعد ذلك بساعات قليلة •

وليلة الجمعة هذه هى ليلة السابع والعشرين من صفر ان كان تسعة وعشرين يوما أو ليلة الثامن والعشرين منه ان كان ثلاثين يوما ، وأيا ما كانت فهى توافق ليلة العاشر من سبتمبر ( بالحساب الجوليانى ) وأما الليالى الثلاث التى مكثها فى الغار فهى تنتهى بفجر يوم الأحد آخر صفر سواء أكان تسعة وعشرين يوما أم ثلاثين يوما •

وكان النبى عليه الصلاة والسلام وأبو بكر رضى الله عنه قد تواعدا مع الدليل أن يأتيهما صبيحة ذلك اليوم كما فى صحيح البخارى ومسلم ، لكن صح من رواية البخارى أنهما خرجا ليلا فالذى يظهر أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى أن الخروج نهارا غير مناسب فواعدا الدليل أن يرجع ثم يعود اليهما ليلا ، ولهذا استمرا فى الغار بقية يوم الأحد وجزءا من ليلة الاثنين أول ربيع الأول ( ١٢ من سبتمبر سنة ٦٢٢ م ) •

**(ب) الوصول الى قباء :**

اختلفت الروايات فى تاريخ الوصول الى قباء هل كان اليوم الأول أو الثانى أو الثانى عشر أو الثالث عشر من ربيع •

والتاريخان الأولان بعيدان جدا عن التحقيق ، والتاريخان الأخيران لا يتفقان مع ما صح وتواتر من أن ـ الوصول كان يوم الاثنين والراجح أن الوصول الى قباء كان فى اليوم الثامن من ربيع الأول (٢٠ من سبتمبر سنة ٦٢٢ م ـ بالحساب الجوليانى ـ أو : ٢٣ من سبتمبر بالحساب الجريجوارى ) وهو يوم الاعتدال الخريفى الذى يستوى فيه الليل والنهار ، ولعل فى الآية القرآنية الكريمة اشارة الى ذلك اليوم •

قال تعالى « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا » فهذه الآية الكريمة تتحدث عن مسجد قباء الذى بدأ تأسيسه من يوم وصول النبى صلى الله عليه وسلم اليها وهو أول يوم لأنه يوم الاعتدال الذى يصلح أن يكون مبدأ التاريخ الشمسى ، ولعل هذا هو الذى حدا ببعض

الملوك المسلمين أن يتخذ سنة شمسية هجرية تبدأ من يوم الاعتدال الحريفى الذى وصل فيه النبى صلى الله عليه وسلم الى قباء ، ويجعلها اثنى عشر شهرا شمسيا ، منها ثلاثة أشهر الخريف وهى الخريف الأول والخريف الثانى والخريف الثالث ، ثم ثلاثة أشهر الشتاء وتسمى الشتاء الأول والشتاء الثانى والشتاء الثالث ثم ثلاثة أشهر الشتاء وتسمى الشتاء الصيف •

**(ج) الأيام التى مكثها صلى الله عليه وسلم فى قباء :**

اختلفت الروايات فى مقدار الأيام التى أقامها النبى صلى الله عليه وسلم بين أهل قباء فقيل أنه أقام ليلة وقيل ليلتين وقيل اثنتين وعشرين ليلة ، وأكثر كتب السيرة تروى أنه مكث أربع ليال فقط ، لكن الراجح رواية الشيخين (البخارى ومسلم) أنه مكث فى أهل قباء أربع عشرة ليلة ، ولعل أهل السيرة الذين ذكروا أنه أقام أربع ليال فقط قصدوا أنه بعد الليالى الأربع خرج من قباء الى بنى سالم ابن عوف ليصلى الجمعة فى مسجدهم لأن مسجد قباء لم يكن قد تم بناؤه بعد ، ثم عاد الى قباء فأكمل بها باقى الليالى الأربع عشرة •

**(د) الوصول الى المدينة ومنتهى الهجرة :**

بناء على ما تقدم يكون وصوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الأول ( ٤ من أكتوبر بالحساب الجوليانى – أو سبعة من أكتوبر – بالحساب الجريجوارى ) •

وبعد ، فهذا يرشدنا الى أن علماء الدين حينما ينقلون التواريخ من كتب التواريخ القديمة ينبغى لهم أن يتحققوا من صحتها فلا يضربوا بعلم الميقات اليقينى عرض الحائط ، فقد قال الله عز وجل « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال عز من قائل « وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » وقال سبحانه وتعالى « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » •

ولهذا يجب القول بأن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى اليوم التاسع من ربيع الأول من عام الفيل لأن يوم الاثنين لا يمكن أن يكون

هو اليــوم الثانى عشر ، كمــا يجب القــول بأن يوم بدر كان هــو اليوم المتمم للعشرين من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة وليس هو اليوم الســابع عشر كما اشــتهر فان اليوم السابع عشر كان يوم الثلاثاء ولم يكن يوم الجمعة •

ومن العجب أن ناسا من المعاصرين زعموا أن نزول القرآن الكريم بدأ فى اليوم السابع عشر من رمضان فى الســنة الحادية والأربعين من ميــلاد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، وهــذا خطأ مبنى على خطأ ، ولعلنــا نفصل هذا فى مقال آخر والله الموفق•

**على حسن البولاقى**

# صفحة من التاريخ

هيئة التحرير

••• تأثر الغربيون وخاصة شعراء الأسبان بالأدب العربي تأثرا كبيرا ، فقد دخل أدب الفروسية والحماسة والتخيلات الراقية البديعة الى الآداب الغربية عن طريق الأدب العربي فى الأندلس على الخصوص • يقول الكاتب الأسبانى المشهور ابانيز : « ان أوروبة لم تكن تعرف الفروسية ولا تدين بآدابها المرعية ولا نخوتها الحماسية قبل وفود العرب الى الأندلس وانتشار فرسانهم وأبطالهم فى أقطار الجنوب » ، ويدلنا على مدى تأثر الأدباء الغربيين بالعربية وآدابها فى تلك العصور ما نقله لنا «دوزى» فى كتابه عن الاسلام من رسالة ذلك الكاتب الأسبانى « الغارو » الذى كان يأسى أشد الأسى لاهمال لغة اللاتين والاغريق والاقبال على لغة المسلمين، فيقول : « ان أرباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الأدب العربى فاحتقروا اللاتينية وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها ، وساء ذلك معاصرا كان على نصيب من النخوة الوطنية أوفى من نصيب معاصريه فأسف لذلك مر الأسف وكتب يقول : ان اخوانى المسيحيين يعجبون بشعر العرب وأقاصيصهم ، ويدرسون التصانيف التى كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون، ولا يفعلون ذلك لادحاضها والرد عليها بل لاقتباس الأسلوب العربى الفصيح ، فأين اليوم ـ من غير رجال الدين ـ من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والانجيل ؟ وأين اليوم من يقرأ الأناجيل وصحف الرسل والأنبياء ؟ وا أسفاه • ان الجيل الناشىء من المسيحيين الأذكياء لا يحسنون أدبا أو لغةغير الأدب العربى واللغة العربية ، وانهم ليلتهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات الكبيرة

بأغلى الأثمان ويترنمون فى كل مكان بالثناء على الذخائر العربية ، فى حين يسمعون بالكتب المسيحية فيأنفون من الاصغاء اليها محتجين بأنها شىء لا يستحق منهم مؤنة الالتفات ، فيا للأسى ان المسيحيين قد نسوا لغتهم فلن تجد فيهم اليوم واحدا فى كل ألف يكتب بها خطابا الى صديق أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب ، وقد ينظمون بها شعرا يفوق شعر العرب أنفسهم فى الأناقة وصحة الأداء » .

ومن عباقرة الأدب فى أوروبا فى القرن الرابع عشر وما بعده من لا يشك أبدا فى تأثير الآداب العربية على قصصهم وآدابهم، ففى سنة ١٣٤٩ كتب بوكاشيو حكاياته المسماة بالصباحات العشرة وهى تحذو حذو ألف ليلة وليلة، ومنها اقتبس شكسبير موضوع مسرحيته (العبرة بالخواتم) كما اقتبس «لسنغ» الألمانى مسرحيته « ناتان الحكيم » .

وكان « شوسر » امام الشعر الحديث فى اللغة الانجليزية أكبر المقتبسين من بوكاشيو فى زمانه ، فقد لقيه فى ايطاليا ونظم بعد ذلك قصصه المشهورة باسم (حكايات كانتربرى).

أما « دانتى » فيؤكد كثير من النقاد انه كان فى « القصة الالهية » التى يصف فيها رحلته الى العالم الآخر متأثرا برسالة الغفران للمعرى ووصف الجنة لابن عربى ، ذلك أنه أقام فى صقلية على عهد الامبراطور « فردريك الثانى » الذى كان مولعا بالثقافة الاسلامية ودراستها فى مصادرها العربية ، وقد دارت بينه وبين دانتى مساجلات فى مذهب أرسطو كان بعضها مستمدا من الأصل العربى ، وكان دانتى يعرف شيئا غير قليل من سيرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم فاطلع منها على قصة المعراج والاسراء ووصف السماء .

أما « بترارك » فقد عاش فى عصر الثقافة العربية بايطاليا وفرنسا ، وطلب العلم فى جامعتى «مونبلييه» و «باريس» وكلتاهما قامتا على مؤلفات العرب وتلاميذهم فى الجامعات الأندلسية .

وقد تأثرت القصة الأوروبية فى نشأتها بما كان عند العرب من فنون القصص فى القرون الوسطى وهى المقامات وأخبار الفروسية ومغامرات الفرسان فى سبيل المجد والعشق ، وكان لألف ليلة وليلة بعد ترجمتها

الى اللغات الأوروبية فى القرن الثانى عشر أثر كبيرجدا فى هذا المجال حتى أنها طبعت منذ ذلك الحين حتى الآن أكثر من ثلاثمائة طبعة فى جميع لغات أوروبا ، حتى ليرى (روبنسون كروزو ) التى ألفها « ديفوه » مدينة لألف ليلة وليلة ولرسالة حى ابن يقظان للفيلسوف العربى ابن طفيل •

ولا يشك أحد فى أن هذه الكثرة الهائلة لطبعات « ألف ليلة وليلة » دليل على اقبال الغربيين على قراءتها ومن ثم على تأثرهم بها •

ولاحاجة بنا الى ان نذكر ما دخل اللغات الأوروبية على اختلافها من كلمات عربية فى مختلف نواحى الحياة حتى انها لتكاد تكون كما هى فى اللغة العربية ،كالقطن، والحرير الدمشقى والمسك،والشراب والليمون والصفر وغير ذلك مما لا يحصى • •

وحسبنا فى هذاالمقام قول للأستاذ ماكيل ( كانت أوروبا مدينة بأدبها الروائى الى بلاد العرب والى الشعوب العربية الساكنة فى النجد العربى السورى تدين بأكبر قسماو بالدرجة الرئيسية لتلك القوى النشيطة التى جعلت القرون الوسطى الأوروبية مختلفة روحا وخيالا عن العالم الذى كان يخضع لروحه ) •••

من كتاب روائع حضارتنا
**للدكتور مصطفى السباعى**

# أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٤ —

٢٠١ ـ ويقولون : لقد وصينا الوزير على فلان ، وهذا كتاب موصى عليه ، وكلاالتعبيرين خطأ ، والفصيح أن يقال : وصينا الوزير بفلان ، وهذا كتاب موصى به ، لأن هذا الفعل لا تستعمل معه الا الباء وكذا ما يشتق منه سواء أكان هذا الفعل رباعيا مضعفا كما ذكرنا ، وكما فى قوله تعالى «ووصينا الانسان بوالديه» وقوله « ذلكم وصاكم به » ، أم كان رباعيا مهموزا كما فى قولك:أوصيك بتقوى الله ، وقوله سبحانه «وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » وقوله « من بعد وصية يوصى بها أو دين » أم كان خماسيا كما فى قولك تواصوا بالصدق وقوله تعالى « وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » •

٢٠٢ ـ ويقولون : صار المريض فى زمن ( النقاهة ) وهذا المصدر عامى لا وجود له فى العربية ، والصواب أن يقال : نقه المريض نقها من باب تعب ، ونقوها أيضا اذا برىء وصح ولكن فيه ضعف وأثر من المرض فهو نقه كطرب وضجر ، ويقال أيضا : نقه ينقه نقها من باب نفع فهو ناقه ، جمعه كراكع وركع قالوا : لفلان فى كل عام مرضة ونقهة ، ومن هذا قول عمران بن حطان •

أفى كل عام مرضة ثم نقهة
وتنعى (١) ولاتنعى فكم ذا الى متى؟

٢٠٣ ـ ويقولون : للخرقة التى تسخن وتوضع على مكان الوجه فى الجسم كمادة وزان جبانة ، والصواب أن يقال لها كمادة بكسر الكاف وتخفيف الميم ، تقول : كمد الرجل العضو تكميدا اذا وضع عليه خرقة ساخنة •

---

(١) تنعى : تخبر بموت أحد .

٢٠٤ - ومما فشا على ألسنتهم من أسلات أقلامهم قولهم : لفلان شهرة واسعة بين الناس ، يعنون أنه يتمتع بفيض من جمال الذكر وحسن الأحدوثة وهذا التعبير فاسد ؛ لأن الشهرة معناها ظهور الشيء في شنعة وفظاعة وقبح حتى يشهره الناس ، وفي الحديث « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة » .

وقال ابن الأعرابي : الشهرة الفضيحة ، تقول : شهره كمنعه شهرا وشهره تشهيرا اذا قبحه وفضحه .

ومن المجاز قولك اشتهرت فلانا اذا استخففت به وفضحته وجعلته شهرة ، قال الأخطل :

فلأجعلن بني كليب شهرة
بعوارم (١) ذهبت مع القفال (٢)

ولتأدية المعنى الذي يبتغونه ينبغي أن يقال : لفلان صيت ذائع بين الناس ، لأن الصيت هو الذكر الجميل ، أو يقال ذهب صيته في الناس ، أو ذهب سمعه في الناس بكسر السين ، لأن السمع هو الصيت والذكر الحسن كما في قول الأعشى :

سمعت بسمع الباع والجود والندى
فألقيت دلوى فاستقت برشائكا (٣)

ولك أن تقول : انتشر صوته في الناس .

٢٠٥ - ويقولون للمرأة التي انحسر الشعر عن جانبي ناصيتها ( نزعاء ) قياسا على ما يقال للرجل هذه حالة : أنزع ، والفصيح أن يقال لها : زعراء ، أما الرجل فيقال له أزعر كما يقال له أنزع .

٢٠٦ - ويزعمون أن معنى تعالم فلان أظهر ما عنده من العلم تباهيا وافتخارا ، فيقولون : فلان يتعالم علينا أو يتعالم على زملائه ، وهذا خطأ ، ففي أمهات اللغة ، وتعالمه الجميع علموه ، فيقال : تعالم الناس خبر كذا ، اذا علمه بعضهم

(١) العوارم : يريد بها القوافي ذات الشراسة والأذى .
(٢) القفال : العائدون من ميدان القتال .
(٣) الرشاء : الحبل يستقى به .

من بعض ، وتعالم الطلاب الدروس ولا يجوز أن يقال : تعالم الرجل ، ولا تعالمت المرأة ، بالافراد؛ لأن التعالم لا يكون الا من اثنين فأكثر كالتشارك، والتناصر ، والتقاتل ونحوها .

٢٠٧ - ويقولون : تخلقت الثياب ، يعنون أنها بليت وصارت خلقانا ، والفصيح أن يقال : أخلقت الثياب ، أو خلقت بضم اللام خلوقة، أو خلقت بكسرها خلقا بالتحريك أي بليت وصارت ممزقة ، وتقول أخلقتها فيكون الرباعي لازما ومتعديا، ولكن الثلاثي لازم فقط .

أما التخلق فلا صلة له بهذا المعنى ، اذ تقول : خلقه بالخلوق فتخلق به ، والخلوق بفتح الخاء ما يتطيب به ، وتقول : فلان يتخلق بغير خلقه أي يتكلفه ، وتخلقه : افتراه .

٢٠٨ - وينسبون خطأ الى الشتاء فيقولون : هذا البلد شتوى بكسر الشين ، والفصيح أن بعض العلماء قالوا : ان الشتاء جمع شتوة بفتح الشين ككلبة وكلاب ، وعلى هذا يقال في النسب اليه شتوى بفتح فسكون ردا الى الواحد ، قال ذو الرمة :

كأن الندى الشتوى يرفض (١) ماؤه
على أشنب الأنياب متسق (٢) الثغر

وقد تفتح التاء أيضا فيقال شتوى بالتحريك على غير قياس .

وقال بعضهم : انه مفرد ولذا يجمع على أشتية ، وينسب اليه على لفظه فيقال : شتائي وشتاوى .

يقال : شتونا بمكان كذا شتوا من باب قال اذا أقمنا به شتاء ، وأشتينا اذا دخلنا في الشتاء ، وشتا اليوم اذا اشتد برده فهو شات .

٢٠٩ - ويقولون : نرسل اليكم رفق كتابنا هذا خمسين دينارا ، يعنون مع كتابنا ، وهذا التعبير خطأ لأن الرفق معناه اللطف ولين الجانب وحسن الصنيع ، تقول : رفق به وعليه يرفق رفقا ومرفقا كمجلس

---

(١) يرفض ماؤه : يتفرق وينتشر .
(٢) متسق الثغر : منتظم الاسنان .
يريد أن يقول : كأن الندى في أيام الشتاء يتفرق ماؤه على أنياب بيض منتظمة .

ومقعد وبعضهم يقولون : مرفق بكتابنا هذا خمسون دينارا ، وهذا فاسد أيضا لأن الارفاق معناه النفع تقول : أرفقه ارفاقا اذا نفعه فهو مرفق بصيغة اسم المفعول ، ومثله الارتفاق تقول ارتفقت بكذا اذا انتفعت به ، ومن معانى الارتفاق التوكؤ ، تقول : بكرمك أثق وعلى سؤددك أرتفق أى أتوكأ •

ولتأدية المعنى الذى يريدونه يجب أن يقال على سبيل المجاز : يرافق أو يصاحب كتابنا هذا خمسون دينارا ، أو نرسل اليكم صحبة كتابنا هذا خمسين دينارا •

٢١٠ ـ ويثنون الليل والنهار ، فيقولون : سهرنا ليلين ، ومكثنا على شواطىء الاسكندرية نهارين •

والحق أنهما لا يثنيان ، اذ لم يرد عن العرب تثنيتهما ، والنهار لغة ضياء ما بين طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ، أو من طلوع الشمس الى غروبها ، وهو اسم لكل يوم ، ولذا يقال فى تثنيته يومان ، وجمعه فى القلة أنهر وفى الكثرة نهر بضمتين أنشد ابن كيسان :

لولا الثريد (١) لمتنا بالضمر (٢)
ثريد ليل وثريد بالنهر

أما الليل فواحدته ليلة ، وتثنيتها ليلتان ، وجمعها الليالى بزيادة ياء على غير قياس كما قالوا فى جمع الأرض : الأراضى ، وفى جمع الأهل الأهالى •

٢١١ ـ ويقولون : هذا امرأة صبورة على ما أصابها ، غيورة على شرفها ، شكورة لمن قدم لها العون، فخورة بأبيها ، فيدخلون التاء على وصف المؤنث ، وهذا خطأ والصواب أن يقال : هى صبور ، وغيور ، وشكور ، وخجول بدون تاء ، قال ابن مالك :

ولا تلى فارقة فعولا
أصلا ولا المفعال والمفعيلا

أى أن فعولا اذا كان وصفا لمؤنث لا تلحقه التاء متى كان بمعنى فاعل ، وأما عدوة فشاذ سوغه الحمل على

---

(١) الثريد : الخبز المفتوت .
(٢) الضمر : الهذال وخفة اللحم .

صديقة ، وأما قولهم : امرأة ملولة فالتاء فيه للمبالغة لا للتأنيث ، اذ يقال أيضا : رجل ملولة ، وامرأة ملول، والملولة من اتصف بكثرة التبرم والسأم ذكرا كان أو أنثى .

فاذا كان فعول بمعنى مفعول وجب دخول التاء عليه وصفا للمؤنث ، تقول : ناقة ركوبة ، وحلوبة .

كما أنهم يخطئون حين يجمعون هذه الأسماء وأمثالها جمع تصحيح فيقولون : رجال صبورون ، ونسوة صبورات ، وغيورون وغيورات ، وشكورون وشكورات ، وهكذا .

والفصيح أن تجمع جمع تكسير على فعل بضمتين ، فيقال : هم وهن صبر على اللأواء . وغير على الدين ، وشكر على المعروف ، وغفر للهفوات، وفخر بالآباء والأمهات .

قال طرفة :

ثم زادوا أنهم في قومهم
غفر ذنبهم غير فخر

٢١٢ ـ ويزعمون أن اللحاف خاص بما يوضع على السرير للتغطية، والحق أنه عند العرب كل ما التحف به من ثوب أو رداء أو كساء في قيام أو قعود أو اضطجاع ، تقول : لحفه ثوبا وألحفه ثوبا ، والتحف بالرداء وتلحف به ، وعليه ملحفة ولحاف بكسرهما ، وملاحف ولحف بضمتين ، وزوج الرجل لحافه ولباسه ، وهو أيضا لحافها ولباسها ، كما في قوله تعالى « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » .

**عباس ابو السعود**

# صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ١١ —

**بركة الفيل ، والحلمية الجديدة ، ومجاوراتها**

كانت بركة الفيل من أقدم البرك في مصر القاهرة منذ الفتح الاسلامي . والاسم ينسب الى رجل اسمه الفيل أحد أصحاب أحمد بن طولون ( ٢٥٤ - ٢٦٩ هـ ) - صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٢ - ولا ندرى ما كان اسمها قبل ذلك .

وقال المقريزى ( الخطط ج ٢ ص ١٦١ ) : هذه البركة فيما بين مصر ( يعنى الفسطاط ) والقاهرة . وهى كبيرة جدا ، ولم يكن فى القديم عليها بنيان ، ولما وضع جوهر القائد مدينة القاهرة كانت تجاه القاهرة ، ثم حدثت حارة السودان وغيرها خارج باب زويلة ، وكان ما بين حارة السودان وحارة اليانسية وبين بركة الفيل فضاء ، ثم عمر الناس حول بركة الفيل بعد الستمائة حتى صارت مساكنها أجل مساكن مصر كلها .

وفى مقالنا السابق ذكرنا كيف نشأت حارة السودان ، على يمين السالك فى امتداد الشارع الأعظم خارجا من باب زويلة ، وكيف نشأت حارة اليانسية مقابلها فى الجانب الآخر من الشارع ، ثم نشأت حارة المنتجبية جنوبى حارة السودان ، وبعدها حارة حلب ، وقد ضاع جزء كبير من حارة حلب عند فتح شارع القلعة ( محمد على سابقا ) .

وكانت بركة الفيل تغطى مساحة كبيرة هى بأسماء الوقت الحاضر : من الشمال حتى حى الحبانية جنوبى باب الخلق ، وبين الحبانية والبركة طريق لا يزال موجودا للآن باسم

سكة الحبانية . وشرقي البركة أحياء الحلمية الجديدة والسيوفية والحوض المرصود والصليبة . ومن الجنوب تصل قريبا الى الجسر الأعظم المعروف الآن بشارع عبد المجيد اللبان (مراسينا سابقا) وشارع الصليبة ... الخ حتى الميدان تحت القلعة . ومن الغرب تصل البركة قريبا من مجرى الخليج المصري أو شارع بورسعيد.

وكان للنيل جسور تبعا لنظام ري الحياض ولاتقاء خطر الفيضان . وأهم هذه الجسور بالنسبة لمصر القاهرة كان الجسر الأعظم . وكان يمر بموقع شارع السد البراني ( من فم الخليج حتى ميدان السيدة زينب ) ثم شارع عبد المجيد اللبان ( مراسينا سابقا ) المبتدىء من شرقي ميدان السيدة زينب وامتداده المسمى شارع الصليبة .. الخ حتى ميدان القلعة . وقد أنشئت العسكر وبعدها القطائع جنوبي هذا الجسر .

والصليبة تعبير هندسي قديم يطلق على تقاطع طريقين رئيسيين بشكل صليب تقريبا . وهنا يتقاطع الجسر الأعظم المذكور بالشارع الأعظم .

وكان يقابل بركة الفيل في الجانب الجنوبي من الجسر الأعظم بركة أخرى كبيرة كانت تسمى بركة قارون كان بطرفها الشمالي الشرقي الكبش وجبل يشكر حيث أنشأ أحمد بن طولون جامعه والقطائع ممتدة حتى تحت القلعة . وبطرفها الجنوبي الغربي العسكر التي أنشأها العباسيون بعد القضاء على بني أمية سنة ١٣٣هـ. وكانت على بركة قارون الدار التي أنشأها كافور الأخشيدي ( ٣٣٤ - ٣٥٦ هـ ) وعرفت بدار الفيل .

وكانت بركة قارون كبيرة المساحة ثم تضاءلت . وعند دخول الفرنسيين سنة ١٢١٣ هـ ( ١٧٩٨ م ) كانت انقسمت الى بركتين عرفت احداهما ببركة طولون بجوار الجامع والقطائع. وعرفت الأخرى ببركة الملا . ثم الأخيرة ببركة البغالة جنوبي مسجد السيدة زينب . وقد زالت آثار البركتين الآن وخطط مكانهما شوارع ومساكن . ولم تبق منهما غير الذكرى .

**جبل يشكر والقطائع والعسكر :**

وينسب اسم جبل يشكر الى قبيلة من العرب عند الفتح . وقيل انه مكان مشهور باجابة الدعاء ومكان

مبارك • وأن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات •

وعلى جبل يشكر أنشأ أحمد بن طولون ( ٢٥٤ – ٢٦٩ هـ ) جامعه •

وكان أحمد بن طولون واسع الثراء بالغ القوة والمنفعة • فضاقت به العسكر التى أنشأها العباسيون • فأنشأ سنة ٢٥٦ هـ القطائع شرقى وشمال العسكر •

والعسكر اسم للمكان الذى نزلت فيه جيوش – أى عسكر – العباسيين فى مطاردتهم لمروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين • وأصبحت ضاحيته للفسطاط شمالا منها وامتدادا لها • كما أن القطائع امتداد للعسكر •

والقطائع كما ذكر المقريزى زالت آثارها ولم يبق لها رسم يعرف ( يعنى تخطيطها ) • وكان موضعها من قبة الهواء ( التى صار مكانها القلعة ) الى جامع أحمد بن طولون • وهذا أشبه أن يكون طول القطائع • أما عرضها فانه من أول الرميلة ( يعنى المنشية تحت القلعة ) الى الموضع الذى يعرف اليوم ( أى وقت المقريزى ) بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذى يقال له زين العابدين • وكانت مساحة القطائع ميلا فى ميل •اهـ •

فكأن مساحتها أكثر من ٧٠٠ فدان (١) • أى ما يقرب من ضعف مساحة القاهرة الفاطمية •

وكان شرقى جامع أحمد بن طولون الميدان • ثم شرقا من الميدان يقع القصر سكن الحاكم ومكانه الآن حوالى الميدان تحت القلعة • أما دار الامارة بالقطائع فكانت جنوبى الجامع •

**منظرة الكبش :**

وبجوار جبل يشكر كان هناك مرتفع آخر أطلق عليه اسم الكبش عندما أنشأ الصالح نجم الدين أيوب ( ٦٣٧ – ٦٤٧ هـ ) على هذا المرتفع المنظرة التى عرفت بمنظرة الكبش •

وكانت المنظرة تشرف على النيل وجزيرة الروضة وليس بينها وبينهما

(١) الميل العربى يساوى ١٨٤٠ مترا • [ راجع بحثا للمؤلف – الذراع وحدة قياس من ٥٠٠٠ سنة – نشر بمجلة الأزهر فى ذى الحجة سنة ١٣٩٣ (يناير سنة ١٩٧٤) •

بنيـان • والمنظرة عبـارة عن قصر صـغير • وكانت تعـد من متنزهـات الدنيا • ونزل بهـا الحـاكم بأمر الله العباسى عند ما نقل الظاهر بيبرس سنة ٦٦٠ هـ • الخـلافة العباسـية الى القاهرة ••بعـد أن قوضها التتار فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ • كما نزل بهـا ابنه المستكفى بالله فترة قبل أن ينتقل الىالقلعة • واستعملت دارا للضيافة • وكان ينزل بهـا ملوك حماة عنـدما يقدمون ضيوفا على سلاطين مصر • ثم هـدمها الناصر محمد بن قلاوون وأنشـأها انشـاء آخـر • وتأنق فى انشائها • حيث كان بها زفاف احدى بناته • وقد أسهب المقريزى (الخطط ج٢ ص ١٣٤) فى وصف جهاز هذه الأميرة•وما صرف فى حفلات زفافها التى استمرت ثلاث أيام تحييها جوقات الأغانى والموسيقى • وخلع فيها الناصر على أمراء وكبراء الدولة • وأهـدى للجميع الهديا الثمينة •• الخ •

ثم أهمـل شـأن المنظـرة حتى تخربت • وتحولت المنطقة الى كيمان وتلال •

وقد بدأت يد التعميرأخيرا الى هذه المنطقـة • ولكن لا تزال بهـا بعض آثار الخراب القديم •

**بستان الحبانية :**

ونعود الى بركة الفيل • فنقول أنه كان شـمالا منها بستان عرف باسم الحبانية يمتد شمالا الى درب الفواخير وحى المدابغ القـديمة جنوبى باب الخلق •

وذكر المقريزى فى الخطط عند الكلام على حارة العيدانية أنها كانت تعرف أولا بحارة البديعيين ثم قيـل لها الحبانية • وقال فى موضوع آخر ( كتاب الاعراب عما فى أرض مصر من الأعراب للمقريزى ) أن الحبانية نسبة لاحدى قبائل العرب•وهى بطن من درما ، ودرما فخذ من طىء••وقال فى الخطط عنـد الـكلام على حـارة الحمـزيين أنهـا كانت تعـرف أولا بالحبانية • وذكر أن الحمزيين اما نسـبة الى حمـزة بن أدركة الذى خـرج بخراسـان ثائرا على هارون الرشيد • وعاث فسادا ثم غرق فى نهـر كـرمان • وعـرفت جمـاعته بالحمزيين • واما نسـبة الى حمزى احـدى قرى أفريقيـة لنزول بعض أهلهـا بها • ولم يذكر أصـل اسم البديعيين •

ويفهم من هـذا أن البـديعيين ثم العيـدانية ثم الحبـانية ثم الحمزيين

جميعها أسماء لمسمى واحد . هو هذا الحى المحدود جنوبا بالطريق بينه وبين بركة الفيل . وغربا بالخليج المصرى ( شارع بور سعيد حاليا ) وشمالا حى المدابغ القديمة جنوب باب الخلق . وشرقا حارة حلب القديمة . وقد قطع حى الحبانية شارع القلعة عند انشائه .

وبعض هذه الأسماء لا يزال موجودا للآن . فالحبانية اسم يطلق على الجزء الواقع غربى شارع القلعة وبه حارة البديعيين . أما الحمزيين فاسم حارة بالجانب الشرقى من شارع القلعة .

**بستان سيف الاسلام وخط ابن البابا :**

وكان شرقى وجنوب شرقى بركة الفيل البستان الذى عرف أولا ببستان الطائى . ثم عرف ببستان تامش . ثم عرف ببستان سيف الاسلام .

وسيف الاسلام هو هفتكين بن نجم الدين أيوب بن شادى - أى أخو صلاح الدين - أرسله أخوه الى اليمن سنة ٥٧٧ فتملكها وأنشأ بها مدينة المنصورة . وتوفى بها سنة ٥٩٣ هـ . وكان بستان سيف الاسلام يصل شرقا الى قريب من الشارع الأعظم المعروف فى هذا الجزء الآن بشارع السيوفية . وجنوبا الى الجسر الأعظم المعروف الآن فى هذا الجزء بشارع الصليبة .

ثم حكر أرض البستان الأمير علم الدين سنجر القتمى فى عهد الناصر محمد بن قلاوون . وقد كان نائبا للرحبة سنة ٧٠٢ هـ . والقتمة فى اللغة العجمة . والقتمى من لا يفصح شيئا .

ثم عرف المكان بخط ابن البابا . نسبة للأمير حنكل بن محمد بن البابا العجلى . وقد كان رأس الميمنة وكبير الأمراء فى دولة الناصر محمد بن قلاوون . قدم مصر سنة ٧٠٤ . وكان الناصر يجله ويحترمه . وتزوج ابراهيم بن الناصر بابنة جنكل . ومازال جنكل معظما فى كل دولة حتى أن الصالح عماد الدين اسماعيل ابن الناصر ( ٧٤٣ - ٧٤٦ ) كتب له : الأتابكى الوالدى البدرى (١) .

---

(١) الوالدى يعنى انه بمقام الوالد . والبدرى نسبة الى لقبه بدر الدين . والأتابكى نسبة الى وظيفة الأتابك أى كبير الأمراء . وقد ذكره المقريزى أيضا باسم جنغل بالغين . كما أن أبا الفدا ذكره فى المختصر باسم حسنكل .

وزادت وجاهته الى أن توفى فى ١٧ ذى الحجـة ٧٤٦ هـ • وكان مليح الشـكل • حليـم الطبـع • كثير المعروف • عفيفا لا يستخدم مملوكا أمرد البتة • واقتصر من النسـاء على امـرأته التى قـدمت معـه • ومنهـا أولاده • وكان يحب العلم وأهله • ويطارح بمسائل علمية كثيرة مع كثرة الاحسـان بمـاله وجاهـه • وقـال المقريزى • وهو من محاسن الدولة التركية •

ومحل خط ابن البابا الجزء الشرقى من بركـة الفيـل بحى الصـليبة والحوض المرصـود • والأخير للآن اسم عطفة حمام البابا •

**درب الخازن :**

وكان جنوبى بركة الفيل اصطبل لخيول المماليك السلطانية • فلما تولى السلطنة العادل كتبغا (٦٩٤ـ٦٩١هـ)• وخاف على نفسـه من الخـروج الى الميـدان الظـاهرى( بموقع ميـدانى الأزهار والتحرير الحاليين ) أخرج الخيول وأنشأ هناك ميدانا للعب الأكرة وألعاب الرماية والفروسـية ويشرف على بركة الفيل • ليكـون قـريبا من القلعة •

ثم أهمل الميـدان فى أيام خلفـة السـلطان لاجين ( ٦٩٦ – ٦٩٨ ) • ثم عمر هناك الأمير علم الدين سنجر الخـازن والى القاهرة بيتا • وتبعـه الناس فى البنـاء هنـاك فعرف بحكر الخازن • وأنشئت فيه الدور الجليلة فصار من أجل الأخطاط وأعمرها • وأكثر من يسكنه الأمراء والمماليك • وقال المقريزى أن حكر الخازن فيما بين بركـة الفيـل وخط الجامع الطولونى • ويفهم من هذا أنه جنوبى بركـة الفيـل بالقـرب من الجسر الأعظم •

وعلم الدين سنجر كان من مماليك المنصور قلاوون • وصار خازنا أيام ابنه الأشرف خليل • ثم ولى شـد الدواوين • ثم ولاية البهنسـا • ثم ولاية القاهرة وشد الجهات • فباشر ذلك بعقل وسياسة وحسن خلق وقلة ظلم • ثم صرفه النـاصر محمـد بن قلاوون بالأمـير قـدادار (١) وتوفى

(١) اليه تنسب القنطرة على الخليج الناصرى بجهة قصر النيل . ويوجد الآن شارع هناك باسم قدادار بالقرب من الجامعة الأمريكية وكانت القنطرة المذكورة فى تلك الجهة .

سنجر سنة ٧٣٥ عن تسعين سنة • وكان قدادار ظالما غشوما فوجد الناس فى ولايته شدة • وتوفى سنجر الخازن عن أموال كثيرة • وله من الآثار مسجد بناه فوق درب الخازن • وخانقاه بالقرافة • ولم يذكر المقريزى ولاعلى مبارك المسجد المذكور • وبهذا يكون قد اندثر •

والخانقاه أو الخانكاه والجمع خوانك حدثت فى الاسلام فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة • وجعلت لتخلى أى خلوة الصوفية فيها للعبادة • وهى التى عرفت أخيرا باسم التكايا جمع تكية •

والآن بحى الحلمية الجديدة شارع كان اسمه سنجر الخازن • ثم عدل الى اسم السيد البيلاوى نقيب الأشراف سابقا لسكنه فى تلك الجهة • والشارع المذكور بين شارع مصطفى سرى وميدان مصطفى فاضل عند امتداد شارع مجلس الشعب • ونلاحظ أن هذا الموقع الذى حدده المقريزى لحكر الخازن المذكور •

**قصر بكتمر الساقى :**

وتكلم المقريزى عن الميدان الذى أنشأه العادل كتبغا فقال : وما برح هذا الميدان باقيا الى أن أنشأ الناصر محمد بن قلاوون قصرا للأمير بكتمر الساقى على بركة الفيل فأدخل فيه جميع أرض هذا الميدان • وهو باق الى وقتنا هذا ( المقريزى توفى سنة ٨٤٥ هـ ) كما أدخل فيه جزءا من بركة الفيل وصرف عليه أموالا ضخمة • وأسكن فيه الأمير بكتمر الساقى المذكور •

وتزوج أفوك بن الناصر بابنة بكتمر سنة ٧٣٢ • فجهزها بكتمر بجهاز يفوق الوصف قيل قد حمله ثمانمائة حمال للفضيات والنحاس المكفت والصينى والزجاج المذهب • وغير ذلك • فضلا عن تسعة وتسعين بغلا حملت تتمة العدة من الفرش والألحفة والأبسطة وصناديق المصاغ الذى بلغ ثمانين قنطارا من الذهب •

وقال ابن اياس فى بدائع الزهور انه كان بقصر بكتمر المذكور مائة سائس • كل سائس على ستة خيول • بخلاف ما كان له بالحارات الأخرى •

وقال ابن اياس فى بدائع الزهور: انه كان بقصر بكتمر المذكور مائة سائس ، كل سائس على ستة خيول ، بخلاف ماكان له بالحارات الأخرى •

وكان بكتمر متزوجا بأخت الناصر ورزق منها ولدا اسمه أحمد •

ثم حج بكتمر وابنه المذكور مع الناصر • وتوفيا فى طريق العودة من الحج سنة ٧٣٣ هـ • قيل أن الناصر سمهما عندما شعر بأن بكتمر يتآمر على خلعه ليحل مكانه •

وظل هذا القصر من أعظم مساكن القاهرة وأجلها قدرا وأحسنها بنيانا ولا ينزله الا الأمراء حتى سنة ٨١٧ وكان السلطان المؤيد مشغولا بفتنة الأمير نوروز بالشام فأخذ حفيد بكتمر الرخام والشبابيك وباعها وعمل بلاطا بدل الرخام وشبابيك من الخشب بدلا من الحديد • وهكذا كان فى عهد المقريزى •

وقال على مبارك : وبقى كذلك الى أن تخرب وبنى محله الأمير صالح بك القاسمى مملوك مصطفى بك القرد داره المواجهة للكبش سنة ١١٧٢ وسكنها حتى قتل سنة ١١٨٢ هـ •

ثم صارت الدار تتقلب مع الزمان الى أن جعلت فى عهد محمد على ورشة للأسلحة وغيرها مثل الكلل والكبسون المصنوع من المواد الكيماوية ذات الرائحة الكريهة المضرة بالسكان حولها • وطالب على مبارك الحكومة بمنع هذا من داخل البلد •

وقد تحقق هذا وتعطلت هذه الورشة كما تعطل غيرها بعد محمد على فى عهد عباس حلمي الأول • وان كان هذا التعطل لأسباب أخرى • ويبدو أن هذه الورشة أعيدت لعملها ثانية حتى تعطلت بعد زمن على باشا مبارك •

**دار أرغون الكاملى :**

وكانت هناك أيضا دار أنشأها الأمير أرغون الكاملى سنة ٧٤٧ وأدخل فيها من بركة الفيل عشرين ذراعا • وهو الأمير سيف الدين أرغون • كان الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون قد تبناه وزوجه أخته لأمه بنت الأمير أرغون العلائى سنة ٧٤٥ • وكان يلقب بالصغير تمييزا له عن أرغون العلائى المذكور • فنهى الكامل شعبان بن الناصر أن يدعى بالصغير وأعطاه امرة مائة تقدمة ألف • ثم عينه الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى سلطنته الأولى نائبا لحلب ثم نائبا لدمشق سنة ٧٥٢ فى عهد الصالح صالح بن الناصر محمد • ثم عاد لنيابة دمشق • وفى سلطنة الناصر حسن الثانية استدعاه لمصر واعتقله بالاسكندرية • ثم نفاه للقدس

حيث بقي هناك الى أن توفى سنة ٨٥٨ هـ •

وقال على مبارك أن هذه الدار مقابل جامع سنجر الجاولى ومحلها الحوش المعروف بحوش ابراهيم جركس وما جاوره حتى الحوض المرصود •

**الحوض المرصود :**

والحوض المرصود الذى عرف الحي به كان حوضا من الصوان الأسود فى فجوة على قدره • وكان معدا للشرب • فلما دخل الفرنسيون مصر ( ١٢١٣ - ١٢١٦ هـ = ١٧٩٨- ١٨٠١ م ) أخرجوه من موضعه • وأرسلوه الى باريس • واستولى عليه الانجليز فى الطريق • وهو الآن بمتحف لندن • ومن وصف الفرنسيين له أن طوله ٢٫٧٠ • وعرضه الأمامى ١٫٣٨ والخلفى ١٫٧٨ وارتفاعه ١٫٩٢ وعلى أسطحه كتابة من الداخل والخارج • وكان موقعه بشارع محمد على باشا قدرى مقابل مستشفى الأمراض التناسلية (١)

وذكر الجبرتى فى حوادث سنة ١٢٠١ هـ • أن الباشا ( حسن باشا القبطان ) طلب حوضا لعمله حنفية • فأخبره الحاضرون وعرفوه بالحوض تحت الكبش المعروف بالحوض المرصود • فأمر باحضاره • فأرسلوا اليه الرجال والحمالين وأرادوا رفعه من مكانه • فازدحمت عليه الناس من الرجال والنساء لما تسامعوا بذلك • لينظروا ما شاع وثبت فى أذهانهم من أن تحته كنزا • وهو مرصود على شيء من العجائب ونحو ذلك وأن الباشا يريد الكشف عن أمره • فلما حصل ذلك الازدحام ووجده الحمالون ثقيلا جداء وهم لا يعرفون صناعة جر الأثقال • وحركوه من مكانه يسيرا • وبلغ الباشا من ازدحام العامة أمر بتركه • فتركوه ومضوا • فذهب العامة فى أكاذيبهم كل مذهب• فمنهم من يقول انهم لما حركوه

---

(١) يغلب أن ورثة الأسلحة السابق ذكرها كانت محل مستشفى الأمراض التناسلية . وفى هذا المستشفى كان يكشف أسبوعيا على البغايا عندما كن يزاولن مهنة الدعارة بتصريح من الحكومة . وذلك وقاية لمن يغشاهن . وكان التصريح الرسمى بالدعارة سبة فى جبين اى بلد اسلامى .

وأرادوا جره رجع بنفسه ثانيا . ومنهم من يقول بغير ذلك من السخافات . ا هـ .

## شارع محمد باشا قدرى :

يصل ما بين شارعى الصليبة وبور سعيد، وهو شارع فتح حديثا، ولو أن التفكير فيه قديم . فقد أوحى بفكرة قريبة من تخطيطه على باشا مبارك فى خططه لتحسين المواصلات والمناخ الصحى للمنطقة .

ومحمد باشا قدرى الذى تسمى الشارع به لتخليد اسمه من أعلام مصر الحديثة ورواد نهضتها ومن رجال القانون البارزين . ولد بملوى حوالى سنة ١٨٢١ من أم مصرية وأب أناضولى اسمه قدرى أغا . وتخرج من مدرسة الألسن ثم عين مترجما مساعدا بها ثم مترجما بنظارة المالية . ثم ذهب الى الشام مع شريف باشا حين عين واليا هناك . ثم اختاره الخديوى اسماعيل مربيا لولى عهده . ثم عين بالمعية . فالمعارف . فمجلس التجار بالاسكندرية . فرئيسا لقلم الترجمة بنظارة الخارجية .

ثم عين مستشارا بمحكمة الاستئناف المختلطة . ثم عين ناظرا للحقانية (العدل) فى أول عهد الخديوى توفيق ثم ناظرا للمعارف (التربية والتعليم). ثم ثانية ناظرا للحقانية .

وفى عهده صدرت لائحة ترتيب المحاكم الأهلية . كما أنه شارك فى وضع القوانين للمحاكم الأهلية التى أريد انشاؤها . بعد أن سبقتها حركة تعريب للقوانين الفرنسية . ثم أحيل للمعاش . وصدرت القوانين التى شارك فى وضعها ( القانون المدنى والقانون التجارى وقانون تحقيق الجنايات ) .

وتوفى فى ١٨٨٦/١١/٢٠ م . وكان قد كف بصره .

وله عدة مؤلفات فى قواعد اللغتين العربية والفرنسية والجغرافيا وغيرها، ولكن أهم مؤلفاته التى خلدت اسمه هى الكتب الثلاثة الآتية :

١ - مرشد الحيران الى معرفة أحوال الانسان فى المعاملات الشرعية على مذهب الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان .

٢ - الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية .

٣ ـ قانون العدل والانصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف .

وجميعها طبعت بعد وفاته . وكانت مراجع هامة لكافة رجال القانون (١) .

## درب الجماميز وجامع بشتاك أو مصطفى فاضل :

أما الجانب الغربى من بركة الفيل فقد كان ما بين البركة والشارع المستجد شرقى الخليج المصرى قليل عرض . وهذا الشارع فى هذا الجزء كان اسمه شارع درب الجماميز وشارع اللبودية . وقد أصبحا من ضمن عرض شارع بور سعيد الحالى (٢) . وكانت أولا هناك البساتين ثم أنشئت المبانى .

فأنشأ الأمير بشتاك جامعا ، وخانقاه مقابله سنة ٧٣٦ هـ . أما الجامع فهو المعروف الآن بجامع مصطفى فاضل ، وهو أخو الخدوى اسماعيل . وكان الجامع قد تخرب فجددته والدته سنة ١٢٧٩ . وجعلت مكان الخانقاه سبيلا ومكتبا لتعليم الأولاد .

والأمير بشتاك المذكور والأمير توصون كانا من أمراء الدولة فى عهد الناصر محمد بن قلاوون . وكان بينهما تنافس ، وبنى بشتاك قصرا عظيما ، وتوصون اشترى قصر بيرى المقابل له فى الشارع الأعظم بالجزء المعروف بين القصرين . واعتقد الناس أن اسم بين القصرين راجع لقصريهما . ولكن الاسم أقدم من هذا . فهو يرجع الى القصر الشرقى الكبير والغربى الصغير من قصور الفاطميين . ولكن المصادفة هى التى جعلت قصرين محل قصرين مع الفارق بينهما .

وكان هذا الحى الذى به جامع بشتاك ـ أو جامع مصطفى فاضل الآن ـ يسكنه جماعة من الافرنج والنصارى ويرتكبون فيه ما لا يليق

---

(١) مختصر ترجمة مطولة له من تراجم مصرية وعصرية للمرحوم محمد حسين هيكل باشا ص ١٠١ وما بعدها . ولو اننا نلاحظ بعض التناقض بين تاريخ ميلاده وولاية شريف باشا للشام . فقد نشر الأمر بتعين شريف (بك) لولاية الشام بالوقائع الرسمية العدد ٥٥٥ فى ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢م) وانسحب الجيش المصرى فى الشام فى أواخر سنة ١٨٤٠ م .

(٢) لاتزال بقية من شارع اللبودية بالقرب من ميدان السيدة زينب .

بالمسلمين • فلما أنشىء هذا الجامع وأعلن فيه بالآذان واقامة الصلوات تحولوا عنه الى الجانب الغربى من الخليج • ويوجد فى الجانب الغربى من الخليج الآن شارعان متوازيان مع الخليج اسمهما شارع الخمارة وشارع النصارى •

وكان هذا الحى يعرف بخط الكرمانى • وهو الأمير طقزدمر الحلبى الكرمانى نائب السلطنة بمصر وتوفى سنة ٧٤٦ هـ • وهو بانى القنطرة طقزدمر • ثم غلب عليها اسم قنطرة درب الجماميز • لوجود أشجار عظيمة من الجميز كانت هناك وعرفت بجماميز السعدية • وبنى طقزدمر هذه القنطرة ليتوصل الى حكره الذى أنشأه مقابلها غربى الخليج وكانت مساحته أربعين فدانا •

**سراى درب الجماميز :**

وبجوار جامع بشتاك المذكور أنشأ يوسف بك الجزار أحد أمراء المماليك القاسمية دارا لسكناه وتوفى يوسف بك سنة ١١٣٤ هـ • فسكن هذه الدار اسماعيل بك ايواظ بعد أن جددها وظل بها حتى قتله الفقارية سنة ١١٣٦ هـ • ثم تخربت الدار وتحولت الى حيشان ومساكن للفقراء فاشتراها سامى باشا الميرلى وأنشأ فيها دارا كبيرة • وبعد وفاته اشتراها مصطفى باشا فاضل وهدم أغلبها وبناها بناء جديدا وكانت كبيرة تطل على درب الجماميز غربا وتصل جنوبا الى حارة السادات وشرقا الى بركة الفيل واشترى الخديوى اسماعيل سنة ١٢٨٣ هـ ( ١٨٦٧ م ) أملاك أخيه مصطفى فاضل ومن ضمنها سراى درب الجماميز • ثم تنازل عنها اسماعيل للحكومة فنقلت اليها ديوان المدارس بعد أن كان فى العباسية • ثم نقل اليها على باشا مبارك ديوان الأوقاف أثناء نظارته لها • كما أنشأ بها دارا عمومية للكتب جمع فيها الكتب الموجودة بالمساجد • ثم انتقل ديوان الأوقاف ودار الكتب الى مكانيهما الحاليين بباب اللوق وباب الخلق فى عهد عباس حلمى الثانى •

ولاتزال الدار المذكورة فى ملك وزارة التربية والتعليم • وبها عدة مدارس • منها المدرسة الخديوية الثانوية • واخترق حديقة الدار امتداد شارع مجلس الشعب جنوبى جامع مصطفى فاضل • مع ملاحظة

أن المدرسة الخديوية كانت جنوبي هذا الشارع • وهي الآن شماله محل المدرسة المحمدية الابتدائية •

**حارة السادات :**

وهي في الحارات القديمة جنوبي سراي درب الجماميز وتصل بين شارع درب الجماميز وهي الحلمية الجديدة • وكانت برسمها الحاضر عند دخول الفرنسيين • وتنسب الى السادات الوفائية • وقد تولى منهم الكثيرون نقابة الأشراف • ومنهم الشيخ أبو الأنوار شمس الدين محمد السادات • الخليفة العشرون منهم • الذي كان عند دخول الفرنسيين • وكان له دور بارز في مقاومتهم • وتوفي سنة ١٢٢٨ هـ ( ١٨١٣ م ) في عهد محمد علي •

والمذكور ليس من أسرة السادات عصبا • بل هو سبط السادات• حيث كانت قد انقطعت الذرية الذكور من بني السادات • فعين في مشيخة الطريقة من أولاد الاناث • فعين السبط شهاب الدين أبو الأمداد أحمد بن اسماعيل المتوفى سنة ١١٨٢ هـ وأمه السيدة أم المفاخر بنت السادات • وعين بعده الشيخ شمس الدين أبو الأنوار محمد المذكور ابن الخواجة عبد الرحمن لشهيرة بعارفين • وأمه السيدة صفية بنت السادات • وقد أخذ الطريق عن خاله أبي الاشراق محمد المتوفى سنة ١١٧١ هـ •

ومحل جنينة دار السادات الآن المدرسة الحلمية الثانوية للبنات والشارع أمامها اسمه شارع الوفائية•

وللسادات الوفائية مسجد بجبل المقطم شرقي مقام الامام الشافعي بحوالي كيلو متر ونصف • وكانت بجواره تكية • والجبانة هناك اسمها جبانة سيدي علي أبو الوفا •

والسيد علي المذكور ولد سنة ٧٦١ هـ وتوفي سنة ٨٠٧ هـ • وهو ابن محمد بن محمد النجم الاسكندري • الذي يقال أن أصل أبيه من صفاقس بالمغرب • وقد ولد بالاسكندرية سنة ٧٠٢ هـ • وكان يلقب بوفا • وهو أصل الوفائية • وينتهي نسبه الى الامام الحسن بن علي بن أبي طالب •

**قنطرة آق سنقر :**

وكانت بركة الفيل تنتهى شمالا الى السكة التى بينها وبين الحبانية كما ذكرنا • وكانت هذه السكة تؤدى الى قنطرة كانت على الخليج المصرى باسم قنطرة آق سنقر • واختصرتها العامة الى قنطرة سنقر •

وهو الأمير آق سنقر شاد العمائر السلطانية – أى المباشرة لعمارات السلطان – فى أيام الناصر محمد بن قلاوون • وأثرى ثراء كبير • ثم عزل وصودر • وأخرج الى حلب • ثم نقل الى دمشق • فمات بها سنة ٧٤٠ هـ •

وأنشأ آق سنقر دارا جليلة وحمامين بخط بركة الناصرية غربى الخليج • وأيضا جامعا بسويقة السباعين – جهة بركة الناصرية • لايزال موجودا للآن باسمه بالقرب من شارع محمد على بك فريد بحى الناصرية • ويعرف أيضا بالجامع الأخضر • وذكر على مبارك أن منبر هذا الجامع كان أصلا بالأزهر ونقل اليه • كما نقل منبره الأصلى الى الجامع الأزهر •

وسنقر اسم طير كان يستعمله الملوك فى الصيد ويتهادون به • وهو قريب من الصقر • وآق يعنى الأبيض • كما أن قرايعنى الأسود • فآق سنقر يعنى سنقر الأبيض • وقرا سنقر يعنى سنقر الأسود •

**الحلمية الجديدة :**

ونصل الى الجانب الشرقى من بركة الفيل حيث حى الحلمية الجديدة •

وكان نتيجة لانتقال مركز الحكم من القاهرة الفاطمية الى القلعة فى عهد الكامل الأيوبى ( ابن أخى صلاح الدين ) بعد الستمائة من سنى الهجرة • أن عمرت شواطىء بركة الفيل بدور الأمراء والعظماء • كما نلاحظ مما سبق ذكره •

وكان شرقى بركة الفيل بيوت الكثيرين من أمراء المماليك البكوات عند دخول الفرنسيين •

وكسنة الحياة يرث اللاحقون السابقين • فورثت أسرة محمد على أملاك هؤلاء الأمراء • وبنى هناك عباس حلمى الأول بن طوسون بن محمد على قصرا عرف بحى الحلمية • وعرفت الجهة هناك باسم الحلمية •

وآل القصر وحديقته الواسعة الى حفيدته السيدة أمينة الهامى بنت الهامى باشا بن عباس حلمى الأول . وهى زوجة الخديوى توفيق . ووالدة الخديوى عباس حلمى الثانى . والتى عرفت بأم المحسنين .

وفى الحلمية شارع كان اسمه شارع الهامى باشا . وأصبح اسمه الآن شارع جامع ألماس المقابل له . وبه المدرسة الالهامية .

وفى أوائل القرن الحالى هدم القصر وخططت حدائقه الى شوارع وقطع بيعت للمبانى . وعرف هذا التخطيط الجديد باسم الحلمية الجديدة .

وأطلقت البلدية على كثير من هذه الشوارع الأسماء التاريخية لأصحاب الدور القديمة . والآثار الهامة . حسب مواقعها بقدر الامكان قبل انشاء سراى الحلمية . ونحن نمر سريعا على بعض هذه الأسماء مجملين نبذا تاريخه عنها . مع ملاحظة أن كثيرا من الأمراء المماليك كانت لهم أكثر من دار فى أنحاء المدينة .

نظرا لتعدد الزوجات والمحظيات وغير هذا من الأسباب .

**شارع ابراهيم بك الكبير :**

وهو شارع يصل بين شارع على باشا ابراهيم وسكة عبد الرحمن بك . وفيه كان بيت ابراهيم بك .

وابراهيم بك كان أصلا من مماليك محمد بك أبى الذهب . تولى السلطة مع خشداشة (١) مراد بك بعد وفاة أستاذهما سنة ١١٨٩ هـ ( ١٧٧٥م ) . وطالت أيامه . وتولى قائمقامية ولاية مصر نحو العشر مرات . وطلع أميرا للحج وكان يلقب بشيخ البلد . وهى أكبر المناصب بعد الوالى العثمانى . واشترى المماليك الكثيرة وأعتقهم . وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية ساكن الجأش صبورا ذا تؤدة وحلم . وقاوم الفرنسين فى دخولهم سنة ١٢١٣ (١٧٩٨م ) . ولما تولى محمد على وقضى على المماليك . انتقل الى السودان مع جانب من زملائه المماليك . يزرعون الدخن ويتقوتون به . وملابسهم القمصان التى تلبسها

(١) خشداشه اى زميله فى الرق وتربيا معا عندما كانا مملوكين لاستاذ اى مالك واحد .

الجلاية فى بلادهم . وبقى كذلك الى أن وردت الأخبار بموته فى ربيع الأول سنة ١٢٣١ هـ (١٨١٦ م) .
وكان بيته ـ كما موضح بخريطة الفرنسيين للقاهرة ـ عند تقاطع شارع أحمد بك عمر ( المدارس سابقا ) مع سكة عبد الرحمن بك .

وكان بيت ابنته المسماة هانم فى حارة السادات جنوبى حى الحلمية . وكان بجوار بيت هانم المذكورة بيت الست سلن محظية رضوان كتخدا الجلفى السابق ذكره فى مقال سابق عن الأزبكية . وبعد وفاة رضوان كتخدا تزوجت سلن على بك الغزاوى . ثم أخاه اسماعيل بك . الذى كان متزوجا أيضا بفاطمة بنت رضوان كتخدا .

**بيت مرزوق بك بن ابراهيم بك :**

وكان بجوار بيت ابراهيم بك بيت ابنة مرزوق بك . وأصله بيت عبد الرحمن بك الآتى ذكره . وقد قتل مرزوق بك فى القلعة فى موقعة المماليك سنة ١٢٢٦هـ (١٨١١ م) .

وبالحلمية حارة باسم مرزوق بك تأخذ من شارع الحلمية مقابل شارع الأمير يوسف . متجهة نحو شارع القلعة ولكنها مسدودة لا تصل اليه . وهى بعيدة عن موقع بيته المذكور .

**بيت مراد بك :**

وعند تقاطع شارعى على باشا ابراهيم ومهذب الدين الحكيم كان بيت مراد بك . وهو من مماليك محمد بك أبى الذهب . وخشداش ابراهيم بك الكبير شيخ البلد السابق ذكره . ترقى حتى أصبح هو وابراهيم بك بيدهما الحل والعقد عند دخول الفرنسيين . وانهزم أمامهم فى موقعة امبابة المشهورة . وانحاز الى الصعيد . ثم هادنهم ومات بالطاعون فى سوهاج سنة ١٢١٥ هـ . ودفن بها وبنت له زوجته الست نفيسة المرادية المشهورة قبرا بالقرافة بقرب ضريح الامام الشافعى . ولكن لم تنقله اليه .

وقد ذكرنا فى مقالنا السابق حارة مراد بك تصل بين شارع القلعة وشارع جامع ألماس ( الهامى سابقا ) وتخترق شارع على باشا ابراهيم . وأن بها قبر ابن هنس الذى كان على اسمه شارع ابن هنس وأصبح الآن شارع أحمد باشا تيمور .

**بيت عبد الرحمن بك :**

وبالقرب من بيت ابراهيم بك كان بيت عبد الرحمن بك عثمان . مملوك عثمان بك الجرجاوى . قتل فى واقعة قراميدان أمام حمزة باشا . وكان تقلد الصنجقية ( أى أمير من أمراء المماليك وكان عدد الصناجق عادة ٢٤ صنجقا ) بعد سيده عثمان بك . وكان محمد بك أبو لذهب يجله ويحترمه. وكان يميل بطبيعته للعلوم والمعارف . ويجيد لعب الشطرنج . ومن مآثرة تعمير جامع أبى هريرة بالجيزة . وبنى بجانبه قصرا سنة ١١٨٨ هـ . وتوفى بمنزله ودفن عند سيده سنة ١٢٠٥ ( ١٧٩٠ م ) بالقرافة ومات على أثره ولده حسن بك . وسكن بيته بعد ذلك مرزوق بك كما سبق ذكره .

وسكة عبد الرحمن بك الآن تبدأ من شارع على باشا ابراهيم وتتجه للشمال الغربى قاطعة شارع أحمد بك عمر حتى بعد آخر موقع بركة الفيل السا[illegible] . ويتفرع منها سكة الشابورى بالحد الشمالى لبركة الفيل .

**بيت سليمان بك الشابورى :**

أصله من مماليك سليمان جاويش القازدوغلى . تقلد الامارة أى الصنجقية سنة ١١٦٩ هـ ( ١٧٥٥م ) وقلده على بك الكبير امارة العسكر امدادا للدولة العلية سنة ١١٨٣ هـ . ورجع بعد مدة. وانضم الى مراد بك وكان رجلا سليم الطوية لا بأس به توفى بالطاعون سنة ١٢٠٥ هـ ( ١٧٩٠ م ) .

وقد أدخلت جميع البيوت المذكورة فى حديقة سراى الحلمية .

**جامع ألماس الحاجب :**

بشارع الحلمية . وعلى حارة ألماس . أنشأه الأمير سيف الدين ألماس الحاجب أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون . وتم الجامع سنة ٧٣٠ هـ . وكان ألماس محل ثقة الناصر . فعند خروج الناصر للحج سنة ٧٣٢ . أبقاه مع ثلاثة من الأمراء فقط بالقاهرة . ( هم أقبغا عبد الواحد (١) وجمال الدين أقوش وطشتمر حمص أخضر ) أما باقى

---

(١) صاحب المدرسة الاقبغاوية التى اصبحت الآن من داخل الجامع الأزهر وبها مكتبته .

الأمراء فقد أخذ بعضهم معه للحج . وأمر الباقين بالاستقرار فى اقطاعياتهم لا يدخلون القاهرة حتى يحضر من الحجاز .

وكثر مال ألماس . وساءت سيرته . حتى أنه هوى شابا من حى الحسينية يعرف بعمير . فتغير عليه السلطان بسبب ذلك . ويقال أنه وجد مكاتبة منه لبكتمر الساقى : أننى حافظ القلعة الى أن يرد منك ما أعتمده . وقد ذكرنا وفاة بكتمر وابنه أحمد مسمومين فى عودتهما بعد الحج مع الناصر .

فأمر السلطان بالقبض على ألماس . والحوطة على أمواله . وقد وجد منها الشىء الكثير . وأقام ألماس عند أقبغا عبد الواحد ثم قتل خنقا فى سنة ٧٣٤ . وحمل الى جامعه فدفن به . وكان أسمر طوالا غتميا لا يفهم شيئا بالعربى وأخذ جميع ما فى داره حتى الرخام . وكان من أفخر الأنواع . وكانت داره بجوار جامعه المذكور .

وكان يقابل جامع ألماس ميدان وباب سراى الحلمية .

**جامع الغريب :**

وقبض مع ألماس على أخيه مغلطاى الفخرى . وقتل معه . وهو منشىء الجامع الذى ذكره المقريزى باسم جامع البرقية . بجوار جنوب شرقى كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية . ثم عرف بجامع الغريب لوجود قبر شيخ معتقد بهذا الاسم . ثم عرف أخيرا بمسجد عبد الرحمن كتخدا عندما جدده مع تجديده لعمارة الأزهر .

**شارع مهذب الدين الحكيم والمدرسة المهذبية :**

وكانت المدرسة المهذبية بحارة حلب عند حمام قمارى كما ذكر المقريزى . وحمام قمارى كان يقابل بيت ابراهيم بك ، وحارة حلب ضاع جزء منها عند فتح شارع القلعة كما سبق ذكره . ( الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٤٠ ) .

وأنشأ المدرسة الحكيم مهذب الدين محمد بن أبى الوحش المعروف بابن أبى حليقة ( تصغير حلقة ) رئيس الأطباء بمصر سنة ٦٨٣ . وكان مدرسا للطب بالمارستان المنصورى ( خطط المقريزى ج ٢ ص ٣٦٩ و ص ٣٩٧ ) .

وكانت بحارة مراد بك السابق ذكرها تكية تعرف بتكية القوصونية أو الخلوتية • وذكر على مبارك أن بابها على هيئة أبواب المدارس القديمة ويرجح أنها هى المدرسة المهذبية • وشارع مهذب الدين الحكيم قريب من هذا الموقع •

**الأمير يوسف :**

وهناك شارع باسمة جنوبى شارع على باشا مبارك • وكانت الجهة هناك تعرف بدرب الحمام•• وهى من ضمن ما دخل فى سراى الحلمية •

ويوسف بك كان من مماليك محمد بك أبى الذهب سنة ١١٨٦هـ الذى زوجه أخته • وشرع فى بناء داره على بركة الفيل تجاه جامع ألماس وأخذ يعمر فى هذه الدار خمس سنوات • وصرف فى ذلك أموالا عظيمة • وكان يبنى الجهة منها حتى يتمها تبليطا وترخيما بالرخام الخردة المحكم الصنعة • وتركيبا للسقوف والرواشن والأبواب والنوافذ • ثم يوسوس له شيطانه فيهدمها الى آخرها ويبنيها ثانية على وضع آخر • وهكذا كان دأبه •

وكان فيه حدة زائدة وتخليط فى الأمور والحركات • ولا يستقر بالمجلس بل يقوم ويقعد ويصرخ • ويروق حاله فى بعض الأوقات فيظهر فيه بعض الانسانية • ثم يتغير ويتعكر من أدنى شىء •

ولما مات سيده محمد بك أبوالذهب ازداد عتوا وعسفا وانحرافا• خصوصا مع طائفة الفقهاء والمتعممين • لأمور نقمها عليهم • منها قصة الشيخ أحمد صادومة أحد الجالين الذى تعرض لحظية يوسف بك • وكتب لها على مكان حساس من جسمها كتابة لتمكين محبته لها • وذكر الجبرتى الخبر تفصيلا • ومات يوسف بك مقتولا سنة ١١٩١هـ •

**حدرة البقر :**

فاذا سرنا فى الشارع الأعظم المسمى فى هذا الجزء بشارع الحلمية نصل الى المكان الذى كان يسمى حدرة البقر • وموقعه شارع المظفر• أو المدفر كما تسميه العامة • وهو اسم لهذه الخطة•ذكرها المقريزى فى الكلام على دار البقر وقال انها خارج القاهرة ( يعنى القاهرة الفاطمية ) فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل

بالخط الذى يقال له اليوم حدرة البقر • وانها كانت دارا للأبقار التى برسم السواقى السلطانية • ثم أن الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأها دارا واصطبلا وغرس بها عدة أشجار• ثم عرفت بدار الأمير طشتمر حمص أخضر •

**على باشا مبارك • وبيته • والشارع باسمه :**

وقال على مبارك أن منزله بجهة الحلمية ربما كان من دار البقر المذكورة •

وعلى مبارك (١٨٢٣ – ١٨٩٣م = ١٢٣٩ – ١٣١١ هـ) هو العالم المؤرخ المهندس• فضله معروف فى نهضة التعليم والاكثار من المدارس • والتحق على مبارك بأحد كتاتيب قريته برنبال (محافظة الدقهلية) • نحفظ القرآن• ثم دخل مدرسة أبى زعبل • ثم مدرسة القصر العينى فدرس الرياضة والهندسة • وأرسل الى أوربا فى بعثة سنة ١٨٤٤ لدراسة الهندسة وفنون الحرب • وعاد بعد أربع سنوات • وعينه عباس حلمى الأول رئيسا لديوان المدارس لأنه – مجاراة لرغبة عباس – نفذ ما أراد من الغاء المدارس وادماجها جميعها فى مدرسة واحدة • وبذلك بلغت نفقات التعليم فى عهد عباس الأول ٥٠٠٠ جنيها سنويا بعد أن كانت ٨٨٠٠٠ جنيه فى عهد محمد على •

وبعد عباس لم يكن على مبارك مرضيا عنه فى عهد سعيد فأرسله مع الجيش فى حرب تركيا مع روسيا • ولاقى هناك كثيرا من المشقة والأهوال • وفى سنة ١٨٦٤ فى عهد اسماعيل عين وكيلا لديوان المدارس• ثم تقلب فى عدة وظائف • منها مدير السكة الحديد • وناظر للمعارف • وللأشغال • وللأوقاف • وللقناطر الخيرية •

وعندما قامت الثورة العرابية كان على مبارك من ( المعتدلين ) الذين لم ينضموا للثورة • فعينه توفيق ناظرا للمعارف • وظل فى وظيفته الى قبيل وفاته • فاعتزل العمل • وتوفى سنة ١٨٩٣

ومن آثاره الباقية انشاء دار الكتب سنة ١٨٧١ • و (مدرسة) دار العلوم سنة ١٨٧١ • وأهم ما يذكر به على مبارك كتابه الخالد ( الخطط التوفيقية ) فى عشرين جزءا •

وخلدت البلدية اسمه باطلاقه على شارع بالحلمية الجديدة جنوبى شارع جامع ألماس ( الهامى سابقا )

**تكية المولوية والمدرسة السعدية • والمدرسة البشيرية :**

ومن‌ضمن حدرة البقر أيضا كانت تكية المولوية من وقف سنان باشا • وكان مكان هذه التكية المدرسة التى ذكرها المقريزى باسم المدرسة السعدية • وقال بناها الأمير شمس الدين سنقر السعدى نقيب المماليك السلطانية سنة ٧١٥هـ • وكان شديد الرغبة فى العمائر • محبا للزراعة كثير المال • ظاهر الغنى • وهو الذى عمر القرية التى تعرف بالتحريرية بالغربية وكانت أقطاعه • وخرج من مصر فى نزاع بينه وبين قوصون فسار الى طرابلس بالشام • ومات هناك سنة ٧٢١ هـ

وبنى أيضا بجوار المدرسة رباطا للنساء • كما بنى مسجدا بحكر الخازن كان يعرف بمسجد سنقر السعدى •

ثم هدم هذا المسجد الأمير الطواشى سعد الدين بشير الجمداد الناصرى وبنى موضعه سنة ٧٦١ مدرسة وجعل بها خزانة للكتب • وذكرها المقريزى باسم المدرسة البشيرية •

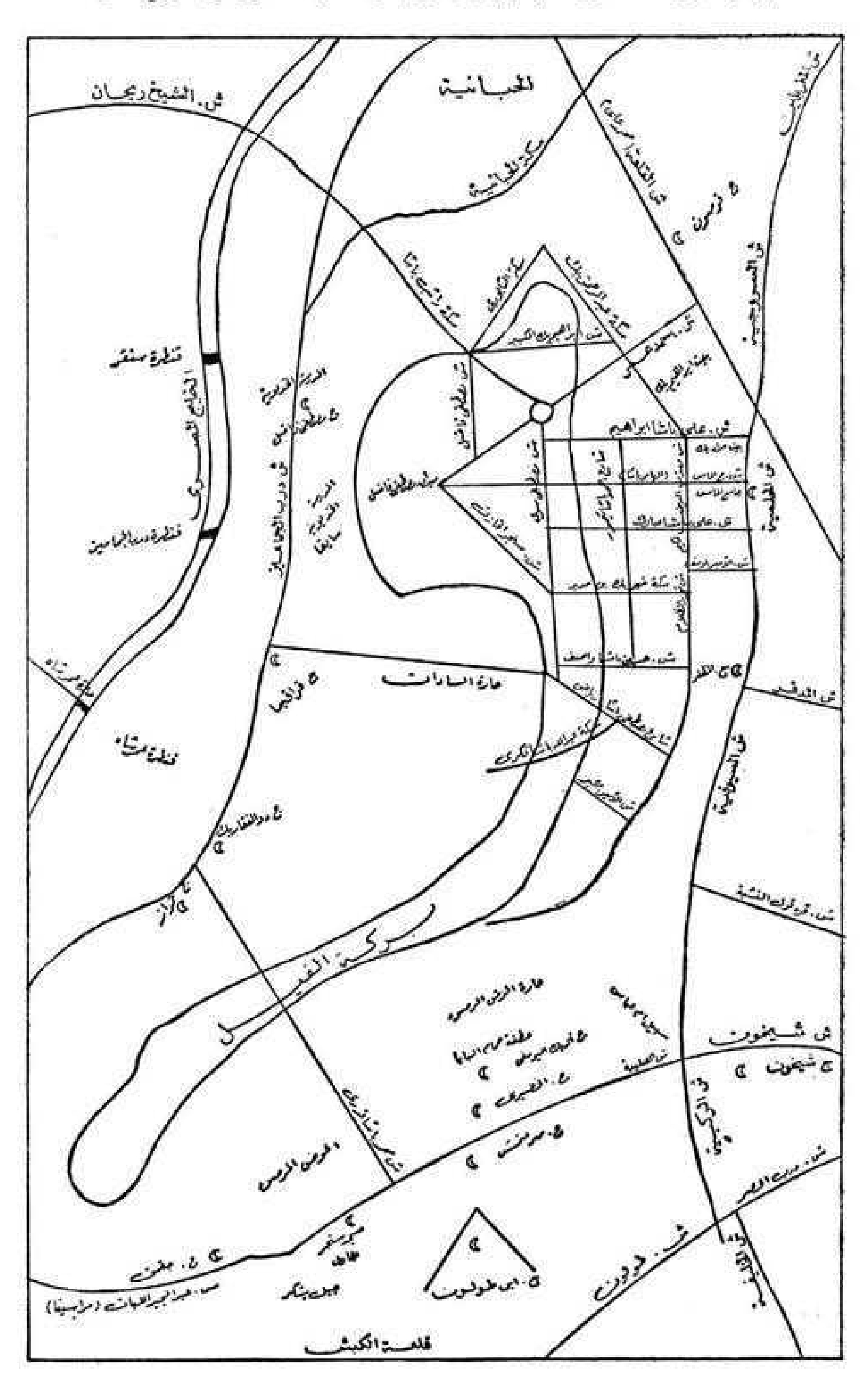
وبالحلمية الجديدة شارع الأمين بشير متفرع من شارع نور الظلام شمال موقع المحكمة العليا الشرعية سابقا •

**زاوية المظفر :**

ثم نجد على يمين السالك فى الشارع الاعظم متجها الى الصليبة ـ زاوية المظفر • وهى تقابل شارع المدفر المتجه لجهة جامعى السلطان حسن والرفاعى قبل القلعة • والزاوية نسبة للسلطان سيف الدين المظفر قطز الذى تولى السلطنة سنة ٦٥٧هـ• وهو الذى صد هولاكو وجيشه من التتار فى موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م) بعدما ملكوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله العباسى وأزالوا دولة بنى العباس • وملكوا العراق وديار بكر وأغلب الشام ولم يقف فى سبيل تقدمهم حائل حتى صدهم المصريون بقيادة السلطان المظفر قطز ثم قتل قطز أثناء عودته للقاهرة بعد موقعة عين جالوت • قتله الأمراء المماليك بقيادة الظاهر بيبرس البندقدارى الذى تولى السلطنة بعده •

# رســـم كـــروكى

لبركة الفيل عند دخول الفرنسيين ومجاوراتها . والخطوط المستقيمة هى الشوارع الحديثة



وكانت هناك مدرسة أنشأها الأمير حرمان الأبو بكرى المؤيدى كما ذكر على مبارك نقلا عن السخاوى • وقال أنه كان خلفها حوش كبير بجوار دار حرم محمد على الصغير بن محمد على الكبير • وقال على مبارك أنه يظهر أن الأيدى تسلطت مع الزمن على هذه المدرسة ولم يبق منها الا الزاوية الموجودة الآن •

وكان خلف الحوش والدار المذكورين دار كبيرة متخربة كانت من الدور الشهيرة • وكانت فى ملك السلطان طومان باى آخر السلاطين بمصر ثم سكنها السلطان سليم الأول العثمانى بعد فتح مصر وعودته من الاسكندرية • وبقى ساكنا بها الى أن خرج من مصر سنة ٩٢٣ هـ(١٥١٧م)

**جامع الفرقانى ومنزل عبد الله باشا فكرى :**

فاذا سرنا فى الشارع الأعظم بعد ذلك فى جزئه هناك المسمى شارع السيوفية • نجد على يمين المتجه لجهة الصلبية جامعا أسمته مصلحة المساحة جامع على نور الدين الفارقانى وأسماه المقريزى باسم ركن الدين بيبرس الفارقانى ( جـ ٢ ص ٣٩٩ ) •

وكان خلف هذا الجامع دار المرحوم عبد الله باشا فكرى (١٨٣٤ـ ١٨٨٩م = ١٢٥٠ - ١٣٠٧هـ) •

وهو الأديب الشاعر الناثر المعلم تعلم بالأزهر • وأتقن اللغة التركية علاوة على العلوم الأزهر فعين مترجما فى عهد سعيد • ثم اتصل بعده باسماعيل فعينه مدرسا لأولاده ومنهم الخديوى توفيق • وتقلب فى عدة وظائف حتى وصل أخيرا الى نظارة المعارف ١٨٨٢م (١٢٩٩ هـ) • وبقى بها حتى قامت الثورة العرابية فى نفس السنة •واتهم بالاشتراك فيها • ثم عفا عنه الخديوى توفيق لما تقدم له • بقصيدة طويلة يذكر فيها براءته • وبرغم أنه كان ناظرا ولكنه كان بعيدا عن الاشتراك فى الأحداث •

ورد اليه توفيق معاشه • وتوفى سنة ١٣٠٧ هـ ( ١٨٨٩ م ) • ويعد عبد الله فكرى من واضعى الاصطلاحات والألفاظ الديوانية الحديثة باللغة العربية وبعضها مقتبس من اصطلاحات دولة المماليك • وله شعر متوسط فى الجودة •

**سبيل ام عباس :**

فاذا سرنا فى شارع السيوفية نجد فيه عند تقاطعه مع شارع الصلبية سبيل أم عباس • وقد أنشأته السيدة أم عباس حلمى الأول فى ١٢٨٤هـ • (١٨٦٧م) • وهو من الآثار الاسلامية الجميلة •

وهكذا نكون قد أتممنا دورة حول بركة الفيل • وذكرنا الكثير من الأسماء والآثار التاريخية بالمنطقة • وتركنا أيضا الأكثر لضيق المقام • فهى منطقة حافلة بالذكريات التاريخية • وكانت قلبا نابضا للمدينة أكثر من سبعة قرون •

**محمد كمال السيد محمد**

## كتاب لسفير سوفياتي يصور حقيقة نظرة الشيوعية المعادية للاسلام والدين

هيئة التحرير

لم يشك أحد قط في موقف الشيوعية المعادى للأديان والتعاليم السماوية ، خاصة وأن المبادىء الماركسية كانت ولم تزل ترفع شعارها المشهور « الدين أفيون الدولة » .

غير أن الكتاب الأخير الذى ألفه ر. بيشانوف السكرتير السابق للجنة التنفيذية للحزب الشيوعى فى اوزباكستان ، والذى يشغل حاليا منصب سفير الاتحاد السوفياتى فى سيلان ، قد تخطى كل ما سبقه من الحملات المسعورة ضد الأديان وتعاليم السماء .

ان الكتاب المذكور وهو بعنوان « الاتحاد السوفياتى والاسلام » أثار موجات من تظاهرات السخط والاستنكار فى سيلان وأندونوسيا وماليزيا ومعظم الدول الاسلامية فى تلك المنطقة لما تضمنه من تطاول على القرآن الكريم وتعاليمه السمحة ،

ولقد كان الكتاب المذكور من أوله الى آخره عبارة عن هجوم خال من أى ذوق على الشريعة الاسلامية وتعاليمها، ولقد صدر الكتاب فى موسكو بواسطة وكالة نوفوستى . ووزعته سفارات الاتحاد السوفياتى فى ماليزيا وسيلان وباكستان .

واذا كانت الصهيونية تنشب مخالبها فى صلب الحضارة المسيحية عن طريق ظواهر الافساد المتفشية فى المجتمعات الغربية ، وذلك بغية تدمير الدين المسيحى ، فها هى أيضا عن طريق الشيوعية ، تمد مخالبها فى محاولة مكشوفة للنيل من الديانة الاسلامية السمحة .

يبدأ الكتاب المذكور بالرغم بأن «قوانين الاتحاد السوفياتى تصون حرية المعتقدات ، وكل مخالفة ضد مشاعر المؤمنين أو أية تفرقة من هذا القبيل يعاقب عليها القانون » ، ثم ينحدر

الكتاب للقيام بهجمات مغرضة على الاسلام ، وينكر مؤلفه نيشانوف ، بحافز من مروقة الدينى ونكرانه لله كل التعاليم الواردة فى القرآن الكريم .

وفى سياق هذا الهجوم المتحامل لا يملك المؤلف رفض الاقرار ، بأن القرآن هو أعظم دستور ديمقراطى فى العالم أما ملاحظات التحامل فقد وردت على شكل حوار ، زعم الكاتب انها دارت بين أعظم أستاذ سوفياتى فى العلوم الاسلامية يدعى ليوتسيان كليموفيتش ، وبين مفتى اسلامى يدعى باباخانوف .

ويمضى الكاتب فى اثبات أضاليله وتحامله من زاوية اتهام الاسلام بأنه مناوىء للعلم وللماركسية ـ اللينينية العلمية وبأنه يتعارض مع المادية المتفائلة للحياة ، ومع المصالح الاساسية للشعوب السوفياتية .

ويبدو أن المؤلف فاته أن التعاليم السماوية الاسلامية الرضية تتعارض بالطبع مع النكران والالحاد .

فى سياق الكتاب حمل كذلك على الديانة المسيحية ، وعلى كل الأديان التى تقر بوجود الله ، وقال انه لايمكن الوصول الى تسوية الدين والعلم ، وقال الكتاب الملحد : « ان أية ديانة تعتمد على الأنجيل والأساطير هى تلفيقات خيالية عن حياة الطبيعة والبشر » .

وقال : « ان العلم يساعد البشرية على تفهم القوانين الايجابية لتطور الطبيعة والمجتمع كما أنه يساعد على وضع القوى الطبيعية فى خدمة الانسان ، وعلى زيادة الوعى والثقافة البشرية ، بينما الدين يجعل تفكير الرجل مظلما ، ويجعله مستسلما أمام قوى الطبيعة ويقيد نشاطه الخلاق ومبادراته » .

ويتطرق الكتاب الى قصة آدم وحواء فى كل من القرآن والانجيل فينكر هذه القصة المقدسة .

وحمل الكتاب فيما حمل على قول السيد المسيح :

« من ضربك على خدك الأيمن فحول له الأيسر » ... و « طوبى للفقراء فانهم يرثون ملكوت السماوات » كما حمل على بعض الآيات القرآنية المشابهة ، وقال ان تعاليم

المسيحية والاسلامية فى هذا الصدد هى ضد النضال الطبقى للعمال وضد تطلعاتهم من أجل حياة أفضل خالية من الاضطهاد الاجتماعي والقومى ..

ويواصل المؤلف الشيوعى توزيع تنفيذ أرائه الملحدة ، فينكر وجود العقاب والثواب ، والجنة والنار وتظهر قمة الذعر الشيوعى من التعاليم الدينية فى قول المؤلف : « ان الكفاح من أجل السلام والاستقلال الوطنى يواجه تكتلات مخيفة جمعتها المعتقدات : المسيحية والاسلامية والبوذية والهندسية وغيرها .

ويواصل المؤلف تعمقه فى الالحاد فيقول : « اظهرت الأعمال الشعبية ، ان الرجل يسعى دائما الى النظر الى مستقبله لتحقيق آماله فى حياة حرة وسعيدة ، ولكن الدين يحول عينى الرجل من الأمام الى الخلف أى الى الماضى ، وان الدين يحط من كرامة الرجل وتفكيره وامكانياته التى لاحدود لها فى تنمية قواه الخلاقة » .

ويضيف : « اذا صدقنا التعاليم المسيحية أو الاسلامية فيبدو أن واجبات الرجل لن نجدها فى العمل الاجتماعى المفيد ، ولا فى النضال المشترك للشعوب فى الدول المتخلفة من أجل حياة أفضل ، وانما نجدها فى الصبر على أية مصيبة وعلى اضطهاد المسلمين المستغلين ، كما أن تعاليم الديانتين تحولان أفكار الانسان نحو الخلاص فى جنة غير موجودة وفى الحياة الأخرى بعد الموت ، وأن هذه التعاليم ضد المجتمع وضد الشعوب » .

هذه هى حقيقة تفكير الشيوعية وموقفها المعادى للتعاليم السماوية وللأديان وخاصة الدين الاسلامى تظهر بكل عريها والحادها ومروقها فى كتاب : «الاتحاد السوفياتى والاسلام» الذى يحمل اسم مؤلف هو من المسئولين البارزين فى دولة تخلت عن القيم التى منحها الله للانسان على يد رسله وأنبيائه .

**« عن الشهاب اللبنانية »**

# الغارة التبشيرية على أندونيسيا

مائة مليـون مسـلم فى أندونيسيا موزعـون على ثلاثة آلاف جـزيرة ، يتوجهـون الى الكعبة كل يوم خمس مرات ، وقد دخلوا فى الاسـلام منذ القـرن السابع الهجـرى ، وكانت سـومطره أول جـزيرة يعتنـق أهلها دين الاسلام بحكم موقعها على الطريق التجارى بين جزيرة العرب والصـين • ومنها انتقل الاسـلام الى مختلف الجزر : الى الملايو والفلبين حتى كان الاسـلام فى القرن العاشر سـائدا تماما فى هذه المناطق وحاكما ومسيطرا قبل موجة الغـزو الأسبانى البرتغـالى التى تعرضت لهـا هـذه البلاد وقاومتها مقاومة شـديدة والتى أسـلمها للاحتـلال البريطـانى والهولندى • ومنذ تلك الفترة تواجه أندونيسـيا عملية تبشير مسيحى غاية فى العنف والصرامـة ، قـامت هولندا بدور كبير فيها حيث عمـل الاسـتشراق على تزيف الحقـائق وسـيطر على مناهج الدراسـة وحول الكتابة بالحروف العربية الى الحروف اللاتينية ، ومنـذ وقت طويل ورجال التبشير والاشراق العاملون فى خدمة الحكـومات الاسـتعمارية يخططون لمواجهـة المـد الاسـلامى فى هـذه المناطق •

ومن هؤلاء الدكتور كرامر أستاذ تاريخ الأديان فى جامعـة ليدن الذى يقول فى أبحاثه : ان هاتين المنطقتين الواسـعتين ( أفريقيا وأندونيسـيا — يجب أن نوجه اليهما الجهـد لمواجهة الاسلام بجرأة ولباقة ، وان الاسلام ليس كغيره من الأديان فهو أقـوى وأعظم مقاومة لكل الأعمـال الهادفة لتغيير العقيدة وكذلك يقول السكندر ايدنبـورخ وزير المسـتعمرات فى هولندا : أنه لابد من تحطيم الاسلام وذلك بعرض آداب الغرب فى نفوس المسـلمين ليبتعدوا عن دينهم وهـم لا يشـعرون على أن يسـاير أدب الغرب الدين المسيحى فى وقت معا •

وقد عقدت المنظمات التبشرية مؤتمرات عديدة فى أوربا وأمريكا وفى الهند والفلبين وماليزيا وأندونيسيا وغيرها بحث فيها المؤتمرون خططا كثيرة فى هذا الشأن وكان لسوكارنو دور كبير فى معاونة هذا الاتجاه الخطير حتى أنه طالب بعقد أحد هذه المؤتمرات فى جاكارتا ليحضره وليبرهن للعالم على أن حرية الأديان مكفولة فى أندونيسيا وحمد الغربيون لسوكارنو عطفه هذا وكان ذلك عام ١٩٦٤ وقد كان سوكارنو يعمل فى النطاقين : دعم الحركات التبشرية والحركات الشيوعية فى نفس الوقت . وتولى فى عهده ( فرانس سيدا ) منصب وزير المالية وقد منحه البابا وسام البطولة الأكبر مكافأة له على خدماته ولا سيما فى حقل التربية ، وتولى وزارة الاعلام الدكتور رومامبى وأعقبه وزراء غير مسلمين . وكان الدكتور أويتر يخيت الهولندى الجنسية واليهودى الأصلى قد أمر بحل منظمة الطلاب المسلمين وقد أدلى أحد كبار رجال التبشير ( فن دربورخ ) بحديث قال فيه ان الرئيس سوكارنو يساير خططنا ( نقل هذا عن أحد كتاب أندونيسيا ومؤرخيها الأستاذ ضياء شهاب ) وفى ذلك العهد أقيمت مدرسة تبشيرية لتعليم الأطفال مجانا ومدرسة لتخريج المبشرين ، يبعث بخريجيها الى الغرب وقد أقيمت هاتان المدرستان فى قرية سكانها مسلمون وفى تقرير من مدير البعثة التبشرية الاسيوية يفيد بأن تحولا خطيرا يجرى فى أندونيسيا نتيجة التبشير .

ويتدفق على المنظمات التبشيرية فى هولندا معونات ضخمة من الأموال والآلات الطبية ، وهناك مبشرون متبرعون يرحلون الى الجزر البعيدة يقيمون بين القبائل البدائية التى تعيش فى أحضان الغابات الاستوائية والمعروف أنه بمجرد أن سقط حكم سوكارنو والنفوذ الماركسى الموالى له ، هجمت القوى التبشيرية الغربية لاحتلال الفراغ وجندت نفسها للتنصير وبذلك سقط أهل أندونيسيا بين مخافتين هما التبشير والشيوعية .

وقد أشار تقرير تلقته رابطة العالم الاسلامى أن الفاتيكان قد عين كردينالا وأسقفا لدعم حركة هذه الارساليات التبشيرية ونشاطها ، وقد أشار كتاب ( واجبنا فى أندونيسيا اليوم ) الذى أصدره أحد رجال

التبشير الى مختلف الخطط والمشاريع والبرامج والطرق والأساليب التى تتبع والتى نسقت على أساس من البحث العلمى والتى يمكن أن تستعمل كدليل ومرشد لشن حملة تبشير شاملة فى أندونيسيا المسلمة •

### صوت من اندونيسيا

ويوجد فى أندونسيا خمس منظمات اسلامية هى :

١ ـ المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الاسلامية •

٢ ـ المنظمة المحمدية •

٣ ـ منظمة الشبان المسلمين •

٤ ـ منظمة الوصلية •

٥ ـ وحدة الأمة الاسلامية •

° ° °

ويقول الأستاذ أحمد جونى رئيس منظمة الشباب المسلمين فى أندونيسيا أن المنظمة تعمل جادة من أجل بناء الجيل المسلم الصاعد الذى يستطيع القيام بأعبائه ومسئولياته تجاه الاسلام وقد أشار الى أن المنظمة تعمل على مواجهة حركة التبشير فى أندونيسيا بانشاء مستشفيات ومدارس وصرف أولياء الأمور عن ادخال أبنائهم فى مدارس التبشير ثم يقول : نحن نواجه الاتجاهات الهدامة التى تنجم عن مؤسسات التبشير وذلك بايجاد البدائل الاسلامية •

ويؤكد كثير من الباحثين أنه مما سهل مهمة الارساليات : هو ضعف الثقافة الاسلامية والمعرفة بمفاهيم الاسلام وانحطاط المستوى الاقتصادى •

وقد أكد كثيرون ما جاء فى تقرير احدى الطوائف التبشرية فى جاوه الشرقية من أنهم يعملون فى سبيل ملاشاة الاسلام من جزيرة جاوه وبها ستون مليونا من المسلمين فى خلال العشرين سنة القادمة •

ولا ريب أن هذا الموقف جديد بأن تتخذ فيه الهيئات الاسلامية فى كل مكان قرار حاسما لدفع هذه المحاذير ومقاومة هذه الأخطار •

**الاعتصام القاهرية**

### فى الطريق . . . . !

لم تكد اشارة المرور المؤدية الى كوبرى « أبو العلا » تضىء لونها الأحمر ، حتى توقفت جميع السيارات . وفى أول صف توقفت سيارة كاديلاك صفراء فارهة يقبع داخلها عربى شقيق بجلبابه الأبيض والى جواره امرأة تصرخ ملامح وجهها ومساحيقه ! !

وفى هدوء مشوب بالحذر اقترب من نافذة السيارة صبى فى السادسة مادا يده بعلبة كرتون صغيرة رصت يده بعلبة كرتون صغيرة وصت الصبى ببضع كلمات منكسرة بينما اجزاء جسده المطلة من ثوبه المهلهل ترتعد من البرد القاسى وقبل أن تصل يد الصبى الى نافذة السيارة امتدت يد راكب الكاديلاك الى صندوقه الصغير لتطيح به فى لمح البصر الى الأرض بينما أغرق هو والتى معه فى دوامة من الضحك المجلجل .

وتلفت الصبى حوله بعيون دامعة قبل أن ينكفىء على الأرض محاولا أن يلتقط بأصابعه المذعورة حبات اللب التى اختلطت بوحل الطريق !

وعندما أخرج راكب الكاديلاك رأسه من نافذة سيارته ليستكمل متعته بمنظر الصبى المرتعد اكتشف أن عشرات السيارات خلفه بدأت تفتح أبوابها وأن قائديها الذين أذهلتهم فعلته يضعون أقدامهم خارج سياراتهم فى الطريق اليه ! لحظتها أضىء اللون الأخضر .. واعتبرها فرصة العمر للافلات بجلده فانطلق بسيارته بسرعة أضافت الى الصبى رصيدا من الذعر ألقى به الى الرصيف .

وبعد أن أفلت .. اتجه الرجال الذين غادروا سياراتهم الى الصبى .. ومد كل منهم يده ليدفع ولو شيئا من ثمن رصيده الذى ضاع فى الوحل .. لحظتها ــ وعلى غير العادة ــ لم ينطلق صوت كلاكس واحد يستعجلهم وانما خيم الصمت على الجميع مواساة للصبى فى مأساته الصغيرة مع صاحب الكاديلاك !!

وقال أحدهم :

لا تغضبوا تلك مأساة مصر مع بعض هؤلاء الذين لا يعلمون أن فقر هذا الصغير وثوبه المهلهل هما بعض الثمن الذى دفعناه حتى تظل هاماتهم مرتفعة!

**الأهرام القاهرية**

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

**＊ خلاصة تاريخ التشريع الاسلامى**
**تاليف : الشيخ عبد الوهاب خلاف**

نحن أمام دراسة موجزة مركزة نشرتها دار القلم بالكويت فى أكثر من مائة صفحة من القطع المتوسط والمؤلف المغفور له الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف الذى كان أستاذا لمادة الشريعة الاسلامية فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، غنى كل الغنى عن التعريف ، فهو واحد من أساتذة الجيل ، وفقيه من القلة من الفقهاء الذين أدوا خدمات جليلة للفكر الاسلامى ..

والدراسة التى بين ايدينا قليلة الصفحات . لكنها كثيرة النفع ، اذ العبرة دائما فى مجال التأليف بالكيف لا بالكم ، فالمؤلف - رحمه الله - لم يكن قصده من هذه الدراسة التأريخ للتشريع الاسلامى ، وانما وضع الخطوط الرئيسية بمثابة معالم للتاريخ .

بعد أن أشار المؤلف الى المراد من التشريع فى الاصلاح الشرعى والقانونى ، وأنه سن القوانين التى تعرف منها الأحكام لأعمال المكلفين ، فان كان مصدره الله سبحانه ، فهو التشريع الالهى ، وان كان مصدره الناس فهو التشريع الوصفى - قسم العهود التشريعية الاسلامية أربعة أقسام : عهد الرسول ، وكانت سنواته قليلة لأنها لم تزد على ٢٢ سنة وبضعة أشهر . ولكن كانت آثاره جليلة لأنه خلف نصوص الأحكام فى القرآن والسنة .. وعدة أصول تشريعية وكلية .. وبهذا أسس التشريع الكامل ..

والعهد الثانى ، عهد الصحابة ، ابتدأ بوفاة الرسول سنة ١١هـ وانتهى فى أواخر القرن الأول الهجرى ، وأطلق عليه « عهد الصحابة » لأن السلطة التشريعية فيه تولاها رؤوس أصحاب الرسول ومنهم من عاش الى

العقد العاشر الهجرى مثل أنس ابن مالك الذى توفى سنة ٩٣ هـ ، وهذا العهد هو عهد التفسير التشريعى ، وفتح أبواب الاستنباط فيما لا نص فيه من الوقائع ، واذا كانت مصادر التشريع فى عهد الرسول : القرآن والسنة ، فانها فى عهد الصحابة : القرآن والسنة ، واجتهاد الصحابة ..

والعهد الثالث : عهد التدوين والأئمة المجتهدين ، ابتدأ فى أول القرن الثانى الهجرى وانتهى فى أواسط القرن الرابع الهجرى ، فهو بالتقريب ٢٥٠ سنة ، وقد سمى بهذا الاسم لأن حركة الكتابة والتدوين نشطت فيه ، فدونت السنة وفتاوى المفتين من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وموسوعات فى تفسير القرآن وفقه الأئمة المجتهدين .. وهذا هو العهد الذهبى للتشريع الاسلامى ، أما مصادر هذا العهد فهى : الكتاب والسنة والاجماع والقياس ..

ويأتى العهد الرابع : عهد التقليد الذى ابتدأ من منتصف القرن الرابع الهجرى، والذى فترت فيه همم العلماء عن الاجتهاد المطلق ، والتزموا ما استمدوه من الأئمة المجتهدين السابقين من الأحكام ، وذلك حين طرأت على المسلمين عدة عوامل سياسية وعقلية وخلقية واجتماعية .. فوقفت حركة الاجتهاد والتقنين .

وبعد - فلا جدال أننا أمام دراسة مركزة ، تغنى بصفحاتها المعدودة عن سفر ضخم ، وميزة هذه الدراسة أنها قائمة على طريقة منهجية ، وأنها سهلة العبارة . جزلة الأسلوب ، وقد عودنا المؤلف رحمه الله فى كل ما كتب : الايجاز فى الكم مع العطاء الكثير فى المعنى ، وعدم الدخول فى المتاهات التى هى دأب كثير من العلماء ..

*** الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأبى بكر الخلال .**

هذا البحث الذى يقع فى زهاء مائتى صفحة من القطع المتوسط ونشرته دار الاعتصام بالقاهرة ، من نوادر التراث الاسلامى ، قام بدراسة النص وتحقيقه الأستاذ عبد القادر أحمد عطا ، والمؤلف - رحمه الله - من أفذاذ علماء الحنابلة توفى عام ٣١١هـ ودفن مع الامام أحمد بن حنبل، وترك كثيرا من الكتب أبرزها : « الجامع »

حيث جمع فيه مسائل الامام أحمد ، والعلل والسنة والطبقات والأدب ، ثم أخلاق أحمد ..

في أكثر من سبعين صفحة قدم لنا المحقق دراسة مستفيضة ، عرض فيها لعالمية الاسلام ، وانسان حضارة الاسلام ، وأثر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر في بناء حضارة الاسلام ، وطبقات الناس في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كما عرض لكتاب أبي بكر الخلال ، وسند المؤلف ، ومنهج المؤلف امتاز باسناد أخباره وفتاواه التي نقلها عن الامام أحمد وغيره من العلماء عن رواة ثقاة لا يشك في أماناتهم،وتأييد مانقله عن الامام بمصادره من السنة وأعمال الصحابة ، ثم فصل المقال في كثير من القضايا التي لا تزال محل خلاف ، بين الفقهاء الى الآن ..

وأما منهج المحقق ، فقد صحح النص على نسخته الوحيدة ، وخرج الأحاديث الواردة فيه ، والنص الذى بين أيدينا تضمن أكثر من أربعين بابا تدور في مجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، منها : ما روى في واجب الأمر كيف هو ، ومن رأى منكرا فلم يستطع له تغييرا ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باليد ، ومايأمر الرجل وينهى في أمور العبادات ، والدفوف والمزمار والغناء والشعر ، وبعد ـ فقد أحسن الأستاذ عبد القادر أحمد عطا حين قدم لنا هذا البحث من تراثنا الفكرى الاسلامى، عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، في وقت نحن أحوج ما نكون اليه .. حيث تناسينا في خضم الحياة أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فرائض الاسلام في كل زمان ومكان .

*** مقدمة في علم الاجتماع الدينى**
**تاليف : الدكتور محمد ابراهيم الفيومى .**

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة الأزهر في مائة صفحة من القطع الكبير ، دراسة مركزة في موضوع جدير بالاهتمام ، والمؤلف الذى قدم لنا من قبل دراسة مستفيضة عن «القلق الانسانى» مدرس الفلسفة وعلم النفس في كلية أصول الدين ، وقد راجع فضيلة الدكتور عبد العزيز عيد عميد الكلية هذا البحث الذى بين أيدينا ، والذى قسمه المؤلف الى أبواب أربعة : تاريخ علم الاجتماع ، حيث عرض لمراحله الثلاث ، في

العصر القديم ، وعند العرب ، وفى أوروبا ، والباب الثانى : علم الاجتماع الدينى، حيث عرض لتصنيف الأديان لدى الغرب والاسلام ، ولعلم الأديان عند المسلمين ، وتراث الاسلاميين فى تاريخ الأديان ، وتاريخ نشأة علم الاجتماع الدينى ، والباب الثالث : محاولة اخضاع الدين للمناهج العلمية ، حيث عرض لبحث الدين كظاهرة فى مجال المنهج العلمى ، أما الباب الرابع:ابن خلدون ونماذج من منهجه فى الاجتماع الدينى ، فقد عرض المؤلف فيه لمنهج ابن خلدون فى الاجتماع الدينى ، ولنصوص من مقدمته ..

وبعد ـ فالحق أن الأخ الدكتور محمد ابراهيم الفيومى قدم لنا دراسة ذات أهمية لأنه من الموضوعات التى لم تنل حظا موفورا من الدراسات فى مجال الفكر الاسلامى ، مع أن تراثنا الاسلامى فيه عطاء كثير ، وقد سبق الفكر الأوروبى على أيدى أمثال « أوجست كونت » « ودور كايم » بمراحل كثيرة ، والدراسة التى بين أيدينا موجزة للغاية ، التزاما بعنوانها كمقدمة ، وبقى أن يواصل المؤلف جهده ليقدم لنا دراسة مستفيضة عن علم الاجتماع الدينى . والحمد لله فقد أثبت فيما قدم لنا أن له قدرات كبارا على البحث والدراسة ، فقط كنت أود ألا يساير المؤلف المستشرقين فى محاولتهم ايهام الناس بأن الاسلام حركة عربية ، فهم يقولون : الفتح العربى ، والفلسفة العربية ، والعلوم عند العرب وحضارة العرب ، وما الى ذلك ، وهدفهم له مغزاه الذى لا يجهله أحد ، فالاسلام هو الأصل ، وأجدر بالكتاب الاسلاميين أن يراعوا ذلك فى كتاباتهم فلا يكتبوا الا : الفتح الاسلامى ، والفكر الاسلامى والفلسفة الاسلامية والعلوم عند المسلمين ..

*** حول شبكات الرقيق الأبيض :**

نشرت الصحف أخيرا أن قسم مكافحة جرائم الآداب بالقاهرة ضبط شبكة كبيرة لتجارة الرقيق تديرها راقصة وابنة خالتها ـ وألقى القبض على ١٩ سيدة بينهن عدد من «الفنانات» العاملات بالسينما والتليفزيون ..

وليست هذه الشبكة لتجارة الرقيق الأبيض هي الأولى ولن تكون الأخيرة: والمثير في المسألة أن الصحافة تصر على أن تطلق لقب «فنانة» على محترفة الدعارة سلوكا وقوادة ، كما يحلو لهذه الصحافة أن تهمل ذكر أسماء أعضاء شبكة الرقيق والفنادق والكازينوهات الكبرى ، مع أن من حق الشعب أن يعرف حقائق الأمور. فهؤلاء الممثلات يدخلن بيوتنا عن طريق التليفزيون على رغم منا ، فهل يستطيع التليفزيون العربي أن يحرمهن مثلا العمل به مراعاة لمشاعر ملايين الأسر ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، هل من الممكن أن تنشر الأسماء كاملة كعقاب رادع للغير ؟ ان تشريع الاسلام أضاف الى عقوبة الجريمة الأساسية عقابا آخر للردع هو التشهير، وصدق الله «ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر • وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين • »

**❋ قراءات :**

« ان استعداد المجتمع للتعاون **وفق** مبادىء الاسلام لتحقيق غاياته ، **سوف** يظل استعدادا نظريا مالم تكن هناك سلطة زمنية مسئولة عن تطبيق الشريعة الاسلامية ومنع الخروج عليها ، ومثل هذه المهمة لابد لها من **أن** توسد الى مرجع له من السلطة ما يتيح له الأمر والنهي في المسائل الاجتماعية ، وذلك المرجع هو الدولة •• من ذلك يتضح أن اقامة دولة أو دول اسلامية شرط لاغنى عنه للحياة الاسلامية **في** صورتها التامة »

« من كتاب منهاج الحكم في الاسلام لمحمد أسد »

**محمد عبد الله السمان**

# بــاب الفتــوى

للأستاذ محمود محمد رسلان

وردللمجلة أكثر من عشرين سؤالا من الطالب : صلاح محمد عبد الحميد أبو كبير وقد اقتطفنا منها الأسئلة الثلاثة الآتيـة وسوف نجيب على البـاقى ان شاء الله تباعا .

**السؤال الأول :**

ماهو التعريف الدقيق للاسـلام ؟ والايمان ؟ وما الفـرق بينهما ؟ وهل العمل جزء من حقيقة الايمان أم أنه منفصل عنه ؟ وماذا يكون مصير الذى يعتقد فى أن للكون الها يدبره ويسيره وفق نظام دقيق،ولكنه لايؤمن بالرسالات السمـاوية ؟ هل مجرد ايمـانه بأن الله واحد كاف لنجاته من دخول النار ؟ على أن الحـديث يقـول : « من قال لا اله الا الله دخـل الجنة » وما حكم تارك العبـادات المفروضـة كالصـلاة ، والصوم ، والحج عمـدا برغم قدرته على ذلك ؟

**الجواب**

الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على أشرف المرسـلين سيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فنفيد بأن الجواب على هذه الأسئلة يقتضينـا أن نقتطف بعض الدرر من الحديث الجـامع الذى رواه البخارى ومسلم رضى‌الله عنهما واللفظ للبخارى قال عمر رضى الله عنه : « بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليـه وسلم ذات يوم ، اذ طلع علينا رجـل شديد بياض‌الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السـفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبى صلى الله‌عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه، ووضع كفيـه على فخـذيه ، وقال : يا محمد أخبرنى عن الاسلام ؟ قال : الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة ، وتصـوم رمضـان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ،

قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه .

قال : فأخبرنى عن الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت .

قال : فأخبرني عن الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ... الخ الحديث الذى رواه البخارى ، ومسلم .

والدين الذى نزل أمين الوحى لتوضيحه هو الاسلام ان نظرنا الى السلوك الظاهر ، والعمل البين . وهو الايمان ان نظرنا الى اليقين الباعث والعقيدة الدافعة . وهو الاحسان ان نظرنا الى كمال الأداء والوفاء على الغاية عند اقتران الايمان الواضح بالعمل الصالح .

وهذا الحديث الجامع يشرح لنا حقيقة الدين الصحيحة ، فالايمان اذا صح لابد أن ينتج العمل .

والعمل اذا صح لابد أن يرتكز على الايمان ، والاحسان اذا صح لا ينشأ الا من ايمان راسخ وعمل كامل . ويمكنك أن تقول : ان الدين الذى جاء به جبريل يعلمه هو الاسلام . والاسلام لا يصح الا بالروح الكامنة فيه ، والوقود المحرك له أى الايمان الحق . فاذا استبطن هذا اليقين الدافع فأمامه مثله الأعلى فى احكامه الصلة بالله ، والشعور برقابته الدائمة وشهوده الجليل، وهومقام الاحسان.. انظر: محمد الغزالى ـ الجانب العاطفى من الاسلام. أما من لايؤمن بالرسالات فهو كافر ، لأنه لو آمن بالله لآمن بمن أرسلهم الله الى الناس وهم الرسل « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » أما حديث « من قال لا اله الا الله دخل الجنة » فلابد أن يطابق القول العمل ومن قالها بحقها فقد دخل الجنة .

أما من ترك الفرائض وهو قادر على أدائها فانه يستتاب مدى الحياة كما قال أبو حنيفة والله أعلم .

**السؤال الثانى :**

**ما معنى قوله تعالى :** « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم » الآية رقم ٣٣ من سورة النور .

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد : فقد كان أهل الجاهلية اذا امتلك أحدهم أمة أرسلها تزنى وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت فلما جاء الاسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك . فقد روى محمد بن اسحق عن الزهرى قال كانت جارية لعبد الله بن أبى بن سلول يقال لها : معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الاسلام نزلت «ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء» الآية .

البغاء : أى الزنا . الفتاة : أى الجارية .

وقوله تعالى : « لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » أى من خراجهن ومهورهن وأولادهن ، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ثلاث : كسب الحجام، ومهر البغى، وحلوان الكاهن، وفى رواية : « مهر البغى خبيث ، وكسب الحجام خبيث ، وثمن الكلب خبيث » وقوله جل وعز « ومن يكرههن .. الخ » .

أى لهن ، وقال ابن أبى طلحة عن ابن عباس فان فعلتم وتبتم فان الله غفور رحيم ، واثمهن على من أكرههن ، وفى الحديث المرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٨ وما بعدها . والله أعلم .

**السؤال الثالث :**

قال الله تعالى :«حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ماذكيتم الى قوله تعالى : «فان الله غفور رحيم».

ما المقصود بـ « المنخنقة » ، « الموقوذة » ، « المتردية »،«النطيحة» « ما أهل لغير الله » ؟ وما العلة فى تحريم أكل الميتة ، وذات الدم ، ولحم الخنزير ؟

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :

المنخنقة هى : التى تموت بالخنق اما قصدا ، واما بدون قصد بأن تتخبل فى وثاقها فتموت ، فهى حرام لا يحل أكلها .

الموقوذة : هى التى تضرب بشىء ثقيل غير محدد حتى تموت ـ قال قتادة: كان أهل الجاهلية يضربونها حتى اذا ماتت أكلوها .

المتردية : هى التى سقطت من مكان عال فماتت فلا يحل أكلها .

النطيحة : أى التى نطحها كبش أو نطحتها بهيمة فماتت فلا يحل أكلها أما ماذكى الذكاة الشرعية فانه يؤكل.

« وما أهل لغير الله به » أى ما ذبح فذكر اسم غير الله فهو حرام لأن الله تعالى أوجب أن تذبح هذه المخلوقات على اسمه العظيم فمتى عدل بها ذلك ، وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت،أو وثن أو شخص أو غير ذلك من سائر المخلوقات فانها حرام بالاجماع « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » .

أما تحريم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فقد روى أن آدم عليه السلام نزل بتحريم أربع : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير،وما أهل بغير الله به.

أما العلة فى تحريم الميتة أن الله كرم الانسان فلا يصح أن يأكل لحم الميتة ، وهذا أمر تعبدى كما أن أكل الميتة مجاف للفطرة ولانحباس الدم فيها وفسادها .

أما العلة فى تحريم لحم الخنزير فهو أمر تعبدى أمرنا الشارع باتباعه ولم نعقل له معنى والحكمة تقول : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » والله أعلم .

## السؤال

من شعيب محمد عبد المقصود .

شاب يريد الزواج من بنت خاله ولكن الفتاة رضعت من أم الشاب مرات كثيرة وهو لم يرضع من أم الفتاة فهل يجوز لهما الزواج .

## الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن الرضاع المحرم فى مذهب الامامين الشافعى وأحمد رضى الله عنهما هو ما بلغ خمس رضعات متفرقات متيقنات مشبعات فى زمن الرضاع وهو الحولان وحيث ان الفتاة رضعت من أم الشاب مرات كثيرة فلا يجوز لها أن تتزوج من هذا الشاب لأنها برضاعها من أم الشاب أصبحت بنتا لها وأختا لجميع

أولادها فلا يجـوز لها أن تتزوج بهذا الشاب المذكور ولا بأحد من اخوته والله أعلم •

### السؤال

من السيد سمير خطاب •

قلت لزوجتى لو ذهبت الى بيت والدك تكونى طالقة وقصدت بذلك التهديد فهل يقع هـذا الطلاق لو ذهبت الى بيت والدها •

### الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين •
أما بعد :

فنفيد بأن هـذه الصـفة لا يقع بها الطلاق وان ذهبت الى بيت والداها حيث انه قصد به التهديد والمنـع والله تعالى أعلم •

### السؤال

من السيد سالم مفتاح •

حلفت على زوجتى بقـولى أنت مطلقة بالثلاث ولم يسبق أن طلقتها من قبل فما الحكم •

### الجواب

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن هذه الصفة لايقع بها الا طلقة واحدة رجعية كما هو معمول به فى المحاكم الشرعية وما يفتى به فـله مراجعتـها ما دامت فى العدة فاذا انقضت عدتها منه حلت له بعقد ومهر جديدين وبرضـاها وتبقى معه على طلقتين هـذا اذا كان الحال كما ذكر فى السـؤال والله أعلم •

### السؤال

من السيد محمود مصطفى محمد

توفيت امرأة عن زوج ، أب ، أم، اخوة أشقاء •

### الجواب

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين

أما بعد : فنفيد بأن للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث وللأم السدس فرضا لوجود عدد من الاخوة والباقى للأب تعصيبا والله تعالى أعلم ٠

**السؤال**

من السيد على حسان ٠

تم عقد الزواج على العروس بعد تقديم الشبكة ومقدم المهر وقبل الدخول اتفق الطرفان على الطلاق فما حكم ما قدم من شبكة ومهر ٠

**الجواب**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن للزوجة نصف المهر مقدمه ومؤخره وان الشبكة معتبرة من المهر فتأخذ نصف الجميع والباقى وهو النصف الآخر للزوج والله تعالى أعلم ٠

**محمود محمد رسلان**

# أنبـاء وآراء

للأستاذ إبراهيم حامد النويهى

**＊ احتفال الأزهر بذكرى الهجـرة النبوية الشريفة :**

أقامت مشيخة الأزهر احتفـالا بذكرى الهجـرة النبوية الشريفـة بالجامع الأزهر برياسة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شـيخ الأزهر ، وذلك مساء يوم الخميس ٣٠ من ذى الحجة ١٣٩٥ هـ الأول من يناير ١٩٧٦ م .

وحضر الاحتفال فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشـئون الأزهر وعدد من الوزراء وسفراء الدول العربية والاسـلامية بالقاهرة وكبار رجال الأزهر .

وألقى فضـيلة الدكتور محمـد عبد الرحمن بيصـار وكيل الأزهر كلمة الاحتفال ، فوجه تحية الأزهر وتهنئته بهذه المناسـبة الكريمة الى قائد النصر الرئيس محمـد أنـور السادات والى قواتنـا المسلحـة والى العالم العربى والاسلامى .

ثم تحـدث عن مكانة الذكرى والدروس المستفادة من الهجرة فى التضحية والفـداء والصبر والصمـود والوحدة فى الصف والهدف ، كما تحدث عن القيم الرفيعـة التى جاء بها الاسلام كالعدل والسلام والوفاء والأمانة والاخلاص .

وختم كلمته بالدعاء الى الله بأن يجعل هـذا العام عام يمن وخـير وبركة على الاسلام والمسلمين .

**＊ زيارة السيد رئيس الوزراء لفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر :**

قام السيد ممدوح سـالم رئيس الوزراء بزيارة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شـيخ الأزهر بمكتبه بادارة الأزهر ، وذلك يوم الاثنين ٤ من المحرم ١٣٩٦ هـ ٥ من يناير ١٩٧٦ م .

وألقى فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر كلمـة رحب فيهـا بالسيد رئيس الوزراء فقال :

( يسعدنا أن نرحب بمعالى السيد ممـدوح سـالم رئيس الوزراء فى زيارته لنا .. وانه بذلك يحيى سنة الاتصال الوثيق بين علمـاء الدين ورجال الحكم ، ولقد عرفت السيد رئيس الوزراء منـذ وقت طويل ، عرفتـه محافظـا ووزيرا ورئيسـا للوزراء ، يدير الأمـور فى يسر وحكمة وجهاد فى سبيل الله والوطن ، واننا نرحب به ترحيبا كبيرا ونرجو أن ينال الأزهر على يديه كل خير .

ولست أريد فى هذه المناسبة أن أعرض كل موضـوعات الأزهر ، ولكن هناك مسألة هامة أردت أن أخصها بالذكر الآن ، تلك هى أن العالم الاسلامى كله يلجأ الى الأزهر ويحتاج الى رجـاله فى التدريس والدعوة ، وتتكرر الطلبات وتتوالى فى كل لحظة ، وهنـاك جامعـات اسلامية فى أنحاء العالم الاسـلامى قامت على أكتاف رجال الأزهر ، وكانت هيئات التدريس الى عهـد قريب كلها من رجال الأزهر ، مثلا الجامعة الاسلامية الليبية وجامعـة أم درمان ، ولابد من أن يقوم الأزهر بتلبية كل هـذه الطلبـات ، لكى يواصل رسالته ويقـوم بواجبه ، ولابد له من ذلك أيضا لكى تستمر منزلة مصر فى العالم الاسلامى كما كانت وكما تزال زعيمة للعالم العربى والاسلامى .

ولذلك لابد من التوسع فى الأزهر فى قاعدته فى المعـاهد ثم الكليات ونرجو الله أن ييسر الأمر على يـد السيد الرئيس المؤمن محمـد أنور السادات ، وعلى يد السيد رئيس الوزراء الذى عهـدناه كريما مـع الأزهر .. ومرة أخرى نرحب بزيارته نصيرا للاسلام تحت راية السـيد الرئيس محمد أنور السادات ) .

ورد السيد رئيس الوزراء على كلمة فضيلة الامام الأكبر هذه بكلمة فقال :

( أشـكر لفضيلة الامام الأكبر هذا الترحيب ، وأعتز بمـا جاء فى كلمته ، وأعتز بها من فضـيلته ، وأعتز بها من الأزهر ، وأعترف بأن فيها مجاملة ، ولقد أحببت أن أهنىء فضيلة الامام الأكبر والأزهر بالعام

الهجـرى الجـديد ، واننى لأعتز بالأزهر كمركز اشعاع علمى كبير فى العالم الاسلامى ، وكما ذكر فضيلة الامام الأكبر فان علماء الأزهر لهم دور كبير فى كل مكان من العـالم بقدراتهم العالية وخبرتهم الكبيرة ، ونحن على استعداد دائم لدعـم قدرات الأزهر ، ونشعر بمسئوليات الأزهر ومصر نحو مد الأمةالاسلامية بالعلم والخبرة .

وفى الحقيقة لقد قامت الجامعات على أكتاف علماء مصر ، وبالرغم من ضعف مواردنا فى الفترة الأخيرة فانه ما زالت لجامعاتنا اشعاعاتهـا القوية فى الخارج ، وهذه مسـئولية مصر وقدرها لمواجهـة كل متطلبات النهوض ، ونحمد الله تعالى فانه على يد السيد الرئيس محمد أنور السادات حققنا الكثير وحققنا النصر وأصبح علينا الآن الجهـاد الأكبر وهو مواجهة التخلف ومعركة البناء، وهى معركة صعبة سنوفق باذن الله فى مواجهتها والقيام بأعبائها ، ببركة دعواتكم وقيادة الرئيس محمد أنور السادات ) .

*** رسالة فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر الى السيد رئيس مجلس الشـعب حـول تطبيـق الشريعة الاسلامية :**

بعث فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شـيخ الأزهر برسالة الى السيد المهندس سـيد مرعى رئيس مجلس الشعب يناشده فيها أن ينظر مجلس الشعب بعين الجـدية والاهتمـام الى المشروع المقـدم من الدكتور اسماعيل معتوق عضو المجلس لتطبيق أحكام الشريعة الاسـلامية فى مصر ، وذلك يـوم الأربعاء ٦ من المحرم ١٣٩٦ هـ ــ ٧ من يناير ١٩٧٦ م وقد نشرنا نص هذه الرسالة مع المشروع المقدم الى مجلس الشعب فى مكان آخـر من المجلة .

كما بعث فضـيلته ببرقيـة الى الدكتور اسماعيل معتـوق عضـو المجلس يهنئه فيها بما وفق اليـه من

هذا الموقف التاريخى العظيم الذى يرضى الله ورسوله .

*** قنصـل المـانيـا الغربيـة فى بنجلاديش تعتنق الاسلام :**

اعتنقت أنيتا ماريا ماكلوسكى قنصل ألمـانيا الغربية فى بنجلاديش الاسـلام ، بعـد دراسة واقنـاع بالاسـلام وتعاليمه وفـهم للقـرآن الكريم ، وساعدها على ذلك زوجها المسـلم عبـد الله عبيد وهـو من حضرموت ، تعرفت به من خـلال العمل .

حضرت أنيتا الى القاهرة لتسعد بلقاء شيخ الأزهر وتشهر اسلامهـا على يد فضيلته .

وفى يوم الخميس ١٤ من المحرم ١٣٩٦ هـ ـ ١٥ من يناير ١٩٧٦ م التقت أنيتـا بفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شـيخ الأزهـر بمكتبـه بادارة الأزهر ، وأشهرت اسلامها على يد فضيلته ، وأصـبح اسـمها منى عبـد الله ماكلوسكى ، وقد أهداها فضيلته ـ بعد أن أشهرت اسلامها ـ مصحفا شريفا وكتبا عن الاسلام وتعاليمه .

*** ٢٠٠ الف جنيه تبرع للأزهر من المليونير اليونانى لاتسيس :**

زار المليـونير اليـونانى جـون لاتسيس فضـيلة الامـام الأكبـر الدكتور عبد الحليم محمود شـيخ الأزهر يوم الثلاثاء ١٢ من المحـرم ١٣٩٦ هـ ـ ١٣ من يناير ١٩٧٦ م وتبرع سيادته بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه للأزهـر لاقامة معهـدين أزهريين أحدهما للطلاب والآخر للطالبات .

وقـد بعث فضـيلة الامام الأكبر برسالة الى السـيد جون لاتسيس أعرب فيها عن تقديره وشكره لما قام به من زيارة لفضيلته وما تبرع به من المـال للأزهر .

*** انشاء معاهد لتخريج دعاة وائمة اسلاميين فى باكستان والهند :**

نشرت صـحيفة أخبـار العـالم الاسلامى بمكة المكرمة فى عـددها ٤٤٨ أن مصـدرا مسئولا فى رابطة

العالم الاسلامى أدلى بتصريح لوكالة الأنباء السعودية قال فيه : ان بعض الجامعـات الاسلامية فى الباكستان والهند قد أبدت استعدادها للمساهمة فى انشاء معاهد متخصصة لتخريج الأئمة والدعاة ، وقال : ان هـذا التجاوب من الجامعات الاسـلامية فى الباكستان والهند جاء تجاوبا مع توصـيات وقرارات مؤتمر رسـالة المسجد .

**ابراهيم حامد النويهى**

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٦/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

٩٠٠٢-١٩٧٦-٧٧٤

through a land owned by Muhammad, ibn Muslimah who refused flatly, but Umar, the Commander of the Faithful ; forced him to do so.

The harder the times, the greater the right of the public to personal peoperty, and the severer the restrictions imposed on it. In the year of famine Umar is quoted as saying : "Were this year to come again, I should house with each family an equal number to them, since they will not starve if they eat half their normal amount of food". Abu Said Al Khudri is reported to have said : "On a journey with the Apostle, Allah bless him and give him peace, he said to us : "Anyone who possesses a surplus amount of food or surplus beast, should give that surplus to those who haven't. The Apostle then went on enumerating so many kinds of property that we thought we had no right to our property save what was sufficient to sustain our life".

Anyone who holds a cultivable land whether he owns it or administers it in trust cannot be deprived of his rights unless he is given an appropriate compensation provided he has possessed it by konourable means.

The land may be expropriated in tow cases : first, when its ownership is likely to lead to monopoly, thus preventing the weak from having their due share of land ; second, when it is expropriated for public utility. It is reported that the Prophet expropriated a certain tract of land at Medina for public utility, and another tract to be used as pasture for the horses of Muslims. Umar ; the second caliph, followed in the steps of the Apostle. He expropriated for public utility a tract of land at Rabtha to be a public pasture. Its proprietors protested saying : "O Commander of the Faithful, the land is ours ; we defended it is ours ; we defended it in the days of Ignorance and have kept it ever since. Why you exproptiated it ?". The just Imam reflected a little and said in answer : "Wealth is God's alone and we are His servants. By God, but for the tasks I am charged with in the cause of Allah, I should not expropriate any piece of land even if it were a square span". Umar set that land aside only for the cattle of the poor, prohibiting the rich from grazing their cattle there.

Therefore we come to the conclusion that ownership is an established right, and freedom of ownership is guaranteed, according to law, the proprietor being free to utilise his property as he likes provdied he does no harm to others.

(to be Continued)

and insult people restrict others' freedom of thought and speech. Likewise, the state that gives itself freedom of action, restricts the freedom of others. Accordingly, the restriction of freedom of those who go to extremes is necessary for the protection of freedom itself.

All social and legal institutions of Islam are directed towards the protection of the just freedoms of man, and all Islamic international institutions are meant for the prevention of aggression and the establishment of justice. Islam allows the use of sword to prevent sedition, and protect religious freedom. It guarantees all sorts of freedom. viz., freedom of ownership, freedom of creed, freedom of thought, freedom of action, freedom of speech, political and social fredeom.

FREEDOM OF OWNERSHIP :

Allah — He be exalted-has granted man the right of individual property, but this right is objectively and legally limited. It is objectively limited, because not all things could be owned such as metals in the bowels of the earth or gems and fish in oceans and seas. It is as legally limited as all other human rights, since man is not licenced to use it in such a way as to trespass on the rights of others. If any harm springs from its free utilization, this harm should be immediately checked as the Apostle — upon who, Allah's blessings and peace-said : "There shall be no injuring of one man by another, in the first instance, nor in return or requital".

The ruler has the right of intervention in order to prevent the landlord from going beyond what is lawful and just in the utilization of his property. When the Apostle-Allah bless him — was at Medina, an Ansari went to him complaining that Samorah ibn Gondab used to hurt him now and then by entering into his house to look after some date-palms which Samorah owned in the orchard enclosed by the Ansari's wall. The Apostle asked Samorah first to sell him these palms, but he refused.

Thene he ordered him to cut them down. He refused also. The Apostle then asked Samorah to grant him those date — palms but he refused. Thereupon the Apostle ordered the Ansari to cut down those date palms indispute.

Moreover the proprietor has not the absolute right to prevent others from using his property. Rights, however personal, are not completely separate from other people's rights.

Among the rights of othrs to one's property is the passage of water for irrgaton purposes. The following incident is a case in point : A man named Al-Dahhak dug a small water-way for watering his land and tried to let it pass

# FREEDOM IN ISLAM

*By*

**(late) Sheikh M. Abu Zahra**

*(An extract from a research paper submitted to the Islamic Research Academy)*

Islam enjoined self-respect which cannot be achieved without freedom in all its forms : of residence, of movement, of religion, of thought and opinion and of the State. Hence, Islam is against arbitrary measures. No man is allowed to dominate another, nor is the State allowed to dominate people ; it has only to try them if they break the law. Islamic penalties do not tend to the restriction of freedom, as its restriction means preventing man from free movement which means life while Islam is the religion of life.

But what is freedom ? Freedom is sometimes misunderstood, being explained as discarding human and moral values. The freedom of the State is sometimes explained as domineering over individuals in such a way to deprive them of free movement without the State's permission. Freedom in our view is derived from the word "free". A free man is one who possesses self-control. He avoids trifles and restrains his desires. He never trespasses on the rights of others. Likewise, a free state is one imbued with the spirit of a free man. In neither transgresses against other states nor frees them to toe the line.

Freedom, therefore, cannot mean freeing oneself from all restrictions, domineering or transgression. It should be restricted, as is the nature of all things in the universe.

Human freedom for the civilized man cannot be imagined without his existence in the society, and man himself whether urban or a bedouin cannot exist without society. Ancient scholars said, "Man is civil by nature". If it were said "Man is social by nature", it would be more apt and right. Freedom is a social concept in a society where the principle of give and take is applied. Justice is the criterion according to which actions are judged. Freedom is also subject to its judgement, and it cannot be virtuous without being just. Therefore, man has to control himself, otherwise, restrictions from ostside should be imposed on him, lest he should go to extremes in his capricious desires, in which the bounds of criticism

This event gives us evidence of how Islam created equality between all human beings.

Before I end my talk on this subjet, I must refer to what is happening in countries like America nowardays. They cannot find a solution to this problem, because the white man has rights, the black man does not have. This happens all over the world — but if they want to take a good example, let them turn o the example of Islam.

---

this, he called Zaid to him, and said ·

"This is your father, and this is your uncle".

Zaid recognised them, and said he knew who they were. The Prophet said :

"If you want to go with them, you are free to go, and if you want to stay, you are welome to stay".

The Prophet put the choice in the hands of the boy, but what Zaid answered as astoniehed his father and his uncle. Because Zaid refused togo with them, and said to the Prophet :

"I will never prefer anyone to you, not even my father". His father and uncle were surprised and annoyed and said :

"What are you saying, Zaid, do you prefer slavery to freedom ?"

"No" said Zaid, "but there is no one who could treat me like the Prophet treats me".

When the Prophet saw that he wanted to please the father and uncle of Zaid, and he went out in public and announced that Zaid was not his slave, but his son, and that he had a right to deal with him as a son.

This shows us the new system the Prophet introduced among Arab people with equality for each man, no matter what his tribe or colour.

2. At the time of Omar Ibn al-Khattaab, the second Caliph, at the season of pilgrimage, while Jabalah ibn Alaiham, the last king of the Ghassan family was doing Tawaf around the Kabah, a Bedouin, who was walking behind him trod on the king's train. The king got angry and turned towards the Bedouin and struck him in the face. The Bedouin went to Omar to complain. Omar called Jabalah and asked him, "Did you strike your brother, from the tribe of Zarah ?" The king answered :

"He is noy my brother. I am a king and he is a commoner". Omar said :

"But Islam created equality between you". The king answered sharply

"Are you trying to say we are equal — I am a king, and he is a commoner. By Allah, I would have cut his head off, but because of the honour of the House of God, I did not". "Now you have confessed that you struck him"'. Omar said. "Now you must give him the chance of satisfaction" The king repeated what he had said :

"Are you going to give him the right to punish me — I am a king and he is a common man".

"It is the law of Islam", Omar said. When the king saw it was the only way, he asked for a chance to think of a solution.

se they found it difficult, according to their customs, to consider these slaves and weak peope, as their brother, and it was hard for them to accept equality with these people, whom they considered as their slaves in the past. Inspite of their objections, the Prophet continued to establish the Muslim society on the basis of equality. This was one of the first things for him to do, after he emigrated from Mecca to Medina. He established brotherhood among those who emigrated with him, and those who were living in Medina from the beginning. Each one shared with his brothers everything that he had, money and property. Their action has been praised by God in the Holy Quran as follows :

"Some part is due to the indigent Muhajirs, those who were expelled from their homes and their property, while seeking grace from God and His good plasure and aiding God and His Messenger, such are indeed the sincere ones, but those who before them, had homes (in Medina) and had adopted the faith, show their affection to such as came to them for refuge, and entertain no desire in their hearts for things given to the (latter), but give them preference over themselves, even though proverty was their (own lot). And those saved from their covetousness on their own souls, they are the ones that achieve properity. And those who came after them say "Our Lord ! Forgive us, and our brethren who came before us into the faith, and leave not, in our hearts, rancour (or sense of injury) against those who have believed. Our Lord ! Thou art indeed full of kindness, most merciful"

The Prophet, Peace be upon him, set exampls of brotherhood and equality before people in order that they should accept his call, and also his caliphs followed his way. In the following examples, we will see how this has been created in the heart and the feeling of the Muslim society.

1. The Prophet treated him as his son, and the youth never felt as though he was a slave. Acoording to the law of Arabia before Islam, when war broke out between two tribes, the winner could take the women and children of the defeated tribe as slaves. Zaid had become a slave on one of these occasions, and he moved from one hand to another, until finally, he reached the hand of the Prophet. His father and his uncle were looking for him everywhere. At last they discovered that he was in Mecca with the Prophet Muhammad, and they went to Mecca and asked the Prophet to return Zaid to them. They offered the Prophet whatever he wanted as ransom for the boy. When the Prophet heard

## EQUALITY AND BROTHERHOOD IN ISLAM

*By*

**Dr. M. Ibrahim El-Goushi**

Brotherhood in Islam is one of the most important foundations on whcih the Muslim society is based on.

The Prophet, Peace be upon him, started to build the brotherhood among Muslim people since he began his call to Islam.

The society of Arabia, before Islam, as well as outside Arabia, was a racial society, and people were divided into classes. Each class had a circle, and each class was not allowed to go out of their circle. The result of this was that some people inheried the wealth and others inherited the poverty, some inherited leadership and some inherited to become followers; some became masters and some became slaves. There was no respect for the value of mankind. Two thirds of mankind, at that time, were slaves, working for the other third. Shedding their blood for their masters

The Prophet, Muhammad, came when the whole world, particularly the Arabs, were like this. He started to remind people, that they came from one origin, all of them are the chidren of Adam and Adam was created from dust. Therefore, no one has a right to feel he is superior to others, immaterial of his colour, race or tongue, everyone is equal. This principle has been emphasised by the Holy Quran and the Prophet, from the beginning.

The Holy Quran says : "O mankind, we created you from a single pair of a male and a female, and made you into nations and tribes, that you may know each other, not that you may despise each other. Certainly, the most honoured of you on the side of God, is he who has the best conduct". The Prophet said : "All the people are as equal as the teeth in a comb. The Arabs have no superiority over the non-Arabs except by their conduct''. The Prophet, Peace be upon him, put this principle into practice; from the beginning he made equality between his followers as a basis of their life. Therefore, you would find among his companions, the black slave and a man in a high positions in the tribe, both consider each other as a close brother. This was also the reason for the Qureish leaders not to accept the Prophet's call because

allowed. The wife can obtain a divorce through the judge who is legally entitled to pronounce a divorce.

6 — This chapter demonstrates equitable dealings with all men and condemntion of Jewish hypocracy. Allah says what means in verse 36 : (And worship Allah and do not associate anything with Him. and be good to the parents and to the near of kind and the orphans and the needy and the neighbour of (your) kind and the alien neighbour and the companion in a journey nad the wayfarer and those whom your right hands possess, surely Allah dose not like him who is proud, boastful. As regards the alteration of the text. Allah says in verse 46 what means:

(Of those who are Jews there are those who) alter words from their places and say : We have heard and we disobey : and : Hear may you not be made to hear and Ra'ina, distoring (the word) with their tongues and taunting about religion ; and if they had said (instead) : We have heard and we obey, and hearken, Unzurna', it would have been better for them and more upright ; but Allah has cursed them on account of their unbelief, so they do not believe but a little.

7 — This Surah enjoins the Muslims to obey Allah and His Apostle. Allah says in verse 59 what means : (O you who believe! obey ALLAH and obey the Apostle and those in authority from among you. If you differ in anything, refer it to Allah, (the holy Quran) or to the Messenger (in his life) or to Sunna : his doings and sayings after his death), that is if you do believe in Allah and the Last Day. That is best, and most suitable for final determination).

8 — This chapter urges the believers to strive hard in fighting their enemies. Allah says in verse 74 what means :

(Therefore let those hight in the cause of Allah who sell this worldly life for the Hereafter, and whoever fights in the way of Allah. then be he slain or be he victorious, We shall grant him a mighty reward.)

9 — This Surah shows in verse 174 and 175 that the Apostle Mohammad is a mercy to all mankind, and the Sacred Quran is the Light of Faith. It directs the true believers to follow the straight way. Allah says in this concern what means :

(O mankind — Certainly, there has come to you a convincing proof from your Cherisher. And We have sent to you clear light.)

Then as for those who believe in Allah and hold fast by Him, He will admit them to His mercy and grace — that is His paradise out of His grace — and guide them to Himself on a right path).

5 — This Surah deals too, with the cases of disagreement between husband and wife. The verses 19, 20, 21, 34, 35 refer to that matter. Allah says in verse 19 what means :

(O true believers ! You are forbidden to inherit women against their will, nor should you treat them cruelly, nor hinder them from marrying others — that you may take away part of the dowry you have given them, unless they have been guilty of a manifest crime such as disobedience, ill behaviour, immodesty and open lewdness. On the contrary, live with them on a footing of kindness and equity, for if you hate them, it may be that you dislike a thing while Allah has placed much good in it).

IV, 20 : (But if you desire to exchange a wife with another wife by divorcing one and marrying another, and you have already given one of them a heap of gold for dowry, do not take the least bit of it back. Would you take it by slandering her and doing her manifest wrong).

IV, 21 : (And how can you take the dowry from the wife, when one of you has already gone unto the other by intimate union. and you have taken a strong and firm covenant by marriage).

IV, 34 : Men are the maintainers of women. They protect women's interests and look after their affairs, because Allah had made some of them to excel others, and because they expend out of their property. Men excel women in constitution and attributes, while women excel men in beauty and delicacy of structure.

Good wives should be obedient, guarding the husband's rights as Allah enjoins them to be guarded even when the husband is absent. And as to women whom you fear all-conduct, disobedence and they are heedless to their husbands. admonish them. If they persist on their disoyality, refuse to share their beds and beat them lightly. But if they return to obedience, do do not seek a way against them, nor take any means of annoyance towards them. Most surely Allah is Most High, Great.)

IV, 35 : (If you fear a breach between the husband and wife, send an arbiter out of his family, and an arbiter out of her family. If they both desire amendment. Allah will effect harmony and agreement between them; verily Allah is ever Knower Aware).

When a breach occurs between the husband and wife, two arbiters on both sides should be appointed with the object of effecting a reconciliation. It is only when the arbiters fail to bring about a reconciliation that a divorce is

Those who have to divide an estate should ponder over their dispositions : how would they be if they had left a helpless family behind. They should be kind and benevolent. In this concern Allah says : in verse 9 what means :

(Let the guardians — who dispose of an estate - have the same fear in their minds as they would have for their own if they had left a helpless family behind. Let them fear Allah's Chastisement.

They should be careful of their duty to Allah and guard against evil — They must speak justly to the children and be solicitous to them).

Allah says in verse 10 relating this subject what means : (Verily, the guardians who wronged the orphans violated their property and devoured their property and possessions unjustly, surely they only devour fire into their bellies, and shall broil in burning fire.)

4 — This Surah refers to Law of inheritance. Allah says in verses 11 and 12 what means

IV, 11 : (Allah enjoins you concerning your children's inheritance : the male shall have the equal of the portion of two fenales ; but if they be of females only ( daughters), two or more, their share is two thirds (2/3) of the inheritance. If only one, her share is a half (½). As regards parents, a sixth share (1/6) of the inheritance to each, if the deceased has left children ; but if he has no child, and the parents are the only heirs, the mother has a third (1/3) If the deceased left brothers (or sishters) the mother hasa sixth (1/6). The distribution of the inheritance in all cases is after the payment of a bequest the deceased may have bequeathed or a debt. You do not know whether your parents or your children be of greater benefit unto you. This is an ordinance from Allah. Verily, Allah is All-Knowing, All-wise).

IV, 12 : (And you shall have half (½) of what your wives leave if they have no issue. But if they leave a child you get a fourth (¼), after payment of legacies and debts. And to the wives belongs the fourth of that which you leave if you have no child, but if you have a child they get an eighth ($^1/_8$) of that of which you leave, after payment of legacies you cay have bequeathed or debts. If the man or woman leaves no property to be inherited by neither parents nor offspring, and he (or she) has a brother or a sister on the north's side, each one of the two gets a sixth. But if they are more than two, they shall be shares in the third (1/3), after payment of any bequest that may have been bequeathed or a debt that does not harm others. This is an ordinance from Allah. And Allah is All Knowing, Most Forbearing.)

A woman who fears the possibility of a second marriage on the part of her betrothed can make provisions against its unpleasant effects before she is married.

Polygamy is but a specific remedy in Islam to meet the need. But women has not been left without her own choice in the matter. Islam does sot inforce polygamy. It enjoins the marrying of one woman where no disabilities stand in the way. Thus, monogamy is the general rule, and polygamy is a provision for urgent emergencies. The verse 2 refers to the duties of guardians towards their orphan wards. In this concern, Allah says what means : (O Guardians) ! "Restore the orphans substance when they reach their age. And do not render in exchange your worthless things for their good ones, and do not devour their property by adding it to your own, for this is indeed a great sin)

Justice to orphans is enjoined. The guardian must not postpone restoring all his ward's property when the time comes to deliver the property. The substance restored must be of equal value to the property received.

A dowry should be given to every woman taken in marriage, whether she is a free woman, an orphan girl, or a captive. So every woman begins her married life as the owner of some property, and thus marriage is the means of raising her status. Allah says in verse 4 what means :

(And give the women on marriage their dowries as a fiee gift, but if they voluntarily remit unto you any part, of it with satisfaction and good cheer.)

According to Razi puberty is attained at eighteen years which is therefore the limit of minority, but if at that age maturity of intellect is not attained, the limit may be extended. In this topic, Allah says what means (verse 6) :

(O Guardian ! ) "Test the orphans until they reach their age. Give them a small part of their property before the expiration of the age of marriage — and watch their dispositions — if you perceive that they are able to manage well their affairs, and find them of sound judgment, deliver over unto them their property. And do not consume it extravagantly and hastily until they grow up and attain their age. Whosoever of the guardians is rich, let him abstain generously, but whosoever is poor, let him take a just and reasonable remuneration for his guardianship. When you make over to them their property, call witness in their presence. And Allah is All-Sufficient in Reckoning — and recompense.

# THE SIGNIFICANCE OF THE EXEGESIS OF SURAH 'AL-NISA-A'

*By*

**Dr. Mohammed Abdel Monem El-Gammal**

This chapter contains 176 verses. It was revealed after Surah Al-Mumtahina (or the Examined One) at Medina. It can be summed up as follows :

1 - This surah is named "The Women" because it deals chiefly with the rights of women.

2 - It deals particularly with the circumstances arising out of the battle of Ohud, that is a large number of Muslims killed and the desertion of the hypocrites and the final rupture with the Jews.

3 - It refers ot the rights of orphans and the implications of family relationship, including an equitable distribution of property after death. The decencies of family life should be enforced, women should be held in honour, and their rights recognised in marriage, property and inheritance.

The verse 3 speaks of monogamy as it is the general rule : Allah says what means :

(If you fear that you shall not be able to act justly with the (female orphans), then marry women who seem good to you, two or three or four, but if you fear that you will not be able to deal equitably towards them, then marry only one or what your right hands possess (of captives). This more proper — that you may not deviate from the right course — and it would prevent you from doing injustica).

After the battle of Uhud, the Muslim community was left with many orphans and widows and some captives of war. Their treatment was to be governed by principles of the greatest humanity and equity. Marry the orphans if you are quite sure that you will protect their interests. If you could not do justice to the orphans, you might marry the widows whose children would thus become like your own children, and if the nu mber of women was much greater than the number of men, you are permitted to marry even two or three of four women.

— "The best form of worship is the pursuit of knowledge."

— "Seek for knowledge and wisdom, for whatever the vesel from which it flows, you'll never be the loser".

— "Scholars should endeavour to spread knowledge and provide education to people who have been deprived of it. For where knowledge is hidden it disappears".

— "God has revealed to me : whoever walks in the pursuit of knowledge I facilitate for him the way to learn''.

— "Increase in knowledge is even supperior to increase in worship".

(Sunan of Ibn Maja)

In pondering over these traditions of the Prophet, one has to remember that in the eyes of his contemporary Muslims and the generations that followed immediately, he had an extraordinary standing.

The Holy Quran attaches one condition on this gift of God, that knowledge is certainly one of God's great blessings so it should be come a source of happiness and guidance for humanity, by using it under the inspiration of goodness, wisdom and compassion. Otherwise all the marvels of the human knowledge, such as we see in contemporary technological development, will not help him to win peace and salvation.

it is incumbent on every human being to make full use of his (or her) intellectual capacities in order to understand the world in which he, (or she) is living, to appreciate the significance of his relationship with his fellow men and realise the power and glory of Allah through the study of nature, which is the creation of God.

It is necessary for man to travel about the world in order to get the right perspective on the history of Past and to learn the sobering and heartning lessons that it teaches for the future. But it can only achieve its purpose where he does so, not like the casual modern tourist who sees everything casually, but as one who has his ears and eyes opened and his mind trained to observe and reflect. The Holy Quran says :

« وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا » . ( ص : ٢٨ ) .

It means : "We have not created the heaven and the earth and all that is between them in vain (but for a purpose)" (38 : 27). It is a well known fact of early Islamic History that the prophet not only encouraged the Arabs to learn, to read and write but also stimulated their intellectual curiosity and their desire to acquire knowledge so considerably that within a comparatively short period, they assumed intellectual leadership in their contemporary world. It is reported that in the educated captive who undertook early battles in Islamic History any to teach literacy to the Arabs, was automatically released. As to their advance in knowledge and contribution to it, fairly adequate accounts exist both by Muslim and non - Muslim writers and the story need not to be told in any detail. For instance, it is now widely recognised that the literary and philosophical treasures of Greece which had been practically lost to the western world were preserved through their translation into Arabic by enterprizing Muslim scholars who were enjoined :

« اطلبوا العلم ولو بالصين » .

(seek knowledge even though it be in China).

A few traditions of the Prophet which put the point more emphatically and give direct impulse to acquire knowledge, are worth quoting :

— "Worship without knowledge has no goodness in it, and knowledge without understanding has no goodness in it, and the recitation of the Quran which is not thoughtful has no godness in it".

— "Thinking deep for one hour is better than seventy years of worship (without understanding and sincerity).

outstrips his immediate understanding, and leads him ever to strive for newer and newer meaning.

The fourth verse produced a miraculous harmony of the words 'read', 'teach' and 'pen'. This implies reading, writing, teaching, study, research, and recording etc. The knowledge includes self-knowledge, spiritual understanding and natural sciences. The fifth verse signifies that God teaches man new knowledge at every given moment; individuals learn more and more day by day; nations and humanity at large learn fresh knowledge at every stage.

The comprehensive meaning of Iqra refers not only to a particular person and occasion but also gives a universal direction. This kind of comprehensive meaning as we have seen, runs through the Quran. Another very early Meccan revelation, Sura Al-Qalam or the Pen starts :

« ن والقلم وما يسطرون » .

which means : 'Nun' and by the pen and that which they write (therewith). The pen and the record are the symbolical foundations of the revelation to man. The messenger of God spoke words of power full of meaning through the record of the pen, that meaning unfolds itself, in innumerable aspects to countlees generations. These Quranic verses also declare that all our knowledge and capacities come as gifts from God. So a man should use his knowledge, talents, for the benefit of mankind in general.

The gratitude to God for the gift of hearing and eyesight is to use them for observation and acquring knowledge, and for the gift of the heart and the mind it is to try to increase in undestanding, in interpreting natural, social and moral phenomena and in wisdom. Refusal to use them or abusing them is the rankest in gratitude. The pursuit of knowledge and the use of reason, based on sense observation is thus made obligatory on every Muslim man and woman, as laid down in the following tradition :

طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة

"The acquisition of knowledge is compulsory for every Muslim man and every Muslim woman."

The Holy Quran says :

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » . ( النحل : ٧٨ ) .

It means : "And Allah has brought you forth from your mother's wombs knowing nothing and He gave you ears and eyes and hearts so that you may show your gratitude to Him (16:78). In the Arabic language the word (Shukr) 'showing gratitude' implies the use of a gift for the purpose for which it is intended. The Quran has repeated in a variety of ways that

# MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

| SAFAR 1396 | ENGLISH SECTION | FEBRUARY 197 6 |
|---|---|---|

## THE ACQUISITION OF KNOWLEDGE IS OBLIGATORY ON EVERY MUSLIM

*By*
**Dr. Mohiaddin Alwaye**

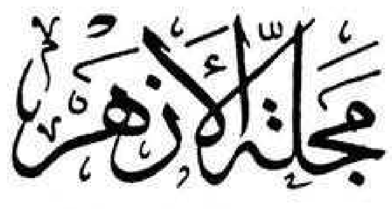
There are many verses of the Holy Quran and the Traditions of the Prophet which made the acquisition of knowldge compulsory for every Muslim. It is a well-known fact that the first revelation of the Ho.y Quran contained five verses of the sura "Iqra or Alaq" :

« اقرا باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرا وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

Which means : "Read or recite (or proclaim) in the name of your Cherisher Who created. Created man out of a clot (of congealed blood). Read (or proclaim) ! And your Cherisher is Most Bountious. He Who taught by the pen. Taught man that which he know not". (96 : 1-5).

These verses explain the importance of kowledge in the mission of the Prophet Muhammad. This Sura starts with the 'word Iqra' which may mean read, recite, rehearse, and proclaim. The declaration or proclamation was to be in the name of God, the Creator. God is mentioned as "thy Lord and Cherisher" to establish that the messenger was in direct contact with God Who sent him, and he represented the whole of humanity.

The second and third verses indicate that the lowly origin of the animal in man is contrasted with the high destiny offered to him in his intellectual, moral, and spiritual nature by his Creator, Who is 'Most Bountiful Cherisher'. No knowledge is withheld from man, on the contrary, through the faculties freely given to him, he acquires it in such measures as



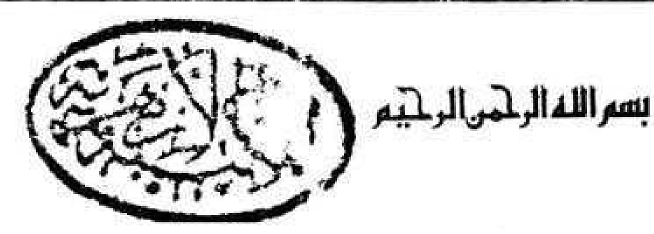

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
بدل الاشتراك
٥٠ فى جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
والمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثالث — السنة الثامنة والأربعون — ربيع الأول ١٣٩٦ هـ — مارس ١٩٧٦ م




# ذكرى مولد النبى

"صلى الله عليه وسلم"

للأستاذ عبد الرحيم فوده

لم يكن مولده — صلى الله عليه وسلم — فى شهر ربيع الأول هو مبدأ أمره فى الوجود وذكره فى الناس، بل كان أمره مسطورا فيما أنزل على الأنبياء قبله مذكورا بما يرفع قدره . ويثير التطلع اليه . والشوق الى مطلع صبحه . ومشرق شمسه . ونور هداه .

وليس هذا كلاما منتزعا من خيال بل هو ماكان يجده أهل الكتاب فى التوراة والانجيل كما يقول الله : « ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم

اصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

وقد سئل ــ صلى الله عليه وسلم ماكان أول بدء أمرك فقال : دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى عيسى بى ، ورأت أمى أنه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام .

أما أنه دعوة ابراهيم فذلك مانطالعه فى القرآن الكريم ، حيث يقول الله فيه : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم» .

وأما أنه بشرى عيسى عليه السلام فذلك ما يفهم من قوله تعالى : « واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فانه لم يبعث بعده رسول ، تجمع فيه ما تفرق فى غيره من المحامد . وكان المثل الأعلى فى كل ما عرف الناس من مكارم الأخلاق غير محمد ...

وقد وقع فى الوجود ما رأته أمه فى المنام قبل وضعه . فكان عليه السلام كما يقول الله فيه : «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » وكما يقول فيه : « ياأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونديرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » . وقد انطلق نوره حتى أشرق فوق ربوع الشام ونفذ الى كل اتجاه . ولا يزال وسيظل يزحف خلف ظلام الجهالة . والضلالة والكفر « ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حى عن بينة » لأنه نور الله ، ولأنه الرسول الذى بعث به خاتم النبيين ، ولأن الكتاب الذى أنزل عليه حجة الله القائمة الدائمة على الناس حتى تقوم الساعة ،وقد مضى صلى الله عليه وسلم الى لقاء ربه ، وبقى الكتاب

الذى أنزل عليه « يهدى للتى هى أقوم » وبقيت سنته من قول وفعل • وتقرير ، تضىء للمؤمنين طريق الحق والخير والحياة الطيبة ، فليحرص المسلمون عليها ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنة رسوله » وقال تعالى فى توجيه المسلمين اليهما : «وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » •

وقد اقترن مولده عليه السلام بدلائل كثيرة تبشر بالأمن واليمن والخير والحياة الكريمة العظيمة ، وتحقق للعرب والمسلمين ذلك فى عهده ومن بعده ، اذكانوا بين قوتين عظيمتين تتنازعان السيادة عليهم وعلى العالم ، وكانوا فيما بينهم قبائل يقتل بعضهم بعضا • ويتربص بعضهم ببعض حتى خف شأنهم ووزنهم أمام أعدائهم المحيطين بهم ، وبلغ بهم الحال أن تعرض حرمهم الآمن الى امتهان أبرهة الحبشى الأشرم • فتقدم بجيش كثيف ليهدم البيت الحرام،ويصرف أنظار الحجيج عنه الى الكنيسة التى بناها بصنعاء ، ثم كان ماشاء الله أن يكون ، فصان بيته وحماه وأرسل على المغيرين « طيرا أبابيل • ترميهم بحجارة من سجيل • فجعلهم كعصف مأكول » ، وكان ذلك فى عام مولده صلى الله عليه وسلم بشارة سارة بماآل اليه أمر البيت • وأمر محمد • وأمر العرب وأمر الأسلام ، فقد صار البيت كما يقول الله : «واذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ، وكما يقول:« ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره» ، وكما يقول :«ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وصار أمر محمد الى مايفهم من قول الله فيه : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وقوله : « ألم نشرح لك صدرك • ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك » وقوله : « انا فتحنا لك فتحا مبينا • ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما • وينصرك الله نصرا عزيزا » •

أما العرب فصاروا بالاسلام الى القمة التى لم تصل اليها أمة ، وصارت اليهم مقادة العالم فى كل شىء كان يعرفه العالم ، ثم كانت حضارتهم هى المنارة التى أضاءت لأوروبا طريق الخلاص من ظلام العصور الوسطى ، وكل ما وصلوا اليه من تقدم فى الحضارة والعمارة والعلوم والآداب كان التفسير الكبير لقول الله فيهم وفى الرسول الذى بعث منهم اليهم والى الناس كافة : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

ومن ثم كان الاحتفال بمولده تقليدا حميدا يصلنا بسيرته العطرة . وأخلاقه الكريمة وشريعته السمحة . ويثير فى نفوس المؤمنين الشعور بالأمل والاستبشار بالخير مهما تكن قسوة الظروف ووطأة الأحداث ،

« ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

عبد الرحيم فودة

**فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحيم فودة**

**مدير مجلة الازهر**

# في ذمة الله

كان كعادته كل يوم فى أى مجلس يتحدث فيه ، أو يجلس اليه •

الابتسامة لرائقة التى يتألق بها وجهه •

والكلمة الصادقة التى ينتفض لها قلبه •

والطرفة الجميلة التى تشيع السرور والبهجة فيمن حوله •• هكذا كان الشيخ عبد الرحيم فودة ، وهكذا تعودنا منه كلما جمعنا لقاء فى « ادارة المجلة » ، أو فى تلك « الندوة » التى كان يتصدرها كل يوم قريبا من الادارة العامة •

كان رحمه الله سمحا لا يعرف الكراهية ، شجاعا لا يخاف من مواجهة ••• أو يهرب من معركة ، أو يفعل مايفعل الكثيرون حين يتأولون شبه الباطل بطمس الحق • ! أو يتأولون واقع الفساد لينعموا بالراحة والهدوء والدفء ••• ! وحين كنا نختلف معه حول مقال من المقالات المقدمة الى المجلة أو فى رأى من الآراء التى تثير الجدل والنقاش فى الأمور العامة •

كان – رحمه الله – يرجع عن رأيه اذا تبين له وجه الحق ولا يخجل أن يقول للجالسين معه • انهم تلاميذى ولا يعيبنى أن أرجع الى رأيهم اذا اقتنعت •

وقبل أن يرحل الى الله بيوم واحد •• بل قبل خمس عشرة ساعة من وفاته بالضبط •• استأذنا من الشيخ عبد الرحيم للصلاة فى مسجد الامام الحسين ، ورجوناه الانتظار حتى نعود لنتابع سويا تلك الرحلة التى تعودناها كل يوم • بدءا من الجامع الأزهر ومرورا بمسجد الشيخ الدرديرى ، وعبورا لشارعى الغورية والمغربلين حيث كان الشيخ رحمه الله يحن الى تلك الأماكن التى عاش فيها طالبا ،

وشب فيها مجاهدا ، وكانت آخر مارآه في القاهرة قبل أن يغادر دنياه مودعا •

ولكننا رجعنا لنراه قد رحل • لم نكن نعلم أنه اللقاء الأخير بين الأستاذ وتلامذته بيننا وبين الرجل الذى قضى عمره ببراءة الصديقين وثورة المخلصين •

فعلى باب ادارة الأزهر ـ الذى عاش ومات في سبيل دعوته ورسالته ـ كانت هناك ورقة تقول انه قد مات •

انطفأ السراج الذى طالما أضاء بعلمه ونوره قلوب الكثيرين من الناس ، وكما يقول صديقه ورفيق عمره الأستاذ جلال الدين الحمامصى في جريدة الأخبار :

كانت حياته كلها صراعا وكفاحا من أجل الحق وكم عانى من بعض اخوانه وأصدقائه في سبيل ذلك ولكنه غفر لهم وأحب منهم من كان في جانب الحق • وأبعد نفسه عن الذين كانوا يريدون مظهر الحياة لا جوهرها •

وهكذا كان الشيخ عبد الرحيم فودة رجل الدين • ورجل الحق • ورجل الشجاعة • ورجل الوطنية الحقة •

وقد ذهب الشيخ فودة الى لقاء ربه تاركا وراءه صفحات من تاريخ يعرفه كل الذين عاشوا معه عن قرب وقد آن الأوان كى يعرفه الذين قرأوا له في الصحف والمجلات والكتب أو استمعوا له في أحاديثه الاذاعية والتلفزيونية • آن لهؤلاء أن يعرفوا أن هذا الرجل كان من النوع الفريد الذى اذا ذهب •• لانجد من يعوضه •

وفى الصفحة الدينية من جريدة الأخبار • كتب الأستاذ عبد الوارث الدسوقى يقول :

يرحمك الله ياشيخ عبد الرحيم •• لقد أسعدتنا حتى بعد وفاتك ، ونحن في غمرة الحزن على فراقك • فقد رأينا بناتك حول سريرك تنهمر من عيونهن الدموع والمصاحف على صدورهن يرتلن القرآن • لا صارخات ولا نادبات ، وانما صابرات ومحتسبات • لقد ألقين على الناس درسا بليغا وعظيما حين وقفن من وراء حجاب ، وقد أخذ موكب المشيعين يتجه بك الى مثواك الأخير وهن يقلن : لا اله الا الله وحده لا شريك له • له الملك وله الحمد • يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير •

كنا نفكر فى بناتك مشفقين . ولكنهن كن كنقطة الضوء تسكب فى جوف الظلمة ... لقد فوجئنا بهن يقدمن لنا العزاء فيك فتضطرب منا الأحاسيس والمشاعر حزنا عليك ، وفرحا بك من خلال بناتك اللاتى ربيتهن وعلمتهن فأحسنت وأحسنت ..

ماذا بقى بعد ذلك عن الشيخ عبد الرحيم ؟

لقد كان دائما فى أيامه الأخيرة يضرع الى الله ويقول :

اللهم لا تقبضنى اليك الا وأنت راض عنى ، ولا تقبضنى اليك الا وأنا فى أحسن أحوالى للقائك .

وما أوسع رحمة الله لمؤمن يتوجه اليه بهذا الدعاء .

لقد مات الشيخ والمصحف بين يديه . كان القرآن رفيقه فى رحلة الخلود الذى انتهى اليه ..

وانا لله وانا اليه راجعون ...

« أسرة تحرير المجلة »

# من أوصاف الرسول

## صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود

هذه مجموعة من النصوص والأبحاث ، تنتهى باعطاء صورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجانب الجسمانى والروحى .

روى الامام أحمد — بسنده — عن أبى أمامة ، قال :

قلت : يارسول الله ، ماكان أول بدء أمرك ؟

قال : دعوة أبى ابراهيم ، وبشر عيسى بى ، ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت به قصور الشام .

يفسر ذلك قول الله سبحانه وتعالى فيما ذكر عن ابراهيم — عليه السلام — فى سورة البقرة ، الآية : ١٢٩

« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » .

وقوله سبحانه :

« واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » سورة الصف الآية : (٦) .

وعن أبى موسى الأشعرى — فيما رواه البيهقى — قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم — يسمى لنا نفسه أسماء ، فقال : أنا أحمد ، ومحمد ، والحاشر والمقفى ، ونبى التوبة والملحمة » .

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : « لى أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمه ،

وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد » رواه البخارى فى الصحيح عن أبى اليمان ، ورواه مسلم عن عبد ابن حميد عن أبى اليمان ، وأخرجه مسلم من حديث ابن عيينة وعقيل عن الزهرى والبخارى من حديث مالك ابن أنس عن الزهرى .

**وعن البراء – رضى الله عنه – قال :**

« كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطول الذاهب ، ولا بالقصير » أخرجاه فى الصحيح .

**وقال البراء بن عازب :**

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا ، بعيد مابين المنكبين ، يبلغ شعره شحمة أذنيه ، عليه حلة حمراء ، مارأيت شيئا أحسن منه » .

رواه البخارى فى الصحيح عن أبى عمر حفص بن عمر ، وأخرجه مسلم من حديث غندر عن شعبة .

**ويقول :**

« كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مربوعا ، بعيد مابين المنكبين ، أعظم الناس ، وأحسن الناس ، جمته الى أذنية ، عليه حلة حمراء ، ما رأيت شيئا قط أحسن منه » أخرجه فى الصحيح من حديث شعبة

أما كلامه فهو فصل لافضول ولا تقصير ، وكان صلى الله عليه وسلم دمثا : ليس بالجافى ولاالمهين ، يعظم النعمة وأن دقت ، لايذم منها شيئا :

وعن أبى هريرة قال :

« مارأيت شيئا أحسن من النبى صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه ، ومارأيت أحدا أسرع فى مشيه منه ، كأن الأرض تطوى له ، انا لنجتهد وانه غير مكترث .

**عجلت لهم طيباتهم :**

عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب قال : « فجلست فى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فرفعت رأسى فى البيت ، فوالله مارأيت فيه شيئا يرد البصر الا أهب ثلاثة فقلت : أدع الله يارسول الله أن يوسع على أمتك ، فقد وسع على فارس والروم وهم لايعبدون الله . فاستوى فقال : أفى شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا ، فقلت : « أستغفر الله يارسول الله » .

**لم يكن فاحشا :**

عن عبد الله بن عمر يقول : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم

يكن فاحشا ، وانه كان يقول : «ان خياركم أحسنكم أخلاقا » رواه مسلم فى الصحيح .

**لا يجابه :**

عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مابال أقوام يقولون كذا ، فكان لا يسميهم بأسمائهم حتى لا يسبب لهم حرجا .

**من وصف أبى هريرة له :**

عن أبى هريرة قال: «ماعاب رسول الله صلى عليه وسلم طعاما قط ، ان اشتهاه أكله ، والا تركه » ( أخرجه البخارى فى الصحيح من حديث سفيان الثورى وشعبة وأخرجه البخارى ومسلم من حديث الثورى)

**يبتسم :**

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته ، انما كان يبتسم .

**رحيم بالاطفال :**

عن أنس بن مالك قال : « مارأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن أنس بن مالك قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع صبى » .

**لم يكن فاحشا :**

روى الترمذى بسنده عن عائشة رضى الله عنها : انها قالت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يكن فاحشا ولا متفحشا ، ولا صخابا فى الأسواق ، ولا يجزى السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ، أو قال يعفو ويغفر » - شك أبو داود - ورواه الترمذى من حديث شعبة وقال : حسن صحيح

وعن مسروق عن عبدالله بن عمر قال : « لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا . وكان يقول : ان خياركم أحسنكم أخلاقا»

ورواه مسلم من حديث الأعمش

**انس ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم :**

عن أنس قال : « كان الرسول صلى الله عليه وسلم من أجمل الناس ومن أجود الناس ومن أشجع الناس » رواه البخارى فى الصحيح عن سليمان بن حرب ، ورواه مسلم عن سعيد بن منصور .

وقال : « لم يكن رسول اللهصلى الله عليه وسلم سبابا ولا فحاشا ولا لعانا ، كان يقول لأحدنا عند المعتبة ماله تربت جبينه » رواه البخارى فى الصحيح عن محمد بن سنان .

**ينتصر للحق :**

لا تغضبه الدنيا وما كان لها : فاذا تعوطى الحق ، لم يعرفه أحد ، ولم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها » .

**ابلغونى حاجة الضعفاء :**

قال : وبلغونى حاجة من لايستطيع ابلاغى حاجته ، فانه من أبلغ سلطانا حاجة من لايستطيع ابلاغها اياه ـ ثبت الله قدميه يوم القيامة .

**عمله ديمة :**

عن علقمة قال : سألت عائشة رضى الله عنها : كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هل كان يخص شيئا من الأيام ؟ قالت : « لا كان عمله ديمة . وأيكم يستطيع ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع ؟ » رواه مسلم فى الصحيح .

**ويقول صاحب دلائل النبوة :**

وجمع له صلى الله عليه وسلم الحلم والصبر فكان لا يغضبه شىء ولا يستفزه وجمع له الحذر فىأربع أخذه بالحسنى ـ قالسعيد والعلوى بالحسنى ليقتدى به ، وتركه القبيح لينتهى عنه ، وفى رواية العلوى ليتناهى عنه واجتهاده ، الرأى فيما أصلح أمته ، والقيام فيما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة ، صلى الله عليه وسلم .

**قال ابن اسحاق ، كان يسمى ، الأمين .** بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة »

**الدكتور عبد الحليم محمود**
شيخ الأزهر

# مولد النور ...

للعلامة الأستاذ أبو الحسن الندوى

طلعت جبل النور ووقفت على غار حراء وقلت لنفسى ، هنا أكرم الله بالرسالة محمدا صلى الله عليه وسلم ونزل عليه الوحى الأول ، فمن هنا طلعت الشمس التى أفاضت على العالم نورا جديدا وحياة جديدة ، ان العالم ليستقبل كل يوم صباحا جديدا لاجد فيه ولا طرافة ، ولا خير فيه ولا سعادة وما أكثرما استقبل العالم صباحا استيقظ فيه الانسان ولم تستيقظ فيه الانسانية ، واستيقظت فيه الأجسام ولم تستيقظ فيه القلوب والأرواح ، وما أكثر النهار المظلم والكاذب فى تاريخ العالم ولكن من هنا طلع الصبح الصادق الذى أشرق نوره على كل شىء واستيقظ فيه الكون وتغير مجرى التاريخ •

لقد كانت الحياة كلها أقفالا معقدة وأبوابا مقفلة كان العقل أميا أعيا فتحه الحكماء والفلاسفة، كان الضمير مقفلا أعيا فتحه الوعاظ والمرشدين، كانت القلوب مقفلة أعيا فتحها الحوادث والآيات، كانت المواهب مقفلة أعيا فتحها التعليم والتربية والمجتمع والبيئة ، كانت المدرسة مقفلة أعيا فتحها العلماء والمعلمين، كانت المحكمة مقفلة أعيا فتحها المتظلمين والمتحاكمين، كانت الأسرة مقفلة أعيا فتحها المصلحين والمفكرين ، كان قصر الأمارة مقفلا أعيا فتحه الشعب المظلوم والفلاح المجهود والعامل المنهوك ، وكانت كنوز الأغنياء والأمراء مقفلة أعيا فتحها جوع الفقراء وعرى النساء وعويل الرضعاء ، لقد حاول المصلحون الكبار والمتشرعون العظام فتح قفل من هذه الأقفال ففشلوا وأخفقوا ، فان القفل لا يفتح بغير مفتاحه وقدضيعوا المفتاح من قرون كثيرة وجربوا مفاتيح من صناعتهم ومعادنهم فاذا هى لا توافق الأقفال

واذا هي لا تغني عنهم شيئا وحاول بعضهم كسر هذه الأقفـال فجرحوا أيديهم وكسروا آلتهم .

ففي هذا المكان المتواضع ، المنقطع عن العـالم الممتد ، على جبـل ليس بمخصب ولا بشامخ تم ما لم يتم في عواصم العالم الكبيرة ومدراسه الفخمة ومكتباته الضـخمة هنـا من الله على العـالم برسالة محمد صلى الله عليـه وسلم وفي رسـالته عاد هـذا المفتاح المفقود الى الانسانية ، ذلك المفتـاح هو ( الايمـان بالله والرسـل واليوم الآخر ) ففتح به هذه الأقفال المعقدة قفـلا قفـلا ، وفتح به هذه الأبواب المقفلة بابا بابا وضع هذا المفتاح النبوى على العقـل الملتـوى ففتـح ونشـط واسـتطاع أن ينتفـع بآيات الله في الآفاق والأنفس ويتوصـل من العالم الى فاطره ومن الكثرة الى الوحدة ، ويعـرف شـناعة الشرك والوثنيـة والخرافات والأوهام وكان قبل ذلك محاميا مأجورا يدافع عن كل قضـية حقا وباطلا ، وضع هذا المفتاح على الضمير الانسـاني النـائم فانتبه وعلى الشعور الميت فانتعش وعاش وتحولت النفس الأمارة بالسوء مطمئنة لا تسيغ الباطل ولا تتحمل الاثم حتى يعترف الجاني أمام الرسول بجريمته ويلح في العقاب الأليم الشديد ، وترجع المرأة المذنبة الى البادية حيث لا رقابة عليها ثم تحضر نفسها للعقوبة التي هي أشـد من القتل ، ويحمل الجنـدى الفقير تاج كسرى ويخفيه في لباسه ليستر صلاحه وأمانته عن أعين الناس ويدفعه الى الأمير لأنه مال الله الذي لا تجوز الخيـانة فيـه . كانت القلوب مقفلة لا تعتبر ولا تزدجر ولا تلين فأصبحت خاشعة واعية تعتبر بالحوادث وتنتفع بالآيات وترق للمظلوم وتحنـو على الضعيف ، وضـع هـذا المفتاح على القـوى المخنوقة والمواهب الضـائعة فاشتعلت كاللهيب وتدفقت كالسـيل واتجهت الاتجـاه الصـحيح ، فكان راعي الابل راعي الأمم وخليفة يحكم العـالم وأصبح « فارس قبيلة وبلد » قاهر الدول وفاتح الشعوب العريقـة في القوة والمجد . وضع المفتاح على المدرسة المقفلة وقد هجرها المعلمون وزهد فيهـا المتعلمون وسقطت قيمـة العلم وهان المعلم فـذكر من شرف العلم وفضـل العالم والمتعلم والعربي والمعـلم ، وقرن الدين بالعـلم حتى كانت له دولة وأصبح كل مسجد وكل بيت من بيوت المسلمين مدرسة وأصبح كل مسلم متعلما لنفسه معلما

لغـيره ووجـد أكبر دافع الى طلب العلم وهو الدين • وضعه على المحكمة المقفلة فأصبح المسلمون قوامين بالله شهداء بالقسط ووجد الايمان بالله وبيوم الدين فكثر العدل وقل الجدل ، وفقدت شهادة الزور والحكم بالجور ، وضعه على الأسرة المقفلة وقد فشا فيها التطفيف بين الوالد وولده • والأخ واخوته ، والرجل وزوجه وتعدى من الأسرة الى المجتمع فظهر بين السيد وخادمه والرئيس والمرؤوس والكبير والصغير، كل يريد أن يأخذ ماله ولا يدفع ما عليه، وأصبحوا مطففين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، فغرس فى الأسرة الايمان وحذرها من عقاب الله وقرأ عليها قول الله : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » وقسم المسؤلية على الأسرة والمجتمع كله فقال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»،وهكذا أوجد أسرة عادلة متحابة مستقيمة ومجتمعا عادلا ، وأوجد فى أعضائه شعورا عميقا بالأمانة وخوفا شديدا من الآخرة حتى تورع الأمراء وولاة الأمور وتقشفوا وأصبح سيد القوم خادمهم ووالى الأمة كولى اليتيم ان استغنى استعف وان افتقر أكل بالمعروف وأقبل على الأغنياء والتجار فزهدهم فى الدنيا ورغبهم فى الآخرة وأضاف الأموال الى الله فقرأ : « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » وقرأ : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » وحذرهم من اكتناز وادخال الأموال وعدم الانفاق فى سبيل الله ، فقرأ عليهم : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم • يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » •

أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته ودعوته الفرد الصالح المؤمن بالله الخائف من عقاب الله الخاشع الأمين المؤثر للآخرة على الدنيا المستهين بالمادة المتغلب عليها بايمانه وقوته الروحية يؤمن بأن الدنيا خلقت له وأنه خلق للآخرة فاذا كان هذا الفرد تاجرا فهو التاجر الصدوق الأمين واذا كان فقيرا فهو

الرجل الشريف الكادح ، واذا كان عاملا فهو العامل المجتهد الناصـح ، واذا كان غنيـا فهـو الغنى السخى المواسى ، واذا كان قاضيا فهو القاضى العادل الفهم ، واذا كان واليا فهـو الـوالى المخلص الأ مين ، واذا كان سـيدا رئيسـا فهو الرئيس المتواضع الرحيم واذا كان خادما فهو الرجل القوى الأمين، واذا كان أمينا للأموال العامة فهـو الخازن الحفيظ العليم ،

وعلى هذه اللبنات قام المجتمع الاسلامى وتأسست الحـكومة الاســلامية فى دورها ، ولم يكن المجتمع والحكومة بطبيعـة الحـال الا صـــورة مكبرة لأخـلاق الأفراد ونفسـيتهم ، فكان المجتمع مجتمعا صـالحا أمينـا مؤثرا للآخرة على الدنيـا متغلبا على المـادة غير محكوم لها ، انتقل اليه صـدق التاجر وأمانته وتعفف الفقير وكدحه، واجتهاد العـامل ونصحه ، وسخاوة الغنى ومواسـاته ، وعـدل القـاضى وحكمته ، واخلاص الوالى وأمانته ، وتواضـع الرئيس ورحمتـه ، وقوة الخـادم وحراسـة الخازن ، وكانت هذه الحكومة حكومة راشدة مؤثرة للمبادىء على المنافـع ، والهداية على الجباية ، وبتأثير هذا المجتمع وبنفوذ هذه الحكومـة وجدت حياة عامـة ، كلها ايمان وعمـل صـالح وصـدق واخلاص وجد واجتهاد وعـدل فى الأخذ والعطاء وانصـاف النفس مـع الغير •

وقد ذهلت فى حديثى الى نفسى ، وتمثلت لى الجماعات الاسلامية الاولى بجمالهـا وتفاصيلهـا كأنى أشـــاهد وأتنفس فى جوها وانقطعت الصـلة بينى وبين العالم المعاصر •

وحانت منى التفاتة الى هذا العصر الذى نعيش فيه فقلت انى لأرى اقفالا جديدة على أبواب الحياة الانسانية وقد قطعت الحياة مراحل طويلـة وخطت خطوات واسعة وتعقدت الحياة والتوت وتطورت المسائل وتنوعت ، وتساءلت هل يمكن فتح هذه الأقفال الجديدة بذلك المفتاح العتيق ؟ وأبيت أن أحكم بشىء ، هل أختبر هذه الأقفال وأضع عليها المفتـاح ؟ ولمست هذه الأقفال بالبنان فاذا هى الأقفال القديمة بتلوين جديد ، واذا المشاكل نفس مشـاكل العصر القـديم واذا المشـكلة الكبرى وأساس الأزمة هو الفرد الذى لا يزال لبنة المجتمـع وأســاس الحكـومة ، ووجدت أن هذا الفرد قد أصبح اليوم لايؤمن الا بالمـــادة والقوة ولا يعنى

الابذاته وشهواته وأنه يبالغ فى تقدير هذه الحياة ويسرف فى عبادة الذات وارضاء الشهوات ، وقد انقطعت الصلة بينه وبين ربه ورسالة الأنبياء وعقيدة الآخرة فكان هذا الفرد هو مصدر شقاء هذه المدنية ، فاذا كان تاجرا فهو التاجر المحتكر النهم الذى يحجب السلع أيام رخصها ويبرزها عند غلائها ويسبب المجاعات والأزمات ، واذا كان فقيرا فهو الفقير الثائر الذى يريد أن يتغلب على جهود الآخرين بغير تعب ، واذا كان عاملا فهو العامل المطفف الذى يريد أن يأخذ ماله ولا يدفع ما عليه ، واذا كان غنيا فهو الغنى الشحيح القاسى الذى لا رحمة فيه ولا عطف ، واذا كان واليا فهو الوالى الغاش الناهب للأموال ، واذا كان سيدا فهو الرجل المستبد المستأثر الذى لا يرى الا الى فائدته وراحته ، واذا كان خادما ما فهو الضعيف الخائن واذا كان خازنا فهو السارق المختلس للأموال واذا كان حاكما أو مسئولا فهو المادى المستأثر الذى لايخدم الا نفسه وحزبه ولا يعرف غيره ، واذا كان زعيما أو قائدا فهو الوطنى أو الجنسى الذى يقدس وطنه ويعبد عنصره ويدوس كرامة البلاد الأخرى والشعوب الأخرى ، واذا كان مشرعا فهو الذى يسن القوانين الجائرة والضرائب الفادحة واذا كان مخترعا اخترع المدمرات والناسفات ، واذا كان مكتشفا اكتشف الغازات المبيدة للشعوب المخربة للبلاد والقنبلة الذرية تهلك الحرث والنسل ، واذا كان فيه قوة التطبيق والتنفيذ لم ير بأسا بالقاء هذه القنابل على الأمم والبلاد .

وبهؤلاء الأفراد تكون المجتمع وتأسست الحكومة فكان مجتمعا ماديا اجتمع فيه احتكار التاجر وثورة الفقير وتطفيف العامل وشح الغنى وغش الوالى واستبداد السيد وخيانة الخادم وسرقة الخازن ونفعية الوزراء ووطنية الزعماء واجحاف المشرع واسراف المخترع والمكتشف وقسوة المنفذ ، وبهذه النفسيات المادية تولدت أزمات كثيرة ومشاكل معقدة تشكو منها الانسانية بثها وحزنها ، كالسوق السوداء وفشو الرشوة والغلاء الفاحش واختفاء الأشياء والتضخم النقدى وأصبح المفكرون والمشرعون لايجدون حلا لهذه المشاكل وأصبحوا اذا خرجوا من أزمة واجهوا أزمة أخرى ، بل أن حلولهم القاصرة ومعالجتهم المؤقتة هى التى تسبب أزمات جديدة ، وتنقلوا من حكومة

شخصية الى ديمقراطية الى دكتاتورية ثم الى ديمقراطية ، ومن نظام رأسمالى الى نظام اشتراكى الى شـيوعى واذا الوضـع لا يتغير لأن الفرد الذى هو الأسـاس لم يتغـير ، ويجهلـون أو يتجاهلون فى كل ذلك أن الفرد هو الفاسد المعوج ، ولو عرفوا أن الفرد هو الأسـاس وأنه فاسد معوج لما استطاعوا اصلاحه وتقويمه لأنهم على كثرة مؤسساتهم العلمية ودور التعليم والتربية والنشر لايملكون مايصلحون بهالفرد ويقومون اعوجاجه ويحولون اتجاهه من الشر الى الخير ومن الهدم الى البنـاء لأنهم أفلسـوا فى الروح وتخلوا عن الايمان وفقـدوا كل ما يغذى القلب ويغرس الايمـان ويعيد الصلة بين العبد وربه وبين هذه الحياة والحياة الأخرى وبين المـادة والروح وبين العلم والأخلاق ، وفى الأخير أدى بهم أفلاسهم الروحى وماديتهم العمياء واسـتكبارهم الى استعمال آخر ماعندهم من آلات التدمير التى تبيد شعبا بأسره وتخرب قطـرا بطـوله استهدفت الحضارة والحياة البشرية ـ اذا تبادلت الدول المتحـاربة استعمال هذه الآلات ـ للنهاية الأليمة .

أبو الحسن الندوى

دراسات قرآنية :

# البشير النذير والسراج المنير

للأستاذ مصطفى الطير

قال الله تعالى :

« . . . انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا »

الآيتان : ٤٥ ، ٤٦ من سورة الأحزاب

## البيان

كان الناس قبل مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، تموج بهم الفتن ، وتصطرخ فيهم النواب والمحن وتطحنهم رحى الحرب لأوهى الأسباب وأدنى العلل .

والعالم من شرقه الى غربه تحكمه أمتان عظمتان ـ الفرس والرومان ـ والناس بينهما كالكرة .

يتناوبها الفريقان اللاعبان ، واذا كانت الكرة لا يفوز أحد الفريقين بها الا بعد أن تشبع منهما ركلا وضربا ، فكذلك الأمم الضعيفة بين الدولتين ، لا تفوز بها احداهما ، الا بعد أن تثن منهما عنتا وقتلا ، وتسخيرا وتعذيبا .

واذا وضعت الحرب بينهما أوزارها الى حين ، فويل للأمم المستعبدة من حكامها القساة الغلاظ ، فأرضهم حق لسادتهم ، وزرعهم قوت لغاصبيهم ، ورجالهم عبيد لخدمتهم ، ونساؤهم وأطفالهم من جملة ممتلكاتهم ، والحكم فيهم لا يعرف غير شريعة الغاب وبطش الأسود ، أما العدل والرحمة فما لهما الى قلوبهم من سبيل .

وترى الناس مما يقاسون من غاصبيهم فى ليل ليس له نهار ، ونقمة لا تعرف النعمة ، وضيق ما له من فرج ، ارادتهم مقيدة ، وحركتهم الى الذل والصفاء ، لا الى العزة والكرامة ، والأديان السماوية وقتئذ كانت أداة الغصب والاحتكار ، فى أيد أولئك الجبارين الذين لا هم لهم الا مرضاة شهواتهم ، دون حساب لغضب خالق الأرض والسماء ، أو تراجع أمام وخز الضمير .

وترى معظم أهل الأرض يعبدون الأحجار ، ويعكفون على الأصنام ، وفيهم من يعبد الكواكب ومن يقدس النار ، وفيهم من يعبد الحيوان ، ومن يقدس الانسان ، الى غير أولئك من آلهة الزور وأرباب البهتان .

وترى الخمر أم الكبائر ، يدفنون فى نشوتها همومهم ، ويستمدون من سكرتها نخوتهم، وينبعثون من تزيينها الكاذب الى جرائمهم وعدوانهم .

وترى الأخلاق انحدرت بالناس الى الهاوية ، وهوت بهم الى أسفل سافلين ، فلا ترى فى مجتمعهم مكارم بارزة ، ولا فضائل مسيطرة ، « ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » اله كل امرىء منهم هواه ، ونيل شهوته غاية مناه .

### نجدة الله

لكن عين الله لا تنام ، ورحمته وسعت كل شىء ،فكما خلق عباده دبر مختلف أمورهم ، وكما ابتلاهم بالمحن ليعرفوه ، من عليهم بالنعم ليشكروه ، فاذا أطبقت عليهم الضراء والضيق ، دبر لهم من رحمته أسباب السراء والفرج ، وهكذا شأنه تعالى فى كل حين ، فلما ضاق الخناق على عباده ، واشتدت عليهم المحن ، وكثرت فيهم الخطايا والمآثم ، أدركهم وهم فى حيرتهم يترددون ، فمن عليهم بمنقذهم من الأسر والاستعباد، ومخلصهم من الذل والصغار ، ومنجيهم من بغى الحكام ، ومدركهم بصبح الحق بعد شدر الظلام ، اذ بعث فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم شاهدا على ما يعملون وما يعتقدون ، ومبشرا من آمن برسالته وعمل بما جاء به بسنى الدرجات ، ورفيع المثوبة ، ونذيرا لمن كفر بها أو نافق بأسفل الدركات ، وأليم العقوبة ، وداعيا الى معرفة الله بأمره ، وسراجا منيرا يهدى الناس الى سواء السبيل ، ويجنبهم متاهات الباطل ويحميهم من الدجل والتضليل ويمنعهم مما انزلقت اليه الأديان السماوية على أيدى دعاتها الآثمين ، من ادعاء النبوة للواحد المتعال ، وغير ذلك من الآثام والأضاليل .

ولقد أيده الله تعالى بالمعجزات الواضحات ، حتى يتحققوا من أنه رسول العناية الالهية ، وهاديهم الى سبيل الرشاد ، ففتح الله به أعينا عميا ، وأسمع به آذانا صما ، وشرح به قلوبا غلفا ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وكيف لا يصنعون ذلك وقد حطم دينه ألوهية الأصنام ، وأقام البراهين على وحدانية خالق الأكوان ، ودعاهم الى عبادة هذا الخالق الديان ، وأنصف المظلوم من الظالم ، وشرع لهم أكرم الفضائل ، وأنظف الأخلاق .

كيف لا يصنعون ذلك وقد سوى بين الملوك أصحاب التيجان ، وبين الرعايا من جميع الطبقات ، فلا فضل لعربى على عجمى ، ولا لغنى على فقير ، ولا لأبيض على أسود ، ولا بغير ذلك مما اعتاده الناس من أسباب التفضيل ، وانما يكون الفضل بينهم بسبقهم فى مرضاة ربهم .

وكيف لا يسارعون الى الايمان به ، وقد أعطى لكل ذى حق حقه ، وحرم على الولاة استغلال الرعايا ، وجعلهم واياهم أمام العدالة سواء ، حتى يؤخذ للمظلوم من ظالمه ، مهما كان ماله وجاهه ، وورث النساء والأطفال بعد حرمان ، وسن للبر بالفقراء والمعوزين قوانين يعينهم تنفيذها على بأساء الحياة ، وحرم وأد البنات خوفا من العار أو هربا من النفقة ، وحرم شرب الخمر والمسكرات ، لما تسببه من الأضرار بالعقول ، والافساد للكبود ، واذهاب الأموال ، وغشيان المنكرات ، وأوجب العفاف والبعد عن الفحشاء ، ويسر الزواج ، ورفع من قيمة المرأة بعد هوان ، وأوجب العدل والتعاون بين الزوجين ، وحض على السعى فى سبيل الأرزاق ، وأمر بالاستعداد للقاء الأعداء وحراسة التخوم منهم ، فان جنحوا للسلم جنحنا لها ، وان نكثوا العهد ثأرنا من الناكثين ، فلا نعطى الدنية ، ولا نستسلم للحاقدين الخصماء .

وأمرنا بالتسامح مع الجيران والتعاون فى سبيل الخير ، وحرم علينا ما فيه اضرار بالأفراد أو الجماعات وأباح لنا من المتع حلالها ، ومن النعم ما لا يشغلنا عن الله .

## التذكير بالدار الآخرة

ولما كانت النفوس تميل بطبعها الى الشهوات وان كانت ضارة ، وتنفر من التكاليف مع أنها نافعة ، وتميل الى العدوان وان ساءت عقباه ، فلذا أخبرهم أن دارا أخرى تنتظرهم ، يحاسبون فيها على ما كسبت أيديهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، حتى اذا حدثتهم نفوسهم بالمعاصى ، وحملتهم على المآثم ، تذكروا

أنهم مجزيون على ما يفعلون ، فلعلهم يرعوون ، والى الرشاد يرجعون .

## اثر الدعوة الاسلامية فى النـاس

لما وصلت تلك الدعوة الطاهرة النافعة الى أصحاب العقول الراجحة قبلوها ، ودعوا الناس اليها ،فجاءوها زرافات ووحدانا ، وأقبلوا عليها اقبال الهيم الظماء على الماء ، لما فيها من العقائد الرشيدة ، والتشريعات المفيدة ، التى تنقل المجتمع من المفاسد الى المصالح ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن الاستبداد الى التشاور ، ومن الظلم الى العدل ، ومن الشقاء الى السعادة .

ولقد تخلص الناس بايمانهم بها من همومهم ، وفرجوا بها كروبهم ، ونعموا بحياتهم ، فى ظل من رحمة الله ، ومن السعادة الغامرة ، حيث النفوس راضية ، والأمن والسلام شعار المجتمع .

ولقد حمل السابقون الأولون عبء الدعوة الاسلامية من يليهم ، فانتشرت سراعا فى أنحاء الأرض ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وبدلوا من عسرهم يسرا ، ومن شقائهم نعمة ، وثأروا من غاصبيهم ، فأزالوا ملكهم، واستعادوا منهم حريتهم وأرضهم ، وديارهم وأرزاقهم ، ورفرفت عليهم أعلام العزة والمنعة ، واستمتعوا بنعمى الحياة ، ونحوا عن كواملهم ذل الحكام الظالمين واستعبادهم ، وأصبحوا سادة فى ثياب عباد ، وملوكا فى ثياب زهاد ، كلمتهم واحدة ، وأمرهم مجتمع ، لا يعرفون الفرقة والشتات ، ولا الأنانية والاستئثار .

## أضاع الخلف مكاسب السلف

فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وطلبوا الدنيا فى غير حل ، والمتعة فى غير ورع ، والاستئثار بغير ايثار ، فتواثب بعضهم على بعض يبغون الملك والسلطان ، فتفرقوا بعد اجتماع ، وهانوا بعد عزة ، وضاعت شوكتهم ، فطمع فيهم أعداؤهم ، وأغروا بعضهم على بعض ، حتى ضعفوا وتورطوا فى ضعفهم، واستعانوا بعدوهم على أنفسهم حتى سيطر عليهم ، وكل ذلك بسبب تفرقهم ، والطمع فى الملك وشق وحدة الجماعة ، حتى صدق فيهم قول الشاعر .

وتفرقوا شيعا فكل قبيلة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

ولا سبيل للمسلمين الى استعادة مكانتهم وعزتهم ، الا بعودتهم الى شريعة ربهم ، ونبذ الشقاق وأسباب الفرقة بينهم ، والعودة الى الاعتصام بالاتحاد الذى هو أساس عزهم وقوتهم ليعود اليهم مجدهم ونصر الله لهم ، قال تعالى: « ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

## واجب العلماء

وان على العلماء فى هذا العصر واجبا جليلا ، وعبئا خطيرا ، فقد انتشرت المادية واستحوذت على أفكار الناس ، فعلى العلماء وهم ورثة النبوة ، أن يبينوا للناس أثر الدين فى رخاء الأمة وسعادتها ، وانه يدعو الى العزة والقوة ، لا الى الذلة والضعف ، عليهم أن يبينوا لهم أنه لا يمنع من العمل للدنيا ولا يحرم حلال المتعة ، حتى يحرموا الماديين من استغلال النصوص التى تحض على الحذر من الدنيا ، وتبين أنها متاع الغرور ، فان هذه النصوص لا تمنع من العمل لها ، بل تحذر من أن تلهيهم دنياهم عن أخراهم ، فقد كان من السابقين الأولين تجار أثرياء ثراء كبيرا ، كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وماشغلتهم دنياهم عن أخراهم .

على العلماء أن يبينوا أن الاسلام يحض على العلم ولايخشى منه ضرا ، وأن العالم الحقيقى لايسعه الا التسليم بمبادىء الاسلام والعمل بمقتضاها ، فكم من فلاسفة أشادوا بالاسلام وآمنوا به لأنه معوان للعلم ، كما أن العلم معوان للاسلام ، فهما صديقان لايفترقان ، عليهم أن يبينوا فضل الدين فى ابراز المعايير الخلقية السامية .

وعليهم أن يبدلوا أسلوب الدعوة الى الدين باشرابه روح العلم ، فان الحق لايخدمه سوى العلم ، ان عليكم أن تتزودوا من لباب العلم وتصنعوا منه أسلوب دعوتكم ، فكل اختراع يدل على قدرة الله واحكامه خلق الانسان ، حيث أقدره على الاختراع ، وأرشده الى الابداع ، وجعل له عقلا يكشف به جانبا من عظمة الله وقوة ابداعه فى كونه .

وكل اختراع لابد من أنه ينطوى تحت آية من آيات القرآن ، فعليكم أن تشيروا الى ذلك فى حديث واضح مفصل مع من تبلغونهم دين الله من المسلمين وغيرهم .

ولابد لكم من التمسك بمبادىء القرآن وآدابه حتى يرى الناس فيكم الأسوة الحسنة ، وعليكم أن تنشروا مبادىء الاسلام وتبلغوها نقية بيضاء، الى من بلغته مغلفة بالافتراءات، فدينكم النقي من الشوائب ، أقوم سبيل الى الحق ، وأسرعه الى شغاف القلوب ، وعليكم أن تستعملوا الأساليب الجذابة ، وتحسنوا عرض مبادئه الرشيدة، وأن تهتموا باجتذاب المنعزلين والمترددين ، كما تهتمون بالثابتين المخبتين ، ولكل غذاؤه اللائق المتفق مع حاله .

وكما صلح الاسلام منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس ، فهو صالح لكل أنواع التعليمات ، وعليكم أن لا تملوا من دعوة الناس الى الخير والرشاد ، وفقني الله واياكم الى القيام بعبء هذه الدعوة الرشيدة ، ووفق عباده الى الارتواء من وردها العذب الزلال .

**مصطفى محمد الطير**

---

من هدى السنة :

# يسر الإسلام وسماحته

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن أبى هريرة رضى الله عنه ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

«ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشىء من الدلجة .

رواه البخارى

**تمهيد**

بينا فى المقالات الماضية أن الاسلام قام على مبدأ رفع الحرج والتيسير على المكلفين ، والترفق بهم ، وذكرنا لهذا أمثلة كان المثال السابع منها يتعلق بموضوع : المسح على الخفين ، وبيان ما فيه من تيسير ، وسقنا من نصوص السنة الكريمة ما يثبت مشروعيته ، ونحاول فى هذا المقال أن نكمل الكلام على هذا الموضوع فنقول : علم مما تقدم أن ثبوت المسح على الخفين بالسنة المطهرة ، ولكن يرى بعض الفقهاء أن ثبوت المسح بالقرآن الكريم ، حيث

قال تعالى فى آية الوضوء : « يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » .

فقد قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب ـ بفتح اللام فى قوله تعالى : « وأرجلَكم » ـ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة عن عاصم ، وحمزة وأبو جعفر وخلف العاشر « وأرجلِكم » بكسر اللام ـ وهى أيضا قراءة سبعية متواترة ، وتأويل قراءة النصب واضح وهو أن « أرجلكم » عطف على " أيديكم » فالمعنى فاغسلوا وجوهكم ، وأيديكم الى المرافق ، ورجلكم الى الكعبين .

وأما قراءة الجر فهى التى اتخذ منها بعض الفقهاء دليلا على أن مشروعية المسح ثبتت بالقرآن الكريم حيث زعموا أن « أرجلكم » عطف على « رءوسكم » والرءوس مطلوب مسحها فيكون المطلوب أيضا مسح

الأرجل لعطفها على الممسوح ـ ومسح الأرجل المقصود منه المسح عن الخفين .

ويرد على هذا الاستدلال بأن اثبات الجر فى « أرجلكم » ليس نصا فى ثبوت هذا المدعى ، وهذا لأمور :

الأول : أن الجر لمجاورة الأرجل لـ « رءوسكم » والجر للمجاورة ثابت فى الفصيح من الكلام كما فى قوله تعالى على لسان شعيب فى مخاطبته لقومه : « انى أخاف عليكم عذاب يوم محيط » (١) حيث جرت كلمة « محيط » لمجاورتها لكلمة « يوم » والأصل فى « محيط » النصب لأنها وصف لكلمة « عذاب » التى هى مفعول به لـ « أخاف » .

وبهذا الاعتبار تكون كلمة « أرجلكم » معطوفة فى المعنى على كلمة « أيديكم » .

الثانى : أن جر الأرجل للتنبيه على عدم الاسراف فى استعمال الماء فيها ، لأنها مظنة لصب الماء كثيرا ، فعطفت على الممسوح ، والمراد غسلها .

الثالث : أن الله تعالى جعل الغاية فى تطهير الرجلين الكعبين كما قال سبحانه : « وأرجلكم الى الكعبين » والمسح على الخفين ليست غايته بالكعبين اجماعا .

فثبت أن المراد فى الآية غسل الرجلين الى الكعبين ، وأن قراءة الجر يراد بها ما يراد بقراءة النصب ، وأن الحق أن مشروعية المسح على الخفين ثبتت بالسنة الكريمة .

**أيهما افضل ، المسح على الخفين أو نزعهما وغسل الرجلين**

يرى بعض الفقهاء أن غسل الرجلين أفضل لأنه الأصل فى تطهيرهما ويرى البعض الآخر أن المسح على الخفين أفضل استمساكا بشرعيته ، وردا على من ينازع فيها من أهل الزيغ والانحراف ، ولأنه الأيسر فى التطهير ، والله تعالى يريد بعباده اليسر ، ويحب منهم أن يأخذوا أنفسهم بأيسر الأمور وأسهلها .

جاء فى كتاب نيل الأوطار جـ١ ص ١٥٥ ط الحلبى ما نصه :

قال ابن المنذر : اختلف العلماء أيهما أفضل المسح على الخفين

---

(١) سورة هود آية رقم ٨٤

أو نزعهما وغسل القدمين ، والذى أختاره أن المسح أفضل لأجل من طعن فيه من أهل البدع من الخوارج والروافض ، قال : واحياء ما طعن فيه المخالفون من السنن أفضل من تركه ا هـ .

وجاء فى الشرح الكبير على متن المقنع لشمس الدين ابن قدامة الحنبلى جـ١ ص ١٥٥ ط السلفية ما يأتى : روى عن أحمد أنه قال : المسح أفضل من الغسل ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه انما طلبوا الفضل ، وهذا مذهب الشعبى والحكم واسحاق ، لأنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان الله يحب أن يؤخذ برخصه) ولأن فيه مخالفة أهل البدع ، وذكر ابن عقيل فيه روايتين : احداهما المسح أفضل لما ذكرنا والثانية : الغسل أفضل ، لأنه المفروض فى كتاب الله تعالى ، والمسح رخصة ، وروى حنبل عن أحمد : أنه قال : كله جائز المسح والغسل ، ما فى قلبى من المسح شىء ، ولا من الغسل ، وهذا قول ابن المنذر ، وروى عن عمر : أنه أمرهم أن يمسحوا على أخفافهم ، وخلع هو خفيه وتوضأ ، وقال : حبب الى الوضوء - وعن ابن عمر أنه قال : انى لمولع بغسل قدمى ، فلا تقتدوا بى ا هـ .

**حالات يجب فيها المسح على الخفين :**

توجد أحوال - ذكرها بعض الفقهاء - يجب فيها المسح على الخفين :

منها (١) أن يكون مع لابس الخف ماء يكفى للمسح دون الغسل ، فانه فى هذه الحالة يجب المسح .

ومنها (٢) خوف فوات وقت الصلاة لو اشتغل الشخص بغسل رجليه فيجب المسح .

ومنها (٣) لو خاف فوات فرض آخر كالوقوف بعرفة ، فانه يجب المسح فى ذلك أيضا .

جاء فى كتاب الدر المختار شرح متن تنوير الأبصار عند الكلام على حكم المسح على الخفين - ما نصه :

(وهو جائز) فالغسل أفضل الا لتهمة ، فهو أفضل ، بل ينبغى وجوبه على من ليس معه الا ما يكفيه ، أو خاف فوات وقت ، أو وقوف عرفة ، وجاء فى حاشية « رد المختار على الدر المختار عند قوله : ( الا لتهمة ) أى لنفيها عنه ، لأن الروافض والخوارج

لا يرونه ، وانما يرون المسح على الرجل ، فاذا مسح الخف انتفت التهمة ١ هـ •

وبالتأمل فى الحالات التى يجب فيها المسح نجد فى التشريع رعاية لحال المكلف وظروفه ، وتيسيرا عليه فى أداء العبادة •

**ما ورد فى شروط المسح على الخفين**

ورد فى اشتراط الطهارة للرجلين قبل لبس الخفين • مارواه البخارى ومسلم عن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فى مسير ، فأفرغت عليه من الأداوة ، فغسل وجهه ، وغسل ذراعيه ، ومسح برأسه ، ثم أهويت لأنزع خفية فقال : دعمها ، فانى أدخلهما طاهرتين،فمسح عليهما ولأبى داود : ( دع الخفين ، فانى أدخلت القدمين الخفين،وهما طاهرتان فمسح عليهما ) ، وروى الجميدى فى مسنده عن المغيره بن شعبة رضى الله عنه قال : قلنا يا رسول الله ، أيمسح أحدنا على الخفين ؟ قال: ( نعم ، اذا أدخلهما وهما طاهرتان )•

وروى الامام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على خفيه ، فقلت يارسول الله • رجليك لم تغسلهما ، قال : انى أدخلتهما وهما طاهرتان ) •

قوله ( فى مسير ) أى فى سير وسفر ( فأفرغت عليه من الاداوة ) أفرغت عليه : صببت عليه ، والأدواة بكسر الهمزة الاناء الذى به الماء المعد للطهارة ، فالمراد صببت عليه الماء ليحصل به الطهارة (فأهويت) أى مددت يدى ( فمسح عليهما ) المراد أنه مسح على الخفين ، فاعتبر ذلك شرعا مسحاً على الرجلين وتطهيراً لهما •

وفى موضع المسح روى أبو داود والدارقطنى عن على رضى الله عنه قال : لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه ، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه •

وروى أحمد وأبو داود عن المغيرة ابن شعبة رضى الله عنه قال : رأيت رسول لله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظهور الخفين •

ورواه الترمذى أيضـــا بلفظ : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمســح على الخفين على ظاهرهما ـ قوله ( لو كان الدين بالرأى الخ ) أى ان الرأى يقتضى أن يكون باطن الخف أولى بالمسح ، لأن الباطن هو الذى يلامس الأرض عند المشى فى الخف ، لـكن الـدين تابع لتشريع العليم الحكيم •

وفى توقيت مدة المسح روى أحمد ومسـلم والنسـائى وابن ماجـه عن شريح بن هانىء قال : سألت عائشة رضى الله عنها عن المسح على الخفين فقالت : سل عليا فانه أعلم بهذا منى، كان يسافر مع رسـول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( للمسافر ثلاثة أيام وليـاليهن ، وللمقيم يـوم وليلة ) •

وفى توقيت مـدة المسـح أيضـا واشـتراط تطهير الرجلين قبـل لبس الخفين وبيان أن المسح يكون عنـد التطهير من الحدث الأصغر فقط دون الحدث الأكبر •

روى أحمـــد وابن خزيمـة عن صفوان بن عسال قال : أمرنا ـ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ـ أن نمسح على الخفـين اذا نحن أدخلنـاهمـا على طهـر ثلاثا اذا سـافرنا ، ويوما وليـلة اذا أقمنـا ، ولا تخـلعهمـا من غائـط ، ولا بـول ، ولا نـوم ولا نخلعهما الا من جنابة •

وفى اعتبـار الشارع الحكيم مدة المسح على الخفين بالنسـبة للمسافر أطول منها بالنسبة للمقيم ـ مظهـر رائع من مظاهر التيسير ورعاية لحال المكلفين ، فانه لما كان المسافر قـد تعرض له بعض المشـــقة كان أولى بالتيسير وأحق بالرعاية وصدق تعالى حيث وصف نفسه بقوله: «والله رءوف بالعباد » (١) الحديث موصول

منشاوى عثمان عبود

(١) سورة آل عمران آية رقم ٣٠

# النبى المربى

للدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

١ ـ اذا أردنا أن نتصور أو أن نرى فى عالم الواقع والحقيقة انسانا كاملا ومربيا فذا تجمعت فيه ومنه كل الصفات التى ينشدها البشر للكمال فذلك هو خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه .

نبى تلاقت فى جوانبه العلا
ومجد الحياة الضخم واليوم والغد

فهو صلى الله عليه وسلم بهديه ودله وسمته قد بلغ حد الكمال وهو فى ذلك القدوة وهو صلى الله عليه وسلم بتربيته للأمة أفرادا ومجتمعات بكل منهج وبكل أسلوب سنه قد بلغ حد الكمال وهو فى ذلك القدوة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ) .

وما أحوج الانسان فى كل جيل ومكان الى أن يبتغى الهدى والرشد منه صلى الله عليه وسلم ليحيا فى طمأنينة وسعادة .

وما أحوج المجتمعات فى كل عصر وقطر الى اتباع هديه لتحيا فى سلام وأمان .

ولنلق النظر والسمع لنموذج من هديه صلى الله عليه وسلم برسالته الخاتمة فى تربية الفرد والأمة .

٢ ـ ذلك أنه من شر ما يمزق الفرد والأمة هو الاختلاف وعدم وضوح الرؤية وعدم الالتزام بالحق والثبات عليه ، اتباعا لهوى مضل أو نفس معوجة ؟ لكن أى اختلاف هذا الذى هو بغيض ومدمر ؟ لنر :

اذا نظر أحدنا الى نفسه كفرد فى مجتمع ونظر الى الناس من حوله لابد وأن يرى وجوها للاختلاف لا محيص عنها .

اختلاف فى المظهر والمخبر ، والعقول والأفهام، والطبائع والأمزجة، واللغات والألوان ، والسلوك والتصرفات ، وتلك سنة الله فينا ( ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين ) .

مثل هذا الاختلاف الذى لا يسلم منه البشر هو من عوامل بقاء الحياة وتطورها وتنافس الناس على عمارتها واغنائها .

والنهى عن مثل هذا الاختلاف أو الوقوف فى سبيله مصادمة للواقع ومطالبة بالمستحيل ، وموقف الاسلام منه هو التسامى به وتوجيهه الى مافيه الصلاح وجعله دعامة للتقدم لاللتاخر؛ وللتنافس لا للتصارع ( ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ) .

٣ ـ فقد تختلف مع نفسك فترى الرأى بالأمس وترى نقيضه اليوم ، وتبرم الأمر فى اليوم وتنقضه فى الغد، ومادام هذا فى اطار الاجتهاد ونشدان الحق والصواب والرجوع اليهما كلما اتضحت سبيلهما فلا ضير والرسول صلى الله عليه وسلم يقول ( اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران،واذا اجتهد فأخطأ فله أجر ) .

أما اذا تجاوزت ذلك الى البلبلة والتردد والقلق والتمزق فلا تستقر على حال ولا تنتهى الى حل فذلك هو البوار وهو ما نهى عنه الاسلام ( ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ) .

وقد يختلف الزوجان فى اطار تحقيق قدر أكبر من حاجات الحياة الزوجية وتربية الأولاد باحساس كل واحد منهما بواجبه وقياما بمسئوليته ( الرجل راع ومسئول عن رعيته والمرأةراعية فىبيت زوجهاومسئولةعن رعيتها ) فذلك مالا بأس به ، أما أن يتجاوزا ذلك الى الشقاق والعناد وتقويض دعائم الأسرة فذلك ما نهى عنه وألزم كل طرف حدوده وبين له واجباته وحقوقه ( ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ألايوطئن فرشكم من تكرهون ولايأذن فى بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعامهن ) .

وقد يختلف الأولاد فى البيت فى سبيل تقدم ملحوظ أو تنافس مشروع أو استثمار طاقة فلا بأس ، أما اذا تطور الى تطاحن واثارة المتاعب للوالدين والأسرة فتلك هى الطامة وناهيك بقصة ابنى آدم ( اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ) •

( فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ) •

وقد تختلف الطائفتان أو الدولتان فى اطار تنافس على ما هو أحسن وتسابق فى مضمار العلم والتقدم واثراء الحضارة ودفع عجلة الحياة بما يحقق الرخاء والسكينة فذلك أمر محمود ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ) •

لكن أن يتحول التنافس الى تصارع والتسابق الى تقاتل فتلك طباع الغابة التى تهدم الحضارات وتعوق التقدم الانسانى وتجعل الحياة جحيما يصلى نارها الصغير والكبير ( ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية ) •

( وقد سئل صلى الله عليه وسلم : ما العصبية ؟ قال : أن تعين قومك على الظلم ) ، ( وقال : لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ) •

**

٤ ــ ان الاختلاف الذى هو خطر على الفرد والأمة بل والمجتمع الانسانى كله لا تخفى دوافعه ولا يستهان بنتائجه ولايؤمن شره ، فيه تخفى الحقائق وتسود الأوهام ، وتتوه الغايات الكريمة وتطفو الأغراض والأهواء وتذكيه نار الأحقاد وتلهبه الشهوات والأطماع وليس وراءه الا الفتن العمياء تأتى على كل خير فتمزق الفرد والمجتمع وتحكم العصبيات وهو شر على الحياة والأحياء والدنيا والدين ، وقد وقف له الدين بالمرصاد ليقضى عليه وأنكرته المبادىء الأخلاقية والانسانية ، وستظل الانسانية تسفعها ريحه السموم بين الحين والحين يثيرها شياطين الانس والجن ، ووقودها الأفراد والشعوب ولا يهدأ زبانيتها فى آن الا ليأخذوا أهبتهم لآونة أخرى مالم تحصن الأفراد والأمم بالتربية السليمة التى تحول دون الاختلاف وسيطرته على النفوس •

**

٥ ـ والاسلام يعرض لعلاج داء الاختلاف ويطب لاستئصاله أو تهذيبه باتجاهين يسيران معا :

الاتجاه الأول : اتجاه وقائى :

بيان وجوه الاختلاف وايجاباته وسلبياته وأسبابه ودواعيه ومجالاته وآثاره المخربة من آثار واقع ملموس أو نماذج لأمم درست وحضارات بادت ، ويأخذ بحزم على كل نزعة تنبت خلافا أو تنميه ، ويضع القواعد وأسس التربية السليمة التى تحفظ منه وتقى الانسان مواطن الضلال فى الرأى والسلوك .

فينهى عن المراء والجدل ( أنا ضامن ببيت فى ربض الجنة لمن يترك المراء ولو محقا ) وينهى عن الظن ( اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ) .

وعن التنافس البغيض والحسد والتباغض والتدابر ( ولا تجسسوا ولاتحسسوا ولا تنافسوا ولاتحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم الله تعالى ) .

وينهى عن الاعتداء وتبيت نية السوء ( لا يحل لمسلم أن يروع مسلما ) ، ( من نظر الى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة ) .

وينهى عن الاستكبار والبطش والبغى والفساد ( بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ) ، ( ولا تمش فى الأرض مرحا ) ويعطى النموذج لمصير المستكبرين الباغين ( واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون . فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ) .

الاتجاه الآخر : اتجاه علاجى لما ينجم عن الاختلاف من أثر وذلك بحصار أية مشكلة ووضعها فى أضيق الحدود ومحاصرتها بالتفتيت فلا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، وأفضلهما من بدأ صاحبه بالسلام .

وصحح من القيم والمفاهيم فى هذا الشأن فليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ،

وتسامى بغريزة الغضب أن تنطلق بلا ضوابط ولا هدف كريم ووجهها الى أن تكون فى الحق .

وألزم المسلم فردا ومجتمعا بمسئوليته الكاملة ازاء التصدى لكل خلاف وحسمه قدر طاقته والانتصار للحق وللضعيف أن يكون ضحية الاختلاف ( خيركم المدافع عن عشيرته مالم يأثم) هكذا قال صلى الله عليه وسلم ويقول: ( لا يقفن أحدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ) ، ( مامن امرىء يخذل امرءا مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته ، وما من امرىء مسلم ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته ) وأمرنا باصلاح ذات البين ( ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله ؟ تصلح بين الناس اذا تباغضوا وتفاسدوا ) . ويقول تعالى : ( وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين ) .

ويأمرنا ( واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذكنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ) .

ويقيم لنا نموذجا من موقف رسولين كريمين واجها اختلاف قومهما ( قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى قال يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى ) .

وهكذا الاسلام على لسان كتابه ولسان رسوله صلى الله عليه وسلم يربى الفرد والأمة على التحصن ضد الاختلاف وحسم كل بادرة له بما يجنبهما ويلاته فى الدنيا والآخرة ويربط بين المؤمنين برباط الايمان والأخوة ويجعلهم بناء واحدا ( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ) ( مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم )

وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ) .

ان سفينة الحياة وسط الرياح العاتية والظلمات المتراكمة لا تتحمل عبث خارق يثقب فيها خرقا حتى لا تغرق بالجميع ، أو يبذر فتنة أو يروى عودها أو يستجيب لدعاتها ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ) ، ( ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ فى النار ) .

نسأل الله تعالى وحدة الكلمة على الحق ووحدة الصف على الايمان ووحدة القلوب على الاخاء آمين .

**دكتور حسن عيسى عبد الظاهر**

# النبى القدوة

للدكتور عبد الودود شلبى

الأستاذ العلامة « سليمان الندوى » من القمم الاسلامية التى أضاءت أنوار معرفتها سماء الاسلام فى كل من باكستان والهند •

انه الرجل الذى اختارته الهند الاسلامية لمخاطبة العالم الاسلامى فى مؤتمرات كثيرة ، فهو الذى رأس وفد الخلافة فى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى مكة المكرمة ١٣٤٦ هـ وكان أحد أعضاء الوفد الاسلامى الذى سافر الى لندن وأوربا لاعلان كلمة المسلمين فى القضايا الوطنية • وكان واحدا من كبار المفكرين الذين اختارهم ملك أفغانستان الأسبق نادر شاه لتأسيس جامعة اسلامية ••

ومن أبرز أعماله العلمية وأرفعها ذكرا اكماله لكتاب « سيرة النبى » الذى كان بدأ بتأليفه أستاذه العلامة المحقق «شبلى النعمانى» وهذا الكتاب يعتبر دائرة معارف فى السيرة النبوية • وقد نشرت منه سبعة مجلدات ضخمة لايقل كل واحد منها عن سبعمائة صفحة من القطع الكبير ، وهذا الكتاب يعتبر من عيون ماألفه العلماء المسلمون منذ قرون • ومن غرر ماأهداه علماء الهند الى المكتبة الاسلامية العامة • وقد أثبت المؤلف فى هذا الكتاب بمالا مجال بعده للشك امكان المعجزات وعدم معارضة العلوم العقلية لها • وقد اهتدى بها كثير من المنخدعين بعلوم الأفرنج وضلالاتهم •

والكتاب الذى بين أيدينا ، والذى نعرض له فى هذه الصفحات مجموعة من المحاضرات فى ثمان نواح من السيرة النبوية ألقاها المؤلف على جماعة من الشباب وطلبة الكليات فى مدينة مدراس بالهند ، وقد تلقاها المستمعون بأذن واعية ، وقرظتها الصحف والمجلات فى كل لغة وترجمت بعد ذلك الى اللغتين العربية والانجليزية •

فى القسم الأول من هـذا الكتاب يتحدث المؤلف عن الصـفوة المختارة من البشر .. هؤلاء الذين يحكمون القلـوب بالمحبـة .. من يكـونون ؟ فلاسفة ؟ ملوك وفاتحون ؟ لا..لا.. لقد خابت آمال البشرية فى كل عطاء لايباركه الله فى كل انسـان مقفر من فيوض القلب فى كل عقل غريب عن الروح .

ان يد الأيام قـد عبثت « بالراجا أشواكا » ملك « باتلى باتر » ولم تبق يد البلى من أوامره واحكامه الاصخورا منقوشة وحجارة ميته .. ان أوامر ملوك « اجين (و) هستابور » فى دهلى وقنوج امست أثرا بعد عين .

والملك «حمورابى» من ملوك بابل كان أول من سن القوانين ولكن أين هى أوامره وأحكامه ؟

لقد نسج عليها العنكبوت من زمان طويل ، أما تعاليم النبى ابراهيم فما تزال حية فى قلوب المؤمنين .

وأين فرعـون ودعـواه أنا ربكم الأعلى ؟ لقـد أصبحت اضـحوكة .. أما نبى الله موسى فانه يسود القلوب . والقانون الرومانى الذى اعتبر عيسى عليه السلام جانيا خارجا على القانون؟ لقد خلت عليه القرون تسفيه برياحها.

أما عيسى عليه السـلام فـلا تزال تعاليمه نورا فى ظلمات الخطوب .

وأين أبو جهل ؟ وكسرى الفرس ؟ وقيصر الروم ..؟ كل أولئك قد طوى الدهر صحائفهم وذهبت جميعا ادراج الرياح . أما محمد صلى الله عليه وسلم فان حكمه مازال ولن يزال باقيا على الدهر وأوامره نافذة وسننه متبعة فى كل زمان وفى كل مكان .

لقد عاشت تعاليم الأنبياء لأنهم كانوا قدوة وكانت حياتهم وقفا على تجسيد تعاليمهم فى الفرد والمجتمع والأسرة ، وكان رسولنا محمد صلوات الله عليه هو المثل الأعلى لهذه الحقيقة .

لكن لـماذا محمد بالذات هو النبى المختار للأتباع والأسوة ؟ لـماذا كان النبى العـربى هو وحـده المرشـح للقيادة ؟

ذلك .. لأنه من أجل أن تقتدى بانسان فلابد وأن تعرف كل شىء يتصل بهذا الانسان كيف نشأ ؟. كيف عاش؟ طريقته فى الحياة أسلوبه فى العمل . نظرته الى الناس . ايمانه بالدعوة .. وسيلته فى التطبيق ، حياته الخاصة .

أحواله فى البيت والأسرة • سياسته فى الحكم والحرب والسلام •

كم نبى عرف عنه كل ذلك ؟ انه محمد وحده •

لكن لماذا ؟

**يقول المؤلف :**

ان موسى عليه السلام لانعلم عن حياته حسب الأسفار الخمسة من التوراة الا قتاله وقيادته فى الحرب • اما النواحى الأخرى من حياته كالحقوق فى أمور الدنيا ، والفرائض والواجبات فلانكاد نعرف عنهاالاالقليل النادر •• ومن يحاول أن يقف على ماينبغى أن تكون عليه العلاقة بين الزوج وزوجه ، والولد ووالده • وشروط الصداقة بين الصديقين وشروط الهدنة بين المتحاربين وكيف ينفق المرء أمواله ، وكيف يعامل الفقراء واليتامى •• من يحاول أن يعرف شيئا من كل ذلك ، فلن يعرف شيئا •• مع ان موسى كان زوجا وأخا وكان له أقارب • وكان نبيا من أولى العزم • وعاش مائة وعشرين سنة ، وعيسى عليه السلام الذى يبلغ اتباعه قرابة ألف مليون فى العالم ؟ لقد بذل العلامة الفرنسى « رينان » قصارى جهده ليقف على حياته كاملة • ومع كل ذلك لا تزال هذه الحياة سرا • مكنونا فى ضمير الزمن لم يبح به بعد •

ان عيسى عليه السلام عاش فى هذه الدنيا ثلاثا وثلاثين سنة كما يقول الانجيل وكل ماذكر عن حياته فى هذه الأناجيل لايكاد يتجاوز السنوات الأخيرة من حياته فنحن لانعرف عن حياته الا انه ولد • وهاجر وأمه الى مصر واراه الله آية أو آيتين فى صباه ثم غاب عن الناس وظهر لهم وهو فى الثلاثين من عمره ، فتراه قائما يعظ الملاحين وصيادى الأسماك على الشواطىء وفي بعض الربوات ، فصحبه جماعة من الحواريين وحاور اليهود وناظرهم فى بعض الأحيان حتىأثاروا عليه الرومان ، ورفع أمره الى محكمة يرأسها قاض من الروم فقضى عليه بالصلب ، وبعد ثلاثة أيام وجد قبره خاليا من جسده عليه السلام •

هذا ما تقوله الأناجيل عن حياته • ولكن أين قضى عيسى الثلاثين أو الخمس والعشرين سنة على الأقل من حياته ؟ وفيم قضاها • وبأى الأعمال

شغل هذا الفراغ الواسع من عمره ؟ أن الدنيا لاتعلم عن كل ذلك شيئا ولن تعلم والثلاث السنوات الأخيرة من حياته ماذا نعرف عنها : آيات ومعجزات معدودات ، وبعض العظات • ثم المحاكمة •• ورفعه بعد ذلك الى السماء •

وقد ألقى « باسورث أسميث » عضو كلية التثليث في جامعة اكسفورد سنة ١٩٧٤ محاضرات عن « محمد » والاسلام نقتطف منها هذه العبارات :

نحن لانعلم من حياة « يسوع » الا شذرات تتناول جانبا صغيرا من حياته المتنوعة ومن ذا الذي يستطيع أن يكشف لنا الستار عن شئون ثلاثين عاما هي تمهيد للثلاثة أعوام الأخيرة من حياته فقط •• وما الذي نعلمه عن أمه ؟ وعن حياته في بيته ؟ وما الذي نعلمه عن أصحابه الأولين أو عن حوارييه وكيف كان يعاملهم وكيف تدرجت رسالته في الظهور ، وكيف فاجأ الناس بدعوته وكم • وكم من أسئلة تجيش في نفوسنا ولن يستطيع أحد أن يجيب عليها الى يوم القيامة ••

ويقول سميث :

أما الاسلام فأمره واضح كله ، ليس فيه سر مكتوم عن أحد ، وليس في حياة نبيه غموض لم يكشف ولا تجد فيما كتب عنه أمور مبهمة ، ولا أساطير ولا خرافات •

والأمر كله واضح وضوح النهار كأنه الشمس يرى الناس تحت أشعة نورها كل شيء ••

وقد كتب جون ديوى يورث سنة ١٨٧٠ كتابا بالانجليزية في سيرة النبي جعل عنوانه « اعتذار الى محمد والقرآن » Apoloziseo Mohammad

يقول في مقدمة هذا الكتاب :

لا ريب أنه لا يوجد في الفاتحين والمشرعين من يعرف الناس حياته وأحواله بأكثر تفصيلا وأشمل بيانا مما يعرفون من سيرة محمد « صلى الله عليه وسلم » وأحواله يقول العلامة سليمان الندوى :

كان الواعظ الذائع الصيت الأستاذ حسن على ـ رحمه الله ـ يصدر في (Betnah) قبل خمسين عاما مجلة نور الاسلام • وقد قال في جزء منها :

ان صديقا له من البراهمة قال له:

انى أرى رســـول الاســلام أعظم رجال العالم وأكملهم • فقال له الأستاذ حسن على : وبماذا كان رسول الله عندك أكمل رجال العالم؟ فقال الرجل الهندوسى : لأنى أرى فيه خصـالا لم تجتمع كلها فى رجل واحد وفى آن واحـد •• وبهـذا الكمـال والرقى ، والرفعة والسمو ••

لقد كان محمد ملكا دانت له أوطانه بالطاعة ومع ذلك فهو متواضع في نفسه يرى أنه لا يملك من الأمر شـيئا • وأن الأمر كله بيد ربه •• وتراه فى غنى عظيم تأتيـه الأموال بالخـزائن الى عاصمة ملكه ويبقى مع ذلك محتاجا ولا توقـد فى بيته نار لطهى الطعـام ولعـدة أيام • وكثـيرا ما يطوى على الجوع ، ونراه قائدا عظيما يقود الجند القليل العدد والعدد فيقاتل بهم الوفا من الجند المدجج بالسلاح ويهزمهم شر هزيمة ونشـاهده بطـلا شـجاعا يصمد وحـده لآلاف من أعدائه غير مكترث بهم ، وهـو مـع ذلك رقيق القلب متعفف عن اراقة قطـرة دم • ونراه مشـغولا بجزيرة العرب كلهـا بينمـا لا يفوته أمر من أمـور بيتـه وأزواجه وأولاده • ولا أمر من أمور فقراء المسلمين ومساكنهم ، لقد كان انسانا يهمه أمر العالم كله وهو مع ذلك متبتل الى الله منقطع عن الدنيا فهو فى الدنيا وليس فيها لأن قلبه لا يتعلق الا بالله وبما يرضى الله • لم ينتقم من أحـد قط لذات نفسـه ، وكان يدعو لعدوه بالخير • وتراه رسولا حصيفا ونبيا معصوما فى الساعة التى تتصوره فيهـا فاتحا للبلاد ظـافرا بالأمم وأنه ليضطجع على حصير له من خوص ، وينـام على وسـادة حشـوها ليف •• ويعيش أهل بيته فى فاقة فى الوقت الذى تتجمع فيه الغنائم العظيمة فى فنـاء مسـجده ـ فيفرقها على الفقـراء والمحتاجين ولا ينال أحد من أهله أو أهـل بيتـه نصف درهم • فاذا كانت شخصية الرسول العربى هى الشخصية النمـوذجية الكاملـة ، وكان بحيـاته وأقواله وأعماله مثالا يحتذى به فى كل خطوة • فأين تقف رسالته من هذا الشمول الجامع • وما هى أبعادها الفكرية والعقـدية فى هـذا العـالم المتصارع •• ؟

يقـول المرحـوم العلامة سـليمان الندوى :

لقد توزعت الدنيا ـ قبل بعثة النبى ـ عقائد باطلة • وأوهام سخيفة •

كان أهل كل دين فى أية مملكة من الممالك يحسبون أن مملكتهم هى الدنيا فقط .. فكان براهمة الهند ومتصوفوها يرون أن بلادهم هى أرض الله المختارة وما خرج عنها فلا نصيب له من رحمة الله .. وكذلك قال «زرادشت» الذى أعلن أن بلاده هى المقدسة دون غيرها من أرض الله . وكذلك قال بنو اسرائيل فهم أساتذة هذا النوع من الادعاء والافتراء والزعم .

والمسيح عليه السلام أعلن أنه لم يرسل الا الى خراف بنى اسرائيل الضالة .. وقد جاء فى الأصحاح السابع من انجيل مرقص أن أمرأة - بابنتها روح نجس - سمعت به ( أى المسيح ) فأتت وخرت عند قدميه وكانت المرأة أمميه - أى من أبناء الأمم غير الاسرائيلية - فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها وأما يسوع فقال لها : دعى البنين أولا يشبعون لأنه ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب .. فأجابت وقالت ياسيد . والكلاب أيضا تحت المائدة تأكل فتات البنين فقال لها : لأجل هذه الكلمة . اذهبى قد خرج الشيطان من ابنتك .

كانت دعوته عليه السلام الى بنى اسرائيل .. والى خرافهم الضالة وفى حديثه مع المرأة الغير اسرائيلية يقرر أن ( الخبز ) الذى يحمله انما هو للبنين ( الاسرائيلين ) أولا .. وأنه لا ينبغى أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب .

**ويقول العلامة سليمان الندوى :**

ان من أكبر الجرائم التى اقترفتها الأمم،ولاتزال باقية فى بلاد لم تشرق عليها أنوار الاسلام. أنهمجعلوا ثراء المال . ونقاء الدم وشرف النسب . ولون البشرة أساس الكرامة وسنوا لذلك من القوانين والشرائع ما يجسد هذه العنصرية البغيضة حسب أهوائهم ومذاهبهم .

فى الهند يعتبر الهنادك كل من عداهم انجاسا مناكيد ، فان لمسهم لامس من غيرهم ، أو صافحهم وجب عليهم أن يغتسلوا ويتطهروا من هذا الأجنبى الذى يعتبر فى نظرهم رجسا وقذارة .

وبنو اسرائيل يعتبرون أنفسهم أبناء الله وأحباءه وما عداهم من الأمم فهم خدم لهم وعبيد ، وأوربا التى تزعم أنها ترفع راية الأخاء والتقدم

والحضارة تنظر الى العالم الآخر فى أفريقيا وآسيا نفس هذه النظرة ، فالأبيض هو وحده المثقف، وهو وحده الانسان المتقدم ، بل أن بعض البيض يترفع عن الركوب فى قطار يشاركه فيه رجل ملون . وقد عزلوا الجنس الأسود فى أفريقيا الجنوبية وأمريكا المتحضرة . فبنوا لهم أحياء منعزلة عن البيض ، ولم تنحصر هذه التفرقة فى الأمور الدنيوية فقط بل تجاوزت ذلك كله الى دور العبادة فبنوا للبيض كنائس خاصة منفصلة عن كنائس الملونين والسود .

أما الاسلام فقد محا هذه الفوارق والعصبيات كلها ، وسوى بين بنى آدم كلهم . وهدم أسوار التفرقة بين الناس من ثراء المال ، ولون البشرة ، وعراقة النسب .. فالناس سواسية كأسنان المشط كلهم لآدم وآدم من تراب . فلا فضل لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى وطاعة الله .

فى غزوة بدر سقط أبو جهل رمز النقائص البشرية الذميمة . ونظر وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة برجل يضع قدمه على صدره ، ويتأمل أبو جهل فى وجه هذا الرجل فيجده عبد الله بن مسعود فتحشرج الكلمات فى حلق أبى جهل وهو يصرخ . عبد الله بن مسعود رويعى الغنم ! لقد استكثر أبو جهل كلمة راعى فصغرها وقال يا رويعى : لقد ارتقيت مرتقى صعبا أى عاليا .. ورفيعا . فمن الذى رفعك ؟ فيقول عبد الله : انه الاسلام ياعدو الله يرفع الله به أقواما ويرغم به أنوف آخرين .

وفى خلافة عمر يستأذن رجلان فى الدخول عليه .. بلال العبد الحبشى وأبو سفيان الزعيم القرشى . فيأذن عمر لبلال فى الدخول أولا .. ويقف أبو سفيان على الباب مغيظا . حتى اذا اذن له عمر قال له معاتبا : تسمع لبلال العبد .. وتترك أبا سفيا السيد ؟ فيقول عمر : كان ذلك فى الجاهلية شريعة هبل واللات .. أما فى الاسلام فالأمر يختلف يا أبا سفيان .

لقد سبقك بلال الى الايمان . وهذا هو الميزان الذى يقوم به الانسان أى انسان .

**د/ عبد الودود شلبى**

# هل ثمة رجل أعظم من محمّد ؟

للشاعر المؤرخ الفرنسي (لامارتين)

لم يحدث قط أن انسانا اتخذ لنفسه ـ متطوعا أو مكرها ـ هدفا أجل وأروع من هذا الهدف : أن يمحق الخرافات التي حالت بين الانسان وخالقه،وأن يقرب آلاء الله الى الانسان ويقرب الانسان الى الله ، وأن يرسى دعائم فكرة الألوهية ، هذه الفكرة المشرقة المقدسة ، بين فوضى آلهة الوثنية المادية الممسوخة اذ ذاك .

ولم يحدث قط أن انسانا حمل عبئا ينوء بالطاقة البشرية ، وبوسائل في ضآلة وسائله ، فانه لم يكن يملك من وسيلة غير شخصية لتصوير هذا الهدف العظيم وتحقيقه ، ولم يكن له من عون الا رجال معدودون في ناحية قصية من صحراء شاسعة .. وأخيرا، فلم يحدث قط أن انسانا حقق في العالم انقلابا ، أعظم من انقلابه ، أو أبقى على الزمن .

ذلك أن الاسلام في أقل من قرنين بعد ظهوره كما قد سيطر بعقيدته وسلاحه على الجزيرة العربية بأكملها، وفتح باسم الله فارس ، وخراسان ، وعبر القوقاز ، والهند الغربية ، وسوريا ، ومصر ، والحبشة وكل ما عرف من الشمال الأفريقي ، وكثيرا من جزر البحر الأبيض المتوسط وأسبانيا ، وجزءا من فرنسا .

واذا كان جلال الهدف وضآلة الوسائل وعظم النتائج ، هي المقاييس الثلاثة التي تقاس بها العبقرية الانسانية ، فمن ذا الذي يجرأ على مقارنة أي عظيم من عظماء التاريخ بمحمد ؟ ان أعظم مشاهير الرجال لم يخلقوا غير السلاح والتشريعات والامبراطوريات،أنهم لم يؤسسوا ـ ان كانوا قد أسسو شيئا على الاطلاق ـ الا قوى مادية تراءت في أغلب الأحيان على مرأى من أعينهم ، أما هذا الرجل فانه لم يحرك الجيوش والتشريعات والامبراطوريات والشعوب وبيوتات الملك فحسب،ولكنه حرك ملايين من الناس في ثلث الدنيا المعمورة آنذاك وأكثر من هذا كانت زلزلته للمنابر والأصنام والديانات والأفكار والعقائد

والأرواح وعلى أســاس من كتــاب ـ أصبحت كل كلمة فيه قانونا ـ استطاع أن يحقق قوميــة روحيــة مزجت بين شعوب متعددة الألسن والأجناس .

وقد خلف لنا الميزة الباقية للقومية المسلمة ، ألا وهى كراهيــة الآلهــة المزيفــة ، والتوجه الســافر نحو اله واحد منزه عن التجسيد ، وقد كونت هذه الوطنية الروحية الثائرة على كل منتهك لحرمــة السماء عنصر الخير فى اتبــاع محمد ، كما كان ادخاله لثلث العالم فى دينه هو معجزة ، أو بالأحرى لم تكن هذه معجزة رجل ، ولكنها معجزة الفكر ، لقــد كانت فكرة التوحيد التى صدع بها وســط الأساطير الخرافيــة ، معجزة ما أن فاهت بهــا شــفتاه حتى حطمت كل المعابد القــديمة للأصنام ، وأشعلت النار فى ثلث الأرض ، ان حيــاته ، وتأملاته، وشجاعته فى تسفيه خرافات قومه ، وجرأته فى تحــدى شراسة الوثنية ، وثباته فى احتمال أذاها ثلاثة عشر عاما بمكة ، ورضــاه بأن يكون موضع سخرية الناس ، حتى لقد كاد أن يذهب ضحية جهل بنى وطنه، كل هذا ـ ثم هجرته ، وخطبه المتواصلة وكفاحه ضــد العراقيــل ، وايمــانه بالانتصار وهدؤه عند الشدائد هدوءا يفوق طاقة البشر،وعفوه عند الانتصار وطموحه الذى كان مــكرسا لفــكرة واحــدة ولم يكن قــط ســعيا وراء امبراطورية ، وصلواته التى لا تنقطع ومناجاته الله ، وموته ثم انتصاراته حتى بعد موته على أعدائه ...

# الاتجاه العملى فى دعوة الرسول
## صلى الله عليه وسلم

للأستاذ يحيى هاشم حسن فرغلى

أود أن أوضح منذ البداية حقيقتين يرتكز عليهما هذا المقال :

الأولى : أن حدود شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وملامحها هى فى نفس الوقت حدود الرسالة الاسلامية وملامحها اذا أردنا أن نأخذ هذه الرسالة من زاوية التطبيق العملى .

وفى هذا يأتى قوله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

ويأتى قوله تعالى : « والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى » .

ويأتى - فى عبارة موجزة قاطعة - قول السيدة عائشة رضى الله عنها : « كان خلقه القرآن » .

واذن فعندما نتحدث عن « شخصية الرسول » صلى الله عليه وسلم ، أو عن معلم من معالمها فان حديثنا يكون فى الوقت نفسه عن « الرسالة الاسلامية » فى واقع الحياة ، ويصبح الحديث عن أحد هذين الأمرين حديثا عن الآخر

هذه واحدة .

الثانية : أن ماكان من طبيعة المجتمع العربى الخاص وكان له أثر فى تكوين شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم أو تحديد معلم من معالمها فاننا ننظر اليه على أنه لم يكن قيدا على هذه الشخصية مفروضا عليها من خارج الرسالة الاسلامية ، أو ضد طبيعتها وانما هو أمر وارد فى طبيعة هذه الرسالة ، مقصود فى تشكيلها وابلاغها للناس ، ضرورة أن هذه الرسالة من الله سبحانه الذى لاتحد ارادته الحدود البشرية أو الاجتماعية .

وكما أن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة لم تكن قيدا

على الرسالة ، وانما اتسعت لها بجميع أبعادها وأغوارها و « فصلت » الشخصية على « مقاس » الرسالة ، ان صح هذا التعبير ، فكذلك لم تكن البيئة الاجتماعية قيدا على الرسالة ، وانما أختيرت - أى البيئة - بما لهامن ملامح وأبعاد وأغوار ، من بين البيئات العديدة الممتدة على مدى التاريخ كله والأرض كلها ، ليكون ما يظهر منها من خلال شخصية الرسول ، وعاء متسعا لأبعاد الرسالة وأغوارها ، منطبقا عليها ، وافيا بها • ف « الله أعلم حيث يجعل رسالته » •

انه القادر على اختيار الشخص المناسب تماما لرسالته ، وعلى اختيار البيئة المناسبة • هو القادر على تهيئة كل من هذين ، على امتداد الزمان وامتداد المكان ، فاذا وجدنا اختيارا منه سبحانه لشخص ، واختيار منه سبحانه لبيئة ، فهذا يعنى أن الحدود الشخصية لهذا الشخص لم تكن قيدا على الرسالة ، وانما تجسيدا لها ويعنى أيضا أن الحدود الذاتية لتلك البيئة من خلال «مصفاة» الشخص المرسل وهذا شرط أساسى - لم تكن قيدا على هذه الرسالة وانما كانت وعاء لها •

اذا تقرر هذا : يمكننا أن نعلن الدعوى التى ندعيها فى هذا المقال ، ثم نقيم عليها الأدلة ، ونرتب عليها النتائج •

أما الدعوى :

فهى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتجه فى ابلاغ دعوته الى الناس اتجاها عمليا •

وأقصد بالاتجاه العملى : الذى يثير قضايا عملية ويستند فى اقناعه على دلالة السلوك الواقعى ، ويبتعد عن اثارة القضايا التأملية البحتة والاستدلالات الكلامية المجردة •

كان ذلك منذ بداية الدعوة المحمدية ، بل من قبل أن تبدأ بخطوات •••

كان انشغاله صلى الله عليه وسلم ، بالله تعالى - قبل البعثة - انشغالا سلوكيا عمليا •••

أو بعبارة أدق : كان اعداد الله اياه للرسالة اعدادا عمليا ، فى مسلكه وأسلوبه فى الاقناع •••

لم يضعه الله سبحانه وتعالى فى مدرسة يتعلم فيها الفلسفة ، ويبحث

عن أصل الوجود ، ويتمرس بطرق الجدال ... وقد كان هذا ممكنا .

وانما أعده بحيث يتخلق بالأخلاق الفاضلة يقول داود بن الحصين فيما رواه ابن سعد ، وابن عساكر وابن اسحاق : فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعايبها ، لما يريد به من كرامته ورسالته . حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال تنزها وتكرما . مارئى ملاحيا ، ولا مماريا أحدا ، حتى ما اسمه فى قومه الا « الأمين » لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة (١)

ولقد أعده سبحانه وتعالى ليكتسب الفضائل العملية السلوكية من حيث يشارك قومه فى نشاطهم ، فى تجارتهم الى الشام ، وفى رعية الغنم ، وفى اشتراكه فى حلف الفضول .

ثم أعده سبحانه اعدادا عمليا لتلقى الوحى :

فكان أول ما بدىء به صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح (٢)

يقول عقلمة بن قيس : ان أول ماتؤتى به الأنبياء فى المنام ، حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحى (٣)

ولم يقتصر هذا الاعداد العملى على الرؤيا ، وانما تجاوزها الى أشياء أخر ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «انى لأعرف حجرا كان يسلم على قبل أن أبعث انى لأعرفه الان»(٤)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضى الله عنها :

(ياخديجة : انى أرى ضوءا ، وأسمع صوتا ، لقد خشيت أن أكون كاهنا .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٨٣

(٢) صحيح البخارى : كتاب بدء الوحى .

(٣) سيرة ابن كثير ١/٣٨٨

(٤) صحيح مسلم : كتاب الفضائل .

قالت : ان الله تعالى لا يفعل ذلك بك انك تصدق الحديث ، وتؤدى الأمانة وتصل الرحم » (١)

وحدثت له من ذلك حوادث كثر، تقوم جميعها باعداده اعدادا عمليا نفسيا ، لتلقى الرسالة ، ليس هذا مقام الافاضة فى ذكرها .

ثم حبب الله اليه الخلاء ، فكان يخلو شهر رمضان بغار حراء ، فيتحنث ، أو يتحنف فيه ، قبل أن يرجع الى أهله ويتزود لذلك ويطعم من جاءه من المساكين ، فاذا رجع من جواره كان أول ما يبدأ به الكعبة ، فيطوف بها سبعا ، أو ما شاء الله ، ثم يرجع الى بيته ، فيتزود لمثلها (٢)

ثم بدأ جبريل يعرض له اذا خلا بنفسه ، ويحتجب عنه اذا دخل مع الناس ، أو كان مع زوجه ، فتقول له « يابن عم ، اثبت ، وأبشر ، فوالله انه لملك ، ما هذا شيطان » (٣)

هذا هو الاعداد العملى ، اختاره الله بدلا من العلم النظرى ، وقد كان ممكنا .

فاذا انتقلنا من هذا الاعداد ، الى تلقى الوحى ، نجده صلى الله عليه وسلم فى حاجة الى يقين بأن هذا هو الوحى ، أو الى سكينة يسكن اليها قلبه ، فاذا به يجد هذه السكينة فى المنطق العملى الذى تعرضه عليه زوجه خديجة رضى الله عنها . قالت : (..أبشر،فو الله لا يخزيك الله أبدا). لماذا ؟ لأدلة جاءت من نظرية حول الوحى : طبيعته ، وامكانات الاتصال به ، ودلائل الصدق فيه ؟ كلا ، وانما ( انك لتصل الرحم ، وتقرى الضيف وتصدق الحديث ، وتؤدى الأمانة ، وتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق ، فا قبل الذى جاءك من الله فانه حق ، وأبشر ، فانك رسول الله حقا ) .

ثم يستأنس لموقفه ـ استئناسا عمليا ـ بذهابه مع خديجة رضى الله عنها

(١) طبقات ابن سعد ١٩٥/١ ، طبعة بيروت .
(٢) السيرة الشامية ج ٢ ص ٣١٢ .
(٣) سيرة ابن كثير ٤١/١ .

الى رجل من أهل الذكر يسألانه عن خبرته أو خبره ، لاعن آرائه وتأملاته الى ورقة ابن نوفل ، فيقول له:(أبشر ... هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى ) .

ثم يستعد لممارسة الدعوة بين الناس ، فبماذا يستعد ؟

بالذهاب الى الكتب ؟ والاغراق فى التأمل الذهنى والبحث فى القضايا النظرية المجردة ؟

كلا . وانما يستعد لذلك على النحو الذى أمر به فى قوله تعالى :

« يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر » .

وفى قوله تعالى :

« ياأيها المزمل ، قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ، ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ، ان لك فى النهار سبحا طويلا ، واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ، رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا ، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ، وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا » .

اعداد عملى يصل الى أعمق الجذور فى النفس الانسانية ، سواء بالنسبة للداعى ، أو المدعويين ، وهو اعداد استبعدت منه تماما التربية العقلية المجردة استبعادا تاما .

حتى الدعوة الى التعلم التى جاءته فى مفتتح الرسالة لم تكن من باب التعلم الانسانى المستقل بالعقل عن الله وانما هو العلم المأخوذ عن الله :

« اقرأ باسم ربك » ...

« اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم »

وبعد ذلك :

كيف افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم عملية الدعوة والاقناع ؟

لقد بدأها على النحو الآتى :

( قام على الصفا ، فعلا أعلاه حجرا ، ثم نادى :

ياصباحاه .

فقالوا : من هذا ؟

فجاء أبو لهب وقريش ، فاجتمعوا اليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ان أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟

قالو : ماجربنا عليك كذبا .

فقال : يا معشر قريش ، أنقذوا أنفسكم من النار ، فانى لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يابنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، فانى لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يابنى كعب بن لؤى أنفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يابنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار فانى لاأغنى عنكم من الله شيئا ، ياعباس عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنقذ نفسك من النار فانى لا أغنى عنك من الله شيئا ، ياصفية عمة محمد ، ويافاطمة بنت محمد أنقذا أنفسكما من النار فانى لا أملك لكما من الله شيئا ، غير أن لكما رحما سأبلها ببلالها ، انى لكم نذير بين يدى عذاب شديد (١).

هكذا يبدو المنطق العملى أوضح مايكون فى افتتاحية الدعوى العامة هذه .

انه يركز على أمرين نمارسهما فى حياتنا العملية ولاغنى لأحد ـ مهما يكن موقفه الفلسفى والتأملى !! ـ عن الأخذ بهما .

أولهما : تصديق خبر ما يغيب عنا اذا أتى من الصادق وهكذا كان الأمر هنا ؛ صادق مشهود له بالصدق الكامل ، يأتى قومه بخبر ما غاب عنهم ولاسبيل لهم الى معرفته الا بالخبر

الأمر الثانى : الأخذ بالأحوط فيما يتضمن الخبر عنه تحذيرا من خطر محتمل .

اذاجاءك انسان يقول لك : احذر العدو يقف على بابك ، وتسلح له عند خروجك ، يكون من الواجب عليك ـ لمنفعتك ـ أن تأخذ تحذيره مأخذ الجد ، وتستعد لاحتمال الصدق فيه ، ويكون من الحمق الأحمق أن تطالبه بدليل عقلى ، وتصمم على

(١) السيرة الشامية ج ٢ ص ٤٣٣ .

الخروج بغير سلاح اذالم يأتك بهذا الدليل •

هـذان أمران ينتميان الى بساطة المنطق العملى ويتجنبان كل المجادلات النظرية ، وهما اللذان استند اليهمـا الرسول فى الدعوة منذ بدايتها •

ويردف الرسـول صلى الله عليه وسلم منطقه ذاك بركيزة ثالثة :

اذ يقول : ( يابنى عبد المطـلب ، انى والله ما علمت أن شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، انى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة ) •

انه يدعوهم الى تصديق لايخسرون معه شـيئا ، وهم به يكسبون الدنيـا والآخرة جميعا •

يقول تعالى:« وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر •• » (١)

ومن قبل استعمل رجل مؤمن من آل فرعون هــذا الدليـل العملى : (••وان يك كاذبا فعليه كذبه،وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) (٢)

لقـد وضعهم الرسـول صـلى الله عليه وسـلم أمام انـذار لا يحتـمل تكذيب : « انى لكم نذير بين يدى عذاب شديد » •

انه لايخاطر بتكذيب هذا الانذار الا مخبول •

وهكذا كان منطقـه فى الاقنـاع والالزام منطقا عمليا لا سبيل للفـرد أو الجماعـة الى مجـاوزتـه بحكم ضرورات الحياة العملية •

يقول أحد الفلاسفة الذين يقيمون ايمانهم بالله على أسس عملية :

( ان خلود النفس من الأهميـة بحيث لا يظل عديم المبالاة بالاضافة اليه الا من فقد كل شعور ) •

ويقول عن الكافر :( اذا لفتنا نظره الى الموت فانما نلفت نظره الى نفسه والى منفعته الكبرى ) •

ويقول : ( فلنذكر الملحد بالموت وبالأبدية :

ماذا لديه من القول عنهمـا ؟ هل يقول انه لايبالى؟ أليس منتهى الحماقة

---

(١) النساء ٣٩ ،

(٢) غافر ٢٨

ونحن نعنى أكبر العناية بصغائر الأمور ألا نثير المسألة الكبرى التى توقف عليها النعيم الأبدى أو الشقاء الأبدى ؟ هل يقول : أن العقل لايفهم الدين ؟ فليكن ، ولكن كيف يكون هذا دليلا على ان الدين ليس حقا ؟ لنفرض أن الغموض متساو من جهة اثبات الدين ومن جهة نفيه ، يبقى أن الاختيار بينهما واجب محتم.

ثم يقول : ( اننا اذا صدقنا الدين فاننا نلتزم بحدوده وتكاليفه ، ونفقد الحق فى العيش على حسب الشهوة ولكننا نربح حظ الحصول على النعيم الأبدى ، فنضحى بالخيرات المتناهية فى سبيل الخير اللامتناهى . )

ويقول أخيرا : ( فاذا رجعنا الى منفعتنا الحقة وجب علينا أن نصدق بالدين ، فاذا كسبنا كسبنا كل شىء ، واذا خسرنا لم نخسر شيئا ) . (١)

هذا هو المنطق العملى الذى نمارس به شئون حياتنا :

١ ــ تصديق الخبر ممن عهد فيه الصدق .

٢ ــ الأخذ بالأحوط عند التحذير من خطر محتمل .

٣ ــ الركون الى مافيه المنفعة على كل حال ، وليس فيه خسارة بأية حال .

وهذا مافعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعوة منذ بدايتها .

بل نجد هذا الاتجاه ــ الاتجاه العملى ــ بارزا فى خطواته التالية :

نجده فى مناقشته لقضية البعث ، سواء ماعلمه القرآن اياه ، أو ماجاء فى الحديث على أسلوبه

ونجده فى كلامه عن القدر :

( اعملوا فكل ميسر لما خلق له )

ونجده فى اقتصاره فى التحدى على معجزة القرآن ، « فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » ، دون أن يتطرق الى التحدى بمعجزات أخرى كثيرة ، قد تثير جدلا .

( ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ) .

ونجده فى لجوئه الى المباهلة مع أهل الكتاب .

ونجده فى نهيه العام عن الجدال والمراء أما الجدل الذى سمح له به فهو الجدل المشروط بشرطين : ألا

---

(١) بليز بسكال ( ١٦٢٣ ــ ١٦٦٢ م ) .
انظر الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ص ٩٢ ــ ٩٣ .

يكون مبتدأ من جانبه ، وانما يكون رد فعل لما يبدأ به الخصوم ، وأن يكون محصورا فى نطاق « التى هى أحسن » وهو نطاق محدود ينتهى من قريب .

وهنا نجد رءوساء ترتفع لتقول :

ان هذا انما كان بحكم شخصية الرسول أو بحكم بيئته .

وهم يعنون بذلك الأمية الغالبة التى تمنع من الترسل الجدلى والنظر التجريدى ، ويعنون المزاج العملى الذى اتصف به العرب آنذاك بصفة خاصة .

وهم يعنون بذلك أن هذا الاتجاه العملى لم يكن الا فصلا أول من فصول الدعوة الاسلامية قضت به الضرورة وليس أمرا ذاتيا للدعوة الاسلامية ، وتأتى من بعده فصول وفصول تتطور بتطور الأفراد والجماعات تسمح فيما تسمح به بأن تحل التأملات التجريدية والمجادلات الكلامية محل هذا الاتجاه العملى الأولى فى الدعوة الاسلامية .

وأرد على هؤلاء بما افتتحت به هذا المقال :

لقد اختار الله هذا الرسول وهذه البيئة لا لتكون قيدا على رسالته ، وانما لتكون وعاء لها ، فهى من ثم تتسع لما جاءت به الرسالة ولكل احتمالاتها ، ولو ضاقت عنها لكان فى الأرض متسع لايضيق ، لقد كان من الممكن لصاحب الرسالة ــ الله سبحانه ــ تهيئة أخرى للشخص ، وتهيئة أخرى للمجتمع وتهيئة أخرى للزمن ، فتلك هى الرسالة الأخيرة الخاتمة،و« الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

فاذا كان الاختيار قد وقع على محمد صلى الله وعليه وسلم بمكوناته الربانيه وبخلقه القرآنى :

فهذا يعنى أن « الاتجاه العملى » للرسول صلى الله وعليه وسلم هو اتجاه ذاتى فى صلب الرسالة الاسلامية وأى تعديل فيه ، أو اضافة اليه،تصبح سطحية مؤقتة ، تنشأ بحكم الضرورة ، وتزول بزوالها.ومن هنا لانضطر الى أن نحكم على علم الكلام الذى نشأ بعد ذلك بالانحراف،حكما مطلقا الابالقدر الذى أسرف فيه، وخرج به عن نطاق قوله تعالى:«وجادلهم بالتى هى أحسن» ولم يكن فيه ملجأ بضرورات عصره . وقد يكون لهذا بحث آخر .

وبالله التوفيق ؟ .

**يحيى هاشم حسن فرغل**

# بشائر بين يدي النبوة الخاتمة

للدكتور رءوف شلبي

روى الامام الورع المحتسب الجليل أحمد بن حنبل والبزار ، والطبراني والحكم والبيهقي عن العرباض بن سارية السلمي – رضي الله عنهم جميعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

اني عند الله لخاتم النبيين،وان آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك

أنادعوة أبي ابراهيم •

وبشارة عيسى •

ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين ، وان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام•

لقد كانت ارادة الله تعالى وهو يختار مايشاء قد حددت اصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم رسولا خاتما :

( واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنامعكم من الشاهدين ) آل عمران الآية ٨١

قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله تعالى عنهما :

ما بعث الله نبيا من الأنبياء الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه •

ويؤيد هذا التفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم :

( وانه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعني ) •

وفي تفسير القرآن العظيم : وفي بعض الأحاديث :

( لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما الا اتباعي ) •

وذلك هو فى نظرى جزء من معنى قوله عليه الصلاة والسلام : ( انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته ) .

ولهذا الميثاق كانت دعوة سيدنا ابراهيم عليه السلام : ( ربناوابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ) . -١٢٩- البقرة فقد جعل ابن كثير نص الحديث المذكور شرحا لهذه الآية ، قال : يقول تعالى اخبارا عن تمام دعوة ابراهيم لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولا منهم أى من ذرية ابراهيم وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق فى تعين محمد صلوات الله وسلامه عليه كما قال الامام أحمد: أخبرنا عبد الرحمن ابن مهدى عن معاوية بن صالح عن سعيد ابن سويد الكلبى عن عبد الأعلى ابن هلال السلمى عن العرباض ابن سارية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأنبئكم بأول ذلك .

دعوة أبى ابراهيم ، وبشارة عيسى ورؤيا أمى رأت وكذلك أمهات النبيين يرين .

واما فيما يتعلق ببشارة سيدنا عيسى عليه السلام ، ففى القرآن الكريم : ( ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ) ٦ - الصف ثم ساق ابن كثير مجموعة من الأحاديث تدور حول الذى نقلناه عنه آنفا .

وأما رؤيا أم النبى صلى الله عليه وسلم فقد روى البيهقى فى دلائل النبوة : « وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث أنها أتيت حين حملت بمحمد صلى الله عليه وسلم فقيل لها : انك قد حملت بسيد هذه الأمة فاذا وقع على الأرض فقولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد » .

وقال : فان آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام فاذا وقع فسميه محمدا فان اسمه فى التوراة والانجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض .

ويروى كذلك . ليلة ولدته قالت : فما شىء أنظر اليه فى البيت الا نور وانى لأنظر الى النجوم تدنو حتى انى لأقول ليقعن على .

يقول ابن الجوزى فى كتابه الوفا بأحوال المصطفى ، قالت آمنه : لقد رأيت ليلة وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها .

وقالت آمنة أيضا لما ضربها المخاض قالت : فجعلت أنظر الى النجوم تدلى حتى قلت ليقعن على . فلما وضعته خرج منها نور أضاء له البيت والدار حتى جعلت لا ترى الا نورا .

وبعد :

فان : ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) .

عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهم قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : فداك أبى وأمى ، أين كنت وآدم فى الجنة ؟

قال فتبسم : حتى بدت نواجذه ، ثم قال :

كنت فى صلبه ، وركب بى السفينة فى صلب أبى نوح ، وقذف بى فى صلب أبى ابراهيم ، لم يلتق أبواى على سفاح قط ، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسيبة الى الأرحام الطاهرة صفيا مهذبا لاتتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما، وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقى ، وبالاسلام عهدى ، ونشر فى التوراة والانجيل ذكرى ، وبين كل نبى صفتى ، تشرق الأرض بنورى والغمام بوجهى ، وعلمنى كتابه وزادنى شرفا فى أسمائه ، وشق لى اسما من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد وأحمد ، ووعدنى أن يحبونى بالحوض والكوثر ، وأن يجعلنى أول شافع وأول مشفع ، ثم أخرجنى من خير قرن لأمتى وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير بيئة ومن خير قرن ، يقول عليه الصلاة والسلام :

« بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا قرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه » .

وفي صحيح مسلم: «ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من بنى اسماعيل كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم » .

وفى البخارى:«بعثت من خير قرون آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه » •

ويروى الحاكم والبيهقى من حديث موسى بن عبيدة ••• عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم : قال جبريل : قلبت الأرض من مشارقها ومغاربها فلم أجد أفضل من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد

نبى أب أفضل من بنى هاشم •••

أخرجه البيهقى والطبرانى •

وفى الصحيحين:« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » •

ذلك اختصاص الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، وذلك اعداده هو جل شأنه له ليكون عليه الصلاة والسلام للعالمين رسولا •

( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ) ـ ٣٦ الأحزاب •

ولقد شاء الله تعالى ان يملأ الجو الانسانى بأنباء هذا الرسول الكريم ليهيء المجتمع الانسانى لاستقبال دعوته لا تكون فجأة ويكون للدين الحنيف ارهاصات تمهد له ، وتهيىء النفوس لاستقباله • وكان أمر الله مفعولا •

**● قبل البدء :**

كانت أم قتال : رقية بنت نوفل تسمع من أخيها ، العلامة ورقة بن نوفل : أن فى الانجيل والتوراة علامات النبى الخاتم وكان ورقة يحتل منزلة عليا ، وشهرة فى الحياة الفكرية والدينية عند العرب ، وكانت أخته أم قتال أكثر الناس سماعا منه وكان اتصالها به ميسرا والثقة فيه كبيرة •

وبفراستها العربية شاهدت فى جبين عبد الله بن عبد المطلب انوار النبوة فتمنت للحظتها أن تكون هى أم ذلك النبى المترقب •

فاندلعت ـ وهى منفعلة بلهب أمنيتها ـ ودون تحفظ ولا اختيار للألفاظ قالت له : لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن • فقال لها :

أنا مع أبى ولا أستطيع خلافه ولا فراقه •

ويمضى أبو النبى عبد الله بن عبد المطلب بالنور الذى يحمله الى منزل وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بنى زهرة : شرفا ونسبا فيتزوج من آمنة وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا وأكرم امرأة فى حى العرب من جميع نواحى التفضيل والطهر والنقاء كمالا ، ورفعة وسموا •

ثم يخرج من عندها ويلتقى مرة أخرى بأم قتال فلا تعرض نفسها عليه كما فعلت فى المرة الأولى فيسألها•

مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضتيه بالأمس ؟

فتجيبه :

لقد فارقك النور الذى كان معك بالأمس فليس لى بك اليوم حاجة •

ويروى صاحب الحلبية : أن سبب تزويج عبد الله بن عبد المطلب من آمنة بالذات ، أن عبد المطلب كان يأتى اليمن وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم ، فنزل مرة عنده ، فاذا عنده رجل ممن قرأ الكتاب ، فقال له : ائذن لى أن أفتش منخرك ؟

فقال : دونك فانظر •

فقال : أرى نبوة ، وملكا ، وأراهما فى المنافين •

عبد مناف بن قصى ، وعبد مناف بن زهرة •

فلما انصرف عبد المطلب ، انطلق بابنه عبد الله فتزوج عبد المطلب :

هاله بنت وهب فولدت حمزة ، وزوج ابنه عبد الله آمنة فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم •

لقد صدق عبد المطلب هذا التنبؤ، واتخذ لذلك طريقا عمليا واحتاط وحرص ، عسى أن تتحقق النبوءة ، أو تكون ملكا • فجمع نسبا له ولولده من بنى عبدى المناف ( المنافين ) ليكون من أحدهما المجد المنتظر •

## ● مع البدء :

يروى ابن الجوزى ، وابن كثير:

لما حملت به آمنه بنت وهب كانت تقول :

ماشعرت أنى حملت به ، ولاوجدت له ثقلا كما تجد النساء الا أننى أنكرت رفع حيضتى فأتانى آت ، وأنا بين النائم واليقظان ، فقال :

هل شعرت أنك حملت ؟

فكأنى أقول : ماأدرى •

فقال : انك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، وتقول :

ثم أمهلنى حتى اذا دنت ولادتى أتانى ذلك الآتى فقال :

قولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد •

قالت : كيف أقول ذلك ؟

فذكرت ذلك للنساء فقلن تعلقى حديدا فى عضديك وفى عنقك قالت:

ففعلت،فلم يكن يترك على الا أياما فأجده قد قطع ، فكنت لا أتعلقه ، ولقد قالت آمنة : لقد علقت به فما وجدت مشقة حتى وضعته وأمرت أن أسميه أحمد •

● **عند الوضع :**

يروى ابن الجوزى :

قالت آمنة : لقد رأيت ليلة وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها •

وفى أعلام النبوة للماوردى :

عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت :

كان يهودى يسكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حضر مجلس قريش فقال : يا معشر قريش : هل ولد فيكم الليلة مولود ؟

فقال القوم : ما نعلم ؟

قال : الله أكبر ، أما اذا أخطأكم فلا بأس ، انظروا واحفظوا ما أقول لكم : ولد فى هذه الليلة نبى بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنها عرف وثن ، فتصارع القوم عن مجلسهم وهم متعجبون من قوله ، فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله ، فقالوا:ولد لعبد الله ابن عبد المطلب غلام سموه : محمدا، فانطلق القوم الى اليهودى فأخبروه فقال : اذهبوا بى حتى أنظر اليه •

فأدخلوه عند آمنة وقالوا أخرجى الينا ابنك ؟ فأخرجته وكشفوا عن ظهره ، فرأى اليهودى تلك الشامة فوقع مغشيا عليه •

فلما أفاق ، قالوا له : مالك ؟

قال : ذهبت ــ والله ــ النبوة من بنى اسرائيل يا معشر قريش والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب •

وصدق الله العلى العظيم :

( الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ) – ١٤٦ البقرة .

● **مع الطفولة :**

يروى ابن هشام :

أن نفرا من النصارى رأوه – يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم – معها – يعنى حليمة – حين رجعت به بعد فطامه ، فنظروا اليه وسألوها عنه، وقلبوه . ثم قالوا لها :

لنأخذ هذا الغلام فنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرفه .

● **مع الشباب :**

ومرة أخرى يسافر محمد صلى الله عليه وسلم – فى تجارة الى الشام ، انها تجارة خديجة بنت خويلد .

كان فى المرة الأولى فى كنف عمه أبى طالب وهو غلام صغير ، أما هو هذه المرة فشاب ، انه وكيل متصرف له ارادة ورأى وكان موثوقا فيه على مستوى المجتمع كله .

ويمر فى رحلته الميمونة المباركة براهب فى صومعته ، انه على ما قاله المشتغلون بمثل هذه التحقيقات يسمى نسطورا رأى هذا الراهب من مبشرات النبوة وعلاماتها ودلائلها وارهاصاتها بمثل ما رأى بحيرا ، وكما عرف من الانجيل الذى قرأه .

وحول هذه الحادثة يقول ابن هشام :

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة قريبا من صومعة راهب فاطلع الراهب الى ميسرة فقال له :

من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟

قال له ميسرة : هذا رجل من قريش ، من أهل الحرم .

قال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبى .

كان الراهب فى صومعته يعلم أن زمن النبوة الخاتمة قد حان . وكان يعلم أن من علامات النبوة فى الساعة التى راقب فيها الطريق أن النبى المنتظر يستظل تحت الشجرة المجاورة لمنطقته التى يعيش فيها فانتظر .. حتى يشاهد الحوادث على نهج ما علم وصدق الله ما عرف من الحق .

● **قبيل الشروق :**

يروى ابن الجوزى :

قال طلحة بن عبيد الله : حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعة يقول :

سلوا أهل الموسم : هل فيكم أحد من أهل الحرم ؟

قال طلحة : فقلت : نعم ، أنا .

قال لى : ظهر بمكة بعد أحمد ؟

قلت : من أحمد ؟

قال : ابن عبد المطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه وهو آخر الأنبياء ، ومخرجه من الحرم ، ومهاجرة الى نخلة ، وحرة وسباخ .

قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال الراهب ، فخرجت حتى قدمت مكة .

فقلت : هل كان من حديث ؟

قالوا : نعم محمد بن عبد الله الأمين تنبأ .

وتابعه ابن أبى قحافة . فخرجت حتى أتيت أبا بكر ، فأخبرته ، وقلت له : بعث هذا الرجل ؟

قال : نعم ، انطلق فتابعه ، فانه يدعو الى الحق . وذهب أبو بكر .

قال طلحة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبر الراهب وما قال لى .

وشواهد هذه الارهاصات كثيرة ونماذجها تذخر بها الكتب .

لقد كانت هذه الدلائل والبشارات تفيض بها الأخبار على جميع المستويات من علماء أهل الكتاب ، والكهان ، والعظماء وعامة الناس .

لقد كان من رحمة الله أن وعى الناس بارسال النبى عليه الصلاة والسلام حتى لا تكون حيرة اذا ما فاجأهم وليدركوا أن طاعة الله ليست فى رفيع الأخلاق ، وانما هى فى استسلام الوجه لجلاله .

( ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور ) ـ ٢٢ ـ لقمان

ومن رحمة الله كذلك أن بعث اليهم رسولا من أنفسهم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم .

ومن حق المصريين أن يتقدموا شعوب العالم كله ليحتفلوا بمولد هذا النبى العظيم . فليس لهم نبى آخر نسب سوى نسبهم بهذا النبى الخاتم .

فلقد كانت هاجر المصرية أم اسماعيل جد العرب وجد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تربط المصريين بعالم الأنبياء منذ تشرفت مصر بنسب سيدنا ابراهيم عليه السلام •

وان مناسك الاسلام لتحتفظ لهاجر المصرية بآثار عطفها الندى على جد العرب سيدنا اسماعيل عليه السلام وهى تسعى بين الصفا والمروة بحثا عن ماء لولدها اسماعيل ••• ووفاء لهذا الحنان الرءوم تبقى آثار سعيها تشكل جزءا من مناسك عبادة الحج•

ومن هنا كان لنا نحن المصريين الشرف العظيم بالانتساب للنبى الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان من واجبنا ومن حقنا فى مصر أن نتقدم شعوب العالم لنحتفل بذكرى المولد الجليل •

وبالله التوفيق ؟

د/ رؤوف شلبى

# البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

— ١٣ —

لقد كثرت البغاث المستنسرة بعد هذا المنشور الحقير الذى دبجته يد الجهل والجاهلية ، حتى لقد طاش صواب بعض المنتسبين الى الوعظ من مراهقى الجيل الحدث من الأئمة فى مساجد الأوقاف اذ أبلغنا صديقنا العلامة الدكتور عبد العظيم الديب أن أحد هؤلاء المتعالمين تجرأ على حديث « لاوصية لوارث » فنسبه الى الوضع والوهاء ، وشكك الناس فى صحيح البخارى ودعا الناس من العوام الى اعادة النظر فى التراث الاسلامى كله ببخاريه وتفاسيره وفقهه ناسبا الى الأئمة كلاما لم يقولوه وزاعما أنه بز المفسرين والأولين والآخرين كل هذا وهو على المنبر يوم الجمعة ، وبهذا يكون هذا الكتاب الخبيث قد نجح فى تضليل شاب من حدثاء الأسنان من خطباء الجمعة ، فضمه الى ثلته ، كما رأينا من يكتب فى صحيفة يومية مقالا بعنوان ( القرآن وكفى ) ولعمر الحق لا يستطيع أعداء الاسلام أن ينالوا منه بقدر ما ينال منه أمثال هؤلاء المتزيين بزى رجال الدين والمتصدرين لوعظ الناس وارشادهم فخرجوا بالوعظ عن سمته ، وبالارشاد عن طبعه ، وبالبحث العلمى عن نهجه ألا وان حديث « لاوصية لوارث » لايعاب عليه الا من قبل جهل العائبين عليه بطرقه وقصورهم عن درك منزلته بين الحديث ، وعلو شأنه عند المحققين المدققين .

ان هؤلاء بضراوتهم واصرارهم على محاربة السنة والحملة عليها وادعائهم اكتفاءهم بالقرآن انما يقوضون الاسلام بقرآنه وسنته وسنن خلفائه واجماع أئمته وعمل أمته ، وكانت أعظم فرصة اهتبلوها هى هذه الفترة العصيبة من حياة المسلمين حيث تنوشهم المحن من كل مكان فوجدوها فرصة ذهبية يحملون فيها على أصول الاسلام وقواعده الراسخة واخوانهم فى أندونيسيا ينصرون المسلمين بتشديد الصاد المهملة المكسورة بكل الوسائل وكذلك يفعلون فى شرق

أفريقيا وغربها ووسطها ، فليأتوا للاسلام من قبل المسلمات (بتشديد اللام المفتوحة ) وكيف لا تكون الحملة على السنة المطهرة حملة على الاسلام كدين فى أصوله وتعاليمه ، وهى تابى الوحيين ؟!! أرأيت الى الأحكام التى لم ترد فى الكتاب العزيز ووردت فى السنة وتعد فى أمهات الأحكام التى يكفر منكرها كيف يكون الأمر لو أطعنا هؤلاء الغوغاء ؟ أيريدون أن يجعلوا القاتل والمقتول يتوارثان حيث لانص فى القرآن وانما الذى فيه عموم التوارث .

أيريد هؤلاء أن يجعلوا الكفار يرثون المسلمين والعكس ؟ حيث لانص فى كتاب الله بل فيه «وأولوا الأرحام بعضم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » الآية وانما التحريم فى السنة أيريد هؤلاء اباحة الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها حيث لم يرد فى الكتاب العزيز نهى عنه بل فى الكتاب بعد ذكر المحرمات قال « وأحل لكم ما وراء ذلكم » وانما ورد النهى عن هذا الجمع فى السنة.ولنعد الى حديث « لاوصية لوارث » فنقول .

ان هذا الحديث ثبت تواتره عند كثير من المحدثين اذ أخرجه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارقطنى والبيهقى من حديث عمرو ابن خارجة بلفظ «ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب على ناقته وأنا تحت جرانها ، وهى تقصع بجرتها وان لغامها يسيل بين كتفى فسمعته يقول : ان الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث » وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى أمامة بلفظ « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث» وأخرجه الدرامى من حديث ابن عباس وعمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده ، الأول بلفظ « لاتجوز وصية لوارث الا أن يشاء الورثة » والثانى « لاوصية لوارث الا أن يجيز الورثة .

وحديث ابن عباس ذكر ابن حجر فى فتح البارى أن روايته المرفوعة من طريق عطاء الخراسانى - وهو ابن أبى مسلم القائد المشهور - معلولة لأن عطاء لم يسمع من ابن عباس ، وصحح الرواية الموقوفة التى أخرجها البخارى لأنها من طريق عطاء بن أبى رباح ثم قال الحافظ : الا أنه فى تفسير وأخبار

بما كان من الحكم قبل نزول القرآن فيكون فى حكم المرفوع .

وقال صاحب نيل الأوطار: وأخرجه أبو داود فى المراسيل عن مرسل عطاء الخراسانى ، ووصله يونس بن راشد عن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس قال الحافظ : والمعروف المرسل . وحديث عمرو بن شعيب قال فى التلخيص : اسناده واه وقال فى ملحق الأزهار المتناثرة فى الأحاديث المتواترة العلامة المغربى عبد العزيز محمد الصديقى :

حديث « لاوصية لوارث » من حديث أبى أمامة وأنس وعمرو بن خارجة وعلى وابن عباس وابن عمر ومعقل بن يسار وخارجة بن عمرو ومن مرسل مجاهد وعمرو بن دينار وأبى جعفر الباقر وجابر بن عبد الله وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وزيد بن أرقم والبراء بن عازب .

وقال الشافعى رضى الله عنه في الأم :

ان هذا المتن متواتر ثم قال : وجدنا أهل الفتيا ومن حفظنا عنهم من أهل العلم بالمغازى من قريش وغيرهم لايختلفون فى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عام الفتح « لاوصية لوارث » ويأثرونه عمن يحفظونه عنه ممن لقوه من أهل العلم فكان نقل كافة عن كافة فهو أقوى من نقل واحد اهـ

قلت : واذا ورد فى بعض أسانيد هذه الروايات ضعف فانه لا يؤثر فى صحة الحديث ، لأن المتواتر لا ينظر فى بعض مفرداته غالبا ، لأنه ورد من طرق تحيل العادة تواطؤ ذويها على الكذب كما هو الشأن فى وصف المتواتر ولندع هذا الفرخ الآن حتى نجهز على أوكار الفساد أولا ، وعلى أعشاش البوم ، وجحور الأفاعى العمياء ، فلا يجد أمثال هذا الفرخ مدجنة تحتويه، فلا حاجة الآن للكلام فيه ، فحداثة سنه وفجاجة رأيه ، واعراض الناس عن هذره تكتفيه . ولماذا لا يعرض الناس عن هذا الهراء والامام الشافعى يقول : ان كل من نعرف من أهل الفتيا وأهل العلم من قريش وهم أقرب الناس الى النبى صلى الله عليه وسلم لايختلفون فى قوله هذا صلى الله عليه وسلم ، قال عرقوب الضلال وشسعه بكسر المعجمة وسكون المهملة ورأس الجهل وأسه : ( الحديث رقم ٣٠ فى أن أبواب الجنة أنواع الريان للصائمين وغيره للمصلين وآخر للمتصدقين ) ثم يقول ( وما تعلمناه من الدين المتكامل والقرآن الواضح يوحى الينا ( يعنى

يوحى اليه والى أمثاله وصدق الله العظيم : (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين ، الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ) ببطلان نسبة هذا الحديث الى النبى «ص» للأسباب التالية .

١ ـ الجنة دار الجزاء الكامل لأصحاب العمل الكامل ، وهؤلاء درجات فى نعيم الجنة على حسب تفوقهم فى الجهاد والصدقات وفعل الخير وليسوا درجات فى أبواب الدخول ، ومستحيل أن يدخل الصائم من باب خاص بسبب صومه .

٢ ـ لم أفهم ماذا يقول اللهم الا أن يشرح عالم فذ معنى :

الأرض أرض والسماء سماء
والبحر بحر مادام فيه الماء

لأنه أخذ يذكر بعض الأعمال الصالحة طبعا بركته ـ بتشديد الكاف ـ ثم ختم كلامه بهذه الحكمة البالغة ، وهذه القطعة الفنية الرائعة ، وهذه الفلسفة التى يعجز عن الوصول اليها كبار المفكرين ولتشحذ الخواطر لتلقى هذا الالهام ، ولتتفتح الأذهان ، وتتفغر الأفواه قال عامله الله بما يستحق : ( وان الجنة هى المأوى لأصحاب هذه الأعمال ) .

ألست معى أيها القارىء فى حاجتنا الى من يشرح لنا بيت الشعر الذى سقناه آنفا حتى نستطيع فهم هذا الكلام وكأنه مادامت الجنة مأوى لمن يعمل العمل الصالح فلماذا الأبواب ؟ وهذا طبعا اعتراض هندسى فى فن معمار الجنان . ثم يقول مهندس الجنان :

٣ ـ الصيام فريضة متممة لما قبلها من فرائض وقواعد دينية أخرى وأن توزيع أبواب الجنة بتسمية الفرائض يعنى أن المصلى يدخل من باب الصلاة ولو لم يصوم ( !!!! ) ومن يصوم يدخل من باب الصوم ولو لم يصلى ( !!!! ) ومن يتصدق يدخل من باب المتصدقين ولو لم يؤدى(!!!) الفرائض وهكذا وهذه قواعد وأسباب ومعانى لاتصح ولا تصدر عن النبى ص (!!) .

اذا كان الله تبارك وتعالى يقول (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ) فما هى قيمة الصلاة بدون صيام ، وما هى قيمة الصيام بغير صلاة ،

واذا أثبت لنا أنه لاقيمة لعمل بغير الآخر فما هي قيمة هذه الأبواب وما السبب في تنوعها الا أن يكون ذلك رسما رخيصا يغرى من يصلى وهو يترك الصيام • الى آخر ما هذى وخرف •

ونقول لمن حسنت مقاصدهم ، وسلمت نياتهم : ان المسكين لم يتعلم من الدين شيئا لا قليلا ولا كثيرا لأن الذى يجهل أبسط المبادىء العربية هو بالنصوص العربية التى تحمل أحكام الدين وتعاليمه أشد جهلا ، وناهيك بمن يستشهد بالآية ليرد عليها وكل ما يسوقه مباين لها مناف لمنطوقها ومفهومها •

القرآن يقول ( فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ) فيرد على القرآن قائلا : ما قيمة الصلاة بدون الصيام ، ومعنى هذا أن القرآن قد أخطأ فى تخصيص الساهين بالويل ، لأنه خص المرائين بالصلاة بهذا الويل ، فلماذا لم يشرك معهم غيرهم من أصحاب المآثم الأخرى ، هذا هو المفهوم للجاجته وسماجته •

ثم يزعمون بعد ذلك أنهم يريدون اتباع القرآن ، وتحكيم منطق القرآن ، والنظرة البدهية تدلنا على جهلهم التام بالقرآن •

ولنضرب مثلا بسيطا يقرب للقارىء معنى الحديث الذى نسوقه فيما يلى :

قال الامام البخارى رضى الله عنه ( باب الريان للصائمين ) حدثنا خالد ابن مخلد حدثنا سليمان بن بلال قال حدثنى أبو حازم عن سهل رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان فى الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لايدخل منه أحد غيرهم يقال : أين الصائمون ، فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد • حدثنا ابراهيم بن المنذر قال حدثنى معن قال حدثنى مالك عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى من أبواب الجنة ياعبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ــ وفى

نسخة دعى من أبواب الصدقة ـ فقال أبو بكر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يارسول الله ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها قال : نعم وأرجو أن تكون منهم » •

هذان الحديثان أخرجهما مسلم فى الحج والنسائى فى سننه وأحمد فى مسنده والترمذى فىالمناقب • والريان نقيض العطشان وهو مما وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه فانه مشتق من الرى ، وهو مناسب لحال الصائمين لأنهم بتعطيشهم أنفسهم فى الدنيا يدخلون من باب الريان ليأمنوا من العطش ، وقال ابن المنير : انما قال فى الجنة ولم يقل للجنة ليشعر أن فى الباب المذكور من النعم والراحة ما فى الجنة ، فيكون أبلغ فى التشويق اليه ، وزاد النسائى وابن خزيمة : « من دخل شرب ومن شرب لايظمأ أبدا )•

أما الحديث الثانى الذى فيه ( من أنفق زوجين فى سبيل الله) والمقصود من قوله ( زوجين يعنى أن الذكر والأنثى من كل حى يتوفر فيهما مجتمعين معنى الحياة ، ومعنى بقاء النوع ، فاخراج الزوجين فيه تعليم المعطى ( بالبناء للمجهول) اقتناء الزوجين واستنتاجهما، فكلما نتجتا كتب للمتصدق من الأجر بقدر استمرار تناسل هذين الزوجين وقد جاء فى بعض الطرق مفسرا ـ مرفوعا بعيرين شاتين حمارين درهمين •

والانفاق فى سبيل الله ولو بالقليل خير من الخيرات العظيمة ، وذلك حاصل من كل أبواب الجنة ، وفى نوادر الأصول من أبواب الجنة باب محمد صلى الله عليه وسلم وهو باب الرحمة وهو باب التوبة وسائر الأبواب مقسومة على أعمال البر باب الزكاة، باب الحج ، باب العمرة وعند القاضى عياض باب الكاظمين الغيظ ، باب الراضين ، الباب الأيمن الذى يدخل منه من لا حساب عليه ، وعند الآجرى عن أبى هريرة مرفوعا ( ان فى الجنة بابا يقال له الضحى ، فاذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين الذين كانوا يديمون صلاة الضحى، هذا بابكم فادخلوا منه) وفى مسند الفردوس عن ابن عباس يرفعه « للجنة باب يقال له الفرح لايدخل منه الا مفرح الصبيان ، وعند الترمذى باب للذكر ، وعند ابن بطال باب الصابرين والحاصل أن كل من أكثر نوعا من العبادة خص بباب

يناسبها ينادى منه جزاء وفاقا ، وقل من يجتمع له العمل بجميع أنواع التطوعات ، ثم ان من أنه ذلك انما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم ، والا فدخوله انما يكون من باب واحد وهو باب العمل الذى يكون أغلب عليه • كلام الصديق ( ما على من دعى من تلك الأبواب ضرورة ) أى ليس على المدعو من كل الأبواب ضرر بل له تكرمة واعزاز • وقال ابن المنير وغيره : يريد من أحد تلك الأبواب خاصة دون غيره من الأبواب فيكون أطلق الجمع وأراد الواحد •

ثم سأل رضى الله عنه ( فهل يدعى أحد من تلك الأبواب؟ ) قال صلى الله عليه وسلم : ( نعم ) يدعى منها كلها على سبيل التخيير في الدخول من أيها شاء ، لاستحالة الدخول منها فى وقت واحد •

أرأيت أيها المسلم الحقيق بهذا الشرف ، شرف الاسلام لله ، كيف يحرف هؤلاء المضللون الكلم عن مواضعة كما صنع أعداء الرسل فى كل زمان ومكان ، فليس فى الحديث مايشير بالنص ولا بالتعريض ولا بالاحتمال ولا بالوهم أن من عطل شرائع الاسلام وعمل واحدة منها يدعى من بابها ، وانما الافتراء والكذب والنظرة المظلمة الظالمة تقتحم قدس الوحى فتدنس وحابه بالكذب لنصد عن سبيل الله وتنشر موجة من الشك ، ونزع الثقة من قلوب الشباب الغض ، والعوام الذين ينقادون لضلالهم وزيفهم ، ولكنالهم بالمرصاد نقضى على شبهاتهم ، فنحيط المخلصين من أبنائنا وشبابنا واخواننا من عامة الموحدين بسياج من براهين الحق وأدلة اليقين والله تبارك وتعالى من وراء القصد وحسبنا الله ونعم الوكيل •

(يتبع) **محمد نجيب المطيعى**

# صفحة من التاريخ

يروى المؤرخون أن عقبة بن نافع فى أثناء جهاده فى شمال افريقية ، وغزواته لافتتاحها نزل بموضع فى الصحراء أقام فيه أياما . ونفذ الماء الذى كان من أفراد الجيش ، ولم يكن فى الموضع الذى نزلوا فيه ماء فأصابه وقومه عطش شديد أشرفوا فيه على الموت ولم يعرفوا ماذا يصنعون فقام عقبة وصلى ركعتين ودعا الله سبحانه وتعالى بخضوع وتذلل ، فجعل فرسه يبحث بيديه فى الأرض حتى كشف عن صخرة فانفجر منها ماء قليل . وجعل الفرس يمص من تلك الماء . فرآه عقبة فنادى فى قومه وأمرهم أن يحفروا فى ذلك المكان ، فحفروا حتى ظهر الماء غزيرا فشربوا وسقوا جيادهم وصار ذلك الماء معينا وافرا ، وأطلقوا عليه اسم « ماء الفرس » ، بسبب تلك الحادثة .

وهذه كرامة من الله سبحانه لذلك القائد العظيم والفاتح المظفر الذى افتتح شمالى أفريقية فى أيام الخليفة معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه وأيام ابنه يزيد . وأنشأ مدينة القيروان لتكون مركز تجمع للمسلمين للانطلاق منها الى آفاق الجهاد الواسعة ، وكان معه حين أنشأها خمسة وعشرون رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . فدار معهم حول المدينة وجعل يدعو ويقول : « اللهم املأها علما وفقها واعزها بالمطيعين ، والعابدين واجعلها عزا لدينك ، وذلا على من كفر وأعز بها الاسلام وامنعها من جبابرة الأرض » وهذا الدعاء الجميل يرشدنا الى معرفة روح الاسلام السمحة ، ويدلنا على أن المسلمين لم يكونوا يفتحون البلاد رغبة فى السيطرة على أهلها ، ولا حبا فى

اذلال الناس ، ولكن فتوحاتهم كانت لمحاربة الفساد والطغيان ، ولقمع الكفر والفسوق والعصيان ولنشر روح المحبة بين عباد الله واشاعة المودة والألفة بينهم ، ومحو الشر والفساد ، وغرس الأخلاق الكريمة والآداب السامية فى النفوس .

وبعد أن انتهى عقبة من دعائه اختط المسجد الأعظم للمباشرة فى بنائه على عادة الأمراء حين يفتحون بلدا فانهم يبادرون الى انشاء المسجد ويجعلونه أول عمل من أعمال الاصلاح ليكون نقطة الدائرة والمركز الأول للمجتمع الاسلامى الذى يقوم على الهداية والعبادة الخالصة ، وعلى العلم النافع والكلمة الخيرة ، ولأن المسجد فى الاسلام مكان العبادة ، ومركز الامارة ، وقاعدة التجمع العسكرى ، وهو المدرسة وهو المحكمة ، وهو مجلس الأمة الذى توضع فيه الأسس الوطيدة لسياسة الدولة فى شتى نواحى الحياة .

ثم مضى عقبة الى المغرب فى شمالى أفريقية وهو يقول : « انى بعت نفسى لله » ثم راح مجاهدا فى سبيل الله ويجالد البربر ويقاتلهم ويفتتح البلاد قائلا : « اللهم تقبل نفسى فى رضاك ، واجعل الجهاد رحمتى ودار كرامتى عندك » ومازال يسير فى المغرب الأقصى من بلد الى بلد بحماس وشجاعة واقدام وايمان صادق حتى بلغ المحيط الأطلسى وخاض فيه وقال قولته الشهيرة التى سجلها التاريخ بأحرف من نور : « يارب لولا هذا البحر لمضيت مجاهدا فى سبيلك » .

**الجبرتى الجديد**

# محمد صلى الله عليه وسلم زوجا

للدكتور محمد الأحمدى أبو النور

يكثر الحديث بين الحين والحين عن تعدد أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وكيف أبيح له ما لم يبح لغيره ؟ ويدور ذلك بين مجترىء على مقام النبوة لا يتهم الا بالتهجم عليه ، والنيل منه وبين حاقد على الاسلام لا يعنيه الا التشكيك فيه ، وزعزعة النفوس عن الايمان به •

وقد يثور الحديث بحثا عن الحقيقة الموضوعية ، أو عن حكمة المشروعية سواء فيما يتعلق بأمر اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالابقاء على أكثر من أربع ،أو فيما يتعلق بالحكمة السامية من زواجه من كل واحدة من أمهات المؤمنين أو عن كيفية عدله صلى الله عليه وسلم بين نسائه وقد كن أكثر من أربع ؟ ( الى طلاب الحقيقة والحكمة نسوق هذا الحديث : )

أما اباحة ابقائه عليه السلام على أكثر من أربع ــ فقد كان ذلك احدى خصوصياته التى اختص بها ، ولئن تبادر الى الذهن أن ذلك توسعة له فى أمر مضيق فيه على غيره فلقد كان من خصوصياته كذلك أن أوجبت عليه أمور كانت جائزة أو مندوبة فى حق غيره ، كاختصاصه بوجوب التهجد (١) كما كان من خصوصياته أن حرم عليه من الأشياء ما أحل لغيره كتحريم الصدقة عليه وعلى

(١) على ما قال جمهور المفسرين فى تأويل قوله تعالى ( ومن الليل فتهجد به نافلة لك ) وقوله تعالى ( يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا ... ) راجع تفسير ابن كثير ٣/٥٤ ــ ٥٥ ، ٤ ــ ٤٣٤ ، ومواهب الجليل لشرح مختصر خليل ٣/٣٩٣ ــ ٣٩٤ •

آله وتحريم زواج أزواجه من بعده بغيره .

وخصوصياته عليه السلام أكثر من أن يحيط بها وصف أو مقال ، ولقد تبارى العلماء فى افرادها بالتأليف ، ومنهم السيوطى فى كتابه « الخصائص الكبرى » وهو موسوعة فى هذا الباب . فليرجع اليه من أراد .

على أنه عند نزول هذه الآية الكريمة كان معروفا أن أزواجه عليه السلام لا يحل نكاحهن بعده أبدا فاذا طلق ممن كن فى عصمته وقتئذ ما زاد على الأربع ، لتعرض للمهانة أو الضياع ، فصونا لأمهات المؤمنين ، وتكريما لهن أبيح له صلى الله عليه وسلم أن يبقى فى عصمته ما زاد على أربع .

ولا غرابة فى أن يكون للأنبياء والمرسلين أمور يخصهم بها المولى سبحانه وتعالى ، لمقتضيات خاصة ولحكم سامية من وراء تلك الخصوصيات .

وعلى هذا فلا يليق بمقام النبوة أن يقال : كيف انفرد النبى صلى الله عليه وسلم عن أمته بالابقاء على أكثر من أربع ، وانما ينبغى أن يكون السؤال : لماذا تزوج النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من أربع ، بحثا عن الحكم التشريعية السامية من وراء اختصاص الله عز وجل له بذلك .

واذا كان المولى سبحانه هو الذى أباح له عليه السلام : الابقاء على أكثر من أربع واختصه به فلا ينبغى أن يقال : ان هذا النبى — وحاشاه — كان شهوانيا ، همه أن يجمع فى عصمته العدد الكثير من النساء ليحظى من التمتع بهن بأوفى نصيب .

وقد يقبل هذا الوهم فى الفهم حين يكون المستكثر للنساء غير نبى ، حيث يكون استكثاره من تلقاء نفسه ، فحينئذ يمكن أن يقال : أن الشهوة هى الدافع ، أو أن هذا المستكثر رجل شهوانى .

أما حين يكون أمر الزواج بأكثر من أربع — متوقفا فى اباحته وتقييده

على الوحى الالهى فلا يسوغ فى منطق العقل أن يقال – حينئذ – أن الدافع هنا هو الشهوة ، أو أن هذا المستكثر رجل شهوانى .

لقد كان المولى – سبحانه – هو الذى يحل له من أصناف النساء من يحل كما قال تعالى : ( يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى أتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ) (١) ولقد أوحى الله عز وجل اليه بتزويجه من بعض أمهات المؤمنين كما حدث مع عائشة وزينب رضى الله عنهما .

فقد روى البخارى ، ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتك فى المنام ثلاث ليال : جاءنى الملك فى سرقة (٢) حرير فيقول : هذه امرأتك فأكشف عن وجهك ، فاذا أنت هى ، فأقول : ان يك هذا من عند الله يمضه (٣) .

أما فى شأن زينب رضى الله عنها فقد قال عز وجل : ( فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ) (٤) .

وهذا صريح فى أن الله عز وجل هو الذى تولى تزويجه اياها .

والى جانب ذلك فقد كان الله عز وجل ينظم له أحيانا – أمر العلاقة بينه وبين أزواجه فيما يتعلق بالقسم بينهن ، لقد أوحى الله اليه أن له الحرية فى أن يقسم لمن يشاء منهن ، ويعتزل من يشاء ، ورفع عنه الجناح فى أن يعيد ممن اعتزل من يشاء ثم أبان المولى عز وجل

---

(١) سورة الأحزاب ٥٠ .

(٢) اى قطعة جيدة من الحرير ، وجمعها سرق بفتح السين والراء كما فى النهاية ( ٢/٣٦٢ ) .

(٣) الحديث اخرجه البخارى فى كتاب النكاح فى باب النظر الى المراة قبل التزويج .

(٤) سورة الأحزاب : ٣٧ .

لنبيه عليه السلام انه ان عدل بينهن فى القسم بعد هـذه الحرية التى أعطيت له فذلك أدنى أن تقر أعينهن ويفرحن ويرضين كلهن رضا أعمق من الرضا الذى يحدث فى أنفسهن لو كان القسم واجبا عليه لا يملك معه حرية ولا تكون له خيرة فى أن يفعله أو لا يفعله (١) وذلك ما يشير اليه قوله تعالى : ( ترجى من تشاء منهن وتـؤوى اليـك من تشـاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليـك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان عليما حليما (٢) . وفضلا عن ذلك فقد كان الله عز وجل يعاتب نبيه عليه السلام على بعض مواقفــه مـع بعض أزواجـه ويبين ما ينبغى أن يكون عقب هذا الموقف من تجلة له ويتولى بوحيه سبحانه ـ خطاب أزواجه عليه السلام بشأن ما حدث منهن من أمر لم يكن ينبغى أن يحدث ، على ما هـو مذكـور فى الآيات الكريمة ـ أوائل سورة التحريم (٣) .

وكما كان الله تعالى هـو الذى أباح لنبيه من النساء ما أباح ، فقد كان هو سبحانه هو الذى حرم عليه من النساء ما حرم بعد أن بلغ العدد المباح الغاية المقصودة من اباحتـه فأنزل الله عز وجل قوله : ( لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٤) فلم يكن عليه السلام يشرع فى أمـر زواجـه بشـخصه ولم يكن يستكثر من تلقاء نفسه ولم

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٥٠١ وقد ذكر فيه مع هـذا : احتمالا آخر ان تكون الآية فى شان من وهبن انفسهن للرسول عليه السلام : من شاء قبلها ، ومن شاء ردها كان بالخيار معها بعد ذلك ان شاء آواها ثم ذكر ابن كثير أن ابن جرير اختار ان تكون الآية عامة فى الواهبات أنفسهن وفى النساء اللاتى عنده انه مخير فيهن ، ان شاء قسم وان شاء لم يقسـم ، ثم قال وهذا الذى اختاره حسن جيد قوى وفيه جمع للأحاديث .

(٢) سورة الأحزاب : ٥١ .

(٣) راجع فى هذا التفسير ابن كثير ٤/٣٨٦ ـ ٣٩٠ .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٢ .

يكن يسير فى حياته الزوجية على أساس من المبادىء العامة أو القواعد الكلية فحسب ــ كما هو الشأن فى غيره، وانما كان يهتدى دائما بضوء الوحى ــ الذى تولى كثيرا من شئون زواجه وتدخل ــ كما رأينا بينه وبين أزواجه فى عديد من الأمور التفصيلية والمسائل الجزئية .

واذا فقد كان زواجه عليه السلام اما بوحى ، واما باجتهاد ولكن يقره الوحى عليه فهو أيضا فى حكم الموحى به .

فأى مجال للهوى أو الشهوة فى أمر زواجه ، أو تعدد أزواجه صلى الله عليه وسلم ؟ ان ما تحقق بزواجه عليه السلام من غايات جليلة فى الآفاق السياسية ، والاجتماعية، والعلمية ، والدينية كان واجبا أن يتحقق : فقد تم به تأدية الرسالة، وتبليغ السنة ، ونشر العلم ، ونصر الحق الذى بعث به صلى الله عليه وسلم . ولم تكن تلك الغايات لتحقق لو لم يكن عليه السلام قد تزوج بهذا العدد الذى كان فى عصمته منهن !

ان الزواج الذى لا يكون الا تنفيذا لتعاليم الوحى السماوى ، أو تحقيقا لغايات الوحى السماوى ، أسمى من أن يتصور فيه دافع الشهوة ، أو حافز الجنس .

وصحيح أنه عليه السلام كان يؤدى وظيفته الطبيعية كزوج ـ أكمل أداء فما كان ينفر من المرأة أو يحتقرها بل كان يكرمها ويحترمها ويصرح بحبه لها كما قال حبب الى من دنياكم : النساء والطيب .. وقد كان يطوف على نسائه فى الليلة الواحدة ، حتى يبلغ التى هو عندها فيبيت معها .

وكان يعطى أزواجه حقوقهن فى المباضعة والمعاشرة ، وينعى على من يهمل امرأته أو يعتزلها بقوله : ان لزوجك عليك حقا : وذلك من كمال أوصافه صلى الله عليه وسلم ، فان كمال الرجولة أن تؤدى وظائفها الجسدية ، والعقلية والنفسية .

غير أنه فرق بين أن تكون الشهوة دافعا ، والاستكثار من النساء مطلب، وبين أن يكون كل من هذين الأمرين وظيفة أو وسيلة .

فلم يك يشغل النبى صلى الله عليه وسلم شيء قدر ما كان يشغله العمل الدءوب على تأليف القلوب، وتربية النفوس ، وجهاد الأعداء ، وظهور الدين ، وتبليغ الدعوة ، وتنفيذ أمر الله واصلاح شأن المجتمع وقد كان زواجه عليه السلام احدى الوسائل الفعالة فى الوصول الى ذلك كله .

ومع وفاء زواجه عليه السلام بمقاصد الزواج وغاياته ، ومع قيامه عليه السلام بمسئولياته ، وواجباته الأسرية نحو أسرته وبنيه فقد كان عليه السلام يعد زواجه مهمة دينية وعلمية واجتماعية وانسانية فى المقام الأول .

والنظرة المنصفة الى ما كان يشغل فكره ووقته صلى الله عليه وسلم ترد أبلغ الرد على من يتحاملون عليه فى أمر زواجه صلى الله عليه وسلم .

لقد كان عليه السلام يؤدى واجبه الاجتماعى ، والسياسى ، والدينى ، والأسرى ، ثم يخلو الى ربه فيصلى من الليل حتى تتورم قدماه ولقد أشفقت عليه عائشة رضى الله عنها فقالت : تصنع هذا يا رسول الله وقد . غفر الله لك ما تقدم وما تأخر قال : أفلا أكون عبدا شكورا (١)

ولقد كان يستغفر الله ويتوب اليه فى اليوم مائة مرة (٢) ولا يقرأ القرآن فى أكثر من ثلاث (٣) .

---

(١) صحيح البخارى ٣/١٠ — ١٢ من الفتح ومسلم ٤/٢١٧١ — ٢١٧٢ ، واخلاق النبى ١٩٩ — ٢٠٠ .

(٢) كما روى مسلم فى كتاب الذكر والدعاء والاستغفار ، فى باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ٤/٢٠٧٥ — ٢٠٧٦ من حديث ابن عمر مرفوعا .

« يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة » .

(٣) اخلاق النبى ٢٨٠ — ٢٨١ .

ولقد افتقدته عائشه ، فى ليلة كانت لها ، فظنت أنه قد أتى بعض أمهات المؤمنين واذا بها تعلم أنه قد ذهب الى البقيع يستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات

ولقد غزا تسع عشرة غزوة بعد الهجرة ، وليست الغزوة رحلة يوم أو بعض يوم وانما تحتاج الغزوة الى أيام قبلها للاعداد والتخطيط ، وأيام بعدها لدراسة نتائجها والافادة من دروسها ، فضلا عما تحتاجه من أوقات أخرى فى الذهاب والاياب ، والقتال والنزال والحصار .

* * *

ولم يكن عليه السلام يبخل بوقته فى تعليم الصحابة رجالا ونساء ، فحملوا العلم وبلغوا عنه الحديث ما يملأ الآن مئات الأسفار من المصنفات الحديثة والآلاف من الكتب . فأى وقت كان يخلو فيه الى شهوته يندفع بها الى الاستمتاع بالمرأة والتفكير فى الاستكثار من النساء ؟ !

* * *

ان الترف والتبلغ من الدنيا ، والتنعم بها ، والاخلاد الى الهوى مع فورة الشباب ، وفراغ الوقت من العمل الجاد — من المحركات الأساسية للشهوة ، المذكية للغريزة ، الباعثة على الفساد .

ان الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أى مفسدة

وفى شبابه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج سوى خديجة رضى الله عنها ، وكانت تكبره بخمسة عشر عاما ، وكانت أيما لها من العمر أربعون سنة .

* * *

أما عن زهده وتقشفه فذلك أشهر من أن نفيض الحديث فيه — وحسبنا ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت :

ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام بر ( قمح ) ثلاث ليال حتى قبض وعن أنس رضى الله عنه : « ما أعلم النبى صلى الله عليه وسلم رأى

(٥) صحيح مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ٢/٦٦٩ — ٦٧١ .

رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا رأى شاه سميطا (١) بعينه قط •

وعن عائشة رضى الله عنها :

« كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا ، انما هو التمر والمـاء ـ الا أن نؤتى باللحيم » •

وقـد قـالت لعروة بن الـزبير :

ابن أختى ان كنا لننظر الى الهلال ثلاثة أهلة فى شـهرين وما أوقدت فى أبيات رسول الله صلى الله عليـه وسلم نار ، فقلت : ما كان يعيشـكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والمـاء الا أنه قد كان لرسول الله صلى اللـه عليـه وسلم جيران من الأنصار كان لهم منائح (٢) وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبياتهم فيسقيناه (٣) •

ألم يأن لنا ـ بعـد ـ أن نبحث عن وجه الحكمة فى زواجه عليه السلام بكل واحدة من أمهات المؤمنين ؟

بلى واليك البيـان فى مقال تال باذن الله •

**د. محمد الاحمدى ابو النور**

---

(١) قال فى النهاية ٢/٤٠٠ ـ ٤٠١ « أكل شاه سميطا » اى مشوية فعيل بمعنى مفعول واصـل الســمط ان ينزع صوف الشاة المذبوحة بالماء الحار ، وانما يفعل بها ذلك فى الغالب لتشوى .

(٢) قال فى القاموس ٢٥١/١ : منحه الناقـة جعل له وبرها وليتها وولدها وهى المنحة والمنيحة .

(٣) الأحاديث التى سقناها هنا أخرجها البخارى فى كتاب الرقاق : باب كيف كان يعيش النبى صلى الله عليه وسلم وأصـحابه وتخليهم عن الدنيا ٢٤٣/١١ ـ ٢٤٦

# عاصم بن ثابت الصحابي الشهيد

للدكتور عبد الجليل شلبي

هو عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، أنصارى من السابقين الأولين ، وممن أعجب رسول الله (ص) بهم ، كان من رسل يثرب ، وكان أيضا ممن شهدوا بيعة العقبة ، وبعد الهجرة أصهر اليه عمر بن الخطاب فتزوج ابنته جميلة فانجبت له عاصما ، ولعله أن يكون سمى باسم جده اعجابا به وتقديرا له [1] .

لما كانت ليلة العقبة — أو ليلة بدر — قال رسول الله (ص) لمن معه: كيف تقاتلون ؟ . فقام عاصم بن ثابت ، فأخذ القوس والنبل والرمح والسيف،وأخذ يرى رسول الله(ص) كيف يقاتل ، وكيف يستعمل أسلحته.

قال : اذا كان القوم قريبا من مائتى ذراع كان الرمى ، واذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة[2] حتى تتقصف،فاذا تقصفت وضعناها وأخذنا بالسيوف وكانت المجالدة[3] .

فقال النبى (ص) : هكذا نزلت الحرب ، من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم .

دخل عاصم الاسلام بحمية واخلاص ، وأنف كل الأنفة من الشرك ، ونأى عن المشركين حتى انه آلى ألا يمس مشركا ولا يمسه مشرك، فلما كانت غزوة بدر أبلى عاصم أحسن البلاء ، لم يكن همه فقط أن يقتل بعض المشركين ، بل أن يقتل

(١) قيل ان جميلة كانت اخت عاصم ، وهذا ما رجح عبد الرازق المحدث ، وكانت قبل الاسلام تسمى عاصية .

(٢) اى الملاعبة والطعن .

(٣) المناضلة .

كبراءهم والعتاة منهم ، ونال من ذلك ما أراد ، قتل عقبة بن أبي معيط ، (١) وشق على قريش قتله ، وشق عليهم أنه قتل بيد أنصاري وكانت قريش لا ترى الأنصار كفئا لهم ، وفي أول معركة بدر رفض عتبة بن ربيعة — وكان بين أخيه شيبة وابنه الوليد — أن ينازل نفرا من الأنصار ، وقال نريد أكفاءنا من قريش • ثم انه لم يكن هناك عداء بين قريش والأنصار ، لذلك عظم مصابهم في عقبة • ودوا لو استطاعوا أن يثأروا من عاصم أو ينالوا منه بوجه ما •

وفي غزوة أحد أبلى عاصم بلاءه في غزوة بدر ، وكان بين من قتل ابنان لسلافة بنت سعد بن شهيد ، وشق عليها بطبيعة الحال أن تفقد ولديها معا في موقعة واحدة ، فنذرت : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر ، وهو أيضا قاتل أبي عزة الجمحي •

ولم تنته حرب أحد نهاية كريمة بالنسبة للمسلمين كما هو معروف وكان من نتائج نهايتها أن استخفت بعض القبائل بالمسلمين ، وجرؤ عليهم من لم يكن يجرؤ من قبل • وتقربت بعض الناس الى قريش بايذاء المسلمين • لكن رسول الله (ص) لم يهن عزما ولم يفتر عن الجهاد لاعلاء كلمة الله ونشر الاسلام • ظل يرسل رسله ويبعث بعض أصحابه لتعليم الناس وشرح مبادىء الاسلام • لم تهن عزيمته ولم يزعزعه هذا الحادث، انه الايمان بالله تعالى والثقة في نصره ، وكاد القرشيون رغم ما أرسلوا من الأشعار وتغنوا بشجاعتهم وفخروا بمن قتلوا من المسلمين ، كانوا رغم ذلك كله يهابون لقاءهم، وآية ذلك نكوص أبي سفيان حين هم أصحابه بالعودة ليستأصلوا بقية المسلمين بعد أحد ، قالوا أصبنا جد أصحاب محمد وأشرافهم وقادتهم فلنكرن على بقيتهم ، لكن أبا سفيان آثر العودة وتخوف عاقبة ما يريد صحبه من تجديد القتال ، ثم أنه نكص مرة ثانية عن بدر الثانية ،

---

(١) لم يذكر ابن عبد البر ولا ابن حجر اسمه ، وكذا جاء في سيرة ابن هشام انه قتل كبيرا شق عليهم قتله ، ولكن في احصاء قتلى بدر من قريش ان عقبة قتله عاصم •

ومع هـذا كله ظلت قريش سـيدة المـوقف ، وظلت بعض القبـائل تستهين بالمسلمين .

كانت الهـون (١) وهـذيل من القبائل التى استهانت بالمسـلمين ، وسولت لهم أنفسهم أن يحصـلوا على كسـب مـادى من قريش عن اصطياد بعض المسلمين لهم . وهذيل لا ترعى الشرف الأخـلاقى ، كانت من قبل قد أرسلت الى رسول الله أن تدخل الاسلام على أن يظل الزنا مباحا لهـم ، ولا يتبجح بارتـكاب الزنا الا الاخساء ، ومما قاله حسان ابن ثابت فيهم :

سألت قريش رسـول الله فاحشـة
ظلت هـذيل بما سألت ولم تصب

سـألوا رسـولهم ما ليس معطيهم
حتى الممات ، وكانوا سبة العرب

وفى هذه الأثناء وفد على رسول الله (ص) رهط من عضل والقـارة ( من الهون ) ــ قالوا : ان فينـا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهـوننا فى الدين ويقـرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام ، فبعث معهم نفرا ستة من أصـحابه كان فيهم عاصـم بن ثابت . وكان القـوم قد أضمروا سـوءا وبيتوا للمسلمين شرا . فلما كانوا على ماء لهذيل يعرف بالرجيع ، تسـمية له باسمى البقعة ، وهى بناحية الحجاز استصرخوا هذيلا على المسـلمين ، وفوجىء النفر الستة وهم فى رحالهم بفوج من الهذليين شاكى السـلاح يحيطون بهم . فرأوا بادىء ذى بدء أن يقاتلوا كائنة ما كانت نهاية القتال بين قلة قليلة ليست متأهبة للحرب ، وكثرة كاثرة فى كامل عدتها وسلاحها وقال الهذليـون : ما نريد قتلكم ، وانما نريد أن نصـيب بكم مالا من قريش ، ولكم علينا عهد الله وميثاقه ألا نقتل منكم أحدا .

ورأى المسلمون أن عرضهم على قريش وبيعهم بسكة انما هـو ذلة دونها الموت ، فقالوا لا نقبـل من مشرك عهدا ولا عقدا ، وقال عاصم:

ما علتى وأنا جـلد نابـل
والقـوس فيهـا وتـر عنابل

---

(١) يقال الهون والهون ــ بفتح الهاء وضـمها ــ وعضـل والقارة من الهون .

الموت حق والحياة باطل
وكل ما حم الاله نازل
ان لم أقاتلكم فأمى هابل (١)

وكان عاصم شاعرا ويكنى أبا سليمان ، فقال أيضا :

أبو سلمان ومثلى رامى
وكان قومى معشرا كراما

الى شعر ورجز كثير هاج به نفسه وحمس أقرانه ، ثم نهض يقاتل ، وقاتل معه أقرانه حتى قتل وقتل معه اثنان منهم ، ورأت هذيل أن الفرصة ما تزال سانحة للكسب الرخيص ، أرادوا أن يحتذوا رأسه ويبيعوه لسلافة بنت سعد ، فتفى بنذرها وتبذل لهم الكثير من مالها ، لكن الله تعالى — وهو غالب على أمره — لم يشأ لهم ما يريدون • فأرسل سربا من الدبر (٢) غطت جسد صفوان كله ، وكانت تلسع من يدنو منه ، فحالت بينهم وبينه ، ولم يستطع أحد مس جسده ، فقالوا دعوه حتى يأتى المساء ويظله الليل فيذهب الدبر ويخلص لنا جسده فنحتذ رأسه •

وما كاد الليل يظله حتى أرسل الله سيلا ظم الوادى وكظ تلاعه •

واحتمل جسد عاصم أتيه (٣) فذهب به ولم يوقف له على أثر •

لم تنل هذيل ، ولا نالت عضل والقارة شيئا من قتل عاصم ولكنهم باءوا بعار الغدر ، ودناءة التدبير ، وخسة الفعال ، وخسر المسلمون ستة أشخاص من خيرة المسلمين ، ولكنهم اكتسبوا — رغم ذلك قوة معنوية ، ( ان الله يدافع عن الذين آمنوا ) ،لقد بر الله بقسم عاصم ، فلم يدع مشركا يمس جسده بعد موته ، وفعلت

---

(١) يروى البيت الأول — ما علتى وانا طب خاتل — والطب الخبير الحاذق والخاتل الذى يخدع صاحبه فيأخذه على غرة ، والعنابل الوتر الغليظ .

(٢) الدبر النحل او ذكورها .

(٣) الأتى : السيل المندفق

وقايته — سبحانه — أكثر مما تفعل الأسلحة الشديدة وطول النضال وكان عمر بن الخطاب يقول : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركا أبدا فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته .

وعرف عاصم بعد ذلك — بين المسلمين وغير المسلمين باسم حمى الدبر .

رضى الله عنه .

د. عبد الجليل شلبى

# مجلة المجلات الإسلامية

### مكانة النبى

انه عند المؤمنين كما يقول الله : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم » وفى ميزان الايمان كما يقول صلى‌الله‌عليه‌وسلم : «لايؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » وفى ميزان الانسانية كما يقول الله له : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .. وكما يقول له : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ..

ورحم الله العقاد حين نظر الى هذا المعنى فقال : انه نقل قومه من عبادة الأوثان الى عبادة الله .

ونقل العالم كله من سكون الى حركة . ومن فوضى الى نظام .ومن مهانة حيوانية الى كرامة انسانية .

فاذا احتفل العرب والمسلمون بذكرى مولده فى هذا الشهر الأغر ، ليذكروا نعمة الله عليهم به واحسانه اليهم برسالته ، فذلك استجابة طبيعية لشعورهم نحوه ، وحبهم له ، وصلاتهم عليه ، واقتدائهم به ، فانه كما يقول الله فيه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

ولا شك أن الاحتفال بمولده يصلهم بسيرته العطرة . وأخلاقه الكريمة وشريعته العظيمة ، ومن ثم كان تقليدا حميدا أن يستقبلوا شهر ربيع الأول بالفرح والأمل والاستبشار بالمستقبل ، فقد كان مولده كذلك بداية عهد جديد ، وطالع مستقبل سعيد، وصلت فيه الأمة العربية الى القمة التى لم تصل اليها أمة . وآلت اليها قيادة العالم فى كل شىء كان يعرفه العالم . وصارت حضارتها هى المشعل الذى أضاء لأوربا طريق الخلاص من ظلام العصور الوسطى :

وكان ذلك هو التفسير الواقعى

والتاريخى لقول الله فيهصلى الله عليه وسـلم : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهمآياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقـوا بهم وهـو العزيز الحكيم . ذلك فضـل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

صلى الله عليه ووفقنا الى اتباع سنته والانتفاع بهديه .

عبد الرحيم فودة

**مؤمنون فى غاية الموت ...**

كنت قد تجاوزتالحدود التركيةـ البلغارية بعـدة كيلو مترات ، عندما جرنت سيارتى ، ورفضت المسير بكل اباء وشمم وتوسلت اليها بكل عزيز عليها ، وقدمت كل خبرتى الميكانيكية والكهربائية بين يديها ولكنها أصرت على موقفها ..

سلمت أمرى الى الله ، واتجهت الى ساقية قريبة وتوضأت لصـلاة المغرب واتجهت الى القبـلة وبدأت الصلاة ، وما كدت اسلم التسليمة الثانية حتى سـمعت من يقـول ــ وعليكم السلام ورحمةالله وبركاتهــ فاعترتنى قشعريرة لم أعهـدها فى حياتى ، وتلمست مصدر الصوت ، فاذا بشيخ طويل القـامة ، ممتلىء الجسم ينتصب ، انفتحت عنه السماء أم انشقت عنه الأرض ؟ ثم هل هو مسلم حقا ؟ بالتأكيد لا .. ألم تقل كل المعلومات التى بين أيدينالاوجود للمسلمين فى بلغاريا ؟ وخيم الصمت اذ عقدت الدهشة لسـانى ، ولكن الرجل سألنى بلغـة عربية تشـوبها لكنـة ، أأنت مسـلم قلت : نعم والحمد لله ..

ثم بـدأ بيننا حـديث تبين لى منـه انه كان عائدا لقريته التى هى قريبة منا ، عندما رآنى أصلى ففرح اذ رأى مسلما فى أرضـه ، ووقف بجـانب شـجرة ريثما أتم صـلاتى ، وأخيرا أصر على أن يصـحبنى الى منزله لأكون ضيفه فى هذه الليلة حتى اذا ما أشرف الصباح أحضرنا من يصلح السـيارة . راقتنى الفكرة وقلت : مثوبة ساقها الله لى ، أولا يثاب المرء رغم أنفـه ؟

فرغنا من العشـاء الذى تكلف فيه مضـيفى جهد طاقتـه ، وأخـذ

يسطرنى بوابل من الأسئلة عن بلدى ومذهبى وطبيعة مهنتى فى هذا البلد والى أين اتجـه .. الخ ، حتى اذا ما اطمأن الى أننى لم أكن جاسـوسا شيوعيا قال لى :

ــ أتحب أن تسـتمع الى درس دينى

قلت : ماذا ؟

قال : درس دينى .

ما أعجب هذه الليلة ، درس دينى وفى بلغاريا .. ولم أتردد فى الجواب فأبديت الموافقة المطلقة فورا .

مضت ساعة ونصف الساعة ونحن نسير بين الأشجار الكثيفة ،والمزارع الخضراء التى لفها الظلام وخيم عليها الصـمت الموحش ، الذى لم يكن يقطعه الا نقيق الضفادع أو صـوت الطيور تهب مذعورة اذ تطأمكامنها أو تعكر صـفو أمنها ، وقلقت اذ نظرت أمامى فلم أرضوءا ، أو ألمس تباشير عمار ..

وكأن مرافقى شعر بما يختلج بين جوانحى فقال : سنصـل قريبا ان شاء الله . وفعلا بعد دقائق معدودة دخلنا دوحة كثيفة الأشجار لا يكاد يرى فيها المرء الا موطىء قدميـه ، وفجأة سمعت صوتا كعواء الذئب ، وقفت على أثره ، ولكن مرافقى بدد دهشتى عندما رد بصوت مشابه ، فانجلى لى الغامض واتضح المبهم .

وما هى الا خطوات أخرى حتى سمعت آيات من القرآن ترتل بصوت عذب جميل ، شعرت انه يسرى فى كل قطرة دم من جسمى ، ووصـلنا الحلقة التى تجلس بين الأشجار فى وسط هذا الظـلام الدامس والتى تضم زهاء عشرين رجـلا من شيب وشبان ، يتداولون قراءة القرآن ، ويتولى شاب فى العقـد الثالث من العمر شرح ما قرأوه باللغة التركية شرحا وافيا مستفيضا ، بلهجة تنم عن ايمان عميق منه بالقرآن ، اذ كانت نفسه تذوب رقة وعذوبة فى نبراته الصادقة ..

انتهى الدرس ، وبدأ التعارف ، ولشـد ما كانت دهشـتى ، التى لا يمـكن أن أصـورها لك مهمـا بالغت ، عندما علمت أن هذا الشاب المعلم انما هو تركى بالفعل ومن قرية تبعد ثمانية كيلو مترات عن الحدود البلغارية وانه يأتى الى هـذه القرية

التى تبعد عن قريته ثمانية عشر كيلو مترا ثلاث مرات أسبوعيا ، وكيف ؟ سيرا على الأقـدام ، ليعلم اخوانه القرآن الكريم •

ودعنى المعلم الشاب الذى تنتظره رحلة طويلة •• طويلة جدا ليصـل الى مأمنـه ، وما كاد ينزع يده من يدى حتى تفجرت الدموع من عينى وبكيت ، بكيت بحرقة وبشـدة ، ووجدتنى أحـدث نفسى يا الهى ، أهذا الشاب الذى فى عمر الورود، يقتحم المخاطر ، ويتلمس طريقه بين البنادق المشرعة والمـدافع الفاغرة أفواهها على الحدود ويسير الساعات الطوال فى الليل البهيم ليبلغ رسالته ويؤدى أمانته ••

مرحبـا فى سـبيل ذلك بالمتـاعب الجمة مسـتقبلا للموت الذى يكاد يتخطفه بين الرحلة والأخرى متحديا الردى غير هياب ولا وجل ، هـذا هو الجهاد الحق •

فأين نحن من هـذا الشـاب ••• ؟

**ضرورة تعـديل التشريعـات طبقـا للشريعة الاسلامية •**

أكد المستشار جمال المرصـفاوى رئيس محكمة النقض ورئيس لجنة تطـوير التشريعـات أنه آن الأوان لتعديل التشريعات والتنسيق بينها وبين أحكام الشريعة الاسلامية وقال : يجب تشديد العقوبة على انتشـار الجرائم وقطع يد السـارق ، ورجـم الزانى وجلد شارب الخمر ومن يتكلم بالسوء فى حق سيدة متزوجة • وهذه هى جرائم ( الحدود ) أى التى لها عقوبة محددة ، لا يقبل العفو عنها ، لأنهـا حق الله •

وطالب رئيس النقض بتطبيق عقوبة الجلد على التاجر الذى يبيع بأكثر من التسعيرة للقضاء على هذه الظاهرة • لأن المطبق الآن أن التاجر يدفع غرامة آلاف الجنيهات ويفرضها على الزبائن فلا يخسر شيئا •

وتحدث جمال المرصفاوى عن كيفية التنسيق بين قوانين وأحكام الشريعة الاسـلامية وبين القوانين المعمول بها الآن •

فقال : ان القوانين الغربيـة تطبق فى بلادنا منذ افتتاح المحاكم المختلطة عام ١٨٧٥ وقد عرضت القوانين الأهلية على مفتى الديار المصرية للتصـديق عليها فرفض •• لمخالفتها أحـكام الشريعة الاسلامية ورغم ذلك ظلت

القوانين الأهلية المأخوذة عن الدول الأجنبية معمول بها .. والجرائم منتشرة وخصوصا في الدول الأجنبية لأن العقوبات التي في القوانين لم تمنع الجريمة . ولكن أحكام الشريعة الاسلامية فيها ردع فتقطع يد السارق بشرط أن يرتكب الجريمة وهو بالغ عاقل غير محتاج ولا مضطر .. وأن يأخذ المال المنقول خفية ويكون المال له قيمة معينة وموضوع في حرز اذا توافرت هذه الشروط تقطع يد السارق

وفي السعودية خلال ٢٤ سنة بلغت حالات قطع اليد للسرقة ١٦ حالة فقط .. وفي صدر الاسلام خلال قرنين من الزمن لم تزد حالات قطع اليد عن ست حالات .

واستطرد رئيس النقض قائلا .. ان بعض الدول التي ألغت عقوبة الاعدام .. عادت اليها لأن الجرائم كثرت بعد أن علم الجاني انه لن توقع عليه عقوبة القصاص .

وفي الشريعة الاسلامية جرائم الزنا وشرب الخمر وقطع الطريق والقذف ( سب المتزوجات ) والردة وهي من يرتد عن دين الاسلام عقوبات رداعة فالقذف وعقوبته ٨٠ جلدة .. وجرائم قطع الطريق وهي ماتسمى «الحرابة» ومعناها الاستيلاء على مال الغير بالاكراه واستعمال السلاح وهي في القانون الوضعي السرقة بالاكراه .. وتشديد العقوبة واجب في هذه الجريمة .

ولكن هناك حالات تجعل الشخص مضطرا لارتكاب جريمة .. والأمثلة عليها كثيرة في القانون الوضعي ونسميها حالات الضرورة ولا عقاب لمن يرتكبها فاذا كان السارق محتاجا ولا مسكن له فلا يطبق عليه «الحد» وهو قطع اليد .

وقال : ان توقيع « الحد » أو العقوبة له شروط وسيدنا عمر كان يوقف توقيع العقوبة أيام المجاعات .. وحدث أن أحضروا له بعض الصبية بتهمة السرقة كانوا عمالا عند أحد أرباب الأعمال .. وكان رب العمل يعطيهم مالا ضئيلا ، وهنا لم يوقع سيدنا عمر العقوبة، لأن السارق ليس لديه مال كاف ..

ولذلك جعلت الشريعة عقوبة اسمها «التعذير» تبدأ باللوم .. حتى عقوبة الاعدام وهي عقوبات يقدرها ولي الأمر من وقت لآخر فمن يختلس مثلا قد يعاقب بالاعدام .

# البوصيرى يعارض كعب بن زهير

للأستاذ السيد حسن قرون

لقيت قصيدة كعب التى شرفت بسماع الرسول لها أكبر العناية من الرواة والنقـــاد ودارسى الأدب ، وما زالت محل العنـاية حتى بلغت القرن السابع الهجـرى ، فوجدنا شعراء كثيرين يعارضونها،ويسيرون على نهجها من تصـدير القصـائد بالغزل ، ثم مدح الرسول وظهر فى هذا القرن البوصيرى ( شرف الدين محمد بن سعيد الصنهاجى ٦٠٨ هـ ـ ٦٩٥ هـ ) فقال الشعر ونبغ فيـه ولزم طريقة الصـوفية حين تقدمت به السن ، وله صحبة بأبى الحسن الشاذلى صاحب الطريقة المشهورة ، ووجد طلبته فى المدائح النبـوية ، وكـان أن اتجـه الى معارضـة كعب ، أو اتبـاع مذهبـه فى مدح سيد الخلق سيدنا محمد صـلى الله عليه وسلم ، وله قصيدة سـماها : ( ذخر المعـاد فى وزن بانت سعاد )

وكان من المنطقى أن تسـمى تلك القصيدة « البردة » لأنها على وزن « بانت سعاد » لكعب بن زهير وتتفق معها فى القافية وحركة الروى، ولأن بعض الأدبـاء أطلـق عـلى قصيدة كعب البردة ، لكن البوصـيرى أو الصوفية فى عهده وبعده أطلقوا على ميمية البوصـيرى ( البردة ) التى مطلعها :

أمن تذكـر جـيران بذى سـلم
مزجت دمعا جـرى من مقلة بدم

وهى من نفس الـوزن ( بحـر البسيط ) الا أنها تختلف عن قصيدة كعب فى القافية ، وبردة البوصيرى ليس هنا مجال الحديث عنها ، ولكنى بصدد القصـيدة التى عارض بهـا البوصيرى كعبا ، واتفق معه فى البحر والقافية وحركـة الروى ، وحـدد مفهـومها ونهجها ندعاها كما ذكرنا

« ذخر المعاد فى وزن بانت سعاد » وذكر فيها كعب بن زهير متواضعا له، مترسما خطاه ، متحدثا عن ذخر المعاد ، وشرفها بمدح خير العباد . قال :

لم أنتحلها ، ولم أغصب معانيها
وغير مدحك مغصوب ومنحول

وما على قول (كعب) أن توازنه
فربما وازن الدر المثاقيل

وهل تعادله حسنا ومنطقها
عن منطق العرب العرباء معدول

وحيث كنا معا نرمى الى غرض
فحبذا ناضل منا ومنضول

وظاهر من هذه الأبيات أنه يقفو كعبا ويتأثره ويؤثره على منطقه ؛ لأن كعبا يرمى عن منطق العرب العرباء ، ومنطقه هو معدول عنها ، وهو تواضع محمود على كل حال ، وان كان فى واقع الأمر لم يعدل عن منطق العرب الفصحاء ، والاتفاق فى الوزن والقافية ليس أمرا شكليا ، بل هو من صميم الأداء ، لأنه يعارض بانت سعاد ، والمعارضة تقتضى اتفاقا فى الموضوع والوزن والقافية وحركة الروى أيضا ان أردنا المعارضة التامة،

وموسيقا الشعر صدى لأنفس الشعراء ، واذا نظرنا الى منهج الشاعرين فى القصيدتين وجدنا فرقا واسعا بينهما ؛ فكل منهما ينزع عن نفس وبيئة ودافع الى القول وحب الاجادة . وكعب — كما قلنا فى العدد السابق من مجلة الأزهر — كان فى فزع وهلع من حكم صدر ضده ، هو ( الاعدام ) على حسب اللغة القضائية اليوم ، فكان أن صور ما عاناه رامزا بسعاد ورحلتها والناقة والوشاة حولها والانذار بالموت ، وبلغ ما أراده فاعتذر ومدح ، ونجا ، والقصيدة تصور حقبة تاريخية فيها انتصر الاسلام بفضل رسول الله وجنوده ، وسيطر على الجزيرة العربية . والبوصيرى ليس مفزعا ، ولا مهدرا دمه ، انما هو خائف من مستقبل ، ومستقبل ليس فى دنياه ، فهو شاعر متصوف ، عميق الحب لرسول الله يرجو شفاعته فى الآخرة ، وبيئته فى زمانه كانت تزخر بالمتصوفة وأعلام المتصوفة كأبى العباس المرسى وأبى الحسن الشاذلى ، ولهم هيئاتهم وتحركاتهم وأزياؤهم وسمتهم وأذكارهم ومواعظهم ، فى ليلهم ونهارهم يلهجون بالآخرة والزاد

المنجى من أهوالها،والبوصيرى فى ذخر المعاد ــ وتأمل معنى ذخر المعاد ــ يعلن ذلك مخاطبا الرسول مقتفيا أثر كعب قائلا :

لما غفرت له ذنبا ، وصنت دما
لولا ذمامك أضحى وهو مطلول[1]

رجوت غفران ذنب موجب تلفى
له من النفس املاء وتسويل [2]

وعلى هــذا بنى بناءه الشعرى ، فلم يبدأ القصيدة بالغزل كما فعــل كعب ، ولم يصف الناقة كما وصفها ، ولم يتحدث عن الوشاة كما تحدث ، بل بدأ بالنصائح والعظات .

متى أنت باللذات مشـغول
وأنت عن كل ما قدمت مسئول ؟

فى كل يوم ترجى أن تتوب غدا
وعقــد عزمك بالتسويف محلول

ويسير فى هذا الطريق فى أبيــات متوالية ، فينصح بالاسراع لعمــل الخير والنشــاط فيه ، وتجريد العزم قبل أن يسل الموت صارمه ، وقطع حبال الأمل مع الزهد فى تحصيل المــال ؛ فالدار التى يعمرها فانية ، وهو عنها راحل ، وقد جاء النذير ، فيجب ألا تنكره ، وكيف والرأس يحمل الدليل .

لا تنكرنه وفى الفودين قد طلعت
منه الثريا وفــوق الرأس اكليل

فان أرواحنا مثــل النجوم لهــا
من المنيــة تسيير وترحيــل

حتى اذا قضى من الوعظ وطــرا اتجه الى الفـائزين والخاسرين فى الآخرة ، فكل الأمم التى عبدت غير الله ، وانحرفت عن الفطرة مأواهـا النار ، أما الفائزون فهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم :

والفوز فى أمة ضوء الوضوء لها
قــد زانهــا غــرر منــه وتحجيــل

تظــل تتلو كتــاب الله ليس به
كســائر الكتب تحريف وتبديل

وهنا تتهيأ الفرصة لمدح الرسول، وهو لايمدحه مقتصدا فى أبيات قليلة، بل بذكر صــفاته وشمائله فى اطناب كبير ، وناهيك بقصيدة بلغ عــدد

---

(١) الذمام : العهد ، ومطلول : مهدر .

(٢) تزيين .

أبياتها مائتى بيت ، وقصيدة كعب حسب رواية ابن هشام صيغت فى ثمانية وخمسين بيتا، يقول البوصيرى

فالكتب والرسل من عند الاله أتت
ومنهم فاضل حقا ومفضول

والمصطفى خير خلق الله كلهم
له على الرسل ترجيح وتفضيل

محمد حجة الله التى ظهرت
بسنة مالها فى الخلق تحويل

ويستمر فى هذا النسق الجميل منوها بعراقته ، وكماله ووقاره ، وسكينته فى السخط والرضا ،وطلاقة وجهه واحسانه ، وهو مصفى منقى :

من آدم ولحين الوضع جوهره
المكنون فى أنفس الأصداف محمول

فللنبوة اتمام ومبتدأ
به ، وللفخر تأجيل وتعجيل

ومن هنا يبسط لك السيرة النبوية كلها من بدئها الى ختامها ، وهو أمين فى عرضها كما قرأها فى كتب السيرة ، يذكر التنبؤات قبل المولد وماصاحب المولد الى أن كان فتى تظلله الغمامة :

نور فليس له ظل يرى ، وله
من الغمامة أنى سار تظليل

ثم يذكر المعجزات لا يترك منها شيئا وهو فيها يعد ناظما لا شاعرا الا فى فلتات نادرة سترد عليك فيما بعد، فهو يذكر الاسراء والمعراج وحنين الجذع اليه ، وابراء المريض فى جسمه وعقله وعينه ، واطعام ألفين من الناس بطعام رجلين ، ونبع الماء عذبا من أصابعه ،وفى مقدمة المعجزات القرآن الكريم :

ان رمت أكبر آيات وأكملها
كفاك من محكم القرآن تنزيل

ثم تحدث عن الجهاد بالكلمة والعمل ، وهو لا يرتب الغزوات ترتيبا زمنيا ، انما يسوقها حسب الالهام الشعرى ، والتدفق العاطفى وهو فى هذا موفق حتى لا يجىء الشعر نظما للتاريخ ، فتجىء غزوة حنين فى مستهل الكلام ثم الأحزاب ثم غزوة بدر ، وأحد :

ويوم عم قلوب المسلمين أسى
لفقد عمك والمفقود مجذول (١)

---

(١) مسرور .

ويذكر الملائكة ونصرها،ولا ينسى أن يجادل أهل الديانات السماوية وغيرها جدالا يدل على دراسة واعية، ومنطق أصيل ، وانظر اليه يصور أثر رسالة نبى الاسلام فى الناس والشياطين ، فيرضى الحق والفن القولى ، فيقول :

ومذ هداانا الى الاسلام مبعثه
دهى الشياطين والأصنام تجديل(١)

وانظر سماء غدت مملوءة حرسا
كأنها البيت لما جاءه الفيل

فردت الجن عن سمع ملائكة
اذ ردت البشر الطير الأبابيل

كل غدا وله من جنسه رصد
للجن شهب ، وللانسان سجيل

هذا ما وعدتك به ، ففى هذه الأبيات أصالة وابداع ، فكيف تسنى له أن يعقد تلك الموازنة الرائعة بين الشياطين وما جرى لهم ، والانس المغيرين على الكعبة بقيادة أبرهة وما أصابهم ؟ فللجن شهب تحرقها ، وللبشر طير أبابيل تقلقهم وتمزقهم ، وهذا كله بفضل مبعث خير الخلق كلهم . وهذه الأبيات لا تجد لها نظيرا فى البردة ، وان كانت البردة فيما عدا ذلك أفخم وأطعم وأشد تأثيرا ، ويرجع ذلك الى أنه نظم البردة بعد أن راض قريحته طويلا ، ونثر مافى جعبته من قراءات وتحصيل علمى ولغوى فى قصائد لها مكانتها فى المدائح النبوية ، فجاءت البردة كما يهوى الشعر وصناعته .

و « ذخر المعاد » فيها كثير من ملامح عصر المماليك مثل الشفاعة بالرسول ، والشكوى اليه ، واللهج بالزهد ، وتكلف البديع ولا سيما التورية والجناس والتضمين ، وأنت قد رأيت أنه بدأ قصيدته بالعظات والتنويه بالزهد ، ونقاد الشعر من عهد الجاحظ الى اليوم يرون أن الوعظ وسوق الحكم فى أبيات متتابعة يوهن من تأثير الشعر فى سامعه أو قارئه ، ولوجاءت العظات والحكم متفرقة فى ثنايا القصيدة لأدت الغرض منها ، لذلك لانقف بجانب البوصيرى مؤيدين لمسلكه ، ثم هو لا يقتصر على شفاعة الرسول،

---

(١) القاء على الارض وهى الجدالة .

بل يتبرك بأهل البيت فى نفس القصيدة فهم عنده :

معاشر ، ما رضوا انى لمبتهج
بهم ، وما سخطوا انى لمشكول
وان من باع فى الدنيا محبتهم
ببغضه الله فى الأخرى لمرذول
ان المودة فى قربى النبى غنى
لايستحيل فؤادى عنه تمويل (١)

وانظر اليه يساير عصره ، فيستخدم الجناس والتورية والتضمين ، وقد يخونه التوفيق وقد يوفق حينما يواتيه اللفظ المنشود ، وقد خانه التوفيق فى حديثه عن يوم بدر وقتلى المشركين . قال :

فلو ترى كل عضو من كما تهم
مفصلا وهو مكفوف ومشلول
كأحرف أشكلت خطا فأكثرها
بالطعن والضرب منقوط ومشكول
وكل بيت حكى بيت العروض ، له
بالبيض والسمر تقطيع وتفصيل
وداخلت بالردى أجزاءهم علل
غدا المرفل منها وهو مجزول

فالقارىء حين يسمع ويتأمل لا يستوعب ما جرى لكفار قريش فى بدر ، ولا يرى صولة الصحابة وشجاعتهم ، فهو مشغول عنهم بفهم مصطلحات العلوم وكشف التورية ، فالمكفوف والمشلول ، والتقطيع والعلل ، والمرفل والمجزول كلها اصطلاحات عروضية تحول بينك وبين دخول المعنى الى قلبك ، وما للشعر والحديث عن المنقوط والمشكول ؟ وأهل البيت :

جاءت على تلو آيات النبى لهم
دلائل هى للتاريخ تذييل

والتذييل نوع من الاطناب تعنى به كتب البلاغة وهو لتأكيد مضمون الجملة قبله ، ويحتاج الى فهم ، لفهم منزلة أهل البيت من التاريخ وهذا يضر بصياغة الشعر وتأثيرها ، وقد استخدم التذييل فى بيت سابق بمعنى المفارقة ، وهذا يزيد من تعقيد الكلام . قال :

دعا اليه حنين الجذع من شغف
اذ ناله منه بعد القرب تذييل

نال الجذع مفارقة بعد قربه من الرسول،وهو غير مقبول فى الحالين .

---

(١) مال .

وقد يوفق فى التجنيس كقوله :

وأمة ذهبت للعجل عابدة
فنالها من عذاب الله تعجيل

وقوله :

فللنبوة اتسام ومبتدأ
به وللفخر تعجيل وتأجيل

ومن التضمين ما أخذه من قول كعب مثل :

ليقضى الله أمرا كان قدره
( وكل ماقدر الرحمن مفعول )

لايمسك الدمع من حزن عيونهم
( الا كما يمسك الماء الغرابيل )

فالشطر الأول لهمن كلمن البيتين والشطران الآخران لكعب بن زهير، وقد يضمن جزءا من البيت كقوله وهويتحدث عن شرفهللزيارةوالحج :

متى تجوب رسول الله نحوك بى
تلك الجبال ( نجيبات مراسيل ) ؟ (١)

نذرت ان جمعت شملى ببابك أو
شفت فؤادى به ( قوداء شمليل ) (٢)

فاذا ترك نفسه على سجيتها بلغ المراد أو كاد ، فاقرأ معى :

كل الفصاحة عى فى مناقبة
اذا تفكرت والتكثير تقليل

لو أجمع الخلق أن يحصوا محاسنه
أعيتهم جملة منها وتفصيل

عذرا اليك رسول الله من كلمى
ان الكريم لديه العذر مقبول

ان لم يكن منطقى فى طيبه عسلا
فانه بمديحى فيك معسول

ويختم القصيدة بذلك الختام الجميل الذى التزم مثله فىالبردة وفى جميع شعره :

دامت عليك صلاة الله يكفلها
من المهيمن ابلاغ وتوصيل

ما لاح ضوء صباح فاستسر به
من الكواكب قنديل فقنديل

وخلاصة مايقال فى معارضة البوصيرى لكعب فى قصيدته أنه صور حبه متوخيا أن يقدم السيرة فى شعر عاطفى ، له من الصدق أوفى نصيب، وحكمت لكعب بن زهير بالبراعة فى الأداء والتصوير ، والتوفيق فى جمع خصائص القصيدة العربية كما بلغته فى قصيد ، وفى كل متعة وثقافة واهتداء ، رحمهما الله فقد قضيت فى صحبتهما زمنا حلوا لا ينسى ؟

**السيد حسن قرون**

(١) سريعة فى انسياب .
(٢) قوداء : طويلة الظهر والعنق ، وشمليل : سريعة فى خفة .

# كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٥ —

٢١٣ — ويقولون فى النسب الى قنا : قنائى وقناوى ، وكلا النسبين خطأ واضح ، لأن ألف المقصور يجب أن تقلب واوا اذا كانت ثالثة ، فيقال قنوى ، كما يقال فى النسب الى با بوى ، وفى طما طموى ، وفى قها قهوى

٢١٤ — ويقولون لمن أصيب بالعين محسود ، وهذا التعبير فاسد لم يرد عن العرب لأن كلمة محسود لا تمت بأى صلة للمعنى الذى يقصدون اليه وبيان ذلك أن الحسد هو أن يتمنى الحاسد زوال النعمة عن المحسود آملا أن يفوز بها دونه

تقول : حسده نعمة الله وحسده على نعمة الله ، يحسده ويحسده حسدا وحسود وحسادة اذا تمنى أن تتحول اليه نعمته وفضيلته أو يسلبها ، واسم الفاعل حاسد وحسود ، وهم حسدة بالتحريك ، وحساد ، وحسد بتشديد السين كراكع وركع ، واسم المفعول محسود ومحسد كمعظم والأكابر محسدون ، قال الشاعر

ان العرانين تلقاها محسدة
ولا تر للئام الناس حسادا

تقول : صحبت فلانا فأحسدته ، أى وجدته حاسدا

والفصيح – لتأدية المعنى المراد – ينبغى أن يقال : عانه يعنيه عينا من باب باع اذا أصابه بالعين ، فهو عائن لا حاسد ، واسم المفعول معين على النقص ، ومعيون على التمام ومن كان شديد الاصابة بالعين يقال له عيون بفتح العين وجمعه عين بضمتين كصبور وصبر ، وعين بكسر العين ، ويقال له أيضا معيان بالكسر .

---

(١) العرانين : جمع عرنين بالكسر وهو السيد الشريف .

أو يقال : نفسه بنفس اذا أصابه بعين فهو نفوس بالفتح وهم نفس واسم المفعول منفوس أو يقال له منظور ، أو به نظرة قال :

ما لقيت حمر أبى سوار
من نظرة كأجيج (١) النار

ويقال تعين الرجل الابل اذا أصابها بعين ، وتعين أيضا اذا دقق نظرة وتأنى ليصيب شيئا بعينه .

٢١٥ — ويقولون : فلان ذو نفع وضر بضم الضاد ، والصواب أن يقال : هو ذو نفع وضر بفتحها ، لأن المضموم معناه المرض والهزال وسوء الحال ، كما فى قوله تعالى : « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وقوله : « ان أرادنى الله بضر فهل هن كاشفات ضره » وقوله: « واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه»

أماالضر بالفتح فهو مصدر ومعناه ضد النفع ، تقول : ضره يضره ضرا من باب قفل اذالم ينفعه قال الأزهرى كل ماكان سوء حال أو فقر أو شدة فى بدن فهو ضر بالضم ،وما كان ضد النفع فهو ضر بالفتح ، كما فى قوله جل شأنه : « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا » ، وقوله « قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا »

٢١٦ — ويقولون : هذه أزهار حمراء فيوهمون فى تعبيرهم ، لأنهم وصفوا فيه الجمع بالمفرد ، والواجب أن يوصف بالجمع ، فيقال هذهأزهار حمر أو بيض ، كما فى قوله تعالى : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيبسود» وقوله « ويلبسون ثيابا خضرا » وقوله «كأنه جمالة صفر» وقوله « انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبععجاف وسبع سنبلات خضر » وقوله « ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات» وقوله «فى أيام نحسات » وقوله « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات » وقوله « فعدة من أيام آخر ولهذا عيب على شوقى قوله :

(١) أجيج النار : تلهبها واشتعالها .

واستشهد الأطواد(١) شماء(٢) والذرا
بواذخ (٣) تلوى بالنجوم وتجذب

وذلك لأنه جعل كلمة شماء المفردة حالا من الجمع ، والصواب أن يقال شما كما قال الشاعر

بأنا نورد الرايات بيضـا
وتصدرهن حمرا قد روينا

وكما فى قول شوقى نفسه فى قصيدة أخرى

ليس فى الممكنات أن تنقل الأجـ
ـبال شما وأن تنال السماء

ولقد خفى على بعض الأدباء فهم وصف الجمع بالمفرد المختوم بالتاء فزعموا أن قولنا : هذه أيام معدودة، من وصف الجمع بالمفرد ، وقولنا : أطلقنا الخيل مغرقة من استعمال حال مفردة صاحبها جمع ، وقولنا : الخيل مغيرة من الاخبار بالمفرد عن الجمع والحق أن هذه التاء التى ختمت بها الكلمات الثلاث ليست تاء التأنيث وانما هى تاء الجمع مثلها التاء فى العمومة ، والخئولة ، والجدودة ، والمتصوفة ، جمع عم ، وخال ، وجد ومتصوف ، والتأنيث مستفاد من الجمع

ومما يدل على أن هذه التاء تاء الجمع لا تاء التأنيث انك تقول : الأخلاق الحميدة أو الرضية والغنم الذبيحة ، مع انك تستطيع أن تقول فى حالة الافراد : السجية الحميد أو الرضى ، والنعجة الذبيح •

٢١٧ ـ ويقولون : فلان يتبجح وفيه بجاحة ، يعنون أنه سىء الأدب بعيد من كرم الخلق ، وهذا تعبير فاسد والحق أن البجح بالتحريك معناه الفرح والفخر والتعظيم ، تقول : بجح فلان يبجح بجحا من باب طرب اذا فرح فهو بجح كطرب وباجح ، وبجاح ، قال الجوهرى : بجح بالشىء وتبجح أى فرح ، وأبجحه الأمر فرحه ، وفى حديث أم زرع ، وبجحنى فبجحت أى فرحنى ففرحت وقيل عظمنى فعظمت نفسى عندى •

---

(١) الأطواد : جمع طود وهو الجبل الشامخ .
(٢) شماء : مرتفعة .
(٣) البواذخ : العالية .

ويقال : فلان باجح من قوم بجح ، أى هو عظيم من قوم عظماء ، قال رؤبة ( عليـك سيب الخلفـاء البجح أى عطاء الخلفـاء العظام ، وتقـول : تبجح فلان بعلمه أو بماله اذا فخر به فهو متبجح ، والنساء يتباجحن فيما بينهن اذا تباهين وفخرن ، وعدت كل واحـدة منهن مفاخرها وحظوتهـا

وقال اللحيانى : فـلان يتبجـح ويتمجح ، أى يباهى ويفخر بشىء ما ، وقد بجح يبجح ، قال الراعى :

وما الفقر فى أرض العشـيرة سـاقنا
اليـك ولكنـا بقـرباك نبـجح

أى لـم يسـقنا اليـك الا رغبتـنا الملحـة فى السرور بالقرب منك ، والمباهاة بجليل خلالك

وتقول : بجحت الشىء أبجحه بجحا اذا عظمته وتباهيت به

٢١٨ ــ ويقولون : فلان من آل الحجاز أو من آل القاهرة ، والفصيح اختصاص الآل بالاضافة الى أعلام الأناسى ، فيقـال : آل محمد وآل محمود ، قال تعالى : «ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » وقال « مما ترك آل موسى وآل هارون » فلا يضاف الى النكرات ولا الى الأمكنة ، فلا يقال آل رجل ولا آل العراق ، وانما يقال : أهل العراق وأهل مصر ، وآل الرجل أهله وأتباعه وأولياؤه ، ولا يستعمل الا فيما شرف غالبا ، فـلا يقـال آل الاسكافى وان كان عـلما ، وأصـله أهل أبدلت هاؤه همزة فصـار أأل بهمزتين ، فلما توالت الهمزتان أبدلت الثانية وصارت مدة ، وتصغيره أويل وأهيل على الأصل ، ويجمع على آهال بالمد ، وعلى الأهالى بزيادة ياء على غير قياس ، كما جمعوا الليل على الليالى والأرض على الأراضى .

٢١٩ ــ ويقولون : عيرنا فلان بكذا والأفصـح أن يقـال : عيرناه كـذا بنصب المفعولين كما فى قـول أبى ذؤيب :

وعيرنى الواشـون أنى أحبهـا
وتلك شكاة ظاهر عنك عارهـا

قال صاحب القاموس : وعـيره الأمر ولا تقـل بالأمـر ، وكـذا قال صاحب اللسان ، وفى الصحاح وعيره كذا من التعيير وهو التوبيخ ، والعامة تقول : عيره بكذا

أما المصباح فهو المرجع الوحيد الذى أجاز تعديته بنفسه وبالبـاء الى المفعول الثانى ، اذ قال وعيرته

كذا وبكذا قبحته عليه ونسبته اليه ، يتعدى بنفسه وبالباء ، قال المرزوقى فى شرح الحماسة : والمختار أن يتعدى بنفسه ، قال الشاعر :

أعيرتنا ألبانها ولحومها
وذلك عار (١) يابن ريطة ظاهر

يقول : عيرتنا كثرة الابل واللبن ، وليس ذلك للتجارة بل للضيوف ، وذلك عار لا يستحيا منه اهـ

مما عرضنا من أقوال علماء اللغة استبان أن المختار تعدية هذا الفعل الى المفعول الثانى بنفسه كما قال المرزوقى ولهذا قالوا : ان من روى بيت المقنع الكندى :

يعيرنى بالدين قومى وانما
تدينت (٢) فى أشياء تكسبهم حمدا

حرف الرواية عن وجهها السليم ، والرواية الصحيحة : يعاتبنى فى الدين قومى

٢٢٠ ــ ويقولون للمتوسط الصفة هو بين البينين ، وهذا خطأ صراح والفصيح الذى ورد عن العرب قولها: هو بين بين ، أى بين الجيد والردىء،

قال عبيد بن الأبرص :

انا اذا عض الثقاف (٣)
برأس صعدتنا (٤) لوينا
نحمى حقيقتنا وبعض
القوم يسقط بين بينا

أى بين العالى والمنخفض ، وقد كان الأصل فى هذا الكلام أن يضاف بين الى ما بعده ، فلما قطع عن الاضافة وضم أحد الاسمين الى الآخر وحذفت واو العطف المعترضة بينهما بنيا على الفتح ، كما بنى أحد عشر ، واختيرت له عند بنائه الفتحة لأنها أخف الحركات •

وكما يقال : هو بين بين يقال : هو مقارب بكسر الراء •

عباس ابو السعود

---

(١) العار : كل شىء لزم به عيب .

(٢) تدينت : أخذت الدين كاستدنت .

(٣) الثقاف بالكسر : ما تسوى به الرماح .

(٤) الصعدة : القناة المستوية نبتت كذلك لا تحتاج الى تثقيف .

# يا أبا الفكر

## إلى روح العقاد في ذكراه الثانية عشرة

للدكتور سعد ظلام

شامخٌ أنت شموخَ القِمَمِ    خالدٌ أنتَ خلودَ الهَرمِ

رائعٌ كالنِّيل . . لمّا يَثْنِه    طولُ عهدٍ . . أو جيوش القِدَم

يَسكبُ الحبَّ على أيّامنا    ويروِّيها بعذب القِيَم

مثلما ينهلُّ من «أسواننا»    جئت منها . كالدَّ فوق العَيْلم

تُترِع الفكرَ سناءً ناهضًا    وتُجلِّي ظُلمةَ القلب العمِي

نغماتُ النيل في وديانِه    وأغانيه لكلِّ الأُمَمِ

ونَداه وهو خير دافق    أنتَ فيها . أنتَ فوق العدم

• • •

يا أبا الفكر وقد روّيتَه    بسنًى غَضٍّ . . وعقلٍ مفْعَمِ

فكرك الوثّاب فكرٌ خالد    هرم الدهر . . ولما يهرَمِ

لم تُزيِّفْ مثلما قد زيَّفوا    أنت شلّالٌ وضيئُ الأنجمِ

إنَّ الحق وقد ظاهرتَهُ    حَسَبًا أذكى كنُبْلِ الشِّيَمِ

ما انحنى في يديكم قلمٌ    مهجتى الكلْمىَ فداءُ القلَمِ

ها هو الفِكرُ وقد غادرتنَا عاد لحمًا فوق ظهر الوضَم

لم يَعُد فكرًا وقد فارقه خفقةُ الحبِّ وفَىْء الحَرَم

وخلا الميدانُ من فارسِهِ أين صولاتُ الكَمِى المُعلَم

تملأُ الدنيا دويًّا وقْعُه فى النفوس الهِيمِ كالغيثِ الْهَمِى

* * *

يا حِمَى الشعر .. وهذا نغَمى أدّعيه . . وإليْكم ينتَمِى

أيْن منَّا الآن عهدٌ كُنْتَهُ سُلَّم الشعر بأرقى سلَّمِ

يتحدى كلَّ حقدٍ مُضْرَمِ ولُعَاب كلعاب الأرْقَمِ

فى جلالٍ من بيان مُحْكَمِ يتهادى كربيع الْموسِم

يُغنِّى كالطيور الحُوَّمِ ويُناجى كابتهال المُحْرِمِ

يُولَد الفنُّ عليه مثلما يُولَد الشوق بقلب المُغرَمِ

يا عميدَ الفكر . . هذا قَلَمى ولُحونى . . وحصاد القلمِ

كان منك الفضل إذ روَّيْتَه برحيق من جناكَ الملهَم

فإذا اخضلّ فى دوحته يُورِق اللحنُ شفيفَ النغم

وإذا صال فمنكم نبضُه يعرف الحرُّ نُسُورَ القِمَم

وإذا ماراح يُزجى فنَّه فإلى روحك أُزجى نَغَمى

د. سعد عبد المقصود ظلام

# صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

## حى القبة ومجاوراته

— ١٢ —

**القبة كموقع :**

من آلاف السنين كانت دلتا نهر النيل مكونة من سبعة أفرع • وكان الفرع الشرقى لهذه الدلتا اسمه بحر الطينة • ويبدأ من النيل جنوبى موقع القناطر الخيرية الحالية ببضعة كيلو مترات • ويسير شمالا بشرقه حتى يصب فى البحر الأبيض المتوسط عند مدينة الفرما شرقى بورفؤاد • ولا يزال اسم سهل الطينة باقيا للمنطقة هناك • ومدينة الفرما كان اسمها القبطى فرومى • وعرفها الرومان باسم بلوزيوم • وحرف العامة الاسم الى بلوظة • واسم بلوظة باق هناك للآن •

وينسب بعض المؤرخين الى الفرما أنها مجمع البحرين الذى ذكر التقاء موسى وفتاه يوشع بالخضر عليهم السلام عنده ( فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ) (١) • وأنها كانت بها الأبواب التى قال عنها يعقوب لأولاده ( لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة )(٢) كما قالوا أن الأرض كانت قديما ممتدة من موقع الفرما حتى قبرص ثم طغى البحر عليها •

وكان على بحر الطينة • الفرع الشرقى لدلتا النيل ـ مدينة أون • أو هليوبوليس • أو عين شمس • هذه الأسماء الثلاثة للمدينة الفرعونية مقر عبادة رع ( الشمس ) عند المصريين القدماء والتى كانت بها أقدم جامعة عرفها العالم • منذ ما يقرب من ٧٧ قرنا • وقد درس بها أغلب فلاسفة

---

(١) الآية ٦٥ من سورة الكهف ١٨ بالمصحف .

(٢) الآية ٦٧ من سورة يوسف ١٢ بالمصحف .

وعلماء الأغريق . ومنهم أفلاطون ( ٤٢٩ - ٣٤٧ ق.م ) الذى أقام بها ثلاثة عشر عاما . وهو تلميذ سقراط وأستاذ أرسطو . فمن جامعة عين شمس الفرعونية . ومن جامعة الاسكندرية المصرية فى عهد البطالسة ( ٣٣٢ - ٣٠ ق.م ) نهل علماء الأغريق علومهم ومعارفهم . وقد ترجم العرب علوم الأغريق . وأضافوا عليها اضافات . ونقلتها أوربا عنهم . ولولا هذه الترجمات لجهلت علوم الأغريق واندثرت .

وقد أهدى كهنة عين شمس للعالم منذ ما يزيد عن السبعين قرنا حساب السنة الشمسية . وهو التقويم الذى نقله يوليوس قيصر الى روما سنة ٤٦ ق.م. ويسير عليه العالم للآن . والتقويم القبطى الحالى امتداد للتقويم المصرى القديم بتقسيمه وشهوره المتساوية وأسمائها الفرعونية مع تحريف لفظى يسير .

ومن بحر الطينه كان يبدأ الخليج المصرى القديم - الذى يعرف جزء من موقعه الآن باسم شارع بور سعيد حتى يصل الى البحيرات المرة التى كانت وبحيرة التمساح وخليج القلزم ( السويس ) متصلة ببعضها . وقد حفر هذا الخليج سنوسرت الثالث ( ٢٠٩٩ - ٢٠٦١ ق.م. ) من فراعنة الأسرة الثانية عشرة ليصل النيل بالبحر الأحمر . وهو أقدم مجرى مائى صناعى استمر حتى العصر الحديث .

وظل هذا الخليج يهمل أحيانا . ويجدد حفره أحيانا . حسب الحالة السياسية والاقتصادية للبلاد . فقد جدد حفره سيتى الأول من ملوك الأسرة ١٩ ( القرن ١٤ ق.م ) ونخاو الأول من ملوك الأسرة ٢٦ . وأيضا دارا الأول الفارس فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وكذلك بطليموس الثانى فى القرن الثالث قبل الميلاد .

ثم مده القيصر أدريان ( ١١٧ - ١٣٨ م ) بالقرب من مأخذه من بحر الطينة الى حصن بابليون ( قصر الشمع ) بموقع الفسطاط حاليا . وعند الفتح العربى كان هذا الخليج مهملا فجدد حفره عمرو بن العاص سنة ٦٤٤ م ( ٢٣ هـ ) بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ولذلك كان من ضمن أسماء هذا الخليج خليج أمير المؤمنين فضلا عن اسم الخليج المصرى والخليج الكبير وغيرها من

الأسماء • وظل هذا الخليج داخـل المدينة حتى ردمته شركة الترام سنة ١٨٩٨ م • ليسير أحد خطوط الترام مكانه • وهو جزء من عرض شـارع بور سعيد الحالى • فكأن عمر هـذا الخليج ما يقرب من الأربعين قرنا •

وكان لهذا الخليج خمسة أفـرع داخل حدود عوائد الأمـلاك لمدينـة القاهرة الحالية• ردمت جميعها لتحول الأرض الزراعية التى كانت ترويهـا الى مبانى ومسـاكن • وبعض أسماء هذه الفروع باقللآن لبعض الشوارع التى كانت تمر مكانها •

**شارع ترعة الجبل :**

وتذكر منها ترعة الجبل فلا يزال الشارع شرقى سراى القبة يحمـل هذا الاسم • ويبدأ هذا الشارع عند محطة الدمرداش أو الجامعة لخـط مترو مصر الجديدة • ويسير شمالا بشرق حتى آخر سراى القبة • ثم يختـرق حى الزيتـون •• الـخ • والتعرجات والالتواءات الموجودة بأول هذا الشارع تدل على مسـار الترعة القديمة •

**المسلات بعين شمس :**

وعند الفتح العربى كانت مدينة عين شمس قد اندثرت تقريبا •وقد وصف عدة من المؤرخين العرب ماكان باقيـا بهـا من آثـار وأسـوار وتماثيـل ( والمسلتين ) المظيمتين بها •

وكانت عين شـمس فى عصـورها الزاهية المختلفة تزخر بالمسلات••منها المسلة المعروفة بفلاميـنا التى توجـد الآن بمدينة روما • وأقام بها تحتمس الثـالث ( ١٥٠١ - ١٤٤٧ ق•م • ) مسلتين نقلهما الحاكم الرومانى سنة ٢٣ ق•م• الى الاسكندرية واحداهما الآن على شاطىء نهر التيمس بلندن • والثـانية بحـديقة سنتـرال بـارك بنيويورك •

أمـا المسـلتان اللتـان ذكرهمـا المؤرخون العـرب • فقـد سقـطت احداهما فى ١٢٥٨/٩/٣ م( ٤رمضان سنة٦٥٦ هـ ) • ويبدو أنه سقط جزء من هذه المسلة قبل هذا التاريخ •فقد ذكر العـالم المـؤرخ عبـد اللـطيف البغدادى فى كتابه ( الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ) المعروف بمختصر أخبار مصر أنه وجد احدى المسلتين ساقطة ومكسورة • والمـذكور أقـام بمصر (٥٨٣ - ٥٠٢ هـ = ١١٨٧ - ١٢٠٥م) وكـان يلقى دروسـا فى الأزهـر

فى هـــذه المـــدة كما ذكـر فى كتابه المذكور •

والمسلة الوحيدة الباقية الآن بعين شمس هى التى أقامها سنوسرت الأول ( ٢١٩٢ – ٢١٤٧ ق•م ) من فراعنة الأسرة الثانية عشرة ويبلغ ارتفاعها ٦٧ قدما تقريبا • ولا تزال قائمة تطل على المكان الذى أقيمت فيه من أكثر من ٤٠٠٠ سنة • وبين موقع هـــذه المسلة والسور الشمالى لسراى القبة ثلاثة كيلو مترات تقريبا •

**المطرية وصحراء الريدانية :**

وعرفت الجهة هناك بعـد الفـتح العربى بمنية مطر أو المطرية • وهذا الاسم يشمل حاليا أحياء القبة والزيتون والمطرية وعين شمس •

والمطـرية على مشـــارف صـــحراء الريدانية التى تمتد من العباسية الى موقع مدينة نصر ومنشية البكرى ومصر الجديدة • ولا يزال الشارع غربى سراى القبة يحمل اسم المطرية •

واسم الريدانية يرجع الى أنها كانت بســتانا لريدان الصقلى أحد خـدام العزيز بالله بن المعز الفاطمى • وقـد قتله الحـاكم بأمر الله بن العزيز سنة ١٠٠٢م ( ٣٩٣ هـ ) • وفى هذا مايدل على أن هذه الجـهة كانت مـزارع وبساتين •

وكان للمطرية شـأن يـذكر فى التاريخ • فتروى الأساطير الدينية أن السيدة مريم العذراء وطفلها السـيد المسيح عليه السلام – فى هروبهـما من بيت لحـم من الملك هيرود – قد نزلا بالمطرية من ضمن مانزلا به من البلاد المصرية • وأن السيدة مـريم قد غسلت ثياب طفلها من عين هناك • وألقت ماء الغسيل فى الأرض • فنبت بعدها نبات البلسان • وكان يؤخذ منه دهن البلسان • وتقول الأساطير أن البلسان لا ينبت فى مكان فى الأرض غير هذا المكان • وأنه كان ينبت قبل هذه الواقعـة بالأردن • والمسيحيون يتبركون به ويعتقدون أنه شاف لكثير من الأمراض • ويخلطون قليلا منـه على مياه التعميد • وكان حاكم مصر يستخرجه لنفسه ويهادى به مـلوك الأفرنج وتقول الأسطورة أيضـا أن كهنة عين شمس خروا سجدا أمـام العذراء والطفل ولا يزال للآن موقع شجرة السيدة مريم وحديقة البلسم على بعد أقـل من كيـلو مترين من سراى القبة •

وقد ناقش عالم المصريات جيمس بيكى فى كتابه الآثار المصرية فى وادى النيل ( ترجمة لبيب حبشى وشفيق فريد ص ١٥٣ )هذه الأسطورة وقال انها ترجع الى بعد أكثر قدما فى التاريخ • فاسم عين شمس يعنى نبع الشمس • وفى الأساطير الفرعونية أن اله الشمس غسل وجهه من نبع هناك عندما ظهر على الأرض لأول مرة • وقال العالم أن الأسطورتين خاليتان من الحقيقة •

ولكن هكذا كان اعتقاد المسيحين والمسلمين أيضا • فقد ذكر ابن اياس فى بدائع الزهور أن السلطان سليم الأول العثمانى • بعد فتح مصر • قد ذهب الى بئر البلسان التى بالمطرية فى جمادى الأخرة سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧) وغسل وجهه من مائها • وأقام هناك الى بعد العصر •

كما كانت المطرية محلا لبعض المواقع العسكرية الحاسمة فى تاريخ مصر • فقد صد هناك القائد جوهر القرامطة سنة ٣٦١ هـ ( ٩٧٢ م ) عندما حاولوا غزو مصر فى أوائل حكم الفاطميين وردهم على أعقابهم •

**سليم الأول وطومان باى :**

وكانت عند المطرية الموقعة بين السلطان سليم الأول العثمانى والسلطان الأشرف طومان باى فى ٢٩ ذى الحجة سنة ٩٢٢ هـ ( ٢٢ يناير سنة ١٥١٧ م ) آخر السلاطين المماليك وانهزم فيها طومان باى •

فبعد أن هزم سليم السلطان الغورى فى معركة مرج دابق ( شمال حلب) فى ٢١ رجب سنة ٩٢٢هـ(١٩أغسطس سنة ١٥١٦م ) • وانهزم فيها الغورى وفقد جثمانه • تسلطن فى مصر الأشرف طومان باى • وقيل انه ابن أخ أو ابن أخت الغورى • وقيل انه مجرد قرابته • وقدم سليم لمصر لاستكمال انتصاره •

وبعد موقعة المطرية حاول طومان باى أن يقاوم بما يشبه حرب العصابات وانتصر على العثمانيين فى بعض المواقع ولكنها كانت انتصارات غير حاسمة •

وتفرق عنه زملاؤه المماليك . واختفى أخيرا عند حسن مرعى أحد مشايخ عربان البحيرة . بعد أن عاهده على المصحف أن يكتم أمره . ولكنه خانه وسلمه الى سليم الأول . فمكث عنده بضعة عشر يوما . ثم أمر بشنقه على باب زويلة . ونفذ الحكم فى ٢١ ربيع الأول سنة ٩٢٣ ( ١٥١٧/٤/١٢ م ) . وانتقلت مصر من سلطنة قوية تسود العالم العربى وتسوس العالم الاسلامى الى ولاية تابعة للحكم العثمانى . مما أضر ركب الحضارة العربية عدة قرون .

وهناك شارعان أحدهما باسم شارع سليم الأول يبدأ من الميدان الذى به محطة سراى القبة لخط سكة حديد المطرية وعين شمس . ويسير غربى قصر الطاهرة متجها شمالا بشرق مخترقا حى القبة والزيتون . وهو امتداد لشارع ابن سندر . والثانى شارع طومان باى ويبدأ من ميدان ابن سندر ويسير شمالا بشرق ويمر شرقى قصر الطاهرة موازيا تقريبا لشارع سليم الأول . وهذا التوازى كأنه تخليد للربط التاريخى بين الاسمين .

وقد حكم مصر سلطان آخر باسم طومان باى . وهو العادل طومان باى . ولم يستمر حكمه غير ثلاثة شهور تقريبا سنة ٩٠٦ هـ ( ١٥٠٠م ) . ثم هرب ليلة عيد الفطر . وأمسك وقتل بعد ذلك . وتولى بعده السلطان الغورى والعادل طومان باى هذا هو صاحب القبة بجوار موقع مستشفى الأمراض العقلية خلف كلية الشرطة بالعباسية .

**ابن سندر :**

وشارع ابن سندر المذكور يبدأ من محطة كوبرى القبة على الجانب الأيسر من خط المترو بالنسبه للمتجه لمصر الجديدة ( وعلى الجانب الأيمن شارع المقريزى ) ، ويستمر شارع ابن سندر شمالا بشرق حتى غربى قصر الطاهرة . وامتداد شارع ابن سندر هو شارع سليم الأول .

وابن سندر المنسوب لهذا الشارع هو مسروح بن سندر – ويقال له أحيانا سندر فقط . كان عبدا لأحد أعيان العرب فى صدر الاسلام اسمه زنباع بن روح الجدامى . وفى تاريخ حياته عظة ودليل على ماتصف به الاسلام من روح العدل والمساواة

بين الأحرار والعبيد فى الحقوق الانسانية •

فقد ضبطه مولاه زنباع المذكور يقبل جارية له • فجبه وجدع أنفه وأذنه • فأتى ابن سندر للرسول عليه الصلاة والسلام وشكا له • فأرسل الى زنباع يقول : ( لا تحملوهم من العمل فوق ما يطيقون • وأطعموهم مما تأكلون • وألبسوهم مما تلبسون فأن رضيتم فأمسكوا • وان كرهتم فبيعوا • ولا تعذبوا خلق الله • ومن مثل به أو أحرق بالنار فهو حر • وهو مولى الله ورسوله • ) فأصبح ابن سندر حرا • فقال : أوص بى يارسول الله • فقال : أوصى بك كل مسلم •

وحفظ أبو بكر وصية الرسول فى ابن سندر• فلما تولى عمربن الخطاب خيره أن يجرى عليه ما كان يجريه أبو بكر • أو أن يقطعه أرضا حيث يشاء مما فتح الله على المسلمين •فاختار مصر فكتب عمر الى عمرو بن العاص• فأقطعه هذه الأرض هناك التى عرفت بعده بمنية الأصبغ وكان هناك الخندق الذى حفره جوهر القائد لصد القرامطة كما سبق ذكره •

وقيل أن ابن سندر كان يسير مع آخرين فى ركب عمرو بن العاص فأثار بعضهم الغبار • فجعل عمرو عمامته على أنفه وقال : اتقوا الغبار فأنه أوشك شىء دخولا وأبعده خروجا فقال بعضهم لهؤلاء : تنحوا ففعلوا الا ابن سندر • فقال عمرو : دعوه فان غبار الخصى لا يضر • فسمعها ابن سندر فقال لعمرو : أما والله لو كنت من المؤمنين ما أذيتنى • فقال عمرو : يغفر الله لك فأنا بحمد الله من المؤمنين فقال ابن سندر قد علمت أن الرسول ص - أوصى بى كل مؤمن •

وكانت مساحة هذا الاقطاع ألف فدان • فلما مات ابن سندر اشتراها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان • فعرفت بمنية الأصبغ • ووالده عبد العزيز بن مروان كان واليا على مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان ( ٦٥ ــ ٨٥ هـ ) ، وتوفى عبد العزيز بمصر فى سنة ٨٥ هـ • وتوفى ابنه الأصبغ قبله فى نفس السنة • وكان الأصبغ قد عقد على السيدة سكينة بنت الامام الحسين بن على ولكنه توفى قبل أن يدخل بها •

**بركة الحج :**

وكانت شمال عين شمس بركة عرفت ببركة الحج • لأن الحجاج كانوا يجتمعون عندها فى خروجهم للحج مع المحمل • وقد ردمت أخيرا هذه البركة وتحولت الى مزارع بعد أن أصبح الحج بالسكة الحديدية حتى السويس ومنها بالبواخر • ثم أخيرا أصبح الحج بالطائرات • وقد سبق ذكرهما وذكر المحمل فى مقال سابق •

وكانت المطرية تعتبر كمدخل للعاصمة • فيستقبل عندها عظماء الوافدين من الخارج رسلا أو ضيوفا على حاكم البلاد • وتسير المواكب من هناك • كما كانت جهة المطرية متنزها للسلاطين المماليك •

ثم اختصت الجهة التى بها سراى القبة باسم القبة •

**القبة كاسم :**

حوالى سنة ١٤٧٠ م ( ٨٧٥ هـ ) أنشأ بجهة المطرية الدوادار يشبك ابن مهدى قبة • كان يقصدها السلطان قايتباى ومن بعده من السلاطين حتى السلطان الغورى • فيمضون بها سحابة اليوم على سبيل التنزه •

وكان السلاطين قبل انشاء هذه القبة اذا رغبوا التنزه هناك يذهبون الى منطقة خليج الزعفران وموقعها الآن ما حول سراى الزعفران مقر ادارة جامعة عين شمس وبعض كلياتها •

**الدوادار يشبك بن مهدى :**

وكان يشبك المذكور فى عهد السلطان الأشرف قايتباى ( حكم من ٨٧٢ - ٩٠١ هـ = ١٤٦٧ - ١٤٩٥م وتولى يشبك الدوادارية من ١٤٦٧- ١٤٨١ م ( ٨٧٢ - ٨٨٦ هـ ) حيث قتل فى حصار مدينة الرها •

والدوادار كلمة مركبة من مقطعين أحدهما عربى هو الدواة • والثانى فارسى هو دار بمعنى ممسك • وكانت احدى الوظائف الكبرى فى دولة السلاطين المماليك • واختصاص صاحبها وسط بين اختصاص وزير الداخلية ورئيس الوزراء حاليا •

وهناك شارع باسم شارع الدوادار يقطع شارع مصر والسودان قبل ميدان سراى القبة بقليل ويسير شمالا موازيا لشارع المطرية السابق ذكره غربى السراى •

ومنذ انشاء يشبك بن مهدى قبته المذكورة غلب اسم القبة على هذا الجزء من أرض المطرية •

**جامع القبة او جامع الغورى :**

وأضاف السلطان الغورى سنة ١٥١٣ م ( ٩١٩ هـ ) الى قبة يشبك ابن مهدى اضافات من مساطب وفساقى فغلب اسمه على اسم يشبك بن مهدى وقيل قبة الغورى • وبالميدان جنوب غربى قصر القبة جامع معروف باسم جامع القبة أو جامع الغورى • وبه ضريح تقول العامة انه ضريح (سيدى عمر الأنصارى ) ويقولون انه من أنصار الرسول عليه الصلاة والسلام ولا يعرفون عنه غير الاسم •

والجامع المذكور مكون من جزأين أحدهما فيما يبدو جامع قديم مئذنته تدل على الطراز التركى•وهو بسيط لا يدل على أنه انشاء أحد السلاطين أما الجز الثانى فهو فى مقدمة الجامع وبه الباب الرئيسى والقبلة والمنبر وهذا الجزء جديد وأنيق فى الداخل والخارج • وليست به مئذنة اكتفاء بالمئذنة الأصلية المذكورة • ولكن به قبة حوت نقوشا عربية • وآيات قرآنية • وزخارف آية فى الفن وحسن الذوق • وبأسفل القبة نوافذ من الخشب المخروط بها الزجاج الملون لتعكس ألوانا وصورا غاية فى الجمال وهذا الجزء من انشاء الخديوى عباس حلمى الثانى سنة ١٣١٠ هـ ( ١٨٩٢ م) • كما هو ثابت بالكتابة داخل القبة •

ويبدو أن هذا الجامع من باكورة أعمال عباس حلمى الثانى بعد توليته الخديوية بعد والده محمد توفيق الذى توفى فى يناير سنة ١٨٩٢م • وكان قصر القبة السكن الخاص لتوفيق وأسرته منذ كان وليا للعهد فى عهد والده اسماعيل كما سنذكر باذن الله•

ويذهب بعض شيوخ الحى أنه كانت هناك أربع سواقى • أصبحت مواقعها الان من داخل سور القصر المطل على الميدان • على يسار الداخل وأن احدى هذه السواقى من خمسة وجوه • أى يخرج الماء منها فى خمس عيون • وأخرى من أربعة وجوه • وربما يتفق هذا مع رواية ابن اياس فى بدائع الزهور عن انشاء الغورى الفساقى والمساطب هناك

**قصر القبة :**

يقع قصر القبة على مساحة من الأرض على شكل مستطيل تقريبا طول ضلعه الشمالى ٤٥٠ مترا تقريبا والجنوبى ٤٠٠ متر تقريبا . وطول كل من ضلعيه الشرقى والغربى ١٨٠٠ متر تقريبا فكان مساحة القصر بالحدائق ١٨٠ فدانا تقريبا .

ويميل المستطيل المذكور فى مجموعه الى الشمال الشرقى . ولكن للتسهيل فى التعبير نعتبر الضلع المطل على الميدان هو الضلع الجنوبى . وطوله ٤٠٠ مترا تقريبا . وأن شارع ترعة الجبل السابق ذكره هو الضلع الشرقى وطوله ١٨٠٠ متر تقريبا . وأن الشارع المطرية السابق ذكره هو الضلع الغربى وطوله ١٨٠٠ متر تقريبا . والضلع الشمالى هو شارع الأمير عبد القادر وطوله ٤٥٠ مترا تقريبا .

ويدور حول القصر وحدائقه الواسعة بهذه المساحة المذكورة سور ضخم فخم يبلغ ارتفاعه أكثر من ستة أمتار . وبه البوابات العظيمة . وطوله بدائر القصر مايقرب من ٤٤٥٠ مترا . وقد نشرت مجلة المصور في العدد ٣٩٣ فى ١٩٣٠/١٢/١٩ ( أى فى عهد فؤاد الأول ) صورة البوابة العظيمة القبلية المطلة على الميدان وقالت أنه تم بناؤها أخيرا باشراف فرج بك أمين مفتش المبانى بالسرايات الملكية وتنفيذ المقاول محمد حمودة .

ويقع القصر فى الثلث الشمالى للمساحة المذكورة . وشمالا وجنوبا منه الحدائق .

وفى الثلث الجنوبى من هذه المساحة على يمين الداخل من الباب المطل على الميدان توجد زاوية صغيرة لها تاريخ .

**مسجد تبر :**

هذه الزاوية معروفة باسم مسجد ومقام سيدى محمد التبرى .

والاسم يوحى أنه أحد الأولياء . والحقيقة أنه تبر من أعيان الدولة الأخشيدية عند قدوم جوهر قائد المعز لدين الله الفاطمى سنة ٩٦٩ م ( ٣٥٨ هـ ) وقد قاوم تبر المذكور جوهرا .

فسير اليه جوهر عسكرا هزموه فهرب . ثم قبض عليه . وأدخل القاهرة على فيل . فسجن وضرب بالسياط . وظل محبوسا حتى توفى سنة ٩٧١ م

(٣٦٠هـ) • وقيل انه انتحر • فسلخ بعد موته • وصلب وحشى جلده تبنا ولعل ذلك سببا فى أن العامة كانت تسمى هذا المسجد مسجد التبن •

وقيل أن تبرا أقام هذا المسجد على رأس ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب الذى قتل بالبصرة سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢م) بعد أن قتل بالمدينة أخوه محمد المعروف بالنفس الزكية فى ثورتهما على أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى • وقد أرسل المنصور رأس ابراهيم المذكور لمصر ليطاف بها • فأخفاها أهل مصر ودفنوها فى هذا المكان •

ثم أنشأت السيدة شفق نور والدة الخديوى توفيق المسجد الحالى بعد أن أزالت ما كان هناك من الآثار القديمة• وخلدت تاريخ هذه العمارة سنة ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) فى لوح من الرخام فوق باب المسجد بأبيات من الشعر الشطر الأخير من البيت الأخير به التاريخ بحساب الجمل كما كان معروفا :

زها طالع الأنوار فى مسجد البر ... به البطل التبرى فى قبة السر

لقد أنشأته شفق نور وحبذا ... بها حرم المولى الخديوى ذى القدر

بوالدة التوفيق أنعم مؤرخا ... أمد أساس النور فى مسجد التبرى

٤٥ ١٢٢ ٢٨٧ ٩٠ ١٠٧
٦٤٣ = ١٢٩٤

ويلاحظ أن تاريخ هذه العمارة لاحق لمنح اسماعيل لابنه توفيق تفتيش القبة كما سنذكر باذن الله •

**تاريخ بناء قصر القبة :**

وهناك اعتقاد سائد أن قصر القبة من انشاء الخديوى اسماعيل • ولكن الحقيقة أنه من انشاء والده ابراهيم باشا • وقد ذكر على باشا مبارك ذلك فى الخطط التوفيقية جـ١ ص ٨٣ • وفعلا نجد بعض تشابه فى بعض اللمسات الفنية والمعمارية بين قصر القبة وقصر رأس التين الذى أنشأه محمد على سنة ١٨١٩ • ثم أعيد بناؤه سنة ١٨٣٤ م •

وقد ذكر الصاغ أركان حرب محمود محمد الجوهرى فى كتابه ( قصور وتحف ) تاريخا عن انشاء

قصر القبة . فقال انه أنشىء سنة ١٨٦٣ م كما يستدل من خطاب فى ٦ أبريل ، وقال انه أول عام سنة ١٨٢٥ هـ .

ولكن هذا التاريخ مضطرب . فأما عن التاريخ الميلادى فقد تولى اسماعيل فى ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ هـ ( ١٨٦٣/١/١٧ ) . فغير معقول أن يكون قصر القبة من بواكير أعماله ولم يمض على ولايته غير شهرين ونصف تقريبا . والا كان فى هذا ما يلفت نظر المؤرخين . خصوصا وأن اسماعيل كان مشغولا بالاستعداد لزيارة السلطان عبد العزيز سلطان تركيا الذى حضر لمصر فى أواخر مارس سنة ١٨٦٣ م ومكث بها عشرة أيام .

وأما عن التاريخ الهجرى سنة ١٨٢٥ هـ . فلا يزال أمامنا أكثر من أربعة قرون حتى نصل اليه .

واذا كانت هناك غلطة مطبعية فى تركيب الرقم . أى ١٢٨٥ هـ بدلا من ١٨٢٥ ، فهذه السنة الهجرية توافق سنة ١٨٦٨ م . وهى لا تتفق مع التاريخ الميلادى ( سنة ١٨٦٣ ) السابق ذكره . ولو اعتبرنا ١٨٢٥ هـ تاريخا ميلاديا لكان هذا فى عصر محمد على .

وأخيرا نجد فى تقويم النيل لأمين باشا سامى ( المجلد الثانى من الجزء الثالث ص ٦٨٢) اخطارا صادرا من اسماعيل للدائرة السنية فى آخر رجب سنة ١٢٨٣ هـ ( ٧ ديسمبر سنة ١٨٦٧ ) به صورة عقد شراء اسماعيل لجميع أملاك وأطيان - ومايتبعها من ملحقات وانشاءات - أخيه مصطفى فاضل نظير مبلغ ٢٫٨٠٠٫٠٠٠ مليونين وثمانمائة ألف جنيها استرلينيا مقسطا على خمسة عشر عاما .

وهو فى الواقع عقد تخارج شامل لكل ما ذكر بالعقد أو لم يذكر وسواء أكانت الأملاك أو الأطيان مكلفة باسم مصطفى فاضل شخصيا أو باسم احدى زوجاته أو أحد أولاده أو أتباعه . ويتعهد بنقل تكليفها كلها الى اسم الخديوى اسماعيل .

واستثنى فى البند التاسع من العقد المذكور البيت الكائن بباب الحديد والموبيليات الموجودة بسرايات درب الجماميز والقبة والرملة فهى غير داخلة من ضمن المبايعة .

ومن هذا نصل الى أن سراى القبة كانت من أملاك مصطفى فاضل بالميراث عن والده ابراهيم باشا • ثم آلت الى اسماعيل بالمشترى من مصطفى فاضل سنة ١٨٦٧ م •

ولم تكن العلاقات ودية بين اسماعيل وأخيه مصطفى فاضل•وقد تأزمت هذه العلاقات بعد أن حصل اسماعيل على حصر وراثة حكم مصر فى ذرية اسماعيل•بالفرمان (المرسوم الصادر من سلطان تركيا فى ١٨٦٦/٥/٢٧ م • وكانت قبل ذلك فى أكبر أفراد أسرة محمد على • وعليه فقد كان من يلى اسماعيل فى الحكم هو أخوه مصطفى فاضل ثم عمهما عبد الحليم بن محمد على • فقضى هذا الفرمان على آمال الاثنين • وكان اسماعيل قد اشترى فى السنة السابقة (١٨٦٦) أطيان وممتلكات عمه عبد الحليم •

وبهذا الفرمان أصبح محمد توفيق أكبر أولاد اسماعيل ولى العهد والمرشح بعد أبيه للأريكة الخديوية وحكم مصر •

ففى ٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٥ هـ ( ١٨٧٢/٥/١٢م ) منح اسماعيل ابنه توفيق ١٠٢٠٠ فدان كالآتى : ٦١٩٣ فدان تفتيش دسونس بالبحيرة ٣٨٥١ فدان تفتيش القبة + ١٥٦ بناحية أشمنت محافظة بنى سويف •

وبذلك أصبح تفتيش القبة بما فيه قصر القبة فى ملكية توفيق • فأقام فيه وأسرته فى حياة والده •

وفى ١٤ يناير سنة ١٨٧٣ م ( ١٦ ذى القعدة سنة ١٢٨٩ هـ ) كان زفاف توفيق على أمينة بنت الهامى بن عباس حلمى الأول بن طوسون بن محمد على وهى والدة عباس حلمى الثانى واشتهرت فيما بعد باسم أم المحسنين ( توفيت سنة ١٩٣١ ) • وتوفيق وأمينة هما ممن أقيمت لهم الأفراح المعروفة بأفراح الأنجال•حيث تزوج ثلاثة من أولاد اسماعيل ثلاث أميرات من الأسرة كما تزوجت بنت اسماعيل بأحد أمراء الأسرة•أى أربع زيجات استمرت أفراحها أربعين يوما • بواقع عشرة أيام لكل فرح • وقد سبق ذكر هذه الأفراح فى مقال سابق عن حى المنيرة •

ولم يكن توفيق محبوبا من أفراد الأسرة الحاكمة • فلم تكن أمه من من الأميرات • بل احدى الجوارى

اسمها شفق نور حملت به فى لحظة غرام من اسماعيل • ثم أهملها بعد ذلك • ولم يلفت مولد توفيق سنة ١٨٥٢ النظر • فلم يكن اسماعيل وارثا للحكم بوجود أخيه أحمد • فلما أصبح اسماعيل وليا للعهد بوفاة أحمد • ثم تولى اسماعيل الحكم • وحصل على فرمان حصر وراثة الحكم فى ذريته •

أصبح توفيق وليا للعهد • فانقلبت زراية الأسرة بتوفيق وأمه الى حقد وغيرة • ولذلك ظل توفيق عازفا عن الأسرة الحاكمة • حتى أنه بنى لنفسه ولأسرته الخاصة مقبرة خاصة موقعها الآن شرقى طريق صلاح سالم مقابل الدراسة تقريبا بالمقابر المعروفة بمقابر العفيفى • حين أن مقابر أفراد أسرة محمد على كانت بجوار الامام الشافعى • ومقبرة اسماعيل وأسرته كانت فيما بعد بجامع الرفاعى • المقابل لجامع السلطان حسن تحت القلعة •

ولما ارتبكت الأحوال المالية والسياسية للبلاد فى آخر عهد اسماعيل تواترت الاشاعات أن السلطان فى استانبول قرر خلع اسماعيل وتولية توفيق مكانه • وفى حالة رفض اسماعيل يلغى السلطان الفرمان الذى يحصر وراثة الحكم فى ذرية اسماعيل ويعود للنظام السابق بتوليه أكبر أفراد أسرة محمد على فانتقل توفيق الى سراى الاسماعيلية ( مكانها الآن المجمع بميدان التحرير وما حوله ) ليكون قريبا من مجرى الأحداث • فقصده كثير من رجال الدولة وأعيان البلاد • فأمر اسماعيل بانتقال توفيق الى سراى القبة بعين شمس • فنقلوه مع نسائه وأولاده • وأحاطت بمقر بالقبة طوائف الجند • فامتنع الناس عنه • وبقى محجورا عليه حتى تأكدت الاشاعات • وصدر الفرمان بخلع اسماعيل • ووصلت برقية بتولية توفيق • فأرسل اسماعيل فى طلبه • فأقبلوا به الى سراى الاسماعيلية • وأوقفوا الحرس عليها يمنعون من أراد الوصول اليه • ثم سار اليه محمد باشا شريف وهنأه بالولاية • وركب معه الى قصر عابدين حيث تمت المقابلة التاريخية بين الأب وابنه • أى بين الخديوى المخلوع والخديوى الجديد •

وتولى توفيق فى ١٨٧٩/٦/٢٧ م ( ٢٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ ) •

وشهد عهد توفيق الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى • وكان توفيق باهت الشخصية • ففـرض الانجليز سـيطرتهم ونفـوذهم • وفى الوقت نفسه أخذ الشعب يفيق من أثر صدمة الهـزيمة العرابية • فبـدأت تتجمع العناصر المناهضـة للاحتلال وتطالب بالجلاء •

وتـوفى توفيق فى الأربعـين من عمـرة بسراى حلـوان مســاء ١٨٩٢/١/٧ م ( ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ ) • وتولى بعده ابنه عباس حلمى الثانى •

وكانت الأوضاع المـالية للبلاد قد استقرت بعد تسوية ديون الحكومة وتصـفية الدائرة السـنية وانشــاء صندوق الدين • وتم الفصل بين مالية الدولة وثروة الحاكم الخاصة •

وتحـددت للحاكم أربعة قصـور ترعاها الدولة • منها اثنان رسـميان للحفـلات الرسـمية من اجتمـاعات واسـتقبالات وضـيافات وغـيرها • أحدهما قصر عابدين بالقاهرة والثانى قصر رأس التين بالاســكندرية • واثنان خاصان لاقامة الحاكم وأسرته هما قصر القبة بالقاهرة وقصر المنتزة بالاسكندرية •

فمثلا فى يناير سنة ١٨٩٥ عنـدما تزوجت خديجـة بنت توفيق شقيقة عباس حلمى من عباس حليم أعدت سراى القبـة للزفاف • ثم انتقـل العروسان الى سراى حلوان من باب اللوق لقضاء بضـعة أسابيع قبـل سفرهما لاستانبول • وكانت محطة حلوان بباب اللوق قد أنشئت • بعد أن كان خط سكة حديـد حلوان عند انشائه سـنة ١٨٧٧ يبـدأ من ميـدان المنشية تحت القلعة ويسير خلف المقابر حتى حلوان •

واذا قارنا بين مساحة قصر عابدين (٢٤ فدانا) وقصر القبة (١٨٠ فدانا) تقريبا • فلا يعنى هذا أن قصر القبة أكبر من قصر عابدين • بل العكس • فمساحة المبانى بقصر القبة أقل من سدس مبانى عابدين • كما أن عدد غرفات قصر القبة يقل بأكثر من هذه النسبة •

ولا نقف فى المقـارنة عنـد حد المساحة فقط • بل ننظر أيضـا الى الفخامة والبهاء • فلا يوجد فى قصر

القبة مثل قاعة العرش أو القاعة البيزانطية أو الجناح البلجيكى أو المسرح الخاص فى قصر عابدين بما فى أثاثاتها وجدرانها وسقوفها وأرضياتها من فن وزخرفة مما يجعل قصر عابدين من القصور العالمية .

ولكن باعتبار قصر القبة قصر خاص للحاكم وأسرته أو كما جرى التعبير أنه قصر عائلى فقد روعيت فيه البساطة فى زخرفة جدرانه وأسقفه وهذه البساطة نسبية فقط بالمقارنة مع عابدين . ولكن يفوق بهاؤه فى الزخارف والأثاث أى مكان آخر .

وبحكم أن قصر القبة كان من القصور الخاصة . فقد كان فاروق يضع فيه كل مجموعاته الخاصة من مجموعة النقود . أو طوابع البريد . أو العصى . أو المباسم . أو الساعات . وغيرها . وقد عرضت هذه المجموعات وما فى القصر من تحف مختلفة وسجاد نادر للجمهور بعد قيام الثورة سنة ١٩٥٢ فترة من الزمن .

وسبحان من له الدوام .

**محمد كمال السيد**

# التفسير الوسيط

## وملاحظات على نقاط فيه

للأستاذ كمال أحمد عون

### رد اللجنة على ملاحظات الأستاذ كمال عون

اطلعنا على ما نشرته مجلة الأزهر الغراء فى عدد ذى القعدة سنة ١٣٩٥هـ من ملاحظات للأستاذ كمال عون على التفسير الوسيط .

وقصة هذه الملاحظات تبدأ بكتاب سجلها فيه ، وبعث به الى السيد صاحب الفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث ، وقد حولها سيادته على اللجنة لابداء رأيها فيها .

وكان طبيعيا أن يكون رد اللجنة موجها الى السيد الأمين العام ، ليعلم رأى اللجنة فى تلك الملاحظات بعد أن حولها اليها ، وقد فعلت ذلك .

وقد اطلع على هذا الرد الأستاذ كمال صاحب تلك الملاحظات ، وكان المفروض أن ينتهى الأمر عند هذا الحد ، لأن رد اللجنة فيه الكفاية ، من الناحية العلمية المستندة الى المراجع الوثيقة ، وكانت عقيدتنا فى الأستاذ أنه بعث بملاحظاته من أجل شبهات قامت فى نفسه ، وكان ردنا فيه الكفاية فى ازالة هذه الشبهات .

ولكننا فوجئنا بهذه الملاحظات تظهر فى مجلة الأزهر ، وتعذر علينا فهم الحكمة فى هذا النشر والغرض الحقيقى منه ، فكل ما يحبه الغيور على كتاب الله ضمناه ردنا الذى أطلع عليه ، فماذا يريده بهذا النشر يا ترى ؟

نحن لا نحب أن نتطوع بالاجابة على هذا السؤال ، بل نكل العلم بما يقصده منه الى علام الغيوب ، وما كنا نحب أن يشغل القراء بجدل فى تفسير كتاب الله تعالى ، ولكن قدر فكان ، ولهذا نضع ردنا على تلك الملاحظات بين أيدى القراء ،

وتحت أسماعهم وأبصارهم فى مجلة الأزهر الغراء ، حيث نشرت هذه الملاحظات ، ليكونوا على علم بالحقيقة ، حتى لا تتبلبل أفكارهم ، والله تعالى ولى التوفيق .

## عتاب قبل الرد

يقول الأستاذ فى كتابه الى السيد الأمين العام : انه سعد وسعد الكثيرون ببدء ظهور التفسير الوسيط ، ولكنه لم يلبث أن قال : انه مع ما تجلى فى تفسير بعض الأحزاب من دقة وعناية ، فقد بدا فى كتابة بعضها سرعة فى التحرير ، وأخرى فى المراجعة ، ترتب عليهما قصور فى التحرير والتنسيق ، حتى بدا التضارب فى تقرير المعنى الواحد، والتقصير فى اختيار المعنى الأنسب ، كما وقعت بعض الأخطاء الظاهرة ، وكان يسيرا تداركها بالمراجعة الدقيقة .

ويقول : ( انه يرجو أن يكون منها ومن أمثالها حافز على مزيد العناية بالتفسير حتى يخرج فى المستوى اللائق بمكانة الأزهر وعلمائه ، وعلى ما ينبغى لكتاب الله تعالى من اخلاص ) كذلك قال الأستاذ فى كتابه الى السيد الأمين العام وهذا التعبير يقتضى أن اللجنة أخرجت التفسير فى مستوى غير لائق بمكانة الأزهر وعلمائه . وعلى غير ما ينبغى لكتاب الله تعالى من اخلاص،ونحن نقول : سامحك الله فيما تجنيت به على لجنة تضم طائفة من العلماء لهم ماضيهم ومكانتهم فى خدمة كتاب الله ، تأليفا وتدريسا لتفسيره فى أعلى المستويات ، وهم لم يقحموا أنفسهم على هذا الجهد العلمى اقحاما ، ولكنهم اختيروا له اختيارا .

فهل يرضى ضميرك أو يرضى القراء أن ترمى هذه اللجنة بعد ما بذلته من جهد صادق شاق ، بأن ما كتبته لم يكن على ما ينبغى لكتاب الله تعالى من اخلاص ، وأنها أخرجت التفسير غير لائق بمكانة الأزهر وعلمائه ، بعد أن أتمت تفسير واحد وعشرين حزبا بمنتهى الدقة والأمانة وازاء هذا التجنى لا يسعنا الا أن نقول : حسبنا فيما بذلناه من جهد أن الله به عليم ، وأنه هو الذى ينفذ علمه الى شغاف القلوب ، فيعلم اخلاصها ، وهو الذى يجزى كل امرىء منا ومن غيرنا بعمله ونواياه .

ان اللجنة القائمة بالتنسيق الآن خلف لأربعين من العلماء ، قدموا تفاسيرهم مشكورين ، كل على حسب اجتهاده وأسلوبه ، والأساليب مختلفة ، والآراء المختارة تختلف فيها الأنظار ، فلهذا كان لابد من أن تبذل لجنة التنسيق طاقتها فى تقريب الأساليب حتى تكون على نحو متقارب ، ولابد أن ترجع الى مختلف المصادر ، حتى تتحقق من صحة المعلومات ، ولابد أن تعقد موازنة بين ما اختاره المؤلف من الآراء وما تركه ، حتى تختار المعنى الذى تراه أنسب بالنص الكريم ، وما أكثر الجهد الذى يبذل فى هذا السبيل ، وما أعظم تبعة هذه العهدة الالهية .

لقد جاء فى صدر الجزء الأول أسماء أعضاء لجنة التنسيق ، فلا داعى لكتابة أسمائهم هنا ، ولقد شارك فى كثير من جلسات التنسيق ، فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد أبو زهرة طيب الله ثراه ، والدكتور مهدى علام والدكتور خلف الله ، وفضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى ، وقد بقى فى اللجنة حتى عين أمينا لمجمع البحوث ، ثم وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر ، فليسأل الأستاذ الأحياء منهم — أطال الله بقاءهم — ليعلم ما عاناه لجنة التنسيق ، حتى يكون المنهج واحدا ، والمعلومات وثيقة ، والرأى الأحرى بالقبول مختاراً .

ولعل الأستاذ لم يصل الى علمه ما وصل الى مجمع البحوث من رسائل من أنحاء العالم الاسلامى ، تفيض ثناء ورضا ، وليس من بينها رسالة واحدة تجنت على اللجنة فرمتها بالقصور أو التقصير أو ضعف الاخلاص ، أو عدم تناسب التفسير مع مقام الأزهر .

## نحن نرحب بالملاحظات

ان لجنة التنسيق ترحب بالملاحظات البناءة ، فانها لا تدعى الكمال ، فادعاء الكمال نقص ، ولكنها تأبى التحامل والانتقاص من الجهد والاخلاص وادعاء التقصير واصطناع الأخطاء كما حدث من السيد كمال .

## لم يسلم تفسير من النقد

كل مشتغل بالعلم يعلم أن جميع التفاسير لم تسلم من النقد ، وأنه

قد عدل عن آراء بعض الصحابة الى أراء سواهم تبعا لقوة الحجة ــ فالكمال والعصمة لله ولرسوله ــ وأن المفسرين كثيرا ما يذكرون آراء مختلفة فى معنى الآية الواحدة ، ايذانا بأن الأفهام ليست متحدة فى اختيار المعنى المناسب ، بل ان الفقهاء ليسوا على رأى واحد فى تفسير آيات الأحكام وأحاديث الأحكام ، كما هو معلوم لأهل العلم أيضا أنه ليس لأحد أن يفرض رأيه أو وصايته على سواه ، وحسبنا هذا فى عتبنا على الأستاذ كمال ؛ وفيما يلى ملاحظاته ورأينا فيها :

**الملاحظات وتحقيق الحق فيها**

١ ــ قالت اللجنة فى ص ١٧ من الحزب الأول : ان الاسم فى ( بسم الله الرحمن الرحيم ) مراد منه المسمى وهو ذات الله تعالى ، ويرى الأستاذ كمال أن يبقى الاسم على ما اشتهر من معناه ، بحجة أن التسبيح كما يتوجه الى الذات المقدسة ، يتوجه الى اسمه تعالى .

وردنا على هذا أن ما قالته اللجنة فى تفسير الاسم بالمسمى ، هو الرأى المرتضى لمشاهير المفسرين ومحققيهم ، وأن المستدرك لم يستتم الكلام حتى يظهر له المقصود ، وعبارتنا فى الطبعة الأولى لتفسير هذا الحزب كما يلى:

المراد بالاسم هنا المسمى وهو ذات الله تعالى ، فانه سبحانه هو المستعان به فى كل أمر يؤتى بالبسملة له ، والدليل على ذلك أنه لما نزل « سبح اسم ربك الأعلى» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اجعلوها فى سجودكم» وكان يقول: ( سبحان ربى الأعلى ) ولم يقل سبحان اسم ربى الأعلى .

وقال الألوسى [1] الاسم يطلق على نفس الذات والحقيقة والوجود والعين ، وهى عندهم أسماء مترادفة ــ كما قال الامام ابن فورك ــ فى كتابة الأسماء والصفات، وأبو القاسم السهيلى فى شرح الارشاد ، ثم قال : ومنه ( سبح اسم ربك الأعلى ) اذ التسبيح انما يتوجه

(١) ج ١ ص ٥٠ سطر ٧ وما يليه .

الى الذات الأقدس الى آخر ماقاله: هذا ما جاء فى الحزب الأول ،ونزيد اليوم على هذا أن الألوسى زادهذا المعنى توكيدا بقوله فى آخر ص ٥٠ ج ١ طبعة منير ( والاسم فى البسملة عند بعض بالمعنى الأول ـ أى المسمى ـ وقال الألوسى لأن الاستعانة بألفاظ بمجردها مما لا معنى له ، وليس من التسعة والتسعين من أسماء الله تعالى ما لفظه ( اسم ) فلا يحسن الا أن يراد به الذات : ا هـ

وذكر الامام البيضاوى أن الامام أبا الحسن الأشعرى يرى أن المراد من الاسم الصفة ، وحينئذ ينقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى ، والى ما هو غيره ، والى ما ليس هو ولا غيره : ا هـ انظره وانظر تعليق الخطيب عليه .

فلما تقدم اختارت اللجنة أن المراد بالاسم المسمى ، لأن الكلام فى الاستعانة (بسم الله الرحمن الرحيم) وليس فى التسبيح كما توهم الشيخ كمال ، وفى ذلك تقول اللجنة فى أول كلامها فى الموضوع فى السطر السادس من ص١٧ من الطبعة الأولى ما نصه حرفيا (بسم الله الرحمن الرحيم ) المراد بالاسم هنا المسمى ، وهو ذات الله تعالى ، فانه سبحانه هو المستعان به فى كل أمر يؤتى بالبسملة فيه : الى آخر ما قلناه هناك ، وهو كما تقدم اختيار أعلام المفسرين الذين نقلنا نص كلامهم من قبل ، فأين مكان القصور أو التقصير أو عدم مراعاة مكانة الأزهر العلمية العالمية أو عدم الاخلاص فيما تقدم بيانه ، سامحك الله يا أستاذ كمال فيما تجنيت به على اللجنة ،

على أن اللجنة مع اقتناعها برجحان اختبارها ، زادت فى الطبعة الثانية لتفسير الحزب الأول ما يلى بالنص : ( ويمكن تقدير فعل محذوف وهو ( أبتدىء ) أى أبتدىء بسم الله ، ويكون الاسم هنا على معناه المشهور وبذلك جمعنا بين الرأيين ، مراعاة لمن لم يألف استعمال الاسم بمعنى المسمى ، ولا وقت عنده لقراءة ما كتبه الكاتبون الأولون فى ترجيح المعنى الذى اختارته اللجنة ، وجريا على سنة الأولين فى الجمع بين الآراء المختلفة ، ليختار

القارىء ما يحلو له ، وبهذا البيان أصبحت هذه الملاحظة غير ذات موضوع .

٢ – قالت اللجنة فى بيان معنى الحمد لغة بص ١٧ : ( هو الثناء على الجميل الذى يصدر عن المحمود باختياره من نعمة أو غيرها ) وهذا التعريف وصفه الأستاذ بأنه قصور فى التحقيق ، يشهد به ما جاء بعد نص ١٨ من قول اللجنة ( ولفظ الجلالة يشعر بسبب استحقاقه تعالى وحده للحمد ) .

ونحن نقول : ان القصور ليس فى تحقيق اللجنة – كما توهم المستدرك – بل فى تصيده الأخطاء لها بسرعة دون مراجعة ولا تريث ولا يستطيع أحد أن يمارى فى أن معنى الحمد لغة عند المحققين هو ما ذكرناه ، وهو عين ما جاء فى البيضاوى فى تعريفه له ، وكون الجميل اختياريا هو اختيار الأكثرين – وهو الحق – قال الألوسى فى ص ٦٥ جـ١ طبعة منير ( والحق والحقيق باتباع أن الحمد اللغوى لا يكون الا على الأفعال الاختيارية – أما الحمد على الصفات الذاتية فهو اما لغوى راجع الى ما يترتب على الأفعال الاختيارية ، أو عرفى ولا ضرر فى تعلقه بها ،وقد تحدثنا فى الوسيط عمن سواه بالمدح ، فلم يشترط فيه أن يكون الجميل اختياريا ولا أن يكون نعمة ، ولكننا آثرنا ما قلناه فى التعريف لأنه هو رأى الأكثرين ، وهو الحق الحقيق بالاتباع كما قاله الآلوسى : أما قولنا ( ان لفظ الجلالة يشعر بسبب استحقاقه تعالى للحمد وحده ) فلا ينافى ما ذكرناه فان ألوهيته تعالى مصدر كل نعمة وكل جميل اختيارى منه لعباده ، وليس الله تعالى مكرها على أى جميل أسداه لهم ، فارجع الى عبارة الآلوسى السابقة ففيها شفاء لما فى الصدور ، فأين القصور أو التقصير فيما قلناه ، رأينا وافق الحق والصواب ، وصادق تحقيق المحققين .

٣ – قلنا فى ص ٣١ تفسيرا لكلمة ( المفلحون ) الفائزون ، وأصل الفلح الشق فى الأرض ، وهو عمل الفلاح ، والمؤمنون قد شقوا طريقهم الى الله ، فوصلوا وفازوا بمرضاة ربهم وعظيم ثوابه ) .

ويعلق الأستاذ المستدرك على ذلك

فيقول : المعنى صحيح ولكنه اتجه الى مادة الثلاثى (فلح) على حين أن المادة هنا رباعية (أفلح ) بمعنى فاز ، وفات المستدرك أن اللجنة بعد أن بينت المراد من أنهم ( المفلحون ) وهو أنهم هم الفائزون ، ربطت معنى الرباعى ( أفلح ) بأصله الثلاثى ، وردته اليه ، وذلك أمر معروف مألوف عند علماء التفسير واللغة ، قال البيضاوى والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب ، كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر ، وهذا نحو فلق وفلذوفلى يدل على الشق والفتح : ا هـ فأنت تراه بعد ما جاء بمعنى (أفلح) الرباعى رده الى أصله الثلاثى ، وهذا هو عين مافعلناه ، لقد قلنا فى معناه ( وأولئك الموصوفون بما تقدم هم - لا غيرهم - الفائزون عند الله بالسعادة الدائمة، وأصل الفلح الشق فى الأرض ،وهو عمل الفلاح ، والمؤمنون قد شقوا طريقهم الى الله فوصلوا وفازوا بمرضاة ربهم وعظيم ثوابه ) ، هذا بعض ما قلناه فى تفسير أولئك هم المفلحون ) فهل تجد أوفى من هذا البيان ، وهل عبارتك التى جئت بها تعتبر شيئا مذكورا بجانب هذا البيان الوافى ، فلماذا تهاجم الصواب الذى لا عيب فيه الا الوفاء ان كان الوفاء والتمام عيبا .

**ما الحكمة فى تحويل القبلة ؟**

٤ - جاء بص ٢١٣ من تفسير اللجنة قولها : ان قيل ما الحكمة فى تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة مع أن الله يقول « قل لله المشرق والمغرب » ويقول « فأينما تولوا فثم وجه الله » فلماذا لم تبق الى بيت المقدس عملا بالآيتين المذكورتين - وأجابت اللجنة على هذا السؤال الذى وجهته لنفسها بقولها : فالجواب من نواح ثلاث : أن الحكمة فيه مذكورة فى الآية التالية فى قوله تعالى « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ..» الآية وسيأتى بيانها ، والثانية أن الكعبة كانت قبلة لابراهيم ، والنبى والمؤمنون أولى الناس باتباعه ، « ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا » والثالثة أن فى التحويل اليها تأليفا لقلوب قريش ومشركى العرب الذين يقدسون الكعبة ويسوءهم الانصراف عنها :

هذا ما قلناه فى حكم انتحويل من بيت المقدس قبلة اليهود، الى الكعبة قبلة ابراهيم ، وكان سفهاء اليهود قد اغتاظوا من انصراف النبى عن قبلتهم ، فكانوا يقولون ( ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ) ورد الله عليهم بقوله « قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » فالتمسنا تلك الحكم لهذا التحويل وقلنا فى ص ٢١٥ تعليقا على قوله تعالى « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » ان الحكمة فى تحويل القبلة تمييز الصادق فى الايمان من غيره ، ويرى الأستاذ كمال أن حصر الحكمة هنا فى واحدة هى تمييز الصادق فى الايمان من غيره ، مخالف لما قلناه سابقا من جعلها ثلاثا ، ولو تأمل الأستاذ لما وجه هذه الملاحظة ، فالكلام هناك فى حكمة التولى عن قبلتهم التى كانوا عليها ، وهى بيت المقدس الى الكعبة ، على قول اليهود ( ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ) واجابة على سؤال : اذا كان المشرق والمغرب لله ، وأينما تتجه فثم وجه الله فأى حكمة فى التحويل ولا شك أن الحكم ثلاث فى تولى المسلمين عن بيت المقدس الى الكعبة كما قلناه أولا ، كما يظهر بأدنى تأمل •

أما الكلام هنا ففى بيان الحكمة فى جعل بيت المقدس قبلة قبل التحويل الى الكعبة ، فان الحكمة فيه واحدة ، وهى المنصوصة فى قوله تعالى « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » فان هجر الكعبة التى هى قبلة العرب قبل الاسلام ، والاتجاه الى بيت المقدس بعد الهجرة تأليفا لليهود ، امتحان صعب للمؤمنين من المهاجرين والأنصار الذين يدينون بالولاء لكعبة ابراهيم ، كما أنه امتحان لليهود أيؤمنون بهذا الدين الذى يتجه أهله الى قبلتهم أم يظلون سادرين فى غيهم ؟ كما أنه امتحان لمن آمن منهم عندما تعود القبلة الى كعبة ابراهيم ، فقد ارتد بعض من آمن منهم ، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام ياأستاذ كمال ، كما أنك تعلم أن الحصر نوعان حصر حقيقى وحصر اضافى ، والأخير لا يمنع من الحصر فى السبب الأهم كما جاء فى النص الكريم •

٥ ـ يقول الأستاذ : اننا فى ص٢٦١ فسرنا (غير باغ) فى المفردات بقولنا غير ظالم ، وفسرناها فى الشرح بص ٢٦٣ بقول السدى : غير طالب لأكلها شهوة وتلذذا ، ونحن نقول : ان ذكر قول السدى فى الشرح ، ليس معناه العدول عما ذكرناه فى المفردات ، فهما معنيان مقولان فى ( غير باغ ) ومن القواعد التى نسير عليها أن لا نتوسع فى شرح المفردات ، وفى وسع القارىء أن يختار ما يشاء من المعنيين ، فلا تضيق واسعا ياسيد كمال ، ولا تصيد الخطأ من الصواب ،

٦ ـ ص ٢٧٣ « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » يقول السيد كمال : جاء فى الشرح ما نصه ( أى فمن قتل القاتل بعد قبوله الدية أو بعد العفو أو قتل غير القاتل ـ والى هنا هذا الجزء مسلم ـ ثم تابع قائلا : أو قتل القاتل اذا لم يقبل العفو عنه الى الدية فله عذاب أليم فى الآخرة ) وعقب السيد كمال بقوله : اننا لم نبين هل يدخل فى هذا الوعيد أولياء الدم اذا لم يقبلوا العفو الى الدية )

هذا نص ما جاء بخطابه الى السيد الأمين العام ، وزاد فى مجلة الأزهر قوله ( وانتصفوا من القاتل والله يقول : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل » .

ونحن نأسف لأن هذا المفهوم البدهى يغيب عن السيد كمال ، حتى يعتقد أننا لم نبين هل يدخل فى هذا الوعيد أولياء الدم ، اذا رفضوا الدية اثيارا للقصاص .

ان الكلام من أوله لآخره فى بيان أن أولياء القتيل اذا اعتدوا بأية صورة من تلك الصور التى بيناها فله عذاب أليم ، وفى جملة الصور التى ذكرناها بالنص ( من لم يقبل العفو الى الدية ، وآثر القصاص ) وهى التى استشكل بها الأستاذ ،

وخلاصة ما قلناه أن أولياء الدم اذا قتلوا القاتل بعد قبولهم الدية ، أو بعد عفوهم عنه ، أو قتلوه بعد رفضهم قبول الدية والعفو فلهم عذاب أليم ، فليرجع ثانيا الى النص ليتبين له ذلك والحكمة فى دخولهم فى الوعيد فى الصورة الأخيرة ، أن

اقامة الحدود ليست من حقوق أصحاب الدم ، بل هى حق لولى الأمر ، حتى لا تكون دماء الناس فوضى فتضيع هيبة الحاكم ، ويختل الأمن ويقتل البرىء يتوهم أنه القاتل ، وكثيرا ما يقتلون غيره معه، كما يحدث فى كثير من البلاد ، أما السلطان الذى جعله الله اولى الدم فى قوله سبحانه « فقد جعلنا لوليه سلطانا » فهو فى الرفع الى القاضى، وطلب القصاص ، وتأييد الدعوى بالشهود،وأما قوله تعالى«فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا»فالمقصود منه أنه لا يسرف فيه بأية صورة من الصور ، ومن جملتها أن يباشر القتل بنفسه ، فانه منصور فى القضاء ، فلا وجه لأن يباشره بنفسه ، فهل تريد أن يباشر القصاص بنفسه فيختل الأمن .

٧ — ص ٢٩٩ « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » .

يستدرك السيد كمال فيقول : ( أورد المفسر رواية البراء فقال : كانوا اذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيت من ظهره — وقال — وكما كان يحدث منهم هذا فى البيت الحرام ، كان يحدث منهم فى بيوتهم، ومع أن الرواية هكذا فى عدة مراجع ، الا أن مقارنة الروايات تبين أن المقصود بيوتهم لا البيت الحرام ، ونص الآية صريح فى ذلك)

هذا ما قاله فى استدراكه ، وقد اعترف بأن روايتنا لكونهم فى الجاهلية كانوا يأتون البيت الحرام من ظهره اذا أحرموا واردة فى عدة مراجع — كما اعترف بأننا ذكرنا أنهم كانوا يأتون بيوتهم أيضا من ظهورها — ونزيد على اعترافه فنذكر نص عبارة اللجنة فى ص ٢٩٩ سطر ٧ — ٨ وهو ( وكما كان يحدث هذا فى البيت الحرام ، كان يحدث منهم فى بيوتهم ، فقد روى أن الأنصار كانوا اذا قدموا من سفر،لم يدخل الرجل من قبل بابه — ثم نقلنا عن الحسن أن أقواما من الجاهلية كانوا اذا خرجوا لسفر ثم عدلوا عنه ، لم يدخلوا البيت من بابه ولكن يتسورونه من قبل ظهره ) — فأين اشكالك يا سيد كمال وقد ذكرنا الرأيين جميعا ، وعلى من نستدرك ولا استدراك .

أما قولك ان الآية صريحة فى أنها بيوتهم ، تريد بذلك قصرها على هذا التأويل فخطأ ذريع ما كان ينبغى لمثلك أن يقع فيه ، وذلك لأمرين ، أحدهما أن قوله تعالى « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » ليس فيه نسبة البيوت اليهم،فهى عامة تشمل بيوتهم والبيت الحرام جميعا ، ففيها تأديب لهم بأن يأتوا البيت الحرام وبيوتهم من أبوابها لا من ظهورها ، والبيت الحرام أولى بهذا الأدب من بيوتهم، فلا معنى لقصره عليها ، والأمر الثانى أن البخارى وابن جرير رويا أن دخولهم البيت الحرام من ظهره، هو سبب نزول الآية الكريمة ، فكيف سوغت لنفسك أن تتنكر لرواية البخارى وابن جرير فى سبب نزول الآية الكريمة ، ومع أن سبب النزول هو ذلك فقد سقنا الرأيين جميعا ، فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ليعم تأديبهم وردعهم عما كانوا يفعلون ، وليكون هذا التشريع رائدا للأدب الاسلامى العام ، وبهذا لم تترك فى الآية شيئا يخطر بالبال ويدخل تحت مفهومها الا ذكرناه ، فكيف تجعل الصواب خطأ ، وأين الاستدراك :

٨ — وفى ص ٣٢١ فسرنا فى المفردات ( وهو ألد الخصام ) بقولنا وهو أشد العداء ، ويستدرك السيد كمال بأننا حين عرضنا لها فى التفسير قلنا وهو شديد الخصومة للرسول، ونحن نعجب لهذا الاستدراك ، فان وصفه بشدة الخصومة للرسول ، لا يمنع من أن يكون فيها أشد العداء والمخاصمة كما دوناه فى المفردات ، فهل هذه ملاحظة ، وهل تليق به ، ولهذا عدل عنها فيما كتبه فى المجلة بعد أن سجلها فى كتابه .

٩ — وفى ص ٣٦٠ حزب٤ قلنا : ومن العلماء من منع الزواج من الكتابيات ، وحجته أن الكتابية تنكر معجزة النبى صلى الله عليه وسلم ، وتنسبها الى غيره تعالى ، وهذا هو الشرك — هذا ما قلناه :

ويعقب السيد كمال فيقول : نسبة الرأى الى بعض العلماء صحيح ، وهو معروف عن بعض الصحابة كابن عمر ، غير أن سوق الحجة بأنها تنكر معجزة النبى غير واضح ، ولعل غير هذا من تأليه

عيسى أوضح فى وصف الشرك ــ هكذا قال السيد كمال فى خطابه للسيد الأمين العام .

ونحن نعجب له ، فهو يعترف بصحة نسبة هذا الرأى الى بعض العلماء والصحابة ومنهم ابن عمر ، ولكنه من هذا يأخذ علينا ما احتجوا به هم صح أو لم يصح ، لقد كنا صادقين فى بيان رأيهم وحجتهم فيه ، وهو احتجاج صحيح ، ولم تقتصر اللجنة على ذلك ؛ بل أضافت اليه العبارة التالية ( ولأن الشرك فى هذه الآية وقع فى مقابل الايمان فى الآية التالية ، فوجب حمله على عدم الايمان بالله ورسوله بأية صورة ، ولأنه تعالى أطلق الشرك على أهل الكتاب فى قوله تعالى « وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله » الى قوله « عما يشركون » ثم سقنا حديث البخارى فى ذلك وكذا رأى الامامية ، ولم ندع المقام حتى أشبعناه بيانا وبرهانا ، مما يشرف اللجنة ، ويزيدها رضا عن جهودها ، فأين مكان الملاحظة هنا يا سيد كمال ، لقد اعترفت فيما نشرته بمجلة الأزهر بأننا ذكرنا من الأسباب تأليه عيسى والتثليث ، وهنا ننقب عن الملاحظة فلا نجد لها ظلا ــ أليس هذا حراما .

١٠ ــ ذكرنا فى ص ٣٦٩ فى سبب نزول قوله تعالى « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » أنها نزلت فى مسطح حين وقع فى أفك عائشة ، وقال المستدرك : ان هذا التعبير وان كان معروفا للدارسين ، الا أنه غير كريم ، لاضافة الافك فيه الى عائشة ، بل هو افك من جاءوا به وحاشاها ــ هذا ما قاله المستدرك فى خطابه الى الأمين العام ، ونحن نقول : ان الأمر لم يكن بحاجة الى هذا الاستدراك ، فقد روينا سبب النزول كما يلى : ( أخرج ابن جرير عن ابن جريج أنها نزلت فى الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خالته ، وكان من الفقراء المهاجرين ، حين وقع فى افك عائشة رضى الله عنها ) فالعبارة لابن جريج فى سبب النزول ، ولا حيلة لنا فى النص ، على أن المراد واضح تماما ، وهو افك مسطح على عائشة ، فهل هذه ملاحظة يا أستاذ .

١١ ـ قلنا فى ص ٣٧٥ تعليقا على قوله تعالى « وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصلاحا » وليس المراد من قوله تعالى ( ان أرادوا اصلاحا ) اشتراط ارادة الاصلاح لجواز الرجعة ، حتى لو لم يكن قصده ذلك لا تجوز ، للاجماع على جوازها مطلقا ، بل المراد تحريضهم على قصد الاصلاح ، فلا يقصدون بها المضارة بتطويل العدة عليهن ، لهذا جعل قصد الاصلاح كأنه منوط به حق المراجعة ) .

ومع أن هذا الكلام منطقى وواضح ولا غبار عليه ، لكن صاحب الملاحظات لم يرضه ما قلناه من الاجماع على جواز الرجعة ، سواء قصد بها الاصلاح أم لم يقصد ، وتوهم أن ذلك يخالف ما قلناه فى ص ٣٨٦ وهو ( فلا يحل له أن يراجع الا اذا كان قد اعتزم العدل وأراده ) وهذا التوهم خطأ فان المقصود من جواز الرجعة فى حالة قصد المضارة صحتها ، وتلك هى الحالة الأولى ، والمقصود من أنه لا يحل له أن يراجع الا اذا اعتزم العدل وأراده ، أنه يحرم عليه أن يقصد بالمراجعة الاضرار بها ، فتكون الرجعة على هذه النية حراما مع صحتها وتلك هى الحالة الثانية ، وثمرة ذلك أنه اذا راجعها بنية المضارة ، يكون وطؤه لها صحيحا حلالا ، ولا يكون سفاحا ، وهو مع هذا آثم بنية الاضرار ، وبالرجعة على هذه النية ، والذى قلناه فى الحالتين قاله الألوسى .

ففى جـ ٢ ص ١١٦ من تفسير الألوسى طبعة منير يقول : ( وليس المراد من التعليق ـ بقوله ان أرادوا اصلاحا اشتراط جواز الرجعة بارادة الاصلاح ، حتى لو لم يكن قصده ذلك لا تجوز ، للاجماع على جوازها مطلقا أى أن الفقهاء أجمعوا على جواز الرجعة عند قصد المضارة ، يريد بذلك الاجماع على صحتها ، وتلك مسألة بدهية ، وفى تفسير القرطبى ص ٣٩١ طبعة الشعب فى المسألة رقم ١١ يقول القرطبى ( فأما اذا قصد الاضرار وتطويل العدة والقطع بها عن الخلاص من ربقة النكاح فمحرم ، لقوله تعالى ( ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ) ثم من فعل هذا فالرجعة صحيحة ،

وان ارتكب النهى وظلم نفسه » ١ هـ فمما تقدم ترى أن الذى قلناه فى الحالتين قاله الألوسى والقرطبى تماما ، وكل طالب علم يدرك ذلك لأول وهلة ، ولكن السيد كمالا مولع بتحويل الصواب الى خطأ ، وما قاله الثقات الى ملاحظات ، ولو كلف نفسه بالرجوع الى المصادر ، لعلم صحة عبارتينا ودقة ما نكتب ، وأمانتنا فى نقل آراء المفسرين ، على أننا نسأله عن رأيه فيما اذا راجع المطلق طليقته بقصد المضارة ، فان أفتى بالجواز بمعنى الصحة فهو معنا ، ولاوجه لملاحظته ، وان أفتى بعدم الصحة ، فهل يرى تبعا لذلك أنه اذا ضاجعها بعد تلك الرجعة يعتبر زانيا ، فان كان يرى ذلك فليراجع نفسه فى هذا الخطأ الهائل الذى لم يتورط فيه أحد .

١٢ ـ يقول السيد كمال تعليقا على ص ٣٩٢ : خطأ ظاهر : ( سها الكاتب والمراجع حول مدة الحمل والرضاع ) يشير بذلك الى ماجاء فى الصفحة المذكورة ، من سقوط سطر عند طبع هذه الصفحة من الجزء الرابع ، وقد نبهنا الى ذلك بعض القراء فى حين ظهوره فطلبنا من السادة المشرفين على الطبع أن يدققوا فى مراجعة البروفات مستقبلا ، وسوف نشير الى ذلك فى ملاحق التفسير ، ويلاحظ أن التصحيح عند الطبع ليس للجنة التفسير اشراف عليه .

١٣ ـ فى تفسير اللجنة لقوله تعالى « لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده » بص ٣٩٣ تقول : لاتضار والدة زوجها بسبب ولدها ، بأن تطلب منه ما ليس بعدل من الرزق ، الولد وأن تشغل قلبه بالتفريط فى شأن الولد وأن تقول له بعد أن ألفها الرضيع اطلب له مرضعا ، الى آخرماقلناه مما يرضى كل منصف ولكن السيد كمالا لم يرضيه ماقلناه وقال : ان اللجنة حملت المضارع على أنه مبنى للفاعل ووجهت المعنى الى ذلك ، ولم تلتفت الى احتمال أن يكون الفعل مبنيا للمفعول وهو أقرب .

ونحن نقول : ليس بلازم أن يتفق رأى مع آخر فى أختيار المعنى أو الحكم المناسب للنص ، ومن هنا

نشأت الخلافات بين المجتهدين وأهل الرأى ، ولو أننا أرخينا العنان فى تقبل وجهات النظر المختلفة ، لما أمكن انجاز عمل نافع مفيد ، لأن مايرجحه أحد الناس يراه الآخر ضعيفا ، لهذا نختار الرأى الأفضل بعد استعراض أراء المفسرين والموازنة بينهما •

أماردنا الموضوعى على قوله : ان الأنسب فى قوله تعالى ( لاتضار والدة بولدها ) أن يكون الفعل مبنيا للمفعول لا للفاعل ، فهو أن ما اختارته اللجنة من كون المعنى دائرا على اعتباره مبنيا للفاعل هو الأنسب ، وهو الذى اختاره الحذاق من المفسرين ، قال الألوسى فى جـ ٢ ص ١٢٦طبعة منير مايلى : ( والمضارة مفاعلة من الضرر ، والمفاعلة : اما مقصودة والمفعول محذوف - أى لاتضار والدة زوجها بسبب ولدها ، وأن تعنف وتطلب ما ليس بعدل من الرزق والكسوة ، وأن تشغل قلبه بالتفريط فى شأن الولد ، وأن تقول له بعد أن ألفها الصبى : أطلب له ظئرا مثلا : الى آخر ما قاله الألوسى •

وقال القرطبى فى ص ٩٧٥ طبعة مطبعة الشعب : المعنى لاتأبى الأم أن ترضعه : اضرارا بأبيه ، أو تطلب أكثر من أجر مثلها • الخ وماااختارته اللجنة هو عين ماقاله الألوس والقرطبى •

والسبب فى ترجيح ماذهبنا اليه أنه تعالى لما طلب من المولود له - وهو الزوج أن يرزق زوجته التى ترضع ولده وأن يكسوها بالمعروف عقب ذلك بنهى الأم المرضعة عن المبالغة فى طلب رزقها وكسوتها ومضارته بسبب ولدها منه ، وذلك يتفق مع بناء الفعل ( تضار )للفاعل، دون بنائه للمفعول •

١٤ - فى تفسيرنا لقوله تعالى « فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن من معروف»

قلنا فى ص ٣٩٦ : ( فاذااستوفين عدة الوفاة الواجبة عليهن كاملة ، واستبان حال الرحم فلم يكن فيه حمل فلا جناح عليكم ايها الأولياء المسلمون فيما فعلن فى أنفسهن من زينة وغيرها مما حرم عليهن وقت العدة - ان كن قد فعلن ذلك بالمعروف فى حدود الشرع الشريف، فان خرجن عن حدوده ، فالاثم عليكم أيها الأولياء ، لأن مراقبتهن واجبة عليكم » •

هذا بعض ما قلناه ، وهو يفيدأن أولياء النساء المتوفى عنهن أزواجهن، يعتبرون شرعا آثمين اذا خرجت النساء عن حدود الشرع فى زينتهن وسلوكهن بعد انقضاء عدة الوفاة وهذا هو المفهوم الاستنباطى المقابل للنص ، الذى يعبر عنه بالمفهوم المخالف ، فان قوله تعالى « فلاجاح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن من معروف » يفهم منه عكسيا أن على الأولياء جناحا ان فعلن فى أنفسهن ما يخالف أمر الشرع وحدوده ، لتقصيرهم فى منعهن من ذلك ، ولكن السيد كمال عون لم يعجبه هذا الحق الواضح فقال : والصواب كل نفس بما كسبت رهينة ، « ولا تزر وازرة وزر أخرى »وعلى الأولياء اثم التفريط لا اثم فعل من جاوزت التفريط : لقد أراد الشيخ أن يخطئنا فاذا هو يقر ما قلناه ، فقد أفلت قلمه منه ليوافق الحق ، وكان كلامه حجة لنا عليه ، فانه قال فى آخر كلامه ( وعلى الأولياء اثم التفريط ) وهو مساو فى المعنى لقولنا ( فالاثم عليكم أيها الأولياء لأن مراقبتهن واجبة عليكم ) .

ومعلوم بداهة أن الأولياء ما أثموا الا بسبب اثم ولياتهن بمخالفة الشرع،وتركهن دون ردع، ويدل على ذلك صراحة قولنا (فان خرجن عن الشرع فالاثم عليكم أيها الأولياء لأن مراقبتهن واجبةعليكم) فقد صرحنا بمخالفتهن الشرع ،ومن خالف الشرع أثم .

على أن قوله تعالى « فان خرجن فلا جناح عليكم » الآية مسوقة لبيان حكم الأولياء بالنسبة لسلوك ولياتهن بعد عدة الوفاة ، فان كان مسلكا موافقا للشرع فى الزينة والتعرض للرجل لم يأثم الأولياء وان كان مخالفا للشرع أثموا ، وهذا ما قلناه .

وحسبنا ما ذكرناه من البيان على ملاحظات الأستاذ كمال عون ، أما استدراكاته الأخيرة المتعلقة بكتب أهل الكتاب ، فليست ذات بال وهو يعلم ذلك .

### جهد اللجنة وعناؤها

لو رأى الأستاذ كمال عون ما تبذله اللجنة من جهد فى اختيار المعنى المناسب والتعبير الواضح ، ومقدار حرص كل عضو على ذلك ،

والاهتمام بتخريج الأحاديث ومنع الحشو الذى لا فائدة منه ، وغير ذلك من مهام الأمور ، لو رأى الأستاذ ذلك لأدرك أننا فى ميدان جهاد شاق ، وأننا حريصون على صدق الكلمة ودقة المعنى ولقدر للجنة جهدها ولفكر فى شكرها والدعاء لها بمزيد من التوفيق ، بدلا من الاستدراك عليها والتشهير بها فى الصحف على هذا النحو الذى استبان أنه لا مبرر له ، مع شغلها بالرد واستنزاف وقتها بدون جدوى ونحن نرحب بكل نقد بناء بعد مراجعة للتقارير وتفكير فى هدف ما كتبته اللجنة ، وكل ما يأتينا من ذلك فاننا ندرسه بعناية ، ونستفيد به فى بذل مزيد من الجهد ، وليس بلازم أن نرد على ما يرد الينا ، لما فى ذلك من تعطيل عمل اللجنة ، وصرف جهدها الى الجدل ورد الأمور الى حقائقها ، وذلك يستدعى وقتا طويلا ، ويوقف العمل جلسات .

وأهم من ذلك أن ننتفع بالملاحظات الصحيحة فهو الهدف الأساسى لكل غيور على كتاب الله ، ولا يرى منصف أية مصلحة فى الكتابة فى الصحف والتشهير بعمل اللجنة دون مبرر ، وأن يختلف أهل العلم فى الوقت الذى يمكنهم فيه التلاقى على المصلحة العامة .

نحن نرحب بالتنبيه الى خطأ فى المعنى ، أو سقط فى العبارة ، أو خطأ فى نص آية أو حديث ، أوغير ذلك من الأهداف ، مع استبعاد الحديث عن اختيار عبارة مكان عبارة أو رأى مكان رأى ، فان اللجنة تحقق وتقرأ ، ثم تدون بعناية وتحذر الرأى الخطير .

ونحن معتزمون بحمد الله أن نقرأ التفسير بعد تمامه ان أخر الله آجالنا ، وسوف نستدرك ما عسى أن يكون قد فاتنا فى ملحق يشتمل على ذلك ان شاء الله تعالى .

وقد حدث عندما أعيد طبع تفسير الحزب الأول أننا أجرينا بعض التعديلات التى ظهرت لنا فائدتها وفاء بحق كتاب الله ، والكمال لله وحده .

والله تعالى نسأل أن ينفع به عباده وأن يعيننا فى مهمتنا ، وأن يتقبل بفضله عملنا ، انه كريم رحمان ، عظيم الفضل والاحسان .

أعضاء لجنة التنسيق للتفسير الوسيط

عنهم : مصطفى محمد الطير

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

*** الاسـلام . . اهدافه وحقائقه**
**تأليف : الدكتور سيد حسـين نصر**
**الناشر : الدار المتحدة للنشر ـ بيروت**

هذا الكتاب دراسة تقع فى ١٦٥ ص من القطـع المتوسـط ، والمؤلف أستاذ تاريخ العلوم والفلسفة بجامعة طهران ، وهـو من مواليد طهران ، درس فى جامعة هارفرد الأمريكية ، وحصل منها على الدكتوراه فى تاريخ العلوم والفلسفة .. وهذه الدراسة تعريف ـ كما يقول الناشر ـ بالاسلام وبكنوزه الفكرية ، كما أنها حوار مع سائر الأديان ، هـذا وقد قسم المؤلف دراسته الى ستة فصول هى : الاسلام دين الفطرة وخاتم الأديان ـ القـرآن الكـريم كلمـة الله ومصـدر المعرفة ودليـل العمل ـ الحـديث الشريف ومحمد خاتم النبيين ـ شرعة الله ـ الطريقة وأصولها فى القرآن الكريم ـ السنة والشيعة ..

الحق أن المؤلف يقدم دراسته على مسـتوى رفيع ، وبخاصة فى الفصل الأول « الاسلام دين الفطرة وخاتم الأديان » فهـذا الفصـــل برغم أن صفحاته لم تبلغ الثلاثين ، ناقش فيه بعض الشبهات حول عقيدة الاسلام ، ومن خلال هذه المناقشة ، وبشىء من البحث المقـارن ، اسـتطاع أن يبرز ما تميز به الاسـلام على ماسـبقه من الأديان والشرائع ، الا أن المؤلف فى نهاية هـذا الفصل ، يقـول مثـلا : ولكون الاسلام خاتم الأديان ، فان الله سبحانه منحه القدرة على التأليف والدمـج والاقتباس من الحضـارات السابقة ، ولفظة الاقتباس لايعنى بها سوى المستشرقين الذين لا يسلمون بأصـالة الاسـلام ، ويرونه مزيجا من الفلسفات والحضارات السابقة ، وقد يكون من المقبول أن يقال ان الاسلام نسيج وحـده أولا تقاس عليه سـائر الحضارات التى سـبقته والتى جاءت بعده ، وقول المؤلف : ان الاسـلام تقبل ما أدخلته مدرسة السهر وردى

الاشراقية من مذاهب مجوسية تتعلق بالملائكة قول مرفوض ، وتعتبر غير مقبـول على الاطلاق ، فمثل نظـرية الاشراف برمتها ، تسللت الى الاسلام من الخلف ، كسائر النظريات التي كتبت صفحات قلقة وأضافتها الى تاريخ الاسلام .

وفي الفصل الثالث : الحديث الشريف محمـد خاتم النبيين ، يقـدم المؤلف بحثا على مستوى رفيـع من الفكـر أيضا ، الا أنه في نهاية الفصل يعود بنا الى الأفكار القلقة في تاريخ الفكر الاسـلامي ، وينسـى أن آراء مثـل المتصوف « نجم الدين الرازي » في كتابه « مرصاد العباد » من أن محمدا باطنا هو البداية وظاهرا هو النهاية هي آراء غير مسلم بها وقابلة - على الأقل للأخذ والرد .

أمـا في الفصل الخامس : الطريقـة وأصولها في الاسلام ، فقد زج بنـا المـؤلف الى متـاهات الاصطلاحـات الصوفيـة ، فالطريقـة التي تعـرف بالتصوف هي الجانب الداخلي والباطني الخفي للاسلام ،وهكذا يتحول المؤلف أيضا في الفصل السادس الى داعية لمذهبـه الشـيعي ، مدافعـا عنه ، بل متعصبا له ، وللنظريات المنحرفة التي تسللت الى الاسـلام من الخلف عن طريق شخصيات قلقة أدانها الاسلام وعلماء المسلمين .

وبعـد - فمما يبعث على الأسف والأسى ، أن لدينا مفكرين اسلاميين ذوي ثقافات رفيعة من أمثال الدكتور سيد حسين نصر ، أستاذ تاريخ العلوم والفلسفة بجامعة طهران ، يمكنهم مواجهـة التحـديات التي تهب على الاسـلام من كل صـوب وحـدب ، المواجهة بجدارة وتفوق ، ولكن بينما يرتفعون الى القمة في هذا المجال ، اذ بهم يهبطون الى الأرض في مجال التشيع ، واذا كان بعض جوانب هذه الدراسة مما يبعث على الأسف ، فان الجوانب الأخرى - انصافا فللحق - تدعو الى كثير من التقدير .

## * الذكرى النافعة في كلمة جامعة تاليف : العلامة حامد المحضار

النـاشر مكتبة محمد المطيعي ميدان عبده باشا - القاهرة .

المؤلف أحد أعلام اليمن المفكرين الاسلاميين،وهو يقيم بالمملكة العربية السعودية ضيفا عليها منذ سنوات ، وله

عدة مؤلفات جديرة بالتقدير ورسالته التى بين أيدينا تقع فى اثنتين وثلاثين صفحة من القطع الكبير ، وهى على ايجازها صورة مشرقة من صور الأدب العربى الرفيع ، والقسم الأخير من الرسالة ، تضمن قصيدة للمؤلف من مائة وأربعة وخمسين بيتا ، وهى قصيدة تذكرنا بفحول الشعراء فى العصر الذهبى للشعر العربى ، أما القسم الأول من الرسالة ، فهو دراسة مسبقة للقصيدة تلقى الضوء على أبياتها وتدنيها ـ كما يقول فى مقدمته ـ من الأفهام ، فالقصيدة تبدأ بالحديث عن القصر ثم الحديث عن القبر ، وفى القصيدة نظرات اسلامية شاملة الى كل شىء الى الحلال والحرام فى كل شىء ، والعلامة السيد المحضار لا يقف فى دراسته المسبقة عند حد القاء الضوء على أبيات القصيدة ، بل يجعل من هذه الدراسة بحثا اسلاميا مستفيضا مؤيدا بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف ، فى السلوك والجهاد والاقتصاد والاجتماع ، وهاهى ذى نماذج من القصيدة :

ولم أر كالاسلام حرص أهله
على العلم والاعداد للقوى الكبرى

هو الدين دين الله يسعد أهله
اذا امتثلوا من حكمه النهى والأمرا

وما حكمه الا الهدى ساطع السنا
أتتنا به الآيات محكمة تترى

وما للهوى فى الحكم شأن ومن يقل
بحكم الهوى الشيطان يشدد به أزرا

** ورثة الفردوس**
**تأليف : الشيخ عبد الحميد كشك**

**الناشر : دار الاعتصام ـ القاهرة .**

المؤلف غنى عن التعريف ، انه أمام وخطيب مسجد عين الحياة بحدائق القبة ، الخطيب الذى تسعى الى مسجده فى الصباح الباكر من كل يوم جمعة الآلاف من المسلمين للاستماع الى خطبته ، يحمل الكثير منهم أجهزة التسجيل لتسجيلها وليسمعها فى الأحياء والقرى من لم يسمعها .

وكتابه هذا يقع فى زهاء مائة صفحة من القطع الكبير ، ويمثل الحلقة الأولى من السلسلة التى سيصدرها تباعا بهذا العنوان « ورثة

الفردوس » وقد استوعبت الحلقة الأولى كل ما يتصل بفضل المساجد ، وبالصلاة ، وبالطهارة ، وقد تضمن كل ذلك أحكاما فقهية ، رأى المؤلف من الخير أن يعرضها عرضا ميسورا ويتناولها تناولا سهلا ، حتى تكون كما يقول المؤلف فى مقدمته ــ كالماء الذى ينفع الكبير ولا يضر الصغير ، ونحن مع المؤلف فى أننا بحاجة ماسة الى معرفة الأحكام الشرعية ..

وبعد فقد أحسن المؤلف العرض ، وأجاد الاستشهاد والاستدلال ، لكننا كنا نود ــ فحسب ــ أن يعنى المؤلف فى الحلقات القادمة بتخريج كل الأحاديث النبوية ــ لا بعضها ــ كما حدث فى الحلقة الأولى ، وكذلك الاشارة الى درجة كل حديث ، مادمنا بصدد أحكام فقهية ...

*** ندوة علمية :**

هذه الندوة عن الاسلام وحقوق الانسان ، اشترك فى الندوة التى انعقدت بالمملكة العربية السعودية ، علماء الشريعة الاسلامية ، وفريق من كبار رجال القانون والفكر فى أوربة ، وانعقدت الندوة برئاسة معالى وزير العدل السعودى ، ومثل علماء الشريعة الاسلامية ، بعض علماء السعودية ، والشيخ محمد المبارك الأستاذ بكلية الشريعة بمكة ، والدكتور معروف الدواليبى وغيرهم ، كما مثل الوفد الأوربى لفيف من رجال القانون والمهتمين بالدراسات الاسلامية ، وقد اهتمت الندوة بالنقاط الأساسية التى أثارها رجال القانون والفكر الأوربيين حول التشريع الاسلامى ،ومن أبرزها أن تأكيد المسلمين على كون دستورهم وقوانينهم تعتمد على القرآن فقط كما أنزل منذ أربعة عشر قرنا ، هو فى نظر علماء أوروبا شىء يستحق البحث والملاحظة..لأن الحياة فى تطور مع تطور الأزمان ومن النقاط الأخرى قضية العقوبات والحدود ، وقضية المرأة ، وقد طبع مادار فى الندوة بلغات خمس : الفرنسية والانجليزية والألمانية والأسبانية الى جانب اللغة العربية .. هذه خطوة ايجابية لها تقديرها وحسنا فعلت السعودية ..

*** قراءات :**

« يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم .. أن المبادىء المقررة فى الشريعة الاسلامية الغراء

لاتوافق هذا الزمان الذى بلغ فيه الانسان من التمدن والترقى درجة رفيعة ويتوهمون أن الأحكام والروابط الموجودة فى القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها فى الأحوال الاسلامية ، وانما هى بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التى أنتجها فكر علماء الغرب ، لم يسبقهم اليها أحد ، ولكن الباحث فى الفقه الاسلامى - ولو قليلا - لايلبث أن أن يغير هذا الظن ، ويتحقق أن أسلافنا وصلوا فى الرفاهية وتقرير المبادىء العمرانية والاجتماعية والقضائية شأوا ، قلما يجاريهم فيه أحد . »

«على أبو الفتوح من رجالات القانون فى مصر »

**محمد عبد الله السمان**

# باب الفتوى[١]

للأستاذ محمود محمد رسلان

## تعليم القرآن

### السؤال الأول

جاء سؤال من أحد القراء الغيورين على دينهم الى مجلة نور الاسلام ج ٨ ص٥٤١ عدد شهر شعبان سنة ١٣٥٣هـ نفسه مع الاجابة عليه يقول فيه : وقد آثرنا اعادة نشره لفائدته وكثير عندنا رجل كلما ذكر بمجلسه تعليم القرآن يقول : هذا الزمن ليس زمن القرآن ، وليس فى تعليم القرآن فائدة ، انما الفائدة كلها فى تعليم المدارس • وكلما أجتمع بمن له ابن فى المكتب الذى يعلم القرآن يقول له : هذا خطأ منك لأن القرآن ليس فيه فائدة والاشتغال به تضييع زمن على الأولاد • فنرجوا أن تبينوا ماذا عليه شرعا فى النهى عن تعليم القرآن •

امضاء حسن مدنى أحمد

التاجر بالغردقة

## الجواب

وقد أجاب على هذا السؤال فضيلة المرحوم يوسف الدجوى من هيئة كبار العلماء فقال :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله ـ وآله وأصحابه •

هذا الرجل الذى ينهى عن تعليم القرآن ويذم من يتعلمه قد ارتكب اثما عظيما واقترف ذنبا كبيرا هو من أكبر الكبائر،وفى الوقت نفسه هو غاش للأمة غير ناصح لها حتى فى دنياها ، فان الأمة ما تدهورت هذا التدهور الأدبى والمادى الا بالتفريط فى دينها وتضييع العمل بكتابها وسنة نبيها والقضاء عليه بفضل تلك التعاليم الالحادية •

وأما قوله بأن الفائدة كلها فى المدارس فقول باطل ورأى جاهل •

فان الدين يغرس فى قلبك الصدق فى القول والعمل ، والاستقامة ، والاخلاص ، ومراقبة الله عز وجل فى كل شىء • وغير خاف عليك ما يترتب على ذلك من تقدم التاجر فى تجارية ، والزارع فى زراعته والصانع فى صناعته ، وتعلم القرآن يحث على تعلم العلوم النافعة ، وعلى الأخذ بكل مفيد صالح من الصنائع والفنون ، فالدين هو أكسيد الحياة الطيبة، ومنبع القوة الروحية،والبهجة النفسية • وقد قال الله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » • ولم يدع مفهوم ذلك من سوء الحياة ومرارة العيش لمن لم يكن كذلك ، بل صرح به فى سورة أخرى فقال : « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » وأتى بمن التى هى من صيغ العموم تنبيها على أنه لا سبيل الى الراحة ، ولا وسيلة للسعادة غير الدين • فان السعادة الحقيقية ليست الافى النفوس ، ولا يصلح النفوس ، وينقيها من أوضارها التى تشقيها أو تتعبها غير الدين •

ولنسق لك بعض ما جاء فى السنة مما يناسب هذا الموضوع :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال : رسول الله صلى عليه وسلم « ان الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب» رواه الترمذى والحاكم • وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان أصغر البيوت بيت ليس فيه شىء من كتاب الله » رواه الحاكم موقوفا وقال رفعه بعضهم •

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخارى ومسلم وأبو دواد والترمذى والنسائى وابن ماجه •

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقرءوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه الحديث • رواه مسلم • وعن سهل ابن معاذ عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ القرآن وعمل به ألبس والده تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا فما ظنكم بالذى عمل به » رواه أبو داود والحاكم • وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول • الله

صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه،لاينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجدولا يجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله » رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد .

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان لله أهلين من الناس . قالو : من هم يارسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهله وخاصته » رواه النسائى وابن ماجه والحاكم . وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يأبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلى مائة ركعة »رواه ابن ماجه باسناد حسن .

وعن على رضى الله عنه قال : «أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أما انها ستكون فتنة قلت : فما المخرج منها يا رسول الله قال:كتاب الله تعالى فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم . هو الفصل ليس بالهزل.من تركه من جبار قصمه الله تعالى ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله لله تعالى ، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء .ولا يخلق على كثرة الرد ولاتنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن اذا سمعته حتى قالوا : « انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به » من قال به صدق ، ومن عمل أجر ، ومن حكم به عدل ،ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » أخرجه الترمذى .

نسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ، ويحفظنا من مضلات الفتن بمنه وكرمه . آمين .

وقد ورد للمجلة عدة أسئلة من الطالب : صلاح محمد عبد الحميد وقد وعدنا بالاجابة على أسئلته تباعا ان شاء الله .

### السؤال الثانى

قال الله تعالى : « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين » فما معنى أن الصلاة

والنسك والمحيا والممات لله رب العالمين ؟ وفى الحديث القدسى : « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به » فما معنى الحديث ؟ وهل هناك تعارض بين هذا الحديث والآية السابقة ؟

## الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد : فقد أمر الله رسوله أن يخبر المشركين — وكل أمر الى الرسول فهو أمر لأمته ما لم يرد خاصا به صلى الله عليه وسلم — الذين يعبدون غير الله ، ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم فى ذلك .

وقد جاء فى تفسير الامام الزمخشرى رضى الله عنه ورحمه — ج ١ ص ٣١٨ ما نصه : ( قل ان صلاتى ونسكى ) وعبادتى وتقربى كله ، وقيل وذبحى وجمع بين الصلاة والذبح كما فى قوله : ( فصل لربك وانحر ) وقيل صلاتى وحجى من مناسك الحج ( ومحياى ومماتى ) وما أتيته فى حياتى وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح ( لله رب العالمين ) خالصة لوجهه ( وبذلك ) من الاخلاص ( أمرت وأنا أول المسلمين ) لأن اسلام كل نبى متقدم على اسلام أمته » ١ • هـ

أما شرح الحديث : فان الله أضاف الصيام اليه سبحانه اضافة تشريف وتكريم ، كما أن مثوبته منه سبحانه اذ أن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه أحد الا الله ، وليس بين الحديث والآية تعارض فان الله أمر رسوله بمخالفة المشركين وأن يتوجهوا فى عملهم اليه وحده سبحانه ، والحديث يوجهنا أن الصيام سر بين العبد وربه ولما كان هذا السر لا يطلع عليه أحد الا الله كان جزاءا من يؤيه بصدق واخلاص عظيما خصوصا وأن الله قد أضافه الى ذاته سبحانه أما الأعمال الظاهرة فربما يعرف العبد درجة ثوابها والله أعلم •

## السؤال الثالث

ما العلة فى وجود أوقات معينة يكره فيها أداء الصلاة الغير مفروضة ( النفل ) عند شروق الشمس ، وعند غروبها ؟ أرجو الافادة بالدليل من القرآن والسنة •

**الجواب :**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين . وبعد:

فقد ورد النهى عن الصلاة بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ، وعند طلوعها حتى تغرب قدر رمح وعند استوائها حتى تميل الى الغروب ، وبعد صلاة العصر حتى تغرب ، فعن أبى سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «لاصلاة بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس ، ولا صلاة بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس » رواه البخارى.

وعن عمرو بن عقبة قال : قلت : يانبى الله أخبرنى عن الصلاة ؟ قال صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة (١) حتى تطلع الشمس وترتفع فانها تطلع بين قرنى شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صل فان الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم أقصر عن الصلاة فانه حينئذ تسجر جهنم - أى يوقد عليها - فاذا أقبل الفىء فصل فان الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلى العصر ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب فانها تغرب بين قرنى شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار » رواه أحمد ومسلم .

وعن عقبة بن عامر قال : ثلاث ساعات نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلى فيهن وأن نقبر فيهن موتانا (٢) حين تطلع الشمس بازغة - ظاهرة - حتى ترتفع ، وحين يقوم

---

(١) اقصر : أى كف . «تطلع بين قرنى شيطان» : قال النووى : يدنى راسه الى الشمس فى هذه الأوقات ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له فى الصورة وحينئذ يكون له ولشيعته تسلط ظاهر وتمكن من أن يلبسوا على المصلين صلاتهم فكرهت الصلاة حينئذ صيانة لها كما كرهت فى الأماكن التى هى مأوى الشياطين : « مشهودة محضورة » تشهدها الملائكة ويحضرونها . « يستقبل الظل بالرمح » ، المراد به : أن يكون الظل فى جانب الرمح فلا يبقى على الأرض منه شىء ، وهذا يكون حين الاستواء ، انظر فقه السنة ج ١ ص ١٨٨ الشيخ سيد سابق .

(٢) النهى عن الدفن فى هذه الأوقات معناه تعمد تأخير الدفن الى هذه الأوقات فأما اذا وقع الدفن بلا تعمد فى هذه الأوقات فلا يكره . أنظر المصدر السابق .

قائم الظهيرة ، وحين تضيف بفتح التاء والضاد وتضعيف الياء — تميل — للغروب حتى تغرب رواه الجماعة .

وينبغى أن يعلم السائل أن الاستدلال بالحديث الصحيح يقوم مقام الدليل بالقرآن لأن الله تعالى يقول عن رسوله (ص) : «وما ينطلق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » والله أعلم .

## السؤال الرابع

ما هو رأى الدين فيما يردده الكثير من الناس من أذكار بصوت مرتفع أثناء تشييع الجنازة أو ما يقوم به أحدهم برفع صوته بين حين وآخر بكلمة : « اذكروا الله — أو وحدوه » فيرد الجميع بصوت عال : لا اله الا الله . وما هو تفسير الاسلام لما يحدث أحيانا من تشييع بعض الجنازات عند ما نرى النعش يسير بسرعة كبيرة أو يتراجع الى الخلف أو ينحرف يمينا أو يسارا أو يتوقف عن السير ؟

## الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد : فان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يحب الصمت عند ثلاث: عند الجنازة ، وعند الزحف ، وعند قراءة القرآن وأفضل مايتحلى به الانسان فى هذا الحال التفكر والتدبر فى صمت وخشوع، ولا يتأتى هذا مع الأصوات التى تحدث ، والجلبة التى تسمع أثناء سير الجنازة من تكبير وتهليل وتصفيق الخ وكل هذه الأمور بعيدة كل البعد عن جلال الموت وهيبته ، أما سير الجنازة بسرعة فانه مستحب كما جاء فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اسرعوا بالجنازة فان تكن صالحة فخير تقدمونه،وان تكن سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم » .

رواه البخارى

أما تراجع النعش للخلف أو انحرافه يمينا أو يسارا ، أو توقفه فربما يرجع هذا كله الى حامليه لأنهم لو وضعوا النعش على الأرض فهل يمكن أن نراه يأتى بهذه الحركات وحده ؟

هدانا الله لاتباع سنة نبيه ووقانا شر البدع المهلكة . والله أعلم ؟

**محمود محمد رسلان**

# أنبـاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

* **برقيات فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر بشأن النزاع الجزائرى المغربى :**

بعث فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الى الرئيس محمد أنور السادات برقية بشأن النزاع الجزائرى المغربى ، وذلك يوم الأربعاء ٢٧ من المحرم ١٣٩٦ هـ - ٢٨ من فبراير ١٩٧٦ م قال فيها :

(الرئيس المؤمن أنور السادات ..

تتعلق بزعامتكم قلوب الملايين من العرب والمسلمين الذين ينتظرون مساعيكم الحميدة فى اصلاح ذات البين بمناسبة الصدام المسلح المؤسف بين البلدين الشقيقين الجزائر والمغرب وتعبيرا عن هذه القلوب وأملا فى اصلاح ذات البين نرجو باسم الاسلام الداعى الى الوحدة والمحبة والاخاء بين المسلمين أن تعملوا على فض هذا النزاع ودعوة الأشقاء العرب والمسلمين الى حسن الاستجابة لتوجيهات الاسلام وارشاد القرآن ، والله معكم يؤيدكم وينصركم ويؤيد بكم الحق ويحقق بكم الآمال ) .

ورد السيد الرئيس السادات على هذه البرقية ببرقية قال فيها :

( السيد الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ..

تلقيت بالتقدير برقيتكم بشأن بذل المساعى لحل الأزمة بين الجزائر والمغرب وأود أن أؤكد لكم أن مصر تقوم بواجبها القومى من أجل صالح العرب والمسلمين ...) .

كما بعث فضيلة الامام الأكبر ببرقيات مطولة بهذا الشأن الى كل من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية والملك الحسن الثانى ملك المغرب والرئيس الجزائرى هوارى بومدين والسيد محمود رياض الأمين العام لجامعة الدول العربية ..

وتلقى فضيلته ردودهم على برقياته ..

*** بيان فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر عن العدوان الصهيونى الجديد على المسجد الأقصى :**

وجه فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بيانا الى الأمة الاسلامية عن واجب المسلمين فى مقاومة العدوان الصهيونى الجديد على المسجد الأقصى وذلك يوم السبت ٧ من صفر ١٣٩٦ هـ - ٧ من فبراير ١٩٧٦ م قال فيه :

( من طبيعة الصهيونية أن تعتدى ولا تقيم وزنا لغير القوة ، ومن واجب المسلم ألا يعطى الذلة من نفسه ،وأن يقاتل فى سبيل الله من قاتله ، وأن يكون المسلمون فى مواجهة العدو صفا كأنهم بنيان مرصوص ..

ولقد طالعتنا آخر أنباء هذا العدوان الصهيونى الأثيم بقرار احدى المحاكم الاسرائيلية السماح لليهود بتأدية صلواتهم فى المسجد الأقصى متجاهلين مشاعر العالم الاسلامى ومقدسات المسلمين ، منتهكين حرمة الأماكن المقدسة والتراث الاسلامى الذى نفتديه بالأرواح والأموال ..

وسيظل الوجود الصهيونى الأثيم على أرض العروبة والاسلام داعية جهاد ، ويؤكد هذه الدعوة أن عدوانهم سلسلة متصلة الحلقات لا يستوقفها حق ، ولا تلتفت الى منطق ، ولا تستجيب لغير الأهواء الضالة والحقد المسموم .

واذا كان هذا منهاجهم فان سبيلنا يحددها قول ربنا : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » ، ولقد آن الأوان أن تتحد كلمة العرب والمسلمين ولا سيما بعد هذه الكوارث التى يتحين العدو لها فرصة الفرقة التى تمزق الصف، وتستنفد الجهد، بينما يدعونا طغيان العدوان أن نكون جسما واحدا وبنيانا مرصوصا : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

*** مد خدمة الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ومدير جامعة الأزهر :**

أصدر السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء قرارا بمد خدمة فضيلة الشيخ خلف السيد على الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر لمدة عام .

كما أصدر سيادته قرارا بمد خدمة الدكتور محمد حسن فايد مدير جامعة الأزهر لمدة عام أيضا .

### * نـداء من المركز الاسـلامى فى بلجيكا :

قررت الحكـومة البلجيكية ادخال دروس الدين الاسلامى لأبناء المسلمين فى جميع المدارس والمعاهد البلجيكية ابتـداء من السـنة الدراسـية ١٩٧٥/ ١٩٧٦ م ، وذلك تطبيقا لقانون اعتراف الحكومة البلجيكية بالدين الاسـلامى الذى صدر به المرسوم الملكى بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٧٤ م •

وأسندت مهمة الاشراف على التعليم الاسلامى فى بلجيكا الى امامة وادارة المركز الاسلامى هناك ، طبقا لمـا يقضى به الدستور من اشراف السلطة الدينية على دروس الديانة الاسلامية هناك •

ويتوجه السيد محمد العلوينى مدير المركز الاسلامى هناك بندائه الحار الى الدول والحكومات والمنظمات الاسلامية ليكونوا عونا وسندا فى انجاح هذه التجـربة الفـريدة من نوعهـا والتى أتيحت فرصتها للمسلمين لأول مرة فى قلب أوربا ، وذلك بدعم المركز ومده بالمساعدات الفنية والمـالية والثقافية من مدرسين وأموال وتأليف ونشر الكتب المدرسية للتربية الاسلامية •

### * توقيع عقد البدء فى انشاء المركز الاسلامى ببروكسل :

تم توقيع عقد البدء فى بناء المركز الاسلامى فى بروكسل وتشييد المسجد الجامع هناك •

وسيتكون المبنى من ثلاثة طوابق :

يضـم الطابق الأرضى : مسـجدا للصلوات الخمس ومدرسة ذات فصول عديدة لتعليم الدين الاسلامى واللغة العربية وناديين أحدهما للشباب المسلم والآخر خاص بالسيدات المسلمات مما يساعد على ربط الجميع بالمسجد وعلى تقوية علاقات الود والأخوة بينهم •

ويضم الطابق الأول : ادارة المركز وقاعة كبرى للمحاضرات ومعهد التعليم اللغـات العالميـة بالطـرق السـمعية والبصرية ومكتبة كبرى •

ويضم الطابق الثانى : مسجدا جامعا يتسـع لأكثر من ألف من المصـلين بالاضافة الى مصلى خاص بالسـيدات المسلمات •

*** اهتمام المملكة العربية السعودية بالجامعة الاسلامية :**

ارتفعت ميزانية الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة هذا العام ارتفاعا كبيرا وهذا يدل على مدى الاهتمام والعناية التى توليهـا حكـومة المملكـة العربية السعودية لهذه الجامعة ، لتمكينها من التوسـع فى التعليم ونشر الدعـوة الاسلامية .

**ابراهيم حامد النويهى**

---



## المشرف على التحرير : د. عبد الودود شلبى

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل اول
رئيس مجلس الادارة
**على سلطان على**

رقم الايداع بدار الكتب ١٦٧/١٩٧٦

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميريه
١٣٨٥-١٩٧٦-٩٠٠٢

says in verses 48 and 49 what means :

(O Apostle Muhammad : We have also revealed to you the Book : i.e. the Quran with truth, confirming the preceding Scriptures which were revealed before it, and guarding over them in safety ; so judge O Apostle Muhammad — between the followers of the Book according to the teachings of the Quran, and do not follow their false desires, by swerving from the truth which has come to you like the cases of adultery and retaliation. To each among you have We ordained a Divine Law and an Open Way. If Allah had so pleased, He would have made you all single people. If Allah had willed, he would have given you the same revelation which should have continued in force through all ages, without being abolished or changed or He could casue you to embrace the Religion of Islam. But Allah's Plan is to test you in what has given you : so strive well to excell each other in virtues and hasten to righteousness. In the Hereafter, to Allah will be your return and He will let you know that in which you differed.

O Apostle Muhammad, judge between the Jews according to the teachings of the Quran which had been revealed to you, and do not follow their false desires, but beware of them, lest they should cause you to err. Do not accept their vain desire lest they should seduce you from part of what Allah has revealed to you ; but if they turn back, them know that Allah desices to afflict them on account of some of their sins; and verily many of the Jews who exceed the limits are transgrassors) verses, 48-49.

10 —It urges the Muslims not to make friendly relations with those who take the religion of Islam for a mockery or sport. Allah says in verses 57 and 58 what means.

(O you who believe ! Do not take for guardians and friends those who take your religion a subject of mockery and a plaything or joke, whether among the followers of the Book before you, e.g. the Jews or the Christians or among the infidels who reject the Faith. You should fear Allah's Chastisement and guard against evil if you are true believers) Verse, 57.

(And when you proclaim your call to prayer they make it a subject of mockery and a joke, that is because they are a people without understanding) Verse, 59.

They are really haughty and insolent. Thuogh the wisdom of the Call is to commemorate Allah's Names and celebrate His Praise.

accepts the sacrifice of the righteous. If this does not prevent you, I am not going to attack you in return. I fear Allah's Chastisement, and you will be certainly responsible for the unspeakable crime.

(His wicked facilitated to him the slaying of his brother, so he murdered him, and became himself of the loser) Verse, 30.

It was the first murder in this wordly life. Kabil was penitent, because he was perplexed, how can he deal with the Corpse of his brother. (Allah sent a crow digging up the earth so that he might show him how he should cover the dead body of his brother. He said : Woe to me : Do I lack the strength that I sohuld be like this crow and cover the cropse of my brother? So he became repentant) Verse, 31.

8.—This Chapter condemns intoxications, gambling, violation of the Sanctuary, superstition of all kinds. Allah says in verses 90 and 91 what means : (O true believers ! Intoxicants and games of chance and sacrificing to stones set up (idols) and divining by arrows are only an abomination of the affair of the devil, therefore avoid them that you may prosper) verse, 90.

(The devil's plan is but to excite enmity and hatred between you, with intoxicants and gambling and hinder you from the remembrance of Allah, and from prayer : will you then desist and abstain from such evils) verse, 91.

9.—This surah refers to miracles of Jesus and how they were misused by those who bore his name. Allah says in verse 110 what means:

(When Allah will say : O Jesus son of Mary ! Remember My favour on you and on your mother, when I strengthened you with Jabril (the spirit of Inspiration) you spoke to the people in the cradle to ward off the slanders of the Jews, and defend your mother against their calumnies. You spoke to the people when you were in maturity to preach the divine message. And when I taught you the Book and the Wisdom and Torah and the Gospel, and when you did create of clay as it were the figure of a bird, by My Permission and did breath thereon, and it became a bird by My Permission, and you healed those born blind, and the lepers by My Permission. And behold ! You did bring forth the dead by My Premission, and behold ! I did restrain the children of Israel from violence to you when you did show them the clear signs, and the pagans among them said : This is nothing but evident enchantment).

10.—This Surah speaks of the relation of the Quranic Revelation to previous revelations, and points out that this final revelation is really the fulfilment and perfection of all those revelations. It warns the Muslims of the hostile attitude of the Jews and the Christians. Allah

Allah says in verse 8 what means :

(O you who believe - Be upright for Allah, and fear Allah's Wrath and Indignation for justice is Allah's Attribute. Stand firm, and be bearers of witness with equity and impartiality. And let not hatred of a people incite you to do wrong or induce you not to act equitably, but act justly That is nearer to righteousness and nigher to piety, and fear Allah's Chastisement and be careful of your duty to allh. Most surely Allah is Well-acquainted with all that you do).

6— This Surah refers to the attitude of the Jews and Christians who turned back from truth and violated their covenants and all agreements. Allah says in verses 14 and 15 what means :

(And with those who called themselves Christians Allah made a pledge but they forgot a good part of the message that they were reminded of welcoming the coming Prophet Muhammad or Ahmed and his divine message.

They introduced the trinity which they invented, therefore Allah excited among them enmity and hatred to the Day of Resurrection, and Allah will inform them of what they did) Verse, 14.
(0 people of the Book ! There has come to you Our Apostle (Muhammad) to make manifest to you many things which you concealed in your scriptures. Allah passes over much. Indeed, there has come to you light and a clear book from Allah) Verse, 15.

7 — This Surah stated the story of the two sons of Adam who both offered offerings to Allah. Allah says in verses from 27 to 32 what means : (O Apostle Muhammad, relate to your people and the followers of the Book the story of the two sons of Adam with truth (Habil or abel) and Kabil. Each of the two sons presented an offering to Allah. It was accepted from Habil the pious and was not accepted from Kabil the haughty.

The latter said : I will certainly slay you. Habil said : Allah only accepts from the righteous who guard against evil Verse, 27.

(If you will stretch forth your hand towards me to slay me, I am not one to stretch forth my hand towards you to slay you ; surely I fear Allah, the Lord of the worlds) Verse. 28.

(Surely I wish that you should bear the sin committed against me and your own sin of murder, and so you would be of the inmates of the fire, and this is the requital of the unjust) Verse 29.

Habil's reply was calm and aimed at reforming Kabil. Verily, he pleads, If your sacrifice was not accepted, there was something wrong in you, for Allah is just. And he

or by a violent blow ; the animal that was killed by a fall ; the animal that was killed by being smitten with the horn ; the animal which has been patly eaten by a wild animal, unless you are able to slaughter it, and cut its throat in due time and in the proper manner, thus its flesh is allowed as long as you find, in the animal life. And it is forbidden to eat what is sacrified on stones set up round the Ka-ba) or near which it was customary to kill animals as offerings to certain idols, their blood being sprinkled and flesh laid on the stones. (Its is likewise unlawful for you to make the division of meat by casting lots with arrows. That is an impiety and transgression). This day (of Arafat) the unbelievers have despaired of diverting you from your religion (of Islam). Thus, do not fear them, Allah will aid you to conquer them, but fear My Chastisement.

(This day, I have perfected for you your religion) by illustrating its tieachings, rules, injunctions, orders, prohibitons and the tenets; (and completed My favour on you) through the bloodless conquest of Mecca. "Allah has chosen for you Islam as a religion".

This shows that it refers to the close of the Holy Prophet's life, and hence it is held by all authoritits that no precept was revealed after this. The holy Prophet died eighty-one or eighty-two days after its revelation.

"But whoever is compelled by hunger" to eat of what Allah has forbidden not inclining wilfully to sin, then certainly Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful".

3 — This Surah refers to cleanliness of body and ablution, and uprightness of dealing which are nearest to piety and justice. Allah says in verse 6 what means :

(O true believers, when you prepare for prayer, wash your faces and your hands to the elbows and wipe your heads (or a part of them), and wash your feet to the ankles. And if you have lain with a woman wash yorselves all over. But if you are ill or on a journey, or if any of you comes from the privy, or if you have touched women ; and you find no water, then take for yourselves clean finne sand or pure earth and wipe your faces and your hands therewith. Allah does not wish to place you in a difficuty, but. He wishes to purify you and make you clean and to complete His Favour to you, that you may be greatful).

5. Muslims must do justice, but must protect their own brotherhood and their Faith from insult and scorn. They must enjoy with gratitude all that is good and lawful, but guard themselves against excess.

human and divine. Allah says in verse 1, what means :

"O true believers, fulfil all obligations", human and divine : all covenants, contracts, agreements, leagues, treaties and engagements. According to Zajjaj the word Al'Uquood includes the covenants imposed by Allah as well as the mutual agreements made by people. "The cattle Quadrupeds" like camels, cows and sheep "are allowed to you except that which is recited to you, and save the game" which you are allowed at other times, but not "while you are" on pilgrimage to Mecca. Animals of the chase or hunting are forbidden while you are in the Sacred Precincts "in pilgrim garb, for Allah does Command according to His Will". Allah's Commands are not arbitrary. His Will is the perfect archetype and the great handiwork of the world.

Allah says, as regards the rites of pilgrimage what means : (O true believers ? do not violate the holy rites of Allah) viz : the signs of pilgrimage like the circuit round the Ka'ba, striving or running between the mounts of Safa and Marwa, or casting the pebbles, the halting at Arafat and the sacrifying of victims ; (nor the month of pilgrimage) or else, collectively, the four sacred months : Ragab, Zul-Qada, Zul-Hijja and Muharram all these four months war was prohibited, (nor the offerings nor the victims with garlands, nor those who are travelling to the Sacred House seeking the grace and good pleasure of their Cherisher. But when are free from the obligations of the pilgrimage, then hunt and let not hatred of some people — because they hindered you from the Sacred Mosque — incite you to exceed the just bounds or lead you to transgression and hostility on your part ; and help one another in righteousness and goodness and piety ; but do not help one anotherm in sin and agression : Fear Allah's punishment, and be careful of your duty to Allah. Verily Allah is strict in requiting evil and severe in chastisment) Verse, 3.

3 — It points to certain regulations about food as conductive to a sober and social life. Allah says what means :

(You are forbidden to eat that which dies of itself) except fish and locust etc. It is forbidden (to eat blood) because it is a field of microbes ; (the flesh of swine) : medical researches prove that microbe encompass many parts of it ; (animals on which has been invoked the name of other than Allah) — for the heathen Arabs used in killing any animal for food — to consecrate it, as it were to their idols by saying : in the name of Allat or Al-Uzza.

(The animal that has been starngled) the beaten animal to death

## THE EXEGESIS OF SURAH AL-MAIDAH (OR THE TABLE SPREAD)

*By*

**Dr. Mohammad Abdel Monem El Gammal**

The chapter of Al-Maidah contains 120 verses. It was revealed after surah Al-Fath at Medinah except the verse 3 revealed at Arafat. The verses belonging to part 6 are from 1 to 81. It can be summed up as follows :

1 — The name of this chapter is taken from the mention of a demand for food on the part of the followers of Jesus the Christ to which reference is made in verses 112, 113, 114, 115 of this chapter as it is illustrated afterwards :

Allah says what means : O Prophet Muhammad, remember (when the disciples said, O Jesus, son of Mary ! Is your Cherisher able to send down for us a table spread with food from heaven. He said: Fear Allah's chastisement and do not set proposals after the significant signs which I disclosed by Allah's Permission. And guard yourselves against evil and observe duty to Allah if you are true believers) Verse 112.

(The disciples said : "We desire to eat thereof blessingly — and satisfy our hearts as regards Allah's Omnipotence, and know that you have indeed told us the truth concerning your prophecy and the Book revealed to you and that thereof we may be witness to the miracle and that Allah has chosen us as your helpers) Verse 113.

(Jesus the son of Mary said, "O Allah our Cherisher ! send down for us a table spread with blessed food from heaven which should be to us a source of enjoyment and become a festival day to all of us : to the first and to the last of us. And it will be a prodigious sign from you to show your Omnipotence, Might and Guardianship. And would you provide us with sustenance, and surely You are the Best of the Providers) Verse, 114.

(Allah said : I will send the table spread of divine food down to you, but who ever shall disbelieve afterwards and persist in resisting the Faith, I will punish him with a punishment wherewith I will not punish anyone among the nations of that period) Verse, 115.

2 — This surah begins with an appeal to fulfil all obligations

Islamic mysticism has also added to human heritage a glorious page of truth, radiance and unity of hearts in the faith of God's Unity and Worship.

There might exist in mysticism a "meeting place" for all religionists at which they would begin a spiritual dialogue whereby they would raise theological argumentations to lofty horizons of love, peace, God's Unity and worship.

"Say : my worship and my sacrifice and my living and my dying are for Allah, Lord of the worlds. He hath no partner. This am I commanded, and I am first of those surrender (Unto Him)".

Of the African countries which recently gained their independence 12 are Muslim states and six with a Muslim population majority.

To all these countries Islam is not merely a religion but both a religion and a mode of life as well as of conduct and thinking.

The Muslim countries have an important role in the conduct of international affairs because of their economic, significance. They possess large natural wealth resources, including over 65 percent of the world's petroleum. Furthermore, their geographical position represents a link of communication between East and West, in the sea and air. This is apart from their important strategic position.

Islam was thus able to extend its power east and west, and to consolidate the stability of peoples of various races in various parts of the world, by its universal spirit and tolerance.

What role Islam would possibily assume in the future to achieve its universal call ?

The present civilisation has no doubt weakened the bonds of the religion through corruption and poor faith.

The message of Islam stands for it is intended for the benefit of man in religious and worldly affairs, Peoples have had enough of theological argumentations and are already after the clarity of faith and uncomplicated religion. Will they therefore find in Islam all these meanings, ideals and the society which God has wished for man ?

History tells us of similar situations. Muslims underwent a crisis when disputes flared up among their scholars, and theologians. This situation was pictured by Al Imam Al Ghazali in his message : "Deliverance From Error". This Islamic dignitary had studied the books of earlier philosophers, theologians, writers, and leaders of thought but his thirst for religious education was not quenched thereby, and he devoted himself entirely to Muslim mysticism where he found the spirit and the cream of the Religion.

Eventually he arrived at a knowledge of Allah and he was satisfied with it.

Here we see the essential spiritual role of calm and lofty mysticism which if taken with the gentleness of the religion, to the people at large, will give satisfaction to their hearts and clarity to their souls.

Of Islamic mysticism it was said that it had given religions an original material and noble spirit, and through its process, called for a knowledge of God, and consolidated the ties of the religion in letter and spirit.

year of the Hijra, the Prophet sent out messages to several Kings on one day. This was in the month of Muharram of the 7th year of the Hijra. The Kings were the Negus of Ethiopia, Hercules of the Greeks, Al Mokawkas of Egypt's Copts, and Kesra Ano-Sherwan of Persia. He addressed other messages to peoples on the borders of the Arab peninsula who included the people of Nijran and others who embraced Christianity all the world over, calling them to embrace Islam, and advising them all, that he is the Messenger of Allah.

Ibn Saad in his book "Al Tabakat" wrote a chapter on this messages by which the Prophet directed the people after him to the idea of propagating the religion to the largest extent possible.

Islamic call, no doubt, was helped to expand by the Muslim spirit of tolerance in treating non-Muslims, in safeguarding their freedom of worship, and of performing their religious rites without restriction, but with all respect for and protection of their beliefs.

More important than all this was Islam's assimilation of alien cultures which indicates its forebearance and wide outlooks to other races and religions.

It thus set up a large civilisation to which contributions were made by the sons of such races and religions in all the spheres of life, thought, philosophy, literature, art, medicine, language and mysticism.

This civilisation served as a process of unifying all the civilisations that preceded it in China, India, and Persia, and by the civilisation of the Romans and the Greeks. On these bases they built a huge structure through the efforts of scientists, philosophers, and geographers of all races and creeds. Christians, Jews and idol-worshippers, which provided a civilisation for men of all races and faiths (inter-faiths and inter-races). They co-operated in studying this heritage and assimilating these cultures and handed them down to the generations after them.

Their contact with these civilisations was through seizure, trade or diplomacy in Iran, Africa, China, Malay and the lands of the Turks and the Arians. They translated the Greek heritage and added to their special researthes, which rendered it most beneficial to what was called European renaissance, and earned them scholars' appreciation in the words "The Muslims were keen not only to become the heirs of the Prphets, but also of the philosophers".

According to recent statistics, Muslims today are estimated at more than 600 million. The Islamic world represents a belt of land extending from the Atlantic to the Pacific which is made up of 40 states.

ground of its being the final inspiration and God's last word to mankind. It thus, differs from Isalm in concept that Islam is the final revelation to mankind, and since Islam thus disputes Christianity's claim of its being the 'Last inspiration' with the universal outlook it entails, it is not astonishing that Christianity should deny Islam which has stripped it of its power and ideological nature, and that it should deny Prophet Muhammad's prophecy.

There is another difference of some importance which gives Islam a new status among the other religions, namely Islam's outlook to society. Islam is keen on the establishment of an Islamic society where there is no difference between a religious group dominating religion, and a temporal group dominated by the state. God has revealed to Muhammad an integrated order for the life of man which combines politics, economy, ethics and social system, dominated by the Supreme Will of Allah. Therefore, there is no such thing as a religion separated from the State or Muslims' life, but only a human society as it should be. It is thus incumbent of this society as God wanted it, to the end of this wide earth.

This means that a Muslim has taken interest in history since the beginning of creation to the end of time, for it is the scope and the wide vista for the realisation of that divine purpose.

So long as a Muslim considers his existance to be connected with the Will of God, he should expect to see in the course of time and of history, the stability of that religious society as he has understood it, in the extension of the land. However, Muslims now see the beginnings of the corruption and deviation of time.

What is of account to us in this reasearch is to show that the Quran out of other books is the most worthy of being God's revealed Book par excellence and that it is the Most Human Book.

With its Book Islam made a new start in the history of humanity in that it provided direct communication with God and was not an interpretation of old books as was the case with Judaism and Christianity.

The rate of the Quran in expounding the Religion in the light of its roots, was such that it is deserving of calling all mankind to God, as a worthy religion, and a clear-cut and straightforward path.

The Prophet's conviction of the universal nature of his mission, is his messages to the Kings calling on them to embrace Islam.

It was reported that on his return from 'Al Hodaybia' in the month of Dhul-Hijja in the Sixth

## UNIVERSAL OUTLOOK OF ISLAM

*By*

**Dr. Aly Hassan Abdul Kader**

(*Continued from January* 1976 *issue*)

This equaly applies to Christianity for it needed several hundreds of years to crystallise its rites and creeds, and the New Testament was not defined until the fourth century. The Islam for its part, was definite as a religion with a Holy Book, as substantiated its historical facts as far back as the first century of the Muslim calendar (Hijra), a fact which does not apply to Christianity in the first century of the Gregorian calendar.

Therefore, Islam as a written religion with established history is in a strong position vis-a-vis the history of Christianity and its Book as well.

Here we may enquire why Christianity did not admit Muhammad's prophecy although it acknowledged those of the Children of Israel, and there is no reason why it should have done so ?

From the stand point of God's unity, Muhammad's call appears to be stronger and if the prophets of the Children of Israel founded their prophetic claims on a basis of God's unity, this concept was already held by them whereas Muhammad's call for the absolute unity of God was made among people who were far removed from the acceptance of such an inspiration.

The reason why Christians deny Muhammad's prophecy and his despatch as a new emissary of God, would seem to be their belief in the impossibility of such a Message 'for there is no point in sending a messenger after Christ who incorporated God'.

Muslims at the same time would deny the Christian 'corporated' theory as well as Christians' concept of the nature of Christ, and consider Muhammad as an oridinary human being as other prophets, that his message is the conclusion of all the messages, and that he (Muhammad) is the last of the prophets, and that from this viewpoint his message is the Universal Message.

It fallows that Christianity has claimed being, universal on the

the Truth and spent all his time in the worship of God, the Greator and Cherisher of the Universe. He did not acquire any of the evil habits that prevailed in those days. He stuck fast to those virtues which had been appreciated through all ages. When he was 38 he decided to spend long spells of time in the cave of Hira, a few miles from Mecca. He would take his food along with him, enough for few days. There he would worship God and was always in search of the Truth. At the age of 40, he was wholly devoted to the purification of his soul and his search of panacea for the terrible evils that were spread in human society. At that period the first Revelation came to him from God, and Muhammad had been chosen as the Apostle of the Cherisher of the Universe, and the job of reforming the lost humanity had been assigned. So he started preaching Islam which means complete obediance to the Will of God ; its believer is a Muslim. He passed away on a monday in Rabi-ul-Awwal of 11 A.H.

Every moment of Prophet Muhammad's life has been truely recorded. He thoroughly explained the meanings of the Quran. He satisfactorily answered millions of questions pertaining to every conceivable aspect of human life. His pupils were his companions whose number rose to 100,000 at his last farewell speech at Mount Arafat. They saw him practised what he daily preached to his companions.

In this way Propyet Muhammad (peace be on him) delivered to the long suffering humanity a system of life which could bring peace and prosperity to mankind in all walks of life. Today the teachings of the Prophet are being studied, appreciated and followed by not less than 1000 million persons all over the world. The true followers reap the rich harvest of his wonderful Teachings.

---

superstitious ; they worshipped idols, stars and stones. Every tribe had its own idols. In the Kaaba itself there were more than 300 idols. In the social fields they were very fond of liquor which used to be of about 200 kinds. Drinking parties were common. They gambled not only on money, but also on their camels and children. Gambling and drinking always resulted in tribal feuds. Robbery and dacoiting were quite common. Usury had become a usual custom in their economic transactions. Bribery was also an order of daily life.

They considered the presence of a woman in a family as a matter of shame. So the newly born daughter was generally buried alive. Women were treated as a property. After the death of her husband, she became the property of heirs. The prolonged civil wars, fuedalism, and communal and racial fightings had completely smashed the moralities, and horrible conditions prevailed all over the known world. It was under these circumstances that prophet Muhammad was born on Monday the 12th Rabi ul-Awwal about 570 A.D. His father, Abdullah, had died three months before the birth. His grandfather, Abdul Muttalib, took the baby soon after his birth to the Kaaba, and first thanked God for that gift and then prayed for his future. Before he reached the age of six, Muhammad lost his mother, Amina, also. Thereafter he was brought up by his grandfather, Abdul Muttalib. When he was eight, Abdul Muttalib also died. Then he was looked after by his uncle, Abu Talib. Since Abu Talib was a trader, Muhammad also became a trader.

Because of his honesty, sincerity and devotion he had acquired a name while still very young. The people conferred on him the title of 'Al-Amin' (trustworthy). When the wealthy and wise widow of the tribe of Qureish, Khadija, came to know about the great honesty, morality and trading ability of Muhammad, she offered him a job in her business project. Abu Talib advised him to accept the offer. So he left for Syria in the company of Khadija's servant Mysara. On return, Mysara profusely praised Muhammad's abilities and moral qualities. Kadija was very much impressed and thought of marrying him if possible. Muhammad was 25 years old and Khadija, the widow, was about 40 years old. Abu Talib agreed to the proposal and two were married.

He began a period of contented and happy life. He was no more in financial trouble. But this life continued only for about ten years when it took another turn. Muhammad lost interest in trade. He then turned his attention to seek

Muslim, for, he never preached what he himself did not practise. In other words, he preached only what he practised. This was the keynote of his amazing success. He had implicit faith in Allah, the Almighty God, the only source of wisdom and power and to whom alone sovereignty belonged. He proved it by deeds. His very life was a commentary of the Quranic Teachings. For instance, while the world slept at night he worshipped Allah. He would pray standing for hours until his feet swelling. When he was asked : why should you pray so much when Allah has already pardoned you. He answered : "should I not thank Him for the favour ! He was extremely kind, courteous, humble and helpful. He would feed the poor even his family had to starve. His love for orphans was genuine. He would pray for every one who asked for help. He was visiting the sick, and would carry loads for others. He used to milk his she-goats, and mended his own shoes and garments. His concern for the welfare of his neighbours was proverbial.

He raised woman from the state of a chattle to a place of honour, never conferred upon her before. His marrieges were not for passion but for mercy. He was so fair to everyone, and loved all equally. He neither scolded nor beat anyone. Despondency was not found any trace in his life. Too modest and simple in habits. He was ever true in his word. When at the Zenith of his power, after the conquest of Mecca, he pardoned all those who had, for many years, tried to kill him. By his deeds he set a matchless pattern for a son, a husband, a father, a citizen, a trader, a worshipper, a preacher, a teacher, an army commander, a reformer, a head of state. He himself led 29 hard battles out of 38 expeditions he sent under different commanders. The total loss of life on either side was 370 only. Within a few years of his mission, about 200 wary tribes of barbarians in Arabia had been welded into a united nation of pious Muslims. He had successfully conveyed the message of Allah to humanity through the Holy Quran and his own practical life. Those who listened to his farewell address at his last Hajj, numbered more than a hundred thousand. He was the finest exponent of the teachings of Islam.

In order to appreciate the miraculous achievements of Prophet Muhammad, we would acquaint with conditions that prevailed in the world in general and Arabia in particular before his prophethood. In Arabia there was no system of rule nor any government. It was divided into over 200 tribal centers. The people generally were

universe. It was again proved by science that every thing is functioning in pair : animals and plants, in the subtle forces of nature: positive and negative electricity, day and night, light and darkness, winter and summer, and even in the moral and spiritual worlds; good and evil, award and punishment, strive and rest, love and anger, and so on; all things fulfilling their functions according to the wonderful Law of the Almighty Creator.

Another point to be recalled in this context is that Quran is a code of conduct for the good of humanity perscribed by the Sole Creator of this Universe. The Creator knows the mechanism of man far better than the man himself. He, therefore, framed the code of conduct in the light of the knowledge He possessed about man. Thus this code will undergo no change so long as human nature does not change. Since human nature will never change, the Divine code of conduct too will not undergo any change. In this life man has to deal with fellow beings and other creations of God. This code tells man that as he has certain rights, he has certain duties towards his Creator, fellowman and other creations. When man concedes the rights and duties as defined by the Divine code, it will herald peace, progress and prosperity ; when he fails in performing his duties and conceding his rights with justice, the result is unrest and dissatisfaction, and degenration of society.

Advancement of science will not change the human nature, in which God has created man. Despite the astonishing advancement of science, which has soared to its zenith to day, it is a fact that the truthful, the trustworthy, the just, the kind etc. are admired and loved by everyone and everywhere. Similar.y, the liars, the unreliable, the tyrant, the miser, the ignorant, the wicked etc. have no honourable place in any society, and these people are disliked by all. It is indeed the violation of the Divine Code of conduct that has spelled disaster on the otherwise affluent societies in the world. If not the advancement of science only changed the fate of these people, then, how can it be claimed that the progress in science has deprived Religion of its utility in the modern age ? Thus, the consequences of honouring or dishonouring this code of conduct revealed by God will continue to be experienced for ever.

The life of the Prophet Muhammad was the exemplary practical form of Islam. He was essentially a teacher ; the perfect teacher of all times. He is the fine example to be emulated by every

# MAJALLATU'L AZHAR

**(AL-AZHAR MAGAZINE)**

MANAGER: ABDUL RAHIM FOUDA

| Rabiʿ Awwal 1396 | ENGLISH SECTION | MARCH 1976 |
|---|---|---|


## THE TEACHINGS OF THE PROPHET

*By*

**Dr. A. M. Mohiaddin Alwaye**

---

Prophet Muhammad (Peace be on him) is the man who is a historic truth, whose life details are abundantly available, who could serve as a model to all virtuous people, and whose teachings are backed by practical demonstration. He was the last of the line of the Prophets chosen by God, from time to time, to save hummanity from the tyranny of ignorance. His message is called 'Islam' which means complete submission to the will of God, Who is the Creator and Sustainer of the entire Universe. Its follower is a Muslim. It has already been proved that Islam, as contained in the Quran, still exists in its unadulterated form. Nowhere does this Message of Allah question the utility of science which is nothing more than a set of immutable laws of nature, hitherto unknown but now discovered by man. Some unbelievers may mock at the utility of Religion in the age of science. But this claim can be made only by those who have not correctly understood the principles and spirit of Islam. The denial of God and His message by the unblievers has been known since times immemorial.

If a scientist says that there is no God, he does not reveal the technique or the experiment that helped him to draw this conclusion, on contrary, there is evidence that science has brought man closer to God. When the Quran said that God was the Creator of worlds, the unbelievers mocked at the idea, but with discovery of the solar system, its claim was confirmed. Similarly it said that He has created pairs of every thing in the

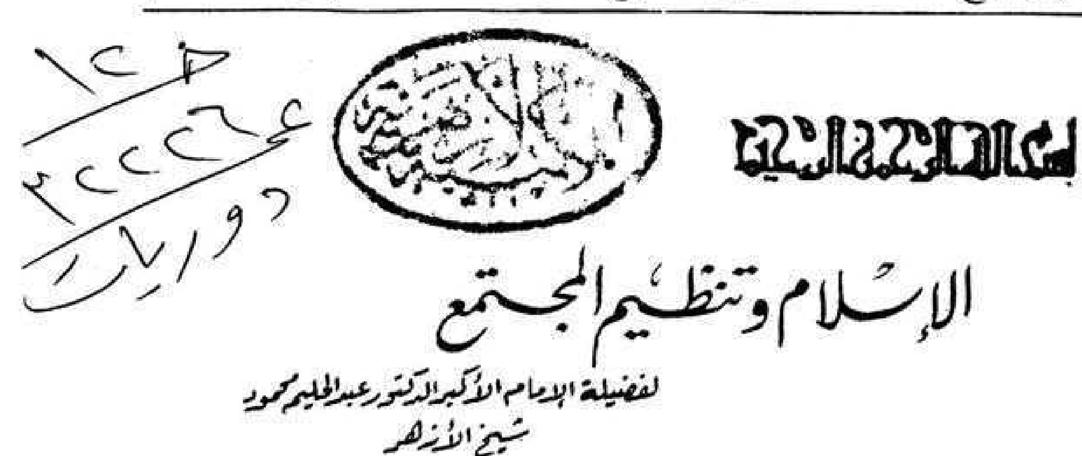
المشرف على التحرير:
الدكتور عبد الودود شلبي
بدل الاشتراك
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
والمدرسين والطلاب تخفيض خاص

# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الرابع ــ السنة الثامنة والأربعون ــ ربيع الآخر سنة ١٣٩٦ هـ ــ أبريل سنة ١٩٧٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإسلام وتنظيم المجتمع


لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر


كل حضارة لها شطران : شطر مادى ، وشطر روحى ، أو معنوى ، أو نظرى بحت ..

ففيما يتعلق بالشطر المادى ، فهو هذا الشطر الذى يعتمد على الحس وعلى العقل ، ويعتمد على المنهاج السليم ، وهو منهاج الملاحظة والتجربة والاستقراء ..

وهذا الشطر يتطور ، ويرتقى ، ويتكون شيئا فشيئا ، ويسير دائما فى طريق الرقى ، لأن هذا الشطر من الحضارة له مقياس يحسم به الخطأ والصواب ، ويحسم به الباطل من الحق .. وهذا المقياس هو هو التجربة ، فكل أمر يختلف فيه العقل أو الحواس التجربة تحسمه ، لأنها خير مقياس يضم الحواس ، ويلزم العقل .

ومن هنا فقد كانت الثمرة الدائمة للحضارة هي : الترقى الدائم ، وقد وصل العالم الآن الى القمر ، لأن التجربة المستمرة - عبر أخطاء تم تلافيها أولا بأول - أوصلت الدفع الصاروخى الى التغلب على العوائق التى كانت تثيرها الجاذبية الأرضية ، واختلاف طبقات الجو ، من حيث الطبيعة والمناخ والتكوين .

وليس الأمر كذلك ، فيما يتعلق بالشطر الروحانى ، أو النظرى من الحضارات الانسانية .

وأقصد بهذا الشطر النظرى : العقيدة والأخلاق ، والتشريع ، ونظام المجتمع .

هذا الشطر لم يصل بعد الى الشأو الحاسم من الرقى ، الذى وصل اليه الشطر المادى .. وما زال فيه مستمرا ... وربما لأن من خصائص النظريات العقلية أنها لا مقياس لها .

ما هو المقياس الذى نقيس به الخطأ والصواب ، فيما يتعلق بالسلوك من ناحية العقل .. ؟ ليس هناك مقياس .

وعقليا ما هو المقياس الذى نقيس به الخطأ والصواب فيما يتعلق بالعقيدة .

- لا شىء .

وعقليا ما هو المقياس الذى نقيس به الخطأ والصواب فيما يتعلق بالمجتمع ؟

- لا شىء ..

وعقليا ما هو المقياس الذى نقيس به الخطأ والصواب فيما يتعلق بالتشريع ؟

- لا شىء ..

ولهذا ، فقد بقى هذا الشطر حتى الآن خلال تاريخ الانسانية الطويل ظنيا .. يمكنك أن تثبته بأدلة . هذه الأدلة يمكنك دائما أن تنفيها وأن تدعمها .. ثم يأتى آخرون فيهدمون العموم وينفون النفى ..

فأى مسألة من مسائل التشريع عقليا ، هناك ما يناقضها ويعارضها وينكرها ، ويجعلها تتهافت أمام الأدلة وكل مسألة من مسائل التشريع فيها رأى معارض لرأى آخر .

ومنــذ أيام ( أرسطو ) ومقيــاسه الذى هو المنطق ، والانسانيــة تبحث بجهودها الخاصة عن مقياس للأمور النظرية ، والتشريع ، وللأخــلاق ، ولغير ذلك •• ومنــذ ابتــداء العصر اليونانى قبل الميلاد والانسانيــة تضع فى التشريع ونظم المجتمع وأخلاقياته نظمــا كثيرة ، وتشريعـــات شتى ، لا تستقر عليها سوى سنين أو قرون معدودات ، ثم لا تلبث أن تهجرها ••

ولنتوقف قليلا عند المفكر الفيلسوف الاغريقى ( أفلاطون ) ••(أفلاطون) هذا حاول أن يوجد تشريعات أونظاما للمجتمع •• فألف ( جمهـــوريته ) كنظام للمجتمع متكامل •

لقد ، قسمه الى طبقات ، وأعتقد أن نظام الطبقــات هو النظام الطبيعى فى العالم : فهناك الطبقة التى تتناسب مع الفــكر فى المجتمع ، وهنــاك طبقــة العواطف ، وهنــاك طبقة الشهوات ، وقــد سمى الطبقــة الأولى : الطبقة الذهبيــة ( طبقــة رجال الفكر ) •• وسمى الطبقة الثانية : الطبقة الفضية ( طبقة الجنود ) •• وسمى الطبقــة الثــالثة : الطبقة النحــاسية ( التجــار والصــناع والزراع والعـــاملون فى الانتاج ) •

حاول ( أفلاطون ) بعد هــذا أن يضــع نظاما لــكل طبقة فحــدد سن الزواج للفتاة ، وسن الزواج للرجل من كل طبقة ففيما يتعلق بطبقة الانتاج مثلا •• حدد الزواج للفتاة فيما بين ســن العشرين ، وســن الخامســة والأربعــين ، واعتبر الأطفــال الذين تنجبهم الفتــاة بين هــذين السنين هم الأطفال الشرعيون فقط ، ولا شرعية لمن تنجبهم فى غير هذه السن ويتركون فى العراء حتى يموتوا •• وفيما يتعلق بالرجل فقــد اعتبر شرعيــة الأطفال واجبة فيما بين سن الرابعة والعشرين وسن الخمســين ، ومن هنـــا لا يتم الانجاب الا فى هــذه الحدود واذن فالأطفال الذين يولدون خارج هــذه الحــدود ما ذنبهم ؟ ذنبهم أنهم أتوا الى الدنيا فى غير هذه السن المحددة!

وأما طبقــــة الجيش فينبغى ألا تتزوج - فى رأى ( أفلاطــون ) - زواجا مستمرا •• ويجب ألا تمتلك شيئا : لا ملابس ، ولا عقار،ولا مال، ولا زوجة ولا أولادا وانما يأتون فى ليلة معينة ،ويعقدون زواجابالقرعــة لمدة سنة •• والأطفال الذين يأتون ثمرةهذا الزواج يودعون فىمصحة، أو ملجأ ، ويكونون أبنــاء الدولة ،

فضلا عن هذا يرى أن الشاب الممتاز ـ جسميا وعقليا ـ يتصل جنسيا بمجموعة كبيرة من الفتيات الجميلات •• ومنطقه فى هذا ، كما يقول فى جمهوريته : نحن نعنى بالخيل ، فننجب منها سلالات ممتازة ، فلم لا نعنى بالبشر ، مثلما نعنى بالخيل ؟

ان الشبان الممتازين صحيا وبدنيا •• يجب أن نأتى لهم بالنساء الممتازات صحيا ، وبدنيا ، وجماليا ، ولا نجعل بينهما قيودا فى الاتصال الجنسى ، ثم نأخذ السلالة الممتازة الناجمة عن اتصالهما ، لتكون نواة لارتقاء نوعية البشر فى الجمهورية !

ثم ان ( أفلاطون ) حدد الملكية : فلم يسمح للرؤساء وهم طبقة رجال الفكر ، أن يملكوا ، ولم يبحها كذلك ـ كما رأينا ـ للجند •• وانما أباحها لرجال طبقة الانتاج ، وبشرط أن يكون هناك حد أقصى للملكية ، لا يتجاوز أربعة أمثال المتوسط • يعنى مثلا : اذا كان متوسط نصيب الفرد فى مدينة ما ، نصف فدان ، فيجب ألا يملك شخص أكثر من فدانين ، وفى جمهوريته : اذا ولد طفل مريض ، يعدم ! واذا ولد طفل مصاب بعاهة يعدم ، واذا ولد طفل مشكوك فى ذكائه يعدم •

وليس فى جمهورية ( أفلاطون ) مكان للشعراء والأدباء ••

ولقد دعى ( أفلاطون ) نفسه مرة لتطبيق جمهوريته ، فأخفق اخفاقا كاملا ، ثم دعى مرة أخرى بعد سنوات فأخفق أيضا اخفاقا كاملا •

ومضت الانسانية ـ فى طريق التجربة والخطأ ـ تبحث عن تشريع يحكمها ، ويزيل خلافاتها ، ويقيل عثراتها •• وكان من تجاربها المثيرة فى هذا المجال مذهب « المزدكية » الذى استفحل أمره لدرجة أن ملك الفرس اتبعه ، واعتنقه ، وطبقه • وهو مذهب يبدأ منطلقه الفكرى من سؤال مطروح هو : ما الذى أقلق الانسانية وأرقها ، وأتعبها منذ فجر التاريخ ؟

وأجاب المذهب المذكور قائلا : المال •• والنساء •• ولكى نزيل قلق الانسانية ، فلابد أن يكون هناك شيوعية كاملة فى المال والنساء •

وصادف ذلك هوى لدى ملك الفرس ، فاتبع المذهب ، وذهب

« مزدك » وأتباعه الى القصر ، وأجبو الاتصال بنساء الملك وبناته ، وأخذ ولى العهد يتضرع الى « مزدك » ويرجوه ، فى أن يترك والدته واخوته ، حتى لقد قبل قدميه ، وهو يتضرع اليه ، فترك « مزدك » أمه واخوته . ثم آل الملك الى ولى العهد فأتى بمزدك وقتله .

واندثرت تجربة انسانية أخرى ، تبحث عما تعتقد أنه عدل ، وحق ..

واستمرت الانسانية فى بحثها القلق ، الذى تدفع ثمنه دائما من أخطائها ..

فنأتى مثلا الى المذهب ( المانى ) نسبة الى شخصية المفكر الفارسى « مانى » قال مانى : ان العالم فى ضيق دائم ، وكرب مقيم ، بسبب الصراع والجشع والعدوات والبغضاء المستشرية بين الناس،فى سبيل أغراض الدنيا.. واذا كان الأمر كذلك فلم يستمر هذا العالم ؟ انه مجموعة من الرجس والقاذورات والشرور ، يجب أن يزول .

وخرج الفيلسوف العبقرى من هذا السؤال برأى هو : اذا تطهر العالم من الناس ، فقد تطهر من البؤس ، بوالشقاء والشر .

ولكى يتم تطهير العالم من الناس، فقد شرع « مانى » أن يمنع الزواج، ويمنع الاتصال الجنسى .. وبهذه الطريقة لا يولد أطفال فى المجتمع ، ويموت الناس ويندثرون فى مدى سبعين ، أو ثمانين سنة ، وربما مائة. وبهذا تتطهر الأرض من الرجس ، والضلال والشر .

واتبع « مانى » كثيرون . ونقص النسل ، وكان فى هذا اضعاف للدولة .. وأتى به ملك الفرس وسأله عن مذهبه أمام حشد من الناس من أتباعه .. فراح « مانى » يحدثه بمنطقه عن مذهبه ، ويدعو اليه ...

فقال له ملك الفرس : « ما دمت ترى أن تطهير العالم من الناس ينهى الشقاء فيه ، فلنبدأ بتطهيره منك » وفعلا أمر بقتله ، وقتل أتباعه .

الاختلاف فى التشريع لا حد له ، فهناك تشريع شيوعى ، وهناك تشريع رأسمالى . والشيوعية نفسها ملل ، ونحل . فهناك شيوعية يمينية ، وهناك شيوعية يسارية ، وهناك شيوعية اشتراكية ، وهناك شيوعية معتدلة ، وهناك شيوعية متطرفة ، وغير ذلك .

وفى « الرأسمالية » يمين متطرف ، ويمين معتدل ، ويمين اشتراكى يسارى ، يحد نوعا من الملكية .

وبعض هذه التشريعات الحديثة تلغى الاديان نفسها . «والصهيونيون» يعترفون علانية فى كتاب (بروتوكولات صهيون ) أنهم هم الذين رتبوا نجاح « كارل ماركس » الذى خرج على العالم بأنه يجب أن يزول الدين ، ويجب أن تتطهر الانسانية من الدين، ومن فكرة الاله ..

ووجد « كارل ماركس » من يتبعه وينشىء دولا على منهاج مبادئه ... ولست أدرى : هل يمكن أن يكون دليل أقوى من ذلك ، على أن الانسانية التى وصلت الى الذرى فى حضارتها المادية،قد توقفت فى بعض نواحيها، ولم تتقدم خطوة واحدة ، من الناحية الروحية ..؟

والخلاصة : أنه ليس هناك مقياس عقلى واضح ، أو مبين ، أو ثابت ، فى المسائل العقلية والنظرية والتشريعية يفصل بين الحق والباطل .. والا لما تقلبت بعض المجتمعات ونفذت أفكارا تدعو الى شيوعية النساء ، وشيوعية المال ، والهاء الناس بالمسرح عن الله، كما قال « كار ماركس »وفى هذا يقول « سقراط » : ان العقل الانسانى بالنسبة للمسائل النظرية كلوح من الخشب ، يريد أن يعبر به الانسان بحرا هائجا ، لجى العواصف ..

ولهذا التعارض كان لابد من سفينة آمنة ، لاتغرق فى البحر بالانسانية.. ولا تزعزعها العواصف والأعاصير ، ولقد نزلت الأديان هداية للعقل فى الجانب النظرى..نزلت فى التشريع ، والأخلاق ، ونظام المجتمع .

ومن خصائص الوحى فيما يتعلق بالتشريع أنه هاد للعقل .. ولا يتأتى أن يكون هناك ايمان قط بدون الاعتقاد بأن الدين هاد للعقل .. ويكون خارجا عن دائرة الايمان من اعتقد غير هذا ..

ونزل التشريع الالهى معصوما وهذه قضية أخرى يؤمن بها كل مؤمن ، هذه العصمة يعبر عنها الله سبحانه وتعالى بقوله : « ومن يعتصم بالله ، فقد هدى الى صراط مستقيم ».

وقال تعالى : «لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه . تنزيل من من حكيم حميد » .

ومن خصائص التشريع الالهى أنه يكف الانسان ــ تماما ــ عن محاولة

الخروج عليه .. أما بالنسبة للتشريع الوضعى . فاذا أنت وجدت فرصة للخروج عليه دون أن تضبط ، فلا جناح عليك ، مادامت عين القانون لم تلمحك .. لدرجة أن بعض الفلاسفة المنحرفين مثل « نيتشه » الذى أشاد به «اليهود» وروجوا له، يقول : اذا أمكنك أن تخرق القانون الوضعى ، بحيث لا تقع تحت طائلته فاهدمه ، اذا استطعت هدمه ، اذا كان ذلك فى مصلحتك..بشرط أن تكون ذكيا ، لا تقع تحت طائلته ..

بتعبير آخر:اذا كنت تقود سيارتك بسرعة فائقة ، وصدمت انسانا ، وقتلت بذلك النفس التى حرم الله بغير حق.. واستطعت أن تفر ، دون أن تضبط ، ودون أن يتمكن أحد من التقاط رقم سيارتك ، ونجوت من المحاكمة ، والعقاب .. فانك تكون « ماهرا » أو « شاطرا » لأن القانون الوضعى لم يضبطك ..

أما القانون الالهى فهو يكف الانسان ظاهرا وباطنا ، بينما القانون الوضعى لا يكفه الا ظاهرا .. فالله عليم بذات الصدور ، ولكن القانون الوضعى عليم بما يراه الشهود فحسب ..

ومن خصائص القانون الالهى أنه حينما أعز الدولة التى طبقته . . وحينما غفل عنه ذل المجتمع الذى أدار له ظهره...اما بالتناحر والبغضاء فيما بين الناس ، واما باستذلال المجتمع للفقر ، أو للاستعمار ، أو للتخبط والهزيمة .

طبقته الأمة الاسلامية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطبقته فى عهد الصحابة ـ الخلفاء الراشدين ـ .. فكانت الأمة التى طبقت هذا القانون لا تغيب عنها الشمس ، وليس بمنكور قصة الخليفة الذى رأى سحابة فقال لها : أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك ...

طبقت الشريعة فطهرت النفوس ، وطهرت القوة وتم النصر .. وكان المسلمون يخوضون المعارك بروح الفداء والشريعة. والايمان..وكانوا ينتصرون على أضعاف أضعافهم عددا ، وعلى من هم أقوى منهم سلاحا وعدة ( كما حدث فى معركة القادسية مثلا ) لأن جزءا من حافز القتال هو ايمان المؤمن بعدالة القانون ، الذى يحكمه ، والمساواة بينه وبين جميع الرعايا فى هذه العدالة ، ومن هنا يقبل على الموت والفداء سعيدا مستبشرا ، ساعيا

الى النصر ، أو الشهادة ، بدلا من أن يتباطأ أو يتخاذل ، وشعاره المضمر أو المعلن :

« اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا هاهنا قاعدون »..

وقد كان الحث على لزوم الشريعة حازما :

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الفاسقون » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الكافرون » .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما » .

ما المانع من تطبيق الشريعة الاسلامية بدلا من القانون الرومانى ، وقانون « نابليون » ؟ .

حقا : لماذا ؟

لقد انتصرت الأمة الاسلامية ، وعزت فيما سبق ، فى ظل ايمان ثابت وطيد بالاسلام .. وكانت محترمة بين الأمم ، مهيبة الجانب ، قوية الشوكة ، طيلة تمسكها بالشريعة الاسلامية ..ثم بدأت تنهار شيئا فشيئا ،بعوامل الاستعمار لما انصرفت الى الانحلال ، والبعد عن الشريعة .

وجاء الاستعمار ، فكان من أهم أهدافه أن يستذلها عن طريق القضاء ونهائيا ـ على شريعة الله واستبدالها بقانونه الوضعى ، وأتى بعشرات القضاة من بلاده ، بثيابهم المزركشة وشعورهم المستعارة ، ووقارهم المزيف ، ليحكموا بغير ما أنزل الله.. وباسم الحرية الشخصية قتلوا كرامة الانسان ، باباحة الربا ، والبغاء العلنى والمقامرة ، مادامت غير مقترنة بالغش

وقد حرص المستعمرون قبل أن يخرجوا من قطر من الأقطار بعشرين أو ثلاثين سنة أو بأكثر ، على أن يخططوا لمستقبلهم ، فى تلك الأقطار .. ولم يجدوا خيرا من أن يذيبوا ـ نهائيا ـ طاقات الأمة ، التى يتركونها فى غمار ثقافتهم والتزاماتهم الفكرية ومقاييسهم الحضارية ، فيما يتصل بالسلوك والتشريع ..

فى أحد الأقطار الأفريقية حين أرادوا أن يجعلوها موالية للغرب ،

أخذوا خمسة وثلاثين ألف لقيط ويتيم ، وكفلوا لهم رعاية أسطورية، في ظل مذاهب تعادى الاسلام ، وخرجوا منهم المهندسين ، والأطباء ، والقادة والاداريين ، فلما خرج الاستعمار بجنوده ، بقى أبناؤه الروحيون هم الذين يقودون أفئدة تهوى الى المستعمرين بمثلهم العليا ، وأساليبهم وأخلاقياتهم ، وترتبط بهم ، وتدور في فلكهم ...

في مصر مثلا .. خرج الاستعمار بجنوده بعد أن زرع فيها مدرسة الحقوق ، التي كل نصيب الشريعة الاسلامية فيها ساعتان من اثنتين وعشرين ساعة، فيالأسبوع ..وترك قوانين يخالف بعضها ما أنزل الله .. ولما تمكلنا نظام سياستنا التعليمية لم نخرج عن قوانين « نابليون » والقانون « الروماني » والقانون « البلجيكي » والنتيجة أن المحامي والقاضي وعضو النيابة الذي يتخرج في كلية الحقوق في مصر ، وفي كثير غيرها من البلاد الاسلامية .. يخرج بعقلية أوربية ، وفكر أوربي ، وأنماط أوربية ، في القياس والتوجيه والمنطق .. وماذا يريد الاستعمار أكثر من أن يربط اليه أبناء أمة بتركها ، بهذه الطريقة ؟

الذي حدث شيء يستمر الانسان في الحديث عنه في حسرة وألم ، يحزان في النفس .

حدث في غيبة التشريع الالهي هذه الكثرة من جرائم السرقة .. ولو اتبع التشريع الاسلامي لما كانت هناك سرقة .

ولننظر الى بلاد أخرى غيرنا ،بلاد حولنا تطبق شريعة الاسلام ، وحدود الله في جرائم السرقة .

في المملكة العربية السعودية مثلا . قبل أيام الملك « عبد العزيز آل سعود كانت هناك سرقة ، وكان هناك نهب وقتل .. وكان حجاج بيت الله الحرام يسيرون في حراسة الجيش. لدرجة أن مصر كانت ترسل مع حجاجها كتيبة من الجيش ، تحرس الحجاج ...

وجاء الملك « عبد العزيز » وأمر بتطبيق شريعة الله ، وحدوده .. فانتهت جريمة السرقة ، أو كانت تنتهى . . ولقد حدث أن زار السعودية منذ سنين قليلة وفد أوربي يضم مفكرين ، ومشرعين ، وفلاسفة من « ايطاليا » و « فرنسا » و «المانيا »

وانبهر الوفد لسبق الاسلام فى كثير من التشريعات ، فيما يتعلق بحقوق الانسان .. بل واكتشف أن بعض مواده لم ترق اليها الحضارات الموجودة بعد .. ولكنه تساءل فى نهاية الحوار الذى دار بينه وبين بعض علماء الاسلام السعوديين ، تساءل عن قطع يد السارق أليس فى ذلك بشاعة ؟ أليس فى ذلك قسوة ؟

فقال العلماء السعوديون للعلماء الأوروبيين : أنظروا الى هذه الصحراء المترامية .. يسير فيها الانسان وقد لا يسمعه فيها أحد ، أو يراه أحد ، أو يحس به أحد واملأوا سيارة من الذهب ، أو الفضة ، أو المال أو النفائس وانتقلوا بها فى الصحراء من مدينة ، الى مدينة . . أو فاتركوها اذا تعطلت السيارة بها وسط الصحراء وهيموا على وجوهكم بحثا عن المعونة .ثم عودوا الى السيارة تجدوا ما بها سليما ، لم تمسسه يد وقارنوا بين هذا وبين ما يحدث فى مدينة ، مثل « نيويورك » فى ساعة واحدة : كم من حادث سرقة وكم حادث قتل ؟ وكم من حادثة اغتصاب

وقال العلماء السعوديون . انه فى مدى ثمانية عشر عاما ، لم تطبق حدود الله ـ فى قطع اليد ـ على أكثر من ستة أو سبعة على أكثر تقدير ، ولكن جريمة السرقة انقطعت تماما .

وماذا حدث فى غيبة التشريع الاسلامى ؟ هذه الأنهار من الخمور ! والكثرة الكاثرة من الخبائث والمنكرات ..

مصر بلد اسلامى ـ ومازالت الأقطار الأخرى تحسن الظن بمصر لكن البعض فى هذا البلد يتباهى بانتاج البيرة والخمر .

فى الأسبوع الذى ذكرت فيه الجرائد أن مصر كسبت مليون جنيه من البيرة ، كتبت هذه الجرائد نفسها أن « السينما » خسرت ثمانية ملايين جنيه ، ثم يقولون ـ فى تبرير اباحة الخمور انما نبيح الخمور من أجل السائحين . كل هذا هراء ، لا يأتى الا من المنحرفين عقليا ، وأخلاقيا . والس عندهم فكرة عن الآية الكريمة

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » .

يجب أن يعود التشريع الاسلامى. لأمرين :

(١) الأمن على النفس ، والمال، والعرض يتسنى ذلك حتى لمن لم يكن مسلما •

(٢) استمرار النصر بتوفيق الله •

••• حينما كان شعار الجندى المصرى « الله أكبر » فى حرب رمضان صمدت « الله أكبر » مبشرة بزمرة من المؤمنين ، انفصلت عن الانحراف ونطقت بكلياتها « الله أكبر »

ولكن هذا النصر له قوانين لضمان استمراره، ان الله سبحانه وتعالى ذكر قوانين النصر والهزيمة •

فاذا ما تخلينا عن الله سبحانه وتعالى تخلى الله عنا ، أما قوانين النصر فمنها :

« الذين ان مكناهم فى الأرض، أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة ،وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر » • كل بحسب موقعه فى المجتمع ( أمر بمعروف ونهى عن المنكر ) •

اذا انصرفوا عن ذلك فليس هناك ضمان لاستمرار النصر ، ليست المسألة مستحيلة •

هناك مطالبة من كثير من الطوائف

وهناك بطبيعة الحال استجابة فى مجلس الشعب • والا فلا يصح أن يكون ممثلا لأمة مسلمة •

ويكون لكم الفضل ـ أيها القراء والمفكرون ـ والزعماء فى وضع القوانين التى يستمر بها النصر والأمن على المال والعرض والنفس •

ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم •

**د • عبد الحليم محمود**
شيخ الأزهر

دراسات قرآنية :

# أنماط من السلف الصالح

للأستاذ مصطفى الطير

قال تعالى :

« والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا »

الآية : ٧٣ من سورة الفرقان

### البيان

جاء فى الآية التى قبلها أن عباد الرحمن هم الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، وجاءت هذه الآية بعدها لتبين أنهم اذا ذكروا بآيات ربهم عملوا بها ولم يعرضوا عنها .

وهكذا كان شأن السلف الصالح رضوان الله عليهم ـ فقد كان القرآن الكريم ينزل بالتشريع ، مخالفا لمألوف عاداتهم وما تأصل منها فى نفوسهم ، فيسارعون الى الامتثال وينزعون عما ألفوه فورا ، راضين طيبى النفوس مخبتين لربهم ، فعن بريدة عن أبيه قال : «بينما نحن قعود على شراب لنا ونحن نشرب الخمر ، اذ قمت حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه ، وقد نزل تحريم الخمر ، فجئت أصحابى فقرأت الآية عليهم الى قوله « فهل أنتم منتهون » قال : وبعض القوم شربته فى يده ، شرب بعضها وبقى بعض فى الاناء ، فأراقوا ما فى كؤوسهم ، ثم صبوا ما فى باطيتهم ، وقالوا : انتهينا ربنا انتهينا » والباطية إناء الخمر .

فأنت ترى أن تنفيذ التشريع لم يحتج الى تجنيد الشرطة ورجال المباحث ، بل سارع القوم الى الامتثال بمجرد التبليغ ، دون أن تحدثهم نفوسهم بالمخالفة ، ولو باكمال مجالس الشراب التى كانوا فيها ، ولهذا لم يحدث أن تكونت عصابات لتهريب الخمر سرا ، كما يرى الآن من

تهريب المخدرات المحظورة سرا بين المسلمين ، ليشربها أولئك الذين رق دينهم منهم ، ولم تجد الدولة وقتئذ نفسها بحاجة الى سن تشريع تصادر بمقتضاه التجارة المحظورة وأموال مهربيها ، وتعاقب المهربين بالسجن مدى الحياة أو غير ذلك من العقوبات فان القوم كانوا حريصين على السمع والطاعة ، راغبين فى الكمال الدينى ، ساعين الى مرضاة رب العالمين، فلهذا كفوا تماما عن شرب الخمر واراقوا مابقى منها فى الأوانى والدنان ، أراقوها فى الشوارع والأفنية حول المدينة ، وظلت رائحة الخمر تفوح منها فترة كما جاء فى بعض الروايات واليك مثلا آخر

عن صفية بنت شيبة عن عائشة رضى الله عنها قالت : « والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ، ولا أشد تصديقا لكتاب الله ولا ايمانا بالتنزيل لما نزلت فى سورة النور « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما أنزل الله اليهم منها ، يتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته ، وعلى كل ذى قرابته ، فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها المرجل فاعتجرت به ، تصديقا بما أنزل الله من كتاب » •

والخمر بضم الخاء والميم : أغطية الرءوس للنساء ، والجيوب فتحات الصدور ، والمرط كساء من صوف أو حرير ، ومرطها المرجل كساؤها المعلم المنقوش ، واعتجار المرأة به تغطيتها رأسها ، وسدله على صدرها •

فهل ترى أروع من هذا وأضرابه مثلا للمبادرة الى الامتثال الناشىء عن وازع النفس وخشية القلب والرغبة فى ارضاء الرب •

لقد كان الرجل منهم اذا جاهد فى سبيل الله ، لاتهمه نفسه ولا أهله وكل همه متجه الى الكر والفر ، والاقبال والادبار ، فى حنكة ومهارة لا يهدأ باله حتى يثخن فى العدو ، وينتزع النصر عليه من بين المخاطر والأهوال ، أو يسقط فى ساحة الشرف شهيدا مشوها ، مما أصابه من نبال العدو وسهامه وسيوفه ورماحه ، فقد دخل المعركة لينال احدى هاتين الحسنيين •

## انس بن النضر

فهذا أنس بن النضر – عم أنس ابن مالك – لم يشهد بدرا ، وكان نادما على عدم شهودها ، فنذر ان أشهده الله مشهدا من الغزوات ، ليرين الله ما يصنع ، فلما حضر غزوة أحد ، ورأى المسلمين ينهزمون حين ترك رماتهم مواقعهم يوم أحد ، ليجمعوا الغنائم بعد هزيمة المشركين في باكورة القتال ، مخالفين بذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبرحوا أماكنهم ، ظانين أن النصر تهيأت أسبابه ، ولا شيء يحول دون تمامه ، ورأى خالد بن الوليد – وكان يومئذ مشركا – قد حل فوق أحد محل رماة المسلمين ، ومعه جماعة من رماة المشركين ، وجعلوا يرمون المسلمين بوابل من نبالهم ، وهم ما بين مشغول بتتبع المشركين المنهزمين وقتلهم وجرحهم ، وما بين مشغول بجمع الغنائم في أثرهم ، فحول أولئك الرماة دفة الحرب لصالح المشركين ، وجعل المسلمون ينكشفون وينهزمون ويقتلون ، لما أبصر أنس ابن النضر هذه المحنة تحل بالمسلمين قال : اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه المؤمنين – وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء – يعنى المشركين – ثم تقدم فاستقبله سعد ابن معاذ فقال : ياسعد بن معاذ : الجنة – ورب النضر – انى أجد ريحها دون أحد ، قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس – يعنى بن أخيه مالك – فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد الا أخته ببنانه (١) قال أنس – أى بن مالك – كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » الى آخر الآية ، وقال : ان أخته – وهي تسمى الربيع – كسرت ثنية امرأة (٢) فأمر رسول الله صلى الله وعليه وسلم بالقصاص ، فقال أنس – أى

(١) البنان : الاصبع ، وكان حسن البنان .

(٢) الثنية : احدى الأضراس الأربع التى فى مقدمة الفم ، ثنتان من فوق وثنتان من تحت .

ابن النضر – يارســول الله : والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها، فرضوا بالأرش (١) وتركوا القصاص ، فقال رســول الله صلى الله عليه وسلم « ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» أخرجه البخارى فى صحيحه .

فاذا تأملت فـدائية هـذا البطل . وجدتها من نوع فريد ، لقـد غاب عن غزوة بدر أول معـركة خاضها الاسلام مع الشرك ، وانتصرت فيهـا راية الاسلام على راية الشرك ، فلم يجـد بدا من أن يتعهد لرســول الله صلى الله عليه وسلم ببذل الوسـع فى أول لقـاء له مع المشركين بعد هـذه الغزوة ، وكان عهده مع رسول الله عهدا له مع الله تعالى ، ولذلك قال : لئن أشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما تلتها غزوة أحـد وهزم المشركون المسـلمين ، بعـدما بدت تباشـير النصر للمؤمنين للسبب الذى مر بيـانه ، تذكر عهده مع الله ورســوله ، فتقدم ليبذل روحه فداء لرســوله ووفاء لدينه وعهده ، فلقى سـعد بن معاذ مهزوما مع المهزومين ، فقال له : ياسعد الجنة ، يريد بذلك أنه يريدها بالاستشهاد ، ويحضه على طلبها مثله بالثبات وبذل النفس ، وبلغ من اقتناعه بما وعد الله الشـهداء من الجنة ونعيمهـا المقيم ، أنه أحس بها كـأنه يراهـا ويجد حوله ريحهـا ونعيمها ، فأقسم برب النضر أنه يجد ريحهـا من دون أحد ، فجعل يقاتل لا يبالى بما يلاقى فى سـبيل غايته ، حتى سـقط ذلك البطل شهيدا مثخنا بالجراح ، مشوها حتى لم يعرفه أحد سـوى أخته ، عرفته ، ببنـانه التى تتميز لديها بميزة خاصة بها لايعرفها سواها ، أجل سقط هذا البطل مشوها بأربع وثمانين ضربة ، ومات شـهيدا قرير العين ، لأنه وفى بعهده مع ربه ومع نبيه .

ولقد كان الله يعلم منه هذا الوفاء ، فلهذا أبر قسـمه بالنسـبة لأخته الربيع التى كسرت ضرسا لامرأة ، واستحقت القصاص ، فأقسم أنس أن لايقتص منهـا ، فـأرضى الله نفس المجنى عليهـا وأهلهـا ، بقبول دية الضرس ، بدلا من كسر ضرس أخته ،لكرامة هذا البطل على الله تعـالى ، وصدق فيه قوله صلى الله عليه وسلم « ان من عباد الله من لو أقسـم على الله لأبره» .

(١) الأرش : الدية .

**عمر يؤثر مجـاهدة بالعطاء على زوجته**

أخرج البخارى عن ثعلبة بن مالك «أن عمر رضى الله عنه قسم مروطا(١) على نساء من نساء المدينة ، فبقى مرط جيد ، فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين ، أعط هذا بنت رسـول الله صـلى الله عليه وسلم التى عندك يريد أم كلثوم بنت على — فقال عمر أم سليط أحق به ، وأم سليط من نساء الأنصار ، ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمر :كانت تزفر (٢) لنا القرب يوم أحد » •

ومن هذا الأثر نعرف مقدار عدل عمر ونزاهته ، حيث آثر واحدة من أبطـال الجهـاد على زوجتـه حفيدة رسول الله صلى عليه وسلم ، فأعطاها هذا المرط الجيد ، لأنها عملت لصالح المؤمنين ما لم تعمله زوجته ، فانها لم تشترك فى المعركة كما اشتركت أم سليط ، ولم يسق الجنود كما سقتهم فى يوم شديد الخطر ،يخافه أشداء الناس ، ويتحامون اخطاره ولقد قال فيها صلى الله عليه وسـلم « ما التفت يمينا ولا شـمالا يوم أحـد الا وأنا أراها دونى » فلم تقتصر على أسعاف الجنود بالمـاء ، بل كانت فى جملـة من يحمى رســول الله ممن أرادوه بالسوء من المشركين •

والقد فعلت مثلها عائشـة بنت أبى بكر رضى الله عنهما ، وزوج رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ، وكذلك أم سليم ، فلقد كانتا تسرعان بالقرب على ظهورهما ، ثم تفرغان المـاء فى أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم ، كما رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه وهكذا كانت نساء المؤمنين يشتركن فىالحروب ، ولا يترفع أهل الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فان الخطر اذا أحدق بالمسـلمين ، وجب الجهـاد على الرجال والنسـاء كل بحسب طاقته •

---

(١) المروط : اكسية من صـوف أو حرير كان يؤتزر بها ، جمع مرط بكسر الميم وسكون الراء ، وهو كساء غير مخطط .

(٢) تزفر القرب : أى تحملها مملوءة ماء لتسقيهم يوم أحد .

وأم سليط هذه هى أم قيس بنت عبيـد بن زياد بن ثعلبـة ، من بنى مازن ، تزوجهـا أبو سليط بن أبى حارثة ـ عمـر بن قيس ـ من بنى عـدى بن النجار ،فولدت له سـليطا وفاطمة ، فلذا كنيت بأم سليط ، فمات عنها فتزوجها مالك بن سنان الخدرى ، فولدت له أبا سعيد الخدرى ،

ومن هذه القصـة نعرف أسلوب الحكم الاسلامى فى صدر الاسلام ، حيث كان يتسـم بالنزاهة والعدالة ، وايثار المصلحة العامة على الخاصة ، وبمثل هذا العـدل سـاد رعاة الغنم والابل العالم ، واستولى من يعيشون على خبـز الشـعير وخالص التمر وقليـل اللحـم ، على ملك كسرى وقيصر، ولو أن حكام المسلمين اليوم ساروا على هذا المنهج ، لعادت للاسلام مجده ، ولرجع لأمته عزها وسلطانها .

### البطل سلمة بن الأكوع

روى الامام البخارى عن سلمة بن الأكـوع قال « خرجت من المدينـة ذاهبا نحو الغابة ، حتى اذا كنت بثنية الغابة ، لحقنى غلام لعبد الرحمن بن عوف ، قلت ويحك ما بك ؟ قال : أخـذت لقـاح (١) رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، قلت من أخـذها ؟ قال : غطفـان وفـزارة ، فصرخت ثلاث صرخات أسمعت مابين لابتيها : ياصـباحاه ، ياصـباحاه ، ثم اندفعت حتى القاهم وقدأخذوها فجعلت أرميهم وأقـول : أنا ابن الأكـوع ، واليوم يوم الرضع ، فاستنقذتها منهم قبـل أن يشربوا ، فأقبلت أسوقها ، فلقينى النبى صلى الله عليه وسلم،فقلت يارسول الله : ان القوم عطاش ، وانى أعجلتهم قبل أن يشربوا سقيهم ، فابعث فى أثرهم ، فقـال : ياابن الأكوع : ملكت فأسـجح فان القوم يقرون فى قومهم » وبيانا لموضوع هذا الحديث نقول :

كان سـلمة بن الأكوع شـجاعا سريع العدو ، وكان يسابق الجواد فيسـبقه عدوا ، وبايع النبى صلى الله وسلم عند الشجرة على الموت ، وأول مشـاهده الحـديبية ، وحاصل هـذه القصـة التى جاءت موجزة فى هذه

---

(١) اللقاح : جمع لقوح ، وهى الناقة الحلوب .

الرواية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سرحه ( أى ابله ) بالغابة ترعى ، وكان مع سرح رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو ذر وامرأته وابنه وغلام لعبد الرحمن بن عوف وبينما هم فى الليل اذ دهمهم عيينة ابن حصين الفزارى فى أربعين فارسا من غطفان ، فصاحوا بهم وهم قيام على رءوسهم ، فأشرف عليهم ابن أبى ذر ومعه ثلاثة نفر ، فقتلوا ابنه ونجا النفر الثلاثة ، وأخذوا امرأة أبى ذر ، وأطلق المغيرون عقال الابل وساقوها أمامهم ، ثم قال أصحاب السير : فى صباح هذه الليلة ، خرج سلمة بن الأكوع مبكرا فى غلس الصبح ، ومعه فرس لطلحة بن عبد الله وغلام لطلحة ، ورباح خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقصدون الغابة ، فلقيهم غلام عبد الرحمن بن عوف فأخبرهم الخبر ، فأمر سلمة رباحا أن يركب الفرس ويرجع بها الى المدينة ، ويخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صعد سلمة على جبل عال وصار ينادى بأعلى صوته ياصباحاه يسمع من فى المدينة ، وكان هذا نداء الاستنجاد ، ثم جد فى أثر القوم يطاردهم ويقذفهم بالنبل ، واذا رجعوا اليه لايلحقونه لسرعته حتى أعياهم ، فصاروا يلقون بأمتعتهم شيئا فشيئا ، يستخفون ليستطيعوا الفرار .

قال سلمة : فما زلت أتعقبهم وأرميهم ، فاذا دخلت الخيل مضايق الجبل ، علوت الجبل ورميتهم بالحجارة ، ولم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا ، وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون بها ، ولا يلقون شيئا من ذلك الاجمعته وجعلته على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما بلغ الرسول صياح سلمة بن الأكوع ، دعا الناس قائلا : ياخيل الله اركبى ، وكان أول من انتهى اليه من الفرسان ، المقداد بن الأسود ، ثم تلاحقت به الفرسان ، ثم قال صلى الله عليه وسلم للمقداد : اخرج فى طلب القوم حتى الحقك بالناس ، فخرج بالفرسان فى طلب القوم حتى لحقهم واسترجع بعض اللقاح .

وكانت لقاح رسـول الله صلى الله عليه وسـلم عشرين ، استرجع منها سلمة بن الأكوع وأبو قتادة عشرة ، وكان أبو قتـادة صاحب الفضـل فى استرجاع ما اسـترجعه المقـداد بن الأسـود ، حيث كان من الفرسـان الذين صحبوا المقداد ، وسـارع الى القوم فقتل منهم ، واستنقذ ما استنقذه منهم من اللقاح .

قال ابن سـعد : قال سلمة : ولمـا رجعت وجدت رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم على المـاء الذى كنت أجليتهم عنه ، فاذا هو قد أخـذ كل شىء استنقذته منهم ، فقلت يا رسول الله : لـو بعثتنى فى مائـة رجـل ، لاسـتنقذت ما بقى فى أيـديهم من السرح ، فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجـذه ثم قال : يا ابن الأكوع : ملكت فأسجح .

وسيأتى شرحه .

وذكر ابن هاشم : أن القوم ذهبوا بنصـفها الآخر - وهـو عشرة - كمـا ذهبـوا بامرأة أبى ذر ، قـال ابن هشام : ولمـا أفلت القوم بامرأة أبى ذر وبما بقى من السرح ، عقلوا الابل وأوثقو المرأة ، فبينما هم نيام أفلتت المرأة من الوثاق ، وأتت الابل فجعلت اذا دنت من البعير رغا فتتركه ، حتى لا يتنبهـوا ، حتى انتهـت الى العضباء ، وهى ناقة رسول الله صـلى الله عليه وسلم التى كان يركبها كثيرا ، فلـم ترغ - أى لم تصـح بل ظلت صامته - فعقدت على ظهرها وزجرتها ، وعلمـوا بهـا فطلبـوها فأعجزتهم ، ونذرت امرأة أبى ذر ان نجاها الله لتنحرنها ، فلما رجعت أخبرته صلى الله عليه وسـلم بالنذر ، فتبسم صلى الله عليه وسـلم وقال بئسـما جزيتها نجاك الله بها وتنحرينها ، لا نذر فى معصـية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم وانما هى ناقة من ابلى ، ارجعى الى أهلك على بركة الله ، وكانت الغابة التى رعت فيها ابل رسول الله ، على بريد من المدينة فى طريق الشام ، وهى من عوالى المدينة ، وكانت الابل ترعى فى الغابة تارة ، وبذى قرد تارة أخرى ، لتقارب الموضعين .

وبعد : فانظر ياأخى القارىء الى رأفة النبى صـلى الله عليـه وسـلم بخصومه ،فان سلمة بن الأكوع لما

أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن القوم عطاش ، وانه أعجلهم أن يشربوا من البئر التى أجلاهم عنها وطلب منه أن يبعث فى أثرهم من يقتلهم ، فانه لم يستجب الى طلبه بل قال له : ( ملكت فاسجح : ان القوم يقرون فى قومهم ) فقد وصلوا الى غطفان قومهم ،وهم يضيفونهم ، وليس من المروءة ازعاجهم ، وكان هذا اخبارا منه صلى الله عليه وسلم بالغيب الذى حدث فعلا ، فصلوات الله عليك ياصاحب الأخلاق النبيلة ، والمعجزات الباهرة ، ورحمة الله وبركاته على أولئك الغر الميامين •

وجميع الصحابةوالتابعين ، والله نسأل أن يجعلنا ممن يأتسون بهم ، ويسيرون على منهاجهم •

**مصطفى محمد الطير**

---

**دعاء :**

« اللهم انى أسألك حبك وحب من يحبك ، والعمل الذى يبلغنى حبك ، اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسى وأهلى ، ومن الماء البارد » .

# أسوة من الصحابة في الأمانة

للأستاذ أبو الوفا المراغي

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما نزل قوله تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن » وقوله تعالى : «ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فاذا فضل من طعام اليتيم وشرابه شيء حبس له حتى يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى : « ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم » فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم • أخرجه أبو داود والنسائى •

الصحابة رضوان الله عليهم هم الأئمة الأول للمسلمين حملوا أصول الشريعة قرآنا وسنة علما فاستوعبوها حفظا وتعليما فنقلوها الى من بعدهم حتى تهيأ لها أن تدون فبقيت وستبقى كما أراد الله الى يوم الدين وحملوها عملا وتطبيقا فعملوا بها كما فهموا أو كما أفهمهم الرسول فما زاغوا وما انحرفوا فكانوا للهداية نجوما وللشبهات رجوما واستحقوا ثناء الرسول عليهم بقوله : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم •

وكانوا أشداء على أنفسهم فى تطبيق ما قرر من الأحكام ، واذا تتبعت أنباءهم فيما حفظ التاريخ الصحيح من سيرهم وجدت العديد والعجيب من الأمثلة فى خشية الله وفى تطبيق أحكامه ، والتحرج من الانحراف عنها ، وفى حديثنا هذا أن الله سبحانه لما أنزل قوله : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن » • وقول : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا » يحذر بهما المسلمين من ظلم اليتامى والتصرف فى أموالهم بغير الوجوه المشروعة فى الانفاق على ايوائهم واطعامهم وكسوتهم رحمة لضعفهم واستبقاء على أموالهم حتى يكبروا •

فزع الصحابة من ذلك التحذير والوعيد وارتاعت نفوسهم وأسرع

من كان عنده يتيم يخالطه في معاشه وماله ، الى ابعاده عنه وعزله في طعامه وشرابه ، حتى يتقي شبهة أن يقع له شيء من مال اليتيم في معاشة ولو دون قصد فيناله وعيد الله ويتعرض لسخطه وما كان أخشاهم لله وأحرصهم على رضاه •

عزلوا معاش اليتامى وأطعمتهم من معاشهم وميزوا أكلهم من أكلهم قطعا لشبهة انتفاعهم بشيء من أموالهم ، وكان اذا فضل شيء من طعام اليتيم أو شرابه احتفظ له به حتى يأكله أو يفسد ليريحوا نفوسهم من وساوسها في الافتيات عليه •

وقد شقت تلك الحال عليهم ، فمن العسير على رب الأسرة أن يجعل بمنزله معاشين وطعامين وكيف السبيل الى عزل الخبز والأدم والسمن والجبن والزيت والفاكهة ان كان هناك فاكهة ، وكيف السبيل الى عزل وسائل الطهو والانارة ونحو ذلك من شئون الحياة المشتركة بالمعاشرة والمساكنة ، لاشك أن هذه حياة عسيرة اضطروا أن يكاشفوا رسول الله بما يجدونه فيها من العنت فأنزل الله تعالى «ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم» • فكان ذلك تيسيرا على القوام وكفلاء اليتامى – وما أرق هذه العبارة وأدقها : رقتها في أنها تخيير للمسلمين في لطف بين أن يخالطوهم أو يعزلوهم عنهم واستعطاف لهم عليهم في الحالين فان خالطوهم فليعاملوهم معاملة الاخوان وان عزلوهم فعليهم اصلاح شئونهم ، ودقتها في أنها حث قوى على رعاية اليتامى في أموالهم وتأديبهم وتهذيبهم على أعم صورة وفي أوجز عبارة حيث يقول جل شأنه : «اصلاح لهم خير» واصلاح من الألفاظ العامة التي تشمل كل اصلاح ، الاصلاح في الأنفس ، والأخلاق ، والكساء ، والغذاء ، والتعليم ، والتربية والاصلاح في الأموال ، وفي التزوج والتزويج ، وفي كل ما يعد في العرف اصلاحا ويتغير بتغير الأزمان وذلك الاصلاح كله خير لليتامى من اهمالهم وتركهم للضياع والفساد وخير للقوام لما فيه من درء مفسدة اهمالهم وخير للمصلحة العامة لما فيه من اعدادهم ليكونوا لبنات قوية في بناء الأمة •

اذا تحرج الأولياء من مخالطة اليتامى فعليهم واجب الاصلاح كما ذكرنا واذا أرادوا أن يخالطوهم

فلا حرج عليهم فى ذلك لكن عليهم أن يعتبروهـم أخوانا لهـم ، وللأخ حق على أخيه في احسان معاشرته ورعاية مصـلحته فى نطـاق العطف والأمانة والمسامحة فيما جرى العرف بالمسامحة فيـه فيكون اليتيم كأحـد أفراد الأسرة الصـغار يستشعر فى جوها الحنـان والأنس والطمأنينـة وعلى أن يكون دافع الكفلاء الى ذلك وصاة الله باليتامى لا خوف سـطوة الحاكم أو حساب المحـاسب فخوف الحاكم يمكن اتقاؤه وما أوسع حيل الأوصياء وما أكثرها ، أما رقابة الله وعلمه بما فى الضمائر وحسابه على الأعمال فلا سبيل الى الخلاص منـه الا بالاستتاب عنه .

وشـبيه بهـذا المثـل الذى ضربه الصحابة فى اتقاء الشبهات فى أموال اليتامى مثل آخر ضربوه لنا فى اتقـاء الشبهات فى أموال المسلمين عامة فقد ورد فى الحديث أنه لما نزل قوله تعالى: «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم» . امتنع المسلمون من أن يأكلوا عنـد اخوانهم خشية أن يـكون ذلك من أكل أموال الناس بالباطل فقد روى أبو داود عن ابن عباس أنه لـما نزل قوله تعالى : «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالبـاطل الا أن تكـون تجـارة عن تراض منكم » فكان الرجل يتحرج أن يأكل عند أحد من النـاس بعـد ما نزلت هـذه الآية ، فنسخ ذلك الآية الأخـرى في النـور فقـال : «ولا على أنفسـكم أن تأكـلوا من بيوتكم» الى قوله:«أشتاتا» فكان الرجل الغنى يدعـو الرجـل من أهله الى طعامه ، فيقول : انى لأجنح أن آكل منـه والجنح : الحـرج . ويقول المسكين أحق به منى ...

هذان مثلان من سـلوك الصحابة رضوان الله عليهم فى التعفف والزهادة فى أموال النـاس ومحـاولتهم دفع الشبهة عن أنفسهم وتحرى الحلال فى مطاعمهـم ومعـاشـهم وأسـاس ذلك خشية الله فى سلوكهم وأعمالهم، وخشـية الله هى الـكفيل باحسـان العمل وتقويم السلوك ، ولو استشعر كل مسـلم خشـية الله فى تصرفه وتذكر أنه رقيـبه وحسـيبه يحصى عليه أعماله ويجزيه بما كسب لترفق فى الطلب وتحرى فى الكسب وعف عما ليس له وقنع بما وجد مما يقيم الجسم ويحفظ الحياة .

**ابو الوفا المراغى**

من هدى السنة :

# يسر الاسلام وسماحته

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٨ —

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

( ان الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد الاغلبه ، فسددوا ، وقربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشىء من الدلجة ) .

رواه البخارى

**تمهيد :**

ذكرنا فى المقالات الماضية ـ عند بيان أهداف الحديث ـ أن الاسلام اعتمد فى تشريعه على مبدأ رفع الحرج والمشقة ، والتيسير على المكلفين ، وعرضنا لسبعة أمثلة يتجلى فيها هذا اليسر .

ونحاول فى هذا المقال أن نذكر بعضا آخر من الأمثلة ، فنقول :

٨ ـ اقتضت حكمته تعالى أن يجعل الطهارة من الحدث الأصغر تستوجب غسل أعضاء مخصوصة ، ومسح بالرأس ، والطهارة من الحدث الأكبر تستوجب تعميم البدن بالماء .

ولكن قد يعرض لجزء من الجسم أن يصيبه مرض أو جرح ، أو كسر ، ويتطلب العلاج لهذا الجزء أن يشد عليه رباط أو جبيرة (١) . أو يوضع عليه جبس مثلا ـ فاذا كان هذا الجزء مما يطلب غسله فى الطهارة غسله الشخص ان لم يضره الغسل ، والا فانه يمسحه بالماء ،

(١) الجبيرة ما يضعه المجبر أو الطبيب من عيدان الجريد أو غيره على العضو المنكسر لجبره واصلاحه ، وسميت بذلك تفاؤلا ، كما سمى موضع الهلاك مفازة .

فان ضر المسح به تركه ، ومسح على الرباط ، أو الجبيرة أو الجبس ، فالحكم حينئذ بجعل المسح بالماء طهارة للعضو المطلوب غسله •

والاكتفاء فى تطهيره بالمسح على الرباط أو الجبيرة ـ ان ضر استعمال الماء ـ يدل دلالة واضحة على تقدير الشارع الحكيم لأعذار العباد ، ورعايته لحالهم،وارادة اليسر بهم ـ كما قال ـ جلت نعمته « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر»[1]

روى أبو داود والدارقطنى والحاكم فى المستدرك عن جابر رضى الله عنه قال : خرجنا فى سفر، فأصاب رجلا منا حجر ، فشجه فى رأسه ، ثم احتلم ، فسأل أصحابه : هل لى رخصة فى التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة ، وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل ، فمات •

فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك ، فقال :

( قتلوه قتلهم الله ألا سألوا اذ لم يعلموا ، فانما شفاء العى ، السؤال، انما كان يكفيه أن يتيمم ، ويعصب على جرحه ، ثم يمسح عليه،ويغسل سائر جسده ) • وفى رواية أخرى للحديث : ( انما كان يكفيه أن يتيمم ، ويعصب على جرحه خرقة ، ويمسح عليها،ويغسل سائر جسده)•

قوله : ( ويعصب على جرحه ) يربطه ويشده ، والعصابة قطعة من نسج قماش يربط بها العضو المجروح •

وهذا الحديث يعتبر شاهدا على مشروعية المسح على العصابة •

ويشهد لمشروعية المسح على الجبيرة ما رواه ابن ماجه والدارقطنى والبيهقى عن زيد بن على عن أبيه عن جده الحسين بن على بن أبى طالب عن على بن أبى طالب قال :

انكسرت احدى زندى ، فسألت النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمرنى أن أمسح على الجبائر •

قوله ( انكسرت احدى زندى ) الزند عظم الساعد ، وظاهر الرواية

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٥

أنه مؤنث ، ولكن الوارد فى كتب اللغة يفيد أنه مذكر •

قال فى كتاب المصباح المنير ـ عند الكلام على مادة : زند ، ( الزند ) ما انحسر عنه اللحم من الزراع ، وهو مذكر ، والجمع زنود ، مثل فلس وفلوس ، وجاء فيه فى موضع آخر ـ عند الكلام على تقسيم الأعضاء الى ثلاثة أقسام : الأول ما يذكر ولا يؤنث ، والثانى مايؤنث ولايذكر ، والثالث ما يجوز فيه الأمران ـ ما نصه :

قال ابن الأنبارى : ولا أعلم أحدا من شيوخ اللغة حكى تأنيث الفؤاد ، واللحى ، والذقن ، والبطن ، والقلب ، والطحال ، والخصر ، والحشى ، والظهر ، المرفق ، والزند اهـ •

وجاء فى كتاب المغرب : (انكسرت احدى زندى على ) صوابه كسر أحد زنديه ، لأن الزند مذكر ، والزندان عظما الساعد اهـ •

ونظرا لأن تشريع المسح على الجبائر يعلن فى صراحة ووضوح عن ارادة اليسر بالعباد ـ استنبط الفقهاء من نصوص الشريعة أحكاما تتعلق بالجبيرة ، ويتجلى فيها اليسر ورعاية المكلفين •

من هذه الأحكام :

١ ـ أنه لا يشترط شد الجبيرة على طهر ، لأن فى اشتراط ذلك حرجا على الشخص الذى تقتضى عذره شد الجبيرة ـ بخلاف المسح على الخفين حيث لا حرج فى اشتراط طهارة الرجلين قبل لبس الخفين •

٢ ـ ومنها أن المسح عليها لايختص بمدة معينة ، بل طالما كان العذر قائما كان المسح مشروعا وصحيحا ـ بخلاف المسح على الخفين ، فانه يتوقف بمدة محدودة بالنسبة لكل من المقيم والمسافر ، فيمسح الأول يوما وليلة ، ويمسح الثانى ثلاثة أيام ولياليها ، وبعد انتهاء المدة المقررة شرعا لكل منهما يبطل المسح ، فيلزم نزع الخفين ، وغسل الرجلين •

٣ ـ ومنها أن الجبيرة لو سقطت قبل الشفاء لا يبطل المسح عليها ، لأن العذر الذى من أجله شرع المسح عليها لايزال قائما ـ وذلك بخلاف الخفين ، فان خروجهما من

القدم ، أو خروج أحدهما يبطل المسح .

٤ ـ ومنها أنه يجوز مسح جبيرة احدى الرجلين مع غسل الأخرى ، ولا يجوز ذلك فى المسح على الخفين .

٥ ـ ومنها أن المسح على الجبيرة يكون عند الطهارة من الحدث الأصغر أو الأكبر بخلاف المسح على الخفين فانه يكون عند الطهارة من الحدث الأصغر فقط وأما عند الطهارة من الحدث الأكبر فيلزم نزعهما وغسل الرجلين .

وفى اثبات شرعية المسح على الجبيرة وبيان بعض أحكامه ـ جاء فى كتاب الهداية شرح بداية المبتدى ما نصه :

( ويجوز المسح على الجبائر وان شدها على غير وضوء ) لأنه عليه السلام فعله وأمر عليا رضى الله عنه به ، ولأن الحرج فيه فوق الحرج فى نزع الخف فكان أولى بشرع المسح ، ويكتفى بالمسح على أكثرها، ذكره الحسين رحمه الله تعالى ، ولا يتوقف لعدم التوقيف بالتوقيت.

( وان سقطت الجبيرة من غير برء لا يبطل المسح ) لان العذر قائم ، والمسح عليها كالغسل لما تحتها مادام العذر باقيا .

( وان سقطت عن برء بطل ) لزوال العذر ا هـ .

٩ ـ من مظاهر التيسير أيضا فى التشريع الاسلامى قصر الصلاة الرباعية فى السفر ، فانه نظرا لما يتعرض له المسافر من مشقة وارهاق ـ يسر الله تعالى عليه أمره ، ورحم ضعفه ، فجعل الصلاة الرباعية فى حقه ركعتين ـ تقديرا لحاله ، ورعاية لشأنه .

ويستدل لشرعية القصر فى السفر بما يأتى :

١ ـ قال الله تعالى : «واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا » (١) .

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٠١

قوله ( اذا ضربتم فى الأرض ) الضرب فى الأرض السفر فيها •

( فليس عليكم جناح ) أى حرج وإثم ، ( تقصروا من الصلاة ) أى من أعداد ركعات الصلاة ، فتصلوا الرباعيـة ركعتين ، ( ان خفتم أن أن يفتنكم الـذين كفـروا ) أى خشيتم عدوان الكفار عليكم بقتل أو جرح أو أسر ، ( عدوا مبينا ) أعداء واضحى العداوة فاحترسوا منهم •

والمعنى اذا سافرتم فى الأرض فلا حرج ولا اثم عليكم فى قصرالصلاة ان خشيتم أن يتعرض لكم الأعـداء فى الصـلاة بقتل أو الحـاق ضر ، فتصلى الرباعية ركعتين •

وظاهر قوله تعالى : « ان خفتم أن يفتنكم الذين كفـروا » يفيـد أن الخوف شرط القصر ، فلا قصر فى حال الأمن ــ وليس كـذلك ، لأن التقييد بالشرط فى الآية انمـا يدل على ثبوت القصر فى حال الخوف ، ولا يدل على عـدم القصر فى حال عدم الخوف ، بل هو مسكوت عنه ، ويستفاد حكمه من دليل آخر غـير الآية ــ وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم قصر الصلاة فى حال الأمن ، فلا مفهوم لهـذا القيد عنـد القائلين بمفهـوم المخـالفة من الأصـوليين ، لأنه قيد خرج مخرج الغالب ، حيث لم تخل أسفاره صلى الله عليه وسلم غالبا من خوف الذين كفروا لكثرتهم وقوة بأسهم ، وحرصهم على الفتك بامام الدعوة وحماتها •

ونظير هذا القيد فى عدم العمـل بمفهومه لخروجه مخرج الغالب ــ قيد :

( فى حجوركم ) الذى جاء عند ذكر المحرمات من النساء ــ « وربائكم اللاتى فى حجـوركم من نسـائكم اللاتى دخلتم بهن » قوله : «ربائكم» جمع ربيبة وهى بنت أمرأة الرجل، من زوج آخر ، وسميت بذلك لأن الزوج يربها ويرعـاها ، كما يرب ويرعى وليده غالبا •

قوله : «اللاتى فى حجوركم » أى فى احتضناكم وتربيتكم ،

فقيد : « فى حجوركم » خـرج مخرج الغـالب لأنه يغلب أن يكـون الربيبة فى رعاية زوج أمها ، فلايعمل بمفهوم المخالفـة لهذا الوصف وبناء

على ذلك ، اذا دخل الزوج بأم الربيبة حرمت الربيبة مطلقا سواء كانت فى حجر الزوج ،أ وفى غير حجرة .

ويدل على أن قوله تعالى : (ان خفتم يفتنكم الذين كفروا ) لا يمنع القصر فى حالة الأمن. ما رواه الجماعة إلا البخارى عن يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب : فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس قال : عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله صلى عليه وسلم عن ذلك فقال : ( صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته ) قوله : ( عجيب مما عجبت منه ) المراد شغلنى ما شغلك من حصول القصر للصلاة مع الأمن من الذين كفروا قوله : ( صـــدقة تصدق الله بها عليكم ) أى تيسير وتخفيف منحكم اياه (فاقبلوا صدقته) تلقوا تشريعه بمزيد الرضا ، وما كان ينبغى لنا أن يمر بنا قوله عليه الصلاة والســلام ( فاقبلوا صدقته ) دون أن نأخـذ منـه العظة البالغـة والعبـرة الخالدة فان الأمر بقبول صدقته تعالى يوجه كل مؤمن الى أن يأخذ نفسه بالأيسر فيما شرع من الأحكام ، فذلك أبلغ فى الوصول الى الطاعة وكريم الجزاء . الحديث موصول .

(يتبع) منشاوى عثمان عبود

---

**الخير اولى :**

عن عبد الرحمن بن سـمرة قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها ، فات الذى هو خير وكفر عن يمينك » .

متفق عليه

# البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

— ١٤ —

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصـدقنا ولا صـلينا

فأنزلن سـكينة علينـا
وثبت الأقـدام ان لاقينا

ان المشركين قد بغوا علينا
وان أرادوا فتنـة أبينا

**عبدالله بن رواحه**

وهل ينتظر النـاس من خصـوم الحنيفية السمحة ، والبيضاء النقية ، وهى التى لا أمت فيهـا ولا التواء ، الا أن يشـهروا بهـا ، ويشيعوا فى الناس صـورا مشوهة عن جمالها ، تعكس صـفاتهم الذميمة ، وخلقهم الكالح فيقولون عن الشىء الجميل : ما أقبحه !! وعن المستقيم:ما أعوجه!! وعن آيات الهداية والنور : ما أضلها وأظلمها !!

ان أعداء الاسلام يعارضون فيـه كل شىء حتى أسباب النظافةوالطهارة، والتوبة من الحوبة ، والتعـاون على القيام بالواجبات الشرعية ، فيتهكمون ويسخرون ، ويتغامزو ويهزأون .

والا بماذا تسـمى استنكارهم أن يكون هناك تعاون بين أولى الأرحام فى قيام الأحياء ببعض مافات الأموات دركه مما أوجبه الله عليهم أجمعين .

فيقول ذلك الهاذى : الحديث رقم ٣٢ معقبا على سياقه بالصورة التى لا يقوى على غيرها لعجزه عن العرض العلمي المستنير ، الذى يدركه أصحاب العقول الراجحة ، ومن يعرفون لأنفسهم قدرها وحدها ، ولقد أعجبنى المثل العامى الذى كانت تمثل به أمهات أبناء الريف عندما تجد ولدها الصغير يتصدى للاعصار أو التيار الجارف فتقول ( مثل السلحة ويقاوم التيار ) يعنى انه سلحة من سلحات عصفور ، ويقف على قماءته وضآلته ليصد التيار الجارف ، ويتصدى للمسيرة المنيرة الوفيرة الكرامة والجلال ، كيف بزرقة النغير عندما تتوهم أنها سد عال !!

يقول ـ ونعتذر للقارىء عن نقل ما قاله بأخطائه النحوية وتركيباته الغريبة عن العربية اذ أن هؤلاء يتذرون عن جهلهم بأن النحو والصرف وعلوم اللغة لم تكن معروفة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولعلها من الاسرائيليات الدخيلة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ـ ( أولا يبدو واضحا أن الذين يؤمنون بهذا الحديث لا يعلمون الحكمة من مشروعية الصوم ، ولو عرفوا أن الغاية من تكليف المؤمنين بالصوم عن الحلال المباح هى ان يتعودوا على طاعة الله فى ترك الحرام الممنوع ، ولادركوا ان هذا الحديث فريه اسرائيلية يراد بها اهمال المسلمين لشأن دينهم حتى يصبحون !!! على شريعة تعبدية !!! تخالف شريعة ربهم وهم لا يشعرون !!! ثم يسوق قوله تعالى ( وأن ليس للانسان الا ما سعى )

ونقول : لو كان هؤلاء حسنى الطوية سليمى النية لسألوا أهل العلم ، وللاذوا منهم بركن رشيد ، ولأمكن ان ينعقد الحوار فى دائرة اجتهادية لا تخرج عن مناهج أهل المكانة والزكانه والرجاحة والسجاحة ، فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ عاد بالأجر الواحد مشيعاً بالتجلة والاحترام، فلا اسرائيليات ولا سخائم داهيات .

ولكن من حيث آثروا أن يقيموها حربا شوهاء كريهة على البخارى جامع ثانى الوحيين فلنزج البحث الذى خاضه العلماء الأعلام ( ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ) قال الامام أمير المؤمنين الحافظ الحجة محمد بن اسماعيل البخارى : ( باب من مات وعليه صيام . وقال

الحسن : إن صام عنه ثلاثون رجلا يوما واحدا جاز • حدثنا محمد ابن خالد ، حدثنا محمد بن موسى ابن أعين ، حدثنا أبى عن عمرو ابن الحارث عن عبيد الله بن أبى جعفر أن محمد بن جعفر حدثه عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » تابعه ابن وهب عن عمرو ورواه يحيى بن ايوب عن ابن أبى جعفر أن محمد بن جعفر حدثه عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من مات وعليه صيام صام عنه وليه » تابعه ابن وهب عن عمرو ورواه يحيى ابن ايوب عن ابن أبى جعفر • حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا معاوية ابن عمرو حدثنا زائدة عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ان أمى ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟ قال : نعم قال : فدين الله أحق أن يقضى » قال سليمان فقال الحكم وسلمة ونحن جميعا جلوس حين حدث مسلم بهذا الحديث ، قالا : سمعنا مجاهدا يذكر هذا عن ابن عباس ، ويذكر عن أبى خالد حدثنا الأعمش عن الحكم ومسلم البطين وسلمة بن كهيل عن سعيد ابن جبير وعطاء ومجاهد عن ابن عباس « قالت امرأة للنبى صلى عليه وسلم ان أمى ماتت وقال عبيد الله عن زيد ابن أبى أنيسة عن الحكم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قالت امرأة للنبى صلى الله عليه وسلم ماتت أمى وعليها صوم خمسة عشر يوما » أ هـ •

ونظرا لأن المسألة خلافية بين أهل العلم فقد عبر عنها البخارى فى ترجمته بقوله ( باب من مات وعليه صوم ) ثم ساق الأحاديث الواردة ، ولان الكتاب المشبوه يحمل حملة شعواء على العمل عن الغير بغير أن يراعى كونها محل اجتهاد علماء المسلمين ومذاهبهم ( نعم مذاهبهم وهى مدارس خصبة يتسابق فيها الفحول من أجل استنباط الأحكام من النصوص فمرحى مرحى وتبا لمن يشنؤها ويلحاها ) •

ولم يزعم أحد ممن خالف ظاهر الحديث أن رياح الاسرائليات قد

هبت على البخارى الشريف فلطخته بخبائثها ، وكان من سمومها مثل هذه الأحاديث .

نعم لم يقل أحد وماكان ينبغى أن يتطاول عالم فضلا عن طالب علم فضلا عن أجنبى عن مناهج البحث فى مسائل الحديث ومشكلاته ، فضلا عن أمى لا يحسن كتابه اسمه صحيحا ، أقول ما كان لأحد أن يتطاول على صحيح البخارى لمجرد أنه أورد حديثا فى مسألة خلافية ، وقضية جزئية لم تحظ برضى المزاج العامر فاذا به يجأر صارخا يقيم الدنيا ويقعدها : اسرائيليات ، اسرائيليات اسرائيليات .

وهل ينصب الاتهام على قول الحسن البصرى رضى الله ( لو صام عنه ثلاثون ) أم على الحديث فان كان على الأول فان قول الحسن ليس مرفوعا، وانما هو أمر اجتهادى اقتضاه فهمه للنصوص ، ثم انه ليس موصولا من موصولات البخارى، وان كان هو من موصولات الدار قطنى فى كتاب المذبح (١) من طريق عبد الله ابن المبارك أن سعيد بن عامر وهو الضبعى عن أشعث عن الحسن فيمن مات وعليه صوم ثلاثين يوما فجمع له ثلاثون رجلا فصاموا عنه يوما واحدا أجزأ عنه .

قال النووى فى المجموع شرح المهذب : هذه المسألة لم أر فيها نقلا فى المذهب ، وقياس المذهب الاجزاء .

قال الحافظ (٢) ابن حجر : لكن الجواز مقيد بصوم لم يجب فيه التتابع لفقد التتابع فى الصور المذكورة .

وفى الحديث شهادة عالية على أن البخارى رجل فوق الشبهات والنوازع الخاصة ، ذلك أنه روى الحديث كما ترى روى الحديث عن محمد ابن يحيى الذهلى ونسبه الى جد أبيه اذ هو محمد بن يحيى بن عبد الله

---

(١) من أخطاء الطباعة التى تند عن عيون المحققين أن تأتى طبعات فتح البارى ومنها هذه العبارة هكذا ( كتاب الذبح ) وانما هو المذبح وخطأ الطباعة كتصحيف النساخ وقد ورد من هذا شىء كثير اشرنا اليه فى بحث ماض عن التخريج والاخراج من مجلة الأزهر .

(٢) فتح البارى ج٣ طبعة الأميرية و ج ٤ طبعة الحلبى .

ابن خالد ، وذلك لقصة وقعت بنيسابور بينه هو والامام مسلم ابن الحجاج القشيرى وبين محمد ابن يحيى هذا أتينا عليها فى بحوثنا الماضيةفى شروط الشيخين فليراجعه من أراد هذا مع أن شيخ محمد ابن يحيى وهو محمد بن موسى ابن أعين أدركه البخارى ، وكان يمكنه عزو الرواية اليه ، الا أن البخارى وان أدرك محمد بن موسى غير أنه لم يروعنه الا بالواسطة فكأنه لم يلقه ، وهو بهذا يطبق شروطه فى المعاصرة واللقاء والسماع على نفسه •

ولنعد الى الحديث متنا وفقها وما ورد فى حكمه من أقوال وأوجه تخصب الفقه وتثريه ، وسأبدأ أولا بايراد المدافعين عن فحوى الحديث والقائلين بوجوب أداء الولى عن الميت وعلى رأس هؤلاء الامام ابن حزم ، الذى يعد حجة عند معتنقى نحلة هذا الدعى ، بل انهم ليطيرون شعاعا بكل مخالفات ابن حزم لسائر الأئمة ويرجحونه عليهم يقول ابن حزم فى المحلى (١) :

مسألة : ومن مات وعليه صوم فرض من قضاء رمضان أونذر أوكفارة واجبة ففرض على أوليائه أن يصوموه عنه هم أو بعضهم ، ولا اطعام فى ذلك أصلا اوصى به او لم يوص به ، فان لم يكن له ولى استؤجر عنه من رأس ماله من يصومه عنه ولابد ، أوصى بكل ذلك أو لم يوص ، وهو مقدم على ديون الناس ، وهو قول أبى ثور وأبى سليمان وغيرهما ــ وهو يعنى بأبى سليمان شيخه داود بن على المكنى بأبى سليمان ــ وقال أبو حنيفة : ان أوصى أن يطعم عنه مكان كل يوم مسكين ، وان لم يوص فلا شىء عليه •والاطعام عند مالك فى ذلك مد مد ، وعند أبى حنيفة صاع من غير البر لكل مسكين، ونصف صاع من البر أو دقيقة ، وقال الليث كما قلنا ــ يعنى بالوجوب ــ وهو قول أحمد بن حنبل واسحق ابن راهويه فى النذر خاصة • ثم ساق الحديثين السابقين باسنادهما المتصل منه الى الامامين البخارى ومسلم ليبرهن على أنه خبر متفق عليه •

قال أبو محمد : سمعه الأعمش من مسلم البطين ، ومن الحكم ومن سلمة

---

(١) ج ٧ ص ٢ مسألة ٧٧٥ ومسألة ٧٧٦

وسمعه الحكم وسلمة من مجاهد وبه الى مسلم نا أبو بكر بن أبى شيبة وعبد بن حميد وعلى بن حجر السعدى قال أبو بكر : ناعبد الله بن نمير ، وقال عبد الله : ناعبدالرزاق أنا سفيان الثورى وقال على بن حجر : نا على ابن مسهر ، ثم اتفق ابن نمير وسفيان وعلى بن مسهر كلهم عن عبد الله بن عطاء المكى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : « بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتته امراة فقالت : انى تصدقت على امى بجارية وأنها ماتت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجب أجرك وردها عليك الميراث ، قالت : يارسول الله انه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها ؟ قال : صومى عنها قالت : انها لم تحج قط أفأحج عنها ؟ قال : حجى عنها » قال ابن نمير فى روايته : شهرين واتفقوا على كل ما عدا ذلك .

فهــذا القــرآن والسنن المتواترة المتظاهرة التى لا يحل خلافها وكلهم يقــول : يحج عن الميت ان أوصى بذلك ثم لايرون أن يصام عنه ، وان أوصى بذلك . وكلاهما عمل بدن ، وللمــال فى اصــلاح ما فسـد منهما مدخل بالهدى وبالاطعـام وبالعتق ، فلا القرآن اتبعوا،ولا بالسنن أخذوا ولا القيـاس عرفوا وشـغبوا فى ذلك بأشياء منها أنهم ذكروا قول الله تعالى ( وان ليس للانسـان الا ماسـعى ) وذكروا قول رسـول الله صـلى الله عليه وسلم « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : علـم علمه او صدقة جارية أوولد صالح يدعو له» ثم أحاديث فى هذا المعنى عن عبـادة ابن نسى ( بضم النون وفتح السـين بعدها ياء مشدودة ( مرفوعا ثم قال : وقال بعضهم : قد روى عن عائـشة وابن عبـاس وهمـا راويا الحـديث المذكـور أنهما لم يريـا الصوم عن الميت كما رويتم من طريق ابن أبى شيبة عن جرير بن عبد الحميد عن عبد العزيز بن رفيع أن امرأة منهم اسـمها عمرة أن أمها ماتت وعليهـا من رمضـان ، فقالت لعائشة : أقضيه عنها ؟ قالت : لا بل تصدقى عنهامكان كل يـوم نصـف صـاع على كـل مسكين ، واذا ترك لصـاحب الخبر الذى روى فهـو دليـل على نسـخه لايجـوز أن يظن به غير ذلك ، اذلو تعمد ترك ماروله لكانت جرحة فيه

وقد أعاذهم الله تعالى من ذلك، وقالوا لايصام عنه كما لايصلى عنه هذا كل ما موهوا به وهو كله لاحجة لهم فى شىء منه • أما قول الله تعالى ( وأن ليس للانسان الا ماسعى ) فحق الا أن الذى أنزل هـذا هو الذى أنزل « من بعد وصية يوصى بها أو دين وهـو الذى قال لرسـوله صـلى الله عليه وسلم(لتبين للناس مانزل اليهم) وهو الذى قال : ( من يطع الرسول فقـد أطـاع الله ) فصـح أنه ( ليس للانسان الا ماسعى ) وما حـكم الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم أن له من سعى غيره عنه وصوم عنه من جملة ذلك ، والعجب أنهم نسوا أنفسهم فى فى الاحتجاج بهـذه الآية فقـالوا ن حج عن الميت أو أعتق عنه أو تصدق عنه فأجر كل ذلك له ، ولا حق به ، فظهر تناقضهم •

فان قال منهم قائل : انمـا يحج عنه اذا أوصى بـذلك لأنه داخـل فيما سعى قلنا له : فقولوا بأن يصام عنه كما اذا أوصى بذلك لأنه فيمـا سـعى ، فان قالوا : للمـال فى الحج مدخل فى جبر مانقص منـه قلنـا : وللمال مدخل فى الصوم ، مدخل فى جبر ما نقص منه بالعتق والاطعـام ، وكل هـذا منهم تخليط وتنـاقض ، وشرع فى الدين لم يأمر به الله وهم يجيزون العتق عنه ، والصدقة عنه ، ولم يوص بذلك فبطل تمويههم بهذه الآية •

قلت : فهـل كان ابن حزم وكل هـؤلاء الجهـابذة من فحـول العلم وأسـاطين الفقـة يخوضـون فى الاسرائيليات خوضا حتى جاءهم هذا المفلوك ليعرض على المسلمين اسلاما جديدا غير الاسـلام الذى عرفته أمة محمد صلى الله عليه وسلم منذ كانت الى يوم الناس هذا ، اسلاما ليس فيه احاديث نبوية ، ولابخاريا ولامسلما، وليحرق هـذا كله بجرة قلم مع أن أقل كتاب من دواوين السنة المطهرة وأضـعفها جمعا وأوهاها أسـانيد مما قد يكـون فى الصف المائة من كتب التدوين أصح نسبة جملة وتفصيلا من كتب سادته المستشرقين ـ أعنى الكتب التى يؤمنون بهـا ويتدينون بهـا ، ويقيمون عليها كنائسهم وأبروشياتهم ـ ومـع ذلك لم يتمرد أحـد على تلك الكتب مـع مافيهـا من معـين ثرار للاسرائيليات والصـهيونيات ولم يقم أحـد ينعى عليهـا خصـائصـها تلك الا كافر بها غير معترف بقدسيتها•

أجل ، لم يهن الكفار كفرهم ، ولم يتمردوا عليه بالصورة الوقحة البشعة التى تطاول بها مدعوا الاسلام على ركائز الاسلام ، وأئمته وقادته الذين أوصلوا لنا قرآن ربنا وسنة نبينا ، فاذا قال ابن حزم : من الكبائر أن يقول قائل : بل دين الناس أحق أن يقضى من دين الله عز وجل وقد سمع هذا القول يعنى الحديث ، فان صامه بعض أوليائه أجزأ لعموم الخبر فى ذلك ، وان كانوا جماعة فاقتسموه جاز كذلك أيضا . الا أنه لايجزىء أن يصوموا كلهم يوما واحدا لقول الله تعالى ( فعدة من أيام أخر ) فلا بد من أيام متغايرة فلو لم يصم حتى مات فلا شىء على أوليائه ولا عليه ، لأن الأثر انما جاء فيمن مات وعليه صوم وهذا مات وعليه صوم لقول الله تعالى ( لا يكلف الله نفسا الا وسعها ) فاذا لم يكن فى وسعه الصوم لم يكلف .

قلت : وللعلماء تأويلات فى معنى الحديث الا أن يكون من الاسرائيليات ، فان القول بهذا فى مثل هذا المقام انما هو عمل مرتب محبوك فى معامل الصهونية العالمية ، لأجل أن يصيب العالم البهر وشدة العجب بأن تصل أصابع الصهونية الى صميم الصميم من دين الاسلام ، وتسيطر على عقول أئمته وتوجههم حسبما تراه ، هذه هى الطامة الكبرى التى يريدون أن يركزوا عليها ، وان يقنعوا العالم بها وان يثبتوها بالباطل بهذا الطنين الدائم فى آذان المسلمين حتى يحاصر المسلمون حصارا شديدا ، فلا يجدون أمامهم الا قرآنا مفسرا بالاسرائيليات ، ولا يجدون حولهم الا كتبآ أعظمها جميعا وأفخمها مكانة استطاع مفلوك أن يخرج ١٢٠ حديثا من الاسرائيليات . وليست هى كل ما يستقصى من البخارى من اسرائيليات انما هى ( عينة ) فقط !!

وهنا يتحقق حلم اسرائيل ومعامل التفريخ التبشيرى والاستعمارى من أعداء الاسلام .

اذ تهتز صورة التراث العريق فى عين المسلم ثم تضعف ثقته بما بين يديه

يديه من تعاليم وشرائع ، وأحاديث فيكون صالحا بعد ذلك لغرس كل خبيث وبذر كل بديل .

ألا ان هؤلاء المشككين بعامة بالسنة النبوية. ممن يزعمون أنهم أصدقاء القرآن أو ماأدرى من أسماء وشعارهم ( القرآن وكفى ) ألد أعداء للاسلام من أهل التثليث ألد عداء للاسلام من دعاة الالحاد ، لانهم يقوضون البيت من داخله على رأس أهله ، لتداخلهم فيهم ( يحلفون بالله أنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ، لو يجدون ملجا أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ) وكما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث الصحيحين عن حذيفة ( هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ) هؤلاء هم(دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها ) والله تعالى أعلم وهو الهادى الى السبيل الأقوم وللبحث فى النيابة بقية .

(يتبع) محمد نجيب المطيعى

---

**علام الهم ؟**

مر ابراهيم بن ادهم على رجل وجهه ينطق بالهم والحزن ، فقال ابراهيم : يا هذا انى أسألك عن ثلاثة فأجبنى . فقال له الرجل : نعم

فقال ابراهيم أيجرى فى هذا الكون شيء لا يريده الله ؟ قال : كلا . قال : افينقص من رزقك شيء قدره الله ؟ قال : كلا . قال : افينقص من اجلك لحظة كتبها الله لك فى الحياة ؟ قال : كلا . فقال ابراهيم : فعلام الهم ؟ .

# حكم التساؤل في مسائل العقيدة

للأستاذ يحيى هاشم فرغل

جاء في الأخبار أن بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يشعرون بأسئلة تتردد فى أذهانهم حول بعض المسائل الهامة فى العقيدة الاسلامية .

وكانوا يشعرون في نفس الوقت بأن هذه الأسئلة تعرض ايمانهم العميق السليم النقي لشيء من الخطر

أو يشعرون من ناحية أخرى بأن هذه الأسئلة فيها من الجرأة ما لا يتفق مع الحد الذى يجب أن يقف الأنسان عنده ، وفيها من التطاول مالا يتفق مع المقامات العليا التى تدور حولها هذه الأسئلة .

كانت هذه الأسئلة تتعرض لمسائل تدور حول ذات الله سبحانه وتعالى أو حول حقيقة البعث .. أو حول القدر .. أو غير ذلك من مسائل العقيدة الاسلامية أو أصول الاسلام.

ولذلك فانهم كانوا : في كثير من الأحيان ـ يقمعون هذه الأسئلة فى صدورهم بمقامع الايمان القوى الطاهر ويستفظعون أو يستعظمون أن ينطقوا بها ويترجموا عنها فهذا معنى قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به :

ومن هنا كان رد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم : ذلك صريح الايمان رواه مسلم .

والشيء الذى يصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ( صريح الايمان ) هو مايجدونه فى أنفسهم من الحرص على قوة عقيدتهم وسلامتها وما يشعرون به من التخوف واستعظام النطق بما يجدون ، لا الوساوس ذاتها .

ويؤكد لنا ذلك ما رواه الامام أحمد بسنده عن أنس بن مالك انه قال : «كنا نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء..فكان يعجبنا أن يجيء رجل من البادية يسأله ونحن نسمع » .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم ما عليه حال بعضهم . فلم يكن لينتظر بهم حتى يتكلموا أو لينتظر بهم حتى يرهقهم التساؤل المكبوت .

وانما كان ـ فى بعض الأحيان يبدأ بعرض المشكلة ويجيب عنها . يقول صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه : « يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا .. من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته » .

وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟ فيقول : من خلق الله ؟ فمن وجد فى ذلك شيئا فليقل : آمنت بالله ورسوله » .

فهذا سؤال عن ذات الله سبحانه وتعالى ، يدسه الشيطان فى قلب المؤمن ولقد أحسن رسول الله عليه صلى الله عليه وسلم أنه موجود فى صدور بعض المؤمنين ، وهو سؤال يتعرض له الكثيرون فى بعض أدوار حياتهم .

فماذا فعل رسول الله عليه وسلم ازاء من يجدون فى أنفسهم مثل هذا السؤال ؟

لم يتهمهم فى ايمانهم .. وانما دلهم على مصدر السؤال ليتخذوا منه موقف الايمان الصحيح .

• مصدره الشيطان ..

• ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رده وأوجز .

• ذلك أن هذا السؤال ، لا يصدر عن العلم أو عن العقل .

• كما لا يصدر عن الايمان .

فهو من الناحية العقلية أو العلمية خطأ فى أساسه .

أن تسأل قائلا : من خلق الله ؟

يشبه تماما أن تسأل قائلا : من الذى طبخ الطائرة ؟

ويشبه تماما أن تسال قائلا : من الذى زرع التليفون ؟

الطائرة لا تطبخ ..

التليفون لا يزرع ..

كذلك فان الله جل جلاله ، لم يخلق . ولا يخلق .. أنه موجود بغير أول ومن كان كذلك فانه لا أحد يوجده ولا أحد يخلقه .

• فالسؤال اذن خطأ فى أساسه .. ليس صادرا عن العقل ولا عن العلم .

• وليس صادرا عن طبيعة الايمان نفسها .

• لأن المسلم يؤمن باله خالق .. لا باله مخلوق .

• واذن فهو صادر عن قوة شريرة ، ضالة مضلة .. يجب أن نحتمى منها بالايمان والعقل .

• هو سؤال صادر عن الشيطان .

• ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يجد مثل هذا السؤال فى صدره : « فليستعذ بالله » أى من الشيطان .

• «فليقل آمنت بالله ورسوله» .

• هذا السؤال وأمثاله نجده فى السيرة والتاريخ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج كل حالة على حدة .. بحكمته وتوجيهه النبوى الكريم .

• سألوه عن بداية الوجود : فقال صلى الله عليه وسلم : «كان الله ولم يكن شىء غيره » .

• وسألوه عن القدر ، فأجاب الجواب الذى هو أولى من كل جواب غيره .. جواب من يرغب فى مواجهة الحياة لا فى الهرب منها . لأنها قدره أيضا . « قيل ( فيما رواه البخارى ومسلم ) يارسول الله : أعلم أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : نعم . قيل : ففيم يعمل العاملون ؟ قال : كل ميسر لما خلق له » .

• وسألوه عن البعث ، قال سائلهم : (فكيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلاء والسباع ؟ قال : أنبيك بمثل ذلك فى آلاء الله ، الأرض أشرفت عليها وهى فى مدرة ( يعنى الطين اليابس ) ثم ارسل الله عليها السماء فلم تلبث عليك الا أياما حتى أشرفت عليها وهى شربة واحدة ، ولعمر الهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض) .

• هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب على هذه الأسئلة بل يجيب على مايدور في نفوس البعض وان لم يتكلموا عنه - اذا لم تظهر عليها سمة العناد والمراء والرغبة في الظهور بالجدل والقدرة عليه •

• أما اذا كان المراد من الأسئلة الجدل والمراء الذى يتجاهل دواعى الايمان ولا تتوافر له دواعى الحاجة النفسية الحقيقية فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمنعه بحزم وقوة •

• يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمثال هؤلاء وهو غاضب : (ياأمة محمد..لا تهيجوا على أنفسكم وضح النار ) ثم يقول لهم : ( أبهذا أمرتكم ؟ أوليس عن هذا نهيتكم ؟ ) ثم يقول ( ذروا المراء لقلة خيره .. ذروا المراء فان نفعه قليل .. ويهيج العداوة بين الاخوان ، ذروا المراء لاتؤمن فتنته ذروا المراء فان المراء يورث الشك ويحبط العمل ، ذروا المراء فان المؤمن لايمارى • فكفى بك اثما أن لاتزال مماريا ، ذروا المراء فان الممارى لا أشفع له يوم القيامة، زروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة : فى وسطها .. ورياضها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق ذروا المراء فان الشيطان قد يئس من أن يعبد، ولكن رضى بالتحريش.. وهو المراء فى الدين ) •

والنتيجة التى نخرج بها من دراسة هذا الموضوع هى : أنه - صلى الله عليه وسلم - نهى أصحابه عن المراء.. ولم يقفل باب الجدل باطلاق ، وانما أقام عليه حدودا •

وفى داخل هذه الحدود :

يجرى الجدل مع الخصوم بقصد صرفهم عن أباطيلهم وادخالهم فى الدعوة اذا ما تبين استعدادهم لذلك

وفى داخل هذه الحدود : يجرى الجدل مع النفس .أو يجرى الجدل مع الآخرين من المؤمنين .. فى اطار الايمان بقصد طرد الوسوسات ، والتقوى على الشبهات ، بمالا يمكن للنفس أن تتقوى فيه بغير هذا الطريق •

**يحيى هاشم حسن فرغل**

# الرسول محمد ... والتعاون الإسلامي

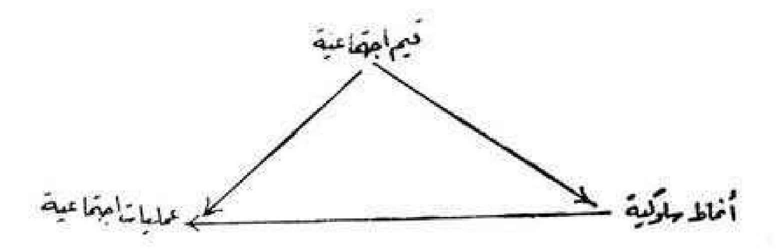
للدكتور زيدان عبد الباقي

تتميز الدعـوة المحمدية بالتكامل فى كل أجزائهـا ، من العقيـدة الى العبادة والخلق والمعاملة ونظم الحياة والروابط العائلية والمدنية والانسانية وتلك يطلق عليها علم الاجتماع اسم « العمليات الاجتماعيـة » وفى هذا المقال سوف نتناول دور الرســـول الكريم فى تحديد خصائص العمليات الاجتماعية ــ وأنه لم يكن هذا التعبير معروفا يومئذ ــ والدعوة الى التمسك بالجوانب الايجابية منها حتى يرقى المجتمع ويتقدم الى الأمـام • وحتى تكون الأمة الاسـلامية كما جـاء فى القرآن الكـريم « كنتم خـير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعـروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

هذا وتقوم الحياة فى المجتمع ــ كما يرى علم الاجتماع ــ على اشتراك أفراده فى أداء الأنشطة التى يتطلبها اسـتمرار المجتـمع • ومن خـــلال ممارسة هذه الأنشــطة يلتقى الناس ليعملوا معا ، وليتبادلوا المنافع • ومن خلال هذه اللقاءات يحدث ما يسمى بالتفاعل intevacrion وهذا التفاعل قد يكون ايجابيا وقد يكون سلبيا • والتفاعل بنوعيه يؤدى الى ما يسمى بالتيلية Tele اى ما يؤدى الى تكوين علاقة بين المشتركين فى هذا التفاعل ، وتكون لهذه العلاقة نفس صفة التفاعل بمعنى أنه اذا كان التفاعل ايجابيـا كانت العلاقة ايجابية واذا كان التفاعل سلبيا كانت العلاقة سلبية •• الخ • وهذه العلاقات هى عمليات اجتماعية Social Processes ويرى بعض المفكرين أن العلاقات الاجتماعية هى نتيجة مباشرة للتفاعلات أو العمليات الاجتماعية •

فاذا عرفنا أن الجماعة الانســانية أينما وحيثما وجدت فان التيلية الاجتماعى sociotele يتحـول فيما بينهم الى

خيوط للارتباط الاجتماعي - أي العلاقات التي تكون أساسا لعملية التفاعل الاجتماعي ونمو الجماعة وتمايز تركيبها . ونوعية هذا التفاعل تعتمد على القيم السائدة في الجماعة وعلى نوعية سلوك أفرادها ، والشكل التالي يوضح دائرة التفاعل الاجتماعي للاستجابات الاجتماعية لبقية أفراد الجماعة ، سواء كانت هذه الاستجابات موجبة أو سالبة . وقد نجد أحد أفراد الجماعة أو أكثر قد رضي بالعيش على هامش الحياة الاجتماعية للجماعة ، وأصبح بعيدا عن بؤرة التفاعل الاجتماعي للجماعة . ويوصف




وهذه الجماعة سواء أكانت أسرة أو فصل دراسي أو مجموعة من الشبان الصغار الذين يقفون على نواصي الشوارع أو فريق من فرق الألعاب الرياضية في أحد النوادي الرياضية أو جماعة من جماعات العمل . فان طبيعة التفاعل الاجتماعي تحدد نوعية العمليات الاجتماعية . وبالتالي تحدد الدور الذي يؤديه داخل الجماعة ، وبذلك يصل بعض الأفراد الى بؤرة التفاعل الاجتماعي ، أو في مراكز قريبة من تلك البؤرة ، ويصبحوا هدفا مثل هذا الفرد بأنه « منعزل » وقد تضطر الجماعة ازاء عدم تفاعله معها الى عزله ، فيوصف بانه « معزول » وموقف مثل هذه الجماعة قد يسمح لبعض أفرادها بالأمن والطمأنينة في علاقاتهم مع الآخرين . وقد يؤدي الى معاناة الآخرين من القلق والاضطراب نتيجة للرفض الاجتماعي أو الاحباط Frustration مع باقي أفراد الجماعة .

والعمليات الاجتماعية اذا حللناها من زاوية التنبيهات المتبادلة والاستجابات

بين الأشخاص والجماعات نجد أن الأشكال الرئيسية للتفاعل هي : التعارض (ويشمل التنافس والصراع) والتعاون ••• أما الانعزال Isolation الاجتماعى •

فهو درجة الصفر للتفاعل

هذا ويمكن تعريف التفاعل الاجتماعي بأنه « مجموعة من الأفعال وردود الأفعال التى تصدر عن أفراد الجماعة فى موقف من المواقف الاجتماعية » والتفاعل الاجتماعى بهذه الصورة يؤدى الى تمايز تركيب الجماعة وتكوينها نظاميا ، بمعنى أن تفاعل الأفراد عمليا أو لفظيا أنمايؤدى الى ظهور الزعامات والقيادات داخل الجماعة ويؤدى كذلك بالتبعية الى اعادة تنظيم مجال الجماعة تبعا للقيادات التى ظهرت فيها ، وتفاعل الأفراد يؤدى الى ظهور المهارات الفردية والسلوكية والقدرات الاجتماعية التى يمكن أن تستفيد بها الجماعة •وبالتالى يكون تمايز وتنظيم فى تركيب الجماعة نتيجة لتفاعل أفرادها •

ولما كانت القيم الاجتماعية ـ باعتبارها الأساس الثانى فى تكوين العمليات الاجتماعية بعد التفاعل ـ تمثل المراكز النشطة فى النسق الاجتماعى النفسى لكل فرد ، والذى يستقبل الأحداث المادية بصورها المختلفة ثم يقوم بعملية انتاج السلوك الذى يقود بدوره الى تكوين العمليات الاجتماعية فى مختلف الجماعات ، فان تلك القيم هى التى توجه سلوك الفرد فى حياته اليومية •

والقيمة الاجتماعية فى أبسط صورها تنشأ وتتكون فى مواقف المفاضلة والاختيار حيث يتحتم على الفرد اختيار أحد حلين بقدر ما تسمح به استعداداته وامكاناته • وكلما ازدادت خبرة الانسان بمواقف المفاضلة زاد رصيده من القيم الاجتماعية التى تصقلها الأيام يوما بعد يوم الى أن تتحول الى نسق يستطيع عن طريقه الحكم على الأشياء والأحداث •

هذا وتعرف القيم الاجتماعية بأنها « مجموعة من الاتجاهات العقلية التى تكون فيما بينها نسقا System شبه مقنن Standardized يستخدمه الفرد فى قياس وتقدير المواقف الاجتماعية » والقيم الاجتماعية بمقتضى هذا التعريف تتطور مع الأيام الى وحدات معيارية فى « الضمير

الاجتماعى ، لدى الانسان ، وأثناء هذا التطور والنمو تأخذ القيم الاجتماعية صفة الثبات النسبى ، وتحديد أشكالها ( ايجابية أو سلبية ) ذلك أن القيمة هى التى تنتج السلوك ، والسلوك (التفاعل الاجتماعى) هو الذى يؤدى الى تكوين شبكة من العمليات الاجتماعية، وهذه الأخيرة تؤدى مرة أخرى الى التأثير فى تكوين القيم الاجتماعية وتطويرها .

والأساس الثالث لتكوين العمليات الاجتماعية هو قنوات الاتصال بين أفراد الجماعة،وقنوات الاتصال هذه تقوم بتوصيل التفاعل من نقطة الى أخرى فى مجال الجهد الاجتماعى لربط تلك النقاط بعضها البعض لتكوين شبكة من العمليات الاجتماعية فى الجماعة . واللغة سواء أكانت منطوقة أو رمزية ، أى تعتمد على الرموز والاشارات ، أو لغة مكتوبة مثل النشرات والمؤلفات ، وما الى ذلك أو لغة وسائل الاتصال الجمعى مثل الراديو والتليفزيون والصحافة والسينما ... التى هى قنوات الاتصال الرئيسية ، وهى فى نفس الوقت التى تحدد نوع وطبيعة العمليات الاجتماعية فى أى جماعة من الجماعات .

وعن طريق قنوات الاتصال هذه يمكن احداث الضغوط الاجتماعية المختلفة التى تؤثر فى القيم السائدة ، وبالتالى يتأثر السلوك البشرى والتفاعل الاجتماعى ، فينتج نوعا من العمليات الاجتماعية يتناسب فى الكيف والمدى مع الوسائل والضغوط . ومن هنا فان القيم تعتمد الى حد ما على الضغوط الاجتماعية التى تحدث عن طريق وسائل الاتصال الجمعى والفردى .

## النبى والعمليات الاجتماعية :

نتيجة للأهمية الواضحة للعمليات الاجتماعية كعمليات مجمعة Associative Processes تؤدى الى الترابط والتماسك فى المجتمع اذا كانت ايجابية مثل التعاون، التنافس، التنشئة الاجتماعية ، التمثيل، التكيف الاجتماعى .. أو كعمليات متفرقة أو مفككة Dissociative Processes تؤدى الى الاضطراب والفوضى فى المجتمع مثل الصراع ، الكراهية، الطلاق،والحرب ...الخ. فقد كان لمثل تلك العمليات أهمية واضحة تبدو محددة فى توجيهات سيد الرسل صلوات الله وسلامه عليه على النحو التالى :

### ١ - التعاون..عملية اجتماعية:

ويقصد بالتعاون أن يعمل اثنان أو أكثر سويا من أجل تحقيق هدف مشترك . وعلى سبيل المثال يتعاون الناس من أجل الحصول على كسب مشترك أو للدفاع عن أنفسهم أو لمساعدة الآخرين ... الخ وكذلك تعاون الشعوب لنفس الأهداف مثل تعاون الدول العربية من أجل صد الأطماع الصهيونية أو من أجل تقليل نهب شركات البترول لثروات البترول العربى عن طريق الانضمام لمنظمة الدول المصدرة للبترول ... الخ . وكلما كان التعاون لمثل هذه الأهداف فهو تعاون ايجابى ، أما اذا كان التعاون من أجل تحقيق أهداف هدامة مما نهى الله عنه فهو تعاون سلبى .

وعن التعاون جاء فى القرآن الكريم « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » كما أن الرسول الكريم وهو يؤسس المجتمع الاسلامى الأول عمل على أن يغرس فى نفوس أفراد هذا المجتمع القيم الاجتماعية السليمة ومكارم الأخلاق ... وجدير بكل مسلم أن يترسم خطى نبينا صلوات الله وسلامه عليه الذى جاءنا بالاسلام عقيدة وعملا، مسجدا ومجتمعا .. وأراد لأتباعه أن يكونوا نماذج طيبة وعناصر صالحة بما غرس فيهم من قيم خلقية ومبادىء فاضلة . والمسلم الذى يتمسك بكل هذا لا يكون منعزلا عن مجتمعه ولا سلبيا فى حياته . انما المسلم الذى يتمسك بهدى نبيه هو الذى يعايش الناس ، أى الذى يمارس مع مواطنيه كل العمليات الاجتماعية بالمعروف . ويتجاوب مع كل عمل طيب فيه تعاون لخير المجتمع كله .

فالعلاقة بين العبد وربه لا ينبغى أن تبقى عقيدة مستترة فى ضمير الفرد، وانما ينبغى أن تكون لها مظاهرها العملية يعرف بها المسلم من غيره . ذلك أن العقيدة الاسلامية والتوجيهات النبوية تبنى المجتمع الاسلامى على البر والتقوى ، ولذلك فان النبى صلى الله عليه وسلم اهتم بعلاقة المسلم بأخيه فى الانسانية وبضرورة قيامها على العدل ، ونهى عن ظلمه بقوله « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن تركه يجوع ويعرى وهو قادر على اطعامه وكسوته فقد أسلمه ،

والاسلام بما أفترض من زكاة انما ليكون هناك تكافل (تعاون) اجتماعى بين أبناء الامة الاسـلامية • ونرى التوجية التعاونى السديد للمسلم فى كل معاملاته ، فقد أوجب عليه الصدق عند البيع والشراء ، وان تكون معاملاته قائمة على الأمانة والاخلاص • فالتعاون فى هذه الامور هو الأرض الخصبة الصالحة لنمو العواطف الانسانية التى تؤدى الى الترابط بين القلوب على أسس من الأخوة والمحبة ، لا سيما وان الرسـول الكريم شبه الامة الاسـلامية « بالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وهذا التشبيه يقصد به أن يكون « التألم » ايجابيا «تعاونيا» وليس لفظيا ، وتتأتى الايجابية بعمل الآخرين قدر جهدهم على تخفيف آلام النـاس بمشاركتهم أتراحهم قبل أفراحهم • وقد عبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك بقوله « من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة » والتيسير هنا هو أرقى صور التعاون • وفى حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام « ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله سبحانه وتعالى لمن أطعم الطعام وأفشى السلام، وصلى بالليل والنـاس نيام » وهـذا الحديث الشريف يبين منزلة الانسان العطوف الودود الذى يمد يده بالاحسان ويحرك لسانه بحلو الكلام، المصلى والناس نيام ، فعلاقة المسلم بربه تفرض عليه أن يكون متعاونا بصورة ايجابية مع بقية النـاس فى المجتمع •

وينفر الرسول الكريم من التعاون السلبى بقوله « لا يكن أحدكم امعة ، يقول أنا مع الناس ، ان أحسن الناس أحسنت ، وان أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تتجنبوا اساءتهم » ويضيف عليه الصلاة والسلام الى ذلك قوله « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران خيرهم لجاره » ••• وتلك أرقى صور التعاون الاسلامى • فالتعاون هو أحد الأسس الرئيسية للمجتمع الاسـلامى • والمجتمع الاسلامى هو المجتمع المتآخى، المتعاطف، الكل فيه يعرف ما له وما عليه نحو أشقائه فى المجتمع •

والقرآن الكريم يقول : «المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله» .

ومن أرقى صور التعاون الاسلامى تلك التى أمر الله بها فى الحرب فى قوله تعالى : «واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ، فلتقم طائفة منهم معك ، وليأخذوا أسلحتهم ، فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة، ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا » .

تلك هى بعض نماذج لصور التعاون الاسلامى ، باعتبار التعاون من أولى العمليات الاجتماعية التى يحرص علم الاجتماع على التعمق فى دراستها ... وفى المقال التالى سوف نتناول التنشئة الاجتماعية كعملية اجتماعية وهكذا حتى نأتى على كل العمليات الاجتماعية .

د . زيدان عبد الباقى

# خليج بين الإسلام والمسلمين [1]

للأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله : أما بعد : سادتى واخواتى : أنا سعيد بهذه الزيارة التى أكرمنى الله بها وقد كتب الله لى زيارات عدة ، زيارة تلو أخرى للجزيرة العربية ، وللحرمين الشريفين ، ولكننا نعتبر الجزيرة كلها حلقة واحدة وامتدادا لرسالة واحدة ولدعوة واحدة ، ولمائدة واحدة ـ اذا صح التعبير ـ لذلك لا أشعر هنا ، وأنا بين ظهرانيكم ، وفى بيت من بيوت الله ، بأننى فى حاشية من حواشى هذه الجزيرة ، بعيدة عن قلبها ، وعن مركزها ، بل أشعر بأنى واقف فى ظل الكعبة ، وفى رحاب البيت العتيق ، فاذا لم تكن الكعبة واذا لم تكن الرسالة المحمدية ، لما كان بين مسلم ولد بعيدا ونشأ بعيدا عن مركز الاسلام ، وبين هذه الجزيرة صلة وشيجة ، ورباط حب واجلال ، فهذه الجزيرة كلها فى تاريخها الجديد الذى يبتدىء من ظهور الاسلام وحياتها ونهضتها الحقيقية تدين لمكة ، وبالأصح لابن مكة الخالد الذى حمل الأمانة المقدسة ، وأوثر بالرسالة الأخيرة ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى صلى الله عليه وسلم .

اننى أعرف رجالا فى تاريخ الاصلاح والتجديد ، وفى البطولات الاسلامية ، والبعث الاسلامى الجديد ، كانوا يعيشون فى حلم لذيذ ، وهو أنه ستقدر لهم زيارة لمكة والمدينة ، وكان الزمن زمن السفن الشراعية ، فكانوا اذا وقع بصرهم على أول قطعة من هذه الجزيرة ، التى انبثق منها النور ، وطلع منها الصبح الصادق للانسانية بالمعنى الحقيقى ليس بالمعنى الأدبى ، قطعة قاحلة تتراءى من بعيد ، كأنه

---

(١) نص المحاضرة التى ألقاها سماحة الشيخ فى دولة الامارات العربية وقد خص بها مجلة الأزهر الشريف .

هلال العيد ، خروا لله سجدا ، يحمدون الله تبارك وتعالى على أنه أفسح فى حياتهم ، حتى نالوا هذه السعادة ، وأقروا عيونهم برؤية بلاد العرب ، وقد كانوا يعتبرون هذه القطعة الأرضية قطعة من قلوبهم ، وفى الحقيقة نحن كلنا عربا وعجما متطفلون على فتات هذه المائدة ، عائشون فى ظل هذه الجزيرة أينما كنا ، بل ليس العالم الاسلامى كله من أقصاه الى أقصاه ، من جبل الأطلس الى المحيط الهندى ، الا امتدادا لهذا الظل الكريم ، ولهذا الحادث التاريخى ، الذى كان خطا فاصلا بين عهدين ، وبين عقليتين ، وبين نفسيتين ، وبين الحياتين ، وبالأحرى بين حيوانية وانسانية ، بين موت وحياة ، بين وجود وفناء ، وبين اسلام وجاهلية ، فنحن اذا تحدثنا اليكم تحدثنا الى نفوسنا وقلوبنا وعقولنا وضمائرنا ، واذا تحدثنا اليكم تحدثنا عن كل ما ينطوى عليه وجودنا ، من عقل وتفكير ، ومشاعر وأحاسيس ، وعاطفة ووجدان ، ومعان كريمة لا يأتى عليها الحصر .

اخوتى وسادتى ! اننا هنا فى امارة من امارات الخليج العربى ، والخليج هو الماء الذى يدخل فى بر فيفصله بين جزئين ، وأنتم أعرف بمعانى الخليج ، وما يضمره من معان ونتائج ، وأبعاد وآماد ، من الذين ما شاهدوا خليجا ، وما شاهدوا فجوة أو حاجزا مائيا بين برين ، فهل تصدقون اذا قلت لكم : هناك خلجان معنوية ، وفجوات واسعة بين الأمم والجماعات الانسانية ، وبين الأديان التى تعلن أنها تؤمن بها ، وعقائدها التى تزعم أنها تدين بها ، ومبادئها التى تعتقد أنها تتمسك بها ، وقد تكون هذه الفجوات والخلجان أعمق وأوسع من هذه الخلجان المائية الجغرافية التى أوجدها الله منذ آلاف من السنين ، انكم تعرفون نوعا واحدا من الخلجان ، وهو الخليج الذى تعيشون على ساحله ، ولكن هناك خليجا آخر أكثر خطرا ، وأطول مدى ، وأشد عمقا من خليجكم ، هو الخليج الذى قد يقع فى بعض الأحيان بين الاسلام والمسلمين .

يا أهل الخليج العربى ! انى أحدثكم عن خليج لعلكم لم تتصوروه الى الآن ، مع أنا كلنا نعيش فى هذا المعنى ، وهو الواقع الذى يعيشه العالم

الاسلامى ، وهو أن هنالك فجوة بين الاسلام والمسلمين ، قد تكون أكثر خطرا من هذه الخلجان التى تفصل بلادا عن بلاد ، وبرا عن بر ، وقطعة من أرض عن قطعة أخرى من الأرض ، وكان يجب أن لا يكون هناك خليج وأى فاصل بين الاسلام والمسلمين ، بل يجب أن يكون الاسلام ممثلا فى المسلم ، ويكون المسلم هو الاسلام الذى يسعى على قدميه ، اذا قيل لانسان : ما هو الاسلام ؟ أشار بكل سهولة الى أى مسلم ، واثقا بأنه يفسر الاسلام تفسيرا صحيحا ، ويصوره تصويرا دقيقا ، هكذا كان المسلمون فى الصدر الأول ، يقول الله تبارك وتعالى فى قصة الافك : « لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ، وقالوا : هذا افك مبين » (١) هذه ثقة المسلم بالمسلم ، الثقة التى لانظير لها فى المجتمع البشرى ، وفى تاريخ الأخلاق وعلم النفس .

يقول الله تبارك وتعالى فى هذا الحادث مخاطبا للمسلمين ، لماذا لم تستعرضوا حياتكم وأخلاقكم حين وجهت التهمة الى فرد من أفرادكم ، ثم قلتم فى ثقة واعتزاز ، وفى قوة وجراءة ، لا يمكن أن يقع المسلم فى هذا الحضيض ، اننا نربأ به عن هذه السفالات ، عن هذا المستوى الخلقى، عن هذا الهبوط ، لأننا نربأ بنفوسنا عن أمثالها ، انه اذا سمع أى تهمة توجه الى أى عضو من أعضاء المجتمع الاسلامى ، كان يجب أن يقول : لا ، لا ! ما يمكن ، لأنى لا أستطيع أن أفعل كذا ، فأنا أقول بثقة : ان أخى المسلم لا يستطيع أن يفعل كذا ، هذا معنى " المسلم مرآة المسلم " وهذا هو المجتمع المثالى الذى لم يشاهد التاريخ أفضل منه .

ولكن ، ماهكذا كان أيها الاخوان ! بل وقع نوع من الفجوة بين الاسلام والمسلمين ، فقد يكون الاسلام فى واد ، والمسلمون فى واد ، وقد لا يكون هناك قنطرة تصل بينهما ، وقد أصبحنا بسبب ما يشبه الفجوة الواقعة بين الاسلام والمسلمين ، وهذا الخليج الحاجز بين حياة المسلمين الواقعية

---

(١) سورة النور الآية ١٢

وبين تعاليم الاسلام الحقيقية حجة على الاسلام والقرآن وسبة وعارا لا عزا وفخارا لأسلافنا العظام وآبائنا الكرام ، بل قد تبعد المسافة أحيانا بيننا وبين الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فكثير من مظاهر حياتنا وسلوكنا ، وأخلاقنا ومثلنا ، لايتفق مع البعثة المحمدية ، ورسالتها الجليلة ، وأهدافها النبيلة ، وتعاليمها السامية ، ومثلها العليا ، بل يقع ــ مع الأسف ــ كثير من أفرادهذه الأمة،فى بعض الأزمنة والأمكنة ، فريسة الشرك ، والعقائد الباطلة ، والعادات الجاهلية ، يقتبسونها من الشعوب المجاورة ، ويقلدون فيها الأمم الجاهلية ، ويتبعون سنن من كان قبلهم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع (١) ، كما أخبر بذلك لسان النبوة ، وأسف كثير من أفرادها الى مالم يكن يتصور المسلمون فى الزمن السابق ، فى عبادة النفس والشهوات والشيطان والمال والجاه والسلطان ، حتى حق للمسلم أن يستحى من نسبته الى نبيه صلى الله عليه وسلم ويرى فى ذلك اساءة الى مقامه الرفيع .

وقد أجاد شاعر الاسلام محمد اقبال فى تصوير هذه الحقيقة ، والواقع الذى يعيشه المسلمون الآن ، فى غالب أجزاء العالم الاسلامى ، وبلاده ودوله ، ، ومجتمعاته ، فقال وهو يتمثل وصوله الى المدينة المنورة فى رحلته الخيالية الشعرية ، التى حكاها فى ديوانه « أرمغان حجاز » ( هدية من الحجاز ) ومثوله أمام الرسول ، وما فاضت به قريحته من نجوى وشكوى ، وتصوير حال المسلمين ، فقال : « لقد نصبنا جباهنا أمام الخلق ، وما سوى الله ، واسترسلنا فى تعظيم غير الله ، والخشوع له مثل العلوج (٢) اننى لا أشكو أحدا ، انما أشكو نفسى واخوتى ، وجملة القول أننا ماكنا جديرين بك يا رسول الله (٣) » .

---

(١) جاء فى حديث صحيح : « عن أبى سعيد الخدرى : لتتبعن سنن من قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا. حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » (رواه البخارى) وفى رواية له عن أبى هريرة : « لا تقوم الساعة حتى تأخذ امتى بأخذ القرون شبرا بشبر وذراعا بذراع » .

(٢) العلوج : جمع علج ، وهو الرجل القوى الضخم من كفار العجم .

(٣) « الطريق الى المدينة » منقولامن ( أرمغان حجاز ) .

وليس هذا الخليج الذى قد يقع بين الاسلام والمسلمين محدودا بين الحكومات ، والأحكام الاسلامية ، والتعاليم النبوية ، فليست الحكومات الاسلامية وحدها هى التى لاتطبق الاسلام فى دائرة نفوذها تطبيقا أمينا دقيقا ، وتحكم فى غالب الأحيان بغير ما أنزل الله ، وقد اعتاد كثير منا أن يلقوا كل مسئولية على هذه الحكومات ، ويتخلوا عنها ، ولكن الواقع أن هذا الخليج ـ بين الاسلام والمسلمين ـ اخترق البيوت والمنازل، والعلاقات بين الأفراد ، والأحوال الشخصية ،والعقود والمعاملات ، والأسواق والمكاتب ، فنحن لا نطبق الأحكام الشرعية الاسلامية والقانون الالهى ، فى الأمور والقضايا التى نملك فيها كل حرية وتصرف ، ولا تمنعنا قوة عن العمل بأحكام الاسلام وتعاليمه ، وأسوة الرسول صلى عليه وسلم ووصاياه ، وذلك لأنه ضعف الدافع ( وهو الايمان ) الذى يدفعنا الى تطبيق الأحكام الشرعية على حياتنا ، وقوى الايمان بالمصالح الشخصية ، والمنافع الدنيوية ، فعطلنا شريعة الله فى بيوتنا ، وفى حياتنا الفردية والاجتماعية ، من غير أن يجبرنا أحد على ذلك .

وبذلك أساء المسلم اساءتين: اساءة الى نفسه واساءة الى الانسانية، أساء الى نفسه أنه حرم تلك الجائزة التى وعد الله بها المسلم ، لأن هذه الجائزة ، وهذه المواعيد الالهية . كانت منوطة بالحقائق ، لم تكن منوطة بالصور والأشكال ، والدعاوى والأقوال ، والأسماء والألقاب ، ان الله سبحانه وتعالى يقول : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » (١) هذه كفالة من الله ، ولكنه يقول : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » (٢) ، ولكن متى ؟ يقول الله تعالى : « يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » (٣) ، فكل الوعود الالهية مرتبطة

---

(١) آل عمران الآية ١٣٩

(٢) ، (٣) النور الآية ٥٥

بالحقائق ، لا بالأشكال ، ان الله سبحانه وتعالى لم يعد بشيء على الصورة الظاهرة ، بل قال عن بنى اسرائيل : « ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ، وما أنزل اليهم من ربهم ، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » (١)وقال : « وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » (٢) ، هذه كلها مطالبات بتحقيق الحقائق،ان الله سبحانه وتعالى لم يعد بشيء على الدمى والتماثيل ، أو تجسيمات بالحجر والجبس ، ان الله وعد على الحقائق ، وعلى ذلك يسير نظام الكون كله .

انكم تعرفون جميعا أن الانسان اذا علق لافتة فخمة كبيرة ، مكتوب فيها بقلم عريض « دكان عطار أو صيدلية » ثم لا توجد هناك أدوية ، فهل تغنى هذه اللافتة الكبيرة التى تستلفت الأنظار ، هل تصدقون أنه اذا كان هنالك بناء خاو على عروشه لا يسكنه أحد ، ولكن لافتة كبيرة مكتوبة عليها « المعهد الفلانى » أو « الكلية الفلانية » أو « الجامعة الفلانية » ، هل تغنى هذه اللافتة ؟ ! هل تصدقون اذا كان هناك رجل نحيف ناحل ، يصفق جسمه فى الثياب ، وتحركه الرياح ، هيكل بال ، ثم يعلن عن نفسه أنه مصارع كبير ، وأنه بطل عملاق ، وأنه قائد جيش ، وأنه اللواء فلان ، وأنه المشير فلان ، هل يغنى عنه ذلك شيئا ؟ اذا دعاه أحد الى المبارزة ، فهل يغنى اعلانه ، وهل يغنى عنه هذا الاسم الكبير ، الذى يحمله ؟ لا ! لأن الله ربط نظام الكون ، كما ربط نظام الشرائع والأديان السماوية، بالحقائق لا بالأشكال ، اذاكنا فى أيام برد قارس فى الشتاء ، وكانت أمامنا صورة نار ملتهبة ، قد أبدع فى تصويرها المصور الحاذق ، بريشته الفنانة البارعة ، حتى تراءت هذه النار نارا حقيقية من بعيد ، ولو كان ذلك كالصرح الممرد من قوارير ، الذى بناه نبى الله سليمان عليه السلام ، امتحانا لملكة سبأ ، « قيل لها : أدخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة

---

(١) المائدة الآية ٦٦

(٢) الجن الآية ١٦

وكشفت عن ساقيها » (١) ، فقيل لها انه صرح ممرد من قوارير كذلك أبدع مصور فى تصوير هذه النار الملتهبة ، يرتفع لهيبها الى السماء ، والمظهر مظهر نار ملتهبة ، ولكن هل يستطيع الانسان أن يتدفأ بها ، يضع هذه النار الملتهبة أمامه ، ويستدفىء بهذه النار ، ويستعين بها على هذا البرد اللاذع ، هل يعتبر هو عاقلا أم مجنونا .

فلماذا تطلبون من سورة النور حقيقة النور الذى هو من الله ، أنتم تطلبون من المشاعل المصطنعة التى خمدت نارها ، واحترقت ذبالتها ، ونفد زيتها ، ما يطلب من الذبالة التى تستمد قوتها ونورها من النور الذى لا ينقطع ولا ينطفىء « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم » (٢) .

ثم هنالك مصيبة أخرى ، نحن نؤدى ضريبة الاسلام ، ويمكنكم أن تقولوا غرامة الاسلام ، فنحمل الاسم العظيم ، الاسم الاسلامى الفخم ، وبذلك نستحق من الأمم والشعوب الحروب الطاحنة . والمعاداة التى لا نهاية لها . والمؤامرات التى لا آخر لها ، والعداء والحقد الشديد ، ولكننا لا نتشرف بالجائزة ، لأننا لانحمل الحقيقة ، نحن دفعنا قيمة الاسم ، ولم نتسلم جائزته ، هذا شقاء عظيم ، الطفل يضرب لأنه قد دخل فى المدرسة ، وانتسب اليها ، ولا يعطى الجائزة ، لأنه لم يحفظ الدرس ، ولم يهيئه ، فماذا كان حظه ؟ حظه الضرب المهين ، حظه الهراوة التى تنزل عليه ، لأنه قد انخرط فى سلك الطلبة ، ولكنه لم يعد نفسه لهذا الشرف ، فيكون طالبا مجدا مجتهدا ، فانفرد بالغرامة دون الجائزة ، يقولون « الغرم بالغنم » ولكن هنا غرم ولا غنم ، فنحن كلنا هدف عداء طويل ، هدف أحقاد لا نهاية لها ، هدف حروب تشتعل ، هدف مؤامرات تتجدد ، وكل هذا

(١) النمل الآية ٤٤
(٢) النور الآية ٣٥

فى سبيل الاسلام ، لأننا نحمل لافتة الاسـلام ، وتفرض علينا ضريبة الدكاكين ، ولكنا لا نملك فى هـذا الدكان شيئا نبيعه ونربح به ، ونتعيش به ، فما أشقى هذا التاجر الذى علق لافتة استحق بها المكس والضريبة ، والجباية على الدكاكين والتجارات ، ولكنـه لم يعتن بأن يضـع فى دكانه بضاعة تشترى ، ويربح بها ، ويقوت نفسه وعياله ، فهو التـاجر الشقى •

الفلاح تفرض عليـه ضريبـة من الحكومة لأنه فلاح،ابن فلاح بن فلاح، عريق فى الفلاحة ، ولكنه لا يزرع شـيئا ، ولا يصـب عرق جبينـه ، ولا يستخدم كد يمينه لمهنته ، عاطل مشلول ، عاجز كسـول ، يبقى فى ركن من أركان بيته ، فاذا جاءت أيام الحصـاد ، وحصد الناس ، فرضت عليه ضريبـة الفلاحة ، لأنه فلاح ، كذلك نحن المسلمين أبناء المسلمين ، وأحفاد المسلمين،عريقون فى الاسلام، فمفروض علينا أن ندفع هذه الضريبة، ضريبة التسمى بالاسلام ، ولكننا يجب علينا أن نتحلى بحقيقة الاسلام كذلك، حتى نستحق الجائزة الكاملة ، ولكن اذا آن أوان الجـائزة فقـدنا ، كأنه لا وجود لنا ، ولم يعترف بنا ، واذا جاء أوان الحصاد ، وأوان الضرائب والاتاوات ، بحث عنا ، فوجـدنا ، فما أشقانا ، نحن نسيء الى نفوسنا أكثر مما يسيء اليها أعداؤنا •

أما الاساءة الى غيرنا ، فقـد وقفنا حاجزا بين الاسلام المشرق الصافى ، الخلاب للعقول ، الجذاب للنفوس ، وقفنا حاجزا بين هذا الاسلام الحنيف، المشرق الوضـاء الجميل وبين هؤلاء الحيارى من غير المسلمين التائهين من الأوربيين وغـير الأوربيين ، فاذا لم نكن وكان الاسلام مدونا فى كتاب ، ربما كان الطريق أيسر لهم للوصول الى الاسلام ، والاهتداء به ، ويروى عن السيد جمال الدين الأفغانى أنه عندما رجع من زيارة أوربا ، قيل له: هل لك أمل فى اسـلام الأوربيين ؟ قال : نعم ، ولـكن بشرط واحد ، شرط أن نبرهن على أننا لسنا مسلمين ( فى الحقيقة ) فاذا تحقق عندهم أن هؤلاء الذين هم يقيسون الاسلام بهم ليسوا مسلمين حقيقين ، أقبلوا على الاسلام ، وأقبلوا على دراسته برغبة وشغف ، وحب وتقدير •

اخـوانى ! انكم أهـل الخليج ، تستطيعون أن تتذوقوا هذا المعنى الذى

شرحته لكم تذوقا صحيحا ، هو أن بيننا وبين الاسلام خليجا ، وأن من عاش فى البر ، ولم ير خليجا قط ، لم يتصور هذا الخليج تصورا صحيحا .

اننا اذا قارنا أنفسنا بالتعاليم التى جاء بها الاسلام ، وبسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبحياة الصحابة رضى الله عنهم ، عرفنا أن بيننا وبين الاسلام الحقيقى شيئا من الفجوة أو الجفوة ، فمن الواجب المتحتم قبل كل شىء أن نملأ هذه الفجوة ونزيل هذه الجفوة ، التى وقعت على رغم جهود المصلحين والدعاة فى كل زمان ، هذه الفجوة المعنوية ، العملية الواقعية ، التى وقعت بين الاسلام وبين حياة المسلمين .

نحن كلنا مسلمون والحمد لله نتشرف بذلك ونفتخر ، ونعض عليه بالنواجذ ، وانتسابنا الى الاسلام ، وايماننا به ، ونشوءنا فى بيوت عريقة فى الاسلام ، وفى بلد عريق فى الاسلام يسهل لنا مهمة العودة الى الاسلام الحقيقى ، والتحلى بفضائله وتمثيله تمثيلا كاملا ، ، والله سبحانه وتعالى قد لطف بنا اذ أوجدنا فى هذه البيئة الاسلامية الكريمة الأصيلة ، وفى هذه الجزيرة العربية التى هى مهد الاسلام ومونله ، وقد كان من تقدير الله سبحانه وتعالى ، ولطفه بنا وحكمته ، أن اختار هذه الجزيرة لنا ، واختارنا لها ، فربط مصيرنا بهذه الجزيرة ، وربط مصيرها بنا ، فكان من السهل الميسور لنا فى كل وقت أن نردم هذا الخليج ، وأن نملأ هذه الفجوة ، وأن نكون مسلمين حقيقيين بكل معنى الكلمة .

وأقول لكم أخيرا أيها الاخوان ! اذا وجدت الحياة الاسلامية بحقيقتها وجمالها ، فى هذه الامارة ، وهى بالنسبة الى البلاد الواسعة المترامية الأطراف ، منطقة صغيرة لا تسترعى انتباه كثير من الناس ، الذين لايقيسون عظمة البلاد وأهميتها الا بالمساحة الواسعة ، والعمران الكثير .

انه اذا وجدت الحياة الاسلامية ، فى هذه المنطقة بجمالها وكمالها ، وخصائصها وسماتها ، وفقد كل ما ينافى الاسلام ، من أخلاق وعادات ، وأعراف ومعاملات ، وحلت الآداب الاسلامية محلها ، وكان الزائر لهذه المناطق كلها يستنشق أريج الاسلام فى الحقيقة ، يمر السائح فيشعر كأنه فى معبد كبير ، ليس هذا المسجد

المحدود ، وأن البلد قد أصبح كله مسجدا يعبد الله فيه يعبد الله فى الدكاكين، وفى المتاجر ، وفى المكاتب، لا يعصى على أى شبر من أشبار هذه الأرض أبدا ، حتى يكون الدين كله لله ، فاذا كان الدين كله لله ، واذا كانت الحياة كلها عبادة ، واذا كانت الأخلاق كلها اسلامية ، واذا طبقت الشريعة تطبيقا عمليا ، لا أقول تطبيقا دستوريا فحسب اذا طبقنا الشريعة الاسلامية على نفوسنا ، قبل أن يطبقها ولاة أمورنا - وفقهم الله - نطبقها على نفوسنا فى بيوتنا ، وفى متاجرنا ، وعلى أطفالنا ، وعلى نسائنا ، وعلى تجارتنا ، وعلى صناعاتنا ، وعلى معاملاتنا ، وعلى سلوكنا الفردى والاجتماعى،فصدقوا أن كبار المفكرين والفلاسفة فى العالم سيقصدون هذا المكان ، ولو سعيا على الأقدام ، أو مشيا على العيون والأهداب ، ليشاهدوا المكان الذى يعيش فيه الاسلام، والذى يستطيع به الانسان أن يمس الاسلام بأنامله ، حينئذ يضرب الناس عن المصائف الشهيرة وعن المدن الجميلة، وعن المناظر الفاتنة ، ويؤمون هذا المكان ، ليستنشقوا هنا رائحة الاسلام، ويقضوا فيه من عمرهم ساعات ، هى أسعد أوقاتهم ، وأفضل أيام حياتهم ، ويحسبون أنهم فى جنة ونعيم ، هذا سيكون احسانا منكم ، الى العالم الانسانى كله ، والانسانية كلها .

وختاما أشكركم على هذا الاستماع الكريم ، وعلى هذه الحفاوة البالغة ، التى استقبلتم بها ، اخوة لكم فى الاسلام حكومة وشعبا . وأسأل الله أن يرعاكم . ويسدد خطاكم ويوفق المسئولين ورجال الشعب لصالح الأعمال وخدمة الاسلام والمسلمين .

**أبو الحسن الندوى**

---

**زواج على بصيرة :**

روى مسلم بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه إن ينظر منها اذا كان انما ينظر لخطبة ، وان كانت لا تعلم » ..

( رواه أحمد )

## تأملات في العقيدة والفلسفة :

# إمام المتكلمين

للدكتور مصطفى عمران

## في ضوء

### (أ) التزامه البحث الحر

### (ب) رفضه لطريقة المتكلمين

— ٢ —

وقفنا فيما أسلفنا على سارف الحديث عن موقف الامام من طرق المتكلمين ومناهج الفلاسفة فيما يتصل بمباحث الالهيات خاصة ومسائل العقيدة عامة .

وقد ألمعنا – قبل – الى أن المراد « بالامام » – عند الاطلاق – في عرف المتكلمين وعلماء الأصول من الشافعية هو شيخنا فخر الدين محمد بن عمر الرازى .

واحتفال جمهور المتكلمين بالفخر الرازى ، واصطلاحهم على امامته والاشادة به له ما يسوغه بناء على ما أدخله من تجديدات خصبة وثرية في معالجته لقضايا العقيدة والفلسفة، ولما بذله رضى الله عنه من جهد وأعطى من فكر في دعم مذهب أهل السنة والجماعة ، والرد على أهل الزيغ والالحاد ، سواء أكان ذلك في ميدان المناظرة والجدل أم في مجال التأليف والكتابة .

وأوضح ما يمتاز به علم الكلام في أسلوبه المتطور بوصفه طابعا لسلوك امامنا الرازى في الاستدلال والمناقشة من أجل التعرف على الحق وتجليته، والكشف عن الباطل وتزييفه هو :

أولا – توسعه في الحديث عن العنصريات والفلكيات ، واغراقه كتبه الكلامية بهذا النوع ، ومحاولته الاستفادة من ذلك في الاستدلال على وجود الله وسمو حكمته وشمول قدرته ، كما أخذ يتحين أدنى الملابسات في تفسيره الكبير ليخوض

فى هـذه الأبحـاث مستمرا اياها فى دعم مايطمئن اليه من قضايا العقيدة •

ولسنا فى حاجة الى سوق الأمثلة أو الاحالة على بعض المواضـــع استشهادا على ذلك ، فقد امتلأ تفسيره بهـذا النـوع من الاسـتدلال حتى استشعر الامام نفسه من جراء منهجه هذا استهدافه للنقد والمؤاخذة ، فانه عند تفسيره قوله تعالى : «يغشى الليل النهـــار يطلبه حثيثـا ، والشـمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » من الآية الثالثة والخمسين فى سـورة الأعراف ، تكلم عن عـالم الأفلاك ، وتنـــاول بالبسط حركات الكواكب السـيارة ، ومدى حركات الكواكب الثـــابتة ، وأوغل فى عـلم الهيئـة والفلك ، ثم قال : « ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال : انك أكثرت فى تفسير كتاب الله تعـالى من عـلم الهيئـة والنجوم وذلك على خـلاف المعتاد ، فيقـال لهذا المسكين : انك لو تأملت فى كتاب الله حق التـأمل لعرفت فساد ما ذكرته » •

ثانيا ــ افاضـته فى شرح مذاهب الفلاســفة وغـيرهم من أهل الأهواء والبـدع ، وتقرير شبههم ، وبسط ما يتكئون عليه فى توجيه معتقداتهم ، وفى ذلك يقـول فى مستهل كتابه : « نهـاية العقول »[1] : « وان كتابى متميز عن سائر الكتب المصنفة فى هذا الفن بأمور ثلاثة ، أولها : الاستقصاء فى الأسـئلة والجـوابات ، والتعمق فى بحار المشكلات ، على وجه يكون انتفـاع صـاحب كل مذهب بكتابى ربما كان أكثر من انتفـــاعه بالكتب التى صـنفها أصحاب ذلك المذهب ؛ فانى انما أوردت من كل كلام زبدته، ومن كل بحث نقاوته حتى انى اذا لم أجـد لأصـحاب ذلك المذهب كلاما يعول عليه ، أو يلتفت اليه فى نصرة مذهبهم ، وتقرير مقـالتهم استنبطت من نفسى أقصى ما يمكن أن يقـــال فى تقرير ذلك المذهب وتحرير ذلك المطلب » •

ثالثا ــ تقسيمه المسـألة موضـوع البحث الى فروع ، وتقسـيمه تلك الفروع ، وتعمقه فى ذلك، واستدلاله ــ كما يقول الصفدى ــ "بأدلة السبر والتقسيم ، فـلا يشذ منـه عن تلك المسألة فرع له بها علاقة ، فانضبطت له القواعد وانحصرت معه المسائل[2]،

(١) مخطوط بدار الكتب رقم ٧٤٨ علم الكلام •

(٢) الوافى للصفدى ٤/٢٤٩ دمشق •

واذا كان امام الحرمين والباقلانى والأشاعرة من قبل يستدلون بالسبر والتقسيم بقسميه المنتشر والمنحصر فانهم لم يعرفوا ذلك العمق فى التقسيم ، ولم يتوسعوا فى استخدام هذا النوع من الاستدلال بالطريقة الواضحة المتميزة الدقيقة التى نجدها عند امامنا الرازى ؛ ولذلك يقول الصفدى : « وهو أول من اخترع هذا الترتيب فى كتبه وأتى فيها بما لم يسبق اليه (١) ·

رابعا ـ اعتناؤه باستنباط الأدلة الحقيقية والبراهين اليقينية المفيدة للعلم الحقيقى واليقين التام ، واعراضه عن الالزامات التى منتهى المقصد من ايرادها مجرد التعجيز والافحام (٢)·

ومن أجل ذلك أصبح رضى الله عنه العالم المجلى في حلبة علم الكلام والملقب ـ كما أسلفنا ـ بالامام عند علماء الأصول وأفضل المتأخرين وسيد الحكماء المحدثين وفريد عصره ونسيج وحده الذى فاق أهل زمانه فى علم الكلام والمعقولات كما يقول ابن خلكان (٣) ·

ويقول ابن خلدون مثنيا على الامام الرازى فى طريقته التى التزمها فيما كتب من علم الكلام : « ومن أراد فعليه بكتب الغزالى والامام ابن الخطيب ؛ فانها وان وقع فيها مخالفة للاصطلاح القديم فليس فيها من الاختلاط فى المسائل والالتباس فى الموضوع ما فى طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم (٤) » ·

**تحول الامام عن علم الكلام :**

وبعد أن ملك الامام أزمة علم الكلام وانقادت له سبله ومناهجه ، وخب فيها ووضع ، وفاق أهل زمانه فى المعقولات دون منازع وفى هدوء سن الكهولة وعندما سكن الى نفسه بعيدا عن صخب الحياة وضجيجها أخذ يفحص فى أناة ودقة ما انتهى

---

(١) الوافى ٤/٢٤٩

(٢) انظر مستهل كتابه نهاية العقول : مخطوط بدار الكتب رقم ٧٤٨ علم الكلام :

(٣) وفيات الأعيان ٢/٢٦٥

(٤) مقدمة ابن خلدون ٢٢٧ بولاق ١٢٧٤

اليه فى مسائل العقيدة فألفى كثيرا منها يفتقد البرهان اليقينى ، وأن ما تستند اليه من الأدلة لا تنتهى بالآخرة الى القضايا الأولية ، فبدأت ثقته بعلم الكلام ينتابها شىء من الضعف والوهن ظهرت سماته أولا فى « مطالبه العالية » .

فهو يستعرض فى كتابه هذا طريقة الفلاسفة فى اثبات الاله لهذا العالم المحسوس المعتمدة على امكان الذوات ثم يعقب عليها باشكالات ومناقشات طويلة يصعب الرد عليها .

ويذكر - بعد - طريقة اثبات الاله استنادا الى امكان الصفات ويردف ذلك بأن هذه الطريقة مبنية على اثبات أن الأجسام متساوية فى تمام ماهيتها وأن ذلك مطلب صعب المرام .

ويتناول فى الفصل الثامن عشر أسلوب جمهور المتكلمين فى اثباتهم للاله بناء على التمسك بحدوث الذوات ويتبع ذلك بضروب من النقد وجملة من الاعتراضات المفصحة عن عدم ارتياحه لهذا المنهج .

ويذكر فى الفصل الحادى والعشرين طريقة اثبات العلم بالصانع استنادا الى حدوث الصفات مختتما بحثه هذا باشادته بما يمكن أن نطلق عليه دليل الابداع والقصد مؤكدا أنه أشبع الأدلة على وجوده تعالى وأرشدها ، وأقربها الى البداهة والوضوح وأجمعها فيقول فى مفتتح الفصل الرابع والعشرين من الكتاب الأولى فى مطالبه العالية :

« اعلم أن من تدبر أجزاء العالم الأعلى والأسفل ظهر له أن هذا العالم مبنى على الوجه الأصلح والأصوب ، والترتيب الأفضل والأتقن ، وصريح العقل شاهد بأن وقوع الشىء على هذا الوجه لا يكون الا بتدبير حكيم عليم » .

ويذكر ضوابط هذا المسلك فى تفريعات وتشقيقات طويلة ثم يعقب على ذلك بقوله : « واعلم أن هذا النوع من البحث بحر لا ساحل له وليس فى شىء من الكتب بيان هذا النوع من الدلائل كما فى القرآن فانه مملوء من هذا النوع من البيانات قال الله تعالى: « ان فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ،

والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » ويفصل رحمه الله ما تشتمل عليه هذه الآية من أنواع الدلائل ثم يقول:« ولنختم هذه الفصول بخاتمة عظيمة النفع وهى : أن الدلائل التى ذكرها الحكماء والمتكلمون وان كانت كاملة قوية الا أن هذه الطريقة المذكورة فى القرآن عندى أنها أقرب الى الحق والصواب ؛ وذلك لأن تلك الدلائل دقيقة ، وبسبب ما فيها من دقة انفتحت أبواب الشبهات وكثرت السؤالات ، وأما الطريق الوارد فى القرآن فحاصله راجع الى طريق واحد وهو المنع من التعمق ، والاحتراز عن فتح باب القيل والقال ، وحمل الفهم والعقل على الاستكثار من دلائل العالم الأعلى والأسفل .

ثم يقول : « ومن ترك التعصب وجرب مثل تجربتى علم أن الحق ما ذكرته .

وقد عرض المرحوم الأستاذ عباس العقاد هذا البرهان فى ضوء العلم الحديث والمعرفة المتقدمة بما يزداد به العقل يقينا وتسليما ، والقلب رضا واطمئنانا ، والايمان بشاشة وعمقا فيقول : « أما برهان الغاية فهو فى لبابه نمط موسع من برهان الخلق مع تصرف فيه وزيادة عليه ، لأنه يتخذ من المخلوقات دليلا على وجود الخالق ويزيد على ذلك أن هذه المخلوقات تدل على قصد فى تكوينها وحكمة فى تسييرها وتدبيرها فالكواكب فى السماء تجرى على نظام وتدور بحساب وتسكن بحساب وعناصر المادة تتألف وتفترق وتصلح فى ائتلافها وافتراقها لنشوء الحياة ودوام الأحياء ، وأعضاء الأجسام الحية تتكفل بأداء وظائفها المختلفة التى تتحقق الحياة بمجموعها ، وتكملة عضو منها لعضو ووظيفة لوظيفة ، ومن عرف التركيب المحكم الذى يلزم لأداء وظيفة البصر فى العين تعذر عليه أن يعزو ذلك كله الى مجرد المصادفة والاتفاق ... » .

ثم يقول : « ونحن مع هذا لا نبلغ غاية العجب من هذا التركيب المحكم المصيب ؛ لأن الجسم الحى الذى تتكرر فيه هذه المعجزات كل لحظة

من لحظاته لاتزال فيه بقية للعجب لعلها أعجب من كل ما تخيلناه . وهي أن هذه الذرات الخفية تتجمع وتتفرق وتلتئم وتنفصل على نحو يضمن لها التجدد أو يضمن الدوام للحياة فيتألف كل حي من جنسين وتخرج من كل منهما خلية واحدة يتكون منهما حي جديد ، وتنقسم هاتان الخليتان تارة أزواجا وتارة فرادى على الوضع المطلوب في المرحلة المطلوبة ، ويتفق عددها في كل نوع من الأنواع الحية بغير زيادة ولا نقصان ، وينطبع كل حيوان على عادات وغرائز تسوقه الى التناسل في موعده المقدور فيبني العش قبل أن ينسل ان كان من الطيور ، ويفارق الماء الملح الى مداخل الأنهار أو الخلجان قبل أن ينسل ان كان من سمك البحار ويمتلىء بالشوق الى شريكه في التوليد قبل موعد التوليد على اختلاف الأنواع والأجناس .

ونعود فنقول مرة أخرى ان معنى القصد قد بطل في عقل الانسان ان كان القول بالمصادفة هنا أيسر من القول بالخلق والتدبير » (١) .

هذا ، وبعد أن بدا تحول امام المتكلمين عن طريقة المتكلمين ـ كما أوضحنا ـ في خطواته الأولى وملامحه الهادئة ما لبث أن انخلع رحمه الله في أخريات أيامه من علم الكلام فيقول في وصيته التي أملاها في مرضه الذي توفي فيه :

« ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم ؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ، ويمنع من التعمق في ايراد المعارضات والمناقضات وماذاك الا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية(٢) .

بل لقد ندم الامام على عمره الذي أضاعه في تلك المباحث الكلامية ، وكثر بكاؤه على ذلك ، يقول ابن الصلاح:أخبرني القطب الطوقاني مرتين أنه سمع فخر الدين الرازي

---

(١) كتاب «الله» للاستاذ العقاد ص ٢٢٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٢

(٢) عيون الأنباء ص ٤٦٧ ، طبقات الشافعية ٥/٣٧ ط الحسينية .

يقول : « ياليتنى لم أشتغل بعلم الكلام وبكى » (١) .

نهاية اقدام العقول عقال
وأكثر سعى العالمين ضلال

وأخيرا فتلك أبيات أنشأها الامام تصور مدى حزنه وشديد أسفه على ما بذل من جهد ، وأضاع من وقت فى هذا السبيل دون ما فائدة جناها ، وهى :

وأرواحنا فى وحشة من جسومنا
وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحسنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا(٢)

دكتور مصطفى عمران

---

اذا شئت أن تحيى سليما من الأذى
وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرىء
فكلك عورات وللناس ألسن

وعينك ان أبدت اليك معايبا
فصنها وقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى
وفارق ولكن بالتى هى أحسن

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد ٥/٢١ مكتبة المقدسى .

(٢) عيون الانباء ص ٤٦٨ بيروت ، وفيات الاعيان ٢/٢٦٦ مرآة الجنان ٤/١٠ بيروت .

# سعد بن معاذ

## نموذج من شباب الرعيل الأول

للأستاذ محمد محمود زيتون

تراثنا الاسلامي حافل بالمثل العليا التى تعكسها أمجاد الرجال ، ولاسيما التى عرفت عن شباب الرعيل الأول، المجاهدين فى سبيل الله مع قائدهم الأعلى ، محمد صلى الله عليه وسلم، وأروع ما فى هذه المثالية الاسلامية أنهـا أبعـد شيء عن الخـرافات والأساطير ، ومن هنـا تبرز أهمية الرجولة والبطولة فى تاريخنا الخصب، عندما نعرضه على العالم المتحضر • فى مجال تربية الأجيال الصاعـدة ، على أسس واقعيـة مقبولة وغـير مستحلية • ويمكن أن ينفعل لهـا الوجدان الانسانى فى كل مكان على مر العصـور • وتنفعل لهـا الفطرة السليمة ، وتهفـو النفس البشرية ، الى اتخاذ هـذه السيرة أو تلك ، مصدرا للتأسيس والاقتداء •

وهذا هو سعد بن معاذ الأوسى ، سيد بنى عبد الأشهل ، الذى قضى نحبه فى العـام الخـامس للهجرة ، وهو ابن سبعة وثلاثين ربيعا ، لم يكن نصيب تاريخه منها فى الاسلام أكثر من ســنوات تعـد على الأصابع ، ولكنها ـ والحق يقـال ـ جعلت له مكانة لا يدانيه فيهـا أحـد ممن بلغ من العمر سنين طويلة •

وهو أبو عمرو ، سعد بن معـاذ ابن النعمان بن امرىء القيس بن زيد ابن عبد الأشهل ، لم تذكر لنا مصادر التاريخ شيئا عن حياة أبيه ، أما أمه فهى كبشـة بنت رافع من أوليـات المبايعات لرسول الله ، وكانت هنـد بنت سماك من المبايعات أيضا ، وهى أشهلية كذلك ، تزوج منها أوس بن معاذ ، فلما مات عنها تزوجها أخوه سعـد ، وأنجبت له ولديهمـا عمرو وعبد الله،وهى عمة أسيد بن حضير، الذى قلمـا كان يفارق زوج عمته

سعد بن معاذ ، بل كان كل منهما سيدا مطاعا فى بنى عبد الأشهل ، وكأنهما فرسا رهان فى السيادة والرفادة والرأى والجهاد • وان كانت الأسبقية والمكانة لسعد دون أسيد عند رسول الله والمسلمين •

كان سعد علما بارزا فى شباب يثرب • اشتهر فيها ببياض بشرته ، وجسامة بدنه ، وطول قامته ، وجمال وجهه ، وحسن لحيته ، وحور عينيه، وتربى تربية كاملة،ونضجت رجولته قبل الأوان ، وارتفعت مكانته فى قومه ، وصار صاحب الكلمة النافذة فيهم ، والمتكلم بلسانهم ، وأحبه كل من لاذ بهم من أهل يثرب قبل الاسلام ، فكانوا يستشيرونه فى كل ما يعرض لهم ، وهو لايزال فى شرخ الشباب ، وما كان ذلك ليكون لو لم يكن سعد حصيفا كل الحصافة.

ولما انتشرت الدعوة الاسلامية فى يثرب قبل الهجرة،وبعث النبى مصعب ابن عمير اليها ليعلم أهلها معالم الدين، نزل فى بنى عبد الأخشهل • فأكرموا وفادتها رجالا ونساء شيبا وشبابا ، فلمس فيهم رحابة الصدر ، وسماحة النفس ، فدعاهم مصعب ـ وهو يومئذ زين شباب مكة كسعد بن معاذ زين شباب يثرب ـ فأسلم سعد قبل قومه ثم جمعهم ـ وهوالواثق من استجابتهم له ـ وقال لهم :

« كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا » •

وأسلم معه أسيد بن حضير ، وأسلم سائر بنى عبد الأشهل ، من عند آخرهم ، اللهم الا رجلا واحدا أسلم يوم أحد،فكان هؤلاء الأوسيون أول دار فى يثرب أسلمت ، وكان سيدهم سعد بن معاذ من أعظم الناس بركة فى الاسلام ، وكان موضع ثقة رسول الله فى الشورى والجهاد: فقد شهد معه غزوات بدر وأحد والخندق وبنى قريظة ، وأصابته الجراحة فى الخندق ، وانفجر جرحه ، ولم يجده العلاج نفعا ، حتى شاءت ارادة الله تعالى ، أن يبقى هذا البطل حتى يؤدى ما ادخره الله له فى الدنيا ، ليكون القاضى العادل بين النبى ويهود بين قريظة ، ثم يلقى ربه ، وهو عنه راض ، فاصطفاه الى جواره مع النبيين

والصديقين والشهـداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

كان بنو عبد الأشهل أشهر قبائل الأوس فى يثرب قبل الاسلام وبعده، وكانوا خيـار النـاس فى الجاهلية والاسـلام . سـواء بسـواء ، وكان يهـود بنى قريظة مواليهم وحلفاؤهم يأمنون جانبهـم ، ويطمئنون اليهم ، ولا يجدون لأنفسهم طريقـا للسلام الا فى أكنافهم .

وفى العقبـة الثانيـة ، أقبـل على رسـول الله جمـع كثير بالبيعة من شباب بنى عبـد الأشـهل ورجالهم ونسائهم ، فكانوا من أكثر الأنصار احتفاء برسول الله عنـد مقـدمه فى الهجرة اليهم ، وشهد الكثيرون من بنى عبد الأشهل المشاهد مع رسـول الله . ولقى عدد كبير منهم ربهم وهم شباب ، وكان منهم من أنجب كثيرا، ومنهم من لم يكن له عقب ، واختار الله منهـم الى جـواره صـفوة من شهدائهم الأبرار وهم شباب ، وهذه ظاهرة فى بنى عبد الأشهل وحدهم ، انفردوا بهـا عن سائر المهـاجرين والأنصار ، وقـد آخى النبى بينهـم وبين من هاجروا اليهم ، وأفسحوا لهم من ديارهم وقلوبهـم ، وحظى معظمهـم بالرضى والقبـول والدعاء بالبركة من رسول الله فى غزواته ، وكانت مميزاتهم البـدنية والروحيـة ارثا فيهم جيلا بعد جيل ، حتى قال صاحب ( الطبقـات الـكبرى ) ان واقد بن عمرو بن سـعد بن معـاذ كان « أشبه بجده عظمة وطولا » .

وليس أدل على عظمة سعد بن معاذ فى التـاريخ من ذكـره فى رأس الطبقة الأولى من البدريين الأنصار ، وكانت داره فى مدينـة الرسـول ملتقى الرعيـل الأول من الأنصـار بمصعب بن عمير،عندما أوفده رسول الله لبث الدعوة الاسلامية ، ومنها كان مصعب وأسـعد بن زرارة ينطلقان بالدعوة الى مداها عقيدة وجهـادا ، حتى لقد كان سعد وأسيد يعمـدان الى أصـنام قومهمـا فيكسرانهـا ، ويسويان بها الأرض .

وفى غزوة بدر الـكبرى ، جمع النبى عليه السلام أصحابه المهاجرين والأنصـار ، ليستشيرهم فى الأمر ، وتكلم أبو بكر وعمر والمقداد ، ثم التفت النبى الى الأنصار وقال :

أشـــيروا على أيهـــا النـاس .

وكان سعد بن معاذ أول من تكلم، لا بلسان بنى عبد الأشهل وحدهم ، أو الأوس وحـدهم ، وانمـا بلسان الأنصار ، بلسان المدينة كلها مسلمين وغير مسلمين ، فكانت كلمتـه تعبيرا صادقا عن ايمان الشباب من الأنصار، وقوة اندفاعهم فى سبيل الله ، وحبهم لله ورسوله ، واستعدادهم للتضحية بكل مرتخص وغال ، بعد أن تغلغلت فى نفوسهم عقيـدة الاسـلام بدعوة مصعب الشـاب ، واستجـابة سـعد الشاب،زعيم قوم كلهم عزم الشباب، فلنتأمل كل لفظة فاه بهـا سعد بن معاذ ، أمام الملأ فى حضرة رسـول الله ، وهو يحمل لواء الرأى ، رأى الأنصار جميعا بلا جدال أو معارضة:

« يا رسول الله انا قد آمنـا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به حق، فأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة،فامض يارسول الله،لما أردت ، فامض يارسـول الله ، لمـا أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر،فخضته، لخضناه معك ، ما تخلف منـا رجل واحد ، وصل من شئت ، واقطع من شئت ، وخـذ من أموالنا ما شئت ، وما أخـذت من أولادنا أحب الينـا ممـا تركت ، والذى نفسى بيـده ، ما سلكت هـذا الطريق قط ، ومالى بها علم ، وما نكره أن نلقى عـدونا غدا ، انا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا بعض ما تقر به عيناك .

انا قـد خلفنـا من قومنـا قوما ، ما نحن بأشـــد حبـا لك منهـم ، ولا أطوع لك منهم ، لهم رغبـة فى الجهاد دنية ، ولو ظنوا يارسول الله أنك ملاق عدوا ما تخلفوا ، ولـكن انما ظنوا أنها العير .... » .

واستطرد سعد فى هـذا الحديث الممتلىء حماسـة ، الدافـق حيـوية واخلاصا ، بغير نفـاق ولا مواربة ، وانمـا بيـان وتبيين لموقف الأنصـار الذين يتكلم باسـمهم شاب فصـيح مليح ، ممسك بعنان نفسه ، ويجمع بين حكمـة الشيوخ وفورة الشبان ، ويعلن صراحة أن قومه على استعداد للتضـحية بالأرواح وبذل الأموال ، طيبة بذلك نفوسهم ، ثم يمضى سعد فيعرض على قائده الأعلى رأيا صائبا يفيـد المعـركة : ذلك هو أن يبنى للنبى عريشا يبقى فيـه . بمنأى عن

مرمى سهام العدو ونباله ، ويعد رواحله عنده ، ضمانا وتأمينا لخط الرجعة في حالة الارتداد ، كما يفعل دائما رؤساء أركان حرب الجيش للقائد ، حرصا على حياته ، وابقاء على جذوة الروح المعنوية متقدة في صدور المقاتلين ، « فسر النبي لقوله ونشطه ذلك للقاء الكفار» كما يقول ابن الأثير .

تأثر رسول الله – وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة – بسيد بني عبد الأشهل – وهو ابن أربع وثلاثين ، واستمع النبي لأحد المجاهدين معه وقبل منه،ونفذ رأيه بعد أن استصوبه واستوثق من اخلاص صاحبه ، وأقيم العريش . ودارت رحى الحرب . وسعد قائم على خيمة النبي شاهرا سيفه.وانهزم المشركون على كثرتهم أمام القلة المؤمنة من المسلمين . الواثقين بما عند الله من نصر مبين لأهل اليقين .

وكان من الطبيعي أن يتأمل كل مجاهد في بدر موقعه منها . ويقارن نفسه بغيره ، فهل كان سعد – وهو في الحراسة لا في الساقة – أقل قدرا ممن استشهدوا في سبيل الله أو على الأقل من الذين حملوا السلاح وقاتلوا حتى أظفرهم الله برقاب المشركين ، وخرجوا من المعركة بجرح أو أكثر أو بغير جراح على الاطلاق ؟ في هذا يقول سعد لرسول الله :

« ما منعنا أن نطلب العدو زهادة في الأجر ولا جبنا عن العدو . ولكن خفنا أن يعرى موضعك يارسول الله فتميل عليك خيل من خيل المشركين ورجال من رجالهم ، وقد أقام عند خيمتك وجوه من المهاجرين والأنصار ولم يشذ أحد منهم . والناس كثير . ومتى تعطب هؤلاء لا يبق لأصحابك شيء ، والأسرى والقتلى كثير ،والغنيمة قليلة » .

وما كان هذا ليكون تبريرا لموقف سعد من حراسته لرسو لالله وهو في عريشه حتى يحرم من الغنيمة ، فما أزهده وأزهد الأنصار فيها غزوة بعد غزوة وغنيمة بعد غنيمة ، أما المسلمون فكانوا على ثلاث فرق : فرقة اختارها أبو بكر – منها سعد – لتكون معه في حراسة النبي في خيمته ، وفرقة نزلت الى المعركة لتقاتل وتأسر وتغنم

من المشركين ، وفرقة شنت الغارة لنهب ما أمكن انتهـابه من أموال قريش ، يقودها أبو سفيان بن حرب فى عودة العير من الشام الى مكة ..

ذلك هو سعد بن معاذ . وذلك هو موقفه من النبى فى بدر : مستشار ، وقد أحسن حين أشار ، وله عقد النبى لواء الأوس ، ووقع عليه الاختيار ـ على غير ارادته ـ ليكون فى فرقة حراس النبى فى العريش الذى اقترحه ، وسل سيفه ، وأحاط بالنبى ، لم تغفل عنه عيناه ، وبعث بغلام له نزل مع المقاتلين يوم بدر ، ثم لما تكفل محمد بن مسلمه للنبى بقتل عدو الله كعب بن الاشراف زعيم اليهود الذى طالما لقى النبى والمسلمون منه كل الأذى ، أمر النبى بأن يستشار فى قتله سعد بن معاذ فأشار بما أشار.

وتلمظت شفاه قريش للثأر من نكبتها التى ألحقها بها محمد عليه السلام ، وظلت مراجل سعارها تغلى ، وجمع النبى أصحابه للشورى فى ( غزوة أحد ) ، وأدلى كلهم منهم بدلوه، والنبى يسمع للأقوال المتضاربة، ورجحت كفة الخروج للهجوم ، على كفة البقاء بالمدينة للدفاع ، ودخل النبى بيته ، ولم يلبث غير قليل حتى خرج على الناس وهم ينتظرون بالمسجد ، فاذا بهم يرون النبى لابسا لامته كاملة ، وقضى الأمر ، وعرف الناس أن النبى لن يرجع عن خطة القتال خارج المدينة ، اذن فهى الحرب .. ولم يعد ثمت مجال للجدال ..

أما سعد وأسيد فقد خرج عليهما النبى وهما يقولان للمسلمين :

« قلتم لرسول الله ما قلتم ، واستكرهتموه على الخروج ، والأمر ينزل عليه من السماء فردوا الأمر اليه ، فما أمركم فافعلوه ، وما رأيتم فيه له هوى أو رأى فأطيعوه » .

وخرج النبى والمسلمون خلفه وعن يمينه وشماله . وسعد بن معاذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة سيد الخزرج يعدوان أمامه ، وتخرج كتيبة من اليهود حلفاء عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين فيردها النبى ويقول النبى : « لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك » ، وانتصر المسلمون فى

أحد في باديء الأمر ، ثم خالفوا أمر نبيهم فحلت بهم الهزيمة ، وأصابتـه الجراحات ، وأذاع العدو أن محمدا قد قتل ، ولكنه عليه السـلام صـمد للقتال ، وثبت معه السـعدان اللذان ما كان أحدهما أو كلاهما ليغيب عن نظر رسول الله في المشاهد والمواقف، وفي هـذه الغزوة برزت طبيعـة بني عبد الأشهل على حقيقتها ، وتبين أنهم من معدن نفيس حقا ، سواء في ذلك الرجال والنساء . فقد استشهد سيد الشهداء حمزة بن عبـد المطلب عم النبي ، وكانت المصيبة فيه فوق كل احتمال ، وراحت كل قبيلة تبكي على قتلاها ، وتداوي جرحاها ، وركب النبي فرسـه ، ومر عليهم دارا دارا للمواسـاة والعـزاء ، وما أخف الأحزان ، اذا كانت المساواة من قائد الجيش ، وزعيم الأمة ، ونبي البشرية وأستاذها محمد عليه السلام .

واقترب النبي من دور بني عبـد الأشهل ، والنساء يبكين عمرو بن معاذ أخا سعد ، ويواسين أمه . وسرعان ماوقعت أنظارهن على رسول الله ،وقد جاءهن بنفسه ، ورأينه رأى العين ، فهو اذن سالم من كل سوء ، وكذب المتخرصون دعاة الهزيمة والفشل ، ونسيت أم عامر الأشـهلية نكبتها . اذ رأت أمامها رسول الله ، من غير سوء وهي تقول له من غير مواربة :

كل مصيبة بعدك جلل يارسـول الله .

أما أم سعد فتعدو نحو رسول الله ، وهي تبكي ابنها الشـهيد في أحد ، فيأخذ سعد بعنان فرس النبي ، ويلفت نظره الى أمه الحزينة ويقول سعد : يا رسول الله .. أمي ..

النبي : مرحبا بها .

وتدنو أم سـعد من النبي ، واذا بالفرحة بالنبي ـ وهي تتداح في وجهها ـ تمسح لوعة ثكلها في شهداء بني قومها وجرحاهم ، وتتأمل مليـا في وجـه رسـول الله من كل وجه ، وكأنهـا لا تصـدق عينيها وأذنيها ، ثم تقول أم سعد : أما اذ رأيتك سالمـا ، فقـد أشوت ( هانت ) المصيبة .

النبي : يا أم سعد ، أبشري وبشري أهليهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنـة جميعا ، وقد شفعوا في أهليهم .

أم سعد : رضينا برسول الله ، ومن يبكي عليهم بعد هذا ؟ ادع يارسول الله لمن خلفوا •

النبي : اللهم أذهب حزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا •

وانشقت السموات لدعاء النبي ، وجبر الله مصيبة الناس في القتلى والجرحى،وألهمهم الصبر والسلوان، ولازم سعد لجام فرس النبي ، والناس يتبعونه ، تتناوح جنوبهم بالحزن العميق ، والايمان والرضى بقضاء الله وقدره ، وينظر النبي الى سعد وهو بجواره والفرس تنتقل به من دار الى دار ويقول النبي : يا أباعمرو ، ان الجراح في أهل دارك فاشية ، وليس من مجروح الا يأتي يوم القيامة : جرحه كأغزر ما كان ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، فمن كان مجروحا ، فليقر في داره ، وليداو جرحه ، ولا يبلغ معي بيتي ، عزمة مني •

وينادي سعد في الناس بأعلى صوته ليبلغ رسالة النبي بكل أمانة ويقول : عزمة من رسول الله ، ألا يتبع رسول الله جريح من بني عبدالأشهل•• وتخلف الجرحى طاعة لأمر رسول الله ، وبلاغ سيدهم سعد ، وعادوا يوقدون بالليل نيرانهم يداوون بها جراحهم ، وكان التعب قد بلغ من النبي مبلغه ، عندما وصل الى بيته ، بعد التعزية والمواساة • واتكأ على سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، ونزل عن فرسه ، وعاد ابن معاذ الى داره ودور قومه ، فساق نساءهم جميعا الى بيت النبي ليبكين حمزة الذي لا بواكي له ، وبقين بين المغرب والعشاء ، وما لبث النبي أن توضأ ، وخرج للصلاة ، متوكئا على السعدين مرة ثانية ، وسمع بكاء الأشهليات على عمه • فتأثر أيما تأثر ، ثم قال لهن

النبي : رضى الله عنكن وعن أولادكن وأمرهن بالعودة مع رجالهن في وقت متأخر من الليل مأجورات غير مأزورات ، وينزل أمر الله على رسول الله بالتأهب في غداة أحد لقتال قريش في ( حمراء الأسد ) على ألا يخرج اليها الا من شهد وقعة الأمس عند جبل أحد ، ونادى سعد قومه وكلهم جراح دامية ، ومازال أكثرهم يعالج نفسه ،

بقدر ما تسعفه طاقة البداوة من معرفة بالطب ، وآخر الدواء الكى بالنار عند العـرب • وما أسرع هؤلاء المؤمنين الجرحى تلبية لنداء الجهاد مع رسول الله ، على الرغم مما باتوا وأصبحوا فيه من معاناة للآلام والأوجاع ، فهـذا بعرج ، وذاك يتوكأ على سيفه ، وذلك ممسك بجراحه الـكثيرة وهي تدمى وتنزف ، وكل ذلك يهون ، أما الذى لا يهون فهو مخالفـة النبى فى أمر بعث من رجاله من ينادى به فى الناس وقد وقر فى وجداناتهم أن الهزيمـة التى لحقت بهم ، انما هى ثمرة لعدم الطاعة للرسول ، ومخالفة لمـا أمرهم به ، فانصرفوا الى الغنـائم عن لقـاء العدو ، وأغواهم الشيطان بحب الدنيا، ونسوا أن طاعة الله فى طاعة الرسول، «ومن يطع الرسول فقد أطاع الله»•• فهم فى هذه المرة لن ينسوا أن يلبوا داعى الرســول ، اذا دعاهم لمـا يحييهم •• فخرج الجرحى طائعين مختارين مع رســول الله الى حيث أمرهم ؟

(يتبع) محمد محمود زيتون

---

**الفرم دون الغنم :**

روى أبو هريرة رضى الله عنـــه عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم أنه قال : « ما من مؤمن الا وأنا أولى به فى الدنيا والآخرة •• اقرأوا ان شـئتم : ( النبى أولى بالمؤمنـين من أنفسهم ) •

فأيما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصـبته من كانوا ، ومن ترك دينـا أوضياعا فليأتنى فأنا مولاه ••

البخارى

مع أدب القرآن :

# إياك نعبد

للدكتور ابراهيم أبو الخشب

سورة الفاتحة من القرآن الكريم تضمنت كل ماجاء به الكتاب العزيز من ثناء على الله جل وعلا بما هو أهله من الجلال والكمال ، والعظمة والاحترام ، وانتهاء شأن العالم اليه وحده لاشريك له يصرف أمره ، يملك مصيره ، ويعلم أسراره ، ويدبر سياسته ويمنحه بره وخيره ، وجوده واحسانه ، وحياته وموته ، وسعادته وشقاوته ، وهديه ورشاده ، وتوفيقه وسداده ، وعلمه وفقهه ، ورحمته ولطفه ، ومغفرته ورضوانه ، ونوره وعافيته ، لا يزاحمه فى ذلك مسلط ، ولا ينازعه جبار ، ولا يشاركه أحد من أرباب السلطان ، وملوك الطغيان ، والكل عبيد له ، محتاجون اليه ، ينتهى شوطهم عنده ، وعملهم لديه ، وعبادتهم له ، وطمعهم فيه ، ومعولهم عليه ، مهما انحرفوا عنه ، أو هربوا منه ، أو تغافلوا لقدرته وارادته ، وبطشه وقهره ، وسلطانه وجبروته ، وجلاله وكماله ، لأن كل شىء فى هذا الكون حولهم ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم يصرخ فى آذانهم « ياأيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ، ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز

وقد سميت بالفاتحة ـ كما هو الشأن فى فاتحة الكتب ـ لأنها تشبه براعة الاستهلال فى فواتحها التى يشار فيها الى ماتحتويه من معنى ، وما تشتمل عليه من أسرار ، وتبحثه من أغراض ، وتتناوله من علم ، أو تقدمه من أدب ، ويسمونها أم الكتاب ، وأم كل شىء أصله الذى يبتدىء منه ، أو خلاصته التى تركز فيها ، وهذا هو السر فى أن العلماء يقولون انها تطوى الأغراض التى تصدى الكتاب لذكرها من أمر ونهى ، ووعد ووعيد ، وترغيب وترهيب ، ومعاش ومعاد ، وأنباء وقصص ، وماشاكل ذلك مما

يبالغون فى ذكره ، ونسبته له ، واشتماله عليه ، والذى لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى ، وهو يمتن على النبى صلى الله عليه وسلم بنعمه عليه ، واحسانه اليه ، وتكريمه اياه ، قد جعل فاتحة الكتاب وحدها عدلا للقرآن الكريم ، تساويه فى الفضل ، وتوازيه فى المنة ، وذلك حين يقول « ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم » والمفسرون مجمعون على أن المراد بالسبع الآيات السبع التى تضمها سورة الفاتحة ، وهى تشبه النشيد الذى يردده تلاميذ المدرسة فى الصباح والمساء ليملأ نفوسهم بالوطنية الصادقة ، والحماس المتوقد ، والطموح المتأهج ، والرغبة الصحيحة ، والايمان الخالص ، ولهذا وصفت بالمثانى لأنها تتكرر وتعاد فى الصلوات الخمس لتكون شعارا للمؤمن ليعمر قلبه بالخشية ، وبصيرته بالنور وفؤاده بالطاعة ، وجوارحه بالخشوع ، ويقينه بالتوحيد ، فلا ينسى أنه عبد للذى خلق السموات والأرض ، يرجوه ويتوسل اليه ، ويطلب منه ، ويخضع له ، ويترامى بكله وجزئه بين يديه « ففروا الى الله اننى لكم منه نذير مبين » وعلى الرغم من أن العرب لم يكونوا على علم بالمنطق الذى يربط بين السبب والمسبب ، أو العلة والمعلول ، والمقدمات والنتائج ، لأن هذه كلها من المعارف التى وفدت عليهم ـ فيما بعد ـ من الفرس حينما اختلطوا بهم ، وأخذوا عنهم ، وترجموا معارفهم ، ونقلوا أسلوبهم فى الحجاج والجدل ، الا أن فطرتهم لم تكن تنكر الأشياء المسلمة ، والمعانى الصحية ، والقواعد المقررة ، والقضايا البديهية ، واستحقاق الحمد لله ، وثبوته له ، وايمان الناس به ، بعد تسليمهم بكونه ربا للعالمين ، يتعهدهم بالرحمة ، ويرعاهم بالعناية ، ويحفهم باللطف ، ويساندهم فى اللأواء ، ويغمرهم بالجود والاحسان ، من الأشياء التى لايمكن جحودها ، أو الشك فيها ، وكأنه يقول الحمد لله لأنه رب العالمين الذى لاتتخلى عنهم رحمته ، ومن يكون له الحمد غيره وهو الرب الذى خلق فصور ، وقدر فهدى ، والربوبية هنا من التربية وهى العناية فى أوسع معانيها ، والرعاية فى أدق صورها ، من لدن كان الانسان خاطرا فى ذهن والديه الى أن كان شهوة

ثم ماء وخلقا الى أن كان بشرا سويا يلمس فضل الله عليه ، واحسانه اليه ... وهكذا نرى الخطوات التى تنقلت فيها « فاتحة الكتاب » تبتدىء من الثناء عليه بما هو أهل له بالحمد الذى هو الثناء على المتفضل بما يستحقه كرمه وجوده ، وبره وخيره ، وامتنانه وفيضه ، ثم الاعتراف له بأنه وحده الذى ترتبط به القلوب بالطاعة وتترامى بين يديه بالخضوع ، وتتطلع اليه بالرجاء ، وتخصه دون سواه بالعبادة ، وهى فى الوقت الذى تنتهى اليه على هذا الوجه ، تعترف له بالكمال والجلال ، والغنى الذى لا حدود له ، والقدرة التى لايعجزها شىء ، والارادة التى لاتقف فى سبيلها السدود ولا الحدود ، فالاستعانة به، والاعتماد عليه ، والرجاء فيه ، والخير منه ، لا يتحول عنه طالب ، ولا يميل عنه راغب ... والخطوة الأخيرة التى كانت خاتمة المطاف من السورة الكريمة بعد حمد الله جل جلاله ، وافراده بالعبودية والاستعانة، هى توسل المؤمن اليه بالدعاء والرجاء ، والخضوع والخشوع ، والأدب والتواضع ، والانكسار والتذلل والضراعة والابتهال ، عسى أن يجعل الهداية دأبة والاستقامة سبيله ، والطاعة ديدنة ، والاعتدال منهجه ، ليكون مع الذين أنعم عليهم بالتوفيق والسداد ، والايمان والرشد، والاستجابة والامتثال ، ففازوا برضوانه ومغفرته ، وثوابه وجزائه ، ورحمته وجناته ... واذا كان الحمد هو أقصى ما يخلعه المادح على الممدوح بالفضل ، المذكور بالخير ، المتن بالجود والاحسان ، فان كلمة « الحمد لله » تطوى فى ثناياها الاعتراف له جل جلاله بالكمال كله ، الذى لا يلحقه فيه لاحق ، ولا يسبقه سابق ، ومن ذا الذى يلحق رب العالمين ، واله الأولين والآخرين ، وهو الذى يمنح الفضل والخير ، والخلق والرزق ، ويعطى للناس القدرة والارادة ، والنور والهداية ، والسداد والرشاد ، والصحة والعافية وهكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظرون الى القرآن ، ويفهمون له ، ويأخذون منه ، ويتأدبون به ، وهو الذى قومهم بهذه التربية ، وهذبهم بذلك السلوك،فلم يميلوا الى باطل أو

يجنحوا الى بغى ، أو يرضوا بالدون، أو يبيتوا على حسك السعدان ، وانما كانت العزة والكـرامة رأس مالهم ، وقد علمهم هذا الدستور من الآداب والخـلال ، والطبـاع والأخـلاق ، والليـاقة والذوق ما جعلهم أسـاتذة الدنيا ، وفلاسفة العالم .. وفى هذه السـورة تخطيط قويم لمـا يجب أن يكون عليه المسلم فى صـلته بربه ، وعبادته له ، واعتماده عليه ، وارتباطه به ، ذلك أنه قبل أن يقف بين يديه ، ويتضرع له ، ويترامى بكله وجزئه فى رحابه، لابد له من أن يمتلىء يقينه بالله جل جـلاله ربا للناس ، مصرفا لهـذا الكـون ، متفضلا عليه ، مانحا له ، وأن ذلك كله قبل الدخـول فى عبادته يشبه النيه التى تسبق الصلاة، ما شـاء . اهـدنا الصراط المسـتقيم صراط الذين أنعمت عليهـم غـير المغضـوب عليهم ولا الضالين . يارب العالمين آمين .

دكتور ابراهيم على ابو الخشب

---

**لقد اتعبت من بعدك ..**

قال على بن ابى طالب : رايت عمر على قتب يعدو فقلت يا امير المؤمنين اين تذهب ؟ فقال : بعير ند ( هرب ) من ابل الصدقة اطلبه .

فقلت : لقد اتعبت من بعدك .

فقال : فوالذى بعث محمدا ـ صلى الله عليه وسلم بالنبوة . لو ان عناقا ( عنزا ) ذهبت بشاطىء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة .

# كيف كانوا ، وكنا

جاء فى التاريخ العام للافيس ورامبو ما يلى : كانت انجلترا الأنجلوسكسونية فى القرن السابع الميلادى الى ما بعد العاشر فقيرة فى أرضها منقطعة الصلات بغير بلادها ، سمجة وحشية تبنى البيوت بحجر غير منحوت ، وتشيدها من تراب مدقوق ، وتجعلها في وطأ من الأرض، مساكن ضيقة المنافذ ، غير محكمة الأغلاق ، واصطبلات وحظائر لا نوافذ لها ، تفرش الأمراض والأوبئة المتكررة المواشى والسائمة وهى المورد الوحيد فى البلاد ، ولم يكن الناس أحسن مسكنا وأمنا من الحيوانات ، يعيش رئيس القبيل فى كوخه مع أسرته وخدمه من ثقب فتح فى السقف فتحا غليظا ، ويأكلون كلهم على خوان واحد ، يجلس السيد وقرينته فى أحد أطراف المائدة ، ولم تكن الشوكات معروفة، وللاقداح حروف من أسفلها ، فكان على كل مدعو أن يمسك بيده قدحه ، أو يفرغه فى فيه دفعة واحدة وينتقل السيد الى غرفته فى المساء بعد أن يتناولوا الطعام ويعربدوا على الشراب، ثم ترفع المنضدة والصقالات ، وينام جميع المجتمعين فى تلك القاعة على الأرض أو على دكك ، واضعا كل فرد سلاحه فوق رأسه ، لأن اللصوص كانوا من الجرأة بحيث يقتضى على الناس أن يقفوا لهم بالمرصاد كل حين لئلا يؤخذوا على غرة •

وكانت أوربا فى ذلك العهد غاصة بالغابات الكثيفة ، متأخرة في زراعتها وتبعث من المستنقعات الكثيرة فى أرباض المدن روائح قتالة ، تجتاح الناس وتحصدهم • وكانت البيوت فى باريس ولندن تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب

( كبيوت القرى عندنا منذ نصف قرن ) ولم يكن فيها منافذ ولا غرف مدفئة ، وكانت البسط مجهولة عندهم ، لا بساط لهم غير القش ينشرونه على الأرض ، ولم يكونوا يعرفون النظافة ، ويلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ أمام بيوتهم فتتصاعد منها روائح مزعجة ، وكانت الأسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة تضم الرجال والنساء والأطفال وكثيرا ما كانوا يؤون معهم الحيوانات الداجنة ، وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف ، يجعل مخدة أو وسادة ، ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط ولا مصابيح ، ولم تكن أكبر مدينة في أوربا تضم أكثر من خمسة وعشرين ألفا .

هكذا كان الغرب في القرون الوسطى حتى القرن الحادي عشر فما بعده ، باعتراف مؤرخيهم أنفسهم ، فلننتقل سريعا — قبل أن ننسى هذه الصورة — الى الشرق ، الى حيث المدن والعواصم كبغداد ودمشق وقرطبة وغرناطة وأشبيلية .. لنرى كيف كانت هذه المدن وكيف كانت حضارتها .

لنزر مدن الأندلس ، فهي مجاورة لأوروبا التي نتحدث عنها ، ولنبدأ بقرطبة ولنحاول أن نلم بملامحها الظاهرة ، لا بكل شيء فيها ، فكيف كانت قرطبة في عهد عبد الرحمن الثالث الأموي عاصمة الأندلس المسلمة ، تنار بالمصابيح ليلا ويستضيء الماشي بسرجها عشرة أميال لا ينقطع عنه الضوء ( أي ستة عشر كيلو مترا ) ، أزقتها مبلطة ، وقماماتها مرفوعة من الشوارع محاطة بالحدائق الغناء حتى كان القادم اليها يتنزه ساعات في الرياض والبساتين قبل أن يصل اليها ، كان سكانها أكثر من مليون نسمة ( في ذلك العصر الذي لم تكن فيه أكبر مدينة في أوربا تزيد عن خمسة وعشرين ألفا ) وكانت حماماتها تسعمائة حمام وبيوتها ٢٨٣٫٠٠٠ بيت وقصورها ثمانون ألف قصر ومساجدها ستمائة مسجد ، وكانت استدارتها ثمانية فراسخ ( أي ثلاثين ألف ذراع ) . كان كل ما فيها متعلما ، وكان في ربضها الشرقي مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي ، هذا في ناحية واحدة من نواحيها ، وكان فيها

٨٠ مدرسة يتعلم فيها الفقراء مجانا وخمسون مستشفى . وأما مسجدها فكان ولا تزال آثاره حتى اليوم آية خالدة فى الفن والابداع . كان ارتفاع مئذنته أربعين ذراعا تقوم قبته الهيفاء على روافد من الخشب المحفور ، وتستند الى ١٠٩٣ من الأعمدة المصنوعة من مختلف الرخام على شكل رقعة الشطرنج فيتألف منها تسعة عشر صحنا وسبعمائة مصباح تستنفذ فى كل سنة ٢٤ ألف رطل من الزيت ، وترى في وجهه الجنوبى تسعة عشر بابا مصفحا بصفائح برونزية عجيبة الصنع خلا الباب الوسط الذى كان مصفحا بألواح من الذهب ، وترى عجيبة فى كل من وجهه الشرقى والغربى تسعة أبواب مشابهة لتلك الأبواب ، أما محرابه فحسبك أن يقول فيه مؤرخو الفرنج ( انه أجمل ما تقع عليه عين بشر وانه لا يرى أحسن من زخرفه وسنائه فى أى أثر قديم أو حديث) .

من كتاب « روائع حضارتنا »

**للمرحوم الدكتور مصطفى السباعى**

---

**دين كرم وعزة وسماحة :**

**... ثلاث والذى نفسى بيده لو كنت حلافا لحلفت عليهن : ما نقص مال من صدقة ، فتصدقوا ، ولا عفا رجل عن مظلمة يبغى بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر ..**

**( رواه الترمذى ومسلم وابو داود )**

# الإصلاح في بواكير مقالات العقاد

للأستاذ السيد حسن قرون

في أيام الحرب العالمية الأولى كان العقاد يزاول الكتابة ، ويهتم باصلاح مجتمعه حتى لقب بالكاتب الاجتماعي، وله كتاب اسمه ( الشذور ) جاء تحت عنوانه : وهي مقالات قصار في الأدب والأخلاق لم يسبق نشرها لكاتبها : عباس محمود العقاد الطبعة الأولى ( ١٣٣٣هـ ) ( ١٩١٥م ) حقوق الطبع محفوظة ( على نفقة المكتبة الجامعة بجوار المشهد الحسيني بمصر ) ( طبع بمطبعة المعاهد الدينية أمام الأزهر الشريف بمصر ) .

وقد وقعت على هذا الكتاب بعد بحث طويل ؛ لأني سمعت الأدباء يتحدثون عن مقال منه هو « نادي العجول » ، وقد وصل الى بطريق الصدفة منذ أكثر من ثلاثين عاما ، وتصورته بادىء ذي بدء أنه يحتوى مقالات نارية يصبها كعادته في غضب واحتدام ولكني وجدته وهو الشاب يتحرى المنطق والأسلوب الهادىء الا اذا اقتضى المقام حدة وثورة وخصاما، وهو قليل بجانب التعبير الهادىء المستنير . والكتاب أو قل الكتيب في حجم هدية مجلة الأزهر ، مطبوع (١) على ورق أصفر ، خال من الأخطاء المطبعية ، وقرأته ، فماذا وجدت فيه من هموم العقاد ، والبواعث التي حدته ليكتب تلك المقالات التي هي :

( الراحة ، الغرور ، نادي العجول، علم الاحترام ، جمجمة الانسان ، الصدى ونرجس ، اللؤم المكتسب ، البخيل، اللغات والتعبير ، قوة الارادة، الشجاعة والعدوى ، مواضع الملاحة ) اثنتا عشرة مقالة قصيرة لم تتعرض

---

(١) طبع أخيرا في كتاب : خلاصة اليومية .

للاحتلال الانجليزى ولا اعلان الحماية ، ولا لأرض مصر وسمائها وناسها وحيوانها وقد صارت تحت وطأة الاحتلال الغليظة ، والسخرة القاتلة ، وقد نعتذر للعقاد بأن الرقابة على المطبوعات كانت صارمة تدفع بالكاتب الى الهاوية أو ترمى به فى مكان سحيق خارج الوطن ، وهو كاتب يحس بالموت ان لم يكتب ، ووطنى يشعر بالضياع ان لم يفد وطنه وأمته ، فكان أن عالج شئون الأخلاق والاجتماع وشيئا يتعلق بالأدب وصوغ العبارة •

والعقاد فى هذا الكتاب الصغير مصلح ، ولكنه مصلح يلفه اليأس برداء أسود أو على أقل تقدير انه غير متفائل، وقد يكون يأسه من قبيل ثورة الشباب التى تريد الاصلاح الفورى ، وكل الدعاة فى أناة وتفاؤل يبذرون البذور وينتظرون زمن الحصاد ، ولكن العقاد يريد الزرع والحصاد فى آن ، ومن هنا كان بعده عن التفاؤل ؟ لذلك كان أول مقال فى الشذور ( الراحة ) كأنه قد تعب وجهد وآن له أن يستريح ، وهو حديث متخيل جرى بينه وبين أبينا آدم،يروعنا منه قسوة النقاش ، وشدة الجدال الى درجة أن آدم قال له : « فدك يابنى فدك » أى حسبك ، ومن تلك القسوة قول العقاد: فهلا اذ كنت فى الفردوس كان لك بطيباته المحللة غناء عن تلك الشجرة الممنوعة ؟ وهلا اذ أكلت منها تذكرت بنيك فقطفت لهممن ثمار الفردوس ما يتنسمون منه رائحة تلك الدار التى كنت فيها ، ثم أورثتهم الحنين اليها ؟ ؟ وقد غفر الله لآدم ذنبه ، ولم يغفره العقاد له ، وآدم يتنصل من ذنبه ويطمئنه فيقول له : انتهزت بكاء حواء وذهولها ، وانشغال الملائكة فأخذت جوهرا وهاجا « ذلك جوهر الراحة يا بنى ومن آفته أن من يحرزه لا يحس به ولا يقدر قيمته فأوضعت (١) اليه ، فالتقطته ، ولم يشعر بى أحد ، وجوهر الراحة لا يعثر عليه الانسان وهو يتحرك على ظهر الأرض • يقول أبونا آدم : « لا تطمعوا أن تجدوه حيث أنتم كادحون ، فانما دفنته تحت التراب فى

---

(١) أسرعت

مكان لا يراه من ينظر السماء ، ولا يرى السماء من ينظر اليه ، ولكنكم متى حللتم جوف الأرض وأطرحتم كل أمل لكم فى ظهرها فهنالك الراحة التامة » والعبرة واضحة فمادام الانسان حيا يعمل فهو فى شقاء لا فرق بين ملك وسوقة ، وغنى وفقير . والقرآن الكريم نص على تلك الحقيقة قال تعالى: «لقد خلقنا الانسان فى كبد»[1] أى مشقة ، فالعقاد فى مقاله يرى الحياة تعبا فى تعب ، وشقاء فى شقاء ، والنجاء منها يكون بسكنى باطن الأرض ، أليس فى تصدير كتابه بهذا المقال اشارة الى همومه ومعاناته ازاء نفسه وازاء مجتمعه ؟ وتبرز همومه بشكل واضح فى معالجته ( الغرور ) وفيه لم يميز بين الثقة والزيادة عليها وهو ما يسمى بالغرور ، وفيما بعد فى مقالات أخرى ميز بينهما تمييزا تاما فى « ساعات بين الكتب » وفى مقالات « أنا » لأنه انتهى بمقاله بأنه كذب مفيد على كل حال ، والكذب مهما أقهر الانسان عليه فهو ضار ، وليس من الأخلاق فى شىء ، والخطأ هنا جاء من جانبين ، من المجتمع من ناحية ، ومن نفسه القائمة من جهة أخرى ، ويعنينى من « الغرور » تلك الصورة التى وضعها العقاد نموذجا للغرور قال : « ومما يحكى أن عجوزا شوهاء قرعاء عوراء بخراء . وقفت أمام المرآة مرة وجعلت تقول عجوز ، نعم ولكنى شبت على صلاح ، شوهاء ، بلى ولكننى لم أتحال ولم أزور على الناس بالطلاء كما تصنع سمجات النساء، قرعاء ، أجل ولكننى لم أدنس رأسى بوساد الخنا والفجور ، عوراء، أى ، ولكننى لم أنظر لريبة قط ، بخراء ، صدقوا ولكنى طهرت فمى أن ألوثه برائحة الهجر والمهاترة ونتن السفه والمشاتمة ... قالوا وكان ابليس واقفا يسمعها، فقال : يا فاجرة، اتد عرضتك على الفسقة فى مشارق الأرض ومغاربها فكلهم صدوا عنك . ويختم مقاله بحتمية الغرور قائلا : « وما أخطأ كارليل حين قال : هو حاسة سادسة لا تشبع ، وكما أننا لا نصلم الأذن اذا سمعنا ما نحب وما نكره ولانفقأ العين اذا أرتنا مايسر

---

(١) سورة البلد ، آية : ٤

وما يسوء ، ولا نجدع الأنف اذا أنشقنا ما ينعش وما يؤذى ، ولا نقطع اللسان اذا أذاقنا ما يحلو وما يمر كذلك لا نستأصل الغرور اذا كان فيه مع الصدق الآجل كذب راهن ، وكان الكنز لديه لا يخلو من المارد » .

أما مقال « نادى العجول » فلم أر فيه الا صورة أدبية لأعضاء النادى الذين جعلهم عجولا لضخامة أجسامهم ، فهو لم يبين لنا اتجاههم ومقاصدهم وأعمالهم حتى يعرف القارىء موقفه منهم ، وخير ما فى المقال أنه يظهر قدرة الكلمة على مزاحمة الريشة فى رسم الصورة وانظر معى الى رسم العقاد لنهاية المطاف لهؤلاء العجول فى اجراء الانتخابات : « جالت الرقاع فانتخب العجول زعيما شنيع الوجه منفرج البطن ، منحوس الطلعة ، نكير الصوت ، ثم اختارت الرئيس فالوكيل فالناموس (١) فالمفتش فالأمين ... خمسة عجول تتفاوت فى الجسامة حسب تفاوتها فى الدرجة ، فاصطفت صفا ، ثم أقبلت وأدبرت ، ثم دارت فى الندى تدبدب بأرجلها ، وتشول بأذيالها ، وتنفخ التراب بمناخرها ، ثم خورت خوارا رج الفضاء ، وطبق الأرجاء ، وأصبح فى الدنيا منذ ذلك اليوم ناد للعجول » .

وتراه فى مقال « علم الاحترام » يحارب النفاق ، ويضع قواعد لمن يجب احترامه ومن يجب امتهانه ، ووجد الناس على اختلاف أعمارهم وأخطارهم لا يعرفون منه قليلا ولا كثيرا ، وعنده أن احترام الظلمة خالص لا شائبة فيه للرياء « بل هو احترام لو أكرهوا أنفسهم على تركه ما استطاعوا ، وهاله أن يرى المثقفين لا يعرفون مواطن الاحترام ، فقد رأى مهندسا يقال عنه لو كان فى أيام خوفو لما بنى الهرم الأكبر سواه ، يقول : «ولكننى رأيته يطأطىء على يد صعلوك يسيل مخاطه على سياله ، ويجرى لعابه على لحيته فيقبلها ظهرا لبطن ، ثم بطنا لظهر ، فقلت : هذا رجل يشيد الهياكل الا أنه يعبد الأصنام ، لذلك وضع علم الاحترام وأساسه : اتباع آداب الصدق أن تحترم من لا يسعك احتقاره سواء فى سرك أو علانيتك ،

---

(١) كاتم السر .

وبايجاز تام : «احترم من ينفع الناس» وبعد لأى لم يجد من ينشره أو يعلمه، « وأى أستاذ يرضى أن يعلم الناس علما يحترقونه به ؟ ألا يكون شأن الأساتذة فى هذا الكتاب كشأن الفقيه المنافق فى كتب الدين ؟ يلقن الناس منها ما يدر عليه الرزق ويوطىء له الاعناق، ويعمى عنه العيون ،ويتركهم من الدين القويم فى جهل مقيم ، وعن اليقين فى ضلال مبين ، فبئست ....

وفى مقال اللغـات والتعبير يجعل الرياء سببا فى ظهور الصنعة فى الشعر والنثر ، ويؤيد كلامه بالنقل عن غيره فيقول : « ولقد والله أحسن ( جولد سمث ) اذ يقول فى احدى رواياته : لسنا نستعمل الكلام للافصاح عن حاجاتنا بقدر ما نستعمله لمداراتها » ومعنى ذلك أنه يسىء الظن بما يسمعه أو يقرؤه « فليتخذ الناس اللغات رموزا واشارات تنوب عن المعانى لمن يعرفها ، ولا تمثلها لمن لا يعهدها أو يأنس بها ، وليعلموا أنهم ماداموا لا يقولون كل ما يريدون أن يقولوه فهم خرس وان نطقوا » .

وفى « جمجمة الانسان » يحذر من اعتماد المرء على غيره، ويمهد لذلك بحكاية من حكات الفرس التى تفيد أن الرسول صلوات الله عليه شرب من غدير بكفيه حين أصحر فوجد ماءه عذبا ثم شرب منه باناء فوجد ماءه مرا ، ونطق الاناء حين رأى النبى يتعجب من غدير يجمع بين العذب والمر فقال : لا تعجب يانبى الله فان فى التراب الذى صنعت منه ذرة من جمجمة انسان فهذه الذرة هى سبب هذا التغيير . وهكذا تراه غير متفائل لما يراه ويشاهده ويسمعه حتى لتراه يبيح للانسان أن يكتسب اللؤم ، ليستطيع الدفاع عن نفسه ، ويعلن :

« أنا [1] لا ألوم هذا اللئيم الذى اقتبس دروس اللؤم من العالم كله . وكيف وهو يقتبس من أستاذ يلوح له بالعصا أنى ذهب ؟ » وماذا يفعل ليقضى على الرذائل ويغرس الفضائل؟ بداله أن يعالج الأمر بخلق عظيم هو « قوة الارادة » فماذا صنع ؟ يقول : « خطر لى أن أبتدع فى التجارة بدعة حسنة ، فاخترت أن أتاجر بالأخلاق

---

(١) من مقال ( اللؤم المكتسب ) .

النافعة للمصريين ، فجمع أولى الخبرة واستشارهم ، واستقر الرأى على التجارة فى قوة الارادة ، لأنها هى التى يحتاجون اليها ، وهى أربح من تجارة الوطنية والدين ، « لأن حاجتنا الى الوطنية والدين أقل من حاجتنا الى الأخلاق ولاسيما قوة الارادة ، هكذا قال واكترى دكانا فى أوسع أحياء العاصمة وزينه وكتب لافتته بخط واضح جميل ( هذا دكان قوة الارادة يعطيك على نفسك سلطانا لا حد له ) وفى أول صباح جلس للبيع جاءه سكران تهجى العنوان حرفا حرفا بعد شق النفس ، ودارت بينهما كارثة برزت فيها محاسن قوة الارادة ، ومن الغريب أن السكران الذى لا يبالى بنوع ما يسكره قال له : من يضمن لى جودة الأصناف ويكفل نقاوتها من الأخلاط والأوشاب ؟ وقد أعطاه العقاد نموذجا عليه للتجربة ، ولكن السكران ذهب الى التجار يسألهم فكلهم استغربوا هذا الصنف الا تاجرا ماكرا فحصه وأبدى اشمئزازا منه ، ثم انتهز الفرصة وقلده ، وفتح دكانا تجاه دكان العقاد ، وحملت لافتته : ( هذا دكان قوة الارادة الصحيحة يعطيك سلطانا لاحد له على ملذات الحياة ) واستأجر له دلالا سليطا يصرخ وينادى ويزين فوائد البضاعة ، وأقبل الناس عليه يشترون ، وقد كان ظن العقاد أنه سوف لايكون فى الاثنى(1) عشر مليونا الذين يسكنون وادى النيل مصرى واحد الالدية مقدار كبير أو صغير من تجارتى ، ولأنه يبيع ارادة الجد والعمل ، ومنافسه يبيع ارادة اللهو والكسل . لم يبع العقاد ولم يخرج من دكانه الا العلبة التى أخذها السكران بالمجان . يقول العقاد : ثم يئست وسلمت فأقفلت الدكان ، وطلقت التجارة ، وهأنذا أسأل عن المحكمة لأودعها الدفاتر والمفاتيح ، وفى مقال : « الشجاعة والعدوى » يخيب تلك الخيبة ، فهو يريد من الناس أن يفروا من الأوبئة ، ويحصنوا أنفسهم بالطب والأطباء ، ولكن من خالطهم وخالطوه وناصحهم وناصحوه أبوا أن يصغوا اليه ، ورأوا فرارهم من الأوبئة جبنا ، وكلما زاد فى النصيحة وضرب الأمثال ،

---

(1) تعداد سكان مصر عام ١٩١٥

وتذكيرهم بموقف عمر رضى الله عنه وما جرى بينه وبين أبى عبيدة فى أمر الرياء زادوا فى امعناد ، وأكثروا من الخلاف ؛ لذلك كان اقتراحه على الحكومة فى ذلك الزمان « أن تجمع أفراد هذه الطغمة ، وتلصق بوجوههم علامة يعرفهم بها من يراهم حتى اذا وقف أحدهم فى طريق سيارة أو ترام أو تعرض أمام صائد يطلق على هدفه لم يكفف للصائد يده ، ولم يتعب السائق فى ايقاف سيارته أو ترامه ، فيضيع من وقت الركاب دقيقة أو أكثر لانقاذ حياة هانت على صاحبها الى هذه الدرجة وليست هى على الناس بأقل هوانا » ، وهكذا تراه مصححا على مذهب أبى تمام .

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما
فليقس أحيانا على من يرحم

فهو مستعجل فى اصلاحه كما ذكرت ، والمقالات تريك اتجاهه فى الاصلاح وما من شك فى أن قوة الارادة تدل على تفكير جاد ، فقد كانت مصر ابان الحرب العالمية الأولى فى حاجة ماسة الى ذلك الخلق ، فلما تمكنت منه قامت بثوراتها ضد الاحتلال حتى بلغت ما تريده على مدى أعوام ثقال ، وما ذكره فى مقالاته مازلنا فى حاجة اليه ، فالاعتماد على النفس والمصارحة ، والجد فى العمل ، والتعبير الصادق كل أولئك نحن فى حاجة اليه .

وأسلوب الشذور يجمع بين الاقناع والامتاع ، فحينا يتأنى ويحلل ويعلل ، وحينا يتدفق ويتأنق حسب الموضوع وصلته بالعاطفة أو الفكر ، فحين يتأنى فى مقال « مواضع الملاحة » يقول : « ان لكل عضو جماله الخاص وجمال العيون والشفاه عام لا يجمل الجمال الا به ، ولو نظرنا الى مزية فى العيون والشفاه تجعل لها هذا الشأن فى تقيد الجمال غير اتصالها بالاحساس ذلك الاتصال الذى ألمنا اليه لما أبصرنا لها أى مزية سواها . فلماذا لا نقول : ان الأصل فى حب الجمال هو امتحان قابلية الجسم بأظهر أجزائه للناظر » وحين يتدفق فى مقال « البخيل » يقول :

« ليس البخل عاهة واحدة ، بل هو جملة عاهات ممثلة فى تلك العاهة ؛ فهو مزيج من الجبن الدنىء الذى يصور للمرء الخطر المستحيل كأنه قضاء حتم لا مرد له ، ومن

الخسة التي يتساوى عند صاحبها الفخر والعيب ، وتلحق عنده مراغة الهوان بمقاوم السؤدد ، ومن البلادة التي تميت فيه كل أريحية فلا تهتز في نفسه أمنية أو عاطفة تقوى على كسر قيود شحه وجبنه ... » ومع أنه يكره الزينة ، وينادي بترك الصنعة ؛ لأنها نوع من الرياء نراه يسجع في جمل متتابعة كقوله في مقال « الغرور » « وان كان (١) مهينا ذليلا قال : مالي وللرفقة والسناء أضيم الأبرياء ، وأعتو على الضعفاء ، وأروى بهما الحقد والبغضاء ، وما يتبعهما من سوء الثناء ، وأنصب لما ليس يعنيني من الأشياء ، وأخدم المرءوسين وأنا أحسبني من الرؤساء ألست أنا في هذه الدعة والرخاء أولى بالغبطة والخيلاء ، وأعز في ذلتي وضرعي من الأعزاء ؟ وهو سجع مقبول مما يتطلبه المعنى، ولكن كثرة تواليه تثقله . وقد يستخدم من العبارات ما يشير الى أصالته في فهم النحو وتقيده به في كتابته مثل قوله في مقال « اللغات والتعبير » « وماكان الانسان قبل آلاف الحقب أيام هو بعد بهيم سارح في مراتع العجمة يعول فيما يراه من رضا صاحبه أو غضبه ، ومن صدقه أو مكره ، ومن أمانته أو خيانته الا على مايتفرس في أسارير وجهه وغمزات طرفه وحركات أعضائه ، وكان اذا كلمه لم يكد يثق بكلامه ويأمن اغتياله أو يطابق مدلول أقواله ما وقر في قلبه من مغزى اشاراته ومعنى ملامحه ، فهو يأتمن السليقة ويرتاب في اللسان » ألست تراه في هذه القطعة يرضي ذوق الامام عبد القاهر الجرجاني الذي يهمه أن يكون نظم الكلام جاريا على قواعد النحو .

وانظر حرص الكاتب على الدقة ، انه يشرح ( أو ) قائلا : « أو هنا بمعنى حتى » وهو يستشهد قليلا بالشعر والاستشهاد يجيء كأنه من نسجه . ولا ريب في أن « الشذور » على صغر حجمه يحمل في طياته كثيرا من بذور الاصلاح ؛ لأنه صدى قلب يحب لأمته ووطنه الرقي والفلاح . وما قلناه تحية له في ذكراه الثانية عشرة (٢)، وله من الله حسن الثواب ؟

**السيد حسن قرون**

---

(١) المغرور .

(٢) توفي العقاد في مارس سنة ١٩٦٤ م .

# إذا هبت ريح الإيمان

للدكتور عبد الودود شلبي

كنت فى زيارة لاحدى الجامعات الكبرى فى العالم العربى • وقال محدثى - وهو أمين عام لهذه الجامعة • هل تصدق ؟ لقد استدعينا خبيرا فى التعليم من بلد عربى لمراجعة المناهج التى وضعت لهذه الجامعة •• وأردنا تكريم هذا الخبير بتنظيم زيارته للأماكن المقدسة •• وبعد أن أدى عمرة • وانتهى من طوافه حول الكعبة قلنا له : ستسافر غدا لزيارة المسجد النبوى فى المدينة ، فقال الخبير الذى استدعى لاصلاح مناهج التعليم فى الجامعة •• ولماذا الذهاب الى المدينة ؟ أليس الرسول مدفونا هنا فى الكعبة •• ؟!

قال محدثى : وصعقنا من هول المفاجأة هل يعقل أن يكون هذا الخبير التعليمى والدكتور الكبير ذو الشهرة الواسعة جاهلا الى هذه الدرجة ••؟

فاذا كان الأمر على هذه الصورة بالنسبة لأقدس المعالم الاسلامية وبالنسبة لشخصية الرسول الكريمة فكيف يكون الأمر بالنسبة لرجال ليسوا فى هذه الدرجة ••• ؟ وفى قضايا اسلامية مختلفة ••• ؟

* *

لقد حفزنى الى هذه المقدمة ما قرأته أخيرا عن شخصية - أعتقد من غير شك - أنها من أعظم الشخصيات الاسلامية ، بطل من أبطال الاسلام فى شبه القارة الهندية• رجل من خيرة الرجال الذين عبروا هذه الحياة فى موكب من الجلال والايمان والعظمة •

انه الامام السيد أحمد الشهيد المولود فى « راى بريلى » عام ١٢٠١ هـ ، والذى نظم جماعة

اسلامية كبيرة أحسن تربيتها الدينية والحربية ، وهاجر معها من طريق « بلوخستان » و « أفغانستان » الى حدود الهند الشمالية واتخذها مركزا لدعوته ليتقدم منها الى الهند لاجلاء الانجليز وتأسيس دولة اسلامية على الكتاب والسنة . وقد انتصر هؤلاء المجاهدون على «السيخ» الذين احتلوا البنجاب ، واستولوا على « بشاور » وما حولها من القرى والمدن،وطبقوا النظام الاسلامى فى كل شبر حرروه من يد الاستعمار الانجليزى والوثنى واستطاعوا فى فترة وجيزة السيطرة على معظم الولايات فى الحدود الشمالية الغربية .

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوى:

لقد شرح الله صدرى لأن أختار روايات من هذا التاريخ العجيب فأصوغها فى اللغة العربية بأسلوب أدبى تدل على مكانة قائد هذه الحركة العبقرى ، وعلى مدى نجاحه فى تربية النفوس وتزكيتها ، وعلى اخلاصه وتجرده للغاية التى يسعى لها وتدل على نفسية هذا الجيل المؤمن المجاهد ، وخلقه ، ومبلغ تأثير الدعوة الاسلامية فى بنائه وتقويمه ويستطيع القارىء الذكى أن يجعل من هذه الشذرات الملتقطة من هنا وهناك فكرة جامعة متناسقة عن هذا الجهاد الطويل لهذه الجماعة المؤمنة وعن شخصية قائدها الامام البطل وعن هذه المدرسة المنتجة المنجبة فيكون فى ذلك سد لهذا الفراغ الواقع فى المكتبة الاسلامية المعاصرة ورى لكثير من النفوس المتعطشة الى معرفة هذا الفصل الرائع من الجهاد الاسلامى وتاريخ التجديد الدينى فى الهند .

ان الكتاب أشبه بفيلم أخرج بالألوان الطبيعية لحياة هذا الامام المجاهد وجماعته المؤمنة أو هو صورة حية لمبادىء الاسلام فى الدين والحياة والعقيدة .

* *

لقد قام السيد الامام أحمد الشهيد بجولة اصلاحية فيما بين « دلهى وسهارنفور » عام ١٢٣٣ هـ وزار المدن والقرى ومكث بها أياما وأسابيع يدعو الناس الى الله وقد هدى الله فى هذه الجولة الموفقة خلقا يبلغ عددهم الألوف وتاب على يده من

عصاة المسلمين خلق لا يعلم عددهم الا الله • نزل السيد وأصحابه فى « لكناو » وكان جالسا فى مسجد المدينة كالمعتاد •• دخل المسجد جماعة فى مقدمتهم أمان الله خان ، وسبحان خان ، ومرزا همايون بك وكانت التفاتة من أصحاب السيد الجالسين حوله فتقطب جباههم وظهرت الكراهة فى وجوههم لرؤية هؤلاء الثلاثة وشعر بذلك السيد • وسأل عن السبب وقال: من هؤلاء القادمون؟ فقال أصحابه انهم رجال سوء وشر ، لم يتركوا نوعا من أنواع اللصوصية والشطارة الا وقد ارتكبوه•واشتهروا به • قال السيد : اياكم أن تفشوا هذا السر وانى لأرجو الله أن يكره اليهم الفسوق والعصيان ويحبب اليهم الايمان • ويوفقهم الى التوبة ويختم لهم بالحسنى • وما أتم السيد كلامه، حتى وصل هؤلاء النفر الى مجلسه وصافحوه وعانقوه فأجلسهم السيد بجواره وأسبغ عليهم من عطفه ، وحين أرادوا الانصراف سألهم السيد عن مهنتهم وصناعتهم • فقالوا فى حياء وخجل لا تسألنا عن ذلك واعفنا عن هذا السؤال •• فقال بعض أصدقائهم الذين جاءوا معهم : لا تتحرجوا من الصراحة وأخبروا السيد بالحقيقة • فاعترفوا أمام السيد بكل شىء •

لقد عاشوا على القتل والسرقة • والنهب•وكل أنواع الجريمة والفسق ثم قالوا موجهين كلامهم الى السيد : حين قصدنا مكانك جئنا فقط للتفرج والمتعة وحين جلسنا اليك وسمعنا منك أنكرنا نفوسنا وحياتنا وقلوبنا فاذا هى غير ما كنا نعرفه واذا بها تحدثنا أن نهجر بيوتنا وأهلنا ونلزمك فلا نفارقك • فاسمح لنا أن نبايعك ونتوب الى الله على يدك ، ولما هاجر السيد للجهاد رافقه هؤلاء فمنهم من استشهد فى سبيل الله ، ومنهم من عاش على الصلاح والعفاف وخدمة الاسلام والسعى لاعلاء كلمة الله •

وحين أراد الانجليز الغاء رحلات الحج من الهند الى مكة ، واستعملوا لهذه الغاية علماء سوء يفتون لحساب الهوى والشيطان بحجة فقدان الأمن والطاقة اللازمين لكل من يريد الحج، قرر السيد الامام أحمد الشهيد أن يتصدر لهذه الحملة المزيفة المزورة فنادى فى الناس بالحج ، وأرسل الكتب والبعوث الى جميع الأطراف

الهندية وتكفل بنفقات كل من ليس عنده زاد ولا راحلة ، فالتهبت جمرات الشوق الخامدة،وقويت الهمم الفاترة ودبت فى المسلمين حياة ايمانية جديدة وجاء اليوم الموعود وتوكل السيد على الله وخرج مع الناس فعبر النهر الصغير الذى يجرى أمام قريته، وتوجه الى « دلهى » ليركب منها السفن المسافرة الى « كلكتا » ومنها يركب البحر الى جده ..

وحين وصل السيد ورفاقه الى بلد على شاطىء النهر اسمه « مرزايور » فاذا بسفينة لنقل البضائع تعترض طريق النهر فتتوقف القافلة حيرى من هذه المفاجأة . وحين سأل السيد عن السبب قالوا : هذه سفينة حمولة تعترض الطريق،وهى تنتظر التفريغ والحمالون غائبون . فقال السيد ومن يمنعنا من أن نباشر هذا العمل بدل الحمالين ؟ ألسنا بشرا .. ؟ أم أن أيدينا مكتوفة أم مغلولة .. ؟ ولم يتم الامام كلمته حتى وثب الناس — وفيهم العلماء والأغنياء وأبناء الأشراف — الى السفينة وأفرغوا حمولتها فى مدة قصيرة . ووقف الناس على الشاطىء يشاهدون هذه الحركة العجيبة ويقولون : عجبا لهؤلاء الحجاج. يقومون بهذا العمل الشاق تطوعا واحتسابا وليس بينهم وبين هذا التاجر سابق معرفة انهم نوع آخر من الرجال أو الملائكة .

وفى قافلة الامام الشهيد كان الشيخ « عبد الحى البرهانوى » قائما بالدعوة والوعظ فساق الله اليه امرأة مومسا فتابت وندمت على حياتها السابقة ثم بايعت الامام أحمد .. على الايمان والطاعة .. ولما تابت هذه المرأة السعيدة .. أمر السيد ابن أخته بأن يركبها فى سفينة من سفن النساء .. فذهب بها الى سفينة من سفن الجماعة فرفض النسوة ركوب التائبة معهن وكلما ذهب بها الى سفينة من سفن النساء قلن:مومسه.. لا نسمح لها بالمرافقة .

ولما سمع السيد بذلك ذهب الى السفينة وهتف قائلا : لماذا لاتسمحن بركوب هذه المرأة السعيدة .. انها تابت عن جميع ذنوبها فهى اليوم أقرب منكن جميعا عند الله ..

ثم وقف الشيخ عبد الحى البرهانوى ونادى زوجته ثم قال لها والناس يسمعون : ألم آخذ عليك عهدا أن تعملى بأحكام الشريعة فى

هذا السفر .. ؟ فكيف ترفضين أختا ثانية هى أقرب الى الله منى ومنك ؟ افسحى لهذه المرأة السعيدة المكان.. واجلسيها فى جوارك . وعلميها الدين والآداب الاسلامية . وتفضلى يا أختنا العزيزة . وأهلا وسهلا ومرحبا ..

ورجع السيد من الحج ليبدأ مسيرة الجهاد الكبرى . وسارت جيوش المجاهدين معقودا لها لواء النصر من « بنجتار » و « بهلزة » و « مردان » و « بشاور » حتى كانت الواقعة الفاصلة فى بالاكوت .. واستشهاد الامام المجاهد ..

ان هذه الحقبة من التاريخ الاسلامى فى الهند لا مثيل لها فى تاريخنا المعاصر ... ان المعارك التى خاضها هؤلاء الأبطال .. أجل وأسمى من أن توصف فى اطار محدود من الكتابة ... انها شىء فوق تصورنا البشرى المحدود المعرفة والادراك..

ان « الياذة » هوميروس اليونانى لا ترتفع الى أعتاب هؤلاء الرجال الذين صبغوا من معدن الاسلام الالهى الصافى .. ؟

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوى:

أسفر صباح اليوم الرابع والعشرين من ذى القعدة ١٢٤٦ هـ أذن للفجر وتوضأ الناس ولبسوا السلاح.وصلى الامام المجاهد بالناس فكانت صلاة أخيرة ولما ارتفعت الشمس صلى صلاة الضحى ثم توضأ وابتهل الى الله أن يرزقه الشهادة .

وتمثلت الجنة للمجاهدين الذين طالما تغنوا بذكرها طويلا وأعدوا لها العدة ، وقوى ايمانهم ورفع الغطاء عن عيونهم فاذا بهم يبصرون مالا يبصره غيرهم . لقد بدأت ريح الجنة تهب من قمم روابى جبل بالاكوت ..

يقول أحد شهود هذه الواقعة .. كان السيد « جراغ على البنيالوى » قد نصب قدرا من الطعام على النار.. كان يحمل بيد سلاحا وبيد أخرى مغرفة يقلب بها الطعام . فكان ينظر الى جنود السيخ المرابطين على الجبل مرة .. وبعد تقليب الطعام بمعرفته مرة ثانية وحانت منه التفاتة الى السماء فصاح قائلا :

انظروا..انظروا الى هذه العروس القادمة من السماء تنادينى وهى فى

أجمل ثيابها ثم رمى المغرفة على القدر وقال : سآكل اليوم من طبقك أيتها الحورية فى الجنة .. ثم انطلق الى جنود السيخ يقاتلهم والناس يقولون له : انتظر حتى نرافقك فلم يبال وقاتل حتى قتل شهيدا ..

ودخل السيد الامام المجاهد أحمد الشهيد الى المسجد وقد غلقت الأبواب والنوافذ واستغرق فى صلاة عميقة يدعو الله أن ينصره أو يتقبله شهيدا فى يومه...وكأنما سمع صوتا يناديه يا أحمد .. ففتح النافذة ليرد على السائل فلم يجد أحدا .. وتكرر ذلك مرات عديدة وهو لا يرى انسانا . لقد كان الصوت قادما من وراء الغمام يبشره بالجنة .

وكان آخر أمر السيد أن رآه الناس جالسا على هضبة مستقبلا القبلة . يطلق البنادق وجثث الشهداء من حوله .. وبينما هم كذلك اذ توارى السيد عن عيونهم فى غمرة الغبار والدخان ونيران المدافع .. لقد زف الامام أحمد الشهيد الى الجنة فى كوكبة من الحور والملائكة . وسيق من بقى من المجاهدين الى المحاكمات والسجون وفى احدى هذه المحاكمات التعسفية وجه القاضى الى أحد الشبان كلمات غاضبة تفيض حقدا على هذه العصبة المؤمنة . كان الشاب الواقف أمام القاضى اسمه « جعفر » وارتفع صوت القاضى موجها كلامه الى هذا الشاب المؤمن: انك يا جعفر رجل عاقل ومتعلم وتعرف القانون الذى يعاقب بشدة كل من تسول له نفسه شق عصا الطاعة ولكنك أوغلت فى المؤامرة والثورة على الحكومة. وهاأنذا أحكم عليك بالاعدام ومصادرة أملاكك . ولن يسلم جسدك بعد الشنق الى ورثتك . وسأكون سعيدا ومسرورا حين أراك معلقا من رقبتك ..

استمع الشاب فى سكينة الى كلام القاضى .. الجلاد الذى وضع على منصة القضاء ليجعل من القانون حبالا وخناجر ، ولما انتهى من كلامه قال محمد جعفر :

ان النفوس والأرواح بيد الله وحده يحيى ويميت .. وانك أيها القاضى لا تملك حياة ولا مماتا ولا تدرى من السابق منا الى الموت.

وجن جنون القاضى من هذه الروح العجيبة فتقدم من « محمد جعفر »

ضابط انجليزى اسمه « بارسن » وقال له : لم أر فى حياتى انسانا يحكم عليه بالموت وهو فى هذا البشر والمسرة ؟ فأجابه محمد جعفر لماذا لا أفرح وقد رزقنى الله الشهادة فى سبيله وأنت يا مسكين لا تعرف حلاوتها ..

وشاع الخبر بين الناس من انجليز وهنادك فكانوا يزورون محمد جعفر وزملاؤه المحكوم عليهم بالاعدام ليروا هذه الآية الرائعة من الفداء والتضحية والشجاعة . ولما علم الحاكم الانجليزى بهذا الأمر استبدل حكم الاعدام بالنفى والأشغال الشاقة المؤبدة وقال فى حيثيات حكمه : انكم أيها الثوار تحبون الشنق وتعتبرونه شهادة فى سبيل الله ولن نبلغكم مرادكم لذلك نحكم عليكم بالنفى المؤبد الى جزائر سيلان !!!

وتشاء الاقدار أن يموت القاضى الانجليزى الذى أصدر حكمه على المجاهدين بالاعدام عقب صدور الحكم .. وكذلك جن الضابط « بارنس » ومات فى جنونه شر ميتة. وعرف الناس معنى الايمان وهم يسترجعون كلمات محمد جعفر للقاضى الانجليزى عقب صدور الحكم عليه بالموت ..

يقول المؤرخون : ان أصوات الشهداء فى معركة « بواتيه » أو بلاط الشهداء كانت تدوى بالتكبير بعد انتهاء المعركة على حدود فرنسا والاندلس وهناك فى هذه القرية الجبلية الصغيرة « بالاكوت » تهيب أرواح الشهداء بالمسلمين فى الهند وفى باكستان أن يكونوا كأسلافهم العظام .. فداء .. وتضحية واخاء ومحبة .

**د : عبد الودود شلبى**

---

**الحاكم المربى :**

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لا يبلغنى احد من اصحابى عن احد شيئا فانى لا احب ان اخرج اليكم الا وانا سليم الصدر .. » .

( رواه ابو داود والترمذى )

# ترتيب فرائض الوضوء

للدكتور ابراهيم دسوقي الشهاوي

المراد من ترتيب فرائض الوضوء ، تطهير أعضاء الوضوء متوالية حسب ذكرها في قوله تعالى « ياأيها الذين آمنو اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » •

فذكرها في الآية واضح في أن أول أعضاء الوضوء الوجه، يليه اليدان الى المرفقين ، يليهما الرأس ، يليهما الرجلان الى الكعبين •

وقد أجمع الفقهاء على أن تطهير كل عضو من الأعضاء الأربعة فرض من فرائض الوضوء لا توجد حقيقته اذا لم يحصل تطهير أحدها •

ثم اختلفوا في ترتيب تطهيرها حسب ذكرها في الآية على قولين :

**القول الأول :**

أنه فرض من فرائض الوضوء لا توجد حقيقة الوضوء بدونه ، فاذا حصل تطهير الرجلين قبل الوجه – مثلا – فانه لا يسمى هذا التطهير وضوءا ولا يصح أن تفعل به عبادة فعل لأجلها ، ذهب الى ذلك الشافعية والحنابلة في المشهور عنهم •

**القول الثاني :**

أنه ليس بفرض من فرائض الوضوء فتوجد حقيقة الوضوء بدونه ، فاذا حصل تطهير الرجلين قبل الوجه – مثلا – فانه يسمى هذا التطهير وضوءا ويصح أن تفعل به العبادة التى فعل لأجلها • ذهب الى ذلك الحنفية والمالكية •

### الادلة

استدل أصحاب القول الأول : على أن ترتيب تطهير أعضاء الوضوء بحسب ذكرها في الآية فرض من فرائض الوضوء بالكتاب والسنة: –

أما الكتاب : فقوله تعالى « ياأيها الذين آمنو اذا قمتم الى الصلاة

فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » .

ووجه الدلالة من الآية: أن أعضاء الوضوء لم تذكر فى الآية بترتيب وجودها فى الخارج وهو الرأس فالوجه ، فاليدان ، فالرجلان ، ولا بقاعدة ضم المتجانس بعضه الى بعض فيذكر المغسول ثم الممسوح ، كالوجه واليدين والرجلين والرأس وانما ورد ذكرها فى الآية على هذا الترتيب الخاص : وهو الوجه فاليدان فالرأس فالأرجل ؛ فخالف مقتضى الترتيب الخارجى ، ومقتضى الظاهر من ضم المتجانس بعضه الى بعض ، وهذه المخالفة لابد لها من فائدة ، ولا فائدة الا وجوب ترتيبها في الوضوء كما ذكرت، والا لما صح قطع النظير عن نظيره ، ولما خالف الترتيب الخارجى .

واعترض على هذا الاستدلال : بأنا لا نسلم أن ذكر أعضاء الوضوء كما فى الآية لا فائدة له الا وجوب الترتيب لجواز أن تكون الفائدة هى الاشارة الى الاقتصاد فى صب الماء على الأرجل لأنها مظنة الاسراف فى استعمال الماء فلذا جعلها بعد مسح الرأس تنبيها على الاعتدال فى غسلها

وأجيب عن هذا الاعتراض : بأن الاقتصاد فى صب الماء فائدة ليس من شأنها أن تقصد فى هذا المقام لأنه ليس من مقومات الوضوء التى سيقت الآية بجوهرها وأسلوبها لافادتها . والسنة قد تكلفت ببيان الاقتصاد فى صب الماء على العموم .

ودفع هذا الجواب : بأنه اذا كان الاقتصاد فى الماء ليس من مقومات الوضوء ، فالترتيب أيضا ليس من مقومات الوضوء ، وكون السنة تكفلت ببيان الاقتصاد فى صب الماء لا يمنع من الاشارة اليه فى الكتاب .

وأما السنة : فما رواه الدارقطنى والبيهقى من حديث جابر - رضى الله عنه - « أنه - صلى الله عليه وسلم - توضأ مرة مرة مرتبا وقال صلى الله عليه وسلم « هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به » » .

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أنه نفى قبول الصلاة بوضوء غير مرتب ونفى القبول شرعا نفى للصحة فتكون الصلاة باطلة وبطلانها انما

نشأ من عدم صحة الوضوء غير المرتب فيكون الترتيب لا بد منه لصحة الوضوء فيكون فرضا .

واعترض على الاستدلال بهذا الحديث : بأن في سنده القاسم بن محمد بن عقيل وقد ضعفه رجال الحديث فلا يصلح للاستدلال به ، وعلى فرض صحته فلا دلالة فيه على وجوب الترتيب ، فان قوله « وهذا وضوء » الاشارة فيه الى كونه مرة مرة ، أي أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يغسل كل عضو مرة واحدة ، وليست الاشارة فيه الى كونه مرتبا .

واستدل أصحاب القول الثاني : على أن ترتيب تطهير أعضاء الوضوء حسب ذكرها في الآية ليس فرضا من فرائض الوضوء : بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » .

ووجه الدلالة من الآية : أن أعضاء الوضوء ذكرت في الآية بعطف بعضها على بعض بالواو . والواو لمطلق الجمع لا تقتضى الترتيب ، فالمطلوب تطهير جميعها عقب ارادة الصلاة المدلول عليه بقوله « ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا .. » ، فالترتيب ليس مطلوبا فلا يكون فرضا من فرائض الوضوء .

واعترض على هذا الاستدلال : بأن كون العطف بالواو لا يقتضى الترتيب مسلم عند عدم القرينة الدالة على الترتيب والقرينة هنا على الترتيب موجودة .

وهى أن كل من روى صفة وضوء النبى - صلى الله عليه وسلم - فى السفر والحضر رواه مرتبا ، فمواظبة النبى - صلى الله عليه وسلم - بيان للمراد من الآية فتفيد أن الترتيب لابد منه فيكون فرضا .

وأجيب عن هذا الاعتراض : بأن مواظبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الوضوء مرتبا حسب ماذكر فى الآية لاتدل على وجوب الترتيب ؛ لأنها فعل والفعل بمفرده لايدل على الوجوب فلا يكون قرينة على أن الواو هنا كالفاء أو ثم فى افادة الترتيب ، فالمواظبة لاتدل على وجوب الترتيب وانما تدل على أنه مشروع ولا خلاف فى مشروعيته .

**القول الراجح**

والراجح ماذهب اليه المالكية والحنفية من عدم فرضية الترتيب فى تطهير أعضاء الوضوء لقوة دليله ، وسلامته مما ورد عليه والله أعلم بالصواب •

**نقض الوضوء بالخارج النجس من السبيلين(١)**

اختلف الفقهاء فى نقض الوضوء بالخارج النجس من غير السبيلين ـ على قولين (٢) •

**القول الأول :**

أنه غير ناقض للوضوء ، ذهب الى ذلك المالكية والشافعية والظاهرية والشيعة •

**القول الثانى :**

أنه ناقض للوضوء ، ذهب الى ذلك الحنفية والحنابلة •

**الأدلـــة**

استدل أصحاب القول الأول : على أن الخارج النجس من غير السبيلين لا ينقض الوضوء بالسنة وهى أحاديث كثيرة ، نقتصر على ذكر حديثين منها لظهور دلالتهما :

الأول : مارواه الدار قطنى ، عن أنس ـ رضى الله عنه ـ « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ احتجم فصلىولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه » •

---

(١) المراد بالسبيلين القبل والدبر وهما المخرجان المعتادان لخروج البول والغائط والودى والمذى والمنى ودم الحيض ودم الاستحاضة ودم النفاس والمراد بغير السبيلين أى منفذ فى البدن كالفم والأنف ، أو أى موضع من البدن كموضع الحجامة ـ مثلا ـ لخروج الدم ـ وكاللثة اذا خرج منها دم مثلا .

(٢) ومنشأ الخلاف بين الفقهاء فى نقض الوضوء بالخارج النجس من غير السبيلين أمران :

الأول : اختلافهم فى علة النقض بالخارج من السبيلين ، فذهب بعضهم الى أنها نجاسة الخارج وخروجه من السبيلين ، وعليه فلا نقض بالخارج النجس من غير السبيلين لعدم وجود العلة بتمامها ، وذهب البعض الآخر الى أنها نجاسة الخارج فقط ، وعليه فالخارج النجس ينقض الوضوء مطلقا سواء خرج من السبيلين أم من غير السبيلين .

الثانى : وجود أحاديث فى السنة بعضها يفيد النقض ، وصحت عند فريق من الفقهاء وبعضها يفيد عدم النقض عند فريق آخر ، وكل عمل بمارجح عنده ، ودفع التعارض بما رآه مرجحا لما اختاره .

ووجه الدلالة بهذا الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم يتوضأ من خروج دم الحجامة وهو خارج نجس من غير السبيلين وذلك يدل على عدم نقض الوضوء بالخارج النجس من غير السبيلين حيث لا فرق بين دم الحجامة وغيره من كل خارج نجس من غير السبيلين .

واعترض على الاستدلال بهذا الحديث : بأنه لا يصلح حجة ، لأنه من رواية صالح بن مقاتل عن أبيه ، وقد قال الدارقطنى صالح بن مقاتل ليس بالقوى وأبوه غير معروف ولأن فى سنده سليمان بن أرقم ، وهو مجهول .

الثانى : ما رواه الدارقطنى عن ثوبان - رضى الله عنه - « أن رسول الله - صلى عليه وسلم - قاء ، فدعانى بوضوء فتوضأ ، فقلت: يارسول الله ، أفريضة الوضوء من القىء ؟ قال لو كان فريضة لوجدته فى القرآن» .

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نفى وجوب الوضوء من القىء وهو خارج نجس من غير السبيلين ، فإنه أحال السائل على القرآن والقرآن لم يذكر فيه أن القىء ناقض للوضوء ، وذلك يدل على أن القىء وهو خارج نجس من غير السبيلين لا ينقض الوضوء ولا فرق بين القىء وغيره من كل خارج نجس من غير السبيلين .

واعترض على الاستدلال بهذا الحديث : بأنه لايصلح حجة : لأنه من رواية عتبة بن السكن ، وهو متروك الحديث .

واستدل أصحاب القول الثانى : على أن الخارج النجس من غير السبيلين ينقض الوضوء بالسنة والقياس .

أما السنة : فأحاديث كثيرة ، نقتصر على ذكر حديثين منها ،لظهور دلالتهما .

الأول : ما رواه الدارقطنى وابن ماجه ، عن اسماعيل بن عياش ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من أصابه قىء أورعاف أو قلس أو مذى ، فلينصرف فليتوضأ ، ثم ليبن - على صلاته وهو فى ذلك لا لا يتكلم » .

وجه الدلالة من هذا الحديث : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر بالوضوء بخروج القيء والرعاف والقلس ، وهي من الخارج النجس من غير السبيلين ، والأمر للوجوب ، فوجب الوضوء باتفاق ، كأنه سوى بينهما وبين المذى في نقض الوضوء ، فيكون كل خارج نجس ناقضا للوضوء سواء من السبيلين أم غيرهما .

واعترض على الاستدلال بهذا الحديث : بأنه من رواية اسماعيل ابن عياش عن الحجازيين ولا يحتج بحديثه عنهم ، فقد قال ابن عدى في الكامل « ان اسماعيل لايحتج بأحاديثه اذا روى عن الحجازيين » وقال الامام أحمد : مارواه اسماعيل عن أهل الحجاز فليس بصحيح » .

الثاني : مارواه الدار قطني عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اذا رعف أحدكم في صلاته فلينصرف ، فليغسل عنه الدم ، ثم ليعد وضوءه ويستقبل صلاته » .

وجه الدلالة من هذا الحديث : أن قوله « ثم ليعد وضوءه » أمر والأمر للوجوب ، وذلك يدل على أن دم الرعاف وهو خارج نجس ناقض للوضوء ولا فرق بين دم الرعاف وغيره من كل خارج نجس من غير السبيلين .

واعترض على الاستدلال بهذا الحديث : بأنه لا يصلح حجة ، لأنه من رواية سليمان بن أرقم ، وقد ضعفه الخطيب .

أما القياس : فقد قاسوا : الخارج من غير السبيلين على الخارج النجس من السبيلين بجامع خروج النجاسة من البدن في كل ، والخارج النجس من السبيلين ينقض الوضوء باتفاق فكذلك النجس من غير السبيلين ينقض الوضوء .

واعترض على هذا القياس : بأنه غير صحيح لأن حكم الأصل غير معقول المعنى فعلته غير معروفه ، والقياس يعتمد العلة . وماذكر من العلة غير صحيح .

### القول الراجح

هذا : وان الناظر في أدلة المتخالفين في نقض الوضوء بالخارج النجس من غير السبيلين يتبين له أنها لا تنهض حجة لأحد منهما ، لذلك نرى أن نرجع الى البراءة الأصلية

لعدم دليل من الشارع ، فلا يكون الخارج النجس من غير السبيلين ناقضا للوضوء..والله أعلم بالصواب .

**نقض الوضوء بالقهقهة فى الصلاة**

القهقهة ـ فى اللغة ـ مأخوذة من قها من باب ضرب ومعناه ضحك وقال فى ضحكه قه بالسكون فاذا كرر ذلك قيل : قهقه قهقة ، صح مثل دحرج دحرجة .

والمراد هنا الضحك بصوت يسمع .

وقد اتفق الفقهاء على أن الضحك فى الصلاة بدون قهقهة لا ينقض الوضوء كما اتفقوا على أن القهقهة خارج الصلاة لا تنقضه .

ثم اختلفوا فى القهقهة فى الصلاة على قولين :

**القول الأول :**

أنها لا تنقض الوضوء ، ذهب الى ذلك جمهور الفقهاء من السلف والخلف .

**القول الثانى :**

أنها تنقض الوضوء ـ ذهب الى ذلك الحنفية .

**الأدلــة**

استدل أصحاب القول الأول:على أن القهقهة لا تنقض الوضوء بالقياس:

فقد قاسوا القهقهة فى الصلاة على الكلام فيها بجامع أن كلا فعل خارج عن الصلاة ، والكلام فى الصلاة لاينقض الوضوء فكذلك القهقهة لا تنقض الوضوء .

واستدل أصحاب القول الثانى :
على أن القهقهة تنقض الوضوء :
بالسنة وهى آحاديث كثيرة نقتصر على ذكر حدثين منها لظهور دلالتهما .

**الحديث الأول :**

ما رواه الطبرانى عن أبى العالية ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من ضحك فى الصلاة قهقهة فليعد الوضوء والصلاة » .

**الحديث الثانى :**

ماروواه الدارقطنى عن أبى العالية « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يصلى فجاء ضرير فتردى فى بئر،فضحك طوائف فأمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذين ضحكوا أن يعيدوا الوضوء والصلاة».

**ووجه الدلالة من الحديث :** أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر من ضحك فى الصلاة قهقهة بالوضوء • والأمر للوجوب وذلك يدل على نقض الوضوء بالقهقهة والا ما وجب الوضوء •

**واعترض على الاستدلال بهذين الحديثين :** بأنهما لا يصلحان للحجية لأنهما من رواية أبى العالية ، وقد ضعفه رجال الحديث بأنه لايبالى عمن أخذ •

**القول الراجح :**

والراجح هو ما ذهب اليه جمهور الفقهاء من القول بعدم نقض الوضوء بالقهقهة لقوة دليله • ولأن القهقهة ليست حدثا ولا مؤدية اليه ، ولو فرضنا أن دليل الجمهور أيضا غير صحيح فنرجع الى البراءة الأصلية والأصل عدم النقض بالقهقهة حتى يرد الدليل ، ولادليل – والله أعلم •

**د : ابراهيم دسوقى الشهاوى**

---

**كيف اصلى ؟**

سئل حاتم الأصم عن صلاته فقال : اذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء ، واتيت الموضع الذى اريد الصلاة فيه فأقعد حتى تجتمع جوارحى ثم اقوم الى صلاتى ، وأجعل الكعبة بين حاجبى ، والصراط تحت قدمى ، والجنة عن يمينى والنار عن شمالى ، وملك الموت ورائى واظنها آخر صلاتى ، ثم أقوم بين الرجاء والخوف ، وأكبر تكبيرا بتحقيق واقعد واقرأ قراءة الترتيل . وأركع ركوعا بتواضع ، وأسجد سجودا بتخشع على الورك الايسر ، وافرش ظهر قدمها ، وانصب القدم على الابهام ، واتبعها الاخلاص . ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا ...

# تعقيبات على بعض ما ينشر ويذاع

للأستاذ على البولاقى

— ٥ —

**مسافة القصر :**

فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ص ٣٦٠ ( الطبعة الخامسة ) « أما شروط صحة القصر : فمنها أن يكون السفر مسافة تبلغ ستة عشر فرسخا ذهابا فقط ـ عند المالكية والشافعية والحنابلة ـ والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل ستة آلاف ذراع بذراع اليد ، وهذه المسافة تساوى ثمانين كيلو ونصف كيلو ومائة وأربعين مترا مسيرة يوم وليلة بسير الابل المحملة بالأثقال سيرا معتادا » أ هـ .

( أقول ) مقتضى هذا التقدير أن تكون الذراع ثمانية وعشرين سنتيا ، وذلك بقسمة المسافة على ٤٨ ثم قسمة ما خرج وهو (١٦٨٠) مترا ـ وهو مقدار الميل ـ على (٦٠٠٠) .

وكون الذراع ثمانية وعشرين سنتيا انما يصح اذا قصد بها الساعد وهو ما بين المرفق والرسغ ، والذراع بهذا المعنى ليس القياس بها معهودا ، وانما المعهود القياس بأذرع اخرى لا ينقص الواحد منها عن ٤٦ سنتيا وأشهرها ذراع اليد وهى تساوى ٤٨ سنتيا لأن هذا مقدار ما بين المرفق وطرف الأصبع الوسطى من الانسان المعتدل ، وعلى هذا لا يكون الميل (٦٠٠٠) ذراع ، كما فى الكتاب ، وانما يكون ( ٣٥٠٠ ) فقط وهو ماصححه ابن عبد البر ، فينبغى عند تجديد طبع الكتاب المذكور وضع هذا العدد بدلا من العدد (٦٠٠٠) .

ثم ان تحديد المسافة بثمانين ألف متر وستمائة وأربعين مترا يقرب من تقديرها بالزمن بناء على ما هو معلوم من سير القوافل بالحجاز ، فان متوسط ما تقطعه فى الساعة الواحدة أربعة آلاف متر الا ثلث الألف ـ أى ٣٦٦٦ مترا ـ فاننا لو ضربنا ما تقطعه فى الساعة فى ٢٢٫٥ وهو

عدد الساعات التى تسيرها القوافل فى اليوم والليلة ـ لكان الحاصل ٨٢٥٠٠ وهو يزيد قليلا عن المقدار السابق ، وللتوفيق بين التقدير بالطول والتقدير بالزمن طريقان ( أحدهما ) أن نجعل مدة السير ٢٢ ساعة فقط على ما قال صاحب كتاب دليل المسافر ( ثانيهما ) أن نجعل المدة ٢٢ر٥ ونقول : ان المتوسط السابق لسير الابل فى الساعة كان تقريبا ، والمتوسط الحقيقى هو ٣٥٨٤ مترا •

( فان قلت ) لم لم نقدر أربعا وعشرين ساعة كاملة ( قلت ) ان الفقهاء حينما قدروا المسافة بسير الابل المثقلة بالأحمال أو سير الناس مع دبيب الأقدام اعتبروا استثناء زمن النزول للصلاة والأكل والاستراحة وضبطها بعضهم بساعة ونصف كما فى «روضة المحتاجين للشيخ رضوان العدل بيبرس »» وضبطها الأستاذ أحمد الحسنى صاحب « دليل المسافر» بساعتين •

**ملاحظات :**

١ ـ ان تقدير المسافة بـ (٨٠٦٤٠) مترا هو أحد تقديرين شهيرين وهو ما اعتمده صاحب كتاب روضة المحتاجين المطبوع سنة ١٣٢٤ هـ، والتقدير الآخر أنها (٨٩٠٤٠) مترا وهو ما اعتمده صاحب كتاب دليل المسافر المطبوع لسنة ١٣١٩ هـ ـ أى قبل الكتاب السابق بأربع سنوات ـ وهذا التقدير مبنى على اعتبار الذراع جزءا من أربعة آلاف جزء من الميل وأن الميل هو الدقيقة الأرضية التى هى جزء من ستين جزءا من الدرجة الأرضية التى هى جزء من ثلاثمائة وستين جزءا من محيط الدائرة الاستوائية المسمى بخط الاستواء ومقداره ( ٤٠٠٧٠٣٩٢ ) مترا تقريبا فيكون مقدار الذراع $\frac{٣}{٨}$ ٤٦ سنتيا ويكون الميل ١٨٥٥ مترا فاذا ضرب فى ٤٨ كان الحاصل (٨٩٠٤٠) وهو يناسب ماجربه السيد الحسينى وغيره من سير الابل فقد بلغ متوسط سيرها فى الساعة ٤٠٠٠ متر ، فاذا ضربنا هذا المتوسط فى ٢٢ ساعة كان الحاصل ٨٨٠٠٠ متر وهو أقل بقليل من التقدير المذكور وللتوفيق بينهما طريقان (أحدهما) أن نجعل مدة السير ٢٢ر٢٦ ساعة ( ثانيهما ) أن نجعل المدة ٢٢ر٥

ونقول ان المتوسط المذكور لسير الابل تقريبى ، والمتوسط الحقيقى ٣٩٥٧ مترا .

( فان قلت ) أى التقديرين لمسافة القصر أرجح ؟ (قلت) التقدير الأول - وهو(٨٠٦٤٠) - ارجح من التقدير الثانى - وهو (٨٩٠٤٠ - لان الاول يتفق مع التقدير الزمنى لسير الابل المثقله بالاحمال ودبيب اقدام الانسان وهو المشى على هينة ، بخلاف الثانى فانه روعى فيه السير الوسط ، وهو أسرع من السير المعتاد فى الأسفار الطويلة .

٢ - المسافة عند الشافعية تحديدية على المعتمد ، فمن غلب على ظنه أحد المقدارين لم يقصر فى أقل منه ومن لم يغلب على ظنه شىء أخذ بالمقدار الأطول احتياطا .

وقال المالكية والحنابلة وبعض الشافعية انها تقريبية ، فالمالكية يغتفر عندهم نقص ثمانية أميال ، فمن قصر فى مسافة أنقص من المسافة المقدرة بثمانية أميال لم يعد صلاته على المشهور ، والأميال الثمانية تساوى ١٣٤٤٠ مترا على التقدير الأول ، وتساوى ١٤٨٤٠ على التقدير الثانى .

والحنابلة وبعض الشافعية يغتفر عندهم نقص ميلين أى ٣٣٦٠ مترا على التقدير الأول و ٣٧١٠ على التقدير الثانى .

٣ - تطبيقا على ما تقدم يقصر المسافر من القاهرة الى طندتا ( طنطا ) بناء على التحقيق الأول لأن مسافة السفر اليها بالقطار تساوى ٨٦٤٠٠ متر فهى تزيد عنه بمقدار ٥٧٦٠ مترا ، ولا يقصر على التحقيق الثانى لأنها تنقص عنه بمقدار ٢٦٤٠ مترا ، وهذا على القول بالتحديد ، وأما على القول بالتقريب فانه يقصر لأن النقص أقل من ميلين ، وبهذا علم خطأ ما فى دليل المسافر وغيره من أن المالكية والحنابلة والشافعية لا يقصرون فى ذهابهم الى طندتا ، فهذا سهو عن التقريب المقرر عند المالكية والحنابلة وبعض الشافعية .

٤ - يسن عند المالكية القصر لأهل مكة ومنى والمحصب اذا خرجوا فى موسم الحج للوقوف بعرفة ، وكذلك يسن لهم القصر فى رجوعهم اذا بقى عليهم عمل من أعمال الحج التى تؤدى

فى غير وطنهم والاوجب عليهم الاتمام. وهذه المسألة مستثناة عند المالكية من اشتراط طول المسافة كما فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة .

٥ ـ فى الكتاب المذكور أن مسافة القصر هى مسيرة يوم وليلة بسير الابل المحملة بالأثقال سيرا معتادا ، ( وأقول ) كان ينبغى أن يزاد على هذا الكلام فيقال ، بسير الابل المحملة بالأثقال سيرا معتادا ودبيب أقدام الانسان مع اعتبار زمن النزول المعتاد للأكل والشرب والصلاة والاستراحة، كما تقدم .

٦ ـ تقدير المسافة بالمساحة الطولية وبالزمن هو ماذهب اليه المالكية والشافعية والحنابلة كما تقدم ، وأما الحنفية فقد حكى عنهم كتاب الفقه على المذاهب الأربعة أنهم قالوا « المسافة مقدرة بالزمن وهو ثلاثة أيام من أقصر أيام السنة ويكفى أن نسافر فى كل يوم منها من الصباح الى الزوال ، والمعتبر السير الوسط أى سير الابل ومشى الأقدام ، فلو بكر فى اليوم الأول ومشى الى الزوال وبلغ المرحلة ونزل وبات فيها ثم بكر فى اليوم الثانى وفعل ذلك ثم فعل ذلك فى اليوم الثالث أيضا فقد قطع مسافة القصر ، ولا عبرة بتقديرها بالفراسخ على المعتمد ، ولا يصح القصر فى أقل من هذه المسافة » أ هـ .

وهذا كلام مجمل ، وايضاحه ان من أراد معرفة مسافة القصر عند السادة الحنفية يجب عليه أولا أن يعرف مقدار الزمن بين الفجر والزوال فى أقصر أيام السنة فى المكان الذى يسافر منه ، وهو يختلف باختلاف البلاد عرضا ، فيكون قريبا من سبع ساعات ونصف فى البلاد الاستوائيه ويكون أقصر من ذلك فى البلاد البعيدة عن خط الاستواء ، ويجب عليه ثانيا ان يعرف مقدار المسافة التى يقطعها الجمل أو الرجل فى هذا الزمن بالسير الوسط فى هذه الأرض السهلة أو الصعبة هل هى ستة عشر فرسخا أو أقل أو أكثر ؟ ويجب عليه ثالثا أن يتخذ هذا المقدار قاعدة فى المكان وفى جميع الأماكن التى تتفق معه فى خط العرض ، وفى سهولة الأرض أو صعوبتها ، ولا يتخذه قاعدة فى الأماكن التى تختلف مع هذا المكان فى خط العرض ، أو تختلف

معه فى سهولة الأرض أو صعوبتها . فقول الكتاب « ولا عبرة بتقديرها بالفراسخ » معناه أنها لا تقدر بعدد من الفراسخ تتفق فيه جميع البلاد بل يلاحظ فى كل بلد بما يناسبه من الفراسخ وأجزائها .

هذا ، وأقصر أيام السنة هو يوم الانقلاب الشتائى وهو اليوم الثانى والعشرون من ديسمبر (كانون الأول) وذلك فى نصف الكرة الأرضية الواقع شمال خط الاستواء ، واليوم الثالث العشرون من يونية ( حزيران ) فى نصف الكرة الواقع فى جنوب خط الاستواء .

٧ ـ تطبيقا على ما تقدم لو أراد الحنفى أن يسافر من القاهرة الى مكان ما فعليه أن يعرف أولا أقصر زمن بين الفجر والزوال فيجده ست ساعات وتسعا وثلاثين دقيقة ، فهذه مرحلة ، فاذا ضرب هذا العدد فى ثلاثة كانت المراحل الثلاث عشرين ساعة الا ثلاث دقائق ، واذا كان الجمل أو الرجل يقطع فى الساعة بالسير الوسط (٤٠٠٠) متر فانه يقطع فى المراحل الثلاث (٧٩٨٠٠) متر اذا كانت الأرض سهلة ، فاذا كان السفر يبلغ هذا المقدار وجب عليه القصر سواء أسافر فى زمن مماثل أم فى زمن أطول كمن يمشى على رجليه مشيا بطيئا أم فى زمن أقل كمن يركب القطار أو السيارة أو الطائرة ، وعلى هذا يقصر المسافر من القاهرة الى طنطا لأن المسافة بينهما أطول .

( فان قلت ) أليس الراجح أن متوسط الابل فى الساعة أربعة آلاف متر الا ثلث الألف كما تقدم ؟ (قلت) قد كان هذا هو الأرجح فى المذاهب الثلاثة لأنهم قدروا سير الابل المثقلة بالاحمال ودبيب أقدام الانسان ، والحنفية لم يقيدوا السير بذلك بل قالوا ان المعتبر هو السير الوسط ، ولا شك أنه يبلغ أربعة آلاف أو ينقص عنها نقصا يسيرا .

هذا ، وقد نقل صاحب حاشية ( رد المختار ) أن المرحلة فى مصر مسيرة سبع ساعات الاربعا وأن المراحل الثلاث مسيرة عشرين ساعة وربع ونقل هذا عنه أصحاب دليل المسافر وروضة المحتاجين والدين الخالص وغيرهم ، وهذا المقدار يزيد عن الحقيقة ثمانى عشرة دقيقة كما يعلم من مراجعة التقاويم الصحيحة .

ومن أراد السفر من مكة المكرمة الى مكان ما فانه يجد أقصر وقت بين الفجر والزوال أطول من أقصر وقت فى القاهرة ، ومن أراد السفر من دمشق الى مكان ما وجد أقصر وقت فيها أقل من أقصر وقت فى القاهرة ، فلكل بلد حسابه الخاص كما تقدم .

ومن هنا يعلم أن مسافة القصر عند الحنفية فى الأماكن الاستوائية لاتزيد عن مسيرة الابل اثنتين وعشرين ساعة ونصفا ، لأن أقصر وقت بين الفجر والزوال لايزيد عن سبع ساعات ونصف ، فتكون المراحل الثلاث تسعين ألف متر فى هذه الأماكن ، وقد علمت أنه كلما بعد المكان عن خط الاستواء شمالا أو جنوبا نقص مقدار المراحل الثلاث عند الحنفية حتى انها تكون ثلاث ساعات أو اثنى عشر ألف متر أو أقل من ذلك فى البلاد القريبة من القطب حيث يقصر النهار جدا فيكون ساعتين أو أقل عند الانقلاب الشتائى .

وفى كتب الشافعية أن مسافة السفر ان كانت مرحلتين فاكثر ولم تبلغ ثلاث مراحل كان الاتمام أفضل خروجا من خلاف الحنفية الذين يمنعون القصر فى أقل من المراحل الثلاث ، وقد علمت أن المراحل الثلاث عند الحنفية لا تزيد عن المرحلتين عند غيرهم الا فى البلاد القريبة جدا من خط الاستواء ، وأما الحجاز ومصر والشام وأوروبا ، فالمراحل الثلاث فيها عند الحنفية أقل من المرحلتين عند غيرهم ، فمتى بلغ السفر مرحلتين عند المالكية والشافعية والحنابلة فى هذه المواطن كان القصر عندهم أفضل من الاتمام من غير انتظار مرحلة ثالثة، فان الحنفية يوجبون القصر فى مثل هذا السفر لأنه يزيد عندهم عن ثلاث مراحل فينبغى التفطن لذلك .

**٨** ـ فى جميع كتب الشافعية التى تدرس فى كليات الأزهر ومعاهده الثانوية والاعدادية أن مسافة القصر أربعة برد والبريد أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل ستة آلاف ذراع أربعة وعشرون أصبعا والاصبع ست شعيرات ( بفتح الشين وكسر العين ) والشعيرة ست شعرات من شعر البرزون ، وأن هذه المسافة تساوى سير الابل المثقلة بالأحمال

ودبيب الأقدام يوما وليلة مع اعتبار زمن النزول المعتاد للأكل والشرب والصلاة والاستراحة .

وهذا الذى قالوه كله صحيح ماعدا تقدير الميل بستة آلاف ذراع ، فانه لو صح لكانت المسافة أكثر من مائة وثلاثين ألف متر وهذا المقدار لايوافق ولايقارب مسيرة الابل ودبيب الأقدام فالصواب تقديره بثلاثة آلاف وخمسائة ذراع على التحقيق الأول الذى اختاره صاحب كتاب ( روضة الطالبين ) أو بأربعة آلاف على التحقيق الثانى الذى اختارة صاحب ( دليل المسافر ) وقد سبق أن الأول هو الأرجح وعليه تكون المسافة ثمانين ألف متر وستمائة وأربعين مترا ، وهو المقدار الذى جزم به كاتبوا كتاب ( الفقة على المذاهب الاربعة ) .

والله الموفق للصواب .

**على حسن البولاقى**

---

**الاخوة المحروسة :**

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم .. قال ذكرك أخاك بما يكره ، قيل أفرأيت ان كان فى أخى ما أقول؟ قال : ان كان فيه ما نقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه فقد بهته ..

( رواه مسلم وأبو داود )

# كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٦ —

٢٢١ـ ويقولون : تناولنا غداءنا على السفرة ، ووضعنا أطعمتنا فوق السفرة ، والحق أن السفرة هى الطعام الذى يصنع للمسافر ، تقول : أكل المسافرون سفرتهم ، أى طعامهم • ولاصلاح تعبيرهم ينبغى أن يقال : تناولنا غداءنا على الخوان ، ووضعنا أطعمتنا فوق الخوان بكسر الخاء وضمها والكسر أفصح ، وجمع الخوان للقلة أخونة ، وللكثرة خون بالضم •

ويقال أيضا وضعنا الطعام فوق الاخوان وجمعه أخاوين ، وفى الحديث « حتى أن أهل الاخوان ليجتمعون » •

وكما يقال أكلنا السفرة يجوز لنا أن نقول : أكلنا المائدة ، لأن كلمة المائدة تطلق على الطعام كما تطلق على الخوان وعليه الطعام ، وهى فاعلة بمعنى مفعولة ، لأن المالك مادها للناس أى أعطاهم اياها ، ولا يقال للخوان مائدة الا اذا كان عليه الطعام، فان لم يكن عليه طعام فهو خوان فقط •

٢٢٢ـ ويقولون: لبس الرجل خاتما ثمينا فى بنصره ، بكسر الباء وفتح الصاد ، والصواب أن يقال فى بنصره بكسر كل من الباء والصاد ، وهذه هى الاصبع التى بين الوسطى والخنصر •

أما الخنصر وهى الاصبع الصغرى فبكسر الخاء والصاد أيضا ، بيد أنه يجوز فى صادها الفتح •

٢٢٣ـ ويقولون: بكى فلان بكاء مرا أو بكى بمرارة ، وهذان التعبيران من صنيع الأعاجم ، اذ أنه لا علاقة بين البكاء وطعم المرارة الا فى أذواقهم •

أما العرب فقد جعلت الوصف بالمرارة خاصا بالحياة كما فى قول الشاعر •

والموت خير من حياة مرة
تقضى لياليها كقضم الجلمد

قد أحسنوا صنعا فى ذلك ، فان من يقاسى نكد الحياة كان كأنه يأكل شيئا مرا •

٢٢٤ – ويقولون:لهؤلاء الأدباء أمور ذاتيــة ، أى أمور منســوبة اليهم ، ولمحامينا فى هــذه القضية رأى ذاتى أى رأى منسوب الى ذاته ، والفصيح أن يقال : لهم أمور ذووية ، ولمحامينا رأى ذووى ، ففى المزهر ص ٣٢٠ من الجزء الأول : وقولهم الصفات الذاتية مخــالف للأوضــاع العربية ، وفى المصباح المنير قال ابن برهان من رجالات النحــو : وقــول المتكلمين الصفات الذاتية خطأ ، لأن النسب الى ذات لا يكون الا بردها الى أصــلها وهو ذوى كعصــا ، فكما يقــال فى النسب الى عصا وقفا عصوى وقفوى يقال فى النسب الى ذات ذووى ، وما قاله ابن برهان وغيره فيما اذا كانت الذات بمعنى الصــاحبة والوصــف واستعملت فى غـيره بمعنى الاسمية مسلم ولكنها اذا قطعت عن هذا المعنى كما فى قوله تعالى « ان الله عليم بذات الصــدور » أى بنفس الصــدور ، وقولك : لقيته ذات يوم ، وهو قليل ذات اليد ، وأصلح الله ذات بينهم ، وقد صار استعمالها بمعنى نفس الشىء عرفا مشــهورا ، حتى قال العلماء : ذات متميزة ، وذات محدثة ونسبوا اليهــا على لفظها فقالوا : عيب ذاتى بمعنى جبلى وخلقى •

مما عرضنا استبان أنه لايقال فى النسب الى ذات ذاتى الا اذا استعملت بمعنى الاسميه كمــا فى العبــارات السالفة الذكر ، ويقال : ذووى فى غير ذلك كما قلنا آنفا •

٢٢٥ – وينكر كثير من الخاصــة وجودكلمة الحماس بمعنى الشجاعة ، ويكتفون بالحماسة فى تأدية هــذا المعنى ، وحجتهم فى ذلك أن الحماس لم يرد فيما بين أيديهم من مراجع اللغة •

والحق أن الحماســة والحماس متفقــان معنى ، ولا حرج على من يستعمل كلا منهما ، قال ابن منظور فى اللسان : الحماسة المنع والمحاربة ، وكذلك هى الشــجاعة ، وفى شرح القاموس : والحماسة الشجاعة والمنع والمحاربة ، والحماس كسحاب الشدة والمنع والمحاربة •

فهو يريد بالشدة هنا شدة القلب وهي الشجاعة ، فقد جاء في اللسان : والشجاعة شدة القلب في البأس وفي القاموس الشجاع هو الشديد القلب عند البأس .

تقول : حمس فلان كفرح اذا اشتد وصلب في الدين والقتال فهو حمس وزان فرح ، وحميس ، وأحمس ، وهم حمس ، وهذا الرجل من الحمس وهم قريش لتحمسهم في دينهم ، واحتمس الديكان هاجا .

٢٢٦ ـ ويقولون : ماآلوك جهدا، يريدون بذلك عدم التقصير في بذل الجهد ، قال الأصمعي في اللسان وهذا التركيب خطأ . والصواب أن يقال : ما ألوت جهدا أي لم أدع جهدا ولم أقصر .

تقول : ألا يألو ألوا ، كما في قوله عز شأنه « يألونكم خبالا (١) » أي لا يقصرون في افسادكم وألى يؤلى تألية ، كما في قول الربيع ابن ضبع الفزاري .

وان كنائني (٢) لنساء صديق
وما آلى بني وما أساءوا

أي ما قصروا

ويقال أيضا : ائتلى فلان ائتلاء اذا قصر ، ومنه قوله تعالى « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين » أي لا يقصر أولوا الفضل ، وقول الجعدي

وأشمط (٣) عريان يشد كتافه
يلام على جهد القتال وما ائتلى

أي ما قصر

ومن معاني الألو الاستطاعة تقول : ما ألوت حدود الجبل ، أي ماستطعته أما آلى بالمد ايلاء فله معنيان أحدهما أعطى كما في قول عروة بن الورد

فلو أني شهدت أبا سعاد
غداة غدا بمهجته (٤) يفوق (٥)

---

(١) الخبال : النقصان والهلاك .
(٢) الكنائن : جمع كنة وهي امراة الابن او الاخ .
(٣) الاشمط : من يخالط شعره الأسود شعر ابيض .
(٤) المهجة : دم القلب .
(٥) يفوق : يحتضر وياخذه النزع .

فديت بنفسه نفسي ومالي
وما آلوك الا ما أطيق

أي لا أعطيك الا ما أستطيع ، وأنشد ابن الأعرابي :

أخالد لا آلوك الا مهندا
وجلد أبي عجل(١) رفيق القبائل

والمعنى الآخر: الحلف والاقسام ، تقول : آلى الرجل ليصومن ، وآليت ألا أكذب ، والآلية الحلف ، جمعها الألايا قال :

قليل الألايا حافظ ليمينه
فان سبقت منه الألية برت (٢)

٢٢٧ - ويسمون الشهر الأول من السنة العربية بمحرم ، والصواب أن يقال له : المحرم بأداة التعريف لأن العرب أدخلت عليه الألف واللام لمحا للصفة في الأصل وجعلته علما بهما ، مثل النجم فهو علم على الثريا بأداة التعريف .

٢٢٨ - ويقول العامة وبعض الخاصة: فلانة عضوة في الوزارة ، أو كانت عضوة في جماعة كذا ، فيوهمون اذ يؤنثون كلمة العضو ، وهو اسم جامد لا يقبل التاء في آخره ، وأصل وضع التاء في آخر الاسم انما يكون للفرق بين المذكر والمؤنث في الأوصاف المشتركة بينهما ، نحو صائم وصائمة ، ومعقول ومعقولة ، وكريم وكريمة .

أما دخولها على الجامد فسماعي في ألفاظ قليلة معدودة ، منها : أسد وأسدة ، وذئب وذئبة، وسبع وسبعة، ورجل ورجلة .

ويستثنى من دخولها في الوصف المشترك بينهما خمسة أنواع .

١ - ما كان على وزن فعول بمعنى فاعل ، نحو رجل صبور ، وامرأة صبور ، ورجل غيور وامرأة غيور ، ورجل شكور وامرأة شكور، ورجل بغى وامرأة بغى ، ومن هذا قوله تعالى « وما كانت أمك بغيا » وأما قولهم : امرأة عدوة فشاذ سوغه الحمل على صديقة .

وأما قولهم : امرأة ملولة ، فهذه التاء للمبالغة لا للتأنيث ، اذ يقال أيضا : رجل ملولة واذا كان فعول

---

(١) أبو العجل : الثور .

(٢) برت اليمين : امضاها صاحبها على الصدق .

بمعنى مفعول فان التاء تلحقه وجوبا، نحو جمل ركوب وناقة ركوبة .

٢ ـ ما كان على وزن فعيل بمعنى مفعول ان تبع موصوفه نحو رجل جريح وامرأة جريح ، ورجل قتيل وامرأة قتيل(١) ، ورأس دهين ولحية دهين ، وقد تدخل عليه التاء مع استيفاء الشروط لقولهم صفة ذميمة وخصلة حميدة فان كان فعيل بمعنى فاعل لحقته التاء كرحيم ورحيمة ، وشريف وشريفة ، وخبيث وخبيثة ، وكذا اذا كان بمعنى مفعول ولكنه لم يتبع موصوفه ، كما فى قولك : شاهدت قتيلة ، وعالجت جريحة .

٣ ـ ما كان على وزن مفعال بكسر الميم ، نحو رجل مهذار وامرأة مهذار ورجل مزواج وامرأة مزواج ورجل مسماح وامرأة مسماح ، ورجل متلاف وامرأة متلاف ، وشذ قولهم لكثيرة الفضل مفضالة وللمتحققة من الأمر ميقانة أى متيقنة .

٤ ـ ما كان على وزن مفعيل بكسر الميم نحو رجل معطير (٢) وامرأة معطير أى كثيرة التعطير طيبة العرف وشذ قولهم امرأة مسكينة ، وسمع قولهم امرأة مسكين على القياس حكاه سيبويه .

٥ ـ ما كان على وزن مفعل بكسر فسكون نحو رجل مغشم وامرأة مغشم وهى التى تركب رأسها فلا يثنيها شىء عن مرادها .

٢٢٩ ـ ويقولون : أودعنا عند فلان أموالنا فيوهمون،لأنهم يجعلون هذا الفعل ناصبا مفعولا به واحدا مع أنه ينصب مفعولين ، تقول : أودعته مالا اذا دفعته اليه ليكون وديعة عنده، وأودعته مالا أيضا اذا قبلته منه وديعة ، فهو من الأضداد ، وكذلك تقول:استودعته وديعة اذا استحفظته اياها قال :

استودع العلم قرطاسا (٣) فضيعه
فبئس مستودع العلم القراطيس

---

(١) امرأة قتيل : وهذا غالب قال ابن مالك :

ومن فعيل كقتيل ان تبع موصوفه غالبا التا تمتنع

( ٢ ) مثل معطير منطيق ، تقول : رجل منطيق وامرة منطيق أى بليغة .

(٣) القرطاس : الصحيفة .

ومن المجاز قولك : استودعته سرى ، وأودع قصيدته معانى رائعة

٢٣٠ – ويقولون : هذا المشهد ملفت للنظر بصيغة اسم الفاعل ، يعنون أنه معجب يأخذ بمجامع القلوب ، أو مؤلم يثير فى النفوس الحسرات ، وهذا التعبير معيرة لقائله لأن كلمة ملفت مشتقة من فعل رباعى لم يرد عن العرب ، وانما الذى ورد عنها هو الثلاثى والخماسى ، على أنهما لا يؤديان المعنى المبتغى ، اذ أن معناهما الصرف غالبا .

وللفت معان كثيرة منها :

١ – الصرف واللى ، تقول لفته عن رأيه اذا صرفته عنه ، كما فى قوله تعالى « أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا » ولفت الكلام لفتا اذا صرفته عن حقيقته وأرسلته على عواهنه ومنه الالتفات كما فى قوله سبحانه « ولا يلتفت منكم أحد » أى ولا ينصرف منكم أحد فيصيبه العذاب ، وكذا التلفت كما فى قول الشاعر :

تلفت نحو الحى (١) حتى وجدتنى
وجعت من الاصغاء (٢) ليتا (٣) وأخدعا

٢ – الضرب كما فى قولك : لفت الفلاح الماشية لفتا اذا ضربها لا يدرى أيها أصاب .

٣ – العطف والثنى كما فى قولك : لفت ردائى على عنقى اذا عطفته وثنيته عليه .

٤ – القشر ، تقول : لفت الرجل اللحاء (٥) عن العود اذا قشره .

٢٣١ – ويقولون : هذه الكتب لا تتناسب وعقول الأطفال ، وهذا العمل لا يتلاءم وأخلاقكم ، وهذا التصرف يتنافى وطباعكم الكريمة ، وكل هذه التعبيرات خطأ ، لأن الواو فيها لا يجوز أن تكون للمعية ، اذ يشترط فى نصب الاسم بعد واو

---

(١) الحى : من معانيه بطن من بطون العرب .
(٢) الاصغاء : الميل قصدا للسمع .
(٣) الليت بالكسر : صفحة العنق .
(٤) الاخدع : شعبة من الوريد .
(٥) اللحاء : قشر الشجرة .

المعية ألا يكون الفعل مقتضيا للمشاركة، لأن اقتضاء المشاركة يخرج ما بعد الواو عن كونه فضلة ، ويوجب أن يكون معطوفا على ما قبله كما في قولك : اشترك علي ومحمود .

وكذلك لا يجوز أن تكون الواو فيها للعطف ، لأنه يجب في العطف على ضمير الرفع المتصل الفصل بالضمير المنفصل ، أو بفاصل ما .

ولاصلاح تعبيراتهم السابقة ينبغي أن يقال : هذه الكتب لا تناسب عقول الأطفال ، أو هذه الكتب لا تتناسب هي وعقول الأطفال ، وكذا يقال في بقية الأمثلة .

ولا يصح أيضا أن يقال : هذه الكتب لا تتناسب مع عقول الأطفال، ولا تتلاءم مع أفكارهم ، لأن كلمة ( مع ) لا تلي الفعل المقتضي للمشاركة الا سماعا ، كما في قولك : هذا الرأي لا يتفق مع عقيدتي .

عباس أبو السعود

---

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها
هوانا بها كانت على الناس أهونا
نفسك أكرمها وان ضاق مسكن
عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا
وإياك والسكنى بدار مذلة
تعد مسيئا بعد ما كنت محسنا

# مجلة المجلات الإسلامية

## عزلة الأحرار

للأستاذ عمر بهاء الدين الأميرى

قالوا : اعتزلت ! فقلت صنت كرامتى
ولزمت فى رهج * الزحام ابائى

لامت بين تصرفى وسجيتى
وحفظت حق الله والعلياء

وذخرت نفسى للعظائم صابرا
وطويت عن ذل الصغار ردائى

* * *

قالوا : ألست تمل ؟ قلت يمل من
قصرت أخادعه * عن الجوزاء

انى لأغمض أعينى ومسامعى
هربا من الأبهاء والضوضاء

وأهيم فى جو التوحد مصعدا
متنعما بتنفس الصعداء

فأسيح من ملكوت روحى فى دنى
لا تنتهى ، مبسوطة الارجاء

معمورة بالخير ، زاهية السنا ،
مأنوسة ، خلابة الأجواء

الحب رونق زهرها وأريجه ،
والصفو ظل رياضها الفيحاء

وثمارها الود الصراح ، وجنيها
نيل المنى البسامة الغراء

اما هناءات الوصال ونشوة
اللقيا فبث اثيرها الوضاء

لا أرض فيها ، لا تراب ، ولا خنا
برئت من الشحناء والبغضاء

فجهاتها تبدو سماء كلها ،
وسماؤها كنه من الاضواء

آفاقها مأمومة ، وحدودها
معدومة ، والماء غير الماء

روح وريحان وراح ، لذة
لا غول فيها من سنى وسناء

سكنى الذى تأوى اليه جوارحى
فى كل نازلة ، وسر شفائى

مهوى قلوب ذوى القلوب وطبها
مسرى رجال الله والشعراء

وطن بنته لى النجـوم وأبدعت
في صوغه من عزة وصـفاء

فأنا الغريب غداة أنأى عن ربى
جنـاته الوضـاحة الغنـاء

* * *

قالوا : ومعترك الجهاد ؟ فقلت : هل
أضحى الجهاد تهاتف الغوغاء ؟

وتهافت المتفرجين وزينـة
وتدافعـا في السـاح يوم رخـاء

ان الجهـاد حصـانة ، ومتانة
وصـيانة في عـزمة واباء

ان الجهـاد أمـانة ورجـولة
ومن الجهاد كياسـة الحـكماء

ان الجهـاد رياضـة تـذكى النهى
ليس الجهـاد مطيـة الخيـلاء

والجور والدعوى ومجدا زائفا
عمـه النفـوس رزية الأرزاء

ان الجهاد تقى القلوب ، وعفة
المضطر ، رغم لجاجة الاغـراء

والعزم يوم البأس يحدده الحجـا
والبـذل في البأسـاء والضراء

* * *

قالوا : اعتزلت ! فقلت عزلة رابض

متحـفز للوثبة الشـــماء

انى لأرجو أن أحاول صادقا

فى صوغ ذاتى من تقى ومضـــاء

لأكون فى الجلى اذا الداعى دعـا

سـهما يصيب مقاتل الأعـداء

وأجود بالنفس الزكية فى رضـــا

ربى وأرخص فى الاله دمائى

فأنال احـدى الحسـنيين كرامة

بالنصر ، أو بمنازل الشـــهداء

* * *

ما عزلة الأحـرار الا عـزة

والصبر كل الصبر فى اللأواء

وضجيج شذاذ الحجا وعجيجهم

زبـد يذوب ، وجمعهم كغثاء

ان التوحد فى الرجال الى مدى

شـحذ لجـد الهمـة العقساء

**عن مجلة الفكر الاسلامى الايرانية**

## الاستشفاء بالعسل

### ١ ـ فى فقر الدم Anemie :

يبدو أن العسل يحتوى على عامل فعال جدا على الخضاب (الهيموغلوبين) وقد جرت دراسة العسل من هذه الزاوية فى بعض المصحات السويسرية حيث ألزم الأطفال على التغذى لمدة ٤ ـ ٨ أسابيع وكانت الجرعات تتراوح من ملعقة شاى الى ملعقة حساء فى اليوم مذابة فى حليب ساخن وكانت أعمار الأطفال تتراوح من ٥ ـ ١٢ سنة وقد لاحظ فراو نفلدر أن قوام الخضاب فى الدم يزداد فى هذه الحالة منذ الأسبوع الأول وأن الحد الأعظم للزيادة يصل من ٧٥٪ الى ٨٠٪ كما لاحظ أيضا أن زيادة فى الوزن تفوق الزيادة فى الطفل غير المعطى عسلا وكذلك زيادة هائلة فى القوة العضلية • وفى تجربة أخرى جرى تقسيم الأطفال الى ثلاث فئات : قدم للفئة الأولى نظام غذائى اعتيادى، وقدم للفئة الثانية نفس النظام السابق مضافا اليه العسل وقدم للفئة الثالثة نفس النظام الغذائى للفئة الأولى مع اضافة أدوية مختلفة عوضا عن العسل لزيادة الشهية أو لرفع نسبة الخضاب • وأعطت الفئة الثانية التى أعطت عسلا أحسن النتائج للحالة العامة وأعلى زيادة فى الوزن وأعلى نسبة لخضاب الدم •

وحصل بيريز ( Perez ) أيضا على أفضل النتائج بمزج العسل بدلا من السكر فى رضعات الطفل الخديج ( المولود قبل أوانه ) ولاحظ رولدير زيادة قوام الخضاب فى مجموعة أطفال عددهم ٣٠/ فى ميتم بالنمسا سبق أن أعطوا لمدة ستة أسابيع معلقتين من العسل يوميا على ثلاثين طفلا لم يعطوا عسلا • والزمرتان متجانستان قدر الامكان من حيث طول القامة والوزن والعمر والصفات العامة وجرب بالمر ( Palmer ) معالجة فقر الدم التجريبى المحدث عند /١٦٠ فأرا باعطاء هذه الفئران أنواعا من العسل الغامق فقط بينما أنواع العسل الفاتح لا يمكنها ذلك •

فما هى المواد الفعالة فى العسل التى تؤثر على قوام الخضاب ؟

هنا تختلف الآراء • فوفقا لرأى زايس ( Zaissl ) هى مواد معدنية كالحديد ومن جهة أخرى

فان النحاس والمنجنيز الموجود فى الأنواع الغامقة من العسل لهما أثر فعال الى جانب الحديد فى عملية تكوين الخضاب •

**٢ ـ فى امراض المعدة :**

أن رايشار **(Reichard)** ينصح بتناول العسل فى حالات قلة الحموضة أو ـ انعدامها ويعزى تسهيل افراز حمض كلور الماء بفضل مادة مرة يحتويها العسل بكمية قليلة وكذلك الجروح المعدية يلائمها العسل ويؤخر تكوين القروح بفضل الأحماض الامينية الموجود فيه• وأوضح لاريز Larizza بأن النتيجة الحسنة لشفاء آفات الأنبوب الهضمى بالعسل هى من هرمون جرابى أو مواد استروجينية اذ أن تناول الفأر المخصى لكمية غرامين الى ثلاثة فى اليوم من العسل يسبب رد فعل استروجينى وأثبت سيرينو وجود/٢٢/ ألف وحدة استروجينية فى بعض أنواع العسل •

**٣ ـ فى الاصابات المعوية :**

وفقا لرأى نوسبا ومر يستريح الأشخاص عند تناول العسل بعد العمليات الجراحية للامعاء ويكافح العسل الكتم (الامساك) بشكل فعال وخاصة عند الأطفال لأن لسكر الفواكه الذى يشكل حوالى نصف العسل تأثير جيد على الحركة الحوية لتموجات الأمعاء ( Peristaltisme ) ويظهر هذا بوضوح فى أنواع العسل ذات الرائحة العطرية والمجنية صيفا ولاحظ ذلك أبو قراط منذ قديم وقال بأن العسل المسخن يفقد تأثيره ضد الكتم لأنه يفقد مواده الطيارة العطريه • وأثبت ما ير بأن كمية قليلة من المواد العطرية الطيارة كالتى يحتوى عليها العسل تؤثر على حركات الأمعاء بينما أظهر سبوتل (Spottel) ( فى كتابه (Honig und Trocken milck) بالألمانية أى العسل والحليب المجفف نشرته ١٩٥٠ دار (Barth) بمدينة لايبزغ (Leipzig) ( ٣٢٣ صفحة ) وجود مادة غلوسيد اسراسنيك فى العسل التى تتحول فى الأمعاء بالأكسدة لتعطى مادة أوكستمتيل اسراكينون التى تكافح الكتم ويضيف بيريز الى ذلك بأن الأحماض العضوية فى العسل وخاصة حمض النمل تؤثر على جراثيم الامعاء وتكافح التخمر وبصورة عامة فان الزيوت الطيارة مطهرة بشكل

واضح فى السكر ذات التركيزالعالى• وحسب رأى نوفى (NOVI) فان بعض مركبات الدياستاز • لا تتخرب فى الوسط الحامضى وتوجد فى العسل بكميات ملحوظة جدا أحيانا كما ان المواد الغروية تلعب دورا وقائيا فان خميرة النشا الموجودة فى العسل والتى تكون درجة حموضتها المفضلة خفيفة لابد أن تكون أكثر فعالية للعمل فى الأمعاء•وعمل العسل فى حالة الانزفة المعوية أفضل من عمل سكر العنب بفضل الحموض الامينية والكالسيوم الموجودين فى العسل •

**٤ ــ فى اضطرابات طرح البول :**

ان الكلوكوز ( سكر الفواكه ) يسهل الافراز البولى أكثر من الفلوكوز ( سكر العنب ) والعسل أفضل من الاثنين وخاصة عسل نبات الخلنج ويعود الفضل فى ذلك لأحماضه العضوية وزيوته الطيارة ومشتقاته الفلافوية ويثبت مادوس حدوث توسع فى الأوعية الكلوية وزيادة افراز البول تحت تأثير جرعات زهيدة من الزيوت الطيارة • بينما يعزو فوكودا ادرار البول بدرجة كبيرة الى مركبات الأوكسيغلافون الموجودة فى العسل وعلى كل حال فان قدرة السكر الماصة للماء تفوق قدرة محلول الطعام العالى التوتروهذا الذى يفسر زوال الوذمات •

ويذكر ساك أن اعطاء مئة غرام ثم ٥٠ غرام من العسل يوميا فى احدى حالات التهاب الكلية المتقيح المترافقة بطرح كمية كبيرة من الجراثيم فى البول أدى الى تحسين ملموس وزوال كل من التعكر البولى والجراثيم العضوية ويعتقد أن قدرة العسل المطهرة تعود الى الاربوتين الموجودة فى العسل الغامق والتى تتميه فى الكلية الى الهدروكينون المؤثر ضد الجراثيم •

**٥ ــ فى اصابات مجارى التنفس:**

يبدو أن وصفة أبو قراط القديمة باعطاء العسل فى حالات السعال الشديدة والاصابات الحنجرية البلعومية قد عادت للظهور من جديد ويشرح زايس ذلك لوجود التركيز العالى السكرى وقدرة العسل المطهرة واحتوائه على الزيوت الطيارة • وأضاف معمل ماك Macx الألمانى العسل الى مستحضراته المضادة للسعال المؤلفة من النباتات المفيدة فى السعال فزاد فى تأثير هذه المستحضرات

بشكل ملموس وبين فرانك وجود التربينات أو الزعتر على الأخص فى زيوت العسل الطارة وتعمل هذه المواد على تنبيه القصبات بصورة خفيفة وعلى تقلصها بصورة أكبر الى جانب عملها المضاد للجراثيم •

**٦ ـ كمخفض للحرارة :**

لا يزال يستعمل منذ عصر أبو قراط فى حالات ارتفاع الحرارة وللأحماض العضوية فى العسل تأثير أكيد فى خفض الحرارة ويستعمل لهذا الغرض محلول ٥٪ من العسل •

**٧ ـ فى الاستعمالات الخارجية :**

ففى ألمانيا يعالج كرونيتز وغيره آلاف الجروح بالعسل وبنجاح مع عدم الاهتمام بتطهير مسبق والجروح المعالجة بهذه الطريقة تمتاز بغزارة افرازاتها فينطرح منها القيح والجراثيم وتجعلها نظيفة وواضحة تماما ويشير بولمان Bulman العسل كمضاد جراحي للجروح المفتوحة مع الرضا التام عن النتائج لأنه لم تحدث التصاقات أو تمزيق أنسجة أو أى تأثير عام ضار واستعمل زايس العسل فى معالجة الدمامل والجمرة الخبيثة بالتشطيب المسبق للمنطقة المصابة حتى يتسنى للعسل الولوج وبشكل عام فان نظافة الدمل تكون تامة خلال ٢٤ ساعة ويستحسن وضع العسل عدة مرات يوميا • ويضاف الى الاستعمال الخارجى للعسل التجارب الوقائية العلاجية لاصابات الحنجرة والأنف باستعمال العسل موضعيا •

وعالج ستولت اللوزتين بالعسل ففى استعمال العسل مرتين يوميا ولمدة أسبوعين تزول العصيات الجرثومية من سطح الاصابة •

والعسل فعال جدا ضد الحروق وقد يعود سبب ذلك الى مركباته العفصية وكذلك لا ينكر فضل العسل ضد الاكزيما •

لهذا وللكثير غيره لا نجد أجمل من اشارته تعالى عن العسل فى الآية ٦٩ من سورة النحل ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " يخرج من بطونها ( النحل ) شراب مختلف ألوانه فيه ( العسل ) شفاء للناس » •

**تعريب :**

**الدكتور عبد الباقى القدسى**
**والأستاذ فؤاد عطفه**

**مجلة العلوم البيروتية**

## حول دائرة المعارف الاسلامية

تبلورت الدراسات المركزة عن اليهودية الى اصدار « دائرة المعارف ( اليهودية سنة ١٩٠٣ م ١١ جزء ) – وبعدها اتجه المستشرقون الأوربيون فى نهاية القرن الماضى الى مشروع يهدف الى طبع دائرة معارف اسلامية • ولقد أخذ زمام المبادرة فى هذا الصدد المستشرقون الألمان بمساعدة الناشر «ج» بريل (ليدن) • وبسرعة ظهر الجزء الأول من دائرة المعارف الاسلامية باللغتين الانجليزية والفرنسية ، ولقد نالت دائرة المعارف الاسلامية هذا اهتماما كبيرا لدى جميع الأوساط وفى كل مكان نظرا لقيمتها ولما فيها من دراسة تحليلية للمعاهد والمراكز الاسلامية المختلفة تلك الدراسة التى قدمت بطريقة فيها مسحة من البراءة الزائفة وبعد فترة قصيرة صدرت دائرة المعارف الاسلامية المختصرة – التى تحمل مقالات مقارنة عن القانون الاسلامى . والعقيدة ، وعلم الالهيات • وبعدها صدرت الطبعة الثانية من دائرة المعارف الاسلامية طبعة مزيدة ومنقحة • وكان هذا فى حد ذاته تقدما ملحوظا •

لقد كان المشتركون فى هذا العمل والذين كانوا يضعون المواد الخاصة بالقانون الاسلامى والعقيدة وعلم الالهيات كانوا على الدوام من اليهود والمسيحيين • كما شارك أيضا الدارسون الأتراك ( الامبراطورية العثمانية ) والدارسون الاندونيسيون وهم قد تم اختيارهم • ومن الملاحظ أن الدارسين من البلاد العربية وبلاد شبه القارة الهندية الباكستانية لم توجه اليهم الدعوة للاشتراك فى هذا العمل • بل اننا لا نبعد كثيرا عن الحقيقة أن قلنا أنهم قد استبعدوا قصدا •

قام الكاتب اللبنانى « البستانى » بعد حوالى ٢٠ سنة بترجمة دائرة المعارف الاسلامية الى اللغة العربية الا أنه لم يستمر طويلا ولم يتم هذا العمل •

وفى الوقت نفسه فكرت الحكومة الايرانية أيضا فى نشر ترجمة فارسية لدائرة المعارف الاسلامية الا أنه حين بدأ العلماء والدارسون فى تداولها شعروا أن دائرة المعارف الاسلامية هذه هى محاولة لتقديم الاسلام بطريقة تختفى فيها الأراء الشيعية

وسـط التفاصـيل التى قـدمت عن المذهب السنى • وانتهى المشروع سريعا ولم يكتب له النجاح •

والمشروع المستقل الوحيد هـو ما قامت به الحكومة المصرية فأخرجت دائرة المعارف الاسلامية وعلى نفس المنهج تقريبا بدأت الحكومة التركية بنشر دائرة المعارف الاسلامية باللغة التركية •

الا أنه لم تظهر محاولة ما لترجمة دائرة المعارف الى اللغة التي يفهما الغالبية العظمى من المسلمين وتقديم الرد على مقـالات المسـتشرقين • وفى عام ١٩٥١ م قامت جامعـة البنجاب بنشر ترجمة أردية تحت اشراف وتوجيه الأستاذ المرحوم محمد شفيع • وتم انجاز عمل مشرف ورائع فى زمان حيـاته ، كما تم اضـافة عدة مقالات جديدة تمشيا مع طبعة « ليدن » • الا أن أهـم شـيء كان من الـواجب الالتفات اليه بقى مهملا الا وهو مواجهة اعترضات وطعن المستشرقين وتقولهم على الاسلام وهى أشياء ظاهرة للعيان • كما أن الاسرائيليات واضحة جدا بين المقـالات فى الأصل ـ وللأسف ـ لاتزال موجودة فى بعض المقالات فى الطبعة الأردية ( انظر مقال النكاح )

ومن هـذا ظهـرت ضرورة نشر ملحق اسـلامى لدائرة المعـارف الاسلامية بل هى ضرورة ملحة جدا •

وفيما يتعلق بالرد على المستشرقين والعمل على كشف ألاعيبهم الخفية ضد الاسلام تعاليمه ورجاله وأبطاله ـ قرر مجمـع البحـوث العلمية ـ لاهـور بجلسته المنعقدة فى يناير ١٩٧٦ م اصدار ملحق اسلامى لدائرة المعارف الاسـلامية باللغة الانجليزية حجم وطريقة طباعة طبعة ليدن الأصلية •

ومجمع البحوث الاسلامية ـ لاهور يهيب بجميع الدارسـين والعلماء فى العـالم العربى وخارجـه أن يبادروا بالمشاركة والمساهمة فى هذا المشروع الاسلامى •

ولقد عين مجمع البحوث الاسلامية الأسـتاذ الدكتور رانا احسـان الهى ( ماجتير ـ دكتوراه ـ البنجـاب ، وكمبردج) رئيسـا لتحرير الملحق الاسلامى لدائرة المعارف الاسلامية •

والاستاذ الدكتور رنا احسان الهى من الأساتذة الكبار المؤهلين تأهيلا علميا عاليا ـ وقد اطلع على جميع أساليب البحث الحديثة ، كما أنه معروف فى الأوساط العلمية والأدبية والدولية • وله خبرة طويلة فى أعمال دوائر المعارف •

ورأى المجمع أيضا أنه ايمانا بتقديم الاسلام بصورته الحقيقية يجب أن تقدم مقالات أصلية على موضوعات أساسية مثل العقيدة (للشيخ عبد العزيز بن باز ) على أن تضاف هذه المقالات على الملحق الاسلامى لدائرة المعارف الاسلامية •

ويرى مجمع البحوث العلمية أن يتم فى نفس الوقت اصدار طبعة عربية للملحق الاسلامى وسوف يكون الاستاذ د• سمير عبد الحميد ابراهيم• قسم اللغات الشرقية وآدابها « الدراسات الاسلامية » بجامعة القاهرة • (ومؤلف اقبال وارمغان حجاز ) أمينا عاما ورئيسا للتحرير •

وسوف يبدأ هذا العمل ان شاء الله فى أسرع وقت ممكن • كما يجرى فى الوقت نفسه تسجيل أسماء المشتركين فى الملحق الاسلامى لدائرة المعارف الاسلامية باشتراك أولى يدفع مقدما وقدره عشر جنيهات استرلينية عن كل نسخة •

وترسل المكاتبات على العنوان التالى :

الاستاذ الدكتور/رانا احسان الهى
مجمع البحوث العلمية ـ لاهور
باكستان

او على العنوان التالى :

الاستاذ الدكتور/ رانا احسان الهى •
الكلية الشرقية ـ جامعة البنجاب •
لاهور ـ باكستان •

وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا •

# الشرك الخفى

للأستاذ على عبد العظيم

« وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون »

## ٢ ـ عبادة الذات

ان حب المرء لذاته أمر فطرى ، بل هو ضرورة حتمية لأنه يحفزه للمحافظة على حياته وعلى صحته وعلى منزلته فى المجتمع الذى يعيش فيه ، وهو ـ مع هذا ـ يدفعه للتسامى والامتياز سواء بالثقافة الواسعة ، أو البطولة الرائعة ، أو الأخلاق السامية ، ويتجلى هذا الحب فى كل ما يصدر عن الانسان من أفعال ،وان كانت هذه الأفعال متباينة فان الباعث عليها متحد،وقد أدرك المتنبى بلماحيته الفكرية هذا المعنى فى قوله :

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه
حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس أورده النقى
وحب الشجاع النفس أورده الحربا

ولكن حب الذات اذا طغى وانحرف فانه يتطور من الحب الى الاعجاب ، ثم من الاعجاب الى التقديس ، ومن التقديس الى العبادة ، وحينئذ تصبح الذات صنما من الأصنام التى يعبدها أصحابها من المنحرفين ، وهذا مرض شائع فى كثير من الناس ، ويسميه علماء النفس « مرض النرجسية » Narcissism أو عشق الذات ، ويرجعونه الى اسطورة اغريقية قديمة خلاصتها أن فتى اغريقيا اشتهر بجماله الفتان وقع فى حب نفسه وتدله بها فكان يقضى النهار كله ناظرا الى صورة وجهه فى صفحة الماء ، وحاولت احدى الحوريات جذبه اليها ، ولكن عشقه لذاته صرفه عنها فلم يلتفت اليها وبالغت فى التودد اليه فبالغ فى

الانصراف عنها فمسخته الى زهرة نرجس •

وعشق الذات يملأ النفس اعجابا وغرورا فيتخيل صاحبها أنه فوق البشر أجمعين ، فاذا سمع ثناء على غيره ضاق بهذا الثناء وتبرم به ، وصب غضبه على المثنى وعلى المثنى عليه ، ونال الاخير بألوان الذم والتحقير ، وخلع عيوبه عليه بما يسميه علماء النفس بعملية الاسقاط Pvoiection وهى أن يسقط المرء عيوبه على غيره ليدفع التهمة عن نفسه ، فالبخيل يتهم غيره بالبخل ، والجبان يلمز غيره بالجبن ، والكذاب يعيب سواه بالكذب ، ويقسم على أنه صادق أمين ، مثل الذين قال الله فيهم « ويحلفون بالله انهم لمنكم ، وما هم منكم » ، وممن قال سبحانه فيهم « ويحلفون على الكذب وهم يعلمون » وهؤلاء الكذابون يسقطون جريمة الكذب على أكرم الصادقين صلى الله عليه وسلم ـ وهم يعلمون ؟ كما قال تعالى « قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون ، فانهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » •

والمرضى بعشق الذات يتلمسون التبرير لجميع تصرفاتهم ؟ فهم ـ فى زعمهم ـ معصومون من الأخطاء منزهون عن النقائص ، وكل أقوالهم وأعمالهم صادرة عن حكمة سامية وتفكير عميق ؟ هذه التبريرات يسميها القرآن الكريم بالمعاذير • ويقول الله فيها « بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ، ويسميها علماء النفس بعملية «التبرير» Rationlistion ويفسرونها بأن المجرم حين يرتكب جريمته يلتمس لها الدوافع والحوافز المشروعة ، فالمرتشى يزعم أن الرشوة هدية ، والقاتل يبرر جريمته بأنها دفاع عن النفس ، والبخيل يسمى نفسه مقتصدا ، والمبذر يسمى نفسه كريما ، والجبان يدعى أنه حذر حكيم ، والمتهور يدعى أنه شجاع جرىء ، وقد نبهنا القرآن الكريم الى عملية التبرير فقال فى البخلاء : واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ، وقال سبحانه فى الجبناء المتخاذلين «الذين يتربصون بكم ، فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم ، وان للكافرين

نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين » .

وقال تعالى فى تبرير المنافقين لتخلفهم عن مشاركة المؤمنين فى الجهاد « قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم ؛ هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون » .

ولايزال الانحراف النفسى يسيطر عليهم حتى يصدقوا ما يقترفونه من أكاذيب ، وقديما ورد فى الأمثال : لايزال الكذاب يكذب حتى يعد نفسه صادقا والله تبارك وتعالى يقول : « انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون » ويقول سبحانه : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون » ويستبد بهم الغرور فيرون الحق واضحا والأدلة قاطعة ولكنهم يركبون رءوسهم ويصبرون على الاثم وهم يعلمون ، قال تعالى : « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » وقال عز من قائل :

« ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » وقال جل وعلا : « ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله » واذا باغتهم القرآن باعجازه الباهر قالوا : « لو نشاء لقلنا مثل هذا ، ان هذا الا أساطير الأولين » ، ويطمس الغرور أبصارهم وبصائرهم فيرون أنفسهم آلهة أو أنصاف آلهة ، وجميع الناس غيرهم حمقى أو أشباه الأنعام « واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون» وتمتد سخريتهم الى الرسل والأنبياء فمنهم كان ينظر الى الرسول صلى الله عليه وسلم فى سخرية واستهزاء قائلا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ــ وفيهم يقول الله تعالى : « واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا»؟ ولكن الله سبحانه يطمئن رسوله قائلا : « انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون » .

وهـذه الكبرياء الطبيعية في نفوس هؤلاء المجرمين « ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، واذا مروا بهم يتغامزون » وقديما تطاول اليهود على ذى العزة والجلال فقالوا : «ان الله فقير ونحن أغنياء» كما قالوا : « يد الله مغلولة » ؟ ويستبد الصلف والـكبرياء بهؤلاء المنحرفين فيزعمون أنهم يملكون مقاليـد الدنيا والآخرة فيهتفـون بالنـاس أن يتبعوهم فى مسارب الضلال «وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم » ويرد الله سبحانه عليهم بقوله : « وماهم بحاملين من خطاياهم من شىء ، انهم لكاذبون ، وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون » .

وينتهى بهم المطاف الى عشق الذات ثم الى عبادتها من دون الله فلايجرى على ألسنتهم الا قولهم أنا أو نحن فاذا أنعم الله على بعضهم فى الدنيا بالجاه والسلطان قال : « ما علمت لكم من اله غيرى » واذا منحه المـال لم يشكر الله بل زعم أنه أحـرزه بعبقريتـه ومواهبه وقال مذهوا مختالا : « انما أوتيته على علم عندى » واذا وهب الله بعضهم بالقوة استبد بهم الصلف والغرور « فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ، أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشـد منهم قـوة وكانوا بآياتنا يجحدون » وهم بكبريائهم واسـتعلائهم يكملون عمـل ابليس اللعين ويتعاونون مـع أعوانه وذريتـه ممن قال الله فيهـم « شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا »وهم جميعـا بهـذا مطرودون من رحمـة الله .

ونحن نعلم أن ابليس كان يؤمن بالله ويؤمن باليوم الآخر « قال رب فأنظـرنى الى يوم يبعثـون » ويؤمن بعزة الله وجـلاله قائلا : فبعزتك لأغوينهم أجمعـين الا عبـادك منهـم المخلصين » ولكنه طرد من رحمـة الله حين اسـتبدت به الكبرياء وملأه الغرور اذ أنف من السـجود لآدم قائلا فى زهو واستعلاء « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقتـه من طين » ولمـا زجره الله سبحانه لم يعتذر ولم يبـادر بالتوبة والانابة وانمـا قال فى كبرياء « لم أكن لأسجد لبشر خلقته

من صلصال من حمأ مسنون » ولهذا حرم الله دخول الجنة على الجبارين المستكبرين قال تعالى : « تلك الدار الآخـرة نجعلها للذين لا يريدون علـوا فى الأرض ولا فسـادا والعاقبـة للمتقين » وقال سـبحانه : « ولا تمش فى الأرض مرحـا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » واذا امتلأ قلب الانسان بالغرور طبع الله على قلبه وحرمه من هدايته « انه لا يحب المستكبرين » ؟ « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » وقد ورد فى الحديث القدسى عن الله تبارك وتعالى : « العز ازارى والكبرياء ردائى فمن ينازعنى فى واحد منهـا فقد عذبته» وقال صلى الله عليه وسلم: « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » رواه مسـلم ، وروى الشيخان عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا »فانه سبحانه « لا يحب من كان مختالا فخورا » ولقد آتى الله لقمان الحكمة ونحن لا نكاد نعرف شيئا عن حياته ولا عن حكمته الا وثيقة تاريخية هامة حفظها لنا القرآن الكريم فى سورة لقمان ، هي وصية لقمان لابنه ، وقد جاء فيها قوله : « ولا تصعر خدك للنـاس ، ولا تمش فى الأرض مرحا . ان الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصـد فى مشيك واغضض من صـوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير » ومن صرفته كبرياؤه عن مراعاة حقوق الله وحقوق العبادة صرفه الله عن رحمته وعن هدايتـه « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغـير الحق ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها،وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين» وهم بكبريائهم وجبروتهم لا يستحقون أن تنالهم رحمة الله « ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنهـا لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنـة حتى يلج الجمـل فى سم الخياط ، وكذلك نجزى المجرمين ، لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين » ؟ وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»فقد انصرفوا عن الله فانصرف الله عنهم « ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم » وقد « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » .

ونحن نعلم أن الملائكة تتنزل على المؤمنين كما قال تعالى « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ونعلم فى الوقت نفسه أن الشياطين تتنزل على هؤلاء المتجبرين « ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا » قال تعالى : « هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم » .

وقد أمر الله رسوله أن يتواضع مع المؤمنين قال تعالى : « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » وكان صلوات الله وسلامه يصف نفسه بالعبودية لله قبل أن يصفها بحمل الرسالة فهو عبد الله ورسوله ، وقد أمر الله المؤمنين بالتواضع وعدم التفاخر والاستعلاء ، قال تعالى : « فلا تزكوا أنفسكم » روى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى أوحى الى : أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » وروى مسلم أيضا عنه صلوات الله وسلامه عليه « ما نقصت صدقة من مال ، ومازاد الله عبدا بعفو الاعزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله » وروى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم » ، قال أصحابه : وأنت ؟ قال : « نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » .

قال البخارى « ان كانت الأمة ( أى الجارية ) من اماء المدينة لتأخذ بيد النبى صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت » وقال : « سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصنع فى بيته ؟ قالت : يكون فى مهنة أهله ( أى خدمتهم ) فاذا حضرت الصلاة خرج الى الصلاة » . وقال أنس بن مالك « خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنوات ، فما قال لى لشىء فعلته : لم فعلته ؟ ولا لشىء تركته : لم تركته؟ وكانت خدمته لى أكثر من خدمتى له» .

وقد أدب الله رسوله فأحسن تأديبه ، وهذبه فأحسن تهذيبه وعاتبه لأنه انصرف يوما الى زعماء قريش يعظهم ويذكرهم لعلهم يستجيبون للاسلام وأرجأ الحديث مع عمرو بن قيس ابن أم مكتوم الأعمى فأنزل الله قوله:

« عبس وتولى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى » فكان اذا جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم بعدها يبسط له رداءه ويقول: « أهلا بمن عاتبنى فيه ربى » .

ولقد أنبأنا الله عن المتجبرين وعقابهم الأليم فى الدنيا والآخرة كما حدثنا عن المتواضعين وثوابهم الجزيل، فان قارون حينما اغتر بماله وافتخر به فى زهو وكبرياء قائلا : «انما أوتيته على علم عندى» ولم يقل بفضل الله ، أهلكه الله « فخسفنا به وبداره الأرض » وعاد لما عتوا وطغوا أهلكهم الله قال تعالى : « فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون » وفرعون حينما طغا وتجبر هو وجنوده « واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم ، فانظر كيف كان عاقبة الظلمين » .

أما المتقون الصادقون الذين يعرفون نعم الله عليهم فلا تطغيهم وانما تدفعهم الى الشكر فان الله يزيدهم من نعمه ويبسط عليهم رحماته فى الدنيا والآخرة قال تعالى : «لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد » وقد أنبأنا الله أن أسس الحكمة عند لقمان تتلخص فى شكر الله «ولقد آتينا لقمان الحكمة : أن أشكر لله » ولما من الله على سليمان بالملك وتسخير الجن والريح وغير ذلك من النعم التى لم يهبها أحدا غيره لم تطغه هذه النعم بل دعا ربه قائلا فى خشوع : « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين » ولم يقل ورثت الملك عن أبى ، ولا توالت على النعم بفضل عبادتى ، وانما قال : « هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربى غنى كريم » ويوسف عليه السلام ــ وقد آتاه الله الملك ــ يتضرع الى ربه قائلا : « رب قد آتيتنى من الملك ، وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » .

وقد أنبأنا الله سبحانه أن من الناس من يغمره الله بفضله فيطغى ويتجبر « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » ويقول كما قال صاحب الجنتين هذا لى وما أظن الساعة قائمة أو يقول كما قال قارون « انما أوتيته على علم عندى » ـ « واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد ، واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » •

فمن أخذته العزة بالاثم وعبد نفسه من دون الله «فبئس مثوى المتكبرين» « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » ونعم أجر العالمين » •

والجبار المتكبر مطرود من رحمة الله ، وهو مع ذلك محفوف بكراهية الناس ، فان كان حاكما جبارا مزقوه بألسنتهم سرا ثم عملوا على تقويض سلطانه ، وان لم يكن حاكما بحثوا عن عيوبه جاهدين وجسموا هذه العيوب وجعلوه سخرية فى العالمين ، وكثيرا مايكون كبره وجبروته ستارا يحاول أن يستر به هذه العيوب فلا يلبث الستار أن يتمزق ولا يبرح الخلفاء حتى يظهر ، وعلى المتكبر المتجبر أن يعلم أن للناس عيونا تبحث وألسنة تمزق •

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

وقد تحدث العرب من قديم عن الصلف والغرور ، فمن حكمهم قول عمر بن الخطاب •

« ما وجد أحد فى نفسه كبرا الا من مهانة يجدها فى نفسه ، وهذا هو ما كشفه علماء النفس حديثا عن مركب النقص ومحاولة ستره بعملية التعويض، ويضرب المؤرخون العرب أمثلة لبعض المتكبرين فقد ذكروا أن معاوية خرج فى آخر العهد النبوى ليشيع وائل بن حجر فى يوم قائظ ، فقال لوائل أردفنى على راحلتك ، فقال له لست من أرداف الملوك ، قال فأعطنى خفيك ، قال : أكره أن يسمع أقيال اليمن أنك لبست نعلى ، ولكن امش فى ظل ناقتى وحسبك بهذا شرفا ، ويذكرون أن أبا ثوابه قال لغلامه : اسقنى ، فقال الغلام : نعم ، فقال له : انما يقول ( نعم ) من يقدر أن يقول ( لا ) وضربه ضربا مبرحا ، وتحدث مرة

الى أجيرعنده ، ثم تمضمض استقذارا لمخاطبته ؟ وبعضهم خرج به الكبر الى الكفر ، ذكروا أن امرأة سألت سعيد بن زرارة عن الطريق قائلة دلنى عليه يا عبد الله ، فقال : أمثلى يكون من عبيد الله ؟وتحدثوا أن رجلا قال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : كثر الله فينا من أمثالك ، فقال : لقد كلفتم الله شططا!!!ومن المتجبرين من يبلغ به التجبر الى السفه والحماقة مثل ابن السلماني فيفخر بهذا قائلا :

أتيه على جن البلاد وانسها
ولو لم أجد خلقا لتهت على نفسى

أتيه ، فلا أدرى من التيه من أنا ؟
سوى ما يقول الناس فى وفى مثلى

فان صدقوا أنى من الانس مثلهم
فما فى عيب غير أنى من الانس

وكلما أسرف المرء فى عشق نفسه وعبادة ذاته ازداد بعدا عن الله ، وبعدا عن الناس واسراعا الى نار جهنم وبئس المصير ، ونختم مقالنا بما رواه الشيخان عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر » والعتل : هو الغليظ الجافى ، والجواظ : الضخم المختال فى مشيته .

ومن قبيل عبادة الذات عبادة الأهواء والشهوات وهى موضوع حديثنا التالى ان شاء الله ؟

**على عبد العظيم**

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

### * علم العدل الاقتصادى
### للأستاذ زيدان أبو المكارم

هـــذا الـكتاب الذى نشرته دار التراث بالقاهرة يقع فى ٣٢٠ صفحة من القطع المتوسط ، وهو يمثل الحلقة الثالثة فى سلسلة « بناء الاقتصاد فى الاسلام » وبنفس العنوان كانت الحلقة الأولى وكانت الحلقة الثانية « مذهب ابن عبــاس فى الربا بين مذاهب فقهاء السنة والشعية» والمؤلف من خيرة علماء الأزهر العاملين فى مجال الفكر الاسلامى، وكتابه الذى بين أيدينا « علم العدل الاقتصادى : الطريق الالهى لشعوب العالم » دليل على دأبه فى مواصـــلة البحث فى موضوع ذى أهمية خاصة ، فالمكتبة الاسلامية لاتزال فى حاجة الى المزيد من الدراسات الاقتصادية الاسـلامية المقـارنة .

يرى المؤلف : أن النصـــوص القرآنيـة والنبـوية تثبت : العـدل الاقتصـــادى العلمى الأصـــيل فى الاسـلام ، وطنيـا وقوميـا وعالميا - وعجز المذاهب الاقتصـادية المعاصرة عن الوصـــول الى العدل الاقتصـادى نظريا وعلميا - الحاجة الى منـاهج لدراســة العدل الاقتصادى فى جميع مراحـل التعليم ، لكن ما هو عـلم العدل الاقتصادى ؟ يجيب المؤلف : انه علم جديد تهدينا اليه النصــوص القرآنيـة ، وتسـخره فى خـــدمة الانسانية على المستوى العلمى والعالمى الذى يتخطى حـــدود الأوطـان ، وكذلك يتخطى عصبية الأديان ، لأنه يدافع عن حقوق الانســان فى كل مكان ..

كذلك يشـير المؤلف الى مميزات الاقتصــاد فى الاســلام : انه اقتصاد عادل ، الهــدف الأســاسى له تحقيق العدل ، وانه اقتصاد علمى ، وسائله معتمدة على العــلم وتقـــدمه ، وانه اقتصاد رحيم ، لأنه يرعى العاجزين عن العمل كما يرعى حقوق القادرين

عليه ، وذلك لأنه ينبغي سعادة الانسان •• وانه اقتصاد أصيل في الدين الاسلامي ، لا يصير مسلما من فرط في مبادئه ، وأخيرا : انه اقتصاد حكومي ، لا يستطيع أن يعيش بدون حكومة تخطط ، وتنظم ، وتعلن الحدود والعقوبات وتراقب تنفيذها وتحميها ••

ويجيب المؤلف عن تساؤل ذي أهمية : لماذا التسمية الجديدة « علم العدل الاقتصادي » ورفض أحد العنوانين اللذين اشتهرا أخيرا : « الاقتصاد الاسلامي – اشتراكية الاسلام » ويقول : لأن كلا الاسمين لا يفي بالغرض ولا يدل على المقصود في هذا المقام ، ولأن « اشتراكية الاسلام » مثلا ، عنوان يدل على جانب يمكن أن يواجه بعنوان آخر «رأسمالية الاسلام » أو « شيوعية الاسلام » الى غير ذلك من المتاهات.

• وبعد: فالحق أن دراسة المؤلف جديرة بالتقدير ، وحسبه من التقدير عمقه في البحث ، وصبره على معاناة التنقيب ، وابرازه مميزات الفكر الاقتصادي الاسلامي ، لكن حين نقرأ عنوانا مثل هذا « خطأ فقهاء السنة والشيعة في اصابة العدل الاسلامي في الاقتصاد » نحس بشيء من الأسى ، ولو جاء العنوان : خطأ بعض الفقهاء « لكان شيئا مقبولا ، وقد سبق للمؤلف سوق هذا الاتهام بالجملة للفقهاء في كتابه السابق « مذهب ابن عباس في الربا » لذلك كنت أود أن لا يتكرر هذا في كتابه الذي بين أيدينا ، وما كان أغناه عن هذا بأبحاثه القيمة الجادة ، كذلك لاحظت أن الكتاب ليس فيه عناية بالتبويب ، ولا بإعداد الفهرست اعدادا يسهل على القارىء العثور على ضالته من الزوايا التي يريدها عاجلا •• ويبقى بعد ذلك أن نكرر تقديرنا للكاتب وللكتاب ••

* * *

*** أبو عبيدة ابن الجراح**
**للأستاذ عطية عبد الرحيم عطية**

يواصل المؤلف العالم الدءوب دراساته عن صفوة من أصحاب رسول الله في سلسلة دراسات اسلامية ، وكتب اسلامية •• في السلسلتين اللتين يصدرهما المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة •• والمؤلف

لا يهدف الى كتابة سيرة ، أو تسجيل ترجمة ، وانما يهدف الى ابراز شخصية كان لها دورها الطليعى فى مشرق الاسلام ، والى تقديم نموذج رفيع يحتذى به شبابنا المسلم فى مسار حياته .

تحدث المؤلف عن نسب أبو عبيدة ومكانته عند رسول الله ( ص ) ، ودوره فى غزوة ذات السلاسل سنة ٨ هـ حيث أرسله الرسول على رأس لواء كمدد للقائد عمرو بن العاص ، ودوره أيضا فى غزوة أحد حيث كان واحدا ممن ثبتوا مع رسول الله ، وموقفه الناصح لعمر حين انفعل فى صلح الحديبية ، وموقفه فى اختيار خليفة لرسول الله ، حيث اتجه اليه عمر قائلا : ابسط يدك يا ابن الجراح لأبايعك .. فانك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ، فرد عليه : أتبايعنى وفيكم الصديق ثانى اثنين ؟ ما كنت لأتقدم بين يدى رجل أمره رسول الله أن يؤمنا فأمنا حتى مات .. كذلك أبرز المؤلف دور الصحابى الجليل فى فتح الشام ، وقدم نبذة من فضائله ، وحسبنا الاشارة الى كلمات عمر عنه : « غرتنا الدنيا كلها غيرك يا أبا عبيدة » وكان الختام المسك وصية أبى عبيدة عند وفاته : « أقيموا الصلاة فى أوقاتها..وتواصوا،واتصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم ، لاتلهكم الدنيا .. فان امرءا لو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير الى مصرعى هذا الذى ترون ، ان الله تعالى كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون..فأكيسهم أطوعهم لربه ، وأعلمهم ليوم معاده .. »

• وبعد ـ فقد كان المؤلف موفقا فى الاختيار ، كما كان موفقا فى الايجاز ..

* *

### * المربى :
### للأستاذ حسن كامل الملطاوى

هذا الكتاب الذى قامت بنشره « دار مصر للطباعة والنشر » بالقاهرة ، يقع فى أكثر من مائتى صفحة من القطع الصغير ، والمؤلف وكيل وزارة الخزانة السابق من المشتغلين بالفكر الصوفى ، وكتابه هذا يعتبر تمهيدا فى التصوف ، وأثر الأستاذ الكامل فى

تربية الروح ، ومن أهداف المؤلف ـ كما جاء في مقدمته : وقد جهل بعض الناس رسالة الصوفية فعابوهم وأنكروا عليهم مسلكهم ظلما وزورا ، فمن قائل : ان التصوف بدعة لا أصل له في الدين ، ومن قائل : ان الصوفية قوم كسالى متواكلون •• أو غلاة متشددون •• وكل هذه الاعتراضات بعيدة عن الصواب ••

تعتبر الصفحات الأربعون الأولى من الكتاب تدور حول معنى الصوفية وكيف نشأت ، ومم اشتق اسمها ، وما غايتها وقواعدها وسبيلها في نشر مبادىء القوم •• وبعد ذلك : كيف تختار أستاذك ؟ ومن هو أستاذى ؟ ويجيب المؤلف : انه سيدى الشيخ العارف بالله السيد / عبد السلام الحلوانى •• ثم يتحدث عن أسلوبه ورسائله وأقواله وكراماته ومراتبه•• ويختم كتابه ببحث عن منهج الطريقة الخليلية وأوصاف شيخه ••

وبعد ـ فعندما تلقيت الكتاب توقعت من مؤلف له شهرته في عالم التصوف أن يقدم لنا منهجا في التربية الروحية، منهجا شاملا مستمدا من أصول الشريعة الغراء • أعنى أن يكون الكتاب معالم على طريق المعرفة بالله عز وجل ، لكن المؤلف حرص على أن يكون كتابه شبه خاص به وبشيخ طريقته، أو بمعنى أدق كتاب دعاية، لكن من الانصاف أن نقرر هنا ، أن المؤلف الفاضل لديه من الاستعداد العلمى ما يجعله ينفع عامة المسلمين اليوم في عصر التحديات التى تواجه الاسلام فكرا وتراثا ••

* *

● **كاتبة نحترمها :**

الأستاذة عليه الصالحى المحررة بالجمهورية ، صحفية تفرض علينا احترامها ، كتبت ترد على زميلة لها في صحيفة روز اليوسف ، طالبت ـ بلا أدنى حياء ـ اعادة البغاء الرسمى كحل لمأساة انتشار أوكار الدعارة :

• الدعوة التى ترفع رايتها روز اليوسف بقلم الزميلة مديحة لاباحة الدعارة ، هى دعوة لممارسة الرذيلة بتصريح من الدولة ، وتأييد الانحراف بطريق رسمى، وليس يعنى هذا أننى بمعارضتى لرأيها أخفى

رأيى فى الرمال - كما تتهم الزميلة كل من يعارض رأيها - وانما أقول : ان وجـود الانحراف وانتشاره لايفرض على المجتمع الاستسلام له.. ولا يفرض على الدولة الاعتراف به ، وأن تنشغل بتثقيفه وتنظيمه .. ولكن الواجب يفرض علينا - ونحن بلد اسلامى - مضاعفة الجهد لمقاومته ، فهو فى ديننا حرام ، وفى عرف مجتمعنا عيب .. عيب يا مديحة » .

ولا مجال للتعقيب : الا أن نذكر حديث رسول الله صلوات الله عليه :

« ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : اذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

★ ★

* قراءات :

« لم تظهر شريعة أرسخ قواعد فى العدل ، ولا أبعد مدى فى المساواة واحترام الحقوق ، ولا أجمع لأصول الحياة الاجتماعية ، وأشمل لعناصر التطورات الانسانية من الشريعة الاسلامية ، ذلك لأنها قامت على مراعاة الحقوق الطبيعية - وراعت فى وضعها - لا مصلحة المجتمع الاسلامى وحده - ولكن مصلحة المجتمع البشرى كله ، بل والمجموع العالمى عامة ، ولاحظت فى بناء جماعتها ألا يكون أمرهم قائما على التضخم بامتصاص دماء المقهورين ، ولكن على بذل النفس والنفيس فى سبيل اقامة المثل الأعلى » .

**محمد فريد وجدى**

**محمد عبدالله السمان**

---

**دين عمل لا جدل :**

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « وما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم . فانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم ..

# باب الفتوى

للأستاذ محمود محمد رسلان

## السؤال

ورد للمجلة السؤال التالى :

من السيد/محمود محمد بركات البرم يقول فيه :

عدة الحائض .. ثلاث حيضات، والآيسة ثلاثة أشهر ، والصغيرة التى ليست من ذوات الحيض عدتها ثلاثة أشهر ، والحامل عدتها بوضع الحمل والمتوفى عنها زوجها عدتها أربعة أشهر وعشرا ، والغرض من مشروعية العدة براءة الرحم .

فما حكم الشريعة الاسلامية فيما لو أصبحت المرأة ليست من ذوات الحيض بسبب عملية جراحية استؤصل فيها الرحم ، والسؤال :

هل عدتها كعدة الحامل ؟ أم كعدة الآيسة ، أم كعدة الصغيرة ؟ أم كعدة المتوفى عنها زوجها أم كعدة الحائض ؟

أفيدونا أفادكم الله ونفع بكم العلم والدين .

## الجواب

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

( أما بعد ) فنحب قبل أن نجيب على المقطع الأخير الذى جعله السائل مناط الخطاب أن ننبه الى ما يأتى :

أولا ـ ليست براءة الرحم علة فى الحكم بالعدة حتى يدور عليها حكم العلة وجودا وعدما ، وانما هو أمر تعبدنا الشارع به ، ومن حكمته براءة الرحم ، وفرق بين الحكمة والعلة ، ولو كانت العلة براءة الرحم لما أوجب العدة على العجوز الآيسة وعلى الصغيرات اللائى لم يحضن .

ثانيا ـ لا يمكن القطع بأن استئصال الرحم يقطع الحيض ، لأن

للميضين دورا رئيسيا فى افراز دم الحيض •

ثالثا ـ اذا استؤصل الرحم من المرأة فهى بين أمرين : اما أن تحيض فيسرى عليها ما كان يسرى قبل نزع الرحم ، واما ألا تحيض فيسرى عليها حكم اللائى يئسن من المحيض وعدتهن ثلاثة أشهر ، وذلك سواء كان امتناع الحيض بسبب طبى أو بسبب طبعى فالحكم التربص ثلاثة أشهر والله تعالى أعلم بالصواب •

محمد نجيب المطيعى صاحب تكملة المجموع

## السؤال

جاءنا سؤال من السيد/عبد الله غريب •

ولما كان هذا السؤال قد وردت الاجابة عليه من لجنة الفتوى سابقا وكان الجواب لفضيلة المرحوم الشيخ محى الدين عبد الحميد فقد رجعنا الى هذه الاجابة ونشرها اتماما للفائدة وليعم النفع بها •

## السؤال

أولا ـ يقول الله تعالى : « اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى » •

ويقول سبحانه وتعالى : «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » •

فهل هناك تعارض بين الآيتين فجاءت احداهما لتنسخ الأخرى ؟

وهل وفاة عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كوفاة سائر البشر أم لوفاته معنى آخر ، وأنه رفع الى السماء بجسده وبروحه ؟ •

ثانيا ـ يتوارد على لسان كثير من المسلمين بأن سيدنا عيسى سوف ينزل آخر الزمان ويتزوج ويقتل المسيح الدجال ويحكم بالشريعة الاسلامية ثم يموت ويدفن بجوار قبر سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهل هذا صحيح ؟ »

## الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

أما بعد :

فالحديث عن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ للاجابة عما ورد فى استفتائكم يتضمن موضوعين :

أولهما : عن رفعه الى الله •

والثـاني : عن نزوله الى الأرض

وقبل أن نتحدث عن أحد هذين الموضـوعين نرى أن نشير الى أن الايمـان بالغيب أمر واجب فى عنق كل مسـلم ، وقد افتتح الله به كتابه فقال : « آلم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنـون بالغيب ويقيمـون الصـلاة وممـا رزقنـاهم ينفقون » •

فبدأ فى وصـف المتقين بالايمـان بالغيب قبل اقامتهم فروض الايمان، والغيب : كل ما لا تدركه الحـواس الخمس ممـا ثبت الخبر عنه عن الله تعالى أو عن رسوله ــ صلى الله عليـه وسـلم ــ وذلك مثل الايمان باليوم الآخر وبالجنة والنار وبعذاب القبر ونعيمه وما أشبه ذلك •

فكل مسلم ينكر شيئا من هذا بعد ثبوته ثبوتا قطعيا بنص من القرآن أو الحديث فهو عاص أشـد العصيان ويخشى أن يكون كافرا •

ثم نقـول عن رفع عيسى ــ عليـه الصلاة والسلام ــ الى الله : كثر كلام العلمـاء فى هـذا الموضـوع والذى يترجح عند اللجنة قول الجمهور من علماء الشريعة الاسـلامية سـواء فى ذلك أهل السـنة والشيعة والمعتزلة وسواء فى ذلك علماء الكلام وعلماء التفسـير وعلماء الحديث قال هؤلاء جميعا : ان الله رفع عيسى اليه بجسمه وروحه ولم يمكن أعداءه اليهود من قتله •• بل ألقى شبهه على واحد من اليهود فقتل أو على واحد من أتباع عيسى ــ عليـه الصـلاة والسـلام ــ ضحى بنفسه فداء لعيسى عليه الصلاة والسلام ــ واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » وبقوله : « وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه » •

وبقوله سـبحانه وتعالى : «ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى » •

ووجه الاسـتدلال من الآيتين يرجع الى وجوه عدة نجتزىء منها ما يلى :

أولا ــ جعـل الله سـبحانه الرفع مسلطا فى الآيتين على الضمير المراد به عيسى فقـال : رافعـك بضـمير الخطاب ، وقال : بل رفعه بضمير الغيبة واللغة العربية جرت على أن الضـمير يقصـد به ذات من يعنى به فاذا قال قائل : انت أو اياك أو كلمتك لم يجز أن يكون المراد به الا شخص المخاطب لا شيئا مضـافا اليه كعلمه أو روحه ،

واذا قال هو أو اياك أو كلمته لم يجز أن يكون المراد به الا شخص الغائب المعلوم لاشيئا مضافا اليه ، وارادة شيء مضاف اليه مجاز يحتاج أولا الى القرينة ولا يجوز المصير اليه متى أمكنت الحقيقة ، وقد قلنا ان الايمان بالغيب ومنه ذلك واجب على كل مسلم ، متى جاء به الخبر عن الله تعالى أو عن رسوله - صلى الله عليه وسلم .

ثانيا - أنه فى الآية الأولى جاء بالرفع اليه بعد نفى قتلهم اياه وصلبهم له معطوفا بحرف بل الذى يقضى أن ما بعده ضد ما قبله ، فكأنه يقول ان قتلهم اياه ، وصلبهم له باطل لم يحصل الا على وجه التشبيه لهم والتلبيس عليهم ، والذى حصل هو رفعه اليه ولا يكون الرفع ضدا للقتل والصلب الا اذا كان رفعا بالجسد اذ الرفع بالروح وحدها لايضاد القتل والصلب لأنه عسى أن يكون قتيلا مرضيا عنه فيرفع الله روحه اليه كالشهداء .

ثالثا - أن الأحاديث التى وردت فى البخارى وصحيح مسلم وهما أصح كتابين فى الاسلام بعد القرآن الكريم تنص على أن عيسى ينزل فى آخر الزمان ، وستتعرض لهذه الأحاديث فى البحث الثانى ولا يكون نزول الا عن صعود والصعود هو الرفع ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعرف الناس باستعمال الألفاظ العربية .

فان قال قائل : أليس الله تعالى يقول : فى الآية الثانية « انى متوفيك ورافعك الى » وأصل التوفى هو ازهاق الروح بالاماتة فظاهر هذه الآية أن الله تعالى توفى عيسى ورفعه اليه بعد ذلك، ومتى مات فالذى يرفع بعد موته هو روحه فلم يكن فى الآية دليل لما ذهبتم اليه .

فالجواب على ذلك من عدة وجوه الأول : أننا لا نسلم أن معنى التوفى هو ازهاق الروح بالأماتة فحسب بل للتوفى عدة معان منها أن يكون المراد أنى آخذك كاملا جسدا وروحا كقولهم توفى الرجل ماله من الدين واستوفاه اذا أخذه جميعه فيكون معنى متوفيك كمعنى رافعك الى ويكون العطف للتفسير ، ولبيان أن

المراد معنى خاص من معان يحتملها اللفظ • ومنها أن يكون المراد القاء النوم عليه كما ورد فى قوله تعالى : « وهــو الذى يتوفاكم بالليــل ويعلم ما جرحتم بالنهار » •

رابعا ــ سلمنا أن المراد بالتوفى الوفاة حقيقة وهو ازهاق الروح بمعنى الاماتة ولكن ذلك لا يفيد فى اثبات أن عيسى توفى قبل أن يرفع الى الله بل يجوز أن يكون المراد الاشارة الى عيسى بأنه لن يموت قتيلا ولا مصلوبا بأيدى أعــدائه وانمــا يموت بالوفاة الطبيعية فكأنه سبحانه يبعث الطمأنينة الى قلب عيسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ وكأنه يقول له : « كن على ثقة من أن الذى ينزع روحك من جسدك هو اللهتعالى بواسطة ملائكته وأماهؤلاء فلن يكونوا سببا فى ازهاق روحك بالقتــل أو الصلب ويجوز أن يكون المراد بالاماتة بعد أن ينتهى أجله المقدر له عنــد الله بعد نزوله الى الأرض وذلك لا يتنافى مع تقديم قوله سبحانه متوفيك على قوله جل شأنه ورافعك الى لأن العطف بينهما بالواو ، وقد علم أن الواو تعطف السابق على اللاحق واللاحق على الســابق اذ هى لمجرد الجمع بين المعطوفين من غير ترتيب •

وما يقال فى هذه العبارة «متوفيك» يقال مثله فى قوله ســبحانه « فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم »

وأما الموضوع الثانى : وهو نزول عيسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى آخــر الزمان فانا نقرر أن القــرون الثلاثة الأولى التى هى خير القرون بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم، ثمالذين يلونهم»وفيها كان أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليهوسلم ــ كلهم أجمعون وأتباعهم وتابعوهم باحسان ، وفيها أيضا كان أئمة الهــدى من أمثال أبى حنيفة ، ومالك ، والشافعى ، وأحمد بن حنبل والأوزاعى والســفيانين وفيهــا كان أئمة المحدثين كالبخارى ومسلم وفيها كان شيخا أهل الســنة والجماعة فى علمالعقائد وهما أبو الحسن الأشعرى وأبو منصور الماتريدى وان تأخرت وفــاة هــذين الامامين الى أن قضــيا ما يقرب من ثلث القرن الرابع •

نقول : ان هذه القرون قد انقضت ولم يعرف عن أحد من رجالاتها خلاف في رفع عيسى وفي نزوله في آخر الزمان فكان ذلك اجماعا من أهل هذه القرون على ذلك .

ويمكن أن يستدل بهذا الكلام بقوله تعالى : «وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته » اذا رجعنا الضمير في«به» وفي «موته» الىعيسى وكأنه قيل : وما أحد من أهل الكتاب اليهود والنصارى الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهذا احتمال في الآية الكريمة وهو قريب جدا ويمكن أن يستدل له بقوله سبحانه ( وانه لعلم للساعة ) - ٦٢ سورة الزخرف - أي علامة عليها .

قال القاضي البيضاوي : « وانه أي عيسى ابن مريم لعلم للساعة لأن حدوثه أو نزوله من أشراط الساعة يعلم به دنوها .

وبالاستدلال بهاتين الآيتين يعلم خطأ من قال انهليس في القرآنما يؤخذ منهنزول عيسىلا تصريحا ولا تلميحا ولا اشارة بل هو مذكور كما بينا .

ويستدل على هذا الرأي بما رواه الامامالبخاري والامام مسلم وقد قرر علماء الحديث أن أصح الأحاديث ما اتفق عليه البخاري ومسلم وقد رويا عدة أحاديث نجتزىء منها بحديث واحد طلبا للاختصار وهو عن سعيد بن مسيب عن أبي هريرة رضي الله عنهما قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها » .

ثم يقول أبو هريرة - رضي الله عنه - واقرءوا ان شئتم « وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه وابن أبي شيبة وابن مردويه وغيرهم .

وتأويل هذا الحديث غير مقبول ما دمنا قد قررنا أن الايمان بالغيب وهو مالا يدركهالحواس أمر لايجوز

تركه والا لكان لكل واحد أن يؤول كل شيء لا تدركه حواسه فتضيع مسائل كثيرة مما يجب الايمان به وفى هذا من الفساد ما لا يخفى •

ومن رديء ما أول به هـذا الحديث ما ينسب الى الشيخ محمد عبده وملخصه أن معنى نزول عيسى فى آخر الزمان أن مبادئه التى عاش ينشرها بين الناس من الرحمة والسلام تنتشر ، وليس معناه أن شخص عيسى يظهر وانما قلنا ان هذا تأويل رديء لأن التعبير عن المبادىء بالشخص غير معهود والعلاقة بينهما بعيدة كل البعد فلا يجوز بلفظ أحدهما عن الآخر •

هذا فضلا عن أن هذه المبادىء من أول ما دعا اليها الاسلام فى مثل قوله تعالى « كتب ربكم على نفسه الرحمة » «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » •

وقوله عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى — الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض — يرحمكم من فى السماء » •

وفى الدعاء المأثور عنه صلى الله عليه وسلم « اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دار السلام » •

ونزول عيسى — عليه الصلاة والسلام — فى عقيدة كل العلماء الذين تعرضوا للقول به على أن يحكم بشريعة الاسلام ويعلن انه آمن بمحمد — صلى الله عليه وسلم — وأنه يدعو الناس الى دين الاسلام كما جاء فى الحديث السابق فلا يعترض بأن محمدا — صلى الله عليه وسلم — خاتم الأنبياء والمرسلين لأن عيسى حين ذاك ليس رسولا جديدا •

ونحن نعتقد أن الكلام فى هذه الموضوعات التى لا يترتب عليها اقامة حكم شرعى الآن لا ينشأ عنه الا بلبلة الأفكار واضطرابها والاختلاف بين جحد واثبات واقرار ونفى وقد ينشأ عنه عداوات وشحناء والله المستعان والله تعالى أعلم •

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر
توقيع
**محمد محيى الدين عبد الحميد**

# أنبـــاء و آراء

للأستاذ إبراهيم حامد النويهى

● **بيان فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر فى ذكرى المولد النبوى الشريف :**

وجه فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بيانا الى العالم الاسلامى فى ذكرى المولد النبوى الشريف قال فيه :

( أيهـا الاخـوة المسلمون : اننى أهيب بكم ألا يتمثل احتفالكم بهذه الذكرى فى تقديم الحلوى للأهل والأقارب أو فى السرادقات تقام والندوات تعقد لالقاء الخطب أو اذاعة الأحاديث ، أو ترتيل الأناشيد فى الاشادة بسيرة النبى الكريم ، واظهار نواحى العظمة فى حياته الحافلة بجلائل الأعمال فقط ، انما يجب أن يكون احتفالنا وفاء لصاحب الذكرى ، وولاء لرسالته المقدسة ، وذلك بأن ننهج منهجه القويم ، ونلتزم مبادئه السامية وشريعته السمحة ، ونتمسك بما جعله الله تعالى معجزة خالدة على صدق رسالته ، نتمسك بما جاء فى القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ... ) .

ثم ختم بيانه بقوله :

( أيهـا المسلمون ليكن احتفالنا بهذه الذكرى تمسكا بهديه وتعبيرا عن شرف انتسابنا للرسول الأعظم والسبيل الى ذلك أن نخلص النوايا، ونؤكد العزم ، ونوحد الجهود لتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية لنصل حاضرنا ومستقبلنا بماضى أوائلنا فنحسم الشر ونقضى على الفساد ، وننعم بالأمن والرخاء فى ظل عدالة السماء ) ..

**● احتفال الأزهر بالمولد النبوى الشريف :**

أقام الأزهر احتفالا بمناسبة بدء الاحتفالات بالمولد النبوى الشريف بالجامع الأزهر ، وذلك مساء يوم الخميس ١٠ من ربيع الأول ١٣٩٦ هـ - ١١ من مارس ١٩٧٦ م ..

وشهد الاحتفال عدد من كبار رجال الدولة والقوات المسلحة وسفراء الدول الاسلامية والعربية بالقاهرة ..

وألقى فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر كلمة الاحتفال ، تحدث فيها عن مكانة الذكرى والدروس المستفادة منها ، وطالب المسلمين بالسير على هدى النبى الكريم صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بسنته ، والعمل بالقرآن الكريم ، وتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية فى حياتهم ..

**● احتفال الأوقاف بالمولد النبوى الشريف :**

أقامت وزارة الأوقاف احتفالا رسميا بذكرى المولد النبوى الشريف بمسجد الامام الحسين - رضى الله عنه - وذلك مساء يوم السبت ١٢ من ربيع الأول ١٣٩٦ هـ - ١٣ من مارس ١٩٧٦ م ..

وأناب الرئيس محمد أنور السادات المستشار عادل يونس وزير العدل لحضور هذا الاحتفال ، وشهد الحفل فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر وعدد من الوزراء وسفراء الدول الاسلامية والعربية بالقاهرة ، وضباط الجيش وعلماء الأزهر وجماهير غفيرة من المسلمين والطرق الصوفية ..

وألقى الشيخ محمد محمود السطوحى شيخ مشايخ الطرق الصوفية كلمة تناول فيها حياة الرسول وجهاده، كما ألقى الشيخ عبد الرحمن النجار مدير عام المساجد بوزارة الأوقاف فتناول مكانة الذكرى والدروس المستفادة منها .

**● احتفالات الوزارات والمحافظات بالمولد النبوى الشريف :**

أقامت الوزارات والمحافظات والهيئات والمؤسسات والجامعات والمعاهد والمدارس ووحدات الجيش

والشرطة والطرق الصوفية والمجلس الأعلى للشباب احتفالات بذكرى المولد النبوى الشريف ، وأناب الرئيس محمد أنور السادات ، المحافظين لحضور احتفالات المحافظات ، كما أقيمت احتفالات بجميع مساجد الجمهورية وزعت فيها الحلوى ، وتناول فيها العلماء السيرة النبوية الكريمة والدروس المستفادة منها •

● **بنك فيصل الاسلامى :**

وقع بالقاهرة يوم الأربعاء ١٨ من صفر ١٣٩٦ هـ – ١٨ من فبراير ١٩٧٦ م عقد تأسيس بنك فيصل الاسلامى بين جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية ، الذى يطبق فى جميع معاملاته أحكام الشريعة الاسلامية ، ويبلغ رأس مال البنك ٨ ملايين دولار ، تسهم فيها مصر بنسبة ٥١٪ وتسهم السعودية بنسبة ٤٩٪ •

وقد وقع عقد التأسيس عن الجانب المصرى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، وعن الجانب السعودى الأمير محمد الفيصل بن عبد العزيز آل سعود رئيس مؤسسة تحلية مياه البحر فى المملكة العربية السعودية •

ومن الجدير بالذكر أن البنك سيقام بتمويل أعمال التعمير والتنمية وأعمال البنوك بما يتفق وأحكام الشريعة الاسلامية ، وسوف يطرح البنك أسهمه للاكتتاب العام للمواطنين المصريين بنفس القيمة الاسمية للسهم وقدرها ١٠٠ دولار ••

وتعد هذه خطوة موفقة لقيام معاملات اقتصادية متفقة وأحكام الشريعة الاسلامية ، ونرجو أن تليها خطوات •

● **مؤتمر الاقتصاد الاسلامى العالمى الأول :**

عقد أول مؤتمر اقتصادى اسلامى عالمى بمكة المكرمة بدعوة من جامعة الملك عبد العزيز وذلك فى الفترة من يوم السبت ٢١ من صفر ١٣٩٦هـ – ٢١ من فبراير ١٩٧٦ م الى يوم الخميس ٢٦ من صفر ١٣٩٦ هـ – ٢٦ من فبراير ١٩٧٦ م •

وحضر المؤتمر فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر يرافقه وفد من كبار علماء

الأزهر ، كما حضره وفود من علماء الاقتصـاد والشريعـة الاسـلامية من مختلف دول العالم .

ومن أهم الموضـوعات التى ناقشها المؤتمر :

١ ـ الأعمال المصرفية ..

٢ ـ الزكاة ومصاريفها وتأثيرها فى الحياة الاجتماعية . .

٣ ـ التأمين بجميع أنواعه ..

ومن أهم توصيات المؤتمر :

١ ـ القضـاء على فوائد البنوك بالبديل الاسلامى وهو المضاربة ..

٢ ـ تشكيل لجنة لمراجعة أنواع التأمين ..

٣ ـ دراسة الاقتصاد الاسلامى فى جميـع الجامعات الاسـلامية ووضـع مناهج لهذه الدراسة ..

● **مؤتمر السيرةالنبوية بباكستان:**

عقـد فى باكستان مؤتمر للسـيرة النبوية الشريفة ، وذلك فى الفترة من يوم الأربعـاء ٢ من ربيـع الأول ١٣٩٦ هـ ـ ٣ من مارس ١٩٧٦ م الى يوم الثـلاثاء ١٥ من ربيـع الأول ١٣٩٦ هـ ـ ١٦ من مارس ١٩٧٦ م.

وحضره فضـيلة الامام الأكبر الدكتور عبـد الحليم محمود شـيخ الأزهر يرافقه وفد من كبـار علمـاء الأزهر يضم فضيلة الدكتور حسـين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر، وفضيلة الشيخ خلف السيد على،أمين عام مجمع البحوث الاسلامية ، كمـا حضره وفود من العلمـاء والبـاحثين يمثلون مختلف دول العالم .

والتقت مجـلة الأزهر بفضـيلة الشيخ خلف السيد على ، الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامه وطلبت منه أن يقدم الى القراء انطباعاته عن هـذا المؤتمر فقال :

« كان المؤتمر يؤكد معنى الاخاء الانسانى ، والتوثيق والارتبـاط بين علمـاء المسـلمين من سـائر الأقطار

الاسلامية ، والمعنيين من علماء الغرب بالكتابة عن الاسلام ..

وكان المؤتمر مبادرة كريمة من دولة الباكستان اذ وجهت الدعوة لعلماء المسلمين والمفكرين لدراسة السيرة النبوية الشريفة فى ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تتضمن تطبيقه العملى للقرآن الكريم ورسم المنهج الأمثل لصلاح البشرية ، فهو الرحمة المهداة والنعمة الكبرى التى امتن الله بها على الانسانية ، تعتبر الأسوة الطيبة والقدوة الحسنة لمسيرة المسلمين الى أكرم غاياتهم ..

وقد تناول المؤتمر بالدراسة،سيرة النبى صلى الله عليه وسلم من جميع جميع نواحيها على أن يجد المسلمون فيها النبراس الهادى الذى يتبينون فى ضوئه الصراط المستقيم الذى دعا اليه الاسلام ..

وقد اتخذ المؤتمر عدة توصيات من أهمها :

١ - عمل الحكومات الاسلامية بالتشريع الاسلامى وتطبيقه على أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما الدستور الوحيد للأمة الاسلامية ..

٢ - وجوب دراسة التربية الدينية والاهتمام بها فى جميع مراحل التعليم حتى الجامعة ..

٣ - كتابة السيرة النبوية بأسلوب جديد سهل التناول ، وبيان ما فيها من كنوز وتراث يقوم عليه بناء الشباب وتوجيهه توجيها صالحا يقيه شر الانحرافات ويصون عقله وفكره من هذه التيارات الملحدة والغزو الفكرى المعادى لتعاليم الاسلام وقيمه ..

٤ - وجوب العناية بتدريس اللغة العربية فى كثير من الدول الاسلامية على أنها لغة القرآن الكريم وبدراستها يتمكن المسلمون من فهم أسراره والوقوف على نواحى الاعجاز فيه ، وبه تستقيم الألسنة وتعمر الأفئدة بهديه وتعاليمه وارشاده .

وقد أبدى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر استعداده واستعداد الدول العربية كذلك أن توفر كثيرا من العلماء الى هذه البلاد لتدريس اللغة العربية وآدابها وتدريس القرآن الكريم كذلك .

وقد كانت فرصة المؤتمر أن يلتقى بجماهير المسلمين فى كثير من بلدان باكستان ومدنها لقاء فكريا وروحيا فى جو من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ) .

● **فقيد المجلة والأزهر والاسلام:**

فى الساعات الأولى من صباح يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول ١٣٩٦ هـ - ٢ من مارس ١٩٧٦ م فقدت مجلة الأزهر علما من أعلام الصحافة البارزين ، وفقد الأزهر شيخا من شيوخه المناضلين ، وفقد العالم الاسلامى عالما وداعية من أصدق علمائه ودعاته المجاهدين ، وفقد مصر رجلا من رجالها المخلصين هو المرحوم فضيلة الشيخ عبد الرحيم فودة ، مدير مجلة الأزهر .

لقى فضيلته ربه بعد حياة حافلة بالجهاد ، عامرة بالنضال ، غنية بالاعتزاز والاكبار لدينه ولوطنه ولأزهريته .

عاش حياته فى سبيل الدعوة والوطن ، شارك فى كثير من المؤتمرات ، وشارك فى النهضة الصحفية المصرية ، وجاهد بقلمه ولسانه وفكره ، عرفته المنابر ، وقاعات الدرس ، ومدرجات الجامعات ، والمحافل العلمية ، والمنتديات الأدبية ، والصحف والمجلات ، والاذاعة والتليفزيون ، له انتاجه الذى يضم المؤلفات والكتيبات والمقالات والمحاضرات والأحاديث ، شهد له زملاؤه ومريدوه وتلاميذه بدماثة الخلق وقوة الشخصية ، وسرعة الملاحظة وحلاوة المنطق وخفة الروح وأدب المداعبة ، وتقديره للعلم وحبه له .

ودعه الأزهر مساء اليوم الذى لقى ربه فيه فى مشهد حزين ينم عن شدة الخطب وهول الفجيعة فيه ، وأسرة المجلة اذ تنعى هذا الفقيد

الجليل انما تنعى فيه أبا روحيا وأستاذا فاضلا وموجها عالما ، وتأمل - وقد عهدت فى الأزهر وفاء لأبنائه - أن يقوم مجمع البحوث الاسلامية بطبع مؤلفاته خدمة للدعوة ووفاء له ، ورعاية لأسرته واحياء لتراثه بعد مماته .

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، وانا لله وانا اليه راجعون .

**ابراهيم حامد النويهى**

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل أول
رئيس مجلس الادارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٦

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٢٢٨١-١٩٧٦-٩٠٠٢

this fact is substantiated by the following reasons :

i) Al-Mahdi revolution in Sudan for the few months after the Al-'Urbia' movement in Egypt.

ii) The factors which contributed to the al-Urabia movement were the same which contributed to the Sudani revolution.

iii) The governmental set-up against which had infruiated the people of Egypt was the same against which the Sudani people had been incited.

iv) The religious verdict which the 'Ulema' of al-Azhar issued about the deviation of al khadev from the religion of Islam because of his treachery and his defeat at the hand of British army also became for Mahdi the greatest justification for rebellion against the representatives of that government working in Sudan.

v) The Egyptian army which was deputed to crush Mahdi Movement was busy in Cairo in fighting against the British and Khadev. When the 'Urabi' revolution failed, the English became the masters of the administration of Cairo, Khadev sent a detachment of the army under the command of the British officers in order to crush Mahdi movement. The men at the helm of affairs and the army men of Egypt were supporting with their arms the ranks of Mahdi and were saying : They would not send us to Sudan but for killing us, because of the fact that we were in the 'Urabian army.

This discussion has been made from different angles having been divided in different chapters and much light has been thrown on the factors which contributed to the making of Muhammad Ahmad 'Abdullah as an "awaited Mahdi" and which made him in the eyes of the Muslims of the world an eminent leader.

**OUR LATE MANAGING EDITOR**
**Sheikh Abdul Rahim Fuda**

*With heart-felt grief, we condole the death of Sheikh Abdul Rahim Fuda, who passed away on 1st Rabie Awwal, 1396 (March 2, 1976). He was a well-known Islamic scholar, sincere preacher and an active worker in the field of education. He worked several years for the uplift of Al-Azhar Magazine. He continued to work in Modesty until the last moment of his life. Sincerity and courage were the two distinctive characters of Sheikh Fuda. Besides many inspiring articles and speeches he was the author of many books in Arabic. May God Bless him !*

Some of the Scholars have tried to determine the period in which Al-Tai'shi played this part and streamlined the main cause which led Mahdi to take up this course. The fact is that so many factors have created cumulative effects in case of Mahdi Sudani and al-Tai'shi indeed played a very important role in the movement launched by al-Mahdi. But it was not something accidental Mahdi's own inclination was also effective in this respect.

As we turn our attention to the other aspect of this movement Jihad and revolution, many a factor has contributed to hem — the proclamation of Jihad and revolt against power :

a) The factor of al *Mahdiyat* which had attributed in the leadership of Mahdi a kind of sanctity had made the people to believe that obedience to him is infact the obedience to Allah and His Messenger. This in reference to the political and social conditions had paved the way for his appearance and made the people to look forward for redemption from oppression through his hand .

b) Al Mahdi Sudani was brought up in age when the Islamic world had fallen prey to the hands of Christian imperialistic powers and there was a violent reaction to these onslaughts of the imperialists and the malice, grudge and hatred which they nursed against the Islamic world. This movement of Islamic Jihad was led at that time by the sincere leaders who had dedicated their lives and directed their energies for delivering the world of Islam from the destruction which the christian west had wrought upon that. Thus this movement was at that time a very important movement of Jihad and regeneration like that of Muhammad bin Abdul Wahab in Najad, and that of Snusi in Libya in Northern region of Sudan from the Western side and the movement of Jamal-ud-Din al Afghani and the school he founded in Egypt. So Sudan had a deep impact of all such movements because of its nearness to them. It is no wonder that all these movements found any easy access to sudan. And if the minds of the people were ready to accept it, it is quite conceivable that the part which Mahdi movement played at that time, was a source of benefit to all these movement mentioned above.

c) *Mahdiyat* had an important role to play in the leadership of this movement and showed its effects in so far as fanning the flames of revolution. A careful study of this movement clearly establishes the fact that the al-Urabia revolution was the main cause of this uprising and of the revolt of al Mahdi Sudani against the government and its domination, and

him. As Ibn Arabi was an eminent scholar in the opinions of Shias so his views in regard to the "awaited Mahdi" were quoted in mysticism and these opinions found congenial atmosphere for the intellect of mystics. It is, therefore, no wonder that these views paved the way for Mahdi Sudani to insist on his claim to *Mahdiyat* and to hold those opponents of his infidels who refused to draw themselves back from his obedience.

Sudan was at that time passing through the period of waiting and expectation and the eminent mystics were proclaiming in meetings and private talks that the time for the appearance of "awaited Mahdi" was near. And Sheikh al Qurashi, declared before his death that one who would erect Mausolem over his grave would be "awaited Mahdi". And Muhammad Ahmed in fact worked upon the construction of this mausolem and he joined hands with the workers in its construction immediately after the death of his sheikh.

B — And as we step out of Sudan and look to the other regions of Africa, we find the atmosphere fully charged with the expectations of the appearance of Mahdi and the movement working therein resembled the movement working in Sudan, and the Sudanese had heard from other Muslims of Africa that Mahdi was about to appear and Allah would through him, set right the affairs of Ummah. The movement launched by "Uthman b. Faudi announces the appearance of the awaited Mahdi in the east and his companions have written many books on this topic. Muhammad Bello has made a mention that the father of 'Uthman had foretold him that Mahdi was about to appear and adherence to Sheikh 'Uthman was among the first followers of al Mahdi and the Jihad started by al-Faulani did not grow slow in pace till Mahdi would appear. Sudan, because of its geographical position, must be affected by the waves which had been surging in Africa, and it is not possible that whatever is happening in this part its ring may not be echoed in Sudan which is geographically linked up with this region.

As an individual his life is no way less important than other aspects. Al-Mahdi Sudani started his life as a preacher and a religious divine and he did not entertain any idea of being a Mahdi. It was in fact 'Abdullah al Taishi' who chartered every thing for him so that he should become the successor of Mahdi. He played a very important part in driving al Mahdi towards this direction. And al-Tai'shi had to exercise the full force of his personality and shrewdness in order to force him to assume this position.

## AL-MAHDI AL-SUDANI : HIS MOVEMENT AND MISSION

*By*

**Dr. Abdul Wadood Shalaby**

*(This is a gist of a research study presented by the writer as his ph. D thesis. The views expressed in it are those of the author, and do not necessarily represent the views of the Magazine).*

---

Much has been written in he East and the West about al-Mahdi al Sudani — his personality and Character, his movement and revolution, his successors, and the new leadership he had created but none among these writers has so far, written anything about the main springs of his thought which shaped his cultural pattern and system of ideas — the original deposits-whence flowed his movement and his missions activities.

Allah, the Glorious has afforded me opportunity to make study of al Mahdi al Sudani from this angle of vision and this I did after I got hold of an illustrated copy of the manifesto of his movement and what I am presenting as a thesis is the outcome of my research and study in the domain of the basic principles which worked behind his movement and call.

Many a factor has played its parts in his declaration about himself that he was an "awaited Mahdi" and inviting people of East and West to swear allegiance for obeying him.

1) Al-Mahdi was brought up as a Sufi and this was the fountain-head from which he drew the broad principles of his movement. And when *al Mahdiya* became the only visible centre of hope for seeking deliverance from the oppression to which the different classes had been subjected in their days, Sudani people began to look forward to the Mahdi-one who would rescue them from the oppression which had made their lives heavily burdensome and as such the rulers had become veritable burtes. The various schools of Sufi disciple played important role in the period of hardship and the minds of the people had been prepared for the appearance of a stalwart who should end the discord and oppression with one stroke.

The books of Ibn Arabi had an important part to play in this respect. His books and his statements were very common in Sudan, So Mahdi Sudani also derived a good deal of benefit from his writings and developed on the same lines as had been laid down by

as if he were ascending upwards to the sky : thus does Allah heap the penalty on those who refuse to believe. The seduced man is certainly incapable of receiving the light of Ttruth. Allah illustrates his attitude by a man obliged to climb up to the sky).

N.B. This verse discloses — fourteen centuries ago — a scientific fact, of which scientists cannot reveal except in the recent century : This fact is whosoever climbs up to prodigious heights, equilibrium in and out his body will be disturbed on account of the decrease of the atmospheric pressure, and therefore most liquids and blood will go forth from the openings of the body until the pressure in and out the body will be alike. Thus, in this case, such a man will suffer afflictions, terrible pains and afterwards death.

That is the likeness of those who err.

Verse, 126 : (Islam is the standard religion which your Apostle Muhammad preaches. And this is the exemplary way of your Cherisher : the straight path (His religion) which leads to Allah's good pleasure. We have detailed the revelations and made them clear for people who receive admonition).

Verse, 161 : (This verse and the following ones gather many principles of Islam : the Oneness of Allah, the Resurrection, the explanation of Religion of Islam. Besides, they drive the plausible arguments of its veracity.

Allah orders the holy Prophet to say to the polytheists and all people : "You should worship the One true Cherisher ; as for me my Cherisher has guided me to the Straight Path : the most right religion, the Faith of Abraham, the upright one, Abraham professed Allah's Oneness, and he was not of the heathens.

He was of sublime morality, and stood on an exalted and noble standard of disposition).

Verse, 162 : (O Apostle Muhammad, Say to the pagans : Most surely, my prayer and my devotions, and my very life — that I acquired during my worldy life of good deeds — and my death are dedicated unto Allah, the Cherisher of all the worlds.

There is no doubt that the grandest, the purest and the noblest love that a man can set for himself is the love of the Divine Being. The deed done may be for the welfare of one's self, or of those dearest to one, or of one's country or of humanity in general, but the mainspring of that action must be the love of the Divine Being, for then only that perfect fairness combined with absolute justice to all creatures can be achieved. It is the highest goal of human life, and it was amply illustrated in the Holy Prophet's life.

does Allah reward the righteous who do good).

In this verse Allah mentioned Abraham's son Issac and Issac's son Jacob. Beside Abraham, there is Noah, of the time of the Flood : David and Solomon, the real establishers of the Jewish monarchy. Job who lived 140 years saw four generations of descendants and was blessed at the end of his life with large pastoral wealth. Joseph the minister of Pharaoh regulated the economic state in Egypt with wisdom. Moses and Aeron led active lives and are called 'doers of good'.

Verse, 85 : (Another group of teachers consists of preachers of Truth who led solitary life : Zakariya and John and Jesus and Elias. All are exalted in the ranks of the righteous. They were mystic prophets, and form a connected group round Jesus. Zakariya was the father of John the Baptist.

Verse, 86 : (Another group of preachers who are favoured above the nations are Ismail the grandfather of the Holy Prophet Muhammad, and Elisha and Joans and Lot, and everyone, Allah gave favour and dignity above the nations. Everyone of them has his trials and endeavours to call his nation to Faith teaching them Allah's Divinity and Oneness. For example, Moses is favoured above his brother aeron, though they were of one contemporary world.

Verse, 87 : (And from among their fathers and their descendants and their brethren does Allah favours because some of them are not prophets or messengers, but Allah chooses them and guides them to righteousness and leads them to Faith and the straight way).

Verse, 88 : (Truly this is the Guidance of Allah. He guides thereby whom He wills of His servants who have the tendency to Faith. If the idolaters persist in idolatry and join other gods with Allah the One True Cherisher, verily all that they did would be vain for them. Had they practised polytheism, their deeds shall bear no fruit, and thus their mission shall be unsuccessful).

10 — This Surah shows that the better course is to stick to the Religion of Islam the Religion of Allah's Oneness, the Religion of Righteousness and Faith that urges people to restrain their souls from lust and wicked temptations.

Allah says in verses, 125, 126, 161, 162, 163 what means :

Verse, 125 : (And therefore for whomsoever Allah, in His Plan, intends to guide, because he has the tendency to believe, Allah expands his breast to embrace Islam (the Surrender to Allah's Will), and for whomsoever He intends to send astray because he is stubborn and persistent in paganism, He makes his breast strait and narrow

I do not like gods which set). It should be born in mind that Abraham did not worship planets or other heavenly bodies. Having seen through the folly of ancestral idol worship, he began to see the futility of worshipping distant beautiful heavenly bodies that shine or reflect light, which the vulgar endue with a power which does not reside in them.

Verse, 77 what means : (Then when Abraham saw the moon rising in splendour, he said, This is my Cherisher. So when it set he said : If my Cherisher would not guide me I should certainly be among the erring people who go astray). We hope that Allah directs us to the right path.

Verse, 78 : (When he saw the sun rising in splendour he said : This is my Cherisher, this is the greatest of all. It is the source of light, heat and vitality. When the sun set, he said, O my people ! I am indeed free of your guilt — of giving partners to Allah. I am clear of what you set up with Him). What folly to worship creatures when we might turn to the true Allah ?

Let us abjure all these follies and proclaim the One True Allah, the Eternal without beginning or end, the Absolute, the Omnipotent.

Verse, 79 : (Abraham having seen the setting of the heavenly bodies like the planet, the sun and the moon, he said, "For me I have set my face firmly and truly to Allah, and I profess His divinity and Oneness He is the sole Creator, the Originator of the heavens and the earth, and never shall I invoke partners for Allah. Abraham is a true believer. He associates naught with Allah).

9 — This Chapter refers to the succession of Prophets after Abraham which kept Allah's Truth alive and led up to the Holy Quran. Allah says in verses 83, 84, 85, 86, 87, 88 what means :

Verse, 83 : (And this was Our plausible argument — as regards the Existence of Allah and His Oneness — that We furnished Abraham against his people. We raise him many degrees above his contemporaries, and he was expected to use his wisdom and knowedge for prdaching the Truth among his own people. Most surely Allah the Omnipotent exalts whom He wil s in Knowledge, authority, Faith and prophecy. Allah is verily full of wisdom and Well-acquainted with all things). He is Able to exalt you (Apstle Muhammad) degrees above degrees for He is the Best Knower.

Verse, 84 : (Allah gave Abraham, Issac and Jacob, each He guided, and Noah He had guided before, and of his decendants, David and Solomon and Job and Joseph and Moses and Aeron ; thus

Verse 60 : (And it is Allah Who takes your souls by night in sleep. And He knows what you acquire by day, then He raises you up again, that an appointed term be fulfilled. Then to Him is your return in the Hereafter where He shall show you the Truth of all that you did by calling you to reckoning and requital).

Verse 61 : (Allah is the Irresistible, the Guardian over all His servants, the Supreme above His salves. None can escape from His punishment. He sends keepers of angels to watch over them, until when death over-takes one of them, Our meseengers (that is the angel of death and his assistants cause him to die, and they will not neglect Allah's Commands, nor fail in their duty. They are accurate in the performance of their obligations.

7 — This surah shows that the Creator has originated the heavens and the earth with wisdom, and to Him all people shall return. He is the Knower of the Unseen and the Seen. Allah says in verse 73 what means : (It is Allah who created the heavens and the earth with wisdom and truth and in perfect proportions. Verily, the day He says "Be", behold "It is". His word is the Truth. To Allah belongs the dominion of all things). Existence waits on His will. The moment He wills a thing it becomes His word or Command and the thing forthwith comes into existence. (And His — will be the kingdom, the day whereon the trumpet shall be secondly sounded by the angel Israfil that is the Day of Resurrection. Most surely Allah the Irresistible is the Knower of the Unseen and the seen, and He is the Wise, the Well-acquainted (with all things).

8 — This Surah gives a clue to Allah's Oneness, as it did to Abraham when he argued with the idolaters who worshipped false gods. Allah says in verses 74, 75, 76, 77, 78, 79 what means :

Verse 74 : (And mention to the polytheists the story of their father Abraham whom they pretend to follow his religion Abraham argued with his people concerning their lifeless idols made by their own hands (or stones and timber). Abraham said to his father Azar, Do you take idols for gods ? They cannot benefit nor harm you aught. Most surely I see you and your people in manifest error).

Verse, 75 : (And thus Allah discloses to Abraham the truth in disputing with his father. Allah shows him the kingdom (the wonders) of the heavens and the earth; and that he may firmly believe with a sure apprehension).

Verse 76 : (And when the night overhadowed Abraham, he saw a planet, and he said, this is my Cherisher, but when it set, he said,

tax-payer when the fruits or crops are ripe and fit to be sold. (And do not act extravagantly, Surely Allah does not love the extravagant). Enjoy youself in moderation and be grateful to Allah, and commit no waste or excess.

5 — This chapter shows the emptiness of this worldly life contrasted with the evidences of Allah's Wonders and His recompense in the Hereafter. It discloses that the wicked are deceived by the false glitter and pomp of this ephemeral world :

Allah says in this concern what means:

Verse 31 : (The infidels are indeed the losers when they deny the meeting of Allah in the Hereafter that is reckoning and requital. Until when their hour of doom comes suddenly upon them, then they say : Ah woe unto us ! that we neglected it (our duty) in our worldly life ; and they carry their burdens of sins on their backs. And evil indeed are the burdens of sins that theybear ? They are responsible for them, and certainly they are.

Verse 32 : (What is this worldly life ? It is naught but a pastime and an idle sport.) Indeed it is a matter of illusion and deception. All false glitter, pomp, amusements, of this ephemeral life are naught but a mirage. Most surely it is nothing but an interlude, a preparation for the real life which is in the Hereafter. (Certainly the abode of the Hereafter is better for the righteous who fear Allah's punishment and guard against evil and seek His good pleasure. Do you not then understand ?

6 — This surah discloses how Allah is He Who holds the keys of the unseen and the mystery of the heavens and the earth.Allah says in verses 59, 60, 61 of Surah El Ana'am what means :

Verse 59 :

The infidels challenge the Apostle Mohammad to show them other miracles beside the Holy Quran, Allah orders His Prophet to say that he is only an Apostle and a warner, but they are really seduced. They have not esteemed God with the Glory due to Him : have they not known that the whole earth is in His grip and the heavens are rolled up in His right hand — Glory be to Him. Indeed, Allah is the source and goal of all things. (With Allah are the keys of the Unseen, the treasures that none knows but He. He knows whatever there is on the earth and in the sea, not a leaf does fall but with His knowledge. There is not a grain in the darkness or the depth of the earth, nor anything fresh or dry (green or withered) but is inscribed in a clear record to those who can read and reflect).

causes the plant to issue from the dead earth. And He is Allah who causes the dead to issue from the living as He causes the dead child to issue from his living mother or the spermatozoon or the egg (invisibly dead) from the animal. That is Allah the Originator : How are you deluded away from the truth, and turned away from worshipping Him ? You should forsake idol worship, repent and believe in Allah).

Verse 96 : (He it is who cleares the day-break from the darkness which prevails in the earth and thus would soon be dispelled and would give place to light. He makes the night for rest and tranquility, and the sun and moon for reckoning or for the computing of time. This is the disposition and the measuring of the Almighty, the Omniscient).

Verse 97 : (It is Allah Who has set for you the stars (as beacons) that you may follow the right path with their help in the darkness of the land and the sea. Allah has consipicuously shown forth His Signs to people who have knowledge).

Verse 98 : (It is Allah who produced you from a single being that is Adam the father of mankind. Allah has provided for you a resting place in the loins of your fathers and a dispository in the wombs of your mothers. Allah has clearly shown forth His miraculous signs to people who understand).

Verse 99 : (It is Allah Who sends down rain from the clouds, with it He produces vegetation or the springing buds of all things, then He brings forth from it green foliage, from which He produces grain piled up at harvest, out of the date-palm and its sheaths come clusters of date, hanging low and near. And then there are gardens of grapes and olives and pomegranates, each similar in kind yet different in variety : When they begin to bear fruit, feast your eyes with and the ripeness thereof. Certainly there are significant signs in this for people who believe, and profess Allah's Oneness).

Verse 141 :

(It is He Who produces gardens of vines, both those which are supported on trellises and those which are not supported and palm trees and tilth with produce of all kinds of fruits different in savour, colour, flavour, shape and size ; and the corn affording various food and olives and pomegranates like and unlike. Eat of their fruit in their season, but pay the dues thereof that are proper on the day that the harvest is gathered).

Beidawi says : We should give the legal alms regarding the principle of suitability or convenience : that is the convenient time of the

regret and repent in the Hereafter. Allah says in verse 5 what means :

(The idolators have verily rejected the truth (the Quran) when it came to them, but soon there will come unto them tidings of what they used to mock (their painful chastisement and the believers' victory).

In verse 6 Allah says what means :

(Do the heathens of Mecca not consider how many a generation Allah has destroyed before them ? They were given of Allah's bounty more than was given to the Meccans. And He sent the clouds pouring rain on them. And He caused the rivers to flow beneath them, then He destroyed them on account of their sins. And He raised up other generations after them to believe in the Quran and follow its teachings. Do they not consider Allah's Signs and fear His Wrath and Indignation).

Allah syas in verse 7 what means :

(Had we sent down unto you (Mohammad) actual writing upon parchment, so that they could feel it with their hands, those who disbelieve would have said : This message is no other than manifest sorcery).

In verses 8-9 :

(And they said, "Why is not an angel sent down supporting the Apostle ? If we did send down an angel, the matter would have certainly been decided and then they would not have been respited). (If Allah sent up down to them an angel, He should have sent him in the form of a man, they would have fallen into the same confusion in a matter which they have already been covered with confusion).

4 — This Surah states that the people of the Book and the pagans have failed to consider the central doctrine of Islam to believe in Allah's Oneness and to contemplate His miraculous wonders in Creation. Allah says in verses 10, 11, 95, 96, 97, 98, 99, 141 what means :

Verse 10 : (O Apostle Mohammad, other Apostles have been mocked at before you, but that which they mocked encompassed the scoffers among them).

Verse ll : (O Apostle Mohammad, "Say to the rejectors of the Quran : Travel through the land and see what the doom and the evil desting of the preceding unbelievers who accused the apostles of imposture, and changed the divine messages with falsehood and calumny).

Verse 95 : It states some wonders of Allah's creation : (It is Allah Who causes the seed-grain and the date-stone to germinate (split and sprout). He brings forth the living from the dead and He

(And He is Allah to whom worship is due. He is the Cherisher in heavens and the earth. He knows your secret and your open thoughts, and He knows what you earn.).

Allah knows best what they hide of hatred and disbelief. To Him belong the unseen and the mystery of the heavens and the earth. His Perfect Knowledge reveals the tricks that deceive with the eyes and all that the hearts of men conceal. He is Unique in His nature and artibutes.

Allah says in verse 12 what means :

(O Apostle Mohammad, "Say to the infidels who reject the Faith: Unto Whom belongs whatsoever is in the heavens and the earth ? Say they belong to Allah. He has ordained mercy on Himself. Verily He will gather you on the Day of Resurrection. There is no doubt about it. As for the guilty who have lost themselves, they are truly unbelievers who persisted in their false denial and unbelief in the Hereafter. They shall be called for reckoning and requital).

Allah says in verse 13 what means :

(To Allah alone belongs all that dwells in the night and lurks in the day. For He is the One Who hears and knows All things.) Really to Allah belongs the Unseen and the mystery of the heavens and the earth. Allah is the source and goal of all things. His Perfect Knowledge penetrates all secrets.

Allah says is verse 14 what means :

(O Apostle Mohammad, "Say to the infidels : Shall I take a guardian besides Allah, the Originator of the heavens and the earth, and He feeds others and is not Himself fed. O Mohammad : Say, I am commanded to be the first who submits himself to Allah's Will. Most surely, Allah's Apostles and devotees are not of the polytheists who join gods with Allah). And you should not be of the pagans).

Allah says in verse 18 what means :

(Allah is the Supreme, above His servants, and He is the Wise and the Well-acquainted with all things). Allah is the Omnipotent and the Guaradian over all people.

3 — This Surah illustrates the spiritual history of mankind, a discussion of the earlier revelations, and how they were lost or corrupted. Allah says in verses 4-5-6-7-8-9 what means : (And there does not come to them any sign of Allah's, but they turn aside from it).

They reject the Faith, exceed the just limits, defy Allah's Law through arrogance. They shall

## THE SIGNIFICANCE OF THE EXEGESIS OF SURAH AL-ANA'AM (The Cattle - No. VI)

*By*

**Dr. Mohammad Abdel Monem El Gammal**

1 — This chapter contains 165 verses. It is a Meccan Surah except the verses, 20, 23, 91, 93, 114, 141, 151, 152, 153 which are Medinite. It was revealed after the chapter of Al-Hijr.

2 — The name of this Surah is taken from the mention of cattle in connection with certain idolatrous conceptions of the Arabs in time of Ignorance.

Allah says in verse VI, 136 what means :

(They assign Him a portion of that which He has created of tilth and cattle and say : This belongs to Allah according to their fancies, and this poritos belongs to our idols. And that which is destined for their partners (idols) does not reach to Allah ; yet that which they assign unto Allah reaches to their so-called partners (idols). How ill do the pagans judge ? )

Razy said in this concern : "It was a custom among the Arab idolaters to set apart certain portions of the produce of their fields, and their cattle, one portion for Allah and another portion for the idols. The portion for idols was always applied to their use, but the portion set apart for Allah, though ordinarily spent to feed the poor and the needy was in certain cases, for instance, when the portion of the idols was somehow or other destroyed, diverted to the use of the idols. The portion for the idols is handed over to the priests.

The absurdity of the whole thing is ridiculed. Allah created everything : how can He have a portion ?

This chapter expounds the doctrine of Divine Unity in all its purity. Allah says in verses VI, 1-3-12-13-14-18 what means :

(All praise is due to Allah Who created the heavens and the earth with wisdom and justice, and caused the darkness and the light to succeed each other out of the rotation of most heavenly bodies. This wonderful handiwork in all creation gives a clue that the darkness of evil will be dispelled, and the light of Allah will be spread by and by. Yet those who disbelieve ascribe rivals unto their Cherisher).

"There is no compulsion in religion". And God the Almighty ordered the Prophet to forbid such compulsion and He said : "Would you compel people until they are believers''. It has ensured all the human freedoms, namely, those of residence, speech and work. It has also strictly forbidden any interference in the affairs of non-Muslims and guaranteed their liberties in all walks of life. The general human brotherhood was recommended by Islam as means of conduct among people of different religions, lands and races.

4. Justice : Justice is the dominant feature of Islam. It is the perfect criterion whereby relations between people in both peace and war times are determined. The international relations are regulated by Islam on the basis of justice and human equality no matter whether such relations be with friendly or hostile people. The Quran has stressed this principle as follows : "Let not hatred of any people seduce you that deal not justly. Do justice that is nearer to your duty (towards Allah).

5. Equality : The ultimate purpose of differences among people, in races and tribes, is the acquaintance of them with each other. This acquaintance could exist only between two equals and not between parties of differing ranks. Equal treatment is a principle which the Prophet has called for in the following words : (Like for your brother what you like for yourself ; and hate for him what you hate for yourself).

Islam therefore, recognised human co-operation as the spring of human brotherhood, world understanding and the promotion of love and amity among people. The Quran declared, addressing to all mankind, the principle of international co-operation and relation : "Help you one another unto righteousness and pious duty. Help not one another unto sin and transgression).

The religion of Islam has a distinctive appelation ; it is not derived from the name of its preacher, Muhammad (peace be upon him). Some people mistakingly or deliberately call this religion 'Muhammadanism' after the name of the Prophet Muhammad. As a matter of fact, the Prophet himself repeatedly stated that he was a servant of God and His messenger.

Islam tries to attain the object of perfection by grasping the principle that man will be judged by his work alone. This belief leads the Muslim to the practice of self denial and universal charity ; and the belief in the Oneness of God, in His Mercy, Love and His Sustainment, leads him to self humiliation, patience and firmness in the trials of life.

based on a true conception of human progress but it is also the establishment of certain principles, the enforcement of certain dispositions, the cultivation of certain temper of mind, which the conscience is to apply to the ever-varying exigencies of time and place.

The wonderful adaptability of Islamic rules to all ages, places, nations, and circumstances ; their entire agreement with the light of reason and the absence of all mysterious ideas, prove that Islam represents the latest development of the religious faculties of human being. It combines within itself the prominent features in all ethnic and general religions compatible with the reason and moral intuition of man.

Islam signifies a religion of right-thinking, right-speaking and right-doing, founded on divine love, universal charity and the human brotherhood. A true Muslim is fully conscious of the fact that the present life is the seed-ground of the future. Out of this beilef he endeavours with honesty, sincerity and devotion to implement the teachings of his Lord in all the spheres of his everyday individual and social life, in order to attain the perfection of the All-Perfect and to live a model of the perfect man.

Islam regulates the rules of international relations in the following principles :

1. Human Unity : The Holy Quran declares that all the peoples are one community. They emanate from one origin and share the same end when they meet their Lord in the Day of Judgement, though they differ in races, colors, tongues, tribes or nations and believers or atheists ; the Quran says what means : "O mankind - Be careful of your duty to your Lord Who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain hath spread a multitude of men and women" 4:1. This same unity was stressed by the Prophet : "You all are Adam's offspring, Adam is of earth". Despite this common parentage their differences, in color, tongue, tribes and races, are of the signs of God in the universe and its aspects. Different areas must produce a difference of colors and of tongues.

2.Human Dignity : God has created man to serve Him and consecrated the universe to his service. The Quran also declares that God has entrusted the earth to man and He bestowed on him such powers as would enable him to know things and to rule the world.

3. Liberty : Islam has totally rejected any kinds of compulsion as means of driving people to embrace a certain religion, faith, or doctrine. As the Quran declared :

# MAJALLATU'L AZHAR

## (AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: ABDUL WADOOD SHALABY

| Rabei, Thani 1396 | ENGLISH SECTION | April 1976 |
|---|---|---|


## TOWARDS UNDERSTANDING 'ISLAM'


*By*

**Dr. Mohiaddin Alwaye**


In order to form a Just idea of the Religion of Islam it is necessary to understand the true significance of the word 'Islam'. The word Islam means to surrender, submit, yield. The noun derived from it (salam or salamah) means peace, safety, salvation and greeting. In order that the religion of Islam is characterized in "the absolute submission to the Will of God". The Holy Quran contains principles of the religion of Islam. It is a concrete and complete system dealing with all walks of human life.

It interprets the true nature of man and establishes peace between him and his nature and regulates his course of life according to the nature in which God has created man ; that is the Will of Allah, that is Islam. The Holy Quran says what means : (The nature (framed) of Allah, in which He has created man. There is no altering (the law of) Allah's creation. That is the right religion, but most men know not). Surah 30 : Verse 30.

A religion (Deen) ought to mean the system of life. The chief object of it should be the elevation of humanity towards that perfection which is the ultimate purpose of the creation of man. The perfect religion, therefore ought to place, on a systematic basis, the fundamental principles of morality, regulating social obligations and human duties, which bring man nearer and nearer to the aim of his existence on the earth.

It is the distinctive characteristic of Islam ; that it is not merely a system of positive moral rules,

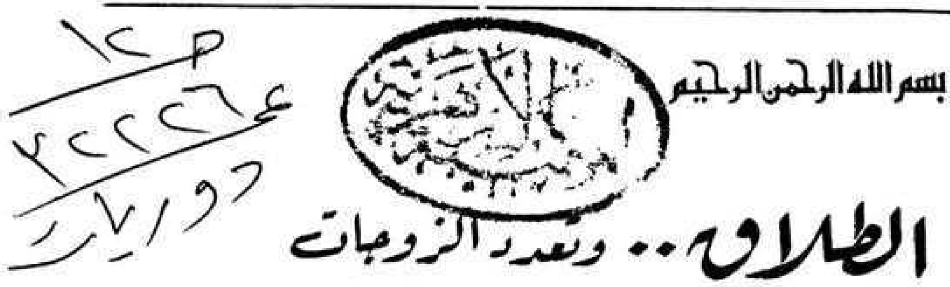
المشرف على التحرير :
الدكتور عبد الودود شلبي
بدل الاشتراك
٥٠ قرشاً في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
للمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الخامس — السنة الثامنة والأربعون — رجب سنة ١٣٩٦هـ — يوليو سنة ١٩٧٦م

بسم الله الرحمن الرحيم



# الطلاق .. وتعدد الزوجات

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الجامع الأزهر

هذا المقال موجه الى :

١ـ كل هؤلاء الذين لم يستجيبوا الى دعوة الله تعالى للمؤمنين فى قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » .

٢ ـ والى كل هؤلاء الذين حاولوا الانحراف بالاسلام الى جو المسيحية فمنعوا تعدد الزوجات أو حاولوا منعه بوضع شروط تحد منه .

أو يحاولون منع الطلاق الا بشروط تحد منه أو بوضع عقوبات لمن طلق مع أن الطلاق وان كان أبغض الحلال الى الله فانه مما يملكه الرجل دون شروط تحد منه اللهم الا ضمير الرجل وخلقه وشعوره الشخصى .

والرأى الذى أعلنه هو رأيى الذى دخلت به معركة مع المنحرفين فى سنة ١٩٧٢ م أيام أن كنت وزيرا للأوقاف . أى أننى أعلنته وأنا أحد

أفراد الحكومة فى جمهورية مصر العربية .

ثم هو من قبل ذلك ومن بعده رأى الاسلام الذى لا رأى غيره .

ان الاسلام يبيح تعدد الزوجات وليس فى الاسلام بهذا الصدد ايجاب ولا منع ، فهو لا يوجب التعدد ولا يمنعه وقد يستمر الانسان طيلة حياته عزبا . وقد يتزوج واحدة وقد يتزوج اثنتين وزواجه بالثانية لا يفسخ زواجه بالأولى . وقد يتزوج الثالثة وزواجه بها لا يفسخ زواجه بالثانية وقد يتزوج الرابعة ويجمع فى بيته أو فى بيوته بين أربع لا تفسخ احداهن عقد أخرى . وليس عليه فى الوضع الاسلامى أن يستشير احدى نسائه فى الزواج أو ينتظر تصريحها به واذنها له .

بذلك جاء الاسلام وسارت السنة . وان بيان القرآن فى ذلك واضح لا لبس فيه .

ومع وضوح الأسلوب القرآنى الى درجة البداهة فان التطبيق الذى حدث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحت سمعه وبصره لا يدع مجالا للمراء فى هذا الموضوع :

وذلك أن الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة والحسن والحسين . وكبار التابعين وتابعى التابعين . أن جمهور هؤلاء والأغلب الأعم منهم كانوا من الذين يجمعون بين الاثنتين والثلاث والأربع .

وكان الأمر عاديا منذ أن نشأ الاسلام : يتزوج الانسان حينما يشاء ويطلق حينما يشاء ، وكل ذلك فى اطار المبادىء الاسلامية التى ليس فيها كما قلنا .. ايجاب ولا منع .. الى أن جاء مصطفى كمال أتاتورك وسحق الخلافة الاسلامية . ونسف فى تركيا ــ معقل الخلافة ــ العمل بالشريعة الاسلامية . وانحرف بكل الأحوال الشخصية الى الجو الأوربى أى الى الجو المسيحى الموجود حاليا .

ومعنى ذلك ان مصطفى كمال أزال تعاليم الاسلام وأحل محلها تعاليم المسيحية وقد فعل ذلك متعمدا . وفعله على اعتقاد أن الذى أتى به أفضل .

وما من شك فى أن الحكم على من يفضل التعاليم المسيحية على التعاليم الاسلامية معروف فى الاسلام : يعرفه الجاهل والمثقف .

وتبع آخرون ــ فيما بعد ــ مصطفى كمال وحذوا حذوه وباءوا بسخط الله كما باء .

ومن عبرة المقادير لبيان حكمة التعدد وبيان الجو المنحرف الذى يعيش فيه أصحاب النفوذ والسلطان الذين لم يبالوا بتعاليم الشريعة الغراء .. من عبرة المقادير القصة الواقعية التالية .

فى احدى البلاد التى منعت التعدد حدث أن رجلا عاش مع زوجته فترة . وأنجب منها . يرضى عنها وترضى عنه . ثم حدث لها ما يمنعها من الاتصال الجنسى . فتزوج الرجل زواجا شرعيا لم يسجله . واستأجر لزوجته شقة وكان يتردد عليها ويبيت أحيانا عند زوجته الجديدة .

وفى ليلة من الليالى هجم (البوليس) على المسكن هجمة مضرية ولكنها كانت لغير وجه الله . ووضع (البوليس) الحديد فى يد الزوج وقاده الى التحقيق بتهمة زواج ثان وبدأ التحقيق .

هل أنت متزوج بزوجة ثانية ؟

وأجاب : كلا ..

ولكنك كنت عند امرأة ..

نعم .

ومن التحريات علمنا أنك تنفق عليها ..

ــ نعم .

وقد استأجرت لها شقة .

ــ نعم .

ــ من تكون اذن ؟

انها عشيقتى ..

ولما سمع المحقق هذا الجواب أمر بفك يديه من الحديد .. وتركه ينصرف الى .. عشيقته .. سبحانك ربى .. يبيحونها عشيقة ويحرمونها زوجة .. انها عبرة الأقدار .

وعبرة أخرى . انها عبرة أخرى للأقدار . لقد قام أحد المستشرقين باحصاء دقيق فى بعض البلاد الاسلامية التى حرمت التعدد

ووضعت قيودا قاسية فيما يتعلق بالطلاق والزواج • واستفتى المستشرق الاحصاءات الرسمية وبذل كل ما يستطيع فى معرفة الحالة الاجتماعية لهذه البلاد قبل الانحراف عن الدين الاسلامى وبعده فتبين له أن ثمرة هذا الانحراف عن الاسلام فى التعدد والطلاق عدة أمور ••

١ ـ كثرة العوانس • واذا كثرت العوانس شاع الزنا • وقد حدث ذلك بالفعل ••

٢ ـ كثرة اللقطاء • وهذه الظاهرة واضحة فانه اذا كثرت العوانس وفشى بسبب ذلك الزنا فان النتيجة الحتمية هى كثرة اللقطاء •

٣ ـ انتشار الأمراض السرية وذلك نتيجة حتمية أيضا لانتشار الزنا بين العوانس اللاتى لا يردن افتضاح أمرهن عن طريق الذهاب للعلاج •

واذا ما حصل زواج على الأوضاع الاسلامية فهو صحيح رغم أنف كل منحرف سواء كان الزواج الأول أو الثانى أو الثالث أو الرابع بذلك قال القرآن الكريم ، وبذلك يبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبذلك جرى الوضع بين الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين •

هذا رأيى وكما أعلنته فى مصر سنة ١٩٧٢ فاننى أيضا أعلنته فى « منى » فى ندوة أقامتها وزارة الحج والأوقاف اذ ذاك وأعلنته فى المحاضرات وأعلنته على صفحات الصحف •

وأعود فأقول ، يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » •

أما هؤلاء الذين يحبون ويعملون على الانحراف بالاسلام متجهين به الى المسيحية فانى أقول لهم ما قاله تعالى :

« ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » •

د• عبد الحليم محمود

# قضايا ومناقشات

لفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار
وكيل الأزهر

اطلعت على مقال الدكتور زكى نجيب الذى نشر فى الأهرام تحت عنوان ( الشيطان الأخرس ) ومع ما قام فى نفسى من العتب على الأخ الدكتور والأسلوب الذى تناول به الموضوع وللعبارة التى اختارها للتعبير عن رفضه لاقامة حد من حدود الله المقررة والمقطوع بها فى كتاب الله وسنة رسوله فاننى لم أكن أعتزم الرد عليه ، فليس كل ما يقال يصلح للمناقشة أو الرد .

غير أننى عندما قرأت رده فى صفحة الفكر الدينى على كلمة الأستاذ محمود شاكر لاحظت أنه وهو يحاول أن يصحح بعض المفاهيم التى تورط فيها قلمه والتى استنكرها معظم الذين قرأوا مقاله ليجعلها كما قال ( واضحة أمام القارىء ). قد أوقعه قلمه مرة أخرى فى غموض أكثر واغلاق أبهم وفى ظلمات هذا الغموض والابهام تضمن المقال عددا من القضايا التى لا ينبغى اغفالها أو تغافلها ، لأنها تعلقت بعقائد الناس ومست وجدانهم الرفيع وحسهم المرهف ومشاعرهم الدينية الواعية.

وقد يكون من الأفضل أن اقتصر على اجمال هذه القضايا فيما يلى :

١ - يؤكد الدكتور أنه ممن يؤمنون بتأسيس نهضتنا على أساس الربط بينها وبين تراثنا الماضى ولكنه سرعان ما ينقض ذلك عندما يتساءل ( كيف يكون هذا الربط بين ماض وحاضر ثم يجيب أن ذلك انما يكون لا على أساس بقاء المحتوى والمضمون كما هما وانما لابد لهذا الوصل ( هكذا يقول ) من تفسير المحتوى والمضمون وتجريد الماضى فيهما .

وهذا القصور الذى عرضه الدكتور ربما يصح فى العادات

والتقاليد وبعض جوانب الأخلاق ونظم الحياة مما يتغير بتغيير صورة الحياة أما فى العقائد القدسية والتشريعات السماوية وعلى الأخص التشريع الاسلامى الذى جاءت به خاتمة الرسالات فلا يتصور هذا مهما غلف بغلاف العصرية أو التقدمية أو التطورية وما شاكل ذلك من شعارات .

وليسمح لى صديقى الدكتور أن أسأله اذا ما عرينا الماضى من مضمونه ومحتواه كما يريد أفيكون ذلك وصلا بيننا وبينه أو فصلا بغيضا وقطيعة لارجعة فيها ماذا يبقى من الماضى اذا ما ألغينا مضمونه ومحتواه هل يبقى بعد ذلك سوى ألفاظ فارغة من المضمون وعبارات مجردة من المعانى ألا يكون ذلك جميعا فى عرف المنطق بين الشيء ونقيضه ؟ بين الوصل والفصل ، بين الوفاء للسلف والايمان بالماضى والتنكر لهما فى وقت واحد ؟

ويتعلل الدكتور فيما يرى بهذا الصدد باقرار الفقهاء لمبدأ (المصلحة) ومبدأ المصلحة لا يمكن أن تناكر فيه ولا خلاف لفاعليه وانما الخلاف بيننا انما ينشأ حول مفهوم هذه المصلحة وحدودها فهل المصلحة فى ترك العصابات المسلحة تهاجم الناس فى الطرقات والمنازل والقطارات وتروع أمنهم باستلاب أموالهم أو باختطاف نسائهم وتعكير أمن المجتمع ؟ أم أن المصلحة تتعين بل وتتيقن فى الضرب على أيدى هؤلاء وأخذهم بصارم العقاب حماية للأنفس والأموال العامة والخاصة والأعراض ؟ وعندما يبصر علماء الدين الناس بهذا الخطر ويحذرونهم من مغبة عواقبه أيصح أن يقال عندئذ أن علماء الدين يصدرون آراءهم لارضاء العامة وهم أكثر الناس . أما قاعدة ( الضرورات تبيح المحظورات ) فهى قاعدة فقهية مكررة ولكن الكاتب يوردها فى غير موردها ويضعها فى غير موضعها بل تأتى هذه القاعدة التى أوردها بنفسه شاهدا عليه لا له ، فاذا كانت الضرورات تبيح المحظورات فانها من باب أولى تبيح غير المحظورات وعلى الأقل لا تمنعه وهل هناك ضرورة أشد من مقاومة ما يسود مجتمعنا الآن ويشيع فيه مما لم يكف فى مقاومته قانون وضعى

أو أى تشريع انسانى من استهتار بحقوق الغير وتهديد للآمنين أينما كانوا وكيفما وجدوا مما تكتظ به كل يوم صحافتنا هذا ان كانت مقاومة الجريمة بالعقاب الصارم تدخل فى المحظورات فى نظر الدكتور .

٢ - ومن القضايا التى تضمنها المقال ( ان التشريع الالهى مبرأ من الهوى ) هذا صحيح ولكن الكاتب يعود فيقرر ( انه ليس هو التشريع الوحيد للبشر ) ولعله فى العبارة الأولى تعمد أن يكتفى بتقرير مذاهب التشريع الالهى دون أن يقرر أنه كذلك كامل ليبنى عليه ما بنى من حاجته الى الاضافة البشرية والتشريع الالهى كما أنه متنزه عن الهوى هو فى الوقت نفسه غير قاصر عن الوفاء بحاجات البشرية فى شئونها الدينية بل وفى كثير من شئونها الدنيوية فى شكل قوانين عامة وقواعد كلية كما جاء بذلك صريح القرآن فليس فى حاجة الى اضافة بشرية والأصوب والأدق أن يقال انه فى حاجة الى فهم بشرى أما أن التشريع الالهى هو التشريع الوحيد للبشر كما قال ذلك الكاتب واستنكره - فلم يدع ذلك أحد وان كان من المقطوع به والذى قام عليه برهان العقل والنقل أن التشريع الاسلامى هو أصدق التشريعات وأصحها وأكملها بل لا يتصور أن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد ، على أن القياس والاجماع اللذين اعتبرهما صديقنا اضافتين ليسا كذلك ، وانما هما ناشئان عن المصدرين الأصليين: الكتاب والسنة اذ لابد للقياس من أصل فى القرآن ولابد للاجماع من مستند كتابا أو سنة أو اجماعا .

ويسترد الدكتور زكى فى تصوراته وافتراضاته بشأن هذه القضية فيتساءل ( من الذى قال ان هذه الجرائم التى سن لها الاسلام عقوبات هى كل الجرائم) وأنا أقول له لم يدع أحد ذلك أيضا وانما المقرر أن ما يستحدث من جرائم لم تفرض لها عقوبة واضحة فى التشريع الاسلامى يقاس على ما سنت له عقوبات سابقة جاء بها الوحى المعصوم ولهذا كان القياس الذى أصبح أصلا من أصول

التشريع ودليلا من الأدلة الاجمالية فى أصــول الفقــه ويكون التشريع عنــدئذ بأصــوله العــامة وأدلته الاجمالية قد غطى كل الجرائم التى قد تحدث أو تجد فى أى مجتمــع مهمــا تطورت حضــارته وتغيرت صورة حياته .

٣ ــ وتأتى قضية أخرى تعد من أخطر ما ورد فى مقال للدكتور وهى تفسير الشريعة بالعقل فى قوله تعالى: ( ثم جعلنــاك على شريعة من الأمر فاتبعها ) .

فالشريعة فى نظــر الدكتور زكى ــ وأرجو أن لا يكون ذلك اعتقادا لهــ انما هى عقل الانسان هكذا بدون حدود أو قيود هذا العقل الذى لا يقطع عاقل بتجرده من التأثر بعوامل البيئة ، ونظم التربية وصور الحياة وظروف الكون المادى فالعقل يتأثر بذلك وغيره قوة وضعفا ذكاء وغباء استقامة وانحرافا . صحة وسقما .

ومن هنا كان العقل فيما يصدر من أحكام عرضة للخطأ والصواب فقد تأتى أحكامه صحيحة ومطابقة للواقع ، وقد تأتى كذلك خاطئــة زائفة هذا بالنســبة لواقع حياتنــا المــادية وعالمنا المحس فما بالك اذا تعلق الأمر بالغيبيات أو بالأســرار والحكم أو بمقاصد التشريع الالهى المنزه عن الهوى والنقض والمبرأ من شائبة الخطأ والضلال .

لهذا كان المراد بالشريعة فى الآيــة المذكورة انما هو المنهاج الواضــح والطــريق المســتقيم الذى جاء به محمد ــ صلى الله عليــه وســلم ــ فيما أوحى به اليــه من ربه ولذلك أمــره المولى عز وجل باتباعها فقال ( فاتبعها ) ولم يأمره بأن يتبع عقله وهواه بل أنكر ذلك على من اقتدى بهواه الواقع تحت تأثيرات خاصــة فقال : ( أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) وفى هذا استبعاد صريح لتعميم صلاحية العقل بالانفراد بالحكم فى كل شىء وانما يكــون العقل أداة سليمة وحكما صادقا اذا ســلم من الآفــات والعلل وفيما لا يتجاوز حدود طاقاته أما اذا فســد لآفة أو لعلة أو قصور عن الرشــد وضعف عن ممارســة الادراك فلا يصلح أبدا أن ينفرد بالفصــل بين الحــق والباطل والخطأ والصواب.

وانى لعلى يقين من أن الأستــاذ الكاتب لا يجهل فــكرة فرنسيس

بيكون « أبو الفلسفة الحديثة » كما يقولون فى الأوهام الأربعة أو عوامل الخطأ وأسباب الزلل التى تعوق العقل عن سلامة الوصول وصحة الادراك وانه يستحيل عليه ذلك ما لم يطهر نفسه أولا من كل هذه الأوهام وتأتى النتيجة المستخلصة من كل ما قررنا حول هذه القضية وهى أنه لا بد من عصام الشرع وضرورة الرجوع اليه فى القضايا الالهية وما يتفرع عنها من تشريعات .

لهذا عنى الامام الغزالى ببيان سلطة العقل وحدوده أمام النص المقدس الا أن الغزالى لم يطلق الرأى كما أطلقه كاتبنا ولم يقطع بحكم واحد بالنسبة لجميع الناس فى مختلف مستوياتهم مثلما قطع كاتبنا كما أنه لم يحدد موقفا للعقل من جميع القضايا من غير تمييز بين قضية وأخرى كما فعل كاتبنا ، وانما عمد الغزالى الى تصنيف الناس ومبلغ مستواهم من الادراك والتميز ثم الى تصنيف الموضوعات المنظورة ليحدد للعقل دوره ومدى سلطانه فى كل منها كذلك .

وانه ليطالعنا فى افتتاحية كتابه ( الاقتصاد فى الاعتقاد ) وفى الجزء الثالث من كتابه ( الاحياء ) بحملته على الحشوية لا يجابهم التقليد فى العقائد واتباع ظواهر النصوص الشرعية وعلى الفلاسفة والمتطرفين من المعتزلة لمبالغتهم فى سلطة العقل وحريته حتى صادموا به قواطع الشرع فى نظره فيقول ( فميل أولئك الى التفريط ، وميل هؤلاء الى الافراط وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط بل الواجب المحتوم فى قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد والاعتماد على الصراط المستقيم فكلا طرفى قصد الأمور ذميم) ثم يقول : ( وكيف يهدى للصواب من اقتفى محصن العقل واقتصر ) .

٤ — والقضية الرابعة هى استنكار الدكتور زكى للقول بأن الاسلام بتعاليمه يغنى عن الاحتياج والتبعية الى الرأسمالية والماركسية وأن الله لم ينس شيئا ترك اكماله لآدم سميث أو سان سيمون أو هجل أو ماركس وينسب الكاتب القائلين بذلك الى وجوب العلم بأن المسألة ليست مسألة مصطلح وانما الذى يعنيه هو النظم والأفكار التى ينطوى عليها

المصطلح فاذا كان المصطلح ينطوى على ما لا يتعارض مع الاسلام لا ينبغى رفضه وكأنى بالأستاذ الكاتب يريد أن يقول أو على الأقل يوحى الى قارئه أن يعتقد بأن الماركسية لا تتناقض مع الاسلام فى بعض جوانبها دون أن يحدد هذه الجوانب أو يبينها لنا مع أنه يعلم كيف أن الماركسية تناقض مع أهم ما فى الاسلام من تعليم وهو الجانب العقيدى .

وليس عندى ما أقوله فى هذا الصدد الا أن أسأل الدكتور محمود أيهما أسبق الاسلام أم الماركسية والرأسمالية الغربية . محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما جاء به من عقيدة وشريعة ونظام للحياة أم سميث وسان سيمون وماركس بما جاؤوا به من تجريد الانسان من أخص خصائصه وهى عقيدة الايمان بالله وبحاجة البشرية الى دين يعصمها وتعليم ينظم حياتها ؟

ان الماركسية والرأسمالية قد استحدثتهما نظما فلسفية حديثة جردت الأولى من العقائد الملازمة لفطرة الانسان ووجهت الثانية الى استغلال الغنى للفقير والقوى للضعيف وكلا الأمرين ينكرهما الاسلام ولا تقرهما تعاليمه ثم اذا افترضنا جدلا امكان اشتمالهما كما يقول الدكتور على ما لا يتنافى مع الاسلام وقد يكون ذلك فى بعض جوانبهما الغير أساسية فما هى الحتمية التى تجعلنا نأخذ ما يرتضيه الاسلام من هذا المضمون فى جرعة من الفلسفات الحديثة المنحرفة ، ومن خلال فكر سيمون وهيجل وماركس ؟ أفلا يكون من الأنصف والأوفر للترتيب الفكرى والتاريخى فى الوقت نفسه أن نرد الحقائق الى أصولها .

والأمور الى مصادرها الأصلية وعلى الأخص اذا كانت هذه الأصول والمصادر تعليما الهيا معصوما عن الخطأ مأمون العاقبة بدلا من أن نأخذها من مصطلحات استحدثها ماركس وأتباعه ولا تتسم بالدقة ولا بالعصمة .

٥ ـ أما القضية الأخيرة من المقال وهى ما سماه زميلنا الدكتور ( الارهاب الفكرى ) فلا تعليق لى عليه الا أن أسائله مرة أخرى متى

حدث هذا الارهاب الفكرى؟وأين هو الآن ؟ وممن صدر هذا الارهاب ؟ هل حال أحد بين الدكتور وبين ابداء رأيه خطأ كان أو صوابا ؟ لا بل أنه بالذى يعطى من فرص الكتابة فى الصحافة ما لم يتح لغيره من رجال الدين الذين أدعى أن الصحافة تفتح لهم باب الفرص أكثر من غيرهم .. وهل يريد صاحبى أن توصد الصحافة أبوابها عن النشر لرجال الدين ، وتفتح له هو أبوابا أوسع ليهاجم مقدسات الناس ويصادم بفكره ورأيه مشاعر ٩٥٪ من أفراد المجتمع ممن لا يرضون رأيه ولا يستمعون لخطابه بل ينفرون منه ويستنكرونه ؟ وما هو التغيير الذى يراد بهذه الأمة ولم يفسح الطريق لاحداثه ؟ أهو تغيير فى العقائد ؟ أم هو تغيير فى قيم المجتمع ؟ أو هو تغيير تقاليده المرعية ومقومات حضارته الأصيلة ؟ ممن يكون الارهاب اذن ؟ أهو من رجال الدين الذين يشعرون بأن عليهم واجبات النصح الهادى والتوجيه الحكيم ودفع السيئة بالتى هى أحسن ؟ أم أن الارهاب من أولئكم الذين يستعدون الصحافة على رواد الحق ودعاتهم ويؤرقهم أن تنفعل بآرائهم وكلمة الحق التى يصدرونها الجماهير المسلمة الأمينة على مقدسات دينها الحريصة على مقومات حضارتها ؟ يا أخى الدكتور رعاك الله وسدد الى الحق خطاك .. فتلك كلمات قصار وأمارات اخاء اقتضانى الحق والتذكرة أن أكتبها لعل أن يهدينا واياك سواء السبيل وأن يجعل لنا جميعا من أمرنا رشداء

( والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ) .

**د. محمد عبد الرحمن بيصار**

وكيل الأزهر

# أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية

لسماحة العلامة أبو الحسن الندوى

ان الحقيقة النفسية التاريخية التى لا يمكن انكارها أو تجاهلها ، هى امكان وجود أفراد فى المجتمع الاسلامى لم تنشرح صدورهم للعقيدة التى يقوم عليها هذا المجتمع ، ولم يؤمنوا بالحقائق والمبادىء التى يؤمن بها ، والأهداف والمثل التى يعيش لها .

وتلك طبيعة كل مجتمع يقوم على أساس عقيدة معينة وحدود مرسومة واضحة ، اذا تخطاها فرد من أفراد هذا المجتمع أو الجماعة ، اعتبر خارجا من دائرته ، أو ثائرا عليها ، وفقد جميع الحقوق والامتيازات التى كان يتمتع بها ، خلافا للجنسيات والقوميات التى تفتح صدرها لكل عقيدة ، وخلق وتصرف ، بشرط أن لا يغير صاحبها جنسيته أو قوميته، ولاتصدر منه خيانة لأمته وحكومته.

وتتضخم هذه المشكلة وتتضاعف أخطارها وأضرارها وتتضخم مسئولية القائمين على هذا المجتمع ، الحريصين على وحدته وسلامته وحياته وقوته ، اذا ألح هذا العنصر ــ الذى لم يخلص لهذه العقيدة التى قام عليها هذا المجتمع أو لم يسغها ، أو لفظها بعد ما أساغها لأى سبب من الأسباب ــ ألح هذا العنصر على البقاء فى اطار هذا المجتمع المؤمن ، كجزء من أجزائه ، وربط مصيره بمصيره لمصلحة من المصالح ، أو لاضطراره الى ذلك ، من غير أن يذيب نفسه فى حرارته ، ويصهرها فى بوتقته ، ومن غير أن يقتنع بما يقوم عليه هذا المجتمع من عقائد ومبادىء،وخصائص ومقومات ويؤمن بها باخلاص وفى حماس ، ونجح فى ذلك بذكائه أو بغفلة من القائمين على هذا المجتمع ولم يفطن له.

وهو أشد خطرا وأعمق أثرا من «الردة» التى يفارق بها صاحبها مجتمعه الذى ولد ونشأ فيه ، أو الدين والعقيدة التى آمن بها أو خيل اليه أنه آمن بها بحكم الوراثة أو النشأة أو البيئة .

وتتعقد هذه المشكلة حين ينجح هذا العنصر بلباقته أو مقدرته فى احراز الثقة من هذا المجتمع والسيطرة عليه ، وتملك زمامه ، فيتبوأ منصب الحكم أو منصب القيادة والتوجيه ، هنالك يرغم هذا المجتمع على أن ينحو نحوا لا يحبه أو لا يتحمس له ، بل يعتبره فى بعض الأحيان مروقا من الدين يؤمن بها ، وقد يساق الى الغايات التى يعتبرها منافية لدينه وعقيدته كما تساق القطعان من الغنم أو البقر ويعيش فى صراع نفسى عميق من أعنف أنواع الصراع الذى عرفه تاريخ البشرية ، وتاريخ الأخلاق وعلوم النفس وتاريخ الديانات والمذاهب ، فلا هو حى يتمتع بالحياة وحريتها ونعيمها ، ولا هو ميت قد استراح وهدأ .

وبتأثير هذه القيادة التى لاتتفق مع عقيدة هذا المجتمع وطبيعته ، بل تحاربها وتنسفها نسفا ، تنتشر الردة العقائدية بمعناها الواسع فيمرق عدد كبير ممن ليست عندهم حصانة خلقية نفسية ، أو شحنة ايمانية روحية ، أو قوة علمية فكرية ، وعدد كبير من عباد الأموال والمناصب ، والعز والفخار ومن « الانتهازيين » أو ينتشر النفاق انتشارا فظيعا فيضعف قوة هذا المجتمع وينخر هيكله ، وينتشر المكر وتكثر المؤامرات ويفشو الغدر والخيانة ويهون بيع الضمائر وبيع المقدسات والأمجاد ، وأراضى البلاد بثمن بخس دراهم معدودة ، ويكثر الخونة وصنائع العدو ووكلاؤه وخدمة مصالحه ، كثرة فاحشة ، لا يوجد لها نظير فى المجتمعات البشرية التى لاتمتحن بمثل هذه المحنة . وليست بين هذه المجتمعات وبين قياداتها هوة عميقة واسعة ، عقائدية أو مبدئية .

ويعجز هذا المجتمع عن مقاومة أى عدو مهاجم ، أو خطر داهم ، للبلبلة الفكرية التى يعانيها ، والصراع النفسى الذى يقاسيه ولكره عدد كبير

لهذه القيادات ، وعدم تحمسه ـ بطبيعة الحال للشعارات التى تهتف بها هذه القيادات ، والغايات التى تقاتل فى سبيلها هذه الزعامات أو الحكومات ، وذلك كله من طبيعة الأشياء ومنطق الواقع ، وخصائص النفس الانسانية ، يشهد له التاريخ القديم ويشهد له التاريخ المعاصر فى المناطق التى لم تذق لذة الحب للقادة والزعماء،أو الحكام والأمراء ولم يكن هناك انسجام عاطفى ، أو تجاوب فكرى بين الشعب والقيادة.

وقد واجه المجتمع الاسلامى الذى قام على أساس الدعوة الاسلامية ، وفى أحضان الرسالة المحمدية ، هذا الواقع الطبيعى التاريخى الذى لامفر منه لأى جماعة تقوم على أساس الايمان والعقيدة ، والديانة والتقوى ، والدعوة والجهاد ،وانما تظر بادرة « النفاق » فى بيئة تجمع بين دعوتين متنافستين ، وقيادتين متقابلتين ، مهما كانت النسبة بينهما بعيدة فى الضعف والقوة والقلة والكثرة ، هنالك يوجد عنصر مضطرب يتأرجح أولا بين هاتين الدعوتين ، ويتردد فى ايثار احداهما على الأخرى ، ثم ينحاز الى دعوة فيكون فى معسكرها ، ويعطيهاولاءه وحبه العاطفى الا أن مصالحه المادية وانتشار هذه الدعوة المقابلة وانتصارها لايسمح له باعلان موقفه والانضواء الى الدعوة الأولى ، وقطعه للحبال التى تربطه الدعوة المقابلة ، وذلك ما عبر الله عنه بقوله:

« مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء » (١)

وبقوله : « ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه » (٢)

لذلك لم يكن ـ كما يرجح أكثر المفسرين ـ نفاق فى مكة ، لأن الاسلام كان هنالك مغلوبا على أمره لا يملك حولا ولا طولا ، ولا يملك لأحد نفعا ولا ضرا ، ولم تكن هنالك قوتان متماثلتان، انما كان المشركون

---

(١) سورة النساء : ١٤٣

(٢) سورة الحج : ١١

الأقـوياء القاهرون ، والمؤمنـون المضطهدون المستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس ، فلما انتقل الأسلام الى المدينة ، وقام المجتمع الاسلامى بجميع لوازمه نجم النفـاق ورفـع رأسه ، وكانت ظاهرة طبيعية نفسية لابد منها .

ولكن وجود الرسول صلى الله عليه وسلم واستمرار الوحى قدأمن هذا المجتمع الوليد من غائلة هؤلاء المنافقين ، ففضحهم القرآن فى عدة مواضع منه وأزاح الستار عنهم ، وعـرفهم المسـلمون فى الغـالب وكرهوهم كرها شـديدا ، ولفظهم المجتمع فلم يستطيعوا أن يتسربوا فيه ويندمجوا ، فضلا عن أنيحرزوا ثقة واحتراما ، أو يتبوأوا قيـادة ورئاسة ، وبقى المجتمع الاسـلامى الأول صحيحا وسليما لم يضـعفه النفاق ، ولم يعبث به المنافقـون ، وضعف شأنهم حتى أعتقد كثير من الصحابة أنهم انقرضـوا ، وأن لا نفاق بعد النبى صلى الله عليه وسلم وكان منهم بعض كبار الصحابة .

ولـكن النفـاق كان ولا يزال خصيصة من خصائص الانسـانية ونقطة ضعف فى كثير من النفـوس البشرية ، فهو يساير الركب البشرى فى جميع مراحله ومنازله ، ويرفـع عقيرته اذا وجد مجالا ومتسعا وقد هيأت بعض الظروف التى لا مجال لتفصيلها فى هذا الحديث لنشـاطه ونفـوذه ، ولظهـوره على مسرح الحكم والادارة ، والقوة الحربيـة والجهاز الحكومى . وفى السـوق والمنتديات ، والعلم والشعر والأدب فى العهد الذى كان الاسلام فيـه زاحفا مقتحما فاتحـا غانما ، حاكما مالكا ، واقترنت بالدخـول فيـه والظهور بمظهـر فوائد سيـاسية واجتماعية واقتصادية ، هنالك برز النفاق فى الميـدان وتبوأ كثير من أصحابه مراكز رئيسية حساسة فى حدود الدولة الاسلامية الواسـعة وكان منهم من استطاع أن يفرض نفسه على هـذه الدولة الناشـئة بمهارته فى بعض الفنون والصناعات، أو بفضل من ذكاء وتفوق فى العلم فكان منهم كبار الاداريين ، وقادة الجيوش ، وكبار الكتاب والأعوان .

وفى مثل هذه الظروف سئل سيد التابعين الامام الحسن البصرى عن وجود النفاق والمنافقين والدولة للاسلام والمسلمين ، فأجاب بالايجاب ، ولم يثبت وجودهم فحسب بل أعلن أنهم فى قوة وشوكة وفى موقف نفوذ وتأثير ، قال له رجل : يا أبا سعيد اليوم نفاق ؟ قال: لو خرجوا من أزقة البصرة لاستوحشتم فيها ، وقال مرة لو خرجوا لما انتصفتم من عدوكم ، وقال فى مناسبة أخرى ، يا سبحان الله مالقيت هذه الأمة منافق قهرها واستأثر عليها (١) .

وبقى هذا النفاق يعمل عمله ويثبت وجوده فى المجتمع الاسلامى حتى فى أوج عظمته السياسية والحضارية ، بل كان أقوى وأنشط فى عهود المجد السياسى والمدنى لضعف التربية الاسلامية وندرة المربين الربانيين للنفوس ، المهذبين للأخلاق ، وفساد نظام التربية فى بعض العهود وكونه قنطرة للوصول الى كراسى الحكم ومراكز القيادة، ولاحتياج الملوك والأمراء الى الحذاق البارعين فى بعض العلوم والآداب والكتابة والادارة ، بصرف النظر عن عقيدتهم وسيرتهم وأخلاقهم واستمر ذلك الى آخر عهد من عهود الحكومات الاسلامية فى الشرق والغرب .

وجاء عهد الاحتلال الأجنبى وغزو الغرب الفكرى والثقافى ووقع الشرق الاسلامى ـ بارادة أو بغير ارادة ـ فى حضانة التربية الغربية ، ونظمها التعليمية ، ومناهجها الفكرية وقيمها ومثلها العليا وتصورها للحياة والانسان ، ونظرتها الى العلوم والآداب ، كما يترامى الطفل الصغير فى أحضان مرب كبير ، ويقبل نظامه التعليمى ، وبالأصح فكرته التعليمية، بحذافيرها وعلى علاتها ، التى ولدت ونشأت واختمرت فى بيئة تؤمن بعقائد وأسس ، ومبادىء وقيم ، ومفاهيم ومثل ، تختلف كل الاختلاف عن العقائد والأسس ، والمبادىء والقيم ، والمفاهيم والمثل التى يؤمن

(١) مقتبس من « صفة النفاق وذم المنافقين » للمحدث ابى بكر ص٦٨

بها المجتمع الاسلامى ، أو يجب أن يؤمن بها ويعيش لها ويجاهد فى سبيلها ، بل تقوم على نفيها وهدمها أحيانا ، والتهكم بها والاستهانة بقيمتها أحيانا أخرى ، فكان مثله كمثل رجل يتناول السم الزعاف ليعيش ، ويشرب الماء الملح الأجاج ليروى غلته ، وحكموا فى تخطيط برامجهم التعليمية ، ومؤسساتهم العلمية ، الاخصائيين أو المستشارين من البلاد الأجنبية ، ولم يستوردوا منها المقررات الدراسية فحسب ،بل النظرات التعليمية والتصورات التربوية ، وأرسلوا البعثات الى الخارج لتنشأ فى أحضان المربين الغربيين والأساتذة الأجانب ، ثم أطلقوا أيديهم ومنحوهم كل حرية فى تخطيط البرامج التعليمية وسياسة التعليم فى هذه الأقطار الاسلامية .

فكانت النتيجة وجود طبقة مضطربة فى العقائد والأفكار والسيرة والأخلاق ، أحسن أحوالها أن تكون مذبذبة بين الفكرة الغربية والفكرة الاسلامية ، والا فهى فى أكثر الأحيان تنسلخ من كل ما يدين به مجتمعها وأمتها وبلادها .

وذلك شىء طبعى لا يستغرب وجوده ، انما يستغرب عكسه وقد يكون هؤلاء الاخصائيون أو المستشارون وتلاميذهم مخلصين فى عملهم يريدون الخير للأقطار الاسلامية والأجيال الاسلامية فى هذا التخطيط التربوى ، وفى هذه السياسة التعليمية ولكن ذلك لايمنع من تعرض هذه الأقطار والاجيال لهذا الاضطراب الفكرى،أو التناقض المبدئى ، ولكثير منهم العذر فى ذلك لقلة معرفتهم بهذا الدين وأسسه ومبادئه ، وطبيعة هذه الشعوب الاسلامية وما يتفق مع شخصيتها ورسالتها ، وما يتنافى معهما وقد تكون محاولتهم لانقاذها ــ باخلاص وحسن نية ــ ذريعة الى هلاكها ، وقد أعجبنى ما قاله الأستاذ Don Adamis عن هؤلاء الموجهين أو المستشارين الأجانب فى كتابه (١) :

« المخطط التربوى للمجتمعات المعاصرة » يقول :

---

(1) Educational patterns in contemporay — Societies.

« ان أبلغ مثـل يضرب للأضرار التى تلحق بالشعوب بخطأ يصدر من المستشـارين المتعلمين الأجانب ، ما جاء فى حكاية شرقية ، يصـور موقف هؤلاء الماهرين تصويرادقيقا، زعموا أن ناحية من النواحى أصيبت بفيضان عظيم ، تورط فيـه قـرد وسمكة ، وكان القردشاطراومحنكا قد جرب مثل هـذه الفيضـانات ، فتسلق فرع شجرة وأمن خطر هذا الفيضان ووقع بصره على السـمكة تكافح تيار الفيضان ، وتطفوا على سطح البحر ، واحتمل القردالعطف على هذه السمكة المسكينة ورق لها قلبه ، فنزل من الشجرة وأنقذالسمكة بكل اخلاص من هذا الخطر ، وجاء بها الى الساحل وألقاها على الرمل حيث لا تصل اليها الأمواج ،وكانت النتيجة ظاهرة لا تحتاج الى تفسير.

**ابو الحسن الندوى**

---

*** الله .. او الانهيار :**

لقد جربت البشرية فى هذه الجاهلية الحديثة كل نظام يمكن ان يخطر فى بال الانسان .. الفردية والجماعية .. الراسمالية والشيوعية .. الملكية واللا ملكية ..

وجربت المتاع الحسى المنطلق بلا غاية .. فى المـأكل والمشرب والمسكن والملبس .. والجنس .

وجربت الايمان بكل « اله » من صنع الانسان والانسـان المتاله والالحاد بكل اله ..

ثم .. ؟

ثم ازدادت مع كل تجربة حيرتها وشـقاؤها واضرابها وخلخـلة روابطها .. حتى جنت أو كادت تجن !

ومن ثم .. فلم يعد هناك مجال للاختيار !

اما الله .. واما الانهيار !

# التصوف وأئمته

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد حسنين مخلوف

التصوف الاسلامى فى واقعة تربية علميـة وعملية للنفـوس وعـلاج للنفوس ، وغرس للفضائل واقتلاع للرذائل وقمع للشهوات وتدريب على الصبر والرضاء والطاعات فهـو مجاهدة للنفس ، ومحاسبة لها على الأعمال والتروك وانقطـاع عمـا يعوق السـالك فى سيره الى الله وزهاده فى كل ما يلهى عن ذكر الله ويعلق بالقلب سواه .

وهو توجه الى الله تعالى واقبال عليه وعكوف على عبـادته وتعرض لنفحـاته وهبـاته التى يختص بها أولياءه وأحباءه .

كل ذلك مع السـعى والعمـل الصالح فى الدنيا بما يتزودن للآخرة وبما به قوام الحياة والعمـران فى الحلال الطيب .

وهو مطـلوب شرعا وحسـن ممدوح فى دين الله . قال تعـالى : (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ) .

وقال تعالى : ( وتزودوا فان خير الزاد التقـوى واتقـون ياأولى الألباب ) .

وجملة القول فيه ـ قبل تدوينه كفن وبعده ـ أنه تربية وتهذيب ، وعلم وعمل ، ووقاية وعلاج ، ودين ودنيا ، وعبادة وزهادة ، وتقـوى وطاعة واسـتقامة وصبر وجهـاد ، وفرار من فتنة الدنيا وزينتها وابتعاده

وهـو لب الشريعة وروحهـا ، وثمرتها وحكمتها .

وقد كان ذلك شأن جمهور الصحابة والتابعين والسلف والصالح في أئمة الدين .

ولا نبعد اذا قلنا انهم كانوا جميعا صوفية بهذا المعنى الجامع الذى صار موضوع التصوف المدون فيما بعد وغايته ولكن على تفاوت بينهم فيه .

ذلك هو التصوف النقى من الشوائب الذى لم يخالطه زيغ ولا شطط ولا جهل ولا ابتداع .

وهو تصوف العلماء والنساك ، القائمين على حدود الله ، الواقفين عند شريعته أمثال الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠هـ ، وأبى اسحاق ابراهيم بن أدهم البلخى المتوفى سنة ١٦١ هـ ، وأبى سليمان داود الطائى المتوفى سنة ١٦٥هـ ، وأبى على الفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧هـ وأبى الفيض ذى النون المصرى المتوفى سنة ٢٤٥ هـ ، وأبى الحسن السرى السقطى المتوفى سنة ٢٥٣ هـ ، وأبى محمد سهل بن عبد الله التسترى المتوفى سنة ٢٨٣ هـ ، وأبى القاسم الجنيد البغدادى شيخ الطائفة المقدم المتوفى سنة ٢٩٧ هـ ، وأبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى صاحب الرسالة المشهورة المتوفى سنة ٤٦٥ هـ ، وحجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى أحد أئمة الشافعية المتوفى سنة ٥٠٥هـ وأبى محمد عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ٥٦١ هـ وأبى حفص السهروردى صاحب عوارف المعارف المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ، والامام أبى الحسن الشاذلى على بن عبد الله المتوفى سنة ٦٥٦هـ ، وأبى العباس أحمد ابن عمر المرسى المتوفى سنة ٦٨٦هـ ، وأبى الفضل أحمد بن محمد « ابن عطاء الله الاسكندرى » المتوفى سنة ٧٠٩ هـ ، والسيد عبد الله بن علوى الحداد الحضرمى المتوفى سنة ١١٣٢هـ ، وأبى المواهب السيد مصطفى البكرى الصديقى المتوفى سنة ١١٦٢هـ ، والشمس محمد بن سالم الحفنى المتوفى سنة ١١٨١ هـ ، والقطب أبى البركات أحمد الدردير العدوى المتوفى سنة ١٢٠١ هـ - رضى الله عنهم ، وغيرهم من المتقدمين

والمتأخرين من الأئمة العــارفين في أشار اليه ابن خلدون في مقدمته ـ مختلف العصور •

* * *

ولهؤلاء الأئمة وأضرابهم ـ وهم صدور الاسلام وأعلامه ـ كـلام جيد شاف في الأذواق والمواجد ، التي تنشأ عن المجاهدات ، ثم تستقر للمريدين مقامات ، ثم يترقون فيهـا درجات ، على تشدد من بعضهم في السلوك وتفاوت بينهم حسب تفاوت أقدارهم في العلم والذوق، والعرفان•

ولهم اصطلاحات علمية، واشارات ذوقية ، ورموز دقيقة ، ومعان علوية، وحـكم رفيعة ، يعرفها أهلهـا ، ويتذوقها من وهب رقة الشـعور، ودقة الادراك • وهـم في مجـال الاعراب والبيان عن ذلك متفاوتون•

* * *

وموردهم الذى يستقون منه ذلك كله : كتاب الله تعالى وهدى النبوة، وما روى عن العـارفين من أئمـة الاسلام •

وقد اختص هذا النوع من العلم الشرعى في عصر التدوين ـ كمـا باسم «التصوف» أو «علم الحقيقة» كما اختص النوع الآخر منه باسم « الفقه » أو « علم الشريعة » وهو الخاص بالأحكام العامة في العبادات والمعاملات والعادات • وتسـاوق العلمان معا في تكوين الشـخصية الاسلامية الكاملة ظاهرا وباطنـا ، حسا ومعنى ، روحا ومادة ، بحيث لا يكمل تكوينها الا بهما ، فكانا منها كجناحى الطائر •

وقد ألف الأئمـة كتبهـم في كل منهما على حدة ، وجمع بعضهم بينهما كالغزالى في احياء العلوم ، وهـو موسوعة اسلامية جامعـة ، وذخيرة ثمينـة نافعـة • وممـا قاله بعض الصوفية : « حقيقة بلا شريعة باطلة، وشريعة بلا حقيقة عاطلة » • وهـو تصوير دقيق لترابط هذين العلمين الشرعيين ، وتساوقهما في تكـوين المسلم الكامل •

**التصوف الكاذب**

هذا هو التصوف الصادق الذى ملأ سمع الدنيا وأمتعهـا منذ عصر التدوين •

وهناك تصوف كاذب وهو الذى انتحله قديما حكام من الناس أشربوا تعاليم طائفة الباطنية الحلولية وتدثروا بدثار الصوفية اجتذابا للعامة وتغريرا ، ودسوا فى التصوف الحادهم ومقالاتهم الشنيعة فى الدين كأبى سيفين الاشيلى المتوفى سنة ٦٦٩ هـ واضرابه افسادا لعقائد العامة فى المسلمين .

وهؤلاء ليسوا صوفية ولا من التصوف فى شىء وانما هم مرتزقة زنادقة ملحدون .

وقد كشف خبيئتهم وفند مزاعمهم كثير من أئمة الاسلام ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية الحنبلى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله وتلميذه الامام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ رحمه الله .

وهناك آخرون انتموا الى الصوفية بل احترفوها واتخذوها سمة لهم وتوارثوا فيما بينهم بدعا سيئة وشعارات زائفة وتقاليد منكرة جهلا بالدين الخالص أو تجاهلا طمعا فى متاع الدنيا ثم ظلوا عليها عاكفين لا يأبهون لعلم ولا يستمعون لنصح ولا يخضعون لحكم .

وهؤلاء — لا ريب — أدعياء فى الصوفية دخلاء فى التصوف .

وقد انتصب للرد عليهم والتنديد بهم وتبيان بدعهم ومنكراتهم وارشادهم الى الحق والهدى كثير من العلماء الصالحين قديما وحديثا .

ومنهم العلامة عبد الرحمن الأخضرى المتوفى سنة ٩٨٣ هـ .

ومنهم الأستاذ أبو المعارف الشيخ أحمد بن شرقاوى الصعيدى المالكى الخلوتى فى كتابه ( شمس التحقيق ) المتوفى سنة ١٣١٦ هـ والعلامة الشيخ أحمد الطاهر الحامدى الأقصرى المتوفى سنة ١٣٣١ هـ والعلامة والدنا الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى المالكى الخلوتى المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ رحمهم الله أجمعين .

**وجوب انصاف التصوف البرىء :**

ومع ذلك قد تنكر أناس للتصوف بأسره وحملوا عليه حملات شعواء عنيفة وحملوه أوزار أولئك

المتصوفين الكاذبين وخطاياهم واتخذوها مكان للطعن فيه وفى أئمته وكتبه .

ولو أنهم توفروا على دراسته والاطلاع على كتبه واستقصاء أقوال أئمته وتواريخهم وسيرهم وآثارهم وجهادهم فى الدين لتبدل جهلهم بالتصوف علما وخطؤهم فيه صوابا وذمهم له مدحا ولتميز لديهم الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والأصيل من الدخيل المفترى ، ولعرفوا أن التصوف البرىء من الشوائب النقى من تلك المفاسد ـ ما هو الا الدين الخالص والحق المحض ولباب الشرع خرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وان الطعن فيه جهالة وجحود .

وأين الطاعنون فيه من أولئك الأعلام الذين أقاموا دعائمه وشادوا أركانه على تقوى من الله ورضوان ومنهم من ذكرنا من الأئمة الأعلام. نسأل الله لهم الهداية والرشد ؟

حسنين محمد مخلوف
مفتى الديار المصرية سابقا

---

※ بين اليأس والأمل :

« ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » .

لا أتصور أن مؤمنا بالله وبالقرآن يجد اليأس الى قلبه سبيلا ، مهما أظلمت أمامه الخطوب ، واشتدت عليه وطأة الحوادث ووضعت فى طريقه العقبات .

ان القرآن ليضع اليأس فى مرتبة الكفر ، ويقرن القنوط بالضلال : « قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » وان القرآن ليقرره ناموسا كونيا لا يتبدل ، ونظاما ربانيا لا يتغير « سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

# تمثيل الرسول صلوات الله وسلامه عليه
## وتمثيل آل بيته وأصحابه رضوان الله عليهم

لفضيلة الشيخ محمد المنتصر الكتاني

تمثيل رسول الله صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز ، بنصوص القرآن والسنة النبوية واجماع المسلمين وقد يكون ذلك كفرا وزندقة . وكما لا يجوز تمثيله صلوات الله عليه ، لا يجوز حضور تمثيله ، ولا الموافقة عليه ، ولا مساعدة مرتكب ذلك بأى نوع من أنواع المساعدة ، اذنا له ، أو تصويرا للكعبة المشرفة ، أو مكة المكرمة ، والضريح النبوى ، والمدينة المنورة ، أو أى شيء فى معناها ، ليظهر حاكيه عليه الصلاة والسلام فى منزل الوحى ، ودار ولادته ، ومرتع صباه ، ودار هجرته ومدفنه صلوات الله وسلامه عليه .

ومرتكب ذلك بالتمثيل بنفسه ، أو الحضور فيه ، أو معاونته ، أو الموافقة عليه بفتوى ، أو جاه ، أو نفوذ أو أى شيء يكون منه لعمل ذلك التمثيل ، فاعل ذلك بنفسه ، أو بتأييده ، ولو باللسان ، فضلا عن المشاركة ملعون بلعنة رسول الله صلوات الله عليه وسلامه عليه ، ومع اللعنة يعاقب أيضا بالطرد من بلده والنفى من بين قومه وعشيرته .

وكذلك لا يجوز ويحرم تمثيل آل بيت النبوة ، وأصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ويجب احترامهم بأمر الله تعالى وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والمثلون أهل لعب ومجون ، وأهل كذب واستخفاف ، وقد يصل بهم اللعب فى التمثيل والكذب الى الاستخفاف بمن يجعلونه غرضا لذلك التمثيل وهدفا ، واذ ذاك يصبح التمثيل كفرا وزندقة ، عقوبته القتل بلا استتابة ، ولا يبقى حكمه عدم

الجواز والحرمة فقط . ولا يكفى فى عقوبته اللعنة لمرتكبه والساعى فيه والنفى من البلاد فقط .

ونص التحريم من القرآن الكريم قوله لمن جعلوا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هدفا للعبهم «ولئن سألتهم ليقولن : انما كنا نخوض ونلعب قل : أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن » .

قال ابن العربى المعافرى: لايخلوا أن يكون ما قالوه من ذلك جدا أو هزلا ، وهو كيفما كان كفر، فان الهزل بالكفر كفر ، لا خلاف فيه بين الأمة .

ونص التحريم من السنة النبوية، قصة الحكم بن أبى العاص الأموى، ومحاكاته للنبى صلوات الله وسلامه عليه ، قال ابن عبد البر الاندلسى : كان الحكم يحاكى النبى صلى الله عليه وسلم فى مشيته وبعض حركاته أى كان الحكم يمثل النبى صلوات الله عليه ، وكان الحكم من مسلمة الفتح ومطلقيهم .

ذكروا أن صلوات الله وسلامه عليه كان اذا مشى يتكفأ ، وكان الحكم بن أبى العاص يحكيه يمثله ـ فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم يوما فرآه يفعل ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم: فكذلك فلتكن فكان الحكم مختلجا يرتعش من يومئذ .

وأخرج البيهقى فى دلائل النبوة عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق كان الحكم يجلس عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فبصر به عليه الصلاة والسلام ، فقال : كن كذلك . فما زال يختلج حتى مات .

وروى الفاكهى : ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم دخلوا عليه وهو يلعن الحكم بن أبى العاص ونفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة المنورة الى الطائف .

وروى ابن أبى خيثمة وغيره بعدة أسانيد عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت لمروان : فاشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت فى صلبه . ورواه النسائى والحاكم وابن مردويه وغيرهم ورواه الاسماعيلى وسكت عنه الحافظ ، وهو بسكوته عنه يعتبر صحيحا

حسب قاعدته ، وكذلك قال له أخوها عبد الرحمن : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباك . رواه البزار وحسنه الهيثمى .

وورد ذلك عن الحسن والحسين ابنى على عند أبى يعلى فى مسنده .

وورد أيضا عن ابن الزبير عند أحمد والبزار فى مسنديهما ، والطبرانى فى معجمه ، وصححه الهيثمى .

وعن عمرو بن مرة الجهنى رفعه: فعلى ـ الحكم ـ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، رواه الطبرانى ووثقه الهيثمى ، وورد لعنه عن عبد الرحمن بن عوف عند الحاكم ، وعن عبد الله بن عمر عند الطبرانى ، وعن عطاء الخراسانى مرسلا عند الفاكهى ، فهو برواته العشر متواتر ، وصححه الحاكم والحافظ والهيثمى .

وأخرج ابن عبد البر فى الاستيعاب بسنده الى قاسم بن أصبغ فى سننه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل عليكم رجل لعين ، قال: فدخل الحكم بن أبى العاص ، ورواه أحمد والبزار فى مسنديهما ، والطبرانى فى مجمعه ، وصححه الهيثمى .

وهجا عبد الرحمن بن حسان بن ثابت شاعر رسول الله عليه الصلاة والسلام : مروان ولد الحكم فقال:

ان اللعين أبوك فارم عظامه
ان ترم ترم مخلجا مجنونا

يمسى خميص البطن من عمل التقى
ويظل من عمل الخبيث بطينا

وقال الحافظ فى الفتح : وقد وردت أحاديث فى لعن الحكم والد مروان .. أخرجها الطبرانى وغيره بعضها جيد .

وروى الطبرانى من حديث حذيفة ابن اليمان لما ولى أبو بكر الصديق الخلافة ، كلم فى الحكم أن يرده من الطائف الى المدينة فقال : ما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقصة الحكم فى محاكاته وتمثيله للنبى صلوات الله وسلامه عليه ولمشيته وحركاته دليل على عين النازلة كما يقول الفقهاء وعلماء المناظرة .

وتمثيل الحكم للحركات النبوية والمشية النبوية اما أن يكون ذلك

منه استهزاء برسول الله والرسالة ولو كان استهزاء لكان الحكم مرتدا ، وجزاء المرتد المستهزىء برسول الله والرسالة ، القتل باجماع الأمة ، كان المستهزىء مسلما أو ذميا ، كما نص على ذلك علماء جميع المذاهب وفى هذه المسألة صنف أبو العباس ابن تيمية كتابه الكبير : الصارم المسلول على شاتم الرسول .

واما أن يكون الحكم بتمثيله للحركات النبوية والمشية النبوية متلاعبا فقط ، واكتفاء رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بلعنه ونفيه، دليل على اعتباره له يلعب ، ولذلك لم يقتله ، وبذلك يتم المقصود من الحكم على تمثيل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من انه لعب وليس استهزاء .

فصح بهذا الدليل أن التمثيل برسول الله والرسالة لعب ، واللعب بذلك حرام لايجوز ، ملعون اللاعب بفعله وحضوره وتأييده ، ومع اللعنة حكمه أن ينفى من بلاده الى بلاد لا عشيرة له فيها ولا أهل ، كما نفى الحكم من المدينة المنورة من بين أهله وولده وعشيرته الى الطائف ، حيث عاش غريبا مطرودا بقية حياة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وفى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وفى خلافة عمر الفاروق رضى الله عنه ، والى سنوات من خلافة عثمان .

والممثل يتخيل ويكذب فى كلامه على الذين يمثلهم ، يكذب عليهم قولا فيما تخيل عنهم أنهم قالوه ، ويكذب عنهم فى محاكاة حركاتهم وتصويرها للناس فى حركات أعضائه من قيام وقعود وضحك وبكاء وحزن وفرح ، فالممثل كاذب فى تمثيله بحاله ومقاله ، والممثل لرسول الله يكون كاذبا على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وفى الحديث المتواتر عن مائتى صحابى عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

وكما قال أبو العباس ابن تيمية : وليس يخفى أن من كذب على من يجب تعظيمه ــ كرسول الله ــ فانه مستخف به مستهين بحقه .

وعقوبة الكاذب على رسول الله القتل ، لقد أجمع الفقهاء على ذلك كما قال ابن تيمية ، وقتل الخلفاء الكذبة على رسول الله فى عهود مختلفة .

وقد أمر الله تعالى الناس كل الناس بتعظيم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، واحترامه وتعزيزه وتوقيره ، زيادة على الايمان بنبوته ورسالته وأنه خاتم الأنبياء ، وأنه مرسل الى الناس كافة الى يوم القيامة فمن مثله بشخصة الكريم جسما أو كلاما أو حركات يكون متلاعبا والتلاعب مناف للتعزيز والتوقير والتعظيم والاحترام .

قال أبو العباس ابن تيمية : ان الله سبحانه وتعالى أوجب لنبينا صلى الله عليه وسلم على القلب واللسان والجوارح حقوقا زائدة على مجرد التصديق بنبوته . قال :

ومن حقه : أن يكون أولى بالمؤمنين من أنفسهم . النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم . ومن حقه : أن يكون أحب الى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق .

« قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره » .

وفى الصحيحين : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين . ومن ذلك أن الله أمر بتعزيزه وتوقيره ، « انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا » .

قال : والتعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه .. والتوقير اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الاجلال والاكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار .

ومن ذلك أنه حرم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن ، وحرم رفع الصوت فوق صوته ، وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل ، وأخبر أن الذين ينادونه وهو فى منزله لا يعقلون ، لكونهم رفعوا

أصواتهم عليه ، ولكونهم لم يصبروا حتى يخرج اليهم . قال : وأخبر أن ذلك سبب حبوط العمل ، فهذا يدل على أنه يقتضى الكفر ، لأن العمـل لا يحبط الا به .

وأخبر ان الذين يغضون أصواتهم عنـده هم الذين امتحنت قـلوبهم للتقوى، وأن الله يغفر لهم ويرحمهم:

« يا أيها الـذين آمنوا لا ترفعـوا أصواتكم فوق صـوت النبى ولا تجهرواله بالقـول كجهر بعضـكم لبعض أن تحبط أعمـالكم وأنتم لا تشعرون. ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة ،وأجر عظيم . ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم » .

قال : ومن ذلك : ان الله حرم على الناس أن يؤذوه بما هو مبـاح أن يعامل به بعضهم بعضا ، تمييزا له ، مثل أن ينكح أزواجه من بعـده .

« وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعـده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما »

قال ومن ذلك انه خصه بالمخاطبة بما يليق به فقال : « لا تجعلوا دعاء الرسـول بينكم كـدعاء بعضـكم بعضا » .

فنهى الله أن يقول أحد من النـاس يا محمد أو : يا أبا القاسـم ولكن يقولون : يا رسول الله يا نبى الله .

قال أبو على : واذا ذكر فى غيبته حيا أو ميتا يقولون : رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم : نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال : البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على .

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: وكيف لا يخاطبه الناس بذلك والله سبحانه وتعالى أكرمه فى مخاطبتـه اياه بما لم يكرم به أحدا من الأنبياء.

فلم يدعه باسمه فى القرآن ، بل يقول : « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك .. يا أيهـا النبى انا أحللنا لك أزواجك .. يا أيها النبى اتق الله

•• يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا •• يا أيها النبى حسبك الله •• يا أيها المزمل قم الليل •• يا أيها المدثر قم فأنذر • » قال : مع أنه سبحانه وتعالى قد قال للأنبياء قبله : » يا آدم اسكن أنت وزوجك •• يا آدم أنبئهم بأسمائهم •• يا نوح انه ليس من أهلك •• يا ابراهيم اعرض عن هذا •• يا موسى انى اصطفيتك على الناس •• يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض •• يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك • قال : وقد أوجب الله على جميع الخلق أن يقابلوه من الصلاة والسلام والثناء والمدحة والمحبة والتعظيم والتعزير والتوقير والأدب معه فى الكلام والطاعة للأمر والنهى • قال :

ومن ذلك أن الله رفع له ذكره فلا يذكر الله سبحانه الا ذكر معه ، ولا تصح للأمة خطبة ولا تشهد حتى يشهدوا أنه عبده ورسوله ، ووجب ذكره فى كل خطبة ، وفى الشهادتين اللتين هما أساس الاسلام ، وفى الأذان الذى هو شعار الاسلام ، وفى الصلاة التى هى عماد الدين • قال :

وقرن الله ذكره بذكره ، وجمع بينه وبينه فى كتابة واحدة ، وجعل بيعته بيعة له ، وأذاه أذى له الى خصائص لا تحصى : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم • من يطع الرسول فقد أطاع الله • ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا » •قال : وكان من ربه بالمنزلة العليا التى تقاصرت العقول والألسنة عن معرفتها ونعتها، وصارت غايتها من ذلك بعد التناهى فى العلم والبيان ، الرجوع الى عيها وصمتها • قال : فمن ذلك أن الله تعالى أمر بالصلاة عليه والتسليم بعد أن أخبر أن الله وملائكته يصلون عليه والصلاة تتضمن ثناء الله عليه ، ودعاء الخير له ، وقربته منه ورحمته له ، والسلام عليه يتضمن سلامته من كل آفة ، فقد جمعت الصلاة عليه والتسليم جميع الخيرات ، ثم أنه يصلى سبحانه عشرا على من يصلى عليه مرة واحدة ، حضا للناس على الصلاة

عليه ، ليسعدوا بذلك ، وليرحمهم الله بها •

ويقول أبو على ــ كما قال أبو العباس رحمه الله ــ فلرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود ولواء الحمد الذى تحته كل حماد ، صلى الله عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأعلاها وأكملها وأنماها كما يحب سبحانه وتعالى أن يصلى عليه ، وكما ينبغى أن يصلى على سيد البشر ، والسلام على النبى ورحمة الله وبركاته أفضل تحية وأحسنها وأولاها وأبرها وأطيبها وأزكاها صلاة وسلاما دائمين الى يوم الثناء ، باقيين بعد ذلك أبدا رزقا من الله ما له من نفاد •

فممثل رسول الله متلاعب به متماجن ، ومفتر عليه كاذب ، ومستهين برسول الله وحقه ، لاأدب عنده معه وغير معظم له ، ولا محترم ولا معزز ولا موقر ، ومن كان كذلك من الناس فهو عاص لله ولرسوله مخالف لكتاب الله وسنة نبيه ، وعليه ما على العصاة من لعنة وطرد وعقوبة ومقت •

وبذلك صح الاجماع من الأمة على أن التمثيل برسول الله حرام ، والاجماع حجة ثالثة ، وكتاب ابن تيمية الصارم المسلول هو بصفحاته الستمائة بيان لهذا الاجماع ودليل تفصيلى عليه •

وأما تمثيل آل بيت نبينا ، فهو كذلك استهتار بهم وسوء أدب معهم ، لم يطهرهم من رجس اللعب والمجون ومن الكذب عليهم ، والافتراء بالقول والحركات والملامح والشارات من مثلهم أو مثل واحدا منهم وقد قال تعالى : « انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » • وقد ورد تفسير الآية عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فيما صح عنه وتواتر ورواه عنه عشرة من الصحابة رجالا ونساء ودونته عنهم أمهات السنة •

فعن أم سلمة أم المؤمنين عند سنن الترمذى وصححه ، وصحيح الحاكم ، وسنن البيهقى ، وغيرهم قالت : فى بيتى نزلت : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

البيت » . وفى البيت فاطمة وعلى والحسن والحسين عليهم السلام ، فجللهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكساء كان عليه ثم قال: هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

ورويته عائشة أم المؤمنين عند أحمد فى المسند ، ومسلم فى الصحيح، ورواه أبو سعيد الخدرى عند معجم الطبرانى . وسعد عند صحيح الحاكم . وواثلة بن الأسقع عند أحمد فى المسند ، والحاكم فى الصحيح ، والبيهقى فى السنن ، وغيرهم . وأنس عند جامع الترمذى وصححه ، ومسند أحمد ، وصحيح الحاكم وغيرهم . وزيد بن أرقم عند صحيح مسلم . وابن عباس فى معجم الطبرانى ودلائل أبى نعيم ، ودلائل البيهقى وأبو الحمراء عند تفسير ابن جرير ، وتفسير ابن مردويه قال الترمذى وفى الباب عن معقل بن يسار فهو برواته العشر متواتر قال أبو العباس ابن تيمية ، وقد أوجب الله على جميع الخلق رعاية حرمة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فى أهل البيت والأصحاب ، بما لا خفاء به على أحد من علماء المؤمنين .

فحرمتهم حرمة رسول الله ، ومحبتهم محبة رسول الله والأدب معهم أدب مع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . ومن مثلهم أو مثل واحدا منهم لم يحترم رسول الله ، ولم يحبه ، ولم يتأدب معه ، وكان من العصاة المستهزئين ، وعليه ما على العصاة والجناة من أدب وتعزير .

وآل البيت قد أمر النبى صلوات الله وسلامه عليه بالتمسك بهم ، وقرن التمسك والهداية بهم ، بالتمسك والهداية بكتاب الله ، وأن التمسك بهما منقذ من الضلال ، وانهما لن يفترقا الى يوم القيامة ، الى لقاء رسول الله بهم فى الجنة قال ذلك وخطب به فى مائة ألف أو يزيدون من أصحابه يوم حجة الوداع . ورواه عنه جماعة من الصحابة ، وقرن النبى صلى الله عليه وآله وسلم حبه بحب الله ، وحب آل البيت بحبه .

فعن أبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم قالا : قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتى أهل بيتى ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحـوض ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما ؟ أخرجه الترمذى فى السنن وحسنه .

ورواه جابر بن عبد الله فقـال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حجة الوداع — يوم عرفة وهو على ناقته القصواء — يخطب ، فسمعته يقول : يا أيها الناس انى قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى أخرجه الترمذى فى السنن وحسنه وقـال : وفى البـاب عن أبى ذر ، وحذيفة بن أسيد . وصححه أئمـة الحديث ونص على تواتره الحافظ الذهبى وغيره .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم : أحبوا الله لمـا يغذوكم من نعمـه ، وأحبونى بحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى ، أخرجه الترمذى فى السنن وحسنه ، والحاكم فى الصحيح .

فمن مثل آل البيت لم يتمسـك بهم ، ولم يهتد بهديهم ، ولم يقرنهم بالقرآن الكريم اهتداء وأسـوة ، وكان متلاعبا ماجنا عاصيا لرسـول الله عليه الصـلاة والسلام ، ووجب عليه لذلك العقوبة والتعزير .

وتمثيل الصحابة كذلك مجـون ولعب ، قـد أعـرض عن حبهـم واحترامهم من مثل بهم ، وكذب فى تمثيله عنهم وافترى عليهم بتخيلاته عنهم قولا ، وبحركاته التمثيلية لهم فعلا ، وارتكب فاعل ذلك ، المستهتر بهم مخالفة الله تعالى فى رضاه عنهم مهاجرين وأنصارا ، واستبدل الدعاء لهم كمـا أمره الله ، باللعب بهم ، وعـدم الأدب معهم . قال تعـالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصـار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه . وقال « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا

مـن الله ورضـوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصـادقون . والذين تبوءوا الدار والايمـان من قبلهم يحبـون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصـة ومن يوق شـح نفسـه فأولئك هم المفلحون ، والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنـا اغفر لنـا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمـان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » .

وقد أوصى بهم صلى الله عليـه وسلم ، وأمر أن لايتخذوا غرضـا وهدفا فى اللعب والاستهتار بهم ، وأوجب حبهم ، وقرنه بحبه ، وحرم بغضهم ، وقرنه ببغضـه ، وجعـل أذاهم أذاه . فعن عمر بن الخطاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيـكم بأصـحابى » . رواه أحمد فى المسند والترمذى فى الجامع والحاكم فى الصحيح ، وعن عبد الله ابن المغفـل المزنى قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

«الله الله فى أصحابى ، لاتتخذوهم غرضـا بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهـم ، ومن أبغضـهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقـد آذانى ، ومن آذانى فقد أذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» . رواه أحمد فى المسند والترمذى فى الجامع .

وقد قال أبو العباس ابن تيمية : قد أوجب الله على جميع الخلق رعاية الحرمة فى أهل البيت والأصحاب بما لا خفاء به على أحـد من علمـاء المؤمنين . فتمثيـل الصـحابة لعب بهم ، ومن اتخذهم هدفا وغرضـا للعبـه أبغضهم ولم يحبهم ولم يقم بحقهم ، وكان فى ذلك أذاهم ، ومن آذاهم آذى رسول الله ، ومن آذى رسـول الله آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه الله وينتقم منه، ولكن الله يمهل ولا يهمل ، حتى اذا أخذ الفاجر لم يفلته ، وجعله عبرة للمعتبر .

فتمثيل رسـول الله موجب للعنة الله ويعاقب بالنفى مع اللعنة. وتمثيل آل بيت رسول الله موجب لغضب رسول الله مـع التعـزير . وتمثيل أصحاب رسول الله اذاية لرسول الله واذاية رسـول الله مقت ومع المقت التعـزير . كل هـذه العقـوبات والتعـزيرات اذا كان المثـل يلعب ، أمـا اذا كان يسـتهزىء

فالاستهزاء برسول الله وما كان بسبيل من رسول الله كفر وردة ، وعقوبة ذلك القتل بلا استتابة .

« فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين ، انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون » . انما العزة « لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون » .

فجر يوم الأحد ٥ ربيع النبوى ١٣٩٣ هـ

مكة المكرمة

نقلا من مجلة رابطة العالم الاسلامى العدد التاسع ـ السنة الحادية عشرة ـ ذو القعدة ١٣٩٣ هـ

**مراجع الحكم والفتوى :**

١ ـ كتاب الله .

٢ ـ تفسير ابن جرير .

٣ ـ تفسير القرطبى .

٤ ـ صحيح البخارى .

٥ ـ صحيح مسلم .

٦ ـ صحيح الحاكم .

٧ ـ جامع الترمذى .

٨ ـ مسند أحمد .

٩ ـ دلائل النبوة لأبى نعيم .

١٠ ـ دلائل النبوة للبيهقى .

١١ ـ سنن البيهقى الكبرى .

١٢ ـ مجمع الزوائد للهيثمى .

١٣ ـ فتح البارى للحافظ .

١٤ ـ شرح مسلم للنووى .

١٥ ـ عارضة الأحوذى لابن العربى .

١٦ ـ الاستيعاب لابن عبد البر .

١٧ ـ الاصابة للحافظ .

١٨ ـ الصارم المسلول لابن تيمية .

# الرسالة التأديبية :

## للإمام الغزالى

**يقول الامام الغزالى :**

ان هاشما الأصم كان من أصحاب شقيق البلخى رحمة الله عليهما .

فسأله يوما فقال :

صاحبتنى منذ ثلاثين سنة ما حصلت فيها . ؟

قال : حصلت ثمانى فوائد من العلم ، وهى تكفينى منه لأنى أرجو خلاصى ونجاتى فيها .

فقال شقيق ما هى ؟

قال هاشم الأصم :

**الفائدة الأولى :**

أنى نظرت الى الخلق فرأيت لكل منهم محبوبا يحبه ويعشقه . وبعض أولئك المحبوبين يصاحبه الى مرض الموت ، والبعض الآخر الى شفير القبر . ثم يرجع كله ويتركه فريدا ، وحيدا ، ولا يدخل معه فى قبره منهم أحد .

فتفكرت وقلت أفضل محبوب المرء ما يدخل فى قبره ويؤانسه فيه ، فما وجدته فى غير الأعمال الصالحة . فأخذتها محبوبا لى لتكون سراجا فى قبرى ، وتؤانسنى فيه ولا تتركنى فريدا .

**الفائدة الثانية :**

أنى رأيت الخلق يقتدون بأهوائهم،ويبادرون الى مراد أنفسهم فتأملت قوله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » .

فتيقنت أن القرآن حق صادق ، فبادرت الى خلاف نفسى وتشمرت بمجاهدتها وما متعتها بهواها حتى

رضيت بطاعة الله سبحانه وتعالى وانقادت .

**الفائدة الثالثة :**

أنى رأيت كل واحد من الناس يسعى فى جمع حطام الدنيا ثم يمسكه قابضا بيديه عليه . فتأملت قوله تعالى : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » . فلذت بالايثار واستودعت عند الله اعانة البائس واسعاف الفقير لعلى أحشر فى ظل صدقتى يوم يقوم الناس لرب العالمين .

**الفائدة الرابعة :**

أنى رأيت بعض الخلق ظن شرفه وعزه فى كثرة الأقوام والعشائر فاعتز بهم . وزعم آخرون أنه فى حيازة الأموال وكثرة الأولاد فافتخروا بها وحسب بعضهم الشرف والعز فى غصب أموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم . واعتقدت طائفة أنه فى اتلاف المال واسرافه وتبذيره وتأملت قوله تعالى :

« فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » . فأقبلت على ربى ونفضت يدى من هذه الملهيات والأباطيل .

**الفائدة الخامسة :**

أنى رأيت الناس يذم بعضهم بعضا ، ويغتاب بعضهم بعضا فوجدت ذلك من الحسد فى المال والجاه ، والعلم .

فتأملت قوله تعالى : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

فعلمت أن القسمة من الله تعالى فى الأزل . وأن الضيق بها حمق . فما حسدت أحدا ورضيت بقسمة الله تعالى .

**الفائدة السادسة :**

أنى رأيت الناس يعادى بعضهم بعضا لشتى الأغراض والأسباب فتأملت قوله تعالى :

« ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » . فعلمت أنه لا يجوز غير عداوة الشيطان فانتصبت له وتأهبت لحربه .

**الفائدة السابعة :**

انى رأيت كل أحد يسعى بجده ، ويجتهد فى طلب القوت والمعاش ، بحيث يقع فى شبهة أو حرام بل قد يذل نفسه وينقص قدره ، فتأملت قوله تعالى : « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها » . فعلمت أن رزقى على الله تعالى ، وقد ضمنه ، فاشتغلت بعبادته وقطعت طمعى عمن سواه وترفعت عن الشبهات والدنايا .

**الفائدة الثامنة :**

أنى رأيت كل واحد يعتمد على مخلوق .

بعضهم على الدينار والدرهم .

وبعضهم على المال والملك .

وبعضهم على الحرفة والصناعة .

وبعضهم على مخلوق مثله من الكبراء أصحاب الحول والطول .

فتأملت قوله تعالى :

«ومن يتوكل على الله فهو حسبه» .

فتوكلت على الله تعالى ، فهو حسبى ونعم الوكيل .

فقال شقيق : وفقك الله ..

انى نظرت فى التوراة ، والانجيل ، والزبور ، والفرقان فوجدت الكتب الأربعة تدور حول هذه الفوائد ، فمن عمل بها كان عاملا بهذه الكتب الأربعة ...

---

*** اياس بن معاوية :**

لما دخل المهدى البصرة راى اياس بن معاوية ـ وهو صبى وخلفه اربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة واياس يتقدمهم فقال المهدى اما كان فيكم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ؟ ثم ان المهدى التفت اليه وقال : كم سنك يا فتى ؟ فقال : سنى اطال الله بقاء الأمير سن أسامة ابن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم ابوبكر وعمر . فقال المهدى تقدم بارك الله فيك .

# الإسراء والمعراج فى الآداب العالمية

للدكتور عبد الجليل شلبى

تجلت لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى رحلتى الاسراء والمعراج رموز واشارات روت كتب السنة الصحاح جوانب منها، وروت كتب التفسير المتأخرة جوانب أوسع ، اعتمادا على ما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى : «لنريه من آياتنا»(١) وقوله سبحانه «لقد رأى من آيات ربه الكبرى»(٢) ثم ذكرت كتب المتصوفة صورا كثيرة لم ترد فيما ذكر الأولون ، . ولست أريد تمحيص هذه الروايات أو تفضيل بعضها على بعض ، كما أنه لا يعنينى أن أذكر أسباب التزيد والمبالغة فى هذه الروايات ، فانى أتحدث من وجهة نظر الأدب لا من وجهة نظر الحديث أو التشريع ، والأدب يستفيد من خيال الكاتب وحسن ترتيبه للصور التى يعرضها بقطع النظر عن كونها صحيحة أوغير صحيحة .

وقد ظل حديث الاسراء والمعراج وحيا لخيال العامة والأدباء جميعا ، ولكن قصة المعراج كانت أحفل بالصور وأغنى بالخيال ، ثم أنها لا تجد ما يعارضها ما دامت تتسق وأصول الشريعة . أما قصة الاسراء من مكة الى المدينة فقد جاء فيها — فى بعض رواياتها — أن قريشا حين أنكرت هذا الحادث ، استوصفت رسول الله (ص) بيت المقدس فكشف الله له عنه فأخذ يصفه بابا بابا و نافذة نافذة ، والذى فى الكتب الصحيحة أنهم استوصفوه بيت المقدس وهذا لا يعنى المسجد وقد يعنى

---

(١) الاسراء من الآية (١) .

(٢) النجم الآية (١٨) .

المدينة ، لأنه (ص) لم يكن رآها من قبل • أما المسجد الذى صلى فيه فيعنى هيكل سليمان ، وهذا حطمه تيطس القائد الرومانى للمرة الثالثة سنة سبعين من ميلاد المسيح، ولم تقم له قائمة بعد ذلك ولا استقر لليهود فى فلسطين قرار ، فقد مر على هدمه أكثر من ستة قرون قبل حادث الاسراء •

والنبى محمد (ص) صلى بأرواح الأنبياء فى مكان الهيكل ، وكان ذلك يرمز الى معان كثيرة ، منها تقدمه على الأنبياء السابقين ،ونسخ رسالاتهم برسالته ، وبيان أن دعوته هى دعوتهم جميعا وأنه جاء بالحنيفية التى جاء بها ابراهيم عليه السلام ••• الخ الخ •

وظلت قصة المعراج وما أضيف اليها محل نمو وزيادة ، وأيضا وحيا لخيال التالين حتى أخرج أبو العلاء المصرى كتابه «رسالة الغفران» ، فجعل ميدانها هى الدار الآخرة ، وعرض صورا رائعة جميلة لموقف الحشر والحساب والجنة والنار ، وأشار الى كثير من الأحداث التاريخية مستعينا فى عرض صوره على ما جاء فى القرآن من وصف الجنة والنار ، ووصف المعذبين والمنعمين لكنه أسرف فى عرض صور شاعت على ألسن العامة والصوفية ثم انه عمد الى بعض الشعراء الذين ماتوا على الكفر فأدخلهم الجنة ، كما أدخل فيها بعض الحيوانات ، وجعلها تتكلم وتشرح أسباب دخولها الجنة ، وكان حواره وخياله — مع أنه غنى بالصور الأدبية — أدنى الى السخرية من عقليات المسلمين ، ويبدو أنه لهذا عمى كثيرا على قارئه وشحن الرسالة بمشكلات نحوية وأدبية •

وكتب ابن شهيد رسالة شبيهه برسالة أبى العلاء ، لم يجعل مسرحها النار والجنة ولا زمنها الدار الآخرة، وانما جعلها رحلة فى هذه الحياة الى عالم الجن ، فرأى مخلوقاتهم تشبه مخلوقاتنا فيهم الأناسى ، والطيور والحيوانات ، ولهم جميعا المام بالشعر والأدب حتى بغالهم جعلها تقول ، ولم يكن همه اثبات أفكار فلسفية كالتى أرادها أبو العلاء ،

ولكن كان همه قبل كل شيء اثبات تفوقه هو فى الشعر والأدب وسموه خاصة على ابن لافليلى ثم الدفاع عن شعراء الاندلس ومحاولة رفعهم على شعراء الشرق .

وشغل بعض من الأدباء المحدثين ببيان أى من الشاعرين أسبق من صاحبه وأيهما أخذ من الآخر ، لكن يبدو أن الموضوعين مختلفان جدا ، وأن ابن شهيد استوحى رسالته مما هو معروف وشائع ، أو كان كذلك — من أن لكل شاعر تبيعا أو رئيا من الجن يوحى اليه الشعر ويقذفه فى فكره وأن للجن قرية هى « عبقر » ، فجعل رحلته اليها ، ونستبعد أن تكون قصة المعراج كانت وحيا لابن شهيد كما هى وحى لأبى العلاء ، ذلك لبعد العنصر الدينى فيها ، وتسمية هذه الرسالة « التوابع والزوابع » تدل على ارتباطها بعالم الجن دون عالم الغيب

ولم يبق لنا من هذه الرسالة سوى الجزء الذى عرضه ابن بسام فى ذخيرته، وهى لم تنل ما نالت رسالة المعرى من شهرة وتقدير وهذا أمر طبيعى .

وأكبر أثر فى الأدب الأوربى لقصة المعراج ولرسالة المعرى جميعا هو « الكوميديا الالهية لدانتى » ، وقد كشفت الدراسات الحديثة عن أن « دانتى » كانت أمامه مصادر عربية كثيرة بعضها مباشر وبعضها غير مباشر ، وأن مسرحيته استمدت أحداثها وترتيب مشاهدها من قصة المعراج الاسلامية ورسالة الغفران جميعا وهى أكثر ترتيبا اذ تعرض مواقف الحشر أولا ، ثم المطهر أو تكفير الذنوب بالعذاب فى جهنم ، ثم الانتهاء الى الجنة .

والمسرحية فى كل أدوارها تعرض الفكر الاسلامى عن الحياة الآخرة.

ويرجع الفضل فى ارجاع مسرحية دانتى الى مصادرها الاسلامية خصوصا قصة المعراج الى ما بذله المستشرقان الكبيران « دوزى » و « بيرقنال » من جهود ، وكشف المنافذ العديدة التى نقلت الفكر الاسلامى الى غرب أوروبا وشرقها.

لقد كتب تاريخ العرب وترجم الى لغات أوروبية أهمها القشتالية ، واللاتينية ، والفرنسية ، والبرتغالية، ثم أصدر المستشرق الايطالى « تريكو تشيرولى E. chiraly ».

بحثا مستفيضا عن مصادر دانتى ، ووضح ما فى هذه المصادر من صور للمعراج فى هذه اللغات التى نقلت عن كتب المسلمين هذه الصور .

وقد كان تاريخ العرب لدى هؤلاء الأوروبيين حتى بعد أن أجلوا العرب من أسبانيا وصقليه شيئا ثمينا لهذا نجد أحد أساقفة طليطلة يخرج كتابا عن تاريخ العرب يضمنه سيرة النبى محمد (ص) ، ويذكر فيه قصة المعراج نقلا عن كتب الحديث النبوى . ثم نجد أحد أساقفة غرناطة وهو القديس « بطرس باسكال » الذى كان فى الأسر هناك ثلاثة أعوام ـ يضع كتابا كبيرا عن النبى محمد (ص) ، ثم يضع كتابا مستقلا عن المعراج يعرض فيه أيضا صورا من الحياة الآخرة .

ومهما يكن من أمر هذه المصادر كلها فانها ترجع كلها الى هذا الأصل الذى تستند اليه وهو قصة المعراج، على أنه يوجد من الباحثين الآن من لا يرى أنه كان لدانتى أى مصدر غير قصة المعراج ، وأن « رسالة الغفران » ليست من مصادره أصلا. ذلك أن ترتيب مسرحية دانتى يعتمد على ترتيب المراحل التى فى المصادر الاسلامية ، من البعث والحشر والحساب وتعذيب المذنبين على ذنوبهم ثم الانتهاء بهم الى الجنة واذن فقصة المعراج هى مصدره الوحيد .

د. عبد الجليل شلبى

---

※ **دواء القلب :**

قال أحد الصالحين : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر، وخلو البطن ، وقيام الليل، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

# رجب بين الجاهلية والإسلام

للدكتور محمد الأحمدي أبو النور

« رجب » الذي يتوسط في عقد الشهور العربية : جمادى وشعبان ـ له في التاريخ شأن أي شأن . ! قبل الاسلام وبعده .

هو ـ أولا ـ واحد من الشهور التي وضع العرب أسماءها قبل الاسلام بأمد بعيد ـ لعله كان زمن الخليل ابراهيم عليه السلام أو قبله ؛ فقد ذكر الامام النووي (١) : أن العرب ـ في الجاهلية ـ كانوا يتمسكون بملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم في تحريم الأشهر الحرام.

ويحكي النويري (٢) ـ في علة التسمية : أنهم انما وضعوا هذه الأسماء على هذه الشهور لاتفاق حالات وقعت في كل شهر ؛ فسمى الشهر بها عند ابتداء الوضع ؛ فسموا المحرم : محرما ؛ لأنهم أغاروا فيه فلم ينجحوا ؛ فحرموا القتال فيه ؛ فسموه محرما .

وسموا : « صفرا » لصفر بيوتهم فيه ـ منهم ـ أي لخلوها ـ عند خروجهم الى الغارات .

أما شهرا ربيع فلأنهم كانوا يخصبون فيهما بما أصابوا في صفر؛ والربيع : الخصب .

و « الجماديان » من جمد الماء ؛ لأن الوقت الذي سميا فيه بهذه التسمية كان الماء جامدا فيه لبرده .

و « رجب » لتعظيمهم له ، والترجيب : التعظيم .

---

(١) في شرحه لصحيح مسلم ١٦٨/١١ واذا صح ما ذكره ففيه رد على ما ذكر النويري ـ حكاية ـ ان أول من سماها بذلك : كلاب بن مرة .

(٢) في نهاية الأرب ١٥٨/١

وقيل لأنه وسط السنة ، مشتق من الرواجب ، وهى أنامل الأصبع الوسطى .

وقيل لأن العود رجب النبات فيه أى أخرجه .

وأما شعبان فسمى بذلك لتشعبهم فيه للغارات .

وسمى « رمضان » بذلك لأنه شهر الحر ، وهو مشتق من الرمضاء .

وأما « شوال » فهو من شال يشول اذا ارتفع .

وأما « ذو القعدة » فسمى بذلك لقعودهم فيه عن القتال اذ هو من الأشهر الحرم .

وأما « ذو الحجة » فلأن الحج اتفق فيه فسمى به .

ولقد نشأ من تعظيم العرب لشهر رجب ولغيره من الأشهر الحرم آنئذ أمران :

الأول : أنهم كانوا كما ذكرنا يحرمون فيها القتال . بيد أن شهوتهم للقتال كانت آثر عندهم من هذا التحريم ؛ ومن هنا كان يشق عليهم أن يظلوا ثلاثة أشهر متواليات — هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم — وقد وضعت الحرب بينهم أوزارها ، فكانوا يتحايلون ليحلوا ما حرم الله ، ويقدمون فى الشهور — بزعمهم وبوهمهم — ويؤخرون ، ويقول بعضهم لبعض : هذا هو المحرم نجعله أو نسميه صفرا ونقاتل فيه ؛ ويستحلون القتال حينئذ فى رجب وفى غيره .

وكما يذكر النووى (١) : « كان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات ؛ فكانوا اذا احتاجوا الى قتال أخروا تحريم المحرم الى الشهر الذى بعده ، وهو صفر ، ثم يؤخرونه فى السنة الأخرى الى شهر آخر ، وهكذا يفعلون فى سنة بعد سنة حتى اختلط عليهم الأمر ، وصادفت حجة النبى صلى الله عليه وسلم تحريمهم ، وقد تطابق الشرع . وكانوا فى تلك السنة قد حرموا ذا الحجة ، لموافقة الحساب الذى ذكرناه ؛ فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن الاستدارة

---

(١) فى شرحه لمسلم فى الموضع السابق .

صادفت ما حكم الله تعالى به يوم خلق السموات والأرض » .

وقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما (١) من حديث أبى بكرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأوض : السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات: ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » .

والأمر الثانى الذى نشأ — عند العرب فى الجاهلية — من تعظيمهم لشهر رجب : أنهم كانوا ينذر الواحد منهم اذا بلغ ماله من الشياه أوالابل كذا وكذا أن يذبح من كل عشرة منها رأسا فى شهر رجب .

وذكر ابن سيده — كما قال ابن حجر :فى معنى العتيرة أن الرجل كان يقول : اذا بلغ ابلى مائة عترت منها عتيرة (٢) — فى رجب .

وحين جاء الاسلام أبطل من ذلك ماكان باطلا وأبقى منها فى بادىء الأمر ما كان خيرا .

أما ما أبطل الاسلام فهو تخصيصهم ذبح العتيرة بشهر رجب، وتقربهم بذلك الى الأصنام، يذبحونها لها ، ويصبون دمها على رءوسها .

ذلك أن التقرب انما هو لله وحده. وفى أى شهر دون أن يقيد ذلك برجب أو بغيره ، فالزمن كله مجال للتقرب الى الله ، والشهور كلها سواء .

وقد أورد ابن حجر عن أبى داود ، والنسائى ، وابن ماجه والحاكم وصححه ، وابن المنذر عن نُبَيْشة قال : نادى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انا كنا نعتر عتيرة فى الجاهلية ، فى رجب ، فما تأمرنا؟ قال : اذبحوا لله فى أى شهر كان » .

---

(١) البخارى فى مواضع عديدة من صحيحه منها : كتاب بدء الخلق : باب ما جاء فى سبع أرضين ٦/٢٢٦ ومسلم فى كتاب القسامة : باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ١١/١٦٧ — ١٦٩

(٢) اى ذبحت منها ذبيحة .

ثم نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن العتيرة ، وبذلك نسخ الأذن السابق (١) لقطع كل مشابهة بما كان فى الجاهلية ولو فى الصورة ، ولبقاء أمر التقرب الى الله بكل أمر جائز فى أى وقت مغنيا للمسلم عن ذلك .

وعلى هذا النحو مضى أمر الاسلام مع شهر «رجب» فيما يتعلق بسائر المقربات من الصلاة والصيام والصدقات فلم يندب القرآن ، ولم تندب السنة الى منهج خاص به فى ذلك ، ومثل شهر رجب فى ذلك كمثل سائر الشهور ، يصلى فيه المرء من النوافل مثلما يصلى فى غيره ويصوم فيه تطوعا مثلما يصوم فى غيره ويتصدق فيه كما يتصدق فى غيره ، ولم يسن النبى صلى الله عليه وسلم فيه من ذلك شيئا خاصا كما سن فى غيره .

وعلى سبيل المثال :

فقد سن صلى الله عليه وسلم صوم ستة أيام من شوال ، وسن صيام يوم عرفة لغير الحاج ، ويوم عاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر وكانت عائشة رضى الله عنها تقول : كان أحب الشهور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصوم : شعبان ثم يصله برمضان (٢) .

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديثها رضى الله عنها : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان، وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما فى شعبان (٣) .

كما روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل (٤) » .

وهذا هو ما يشير اليه ما رواه مسلم فى صحيحه من حديث سعيد ابن جبير حين سأله عثمان بن حكيم

---

(١) فتح البارى ٩/٤٩٠ ــ ٤٩١

(٢) رواه ابو داود فى سننه : كتاب الصوم : باب صوم شعبان ٢/٤٣٤

(٣) رواه مسلم فى صحيحه : كتاب الصوم : باب صيام النبى صلى الله عليه وسلم فى غير رمضان ٨/٣٧

(٤) مسلم فى كتاب الصوم : فضل صوم المحرم ٨/٥٤ ــ ٥٥

الأنصارى عن صوم رجب ــ وهم يومئذ فى رجب ــ فقال سعيد : سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى تقول:لا يفطر، ويفطر حتى تقول : لا يصوم » .

وقد عقب النووى على هذا بقوله: الظاهر أن مراد سعيد بن جبير بهذا الاستدلال : أنه لا نهى عنه ولا ندب فيه لعينه ؛ بل له حكم باقى الشهور، ولم يثبت فى صوم رجب نهى ، ولا ندب لعينه ، ولكن أصل الصوم مندوب اليه .

ثم يقوم النووى :

« وفى سنن أبى داود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الى الصوم من الأشهر الحرم ورجب أحدها (١) » .

أقول : الشق الأول فى تعقيب النووى هو ما تدل عليه الروايات دلالة واضحة .

الا أن ما استنتجه من رواية أبى داود فى السنن ليس مسلما على اطلاقه ..

لقد ندب النبى صلى الله عليه وسلم الى الصوم من الأشهر الحرم أجل ! الا أن ندبه صلى الله عليه وسلم لم يكن لكل أحد .. انما كان لمن أراد أن يعذب نفسه بصوم الدهر كله .. فدله صلى الله عليه وسلم على أمر أخف بالنسبة اليه ، لكنه صلى الله عليه وسلم فى غير حال هذا السائل يندب الى ما سبق لا سيما صيام ثلاثة أيام من كل شهر .

ولنقرأ رواية أبى داود (٢) التى أشار اليها النووى ؛ وهى من حديث مجيبة الباهلية ، عن أبيها أو عمها ، أنه أتى رسول الله صلم الله عليه وسلم وقد تغيرت حاله ، فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم : فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة ؟

---

(١) النووى على مسلم ٣٨/٨ ــ ٣٩

(٢) سنن أبى داود : كتاب الصوم : باب صوم اشهر الحرم .

قال : ما أكلت طعاما الا بليل منـذ فارقتك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم عذبت نفسك ؟ ثم قال : صم شهر الصبر ويوما من كل شهر قال : زدنى ؛ فان بى قوة . قال : صم يومين ، قال : زدنى . قال: « صم ثلاثة أيام » قال : زدنى قال: « صم من الحرم واترك ، صـم من الحرم واترك صم من الحرم واترك » .

هكذا نرى أن الندب الى الصوم من الأشـهر الحرم انما كان لنوعية خاصـة ، وليس فيه دلالة على ميزة ينفرد بها شهر رجب فى الصوم دون الأشـهر الحرم ؛ وهذا ما نريد أن نوضحه ، وهو أمر يتأكد بما يلى :

مما ورد فى صوم رجب موضوعا مكذوبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● رجب شـهر الله ، وشـعبان شهرى ، ورمضان شهر أمتى فمن صام رجب ايمانا واحتسابا استوجب رضوان الله الأكبر ... الخ .

موضـوع كما ذكر ابن الجوزى وابن حجر ، والسيوطى وغيرهم(١) .

● فضل شهر رجب على الشهور كفضل القرآن على سائر الكلام ، وفضل شهر شـعبان على الشهـور كفضلى على سائر الأنبياء ، وفضل شهر رمضان كفضل الله على سـائر العباد .

موضـوع كما ذكر ابن حجر ، والسيوطى ، وعلى قارى وغيرهم(٢) .

قال الفتنى : ما ورد فى فضل صيام رجب وتضعيف الجزاء عليـه فكله موضوع أو ضعيف لا أصـل له .

وقد وضع الوضاعون فى فضائل رجب عـدا هـذا ، وفى الدعاء ، والاستغفار وفى الصلاة الخاصة به:

(١) راجع كشف الخفاء ٥١٠/١ وقد اشار الى كتاب الحافظ بن حجر : تبيين العجب فيما ورد فى رجب ، وتذكرة الموضوعات للفتنى ص ١١٦ — ١١٧ ، والفوائد المجموعة واللآلىء المصنوعة للسيوطى ١١٤/٢ ، والمقاصد الحسنة ص ٢٢٤

(٢) راجع الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة ص ٢٥٥ ، والمصنوع فى الحديث الموضوع ٩٧ ، والمقاصد الحسنة ٢٩٩ ، وكشف الخفاء ١١٠/٢ ، والفوائد المجموعة ٤٤٠ ، وتذكرة الموضوعات ١١٦

الشيء الكثير وحسبنا المراجع التى أشرنا اليها بالنسبة الى الحديثين السابقين .

ومن البدع المستحدثة فى رجب: صيام أول خميس من رجب ، أو زيارتهم لموتاهم فيه ، أو اعتمارهم فيه دون غيره ، واقبالهم على الطاعة فيه كذلك دون غيره ، واعتقاد أن الدعاء يجاب فيه عن غيره .

ومن البدع : صلاة الرغائب المشهورة .

يذكرون أنه ما من أحد يصوم يوم الخميس الأول من رجب ثم يصلى ليلة الجمعة اثنتى عشرة ركعة فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وانا أنزلناه فى ليلة القدر ثلاثا ، وقل هو الله أحد اثنتى عشرة مرة .. الخ ثم يدعو بعد انتهاء الركعات بقوله : اللهم صلى على محمد النبى الأمى... ثم يسجد ويقول : سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة .. الخ ثم يسأل الله حاجته فانها تقضى ..

هذا كله موضوع مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نقل الفتنى عن على بك ابراهيم قوله:

حدثت صلاة الرغائب ـ هذه ـ بعد المائة الرابعة والثمانين سنة ولا رمزية لهذه الليلة ـ عن غيرها(١) .

الفضل التاريخى لرجب :

وعلى أن الاسراء والمعراج كانا فى رجب فكفى شرفا وفضيلة لهذا الشهر أن تتم فيه هذه الآية الكبرى، وأن يتم فيه التكريم الأكبر لهذه الأمة ، ولهذا النبى الأمى الذى أرسله ربه بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

(١) تذكرة الموضوعات ٤٤ ، والفوائد المجموعة ٤٨ ، واحياء علوم الدين ١٨٢/١ وقد غاب عن الغزالى ان حديثها موضوع ولهذا علق العراقى على الحديث بقوله : حديث ما من احد يصوم أول خميس من رجب : الحديث فى صلاة الرغائب . أورده رزين فى كتابه وهو موضوع .

ولنتذكر كيف كان التكريم بالاسراء بعد المعاناة والمصابرة رمزا لجزاء الصبر من ناحية ، وايذانا بالنصر العزيز والفتح المبين بعدحين من ناحية .

لنتجه الى الله دائما بالشكر على هذه المنة العظمى .

ولنتقرب اليه سبحانه بما سن لنا نبينا صلى الله عليه وسلم ولنباعد بين أنفسنا وبين مايبتدع أويستحدث أجل : وان الخير كله فى الاتباع ، وان الشر كله فى الابتداع والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟

د. محمد الأحمدى أبو النور

---

※ جويرية بنت الحارث ..

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنيالمصطلق، ومعه جويرية بنت الحارث ( وكانت فيمن اسر ) دفع جويرية الى رجل من الانصار وديعة ، وامره بالاحتفاظ بها . وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فاقبل ابوها الحارث بن ابى ضرار بفداء ابنته . فلما كان بالعقيق ، نظر الى الابل التى جاء بها للفداء فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق ، ثم اتى الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ، اصبتم ابنتى وهذا فداؤها . فقال رسول الله : فاين البعيران اللذان غيبتها بالعقيق ، فى شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ، فو الله ما اطلع على ذلك الا الله ! فأسلم الحارث ، واسلم معه ابناء له ، ونادى فى قومه ، وارسل الى البعيرين فجاء بهما ، فدفع الابل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ودفعت اليه ابنته جويرية ، فاسلمت وحسن اسلامها ، فخطبها رسول الله الى ابيها فزوجه اياها ، واصدقها اربعمائة درهم .

تقول عائشة رضى الله عنها :

« وخرج الخير الى الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن ابى ضرار فقال الناس : اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسلوا ما بأيديهم ( من الاسرى ) فلقد اعتق بتزويجه اياها مائة اهل بيت من بنى المصطلق ، فما اعلم امراة كانت اعظم على قومها بركة منها » .

# البخارى المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

— ١٥ —

## رجم الزانى المحصن

استهوى هذا الغر الصغير أن قضية رجم الثيب ألقيت عليها بعض ظلال من الحوار الذى يقع بين أهل الفقه مما يثيرونه من اشكال حول بعض الأدلة التى يتعارض ظاهرها، أو يكون من وراء البحث فى مفهومها ما يتعارض مع منطوق غيرها فذهب فى رعدة من الحمى ، وطيش من حماقة الجهال ، يسب حدا من حدود الله تعالى فيصفه بالبشاعة والفظاعة الخالية من عوامل الرحمة ، ويقارن بين الزنا واللواط وبين زنا الحرة وزنا الجارية وهى أكبر شبهة أثارها المستشكلون من الفقهاء بغير انكار لحد الرجم، وانما كان الأمر لايعدو استعراض الفقهاء لبعض المشكلات التى تذوب سريعا تحت حرارة الفهم الواعى ، والفقه بدقائق التشريع ، والاذعان للأوامر الالهيــة التى جاء بها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

واذا حلا لهؤلاء أن يدخلوا الى الطعن فى السنة من طريق القسوة والفظاعة فان ذلك هو الشص الذى يسوغ لهم به الشيطان الاجهاز على أحكام القرآن أيضا ، فاذا كان معيار القبول والرفض للحدود هو هـذا المعيار الهش الذى لا يستند الى فقه أو دليل ، فان البـاب قد فتح على مصاريعه للحملة على القرآن أيضا ، لأن قطع يد السارق لم يسلم من هذه النعوت والاعتراضات الغبية ، وحـد الحرابة « أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفـوا من الأرض» أقسى وأشد من حد الرجم .

ولقد تعرض رجل باحث فاضـل فى كتاب صدر أخيرا بعنوان ( نظام التجريم والعقـاب فى الاسـلام )

هو المستشار على على منصور لأن يحاول فيه أن يدفع الرجم كحد دائم الى يوم القيامة وقدم فى بحثه المشكلات الآتية :

١ ـ اعتبار حد الزنا للثيب ذا مذهبين ، مذهب يقول بالجلد ومذهب يقول بالرجم •

٢ ـ اعتبار أحاديث الرجم أحاديث آحاد ، والقرآن قطعى الدلالة والثبوت وأما خبر الآحاد فظنى الدلالة محتمل للكذب •

٣ ـ الزيادة فى الأحكام من السنة لا تعد بيانا للقرآن وانما تعد نسخا•

٤ ـ تعرض الشيخ أبى زهرة رحمه الله فى ندوة التشريع الاسلامى التى انعقدت بالبيضاء فى ٢٢ من ربيع الأول ١٣٩٢ الموافق ٦ مايو ١٩٧٢ الى أن أحاديث الرجم أحاديث آحاد وأنها مشكوك فيها وانكر عليه الأستاذ مصطفى الزرقا مقالة الشك الا أنه انتهى الى موافقته على عدم الأخذ بالرجم كحد للمحصن•

٥ ـ أخذ من بعض الأحاديث القولية بالجمع بين الرجم والجلد للثيب مع وقوع الرجم فقط فى حديث ماعز أن هذا تناقض وتعارض•

٦ ـ استدلاله بكلام الكمال بن الهمام •

٧ ـ استدلاله بتنصيف الحد على الموالى على عدم مشروعية الرجم اذ أنه لا يتنصف •

فنقول وبالله التوفيق •

أما الجواب عن الاشكال الأول فانهم يعزون المذهب القائل بالرجم الى أنه مذهب أهل السنة والجماعة، والقائلون بالجلد هم الخوارج والشيعة والمعتزلة وهى الفقرة (هـ) من الصفحة ١٨٢ من كلام المرحوم الشيخ أبى زهرة • ولا يغنى فتيلا قوله ( بعض ) ونحن نقول كما قال مالك رضى الله عنه : « كل انسان يؤخذ من قوله ويرد عليه الا صاحب هـذا القبر الشريف » ومن ثم فان القول بأن حد الثيب كحد البكر

الجلد فقط وأن حد الرجم مشكوك فيه قول جرىء لمجرد أن فلانا من الناس لا يشكلون خلافا معتبرا ولا يعتد بخروجهم على الاجماع لا سيما اجماع الأئمة الأربعة ومن فى طبقتهم من فقهاء الأمصار وعلماء الملة الأخيار قول باطل على أن نسبة القول بعدم الرجم للخوارج نسبة غير صحيحة وان وردت فى كتب غير الخوارج من كتب التفسير وشروح الحديث وها هم اخواننا الاباضية وهم أصحاب هذا المذهب وهذه كتبهم بين أيدينا توافق اجماع أهل السنة على حد الرجم فقد جاء فى ( العقد الثمين نماذج من فتاوى نور الدين أبى محمد عبد الله ابن حميد بن سلوم السالمى الذى طبع على نفقة السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان فى الجزء الرابع ص٤٠٤

س ــ عن قول ابن عباس يرجم ناكح المرأة فى دبر أحصن أو لم يحصن ما وجهه ؟

ج ــ ذلك لأن الوطء فى الدبر أشد منه فى القبل ، لأن القبل يحل بالتزويج ، ولايحل الدبر فى كل حال، ولما شرع الله الرجم للزانى المحصن لأجل أنه قد أحصن فرجه بالوطء الحلال ، وكان فعله ذلك بعد الاحصان كان مثله الواطىء فى الدبر، بيانه أن المحصن انما رجم لكونه ذاق الحلال وارتكب الزنا بعد الذواق ، والدبر لا يذاق فارتكابه يوجب الرجم بخلاف القبل ــ يعنى لمن لم يذقه فى حلال ــ والله أعلم .

هذا هو مذهب الخوارج صريح فى الأخذ بحد الرجم ولم يختلفوا فيه ولم يقل فريق منهم بالجلد للثيب فالزعم بأن مذهبهم ألا رجم قول غير صحيح ، وادعاء مفترى ولنأت الى مذهب الشيعة .

### مذهب الشيعة

جاء فى دعائم الاسلام للقاضى أبى حنيفة النعمان التميمى ويقال ان هذا الكتاب ألفه المعز لدين الله الفاطمى وعزاه لقاضيه المذكور فى الجزء الثانى الأحاديث .

١٥٧٢ ، ١٥٧٣ ، ١٥٧٤ ، ١٥٧٥، ١٥٧٦ ، ١٥٧٧ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦ ، ١٥٩٩ وهذا الأخير فى رجم اللوطى وكذلك١٦٠١، ١٦٠٢ولأذكر نموذجا من هذه الأخبار فالخبر١٥٨٥

« وعنه عليه السلام أنه قال : فجرت خادم لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : يا على ، انطلق فأقم عليها الحد فانطلقت بها فوجدت بها دما لم ينقطع بعد ، فأخبرته فقال صلى الله عليه وسلم : دعها حتى ينقطع دمها ثم أقم عليها الحد وأقيموا الحدود على ماملكت أيمانكم (١٥٨٦) وعنه (ع) أنه قال : اذا أقر الرجل على نفسه بالزنا أربع مرات وكان محصنا رجم (١٥٨٧) وعنه ( ع ) أنه قال فيمن جامع وليدة امرأته فعليه ما على الزانى ، ولاأوتى برجل زنى بوليدة امرأته الا رجمته بالحجارة . وهكذا تمضى جميع الأحاديث التى ذكرنا أرقامها آنفا وكلها تنص على الرجم فبطل ادعاؤهم أن الشيعة لا يقرون حد الرجم وسقط زعمهم من شاهق .

**مذهب المعتزلة**

قال الزمخشرى فى الكشاف فى تفسير سورة النور : والجلد ضرب الجلد يقال : جلده كقولك : ظهره وبطنه ورأسه ( فان قلت ) أهذا حكم جميع الزناة والزوانى أم حكم بعضهم ؟ ( قلت ) بل هو حكم من ليس بمحصن منهم ، فان المحصن حكمه الرجم ، وشرائط الاحصان عند أبى حنيفة ست : الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول ، اذا فقدت واحدة منها فلا احصان ، وعند الشافعى الاسلام ليس بشرط لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا ، وحجة أبى حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم ( من أشرك فليس بمحصن ) أ هـ جـ ٢ ص ٨١ المطبعة الشرفية .

فاذا ثبت هذا عرفنا أنه لا يوجد مذهب فى مذاهب المسلمين يعتد بخلافه قال بعدم الرجم للمحصن لا الخوارج ولا الشيعة ولا المعتزلة أما الجواب عن الشبهة الثانية وهو أن أحاديث الرجم آحاد فنقول وبالله التوفيق .

**تواتر احاديث الرجم :**

ان آحادية جزئيات السنة وأحكامها التفصيلية لا يؤثر فى وجوب العمل بها ، ولايردها مادامت قد صحت ولم يخالف فى هذه القاعدة أحد الا أبا حنيفة حيث اعتبر القواعد الكلية فى الشريعة من الأمور القطعية التى لا ترد بالآحاد

الظنى ومع ذلك فان أبا حنيفـة لم يقـل بألا رجـم ولو زعمـوا أنه رد حديث الغامدية اذ حد الرجم ثابت فى جميع كتب المذهب أصولا وفروعا ، ولم يشك أحد أو يحاول التشكيك فى وجوب حد الرجم على المحصن فى مذهب أبى حينفـة ومع أننا جارينا ـ جـدلا ـ القـائلين بآحادية أحاديث الرجم مؤقتـا ، لنوقعهم فى ورطـة المخالفـة للامام الأعظم رضى الله عنه الا أن أحاديث الرجم متواترة ، والقائل بأنها آحاد مقل فى علوم السنة ، قـد لا يحمل شيئا من بضاعتها الأمر الذى يجعله يصـدق من يوحى اليـه زورا بأن أحاديث الرجم آحاد ، ومع قولنـا بقول أهل السـنة من أن الحديث اذا صح لزمنا العمل به لكونه وحيا من الله تعـالى فان أحاديث الرجم متواترة واليك البيان :

( أولا ) لا يوجـد كتـاب من مدونات السـنة صحاحها وسـننها ومسـانيدها ومعاجمها وموطآتهـا ومصنفاتها الا وفيها أحاديث الرجم، ولقد ذهب المرحوم الشيخ أحمـد شاكر فى شرحه لألفية السيوطى فى علوم الحـديث الى تواتر ما اتفقت الكتب الستة على تخريجه ، فمابالك بما اتفقت عليه جميع كتب المسلمين من سـنية وشيعية واباضية ومعتزلة وأشاعرة .

( ثانيا) اشترط ابن حزم فى المتواتر أن يأتى من ثلاثـة طرق صـحاح واشترط السيوطى فى الأزهار المتناثرة أن يرويه عشرة من الصحابة ونحن ذاكرون لك من روى أحاديث الرجم من الصحابة حتى تعلم مبلغ تهافت دعوى الآحادية وبطلانها .

ان حـديث « الولد للفـراش وللعاهر الحجر » أخرجه الشـيخان من حديث أبى هريرة والبخارى من حديث عائشة وأبوداود من حديث عثمان بن عفان وعبد الله بن عمـر وأبى أمامة ، والترمذى من حـديث عمـرو بن خارجة ، والنسـائى من حديث ابن الزبير وعبد الله بن مسعود وابن ماجه من حديث عمر بن الخطاب، وأحمد بن حنبل من حديث على بن أبى طالب ومن طريق الحسن البصرى مرسلا والبزار من طريق سعد بن أبى وقاص ومن طريق عبـد الله بن عمر والطبرانى من طريق البراء بن عازب وزيد بن أرقم وعبـد الله بن عباس

والحسين السبط وعبادة بن الصامت وواثلة بن الأسقع ، وعن أبى وائل مرسلا .

وقصـة ماعز ورجمـه أخرجهـا الشيخان عن جابر وعبد الله بن عباس أخرجها مسلم عن بريدة وجابر بن سمرة وأبى سعيد الخدرى وأخرجها أبوداود عن اللجلاج بن عمرو ونعيم ابن هزال وأبى هريرة ، وأخرجهـا الترمذى عن أبى بن كعب وأخرجها النسائى عن رجل من الصحابة وعن سعيد بن المسيب مرسلا وأخرجهـا أحمد فى مسنده من طريق أبى بكر الصديق ومن طريق أبى ذر وأخرجها ابن أبى شـيبة فى مصنفه عن نصر والد عثمان وأبى برزة الأسلمى ومن طريق عطاء بن يسار مرسلا والشعبى مرسـلا أيضا وأخرجها أبو مرة فى سـننه عن أبى أمامة بن سـهل بن حنيف .

وجاء فى ذيل الأزهار المتناثرة فى الأحاديث المتواترة للغمارى : حديث ( الولد للفراش وللعـاهر الحجر ) أورده فى الأزهار من حـديث أبى هريرة وعائشة وعثمان بن عفان وابن عمر وأبى أمامة وعمرو بن خارجـة وابن الزبير وابن مسعود وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب والحسن مرسلا وسعد بن أبى وقاص وابن عمر والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وابن عباس والحسن بن على وعبادة بن الصامت وواثلة بن الأسقع وأبى وائل مرسلا ومعاوية بن عمرو وأنس ، وزاد الكتانى حديث عبد الله بن حـذافة وسـودة بنت زمعة وأبى مسـعود البدرى ، ثم قال : وزاد شقيقنا : سعيد بن المسيب مرسلا .

وفى موطأ مالك عن يعقوب بن زيد ابن طلحة عن أبيه عن أبى عبد الله ابن أبى مليكة أنه أخبره أن امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرت أنها زنت وهى حامل فقال صلى الله عليه وسلم : اذهبى حتى تضعيه فلما وضعته جاءت فقال لها صلى الله عليه وسلم اذهبى حتى ترضعيه فلما أرضعته جاءته فقال : اذهبى فاستودعيه ثم قال : فاستودعته ثم جاءت فأمر بها فرجمت وهـذه الرواية فى صحيح مسلم وفيها فأمر رسـول الله صلى الله عليه وسـلم « فحفر لهـا حفرة الى صـدرها ثم رجمت وصلى عليها فقال له عمر :

تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ فقال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل أفضـل من أن جادت بنفسها لله » وفى سنن النسائى « وحضر رسول الله صلى عليه وسـلم رجمها ورماها بحجر قـدر الحمصـة وهو راكب على بغلته » .

قال الامام أبو عبد الله محمد بن فرج المـالكى القـرطبى فى كتـابه ( أقضية رسول الله صلى الله عليـه وسـلم ) « وفى حـديث الموطـأ من الفقـه : أن من أقر بالزنا مرة واحدة أقيم عليه الحد ولا ينتظر أن يقر أربع مرات ، وأن لا يجـلد من وجب رجمه .

فثبت مما مضى أن أخبار الرجم القولية والفعليـة لا يقول بآحاديثها الا من لم يسبر غورها ، ولم يتتبع طرقهـا ، ولم يحط علما بمرويها ، فيغفر الله لمن مات ويهـدى الله من كان حيـا .

أما الجواب على الاشكال الثالث فهو أن وظيفـة السـنة أنها متممة للقرآن وهى أحد الوحيين ومن قال بغير ذلك فقد اتهم النبى صلى الله عليه وسلم بأنه يقول كلاما من عند نفسه ، وأنه ينطق عن الهوى ، ومن قال بهـذا فهو كافر خارج من ملة المسلمين ومن لا يقول بأن السـنة متممة للقرآن لزمه أن يجيز التوارث بين المسـلم والكافر ولزمه القول بالجمـع بين المرأة وعمتهـا والمرأة وخالتهـا ولزمه ألا يقول بوجوب المواقيت والاحرام وعدد أشـواط الطواف وعدد أشـواط السعى بين الصفا والمروة اذ كل ذلك ليس من القرآن فى شىء ، بل ان رجلا مات منذ سنوات صنف كتابا فى الصـلاة اقتصر فيـه على ما جاء فى القرآن فخرج بثـلاثة أوقات وقد صـادره الأزهر يومئذ ، وكان وكيلا لوزارة المواصـلات وألف جمعية أسـماها جماعة أنصار القرآن ، وكم من مثل هذه الجمعيات تحمل أسـماء طنانة وترفع شعارات مغرية حتى اذا سبرت غورها وعجمت عودها واطلعت على طرائق أهلها رددت البصر حسيرا ، وتقززت نفسك من عفن السفسطات الكلامية ، والمماحكات اللفظية مع الجفاف القلبى والفراغ العـاطفى ، والجلافة الصـارخة فى فهم كلام الله

ورسوله ، يجمعون حولهم العوام ، ويذللون قيادهم بمعسول الكلام ، أو بالهجوم الجرىء على كل ذى حرمة حرام ، فيبوءون باثمهم واثم من اتبعهم من الدهماء والطغام ، الى يوم تتساوى بين يدى الله الأقدام ، ويعلم كل امرىء ما اجترح من آثام .

الجواب عن الاشكال الرابع يحمله الجواب على الاشكال الثانى اذ مناط النزاع هل الرجم متواتر أم آحاد ؟

أما القول بأن الشيخ مصطفى الزرقا وافق الشيخ أبازهرة على عدم الأخذ بالرجم كحد للمحصن ، فليس لعمرو الحق بهذا الأسلوب يؤخذ الدين ، رجل يدحض ظلال الشك فى صحة الأحاديث ويثبت على صحتها ثم يخالفها ويهملها ولا يعمل بها ويوافق المشكك فى تركها فما فائدة المخالفة ، وما قيمة المحاجة فى اثبات صحتها ، اللهم ان هذا اتهام لكلا الرجلين باتباع الهوى ولولا أن راوى هذه الوقائع رجل من أفاضل المؤمنين ، لأنكرنا وقوعها ولبرأنا كل واحد منهما من هذا الموقف وهما من هما صلابة فى الحق واستمساكا ، ولعلها من هنات الفحول ، ولكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة ، ونسأله سبحانه العصمة من الزلل .

أما الجواب على الاشكال الخامس فالحقيقة أنه لا يثير غبارا على أحاديث الرجم كون بعض الأحاديث يتضمن عقوبة متممة أو عقوبة تكميلية وهى جلد الزانى قبل رجمه وخلو بعض الروايات منها ، فان هذا ليس تناقضا ، ولا يثير اشكالا ، لأن جميع الروايات متفقة على الرجم وانما الاختلاف فى العقوبة التكميلية ، والنزاع هو فى الرجم لا فى توابعه ، على أن العلماء أراحونا بما أرسوه من قواعد مستمدة من جزئيات الشريعة ، ومن تتبع الأحكام الالهية فقالوا رضى الله عنهم : « من حفظ حجة على من لم يحفظ » وقالوا « ان زيادة الثقة مقبولة » .

أما الجواب على الاشكال السادس فان كلام الكمال بن الهمام لم ينف حكم الرجم اذ يقول الألوسى :

ان العلامة الكمال بن الهمام قال: « الأولى أن يكون النسخ بسـنة رسـول الله صلى الله عليه وسـلم اذ رجم لأنه غير مقطوع بثبوت آية الشيخ والشـيخة لفظا فى القـرآن ثم نسخت تلاوتهـا وبقى حكمها » فالمخالفة من الكمال هنا هو للقـول بأن الشـيخ والشـيخة كانت من القرآن ثم نسخت .

والنظر فى الكتاب والسنة فى نحو قوله تعالى ( وأحـل لكم ما وراء ذلكم ) ثم يأتى فى السـنة ما يحرم ما ليس مذكورا فى آية التحريم من الجمـع بين المرأة وعمتهـا والمرأة وخالتها ، أو فى قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم .. الخ ) ثم يأتى الحـديث فيمنـع الميراث عن الابن الكافر أو الأب الكافر ، وكل أولئك مما أخـذ به أئمة المسـلمين مع أن أدلته من السـنة آحادية وليسـت متواترة كأحاديث الرجم التى اثبتنا تواترها آنفا أقول كل ذلك يعطينـا الدليل على أن القرآن لازم للسـنة والسنة لازمة للقرآن ، ولا يقال : ان القرآن فيه نقص ما دام فى السنة مايسد حاجتنا . وقد اتفق الأصوليون

على أن السنة تخصص عامه وتقيـد مطلقه وتفصل مجمله .

أما الجواب عن الاشكال السابع فهوأن شرط الاحصان عند أبى حنيفة الحرية فلا يدخـل فى حكم الرجم عنـده العبيد والجوارى ، على أنا اذا أردنا أن نأخذ بحكم الرجم للعبد والجارية ، فانـه لا داعى للقـول بالتنصيف ، ومثل ذلك مثل من أتى محرمه بزنا فانه يقتل حدا ، فهـل يعفى العبد من هذه العقوبة اذا زنى بأمه أو بأخته ، فكما لا يتنصف حد القتـل فيمـكن كذلك أن يقـال لا يتنصف حـد الرجم ، ومن هنا ثبت أن هـذا ليس باشـكال تثيره عوامل الرغبة فى تعطيل حد من حدود الله ان بحسن نية أو بغيره ، وقـد التزمنا فى هذا البحث بالمنهج الذى التزمه الكاتب الفاضل المستشار على على منصـور ، فلم نلتفت الى هراء أصحاب هاتيك الظلمات الشـيطانية أعاذنا الله من شرورهم ، وجعـل أقلامنا وألسـنتنا بالحق وللحق فى نحورهم .

**محمد نجيب المطيعى**

صاحب تكملة المجموع شرح المهذب

# الإسراء والمعراج في تصور الدعوة الإسلامية

للدكتور رؤوف شلبي

سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ) .. ـ أول سورة الاسراء ـ

( فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى ) .. (١٠ : ١٢ سورة النجم ) .

( ... وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ... ) .

من آية ٦٠ الاسراء

وظيفة الدعوة الأولى هى أن تنشىء نظاما يتبع المنهاج الاسلامى الذى اختاره الله .

وهذا النظام يحتاج فى انشائه الى أمة تمثله وتقوم عليه ... وغاية المنهاج الاسلامى هى عبودية الناس لربهم وحده ، وهذا يستلزم القضاء على الجاهلية ، والجاهلية فى أى عصر هى عبودية الناس للناس ، وأساس العبودية فى كلتا الحالتين هو الخضوع فى التشريع ....

وعبودية الناس جميعا لله وحده تكون بتلقيهم منه وحده العقيدة والشريعة والأخلاق وموازين التعاشر الاجتماعى ...

( ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين ) ...
( ١٨ : ١٩ سورة الجاثية )

والاسلام بهذا المفهوم هو تكريم للانسان وتحرير له من سلطة الانسان المتجبر .

والدعوة الاسلامية فى مكة قد حوصرت وسد فى وجهها الطريق فكان لابد من بحث عن قاعدة جديدة تنتقل اليها الجماعة التى حققت العبودية لله ، وكان لابد من التأكد من سلامة كل أفراد الجماعة وصلاحيتهم لهذه النقلة التى ستنشىء منهاجا جديدا فى مواجهة أعداء الله حتى تنفذ مراحل الدعوة مستقبلا فى جو مأمون من الاضطراب بعيد عن التهم منزه عن المطاعن ، فكان لابد من اختيار المسلمين عامة فى مكة من أجل انتخاب القيادة الراشدة التى ستنتقل مع النبى — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة المنورة ، وكانت مادة الامتحان من نوع غريب يهدف الى ابراز مدى ايمان الفرد المسلم ومقدار تمسكه بدينه .

لقد كانت غاية هذا الامتحان هى التعرف على مدى استسلام الوجه لله من كل فرد ، واختبار عقله ووجدانه الى أى مدى يستجيب للنص المعصوم فكان حادث الاسراء والمعراج هو مادة الامتحان ، والى ذلك أشار الامام القشيرى — رضى الله عنه — فى رسالته بجملة قصيرة قال : فجعل ذلك بالليل امتحانا للخلق .

ولقد كان من الثمار التى جنتها الأمة الاسلامية والتى كانت من مقاصد اذاعة النبأ ، انفصال ضعاف النفوس والشاكين والمترددين ؛ انفصال كل هؤلاء عن الأمة الاسلامية الناشئة ... لقد كفر — عند سماع النبأ — من كفر بعد اسلامه ، وارتد من ارتد بعد ايمانه وما كان هؤلاء — لو بقوا — الا عاملا من عوامل الضعف أكثر من أن يكونوا عاملا من عوامل القوة ، ان هؤلاء المكيين الذين آمنوا وصبروا على الحوادث القاسية ، على التعذيب وعلى الآلام وعلى الفتنة فى جميع مظاهرها ..

ان هؤلاء المكيين الذين صبروا ، وصابروا ، وتخلصت أنفسهم من جميع النزعات المادية ، ومن جميع الأهواء ، فأصبحت خالصة لله وحده ..

ان هؤلاء المكيين الذين كان فى تقدير الله سبحانه وتعالى أن تقوم

عليهم الدولة فى نشأتها ، والذين من أجل ذلك يجب أن يكونوا مهيئين لأن يصمدوا لكل ما يمكن أن يعترضهم من عقبات .

نقول : ان هؤلاء المكيين يجب أن يصفوا تصفية كاملة ومن وسائل هذه التصفية اعلان نبأ الاسراء والمعراج لينتكس من ينتكس ، وليبقى من يبقى عن بصيرة وبينة وعن ايمان لا يتزعزع مهما كانت الحوادث ، ايمان بصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى كل ما يأتى به ، يصدقه بمجرد أنبائه ..

والمثل الأعلى فى كل ذلك انما هو سيدنا أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - حينما يعلن فى غير تردد ولا فتور :

لئن كان قاله فلقد صدق ؟ فما يعجبكم من ذلك ؟ فوالله انه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه ...

لقد كان حادث الاسراء والمعراج محور تمحيص للصادقين فى ايمانهم والسطحيين فى تصورهم لحقيقة الايمان ، فان من صدق بنبوة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد آمن باتصاله بالوحى ، والقرآن يأتى من عند الله يحمله الوحى ، والنبى - صلى الله عليه وسلم - يتلوه على الناس ويخبرهم بأن هذا القرآن من عند الله سبحانه وتعالى والذين آمنوا يصدقون ذلك مع أنهم لا يرون وحيا ينزل ويصعد ، ولكنهم يرون آثاره على النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو يتفصد عرقا فى اليوم الشديد البرد ويسمعون بعد ذلك قرآنا تنجذب اليه نفوسهم وتقشعر له جلودهم وتلين له قلوبهم ، ومقتضى هذا اذن الايمان بالنبوة وبالوحى وهذا يستلزم الاعتقاد بأن هناك صلة عليا خارقة للعادة بين النبى - صلى الله عليه وسلم - وبين ربه جل وعلا ، واذن فلا ضير أبدا أن تنقلب صورة اللقاء بالوحى وتتبدل الحركة من عل الى أسفل فتصير من أسفل الى عل ...

الحركة الأولى يحمل فيها جبريل قرآنا الى النبى - صلى الله عليه وسلم ...

والحركة الثانية جاء ليحمل فيها محمدا صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى ...

فان كلا من الحركتين فى التصور الايمانى السليم متعادلتان ...

وحركة الوحى مطلقا نزولا أو صعودا من ضمنيات الايمان بالوحى الذى يأتى الى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرارا وتكرارا ، وهى من غير شك حركة فوق تصور العقل حتى ولو تقدمت الأبحاث التكنولوجية لأنه لا يمكن للبشر أن يحدد مبدأ حركة الوحى من عل ومبدأ صعوده مرة أخرى ...

ان تحديد نقطة تحرك الوحى ذهابا وايابا فوق جميع المستويات العلمية والعقلية فهى سمعيةلاتحتاج الى دليل ...

والمؤمن الصحيح يتصوركم من بلايين المسافات والأجواء والأجرام قد قطعها سيدنا جبريل عليه السلام فى أقل من لمحة بصر وهو يسعىالى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليبلغه وحيا من عند الله فاذا ما قيل لهذا المؤمن الصحيح أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ صعد فى مثل هذه اللحظة الى السموات العلا لم يجد فى ذلك غرابة ، وقد قرب سيدنا أبو بكر هذه الحقيقة الى الناس : انه ليخبرنى أن الخبرليأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون به ...

فهو أمر لا يخرج عن حقيقة ما وعاه القلب الصادق من معنىالايمان ومداه ومن هنا كانت نقطة الاختبار والامتحان لمن كان له ايمان ثابت ويقين مستقر واذعان مستسلم فآمن وصدق ورضى ، وكانت نقطة الاختبار والامتحان كذلك لمن فكر وقدر وعبس وبسر وزين له سوء عمله فرآه حسنا،فاستبعد واستكبر وحول هذا يقول ابن هشام : وكان مسراه وما ذكر عنه بلاء وتمحيصا وأمرا من أمر الله عز وجل فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسرى بهسبحانه وتعالى كيف شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره

وسلطانه العظيم وقدرته التى يصنع بها ما يريد ...

لقد كان حادث الاسراء والمعراج امتحانا وابتلاء لغربلة الجماعة الاسلامية وتهذيبا لها من ضعاف البصيرة واليقين استعدادا للهجرة ومنهجا جديدا يستعد فيه الحق للموقف الفاصل ...

وهذه قاعدة ينبغى أن تلاحظ دائما فى تنظيمات الجماعات التى تدعى لنفسها أنها تتصدى لتبليغ دعوة الله ، فكم من منافق يندس ليخرب وكم من ماجن يتسرب ليفسد وكم من واهى العقيدة يفرق ، وكم من دنيوى يسعد أن يبيع آخرته ودعوته ودينه بعرض بخس زهيد ، وكم من شيوعى ملحد يندس وسط المسلمين ليخرب ويشوش .. ؟

وفى ضوء حادث الاسراء والمعراج ما يتصل بمرحلة التمهيد للدعوة الاسلامية فان الميثاق الذى أخذه الله على الأنبياء ليؤمنن بمحمد ولينصرنه قد هيأه الله له فرصة يعلن فيها الأنبياء جميعا ايمانهم بالنبى الخاتم ويأتمون به من صلاة تعلن وحدة الرسالة ووحدة الهدف الذى سعى به هذا الموكب الجليل .

يقول ابن هشام :

( فمضى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومضى جبريل عليه السلام معه حتى انتهى به الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء فأمهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فصلى بهم ...

وفى الحلبية :

« ولما أقيمت الصلاة ببيت المقدس قاموا صفوفا ينتظرون من يؤمهم فأخذ جبريل بيده ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقدمه فصلى بهم ركعتين ..

( سبحان الذى أسرى بعبده ) ..

( فأوحى الى عبده ما أوحى ) ..

لقد حقق سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ مدلول العبودية لله وقابل كل موجات الاعتداء بالصبر الجميل والثبات المكين فهو الربانى الكامل والعبد الكامل فى

ربانيته وعبوديته لله رب العالمين ، فما جزاء المحقق للعبودية وقد غاب عنه حبيباه : عمه وزوجه وتكأكأت عليه الأعادى .. ؟

لقد كانت آخر موجة الغضب الجاهلى صبية من بنى ثقيف من الطائف ترميه بالحجارة حتى دمت قدماه الشريفتان ، وسامحهم ودعا لهم بالهدى ، أفلا يستحق هذا العبد الذى وصف وحده : بهذا النعت ( عبده ) : عبده فى الاسراء وعبده فى سدرة المنتهى فلم يخرج محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن العبودية لله وحده

أفلا يستحق دون سائر البشر جميعا أن تحمله الملائكة على البراق ليصلى اماما بكل الأنبياء . ؟

ولم يخرج محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ طرفة عين عن العبودية لله وحده .

أفلا يستحق أن تقف له الأنبياء والملائكة وأهل السموات جميعا ينتظرون مقدمه عند سدرة المنتهى ، حيث يكون هو وحده « عبد الله » حيث يكون ( عبده ) .

لقد حقق هذا النبى العظيم العبودية لله :

حققها رأفة وسكينة ...

حققها قلبا وروحا ...

حققها صفحا ودعاء ...

حققها صبرا ورضا ...

حققها تبليغا وأمانة ...

حققها سماحة وعفوا ...

حققها كمالا وخلقا ... الخ .

فما جزاء هذا عند ربه الكريم ؟

أما الامام القشيرى رضى الله عنه فقد أشرق بالجواب اشراقة العارفين يقول : ان الملك العظيم اذا أراد تخصيص أحد من عباده وولى من أوليائه أشهده من أملاكه وخزائنه ما أخفاه عن غيره ليدل بذلك على تخصيصه .

كذلك الحق سبحانه وتعالى لما أراد اكرام المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أطلعه على كثير من

المخلوقات ما لم يشهده غيره تخصيصا له وتشريفا ومن ذلك : أنه لما طوى له الأرض فأراه مشارقها ومغاربها ، كذلك أراه : الملكوت والسموات والجنة والنار وما أراه تلك الليلة الا ليزداد به اعتبارا على اعتبار واستبصارا على استبصار ...

ان مسألة المعراج فى جوهرها عندما نلاحظ العلاقة بين الله وبين نبيه هى كما قالها الأستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه :

ليعرفه أنه لارتبة لأحد فوق رتبته فيكون أبلغ فى باب كرامته .

ولا يمر الاسراء والمعراج كحدثين مضيا فى التاريخ القديم ولكنهما كانا كمنهج حياة فى العقيدة والأخلاق من جانب ثم يكونان دائما من دلائل النبوة الخاتمة للنبى محمد — صلى الله عليه وسلم — فقد أخبر عن أحداث ستقع فى مستقبل هذه الأمة رآها بعينه فى الجنة وفى النار فأخبر عنها ليتقيها الورعون ، وليصلحها المصلحون أو لينتهى عنها لآثمون وليفقهها الداعون لينذروا قومهم لعلهم يحذرون ..

أما النعمة العظمى والتجلى الالهى الأكبر فى ليلة الاسراء والمعراج فانه الصلاة ان الصلاة هى الشرف الأسمى للانسان فهى تصله بالله سبحانه ، وهى الوسيلة الى رضوانه ، وباب الفتوح والقبول ، وهى المعراج الروحى الذى تتصل فيه أرواح العباد الأطهار بخالقهم جل وعلا ..

انها لحظة المناجاة التى لا تحتاج الى وسيط ولا شفيع ، انها القربى الى الله جل وعلا شأنه يأنس فيها القلب بربه وتصل فيها الروح ببارئها وتستريح من وعثاء السفر فى الحياة ، وتهدأ من صخب الشهوات ، وتنجو من وسواس الشيطان .

وقد شاء الله تعالى أن يشرع تنظيم الصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة من عند سدرة المنتهى لأنها فقط العبادة التى تصعد الى الله مع الملائكة الذين يتعاقبون فى الليل والنهار وهى وحدها ، الصلاة التى تحقق العبودية لله ، تسجد الجباة والأيدى والركب والأقدام ويسجد القلب والعقل والفؤاد اجلالا وتعظيما وتمجيدا لله رب العالمين ، ومنزلة

الصلاة رفيعة تهبط شرعيتها من منزلة تساويها من عند سدرة المنتهى ..

ان الصلاة حبل واصل بين الطائعين فى الأرض وخالقهم الأعلى والحبل الذى يصل بين الله وعباده هو الذى يرتضيه لهم ونوع الصلاة التى يتعبد بها المسلم لا يملك أن يقترحها انما تلقى اليه كما يشاء الله .

ولهذا انتدب الله عز وجل حبيبه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ليلة الاسراء والمعراج ليوحى اليه تنظيم الصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة . اعلانا بما للصلاة من منزلة عند الله وما لها من منزلة عند الطائعين وما لها من حقوق يجب أن تراعى ، وهى الغرض الوحيد الذى لايسقط عن الصحيح والمريض والمسافر والمجاهد ، ولهذا كانت عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، وهى الفاصل بين المسلم والكافر وهى النور الذى يملأ القلب والمسجد والبيت وهى بركة العمر والرزق والعافية والعلم ..

لقد كانت غاية الحدث الجليل : الاسراء ، والمعراج تصفية لروح الجماعة الاسلامية التى ستتولى القيادة الراشدة قريبا تجهيزا لنقله بالهجرة من مكة الى الصادقة حيث تهاجر العناصر القوية التى نجحت بامتياز فى هذا الاختبار الدقيق لأنها ـ وحدها يوم أن ينضم الى منهج التبليغ حد السيف ـ تستطيع أن تبرهن على أن الجهاد بالسيف ليس وراءه طمع مادى ولا شهوة فى شهرة ولا رغبة فى اكتساب أرض أو استعمار قطر ، وانما فقط لتكون كلمة الله هى العليا ولتكون العبودية وظيفة البشر ، قد وجدت لها مناخا يحقق فيه الناس عبادتهم لله الواحد القهار ...

وبعد :

فان الدرس العملى الذى ينبغى أن يعيه شبابنا المعاصر هو : أن يتفحصوا أعضاء أسرهم وأفراد معسكراتهم وأساتذة توجيههم حتى تسلم حركة الدعوة من الدخلاء الذين يبيتون لها بالحقد والمكر كل

سوء فقد علمنا القرآن الكريم أسلوب هؤلاء القوم ، يقول الله تعالى فيهم :

« لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين »

٤٧ ـ التوبة

ولقد كان حادث الاسراء والمعراج علامة على طريق الدعوة ليحيا من حي عن بينة فليعتبر الدعاة ، وليستيقظ شبابنا المسلم .

والله ولى التوفيق ؟

**د. رؤوف شلبى**

**من مراجع هذا المقال :**

السيرة النبوية لابن هشام جـ ١

الكامل فى التاريخ لابن الأثيرجـ ٢

المواهب اللدنية للقسطلانى .

السيرة الحلبية للعلامة على بن برهان الحلبى .

المعراج للامام القشيرى .

الدعوةالاسلامية فىعهدها المكى.

---

**✻ يتشممون الأمانى :**

قال ابن ابى عتيق لامرأته : تمنيت أن يهدى الينا مسلوخ ( أى شاة سلخ جلدها ) فتجهز من الطعام لون كذا ولون كذا فسمعته جارة له فظنت انه امر بعمل ما سمعته ، فانتظرت الى وقت الطعام ثم جاءت فقرعت الباب ، وقالت شميت رائحة قدوركم فجئت لتطعمونى منها فقال ابن ابى عتيق لامرأته انت طالق ان اقمنا فى هذه الدار التى جيرانها يتشممون الأمانى .

# خادمات المسلمين

للأستاذ محمد رسول

ملخص لما ورد بعدد مجلة التبشير «ميسيون Missin » التى تصدر فى مدينة آخن ( عدد يوليو ــ اغسطس ١٩٧٥ ) مع التعليق

يذكر المقال أن الكنيسة عاد لها كيانها بعد ١٤٠٠ سنة من المنفى « أى أنه لم يكن هناك وجود للكنيسة طوال وجود الاسلام قويا فى نفوس الناس » الى اليمن قلعة الاسلام .

يقول المقال ان الكنيسة عادت مرة أخرى فى شخص الراهبات اللاتى يعبر عنهن بالأخوات . وان من ناشد الكنيسة الكاثوليكية الى مد يد المساعدة الى المسلمين انما هى الدولة الاسلامية نفسها .

ان الكنيسة فى اليمن لهى من أقدم كنائس الأرض ولكن بانتشار الاسلام السريع فى شبه الجزيرة العربية أدى الى تحويل الكنائس الى مساجد وتشتيت الجماعات المسيحية ( ؟ ) .

ان الفضل الأول يعود الى مجهودات السفارة الايطالية فى تعز التى سمحت للأب غابريل فى ١٩٦٣ باقامة الصلاة فى مبنى السفارة .

أما الفضل الآخر فانما يعود الى أحد الأطباء الباكستانيين الذين يعملون فى اليمن ويقدمون النصح الى الحكومة اليمنية ، فأسر الى الحكومة اليمنية بضرورة استدعاء الراهبات الكاثوليك لحل أزمة المستشفيات والتمريض ، لأن هؤلاء الراهبات ( الأخوات ) يتمتعن بكفاءة عالية ولا يتقاضين أجرا لأنهن يردن المساعدة فقط .

---

وسرعان ماانتشرت هذه الأسطورة ( على حد قول المجلة ) لدرجة أن الطبيب الباكستانى نفسه هو الذى حرر الخطاب الى مكتب الدعاية العقائدى مما ترتب عليه أن قام

المنـدوب الابسـطولى المونسنيور غالابراسى فى ديسمبر عـام ١٩٧٠ بزيارة اليمن وأعقبتاه بعد فترة كل من الراهبتين ( الأخت اتيـين ) و ( الأخت باوليت ) وهمـا من الراهبات البيض وكلتاهما أيضا من الممرضـات ذات الخبرة فى كل من الجزائر وتونس وعملتا فيها لسنوات طويلة ويجدن اللغة العربية بطلاقة • وأخـيرا وجـد كيـان للكنيسـة الكاثوليكية فى اليمن الأرض التى لايجود فيها أى نوع من التصور عن مهمة الكنيسة (وخطورة التبشير) •

وهـذا يعتبر من أهم المسـائل بالنسبة الى الراهبات هنـاك اللاتى ذكرن أن اليمنيين لا يخامرهم أيـة شـكوك فى مهـام المبشرين لأنهم يعتقـدون أنهم جـاءوا كمـوظفين مبعوثين لدولة الفاتيكان تلك الدولة الصغيرة هناك فى بقعة ما فى ايطاليا والتى تقدم ( أى دولة الفاتيكان ) الى البلاد المختلفـة معونات التنمية وترسل خبراتها ، مثلها مثل الاتحاد السـوفييتى وايرلانـدا وألمـانيـا الاتحادية وبعد هذه المرحلة الأولى وصل القسيس الأول وتبعته راهبات أخـريات هن من الراهبات البعض أيضا من ألمـانيا ومن فرنسا وبينهن الراهبـة الأخت ( جنيفيف ) تلك التى تتمتع بخبرة فى البلاد العربية طولها عشرون عاما قضتهافى الجزائر • بعـد ذلك تم تعيين مـدير ادارى لمستشفى الحـديدة واسمه ثمانيون الذى طلب بدوره المزيد من الخبرات الفنية فهرع اليـه أطبـاء وراهبات كثيرون من الأمريكيين أيضا •

وهؤلاء بدورهم طلبوا المزيد من المساعدات • فتوجهت الحـكومة اليمنية الى ( منظمـة الأم تيرزا فى كلكتا التى ساهمت أيضا بارسال عشر راهبـات وطبيبة من خيرة أطبـاء الارساليات التبشيرية وهى الراهبة الدكتورة غرترود •

وبعد هـذه البداية ( الصـغيرة بطبيعة الحال ) أصبح هنـاك ثلاث مستشفيات فى اليمن الثالث منها تم افتتاحه قبـل فترة قصـيرة • ومن الجدير بالذكر فى هـذا المجال أن دولة صغيرة مثل ايرلاندا تسـاهم بأعظم مجهود فى التبشير على هذا الصعيد وهى تعمل على تنظيم عملية

ارسال المتطوعين الى المستشفيات الذين يعمل منهم الآن فى مستشفيات اليمن وبهذا العمل أصبح هناك وجود حقيقى للكنيسة فى اليمن .

ان فضل السلك السياسى فى التبشير انما يعود أيضا الى السفارة الألمانية فى صنعاء التى كان لها الفضل الكبير فى تذليل هذه العقبات اذ وضعت مبنى السفارة فى بادىء الأمر رهن المبشرين الذين استخدموا جزءا منه لاقامة الشعائر فى صلوات يوم الأحد أما الكنيسة الأخرى فقد أقيمت فى بيت الراهبة اتيين الذى كان أصلا معبدا يهوديا فى الحديدة .

وحتى يتلاءم عمل المبشرين مع الظروف الصعبة المحيطة بهم فانهم يقومون بمناقشة بعض الأمور مع الأهالى مثل مشاريع التنمية ومشاريع المستقبل ويشتركون فى قراءة القرآن مع النساء اليمنيات ( التبشير بين النساء ) اللاتى يسألن عما اذا كنا نؤمن بالرب فيقول المبشرون : « ان لم نكن نؤمن ما كنا أتينا الى هنا لمساعدتكم » .

ان جهود المبشرين تقاس عادة بجهود الروس والأطباء الصينيين النشطاء أما نحن فنسمى أنفسنا الكنيسة الصامتة فى قلب الاسلام وبهذا تتقبلنا الشعوب الاسلامية .

**التعليق**

ان محاولات التسلل الى حصون الاسلام من قبل المستشرقين والمبشرين والمستعمرين لهى محاولات قديمة لم تنته ولم تتوقف الى الآن وبعد أن فشلت المحاولة الفاشلة للحروب الصليبية بدأت الجهود تتجه الى التسلل الخفى الصامت الى قلاع الاسلام حتى أصبحت حصوننا مهددة من داخلها ومعروف أن الهيئات التبشيرية قد حققت نجاحا كبيرا فى استغلال حاجة الناس والبلاد المتخلفة الى التطبيب والعلاج فأخرجت جيوشا جرارة من الأطباء والممرضات من المبشرين الذين يتبعون الكنيسة لنفث سمومهم وتحقيق مآربهم فى السيطرة تحت شعار الرحمة وملابس التطبيب البيضاء .

ان المركز الاسلامى قد سبق له أن بلغ عن المحاولات التى تبذل من الحكومات الأجنبية تحت شعار مشروعات التنمية واشراك الكنائس فيها لتمكينهم من مباشرة أعمالهم الخبيثة فى التبشير فأصبحوا بذلك يشكلون خطرا خفيا لم تحس به أكثر الحكومات الاسلامية الى الآن .

لابد للمسلمين أن يتنبهوا الى كل من يريد التسلل الى حصونهم وهدم عقائدهم والتشكيك فى دينهم وقدرتهم ولابد أن نسرع باخراج جيل من الأطباء المسلمين ومن السواعد التى تعمل فى مهنة التمريض لتسد الثغرة القائمة حتى نستغنى عن هذه المعايرة الدولية والفضيحة التى تعلن على الرأى العام العالمى مدى تخلف المسلمين ومدى حاجتهم الى رحمة من لا يرحم .

**محمد رسول**

المركز الاسلامى للدعوة والاعلان
كولونيا ألمانيا الاتحادية

---

*** من حكم الأحنف :**

قال الأحنف بن قيس : لا صديق لملول ، ولا وفاء لكذوب، ولا راحة لحسود ، ولا مروءة لدنىء ، ولا زعامة لسىء الخلق .

*** قال لبيد بن ربيعة :**

الا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل
وكل ابن انثي لو تطاول عمره ... الى الغاية القصوى فللقبر آيل
وكل أناس سوف تدخل بينهم ... دويهية تصفر منها الانامل
وكل امرىء يوما سيعرف سعيه ... اذا حصلت عند الاله الحصائل

# نحو عقيدة عسكرية إسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين

— ٤ —

وضع الاسلام نظاما شاملا للحرب يتسم بالرحمة والعدل ، ويطبع العقيدة العسكرية التى تستقى منه « بطابع سلمى دفاعى وغير عدوانى » وهذا يتضح مما يلى :

١ — فالاسلام دين السلام، وتحتل فكرة السلام المقام الرئيسى بين أهدافه ومقاصده العامة بل يصرح القرآن بأن الثمرة المرجوة من اتباع الاسلام هى الاهتداء الى طرق السلام والنور كما يفهم من قول الله فيه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » والسلام فى مبادىء الاسلام أصل فى عقيدته وعنصر من عناصر تربيته ، وهدف يعمق الاحساس به فى ضمير الفرد وفى واقع المجتمع وفى بناء الأمة ..

٢ — وينظر الاسلام الى الانسانية عامة نظرة التكريم والاحترام ، ويصنع من القواعد والأصول والأحكام ما يصون للانسان كرامته وحقوقه فى الحياة ، يقول الله تعالى:

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »

والعدل والرحمة والمساواة فى الحقوق والواجبات أمور يفرضها الله لجميع الناس ، ما لم يكن منهم اعتداء وخروج عن حدود الله ، والناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأماكنهم أسرة كبرى ترجع الى أصل واحد ، فالروابط بينهم يجب أن تكون روابط أخوة تسودها المودة والرحمة والتعاون على ما فيه سعادة الجميع ، كما يفهم من قوله تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقـوا الله الذى تسـاءلون بـه والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » وقوله جل شـأنه : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » . كذلك فهم مع أصلهم الواحد ، من منبت واحد هو هـذه الأرض التى يقول الله فيها : « منهـا خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى » ، وهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأماكنهم مظهر من مظاهر قدرة الله ، وآية من آياته كما يقول جل شأنه: «ومن آياته خلق السموات والأرض واختـلاف ألسـنتكم وألوانكم ، ان فى ذلـك لآيـات للعالمين » .

ومن ثم كان المقياس الذى يتفاضل به الناس ، أمر آخـر غير اختلاف الألوان والألسنة والمواطن ، وهـذا الأمر هـو التقوى كما يقول الله : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وكما يقول رسـوله : ليس لعـربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود فضل الا بالتقوى ..

٣ ــ والدعـوة الى الاسـلام لا تقوم على الاكراه وانما تقوم على الاقناع العقلى المدعم بالأدلة وايقاظ المشـاعر وتحريكهـا ، وعن طريق الموعظة والمناقشة الجادة المفيدة كما يفهم من قـوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين » .

وكما يتخذ الاسلام سبيل الاقناع فى الدعـوة ، يترك للناس حـرية الاختيار ، فمن شاء آمن ، ومن شاء اتخـذ سبيلا آخـر وتحمل مصير ما اتجه اليه ، كما يفهم من قـوله تعالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » ، وقوله : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقـد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصـام لها والله سميع عليم» وقوله جل شأنه: «فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » .

ثم ان كتاب الله مصدر الدعوة الاسلامية ، لا يحترم ايمان المكره ، ولا يرتب عليه آثاره يوم البعث والجزاء ، فكيف يأمر بالاكراه أو يبيح اتخاذه وسيلة من وسائل الايمان بهذه الدعوة ، هذا الى أن الاكراه لا يزرع عقيدة فى القلب ، وانما يحمل على الاذعان فى الظاهر دون ايمان فى الوجدان .

٤ ـ ولا توجد فى القرآن آية واحدة تدل أو تشير الى أن القتال فى الاسلام شرع لحمل الناس على اعتناقه ، وانما تدل آيات القتال على أن القتال شرع لرد العدوان والدفاع عن الدعوة وحرية التدين .

والاسلام حينما شرع القتال نأى به عن الطمع والاستئثار واذلال الضعفاء ، وابتغاه طريقا الى السلام والاطمئنان ، وتركيز الحياة على موازين العدل والمساواة يقول الله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » ويقول جل شأنه : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين ، فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

هذه الآيات بما تضمنته من المبادىء فى سبب القتال وغايته ليس فيها ما يقترب من فكرة الاكراه على قبول الدعوة ، بل هى ناطقة بأجلى بيان ، وأوضح عبارة بأن السبب الذى من أجله أمر المسلمون

بالقتال هو الاعتداء عليهم واخراجهم من ديارهم وانتهاك ما عظم من حرمات الله ومحاولة فتنة الناس فيما يدينون ، وكذلك ناطقة بأن الغاية التى يجب على المسلمين أن يكفوا عندها عن القتال هى انتهاء العدوان عليهم ، وتقرر الحرية الدينية خالصة لله ، غير متأثرة بضغط ولا اكراه .

٥ ــ ويفهم من قول الله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » أن القصد من اعداد القوة والمرابطة ارهاب الأعداء واخافتهم من عاقبة التعدى على الأمة الاسلامية ، وينطوى هذا القصد على أرفع المعانى السلمية والانسانية وحقن الدماء ، والأمر الذى يستحق الذكر أن رجال العسكرية فى العصر الحديث قد وصلوا الى نظرية « الردع » التى تستهدف منع الحرب على أساس اظهار القوة والتخويف بها ، بعد معاناة طويلة فى حروب ضارية كما عبر عن ذلك الاستراتيجى الكبير الجنرال اندريه بوفر فى كتابه « الردع والاستراتيجية » فقال : ان رجل القرن العشرين الذى تلاحقه مآسى الحربين العالميتين ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ ، هذا الرجل المسلح بكل وسائل العلم الحديث ، ربما وجد أخيرا الوسيلة لمنع وقوع مثل هذه المآسى ، وهى استراتيجية الردع ... ان العنصر الحاسم اليوم هو الردع بلا جدال . من ذلك يتضح أن « الردع » الذى يعتبر جوهر الاستراتيجية المعاصرة فى القرن العشرين هو « موقف مبدئى » للاسلام فى مواجهة أعدائه وأعداء أمته منذ أربعة عشر قرنا ، وان كانت الدراسة المقارنة تكشف عن أن نظرية الردع الاسلامية تتميز بالنبل فى المقاصد والأهداف لأنها تتفق بداهة مع جوهر الاسلام الذى هو دين السلام ، وهذا ما يستحق أن نعود اليه ببعض التفصيل ان شاء الله .

٦ ــ والاسلام يأمر بفض المنازعات بالطرق السلمية كما يفهم من قول الله تعالى : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين » ويأمر بالتعاون بين المؤمنين على اقرار السلام

والطمأنينة ، كما قال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب » .

أما موقف الاسلام ازاء ما يقع بين المؤمنين من الايذاء والاعتداء فيتضح من قوله تعالى : «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

فهذه الآيات الكريمة تتضمن فى مدلولها بطبيعة الحال وجوب المحافظة على استقلال الدول الاسلامية ووحدة كيانها ، وهو ما حاولت أن تصل الى تحديده المادة العاشرة من عهد عصبة الأمم فى عبارة منطوية غامضة ، ولقد فشلت عصبة الأمم فى حسم النزاع بين كل من اليونان وايطاليا ، وبين اليابان والصين ، وبين ايطاليا والحبشة ، كما فشلت زميلتها الأمم المتحدة من بعد فى حل مشكلة فلسطين ، والتفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا ، والكونغو وغيرها .

ونخلص مما تقدم الى أمرين :

الأول : أن طبيعة العقيدة العسكرية الاسلامية سلمية دفاعية وغير عدوانية .

الثانى : أن هذا الطابع باق ومستمر الى أن تقوم الساعة ، فاذا كان علماء الاستراتيجية يقولون ان محتوى العقيدة العسكرية للدولة هو محتوى تاريخى فى طبيعته « ويتغير » تبعا للتغيرات الجذرية فى الأفكار السياسية والعسكرية ، فان العقيدة العسكرية الاسلامية — لصلتها العضوية برسالة الاسلام الذى هو دين سلام — لا تتغير ولا تتبدل ، كما تتبدل وتتغير عقائد الأمم الأخرى لتنسجم مع الأهداف والمصالح والأهواء والمطامع .

فحتى تقوم الساعة ستظل العقيدة العسكرية الاسلامية ذات طابع سلمى دفاعى وغير عدوانى ، لا تقاتل للسيطرة أو التوسع وانما تقاتل للدفاع ولرد العدوان ... والأمة الاسلامية ملتزمة بتلك العقيدة التزامها بعقيدة الاسلام ، ولا تملك تغييرها .

هذا الى أن الارتباط الوثيق بين تلك العقيدة العسكرية وبين الرسالة الاسلامية ، ذلك الارتباط الذى يصلها بالاسلام ويخضعها لتوجيهه، ويمدها بروحه ، يجعل تعاليم الاسلام هى مصدر القوة والفاعلية للعقيدة العسكرية ، كما يجعل العسكرية هى الدرع التى تحمى رسالة الاسلام وتدافع عن الأمة الاسلامية .

اللواء محمد جمال الدين

---

*** الشافعى والموت :**

قال المزنى دخلت على الشافعى فى مرض موته فقلت : كيف اصبحت قال : اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا وبسوء عملى ملاقيا، وبكأس المنية شاربا وعلى الله واردا فلا أدرى أين روحى تصير أالى الجنة فاهنيها أم الى النار فأعزيها .

ثم انشأ يقول :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى ... جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك اعظما

# المسجد الأقصى

للدكتور عبد الودود شلبي

فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا تشد الرحال الا الى ثلاثة.. المسجد الحرام ، ومسجدى هذا . والمسجد الأقصى .. » .

لقد بنى هـذا المسجد لأول مرة فى عهد داود عليه السلام .

وسبب بنـائه كما تقول بعض الروايات :

أن النـاس أصابهم الطـاعون فى زمن داود « فخرج بهم الى موضـع بيت المقدس فرأى الملائكة تصعد منه الى السماء فلما وقف موضـع الصخرة دعا الله فكشف الطـاعون عنهم فاتخـذ ذلك الموضع مسجدا الا أنه مات فأكمله بعـده نبى الله سليمان ..

وتقول رواية أخرى

ان الله أوحى الى داود أن ابن لى بيتا أذكر فيه فخط داود خطة بيت المقدس . فاذا تربيعها بدار رجـل من بنى اسرائيـل فسـأله داود أن يبيعه اياها فأبى فحدث داود نفسه أن يأخذها فأوحى الله اليه يا داود : أمرتك أن تبنى لى بيتا أذكر فيـه فأردت أن تدخـل فى بيتى الغصب وليس من شأنى الغصب ان عقوبتك ألا تبنيه . قال يارب فمن يبنيه ؟

قال : ولدك سـليمان .. فبـنى سليمان الهيكل على الصخرة المقدسة التى اختارها أبوه بوحى من الله ..

وتقول التوراة عن هذه الصخرة التى بنى عليها الهيكل : ان يعقوب ـ عليه السلام ـ كان فى مسـيره الى حاران وأدركه الليـل فأوى الى صخرة بالطريق ونام عليهـا فاذا به يرى فيما يرى النائم سلما منصوبا على الأرض ينتهى طرفه الأعلى الى السماء ورأى ملائكة الله صـاعدة ونازلة عليه وسمع صوتا بعد ذلك

يناديه : أنا الرب اله ابراهيم أبيك واله اسحاق ... فلما ورث سليمان داود بنى مسجده على هذه الصخرة التى نام عليها يعقوب ...

وقد تعرض المسجد الأقصى لغارات مدمرة قام بها بختنصر البابلى « وتيطس » القائد الرومانى انتقاما من اليهود . وأعيد بناؤه سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، حتى فتح العرب فلسطين سنة ٦٣٦ بعد الميلاد فى عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه حتى اذا وصلت جيوشهم الى أبواب بيت المقدس أعلن بطريركها «سفرنيوس» أنه يريد التسليم على شريطة أن يجىء الخليفة عمر بنفسه الى المدينة المقدسة . فقبل عمر هذا الشرط وحضر لمقابلة البيطريرك ففتحت المدينة أبوابها للخليفة العادل . وقام بجولة فى بيت المقدس بصحبة البطريرك . حتى اذا وصل الى كنيسة القيامة كان وقت الصلاة قد حان فعرض عليه البطريرك الصلاة بها فاعتذر عمر عن الصلاة فى الكنيسة لأنه يخشى ان فعل ذلك أن يعتقد المسلمون أن الصلاة فى هذا المكان سنة فيؤدى ذلك الى اخراج المسيحيين منها ثم صلى فى مكان قريب من الصخرة المقدسة على أطلال الهيكل . وفى هذا المكان أقيم ـ من بعد ـ مسجد عمر وهو الذى أطلق عليه اسم المسجد الأقصى ...

ويقول ابن الأثير :

ان عمر استأذن البطريرك فى اقامة المسجد فدله على مكان الهيكل وذكر له شأن الصخرة التى يحتويها وكانت تلال التراب تغطيها . فأمر عمر بازالة التراب وبدأ فطرح رداءه وأخذ ينقل فيه التراب الى بعيد حتى انكشفت الصخرة .. وبنى عليها

وقد سمى المسجد الأقصى بهذا الاسم بالنسبة لمكانه من المسجد الحرام وكان المسلمون يتجهون فى صلاتهم الى بيت المقدس فتوجه رسول الله بالدعاء الى الله أن يحوله الى الكعبة لأنها قبلة أبيه ابراهيم . فاستجاب الله دعاءه ونزلت عليه هذه الآية وهو يصلى بالناس فى مسجد المدينة ..

« قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

فتحـول الناس أثناء الصلاة من بيت المقدس الى الكعبة •

وللمسجد الأقصى ذكريات عزيزة غاليـة فى قلوب المسلمين ••• أنه المكان الذى أسرى اليه رسول الله (ص) وعرج منه الى السموات العلى بصحبة جبريل عليه السلام •

يقول ابن هشام :

ليلة أسرى برسول الله (ص) الى المسـجد الأقصى جـاء اليه جبريل بالبراق فركبـه النبى ( ص ) حتى انتهى الى بيت المقـدس فوجد فيه ابراهيم الخليـل وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء ينتظرونه فصلى بهم ثم أتى بثلاث أوان •

اناء فيه لبن،واناء فيه خمر، واناء فيه ماء قال رسول الله (ص) فسمعت قائلا يقـول حين عرضت على : ان أخذ المـاء غرق وغرقت أمته •••

وان أخـذ الخمـر غوى وغوت أمته •••

وان أخذ اللبن هـدى وهديت أمته •••

قال (ص) : فأخذت اللبن فشربت منه • فقـال جبريل عليه السلام • هديت وهديت أمتك يا محمد •••

« والمسـجد الأقصى يقـع على مسافة خمسمائة متر جنوبى«مسجد الصخرة» وكلاهما يقوم فى البقعـة المباركة التى كانت تعرف فيما مضى باسم المسـجد الأقصى والتى تضم غير هـذين المسجدين طائفـة من القباب والمآذن أشهرها مئذنة « باب المغاربة » ومئذنة « باب السلسلة » ومئذنة « باب الأسباط » أما أشهر تلك القباب فى هـذه المنطقـة فقبة « السلسلة » التى بناها عبد الملك ابن مروان قبـل أن يبنى مسـجد الصخرة فى صـورته الجديدة التى عليها الآن ثم قبة « المعراج » التى بنيت تذكارا لعروج النبى صلى الله عليه وسلم ثم قبة « محراب النبى » التى ذكر السيوطى أنهـا أقيمت فى المكان الذى صلى فيه النبى بالملائكة والأنبياء ليلة الاسراء •••

وهنـاك غير هـذه القباب قباب أخرى صغيرة منها قبة الخضر ••• وقبة يوسف ••• وقبة الخليل •••

وقبة موسى ... وقبة سليمان ... عليهم صلوات الله أجمعين ..

أما الصخرة المشرفة فهى عبارة عن قطعة ضخمة من الصخر أشبه بجبل فيها حفرة يقال : ان دماء الضحايا التى كانت تذبح على الصخرة تنساب اليها من قديم الزمان .

وتقول بعض الروايات : ان مسجد الصخرة بنى على أنقاض المسجد الخشبى الذى بناه على الصخرة المقدسة ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب ...

وقد بنى المسجدين المسجد الأقصى — ومسجد الصخرة بشكلهما الذى هما عليه الآن — عبد الملك ابن مروان . فبعد أن فرغ عبد الملك من بناء مسجد الصخرة شرع فى بناء المسجد الأقصى سنة ٦٤ للهجرة وكانت أبوابه كلها مزينة بصفائح ذهبية وأخرى فضية .

وقد أنفق عبد الملك بن مروان فى بناء الصخرة وحده خراج مصر فى سبع سنوات وقد تعرض المسجدان لزلزال شديد .. وأمطار غزيرة — وغارات همجية عنيفة .

فعندما استولى الصليبيون على بيت المقدس أحالوا المسجد التاريخى الى كنيسة . حتى اذا كانت الغلبة لصلاح الدين فى النهاية أعاد المسجد الى ما كان عليه فى البداية وجدد ما تساقط منه من مآذن وأقبية . وزينه بنقوش بديعة تبهر الأنظار .

وفى سنة ١٩٤٨ صوب اليهود مدافعهم على المسجد يريدون هدمه فهشمت القنابل نوافذه الجميلة وأحدثت به فجوات عميقة . وأصابت قنبلة مسجد الصخرة فأطاحت بسقف أحد أروقته الرائعة البديعة .

وقد أعيد اصلاح هذا كله بالتعاون بين الأردن ومصر وبلغ ما أنفق فى هذه الاصلاحات حوالى نصف مليون دينار أردنى .

ومنبر المسجد الأقصى من المنابر النادرة الجميلة فقد صنعه نورالدين محمود بن زنكى من خشب الأرز ورصعه بالعاج والصدف وقد نقش على أحد جانبيه قول الله تعالى : فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها

اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيـع عن ذكر الله وأقـام الصـلاة وايتـاء الزكاة » .

ونقش على الجانب الآخر :« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصـلاة وآتى الزكاة ولـم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » .

ونقشت على دفـة المنبر اليمنى « ان الله يأمر بالعـدل والاحسـان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنـكر والبغى يعظـكم لعلكـم تذكرون . وأوفـوا بعهـد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعـد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون » .

هذا هو المسجد الأقصى ... قبلة المسلمين الأولى فى بيت المقدس .. والأرض التى بارك الله ما حولهـا فى السموات والأرض ... ومعراج الرسول الكريم الى الله عند سدرة المنتهى والأمل الذى يجاهد المسلمون من أجل استرداده ليعود الى سيرته الأولى مثابة للناس وأمنا .

فـ « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى » . .

**د. عبد الودود شلبى**

---

**※ قرة العين .. الصلاة :**

من كان قرة عينه فى الصلاة فلا شىء أحب اليه ولا انعم عنده منهـا ويود أن لو قطع عمره بها غير مشتغل بغيرها وانما يسلى نفسه اذا فارقها بأنه سيعود اليها عن قرب فهو دائما يثوب اليها ولا يقضى منها وطرا فلا يزن العبد ايمانه ومحبته لله بمثل ميزان الصلاة . فانهـا الميزان العادل الذى وزنه غير عائل ..

**ابن القيم ــ طريق الهجرتين**

# القصاص من القاتل فى الدنيا
## هل يكفر عنه ذنب الآخرة ؟

للدكتور محمد جمال الدين عواد

ذهب جمهور العلماء الى أن من اقتص منه فى الدنيا ــ فلا عقاب عليه فى الآخرة ولو لم يتب وأن القصاص منه فى الدنيا كفارة لذنبه وقد استدلوا بما يلى :

أولا : بما روى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ( أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له ــ ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه فبايعناه على ذلك ( وفى لفظ ) ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ) •

وموطن الاستدلال فى الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم ( ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له ) وقوله ( ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه ) فقد دل ذلك على أن القصاص من القاتل فى الدنيا يكفر عنه الذنب فلا عقاب عليه فى الآخرة وهذا التكفير شامل لذنب القتل لأنه جزاء دنيوى كما هو شامل لأن تكون العقوبة حدا ــ أو تعزيرا وسواء تاب القاتل أو لم يتب •

هذا ولقد قال المازرى ــ أن قوله صلى الله عليه وسلم ( فهو الى الله فى الحديث المذكور يستدل به للرد على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب وعلى المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق اذا مات بلا توبة ــ لأن النبى صلى الله عليه وسلم أخبرنا

بأنه تحت المشيئة ولم يقل لابد أن يعذبه .

ثانيا : من أدلة الجمهور : ما رواه الترمذى وصححه الحاكم عن على رضى الله عنه وكرم الله وجهه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ( من أصاب ذنبا فعوقب به فى الدنيا فالله أكرم من أن يثنى العقوبة على عبده فى الآخرة ) ، وهو عند الطبرانى باسناد حسن ولفظه ( من أصاب ذنبا أقيم عليه ذلك الذنب فهو كفارة له ) . وللطبرانى عن ابن عمر مرفوعا ( ما عوقب رجل على ذنب الا جعله الله كفارة لما أصاب من ذلك الذنب ) .

فدل الحديث على أن من قتل وأقيم عليه القصاص فى الدنيا فان ذلك مكفر لذنبه فى الآخرة وان لم يتب .

وذهب بعض التابعين وهو قول المعتزلة : ووافقهم ابن حزم والبغوى وطائفة قليلة من العلماء الى أن القصاص من القاتل فى الدنيا بلا توبة لا يكفر عنه ذنب الآخرة فلابد من التوبة مع القصاص وقد استدلوا بأن قتل القاتل انما هو أردع لغيره وأما فى الآخرة فالطلب للمقتول قائم لأنه لم يصل اليه حق — وقد أجابوا عن أدلة الجمهور السابق ذكرها — بأنها محمولة على ما كان حقا محضا لله تعالى — أما ما كان فيه حق للعبد فاشتراط التوبة لابد منه لرفع العقاب عنه فى الآخرة .

كما أجاب الجمهور عن استدلال المعتزلة ومن وافقهم بأن قتل القاتل انما هو لردع غيره : بأنه لو كان حد القتل قد شرع للارداع لا غير لم يشرع العفو عن القاتل كالحدود فما شرع القصاص من القاتل الا لردعه وزجر غيره وشفاء قلوب أولياء المجنى عليه وجبر ذنب القاتل .

كما أجابوا عن قولهم : ان المقتول لم يصل اليه حق : بأنه قد وصل اليه حق وأى حق فان المقتول ظلما تكفر عنه ذنوبه بالقتل كما ورد فى الخبر الذى صححه ابن حبان — ان السيف محاء للخطايا وروى الطبرانى عن ابن مسعود قال ( اذا جاء القتل محا كل شىء ) وللطبرانى أيضا عن الحسن بن على نحوه : وللبزاز عن عائشة مرفوعا ( لا يمر القتل بذنب الا محاه ) فلولا القتل ما كفرت .

فقد دلت هذه الأحاديث على تكفير ذنب من قتل قودا عن ارتكابه جناية القتل أو قتل ظلما عن ذنوبه .

والذى نراه بعد بسط وجهات النظر فيما تقدم أن القصاص من القاتل فى الدنيا يرفع عنه العقاب فى الآخرة .. لما رواه الترمذى وصححه الحاكم عن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أصاب ذنبا فعوقب به فى الدنيا فالله أكرم من أن يثنى العقوبة على عبده فى الآخرة » .

وللطبرانى عن ابن عمر مرفوعا ما عوقب رجل على ذنب الا جعله الله كفارة لما أصاب من ذلك الذنب ( كما أنه من المعلوم أن القاتل قد تعلق به حقان حق الله تعالى وحق العبد ــ فاذا اقتص منه فى الدنيا صار ذلك جابرا للحقين معا ــ ويؤيد ذلك ما رواه الطبرانى عن ابن مسعود قال ( اذا جاء القتل محا كل شىء ) وعندى أنه لا يتصور خلاف الا فيمن حاول الهرب والتملص من العقاب فقبض عليه وأقيد منه أما من أقر بذنبه ورجع عن معصية الله تعالى الى طاعته وعما يكرهه الى ما يرضاه وأسلم نفسه للعقاب . فمثل هذا فى نظرى يعد من التائبين وحينئذ يكون القصاص منه فى الدنيا مطهرا له وواقيا له من عقاب الآخرة لاقراره واعترافه بما اقترف من جرم وبما اكتسب من آثام على أن القاضى عياض قال : ان أكثر العلماء يذهبون الى أن الحدود كفارات للذنب وان لم يتب المحدود ودليلهم على ذلك حديث عبادة بن الصامت الذى سلف ذكره فيما تقدم والقصاص فى ذلك كالحدود فهو مطهر للقاتل ومكفر لذنبه وان لم يتب ــ والله سبحانه أسأل أن يجنبنا كل مكروه وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

**د. محمد جمال الدين على عواد**

## حول سفور المرأة :

# صفحة من التاريخ

من مجلة الفتح التى كان يحررها المرحوم محب الدين الخطيب ننقل هذه القصة :

فى عام ١٩١٧ جاء القيصر ويلهلم الى الأستانة يزور حليفه السلطان العثمانى ، فأرسل اليه الأتراك سربا من الأوانس سافرات الوجوه بالزى الأوربى يقدمن له باقة زهر فتقبلها القيصر منهن ولم يقل شيئا .

ثم أول ما شاهد بعد ذلك الصدر الأعظم قال له : يا طلعت ، أرسلتم لى بعض صبيات تركيات بالزى الأوربى يقدمن لى باقة أزهار . أتظن أنى أفرح برؤيتهن بهذا الزى ؟

ثم قال له : يا طلعت اعلموا أنكم أمة ليس لكم مكانة بين الدول الا بالاسلام . أنتم لستم ذوى ثروة ولا عندكم صناعة ولا تجارة ولا وسائل مادية كما عند الأمم الأوربية. ولكنكم معدودون من الدول العظام بسبب واحد هو أنكم على رأس الاسلام ، والاسلام مئات من الملايين. فاذا أبحتم السفور لنسائكم وعبثتم بعادات قومكم آسفتم العالم الاسلامى الذى كل أهميتكم قائمة به ونفر منكم المسلمون .

فلا تفعلوا هذا ، فانكم تصبحون على ما فعلتم نادمين .

ثم ان الشرف عندكم شىء جميل ، فلماذا تعدلون عنه ؟

وهو لباس اقتصادى يستر المرأة ويغنيها عن اتخاذ فستان كل ثلاثة أشهر مرة ، وأنتم لا تقدرون أن تبذخوا بذخ الأوربيين ) .

هذا ما قاله ويلهلم لطلعت ، وهذا رواه لنا .

ثم قال مثله للأمير سعيد حليم وأوصاه بالمحافظة على التقاليد الاسلامية القديمة ، وقال له : نجاتكم انما هى بها .

وقال له : ( انا وبعض بيوتات فى بلادى نحافظ على تقاليدنا القديمة ، ولكن قد غلبت علينا المآخذ الجديدة التى أخشى بها فساد المجتمع الأوربى كله ) .

فقصدت أن أنقل هذه الرواية لقراء الفتح .

ولقد أصاب الامبراطور فى كلامه . يريد أن يقول لنا :

لا تجمعوا بين الفقر وفساد الأخلاق فانه باعتراف جميع الأتراك ودعاة التجدد منهم : كان رقص النساء وتغيير الزى هما أكبر أسباب الأزمة الاقتصادية فى تركيا . وذلك أنهم أرادوا أن يقلدوا أناسا هم ليسوا ذى ثروة كثروتهم فظهر عوارهم حالا . أما المفاسد المعنوية لذلك فقد ظهرت بتناقص النسل وكثرة الانتحار وقلة الزواج وجميع المضار التى يعرفها كل من اطلع على حقيقة أحوالهم ...

**الجبرتى الجديد**

---

**﴾ صدقة مقبولة :**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رجل لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على سارق فقال : اللهم لك الحمد . على سارق ؟ لأتصدقن بصدقة . فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانية فقال : اللهم لك الحمد . على زانية ؟ لأتصدقن بصدقة . فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على غنى . فقال : اللهم لك الحمد . على سارق وزانية وغنى ؟ فأتى فقيل له : أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته ، وأما الزانية فلعلها ان تستعف عن زناها . وأما الغنى فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله .

**متفق عليه**

# اليوم والأسبوع من مقاييس الزمن

للأستاذ محمد كمال السيد

قديما قال أحد ظرفاء العرب أن الحياة بنيت على ثلاثة مدورات . الرغيف والدرهم والدينار • ولو كان أكثر عمقا لقال أن العالم كله بنى على المدورات • أو بعبارة أخرى على التكوير والاستدارة •

فالأجرام السماوية من نجوم وكواكب وأقمار جميعها كروية الشكل • وتدور حول نفسها • وحول بعضها • فى أفق فسيح لا يدرك عقل الانسان مداه •

والخط المستقيم يكاد لا يوجد الا تصورا فى الفضاء • أو تجوزا فى التعبير اذا وضع على الأرض • فلو مددنا مثلا أحد قضبان السكة الحديدية لدار حول الأرض مع انحنائها الكروى • فهو مستقيم نسبيا فى جزء منه لضآلة ما فى هذا الجزء من انحناء •

وبهذه الحركات الدائرية فى الأرض والشمس والقمر سيطرت الطبيعة على الانسان • فمن الظاهرة الطبيعية لدوران الأرض حول نفسها وجد الليل والنهار • ومجموعهما هو اليوم • ومن دوران الأرض حول الشمس — مع ميل محورها — وجد نظام الفصول الأربعة ومجموعها هو السنة الشمسية ومن دوران الأرض وجد الشهر القمرى أو الدورة القمرية •

وهكذا بدأ حساب الزمن بالنسبة للانسان •

والانسان فى مبدأ أمره لم يكن فى حاجة من حساب الزمن الا فى هذه الحدود الضيقة من توالى الليل والنهار • وتقلب الفصول • وقرص القمر المتغير يوما بعد يوم خلال دورته أو الشهر القمرى •

أما الآن فحساب الزمن يدخل فى كليات وجزئيات حياة الانسان •

فعند مولده تحرر له شهادة بتاريخ مولده . وتثبت فى سجلات الدولة. وينبنى على هذا التاريخ مواعيد تحصينه ضد الأمراض المختلفة . والتحاقه بالمدارس فى مراحلها المتعددة . والزواج . والتجنيد . والتوظف . والترقى . والاحالة على المعاش . وعند وفاته لايتركه حساب الزمن . فتاريخ وفاته هو تحديد ما لتركته من حقوق والتزامات بالنسبة لورثته .

وفى الطب والصيدلة . قلب الانسان له عدد من النبضات كل دقيقة . فاذا اختلفت النبضات عن متوسط هذا العدد . دل على وجود خلل فى الجسم . وللميكروبات فترة حضانة من الزمن . ثم يظهر أثرها فى المريض . والأمصال المختلفة تعطى مناعة للجسم فترة معينة من الزمن . والطعام يحتاج لهضمه لفترات تختلف حسب نوع الطعام .

ويدخل حساب الزمن فى كل أنواع الزراعة والصناعة . وفى عدد ساعات العمل . وبدئه وانتهائه . وفى مواعيد حفلات الترفيه من سينما ومسرح وغيرها . ومددها . وفى تحديد مواعيد الأعياد والمواسم الدينية والوطنية .

وأصبحت المسافات تقاس بالزمن. فنقول أن سرعة السيارة أو النفاثة كذا كيلومتر فى الساعة . وفى علم الفلك تقاس المسافات الشاسعة بين النجوم بالسنوات الضوئية . قياسا على سرعة الضوء التى تبلغ ٣٠٠ر٠٠٠ كيلومتر فى الثانية .

وكل الالتزامات والحقوق المالية والتجارية . سواء بين الأفراد أو بين الدول . ترتبط جميعها بفترات محددة من الزمن . ويفقد المحرر قيمته القانونية اذا لم يثبت له تاريخ .

ولو طفقنا نذكر الأمثلة لاحتجنا أن نذكر كل الأنشطة الانسانية . فبدون حساب الزمن تصبح حياة الانسان والمجتمع الانسانى فوضى لا رابط لها .

والزمن . أو الزمان . فى اللغة طويل الوقت وقصيره . وفى الفلسفة والاصطلاح عمر هذا الكون المحيط بنا بآفاقه وسماواته لا نكاد نتصور لهذا العمر بداية ولا نهاية .

وعلى هـذا فمن التجاوز اللفظى أن تتكلم عن تقسيم الزمان • ولكن يمكن وضـع مقاييس رتيبة لأجزاء منه • وتتكرر هذه المقاييس آلاف بل ملايين المرات • وبمقتضاها ترتبط الأحداث بالزمن •

وأشهر هـذه المقاييس وأكثرها استعمالا السنة والشـهر والأسبوع واليوم بأجزائه من ساعات ودقائق•

ولكن كيف اهتدى الانسان الى وضع هذه المقاييس ؟ ومتى وضعها؟ هاتان مسألتان موغلتان فى القدم فى أغوار التاريخ • بل وماقبل التاريخ• ويمكن القاء بعض الضوء عليهما • ان لـم يكن بالحقـائق التاريخيـة فبالتخمين والاستنتاج •

وقـد شعر الانسان من قـديم الزمان الى توقيت عمله من الناحية الزراعيـة • وترتيب عبـاداته من الناحية الدينية • وتنظيم رحلاته فى سبيل الكلأ والمرعى والصـيد من الناحية المعيشية • فاتجه لضبط هذا التوقيت الى احدى ظاهرتين طبيعيتين هما الشمس والقمر •

ومن المعقول أن الانسـان عرف حسـاب اليوم قبل حساب السنة • فشروق الشمس وغروبها • وبالتالى توالى الليـل والنهـار • ظاهرتان طبيعيتان شدتا انتباهه • وألزمتاهأن يجعل الليل سكنا والنهار معاشا •

وكان للمصريين القدماء الفضل فى تقسيم اليوم بجزأيه الليل والنهـار الى ٢٤ سـاعة • وهـو التقسيم المعمول به للآن مـع تفصيل سيأتى ذكره باذن الله •

كذلك من المعقـول ـ وهـو ما يؤيده تاريخ الأمم القديمة ـ أن معـرفة الانسان للحسـاب القمرى أسبق من معرفته للحساب الشمسى• فالأول أسهل استقراء لقصر مـدة دوران القمر حول الأرض • وللتغير الظاهر فىقرص القمر يوما بعد يوم•

فعرف الانسان اليوم • ثمالدورة القمرية • أى الشهر القمـرى • ثم عرف السنة القمرية • ثم عرف السنة الشمسية •

وقد تكلمنا فى مقال سـابق عن الشـهر العربى أو القمـرى • كما تكلمنا فىالكتيب الملحق بعدد المحرم سـنة ١٣٩٦ من مجلة الأزهـر عن

السنة الهجرية أو السنة القمرية . ونكتفى هنا بالكلام عن اليوم بتقسيمه وعن الأسبوع .

**اليوم والساعة :**

واليوم هوأحد أجزاء السنةيتحدد بدورة كاملة منالأرض حولنفسها. وتتم هذه الدورة فى ٢٤ ساعة كما قسمها المصريون القدماء . ويتولد عنها الليل والنهار .

واليوم مدته نسبية فهى بهذاالقدر بالنسبة لكوكب الأرض . حين أن كل كوكب فى مجموعتنا الشمسية له يوم تختلف مدته عن الكواكب الأخرى . أى أن كل كوكب يدور حول نفسه فى مدة تختلف عن غيره.

فعطارد مثلا يومه ٨٨ يوما من الأيام الأرضية . أى يدور حول نفسه فى هذه المدة . ونذكر أنه يتم دورته أيضا حول الشمس فى نفس المدة أى ٨٨ يوما . أى أنيومه هو سنته .

والمشترى . وهو أكبر الكواكب حجما يدور حول نفسه فى ٩ساعات و٥٥دقيقة . وأورانوس . وحجمه ضعف حجم الأرض ٦٧ مرة . يدور حول نفسه فى١٠ ساعات و٤٢دقيقة. ونبيتون وحجمه ضعف حجم الأرض ٥٥مرة يدور حول نفسه فى ١٢ ساعة و٤٢ دقيقة .

وكما أن مدة اليوم نسبية . فكذلك مدة السنة نسبية . فبينما تدور الأرض حول الشمس فى ٣٦٥ يوما و٥ ساعات و٤٨دقيقة و٤٦ ثانية فكل كوكب من مجموعتنا الشمسية يدور حول الشمس فى مدة تختلف عن باقى الكواكب . فقد ذكرنا أن عطارد وهو أقرب الكواكب للشمس يدور حولها فى ٨٨ يوما . ونذكر أن سنة الزهرة التى تليه ٢٢٥ يوما. وسنة المريخ الذى يلى الأرض ٦٨٦ يوما . وسنة المشترى الذى يلى المريخ ١١ سنة و٣٤٩ يوم تقريبا . وسنة زحل الذى يلى المشترى ٣٠ سنة تقريبا وسنة أورانس بعد زحل ٨٤ سنة تقريبا . وسنة نبيتون ١٦٥ سنة تقريبا ثم سنة بلوتون . وهو أبعد الكواكب عن الشمس ولم يكتشف غير سنة ١٩٣٠ . فهى ٢٤٨ سنة تقريبا . كل هذا بمقاييس سنتنا الأرضية .

وهكذا كلما بعد الكوكب عن الشمس كان مداره حولها أطول .

وقد عرف العرب من قديم شيئا عن هذه الدورات للكواكب • ونجد هذا المعنى فى أسماء بعضها • فعطارد ودورته أقصر الدورات اسمه مشتق من العطرد وهو السير السريع • وزحل • وهو آخر الكواكب التى كانت معروفة قبل اكتشاف أورانوس ونبتون وبلوتون ــ وبالتالى دورته أطول الدورات • اسمه مشتق من البعد والتأخر •

وفى هذا وذاك ما يعطينا فكرة عن نسبية الزمن فى الآيتين الكريمتين : ( ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده • وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ) الآية ٤٧ من سورة الحج ، ( تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ) الآية ٤ من سورة المعارج •

ولم يختلف الانسان فى تحديد جملة اليوم بتقسيمه الليل والنهار • فهو دورة كاملة من الأرض حول نفسها فى زمن رتيب محدود مقداره ٢٤ ساعة كما قسمه المصريون القدماء •

وكان المصريون القدماء يقسمون اليوم الى قسمين أحدهما للنهار والآخر لليل • ويقسمون كل قسم منهما الى ١٢ ساعة • ولما كان قسما اليوم ــ النهار والليل ــ يختلفان طولا وقصرا على مداد الفصول • فقد كانت الساعة فى ذلك الوضع اعتبارية أو اصطلاحية تختلف بالتبعية طولا وقصرا . وهى $\frac{1}{12}$ من النهار أو الليل •

وتبع المصريين فى هذا من نقل عنهم من الرومان والأغريق وغيرهم •

وظل الحال كذلك حتى جاء هيباركس فى القرن الثانى قبل الميلاد فأدخل تقسيم اليوم الى ٢٤ ساعة متساوية • وذلك لضبط الحسابات الفلكية (١) •

---

(١) هيباركس ( ١٩٠ ــ ١٢٥ ق.م ) فلكى يونانى عاش فى نيقية بآسيا الصغرى . وذكره القفطى فى ( اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٥٠ ) باسم ابرخس .

وتبعه بطليموس كلوديوس(١) فى القرن الثانى بعد الميلاد الذى أدخل تقسيم الساعة الى ٦٠ دقيقة .

ولكن ظل استعمال الساعات الاصطلاحية أو الاعتبارية التى هى $\frac{١}{١٢}$ من الليل أو النهار سائدا حتى القرن الرابع عشر الميلادى حين اخترعت الساعات الميكانيكية الدقاقة . فمن الواضح أنه من الأسهل أن تسير على فترات زمنية متساوية . فأهملت بالتدريج الساعات الاصطلاحية . وانتشر التقسيم الحالى لليوم على ٢٤ ساعة متساوية .

وكان العرب يعرفون هذا . وسموا الساعة التى هى $\frac{١}{٢٤}$ من اليوم ساعة متساوية أو معتدلة . وسموا الساعة التى هى $\frac{١}{١٢}$ من الليل أو النهار ساعة زمانية أو معوجة . لاختلاف مدتها حسب الفصول . ولم يكونوا يعرفون فى أول دولتهم غير الساعة الزمانية أو المعوجة . ونجد فى بعض كتب التراث من يقول مثلا الساعة الرابعة من الليل أو النهار وهو يعنى هذه الساعات المعوجة .

واختلف القدماء فى مبدأ اليوم .

فقال من يأخذون بالحساب القمرى أنه من غروب الشمس الى غروبها فى اليوم التالى . فيكون الليل قبل النهار . لأن شهرهم مقيد بالهلال الذى تبدأ رؤيته وقت الغروب . وبه بدء الشهر . وبالتالى بدء اليوم من الشهر . وعلى هذا درج العرب .

وقال من يأخذون بالحساب الشمسى أنه من شروق الشمس الى شروقها فى اليوم التالى . فيكون النهار قبل الليل . وعلى هذا درج الروم والفرس نقلا عن المصريين القدماء .

وقال بعض المنجمين ( نعنى من يشتغلون بدراسة النجوم أى علماء الهيئة الفلكيين وليس كما يتبادر

(١) بطليموس كلوديوس ( توفى ١٦١ م ) ولد بمصر وعاش بالاسكندرية وهو مؤلف كتاب المجسطى الشهير فى الفلك وعرفه العرب باسم بطليموس القلوزى للتمييز بينه وبين البطالسة الذين حكموا مصر . وذكره القفطى فى كتابه المذكور ص ٦٧

للـذهن أنهم من يقرأون الطـوالع ويتنبأون بالمستقبل للاعتقاد القـديم بتأثير مواقع النجوم وحركاتها على الأفـراد والأحداث ) أنه يبدأ من منتصف النهار عند الزوال •

واعتبره هيبـاركس من منتصف الليل الى منتصف الليل •

وهذا الرأى الأخير هو ما عليـه العمل الآن وهو ما تقرر فى اجتماع اتحاد الفلكيين سنة ١٩٢٢ • فاليوم يبدأ من منتصف الليل الذى تحددت له السـاعة الرابعـة والعشرون • فالساعة الأولى بعد منتصف الليـل هى الأولى من اليوم وتسمى الأولى صباحا • كما أن الساعة الأولى بعد الظهر هى الساعة الثالثـة عشرة من اليوم • وان كان البعض يسـمونها الأولى مساء • وهكذا • مع مراعاة اختلاف التوقيت فى أنحاء المعمـورة تبعا لاختلاف خطوط الطول •

ويحكى عن الأسـكندر المقدونى أنه سأل بعض الحكماء عن الليـل والنهار • أيهما قبل صاحبه • فأجاب أنهما فى دائرة واحـدة • والدائرة لا يعلم لها أول ولا آخر •

وذكر الجبرتى فى تاريخه المسمى ( العجـائب والآثار فى التراجـم والأخبار ) فى ٥ رجب سنة ١٢١٣ هـ ( = ١٧٩٨/١٢/١٢ ) أن الفرنسيين أثنـاء وجـودهم فى مصر أحدثوا مزمارا يضـربونه كل يـوم وقت الزوال ( الظهر ) لأن ذلك ابتـداء اليوم عندهم •

**مدفع الظهر :**

ومما يسـتحق الذكر أن مدفـع الظهر أقيم بالقلعة كما ورد فى العدد ٥٦١ من الوقائع الرسمية الصـادر فى ٢٤ ربيع الآخر سـنة ١٢٩١ هـ (= ١٨٧٤/٦/٩ م) قالت الوقائع : ( وهـو مدفع ينطلق بنفسـه وقت الزوال • فيعـرف به وقت الظهـر الحقيقى كل يوم بلا اختلاف•وذلك بمعرفة التحرير الفنى عن التحبـير محمود بك ناظر قلم الهندسة الفلكى الشهير ) •

وتقصد الوقائع محمود حمـدى باشا الفلكى • ولم يكن حصل على رتبة الباشوية وقتـذاك • ولعـل الطريقة لانطـلاق المدفع بنفسه هى اسـتعمال عدسـة لتركيز آشـعة الشمس على الفتيل وقت الزوال •

وفيما بعد كان المدفع يطلق بناء على اشارة المرصد . ثم أبطل أخيرا لقصوره عن اسماع المدينة بعد اتساعها الهائل . وأصبح الاعتماد فى اعلان التوقيت على الاذاعة من ساعة جامعة القاهرة . وتضرب المدافع فقط فى رمضان للافطار والسحور والامساك . وفى الأعياد والمناسبات المختلفة . من نواحى متفرقة من المدينة .

وكانت بعض الساعات حتى أوائل القرن الحاضر الميلادى . ذات وجهين . أى لها ميناءان . وجه تسير عقاربه وفقا للحساب العربى كما كان يسمى أى أن ساعة الغروب هى الساعة الثانية عشرة ثم الأولى بعد الغروب ثم الثانية . وهكذا . وتسير عقارب الوجه الآخر طبقا للتوقيت المستعمل الآن ويسمى الحساب الأفرنكى . أى أن الظهر أى منتصف اليوم هو الساعة الثانية عشر . ثم بطل هذا النوع من الساعات . وكانت كلها ساعات جيب لا ساعات يد كالمنتشر استعمالها الآن .

ولا تزال بعض النتائج التى تطبع فى أول السنين الهجرية تثبت فى تحديد أوقات الصلاة التوقيتين العربى ، والأفرنكى .

**الأسبوع :**

أما الأسبوع . كسبعة أيام . فلم يعرف الا فى وقت متأخر نسبيا .

وكان المصريون القدماء يقسمون السنة الى اثنى عشر شهرا . كل شهر ثلاثون يوما . ويضيفون خمسة أيام أو ستة أيام لاتمام أيام السنة . وهو ما نعرفه الآن بأيام النسىء فى التقويم القبطى . ويقسمون الشهر الى ثلاثة أقسام . كل قسم عشرة أيام . واليوم العاشر عطلة أو راحة .

وكانت بعض البلاد تعتبر الأسبوع تبعا لأسواقها . فكان عند بعضها أربعة أيام . وعند بعضها ثمانية أيام . فهو بهذا لم يكن أسبوعا من السبعة . بل مجرد جزء من الشهر . أو فترة من الزمن .

وعندما قامت الجمهورية الفرنسية الأولى اتخذت لها تقويما خاصا بها ابتداء من ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٩٢ م أى الاعتدال الخريفى . واتبعت فيه طريقة المصريين القدماء . فالسنة

اثنا عشر شهرا • وكل شهر ثلاثون يوما • قسموها مثالثة • واعتبروا العاشر من كل قسم عطلة • وسموا الأيام الخمسة أو الستة الزائدة أيام الشعب • واستمر هذا التقـويم ساريا حتى ألغـاه نابليون بونابرت سنة ١٨٠٦ م •

وتقول المراجع الغربية ــ كعادتها فى نسـبة كل أصـل للحضـارة للأغريق • أن الفرنسيين نقلوا هذا التقـويم عن الأغريق • والواقع أن الأغريق نقلوه عن المصريين • فقـد كان الأغريق حتى القرن الرابع قبل الميلاد يتبعون الحساب القمـرى • حين عرف المصريون القدماء الحساب الشمسى حوالى سنة ٥٧٠٠ ق•م•

وقال أبو الريحـان البـيرونى ( الآثار الباقية من القرون الخاليـة ص ٤٨ ) الأسبوع لم تعرفه الفرس وعرفه العرب وخصـوصا فى الشام بسبب ظهـور الأنبيـاء وما ورد فى التوراة عن الأسـبوع الأول وبدء العالم فيه واستعملته العرب العاربة لمجاورتهم للشـام وتعرب اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام (١) •

وما ورد فى التوراة فى الأصحاح الأول من سـفر التكوين لم يذكر الأسـبوع صراحة • ولكنـه ذكر ما ملخصه أن الله خلق النهار والليل فكان صباح يوما واحدا ، ثم خلق السماء فكان صباح يوما ثانيا • ثم خلق الأرض والبحـار وأصـناف المزروعات فكان صـباح يوما ثالثا ثم خلق النجوم فكان صباح يوما رابعا • ثم خلق الزواحف والطيـور فكان صباح يوما خامسا • ثم خلق

---

(١) يقسم المؤرخون العرب الى ثلاث طبقات :

١ ــ العرب البائدة . وقد بادوا ولم يصح من اخبارهم الا ما ورد فى القرآن والحديث مثل قوم عاد وثمود وغيرهم .

٢ ــ ثم العرب العاربة وهم القحطانيون كانوا اصلا بجهة الفرات ، ثم اختاروا اليمن منازل لهم وانتشروا فى الجزيرة العربية .

٣ ــ ثم العرب المستعربة وهم بنو اسماعيل عليه السلام طرأوا على القحطانيين وامتزجوا بهم ويعرفون بالعدنانيين نسـبة الى عدنان اول من اتفقت الروايات على اسمه فى نسل اسماعيل . وقول البيرونى عن تعريب اسماعيل ، أنه عنـدما قدم مكة كانت لغتـه الأصلية العبرية ، ثم تعرب او استعرب وتكلم العربية .

البهائم والوحوش وبعدها الانسان على صورة الله فكان صباح يوما سادسا . ثم استراح فى اليوم السابع ( وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا ) .

ونبادر فنقول أن الله سبحانه وتعالى قال فى قرآنه الكريم ( ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ) . كما أن الله أعلم بمقدار هذه الستة أيام . وقد أشرنا الى نسبية اليوم فى مقاييس الزمن .

وقد يكون ما ورد فى التوراة عن السبعة أيام دليلا على أن الأسبوع كان معروفا قبل نزولها .

فقد ذكرت دائرة المعارف البريطانية ( مادة Calendar ) أن الأسبوع كان يبدأ عند المصريين القدماء يوم السبت . وأن اليهود عند هروبهم من مصر جعلوا السبت آخر الأسبوع كراهة فى المصريين .

وفى هذا القول تناقض مع ما سبق ذكره عن تقسيم الشهر عند المصريين القدماء الى ثلاثة أقسام . مع ملاحظة أنه عند خروج اليهود من مصر لم تكن التوراة قد أنزلت على موسى عليه السلام .

وذكرت دائرة معارف شامبر أنه فى سنة ٣٢١ م . أدخل الأمبراطور قسطنطين الأول (١) نظام الأسبوع كسبعة أيام على التقويم الرومانى فانتشر فى العالم المسيحى . أما دائرة المعارف البريطانية فقد نسبت هذا الى الامبراطور تيودوسيوس ( ٣٧٩ — ٣٩٥ م ) .

وعلى أى الرأيين فأوربا لم تعرف نظام الأسبوع الا فى القرن الرابع الميلادى . وأنها نقلته عن الشرق .

ويرجع البعض الأسبوع كسبعة أيام الى علم الفلك القديم ففيه الكواكب سبعة تدور حول الأرض . وهذه الكواكب هى الشمس والقمر والمريخ وعطارد والمشترى والزهرة وزحل .

(١) قسطنطين الأول ( ٣٠٦ — ٣٣٧ م ) هو الذى نقل عاصمة الامبراطورية الرومانية من روما الى بيزنطة . فعرفت باسم القسطنطينية نسبة اليه . وظلت بهذا الاسم حتى فتحها السلطان العثمانى محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ م . فسميت استانبول .

وقد ورد فى الرسالة الأولى من رسائل اخوان الصفا أن أول ساعة من يوم الأحد للشمس • ومن الاثنين للقمر • ومن الثلاثاء للمريخ • ومن الأربعاء لعطارد • ومن الخميس للمشترى • ومن الجمعة للزهرة • ومن السبت لزحل •

ونجد هذه المعانى فى الأسماء الافرنكية الدالة على أيام الأسبوع على الترتيب السابق ذكره للكواكب المذكورة • وكما سنوضح فيما بعد باذن الله تعالى •

وكان المصريون القدماء يرتبون الكواكب بأبعدها عن الشمس • وهو زحل • ثم المشترى • ثم المريخ • ثم الشمس • ثم الزهرة • ثم عطارد • ثم القمر أقربها للأرض •

فلو وضعنا الأرض مكان الشمس واستبعدنا القمر • لكان الترتيب : زحل ــ المشترى ــ المريخ ــ الأرض ــ الزهرة ــ عطارد • وهو الترتيب الطبيعى لهذه الكواكب • وهو أصح من ترتيب أيام الأسبوع وفقا لها حسبما كان فى الشرق ونقلته أوربا عنه •

واذا رجعنا الى أيام الأسبوع فى اللغتين الانجليزية والفرنسية فسنجد العلاقة بين هذه الأسماء وأسماء الكواكب على الترتيب الذى ورد فى رسائل اخوان الصفا •

| | |
|---|---|
| فالأحد بالانجليزية | Sunday |
| أى يوم الشمس | Sun |
| والاثنين بالانجليزية | Monday |
| أى يوم القمر | Moon |
| والثلاثاء بالفرنسية | Mardi |
| أى يوم المريخ | Mars |
| والأربعاء بالفرنسية | Mercredi |
| أى يوم عطارد | Mercure |
| والخميس بالفرنسية | Jeudi |
| أى يوم المشترى | Jupiter |
| والجمعة بالفرنسية | Vendredi |
| أى يوم الزهرة | Venus |
| والسبت بالانجليزية | Saturday |
| أى يوم زحل • | Saturne |

ونود أن نذكر أن الانجليز عندما نقلوا أسماء أيام الأسبوع حولوا بعضها الى أسماء بعض آلهتهم فمثلا الأربعاء نسبة الى الاله النيوتونى

وودن فأصبح Wednesday والخميس نسبة الى آله الرعد ثور فأصبح Thursday والجمعة نسبة الى الألهة فريا فأصبح Friday وهى تقابل فينوس عند الاغريق •

وعرف العرب أيام الأسبوع بأرقامها • فالأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ثم الجمعة قالوا أنه اليوم الذى جمع فيه خلق العالم وكمل • وأن فى آخره خلق آدم عليه السلام • وأما السبت فله فى اللغة عديد المعانى • منها القطع • والراحة والدهر • وحلق الرأس • وارسال الشعر فى العقص • والفرس الجواد • والغلام الجرىء • وضرب العنق • وغيرها من المعانى •

وأقرب ما يناسب وصفه بالنسبة لأيام الاسبوع فى هذه المعانى معنى القطع • أو معنى الراحة • ونكرر ما ذكرناه أن الراحة ليست كما يقول اليهود أن الله ارتاح فيه بعد خلق العالم • ولكن هى الراحة للناس والعطلة من الأعمال •

ومع هذا فيوم الراحة عند الشعوب العربية هو الجمعة • وأول الأسبوع السبت • ولا يزال التعبير يجرى على الألسنة أن الجمعة سبعة أيام • بمعنى أن الجمعة هى الأسبوع • أو نهاية الأسبوع • وهناك آراء مختلفة حول السبت أو الأحد أيهما أول الأسبوع ( صبح الأعشى للقلقشندى جـ ٢ ص ٣٥٠ ) •

وقال المؤرخون العرب أن العرب العاربة كانوا يستعملون لأيام الأسبوع أسماء أخرى غير هذه الأسماء • واختلفت الروايات فى تلك الأسماء • وأرجح هذه الروايات ما جمع فى بيتين من الشعر منسوبين للنابغة الذبيانى :

أؤمل أن أعيش وأن يومى
لأول أو لأهون أو جبار

أو التالى دبار فأن أفته
فمؤنس أو عروبة أو شيار

فأول هو الأحد • وأهون هو الاثنين • وهكذا بالترتيب الوارد فى البيتين •

وحاولوا تفسير هذه الأسماء • فقالوا أن الأحد ( أول ) أول الأعداد • وأهون من الهوينى •

وجبار أى الثلاثاء لأنه جبر به العدد ودبار لأنه دبر أى جاء بعد ما جبر به العدد • ثم مؤنس للخميس لبركة هذا اليوم • وعروبة ليوم الجمعة أى اليوم البين من أعرب بمعنى بان لأنه يوم بين العظمة • وشيار ليوم السبت من شار بمعنى ظهر على أنه أول الأسبوع •

وهى تفسيرات مفتعلة • فكيف يكون شيار أول الأسبوع وهو وارد فى آخر البيتين حين أنه ذكر فى أولهما ( أول ) بلفظه ومعناه ؟

ولا أصل من الشريعة ولا نص من الكتاب أو السنة للتفاؤل أو التشاؤم ببعض أيام الأسبوع •وقد نسبوا للأمام جعفر الصادق توزيع الأعمال على أيام الأسبوع وعللوا هذا التوزيع • ونستبعد هذا عن الأمام جعفر الصادق • فقيل ان السبت يوم مكر وخديعة لأن قريشا مكرت يوم السبت فى دار الندوة • وأن الأحد يوم غرس وعمارة لأن الله سبحانه وتعالى بدأ الخلق يوم الأحد • وأن الاثنين يوم سفر وتجارة لأن شعيبا عليه السلام سافر للتجارة يوم الاثنين • وأن الثلاثاء يوم اراقة دم وحرب ومكافحة لأن حواء حاضت يوم الثلاثاء وفيه قتل قابيل هابيل • وأن الأربعاء يوم أخذ وعطاء ويقال يوم نحس مستمر لأن فرعون غرق وقومه يوم الأربعاء وفيه أهلكت عاد وثمود • وأن الخميس يوم دخول على الأمراء وطلب الحاجات لأن ابراهيم عليه السلام دخل فيه على النمرود • والجمعة يوم خلوة ونكاح لأن الأنبياء كانت تخطب وتنكح يوم الجمعة • وهذه تعليلات ظاهرة التفاهة وأساطير لا سند لها من حقائق التاريخ •

**محمد كمال السيد محمد المحامى**

مع أدب القرآن :

# ذلك الكتاب

للدكتور إبراهيم على أبو الخشب

— ٢ —

يطالعنا فى أول سورة البقرة من ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تلك الاشارة الضخمة « ذلك الكتاب لا ريب فيه » وكأنما هى من قبل الملأ الأعلى بمثابة التحدى لهذا الكون كله أرضه وسمائه ، وناغمه ، وباغمه ، وآنسه وجنه ، ومائه وهوائه ، وأوله وآخره ، فليس هنالك من الكتب ما يدانيه أو يساويه ، ويقف الى جانبه ، أو يغنى غناءه ، أو يؤدى رسالته ، ويتضمن ما تضمنه ، وهو الذى يتحدث الى الهواجس ، ويناجى الضمائر ، ويخاطب النوايا ، ويصارح الأفئدة ، ويشافه البصائر ، ويلامس شغاف القلب ، وخواطر العقل ، وهواتف الفكر ، بمثل ما يتحدث هو به من الموسيقى الحلوة ، والألفاظ العذبة ، والمعانى اللطيفة ، والآداب القويمة ، والتهذيب السديد ، والارشاد الحكيم ، والتوجيه الصحيح ، وقد كانت هنالك كتب تقدمته ، وهدايات سبقته ، فما اهتزت لها الدنيا ، ولا التفتت لها الألباب ولا تحركت لها الأفئدة ، ولا اشتغل بها الناس ، ولا قامت لها البسيطة وقعدت ، أو أخذت من تأملها له واتباهها اليه ، وعنايتها به ، وصراعها معه ، مثل الذى حظى به هذا الكتاب من الاهتمام من الذين ظلوا حربا معه ، وعدوانا عليه ، وعداوة له ، ومحاولة للنيل منه ، والغض من شأنه فى بعض الأحايين ، أو الاعجاب به ، والاكبار له ، فى البعض الآخر ... والعرب باعتبار كونهم كانوا أمة بيان ولسن ، وفصاحة وبلاغة ، زعموا — فى أول الأمر — أنه لا يتطاول الى منطقتهم ، ولا يسمو الى بيانهم ولا يدنو من فصاحتهم ، وحاولوا أن يعارضوه

فلما لم يستطيعوا تقولوا فيه الأقاويل ، ونسبوا اليه الأباطيل ، واتهموه بالسحر والشعر ، وقالوا « أساطير الأولين اكتتبها » الا أنهم كانوا على يقين من أن هذه الأقوال تشبه حركة المذبوح الذى فقد القوة ؛ وضل عنه الصواب ، وغاب عنه الوعى ولاادراك ، فان كل واحدة من تلك التى ذكروها لا يمت له بنسب ، ولا يتصل به بسبب ، وأن فشلهم فى المعارضة ، وعجزهم عن التصدى له ، والوقوف فى وجهه ، وصرف الناس عنه ، هو الذى جعلهم يتخبطون فى القول ، ويتكشفون فى الخصومة ، ويلتجئون الى هذا الهراء ، وهم يعلمون أن الهزيمة تلاحقهم ، والعجز يلازمهم ، والخزى يعلو وجوههم ، وقد صح أن جماعة من ذوى الرأى فيهم قد تعاهدوا على أن يصموا آذانهم عنه ، ويغلقوا قلوبهم دونه ، فلا يصيخوا اليه ، ولا يشتغلوا به ، ولا يحضروا مجلسا تتلى فيه آياته ، الا أن سحره الذى لا يستطيعون رده ، وسلطانه الذى لا يملكون صده ، كان أقوى من ارادتهم الواهنة ، ورغبتهم الآفنة ، ولهذا كانوا يخيسون بالعهد، وينقضون الاتفاق ، ويذهب الواحد منهم خلسة من اخوانه الذين تعاهدوا معه ليحضر مجلسه ، ويصغى اليه ، ويعجب به ، فاذا التقى به واحد منهم وعاتبه على أنه لم يلتزم بالميثاق ، أو يصدق فيما وعد به ، تعلل بأنه انما كان يقصد بذلك أن يتجسس على المتمردين ، ويقف على أحوال الخارجين ، وهكذا كان أبو بكر رضى الله عنه فى قراءته للقرآن أمام بيته ، يتهافت الناس عليه ، وتترامى الجماهير حوله ، وتصبو القلوب له ، وترتبط الأفئدة به ، حتى لقد خاف المشركون من أهل مكة على أبنائهم ونسائهم أن يميلوا اليه ، أو يؤمنوا به ، فرغبوا اليه أن يترك مكة ، او أن يسكت عن هذا الذى يعلنه فيها ، ويفتن به أهلها ، وحينئذ رده ابن الدغنة عن الهجرة وقال له مثلك لا يخرج ولا يخرجه أحد ... ومضى على ذلك كله وقت من الزمن لا يشك أحد من أرباب البيان واللسان من دهاقين البلاغة والفصاحة فى أن الأسلوب الذى أخذ به هذا الكتاب وهو يعالج المشاكل ، ويتحدث به عن القضايا ، ويخاطب به الضمائر ويناجى به الأفئدة ، لا يمكن أن

يكون فى مقدور الناس ، أو طوق البشر ، وظلوا على ذلك كله وقتا طويلا لا يختلفون فى تأثيره البالغ ، وروعته الخلابة ، وبيانه الساحر ، وسلطانه القاهر ، وفصاحته النادرة ، وأدبه الجم ، وغزوه للعقول والأفكار ، وأن الدرجة القصوى التى احتلها فى عالم البيان هى درجة الاعجاز من غير خلاف فى الرأى ، أو مماراة فى الحق ، أو جدال فى الصواب ، والذين لا يذعنون بذلك مكابرون بالباطل ، وما كانوا يعللون هذا الاعجاز ، أو يحددون ناحية الروعة ، أو جهة التأثير والسحر ، فلما أخذوا فى دراسة الأشياء ، وفهم الحقائق ، وتقصى الأسباب ، والبحث عن العلل ، جعلوا هذه القضية « مشكلة الساعة » فجماعة ترى أن ذلك الافحام الذى أصاب العرب جاء من ناحية صرف القلوب عن معارضته ، وتعويلها عن مناوأته ، وشغلها عن النيل منه ، لأن الله سبحانه وتعالى لما أراد صونه ، وقضى بحفظه ، وقدر سلامته من طيش الحمقى ، وعدوان الجهلة ، كف عنه قواهم الضالة ، وارادتهم المسرفة ، وعقلهم المتخبط ، ورأيهم الأهوج ، لكن أسلم هذه الأقوال ، وأدناها من الصواب ، أن التحدى كان فيما يحسنون من الصناعات ، وما يمارسون من الأعمال ، أو يباشرون من الأساليب ، والبيان حينئذ كان هو رأس المال الذى يعيشون به ، والميدان الذى يتسابقون فيه ، يجعلون له الأسواق ويفزعون فيه الى المحكمين ، والسابق المجلى منهم هو الذى يملك ناصيته ، أو يقتعد ذروته ، وقد جرت العادة مع الرسل الذين تقدموا محمدا صلى الله عليه وسلم أن تكون معجزاتهم من مثل ما كان يتقن قومهم من الصناعات ، أو يحسنون من الأعمال .. ولذلك فقد ركز كثير من علماء المسلمين على هذه الناحية يشبعونها دراسة وبحثا ، وكان أبرزهم عبد القاهر الجرجانى الذى اخترع نظرية النظم ودار عليها كتابه « دلائل الاعجاز » وعرفها بأنها توخى معانى النحو ، وانتهى منها الى أن الناس يتفاوتون دقة وادراكا وحسن اصابة للصواب فى هذا التوخى لذلك فان منازلهم تختلف قربا أو بعدا من الغاية التى يبلغها الكلام من اتقان ذلك التوخى

ووضع الألفاظ مواضعها التى تليق بها من ترتيب المعنى فى النفس ، ولا يصيب الهدف ، وينال الغرض ، ويجعل الكلام مطابقا لمقتضى الحال مطابقة يحصل بها الاعجاز الا الذى انفرد بأنه اللطيف الخبير وهو الله سبحانه وتعالى ، ولهذا كله صح له أن يقول « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذاالقرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .. وهنالك طائفة أخرى تناولته من ناحية التشريع للأحكام،وحديثه عن قوانين السلوك والأخلاق ، وهى الأمور التى تتوقف عليها سياسة الشعوب والأمم ، والأفراد والجماعات ، لتعيش فى ظلال الأمان والاطمئنان ، والسلامة والاستقرار ، والاخاء والمساواة ، والعدالة والحق ، والحب والانصاف وقد جربوا ذلك كله فيما يضعه الناس من النظم ، ويتفقون عليه من القوانين ، وتبين أنها كانت عاجزة عن الانصاف ، بعيدة عن الحق ، مجافية للصواب ، مجانبة للعدل ، لم تحقق للبشرية السلامة والأمن والسعادة والاستقرار ، والحرية والمساواة ، والانصاف والعدل ، والهداية والاصلاح ، والسداد والرشد ، والسعادة والخير ، وانما الذى ضمن لهم ذلك كله ، وحققه على أوسع نطاق ، ذلك الدستور الالهى ، والقانون السماوى ، الذى تنتهى اليه هذه الاشارة « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين» .

**د. ابراهيم على ابوالخشب**

---

وصية :

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا بعث امراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله ثم قال لهم : بسم الله ، وعلى عون الله ، وامضوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر ، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا ؟ ان الله لا يحب المعتدين .. لا تجبنوا عند اللقاء ، ولاتمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرما ، ولا امراة ولا وليدا ، نزهوا الجهاد عن غرض الدنيا ذلك هو الفوز العظيم .

# بحث حد الردة في الإسلام

للأستاذ المستشار جميل بسيوني

**تعريف :**

الـردة هى الرجـــوع عن دين الاســلام ٠

**١ ــ المرتد :**

المسلم الراجع عن الاسلام سواء دخل فى غيره أم لا ٠٠ ذلك :

( أ ) بقول صريح أو بفعل ٠

(ب) أو بانكار ما علم من الدين بالضرورة ــ ذلك أن المراد **بالدين :**

دين الاســلام الذى جاء به نبينا ــ محمــد صلى الله عليه وسلم ــ قال تعالى : ( ان الدين عنـد اللـه الاسلام ) ٠ : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهــو فى الآخـرة من الخاسرين ) وبذلك يخرج الذمى ومن فى حكمه ، فلا يعتبـر مرتدا اذا أتى من الكفر بما لا يقر عليه كسب الانبياء والرسل والجمهور على رأى قتله ان لم يسلم، وأبو حنيفه والثورى على قول عدم القتل لأن ما هو عليـه من الشرك أعظـم ، ولكن يؤدب ــ كذلك فان تهـود النصرانى أو تنصر اليهودى يخرج عن مدلول الردة ومفهومها٠

(جـ) أو الهزء قولا أو فعلا بنبى أو رسـول أو ملـك أو الكتاب الكريم ٠

٢ ــ ويعتبر مرتدا من اعتقد أو تكلم أو عمـل بمـا يخالف الدين الاســلامى فى عقــائده وأصــوله وتشريعاته مع علمه بها وعـدم جهله اياها مستحلا لها ٠

* فالشرك بالله ردة .

* وجحد ربوبيته ووحدانيته وصفاته وعدم التصديق والايمان بكتبه ورسله وملائكته وكذلك الهزء بأى من ذلك كله ردة .

قال تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » .

قال تعالى : ( ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ، قل : أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ) .

وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فان قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها » وجحد باقى أركان الاسلام وهى : الصلاة والزكاة والصوم والحج أو شىء منها ردة .

* روى الامام البخارى — رضى الله عنه — عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : لما توفى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — وكفر من كفر من العرب بسبب عدم اخراجهم الزكاة وامتناعهم عن تأديتها — قال عمر رضى الله عنه : « كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله » فقال أبو بكر : والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة.. فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لقاتلتهم على منعها « قال عمر رضى الله عنه : فوالله ما هو الا أن شرح الله صدر أبى بكر — رضى الله عنه — فعرفت أنه الحق » .

* ومن هذا الحديث الشريف نعلم ان مانع الزكاة بهذا الوضع وعلى هذه الصورة كافر ، وأنه يحارب حتى يؤديها والا قتل .

* ولقد حارب أبو بكر مانعى الزكاة لأنه رأى أن الامتناع عن الزكاة ارتداد عن الاسلام — ورأى معه الصحابة ذلك .

* وكذلك تحليل : الزنا ، أو الخمر ، أو الربا ، وكل ما هو مجمع على تحريمه كفر وردة .

✽ ويخرج بذلك من أتى فعلا محرما أو تهاون فى أداء ركن مع اعتقاده بالحرمة أو الوجوب اذ أنه يكون فاسقا عاصيا .

✽ كما أن من يصدر عنه قول أو فعل أو انكار أمر مختلف عليه فلا يكفر طالما أن هناك احتمال أو مسوغ للتأول .

والخلاصة : « اذا كان فى المسألة وجوه توجب الكفر وواحد يمنعه فعلى المفتى الميل لما يمنعه ولو كان ذلك رواية لغير مذهبنا كما قال الخير الرملى » .

**شروط المرتد :**

١ ـ يشترط فى المرتد : أن يكون عاقلا بالغا ـ مختارا : أى طواعية ـ غير مكره ... لقوله تعالى : «الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان» ولقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « رفع القلم عن ثلاث : عن الصبى حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق » .

✽ فالمجنون : ان ارتد حال جنونه ، فانه مسلم على ما كان عليه قبل ذلك .

✽ والصبى العاقل المميز : يصح اسلامه ولا تصح ردته ـ الامام أحمد والظاهر من مذهب الامام مالك ـ « المغنى والشرح الكبير جـ ١٠ ص ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ » .

وقد اتفق على أنه لا يقتل ، لأن التكليف لا يتعلق الا بالبلوغ فاذا بلغ وثبت حكم الردة حينئذ فيستتاب ثلاثا والا قتل .

✽ وأما السكران : اذا ارتد حال سكره فلا تعتبر ردته على الأصح لأنه زائل العقل كالنائم .

والمكره : ظاهر النص قاطع الدلالة فى شأنه وهو ما ورد بشأن عمار ابن ياسر ـ رضى الله عنه ـ .

٢ ـ كما يشترط فى المرتد أن يكون عالما بحكم عمله ، وامتنع عن الرجوع الى الاسلام .

✽ ويخرج بذلك من يجهل أحكام الدين كالذى أسلم حديثا أو كالذى تخفى عليه غالبا وجوه الأمور . « الدر المختار وابن عابدين ـ الأحناف » .. المجموع شرح المهذب « الشافعية » المغنى لابن قدامة « الحنابلة » .

## الاستتابة

* يرى الجمهور ومنهم عمر وعلى والنخعى ومالك والثورى والأوزاعى واسحاق وعطاء وأبو حنيفة وأصحابه وأحمد وهو أحد قولى الشافعى : وجوب استتابة المرتد •

**دليله : ما رواه مالك فى موطئه :**

* الحديث : « روى مالك فى الموطأ عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القادر عن أبيه أنه قال : « قدم على عمر بن الخطاب رجل من قبل أبى موسى الأشعرى فسأله عن الناس فأخبره ثم قال عمر : هل كان فيكم من مغربة خبر ؟ فقال نعم • رجل كفر بعد اسلامه • قال فما فعلتم به ؟ : قربناه فضربنا عنقه فقال عمر أفلا حبستموه ثلاثا وأطعمتموه كل يوم رغيفا واستتبتموه لعله يتوب ويراجع أمر الله • ثم قال عمر : « اللهم انى لم أحضر ولم آمر ولم أرض اذ بلغنى » •

* ويرى أبو حنيفة أن الاستتابة مستحبة لا واجبة لأن الدعوة قد بلغت المرتد فانتفى بذلك الوجوب ، انما يعرض عليه الاسلام استحبابا •

* ورد فى الدارقطنى ان أمرأة يقال لها أم رومان ارتدت عن الاسلام ، فبلغ أمرها الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فأمر : «أن تستتاب فان تابت والا قتلت» •

* والأعدل أنه ما دام يمكن استصلاح المرتد فلا يجوز اتلافه قبل ذلك ، ويرى الحسن البصرى والشافعى فى قول ، وأحمد فى رواية أخرى ، وعبيد بن عمير ، وطاووس بقتل المرتد أبدا استدلالا بقوله — صلى الله عليه سلم : « من بدل دينه فاقتلوه » • ولأنه صلى الله عليه وسلم أهدر يوم فتح مكة دم المرتدين عن الاسلام : كعبد الله بن سعد بن أبى وغيرهم دون استتابة •

* والزنديق كالمرتد لا يقتل حتى يستتاب « أبو حنيفة والشافعى واحدى روايتى أحمد ، ويروى هذا المذهب عن على وابن مسعود — رضى الله عنهما — ومالك والليث

واسحاق » يذهبون الى عدم لزوم ذلك •

* ويستتاب أيضا من تكررت ردته — وتقبل توبته اذا استوفيت أركانها — •

* قال تعالى : ( قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ، وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين ) •

* وقال تعالى : ( ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ) •

* وقيل : من تكررت ردته لا تقبل توبته •

* قال تعالى : ( ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا ، لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ) •

* ولعل قبول التوبة من الظاهر من أحكام الدنيا — أى من تلك مثلهم وثبوت أحكام الاسلام فى حقهم ومعاملتهم •

**مدة الاستتابة :**

* قال على بن أبى طالب — رضى الله عنه — يستتاب المرتد شهرا ، وفى رواية شهرين •

* وذهب عمر الى أن المدة ثلاثة أيام وبه قال مالك واسحاق وأحمد وأحد قولى الشافعى •

* ويرى أبوحنيفة أن تعديد المدة متروك لاجتهاد الامام ، فان طمع فى توبة المرتد أو طلب هو التأجيل أجله ثلاثة أيام ، وان لم يطمع فى توبته ولم يطلب التأجيل قتله لساعته •

* ويرى الشافعى : الاستتابة فى الحال والا قتل • « ونرى الأخذ برأى أبى حنيفة » •

**توبة المرتد :**

* تتحقق توبة المرتد بالعدول عما كفر به ، والتوبة تختلف باختلاف موجبها ، من قول أو فعل ، أو اعتقاد فمن أنكر ما علم من الدين بالضرورة ، يكون رجوعه الى الاسلام بالاقرار بما أنكر ولا يكفيه اعلان الشهادة •

* قال ابن قدامة : من كفر بغير الشهادتين فلا يحصل اسلامه الا بالاقرار بما جحده فمن أقر برسالة

محمد صلى الله عليه وسلم وأنكر كونه مبعوثا الى العالمين فلا تقبل توبته حتى يشهد أن محمدا رسول الله الى الخلق أجمعين ، وان ارتد بجحود فرض فلا تقبل توبته واسلامه حتى يقر بما جحده ويعيد الشهادتين لأنه كذب على الله ورسوله بما اعتقده وان جحد نبيا أو آية من الذكر الحكيم أو ملكا ثبت قطعيا أنه من ملائكة الله ، فلابد من الاقرار بما جحده وتقبل توبة المرتد بعدوله عما كفر به ولو كان ساحرا أتى من السحر ما يعتبر كفرا أو زنديقا وهو من يظهر الاسلام ويسر الكفر أو سابا لنبى أو ملك مجمعا عليه ، أو عرض به أو لعنه أو عابه أو قذفه أو استخف به فقد كف — صلى الله عليه وسلم — عن قتال المنافقين لما أظهروا الاسلام وأبطنو االكفر .

## اثبات جريمة الردة

* تثبت جريمة الردة المعاقب عليها بالاعدام حدا — فتثبت بالاقرار مرة واحدة أمام السلطة أو بشهادة رجلين عدلين اذا فصلا فى شهادتيهما بما يوجب كفره .

* ذلك أن الاقرار حجة قاصرة على المقر — ويجب أن يكون الاقرار مبينا مفصلا قاطعا فى ارتكاب المقر لجريمة الردة لما يترتب عليه من سفك دم وقطع عصمة وحجر مال .

* وشهادة عدلين من الرجال تقبل دليلا — مالك والشافعى والأوزاعى .

## عقوبة المرتد القتل

* عقوبة المرتد القتل : ودليل ذلك ما يأتى :

* قوله — صلى الله عليه وسلم — : « من بدل دينه فاقتلوه » البخارى فى صحيحه .

* البخارى ومسلم فى صحيحيهما : « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

* وفى رواية أحمد : قضى الله ورسوله أن من رجع عن دينه فاقتلوه

* واجماع أهل العلم على قتله : كأبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاذ ، وعلى ، وأبى موسى .

* المالكية : القاضى عياض ، الشفاء ـ المجمع « الشافعية » ـ ابن تيمية من الحنابلة .

* والقتل سواء كان المرتد ذكرا أم أنثى ، لعموم الأحاديث ،ولأن الاسلام سوى بينهما فى كثير من الحدود كالزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، والقذف وغيرها ـ «مشروع معتوق ـ أخذ بنفيها دون قتلها » .

* حديث معاذ : قال له ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أيما رجل ارتد عن الاسلام فادعه .. فان عاد والا فاضرب عنقه .. وايما امرأة ارتدت عن الاسلام فادعها .. فان عادت والا فاضرب عنقها » .

* ويعذر من تكررت ردته وتوبته ، ـ مالك والشافعى : عند الجمهور ـ وقال أبواسحاق يقتل ـ وهى رواية لأحمد وبعض الحنفية .

* كذلك فان تصرفاته حال ردته باطلة ـ رجع الى الاسلام أم لم يرجع ـ قول الشافعى .

* أبو يوسف ومحمد قالا : بنفاذ تصرفاته .

* تعود اليه أمواله بلا خلاف اذا رجع الى الاسلام ..

* واذا قتل أو مات على ردته :

يرى مالك والشافعى وأحمد أن يكون ماله فيئا لبيت المال .

* ويرى أبو حنيفة ـ ان ما اكتسبه حال اسلامه يؤول الى ورثته من المسلمين .. أما المكتسب حال الردة فيكون فيئا .

ـ ونرى الأخذ برأى الحنفية فى هذا الخصوص .

**جميل مصطفى بسيونى**

# الأزهر والمشكلات الإسلامية الراهنة

للأستاذ يحيى هاشم

**دفاع عن الأزهر**

* على مجلة الاعتصام أن تلتزم الدعوة بالتى هى أحسن ...

* مجمع البحوث الاسلامية حصن منيع للفكر الاسلامى .

* الخلاف حول مشروع قانون الأحوال الشخصية مرجعه الى العلماء .

* يجب الاقتصاد فى مناقشة موضوع حكم الغناء فى الاسلام ..

* الخلاف بين الدعاة الاسلاميين لا يستفيد منه غير الملحدين والشيوعيين ...

* * *

وجهت مجلة الاعتصام فى عددها الأخير ، الى الأزهر بعامة ، ومجمع البحوث بخاصة ، نقدا حادا ، تجاوزت فيه حد المألوف ..

ماذا حدث ؟

ان الخطايا الكبرى التى ارتكبها الأزهر فى نظر مجلة الاعتصام فى الفترة الأخيرة هى باختصار كما وردت فى ثلاث مقالات جاءت بالمجلة تتمثل فى :

١ ـ عدم مبادرة الأزهر الى انقاذ المسلمين الذين يتعرضون للاضطهاد فى دينهم سواء كان ذلك فى البلاد التى يمثلون فيها أقلية ، أو فى البلاد التى يمثلون فيها أغلبية .

٢ ـ مشروع قانون الأحوال الشخصية الذى أقره مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر أخيرا .

٣ ـ احجام الامام الأكبر شيخ الأزهر عن الادلاء برأى فى المعركة المصطنعة التى تدور حول حكم غناء المرأة فى الاسلام .

واذا كنا لم نجد حرفا واحدا فى مجلة الاعتصام يناقش مسألة من هذه المسائل بأسلوب علمى يسبر أغوار الموضوع ، ويشرح أبعاده ، ويستنتج النتائج ، ويسوق الأدلة.. فقد وجدنا على العكس من ذلك . عبارات وعناوين ، وأساليب خالية تماما من أى اضافة علمية أو مناقشة موضوعية .

لقد نادت المجلة بحل مجمع البحوث الاسلامية فورا .

* فلمصلحة من يصدر هذا النداء .

* لاشك أن لمجمع البحوث الاسلامية الذى مارس نشاطه فى رحاب الأزهر منذ فترة قصيرة ، لا تتعدى خمسة عشر عاما : أقول : لا شك أن له سلبياته وله ايجابياته.

* أما عن سلبياته — وسنتحدث عنها — فهى لا تكاد تذكر اذا وضعنا فى الاعتبار الامكانات الضئيلة التى وضعها المجتمع الاسلامى المعاصر تحت يده ...

* وأما ايجابياته — فهى تدعونا الى — اجلاله والفخر به ، والعض عليه بالنواجز ، واعتباره الموئل الأعلى للحركة الاسلامية وتدعونا الى الاسراع فى توفير الامكانات التى يحتاج اليها ليواصل خطواته فى خدمة الاسلام والمسلمين .

* لقد وقف مجمع البحوث الاسلامية مواقف بطولية سيذكرها له التاريخ بالفخر والاعتزاز .

**الموقف الأول :**

**موقفه من الاشتراكية المستوردة**

بدأ المجمع نشاطه فى وقت بلغ فيه طغيان مراكز القوى أقصاه ، وألجمت فيه الأفواه ، وصارت جميع المستويات ألعوبة فى يد الطغيان ، تأتمر بأمره ، وتنتهى بنهيه ، لم يسلم من ذلك الأفراد ، ولم تسلم من ذلك المؤسسات .

بدأ المجمع نشاطه فى هذا الوقت، الذى التحمت فيه مراكز القوى مع الحركة الشيوعية العالمية ، وتحالف الطرفان على قتل الحركة الاسلامية فى مستوياتها المختلفة .

وطلب من المجمع فى مؤتمره الثالث أن يصدر توصية بتزكية « الاشتراكية العربية » ..

من الذى كان فى هــذا الوقت يقدر على الأحجام عن ذلك ؟

لم يكن أحد بمفرده ليقــدر على رفض هــذه التوصــية ، والا كان يجرى تصفيته لسبب مفتعل،ويوضع آخــر فى موضعه .. يقبل هــذه التوصية تحت أى مبرر ، وبخاصة انهــا جــاءت بوصف محبب ، كان المطلوب هــو تزكيــة الاشتراكية العربية .. لا الاشتراكية مطلقا ..

لكن الذى حدث هو أن المجمع أقدم على رفض هذه التوصية بكل شجاعة وفدائية ، وقاد ذلك شــيخ الأزهر آنذاك الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون ، بمــؤازرة وتخطيط من وكيــل الأزهر فى ذلك الوقت الدكتور محمد عبدالله ماضى والأمين العــام لمجمع البحوث الاســلامية المرحوم الدكتور محمود حب الله . مهما يكن الرأى فى هذا الموقف :

فان أى قدر من الانصاف يجعلنا نشعر بالفخر لمــا فيه من شجاعة ، فى وقت كان فيه الطغيان والارهاب والتعذيب أداة الحكم ، وكانت كلمة الاشــتراكية بمفهومها المســتورد ـ بله الاشتراكية العربية ـ مقدسة، تتردد على كل لسان ولا يجرؤ على رفضها انسان ...

**الموقف الثانى :**

**موقفه من الربا ...**

لقــد حســم المجمــع الرأى فى موضــوع الربا بما لا يترك مجالا لمستزيد بالرغم مما يقــوله البعض الآن فى مناسبات اعلامية متكررة من أن المجمع لم يبت بعد فى الموضوع ، يريدون بذلك تشويه موقف المجمع ، ونزع صلاحيته القيادية كما يريدون بذلك ـ أيضا ـ تجاهل مقرراته فى هذا الموضوع واهالة تراب النسيان عليها .

لقــد حســم المجمــع الرأى فى موضوع الربا فى نقطتين كانتا مثارا للمناقشــة والبلبلة ومنفذا احتياطيا يريد الراغبون فى الأخذ بنظام الربا فى المجتمع الاسلامى أن ينفذوا منه.

**النقطة الاولى :**

هل الــربا المحــرم هــو الــربا الاستهلاكى فقط ؟ وبناء عليه تجوز الفائدة فى القروض الاســتثمارية ،

وتنطلق من ثم أجهزة البنوك والشركات والأجهزة الاقتصادية المختلفة الى ممارسة الربا فى مجالاتها ؟

لقد قرر المجمع أن الربا محرم لا فرق فيه بين ما يكون عن قرض استهلاكى أو قرض استثمارى •

**النقطة الثانية :**

هى : هل الربا المحرم هو ما يكون أضعافا مضاعفة فحسب ، ؟ وبناء عليه تجوز الفوائد على القروض التى تقوم عليها البنوك والشركات وغيرها ، ما لم تصل الى حد مضاعفة رأس المال ، وهى دائما — أو غالبا — ما تكون غير مضاعفة، اذ تقتصر على نسبة لا تزيد على العشرين فى المائة اذا أخذنافى الاعتبار ما وصلت اليه الفائدة فى أوروبا الغربية ؟

* لقدحسم المجمع الرأى، وقرر أن الفائدة محرمة وهى ربا ، لا فرق فى ذلك بين ما يكون أضعافا مضاعفة ، أو نسبة ضئيلة •

* فعل المجتمع ذلك مصادما لكل تخطيطات الدولة الاقتصادية التى لم تبد استعدادا فى لحظة من اللحظات — للتخلى عن التعامل بالربا •••

* فعل المجمع ذلك فى وقت كانت فيه هذه المصادمة بطولة تعرض الفرد — كما تعرض البيئة — للاضطهاد والتشريد والمحاربة فى الرزق والولد ••

*وتعجيزا للمجمع وتعطيلا لقراراته طلب اليه أن يقترح البديل الاسلامى للبنوك الحالية — وهو طلب غير مشروع لأنه لا يدخل فى دائرة اختصاصه انه من اختصاص علماء الاقتصاد ، وخبراء المال ، أما المجمع فما عليه الا أن يقدم الشروط والمواصفات الاسلامية التى ينبغى مراعاتها عند تأسيس أى نشاط اقتصادى •

* ومع ذلك قدم أحد أعضاء المجمع — وهو الدكتور محمد عبدالله العربى — اقتراحه للمجمع بالبديل الاسلامى ، وهو يقوم على نظام المضاربة الاسلامية وبالرغم من ذلك تجاهلت وسائل الاعلام هذا الاقتراح ، وموهت على المجتمع

الاسلامى الموقف ، وأوهمته أن المسئولية لا تزال فى رقبة المجمع الذى لم يقدم البديل، ومن المؤسف أن هذه الأجهزة التى قدمت هذه الصورة المشوهة عن المجمع تجاهلت تماما أن هناك محاولات قدمت البديل الاسلامى تقديما علميا ، ثم أجهضت،حدث هذا فى بنوك الادخار بميت غمر ، تجاهلت الأجهزة الاعلامية ذلك ، وبدلا من أن تلح فى فتح ملف هذه البنوك التى استبعدت الربا من معاملاتها والتى أجهضت لأسباب غير اقتصادية ، ولأسباب غير معلومة ... بدلا من ذلك صبت مقت سخريتها على المجمع الذى لم يقدم البديل !!

* والآن تتجاهل أجهزة الاعلام بنك فيصل الاسلامى المصرى الذى قام على استبعاد الربا ، تلبية لدعوة صادرة من المجمع طبقا لما جاء فى خطبة افتتاحه .

**الموقف الثالث :**

**موقف المجمع من موضوع التامين ..**

درس المجمع هذا الموضوع من جميع جوانبه ، وأبدى الراى منذ زمن طويل فى أنواع التأمينات التى تقوم بها الحكومات والجمعيات التعاونية، وواصل بعد ذلك دراسته لأنواع التأمينات التى تقوم بها الشركات الاستغلالية، وفرغ من هذه الدراسة ، وأجدر بأولئك الذين يجدون فى التشنيع على المجمع ابرازا لتعاليمهم وغيرتهم أن يقرءوا التقرير الشامل الذى وضعه فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد أحمد السنهورى عضو المجمع ورئيس لجنة البحوث الفقهية ، عن التأمينات، وقد سجل فى هذا التقرير آراء علماء المسلمين فى التأمين الذى تقوم به الشركات ، على الحياة ، أو على الحوادث ، وللمتعجل أن يأخذ بالرأى الذى يستريح اليه من بين هذه الآراء ومن بينها آراء مستندة الى كل مذهب من المذاهب الأربعة، أما لجنة البحوث الفقهية فقد استقر رأيها على أن التأمين من العقود المستحدثة التى ليس لها نظير فى الفقه الاسلامى . ومن ثم فان ابداء الرأى فيه لابد أن يبنى على «اجتهاد» يصدر من أهله ، وحسب الشروط التى يضعها المجمع لذلك ،

وتوقفت اللجنة عن ابداء الرأى لسبب شكلى له أهميته البالغة ، ذلك هو أن تحدد أولا الجماعة التى يحق لها أن تصدر رأيا اجتهاديا فى هذا الموضوع ، ووجدت اللجنة أن المجمع بقاعدته العريضة • يجب أن تحدد منه جماعة متخصصة أو يضاف اليها ، ومن هنا كان المدخل الى ضرورة النظر فى تكوين هذه الجماعة ، وتجرى من أجل ذلك الدراسة التى تحقق المطلوب •

وفى رأيى أن السبيل الى ذلك يكون بالاضافة الى المجمع لا بالانتقاص منه وذلك بأن تنبثق عن المجمع جماعة أكثر تخصصا تسمى « جماعة كبار علماء الشريعة الاسلامية » تكون من بين أعضاء المجمع ، وتختص باصدار الرأى فى مسائل الشريعة الاسلامية : فى العقيدة ، والعبادة ، والمعاملات ، وقد يقتضى ذلك تعديلا فى قانون المجمع •

ويعنينا هنا أن نسجل أن المجمع فى موقفه من موضوع « التأمين » كان مؤديا لواجبه على الوجه الأكمل • غير خاضع فى ذلك لضغط من جهة أو سلطان ، على ما فى هذا الموضوع من مساس خطير بالاقتصاد المعاصر •

**الموقف الرابع :**

**موقف المجمع من شئون الأسرة**

فى الوقت الذى كانت فيه الأجهزة الرسمية وغير الرسمية تصرخ من زيادة النسل وأثره فى اظهار فشل الخطة الاقتصادية ، وتلح فى الدعوة الى تقليل النسل سواء تحت قناع التنظيم أو التحديد ، وتقف وراء هذه الدعوة أجهزة عقائدية وتنظيمية قادرة على الضغط والارهاب والتخويف قادرة على تجنيد الأفراد والموظفين والاعلام فى مختلف القطاعات لخدمة الدعوة التى تدعو اليها ، فى هذا الوقت بالذات رفع المجمع صوته عاليا بأن الاسلام يرغب فى تكثير النسل •

فى هذا الوقت نفسه كانت تلك الأجهزة تحاول تغيير قانون الأحوال الشخصية بتحريم تعدد الزوجات أو جعله مقصورا على اذن القاضى ،

وسلب الرجل حقه فى ايقاع الطلاق وجعله متوقفا على اذن القاضى كذلك ... وهنا أيضا أعلن المجمع رأى الاسلام واضحا قويا : أن كلا الأمرين لا يحتاج الى اذن القاضى .

**الموقف الخامس :**

**موقفه من تقنين الشريعة الاسلامية**

فى هذا الوقت ـ كذلك ـ المشحون بقوى الارهاب والتخويف ، واملاء الرأى الواحد الذى تتبناه الدولة ، والدعوة الى صنع مجتمع جديد يستلهم الاشتراكية العلمية ، ويرتبط بالاشتراكية الدولية ...

فى هذا الوقت الذى فتحت فيه المعتقلات للمعارضين ، واستضافت فيه السجون أصحاب الفكر الاسلامى المستقل ـ فى هذا الوقت بالذات أعلن المجمع رأيه بأن النظام التشريعى الاسلامى له ذاتيته المستقلة ، وأنه لا يصلح أمر المسلمين الا بالرجوع الى الشريعة الاسلامية ، وأكد المجمع ذلك مرارا وبمختلف الصور ، وبدأ فى عملية تقنين الشريعة الاسلامية ـ التى أنجز منها ثمانى مجلدات ـ لتكون مرجعا مبسطا لمن يرغبون فى وضع القانون القائم على الشريعة الاسلامية ، ولم يكن للامام الأكبر فى السنوات الأخيرة محاضرة الا دعا فيها الى تغيير القوانين المعاصرة ، ووضعها من جديد على أساس الشريعة الاسلامية ، وألح فى ذلك وما يزال ـ الحاحا شديدا ووضع المسئولية على كاهل المختصين . وقفل الطريق أمام تهربهم من المسئولية ، وقد بدأت هذه الدعوة تتبلور فى اتجاهات محددة فى مجلس الشعب وفى غيره من الأوساط الشعبية والأوساط التنفيذية المسئولة ، نرجو أن تؤتى ثمرها فى القريب العاجل .

**يحيى هاشم**

# تعقيبات على بعض ما ينشر ويذاع

للأستاذ على البولاقى

— ٦ —

١ ـ لا يزال المسلمون بخير :

فى كتاب ( الخلافة والامامة للأستاذ عبد الكريم الخطيب ص ١٢٤ ) « وهكذا كانت أحوال الناس وأقوالهم تنكشف للرسول صلى الله عليه وسلم فى كثير من الأحيان فيكشفها لهم ويطالعهم بها ، أو يحجزها عنهم ويسوسهم بمقتضاها ، وقد عاش هذا الاحساس فترة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم أخذ الزمن يعمل عمله فى هذا الاحساس ، فجعل يبرد شيئا فشيئا ، وبدأت أنظار الناس المتعلقة بالسماء تتراخى شيئا فشيئا حتى جاء وقت كانت فيه تلك الأنظار قد أخذت وضعا فى الحياة لا ترى فيه شيئا غير الأرض ، وما على الأرض من خير وشر لا يعيش الا فيما يتعاقب فيه الليل والنهار على الناس من صراع وكفاح ... الخ » .

( أقول ) هذا الذى قاله أخيرا هو كذب على التاريخ وتسفيه للأمة، ويشاركه فى هذا الاطلاق كثير من الوعاظ والخطباء وبعض الجماعات المتغالية فى سوء الظن بالمسلمين ، ولو صح ما يقولونه لكانت الأمة كلها فى عصرنا وفيما قبله كافرة .

وكثرة العصاة والمنحرفين لا تستلزم ما يقوله هؤلاء وما يظنونه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتى قوامة على الحق لا يضرها من خالفها » رواه ابن ماجة ـ بسند صحيح ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا ، وروى الحاكم فى المستدرك بسند صحيح عن عمر رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال طائفة من

أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » وروى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » .

وانا لنحمد الله تعالى أنه تكفل بحفظ الذكر الذى نزل علينا كما قال عز وجل « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » والعالم كله يسمع الأذان للصلوات الخمس ويردده بالاجابة جميع السامعين من المسلمين، وتشهد الألوف المؤلفة التى تحج الى بيت الله الحرام مناسك الحج ومواطن الاسلام التى انتشر فيها ضوءه من حين البعثة المحمدية ولن يزال منتشرا حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، كما يشهد العالم اهتمام المسلمين برمضان والعيدين وجميع الذكريات الاسلامية ، فارتباط المسلمين بالسماء ارتباط وثيق على الرغم من كثرة الأعداء وتداعيهم عليهم من كل أفق .

**٢ ـ بعد عصر النبوة : لا فراغ :**

جاء فى الكتاب المذكور ص ١٥٤ « ... فهل اذا خلا مقام النبوة من بين الناس يكون هناك من يملأ هذا الفراغ أو بعضه ؟ » ثم أجاب المؤلف بعدم الامكان ، وادعى أن ذلك مما لا اختلاف فيه .

( أقول ) : هذه مغالطة لا شك فيها فان الله سبحانه وتعالى قال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » وقال سبحانه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقال عز وجل « ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » وقال عز من قائل « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » وقال سبحانه وتعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض » رواه الحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وقال عليه الصلاة والسلام « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وانه لا نبى بعدى ، وستكون خلفاء فتكثر » قالوا : فما تأمرنا ؟ قال « فوا ببيعة الأول فالأول » رواه مسلم فى صحيحه .

ففى هذه الآيات الكريمات وهذين الحديثين الشريفين وأحاديث أخرى ما يفيد أنه لا فراغ بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فقد أوحى الله تعالى اليه كل ما أراد ايحاءه وألهمه كل ما شاء الهامه فلم يقبضه اليه حتى أكمل الدين فلم يبق بالمسلمين حاجة الى وحى متجدد فالقرآن والسنة وحيان باقيان الى يوم القيامة ، وانما يحتاج المسلمون فى بعض شئونهم الى اجتهاد ، وقد عصم الله تعالى اجتهادهم الاجماعى عن الخطأ ورضى منهم فى الاجتهاد غير الاجماعى بما بذلوا فيه جهدهم . فأين الفراغ ؟

انها لدسيسة يريد أن يمهد المؤلف بها لدعواه أن أبا بكر رضى الله عنه لا يمكن أن يملأ الفراغ الذى خلا بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

( فان قلت ) لا شك أنه حدث فراغ فان وجوده صلى الله عليه وسلم كان اشعاعة روحية قوية أحس الناس أنها زالت عنهم لوفاته عليه الصلاة والسلام .

( قلنا ) هذا صحيح وليس فراغا من نور الايمان والاسلام والقرآن والسنة والصلة بين المسلم وربه وبين المسلم ونبيه وبين المسلم وأخيه ، فلا يترتب عليه ما أراد المؤلف أن يرتبه من كون أبى بكر رضى الله عنه لم يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السلطة الروحية .

### ٣ ــ فيما خلف ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فى الكتاب المذكور ص ٢٢٤ « ونقف عند هذا لنعود الى سؤالنا الذى سألناه آنفا : فيم خلف أبو بكر رسول الله ؟ ومعروف مقدما أن اجابتنا على هذا السؤال ــ كما هو

مدلول عليه بما تحدثنا فيه عن سلطة الرسول الروحية والمادية – ان أبابكر لا يمكن أن يخلف الرسول الا فى الجانب غير الروحى ، وهو السلطان المادى ، ذلك أن أبا بكر أو غيره لم يكن له أن يخلف الرسول فيما كان يتصل بالرسالة والوحى ، وانما يخلفه فى تدبير المجتمع الاسلامى » هذا المجتمع الذى يحكمه الرسول بحكم أنه رسول الله ، وبحكم أنه ولى أمر المسلمين ، والقائم على مجتمعهم الذى لابد له من سياسة مدنية يقوم عليها حاكم سياسى ، ومعروف أيضا أن سلطان أبى بكر هو سلطان مادى بحت ، سلطان انسان من الناس على الناس ، لا يستمد سلطانه الا منهم ، أما الرسول فان سلطانه المادى القائم الى جانب سلطانه الروحى فهو مستمد من السماء أيضا ، اذ كان المسلمون مأمورين بأمر السماء أن يكونوا بيد الرسول ، وتحت سلطانه ... الخ » .

أقول : أراد المؤلف أن يقول ان للرسول صلى الله عليه وسلم سلطة روحية وسلطة مادية ، وهو يريد بالسلطة الروحية الزعامة المؤيدة بقوة الروح الناشئة عن اصطفائه رسولا وامداده بالوحى المتتابع والانعام عليه بالعصمة وايجاب الأخذ عنه وايثاره بالتعظيم والمحبة والايمان به واعتقاد أن منزلته أعظم منزلة بشرية والاهتداء بما يتلوه من الكتاب الكريم وما يقوله وما يفعله وما يقرره عن وحى أو الهام أو اجتهاد ، ويريد بالسلطة المادية الزعامة المؤيدة بقوة السلاح الناشئة عن احاطة المؤمنين به واعتقادهم أنه أولى بهم من أنفسهم ، وهم أقوياء مسلحون واقفون على أهبة الاستعداد لجهاد الأعداء فى الخارج وتنفيذ الأحكام على العصاة فى الداخل .

فهاتان السلطتان المجتمعتان للنبى صلى الله عليه وسلم كلاهما مستمد من الله تعالى ، وقد اعترف المؤلف بذلك ثم وقع فى خطأين جسيمين :

( الخطأ الأول ) ما زعمه من أن أبا بكر أو غيره لم يخلفه ولا يمكن

أن يخلفه فى السلطة الروحية ، وهذه مغالطة تبع فيها صاحب كتاب الاسلام وأصول الحكم ، فان قوة الروح لها درجات ، فأقل مسلم يصلى لله ويستغفر الله ويتوب اليه ، له نصيب من قوة الروح ، فاذا اتقى الله حق تقاته وقرأ القرآن وفهمه وقرأ الكثير من أحاديث الرسول وفهمها ــ كان له نصيب أكبر ، فاذا ولى أمر المسلمين وكان عدلا أمينا ناصحا محبوبا لهم وكانوا يعلمون مبلغ حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومبلغ حب رسول الله صلى الله عليه وسلم له ــ فقد ظفر من قوة الروح بنصيب أكبر وأكبر ، فهم يسمعون له ويطيعون لا لرغبتهم فيما عنده ولا لرهبتهم من سطوته •

ومن العجب أن ينفى المؤلف السلطة الروحية عن أبى بكر وقد اعترف فى سطور طويلة بفضائله • نعوذ بالله من الخذلان •

ومنشأ هذا الخطأ هو الزعم بأن الخليفة الذى يخلف الرسول فى السلطة الروحية يجب أن يخلفه فى الرسالة والامداد بالوحى والعصمة وهذا ليس بلازم فهو خليفة الرسول وليس هو نفس الرسول ، وهذا واضح لكل من له أدنى مسكة من عقل •

( الخطأ الثانى ) ما زعمه من أن السلطة المادية التى خلف فيها أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست مستمدة من الله تعالى وانما هى مادية بحتة مستمدة من الناس •

وهذه مغالطة أيضا فان الناس بايعوه على أن يسمعوا له ويطيعوا ، وبانعقاد البيعة صار وليا لأمرهم ، وأوجب الله عليهم طاعته بقوله عز وجل « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » كما أوجب الوفاء بجميع العقود والعهود بقوله « أوفوا بالعقود » وبقوله « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » •

فالخليفة يستمد سلطانه الروحى والمادى من الله تعالى بهذا المعنى الذى هو ايجاب الله طاعته على الأمة كما أن الرسول مستمد هاتين

السلطتين من الله تعالى بهـذا المعنى لا بالمعنى الذى يزعمه بعض أهـل الأديان الأخـرى فى أحبـارهم ورهبانهم قال تعالى : « اتخـذوا أحبارهم ورهبـانهم أربابا من دون الله والمسـيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون » .

( التوبة ٣١ )

**٤ ـ الحكم بالشورى من شريعة الله :**

فى الكتـاب المـذكور ص ٢٢٧ « فالرسول عليه الصلاة والسلام كان له الى جانب الدعوة الدينية معالجة لشئون المجتمع الاسلامى ، يحـل المشكلات اليومية العارضة للأفراد، ويدير شـئون الحـرب والسـلم للجماعة ، ويتخير أحسن الأوضـاع للمجتمع ، فهل كانت هـذه الأمور وأمثالها من الشريعة ، انها لو كانت من الشريعة لمـا كان للرسـول أن يشاور فيها أحدا من المسلمين ... الخ » .

أقول : ان المؤلف نقل عن « الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين » فى ص ١٦٧ ، ما نصه « وقد أمر الله نبيه أن يشاور المسلمين فى الأمر ، ولو قد كان الحكم منزلا من السماء لأمضى النبى كل شىء بأمر ربه ، ولم يشاور فيـه أحـدا ، ولم يراجع فيه وليـا من أوليائه » أ هـ . فالمؤلف المقتبس من الفتنة الكبرى يعيد ـ بعد ستين صفحة ـ هذه الحجة الفاسدة مـع التوسع .

ومعلوم أن الحـوادث التى تنزل بالمسلمين الى يوم القيـامة لا تنتهى عنـد حصر وأن الشـورى تحـل المشكلات فى كثير من هذه النوازل فحث الله عز وجل المسـلمين على التشاور فى ضمن مدحه لهم بقوله : « وأمرهم شورى بينهم » وأكد ذلك الحث بأمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يشاورهم فيما تنفع فيه المشاورة فقال « وشاورهم فى الأمر » وذلك ليقتدوا به فانه اذا كان مع عصمته ورجاحة عقله مأمورا بالمشاورة فهم أولى بذلك فـلا يلـزم من أمـره بالمشاورة كون كل شئون الحـكم من حرب وسـلم وغيرهما ليس من الشريعة فالتاريخ الذى نقـل جميع أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم

لم ينقل عنه أنه شاور أحدا من أصحابه الا فى أمور قليلة ، وفى كتاب الله تعالى وفى أحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم أحكام فيما لايحصى من شئون الحكم وغيره نزل بها الوحى وقضى بها الرسول صلى الله عليه وسلم من غير مشاورة .

ومنشأ الغلط الذى وقع فيه هؤلاء أنهم ظنوا أن الآية عامة غير مخصوصة مع أنها مخصوصة قطعا بما لم ينزل فيه وحى ، فقد قال تعالى « اتبع ما أوحى اليك من ربك » ( الأنعام ١٠٦ ) وقال عز من قائل « فاحكم بينهم بما أنزل الله » ( المائدة ٤٨ ) فالنبى صلى الله عليه وسلم مأمور أن يحكم بما أنزل الله من غير مشاورة فالأمر بها انما هو فيما لم ينزل فيه وحى ، ثم انه صلى الله عليه وسلم انما أمر بالمشاورة ولم يؤمر باتباع مايشيرون به ، فقد قال عز وجل « وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله» ولم يقل فاذا أشاروا فاتبع مشورتهم، وذلك أن مشورتهم بمنزلة الشرر الذى يبدو من عود الثقاب عند حكه فهو ينير المصباح ثم ينطفىء ويبقى المصباح منيرا يعمل عمله ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يستنير بالمشاورة ثم لا يعمل الا بما أراه الله كما قال عز وجل « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » ( النساء ١٠٥ ) ولهذا قال « فاذا عزمت فتوكل على الله » أى اذا شاورت أصحابك فأشاروا فأراك الله الحق فعزمت عليه فافعله متوكلا على الله تعالى سواء أكان وفق ما أشار به أكبرهم أو أصغرهم أو أكثرهم أو أقلهم ولا شك أن هذا الحق الذى أراه الله اياه بعد المشاورة هو وحى من الله ، فالوحى يكون بانزال الملك بالقرآن أو السنة أو بالالهام بغير مشاورة أو بالالهام بعد المشاورة ، فهو اذا شريعة من الله نحن مأمورون باتباعه فيها كما قال عز وجل « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ( آل عمران ٣١ ) وكما قال سبحانه

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ( النساء ٦٥ ) فلا شىء مما قضى به الرسول صلى الله عليه وسلم بمشاورة وغير مشاورة خارج عن الشريعة .

وبهذا يسقط ما أطال به فى هذا الموضوع ، وبهذا أيضا تتبين المغالطة فى قوله بعد ذلك « أيجوز لأحد بعد هذا — مهما يكن شأنه فى المجتمع الاسلامى — أن يقول : انه يعالج شئون الحكم مع الناس بقوة روحية ، أو بمدد غيبى ؟ » فالمؤلف يدعى أن السلطة الروحية يجب أن يكون معها مدد غيبى ليجعلها قاصرة على الرسول صلى الله عليه وسلم ويجعل ما عدا ذلك ماديا وان لم يكن بقوة السلاح وكفى بذلك مغالطة .

( يتبع ) على حسن البولاقى

---

## العقيدة الصحيحة

ان العقيدة الصحيحة هى التى تحدد للانسان مكانه الصحيح فى الكون ، وتسدد خطاه فى الزمان والمكان ، حيث له وجهته الصائبة . وترسم له طريقه المستقيم . فيستقيم وجدانه وسلوكه . ومشاعره وأعماله ومبادئه وواقعه . ويصبح كله — كما ينبغى أن يكون — وحدة متماسكة متكاملة . متجهة الاتجاه الصحيح وحين تخرق هذه العقيدة فلا بد أن يشمل الاضطراب كيان الانسان كله . . كما تضطرب الابرة المغنطيسية حين يحال بينها وبين اتجاهها المرسوم . فيتفرق الكيان الموحد ، وتضطرب خطواته فى الزمان والمكان . . وتتوزع مشاعره ولأعماله ووجدانه وسلوكه ومبادئه وواقعه ، فلا يعود الى الوحدة التى ينبغى أن يكونها ، ولا يشمل كيانه بالأمن والسكون اللذين يستمتع بهما فى ظلال العقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح .

# تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين

للدكتور عبد المقصود شلقامى

مما يستوقف نظر الباحث فى تراث شبه القارة الهندية أن جنوبها وخاصة الشواطىء الغربية منه يمتاز بالطابع العربى وأن معظم انتاجه الفكرى قد كتب باللغة العربيـــة فى حين جاء معظم انتاج الشمال فى اللغة الفارسية، ولعل السر فى ذلك يرجع الى اتخاذ العرب لموانى الجنوب كمراكز تجارية لهـم واقامتهم فيها من أجـل ذلك مؤقتا أو بصورة دائمة ، وفى عصر صدر الاسلام هاجرت جموع وقبائل عربيـــة الى تلك الموانى دعاة للدين الاسلامى أو هروبا من وجه بعض الحكام المستبدين من أمثال الحجاج ابن يوسف الثقفى فكان لذلك أثره فى طبع الحياة هناك بالصبغة العربية.

أما شمال الهند فقد أخذت طابعا فارسـيا لأن معظم الفـاتحين كانت ثقافتهم ولغتهم فارسية ولم يستطيعوا فى أغلب الأدوار أن يفرضوا سلطتهم المباشرة على الجنوب فبقيت بلاده ــ اسلامية أو غير اسلامية ــ بعيدة الى حد ما عن التأثر بالفارسية فكان لكل ولاية نظام خاص وحــكومة كذلك على رأسها ملك متوج تطبق ما تراه مناسبا لها ومن أجـل ذلك فرضت العربية لغة رسمية فى ولايات الجنوب وأداة للفــكر والانتـاج العــلمى ولا يزال هناك حتى الآن أثر باق فيما تعالج به بلاد جنوب شبه القــارة لغتنا العربية وآدابها .

واذا كانت هذه الشواطىء بمثابة المفتاح للملاحة فى المحيط الهندى ، والسـيطرة على التجارة بين الشرق والغرب فانهـا كانت فوق ذلك ــ لعروبتها ــ هدفا مباشرا للبرتغاليين الذين انتصروا على العرب وأخرجوهم من أسبانيا عام ٨٩٨/١٤٩٢ ثم أرادوا التخلص من سيطرة العرب على طرق التجارة والكيد لهم فاكتشفوا طريق

رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨/٩٠٤ ثم وصلوا فى نفس العام الى الهند فى محاولة لتحقيق هدف مزدوج هو التجارة من ناحية والقضاء على العرب والمصالح العربية فى الهند من ناحية أخرى ، وان العمليات التى قاموا بها فى البر والبحر من هدم المساجد وقتل الوديعين من المسلمين أثناء ذهابهم أو ايابهم من رحلات الحج واغراق مراكبهم واجبارهم على الردة بقتل من أبى التنصر منهم ثم محاولاتهم العدوان على الموانى العربية على البحر الأحمر وبحر العرب والخليج لدليل واضح على أن الهدف من مجيئهم الى الهند فى ذلك الوقت لم يكن التجارة وحدها وانما كان امتدادا لمحاكم التفتيش وتصفية العرب فى أسبانيا ، وقد أدرك ذلك حكام الثغور الهندية فاستنجدوا بالعرب والمسلمين فى كل مكان ، وخفت مصر كعادتها دائما الى النجدة ولولا سقوط النظام الحاكم وقتها وضياع خلفية الأسطول وركيزته باستيلاء الأتراك على مصر لتغير التاريخ أو على الأقل تاريخ البحرية الاسلامية ، وقد سجل كتاب : تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين هذه الأحداث ولذا آثرنا أن نعرف به وبصاحبه .

**المؤلف :**

اسمه زين الدين بن عبد العزيز ابن على بن أحمد المعبرى ، نشأ وتعلم العلوم العربية فى « فنان » جنوبى مالابار ومن أعمالها وتقع على الساحل فى الطرف الجنوبى الغربى لشبه القارة ، وهى مدينة آهلة بالمسلمين الذين عمروا بها مدرسة وزاوية — بمثابة ما كان يعرف عندنا بالتكية — من قديم فكانت موئلا للعلماء من العرب والعجم قبل أن يستولى البرتغاليون على المدينة ، وتفيد بعض الروايات التاريخية أن شهاب الدين بن حجر المكى المتوفى ١٥٦٦/٩٧٤ كان يقيم فى تلك الزاوية حين قدم مالابار ، ويعلم فى مدرستها الحديث والتفسير بصورة منتظمة طول مدة اقامته هناك ، ويقال ان كاتبنا صاحب تحفة المجاهدين تتلمذ عليه وتلقى عنه .

وأسرة الكاتب عربية الأصل عريقة فى العلم ، فقد كان جده زين الدين — أبو يحيى — ابن على بن أحمد المعبرى عالما وشاعرا وصوفيا كبيرا

ترك مؤلفات كثيرة وقصائد عربية منها : هداية الأذكياء الى طريق الأولياء • وهو كتاب يحتوى على شعر صوفى نال شهرة عظيمة وحشى عليه أكثر من واحد وطبع مع الحواشى أكثر من مرة وتوجد له مخطوطتان فى القاهرة (انظر فهرست المكتبة الخديوية بالقاهرة رقم ٢ : ١٣٥ ، ٢ : ٢٨٥ ) ، ومرشد الطلاب ، سراج القلوب ، منظومة شعب الايمان ، تحفة الأحباء ، والكتب الآتية أيضا تنسب اليه وان لم نعلم وجود أى منها : شمس ارشاد القاصدين ، كتاب الصفا من الشفا ، كفاية الفرائض ، حاشية ألفية ابن مالك ، حاشية تحفة ابن الوردى ، حاشية الارشاد لابن مقرى ، تحريض أهل الايمان على جهاد عبدة الصلبان •

أما والده عبد العزيز بن زين الدين فقد ترك : مسالك الأولياء فى شرح هداية الأذكياء ، ارشاد الألباء الى هداية الأذكياء وهما حاشيتان على كتاب والده « هداية الأذكياء » الأولى مفصلة والثانية مختصرة ، وتأتى اشارة عابرة عن هذا المؤلف فى « أخبار الأخيار » لعبد الحق حقى الذى يروى عن أستاذه على المتقى أنه اتفق له عندما كان فى مالابار أن رأى الشيخ عبد العزيز بن زين الدين القاضى الشافعى •

ولمحمد بن عبد العزيز شقيق مؤلفنا أرجوزة عربية تتفق فى موضوعها مع كتاب تحفة المجاهدين ولكن ليس لها ميزة عليه سوى النظم نقتطف منها فى المقدمة :

فان هذى قصة عجيبة
في شرح حرب شأنها غريبة

واقعة فى خطة الملابار
ومثلها لم يجر فى تلك الديار

نظمت بعضها ومالك الملوك
ليسمع القصة سائر الملوك

لعلهم اذ سمعوا يفتكرون
فى الحرب أو لعلهم يعتبرون

لعلها تسير فى الآفاق
لا سيما فى الشام والعراق

وأما كاتبنا زين الدين بن عبد العزيز المتوفى بعد سنة ٩٩٣/١٥٨٥ فقد ترك بالاضافة الى تحفة المجاهدين : قرة العين وهو كتاب مختصر فى الفقه الشافعى ولسهولته شاع استعماله فى مالابار ، وله عليه

شرح يسمى : فتح المعين بشرح قرة العين ، وقد طبع بالقاهرة عدة مرات مع تعليقات وحواشي فى أربعة أجزاء كل جـزء فى مجـلد ، وتوجـد له مخطوطة فى المتحف البريطانى وفى المكتبة الآصفية بالدكن ـ الهند ـ تحت رقم ٤ : ٤٥٨ ، كما ترك أيضا أحاديث وآثار ومواعظ تتعلق بالموت وما بعده ( طبع بالقاهرة ) ، ارشاد العبـاد الى سبيل الرشاد ( طبـع بالقاهرة ) ، وتوجد له مخطوطة فى مكتبة بانكيبور تحت رقم ٣٢٧

**موضوع تحفة المجاهدين :**

مجال هـذا الكتاب هو تسجيل المعـارك المتتـالية التى دارت بين البرتغاليين وبين حكومات الثغـور الجنوبية الغربية فى شبه القارة كما يهتم بحركات الأسـطول المصرى فى البحر الأحمر وشواطىء الهند وفضلا عن ذلك يقدم دراسة اجتماعية للبيئة الهندية . ويذكر المؤلف أن سبب مجىء البرتغاليين الى الهند هو جلب الفلفل والبهـارات الى بلادهم التى كانت تحصل عليها بأثمان باهظة عن طرق غير مباشرة بيد أنه يحتاط قائلا ( على ما يحكى ) وكأنه يشك فى أن يكون هذا هو السبب الحقيقى ثم يجلو هذا الشك حينما يذكر فى ثنايا الكتاب غير مرة أن مقصودهم الأعظم انما هو محاربة دين الله والكيـد للمسلمين .

**الهدف من الكتاب :**

ساق المؤلف قصة دخول العرب المسلمين الى مالابار وانشائهم فيها المساجد والمدارس وكيف أنهم عاشوا فى رغد وأمن لم يتعرض لهم فيهـا حاكم بأذى أو تمتد يد التعذيب الى من يعتنق الاسلام من الهنـود حتى صار لهم شوكة ، وترك لهم الحكام حرية العبادة واقامة الشعائر وتعيين القضـاة وتوقيـع العقوبات يقول المؤلف : ثم عاشوا على ذلك زمنا ثم بدلوا نعمة الله كفرا فسلط الله عليهـم أهل البرتغـال من الافرنج فظلموهم وأفسدوا واعتدوا عليهـم بمـا لا يحصى من أصـناف الظلم والفساد بين أهل البـلاد ، ومضوا على ذلك برهة من الأزمنة تنيف على ثمانين سنة حتى آلت أحوال المسلمين الى شر مآل من الضـعف والفقـر والذل ، وصاروا لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سـبيلا ، ولم يعبأ بما حل بهم من الفساد والفتنة سلاطين المسلمين وأمرائهم مع كثرة عساكرهم

وأموالهم لقلة اعتنائهم بأمور دينهم وايثارهم الدنيا الفانية على آخرتهم فجمعت هذه الجموع ترغيبا لأهل الايمان فى جهاد عبدة الصلبان فان جهادهم فرض عين لدخـولهم بلاد المسلمين ، وأيضـا أسروا منهم من لا يحصى كثرة ، وقتلوا منهم كثيرين وردوا جملة منهم الى النصرانيـة ، واسترقوا المسلمات المأسورات حتى خرج لهم منهن أولاد نصارى يقاتلون المسلمين ويؤذونهم فأردت أن أذكر تلك الواقعات وأسطر هذه الحادثات فصنفت كتابا سميته : تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين .

**الاهداء :**

أهدى الكتاب فى مـديح مسرف واطراء مسهب شـغل صـفحة من المقدمة الى السلطان على عادل شاه ملك بيجابور بالهند .

**أهمية الكتاب :**

للكتاب أهميـة كبيرة فى تاريخ الاسلام وتاريخ البحرية الاسلامية ، وتأتى أهميته من أن المؤلف شـاهد عيان لم يرو الا الأحداث التى رآها بعينه أو سمعها ممن شاهدها وذلك فى الفترة من سنة ٩٠٤ ـ ١٤٩٨ / ٩٩٤ ـ ١٥٨٥ ومن الطريقـة التى اتبعهـا المؤلف أيضـا فى البحث والاستقصاء يقول Rowlaneson ان الكتاب شهرة للمؤلف وقد شهد المؤلفـون الغـربيون بدقـة سرده التاريخى ، وبالاضافة الى الدقـة والانسجام فى شرح النقط الثانوية واتصـالها بالأسـباب الأساسـية للحوادث فانه ينـدر وجود تفاوت بين أوصـافها . وفـوق ذلك فان صـاحب تحفة المجاهـدين كانت له مهارة فى النقد والحكم على الأحاديث فمثلا عنـدما يصف بداية ظهـور الاسـلام فى مالابار يرفض تلك الأحاديث الشائعة بين مسلمى بلاده التى تدور حول ملك مالابار والتى تفيد أن الملك المذكور رأى انشقاق القمـر فذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم فى مكة واعتنق الاسلام وفى رحلة العودة مات فدفن فى شحر ويعقب المؤلف على ذلك مشككا : ان قبره كما هو مشهور الآن فى ظفار لافى شحر حيث يتبرك به أهل ظفار ويسمونه السامرى .

وللكتاب شهرة خاصـة ومكانة مرموقـة فى أوربا فقد ترجمـه الى

الانجليزية الميجر رولاندسون وطبع فى لندن عام ١٨٣٣ كما ترجمه الى البرتغالية ديفيد لويس وطبع بها فى لزبو ١٨٩٨ كما ترجم الى الأردية أيضا ، وتوجد مخطوطات هذا الكتاب فى المتحف البريطانى تحت رقم ٩٤ ، وفى المكتب الهندى India office تحت رقم ١٣ ، وانظر أيضا : بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ٢ : ٤١٦

وقد طبع تحفة المجاهدين بالعربية التى كتب بها أصلا مرتين : الأولى مع الترجمة البرتغالية ١٨٩٨ بيد أن طباعته غير جيدة لأن رسم حروف طباعته غير عربى كما لا يوجد على المتن العربى أى هامش أو تحقيق الأمر الذى يجعل فى قراءته عسرا ونقصا ، والمرة الثانية كانت على مطبعة حجرية فى حيدر آباد الدكن ١٩٣١ باشراف شمس الله القادرى ويمكن اجمال رأينا فى هذه الطبعة العربية بأنها مسخ للكتاب وجناية عليه لدرجة أن الشخص العادى لا يستطيع أن يقرأه لما فيه من أخطاء فى رسم الحروف وسقوط بعض الكلمات والجمل .

**أقسام الكتاب :**

يقع الكتاب فى أربعة أقسام ومقدمة ذكر فيها الهدف من تأليفه والاهداء والمنهج الذى اتبعه فى التأليف .

القسم الأول : فى بعض أحكام الجهاد وثوابه والتحريض عليه .

القسم الثانى : فى بدء ظهور الاسلام فى مالابار .

القسم الثالث : فى نبذة يسيرة من عادات كفار مالابار .

والقسم الرابع : فى وصول البرتغاليين الى مالابار وفيه أربعة عشر فصلا ، ويشغل هذا القسم معظم صفحات الكتاب وكأن الأقسام الثلاثة الأولى تمهيد له ، اذ أن الجهاد والترغيب فيه يعد مدخلا طبيعيا يتلاءم مع هدف التأليف ، كما أنه لما أراد أن يستحث حكام المسلمين وعامتهم شرح لهم أن أهل هذه الثغور انما هم اخوة لهم فاستتبع ذلك أن يفصل كيف وصل الاسلام الى مالابار وأعمالها ثم ما حل بأهله فيها ، وفى القسم الثالث نبذة يسيرة من عادات أهل مالابار من الهنود

التى التزموها سفاهة وجهلا فعسروا على أنفسهم مما حدا بكثير منهم أن يلجأ الى الاسلام تخلصا من الحرج الذى تفرضه عاداتهم وتقاليدهم ، ونستعرض الآن أهم الأقسام وهو :

**القسم الرابع :**

يقع هذا القسم فى أربعة عشر فصلا كما قدمنا وأستميح القارىء عذرا فى أننا سنتكلم عن فصول لها فى رأينا أهمية وتترك فصولا قد يكون لها عند غيرنا أهمية .

الفصل الأول : فى ابتداء وصول البرتغاليين الى مالابار . وقد تناول فيه سبب اهتمامهم بالهند ووصولهم اليها لأول مرة عام ٩٠٤/١٤٩٨ ونزولهم فى ميناء كاليكوت واقامتهم بها شهورا يتعرفون أحوال البلاد ، وقد غطى هذا الفصل الحوادث من ٩٠٤ — ١٤٩٨ الى ٩١٥ — ١٥٠٩ وفيه أنهم جاءوا سنة ٩٠٦/١٥٠٠ الى كاليكوت بأربع مساربات واشتغلوا بالتجارة ، وقالوا لعمال السامرى — لقب ملك مالابار — انه ينبغى منع العرب من التجارة أو التعامل معهم وسوف ندفع الفوائد ولكن عمال السامرى لم يسمعوا لهم فاعتدى البرتغاليون على العرب المسلمين أثناء التجارة فأمر السامرى بقتالهم فقتل منهم سبعون وهرب الباقون ورموا بالمدافع من السفن ، ثم ذهبوا الى ثغور أخرى فأقاموا بها القلاع والحصون وتوالت عليهم الامدادات من البرتغال فاستفحل أمرهم وصارلهمقوة مرهوبة سيطروا بها على الملاحة فلاتبحر سفينة هنا أو هناك الا باذنهم ، وأى سفينة لاتحمل ترخيصهم أخذت بمنومافيها ولما أحس السامرى بعدم القدرة على مواجهتهم استنجد بملوك المسلمين فى كل مكان فأعد محمود شاه حاكم كجرات وعادل شاه ملك بيجابور سفنا حربية ، أما سلطان مصر قنصوه الغورى فقد أرسل اسطولا بقيادة الأمير حسين مكونا من ثلاثة عشر غرابا، فلما وصل الى ميناء ديو اتخذها قاعدة له ثم خرج منها الى شول ومعه حاكم ديو فالتقى بالبرتغاليين فىمعركة بحرية انتصر فيها وأسر سفينة لهم ثم رجع الى قاعدته — ديو — وأقام فيها شهورا انضم اليه أثناءها نحو من أربعين سفينة جاءته من ملك مالابار .

ويذكر المؤلف أن البرتغاليين لما علموا باستقراره فى ديو وصلوا اليها

فجأة وقصدوا الاسطول المصرى فأسروا بعض سفنه وطاح الباقى ، ولما رجع قائد الاسطول المصرى الى بلاده يحمل خيبة الهزيمة أخذت السلطان الغورى الغيرةوجهزأسطولا آخر وأمر عليه سلمان الرومى مع الأمير المذكور سلفا ، ثم يوضح المؤلف أن الخلاف قد دب بين الأميرين فى بعض ثغور البحر الأحمر قبل أن يصلا الى الهند ، وانتهى الصراع بينهما بهزيمة الغورى على أيدى الأتراك العثمانيين فى موقعة مرج دابق فتفرق الأسطول ولم يصل الى هدفه مما كان له أكبر الأثر على سير المعارك البحرية بين البرتغال والهنود •

وفى الفصل الثانى يعطى بعض الوصف لتنكيل البرتغاليين بالمسلمين فى الهند ثم يقول : ان بغيتهم العظمى هو تغيير دين المسلمين ولذا فان بعضهم عندما وصل من البرتغال الى كش ورأى المسلمين فيها لام قائد البرتغاليين حيث لم يستطع الى الآن أن يغيرهم عن دينهم •

ويذكر فى الفصل الثالث أن مالابار لما رأى ضعف قوته وانعزاله صالحهم فأعطاهم بعض الامتياز ، وأرسل سرا الى ملوك المسلمين طالبا الامداد فلم يصله من أحد شيئا ، وأن البرتغاليين أرادوا أسره ولكنه تخلص منهم بأعجوبة ، ثم انهم لم ينسوا وقد قوى أمرهم فى الهند أن يكيدوا للعرب فى ديارهم فقاموا من احدى قواعدهم بالهند بغارة على مدينة جدة فى محرم ٩٣٣/١٥٢٥ قصدا للاستيلاء عليها لما لها من أهمية استراتيجية غير أن بقية من الأسطول المصرى بقيادة الأمير سلمان كانت لما تزل موجودة فى مياه جدة فقامت بالدفاع عنها حتى انسحب البرتغاليون وطاردتهم القطع المصرية فأسرعت منهم سفينه من نوع الغراب كان عليها اثنا عشر جنديا عند كمران ، ويبدو أن الأسطول المصرى رغم تفرقه وفقده الخلفية العميقة فى مصر كان نشكل خطرا على البرتغاليين فى الهند ويقوم بحراسة الشواطىء العربية فى البحر الأحمر وامداد الشواطىء الهندية اذ يذكر المؤلف فى الفصل الخامس أن الأمير مصطفى الرومى وصل من مخا الى ديو سنة ٩٣٨/١٥٣١ بمدافع وأموال جزيلة توصل اليها الافرنج بقصد أخذها فحاربهم الأمير

مصطفى المذكور ورماهم بالمدافع العظيمة فانهزموا باذن الله خائبين .

وتمضى الفصول بعد ذلك فى بيان الحروب والمصالحات التىعقدت بين البرتغالين وملك مالابار غير أن هناك سؤالا يطرح فى هذا المقام : أين السلطة المركزية فىدلهى ؟ وما موقفها من هذا الصراع ؟ ويبدو فى محاولة الاجابة أن سلاطين الهند المركزيين كانوا مشغولين فى تثبيت سلطانهم وبسط نفوذهم فلم يريدوا أن يدخلوا فى صراع مع البرتغاليين سوى ما ذكر عن غزو السلطان همايون لجزرات (كجرات) وتخريب بعض مدنها الا أن ذلك لم يكن موجها ضد البرتغاليين وانما كان ضد حاكمها بها دور شاه الذى لجأ الى البرتغاليين فأعانوه ضد السلطان المركزى على أن يعطيهم وسى ومهايم وغيرها ثم سلم اليهم ميناء ديو كما أن سلاطين الهند المركزيين لم يفطنوا الى نوايا البرتغاليين ففى سنة ٩٨٥/١٥٧٧ أخذ الافرنج بعض السفن التى كانت عائدة من جدة وفيها سفن للسلطان جلال الدين أكبر ٩٦٣ ــ ١٠١٤/١٥٥٦ــ١٦٠٥ وكان بها مال كثير فوقع الاختلاف بين السلطان والافرنج لكنهم استطاعوا أن يستلوا ضغينته بمقدار كبير من المال جعلوه قنطرة للصلح معه ، ولو قدر للسلطة المركزية فى دلهى أن تتدخل فى هذه الحروب لوضعت نهائية سريعة لها مما جعل المؤلف يبتهل الى الله أن يهدى السلطان جلال الدين أكبر ويوفقه لحربهم واخراجهم .

أما الأتراك فيبدو أنهم كانوا على دراية بأبعاد الوجود البرتغالى فى الهند لكنهم وقد اتسعت أطراف مملكتهم لم يريدوا أن يصرفوا جهودهم فى غير ما يثبت أركانها ويقضى على المقاومة فى الداخل فقد وصل سليمان باشا وزير السلطان سليمان القانونى سنة ٩٤٤/١٥٣٧ فى نحو مائة سفينة الى عدن وقتل أميرها الشيخ عامر بن داود مع بعض كبرائها واستولى عليها ثم اتجه الى الهند فوصل كجرات وشرع فى حرب ديو وكسر أكثر القلعة بالمدافع العظام السلطانية ثم ألقى الله هيبة الافرنج فى قلب سليمان باشا فرجع من غير فتح الى مصر ثم الآستانة .

وبالاضافة الى الحركات التى قام بهـا الأسطول المصرى فى البحـر الأحمر والمحيط الهندى وما قام به أهل الهند ضد البرتغاليين فى نحـو قرن من الزمان بين كروفر وصـلح وحرب نجد الكتاب بالاضـافة الى ذلك يلقى أضـواء على الأوضـاع الاجتماعية والسياسية والاقتصـادية فى شبه القارة الهندية .

ولمـا كان الكتاب فى موضـوعه مهما ونادرا وفى منهجه أصـالة وفى عصر تأليفـه وعلى موضوعه شاهدا عدلا وراويا ثقة فاننا نرى أنه يجب أن يأخذ مكانه فى المكتبة العربيـة التى هى أحق به قبل غيرها كالبرتغالية والانجليزية اللتين رحبتا به منذ زمن طويل خاصة وأنه كتب ابتداء بالعربية ولأبنائها منذ ما يقرب من خمسمائة عام . رحم الله الشـيخ زين الدين وجزاه عنا خير الجزاء والله يهـدى من يشاء الى صراط مستقيم .

**دكتور عبد المقصود محمد شلقامى**

---

## الاسلام هو المدنية

يقول مستر « ولز » اكبر مؤرخى هذا العصر :

« كل دين لا يسير مع المدنية فى كل طور من اطوارها فاضرب به عـرض الحائط ولا تبـال به ، لان الدين الذى لايسير مع المدنية جنبا الى جنب لهو شر مستطير على أصحابه يجرهم الى الهلاك ، وان الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية انى سارت هى الديانة الاسلامية ، واذا اراد الانسان ان يعرف شيئا من هذا فليقرأ القرآن .

ان كثيرا من انظمتـه تسـتعمل فى وقتنا هذا وسـتبقى مسـتعملة حتى قيام السـاعة . واذا طلب منى القارىء ان أحدد له ( الاسلام ) فانى أحدده بالعبارة التالية : الاسـلام هو المدنية . . وهل فى استطاعة انسان ان يأتينى بدور من الادوار كان فيه الدين الاسلامى مغايرا « للمدنية والتقدم ؟ » .

في أصول الفقه :

# خبر الواحد والقياس
## وعلاقة ذلك بأقسام الرواة من الصحابة

للدكتور محمد سعاد جلال

**١ ـ مقدمة فى تفسير الصحابى :**

ذهب عامة « المحدثين » وبعض أصحاب الشافعى الى أن الصحابى من لقى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو لحظة ، لأنه اسم مشتق من الصحبة وهى تعم القليل ، والكثير ، وذهب جمهور « الأصوليين » الى أنه اسم لمن صحب النبى عليه السلام • وطالت صحبته معه على طريق التتبع له ، والأخذ منه ، ولهذا لا يوصف بصحبة عالم من جالسه ، ولو مرة ، ولا من جالسه أكثر من مرة بغير طريق التتبع له ، والأخذ منه ، قال ( الغزالى : ـ « الاسم لا ينطلق الا على من صحبه ثم يكفى للاسم من حيث الوضع الصحبة ، ولو ساعة ـ ولكن العرب تخص الاسم بمن كثرت صحبته ، ويعرف ذلك بالتواتر والنقل الصحيح ولا حد لتلك الكثرة بتقدير بل بتقريب » ونقل شارح ( البزدوى ) عن شيخه أن أدنى الصحبة « ستة أشهر » : كما نقل عن كتاب (الكفاية) لأبى بكر أحمد ابن على البغدادى : أن ( سعيد بن المسيب ) ـ رضى الله عنه ـ كان يقول : ( الصحابة لا نعدهم الا من أقام مع رسول الله سنة أو سنتين وغزا معه غزوة ، أو غزوتين ) •

وحاصل ذلك مضمون ما ذهب اليه ( الغزالى ) أن الصحابى من طالت صحبته مع النبى على جهة التتبع له والأخذ منه مدة لا تحدد بتقدير بل بتقريب ويدخل فى الاعتبار ـ فيما أظن ـ شدة لصوق الصحابى بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم وقربه من نفسه فان لذلك مدخلا فى تقدير المدة التى تحقق بها الصحبة • فرجل كانت نفسه على موعد من لقاء نفس النبى ـ صلى

الله عليه وسلم ـ (كسلمان الفارسى) يتم له معنى الصحبة فى زمن يسير ، ورجل آخر ساقته المصادفات ، أو بواعث المصلحة الى لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم ( كالمغيرة بن شعبة ) أو ( عمرو بن العاص ) أو غيرهما وليس فى نفسه سابق طلب الى هذا اللقاء لا يتم فيه معنى الصحبة الا بعد زمن أطول •

ولو قلت ان زمن الصحبة المعتد به هو ما يتسع لادراك الصاحب منهج الرسول وغايته مع انفعال نفسه بشخصيته وتحقق هذا المعنى يختلف باختلاف الأصحاب فى استبصار الوجدان ، وقدرة العقل ، وتهيؤ النفس المؤثر فى استيعاب مدة الزمن الذى يتم فيه ـ لكنه لايكون لحظة واحدة أبدا ـ لو قلت هذا الخاطر لكان أحسن بلورة لغرض الأئمة السابقين رضى الله عنهم •

**٢ ـ أقسام الرواة وعلاقة أخبارهم بأحكام القياس :**

يرى ( الحنفية ) أن رواة الحديث من الصحابة ليسوا سواء • لكنهم فى ذلك درجات : فمنهم الصحابة المعروفون بالرواية عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنهم الرواة (المجهولون) الذين لم يعرف أحدهم الا برواية حديث أو حديثين •

ثم ان الرواة المعروفين ( بالرواية ) عنه طائفتان : طائفة معروفة الى جانب ( الرواية ) بالفقه والفتيا ، والتقدم فى الاجتهاد : كالخلفاء الراشدين • وعبد الله بن مسعود • وابن عباس • وأبى موسى الأشعرى وعائشة ، وغيرهم وطائفة أخرى عرفت بكثرة ( الرواية ) لكنها لم تعرف بالفقاهة ، والتقدم فى الاجتهاد ، وذلك « كأبى هريرة » و « أنس بن مالك » •

وتختلف أحكام أخبار هذه الطوائف الثلاثة من حيث ارتباطها برجال كل طائفة عند مقابلتها بالقياس اذا وقعت أحكامها الشرعية على خلاف حكم القياس : فقد جعلوا للخبر المروى عن رجال كل طائفة من هؤلاء حكما يخصه اذا عارض حكم القياس من حيث القبول ، أو الرفض ـ وهذا الحكم المرتبط بدرجة الصحابى فى الرواية ـ هو غير الحكم الشرعى الذى يتضمنه لفظه •

وهذا ما نعنون له بـ ( علاقة خبر الواحد بالقياس ) .

ثم تقسم بحث هذا الموضوع الى قسمين : قسم أول يتضمن المقدار الخاص بأحكام أخبار الرواة سواء كانوا من المعروفين بالفقاهة أم لم يكونوا كذلك — وقسم ثان يتضمن المقدار الخاص بأحكام أخبار الرواة ( المجهولين ) .

**٣ — علاقة خبر الواحد بالقياس :**

**القسم الأول :**

تتضمن هذه العلاقة حالتين :

أحدهما : أن يتعارض القياس والخبر من كل وجه بأن يكون أحدهما نافيا لما يثبته الآخر .

وثانيهما : ألا يتعارضا من كل وجه فيكون أحدهما مخصصا لعموم الآخر .

وسنتكلم عن الحالة الأولى الآن لأنها تمثل الجانب الأهم الذى انصب عليه أكثر الكلام فى الموضوع . ونرجىء الكلام عن الحالة الثانية لآخر الفصل .

**الحالة الأولى :**

١ — نقل (الآمدى) عن الشافعى أنه يقدم الخبر على القياس مطلقا ، فى هذه الحالة «١» ولكن (السعد) نقل عن أصحاب الشافعى ما ينافى هذا الاطلاق ، وأنهم فصلوا الرأى فى هذه المسألة : فقالوا ان ( علة ) القياس ان ثبتت بنص راجح فى الدلالة على الخبر ، فان كان وجودها فى الفرع قطعيا قدم القياس على الخبر وأن كان وجودها فيه — الفرع — ظنيا فموجب ذلك التوقف وان ثبتت ( العلة ) بنص لا يترجح على الخبر ، قدم الخبر فى هذه الحالة على القياس « ٢ » .

٢ — ذهب الامام أحمد بن حنبل ، وجمهور الفقهاء ، والمحدثين — كما نقل ذلك ( الآمدى ) عن الشافعى آنفا — الى أن الراوى اذا كان عدلا ضابطا ، وان لم يعرف بالفقاهة . فخبره راجح على القياس مطلقا وانحاز لهم فى هذا القول (أبو الحسن الكرخى ) من شيوخ الحنفية .

---

(١) الأحكام ج ٢ ص ١٦٩

(٢) التوضيح ج ٢ ص ٥

قال ابن القيم فى ذكر أصول مذهب الامام ( أحمد بن حنبل ) « الأصل الرابع : الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف : قال (وللضعيف عنده مراتب ، فان لم يجد فى الباب ما يدفعه ولا قول صاحب ، ولا اجماع خلافه كان العمل به أولى من القياس «١» ) .

٣ ـ ذهب الحنفية الى أن الراوى من الصحابة اذا كان معروفا بالرواية والفقة ـ كما مثلنا آنفا ـ قبل حديثه بمعنى تثبت الحجة به مطلقا ، سواء وافق القياس فأيد به . أو خالفه فقدم فى العمل عليه اذ هو راجح من القياس بكل حال . وان لم يكن الراوى معروفا بالفقه ، لم يصح تقديم خبره على القياس ـ ولو كان عدلا بغير نظر واجتهاد ـ أى أنه فى حيز احتمال الرد بتقديم القياس عليه . قال (عيسى بن ابان) من قدماء الحنفية : اذا كان الراوى عدلا ضابطا عالما وجب تقديم خبره على القياس والا كان موضع اجتهاد .

٤ ـ اختلف نقل الأصوليين عن مذهب مالك فى هذه المسألة فنقل ( الآمدى ) عن أصحاب مالك أنهم يقدمون القياس على الخبر : قال : ( وقال أصحاب مالك أنه يقدم القياس على الخبر ) .

ونقل الامام ( البزدوى ) هذا القول عن مالك نفسه : قال : ( وقال مالك ـ رحمه الله ـ فيما يحكى عنه ـ بل القياس مقدم عليه ) أى على الخبر لأنه رد الأخذ بحديث الصائم ، انه اذا أكل أو شرب ناسيا فانه يتم على صومه وقال بفطره تقديما للقياس على الخبر .

لكن قد استبعد بعض الأئمة صدور هذا القول عن ( مالك ) .

نقل شارح ( البزدوى ) عن صاحب ( القواطع ) قوله ( وقد حكى عن مالك أن خبر الواحد اذا خالف القياس أنه لا يقبل ، وهذا قول مستقبح ، سمج ، وأنا أجل مالكا

---

(١) اعلام الموقعين ج ١ ص ٢٥

عن ثبوت هـذا القول ، ولا يدرى ثبوته عنه ) (١) •

٥ ــ قال أبو الحسن البصرى : اذا كانت العلة منصوصة بنص قطعى ، وكان خبر الواحد ينفى موجبها لزم العمل بالقياس دون العمل بخبر الواحد لأن النص على العلة كالنص على حكمها فلايعارضها الخبر ويقدم القياس عليه بالاتفاق•

واذا كانت منصوصة بنص ظنى وعارضها الخبر لزم تقديم العمل بالخبر على العمل بالقياس لأن الخبر دال على الحكم بصريحه ، والخبر المتضمن للعلة دال على الحكم صراحة كان أولى بالاعتبار والتقديم مما يدل على الحكم بالواسطة •

واذا كانت العلة مستنبطة من أصل ظنى قدم الخبر على القياس المبنى عليها بالاتفاق • لأن احتمال الخطأ وأصالة الظن فى القياس أكثر منهما فى الخبر ، فكان الأخذ بما هو أقل احتمالا للخطأ أولى وذلك فى الخبر دون القياس •

واذا كانت العلة مستنبطة من أصل قطعى ، وعارض القياس المبنى عليها خبر الواحد : فهذا موضع خلاف الفقهاء وان كان الأصوليون يذكرون الخلاف فى هذه المسألة مطلقا •

وقلت ودعوى أبى الحسين ان الأصوليين يذكرون هذه المسألة مطلقا ، لا يجوز أن يؤخذ على اطلاقه فقد رأيت أن ( السعد التفتازانى ) ينقل عن أصحاب الشافعى تفصيلا فيه ــ وأن الحنفية أيضا ــ يبدون فيه نوع تفصيل من حيث الاعتداد بفقاهة ( الراوى ) أو عدم الاعتداد بها :

**الحالة الثانية :**

كانت الحالة الأولى حديثا عن مقابلة خبر الواحد للقياس عند تعارض حكميهما بحيث يلزم من اثبات حكم أحدهما نفى حكم الآخر •

وأما هذه الحالة الثانية ــ فالغرض فى المقابلة بين خبر الواحد والقياس ، ألا يتعارضا • ولكن يكون أحدهما

---

(١) كشف الأسرار ج ٢ ص ٣٧٨

أعم من الآخر : حكم خبر الواحد يكون أعم من حكم القياس • أو حكم القياس يكون هو الأعم من حكم خبر الواحد •

ولبيان هذه المسألة تفصيل :

اذا كان حكم خبر الواحد أعم من القياس وكان حكم القياس أخص منه خصصنا خبر الواحد بالقياس : لأن خبر الواحد ظنى ، والقياس ظنى ، والظنى يخصص الظنى باتفاق أهل العلم •

واذا كان حكم القياس هو الأعم من خبر الواحد : فقد اختلف فى مبنى هذه المسألة الأصوليون بما يؤدى الى تصور اختلاف الحكم فيها •

يرى بعض الأصوليين أن العلة لا تبطل بتقدير تخصيصها — وبناء على هذا الرأى — جاز أن يخصص خبر الواحد القياس : فيحمل بخبر الواحد فيما دل عليه ويعمل بالقياس فيما دل عليه ويسيران فى طريقين متوازيين لا يعترض أحدهما طريق الآخر •

ويرى قوم آخرون أن العلة تبطل بتقدير تخصيصها • وبناء على هذا الرأى يمتنع أن يخصص خبر الواحد القياس اذ يكون معارضا لعموم حكم القياس فى جميع جزئياته تلك التى يخالف فيها حكم العلة حكم الخبر وبناء على عدم امكان تخصيص القياس بخبرالواحد واستنادا لهذا الرأى يصبح خبر الواحد معارضا للقياس فى حال المقابلة بينهما — ويكون حكم المسألة عندئذ مردود المأخذ الى موضوع مناقشات الحالة الأولى•

**حصر اختلاف وجهات نظر المختلفين وادلتهم :**

٥ — بينا فى الفصل السابق أقوال العلماء فى حكم خبر الواحد اذا ناظر القياس : فقلنا أن الحنفية يذهبون الى تقديم خبر الواحد على القياس مطلقا : اذا كان الراوى من الصحابة المعروفين بالرواية وكان فقيها من أهل الاجتهاد ، والفتيا ، ويقدمون عليه القياس اذا لم يكن الراوى فقيهامن أهل الاجتهاد والفتيا

وخالف الخبر جميـع الأقيسـة .
وان الامام ( مالكا ) فيما يحكى عنه
ــ يقدم القيـاس على الخبر مطلقـا
على تشكيك فى صـحة نقل هـذا
المحكى عنه .

وان الشافعى فى أحد النقلين عنه
وأحمد بن حنبل يقدمان خبر الواحد
على القياس مطلقا : على التفصـيل
والبسط اللذين رأيتهما :

والآن نحصر لك جهات اختلاف
نظر هؤلاء المختلفين ونسـوق لك
أدلتهم :

ينقسم اختلاف جهات النظر بين
الأئمـة المختلفين فى المسـألة الى
قسمين : القسـم الأول : الخـلاف
بين مجموع الحنفية والشـافعية من
طرف مع الامـام مالك فى المحكى
عنه من تقديم القياس على الخبر من
طرف آخر: والقسم الثانى: الخلاف
بين الحنفية من جانب وبين الشافعية
من جانب ثان فى اعتبار فقاهة الراوى
عند الحنفية شرطا فى تقـديم الخبر
على القياس ــ لا عند الشافعية .

د. سعاد جلال

---

**شذرات متفرقة :**

● أربعة لا يستقل قليلها : كلام اللبيب ــ وان كان نزرا ــ
ادب عظيم . مصيبة جليله . ولقاء الاخوان ــ وان كان يسيرا .

● قيل لبعضهم مم تعلمت الادب ؟ قال : من قليل الادب .
قيل وكيف ذلك ، قال انظر الى ما يعاب عليه فاحترز منه .

● قيـل لبعض السلاطين : لم لاتغلق البـاب وتقعـد عليه
الحجاب .

فقال : انمـا ينبغى ان احفظ انـا رعيتى لا ان يحفظونى

● قال شخص لآخر : جئتك فى حويجة فقال : دعها تكبر .

# مجلة المجلات الإسلامية

حول تطبيق الشريعة الاسلامية :

## الامام الأكبر عبد الحليم محمود شيخ الأزهر

### يقول فى حديث الى صحيفة الأهرام

* : سوف تمتنع السرقة نهائيا اذا قطعنا يد سارق واحد .

* ويعلن : ان لجان الازهر اعدت دراسات القانون المدنى وستنتهى قريبا من القانون الجنائى .

* ويتساءل : لماذا تدرس كليات الحقوق ٢٠ محاضرة للقوانين الاوربية ومحاضرتين فقط للشريعة الاسلامية .

فى حديث الى « صفحة الفكر الدينى » قال فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ الأزهر ، ان الأزهر قد شكل لجانا لتقنين الشريعة الاسلامية ، انتهت فعلا من اعداد الدراسات الخاصة بالقوانين المدنية ، وتوشك أن تنتهى من اعداد القانون الجنائى .

وأعلن فضيلة الامام الأكبر معارضته للذين يتلمسون السبل لتمييع الأمور ، فيقولون مثلا أن اعداد الفرد المسلم يجب أن يتم أولا ، وبعده يمكن اعداد القوانين الاسلامية .. وقال ان هذا قلب للأمور .

ثم تساءل فضيلته: لماذا تدرس فى كليات الحقوق ٢٠ محاضرة أسبوعيا فى القوانين الأوربية ، ومحاضرتان فقط للشريعة الاسلامية ؟

وردا على الذين يشككون فى امكان تطبيق الحدود الاسلامية ، يقول فضيلة الامام : ان تطبيق الحدود هو العلاج الوحيد لما نراه من انتشار الجريمة ، وسوف تمتنع السرقة نهائيا اذا قطعنا يد سارق واحد •

فى البداية سألت فضيلة الامام الأكبر عما فعله الأزهر للقيام بمسئوليته فى هذا المجال ، فأجاب : الحمد لله •• لقد بدأت جهود الأزهر تثمر •• ان الأزهر جاهد ، ولا يزال يجاهد من أجل تطبيق الشريعة ، وها هى الثمار أوشكت أن تؤتى أكلها • ومن بشائر ذلك أن الدكتور اسماعيل معتوق عضو مجلس الشعب عن دائرة قنا قدم مشروع قانون الى مجلس الشعب لتطبيق أحكام الشريعة ، وأعلن المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب أن المجلس يسير على ضوء توجيهات الزعيم المؤمن الرئيس السادات ، نحو جعل الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للحكم •

وأضاف فضيلته : وهاهى وزارة العدل تؤلف اللجان لتضع المشروع ، وهى تعمل للانتهاء منه ، وهاهو وزير الاعلام يعلن أكثر من مرة أن أجهزة الاعلام موجهة الآن لنشر القيم الأخلاقية توطئة لجعل الشريعة مصدر القوانين •

ومن قبل ذلك وبعده ، فان الأزهر ألف منذ أكثر من ٧ سنوات لجانا لتقنين الشريعة • وقد انتهت من القسم المدنى على كل المذاهب ، وطبعت عدة كتب فى ذلك ، وهى تعمل الآن فى القانون الجنائى وتوشك أن تنتهى منه •

قلت : وهل ترى أن مسئولية الأزهر انتهت عند هذا الحد ؟

ان الجهاد لم ينته ، لأن سير الأمور على ما يحب المؤمنون ليس سهلا ، خصوصا وأن بعض الناس بدأ يضع تخطيطا لتمييع الأمر •• يقولون : لابد من اصلاح الفرد أولا ، ثم بعد ذلك يطبق القانون•• وهذا خداع ظاهر ، لأن القانون نفسه هو أقوى وسائل اصلاح

الفـرد •• وهـذا ــ طبعا ــ قلب للأمـور ، وانتـكاس لمـا يحب المؤمنون •

ويستطرد فضيلة الامام الأكبر : انهم يقـولون ــ تمـويها ــ ان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لم يطبق القانون فى مكة •• فهل سألوا أنفسهم : على من يطبقه ؟ •• وهل كان فى مكة مجتمع اسلامى بالمعنى الصـحيح ليطبق عليه القـانون الاسلامى ؟ •• وهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم له فى مكة من السلطان ما يجعله يطبق قانونا ؟ •• ثم هل أنزل الله عليه فى تلك الفترة من القـوانين مايطبقها ؟ •• ثم ألم يطبق فى زمرة المؤمنين المحدودة فى مكة كل ما نزل عليـه من مبادىء الوحى ؟

ويستنكر فضـيلة الامام الأكبر ما يثيره المشككون حول : بمـاذا نبدأ ؟ •• ويقول ان هـذا سـؤال لا يسأله مؤمن صادق الايمان ؟ •• فاذا جعلنا هذا السـؤال مشروعا ، فاننا سنضطر الى أن نقول ان هذا نبدأ به ، وهذا نؤجله ، وهذا نلغيه ، وهذا لايتناسب مع البيئة ، وهكذا.

ثم اشتد فضيلته وهو يقول : وهم يحاولون تبرير وجود الخمر مثلا ، وهم يعلمون حكم الله فى الخمر ، وان مـكسـبها رجس ، وان الله سبحانه يرسل الآفات : دودة القطن مثلا ، أو دودة البرسيم •• بل لقد أصابت الدودة فى سنة من السنين ما يفوق كل ما تحقق من ربح الخمر فى سنوات •• ومن عبرة الأقدار أن تتبجح يوما ما شركة البيرة فتعلن أن ربحهـا بلغ مليـون جنيـه ، وفى الأسبوع نفسه تعلن الصحف خسارة ٨ ملايين جنيه فى السـينما •• ان البركة اذا حلت فى القطن سنة واحدة تغنينا عن السائحين لعدة سنوات • والسياح لا يأتون من أجـل الخمر وهى فى بلادهم •

وأضاف فضيلته : لقد كان سيدنا عمر بالهاماته المشرقة يقول لجيوشه: ان الذنوب والمعـاصى أضر على الجيش الاسلامى من كثرة الأعداء •

وعندما سألت الامام الأكبر عن رأيه فى كليات الحقوق ، وهى المسئولة عن اعداد أجيال من رجال التشريع والقانون .

قال : الاستعمار هو الذى غير القوانين الاسلامية ، وهو الذى أنشأ مدارس لتعليم القوانين الأوربية ، هى كليات الحقوق ، تدرس القوانين الأوربية ، ومع الزمن بدا الأمر وكأنه أمر طبيعى ، وأصبح انفصال المسلمين عن شريعتهم أمرا عاديا . ولا شك فى أنهم كانوا مغلوبين على أمرهم أيام كان الاستعمار جاثما على صدور الأمم الاسلامية ، يأمر فيها وينهى .. ولكن الاستعمار وقد خذله الله وانهزم ورجع المستعمرون الى بلادهم فلم يعد مبرر لاستمرار هذه الأوضاع ..

لم يعد ثمة مبرر اطلاقا لأن تدرس كليات الحقوق ٢٠ محاضرة فى الأسبوع للقوانين الأوربية وتكتفى بمحاضرتين فقط للشريعة الاسلامية .

قلت : فضيلة الامام الأكبر ، اذا كانت مناهج كليات الحقوق لا ترضيكم ، فكيف ترى السبيل لاعادتها الى الطريق السليم ؟

قال : ان هذه الكليات هى السر فى تخلفنا فى مجال التشريع ، لأنها دفعتنا بالتبعية للمشرعين الغربيين ندور فى فلكهم .. والتشريع الاسلامى من مفاخر الحضارة الاسلامية ، ورجاله من نوابغ المفكرين فى العالم ، لكننا أصبحنا أتباعا مقلدين .. ومن سخرية الأقدار أن يقول قائل : وأين هو القانون الاسلامى ؟ ..

والاجابة : ان القانون الاسلامى فى كتب الفقه ، وهى كتب عربية .

قلت : وماذا عن رأيكم فيمن يرى أن قطع يد السارق لا يتفق مع العصر ؟

قال : ان قطع يد السارق أمر فرضه الله لا خلاف فيه ، وهو علاج ناجح ضد السرقة ، ويكفى أن يرى الناس الجد فى التنفيذ ، يكفى ان تقطع يد سارق او اثنين فتمتنع السرقة نهائيا .

# لقاء مع فضيلة الأمين العام

## لمجمع البحوث الاسلامية

تقدمت اللجنة الدينية لمدرسة بنات شبرا الاعدادية بالأسئلة الآتية لفضيلة الشيخ خلف السيد على ــ الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية .

وأجاب فضيلته على الأسئلة الموجهة بالآتى :

س ١ : ما السن التى يجب أن تكون فيها الفتاة محجبة ؟

جـ ١ : السن التى يجب فيها على الفتاة التزام الحجاب الشرعى هى سن البلوغ وقد حددها الاسلام ببدء مرحلة « ( الحيض ) » عند الفتاة كما جاء ذلك فى الحديث النبوى عن أسماء بنت أبى بكر .

س ٢ : ما رأى فضيلتكم فى اختلاط الجنسين فى المراحل الأولى من التعليم ؟

جـ ٢ : هذا الاختلاط لا يمنعه الشرع حيث أن التلاميذ والتلميذات فى هذه المرحلة لم يبلغوا السن التى تتحدد فيها معالم الرجولة والأنوثة عند الجنسين ومن المعروف أن التلاميذ فى هذه المدارس ــ أى الابتدائية لايتجاوزون سن الثانية عشرة . فاذا حدث لأمور عارضة كالتخلف الدراسى مثلا . وقضى التلاميذ فى هذه المدارس أكثر من هذه السن فانهم بعد ذلك يدخلون مرحلة التمييز والتكون الجنسى مما يكون سببا للفصل بين الجنسين . كما أنه اذا حدث أن بعض التلاميذ والتلميذات بلغوا أو بلغن مرحلة الأنوثة والفتوة فالفصل بينهما يصبح حتما لا محالة . ومن الأحوط والأسلم أن يظل الاختلاط بينهما الى سن العاشرة فقط .

س ٣ : ماذا يجب على فتاة العصر تجاه دينها ؟

جـ ٣ : الفتاة هى الأصل فى بناء المجتمع الاسلامى السليم . وكلما كانت الفتاة ملتزمة بآداب الدين وأحكامه وشرائعه كان الأثر الذى

تتركه فى الأمة أثرا عظيما • وكلما فرطت الفتاة فى تعاليم دينها انعكس أثر ذلك فى بناء المجتمع وتقويمه وصلاحه • وأمامنا فى دول أوربا وغيرها من الدول التى أهملت شريعة الله أكبر شاهد على ما أصاب هذه الدول من التحلل والانهيار •

س ٤ : ما البرامج الدينية التى ترجو فضيلتكم اضافتها الى الاذاعة المرئية ( التليفزيون ) ؟

ج ٤ : لا بد أن تقوم البرامج الدينية فى التليفزيون على خطة علمية مدروسة تستهدف بناء أجيال اسلامية صالحة تفهم دينها وتفهم رسالتها ودورها فى المجتمع وفى نظرنا أن هذه البرامج يجب أن تراعى فى تخطيطها وتنوعها ما يأتى :

( أ ) تناول العقيدة الاسلامية تناولا سهلا مبسطا لكى يفهم المسلم معنى كونه مسلما ولماذا ؟

(ب) عرض العبادات « من صلاة وصيام وزكاة وحج » عرضا مفصلا مع بيان الحكمة الالهية من هذه العبادات وأثر ذلك فى المجتمع •

(ج) يجب أن يكون للسيرة النبوية والتاريخ الاسلامى قسط كبير فى هذه البرامج كى يتعرف المسلمون على عظمة نبيهم وأسلافهم ، والدور الذى أدوه فى حياتهم لخدمة المسلمين والانسانية •

( د ) التعريف بالحضارة الاسلامية ، والدور الذى لعبه المسلمون فى رقى العالم وانعكاس ذلك على الحضارة الأوربية والانسانية بصفة عامة •

س ٥ : هل أدى تدريس التربية الدينية دوره كاملا فى تعليم النشء وما الطريقة التى تقترحها لتدريس التربية الدينية ؟

ج : الجواب لا • وللأسف الشديد • ان غاية التربية الدينية ليس هو الحفظ ، وحشو العقول بالنصوص والشواهد التى لا تلامس عقول التلاميذ ولا تختلط بشغاف قلوبهم ، ان التربية روح واحساس وقيم وأخلاق • وما لم يكن المدرس

أو المدرسة على مستوى رفيع بهذه المسئولية وما لم يكن المدرس أو المدرسة قدوة فيما تعلمه للتلاميذ أو التلميذات فان كل ما يقال فى حجرة الدراسة يصبح لغوا عديم الفائدة .

ان المطلوب أولا هو المدرس الصالح . والمدرسة الصالحةالقدوة أولا وقبل كل شيء .. ثم ان التدريب العملى هام ومفيد جدا فى مجال التربية الدينية .

كما أن الحصص المخصصة لهذه المادة يجب أن تكون فى الوقت الأول لليوم الدراسى . ان التلاميذ والتلميذات يشعرون ويشعرون بعدم جدية هذه المادة لأنها لا تأخذ حقها من الاهتمام فى نظام المدرسة. وغالبا ما يشغل المدرسون الوقت المخصص للتربية الدينية بمراجعة المواد الأخرى التى تتصل بمجموع الطالب أو الطالبة .

س ٦ : ما رأى سيادتكم فى تعلم الفتاة ، وفى عمل المرأة بصفة عامة. واشتغالها بالسياسة والقضاء بصفة خاصة ؟

جـ ٦ : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة هذه قضية مسلمة لا خلاف عليها ولكن أى علم يجب أن تتعلمه المرأة ؟ ان الظواهر والشواهد فى العالم كله تشير الىأن المرأة بحكم طبيعتها وتكوينها ( الفسيولوجى ) لا يمكن أن تتعلم شيئا يخالف هذه الطبيعة وهذا التكوين الخلقى . لتكن طبيبة ، أو مدرسة أو باحثة اجتماعية مثلا، ولكن هل يمكن للمرأة أن تكون قائدة فى معركة ؟ أو تقود غواصة ؟ الجواب نعرفه جميعا : .. وحتى فى بعض الظروف النادرة التى نزلت فيها المرأة أعمالا كبرى ثبت أن ذلك لم يكن مجديا . وكانت آثارهخطيرة على المرأة ومن حولها . وآخر مثل على ذلك رئيسة جمهوريةالأرجنتين التى خلعت بالقوة من منصبها .

س ٧ : ما رأى الدين فيما يأتى :

( أ ) التوفير بالربح داخل المصارف والبنوك ؟

(ب) شرب البيرة ؟

(جـ) اقامة الموالد ؟

( د ) اطالة الشباب لشعورهم ؟

جـ ٧ : التوفير بالربح حرام كله، وشرب البيرة حرام أيضا لأن الكثير من البيرة يسكر . وما أسكر كثيره فقليله حرام . والموالد بالصورة القائمة بدعة وحرام أيضا . واطالة الشباب لشعورهم مظهر من مظاهر التخنث الذى ينهى عنه الاسلام . ثم أن المدنية عمل وفكر وانتاج قبل أن تكون « شعرا » يرسل على الأكتاف . أو أظافر تطلى وتصقل لتقلد بها وحوش الغابة !

س ٨ : هل الدين ينافى المدنية والحضارة ؟

جـ ٨ : الاسلام بحكم عقيدته وشرائعه دين عمل وسعى وبحث واكتشاف . ان الدين الذى واكب الحياة فى كل مرحلة من مراحل التطور والنماء فالاسلام ليس دينا « كهنوتيا » انه عقيدة وشريعة . ودين ودولة . وعلم وحضارة وهناك الآن فى لندن مهرجان لهذه الحضارة التى أثنى عليها الأعداء قبل الأصدقاء .

س ٩ : ما هى النصيحة المسداة من فضيلتكم الى طالبات العلم فى مختلف المراحل ؟

جـ ٩ : أنها النصيحة التى قدمها شاعر الاسلام العظيم الدكتور محمد اقبال الى كل المسلمات :

المسلمة سراج فى ظلمات الحياة .. وزيت هذا السراج هو العلم والايمان والحكمة والتخلق بأدب الاسلام .

**السفير .. الذى أسلم فى القاهرة**

كان خبرا مثيرا لوكالات الأنباء بلا شك .. ذلك الذى نقلته من القاهرة ( يوم الاثنين الماضى ) ويقول أن «سيموجودو دزيل بينى سفير غانا فى القاهرة أعلن اسلامه رسميا .

ويقول ان « سيموجودو دزيل بينى التى أودعها السفير الملف الخاص به وبعث بترجمة نصها باللغة الانجليزية الى غانا والمؤرخة « ١١ من ربيع الآخر عام ١٣٩٦ هـ الموافق ١١ من أبريل ١٩٧٦ م » :

« ان السفير حضر أمام فضيلة الدكتور بيصار وأعلن رغبته فى اعتناق الدين الاسلامى .. وبعد أن تأكد صدق رغبته فى اعتناق الاسلام

•• ووقف على خصائص الدين الاسلامى الحنيف اجمالا نطق قائلا: « أشهد ألا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأن كلا من عيسى وموسى عبد الله ورسوله وأنه برىء من كل دين يخالف دين الاسلام» •

❊ ❊ ❊

فى دار سفارة غانا بالقاهرة دار هذا الحوار مع السفير المسلم الجديد •

● اسمى بعد الاسلام هو نفس اسمى قبل الاسلام «سيموجودوزيل بينى» لأنى أؤمن أن الاسلام يهتم بجوهر الانسان وليس باسمه ولا بمظهره ونبى الاسلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول عنه « ان الله لا ينظر الى صوركم ••• ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم» •

ـ ماذا كانت ديانتك قبل الاسلام ؟

● طبقا لتقاليد غانا دخلت وأنا صغير المدارس الكاثوليكية وتم تعميدى مسيحيا هناك • • ثم بروتستانيا عام ١٩٥٦

● عمرى الآن ٣٧ سنة •

● أتيح لى زيارة القاهرة عام ١٩٦٠ ، ثم عينت سفيرا لبلادى فى القاهرة عام ١٩٧٥

● أنا غير متزوج • • وطبعا ليس لى أولاد • • واذا تزوجت فسأتزوج مسلمة • •

● لا شك أن الزواج هو سنة الدين وطبيعة الحياة الاجتماعية •

● سكان غانا عشرة ملايين من بينهم ٢٥٪ من المسلمين « ربع المواطنين» ثم الأغلبية بعد ذلك «مسيحية بروتستانتية» ويليهم «الكاثوليك» ثم « الوثنيون » •

ـ كيف فكرت فى الاسلام •• ومتى ؟

● كنت فى غانا على علاقة طيبة بالمسلمين • • وكنت أحس بعمق أدائهم لعبادات الاسلام ••

ومنذ بدأت عملى فى الهند عام ١٩٦٢ بدأت فى عمل دراسات علمية شاملة مقارنة عن الأديان السماوية والمعتقدات والمذاهب الأرضية •• وعن الهندوكية •• وعايشت القرآن

الكريم .. حفظا ، وتلاوة ، وفهما ، كما عايشت «السيرة النبوية » والأحاديث الشريفة .. فهما ودراسة وطالعت كتب المستشرقين ومراجعهم لأنى أجيد اللغة الانجليزية وأتكلم بهما وأخاطب الناس فلما عينت سفيرا لبلادى فى القاهرة بدأت دائرة المعارف الاسلامية تتسع أمامى .. وباتصالى بالمسلمين فى الهند وبصديقين لى مسلمين فى مصر هما السيدان أمين الروبى وله ابنة متزوجة فى غانا منذ ٢٢ سنة ومحمد البشير ماضى أبو العزايم أمين عام جمعية أولى العزم الدينية بالقاهرة وهما «شاهدا اسلامى» فى مقر مشيخة الأزهر بالقاهرة ..

ـ ألم تصادفك صعوبات فى فهم الاسلام وأنت تقارن بينه وبين بقية الملل والنحل .. والأديان ؟

● نعم .. صادفتنى عقبات فهم فى بعض الدراسات ولكنى أناقشها مع بعض العلماء من مختلف الأديان .. وكنت انتهى دائما الى أن .. الفكر الاسلامى هو أرقى أنواع الفكر الدينى والعالمى .. دون تحيز منى للاسلام .. فهذه حقيقة شهد بها حتى أعداء الاسلام من بعض المستشرقين ..

* * *

● أعجبتنى شخصية الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى قيادته للأمة .. وأسلوب دعوته للاسلام .. وحياته مع أصدقائه .. وعشرته لأهل بيته ..

ثم أعجبت بعدد كبير من صحابته .. ومن خلفائه .. ومن التابعين أمثال أبى بكر رضى الله عنه فى تبرعه بكل ماله لجيش المسلمين وكان أغنى المسلمين .. وعمر بن الخطاب الذى أعلن اسلامه ورفض أن تبقى الدعوة الاسلامية « سرية » وارتفع عقب اسلامه صوت المؤذن يدعو للصلاة « الله أكبر » بصوت عال .. وهذا هو السر الذى جذبنى الى الاسلام.

ـ ما موقف أهلك وأسرتك فى غانا من اعلان اسلامك ؟

● لى أخ وحيد فى غانا مسـلم .. ولى عم مسلم .. وأصدقائى من المسلمين كثيرون .. وبقيـة أسرتى « لكم دينكم ولى دين » سيكون عمى وأخى سعيدين بخبر اسلامى

ـ هل عندك رأى فى سر تأخـر المسلمين ؟

● فيما أعتقـد أن سر تأخر أى أمة هو الخلافات التى تقوم بينهـا .. وأخطـر أنواع الخلافات هى الخلافات الشكلية فى بعض المسائل الدينية .. وعـدم توحيـد الرأى والكلمة .. واثارة الفتن فى بعض الشكليات .. والجماهير تتأثر بهذه الفتن والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الفتنة نائمة ، لعن الله من أيقظها » واقترح أن تعود الى كتاب الله وسنة رسوله واجتهـاد الائمة الأوائل فى وحدة قوية .

الأهرام القاهرية

---

## دعـــاء

اللهم انى أعوذ بك من عـذاب القبر وأعوذ بك من فتـنة المسيخ الدجال واعوذ بك من فتنة المحيا والممات . اللهم انى أعوذ بك من المـأثم والمغرم ..

دخلت احدى العجائز على السـلطان سـليمان القانونى ، تشكو اليه جنوده الذين سرقوا منها مواشيها بينماكانت نائمة . فقال لها السلطان . كان عليك أن تسهرى على مواشيك لا أن تنامى فأجابته : ظننتك ساهرا علينا يامولاى فنمت مطمئنة البال ؟

# مهرجان النور

## قصيدة للدكتور سعد ظلام

القيت فى جامعة الأزهر بالزقازيق فى حفل وضع الحجر الأساسى لها ولمعهد الفتيات وقد حضر هذا الحفل فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر والمهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب ، ورئيسا جامعتى الأزهر والزقازيق ومحافظ الزقازيق وهيئة التدريس وعمداء الكليات فى جامعة الأزهر فى يوم ١٦ صفر ١٣٩٦ هـ الموافق ١٦ فبراير سنة ١٩٧٦

ألف مضين .. وأنت فينان الدرى — تهب الحياة حياتها والأعصرا
مرت عليك وما انحنت لك هامة — كلا .. ولا ألق المعارف قصرا
ما زلت عملاقا تقاصر دونه — همم الزمان وما بها قد سطرا
محرابك الأسنى على ساحاته — سطر الخلود فعاش فيما سطرا
وطوى الليالى فى شفيف سنائه — حتى أضأن .. وعدن صبحا مبصرا
يا أزهر الأمجاد دمت منارة — للعالمين .. ومهرجانا أكبرا
الكون أجمعه لديك مواكبا — وفدت لتمنحها السنا المتفجرا
تعطى .. وما بخلت يداك .. تسيرهم — هديا أرق من النسيم وأبهرا

* * *

يا معهدا ولد الزمان بحضنه — فكسوته ألق الحياة منضرا
نمت القرون على رحابك طفلة — وحبت بساحك ثم كانت معصرا
كم أعصر مرت .. وكم أحييت رحا — بك أعصرا غرا .. وأفنت أعصرا
أبحرت فى كل العصور .. وكلما — أقلعت من ماضيك عدت القهقرى
ماضيك الهام وضيى ماثل — فى كل فكر بالحقيقة أسفرا
ماضيك ألاق الجهاد وساحه — شهدت وضاءتها الجهاد الأكبرا
كم رد عدوانا .. وصاول طاغيا — وأزال بهتانا .. وصحى من كرى
ومضى كشلال الضياء الى الورى — يسع الوجود هدى .. ويحتضن الورى

صان الشريعـة فى وضاءة زحفـه ما غـاب عن حـوماتهـا وتأخـرا
وحمى حمى التوحيـد ما لانت له أبـدا قنـاة .. أوكبـا وتعثرا
أنكرت ثوبك فى الجـديد .. لأنه ضـل القـديم تغابيـا وتنـكرا

❊ ❊ ❊

يا باعث الفصـحى .. وقيم أمرها والحـارس الأوف لهـا والأقـدرا
أرست زوارقى العطـاش بروضـها فزكت لهـاتى والبيـان اخضوضرا
ورويت وجـدانى بغـير فصـاحة بالآى تتـلى .. والحـديث مطهرا
أنا من بيـانك موجـه فى زاخـر وأرى بيـانك قـد أظـل وأثمرا
أبحـرت فى هـدى الكتاب ونوره أيكون من حـاز الكتـاب مقصرا
انا على العهـد المقيم .. وهـذه همم الامام على سماوات الـذرى
اليوم يا لغـة الكتاب .. أتيت فى « شوقى » كأنى قـد أتيت المشعرا
أزجى البيـان ولو أردت نظمتـه نجما على هام الدنى .. لا جوهرا
جئنا .. وفوق شـفاهنا أهزوجـة والقلب فاض محبـة .. وتأثرا
جئنـا « الزقازيق » الأبيـة نبتغى للضـاد والمعمـور حصـنا آخـر
حصنا « عرابى فيه يلقى » جوهرا يتعانقـان ويحرسـان الأزهـرا
ويعاهـدان الحـق ألا يقهـرا ويبايعـان حمى العروبة « أنورا »
ليظـل فى أفق العـروبة « أنورا » يحمى حمى الأقصى .. ويحمى المنبرا
ويرد أرض الشمس عاليـة الذرى ويعيـدنا دينـا وفـكرا أثمـرا

❊ ❊ ❊

ياموكبـا يحبى سـناه الأدهـرا ولسـوف نحيا فى سـناه الأدهـرا
شـوقتنى للعيـد .. لمـا أقبلت تسعى المواكب كى تعـانق جوهرا
ويـداه تهـدى للخـلود الأزهـرا وتقيم صرحـا للشريعـة أزهـرا
شوقتنى فأتيت أشـهد سموة التـ ـاريخ أكتب من سناها أسـطرا
فى موكب حـرس الالـه جـلاله يسـنى هـدى ومهـابة وتطهـرا
وعليـه من ألق الامـام وفضـله ما يعمـر القلب الوضـيىء تذكرا

❊ ❊ ❊

يا كعبة الأضواء •• يا نبع السنا ... يا مهد نور الله •• لن تقهقرا
رامتك بالشر العظيم عصابة ... الشر فى أجفانها •• متنمرا
جمعت فيالقها •• وأسرع ركبها ... واحمر ناجذها •• وصاح ليثأرا
ورأتك فارتاعت •• وأخفق سعيها ... وهوت •• وأجفل ركبها •• وتعثرا
وارتد خنجرها الأثيم بصدرها ... وانهار صرح حقودها •• وتكسرا
وبقيت يا حرم الشريعة باذخا ... كالطود •• كالهرم الأبى مظفرا
وبقيت حصنا للحضارة سامقا ... وكأن دورك بالخلود استأثرا

* * *

واليوم تنهض للوثوب عصابة ... قد دربت جيش التتار مدمرا
من كل غر دللوه • وملحد ... قد ضللوه •• وصيروه أحمرا
أو كاتب ضل الطريق فراح يلـ ... ـهث •• أو وصولى أضل وأخطرا
ومفكر فى الجنس يطفح فكره ... سما •• ولو صدقوا لقيل مكفرا
ومنافق جعل البلاد بسوقه ... وضميره سلعا تباع وتشترى
وتحصنوا بمراكز أقوى على التـ ... ـأثير •• وامتشقوا الحسام الأحمرا
ورموا متون الضاد فاهتزت وثنـ ... ـنوا بالعقيدة ثم راموا الأزهرا
وتقدموا كالأخطبوط فسمموا ... فكر الشباب وأفعموه تحيرا
وتملقوه •• ودمروا الفطر السليـ ... ـمة فيه •• واستعدوا عليه المنكرا
ولووا زمام القول فانحرفت به ... سبل •• وغام العقل فيه وأقفرا
فالدين رجعى ومعتنقوه رجعـ ... ـيون والقرآن فاض تأخرا
والفسق صار تنورا والزيغ صا ... ر تحررا والكفر صار تطورا
باسم التطور والتحرر زيفوا ... قيم الحياة •• وأعجلوا فينا السرى
انى أشم بها روائح ردة ... قم يا أبا بكر ـ هديت ـ محررا

د : سعد عبد المقصود ظلام

# باب الفتوى[١]

للأستاذ محمود محمد رسلان

السؤال الأول : من السيد / عمار بن صالح زغينة — باتنه — الجزائر :

هل تجوز صلاة الجمعة داخل أحد الأقسام أو الصفوف بالمدرسة؟ أم أنه لا يجوز ذلك كما سمعنا بعض الشيوخ فى الجزائر حيث أفتوا بجواز صلاة الجماعة ، وأقروا ببطلان صلاة الجمعة فى غير المسجد مع العلم بأن مذهبنا ( مالكى ) .

السؤال الثانى : هل يباح لمريض بالسل — عافاكم الله — بالافطار فى رمضان ؟

الجواب على السؤال الأول :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فيشترط لصحة صلاة الجمعة عند الامام مالك رضى الله عنه خمسة شروط :

الشرط الأول : الاستيطان . ويشترط لهذا الشرط أن يكون ببلد أو خصاص ، وأن يكون بجماعة — تتقرى — أى تقام وتستغنى بهم القرية عادة بالأمن على أنفسهم ، والاستغناء فى معاشهم العرفى عن غيرهم . ولا يحدون بحد ، كمائة أو أقل أو أكثر ، فلو كانوا لا تتقوى بهم قرية بأن كانوا مستندين فى معاشهم لغيرهم ، فان كانوا على بعد فرسخ من قرية الجمعة وجبت عليهم تبعا لهم .

الشرط الثانى : حضور اثنى عشر رجلا لصلاتها ، وسماع الخطبتين ولهذا الشرط شرطان : الأول : أن يكونوا من أهل البلد فلا تصح من المقيمين للتجارة ونحوها . الثانى : أن يكونوا باقين مع الامام من أول الخطبة الى السلام ، فلو فسدت صلاة واحد منهم ولو بعد سلام الامام بطلت الجمعة .

الشرط الثالث : الامام المقيم .

الشرط الرابع : الخطبتـان ...

الشرط الخامس : الجامع ، فلاتصح فى البيوت ، ولا فى براح من الأرض ولا فى خان ولا فى رحبة دار ، وهذا الشرط له أربعة شروط : أن يكون مبنيا ، وأن يكون بناؤه على عادتهم ، وأن يكون متحدا ، ومتصلا بالبلد . فلا تصح فيما حوط عليه بزرب أو أحجار أو طوب من غير بناء ( على عادتهم ) أى أهل البلد فيشمل بناءه من بوص لأهل الأخصاص لا غيرهم ( متحد ) بالبلد .

والله أعلم

أنظر الشرح الصغير على أقرب المسـالك الى مذهب الامام مالك ج ١ ص ٤٩٥

الجـواب على السـؤال الثانى لنفس السائل .

رخص الله الافطار للمريض عامة فى رمضان ، ومريض السل على وجه الخصوص ؛ لأن الجـوع يزيد فى مرضه والله تعـالى يقول : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بـكم العسر وقـوله : « لا يكلف الله نفسـا الا وسعها » .

والله أعلم .

السؤال من السيد/صدقى موسى سلمان ــ كلية التربية ــ المنيا .

١ ــ هل رهن الأراضى الزراعية حلال أم حرام فى الاسلام ؟

٢ ــ ما سبب نزول الآية الكريمة « يا أيهـا الذين آمنـوا ان مـن أزواجكم وأولادكم عـدوا لـكم فاحذورهم ، وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم . انما أموالكم وأولادكم فتنـة والله عنده أجر عظيم » التغابن ١٤ ، ١٥

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين أما بعد : فالجواب على السـؤال الأول نفيـد بأن رهـن الأراضى الزراعية حـرام اذا كانت الغـلة المسـتخرجة لصـاحب الدين دون مقابل لأن كل قرض جر نفعا فهـو ربا ، أما اذا كان صاحب الدين يدفع ايجار الأرض التى فى حوذته ضمانا لدينه ــ للمدين مقابل المنفعة فهذا حلال . والله أعلم .

الجواب على السؤال الثـانى : نفيد بالآتى : أخـرج الواحدى فى

كتابه أسباب النزول عن اسـماعيل ابن أبى خالد أنه قال وكان الرجل يسلم فيلومه أهله وبنوه فنزلت هذه الآية « ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم » .

قال عكـرمة عن ابن عبـاس ، وهـؤلاء الذين منعهم أهلهـم عن الهجرة لما هاجروا ورأوا النـاس قد فقهوا فى الدين هموا أن يعاقبوا أهليهـم الذين منعوهم فأنزل الله تعالى : « وان تعفـوا وتصـفحوا وتغفـروا فان الله غفـور رحيم » وكون الأمـوال والأولاد فتنة أى اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقـه ليعلم من يطيعه ممن يعصـيه « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمـا يعلم الله الذين جاهدوا منـكم ويعـلم الصابرين » . وقوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النسـاء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعـام والحرث ذلك متاع الحيـاة الدنيا والله عنـده حسن المـآب » والله أعلم .

السؤال الأول : هل الأطعمـة المحفوظة ، كالبلوبيف ، والمرتديلا حرام أم حلال ؟

السؤال الثانى : هل ما يكسبه بعض السماسرة مشروع فى الاسلام أم لا ؟

الجواب الأول : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : نفيد بأنه اذا كانت من حيوان مأكول اللحم فأكلها حلال ، وان كان يغلب على الظن أنها مذكاة ، وأن مذكيها من أهل الكتاب لقوله تعالى « وطعـام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » وعند الأكل ينبغى أن تذكر اسم الله عليها ، وان كانت من غير مأكول اللحم بأن كانت لحـوم كلاب ، أو دببة ، أو خنازير ، وسواء ذكيت أم لا ، ذكر عليها اسم الله أم لا فهى حرام سواء كانت منخنقة أو موقوذة أو متردية أو منطوحة فأكلها حـرام . هـذا ولابد من رعاية السادة المسئولين عن الاسـتيراد والتصـدير فى كل بلد اسلامى من التمكن من أن هـذه المعلبات خالية من المحرمات ويعرف هذا بخبراء مسلمين ثقات فى فحص الأغذية ومعـرفة تركيب مـوادها المختلفة حتى لا يتردد الناس فى تناول

أطعمة تحوم حولها الشبهات ،ولعلنا نرى أن بعض الخطوط الجوية الأجنبية تكتب قوائم على الأطعمة والمشروبات منها : هذا لحم خنزير، هذا يحوى خمرا ، تقديرا لمشاعر المسلمين ، ونحن المسلمين أولى بالدقة فى تحرى أكل الحلال والله أعلم .

الجواب الثانى :

السمسرة مشروعة ، وتسمى الوساطة ، وصورتها تكون بين البائع والمشترى لمنفعة كل منهما ، وهى حلال ، بشرط أن يأخذ السمسار أجر مثله فى العمل ، فان زاد عن هذا القدر فهو حرام .

والله أعلم .

ورد للمجلة عدة أسئلة نقتصر منها على ما يلى :

السؤال الأول : هل لنا أن نفهم الحكمة أو السبب فى نزول سورة التوبة بدون البسملة ؟

السؤال الثانى : ما رأى الاسلام فى الابن الذى يقطع صلته بوالدته، لخلاف بين زوجه وأمه ؟

السؤال الثالث : ما حكم الشك فى الصلاة ، أو الغسل ، أوالوضوء؟

السؤال الرابع : ما حكم من يتأثر فى الصلاة الجهرية بسببقراءة الامام فينطق لسانه مثلا بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بحركات من الشفتين ؟

## الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فقد وجدنا اجابة هذهالأسئلة على صفحات مجلة لواء الاسلام العدد التاسع ــ جمادى الأولىسنة ١٣٦٧ هـ ولما كانت مستوفية الغرض المطلوب آثرنا نشرها ليعم النفع بها .

الجواب الأول : ذكر العلماء أسبابا كثيرة : منها أن البسملة اشتملت على الأمان والرحمة ، وسورة التوبة نزلت فى القتال والحرب ، والرحمة والحربلايتفقان فلم تذكر البسملة فى أول سورة التوبة .

ومنها أن كثيرا من الصحابة كان يرى أن سورة التوبة وسورةالأنفال

سورة واحــدة ، ولذلك لم تذكر البسملة بينهما .

والذى نراه أن القــرآن جميعه توقيفى ، وقد ورد المصحف الامام خاليا من البسملة فى أول ســورة براءة ، فاتباعا للمصــحف الامام ، تترك البســملة عنــد قراءة هــذه السورة .

أما الســبب فى خلو المصــحف الامام منها ، فقد يعــود الى سبب من الأسباب التى ذكرناها آنفا ، ومع ذلك ، فالأجدر عدم الخوض فى هذه الأسباب مادام لنا فى أصحاب رسول الله أسوة .

الجواب الثانى : ان مثــل هذا الابن يعــد عاقا لوالدته ، وقاطعــا لرحمه ، مخــالفا فى ذلك أمــر الله الذى أنزله فى كتابه ، وهدى رسوله الذى وردت به الســنة الكريمة ، وان اشتداد الخــلاف بين زوجته ووالدته لا يصلح بأى حال مسوغا لقطيعة الرحم ، وعقــوق الوالدين لأن المسلم الحكيم يمكنه أن يوفق بين الاثنتين دون أن يقع فيما يعود على احداهما بالضرر .

الجواب الثالث : عندما تشــك فى عدد الركعات اعمل بغلبة الظن ، واذا أعوزك الظن الغالب ، فاعمــل بالأقل . أما الشــك فى الغســل ، ــ أو الوضــوء ــ فينبغى لك أن تقاومه ، لأن الأصــل فى الانســان الطهــارة مما يوجب الغســل ، أو الوضوء ، ولا ينقض هــذا الأصل الا اليقين .

واعلم أن الدين يسر ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم نصح أمته أن أن يأخذوا بالأيسر ، وأخبر أنه لن يشاد الدين أحد الا غلبه .

الجواب الرابع : يجب أن تخــلو الصلاة من كل لغو ، أو ألفاظ ليست واردة فى القرآن ــ « واذا قرىء القــرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ويفهم من هذا أن السماع انما يكون بكل الجوارح والانصــات التــام يلزمه التدبر والتفكر ــ أو السنة ، وعلى الاجمــال يجب أن تكون ــ الصلاة ــ خالية من كل ما ليس من جنسها ، لقوله صلى الله عليه وسلم: « ان صلاتنا هذه ، لا يصلح فيهــا شىء من كلام الناس » .

وبناء على هذا ، فالذى ــ حرك شفتيه ــ بصوت عال ، قد أدخل فى الصلاة ما ليس منها ، فلا تصح صلاته • وأما الذى قال : « صلى الله عليه وسلم » فلا بأس عليه ، لأن هذا دعاء غير دنيوى فلا يؤثر فى الصلاة ، ومع ذلك ، فالأليق بالصلاة الاقتصار على الوارد فيها ، اهـ •

والله أعلم

### السؤال

يسأل السيد محمد منير بالقاهرة: أرى كثيرا من المسلمين يدخنون فى السرادقات التى تقام للعزاء فى أثناء تلاوة القرآن • فهل هذا حلال أم حرام ؟ •

### الجواب

يجيب فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى مصر الأسبق فيقول:لا يجوز التدخين فى المساجد والظاهر كراهته وقت تلاوة القرآن لما فيه من الاخلال بتعظيم كتاب الله تعالى سواء كانت التلاوة فى المسجد أو غيره •

وقد أخل كثير من الناس بهذا الحكم فلم يبالوا بشرب الدخان فى أثناء قراءة القرآن ، وذلك بلا ريب سوء أدب وقبح صنيع ، والواجب زجرهم عنه ، وامتناع القراء عن القراءة ، حتى يكف السامعون عن شربه ، ويتهيأوا لسماع القرآن بأدب واقبال وامعان والله أعلم •

### السؤال

ويسأل أحمد عبد الفتاح من طنطا عن الحكم فى الذين يؤدون الصلاة فى غير أوقاتها •

### الجواب

وعن هذا السؤال يجيب الشيخ مخلوف بقوله ان أداء الصلاة فى أوقاتها واجب، وتأخيرها اضاعة لها• وقد فسر عبد الله بن مسعود قوله تعالى « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة » بأنهم أخروها عن أوقاتها •

وبايجاز شديد فان من أخر الصلاة عن أوقاتها آثم ، ومن لم يؤديها حتى فاتت آثم اثمين ، فاذا قضاها تحلل من اثم الترك وبقى عليه اثم التأخير ، فاذا تاب الى الله توبة نصوحا ، واستغفر من ذنبه يزول عنه اثم التأخير والله أعلم •

**الفتوى الأخيرة وما قبلها فقط عن الأخبار القاهرية**

**محمود محمد رسلان**

# أنباء وآراء

للأستاذ إبراهيم حامد النويهى

## المؤتمر الاسلامى الافريقى الاول

فى نواكشوط عاصمة الجمهورية الاسلامية الموريتانية انعقد المؤتمر الاسلامى الافريقى الأول فى الفترة من ٣ ـ ٥ مايو سنة ١٩٧٦ بدعوة من رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة وحضره وفود من خمس وثلاثين دولة افريقية ، ومثل مصر والأزهر فيه فضيلة الشيخ خلف السيد على الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر وجاء انعقاد هذا المؤتمر فى وقته ومكانه تمشيا مع قرارات وتوصيات مؤتمر المنظمات الاسلامية الذى عقد بمكة المكرمة فى ابريل عام ١٩٧٤ بدعوة من رابطة العالم الاسلامى ، وذلك للعمل الاسلامى الشامل فى نشر الدعوة الاسلامية واعلاء كلمة الله والجهاد فى سبيله والتمسك بكتابه وسنة رسوله ومكافحة الالحاد والانحلال وجميع التيارات الموجهة ضد الاسلام وضرورة انشاء مجلس تنسيق للمنظمات الاسلامية على مستوى القارات فى العالم .

وفى نور الايمان وروح الاخوة الاسلامية ساد المؤتمر جو من النشاط والحركة والتعاون الصادق فى دراسة الموضوعات التى أدرجت فى جدول أعماله وهى :

أولا ـ نشر وتحفيظ القرآن الكريم .

ثانيا ـ نشر اللغة العربية لغة القرآن بين أبناء الشعوب الاسلامية .

ثالثا ـ التنسيق بين المنظمات الاسلامية الافريقية وانشاء مجلس التنسيق الاسلامى الافريقى .

رابعا ــ الدعوة الاسلامية .

خامسا ــ التيارات الهدامة .

وانتهى المؤتمر فى دراسته لهذه الموضوعات الى قرارات وتوصيات أثبتت بحق نجاح المؤتمر والتوفيق الذى حالفه وثمار الجهود الطيبة التى بذلت قبله وابانه .

ومن أهم القرارات والتوصيات التى اتخذها المؤتمر بالنسبة للموضوعات التى نيط بها ما يلى :

**اولا : فى مجال نشر وتحفيظ القرآن الكريم اوصى المؤتمر بتوصيات من اهمها :**

١ ــ دراسة القرآن الكريم فى المدارس العمومية والأهلية ، والابتدائية والثانوية كمادة أساسية والمساعدة على انشاء جمعيات لتحفيظه ، واجراء مسابقات موسمية لتخريج حفاظ له وتخصيص حصة اذاعة لتحفيظه وتفسيره فى كل دولة ..

٢ ــ العناية بترجمة معانى القرآن الى مختلف اللغات ، ومراقبة تراجم معانيه المتداولة والموضوعة من قبل الفئات المعادية . ومراقبة المصاحف المتداولة من قبل رجال متخصصين فى كل قطر ..

٣ ــ انشاء مركزين دائمين على الأقل لتحفيظ القرآن ، مقرهما نواكشوط فى موريتانيا وكانو بنيجيريا .

٤ ــ ايفاد نخبة من قراء القرآن الكريم الى المناطق الافريقية التى توجد فيها أقليات اسلامية فى مناسبات لتدريس أبنائها القرآن ومبادىء العلوم الاسلامية .

٥ ــ ايجاد معاهد قرآنية فى المرتبة المتوسطة ، لتخريج حفاظ مثقفين بالثقافة العامة وانشاء معهد عال للقرآن لتزويد المدارس القرآنية الصغيرة بالأساتذة .

**ثانيا : فى مجال نشر اللغة العربية اوصى المؤتمر بتوصيات من أهمها:**

١ ــ الوقوف فى وجه الهجمات على لغة القرآن الكريم باعتماد تعليمها فى كافة المراحل التعليمية ، ووضع وتوزيع كتب لتعليمها ،

واقامة دورات تدريبية لأســاتذة الكتاتيب والمدارس الخاصة فى القارة الأفريقية ، واعطاء جوائز تشجيعية للمدارس والكتاتيب الخاصــة التى تحصل على نتائج ملموســة فى نشر لغــة القرآن ، والسعى لتخصيص ركن لتعليمهـــا فى اذاعات الدول الاسلامية .

٢ ـ الاشراف على المـــدارس العربية التى يقوم عليها غير المسلمين لتعليم لغة القــرآن والســعى لنشر الحديث النبوى الشريف بوضـــع كتب صغيرة للأطفال والكبــار مع الضبط والتفسير بايجاز ويسر ..

٣ ـ تعميم البرامــج الاسلاميــة الهادفة لنشر لغة القرآن والعمل على استخدام أحدث المناهج فى ميــدان تعليم اللغــات لغير أبنائهــا وتنظيم دروس للغــة العــربية عن طــريق المراسلات والتوســع فى تخصيص منح دراســية فى بعض الجامعــات الاسلامية لدراستها ..

٤ ـ تشجيــع اقامة نواد للغـــة العربية ضمن المنظمات الاســـلامية الافريقيــة تهــدف الى النهــوض بمستوى هذه اللغــة كتابة وقــراءة وتحدثا لدى اعضائها .

٥ ـ السعى لدى وزارات التربية والتعليم فى العالم الاســلامى لتعيين ملحقين ثقافيين للعمل على نشر اللغة العربية ، على أن يكونوا من ذوى الخلق الاســـــلامى ومن خريجى الجامعــات الاســلامية وكلياتها فى مختلف الفروع ..

**ثالثا : فى مجال التنسيق بين المنظمات الاسلامية اتخذ المؤتمر توصــيات منها :**

انشاء مجلس تنسيق للمنظمــات الاسلامية فى قارة افريقيا وفق المواد المنبثقة فى نظامه الأساسى التالى :

( ا ) **الاســم :**

يسمى هذا المجلس باسم : (مجلس التنسيق الاسلامى الافريقى ) وله شخصيته الاعتبارية المستقلة ..

(ب) **المقــر :**

مقر هذا المجلس هو مقر لجنته التنفيذية الذى يحــــدده المؤتمــر الاسلامى الافريقى الأول ثم تحدده تباعا المؤتمرات الاسلامية الافريقية أو دورات المجلس القادمة ...

**(ج) الأهداف :**

من وسائل تحقيق أهداف المجلس :

١ – العمل على أن يكون القرآن الكريم والحديث الشريف هما مصدر التشريع فى البلاد الافريقية المسلمة .

٢ – نشر القرآن وتحفيظه وتمكين المسجد من القيام برسالته ، ووضع خطط للتنسيق بين المنظمات الاسلامية فى قارة افريقيا لحشد طاقتها وجهودها لتحقيق أهداف المجلس .

٣ – تبادل المعلومات والخبرات للعمل الاسلامى على صعيد القارة الافريقية وتهيئة الشباب المسلم الافريقى تهيئة ثقافية اسلامية ، واقامة حلقات تدريبية للأئمة والوعاظ والاستفادة من مختلف وسائل الاعلام فى الدعوة الاسلامية .

٤ – دعوة الكتاب والشعراء الأفارقة لحضور ندوات دورية تعرض فيها نماذج من الأدب والشعر الافريقى الاسلامى بتشجيع من رابطة العالم الاسلامى وتخصيص جوائز للفائزين .

٥ – توفير المنح الجامعية والثانوية واعطاء الأولوية لأبناء المسلمين ، وايجاد مراكز فى افريقيا مهمتها دراسة نشاط التيارات والحركات المعادية للاسلام وانتداب عدد من المفكرين الأفارقة فى اللجنة التنفيذية للمجلس وفى مراكز البحوث والتخطيط التابعة لها .

**(د) هيئات المجلس واختصاصاتها :**

١ – المؤتمر الاسلامى الافريقى هو الهيئة العليا التى تشرف على المجلس وتقوم برسم سياسته ..

٢ – يعقد المؤتمر كل ست سنوات فى احدى الدول الافريقية التى يحددها المجلس ، بدعوة من اللجنة التنفيذية للمجلس .

٣ – ينشىء المؤتمر مجلسا للتنسيق الاسلامى الافريقى ويضع نظامه الأساسى وينتخب رئيسا للجنته التنفيذية ونائبين للرئيس وأربعة أعضاء يمثلون المناطق

الافريقيـة لدورة واحـدة قابلة للتجديد •

**(هـ) مجلس التنسيق الاسلامى الأفريقى ـ ويتكون من :**

١ ـ ممثل عن المجلس الأعلى للمنظمات الاسلامية أو المنظمة الاسلامية التى تقوم مقامه فى كل دولة من الدول الافريقية •

٢ ـ الوزراء والمسئولين عن الشئون الاسلامية فى الدول الافريقية •

٣ ـ أعضاء المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى عن الشعوب الافريقية •

٤ ـ الأعضاء الأفارقة للمجلس الأعلى العالمى للمساجد •

٥ ـ مديرى مكاتب رابطة العالم الاسلامى وممثلى الصحف والجامعات الاسلامية فى افريقيا ••

٦ ـ يعقد المجلس اجتماعاته الدورية كل سنتين أو كلما دعت الحاجة الى عقدها بموافقة ثلثين من أعضائه •

**( و) اللجنة التنفيذية للمجلس :**

١ ـ تتكون من رئيس ونائبين وأربعة أعضاء يمثلون المناطق الافريقية التى توجد فيها فروع اللجنة •

٢ ـ تشكل اللجنة التنفيذية أجهزة تابعة لها للسكرتارية وغيرها•

٣ ـ تعقد اللجنة التنفيذية اجتماعها العام مرة كل سنة على الأقل ••

٤ ـ على اللجنة التنفيذية انشاء المراكز الافريقية للبحوث والتخطيط •

٥ ـ مهمة اللجنة التنفيذية اتخاذ كافة الوسائل لتحقيق أهداف المجلس ••

**( ز) الشئون المالية :**

مصادر تمويل نشاط المجلس ولجنته التنفيذية وهى :

١ ـ الدعم المادى الذى تقدمه رابطة العالم الاسلامى ••

٢ ـ التبرعات سواء من الأفراد أو الهيئات ••

٣ — المشروعات الاستثمارية وما يوصى به المحسنون ، والاشتراكات التى تدفعها المجالس العليا للمنظمات الاسلامية الافريقية ..

**رابعا : فى مجال ادعوة الاسلامية ، اتخذ المؤتمر عدة توصيات من اهمها :**

١ — العمل على أن يكون القرآن الكريم والسنة النبوية دستور الحياة فى ديار المسلمين والتلاقى على تخطيط اسلامى متكامل لشئون الدعوة والدعاة ، والتنسيق بين مناهج كليات الدعوة وأصول الدين .

٢ — مطالبة الدول الاسلامية القادرة على الاسراع فى انشاء معاهد متخصصة لاعداد الدعاة ، وتوجيه عناية الداعية الى تجلية حقائق الاسلام وكشف أباطيل خصومه وتوفير الحصانة والرعاية له ولامام المسجد وخطيب الجمعة .

٣ — المناشدة فى أن تبذل الدول الاسلامية بسخاء فى سبيل دعم حركة الدعوة ..

**خامسا : فى مجال الثقافة، اتخذ المؤتمر عدة توصيات من اهمها :**

١ — تجلية الثقافة الاسلامية وتخليصها مما لحق بها من الثقافة الدخيلة الغازية وأن تكون مادة الثقافة الاسلامية مادة أساسية على مستوى الجامعات ..

٢ — انشاء المزيد من المراكز الثقافية الاسلامية ودعم مكتبات المساجد وتزويدها بالكتب الاسلامية ..

٣ — مناشدة وزارات التربية والتعليم فى جميع بلاد العالم الاسلامى للعمل على العناية بالتربية الاسلامية العملية والخلقية ، وتنظيم مهرجانات وأسابيع ثقافية اسلامية .

٤ — اعادة كتابة التاريخ الاسلامى من وجهة النظر الاسلامية وتنقيته مما دس فيه عن الاسلام ، وكذلك تنقية الكتب الدراسية .

**سادسا : فى مجال الاعلام ، اتخذ المؤتمر توصيات من اهمها :**

١ — العمل على تنقية أجهزة الاعلام من كل ما يتنافى وتعاليم الاسلام ، وتوجيه أجهزة الاعلام لخدمة قضايا المسلمين .

٢ ـ التنسيق بين أجهزة الاعلام وبين رسالة المسجد فى العالم الاسلامى ، وتوجيه أجهزة الاعلام للعناية ببحث التراث الاسلامى ، وتسليط الأضواء على الجوانب المشرقة فيه ..

٣ ـ يناشد المؤتمر وزراء الثقافة والاعلام فى جميع الدول الاسلامية للعمل على اختيار النماذج الاسلامية لتقديم البرامج ..

**سابعا : بالنسبة للتيارات الهدامة أوصى المؤتمر بتوصيات من أهمها:**

١ ـ أن يكون هذا العام بالذات عام تركيز وتكثيف للعمل الاسلامى فى افريقيا ويطلب من رابطة العالم الاسلامى اصدار بيان يتضمن أن الاسلام المثل فى قادته ودعاته فى دوله وشعوبه بهذه القارة مدعو الآن لخوض نضال متواصل ، لحماية أهدافه ونشر الهداية بين أبنائه وانقاذهم فى هذه القارة .

٢ ـ الاكثار من فتح مدارس عن طريق الهيئات الاسلامية ، واعتماد منهج أصيل للتربية الاسلامية واعداد كتب مبسطة لأطفال المسلمين تمكنهم من فهم دينهم .

٣ ـ تأكيد ارتباط الدين بالدولة وبالمجتمع والحياة وأنه لا فصل فى الاسلام بين السلطات ..

٤ ـ نقض الفكر الشيوعى والكشف عن أخطاره وزيفه ، وتبصير الشباب المسلم عن طريق الحوار العلمى المقنع بأصالة الفكر الاسلامى ..

٥ ـ كشف أسرار الماسونية فى دراسات واسعة باللغات المختلفة فى البلاد الافريقية للكشف عن صلتها بالصهيونية ، وابعاد زعمائها من مراكز التوجيه الاجتماعى والثقافى .

٦ ـ دعوة أئمة المساجد للعمل على كشف مزاعم القاديانية والبهائية وحث الحكومات الاسلامية على اعتبارها نحلتين خارجتين عن الاسلام .

وبهذا يعد المؤتمر مؤتمر عمـل وحركة ونشـاط ، وأننـا ندعو الله العلى القدير أن يسدد خطى العاملين المخلصـين وأن تنتقـل قـراراته وتوصياته من الكتابة الى التنفيـذ وصـــدق الحق تبـارك وتعالى اذ يقـول : ( من المؤمنـين رجال صـــدقوا ما عاهـــدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ) .

**ابراهيم حامد النويهى**

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٦

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٩٠٠٢-١٩٧٦-٥٧٩٩

then what was the end of the guilty).

*Verse* 85 :

(To the Madyan people We sent Shuaib, one of their own brethen : he said : O my people ! worship God ; you have no other god but Him. Now has come unto you a clear sign from your Lord ! Give just measure and weight, nor withhold from the people the things that are their due ; and do no mischief on the earth after it has been set in order : that will be best for you, if you have Faith).

Midian was a city of Hejaz and the dwelling of a tribe of Midian. Shuaib mentioned in the Quran here and in Chapter II, verses 84-95 was a descendant of Abraham in the fifth generation.

8 — The story of Moses is told in greater detail, not only in his struggles with Pharaoh, but in his preparation for his mission and his struggles with his own rebellious people. Even from the time of Moses the coming of the holy Prophet Muhammad was foretold. The people of Moses frequently lapsed from Allah's Law as promulgated to them, and transgressed Allah's covenant, and they were scattered through the earth. Allah says in verses 103 to 112 what means :

*Verse* 103 :

(Then after them We sent Moses with Our Sign to Pharaoh and his chiefs, but they wrongfuly rejected them : So see what was the end of those who made mischief).

*Verse* 104 :

(Moses said : O Pharaoh ! Certainly I am a messenger from the Lord of the Worlds).

*Verse* 105 :

(I am worthy of saying nothing about Allah except the truth : I have come to you indeed with clear proof from your Lord, therefore send with me the children of Israel).

*Verse* 106 :

(He said : If you have come with a sign, then bring it, if you are of the truthful ones.

*Verse* 108 :

(And he drew forth his hand, and verily it was white to the beholders).

*Verse* 109 :

(The chiefs and nobles of Pharaoh's people said : verily, this is a sorcerer well-versed.

*Verse* 110 :

(His plan is to get you out of your Land : then what do you advise ?).

*Verse* 111 :

(They said : Put him off and his brother, and send collectors into the cities.

*Verse* 112 :

(That they may bring to you every knowing enchanter).

your Lord; this is (as) Allah's she-camel for you-a sign, therefore leave her alone to pasture on Allah's earth, and do not do her any harm, otherwise painful chastisement will overtake you).

*Verse* 74 :

(And remember when He made you successors after Aad and settled you in the land — you make mansions on its plains and hew out houses in the mountain-rememeber therefore Allah's benefits and do not act corruptly in the land, making mischief).

*Verse* 75 :

The chiefs of those who behaved proudly among his people said to those who were considered weak, to those who believed from among them : Do you know that Salih is sent by his Lord ? They said : Surely we are believers in what he has been sent with).

*Verse* 76 :

Those who were scornful said : Most surely, in that which you believe we are unbelievers).

*Verse* 77 :

So they hamstrung the she-camel, and they flouted the commandment of their Lord, and they said : O Salih ! Bring upon us that you threaten if you are indeed of those sent from Allah).

*Verse* 78 :

So the earthquake seized them, and morning found them prostrate in their dwelling-place).

*Verse* 79 :

(So Salih left them saying : O my people ! I did indeed convey to you the message for which I was sent by my Lord : I gave you good advice. But you do not love good advisers).

*Verse* 80 :

(We also (sent) Lut : He said to his people : Do you commit lewdness such as no people in creation ever committed before you ).

*Verse* 81 :

(For you practise your lusts on men in preference to women : you are indeed a people transgressing beyond limits).

*Verse* 82 :

(And the answer of his people was only that they said (one to another) : Turn them out of your township. They are verily a people who seek to purify themselves).

*Verse* 83 :

(So We delivered him and his followers, except his wife : she was of those who remained behind).

*Verse* 84 :

(And We rained upon them a shower of (brimstone) : consider

country in Southern Arabia extending from Omman at the mouth of the Persian Gulf to Hadhramaut and Yemen at the southern end of the Red Sea.

Aad was the grandson of Aram mentioned in LXXXIX, 7 who was a grandson of Noah ; and the tribe of Aad here spoken of is called the first Aad (LIII, 50) as distinguished from the tribe of Samoud, which is called the second Aad. Allah says in verse 65 what means :

(And unto (the tribe of) Aad (We sent) their brother, Hud. He said :

(O my people : Worship God ! You have no other god but Him. Will you not fear God) ?

*Verse* 66 :

(The leaders of the unbelievers among his people said : Most surely we see you in folly, and most surely we think you to be of the liars).

*Verse* 67 :

(He said : O my people ! there is no folly in me but I am an apostle of the Lord of the worlds).

*Verse* 68 :

(I deliver to you the messages of my Lord and I am a faithful adviser to you).

*Verse* 69 :

(What : do you wonder that a reminder has come to you from your Lord through a man from among you that he might warn you ? And remember when He made you successors after Noah's people and increased you in excellence in respect of stature among the nations. Call in remembrance the benefits (you have received) from God : that so you may prosper).

*Verse* 70 :

They said : Have you come to us that we may worship God alone and give up what our fathers used to worship ? Then bring to us what you threaten us with, if you are of the truthful ones ).

*Verse* 71 :

(Hud said : Venegeance, wrath and punishment have already fallen upon you from your cherisher. Do you dispute with me over names which you have devised ; you and your fathers, for which no warrant from Allah has been revealed ? Then await (the consequence). Surely, I also am of those who wait).

*Verse* 72 :

(So We delivered him and those with him by mercy from Us, and We cut off the last of those who rejected Our signs and were not believers).

*Verse* 73 :

(And to Samoud (we sent) their brother Salih. He said : O my people ! Worship Allah, you have no god other than Him; clear proof indeed has come to you from

(Surely, your Cherisher is God, Who created the heavens and the earth in six days (stages), and is firmly established on the throne (of Authority : He draws the night as a veil over the day, each seeking the other in rapid sucession : He created the sun, the moon, and the stars, All governed by laws Under His Command. Surely His is the creation and the command ; blessed is Allah, the Lord of the worlds).

*Verse* 57 :

(And He it is Who sends forth the winds bearing good news befor His mercy, until when they bring up a laden cloud, We drive it to a dead land, then We send down water on it, then bring forth with it of fruits of all kinds; thus shall We bring forth the dead that you may be mindful).

6—The story of Noah and the flood, and the stories of Hud, Saleh, Lut, and shu'aib, all point to the lesson that the prophets were resisted and rejected, but the truth triumphed in the end, and the evil was humbled.

Allah says in verses 59—85 what means :

*Verse* 59 :

(We sent Noah to his people. He said : O my people : Worship God ! You have no other god but Him. I fear for you the chastisement of a dreadful Day ).

*Verse* 60 :

(The leaders of his people said : "Most surely we see you in clear error).

*Verse* 61 :

(He said : O my people ! There is no error in me, But I am a messenger from the Cherisher of the Worlds).

*Verse* 62 :

(I convey unto you the messages of my Lord and give good counsel unto you, and know from Allah that which you do not know).

*Verse* 63 :

What : do you wonder that a reminder has come to you from your Lord through a man from among you, that he might warn you and that you might guard against evil, and so that mercy may be shown to you ?

*Verse* 64 :

(But they called him a liar, so We delivered him and those with him in the Ark, and We drowned those who rejected Our signs ; surerly they were a blind people).

7—The Aad people with their prophet Hud were mentioned in many places. See specially, XXVI, 123-140 and XLVI, 21-26.

Aad was an ancient and potent tribe of Arabs and Zealous pagons. They occupied a large tract of

*Verse* 38 :

He will say : Enter into fire among the nations that have passed away before you from among Jinn and mankind : whenever a nation shall enter, it shall curse its sister, until when they have all come up with one another into it, the last of them shall say with regard to the foremost of them : Our Lord ! These led us astray, therefore give them a double punishment of the fire. He will say : Every one shall have double, but you do not know).

*Verse* 39 :

And the foremost of them will say to the last of them : So you have no preference to us, therefore taste the chastisement for what you earned).

*Verse* 40 :

Surely, as for those who deny Our revelations and scorn them, for them the gates of Heaven will not be opened nor will they enter the garden until the camel goes through the needle's eye. Thus do We requite the guilty).

*Verse* 41 :

Theirs will be abed of Hell and over them coverings (of Hell). Thus we do requite wrong-doers).

*Verse* 42 :

But as for those who believe and do good deeds-We do not impose on any soul a duty except to the extent of its ability-they are the dwellers of the garden ; in it they shall abide.

*Verse* 43 :

And We will remove whatever of rancour may be in their hearts , the rivers shall flow beneath them and they shall say : All praise is due to God Who guided us to this, and we would not have found the way had it not been that God had guided us; certainly the apostles of our Lord brought the truth ; and it shall be cried out to them that this is the garden of which you are made heirs for what you did.

*Verse* 44 :

And the dwellers of the garden will call out to the inmates of the fire : Surely we have found what out Lord promised us to be true ; have you too found what your Lord promised to be true ? They will say : Yes Then a crier will cry out among them that the curse of God is on the unjust.

The inmates of fire shall be in a state of misery and grief that is the deprivation of Allah's grace and mercy.

5—God originated all the visible and the invisible worlds with its stars, milky ways, planets, moons, satellites meteors and all heavenly bodies in six periods. He regulates the affaires of the universes with might, vigilance and authority. Allah says in vrses 54.57 what means :

*Verse* 20 :

But the devil made an evil suggestion to them that he might make manifest to them what had been hidden from them and their evil inclinations, and he said : Your Lord has not forbidden you this tree except that you may not both become two angels or that you may not become of the immortals).

*Verse* 21 :

And he swore to them both : Most surely I am a sincere adviser to you).

*Verse* 22 :

(Then he caused them to fall by deceit; so when they tasted from the tree, their evil inclinations became manifest to them, and they both began to them, and they both began to cover themselves with the leaves of the garden; and their Lord called out to them : Did I not forbid you from that tree and say to you that the devil is you open enemy ?).

*Verse* 23 :

They said : Our Lord : We have wronged ourselves. If Thou forgive us not and have not mercy on us, surely we are of the losers.

*Verse* 24 :

He said : Get forth, some of you, the enemies of others, there will be for you on earth and abode and a provision for a while.

4—If the warning is not heeded, the future penalities are indicated, while the privileges and the bliss and peace of the righteous are shown in a picture of the Hereafter, as well as in the power and goodness of Allah in the world that we see around us. Allah says in verses, 35 to 44 what means :

(O Children of Adam : If there come to you apostles from among you relating to you My communications, then whoever shall guard against evil and act aright-they shall have no fear, nor shall they grieve).

*Verse* 36 :

And as for those who reject our communications and turn away from them haughtily-these are the inmates of the fire, they shall abide in it).

*Verse* 37 :

Who is then more unjust than he who forges a lie against Allah or rejects His signs ? As for those, their portion of the Book shall reach them, until when Our messengers come to them causing them to die, they shall say : Where is that which you used to call upon besides God ? They would say : They are gone away from us, and they shall bear witness against themselves that they were unbelievers).

Allah says in verse 3 what means :

(O Prophet Muhammad) say to the infidels :

"Follow what has been revealed to from your Lord and do not follow guardians beside Him ; how little do you mind".

There is a reference to the Doom of those who oppose the propagation of the truth contained therein. Allah says in verse 4 what means :

(And how many a town that We destroyed, So Our Chastisement came to it by night or while they slept at midday).

3—The opposition of evil to good is illustrated by the story of Adam and Ibilis. Arrogance leads to rebellion Allah says in verses 11 to 24 what means :

(And most surely it is We Who created you then We fashioned you, then We said to the angels : Make obeisance to Adam. So they did obeisance except Iblis, he was not from those who did obeisance.

*Verse* 12 :

He said : What hindered you so that you did not make obeisance when I commanded you ? He said : I am better than he : Thou hast created me of fire, while him Thou didst create of dust.

*Verse* 13 :

God said : Then get forth from this state, for it does not befit you to behave proudly therein. Go forth, therefore, surely you are of the abject ones.

*Verse* 14 :

He (Iblis) said : "Give me respite till the day they are raised up".

*Verse* 15 :

(God) said : Surely you are of the respited ones.)

*Verse* 16 :

(He (Iblis) said : As Thou hast caused me to remain disappointed, I will certainly lie in wait for them in Thy straight path).

*Verse* 17 :

(Then I will certainly come to them from before them, and from behind them, and from their right-hand side and from their left-hand side ; and Thou shall not find most of them thankful).

*Verse* 18 :

He (God) said : Get out of this (state), despised, driven away : whoever of them will follow you, I will certainly fill Hell with you all).

*Verse* 19 :

(And We said : O Adam ! dwell you and your wife in the garden; so eat from where you desire, but do not go near this tree, for then you will be of the unjust).

## THE SIGNIFICANCE OF THE EXEGESIS OF SURAH AL-A'RAF (The Elevated places-No. VII)

*By*

**Dr. Mohammad Abdel Monem El Gammal**

This Surah is of 206 verses. It was revealed after Chapter Sa'ad at Mecca except the verses from 163 to 170 which are Medinite. The verses belonging to part 8 are from 1 to 27.

1—This Surah receives its title from the mention of AL-A'raf or the Elevated places or the Heights in verses 46 and 48, Allah says in verse 46 what means :

(And between the two (1) there shall be a veil, and on the most elevated places there shall be men (2) who know all by their marks, and they shall call out to the dwellers of the garden : Peace be on you : They shall not have yet entered it, though they hope). verse 48 says what means : (And the dwellers of the most elevated places shall call out to men whom they will recognise by their marks saying : ) no avail were to you your amassings and your behaving haughtily :

2—This Surah opens with a statement of the truth of the Devine Revelation as granted to the Holy Prophet in the Glorious Quran. It states that the Holy Quran is an exalted Book, eminent in its style, sublme in its contents and dignified in its goals and teachings. Allah says in verse 2 what means :

(The Quran is a Book That is revealed unto you (Apostle Muhammad) - so let there be no straitness in your heart there from-that you may warn thereby, and it is a Reminder unto believers).

---

*Notes*

1.—And between the conpanions of the Paradise and the companions of the Fire there shall be an enormous partition which separates each party.

2.—The Companions of the elevated places have more than thirteen synonyms. They can be summed up as follows :

a) They may be prophets or martyrs or righteous people who will stand on the heights as witnesses.

b) They may be people whose sins are balanced with their good deeds. The blessed and the damned shall be known by their marks. They expect Allah's mercy. They shall not have yet entered the paradise though they hope to enter.

c) The third party may be the children of pagans or those of fornicaters.

face of currents that try to destroy the specific characteristic and nature of Islam. The originality of this characteristic and this nature exists in economics as well as in various aspects of Islam. In economics Islam faces a current that has invented a theory in theft called the compensation of the deprived. Another current knows nothing about kindness and charity, and hence knows no zakat, ignoring those people who are in need of mercy.

Islam should steer a middle course between both currents, neither to the East nor to the West. We do not abandon Mohammad (God's mercy and peace be upon him) to adopt Karl Marx. We do not abandon the holy system to adopt capitalism which cares nothing about virtues in dealings among brothers. We believe that this Conference adheres to what one of Mohammad's disciples once said : Follow. Do not innovate. He who innovates is a person that does not find sufficiency in what he has got. But Muslims have found sufficiency which Allah have recorded in the Quran which means :

> "This day have I perfected your religion for you, completed My Favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion".

> "If any do fail to judge by the light of) what God Hath revealed, they are (no better than) unbelievers".

Islam has forbidden usury, but the West has adopted it and imposed it on the countries he has colonized.

Fortunately two Islamic banks have been established, one in Dubai and the other is patronized by His Royal Highness Prince Mohammad Al Faisal.

Brothers : we thank King Abdul Aziz Univesity for this initiative, and we thank the Government of the Kingdom headed by His Majesty King Khaled Bin Abdul Aziz. May Allah protect and guide him.

## HIGHLIGHTS ON ISLAMIC ECONOMIC PRINCIPLES

*By*

**His Eminence Dr. Abdul Haleem Mahmoud**

*(Some extracts from the speech delivered by his eminence Dr. Abdul Haleem Mahmoud, the Grand Sheikh of Al-Azhar at the First International conference on Islamic economics, in Mecca,* 1976).

---

In the Name of Allah, Most Gracious, Most Merciful.

Praise be to Allah, The Cherisher and Sustainer of the Worlds. Mercy and peace be upon the best messenger, our Prophet Mohammad and his descendants and disciples and followers ... "Our Lord bestow on us Mercy from Thyself, and dispose of our affairs for us in the right way".

We thank King Abdul Aziz University for the invitation to this Conference which is regarded as one of the most important Islamic Conferences. Muslim countries have long been looking forward to such a great event, and they hope they will attain pleasant results with regard to all the Muslim world.

King Abdul Aziz University has taken the initiative and has invited a distinguished group in both fields of religion and the science of Economics and thus is looked upon as one of the pioneers of modern Islamic renaissance.

Islam is not a matter of principles written on paper, but it has been put into practice. The Messenger of Allah, God's mercy and peace be upon him, applied it as well as his Caliphs. For centuries the Muslim world had been ruled by it. Thus it has come into existence and has been practised since Mohammad (God's Mercy and Peace be upon him) lived in Al Medina Al Munawara, and in its neighbourhood. When it was applied as ideology, jurisprudence and morality, it gave rise to the best nation upon earth - strong by the power of Allah and of great influence. We are now on the threshold of a sure Islamic renaissance, going forward slowly but always heading for a defined objective, which is the practical application of Islam. This Conference has been convoked to realize the same objective.

Muslims feel that this nation will not progress without adopting the kind of life lived by its first pioneers, and this was achieved by following the Book of Allah and the Sunnah of His Messenger. This abiding by the Book and the Sunnah is a commitment to faith in the

Al-Azhar University concluded cultural agreements with several Islamic and non-Islamic universities and organisations whereby scientific researches were concluded in various fields.

This university is planning to establish new colleges and branches in the governorates of the republic. Needless to say, that the organisation and administration of the university, its colleges and institutes are conducted along the most modern university system. According to the new plan Al-Azhar will have 5000 primary institutes, 3000 preparatory institutes and 1000 secondary institutes. These institutes are for boys and girls.

In 1961, under the auspices of Al-Azhar was established an academy of Islamic Research to serve as the highest body for Islamic research. This academy undertakes the study of all that pretains to Islamic heritage, and works on international level towards the rejuvenation of the Muslim culture, its purging from the accretions, and its presentation in its true element, while facilitating knowledge of and acquaintance with it at all levels and in all climes. It also aims at following up all that is published by Muslims and non-Muslisms alike about Islam and its legacy to benefit from what is right in it, and to repute and rectify what is wrong.

The Academy is an international body and comprises a select number of scholars with profound knowledge of Islam and its heritage. To help strenghthen the unity of Islam and to bring out the academic character which has distinguished Al-Azhar, all Muslim countries and all schools of Islamic thought are represented in the Academy. This is also to ensure that the views expressed and the resolutions adopted by the Academy may suit the different localities and the varying societies in the Muslim World.

It was in the fitness of things that Al-Azhar should take up this task of rejuvenating Islamic culture and bridging the gap that has been growing between Islam and the modern thought. For Al-Azhar is "The first house that was built for knowledge", and since it was founded ten centuries ago it has kept the torch of Islamic sciences burning. It has been stimulating faith through knowledge and it has kept alive learning by study and research with perseverance, patience, deliberations and endurance. It is recalled that the famous Islamic Journal 'Al-Azhar Magazine', which is the official organ of Al-Azhar is being published under the auspices of the Islamic Research Academy.

Al-Azhar - with its several institutions serves humanity in the spiritual and academic spheres to bring them forth from darkness into light.

the mother of all Islamic Universities established in Arab and Islamic countries. Al-Azhar University provides such universities with faculty members and curricula as well as experience in university education to help those unversities develop and carry on their Islamic missions.

Al-Azhar university does not only send abroad faculty members but it also opens its doors for students coming from abroad to learn religion and science. The number of such students during the academic year (1973-1974) is approximately 3000 students, coming from more than 80 countries.

The university sends scholarly missions to universities all over the world to get benefit of modern studies and to keep abreast of progress and cultural development. Thus it gives and takes within a system of international educational cooperation, in the sense that it helps other universities and invites the help of other universities to develop further its scientific reasearch and studies. Through this open-door policy, the identity of Al-Azhar asserts itself. Its development and progress will increase and solidify its steps on the path of science and progress.

At present, the following colleges and institutes are affilliated to the university :

1—College of Islamic Theology.

2—College of Islamic Jurisprudence and Law.

3—College of Arabic Language.

4—College of Commerce.

5—The Islamic College for Women.

6—College of Engineering.

7—College of Medicine.

8—College of Agriculture.

9—College of Education.

10—College of Science.

11—College of Dentistry.

12—College of Pharmacy.

13—Institute of Arabic and Islamic Studies.

14—Institute of Languages and Translation.

15—College of Theology in Assiut.

16—College of Jurisprudence and Law in Assiut.

17—College of Arabic Language in Assiut.

The total number of students at the univearsity of Al-Azhar (1973—1974) is 36,903 (enrolled) and 9,126 (admitted).

Al-Azhar provides equal oportunities for free education for Moslem students of all nationalities and from different countries at all the faculties and institutes of Al-Azhar. Special studies are organised for foreign students to qualify them to follow up study with their Arab colleagues in Al-Azhar's faculties and Institutes.

of the President of the Arab Republic of Egypt, shall manage the university's academic administrative and financial affairs, and will represent the University before other bodies.

4—Having been the University of all Muslims, Al-Azhar provided for equal opportunity of enrolement in its Faculties and sections attached to them, for Muslim students from any country in the world.

5—Al Azhar is, as the supreme educational institution, attaching great importance to its cultural and educational relations with Islamic and other foreign universities and educational institutions in the World. By this law, new Faculties were established i.e. Faculty of Medicine, Engineering, Agriculture, Science Training and Commerce, etc.

As one of the main aims of the university is to provide educational faculties for woman, Al Azhar university has established a Girls College with its different branches of studies i.e. Islamic studies, Medicine, Arts, Science, Philosophy, psychology, etc. This college will be the nucleus of a Muslim University for Girls. It is recalled that women were getting their share in Al-Azhar circles until recently. The history says that special study circles were held in many times for women in Al-Azhar. After shutting its doors in the face of women for many years, Al-Azhar has now come forward to give women the same chance which men are already getting in the fields of knowledge and sciences.

The new faculties of Medicien, Engineering, Agriculture, sciences and Commerce and Girl's College have already shifted to the new premises of Al-Azhar University in Nasr City of Abbasiya, a few miles away from the old campus of Azhar. With the completion of other Faculties, the University hospital and a new Al-Azhar mosque-on the pattern of its glorious father mosque and the Head Quarters of the Islamic Research Academy, the new city will be one of the unique and picturesque centre of learning in the world.

Special facilities offered to foreign students by providing them free education and lodging. In 1959 a University Hostel was established for Al-Azhar in the name of Nasser City of Islamic Missions. This city consists of 41, three storied buildings. Thousands of foreign students are getting there, living quarters in modern, comfortable and healthy circumstances. Besides free meals and recreational facilities a monthly allowance is being paid to every student.

The University in its new development has a special status in Arab and Islamic world. It is considered

Institutions and many scholars followed him in the field. As the result of these efforts several laws and regulations were adopted to reorganise and to develop it. The year 1911 A.D. (1329) A.H. was an important turning point in the history of Al-Azhar. In that year, according to a new law, the study courses divided into stages and modern subjects were introduced to each stage. A grand Ulama Committee was created and new modifications were made in rules of appointment of teaching staff, admission of students and examination system.

In the year 1936 Al-Azhar entered the first stage of a full scale University. According to the law No. 26 of 1936, the eduction of Al-Azhar had been classified into the following stages : The primary satge of four years, the secondary stage of five years, the higher section of four years and the section of specialization or license of two years. Thus immediately after the promulgation of that law, three faculties were inaugurated. They are : The Faculty of Theology, The Faculty of Islamic Law and the Faculty of Arabic Language. Students completing the four year course of study with success in any of these faculties are granted the Higher certificates equal to B.A. Candidates admitted to the specialisation section were required to be holders of the higher certificate from Al-Azhar Faculties or its equivalent, from a recognised higher institution and after completing the two year course of study they were granted the certificate of ALIMIYA with licence, equal to M.A. in the subject in which they had specialised.

When the revolution occurred in Egypt in 1952 it payed due attention to Al-Azhar in a manner compatible with the status and aims of this great international centre of learning. A law was, therefore, issued in 1961 reorganising Al-Azhar. This law which is known as the law No. 103 of 1961, has referred to the following points :

1—Having regard to the special character of Al-Azhar as a University for all Muslims throughout the world, Al-Azhar University should be independent of other Universities in the Arab Republic of Egypt, by being attached to the Presidency of the Republic ; care has however been taken to coordinate it with other universities, as long as this coordination will be consistent with the special character of Al-Azhar and the purpose of its studies.

2—A minister of Al-Azhar affairs shall be duly appointed by a decree of the President of the Republic.

3—The University Rector, who would be appointed by a decree

choose his own subject as well as his own professor. Al-Azhar was the teaching centre of all branches of Islamic studies i.e. Tafsir (interpretation of the Quran), Hadith (Traditions of the Prophet), Fiqh (jurisprudence) Tasawwuf (Mysticism) etc. and all branches of Arabic Literature as well. Also, it was the teaching centre of other sciences i.e. Geography,astronomy, engineering, medicine and mathematics, etc.

Islam has two sides, the spiritual side and the material side. The first one will serve the spiritual side of man and the second will serve the material side of him. Islam gives to man-kind a complete and perfect system dealing with all walks of life and the Holy Quran declared the true religion is to follow man's original nature.

The Quran says what means : "So set thy purpose for religion as a man by nature upright-the nature (framed) by God, in which He has created man. There is no altering (the law of) God's creation. That is the right religion, but most men know not". 30 : 30.

We can sum up the basic aims of Al-Azhar in the following three points : Firstly, communicating the message of Islam, in all its simplicity, moderation and clarity. Secondly, paving the way to coordinate the relations among people in the light of religious principles. Thirdly, calling people to rise above colour and race fanaticism and distinction of people must be based upon the course of moral conduct and good deeds. As the Holy Quran says : what means : "O mankind ! Lo, we have created you, male and female, and have made you nations and tribes that ye may know one another. Lo, the noblest among you in the sight of Allah, is the best in conduct'' XLIX-13. These bases are clearly represented in the teachings of Islam and in its social, economical and political systems. By carrying out this great human mission Al-Azhar has carried out a great service for all our people and by its great efforts it has taken many people from darkness to light.

Al-Azhar rose to the position of a most important educational institution and it has attracted students and research scholars from different parts of the world, and Egypt, since then, has become the unique destination to which students of Islamic studies and Arabic Literature repair from all countries.

In its long history, various necessary reforms have been made, from time to time, both in the methods of study in Al-Azhar and in the rules of administration. Al-Azhar entered in a new era from the time of Imam Muhammad Abdu (1848—1905 A.D.) who had made great efforts to introduce modern reforms into Al-Azhar.

# MAJALLATU'L AZHAR

**(AL-AZHAR MAGAZINE)**

MANAGER : ABDUL WADOOD SHALABY

| RAJAB 1396 | ENGLISH SECTION | JULY 1976 |
|---|---|---|


## Al-Azhar ...... In Thousand Years

*By*

**Dr. Mohiaddin Alwaye**

Al-Azhar is the oldest and the greatest Muslim educational institution in the world. From the time of its foundation, Al-Azhar stands as the most famous centre for the service of Islam. It has, therefore, opened wide its doors to students and research scholars from all over the world. It was first housed in the glorious mosque of Azhar more than one thousand years ago. The building of the mosque started in the year 971 A.D. (359 A.H.) on the 14th of Ramadan, by Gawar the Sicilian, commander of the Fatimid Caliph, Al Muizzu Li Dinillah. He founded the mosque immediately after the building of the new capital city of Al-Kahira (Cairo) for Fatimids. The building of the mosque of Azhar was completed on the 17th of Ramadan 361 A.H. Since then it was a place of worship and a centre of learning.

The title of Al-Azhar signifies the meaning of flourishing or shining. It is said that the name Al-Azhar came from Al-Zahra, a title of the eldest daughter of Prophet Muhammad, Fatima, from whom the Fatimid caliphs descended. It has remained so for many centuries as a positive proof that in Islam worship and learning go hand in glove with each other and that Islam knows no conflict between religion and learning in the widest sense of the word.

The system of education adopted by Al-Azhar since its inseption was a simple and natural one. No conditions of admission were imposed on the seekers of knowledge. The student had full freedom to

المشرف على التحرير:
الدكتور عبد الودود شلبي

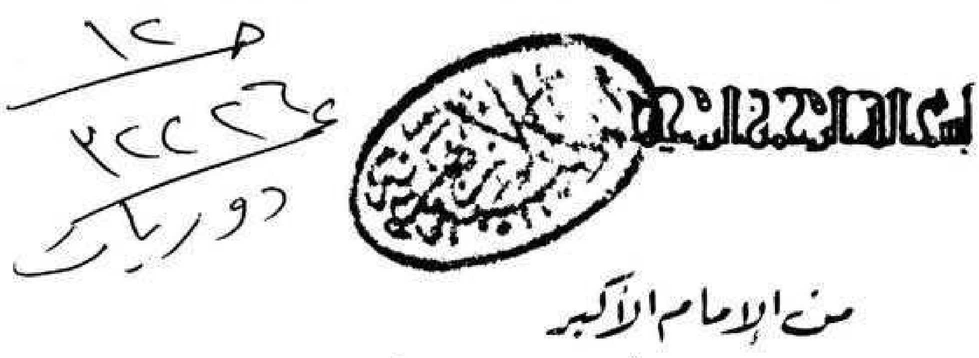
بدل الاشتراك
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
[illegible]




مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٥٩١٤ ٩٠٥٥٠٦

الجزء السادس ـ السنة الثامنة والأربعون ـ شعبان سنة ١٣٩٦ هـ ـ أغسطس سنة ١٩٧٦ م


## من الإمام الأكبر
## إلى رئيسي مجلس الشعب والوزراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإن الأزهر يذكر كل من مكن الله له في الأرض أن الاسلام ليس من نوع القضايا المطروحة لتكون تحت رحمة المناقشات باسم الديمقراطية، وليس الاسلام في موقف الانتظار لما تسفر عنه هذه المناقشات من تأييد أو معارضة. انعقيدة الاسلام لا تفرض لأنه لا اكراه في الدين، ولكن من قبلها مختارا فآمن بها كان عليه أن يلتزم شريعتها وليس له أن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض «انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون».

والمواطنون من غير المسلمين كان

لهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يرجون من حرية العقيدة والعبادة والتدين ، والتاريخ شاهد صدق بذلك ومن الحقائق المقررة أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

ولقد ارتضى شعبنا المؤمن الاسلام دينا ورفع رئيس الجمهورية شعار العلم والايمان فكل تعطيل لشريعة الاسلام انما هو مسئولية الهيئة التشريعية ومسئولية كل من يملك القدرة على تنفيذ أحكام الله جل علاه •

انه لا اجتهاد لأحد من البشر مع النص الشرعى ولا يجوز لأهل الايمان أن يقدموا بين يدى الله ورسوله ، ولا أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبى، وهذا هو الفيصل بين الشورى فى ديمقراطية الأرض والشورى فى الاسلام ، الشورى فى الاسلام حيث لا نص بينما هى فى ديمقراطية الأرض قد تصادم المقدسات الشرعية ، وواقعنا حافل بالدلائل على هذا ، للأسف الشديد

ولقد تابعنا مناقشات مجلس الشعب حول تحريم الخمر مثلا فعجبنا لكل هذا الكلام الكثير فى أمر قضى الله عز وجل فيه ، ثم عجبنا لتشريع يجعل الأمر الواحد حلالا فى مكان حراما فى آخر ؛ وعجبنا لاقتراح يجعل القمار حراما بعملة معينة حلالا بأخرى •

ان هذا القانون الذى أقره المجلس فى موضوع الخمر يراه بعض الغيورين خطوة على الطريق نحو التحريم النهائى ومع ذلك طالب البعض باعادة النظر فى هذا التحريم الجزئى وصولا الى العدول عنه والله تعالى يقول: « فلاوربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فىأنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » •

وتتابع ما ينشر فى صحافة البلد المسلم فنرى افتراء على الاسلام ممن يتوهمون أنه شريعة نزلت لبيئة محدودة قد تبدلت ، ولفترة زمانية قد انتهت ، ويقرر الأزهر أن الذين ينشدون العدالة والحرية والعزة والمساواة والعلم والحضارة ومكارم الأخلاق وما الى ذلك من المثل العليا لن يكونوا جادين فى طلبها ان هم

عارضوا أحكام الله ، اذ كيف يزعمونها أهدافا لهم وهم يعارضون الدين الذى جاء بها وقررها . لقد زينوا للشباب ظلما وزورا ان القرن العشرين لا ينبغى أن يحكم بشريعة نزلت منذ أربعة عشر قرنا من الزمان.

وانا لنؤكد أن العالم لم يكن بحاجة الى الاسلام كما هو اليوم لانقاذه من الصراع والفرقة ، ولاقرار السلام والعدل ، ولضمان الحرية والمساواة ، أما الازدهار المادى فهو مطلبنا باسم الاسلام ، ولابد له من الاسلام لأن القوة من غير هذا الدين تتجه الى التخريب والتدمير ولا يضبطها الا قول الله تعالى « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

لقد آن الأوان لارواء هذه الأشواق الظامئة فى القلوب المؤمنة الى وضع شريعة الله بيننا فى موضعها الصحيح ليبدلنا الله بعسرنا يسرا وبخوفنا أمنا وليمكن الله لنا فى أرضنا أعزة كراما وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شيخ الأزهر
**عبد الحليم محمود**
١ من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٦ هـ
٣٠ من مايو سنة ١٩٧٦ م

---

عن ابى ذر رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى ارى ما لا ترون اطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى . والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى » رواه الترمذى وحسنه .

من بحوث مهرجان العالم الإسلامي في لندن :

# إلى أي شيء يدعو الإسلام ؟

لسماحة العلامة أبو الأعلى المودودي

١ ــ من اللازم أن نوضح ، ونحن فى مستهل الحديث ، أن الاسلام فى عقيدتنا ليس اسما لدين بدع كان محمد صلى الله عليه وسلم أول من تقدم به حتى يصح وصفه صلى الله عليه وسلم بمؤسس الاسلام . بل القرآن يصرح كل الصراحة أن الله تعالى لم يرسل الى البشرية طوال التاريخ البشرى الا دينا واحدا ، وهو الاسلام ، أى استسلام الانسان لحكم الله ــ وكل الأنبياء الذين بعثهم الله فى أقطار مختلفة من الأرض وفى شعوب مختلفة فى العالم لم يكونوا بناة لأديانهم حتى نعبر عن دين من تلك الأديان بالدين النوحى أو بالدين الابراهيمى أو بالدين المسيحى . بل كل نبى جاء من عند الله تعالى دعا الى نفس الدين الواحد الذى دعا اليه من سبقه من الأنبياء .

٢ ــ والخصائص التى يمتاز بها محمد صلى الله عليه وسلم من بين سائر الأنبياء هى : أولا : أنه آخر أنبياء الله . ثانيا : على يده بعث الله من جديد نفس الدين الأصيل الذى نادى به جميع من قبله من الأنبياء . ثالثا : استخلص الله هذا الدين من كل ما مزجه الناس فى حقب مختلفة من التاريخ من عند أنفسهم وجعلوا منه ديانات ( RELIGIONS ) متفرقة ، وعلم البشرية بواسطة محمد صلى الله عليه وسلم الاسلام الحقيقى الخاص . رابعا : ولم يكن الله ليبعث بعده صلى الله عليه وسلم نبيا أو رسولا . ولذلك جعل الكتاب الذى أنزله عليه محفوظا نصا وفصا بلغته التى نزل بها . لكى يتمكن الانسان من الاهتداء بهديه فى

كل عصر من العصور (١) . خامسا : احتفظ أصحابه ومن جاء بعدهم من المحدثين ، بسيرته وسنته عليه الصلاة والتسليم بطريقة مثالية لم يتم الاحتفاظ بترجمة حياة أى نبى أو شخصية تاريخية أبدا بصورة أحفظ منها وأشمل (٢) . سادسا : هكذا فان القرآن ثم سيرة نبيه وسنته

---

(١) وفيما يتعلق بالقرآن فانه لا مجال للشك فى أنه هو القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . ولم يدخل عليه اى تبديل أو تحريف. وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر بكتابة كل ما يتنزل عليه من القرآن بدون تأخير . واستمر هذا الأمر الى وفاته صلى الله عليه وسلم . وجاء خليفته الأول ( ابوبكر رضى الله عنه ) وجمع هذا القرآن الذى كتب كله فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنه كان متفرقا . فجمع من الرقاع والعسب وغيرها ثم استنسخ منها مصحفا واحدا جعله محفوظا فى دار الخلافة. ثم جاء الخليفة الثالث ( عثمان رضى الله عنه ) واستنسخ مصاحف متعددة من المصحف الامام ، ووزعها فى الأمصار وجمع المسلمين عليها . ومنذ ذلك العهد الى هذه الساعة خذ ما كتب ، أو طبع من المصاحف وانظر فيها بكل دقة وامعان ، لاتجد بينها فرقا يسيرا . وعلاوة على ذلك أمر المسلمين فى أول يوم من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بتلاوة ما تيسر من القرآن فى الصلوات . فحفظ مئات من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم القرآن كاملا فى صدورهم ، وحفظ جميع الصحابة أجزاء متفرقة منه فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم . ومنذ ذلك اليوم بدأ عند المسلمين الاهتمام بحفظ القرآن بكامله حرفا حرفا بظهر الغيب وتلاوته فى صلاة التراويح فى شهر رمضان كل سنة . وما من عهد فى التاريخ الاسلامى الا وجد فيه الملايين من الناس الذين حفظوا القرآن كاملا بظهر الغيب . وهل من كتاب دينى فى العالم أعتنى بالحفاظ عليه مكتوبا فى الأوراق ومحفوظا فى الصدور كما اعتنى بالقرآن الكريم ، بحيث لايدخل فى صحته مثقال ذرة من الشك والريبة ؟

(٢) وتلك الطريقة ــ بايجاز ــ هى ان كل شخص كان يروى رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليه ان يذكر جميع الرواة الذين بواسطتهم وصلته تلك الرواية . ويصرح : هل ترتفع سلسلة الرواة الى راو سمع تلك الرواية بطريق مباشر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل هذا العمل ام لا . ثم ان جميع الرواة الذين نقلوا تلك الروايات الى الذين جاءوا بعدهم قد فحصت أحوالهم فحصا دقيقا لادراك صحة رواياتهم . وكذلك تم تدوين المجاميع العديدة للأحاديث، وعنى القائمون بها بذكر سلسلة الرواة على رأس كل حديث من الأحاديث. ثم الفت كتب فى التراجم والرجال نستطيع من خلالها ان نتأكد اليوم مما كان عليه سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وماذا جاء به من التوجيهات للناس باقواله واعماله وسلوكه .

اللتين بلغتا من الصحة أشأو الأقصى، أصبحا مصدرين موثوق بهما لمعرفة ما هو دين الله فى الواقع ، وما هو الهـدى الذى جاء به الينا ، وماذا يقتضيه منا .

٣ ـ اننا ، وان كنا نؤمن بجميع من جاء قبل محمد صـلى الله عليه وسـلم من الأنبياء ، ذكرهم الله فى القرآن أو لم يذكرهم ، ، وان هذا الايمـان جـزء لازم من عقيدتنـا لا يكتمل اسلامنا بدونه ، ولكننـا لا نتلقى الهداية الا من محمد صلى الله عليه وسلم فقط . وهذا أمر ليس مرده نزعة عصبية . وانمـا السبب الحقيقى فى ذلك هـو : أولا : أنه صـلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ولذلك فان التعليم الذى جاء به من عند الله عز وجل هـو آخر التعاليم (LATEST DISPENSATION) ثانيا : وكلام الله (WORD OF GOD) الذى بلغنا عن طريقه هو كلام الهى خالص محض لم يمازجـه شىء من كلام البشر . وهـو محفوظ بلغته الأصلية . ولغته تعتبر من اللغـات الحية فى العـالم ينطق بهـا اليوم الملايين من البشر : يكتبون بهـا ويفهمونها . ولم يطرأ أى تغيير على قواعد هـذه اللغة ومبانيها ومعانيها وأساليبها ولهجتها ورسـوم الكتابة بها . ثالثا : وكما ذكرنا آنفا ، فان سيرته صلى الله عليه وسلم وما كان عليه من الأخلاق والسلوك والأعمال وما صدر منه من الأقوال تم تدوينه وحفظه بأصح ما يكون من الطرق ، وبأكثر ما يمكن من التفـاصيل . وبما أن هذه الميزة لا تنطبق على غيره من الأنبياء السابقين فاننا نؤمن بهم . ولكن القدوة والاتبـاع تنحصر فى خاتمهم .

٤ ـ ان رسـالة محمد صلى الله عليه وسـلم بموجب عقيدتنا جاءت لجميع العـالم ولسـائر الأزمان . وذلك لأنه :

أولا : القرآن نفسه يصرح بذلك ثانيا : وهو المقتضى المنطقى لكونه صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء ، لأن كون نبى آخر الأنبياء يستوجب، بحكم المنطق ، أن يكون هو الهادى والموجه لجميع الناس . ثالثا : قد استكملت على يديه الهـداية التى يفتقر اليها الانسان لاختياره الطريق السوى . وهـذا أيضا مما يقتضيه المنطـق ، اذ أن كل نبى يبعث ثم

لاتنزل عليه الهداية المتكاملة لايمكن أن يكون هو آخر الأنبياء ، بل تبقى الحاجة بعده أيضا الى نبى أو رسول • رابعا : من الواقع أنه لم يأت بعده صلى الله عليه وسلم ما يقارب أربعة عشر قرنا شخص ادعى النبوة ثم شابه الأنبياء فى سيرته وسلوكه وأقواله وأعماله ولو بأبعد وجه من الشبه ، أو ادعى أنه يوحى اليه ثم جاء بكتاب يتناسب مع كلام الله ولو أقل درجة من النسبة ، حتى يوصف بأنه نبى حامل الشريعة (LAW GIVER)

٥ ـ ومن الضرورى كذلك فى هذه المرحلة من البحث أن نعرف ما هو العلم الذى يفتقر اليه البشر •

ان هناك فى الدنيا أشياء نعرفها بأحاسيسنا أو ندركها باستخدام أدواتنا الفنية (SCIENTIFIC INSTRUMENT) ثم ان المعلومات التى نحصل عليها من هذين الطريقين نستطيع أن نرتبها بالاستعانة بالمشاهدات والتجارب وباعمال قوة التفكير والاستشهاد لكى نصل منها الى استنتاجات جديدة • فالعلم بهذا النوع من الأشياء ليس من قبيل ما يضطر الانسان الى أن ينزله الله اليه • اذ أن هذه الأشياء تدخل ضمن نطاق مجهودنا وبحثنا وتفكيرنا وتأملاتنا واكتشافاتنا • وان خالقنا الكريم وان لم يتركنا كليا فى هذا المجال أيضا • بل انه ظل يعرفنا على أسرار كونه ومكنونات خلقه بطريق غير محسوس بها وبالتدرج الملحوظ عبر التاريخ الانسانى ، وظل يفتح علينا أبواب المعرفة والاطلاع والتفهم • كما ظل يطلع شخصا من الأشخاص من حين لآخر بطريق الايحاء على أمر استطاع من خلاله أن يأتى باختراع جديد ، أو يتوصل الى قانون جديد للطبيعة • ولكن هذا النوع من العلم فى مجموعه يدخل فى نطاق العلم الانسانى • ولا يستلزم الحصول عليه ظهور نبى من الله أو نزول كتاب منه • لأن المعلومات التى تلزم للانسان فى هذا النطاق قد أوتى الانسان وسائل الحصول عليها •

والقسم الآخر من الأشياء التى هى أسمى من أن تبلغها أحاسيسنا ، أو تتحكم فيها أدواتنا الفنية (SCIENTIFIC INSTRUMENTS)

فلا نستطيع وزنها أو كيلها ولاتسعفنا وسيلة من وسائل الاطلاع التى نملكها فى التوصل الى معلومات عنها توصف « بالعلم » (KNOWLEDCE)

واذا جاء الفلاسفة أو العلماء يرون فيها رأيا فلا يتجاوز رأيهم تخمينا محضا (GUESS) أو ضربا من الظن (SPECULATION) • أى رأى لا يوصف « بالعلم » • وهى الحقائق النهائية (ULTIMATE REALITIES) • والنظريات القائمة على الاستنباط حول هذه الحقائق لا يقول حتى الذين وضعوا هذه النظريات انها يقينيات • ولا يمكن أن يدعوا غيرهم الى الايمان بها •

هذا هو النطاق الذى يفتقر فيه الانسان لادراك الحق الى العلم الذى يؤتيه الله خالق الكون • ولم يؤته خالق الكون هذا العلم بحيث طبع كتابا وناوله فرد من أفراد البشر ، وأمر بدراسته لكى يعرف بنفسه ما هى حقيقة الكون وما هى حقيقة نفسه ، وماذا عسى أن يكون دوره فى الحياة الدنيا فى ضوء هذه الحقيقة • بل انه جل وعلا قد اختار أنبياء ورسلا لتبليغ الانسان هذا العلم فأطلعهم على تلك الحقائق بالوحى ، ثم أمرهم بأن يبلغوا الناس هذا العلم •

٦ — وليس من مهمة النبى أن يبلغ الناس علم الحق فقط ، بل من مهمته أيضا أن يخبر الناس وفقا لذلك العلم بما هى العلاقه الواقعية (ACTUALLY) وماذا يجب أن تكون عملية العلاقة الفعلية (ACTUALLY) بين الله والانسان وبين الانسان والانسان • ثم ما هى العقائد ، وما هى الشعائر التعبدية ، وما هى الأخلاق ، وما هى مبادىء الحضارة والمدنية التى يتطلبها هذا العلم ، وكيف تؤسس كل شعبة من شعب الحياة كالاجتماع ، والاقتصاد والمالية ، والسياسة ، والقضاء ، والحرب والمصالحة ، والعلاقات الدولية وما الى ذلك على متقضى هذا العلم • ولا يجىء النبى بطائفة من الطقوس والعبادات (RITUAL AND WORSHIP) التى تعرف بين الناس بالديانة (RELIGION) بل يجىء بنظام متكامل للحياة

يصطلح عليه الاسـلام باسم الدين (WAY OF LIFE)

٧ ـ ثم لا تقتصر مهمة النبى على تبليغ علم الدين فقط ، بل من مهمته كذلك أن يفهم الذين يؤمنـون به ويسلمون ذلك الدين ، ويعلمهم ما له من العقـائد والأخـلاق والعبادات والأحكام القانونية ونظام الحياة فى الجملة ، وأن يجعل من نفسه مسلما مثـاليا يحذون حـذوه فى حياتهم الفعلية ، وأن يعـدهم على المستوى الفردى وكذلك على المستوى الجماعى ليكونوا قاعدة صـالحة للحضـارة الاسلامية السليمة والمدنية الاسلامية النزيهة ، وأن ينظمهم ويجعـل منهم جماعة تشمّر عن ساعد الجد لاقامة دين الله فى واقع الحياة الى أن تكون كلمة الله هى العليا وتكون سـائر الكلمـات الأخـرى هى السفلى • وليس من اللازم أن كان كل نبى قد بلغ فى صدد مهمته المشار اليها آخر أشواط الانتصار ، بل كم من نبى لم يواكبه النجاح فى مهمته ، لا لقصور منـه ، بل لسبب مقـاومة النـاس المتعنتين ، وعدم ملاءمة الظروف • وعلى كل حال ، هذه هى المهمة التى أسندت الى كل نبى من الأنبياء • غير أن الذى امتاز به محمد صـلى الله عليه وسلم ، والتاريخ أبرز شاهد على ذلك ، هو أنه جعل حكومة الرب قائمة فى الأرض كما هى قائمـة فى السماء •

٨ ـ ان القرآن الكريم ومحمـد صلى الله عليه وسلم يجعل كل منهما خطابه اما عاما شـمل جميع البشر ، واما خاصا اسـتهدف الذين أسلموا من بين الناس وقبلوا دعوة الاسلام• فخاطبهم كـكونهم مؤمنـين • واذا تصفحت القرآن الكريم من أوله الى آخـره أو تفحصت كل السـجلات المدونة من خطب محمد صـلى الله عليه وسلم وأحاديثه لا تجد أبدا أن هذا الكتاب أو الرسول الذى جاء به هـذا الكتاب يخـاطب بلدا بعينه ، أو شعبا بعينـه ، أو جنسـا بعينه ، أو طبقة بعينها من الناس ، أو الناطقين بلغـة بعينها • بل ان كلا منهمـا اما خاطب البشرية قائلا : « يا بنى آدم » و « يا أيهـا الناس » ووجه اليهم دعوة الاسلام ، أو خاطب الذين

آمنوا بدعوته ليعطيهم ما يلزمهم من الأحكام والتعاليم قائلا : « يا أيها الذين آمنوا » . ويتضح من ذلك تلقائيا أن دعوة الاسلام عالمية (UNIVERSAL) . وكل من يقبل هذه الدعوة من البشر يصير مؤمنا (BELIEVER) ، وينال كل الحقوق على قدم المساواة . يقول القرآن : « انما المؤمنون اخوة » ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « من شهد أن لا اله الا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم » . وقال صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك صراحة : « أيها الناس! ألا ان ربكم واحد وان أباكم واحد. ألا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر الا بالتقوى » .

٩ ـ العقائد التى يقوم عليها بناء الاسلام أهمها وأفضلها الايمان بالله الواحد ، لا الايمان بأن الله موجود فحسب ، ولا الايمان بأنه واحد فحسب ، بل الايمان بأنه هو الخالق لهذا الكون ، ومالكه (MASTER) ، وحاكمه (RULER) ، ومسيره (ADMINISTRATOR) وبأن الكون قائم بامساكه اياه ، وسائر بتسييره اياه . وهو الذى يؤتى كل شىء فيه ما يضطر اليه من الرزق (SUBSISTENCE) أو القوت (ENERGY) لبقائه وهو متسم بجميع صفات الحاكمية (ATTRIBUTES OF SOVEREI-GNTY) لا يشاركه فيها أحد ولا بمقدار قطمير . وهو الذى يتصف بجميع صفات الألوهية (DIVINITY) ولا يملك أحد غيره أية صفة من تلك الصفات . وهو بصير بكل ما فى السموات والأرض، عليم بكل شىء فيهما علما مباشرا لا يحيط بحاضره فحسب ، بل بماضيه ومستقبله أيضا . ليس لأحد غيره هذه العين التى تبصر الجميع ، وهذا العلم بالغيب الذى يحيط بكل شىء . وهو قائم من الأزل وباق الى الأبد . وكل من سواه فان . وهو الواحد الحى بحياته . والباقى ببقائه . لم يلد . ولم يولد . وكل ما فى السموات

والأرض مخلوق له . وليس لأحد فيهما أن يقول هذا رب الكون (LORD OF THE UNIVERSE) أو ابنه ، أو بنته بأى معنى من المعانى . وهو المعبود الحقيقى للبشر واشراك غيره فى عبادته لهو أعظم الجرائم وأكبر أنواع الخيانة (INFIDALITY) وهو الذى يجيب دعاء الانسان . وله الخيار فى أن يستجيبه أو يرفضه . وأن يمتنع الانسان من الدعاء اليه كبرا بغير حق . أو يدعو معه الها آخر أشركه فى ألوهيته فهو جهل محض .

١٠ — من وجهة نظر الاسلام أن حاكمية الله تعالى لا تقتصر على ما وراء الطبيعيات (SUPER NATURAL) بل له حاكمية سياسية وقانونية أيضا . ولا يشاركه أحد أيضا فى تلك الحاكمية . وليس لأحد سواه أن يمارس حكمه على أرضه وعلى عباده . سواء أكان هذا الغير ملكا ، أو أسرة ملكية ، أو فئة حاكمة ، أو نظاما ديمقراطيا يؤمن بحاكمية الجماهير (SOVEREIGNTY OF THE PEOPLE) وكل من يستقل بسيادته دون الله فهو متمرد . والذى ينصرف عنه الى غيره ويطيعه فهو كذلك متمرد . ونفس الأمر ينطبق على الشخص أو الهيئة التى تستبد لنفسها بالحاكمية السياسية والقانونية ، ويجعل سلطات الله (JURISDICTION) قاصرة على الأحوال الشخصية (PERSONAL LAW) فقط ، أو على الأحكام والتعليمات الدينية — بالمعنى المحدود للدين — والحق أنه لا يوجد أحد ما دون الله — ولا يمكن ان يوجد — مشرع مطلق (LAW GIVER) فى أرضه التى بسطها ، ولعباده الذين خلقهم . ولا يحق لأحد أن يتحدى سيادته العليا (SUPERME AUTHORITY)

١١ — وهذا التصور للاله يستلزم أمورا عديدة بحكم المنطق :

أولا : أن الله هو المعبود الحقيقى الواحد للانسان ( أو بكلمات أخرى هو الذى يستحق أن يعبده الانسان ) . وليس لأحد غيره أن يعبده الانسان .

ثانيا : هو الواحد الذى يتحكم فى جميع قوى الكون . وله الخيار

فى أن يستجيب دعوات النـــاس أو لا يســتجيب • ولذلك يجب على الانســـان أن لا يدعو الا اياه ، وأن لا يظن فى أحد من دونه يســتحق الدعاء ويملك الاجابة •

ثالثا : وهو الواحـد الذى يملك مصائر الانسان (DESTINY) ولا يقـــدر غيره أن ينفـــع الانسان أو يضره • فليس للانسان أن يرجع الا اليه خوفا أو طمعا • لا يرجـو الا رحمته ولا يخاف الا عذابه •

رابعـــا : هو الخـــالق والمـــالك للانسان ولمـــا حـــوله من الكون • وعلى هذا هو الذى يعلم ويقـــدر أن يعلم حقيقـــة الانســـان وكذلك حقائق الكون بأجمعـــه علما مباشرا وكاملا • وهو الذى يقدر أن يهدى الانسان الطـــريق الســـوى من بين السبل المعوجة (COMPLICATED) ويعطيه النظام الصحيح للحياة •

خامسا : ثـــم اذا كان هـــو الله الواحد خالق الانسان ومالكه وهو المـــالك لهـــذه الأرض التى يعيش عليهـــا فمـــــن الـــكفر الصريـــح (BLASPHEMY) أن تكون الحاكمية على الانسان لغيره أوللانسان نفسه• ونفس الحكم ينطبـــق على الانسان اذا جاء هـــو نفســـــه مشـــــرعا (LAW GIVER) لنفسه ، أو يقـــــر لشخص أو مجموعة من الأشخاص أو هيئـــة من الهيئات بصـــلاحيات التشريع • بل الله له وحده أن يكون الحاكم فى أرضـــه وعلى مخلوقه ، وأن يكون المشرع له •

سادسا : ومن جهـــــة كونه مالكا للسلطة العليـــا قانونه هو القـــانون الأعلى (SUPREME LAW) • ولا يملك الانســـان صـــــلاحيات للتشريع (LEGISLATION) الا اذا كانت تابعـــــة للقـــانون الأعلى ، ومستمدة منه أو مبنية على اذنه •

١٢ ــ وتأتى فى هـــذه المرحـــلة عقيدة أساسية أخرى فى الاسلام • وهى عقيدة الايمـــان بالرســـالة • فالرســـول شخص ينزل الله تعـــالى قانونه على البشر بواسطته • ويصلنا هذا القانون من الرسول بصورتين : أولاهمـــا : وحى الله تعـــالى بنفس الألفاظ التى نزل بها على الرسول •

وهـو القرآن • ثانيا : الأقـوال والأعمـال والأوامر والنواهى التى توجه بهـا الرسول الى أتباعه وفق تعليمات الله • وهى السنة • وأهمية هذه العقيدة أنها اذا لم تكن ، يبقى الايمان بالله تعالى فـكرة جـوفاء (THEORETICAL) وتصـورا مجردا • والشيء الذى يصوغ عقيدة الايمـان بالله فى قالب الحضـارة والمدنية ونظام الحياة البشرية هـو توجيـه الرسـول الفـكرى (IDEOLOGICAL) والعمـلى • اذ بواسـطته يصلنا قانـون الله تعـالى • وهـو الذى يبنى قواعد الحياة تبعا لمقتضى هـذا القانون • ولذلك لا يصـير الانسان مسلما الا اذا آمن بالرسالة بعد ايمانه بالله •

١٣ ــ وقد أوضح الاسلام مكانة الرسـول بحيث نستطيع أن نعرف حقيقته من الناحية السلبية •

فالرسول لا يأتى لجعل النـاس عبيدا له • بل لجعلهم عبيدا لله تعالى وعن نفسه أيضا يقول : انه عبد الله• والتعليم الذى آتاه الرسول للمسلم لاعادة كلمـة الشهادة فى الصلوات الخمس سبع عشرة مرة يوميـا على الأقل تتضمن النص التالى : « أشهد أن محمدا عبده ورسوله» • ولايترك القرآن أدنى مجال للشـك فى باب كون الرسـول بشرا ، وكونه غـير شريك فى الألوهية (DIVINITY) ولا بمثقـال ذرة • كمـا أنه ليس شخصا يفوق البشر • ولا يخلو من مقتضـيات البشرية كالجـوع ، والعطش ، والتعب،والنوم،والزواج، والمرض وما الى ذلك • ولا يملك خزائن الله • ولا يعلم الغيب بحيث يعلم كل ما يعلمـه الله تعالى • ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، فضـلا من أن يملك لغيره نفعـا أو ضرا • وما عليه الا البلاغ • ولا يملك أن يهدى من أحبه • وليس له أن يؤاخذ المنكرين ، وينزل عليهم العذاب • وهو نفسه اذا عصى الله ــ والعياذ بالله ــ ، أو افترى على الله شيئا ، أو تجاسر على تبديل وحى الله من عند نفسه ولو بشيء يسير لا ينجو من العذاب • محمد صلى الله عليه وسلم رسول من الرسل ولا يملك مكانة تفوق الرسالة • وليس بيـده أن يحرم شيئا أو يحله • أو بكلمات أخرى لا يجوز له أن يشرع من تلقاء نفسه بغير أن يأذنه الله• وهو مأمور

باتبـاع الوحى الذى ينزل عليه من الله .

هكذا أنقذ الاسلام البشرية من جميع المبالغات التى تورط فيها أتباع من سبق محمدا صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والرسل ، الى أن جعلوهم آلهة ، أو أندادا لله ، أو أولاده ، أو متجمـدة (INCARNATION) أنكر الاسلام جميع هـذه المبالغات بكل صراحة وبين المكانة الحقيقيـة للرسول كما يلى :

لايكون المرء مؤمنا مادام لايؤمن بالرسـول ، من أطاع الرسول فقد أطاع الله فى الحقيقـة ، لأن الله لم يبعث رسولا الا ليطاع . ولايهتدى الا من أطاع الرسول . يجب الأخذ بما يأمره الرسول والانتهاء عما ينهاه . وأوضح محمد صلى الله عليه وسلم نفسه هذا الأمر فقال : « انما أنا بشر اذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشىء من رأى فانما أنا بشر ــ وفى رواية ــ أنتم أعلم بأمر دنياكم » .

سنة الرسول بيان لمراد القرآن . ومنزل القرآن ــ أى الله ــ هـو الذى علمه هذا البيان . وهذا الأمر يكسب بيانه سندا (AUTHORITY) الهيا . ولذلك لا يجوز لشخص أن يأتى ببيان للقرآن من تلقاء نفسـه مستغنيا عن بيان الرسول . وجعل الله حياة الرسول أسوة للمؤمنين . فلا يكون المرء مؤمنا ما دام لا يسلم بما يقضى الرسول : « وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » . وليس من شأن المسلمين كذلك اذا واجهتهم قضـية مـن القضـايا أن لا يتأكدوا قبل أن يقضوا فيها : ماذا أمر الله ورسوله فيها .

ويتضح مما سبق أن الله تعـالى لـم يؤت الانسـان قانـونا أعلى (SUPREME LAW) بواسـطة الرسـول فحسب ، بل آتاه كذلك قيما ثابتة (PERMANENT VALUES) فالشىء الذى يقرره القرآن الكريم والسنة المطهرة بأنه خير . فهو خير الى الأبد ، والذى يجعلانه شرا فهو شر الى الأبد . والذى جعلاه فرضا فهو فرض قائم الى الأبد . والذى جعلاه حلالا فهو حلال الى الأبد .

والذى جعلاه حراما فهو حرام الى الأبد • ولا يحق لأحد أن يعـدل فى هـذا القانون ، أو يضيف اليه شيئا ، أو ينقص منه شيئا ، أو يلغيه (ABROGATION) • اللهـم الا شخص أو جماعة أو شعب قـرر التخلى عن الاسـلام • فمـا دام المسلمون مسلمين فـلا يمـكن أن يكون فى نظـرهم شر الأمس خير اليوم ثم يعود شرا فى اليوم التالى • فلا قياس ولا اجتهـاد ولا اجماع خوّل له هذا النوع من التغيير •

١٤ ـــ والعقيدة الأساسية الثالثة للاسـلام هى الايمان بالآخـرة • وأهميةهذه العقيدة فىأن الذىينكر هـذه العقيدة يصبح كافـرا • ولا يخرجه من الكفر بعد ذلك الايمان بالله ، ولا الايمـان بالرسـول ، ولا الايمان بالقرآن • وهذه العقيدة تشتمل فى صـورها التفصيلية على ستة تصورات أساسية :

١ــ ان الانسانلم يترك فى الأرض غير مسئول (IRRESPONSIBLE) لا يسأل عما يفعل ، بل انه مسؤول أمام خالقه • والحياة الدنيا هى فى الحقيقـة دار الامتحان والابتلاء • وبعد انتهاء هذه الحياة يحاسبه الله فى كل ما عمل فى الدنيا •

٢ ــ قرر الله أجلا مسمى لهـذه المؤاخذة • وبعد أن ينتهى الأجـل الذى منحـه الله عزوجل للانسـان ليعمل ما يعمل فى الحياة الدنيا تقوم الساعة • ويطوىفيها النظام الموجود للحيـاة ، ليحل محله نظام آخـر للحيـاة • ويبعث فى ذلك العـالم الجديد كل أناس خلقهم الله من بدء الخليقة الى يوم القيامة •

٣ ــ وسيعرض جميع النأس فى آنواحد على المحكمة الالهية فتسأل كل نفس بصفتها الشخصية عن كل عمـل قامت به فى الدنيـا على مسؤوليتها الذاتية •

٤ ــ وان الله تعالى لا يقضى يوم القيـامة بعلمه الذاتى لأعمال الناس بل سيحقق جميع شروط العـدل • فيقدم أمام المحكمة الالهية كتاب كل انسان يحتوى على كل ما عمله فى الدنيا بدون زيادة أو نقص • وتساق أنواع لاتعد ولاتحصى من الشهادات والبينات التى تثبت : ماذا فعـل فى

الدنيا سرا أو علانية وبأى نية فعل ما فعل .

٥ ـ لا يقبل فى المحكمة الالهية مال ، ولا تنفع شفاعة بغير حق ، ولا يؤخذ عدل ، ولا تنتصر محاماة تنافى الحق ، ولا تزر وازرة وزر أخرى . ولن يستطيع يومئذ قريب مقرب ، أو صديق حميم ، أو زعيم كبير ، أو شيخ جليل أن ينتصر لأحد ويقوم المرء أمام الله وحيدا لا نصير له ليؤدى حساب ما عمل . ويكون الأمر يومئذ لله .

٦ ـ ويكون مدار حكم الله فى الناس على أنهم عبدوا الله حق عبادته ـ بعد ايمانهم بالحق الذى أرسله الله اليهم وايمانهم بمسؤوليتهم يوم القيامة ـ أم لم يعبدوا . اذا كانت الصورة الأولى فلهم الجنة ونعيمها . واذا كانت الصورة الأخرى فلهم جهنم وعذابها .

١٥ ـ هذه العقيدة تقسم الناس الى ثلاثة أقسام من ناحية أساليبهم للحياة : القسم الأول : الذين لا يؤمنون بالآخرة ويرون أن لاحياة الا هذه الحياة الدنيا ، وهؤلاء يعتبرون النتائج التى تظهر فى الدنيا للأعمال مقياسا للخير والشر . فكل عمل يتمخض عن نتيجة حسنة ونافعة هو خير فى أعينهم . وكل عمل يؤدى الى نتيجة سيئة ومضرة يعتبرونه شرا . بل من الجائز أن يكون الشىء بعينه خيرا وشرا فى أعينهم فى مختلف الظروف . والقسم الثانى : أولئك الذين يؤمنون بالآخرة ولكنهم يطمئنون الى أن شفاعة أحد من المخلوقين تنجيهم يوم القيامة بغض النظر عما فعلوا فى الدنيا ، أو أن شخصا من الأشخاص قد فداهم بنفسه ، مسبقا ، كفارة لذنوبهم . أو هم أحباء الله ، فلا ينالون من الله الا عقابا رمزيا حتى على أكبر الكبائر وأعظم الذنوب . هذه العقيدة تضيع جميع الفوائد التى يتضمنها الايمان بالآخرة . وتجعل هذا القسم الثانى أيضا فى عداد القسم الأول من الناس .

والقسم الثالث : هم أولئك الذين يؤمنون بالآخرة ايمانا صحيحا وبنفس الصورة التى اختارها الاسلام

لهذه العقيدة • ولا يقعون فى سوء التفاهم فى باب صلتهم الخاصة بالله تعالى ، ولا يقعون فى ظن خاطىء يقوم على عقيدة الكفارة ، أو الشفاعة غير الصحيحة • فهذه العقيدة بالنسبة لهؤلا الناس تشكل طاقة خلقية هائلة • والشخص الذى وقر فى سويداء قلبه وأعماق ضميره الايمان القوى الصحيح بالآخرة يكون حاله كرجل يصحبه فى كل حال من الأحوال رقيب يمنعه من كل ارادة تجره الى السوء ، يردعه عن اتخاذ كل خطوة تخطو نحو الاثم ، يؤنبه على كل عمل ينكره الاسلام سواء أكان فى الظاهر بوليس يقبض عليه أم بينة تدينه ، أو محكمة تعاقبه أو رأى عام يلومه على مايفعله أم لا يكون اذ يستقر فى نفس الانسان حسيب صعب المراس لا يجرؤ الانسان خشية منه على أن يتهرب من فرائض الله تعالى فى الخلوة أو فى الغابة أو فى الظلام أو فى البادية ، ولا يقدر على اقتراف ما حرمه الله • واذا اقترف — على سبيل الافتراض — يندم على ذلك يتوب الى الله • ولا نجد سلاحا أقوى من ذلك للاصلاح الخلقى وتنشئة الانسان على السلوك المستقيم • فالقيم الثابتة التى يعطيها قانون الله الذى هو أسمى من كل شىء لا يستطيع الانسان أن يعض عليها بالنواجذ ولا أن ينصرف عنها بحال من الأحوال الا بفضل هذه العقيدة أى الايمان بالآخرة • ولذلك أصبحت لها فى الاسلام أهمية بالغة حيث ان انعدامها يجعل الايمان بالله وبالرسالة أمرا لا يجدى شيئا •

١٦ — والاسلام — كما أشرنا فى الفقرة السادسة من البحث حضارة متكاملة العناصر ، ومدنية مستوعبة المقومات ، انه نظام شامل (COMPREHENSIVE) للحياة • وهو يعطى الانسان التوجيهات فى جميع شعب الحياة • ولذلك فان أخلاقيات الاسلام ليست للرهبان المنعزلين عن الدنيا ، ولا للكهنة والدراويش الذين يعيشون فى الكهوف والمغارات ، بل هى للذين يسيرون شؤون الحياة أو يعيشون فيها • فالسمو الخلقى الذى تتلمسه

الدنيـا ــ عـادة ــ فى الـزوايا ، والرهبانيات ، والأديرة ، والصوامع (CONVENTS, MONASTRIES, CLOISTERS) يريد الاســلام ممارسته فى وسط أمواج الحياة ؛ لأنه يجب أن يتحـلى بأخلاقيـات الاسلام رؤساء الحكومات ، وحكام الأقاليم ، وقضاة المحاكم ، وضباط البوليس والجيش ، وأعضــاء البرلمـانات ، وخبـراء الشـؤون المـالية ، ورواد الصـناعة والمهن ، وأسـاتذة الكليـات والجامعـات وطلبتهـا ، والآباء ، والأبنــاء ، والأزواج ، والزوجات ، والجيران ــ وأن يتحلى بها كل النـاس أفـرادا وجماعات • وهــو يريد أن يسود هــذا السـمو الخلقى كل بيت من البيوت • وهو الذى يحكم كل حى من الأحياء وكل سوق من الأسواق • وهو يريد أن تأخذ به كل المؤسسات التجارية والدوائر الحكومية فتصبح السياسة قائمة على الصدق والعدل وتتعـامل الشعوب فى ما بينها على عرفان الحـق وأداء الحقـوق حتى الحرب بينها تتسم بمراعاة الكرامة الانسـانية ومبـادىء الحضـارة ، لا بهمجية الذئاب وضراوة الوحوش •

هذا هو العرض الموجز لما يدعو اليه الاسلام • وهذه الدعوة ليست من نسـيج الخيال (UTOPIA) لفيلسوف من الفلاسفة بل دعا اليها محمد صلى الله عليه وسلم وطبقهـا فعـلا فى الحياة • ولا تزال آثاره ، بعد أربعة عشر قرنا ، ملموسة فى مجتمعات المسلمين اليوم •

وآخر دعــوانا أن الحمد لله رب العالمين •

ترجم هذا البحث الى اللغة العربية
**خليل الحامدى**
لاهور ــ باكستان

---

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها
هوانا بها كانت على الناس أهونا

نفسك اكرمها وان ضاق مسكن
عليك بها فاطلب لنفسك مسكنا

واياك والسكنى بدار مذلة
تعد مسيئا بعد ماكنت محسنا

# أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية

لسماحة العلامة أبو الحسن الندوي

— ٢ —

لقد اتفق أعظم علماء التربية فى العهد الحاضر على « أن عملية التربية فى أية أمة ليست بضاعة تصدر الى الخارج ، أو تستورد الى الداخل ، كالمصنوعات أو المواد الخام ، أو الحاجيات والمخترعات التى تختص ببلد دون بلد ، انما هو لباس يفصل على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية ، وتقاليدها الموروثة ، وآدابها المفضلة ، وأهدافها التى تعيش لها ، وتموت فى سبيلها(١) وأن التربية ليست الا وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التى يؤمن بها شعب أو بلد ، وتغذيتها بالاقتناع الفكرى القائم على الثقة والاعتزاز ، وتسليحها بالدلائل العلمية ، اذا احتيج اليها ، ووسيلة كريمة لتخليد هذه العقيدة ، ونقلها سليمة الى الأجيال القادمة وأن أفضل تفسير لنظام التربية هى أنها السعى الحثيث المتواصل يقوم به الآباء والمربون لانشاء أبنائهم ، على الايمان بالعقيدة التى يؤمنون بها ، والنظرة التى ينظرون بها الى الحياة والكون ، وتربيتهم تربية تمكنهم من أن يكونوا ورثة صالحين للتراث الذى ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم ، مع الصلاحية الكافية للتقدم والتوسع فى هذه الثروة (٢) .

وقد جاء فى تقرير تربوى قدمه بعض كبار خبراء التربية فى بريطانيا ما خلاصته :

---

(١) مقتبس من محاضرة كاتب السطور « مهمة التربية والتعليم » المدرجة فى كتاب « نحو التربية الاسلامية الحرة » .

(٢) يرجع الى دائرة المعارف البريطانية مقالة « التربية » وكتابات أحد ائمة فن التربية فى العهد الحاضر جان ديوى .

« ان مصلحة الحكومة فى أن تطمئن الى أن المدارس القائمة فى حدودها كفيلة بنقل جميع أجزاء الحياة القومية الى الأجيال القادمة جيلا بعد جيل ، ان الفكرة التى يجب أن تسيطر على سياسة الحكومة التربوية المرسومة وتسندها هى أن ينشأ الأطفال ورثة للخصائص القومية ، وخلفاء آبائهم بالجدارة .

ويقول فى كتابه « التربية والغاية الاجتماعية » :

« ان أفضل محك لنجاح التربية واخفاقها ، هو تقاليد المجتمع والقيم السائدة ، فهى الأسس التى تقوم عليها خصائصها وبقاؤها ، ومما لابد منه أن لا تكون بينها وبين التربية فجوة فكرية أو عدم انسجام فعلينا أن نلاحظ دائما أن كل محاولة للتقدم تقوم على القيم المقررة التى يؤمن بها هذا الشعب ، فيجب أن تقوم عليها جميع التجارب التى يقوم بها رجال التربية ..

ونكتفى بشهادة أخرى أكثر تركيزا وأشد صراحة لأحد علماء التربية .. يقول :

( ان التعليم القومى عبارة عن ميثاق فكرى تتجلى فيه غاية المجتمع المشتركة ومساعيه المشتركة ، ويمثل هذا الميثاق العاطفة القومية ويكون مزيجا من خصائص لابد منها لتحقيق مطامع هذا المجتمع وأهدافه ..

وقد أخذ العرب ـ على اختلاف نظمه السياسية ومدارسه الفكرية ومعسكراته الشرقية والغربية وعلى جميع علاته وعيوبه التى ننتقدها ـ بهذا المبدأ التعليمى ، وطبقته تطبيقا دقيقا شاملا فى جميع مجالات التربية وأصبحت المناهج التعليمية وسياسة التربية خاضعة لهذا المبدأ المقرر .

ولم تكن روسيا الشيوعية المعروفة بالتطرف والثورة أقل تطبيقا لهذا المبدأ من البلاد الرأسمالية والديمقراطية ، بل لعلها كانت ـ أدق تطبيقا له ، وأشد غيرة على مبادئها .

جاء فى بيان رسمى صدر فى ١٢ من نوفمبر ١٩٥٨ م :

« ان العلوم العمرانية والاجتماعية تمثل دورا حاسما فى تحقيق خصائص المجتمع الشيوعى ، انه من ألزم اللوازم أن يكون أصحاب الاختصاص فى كل فن على اطلاع كاف بالمبادىء

الماركسية واللينينية ، انه يجب أن يتلقى شبابنا تربية تسرى بها فيهم روح المقت الشديد ، والتعصب ضد الرأسمالية والرجعية » .

وبذلك سلم الغرب من هذا التناقض الذى يعيشه الشرق ، سواء الأقطار الاسلامية منه وغير الاسلامية ، فلا وجود فى الغرب لهوة عميقة سحيقة فكرية وعقائدية بين الشعب والقيادات ، أو الجماهير والحكومات انما هناك طراز واحد ونمط واحد للمبادىء والقيم والمثل والغايات وليس هناك صراع فكرى ونفسى عنيف قاس بين مختلف الطبقات وأفراد المجتمع ولذلك أمن الثورات الداخلية ، والمؤامرات ضد سلامة الشعب ، ومصالح البلاد .

وتتلو الغرب أقطار شرقية ذابت فيها العقيدة من عهد بعيد وهى لا تؤمن بحقائق تقوم على الايمان بالغيب واتباع الرسل ، وليست عندها تعاليم سماوية معينة أو صحف سماوية محفوظة ، وأنها تتمسك بالتقاليد والأعراف والمصالح القومية والفردية التى لا تتحداها هذه النظم التربوية ، وليست منها بسبيل ، فهى سليمة كذلك من هذا التناقض الذى يولده نظام التربية الغربى ، بل هى فى اصطلاح وتفاهم مع هذه النظم ، أو تكيف نفسها وأفكارها وفق هذه المناهج وموادها فالثورات والمؤامرات فيها قليلة بالنسبة الى الأقطار الاسلامية، والتناقض قليل وضعيف لا أثر له فى الحياة القومية ، والغدر القومى والخيانة الوطنية نادرة جدا،وليست بين الطبقة المثقفة والموجهة للبلاد ، وبين الجماهير ذلك الخليج الواسع الذى نشاهده فى الأقطار الاسلامية، وان أدواء هذه الأقطار وعيوبها من جنس آخر ، ولها أسباب ترجع الى تاريخها وطبيعتها وعقائدها ، وفقدان الوازع الدينى وقلة الوعى، وفساد نظام التربية .

أما الأقطار الاسلامية فهى مسرح للتناقض العجيب بين الطبقات الحاكمة أو الزعيمة ، وبين الجماهير فى جانب، وبين الطبقات المثقفة ثقافة عالية والطبقات التى تغلب عليها الأمية ، وبين الطبقات المتدينة المحافظة وبين الطبقات المتحررة التقدمية فى جانب آخر ، وذلك كله نتيجة نظام التربية الغربى المستورد من الخارج ، أو

المصوغ فى الداخل على فكرة النظام الغربى وخطوطه ، فهو ينشىء جيلا لا يسيغ العقائد والحقائق التى يقوم عليهـا المجتمع الاسـلامى أو الأمة الاسـلامية ، لأن ما يعطيه هـذا النظام ويغرس فى النفوس والعقول يتناقض تناقضا واضحا مع العقائد والحقـائق التى يؤمن أو يجب أن يؤمن بها هذا المجتمع أو الأمة واذا أسـاغها فانما يسيغها بتأثير خارجى يضعف سلطان هذا النظام وذلك شاذ لا يقاس عليه .

واذا وجدت هذه الطبقة أو الجيل الذى نشأ فى أحضان هذا النظام ، ورضع بلبانه ، بقى فى صراع دائم مع عقيدة الشعب وعقليته وعواطفه واتجاهاته ، فاذا كان قـوى النفس قوى الارادة حاول أن يزيل أنقاض العهد القديم أو الرجعية ( كما يقول بعض أفراد هذه الطبقة ) ويخلص الأمة والبـلاد من ركام المـاضى ، وهنالك تقوم معركة تستهلك طاقات وكفايات كانت الأمة أحوج اليها ، وتقوم حرب داخلية قد تكون أطول وأعنف من الحرب الخارجية ، وهذه قصـة بـلاد ابتليت بزعامات دانت بمبادىء وفلسفات ثورية أو قومية أو علمانية .

واذا كان هؤلاء الأفراد ضعيفى النفس والشخصية والارادة ، أصيبوا بمركب النقص ، وبـكره شـديد للعقائد والأهداف التى يؤمن بهـا الشعب ، فيحيكـون المؤامـرات ويمالئون الأجانب ، وينتهزون كل فرصـة للتخلص من ضغط الشعب الدينى ، ونفوذ الدعاة الذين ينادون بالاسـلام ، فتكثر حوادث الخيانة القومية ، وتعيش البلاد فى جو من الاضطراب والارهاب وعدم الثقـة والشك والبلبلة الفكرية .

ولا سبيل الى التخلص من هـذا الوضع الطبيعى وغير الضرورى الا قلب هذه الأوضاع التعليمية رأسا على عقب ، وصياغتها صياغة جذرية جديدة ، وهى قضية العالم الاسلامى الكبرى ، وضرورته القصـوى ، ونداء الوقت وفريضة الساعة .

هنا أختم حديثى باستعارة قطعة من احـدى كتاباتى السـابقة : « وحل هذه المشكلة ــ مهما تعقد وطال واحتاج الى الصبر والمثابرة ــ

ليس الا أن يصاغ هذا النظام التعليمى صوغا جديدا ، ويلائم بعقائده الأمة المسلمة ومقومات حياتها وأهدافها وحاجاتها ، ويخرج من جميع مواده روح المادية والتمرد على الله والثورة على القيم والروحية ، وعبادة الجسم والمادة ، وينفخ فيه روح التقوى والانابة الى الله ، وتقدير الآخرة ، والعطف على الانسانية كلها ، فمن الله والآداب الى الفلسفة وعلم النفس ومن العلوم العمرانية الى علوم الاقتصاد والسياسة ، لا تسيطر على كل ذلك الا روح واحدة ويقصى استيلاء الغرب العقلى ، ويكفر بامامته وسيادته وتجعل علومه ونظرياته موضوع الفحص والدراسة الجريئة ، ويوضح ماذا جنى نفوذ الغرب وسيطرته على الانسانية والمدنية ، وتدرس علومه بشجاعة وحرية ، وتعتبر كمواد أصيلة نصنع منها ما يوافق حاجاتنا ورغباتنا ، وعقيدتنا وثقافتنا .

ان هذا العمل ولو كانت فى طريقه عقبات وعراقيل ولو تأخرت تتائجه ولكنه حل وحيد للموجة الطاغية التى قد اكتسحت العالم الاسلامى من أقصاه الى أقصاه ، موجة التجدد والتغرب التى تتحدى الكيان الفكرى للاسلام وجهازه الاجتماعى ، وظلت تهدد حياته وبقاءه ، وتتيجة لذلك أصبحت عاطفة الشعوب المسلمة وتضحياتها وجهودها واخلاصها ووفاؤها ( التى هى السبب المباشر الأساسى فى انشاء الحكومات الاسلامية ، وتحرير البلاد المستعمرة ) وقودا حقيرا فى نار التجدد والتغرب وأصبحت الجماهير المسلمة السليمة المخلصة ، المتحمسة الصامتة ، قطعانا من الغنم يتحكم فى رقابها هؤلاء القادة والولاة ، وتساق الى أى هدف فى صمت وهدوء (١) .

فهل من بلد اسلامى أو حكومة اسلامية أو جامعة من الجامعات المرموقة فى عواصم العالم الاسلامى تلبى هذا النداء ..

وتركز جهودها وعنايتها ووسائلها على تحقيق هذا العمل البنائى الثورى الذى ينقذ العالم الاسلامى من أكبر

---

(١) نحو التربية الاسلامية الحرة ص ٤٣ ــ ٤٥

خطر يتهدده بل من عملية الهدم والابادة الشاملة التى لم تعرف ابادة أكبر نجاحا وأعمق منها أثرا فى تاريخ الأمم والملل والديانات والحضارات، فهل من مجيب ؟ وقد قال الله تعالى :

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (١) ، وقال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق » (٢) •

ان القتل المعنوى ليس أهون من القتل الجسمانى ، ولا فرق بين السم الناقع الذى يسرع بالانسان الى الموت ، وبين السم الذى يتدرج به الانسان الى الموت ، وقد نهى الله عن كل ذلك فقال :

« ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما (٣) » •

**ابو الحسن الندوى**

---

## « دعاء الكرب »

كتب الوليد بن عبد الملك الى عامله على المدينة المنورة صالح بن عبد الله : أن أخرج الحسن بن الحسن بن على من السجن ( وكان محبوسا ) واضربه فى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خمسمائة سوط ، فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس ، وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ، ثم نزل يأمر بضربه ، فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما ، فأفرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسين ، فقال : يا بن العم مالك ؟ ؟ ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك ، قال ما هو يا بن العم ؟ قال : لا اله الا الله الحليم الكريم ، لا اله الا الله العلى العظيم سبحان رب السموات ورب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين •

---

(١) سورة البقرة : ١٩٥
(٢) سورة الأسراء : ٣١
(٣) سورة النساء : ٢٩

دراسات قرآنية :

# المادية ومغامراتها في العالم الإسلامي

للأستاذ مصطفى محمد الحديدي الطير

قال تعالى :

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ».

سورة يونس ١٠١

**البيان**

المادية تجوب العالم الاسلامى بنشاط محموم ، وتستخدم من الدعاة غالبا أصحاب الألسنة السليطة ، والنفوس المريضة ، والوجوه الكالحة ، والآداب الوضيعة ، وتبذل بسخاء فى شراء هؤلاء الدعاة ، وتنفق عليهم بغير حساب ، وقد أصبحت لها خلايا فى الشركات والمصانع والمجتمعات الطلابية لا يصح السكوت عليها ، بل يجب الأخذ على أيديها ، وتحطيم أسلحتها ، قبل أن يستشرى داؤها فيصعب علاجه ، وقبل أن يسرى وقودها فى الأخضر واليابس ، فيتعذر اطفاؤه ، وهدف الماديين الأول ، هو تحطيم العقائد والأديان ، وتهديم الأخلاق والآداب ، ونشر الاباحية والتحلل ، وتهوين الأعراض والأنساب ، ويتخذون ذلك ذريعة لاصطياد الشباب ، انهم يغرونهم بإباحة الخود الحسان ، وينزعون منهم الثقة بالأديان ، ويشككونهم فى الثواب والعقاب ، ويزعمون أنهما خيالات وأوهام ، وأن الحياة الدنيا مبدأ وغاية ، فلا بعث بعدها ولا نشور ، وبلغ من حمقهم وسفههم ، أنهم أنكروا الخالق القهار ، فاتخذوا الههم هواهم ، وانحدروا الى أحط المفاسد .

## نماذج من سفاهة الماديين

ألف الماديون ( الشيوعيون ) كتبا عديدة فى كل قطر أصيب بوبائهم ، ومنها كتاب اسمه ( نصوص حول الدين ) أحالته على ادارة البحوث والنشر بالمجمع ، لفحصه وتقديم تقرير عنه ، فوجدته – مع الأسف – لمؤلف عربى يتسمى باسم اسلامى ، وقد طبع فى بيروت ، ولما فحصته وجدته خطيرا على عقائد المسلمين وأخلاقهم ، فطلبت فى تقريرى عنه مصادرة نسخه ، ومنع دخوله الى بلادنا ، وبينت الأسباب التى تقتضى ذلك ، وفيما يلى نماذج من سفاهاته :

يقول المؤلف فى ص ٧ : ( ان تتويج الهها ( الاقتصاد ) على الأرض ، كان يتطلب فى البداية – كشرط أساسى – نزع تاج اله السماء ، الذى كان يغطى ظهر الأرض بظله ) .. فأنت ترى هذا المغرور ، جعل الاقتصاد اله ثورة الماديين ، وقال ان اتخاذ هذا الاله ، كان يتطلب فى البداية ، نزع تاج اله السماء ، الذى يغطى بظله ظهر الأرض .

فانظر أيها القارىء الكريم الى أى حد وصل تعدى هذا الكاتب الأثيم ، فض الله فاه ، وقطع لسانه ، ومن على شاكلته من أولئك المجانين .

وتراه فى هذه الصفحة ، يؤيد ما صنعه ( البرجوازية ) من تحبيذهم التعامل بالربا ومحاربتهم من يحاربه ، وفى ص ١٥ يسخر بالدين فيقول : ( ان السعادة لم تعد وعدا أسطوريا كما كانت فى الدين ، بل أصبحت التزاما اقتصاديا ، أيها العامل . كلما زاد انتاجك ازداد استهلاكك ، وازدادت بذلك سعادتك ، هذا ما يميز الاستهلاك المشهدى عن الدين ، اعطاء الثواب فى العاجلة لا فى الآجلة ، الجنة لم تعد فى السماء بل فى المخازن ، وويل لأصحاب الجيوب الفارغة ) .

هكذا قال هذا المدعى ، متغافلا عن قوله تعالى « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » وقوله سبحانه « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » فالآية الأولى توجب النظر فى آيات السموات والأرض ، لنعلم من خلقهما فى وحدة مترابطة ، ونظام لا صدوع فيه ولا فطور ،

حتى نعبـده وحـده ولا نشرك به أحـدا ، ونعلم أنه هو الذى خلق المال وخلق المصانع ، وخلق المزارع ، وخلق العامل والزارع ، وخلق العقول التى تهـدى الناس الى اكتسـاب الأرزاق ، وابتكار وسائل تحصيلها، وتكفل بالجنين فى بطن أمه فغـذاه ونماه ، وأخرجه من ظلمات الأرحام انسانا سـويا ، بعد أن كان نطفـة تتحاشى أن تلتصـق بثيابنا وتعلق بأيدينا ، وتقع عليها عيوننا ، وتكفل بالحبة فى باطن الأرض ، فأنزل عليها مياه المزن ، وساق اليها مياه الآبار والأنهار ، وأقدرنا على ايصال تلك المياه الى الأرض التى اشتملت على تلك الحبة ، وتعهدها بفضله فى جوف الأرض ، فأنبت لها جذورا تتغذى بها وتستمسك بأماكنها ، حتى لاتخر اذا ارتفع ساقهـا ، وأنبت براعمها ، وآزرها حتى استغلظت واستوت على ساقها ، وأتت أكلها للآكلين .

والآية الثانية تشـير الى وجوب السـعى على الأرزاق من أوجههـا المشروعة ، خوفا من الحسـاب يوم النشـور ، وبهـذا السـعى ، تصـبح الجيوب مليئـة بالمـال ، والبيوت مكفولة الأرزاق ، وحينئذ نحن الذين نقول لكم ولكل كسلان متواكل : ويل لأصـحاب الجيوب الفـارغة .

لقـد كانت الأمة الاسلامية أغنى الدول وأكبرها انتـاجا ونشـاطا ، وأعظمها علما بشئون الدنيا والآخرة، ولم يمنعها ايمانها بالآخرة وثوابها ، من أن تملأ مخازنها بالأرزاق ، وأن تمتع أنفسها بزينة الحياة الدنيـا ، عملا بقوله تعالى: « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » الى غير ذلك من النصوص القرآنية التى تحض على الأخذ من الدنيـا بنصيب الى جانب العمـل للآخرة .

### انكارهم النبوة وتكذيبهم الأنبياء

واذا كان الماديون ( الشيوعيون ) أنكروا الألوهية ، فـلا تعجب من انكارهم النبوة والأنبياء ، ومن ذلك قـول المـؤلف فى ص ١٧ : أعطى الأنبياء القدامى شيكا بدون رصيد، لتزييف مطلب الانسـان فى عيش السـعادة ، يريـد المؤلف الكذاب بقوله هـذا أن وعـد الأنبياء بنعيم الجنة ، يعتبر شيكا بغـير رصيد ،

لأنه لا آخرة فى نظر هؤلاء الماديين ، حتى يحصل الناس على ما وعدوا فيها ، ويزعم أن الأنبياء بوعدهم هذا ، يزيفون مطالب الناس فى عيش السعادة ، ويحرمونهم منها فى دنياهم التى هى أقصى ما يمتد اليه نظر أولئك الماديين المارقين قصار الأنظار .

وتلك مغالطة صارخة ، فكل الأديان لا تمنع العمل للدنيا بجانب العمل للآخرة بل تحض عليه ، وللاسلام فى هذا أوفر نصيب ، وقد مضى ذكر بعض الآيات التى تشهد بذلك ، وجاء فى السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، فاعمل عمل امرىء يظن أنه لن يموت أبدا ، واحذر حذر من يخشى أن يموت غدا » وفى لفظ : « فاعمل عمل امرىء يظن أنه لن يموت الا هرما ، واحذر حذر من يخشى أن يموت غدا » أخرجه البيهقى فى شعب الايمان ، والبيهقى أيضا فى السنن ، والعسكرى عن ابن عمرو .

ونظرا لأهمية السعى على الأرزاق ، وكونه أساسا فى قوة المسلمين وعزتهم ، كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم ، لا يقصرون فيه ، حتى أثرى بعضهم ثراء عريضا ، ولقد كانوا أصحاب تجارات واسعة ، وحدائق مثمرة ، روت الصحاح أن عبدالرحمن ابن عوف ــ أحد العشرة المبشرين بالجنة ــ ترك بعد موته ثروة هائلة ، بلغ من ضخامتها ، أن احدى زوجاته الأربع ، صولحت على نصيبها فى ربع الثمن على ثمانين ألفا ، فما ظنك بمبلغ ضخامة هذه الثروة .

وكان عثمان بن عفان من كبار الأثرياء ، وبلغ من ثرائه أنه جهز معظم جيش العسرة من ماله ، فقد أنفق فيه عشرة آلاف درهم ، وتبرع بثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، وخمسين فرسا ، وفى عام مجاعة تبرع بكل تجارته الواردة من الشام ، ووزعها على فقراء المسلمين ــ وغيرهما كثير ــ وقد كانوا رضى الله عنهم ، ينفقون أموالهم الكثيرة على الفقراء والمعوزين ، وعلى تأييد الاسلام واعلاء كلمته ، ومن قرأ سيرتهم

المجيدة يعلم مقدار ما كانوا عليه من السخاء والمروءة .

وبلغ من ثــراء الليث بن ســعد وكرمه أنه كان لا يتناول افطــاره يوميا قبــل أن يوزع الصدقة على ثلثمائة وستين من الفقــراء ، وأنه اشترى دارا فى مزاد منورثة رجل توفى مدينا ، وتبرع بها وبثمنها على أولاده .

وبلغ من قيام المسلمين بواجبهم فى التكافل الاجتماعى ، أن عبد العزيز ابن مروان ، الذى كان واليــا على مصر من قبل الأمويين ، أمر أن يوزع زكاة المسلمين على الفقراء والمساكين بها ، فلم يجــد فقــيرا ولا مسكينا يوزعهــا عليهم ، لاستغناء النــاس بسعيهم ، وبمــا أغــدقه المسلمون المياسير عليهم من البر والاحســان فاضطر لصرفها فى مصــارف الزكاة الأخرى .

**زعم الماديين العداوة بين الدين والعلم**

يزعــم الشيوعيــون أن الــدين لا يتعايش مع العلم ، وأنهما خصمان، فهــذا المؤلف يقول فى ص ١٧ من كتابه : ( قضى الدين على التعايش فى انسجام بين الانســان والعلم )

وتجاهل هــذا المؤلف آيات الحض على العــلم وتعظيم شأن العلماء ، كقوله تعالى : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » وقوله : « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقوله: « وما يعقلها الا العالمون » وقوله : « قــل هــل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

وتجــاهل الأحاديث النبوية التى تعظم شأن العلم ، كقوله صلى الله عليه وسلم ( من ظن أن للعلم غاية ، فقد بخسه حقــه ، ووضعه فى غير منزلته التى وصفه الله بها حيث يقول: « وما أوتيتم من العــلم الا قليلا » كما تجاهل أعتزاز السلف بالعــلم وحضهم عليــه ، ومن ذلك ما قاله مصعب بن الزبير لابنه : تعلم العلم ، فان يكن لك مال كان لك جمالا ، وان لم يكن لك مال كان لك مالا : وقــول الامام على رضى الله عنه : قيمة كل امرىء ما يحسن : الى غير ذلك مما يشرف الاسلام والمسلمين ، ولو كان هذا المــادى ( الشيوعى ) منصفا لاعترف بأن أسلافنا وضعوا أمتن القواعــد لجميع المعارف التى

ينعم بها البشر اليوم ، ولكن كيف يعرف الانصاف طريقه اليهم وهم لا يؤمنون ، وصدق الله تعالى اذ يقول : « وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » ويقول : « انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » •

**نقد الدين والرأسمالية**

يقول المؤلف الشيوعى فض الله فاه : ( علينا اذن لكى نكون معاصرين لعصرنا ، أن نمارس فى نفس واحد ، نقد السماء الدينية ، ونقد الأرض الرأسمالية ، نقد دور الافتاء ودور الصحافة ، نقد المنابر ودور الاذاعة ) هكذا يقول فى ص ٢٣ •

ونحن نقول : ماذا صنعتم أيها الشيوعيون بالتنكر للأديان ، وتأليه المال والاقتصاد ، وماذا فعلتم للعمال الذين وعدتموهم بجنان وارفة الظلال،وماذا صنعتم بمبادئكم التى قلتم انها لازالة الفوارق وتحطيم التفاوت بين الطبقات ، انكم جلبتم على العمال الفقر ، وقتلتم من ثاروا على أنظمتكم الفاشلة ، وقذفتم بهم فى جليد سيبريا ، ونظام الطبقات أصبحت صورته لديكم أبشع الصور ، فهل يعيش زعماؤكم عيشة الكادحين منكم ، هل يأكلون ما يأكلون ، ويلبسون ما يلبسون ، ويسكنون ما يسكنون ، ويركبون ما يركبون ، قلها كلمة حق أيها الملحد الكذاب ، ان الطبقية عندكم شنيعة ، والعمال الكادحين محرومون ومسخرون تسخير الآلات التى يعملون عليها ، وجزاء المتذمر الاعدام فورا •

ان الرخاء والسعادة عند غيركم لا عندكم ، وان العمال فى البلاد ( الرأسمالية ) أحسن حالا ، وأعظم حرية من العمال فى بلادكم ، انهم يشاركون فى الأرباح ، وينعمون بوفير الأرزاق ، ويملكون السيارات ، ويسكنون أنظف المساكن ، ولهم نقابات تدافع عن مصالحهم ، ولم يتخلف عن ركب السعادة سواكم ، تبيتون فى حقد ، وتصبحون فى حقد ، وتدبرون المؤامرات ، وتفرحون بالمآسى ، وترقصون على الخراب والدمار الذى سببته مؤمراتكم ، فاخسئوا أيها الكذابون ، وغطوا وجوهكم خجلا من فشل ما أنتم عليه من مبادىء أستمو ها

على فراغ ، وبنيتموها على أوهام ، وانكشف للناس زيفكم ، وافتضح فيهم أمركم •

لقـد مددتم أيديكم الى الدول الرأسمالية ، تقترضون من أموالهم ، وتطلبون الخبراء منهم ، وتسمحون لهم بفتح المصارف لديكم ، أفرأيتم كيف آل أمركم ، وانكشف غشكم وخداعكم •

لقد ناديتهم بالتأميم الشامل لكل وسائل الانتاج ، فأدت هذه السياسة الرعناء الى هبوط فى الانتاج ، والى كوارث اقتصـادية هائلة ، فاستمع الى خروشـوف اذ يعترف بذلـك فيقول : ان البقـرة التى يملكهـا صاحبها ، تدر اللبن أكثر من البقرة التى تملكها الدولة • بهـذه العبارة الحـزينة يعترف الرجل بمـا يهدم المبادىء المـاركسية من أسـاسها ، ويظهر فساد آثارها وسوء نتائجها ، فمتى تصـحون من النـوم أيهـا الغافلون •

ان روسـيا الشيوعية التى تملك أكبر حقـول القمح فى أوكرانيا ، طلبت القمح من أمريكا ؛ لأن عمالها مسخرون فـلا ينتجـون ، وطلبت خبراء الصـناعة من أمريكا ؛ لأن خبراءها وصناعهـا مسخرون فـلا ينتجون ، وفتحت بلادها للمصـانع والبنوك الأمريكية ، فتراها بعد أن نزعت الملكيـة من الروس ، سمحت بالملكيـة ورأس المـال الأمريـكى للأمريكيين ان التـأميم منـاخ مناسب للنهب والسلب ممن يعملون ولا يملكون ، أما الملكية فصاحبهـا حفيظ عليها ، يمنع عنهـا الناهبين ، ويفصـل مـن عمـاله السـارقين والمتلصصين ، ان التـأميم مرتـع للكسالى والمتواكلين ، فتراهم آلات تعمل من غـير ابداع ، وتتراخى فى غير همة ، أما الملكية فهى التى تدفع الى الابـداع والتنمية ، واختيـار العامل النشيط ، وابعـاد العـامل الكسول ، وطرد العامل اللص •

## اليساريون فى مصر

ومـن عجب أن يتـألف فى مصر تنظيم يسـارى ينتمى مذهبـا الى الماركسية المـادية ، وينتمى سياسة الى الاتحـاد الاشتراكى ، وينتمى دينا • كما يزعمون ــ الى الاسلام ، فكيف يمكن اجتماع هذه المتناقضات

فى نظام واحد ، انه لن يكون ، فان الانتماء الى الماركسية يقتضى الولاء اليها والى مصدر الوحى بها ، ويقتضى تبعا لذلك الكفر بالله كما يقول زعماؤها ، فهذا لينين يقول : اننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبرجوازيين لا يخاطبوننا باسم الله الا استغلالا — وهذا ستالين يقول : العالم يتطور تبعا لقوانين المادة ، وهو ليس بحاجة الى عقل كلى — وقد حكينا لك من قبل ألوانا من سفاهاتهم .

وكما يقتضى الولاء للماركسية الكفر بالله ، يقتضى أيضا محاربة الملكية الخاصة على أية صورة من صورها ، تشبثا بالمبدأ الذى اتضح لهم فشله فى بلادهم ، واضطروا الى طلب النجدة من البلاد (الرأسمالية) .

ويقتضى الولاء للماركسية ، أن يكونوا حربا على أمتهم ؛ لأنها لا تريد أن تسير فى قلب الشيوعيين ، فكلما يحارب الشيوعيون الماركسيون فى موسكو الشعب المصرى فى مصر ؛ لأنه أفلت من قبضتهم ، فهؤلاء سوف يكونون أداة التنفيذ لحرب داخلية يأمر بها سادتهم هناك ، وسوف يعدون العدة لها على مهل ان لم يشاءوها على عجل ، ويقتضى الانتماء الى الماركسية أيضا ، أن يكونوا حربا على الاشتراكية العربية المستمدة من تراثنا ، فى صورة حزب المعارضة أو شعبة المعارضة داخل الحزب الواحد كما يقولون .

لهذا كله لا نتوقع أن يخلص هؤلاء الماركسيون الا الى مصادر الوحى فى موسكو ولن يطيعوا غيرها ولن يكونوا فى خدمة سواها .

لقد ذكرتنى ( نكتة ) الجمع بين الماركسية والاسلام ، بما فعله ( مصطفى كمال أتاتورك ) الثائر الأناضولى : فانه لما نهض بثورته فى الأناضول بعد احتلال الحلفاء للآستانة وما حولها ، جمع فى خيمة القيادة كل ما يغرى الشعب التركى بالثورة الدينية ضد المحتلين ، فقد وضع المصحف على مكتبه ، وعلقه فى كيس فاخر فوق رأسه ، ووضع البخارى أمامه ، وعلق المسابح فوق رأسه ، وأحاط نفسه بالعلماء والدراويش ، فلما تم له النصر على الحلفاء ، بفضل هؤلاء المتدينين

المتحمسين ، تنكر لكل هذه المظاهر الدينية المفتعلة ، وظهر على حقيقته المجافيــة للدين ، وسن تشريعــات لا تمت الى الاســلام ، كمســاواة المرأة للرجـل فى الميراث ، واباحـة زواج المسـلمة من الكافـر ، ومنع أذان الصبح ، ولبس القبعة اجباريا ، لمحاكاة الغربيين فى زيهم ، وغير ذلك من التشريعات التى يبعـد بهـا عن الخلافة والاســلام ، وقطـع صلته بالعالم الاسلامى كأنه هو المسئول عما أصاب تركيا من النكبات ، مع أن المسئولية كانت على زعماء تركيا وسـياستهم التى كانت تقـوم على استعباد العالم الاسلامى ، وجاء من بعده عصمت أينونو ليحـاول قصر الصلاة على فروض ثلاثة ، وحذف صلاتين من الخمس التى أوجبها الله يوميا على المسلمين ، ولولا أن الشعب التركى المـؤمن ، رده بحـزم الى الصواب لتم له ما أراد .

يقــول اليساريون انهم مسلمون مخلصــون لدينهم ، وانهم يريدون اقتباس الاصــلاحات المـاركسية فى نطاق الدين ، ونحن نشك فى صدق ما يقــولون ، بـل نؤمن بأنهـم لا يصدقون أنفسهم فيما يزعمون ، فما قصر الاســلام حتى يرفعوه أو يطلبوا النجدة من سواه ، ويبدو أن شأنهم مع الاسلام ، كشأن أصحاب مسجد الضرار وقصة هـذا المسجد تتلخص فى أن بنى غنم بن عـوف حسدوا اخوانهم بنى عمرو بن عوف على بنائهم مسجد قباء وصلاة النبى صلى الله عليه وسلم فيــه ، وقالوا نبنى مســجدا ، ونبعث الى النبى صلى الله عليه وسلم ليصلى فيه كما صلى فى المسجد الآخر ، ويصلى فيه أبو عامر اذا قدم من الشام ، فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم بعـد ما بنوه ، ودعوه أن يصلى بهم فيه ، وزعموا أنهم بنوه لذى الحاجة وذى العلة والليلة المطيرة ، وقالوا نحب أن تصلى لنا فيه وتدعو بالبركة ، وكان النبى صلى الله عليه وسـلم يتجهز للسفر الى تبوك ، فاعتذر لهم بذلك ، ووعدهم بتحقيق ما طلبوه بعد عودته من تبوك ولمـا رجع من تبوك أتوه ، فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم ، فنزل عليه قوله تعالى : « والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفروا وتفريقا بين المؤمنين وارصـادا لمن حـارب الله

ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون » فأمر النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من المسلمين قائلا لهم : « انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه » فنفذوا ما أمرهم به .

وقد أشارت الآية الى نفاق من بنوه ضرارا وتفريقا بين المؤمنين ، وانتظارا لمن حارب الله ورسوله من قبل أن يصلى فيه ، وهو رجل يدعى أبا عامر بن صيفى ، وكان يلبس المسوح فى الجاهلية ، فكفر بالنبى صلى الله عليه وسلم : وذلك أنه دخل عليه فقال : يا محمد ما هذا الذى جئت به ، فقال : جئت بالحنيفية دين ابراهيم . قال فانى عليها . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لست عليها ؛ لأنك أدخلت فيها ما ليس منها ، فقال أبو عامر : أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ( نعم أمات الله الكاذب منا كذلك ) .

وانما قال أبو عامر مقالته ، معرضا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث خرج من مكة ، فخرج أبو عامر الى الشام ، ومر بقيصر ، وكتب الى المنافقين أن استعدوا ، فانى آتيكم من عند قيصر بجند لنخرج محمدا من المدينة ، فمات بالشام وحيدا .

ألا فليعلم الماركسيون أننا لا نبالى بقولهم انهم متدينون ، ولا نبالى بصلاتهم وحضورهم المساجد وقراءتهم القرآن ، ولا يخدعنا مظهرهم عن مبادئهم ، بعد ما علمنا الله أن المظهر قد يباين المخبر ، والعلن قد ينافى السر ، وذلك فى قوله تعالى فى سورة البقرة: « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين : يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون » الآيات ٨ ــ ٢٠ ومن لبس سربال الايمان ، لا يعقل أن يلبس قميص الكفران .

## ايها الماركسيون

اذا كانت بينكم وبين الماركسيين فى موسكو ارتباطات فحلوها ، بل أحرقوها ان كنتم صادقين فى ايمانكم، ولا تستعينوا بالماركسية على

افساد دينكم وتقويض أمتكم ، وتفتيت وحدتكم ، ففى الاسلام خير مما فى ماركسيتكم ، فيه العدالة الاجتماعية بأقصى معانيها ، وفيه نصفة أهل الفقر من أهل الغنى ، وفيه العمل للدنيا بجانب العمل للدين ، وفيه دولة العلم والايمان ، وفيه الحفاظ على العقل والمال ، وفيه الاستثمار والادخار ، وفيه الاختراع والابداع ، وفيه المدنية والحضارة ، وفيه ما ليس له حصر من ألوان المجد والسؤدد ، ومكارم الأخلاق وضوابط الفقه والسمو الروحى ، فلا تذهبوا بأمتكم الى حيث مسجد الضرار ، لتعلو به كلمة أولئك الفجار ، ولتعلمن نبأكم بعد حين ، ونرجو أن يكون نبذا للماركسية الى غير رجعة .

## واجب العلماء والشباب والحكام

على العلماء فى هذا الزمان ، أن يكونوا أكثر يقظة وأقوى حجة وأمضى سلاحا ، وأوسع نشاطا ، فهم مسئولون عن حماية المسلمين من زيف أهل الباطل ، وعلى الشباب أن لا يخدعه زخرف الباطل : والتمسح بالدين ، فقد سمحت الشيوعية لدعاتها ، أن يتوسلوا بالدين الى ما يبتغون ، حتى اذا تمكنوا نكلوا بالدين وأهله ، وعلى أبنائنا العمال أن يهتموا بدينهم ومصانعهم ، واليوم عسر وغدا يسر ، وسيأتى الفرج القريب ويأخذ كل ذى حق حقه ، ولا يغرنكم أولئك الفاشلون ، الذين استنجدوا بالرأسمالية ، لتنقذهم مما يعانون ، بعد أن عضتهم الحاجة ، وأفلست مبادئهم ، وعلى الحكومات الاسلامية ، أن تقف لهؤلاء النفعيين بالمرصاد ، حتى يهديهم الله ، ويطلقوا ماركسيتهم علنا ، والا فلتبطش بهم بدون هوادة ، والله المستعان على على ما يصفون :

**مصطفى محمد الحديدى الطير**

من هدى السنة :

# يسر الإسلام وسماحته

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٩ —

عن أبى هريرة رضى الله عنه — عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا ،
وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشىء من الدلجة » .
**رواه البخارى**

**تمهيد :**

عند بيان أهداف الحديث قلنا : ان الاسلام بنى تشريعه على مبدأ رفع الحرج والمشقة ، والتيسير على المكلفين ، وتقدير شئونهم ، ورعاية أحوالهم ، وذكرنا فى المقالات الماضية تسعة أمثلة يتجلى فيها هذا المبدأ القويم ، وكان المثال التاسع يتعلق بشرعية قصر الصلاة الرباعية للمسافر تيسيرا عليه ، وعناية بأمره ، واستشهدنا على هذا بقوله تعالى :

« واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا » .

وقلنا : ان ظاهر الآية الكريمة يفيد أن الخوف من فتنة الذين كفروا — شرط بقصر الصلاة ، فلا قصر فى حال الأمن ، وأوضحنا أن هذا الظاهر غير مراد ، وأن القصر شرع للمسافر فى حال خوفه وأمنه بدليل ما رواه الجماعة الا البخارى عن يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب : فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن

يفتنكم الذين كفروا ، فقد أمن الناس ، قال : عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ( صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ) .

وفى هذا المقال نحاول أن تتم الكلام على هذا المقال فنقول :

يدل أيضا على شرعية القصر فى السفر مطلقا من غير فرق بين حال الخوف والأمن ــ ما رواه النسائى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : ( ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ أتانا ونحن ضلال فعلمنا ، فكان فيما علمنا أن الله عز وجل أمرنا أن نصلى ركعتين فى السفر ) قوله : ( ونحن ضلال ) أى لا نعرف سبيل الحق والرشاد .

ففى كلام ابن عمر رضى الله عنهما الذى كان من أكثر الصحابة ملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وأحرصهم على الاستمساك بهديه دلالة قوية على أن القصر يناط بالسفر مطلقا بلا تفرقة بين حالة الخوف والأمن .

هذا وينبغى ألا يفوتنا امعان النظر فى تعبير هذا الصحابى الجليل: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتانا ــ ونحن ضلال ــ فعلمنا ، فكان فيما علمنا ... الخ .

لا ريب أنه تصوير رائع للاستشعار بمدى فضله عليه الصلاة والسلام ــ على صحابته ، وأمته ، وأثره العظيم فى التوجيه الى العلم المشرق ، والمنهج القويم ، وصدق الله تعالى حيث يقول فى وصف رسوله الكريم : « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » (١) .

ولما كان الاسلام يرتكز فى تشريعه على دعامة اليسر ورفع الحرج كما سبق ذكره ــ كان قصر الصلاة فى السفر نهجا رشيدا حرص عليه النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وخلفاؤه الراشدون من بعده ، روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : صحبت النبى صلى الله عليه وسلم وكان لا يزيد فى السفر على ركعتين ، وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك .

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٥٢

ولم يدفعهم الى هذا الا فقه فى الدين ، وشعور بمبدأ الاستمساك بمبدأ التيسير الذى قام عليه هذا التشريع الحكيم ، وشوق الى طاعة رب العالمين ، وحرص على الظفر بمحبته ، والوصول الى عطائه الجزيل .

روى الامام أحمد فى مسنده ، وابن حبان وابن خزيمة فى صحيحهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ان الله يحب أن تؤتى رخصه ، كما يكره أن تؤتى معصيته ) قال الامام الشوكانى فى كتابه « نيل الأوطار » — عند التعليق على هذا الحديث — ما نصه :

فيه أن الله يحب اتيان ما شرعه من الرخص ، وفى تشبيه تلك المحبة بكراهته لاتيان المعصية — دليل على أن فى ترك اتيان الرخصة ترك طاعة كالترك للطاعة الحاصل باتيان المعصية . اهـ .

ولمزيد التيسير على المسافر يظل مشروعا له قصر الصلاة اذا نزل ببلد — ولم ينو الاقامة به ، ولو طالت مدة مكثه بهذا البلد .

روى الامام أحمد وأبو داود وابن حبان والبيهقى عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما قال : أقام النبى صلى الله عليه وسلم بتبوك عشرين يوما يقصر الصلاة ، وروى أبوداود والترمذى عن عمران ابن حصين رضى الله عنه قال : غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وشهدت معه الفتح ، فأقام بمكة ثمانى عشرة ليلة لا يصلى الا ركعتين ، يقول : ( يا أهل البلدة صلوا أربعا فانا سفر ) .

وروى أبو داود والطيالسى فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة فى المسير والمقام بمكة الى أن رجعوا ركعتين ركعتين .

( تبوك ) هو موضع من بادية الشام ، وكان الخروج لغزوة تبوك فى شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة حينما علم النبى صلى الله عليه وسلم أن الروم وبعض القبائل العربية قد تجمعوا على الحدود بين

الشام وبين شبه الجـزيرة العربيـة يريدون حرب المسلمين ، فدعا عليه الصلاة والسلام الناس الى الجهاد ، وقاد الجيش الاسلامى حتى وصـل الى تبوك ، وأقام به المدة المذكورة، فصالحه أهل هـذا الموضع على أن يدفعوا الجزية للمسلمين .

وتعتبر هـذه الغزوة آخر غزواته صلى الله عليه وسلم .

وقد حققت خيرا كثيرا للمسلمين حيث دلت على قوتهم وبأسهـم ، وألقت هيبتهم فى نفوس الروم ومن حالفهم من القبائل العربية ، فخضعوا لسلطان الاسلام ، من غير أن يلحق الجيش أدنى مشقة بحرب ومنازلة .

جاء فى كتاب المصباح المنير ــ عند الكلام على مادة ( باك ) ما نصه :

باكت الناقة تبوك بوكا ، سمنت، فهى بائك بغير هاء ، وبهذا المضارع سميت غزوة تبوك ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم غزاها فى شهر رجب سنة تسع ، فصالح أهلها على الجزية من غير قتـال ، فكانت خاليـة من البؤس ، فأشبهت الناقة التى ليس بها هزال ، ثم سميت البقعة تبـوك بذلك ، وهو موضع من بادية الشام قريب من مدين الذين بعث الله اليهم شعيبا اهـ .

وظاهر ما ذكره صاحب المصباح ــ يفيد أن هـذه البقعـة لم تكن معروفة بهذا الاسم قبل غزوة تبوك، وانما حدثت لها هذه التسمية بسبب تلك الغزوة .

قوله : ( شهدت معه الفتح ) أى حضرت معه فتح مكـة ــ قوله : ( سـفر ) كصاحب وصحب ، أى مسافرون قوله : ( المسير )أى السير والانتقال ــ قوله : ( المقام بمكة ) الاقامة بها .

فهذه الروايات السابقة أفادت أنه عليه الصلاة والسلام حين أقام بتبوك وبمكة ــ اعتبر نفسه مسافرا ، فظل يقصر الصلاة الرباعية فى تلك الأيام الكثـيرة ، واقتـدى بـه فى ذلك صحابته ، رضوان الله عليهم أجمعين .

هذا وقد اختلف الفقهاء فى مدة الاقامة التى اذا نواها المسافر يعتبر مقيما ، ويلزمه اتمام الصلاة ، فعند الحنفية أقل مدة الاقامة خمسة عشر يوما ــ وعنـد الشافعية ومن معهم أقلها أربعة أيام .

**الأدلة :**

استدل الشافعية ومن معهم على أن المسافر يصير مقيما بنية أربعة أيام — بما ورد من نهيه صلى الله عليه وسلم للمهاجرين عن اقامة فوق ثلاث فى مكة فتكون الزيادة عليها اقامة لا قدر الثلاث (١) .

واستدل الحنفية على أن أقل مدة الاقامة خمسة عشر يوما بما يأتى :

١ — ما روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما أنهما قالا : اذا أقمت ببلدة وأنت مسافر وفى نفسك أن تقيم خمس عشرة ليلة فأكمل الصلاة ، وهذا التوقيت لا مجال للرأى فيه ، فالظاهر أنهما قالاه سماعا من النبى صلى الله عليه وسلم .

٢ — لابد من تحديد مدة للاقامة تتميز بها عن مدة السفر ؛ لأن السفر يصاحبه بعض المكث والراحة فقدرت هذه الاقامة بخمسة عشر يوما قياسا على مدة الطهر بجامع أن كلا منهما توجب الصلاة على المرأة الحائض ، وتسقط عنها ، ومدة الاقامة توجب اتمام الصلاة على المسافر .

جاء فى كتاب « الهداية شرح بداية المبتدى » على مذهب الامام الأعظم فى الكلام على مدة الاقامة ما نصه :

( ولا يزال على حكم السفر حتى ينوى الاقامة فى بلدة أو قرية خمسة عشر يوما ، أو أكثر ، وان نوى أقل من ذلك قصر ) ؛ لأنه لابد من اعتبار مدة ؛ لأن السفر بجامعة اللبث ، فقدرناه بمدة الطهر ؛ لأنهما مدتان موجبتان ، وهو مأثور عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ، والأثر فى مثله كالخبر ، والتقييد بالبلدة أو القرية يشير الى أنه لا تصح نية الاقامة فى المفازة وهو الظاهر . ا هـ

مناقشة دليل الشافعية ومن معهم : يرد على هذا الدليل بأن الثلاث التى وردت فى أسلوب نهيه عليه الصلاة والسلام — هى قدر قضاء الحوائج، لا لكونها غير اقامة .

الترجيح : يبدو رجحان قول الحنفية لأمرين :

الأول : قوة دليله والثانى أنه القول الذى يتحقق به للمسافر تيسير أعظم ، وبذلك يكون أكثر تلاقيا مع مبدأ اليسر الذى قام عليه التشريع الاسلامى .

واليك ما جاء فى كتاب الهداية أيضا بشأن المسافر الذى ينزل بلدا،

---

(١) انظر نيل الأوطار ج ٣ ص ١٧٧ ط الحلبى .

ولم ينو الاقامة به حيث يظل يقصر الصلاة ، وان طالت مدة نزوله بهذا البلد :

( ولو دخل مصرا على عـزم أن يخرج غدا أو بعد غد ، ولم ينو مدة الاقامـة حتى بقى على ذلك سنين قصر ) ؛ لأن ابن عمر رضى الله عنه أقام بأذربيجان سـتة أشـهر وكان يقصر ، وعن جمـاعة من الصحابة رضى الله عنهم مثل ذلك • ا هـ •

وظاهر أن هـذا يتفق مع صنيع الرسول عليه الصلاة والسلام بمكة وتبوك ، وفيـه تيسـير أكثر على المسافر •

لذا نأخذ به ، ونرجحه،واللهأعلم•

وقد رأينا من المفيد للقارىء أن ننقـل له أيضـا ما جاء فى كتـاب « الاختيار لتعليل المختار للفتوى » فى مسـألة مـدة الاقامة للمسافر ، ومسألة المسـافر الذى ينزل بلدا ، ويطول مكثه فيها من غير أن ينوى الاقامة بها •

فقـــد جاء فى المسـألة الأولى ما نصه :

( ولا يزال على حكم السفر حتى يدخل مصره ، أو ينـوى الاقامـة خمسة عشر يوما فى مصر أو قرية )؛ لأن السـفر اذا صح لا يتغير حكمه الا بالاقامـة ، والاقامة بالنية ، أو بدخول وطنـه ؛ لأن الاقامة ترك السفر ، فاذا اتصل بالنية أتم،بخلاف المقيم حيث لا يصير مسافرا بالنية ؛ لأن السـفر انشـاء الفعـــل ، فلا يصير فاعلا بالنية ، وأما دخول وطنه فلأن الاقامة للارتفاق ، وأنه يحصل بوطنه من غير نية ، وكذا نقل أن النبى وأصحابه كانوا يسافرون ، ويعودون الى أوطانهم مقيمين من غير نيـة ، وأما المـدة خمسة عشر يوما فمنقولة عن ابن عباس وابن عمـر ولا يعرف ذلك الا توقيفا ؛ ولأن السـفر لا يخلو عن اللبث القليل ، فاعتبرنا الخمسة عشر كثيرا فاصـلا اعتبارا بمدة الطهر ، اذ لها أثر فى ايجاب الصلاة واسقاطها ، وجاء فيه ــ متعلقا ــ بالمسألة الثانية ما يأتى:

( وان نوى أقـل من ذلك فهـو مسافر وان طال مقامه ) لمـا روى أنه عليه الصلاة والسلام أقام بتبوك عشرين ليـلة يقصر الصـلاة ، وعن أنس قال : أقام أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالسوس تسعة أشهر يقصرون الصلاة اهـ •

**منشاوى عثمان عبود**

# هل كان تولستوى

## الشاعر الروسى الفيلسوف مسلما . . .

للدكتور عبد الودود شلبى

فى عـام ١٩٠١ قامت قيـامة الأكلـيروس الروسى على المصـلح الاجتماعى والكاتب الكبير الكومت ليون تولستوى ، حين نشر كتابه عن « البعث » وتحدث فيه عن المسيح بمـا يخـالف تعـاليم الكنيسـة الأرثوذكسية الشائعة . وقـد كان الأستاذ محمد عبده ـ على عهدنا به فى كل ما يتصل بالحركات الفكرية فى الشرق والغرب ـ شـديد الاهتمام بتتبع آراء المفكـر الروسى وردود خصومه فى هذا الموضوع الخطير . فلم يكن غريبا علينا أن نعرف أنه بادر باعلان تأييده للحكيم الجليل مسيو تولستوى ، وأنه أرسـل اليـه فى ٨ أبريل ١٩٠٤ خطابا جميلا باللغـة العربية ، قامت بترجمته الى اللغـة الانجليزية ليدى آن بلنت » الكاتبة المستشرقة ومترجمة « المعلقـات » الى اللغـة الانجليزية ، وزوجـة الشاعر « ولفـرد سكاون بلنت » صديق محمـد عبده مؤلف الكتب السياسية المشهورة عن مصر والسودان والهند .

وهاتان رسـالتان متبادلتان بـين الامام الشيخ محمد عبده والكاتب الفيلسوف تولستوى :

**١ ـ من محمد عبده الى تولستوى :**

« عين شمس بضواحى القـاهرة فى ٨ أبريل ١٩٠٤

أيهـا الحـكيم الجليـل مسيو تولستوى . لـم نحظ بمعـرفتك ومعرفة شخصك ولكنا لم نحـرم التعـارف بروحك . سطع نور من أفـكارك . وأشرقت فى آفاقنـا شموس من آرائك آلفت بين نفوس العقلاء ونفسـك . هداك الله الى معرفة سر الفطرة التى فطر النـاس عليها ووفقك على الغاية التى هدى

البشر اليها ، فأدركت أن الانسان جاء الى هذا الوجود لينبت بالعلم ويثمر بالعمل ولأن تكون ثمرته تعبا ترتاح به نفسه وسعيا يبقى ويرقى به جنسه ، وشعرت بالشقاء الذى نزل بالناس لما انحرفوا عن سنة الفطرة واستعملوا قواهم التى لم يمنحوها الا ليسعدوا بها فيما كدر راحتهم وزعزع طمأنينتهم نظرت نظرة فى الدين مزقت حجب التقاليد ووصلت بها الى حقيقة التوحيد ورفعت صوتك تدعو الناس الى ما هداك الله اليه وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه . فكما كنت بقولك هاديا للعقول كنت بعلمك حاثا للعزائم والهمم وكما كنت وكانت آراؤك ضياء يهتدى به الضالون كان مثالك فى العمل اماما يقتدى به المسترشدون وكما كان وجودك توبيخا من الله للأغنياء كان مددا من عنايته للفقراء وان أرفع مجد بلغته وأعظم جزاء نلته على متاعبك فى النصح والارشاد هو هذا الذى سموه بالحرمان والابعاد . فليس ما كان اليك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم أعلنوه للناس بأنك لست من القوم الضالين . فأحمد الله على أن فارقوك بأقوالهم كما كنت فارقتهم فى عقائدهم وأعمالهم . هذا وان نفوسنا لشيقة الى ما يتجدد من آثار قلعتك فيما تستقبل من أيام عمرك ، وانا لنسأل الله أن يمد فى حياتك ويحفظ عليك قواك ويفتح أبواب القلوب لفهم ما تقول ويسوق الناس الى الاهتداء بك فيما تعمل..

والسلام ..

مفتى الديار المصرية

**محمد عبده**

حاشية : اذا تفضل الحكيم بالجواب فليكن باللغة الفرنسية فانى لا أعرف من اللغات الأوروبية سواها » .

**محمد عبده**

**٢ ـ من تولستوى الى محمد عبده:**

صديقى العزيز ..

« تلقيت خطابك الكريم الذى يفيض بالثناء على . وانى أبادر بالجواب عليه ، مؤكدا لك ما أدخله على نفسى من عظيم السرور حين جعلنى على تواصل مع رجل مستنير أن يكن من أهل ملة غير الملة التى ولدت عليها وربيت فى أكنافها ، فان دينه ودينى سواء ، لأن المعتقدات

مختلفة وهى كثيرة ولكن ليس يوجد الا دين واحد وهو الصحيح ..

ومأمولى ألا أكون مخطئا اذا افترضت ، اعتمادا على ما ورد فى خطابك ، ان الدين الذى أومن به هو دينك أنت ، ذلك الدين الذى قوامه الاقرار بالله وشريعته والذى يدعو الانسان الى أن يرعى حق جاره ، وأن يحب لغيره ما يحب لنفسه ، وأحسب أن جميع المبادىء الصحيحة تصدر عن هذا المبدأ وهى واحدة عند اليهود وعند البرهمانيين والبوذيين والمسيحيين والمحمديين .

واعتقادى أنه كلما امتلأت الأديان بالمعتقدات والأوامر والنواهى والمعجزات والخرافات تفشى أثرها فى ايقاع الفرقة بين الناس ، ومشت بينهم تبذر بذور العداوة والبغضاء. وبالعكس كلما نزعت الى البساطة وخلصت من الشوائب اقتربت من الهدف المثالى الذى تسعى الانسانية اليه ، وهو اتحاد الناس جميعا .

من أجل هذا ابتهجت بخطابك ابتهاجا غامرا ، ووددت أن تقوى بيننا أواصر القربى والتواصل ..

ما رأيك فى مذهب الباب ومذهب بهاء الله وأنصاره ؟ .

تفضل أيها المفتى العزيز محمد عبده بقبول وافر التقدير من صديقك .

**ليون تولستوى**

---

**اياس بن معاوية :**

دخل اياس بن معاوية الشام وهو غلام فقدم خصما له الى بعض القضاة وكان الخصم شيخا فصال عليه اياس بالكلام فقال له القاضى : خفض عليك فانه شيخ كبير فقال اياس : الحق اكبر منه قال اسكت ، قال : فمن ينطق بحجتى ان سكت . قال : ما اراك تقول حقا . فقال :لا اله الا الله . فدخل القاضى على عبد الملك فاخبره فقال : اقض حاجته واخرجه من الشام لئلا يفسد اهلها .

حقيقة لهذا الفيلم ..

# محمد رسول الله ..

للدكتور محمد سعاد جلال

أتيح لى أن أشاهد فيلم « محمد رسول الله » فى عرض خاص فى دار الفنون • فخرجت منه بعد جلسة مضنية استمرت ثلاث ساعات ونصف ساعة بالانطباعات والملاحظات الآتية:

أولا : أن هـذا العنوان الجليل لا ينطبق بصورة فنية وصادقة على الأحـداث التى اعتبرها واضـعوا « الفيلم » موضوعا له : ذلك لأن دلالة هـذا العنوان الجليل المتبادرة منه هى اعطاء صورة رائعة وجليلة عن الدور الانسـانى والحضـارى العظيم فى التاريخ العالمى • المصنوع بأداة الوحى والرسالة اللذين تشعر بهما كون محمد ـ عليه السلام ـ رسول الله •

فكان يقتضى ذلك أول مايقتضى ، أن يتوجه عمل « الفيلم » الى ابراز القيم الاسلامية للانسانية،والحضارية التى أضافها محمد عليه السلام لهذه الصـفة الى التاريخ الانسانى ، فى الصـورة المقنعة ، بجلالها وبيانها ، وتأثـيرها ، وأيضـا باقتدار الفن السـينمائى ، وبراعته فى تكوينهـا وتزينها بأن صاحب هذه الأحـداث الخارقة انما هو رسـول الله حقا • وذلك هو ما يصلح أن يكون بصورة صادقة أداة حقيقية ناجحة وغير مزيفة فى الدعاية للاسلام كما يريد أنيقول ذلك واضـعو « الفيلم » : ولكن واقع الفيلم لا يؤدى هـذا الغرض الأسـاسى الذى يضفى عليه صفة المشروعية ، والذى لا يطلب منه غير أدائه بالقصد الأول •

لم يكن الفيلم بعيدا عن الغرض الأصيل ـ الا سردا لمجمـوعة من الحوادث المتعاقبة الكبيرة المتزاحمة المحشورة حشرا خانقا فى حياة النبى عليه السلام ـ من عصر الجاهلية الى

آخر حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحيث كان يظهر من الخطأ الفنى الواضح حشد كل هذه الأحداث الكثيرة الكبيرة فى وعاء « فيلم » لا يستوعبها •

ومن هنا فقد عرى هذا «الفيلم» عن عنصر « التحليل » ، وجرت الأحداث المعروضة من خلاله « برغم ضخامتها ملهوجة سريعة متراكبة ، فى جو من الصمت والجمود ، والآلية الخرساء •

ولم تكن صور الأحداث معبرة عن معانيها التاريخية بقدر ما كانت معبرة عن تفوق الصنعة السينمائية وفيض ثرائها •

ومن أجل ذلك فقد كان الاسم الصحيح الملائم لمادة الفيلم وموضوعه ـ فيما أرى ـ كما ظهر على الشاشة: « أحداث فى كفاح الرسول » أو أى اسم آخر • غير محمد رسول الله •

ومن أجل ذلك فقد سمحت لنفسى أن أعبر عن وصف هذا الفيلم بعبارة عامة مجملة ألقيتها الى بعض الصحفيين فى حديث طلبه منى عن هذا «الفيلم» فقلت : ان هذا الفيلم يشبه امرأة واسعة الثراء والقدرة على الزينة ، تضع على جسمها أفخر الثياب وأنفسها وتلبس حول عنقها ومعاصمها أغلى عقود الماس واللؤلؤ ، وأسورة الذهب المراصة • وتكسو صفحة وجهها بأفتن الأصباغ ، وهى مع ذلك تمثال من الرخام البارد ليس فيها جاذبية ، ولا نبض ، ولا معنى •

هكذا هو هذا الفيلم الذى يبدو فيه سخاء التشييد والبذل وعظمة الصنعة السينمائية ولكنه يخلو من الروح والمعنى • والدلالة المقصودة بموضوعه ، وهو الدعوة للاسلام•

ثانيا : ونعتقد أن أكبر الأسباب التى وضعت « الفيلم » فى هذا المستوى المنطامن برغم الجهود الجبارة التى بذلت فى ايجاده حقيقة علمية « سيكلوجية » ـ ترجع الى قوانين النفس غابت عن المؤلفين والفنيين الذين عملوا على اخراجه وهو أنه ليس من الممكن الآن وجود « الممثل » الذى يستطيع أن يمثل تمثيلا صحيحا أحدا من الصحابة رضوان الله عليهم ، أو يستطيع أن ينقل الينا قطعا حية من عصر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لماذا ؟ لأن

أول شروط التمثيل الحى الصحيح وجود ضرب من التشابه بين صفات الممثل ، والشخص الذى يمثله • وضرب من المقاربة بين شخصيتهما ومزاجهما فى مذاقات العقل ، والوجدان ، فى المعقولات ومثارات الشعور وناحية النظر للحكم على الأحداث ، والأشياء •

أما عند تباين وتناقض الشخصية، والمزاج بين الممثل والشخصية التى يقدم على تمثيلها ، واختلاف مناحى النظر بينهما للحكم على الأشياء المنظور اليها بالصحة والفساد ، أو القبول والرفض ، فلا يكون التمثيل فى هذه الحال ، تمثيلا حيا قائما بالغرض المقصود منه •

ومن الصعب فى نظرنا ــ ان لم يكن من المستحيل أن يستطيع ممثل ملحد مثلا اصابة الصدق أو المقاربة فى تمثيل شخصية عظيمة الايمان كشخصية أحمد بن حنبل أو سفيان الثورى ، أو ممثل داعر مثلا لايعيش الا فى مسالك الشهوات العارية ، والغرائز المسفة ، أن يمثل شخصية عارفة فى معانى الاخبات والخشوع كالجنيد ، أو بشر الحافى : ذلك لأن الشخصيات الانسانية لها آفاق وعوالم ومنظورات على قدر مايرسخ فيها من الملكات والعقائد ، والعلوم ومذاقات الوجدان ، ويصعب ان لم يكن مستحيلا ، على نفس من أفق معين ، أن تنتقل بمحض الصنعة والتشبه ، بفعلها ووجدانها ، الى مدارك أفق آخر ومنظوراته ، ومذاقاته ، لأنهما فى هذه الحال تفقد الملكات والانطباعات التى تمكنها من ادراك حقائق الأفق الذى تطلعت الى الانتقال اليه لنقل محتوياته ، وحكاية منظوراته فى عملها •

وهذا التباين المقطوع بوجوده فى آفاق الشخصيات الانسانية المختلفة يجب أن يعد مانعا حقيقيا وعلميا من اقتدار شخصية ممثلة على اتمام دور شخصية من افق مضاد لأفقها ، وبقدر زيادة هذا التضاد يزداد عجزها • حتى يكون تمثيلها للشخصية المختلفة عنها مسخا لا تمثيلا •

طبق هذه القاعدة التى أثبتناها لك على وضع من اوضاع الفيلم التى لحظتها أثناء مشاهدته •

الممثلان النابغان الفاضلان الاستاذ حمدى غيث وأخوه الاستاذ عبد الله غيث ، أعرفهما معرفة جيدة فهما من أسرة أصيلة فى الشرقية ، وكان أبوهما عمدة بلدهما .

ان وراثة العمدة وبقاء صفات هذا النوع المتميز من الرجال لاشك كامن فى نفوسهما لايمكن افتراض زواله : وقد مثل حمدى غيث «أبا سفيان» واعتقد أنه نجح فى ذلك نجاحا لاشائبة فيه ، لأن وراثةالعمدة تعطى استعدادا مشابها لشخصية أبى سفيان فى دهائه وقد كان « أبو سفيان » عمدة مكة ، أيضا ، فبهذه المشابهة فى الاستعداد نجح « حمدى غيث « فى دور » أبى سفيان .

وأما الاستاذ عبد الله غيث ــ وهو يعلم مقدار صداقتى له ولاسرته من قبل خمس وثلاثين سنة وأكثر وقد مثل دور حمزة ــ رضى الله عنه ــ فليأذن لى أن أقول : أننى لاحظت فارقا ملحوظا بين الشخصية التى مثلها والشخصية التى كنت أختزنها فى ذهنى عن حمزة ــ رضى الله عنه .

لاشك أن عبد الله غيث ممثل بارع متقن ، وقد شهد له انطونى كوينى ــ ولكن اختلاف أفق الشخصيتين منع عبد الله غيث من أن يظهر حمزة رضى الله عنه ــ فى الصورة المطابقة لحقيقة شخصيته وان كان قد بلغ ــ فيما اعتقد ــ أوج مايطلب منه .

أنقل هذا المعنى كله برمته وأجعله ميزانا للممثلين الذين مثلوا شخصيات الصحابة فى « الفيلم » وأى ممثلين غيرهم ، نجد من المستحيل اقتدار أى ممثل فى هذا العصر على تمثيل صحابة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أوحكاية أحداث العصر الأول بما تمليه من الروح والالهام .

وقد خطر لى هذا المعنى لأول مرة سنة ١٩٥٧ لما شاهدت رواية خالد ابن الوليد ، وأشرت اليه فى حديث صحفى أمليته على محرر مجلة « الشبان المسلمين » فى ذلك الوقت .

سأل سائل فماهو الضابط الذى نستطيع أن نميز به علامة صعود الممثل الى مرتبة التمثيل الحقيقى للشخصية التاريخية التى يعالج دورها وأظهارها فى أفقها ومستواها من علامة عجزه واخفاقه فى ذلك المطلوب . لاسيما

فيما اذا كانت هذه الشخصيات الممثلة شخصيات تاريخية لم ترها .

والجواب : ان قراءتنا للتاريخ تعطينا عن الشخصيات العظيمة التاريخية التى تقرأ عنها أقرب الصور الى الصدق والواقع ، لأننا تنشيء الصور بعقلنا المستقل عن موادموضوعية سجلها التاريخ.وتظل هذه الصور قائمة فى أذهاننا فى الاطار الذهنى الذى صنعته قراءتنا لصفات أصحابها وأحداثهم التاريخية التى لابست وجودهم أثناء الحياة ، فاذا وقع تمثيل الممثل دون هذه الصورة الثابتة كان عجزا وظلما لصاحب الشخصية التاريخية . وان وقع مشابها لتلك الصورة الذهنية المصنوعة بمشار الشعور عن مادة القراءة عنه كان تمثيل الممثل فى هذه الحال تمثيلا صحيحا وناجحا .

ومن هذا الملحظ يجيء خطر تمثيل النبى عليه السلام ـ وتمثيل الصحابة فى هذا العصر الذى لم يقرأ فيه عامة الناس تاريخ النبى ، ولا تاريخ أصحابه ، فلم تحصل فى أذهانهم تصورات صحيحة عن شخص الرسول ـ صلى الله عليه ـ ولا عن شخصيات أصحابه ، فاذا مثلهم ممثلو العصر الراهن ـ وافقهم فى الموهبة والاقتدار ، وصفات النفس ، دون أفق أولئك الصحابة الكبار ـ فى عظمة تمثيلهم ، فجاؤا بهم أمام العامة صورا مشوهة وناقصة ، فيظن العامة ممن لم يقرأوا تاريخهم فيحسوا بصور شخصياتهم ان هؤلاء الصحابة ـ رضى الله عنهم ، هم فى المستوى المنخفض الذى انتهى اليه عجز الممثلين لهم .

ويزيد الخطر عندما تعرض صور هذه الشخصيات الكبيرة على أبناء الأمم الأجنبية الذين لم يقرؤا من تاريخ بناء مجد الاسلام شيئا أصلا أو قرؤا شيئا ناقصا . أو دخلته العصبيات الدينية .

ثالثا : ان هذا الفيلم يرى متفسخ التكوين ، ونعنى بذلك أن أحداث « الفيلم » تبدو فى أثناء العرض ، وكأن كل حدث منه مستقل بنفسه معزول عن غيره : بمعنى أن أحداث الفيلم لا يمهد فيها السابق للاحق ولا يشير اليه بصلة القرابة والترابط ـ الا من حيث يتصور المشاهد بعلم سابق وحدة الموضوع

التى تشـير الى الترابط بين هـذه الأحداث ، وذلك فقـد لاحظت أنه لا يفهم هذا الفيلم على حقيقته الا من كان قرأ السيرة المحمدية فهـو مستعين بقراءته لهـا على المتابعـة الواعيـة لترادف حـوادث الفيلم ومناظره ، أما غيرهم فيصعب عليهم فهمه •

رابعا : وهـو من أسـوأ عيوب الفيلم ــ عدم المطابقة التاريخية بين بعض حـوادث « الفيلم » • وخبر التاريخ المتفق عليه عند أهل العلم ، ولذلك أمثلة :

**المثال الأول :**

فى أول « الفيلم » وفاتحته يقدم لنا صـورة ملك الروم وقارىء بين يديه يقرأ له الكتاب الذى أرسـله اليه النبى بدعوته للاسلام ، وبهذا النص : « أسلم تسـلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم المجوس » :

وهـذا النص مشتمل على خطأ فاضـح ، واضـح • ما كان يجوز لواضعى الفيلم أن يقعـوا فيـه ــ وذلك فى كلمـة « المجوس » فمن المعلوم أن الديانة المجوسية لم تكن هى ديانة الروم الذين أرسل النبى الكتاب الى ملكهم ، ولا جاءت رواية النص بهـذا اللفظ بل جاءت بقوله ــ عليـه السـلام ــ « فان توليت فعليك اثم الاريسيين » وهم الفلاحون والأجراء •

وهكذا صدر « الفيلم » بهـذا الخطأ الذى لا يعتذر عنه •

**المثال الثانى :**

يثبت « الفيلم » أن الذين دخلوا الغار الذى اختبأ فيه النبى ، أثنـاء مراحل الطريق الى الهجـرة كانوا ثلاثة : النبى صلى الله عليه وسلم ــ وأبو بكر ــ رضى الله عنه ــ والدليل عبد الله بن أرقط الذى كان يدلهمـا على الطريق •

هذا غير صحيح قطعا ، اذ لم يكن فى الغار الا اثنـان : شخص النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشخص أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ ولم يكن معهما ثالث : كمـا قال تعالى « الا تنصروه فقـد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار » كما ورد فى الحديث فى خطاب النبى لأبى بكر ، وقـد رأى منـه الحزن والخوف حينئذ : « ما تقول

فى اثنين الله ثالثهما » : وهـذه النصـوص قاطعـة بثبوت الخطأ التاريخى فى الواقعة المذكورة التى يثبتها « الفيلم » .

**المثال الثالث :**

يصـور الفيلم « بلال » مؤذن الرسول فى صـورة غير صحيحة ، وغير معقولة وغير لائقة بكرامة هذا الصحابى الجليل : بصـورة انسان منزوع الثياب الا من خرقة ملفوفة على عورته المغلظة ينطلق للآذان فى هوج وبلاهة ، وهذا غير صحيح ، فقد شرع الأذان فى السنة الأولى من الهجرة فى المدينة وقد خلص المسلمون المكيـون من أذى قريش وكيـدها وأصـبحوا فى دار كرامـة وأمن ، ولا نظن ، بمثل « بلال » فى هذه الحال أن يظل عارى الجسـد بتلك الصورة البشعة ، وأن لا يجد ثوبا يكسو به نفسه وهو ينطلق للأذان .

خامسا : وجود مسارب فى بعض مشاهد « الفيلم » يتوهم منها الناظر أثناء الحوار الواقع فيها ، كأن صورة النبى بين الحاضرين ، ولا يستيقن منها أن الخطاب لغـائب ، ولاسيما بالنسبة للمشاهد العادى غير المنبعث على التدقيق فيما يرى ، وكما حصل الابهام فى قطف العنب الذى حمله « عداس » من أهل بستان الطائف ان كان أعطى له هو أم أعطى للنبى عليه السلام .

وأعترف بأن موضـوع هـذه الملاحظة مما تختلف فيه الأنظار من حيث لم تكن خالصـة الموضوعية ، وكان للتقدير الشخصى فيها مجال ، ولكنى قدمت حكم احساسى .

سادسا : لقد لاحظت كما لاحظ غيرى من العلماء الذين حضروا معى مشاهدة هذا الفيلم .. ان مشاهد الحروب فى الفيلم « استغرقت وقتا أطـول مما كان ينبغى أن ينفق فى عرضـها ، وان ذلك أمر يبعث على التأمل فلماذا ؟ هل يتوهم من ذلك اشارة الى أن الاسلام كان حريصا فى بث دعوته على استعمال السيف، أم ان طول مدة مشاهد الحـروب نسـبيا كان مصـادفة . أو كان استعراضـا فنيا ، كل ذلك يذهب اليه الوهم .

أما بعد : فهــذه جملة الخواطر والانطبــاعات . والملاحظــات التى حضرتنى وأنا جالس الى عرض مادة «الفيلم» ومشاهدته : ثلاث ساعات ونصف متتابعة . مشــدود الفكر والبصر الى الشاشة المتحركة .

والسؤال المطروح الآن : هــل يجاز هذا « الفيلم » خدمة للدعوة الاســلامية ــ كمــا يدندن بذلك الداعون لاجازته ، أم تمنع اجازته من أجــل الملاحظات التى أثبتناها عليــه ، وملاحظات غيرنا من أهــل العلم أيضا .. ؟

والجواب ان المسلمين اختلفوا فى كون هذا « الفيلم » نافعا للمسلمين والاســلام أم أن فى نشره عليهــم اضرارا بهم ، واساءة لدين الاسلام نقــول : فاذا كان محتمــلا للنفــع والضرر ــ ولم يقطع بأحــدهما ــ وهذا أقل الفرض فيه ، فان العمل بالاحتياط المطلوب شرعا ، وعقــلا يقضى بترجيح منعه على نشره لأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، كما هى القاعدة الشرعية المجمع عليها عند الفقهاء ، واتفق عليهــا ســائر العقلاء .

وبالله التوفيق .

د. محمد سعاد جلال

---

**شذرات اللسان :**

● قال الامام الشــافعى : من اراد ان يقضى الله تعــالى له بالخير فليحسن الظن بالناس .

● قــال معروف الكرخى : علامــة مقت الله للعبد ان تراه مشتغلا بما لا يعنيه .

● عن أبى ذر قال : «كان عمر ربما يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول قم بنا نزداد ايمانا » .

● عن ابن عباس قال : «خذوا الحكمة ممن سمعتموها منه، فانه قد يقول الحكمة غير الحكيم وتكون الرمية من غير الرامى»

● قال عمر بن الخطاب « لا يغرركم من قرأ القرآن انمــا هو كلام تتكلم به ولكن انظروا من يعمل به » .

# البخارى المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

— ١٦ —

ولو أنى بليت بهـاشمى خئولته بنو عبد المدان
لهـان على ما ألقى ولـكن تعـالوا وانظروا بمن ابتلانى

نعم لو أن أمير المؤمنين فى الحديث قد تناوشته فى حياته هـذه الحراب العابثـة التى يشحذ أسنتها فئام من حاقدى المستشرقين والصهيونيين ثم يسلمون هذه الحراب الى شرذمة قد انحطت عن مسـتوى شرف البحث وحادت عن المنهج العلمى لكان قد تمثـل بهـذين البيتين من مـرارة السخرية .

أجـل • ولقـد وقفت موقف المتعجب ازاء هذه الظروف التى تعلو فيها أصـوات ما كانت لتجد مناخا لظهورها وانطلاقها ، لو أن للحديث الشريف أجنـاده وحفاظه وحكامه ومسـنديه ، ولو أن له مدارسـه ومجالسه •

ذلك أن صـاحب هـذا المنشور المشبوه يسوق بلهجة تطفح باللغـو والجهل حديث المسيخ الدجال فينفيه ويثبته ، ويزيفه ويصححه ، ويسلم ويكابر ، فصح فيه قول القائل :

لو أن خفـة عقله فى رجـله
سبق الغزال ولم يفته الثعلب

حدث هذا فيما زعمه الحديث رقم ٢٩ ثم يسوق حديث الدجال ، ويعقب بسرد براهين الزيف والبطـلان التى يزعم أن له عقلا استمدها منه ويمهد لذلك بقوله :

( ان الدجال أصلا وأساسا (!!!) هو كل مفسد فى الأرض وكل مغير لأمور الدين(!!!) وكل ماسخ لجمال الحق ولشريعة الله ، وذلك انسـان

موجود فى كل زمان ومكان الخ ) ثم يمضى فى كلامه المتهافت الركيك المركب تركيبا غريبا على لغة القرآن ، لغة العرب ، غريبا على لغة أدنى المثقفين وصغار المتعلمين .

( ان عرفنا أن المسيخ الدجال هو واحد من تلامذة الشيطان وأتباعه وأن الله يقول عن ابليس ذاته : « ان كيد الشيطان كان ضعيفا » . فكيف نصدق أنه يعطيه القدرة على احياء الموتى مع أنه تلميذ لابليس وكيف نصدق أن لله شريك (!!!) فى القدرة على احياء الموتى وكيف نصدق أن لله شريك !!! فى القدرة على احياء الموتى ونحن نعلم تمام العلم أن ذلك هو الشرك الصريح ) ثم يعزو الحديث الى مجلد ١ جـ ٥ وهو غير صحيح فليس فى المجلد الأول شىء اسمه جـ ٥ وليس الجزء الخامس فى المجلد الأول ، وانما هو الجهل بالبخارى ومعذرة مرة أخرى اذا كنا قد آذينا ثقافة القارىء وعلمه بنقل هذا الهذيان السخيف ، ولكن لا مناص فى معرض تزييف الزائف وصرع الباطل أن يتعرى بأهله فيفتضحوا للناس ، ويعرف الناس مدى المأساة التى تنتاب الأمة حين تطبع بينهم وعلى أعينهم مثل هذه الجهالات على ورق أبيض ثم تشكو من أزمة الورق .

وحقيقة الحديث ـ وقد ذكر فى صحيح البخارى أمر الدجال فى بضعة مواضع ـ ففى المجلد الثانى من كتاب الحج باب لا يدخل الدجال المدينة ، كما أنه مذكور فى باقى المجلدات فى كتاب التوحيد وكتاب الأنبياء ، وكتاب بدء الخلق، وكتاب الفتن ، وقد رواه من الصحابة أبو سعيد الخدرى ، وأبو بكرة ، وعبد الله بن عمر وأبو هريرة ، وابن عباس ، واسناد كل منها من أعلى الأسانيد وأصحها وأقواها وانظر الى اسناد كهذا : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث بن سعد عن عقيل عن ابن شهاب الزهرى قال : أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا سعيد الخدرى قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا به أن قال: «يأتى الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة بعض السباخ التى بالمدينة فيخرج اليه يومئذ رجل خير الناس

أو من خير الناس فيقول : أشهد أنك الدجال ، فيقول الدجال : أرأيت ان قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون فى الأمر ؟ فيقولون لا ، فيقتله ثم يحييه• فيقــول حين يحييه ، والله ما كنت قط أشد بصيرة منى اليوم ، فيقول الدجال : أقتله فلا أسلط عليه » •

وقد ذكر الشوكانى فى التوضيح مائة حديث من أحاديث ظهور المسيخ الدجال ، وهى فى الصحاح والمعاجم والمسانيد ، والتواتر يحصــل بمــا دونها ، فكيف بمجموعها •

ومن رواتها سفينة وعمــران بن حصين وابن مسعود وهشام بن عامر وعبــادة بن الصــامت وأبو هريرة وأنس وأبو أمامة وعلى ومحجن بن الأدرع وعائشة وجابر وأبو الدرداء ومجمع بن جارية وعبد الله بن مغنم وفاطمــة بنت قيس وأبى بن كعب وأبوسعيد الخدرى ، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو والمغيرة بن شعبة ، وبالرجوع الى فحوى اعتراض المعترض نجده يثبت المسيخ ـــ ويعجم حاءه المهملة مع أن روايات البخارى كلها بالمهملة ـــ شائعا فى تلاميذ الشيطان •

اذن يسلم هؤلاء بظهــور المسيح الدجال ولــكن فى كل عصر ، فاذا دققت فى كلامهم لتعــرف تصورهم له ونمطه الذى يأتى به للناس فــلا تجده الا شخصا من عامة الناس ، ولو كان الأمر كذلك لمــا كان هناك داع للتنبيه عليه ونعته وتمييزه وذكر أوصــافه ، التى من خلالها ســلم صاحبنا ولأول مرة بالمسيح الدجال، ولكن فيمن يكونون الجمعيات باسم الدين لتضــليل المســلمين ، وبمن يصنعون كتبا مسودة لمحــو ما بقى من معالم الايمــان فى قلوب المؤمنين وهم يزعمــون السلفية ويدعــون التوحيد ونصرة الحق ( كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقــولون الا كذبا ) •

وصاحبنا يصــدق بالدجال على النحو الذى يقبله عقله وفهمه وينفى أن يوصف الدجال باحياء قتيله الذى قتله بيده ، لمــا فى هذا من الشرك للاعتراف بقوة خارقة ليست الا لله تعالى ) •

والأمر الثانى أن الله تعالى قال : ( ان كيد الشــيطان كان ضعيفا )

وما دام قد نسب الضعف الى كيد الشـيطان فمن باب أولى تلاميـذه ومنهم الدجـال ، ومعنى هـذا أن صاحبنا لا يسلم بالنعوت الواردة فى الأحاديث وينفى اجراء احيـاء قتيله على يده .

اذن ماذا أثبت من أمر الدجال ؟ كأنى به يقـول : كل ما يقـال عن الدجال وخوارقه التى يجريهـا الله تبارك وتعالى على يده فتنة للناس وامتحانا لهم بين يدى الساعة كذب وافتراء ، وانما الدجال كل من كان ملحدا فى آياته جاحدا للمقطوع به من أموره منكرا لأحاديث رسـوله مؤولا فيها بالكذب والبهتان والزور والافتراء فهو مسيخ دجال .

ولمـاذا يجشم هؤلاء أنفسهم عناء التكلف فى التـأويل ، وتحميـل النصوص ما لا تحتمل ، وقد كفروا بهـا جمـلة وتفصيلا ، ومـع ذلك يحاولون الجمـع بين حقها وباطلهم وبين صريحها وغامضهم .

ان واقعـة احياء القتيل لم يأت الحديث ليثبت أن هذا شأنه ، وانما يثبت الحديث أن الاحياء قد حدث فى حالة واحدة مع شخص واحد هو خير الناس أو من خيار الناس ، وقد يكون الرجل فى حالة اغماء ثم أفاق ، والأمـر لا يسـتدعى التـكذيب بالأحاديث ، ولا يسوغ الحكم على من يصدقها بالشرك والكفر والخروج من الملة .

واذا حكم أن من يعتقد فى جواز وقوع احياء الميت على يد المخلوق كافر فيكون القرآن حين حكى عن اجـراء احياء الموتى على يد عيسى عليه السـلام وهـو بشر مخلوق ، والفتنة واقعة والابتلاء واقع ، فهل يعـد التصديق بمـا أثبته القرآن لعيسى ــ وقـد أثبت له أنه يحيى الموتى بل يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله .

واذا كان هـذا شـأن المسـيح الحق ، ويريد الله تعـالى ابتـلاء النـاس بالدجال ، فلابد أن يكون هنـاك وجـه شبه ولو ضعيف بين المسيح الحق والمسيخ الدجال ، ولو من طريق الخداع البصرى .

على أن الأحاديث لم تثبت للمسيخ الدجال قـدرة خارقـة يعجز عن ايجادها من تتوفر فيهم دواعى الحيل والقـدرة على الدجـل فى أشـنع صوره .

بل لقد أثبت القرآن لعيسى عليه السلام أنه ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم مما يعد من أمور الغيب .

وكيف يكون التصديق بظهور الدجال شركا أيها العقلاء الأفذاذ ، ونحن نقول بعجزه عن دخول المدينة حيث لا يصل الى أكثر من سبخها مما يحيط بها من فضاء .

فهل العجز عن دخول المدينة قوة خارقة ؟ وان صح الخبر أنها ممتنعة عليه ، وأن الله جعلها تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد ، « وان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » بل ان الطاعون لا يفشو فيها ولا يفتك بسكانها ، لأنهم قوم يتطهرون .

والمسيخ الدجال دميم الخلقة كما ورد فى الأحاديث التى بلغت المائة ، وان عينه اليمنى بارزة كأنها عنبة طافية .

وقد توجس المغيرة بن شعبة شرا فقال له صلى الله عليه وسلم : ما يضرك فيه شىء فقال : يقولون : ان معه جبل خبز ونهر ماء — واستمع الى قوله انهم يقولون — فقال صلى الله عليه وسلم ( هو أهون على الله من ذلك ) .

فرجل دميم الخلقة ومكتوب بين عينيه كافر ، ولا يستطيع أن يلحق بأحد شرا ، ولا يستطيع أن يغشى مجتمع المدينة ولا أن يقتحمها ، كل صفات العجز والضعف ثم يقال لمن يقول بها أنه يجعل لله ندا وأن هذه صفات الألوهية ؟ !

ويستدل صاحبنا بقوله تعالى ( ان كيد الشيطان كان ضعيفا ) على ضعف المسيخ الدجال .

يا هذا انك كمن يقول :

ما قال ربك ويل للألى سكروا
بل قال ربك ويل للمصلينا

ان من تمام الآية أن تقرأ مطلعها وهو قوله تعالى ( فقاتلوا أولياء الشيطان) فأمر بقتال أولياء الشيطان، ووعدهم بالنصر على كيدهم وكيد زعيمهم الشيطان .

فهل هذا قياس صحيح فى معرض نفى فتنة المسيخ الدجال جملة

وتفصيلا ، واشاعتها فى كل من هب ودب من بنى البشر بأنــه المسـيح الدجال ، ومعنى هذا أن عامل القهوة لو غالطك فى الحساب كان المسيح الدجال ، وأن الكمســارى اذا لم يعطك باقى الحساب كان المسـيح الدجال !!

أرأيتم الى مسيحهم الدجــال أو مسيخهم الدجال الذى يؤمنون به .

من لى يا عباد الله من يلهب هذه الجلود المتبلدة المستعجمة حتى تفيق من غفوتهــا وغفلتهــا أمن يصف الدجــال بالعجــز يكون قد وصفه بصفات الألوهية أو من يصفه بالقبح والدمامة يكون قد أضفى عليه ثوب الربوبية ، أو من يعتقد أنه لا سلطان له على مؤمن قلبــه عامر بحب الله ورسوله يكون فاسد العقيدة سقيم الوجدان .

لا ترجعن الى السفيه خطــابه
الا جــواب تحيــة حياكها

فمتى تحــركه تحرك جيفــة
تزداد نتنــا ما أردت حراكها

ولم أجــد فى الدنيا منــذ نعومة الأظفــار الى سن الشيخوخة وقــد ختمت العقد السادس وناهزت غرة العقد السابع ـ لا فيما شاهدت ولا فيمــا سمعت ولا فيمــا قرأت أحط ادراكا ممن يقول واسمع لمــا يقول لعلك تكــون قــد سمعت أو رأيت مثيلا لصاحب هذا التفكير العجيب أو التفجير العجيب قال لافض فوه يرد على الحديث الذى يقول بحراسة المدينة ( ليس من اختصاص الملائكة أن تقوم بحراسة بلد معينة !!! من الفتن ، حتى ولا مكة ولا المدينــة المنورة ( يا ولد ) لأن فى ذلك الغاء لقول الله الذى قرأناه متعددا !!! فى كتابه وعلمنا منه أنه خلق الانسان ليبتليه بالخير والشر ولهــذا جعله سميعا بصيرا ولو سخر الله ملائكته تحمى المدينة من الفتن لانتفت عنها صفة التعبيد لله بالاختيار بين الشر والخــير وذلك شىء مستحيل لأنك لا تجد ولن تجــد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا الخ ) .

وتجرى على لسان صاحبنا هكذا المستحيل كأنه يأكل الخبز ويشرب المــاء ، وهو جاهل بمعنى الكلمــة اذ لا يفرق بين المستحيل العقلى أو المســتحيل الشرعى أو المســتحيل

العادى أو المستحيل الوهمى الذى يغرق فيه لأم ناصيته .

ويمكن أن نترجم كلامه الى لغة مضر بعد التهافت والهبوط فيقول لا فض فوه . ان الله لا يحق لها بفطرتها أو للاستحالة على الله أن يصدر الله لها أمره فى مثل هذا المقام ــ لخضوع الله للسنن الكونية وعجزه عن التسلط عليها وتسخيرها لارادته ــ أن تحمى بلدا مهما كان لهذا البلد منزلة عند الله من القدسية والاصطفاء والبركة ولو كان هذا البلد هو البلد الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وجعل عرصاته مناسك لعباده ، فان الله يطرد الملائكة من هذه الساحات الشريفة ، ويترك أهل المنازل المباركة عرضة للفتن والأهواء المضلة ، فلا يؤيدهم بملائكته ، ويكون القرآن قد دس عليه من الاسرائيليات والمستحيلات ما جعله يذكر تأييد الله لأهل بدر بالملائكة لمخالفة ذلك للقاعدة الذهبية التى وصل اليها العقل الجبار الشامخ الذرى . اهـ ثم يقول زاده الله ذكاء وتمييزا ومد فى تفكيره ونبوغه الى نعليه ومتع كعبه بعلو الادراك وقوة الحكم :

( كيف يكون للمدينة أبوابا (!!!) وليس عليها سور مسدود الا تلك الأبواب الوهمية ولو فرضنا أن يكون لها أبواب فهل يعجز المريض بالطاعون أو من يحمل الفتنة كالدجال أن يدخل اليها اذا أحكمت بسور له أبواب ، وهل يعتبر الكلام عن الأبواب بغير ذكر لوجود السور الا كلاما ركيكا لا يليق برسول الله ( ص ) .

هكذا نصه بعجره وبجره ، ونقول بعد أن نبتهل الى الله تعالى سائلين له ولأمثاله من ذوى السقام وذوى الضنى الشفاء :

لو كنت تقول هذا الكلام فى العصر الجاهلى يوم كانت المدينة تعج بيهود من مختلف القبائل كالنضير وقريظة وقينقاع ، وفيها بنو الأوس والخزرج من العرب القحطانية لكان واردا فى هذا المقام حيث الدخول اليها على المطايا من ثناياها وحراثها أمر محتمل . أما فى العصر الحديث فان المدينة المنورة عروس الصحراء . تقف فى الطرق الموصلة اليها مراكز

نقابات السائقين ومع كل مركز مثله من رجال الشرطة يعترضون من يدخل المدينة راجلا أو راكبا فيوقفون البيجو والمرسيدس ، فيطلعون على رخصهم وهوياتهم ولا يسمحون لمن به ريبة تحوم حوله بدخول المدينة .

أرأيت يا هذا أن المدينة اليوم وفى عهد آل سعود لا يستطيع غير المسلم أن يدخلها مهما عمل من حيل ومهما توسل بوسائل ، بل ان جميع المناطق القريبة من مكة هى كذلك محظور دخولها على غير المسلمين ، ولا يوجد ثم سور ( ولا يحزنون ) .

ولو أعمل المرء عقله قليلا لاستطاع أن يحكم بأنه من الممكن التحكم فى مداخل المدن والطرق الموصلة اليها ، ومعرفة الوافدين من غير أهلها ، ومنع من يكون فى دخوله فتنة ، هذا فيما هو فى أيدى البشر من وسائل بسيطة ، وأسباب متواضعة ، فما بالك لو أن الله تعالى أنزل ملائكة تحرس المدينة ، وأنف من خدعوك وأضلوك راغم .

ان الايمان بالله وقدرته وارادته بملائكته الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون هو الأصل الذى به النجاة والفوز ، فلا يعد مؤمنا من كفر بالملائكة ويكون زنديقا هالكا من تحكم فى اختصاصها وتفلسف على الله ورسوله والملائكة والأمة أجمعين .

( يتبع ) محمد نجيب المطيعى

---

## حين يساء فهم الدين

حين تضيع معانى الدين وتبقى مظاهره تصبح العبادة عادة ، والصلاة حركات ، والصوم جوعا والذكر تمايلا ، والزهد تحايلا ، والخشوع تماوتا ، والعلم تجملا ، والجهاد تفاخرا والورع سخفا ، والوقار بلادة ، والفرائض مهملة ، والسفن مشغلة .

الدكتور مصطفى السباعى

# الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزي

للأستاذ حسن حسب الله

— ٨ —

تكلمنا فى عـــدد سابق عن معنى المسئولية المدنية والنظريات المختلفة التى سادت وأخـذت بهـا الشرائع الوضعية وعدم كفاية هذه الحاجات والتجاء فقهاء التشريع الوضعى الى الافتراضات غير الواقعية والزام من لا يد له فى احداث الضرر بتعويض هـذا الضرر والاستناد فى ذلك الى نظريات غير منطقية .

وتكلمنا أيضا عن الأسلوب الذى لجأ اليه القانون الانجليزى من تعداد للأخطاء التى توجب التعويض على مرتكبيها فاذا لم تكن الأفعال المرتكبة تندرج تحت أحد أنواع هذه الأخطاء فـلا تعويض ووجدنا أنه فى بعض الأحيـان يلتزم مرتكب الفعـــل بالتعويض ولو لم يحدث عن فعله أى ضرر اطلاقا .

اذا ما انتقلنا بعد ذلك الى بحث المسئولية المدنية فى الشريعة الاسلامية فاننا نجد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » وهذا الحديث هـو محـور أحكام المسئولية المدنية فى الشريعة الاسلامية فالضرر غير مشروع وبالتالى لا يكون الفعل الضار مشروعا بل يكون أمرا محظورا اذا ارتكبه الانســان البالغ العــاقل فانــه يعتبر مرتكبــا لأمر محظــور وجـاز الى جانب الزامه بالتعويض عن فعله عقابه بأية عقوبة جنائية لأنه يعتبر معتديا باقدامه على ارتكاب الفعل المحظور أما اذا صدر هذا الفعل الضار من انسان لم يصل الى مرحلة البلوغ أو بلغ ولكن غير عاقل فتقتصر مسئوليته على الزامه بالتعويض عن نتائج فعله الضار دون عقابه جنائيا .

والفعل الضار هو كل فعل مادى ( حسى ) ترتب عليه ضرر . والمراد بالضرر كل أذى يترتب عليه خسارة مالية .

والضرر قد يتحقق كنتيجة مباشرة وفورية للفعل الضار كما لو أمسك شخص بآنية مملوكة لشخص آخر فكسرها فيقال ان الضرر قد تحقق بطريق المباشرة وقد يتحقق الضرر بطريق غير مباشر لفعل الفاعل كما اذا حفر شخص حفرة فى الطريق العام فوقع فيها حيوان مملوك لشخص آخر فهلاك الحيوان فى هذه الحالة يقال أنه تم بطريق التسبب .

ومعيار التفرقة بين تحقق الضرر بطريق المباشرة وتحققه بطريق التسبب هو اتصال الضرر بالفعل وعدم وجود فاصل بين الفعل والضرر فى الحالة الأولى ووجود فاصل بين الفعل والضرر فى الحالة الثانية ولكن هذا الفاصل سواء كان فعلا آخر أو زمنا لا يمنع نسبة الضرر الى الفعل الأول .

وقد ذهب الامام مالك والظاهرية الى أنه لا يشترط أن يكون الفعل الضار فعلا حسيا بل يسأل الانسان عن التعويض ولو كان الفعل الضار فعلا نفسيا ما دام ترتب عليه تلف مال مملوك لآخر فلو رأى انسان شيئا مملوكا لآخر اقتربت منه نار وأوشك على التلف وكان فى مقدوره انقاذ هذا المال من الحريق ولم يتدخل فانه يتحمل بقيمته لأنه ترك واجبا عليه وهو المحافظة على مال أخيه المسلم ويعتبر الضرر هنا قد تحقق بطريق المباشرة نتيجة الفعل النفسى وهو الكف عن التدخل .
وهذا الرأى رغم وجاهته وتمثيله قمة المستوى الرفيع للتعاليم الاسلامية فانه لا يمكن اعماله فى هذا العصر لاعتبارات كثيرة .

فالفعل الضار هو أساس التعويض فى الشريعة الاسلامية ولذلك يترتب عليه أثره فى وجوب التعويض على من ارتكبه حتى لو صدر هذا الفعل عن نائم أو مجنون أو مخمور أو طفل غير مميز لأن الأمر فى اقتضاء التعويض مبنى على المعارضة وجبر الفاقد حتى لا يظلم أحد فى ماله والمراد بالضرر كل أذى يترتب عليه خسارة مالية .

وطبقا لأحكام الشريعة الاسلامية يقتصر التعويض على الضرر المائل الواقع فعلا أما الضرر المتوقع فلا تعويض فيه فاذا أتلف شخص ساقية لأحد المزارعين فانه يسأل عن

التعويض بمقدار التلف الذى أحدثه ولا يسأل عن نتائج التأخير فى اصلاح الساقية .

كذلك لا تعويض فى الشريعة الاسلامية الا عن الضرر الذى يمكن تقويمه بالمال ولذلك لا تعويض فى الشريعة الاسلامية عن الضرر الأدبى كالقذف والسب أو التحقير والامتهان فى المعاملة فالاسلام يرى أن علاج الآلام الناتجة عن مثل هذه الاعتداءات لا يكفى فيه المال مهما عظم وان كرامة الانسان وقيمته لا يمكن أن يعوض أى انتهاك لها بدفع مبلغ من المال وانما يعالج ذلك بالعقوبة العادلة الرادعة والقول بغير ذلك معناه تشجيع الأغنياء على تحقير الفقراء ما داموا قادرين على دفع ثمن هذا التحقير وهو ما تأباه تعاليم الاسلام بكل شدة وهذا محل اتفاق بين كل المذاهب الاسلامية فالمثل العليا تأبى أن يساوم الشخص على شرفه وعرضه كما يساوم على أمواله .

وفى تحديد معنى المال الذى يتم التعويض فيه عن الضرر اختلف فقهاء المسلمين فطبقا للمذهب الحنفى لا تعتبر المنافع أموالا فلو حال انسان دون انتفاع شخص آخر بشىء مملوك له فترة من الزمن فانه لا يلزم بالتعويض عن الضرر الذى لحقه نتيجة عدم انتفاعه بملكه فى هذه الفترة أما الشافعية والحنابلة فيعتبرون المنافع أموالا ويلزمونه بالتعويض فى هذه الحالة وهذا ما نميل الى الأخذ به وهو ما يتمشى مع عصرنا هذا .

كذلك يشترط أن يكون المال معترفا به طبقا لأحكام الشريعة الاسلامية وهو ما يعبر عنه فى الاصطلاح بالمال المتقوم ولا يعتبر مالا متقوما فى الشريعة الاسلامية الخمر والخنزير بالنسبة للمسلمين ولكن ذلك يعتبر مالا متقوما بالنسبة لغير المسلمين فلو أتلف غير مسلم خمرا أو خنزيرا مملوكا لشخص مسلم فلا تعويض عليه اطلاقا لأنه لا يجوز للمسلم أن يتملك خمرا أو خنزيرا ولكن لو أتلف غير المسلم لآخر غير مسلم أيضا خمرا أو خنزيرا فانه يلتزم بتعويضه بتسليمه كمية من الخمر تعادل تماما الكمية التى

أتلفهـا أما لو تلف مسلم خمرا أو خنزيرا لغـير مسـلم فانـه يلتزم بتعويضه أيضا ولكن ليس عن طريق تسليمه كمية من الخمر مماثلة لما أتلفه لأنه ممنوع من شراء أو تملك الخمر والخنزير وانما يتم التعويض عن طريق دفع قيمة ما أتلفه من خمر أو خنزير .

والشريعـة الاسـلامية تأبى أن يسأل الانسان عن ضرر لا يد له فى احداثه لقوله تعـالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها لهـا ما كسبت وعليهـا مـا اكتسبت » فالمبدأ العـام فى الشريعة الاسلامية هـو عدم مساءلة الانسان عن ضرر أحدثه غيره ولا يد له فيه على عكس ما تذهب اليه الشرائع الوضعية حيث تذهب الى مسـاءلة الانسـان عن أفعال من يخضعون لرقابته كأولاده أو من يعملون تبعا له كعماله وموظفيه أو عما يحدث من الأشياء التى يملكها أو التى فى حراسته وتستند هـذه الشرائع الى افتراض حدوث خطـأ منـه أو تقصير أديا الى حـدوث الضرر ولا شك أن هـذه المبادىء غير عادلة لأنها تقوم على افتراضات قد تخالف الواقع والحقيقة وأن أخذ تعويض ممن هو غير ملزم به شرعا يعتبر أكلا للمال بالباطل ومخالفـة لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

فأخذ المـال لا سبيل اليـه أن يكـون فى معاوضـة أو تبرعا أو تعويض عن مال أتلف فنظرية الخطأ المفترض وكذلك نظرية تحمل التبعية التى لجأت اليهـا الشرائع الوضعية حين تعرضت نظرية الخطأ المفترض للنقد وعدم كفايتها فى مواجهة جميع الحالات لا تقومان على أساس سليم من المنطق وتخالفان نصوص القرآن الكريم مخالفة صريحة .

هذا مع ملاحظة أن الضرر الذى يحدث عن الآلات والمهمات لا ينسب الى هـذه الآلات وانما ينسب الى القـائمين على استخدامها ويكونون هم المسئولين وحـدهم عن تعويض الاضرار التى تحدث عنهـا ، فقائد السـيارة يسـأل عن الأضرار التى تنتج عن قيادته لهـا ولا يسأل عن هذه الأضرار مالكها ان لم يكن هو قائدها وقت الحادث .

واذا كان الضرر مباشرا فلا خلاف بين فقهاء الشريعة الاسلامية فى الزام الفاعل بالتعويض فى جميع الحالات وبصرف النظر عن درجة تمييزه أو قصده .

أما اذا كان الضرر بطريق التسبب ( كما سبق أن أوضحنا فى مثال من حفر حفرة فى الطريق العام فتردى فيها حيوان لآخر ) فانه لا يسأل عن تعويض الضرر الا اذا كان معتديا بفعله هذا بمعنى أنه لا حق له فى ارتكابه ففى المثال المتقدم لو أنه حفر هذه الحفرة فى منزله فلا الزام عليه بالتعويض لأن هذا الحفر فى منزله من حقه الا اذا كان متعسفا فى استعماله حقه هذا بأن حفر الحفرة لما لا فائدة منه لأن الشريعة الاسلامية تأخذ بوجوب تقييد استعمال الحق بألا يضر بالغير وضرورة الموازنة بين ما يترتب على كل فعل من ضرر بالغير وما يجنيه صاحبه من منفعة وهو ما يعرف فى النظريات الحديثة بنظرية التعسف فى استعمال الحق أو اساءة استعمال الحق فقد سبق الامام مالك وأبو يوسف ومحمد من أئمة المذهب الحنفى فقهاء القانون فى العصر الحديث فى تقرير هذه النظرية أما الامام أبو حنيفة والامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل وداود الظاهرى فلم يأخذوا بذلك وقالوا : ان مباشرة استعمال الحق لا يقيد بقيد ما دام حقا لمن باشره ولو ترتب عليه ضرر بغيره ولا يؤدى ذلك الى مسئوليته بحال من الأحوال . والذى نميل اليه هو الأخذ برأى الامام مالك حيث انه هو الذى يتفق مع مقتضيات العصر الذى نعيش فيه .

وحتى يكون المتسبب مسئولا عن التعويض فى حالة الضرر بطريق التسبب يتعين أن يكون كامل الأهلية أى بالغا عاقلا لأن الفعل الضار فى حالة التسبب يعتبر اعتداء والاعتداء لا يعتبر كذلك الا اذا كان صادرا من شخص قادر على التمييز .

واذا اجتمع المباشر والمتسبب كان المباشر وحده هو المسئول عن التعويض ففى المثال المتقدم لو أن شخصا دفع حيوانا الى السقوط فى هذه الحفرة فان هذا الشخص يعتبر مباشرا للضرر الى جانب من حفر

الحفرة الذى يعتبر متسببا فى الضرر والقاعدة أنه اذا اجتمع المباشر والمتسبب فى الضرر المباشر وحده يكون المسئول عن التعويض أما اذا كان الحيوان سائرا وحده فسقط فى الحفرة فالتعويض عنها يكون المسئول عنه من حفر الحفرة لأنه قد تسبب فى الضرر •

واذا تعدد الفاعلون سواء كانوا مباشرين أو متسببين ولم تتفاوت أفعالهم قوة وضعفا فى احداث الضرر كانوا مسئولين عن التعويض بالتساوى ولكن اذا ما تبين ما لكل فاعل من تأثير فى احداث الضرر فانه يلزم كل فاعل بتبعة فعله •

ويسأل صاحب اليد على الحيوان عن ما يحدث منه من أضرار سواء كان صاحب اليد مالكا أو مستعيرا أو مستأجرا أو حارسا أو غاصبا أو سارقا له فيتحمل التعويض عن الضرر الذى يحدثه الحيوان •

أما بالنسبة للمبانى وما تحدثه من أضرار بسبب سقوطها أو بنائها على وضع مخالف للقانون فالمسئول هو مالك البناء أو ناظر الوقف ان كان البناء وقفا والولى أو الوصى أو القيم بالنسبة للمالك ناقص الأهلية•

وأخيرا فان المسئولية الناتجة عن الفعل الضار فى الشريعة الاسلامية لا تسقط بالتقادم مهما طال الزمن •

ومن كل ما تقدم يتضح لنا ما يلى :

أولا — ان الشرائع الوضعية تشترط توافر عنصر الخطأ الى جانب الضرر حتى يسأل مرتكب الفعل الضار عن التعويض وفى بعض الحالات تفترض وجود هذا الخطأ فى جانب من تحمله بالمسئولية عن التعويض وفى بعض الحالات تكتفى بملكية صاحب الشىء الذى ينتج عن استعماله الضرر لالزامه بالتعويض ولو لم يرتكب أى خطأ فهى تلزم بالتعويض أشخاصا لا يد لهم فى الفعل الضار اطلاقا كما تقضى بسقوط الحق فى التعويض عن الضرر بالتقادم •

ثانيا — ان القانون الانجليزى يحصر الحالات التى يسأل فيها الشخص عن التعويض عن أفعاله

ويقضى بالتعويض فى بعض الحالات ولو لم يتحقق أى ضرر كما يأخذ بمسئولية المتبوع عن أعمال تابعيه ولو لم يكن منه أى خطأ كما يأخذ بالتعويض عن الضرر الأدبى شأنه فى ذلك شأن باقى الشرائع الوضعية.

ثالثا — ان الشريعة الاسلامية تربط التعويض بالضرر ولا تلزم بالتعويض أحدا غير مرتكب الفعل الضار ولا تأخذ بالتعويض عن الضرر الأدبى ولا تأخذ بسقوط الحق فى طلب التعويض بالتقادم وان ما تأخذ به الشريعة الاسلامية من مبادىء يوضح الى أى حد التزامها بجوانب العدالة والواقعية والبساطة فمن العدالة ألا يتحمل أى شخص غير مرتكب الفعل الضار بتعويض الضرر ومن غير الواقع أن يتحمل انسان بتعويض عن فعل لم ينتج عنه أى ضرر وأما البساطة فتتجلى فى ربط التعويض بالضرر دون دخول فى عناصر الخطأ والضرر والرابطة بينهما ودون افتراضات نظرية بحتة ودون تصنيف لأنواع الخطأ الموجب للتعويض .

والى اللقاء فى العدد القادم ان شاء الله حيث نبدأ الكلام عن نظام الملكية .

**حسن حسب الله**

---

**دعـاء :**

**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه :**

اللهم رحمتك ارجو ، فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين ، **واصلح لى شأنى كله .**

لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين . اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك .

أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته احدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ، ونور بصرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب غمى .

# نحو عقيدة عسكرية إسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين

— ٥ —

كان للاسلام السبق فى ايجاد نظام شامل للحرب يتسم بالرحمة والعدل وحسن المعاملة ، وهذا ثابت مما تضمنه القرآن والسنة العملية والقولية وأعمال الخلفاء من تقنين شامل للحرب منذ أربعة عشر قرنا ، فى حين أن القواعد المنظمة للحرب فى القانون الدولى الأوروبى [1] بدأت منذ ثلاثة قرون ، وأخذت من الشريعة الاسلامية ، وظلت لدى أوروبا قواعد عرفية بحتة حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى حيث بدأت الدول تدوينها فى معاهدات أولها تصريح باريس البحرى سنة ١٨٥٦ ثم اتفاقية جنيف لمعاملة جرحى ومرضى الحرب سنة ١٨٦٤ ، ثم تصريح سانت بطرسبرج بتحريم رصاص دمدم المتفجر ، ثم اتفاقيات الحرب البرية والبحرية من اتفاقات مؤتمر لاهاى فى سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٧ ، واتفاقية واشنجتون فى سنة ١٩٢٢ عن حرب الغواصات والغازات ، ثم اتفاقيات جنيف الأربع سنة ١٩٤٩ الخاصة بمعاملة جرحى وأسرى الحرب وحماية الأشخاص المدنيين ، ويلاحظ أنها لا تطبق الا فى حالة قيام الحرب بين دولتين موقعتين على المعاهدة أو الاتفاقية والا فلا رحمة ولا قواعد للحرب .

أما نظام الاسلام للحرب فيحتوى على المبادىء والآداب الآتية :

١ — منع قتل الضعفاء وغير المقاتلين ومنع التخريب ، فكانت

---

(١) انظر « الشريعة الاسلامية والقانون الدولى » للمستشار على على منصور ، ففيه دراسة وافية لهذا الموضوع .

توجيهات الرسـول صلى الله عليه وسلم للجيش : « لاتقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا امرأة ، لا تغلوا (١) وضموا غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا ، ان الله يحب المحسنين » كذلك نهى الرسول عن قتل رجال الدين ان لم يحاربوا فقال « لاتقتلوا أصحاب الصوامع » (يعنى الرهبان)

٢ ـ حسن معاملة الأسرى ، فيأمر الاسلام باكرامهم ويحمد ذلك من المؤمنين الصادقين كما يفهم من قوله تعالى « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » .

وقد حدث أن وقع ثمامة بن أثال أسيرا فى أيدى المسلمين فجاءوا به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال « أحسنوا أساره » .وقال « اجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به اليه» . وكانوا يقدمون اليه لبن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويقول أبو عزيز بن عمير وكان من أسرى بدر : كنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر ، فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر،لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا ، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز الا نفحنى بها فأستحى فأردها على أحدهم فيردها على ما يمسها .

وبين الاسلام التصرف فى الأسرى اما باطلاق سراحهم والعفو عنهم وهذا هو «المن» ، واما بأخذ العوض بالمال أو بتبادل الأسرى وهذا هو « الفداء » ويوضح ذلك قوله تعالى: « حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » (٢) .

يقول جوستاف لوبون فى كتابه « حضارة العرب » فى صدد قتل الأسرى المسلمين فى الحروب الصليبية : كان أول ما بدأ به ريتشارد قلب الأسد الانجليزى أنه

---

(١) اى ولا تخونوا .

(٢) كان اسرى الحرب فى العصور الوسطى والغابرة يقتلون ، بل ان تعاليم اليهود على ماورد فى التلمود كانت تقضى بألا يقتل الاسرى فحسب ، بل يقتل جميع الأطفال والنساء والحيوانات التى توجد فى المدن المستولى عليها .

قتل أمام معسكر المسلمين ثلاثة آلاف أسير سلموا أنفسهم اليه بعد أن قطع على نفسه العهد بحقن دمائهم، ثم أطلق لنفسه العنان باقتراف القتل والسلب مما أثار صلاح الدين الأيوبى النبيل الذى رحم نصارى القدس فلم يمسهم بأذى ، والذى أمد فيليب وقلب الأسد بالمرطبات والأدوية والأزواد أثناء مرضهما » .

٣ ــ منع التمثيل بجثث القتلى أو تعذيب الجرحى ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « اياكم والمثلة » وأوجب على المسلمين دفن قتلى العدو ، ونهى عن تعذيب الجرحى ، فاذا كانت قوة الجريح لا تعينه على المقاومة منع قتله ، وأمر بأن يبقى ويداوى ، ويفدى أو يمن عليه ( معاملة الأسير ) وفى ذلك قال عليه السلام « لا تعذبوا عباد الله » .

٤ ــ الوفاء بتأمين المحارب ، فاذا أعطى لأحد المحاربين من الأعداء الأمان وجب احترام هذا التأمين ولايجوز لأحد أن يتعرض له بأذى ، والى هذا يشير قوله صلى الله عليه وسلم « ويسعى بذمتهم أدناهم » .

وقد أمضى النبى تأمين أم هانىء بنت أبى طالب لرجل من المشركين وقال لها « قد أجرنا من أمنت يا أم هانىء » ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » .

٥ ــ عدم التعرض بأذى لرسل العدو ، فقد يأتى رسول العدو فى شأن صلح أو غيره مما فيه تخفيف شر الحرب ، فمن حسن الرأى ومكارم الأخلاق ألا يتعرض أحد له بأذى حتى ولو أرسله قومه لابلاغ ما عزموا عليه من محاربتنا أو صدر منه كلام فى تعظيم أمر قومه اما بالفخر أو الارهاب ، فقد قدم أبو رافع بكتاب من قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى رسول الله وقع فى قلبه الاسلام ، فقال يا رسول الله انى والله لا أرجع اليهم أبدا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما انى لا أخيس بالعهد ، ولا أحبس البرد ، ولكن ارجع ، فان كان فى قلبك الذى فى قلبك الآن ، فارجع » قال : فرجعت ، ثم أقبلت

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت •

وسمع النبى كلاما من رسولى مسيلمة لم يرضه فقال لهما « لو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما » •

٦ ــ سماحة الاسلام مع المغلوب، فالاسلام لا يقول اذا انتصرت جيوشه « ويل للمغلوب » ، لأنه لم يحارب لأهداف استعمارية أو عنصرية أو عصبية ، ولكنه يحارب لمعان انسانية عليا ، فلا يورث الاحن بمثل تلك الكلمات « ويل للمغلوب » ولكن يقول « رحمة للمغلوب » ، فلقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لقريش بعد فتح مكة « ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم ، وابن أخ كريم • قال : أقول لكم ما قال أخى يوسف لأخوته : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء » •

والجزية ليست عوضا ماليا من دم أو عقيدة ، وانما هى علامة على الخضوع لسلطان الدولة ، وهى لحماية المغلوبين فى أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعاية مع المسلمين سواء بسواء ، يدل على ذلك أن جميع المعاهدات التى تمت بين المسلمين وبين المغلوبين من سكان البلاد كانت تنص على تلك الحماية فى العقائد والأموال ، وكانت أموال الجزية ترد الى أصحابها عند العجز عن حمايتهم •

٧ ــ عقد الصلح متى رغب المحاربون من الأعداء فيه كما يرشد الى ذلك قول الله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، وذلك مبدأ سام يقضى بالموافقة على اقرار السلام فورا دون قيد أو شرط بمجرد اقدام العدو على طلب اقراره ــ وليس فيه ما ينطوى على أى شكل من أشكال العقوبة التى صاحبت الحروب مثل العقوبات الاقتصادية أو اقتطاع أجزاء من الأراضى أو غيرها •

يتضح مما تقدم ما تتصف به الحرب فى الاسلام من عدالة ورحمة وحسن معاملة ••

والحق أن الجهاد فضيلة انسانية عليا ، وأن الباعث اليه فضيلة أيضا ،

اذ هو اعلاء كلمة الله ورد الاعتداء ، ويستقيم مع هــذا المعنى أن تكون الفضيلة الاسلامية واجبة الرعاية فى الجهاد سلما وحــربا ، ورعايتها فى الحرب تعلى من قدر من يتمسك بها، لأنه يتمسك بها فى أصعب الظروف وأشد المواقف ، ويراعى الفضيلة فى موقف أبيحت فيه النفوس .

من أجل ذلك فــلا غرابة فى أن تكون حروب الاسلام حروبا فاضلة، فهى حروب مقيدة بقانون السماء ، ولا يمكن أن يبيح قانون الله انتهاك الحرمات واهدار الكرامة الانسانية، ولقـــد كان لذلــك من الآثــار الاستراتيجية ما لم تصــل اليه أية عقيدة عسكرية فى العــالم على مر التاريخ ، اذ تحــولت اتجاهات من وقفوا فى سبيل الدعوة الى الاقبال لا على حمل لوائها فحسب بل على الجهاد فى سبيل الله .

**( للبحث بقية )**

**محمد جمال الدين**

---

## مناجاة

الهى أنت ملاذنا اذا ضاقت الحيــل ، وملجأنا اذا انقطــع الامل ، فبذكرك نتنعم ونفتخر والى جودك نلتجىء ونفتقر ، فلا تخيب رجــاءنا ، ولا تصرف وجهك فى القيامة عنا واغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنــا ، فها نحن لبابك قرعنــا وبفنائك انخنا ، فلا تطردنا عن جنابك ، وهب لنا ما وهبته لأحبابك .

اللهم يا من لاتشتبه عليه اللغات ، ولاتختلف عليه الاصوات ولا يتبرم بالحاح ذوى الحاجات اجعل مآلنــا الى الجنــات ونعمنا بما فيها من الكرامات واعذنا من النار وما فيهــا من اللفحات ياجــابر المنكسرين . واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الاحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين.

# من روائع حضارتنا

كان العالم القديم والوسيط ينكر على الشعب حقه فى الاشراف على أعمال حكامه ، فالحاكم هو السيد المطلق يتصرف بالشعب كما يشاء ، وكانت المملكة تعتبر ملكا خاصا للملك تورث عنه كما تورث بقية أمواله ، ويستبيحون من أجل ذلك أن تقوم الحرب بين دولة وأخرى من أجل المطالبة بحصة أميرة فى العرش أو للخلاف على ميراث الأصهار .

أما العلاقة بين الأمم المتحاربة فهى استباحة الغالب لكل ما فى يد المغلوب وما فى وطنه من مال وعرض وحرية وكرامة ، وظل الأمر كذلك حتى قامت الحضارة الاسلامية تعلن فيما تعلن من مبادىء ان الشعب هو صاحب الحق فى الاشراف على حكامه ، وان هؤلاء ليسوا الا أجراء يسهرون على مصالح الشعب وكرامته بأمانة ونزاهة ، وفى هذا يقع لأول مرة فى التاريخ أن يحاسب فرد من أفراد الشعب حاكمه عما يلبس ، من أين جاء به ، فلا يحكم عليه بالاعدام ، ولا يقاد الى السجن ولا ينفى من الأرض ، ولكن يقدم له الحاكم حسابه حتى يقتنع ويقتنع الناس .
ولأول مرة فى التاريخ يقول أحد أفراد الرعية لحاكمه الأكبر : السلام عليك أيها الأجير . فيعترف الحاكم بأنه أجير الشعب ، عليه ما على الأجير من حق الخدمة باخلاص ، والنصح بأمانة .

أعلنت الحضارة الاسلامية هذا فيما أعلنته وطبقته بعد ذلك ، فما هى الا نسمة الحرية والوعى تهب

فى الشعوب المجاورة للمجتمع الاسلامى فتتململ ثم تتحرك ثم تثور ثم تتحرر . وهذا ما وقع فى أوروبا، فلقد جاء الغربيون الى بلاد الشام فى الحروب الصليبية ورأوا من قبل فى ممالك الخلافة الأندنسية أن الشعوب تراقب حكامها واذ الحكام لا تخضع لاشراف أحد غير شعبها ، وقارن الملوك الغربيون بين تحرر ملوك العرب والمسلمين من سلطان أية طبقة الا مجموع الشعب وبين خضوعهم لسلطان روما وتخويفهم بالحرمان والطرد بين ساعة وأخرى اذا لم يقدموا خضوعهم لملك روما الدينى . فثاروا بعد رجوعهم الى بلادهم حى تحرروا ثم ثارت شعوبهم عليهم حتى تحررت . وكانت الثورة الفرنسية بعد ذلك فلم تعلن من المبادىء أكثر مما أعلنته حضارتنا قبل اثنى عشر قرنا من قيام هذه الثورة ..

وكان مما أعلنته حضارتنا فى حروبها احترام العهود ، وصيانة العقائد ، وترك المعابد لأهلها ، وضمان حريات الناس وكرامتهم ، فأثارت فى الشعوب المغلوبة لحكمها روح العزة والكرامة ، ونبهت فيهم معانى الانسانية الكريمة العزيزة .

وكان فى التاريخ لأول مرة أن يشكو رجل مغلوب ، الحاكم الغالب الى رئيس الدولة الأعلى ذلك لأن ولد الحاكم قد ضرب ولده الصغير خفقتين بالسوط على رأسه من غير حق .. ويغضب رئيس الدولة الأعلى ويحاسب ولد الحاكم ويقتص منه ، ويقرع الحاكم ويؤنبه ويقول له : متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ ان هذه روح جديدة تبعثها حضارتنا فى الأفراد والشعوب وقد كان هذا الوالد الذى شكا ضرب ولده ، كان قبل حكمنا وحضارتنا يعذب ويضرب ويسلب ماله ويضطهد فى عقيدته فلا يثور ولا يتألم ولا يحس بالعزة والكرامة، حتى اذا أشرقت عليه شمس حضارتنا رفع صوته ليقول لأمير المؤمنين : أنا

عائذ بالله وبك من الظلم وما كان الظلم الذى اشتكاه سفك دم ولا انتهاك عرض ولا سلب دين ولا اغتصاب أرض ، وانما كان ضربتين من ولد صغير لولده الصغير .

ان الغربيين اتصلوا بحضارتنا فى القرون الوسطى عن طريق بلاد الشام وعن طريق الأندلس ، وكانوا قبل اتصالهم بنا لا يعرفون ثورة ملك على رئيس دين ، ولا انتفاضة شعب على ملك ، ولا يجدون ان من حقهم أن يحاسبوا حاكما أو ينصروا مظلوما . وكانوا حين يختلف بعضهم مع البعض فى العقيدة والمذهب يذبح بعضهم بعضا كما يذبح الجزار غنمه . فلما اتصلوا بنا بدأت نهضتهم وثورتهم ثم كان تحررهم فهل ينكر بعد هذا أثر حضارتنا فى تحرير العالم وانقاذ الشعوب ؟ ..

---

## الجبرتى الجديد

### أريد أجر بغلى :

كان فى بغداد رجل قد ركبه ديون كثيرة وهو مفلس فأمر القاضى بأن لا يقرضه أحد شيئا ومن أقرضه فليصبر عليه ولا يطالبه بدينه وأمر بأن يركب على بغل ويطاف به فى المجامع ليعرفه الناس ويحترزوا من معاملته فطافوا به فى البلد ثم جاؤوا به الى بابه . فلما نزل عن البغل قال له صاحب البغل اعطنى اجرة بغلى فقال : وأى شىء كنا فيه من الصباح الى هذا الوقت يا أحمق .

* * *

### تأييد العقل :

سئل بعض الحكماء أى الامور أشد تأييدا للعقل وأيها أشد اضرارا به .

فقال : اشدها تأييدا له ثلاثة اشياء :

مشاورة العلماء وتجربة الأمور وحسن التثبت .

واشدها اضرارا به : الاستبداد والتهاون والعجلة .

مع أدب القرآن :

# يؤمنون بالغيب

للدكتور ابراهيم على أبو الخشب

— ٣ —

أقصى ما يقال فى الايمان كشفا عن حقيقته ، وبيانا لمعناه ، وشرحا لماهيته ، أنه الاذعان بالقلب ، والاطمئنان فى النفس ، وعدم التردد فيما يساق الى الانسان من دعوى ، أو يعرض عليه من قضايا ، تتجاوب معها الوجدانات ، وتستريح اليها النظر ، ولا تأباها الطبائع ، والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر عقيدة من عقائد الاسلام التى يحاسب عليها ، ويطلب من المكلف أن يجعلها رصيدا له فيما يجب أن يدخره من مقدسات يحرص عليها .

وتنطوى فى عواطفه واحساساته دائما أبدا ، لا يتغاضى عنها ، ولا يهمل شأنها ، أو يستهين بجلالها ، ولم تذكر كلمة الايمان فى القرآن الكريم من غير أن يكون مصاحبا لها ، أو مقترنا بها . من خلال البر ، وألوان الخير ، وسجايا الأدب وصفات النبل ، ومكارم الأخلاق ، ما يرتفع بالمؤمنين الى الذروة ، ويسمو بهم الى القمة ، ويتعالى بهم الى درجة لا يتطلع اليها غيرهم ، ولا يدنو منها سواهم « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ... انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم ... قد أفلح المؤمنون الذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون » وهكذا من كل ما يكبر قدرهم ، ويثقل ميزانهم ، ويزيد فى احترامهم ، الا أن هذا الايمان نوعان ، ايمان بما يدخل فى نطاق المشاهدة والادراك ، أو الالف والعادة ، وايمان بما هو بعيد عنا ، خاف علينا ، تنقطع بيننا وبينه وسائل التصديق ... والأول

لا فضل فيه لأحد ، ولا تفاوت فيه بين انسان وانسان ، لأن دليله معه . وحجته بين يديه ، والعوام فيه كالخواص ، لا يختلف رجل عن رجل ، ولا امرأة عن أخرى ، والفضل كل الفضل لأولئك الذين يؤمنون بالشيء البعيد عنهم ، أو الخافى عليهم ، أو الذى تنقطع بينهم وبينه الأسباب ، لأنه عنوان التسليم ، وقد صح أن أبا بكر رضى الله عنه قابله أبو جهل — أو غيره من الناس — فى صباح الليلة التى كان فيها الاسراء فقال له — ولم يكن قد علم من قبل — أما سمعت ما يزعم صاحبك من أنه ذهب الى بيت المقدس ثم عاد ولم يتجاوز غير وقت قليل من الليل وهى المسافة التى نقطعها فى شهر على ظهور الابل ، وكان رده رضى الله عنه « صدقناه فى خبر السماء فكيف لا نصدقه فى خبر الأرض » وكان أبو بكر لهذا التسليم المطلق الخالى عن البحث ، والمجرد عن العلة ، يلقب بالصديق، وهى منزلة من الارتباط القائم على الثقة البعيدة المدى . العميقة الانقياد . البالغة الارتياح والاطمئنان ، لا يتصورها الناس الا فيما يسمونه « بالحب الأعمى » الذى يفنى فيه انسان فى آخر فلا يكون الا قلبه الذى يدرك ، وعينه التى تبصر ، وشعوره الذى يميز ، ووجدانه الذى يطمئن ، وعقله الذى يعى ، وكأنما احساسه يكمن فى داخله ينادى فى كل وقت بقول العاشق المدنف « يقر بعينى ما يقر بعينها » ... وهذه هى من غير شك حال الذين يؤمنون بالغيب لأنها قائمة على الاذعان المطلق ، والتسليم المجرد ، والانقياد الأعمى ، الذى لا يكون فيه بحث عن علة ، ولا طلب لدليل ، ولا ترقب لبرهان أو حجة ، كما كان أبو بكر مع صاحبه صلى الله عليه وسلم ، والغيب فى اصطلاح العلماء هو الذى يسمى بالسمعيات وهى الأمور التى جاءت من طريق الاخبار والسماع كالذى يتعلق باليوم الآخر من ثواب وعقاب ، وصراط وميزان وهكذا .. وربما كان من هذا القبيل — كذلك — شجرة الزقوم التى تحدث القرآن عنها بأنها تعيش فى جهنم ولا تحترق أوراقها وسيقانها .

وقد جعل الله منها طعام أهل النار وأخبر أنها تنبت فى أصل الجحيم « ان شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم» وكانت لغريب شأنها عاملا من عوامل تكذيب ضعاف الايمان للنبى صلى الله عليه وسلم وارتدادهم عن الاسلام كما كانت حادثة الاسراء أيضا التى زعموا له أنها رؤيا منامية اشتبه عليه حالها فظنها حقيقة مقررة، وشيئا قد حصل له فى اليقظة ، وكانوا بتكذيبهم هذا يعودون الى الكفر بعد الايمان ، والى هذين معا يذهب القرآن وهو يقول « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن » فالرؤيا وهى لما يكون مناما لما زعموه جريا على زعمهم — والا فهى رؤية حقيقية فى اليقظة التامة — والشجرة الملعونة هى تلك التى يعينها بقوله « ان شجرة الزقوم » .

وهؤلاء الذين يؤمنون بالغيب الذين نضعهم فى هذه المنزلة من التسليم لله ، والاذعان له ، والتفويض اليه . بعد أن قدمتهم الآية بعنوان المتقين . وقفت عليهم بعد ذلك بوصفين عظيمين هما اقامة الصلاة ، والانفاق مما رزقهم سبحانه وتعالى « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » قد ميزتهم كل التمييز بهذه الأوصاف .. والتقوى لا تقوم الا على المراقبة والخوف ، والحيطة والحذر ، وتصور المستقبل المليء بالأشواك والعقبات ، والمخاطر والآلام ، والأوجاع والأمراض ، لذلك يكون المؤمن متعلقا بربه تعلق الرجاء والأمل ، يدعوه ، ويتضرع اليه ، ويملأ قلبه بالخشية منه ، والاجلال له .. أما الصلاة فانها معاودة للارتحال اليه ، والوقوف بين يديه ، خمس مرات كل يوم وليلة ، يستشعر المرء نفسه فى كل واحدة منها ، ذرة فى هباء ، أو ريشة فى هواء ، ان لم تحفه عناية ربه ، ويدركه لطفه ، تلاشى فى هذا الكون ، وضاع فى ذلك الفضاء ، وطوحت به الريح الى مكان سحيق ، والله وحده هو الذى يحفظه من أن يروح بددا ، أو ألا يصير عددا .. لذلك يقف على بابه ، ويدخل فى

رحابه ، ويناجيه بما ينجيه ... ولعل الانفاق هو الصورة الصادقة للايمان بالغيب لأن المنفق يعطى وهو مملوء ثقة بأن الله سيضاعف له الجزاء ، ويجزل له المثوبة « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له » ... وفى التكاليف الشرعية كثير من الطاعات أو العبادات تدق فيها حكمة التشريع أو تخفى على المكلف فلا يدرك مغزى طلبها ، أو الغرض الباعث على الأمر بها ، وتلك التى يسميها علماء الفقه الاسلامى بالمسائل التعبدية ، ويقصدون بها **أن الله سبحانه وتعالى قد تعبدنا بها** مع خفاء حكمة التشريع ليربى فى نفوسنا الطاعة الخالصة ، والتسليم المطلق ، والانقياد الأعمى .. وربما كان موقف عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الحجر الأسود وهو يطوف فى الحج ، حينما قال « اللهم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » من هذه الصور التى تكشف الى حد ما معنى الايمان بالغيب الذى أراد الله جل وعلا أن يتعود عليه المسلم . ويؤدب نفسه به ، لأنه العنوان الصحيح على صدق الايمان ، وسلامة العقيدة ، واخلاص القلب ، وكمال الثقة فى الله ، والارتباط به ، والأمل فيه ، والرجاء منه ، والذى يتصور ايمان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبذلون أرواحهم رخيصة فى سبيل الله من غير تردد فى البذل ، ولا بخل فى العطاء ، يؤمن أنهم كانوا المثل الطيب ، والنموذج الكامل ، والصدى الصادق ، لهذه الألوان التى يعرضها علينا القرآن الكريم ، للاستجابة الصحيحة ، والعنوان الذى لا يشوبه كذب ، ولا يخالطه رياء « ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » ومن أجدر منهم بهذا كله .

د : ابراهيم على ابو الخشب

# شهر شعبان

## ليلة النصف منه بين السنة والبدعة

للدكتور محمد الأحمدي أبو النور

كان من سنة النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان أن يصوم أكثره .

أجل ! فقد كان يرى أنه شهر يغفل فيه الناس بين رجب ورمضان .

ثم كان يعلم أنه شهر ترفع فيه الأعمال الى الله ، وأنه شهر يكتب من يأتيه أجله ، الى شعبان التالي ؛ فكان عليه السلام يحب أن يرفع عمله ، أو يوافيه أجله ، وهو أقرب ما يكون الى ربه ، ثم وهو أعظم ما يكون انشغالا بربه ، فكان يصوم في شعبان أكثر مما يصوم في أي شهر سواه عدا رمضان .

ثم كان يمهد بهذا لصوم رمضان ، فيتدرب بالتطوع لما هو مفترض ، وينشط بالمستحب لما هو واجب ، ويعبر بهذا وذاك عن شوقه لاستقبال شهر رمضان الذي اختاره الله من بين الشهور ، فأنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

ولهذا كانت عائشة ــ رضي الله عنها ــ تقول :

« كان أحب الشهور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصومه : شعبان ، ثم يصله برمضان » (١) .

ثم كانت رضي الله عنها تقول :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى تقول لا يفطر ، ويفطر حتى تقول : لا يصوم ؛

---

(١) رواه أبو داود في سننه : كتاب الصوم : باب صوم شعبان ٢ /٤٣٤ ، والنسائي في السنن : كتاب الصيام : باب صوم النبي صلى الله عليه وسلم ١ /٣٢١

فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر الا رمضان ، وما رأيته أكثر صياما منه فى شعبان » (١) .

وفى رواية عنها قالت : وما رأيته صام شهرا كاملا منذ قدم المدينة الا أن يكون رمضان » (٢) .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله : لم أرك تصوم من شهر من الشهور ماتصوم من شعبان ؟ قال : ذلك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال الى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » (٣) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن شعبان : ان الله يكتب فيه كل نفس ميتة تلك السنة ، فأحب أن يأتينى أجلى وأنا صائم » (٤) .

كان صوم أكثر شعبان سنته صلى الله عليه وسلم وعادته ، الى أن لحق بربه وهذا أمر لا ينبغى أن يفهم فى علته سوى ما تقدم : أنه شهر ترفع فيه الأعمال ، وأنه شهر تحدد فيه الأعمال ، وأنه شهر تحدد فيه الآجال ، وأنه شهر تفتر فيه الهمم بين جمادى ورمضان .. الخ ..

أما أن يفهم من ذلك أنه أفضل الشهور بعد رمضان على الاطلاق فهذا أمر قد يتبادر الى الأذهان ؛ أخذا من ايثاره صلى الله عليه وسلم باكثار الصوم فيه .

---

(١) البخارى فى كتاب الصوم : باب صوم شعبان ٤/١٧٣ ( من الفتح ) ، ومسلم فى كتاب الصيام : باب صيام النبى صلى الله عليه وسلم فى غير رمضان ٨ / ٣٦ — ٣٧ ( من النووى ) وأبو داود فى كتاب الصوم : باب كيف كان يصوم النبى صلى الله عليه وسلم ٢ / ٤٣٥ — ٤٣٦

(٢) مسلم فى الموضع السابق .

(٣) النسائى فى السنن : كتاب الصيام : باب صوم النبى صلى الله عليه وسلم ١ / ٣٢٢ وقد أورده ابن حجر فى الفتح عن ابن خزيمة ايضا .

(٤) أورده ابن حجر فى الفتح ٤ /١٧٤ عن ابى يعلى ، والمنذرى فى الترغيب والترهيب وقال غريب حسن .

بيد أن ثمة نصا صريحا ، وحديثا صحيحا يعارض هذا الذى يتبادر الى الأذهان ، وذلك هو ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصيام بعد رمضان : شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة : صلاة الليل » (١) •

وهنا يقال : كيف ــ اذا ــ كان صلى الله عليه وسلم يكثر من الصيام فى شعبان ما لا يكثره فى المحرم ؟

والجواب هو ما ذكره النووى(٢) حيث قال : « لعله صلى الله عليه وسلم لم يعلم فضل المحرم الا فى آخر الحياة قبل التمكن من صومه•

أو لعله كان يعرض فيه أعذار تمنع من اكثار الصوم فيه كسفر ومرض وغيرهما » •

## السنة فى صيام شعبان

على أن السنة فى صيام شعبان : أن يصوم المرء من أوله وأوسطه وآخره أما أن يخص نصفه الثانى بالصوم ، أو يصوم يوما أو يومين من آخره يصل ذلك برمضان فهذا ليس من السنة فى شىء ، بل قد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك نهيا صريحا •

وقد روى الترمذى بسنده من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا بقى نصف من شعبان فلا تصوموا »(٣)•

وقد عقب الترمذى على هذا الحديث بقوله : « حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح ، لا نعرفه الا من هذا الوجه على هذا اللفظ ، ومعنى هذا الحديث عند بعض أهل العلم : أن يكون الرجل مفطرا ، فاذا بقى من شعبان شىء أخذ فى الصوم لحال شهر رمضان •

---

(١) مسلم فى كتاب الصيام : باب فضل صوم المحرم ٨/٥٤ ــ ٥٥ من النووى وأبو داود فى السنن باب صوم المحرم ٢ /٤٣٤ ، والترمذى فى السنن، باب ما جاء فى صوم المحرم ٣ /١١٧ وقال حديث حسن .

(٢) فى شرحه على مسلم ٨ / ٣٧

(٣) الترمذى فى كتاب الصوم • باب ما جاء فى كراهية الصوم فى النصف الثانى من شعبان لحال رمضان ٣ /١١٥

وقـد روى عن أبى هـريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يشبه قولهم حيث قال صلى الله عليه وسلم: « لا تقدموا شهر رمضان بصيام الا أن يوافق ذلك صوما كان يصـومه أحدكم » .

قال الترمذى : وقـد دل هـذا الحديث : انمـا الكراهية على من يتعمد الصيام لحال رمضان » .

ويتأيد هذا بقول ابن حجر (١) ، فى الجمع بين ما جاء عن فضل الاكثار من الصوم فى شعبان ، وبين ما جاء من النهى عن صيام نصف شـعبان الثانى ، وعن تقدم رمضان بصـوم يوم أو يومين ، يقـول ابن حجـر « ان الجمع بينهما ظاهر ؛ بأن يحمل النهى على من لم يدخل تلك الأيام فى صـيام اعتاده » يعنى ينهى عن صوم نصف شعبان الثانى من يريد أن يستأنف به الصوم أما من يدخله فى صيام أيام شعبان التى اعتاد أن يصومها من أوله فهـذا أمر لابأس فيه ولا جناح ، بل هو السنة .

هذا عن شعبان بعامة .

أما عن ليلة النصف بخاصة فقد قال أبو بكر بن العربى : « ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث ساوى سماعه » .

وقال أهل التعـديل والتجريح : « ليس فى ليلة النصف من شـعبان حديث يصح .

ولنستقرىء نحن بعض ما ورد فى فضل هذه الليلة منسوبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لننظر درجته :

* يروى الترمـذى من طـريق أحمد بن منبع ، عن يزيد بن هارون، عن الحجاج بن أرطـاة ، عن يحيى ابن كثير ، عن عروة ، عن عائشـة ، قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فخرجت فاذا هـو بالبقيع : فقـال : أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسـوله ؟ قلت : يا رسول الله . انى ظننت أنك أتيت بعض نسائك فقال : ان الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شـعبان الى

---

(١) فى الفتح ٤ / ١٧٤

السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب (١) » .

قال الترمذى : « حديث عائشة لا نعرفه الا من هذا الوجه منحديث الحجاج وسمعت محمدا (٢) يضعف هذا الحديث ، وقال : يحيى بن أبى كثير لم يسمع من عروة ، والحجاج ابن أرطاة (٣) لم يسمع من يحيى ابن أبى كثير (٤) » .

واذا ففى الحديث انقطاعان ، وفى رواية المذكورين علمان من أعلام الارسال والتدليس فماذا بقى فى الحديث حتى تصح نسبته الى الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ وماذا فيه من قوة حتى يعتمد عليه ، أو يعمل به ؟ .

ويروى ابن ماجه عدا هذا الحديث ، حديثا آخر من طريق الحسن بن على الخلال ، عن عبد الرازق ، عن ابن أبى سبرة ، عن ابراهيم بن محمد ، عن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه ، عن على ابن أبى طالب مرفوعا : « اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها، وصوموا نهارها ، فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول : ألا من مستغفر لى فأغفر له؟

(١) الترمذى فى كتاب الصوم : باب ما جاء فى ليلة النصف من ٣ /١١٦

(٢) يعنى : البخارى محمد بن اسماعيل .

(٣) أحد الأعلام على لين فى حديثه ، وتدليس ، وكبروتيه لا تليق بأهل العلم .

قال النسائى عنه : ليس بالقوى . وقال الدارقطنى وغيره : لا يحتج به .

وعن عيسى بن يونس : كان الحجاج بن أرطاة لا يحضر الجماعة ؛ فقيل له فى ذلك .

فقال : احضر الى مسجدكم حتى يزاحمنى فيه الحمالون والبقالون ؟
راجع ميزان الاعتدال ١ /٤٥٨ ــ ٤٦٠ .

(٤) من الأعلام ولكنه مدلس .
قال عنه يحيى القطان : مرسلات يحيى بن ابى كثير شبه الريح .
راجع ميزان الاعتدال ٤ /٤٠٢ ــ ٤٠٣

ألا مسترزق فأرزقه ، ألا مبتلى فأعافيه ، ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر » .

وسنكتفى بتقويم أحمد بن جنبل، ويحيى بن معين لأحد رواة الحديث وهو ابن أبى بسرة ؛ فقد قالا عنه : يضع الحديث (١) .

ثم يروى ابن ماجه باسناد من حديث أبى موسى الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله ليطلع فى ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك أو مشاحن » .

وقد ضعف الحديث من وجوه شتى : ضعف عبد الله بن لهيعة ، وتدليس الوليد بن مسلم وهما من رواته وانقطاعه فى بعض حلقات الاسناد .

واذا فهو حديث ضعيف جدا لا يجوز العمل به ، ولا الاعتماد عليه .

بقى حديث البيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض فلما رأيت ذلك قمت فحركت ابهامه فتحرك فرجعت فسمعته يقول فى سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك ، اليك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته ، قال : يا عائشة أو يا حميراء أظننت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد خاس بك .. الحديث .

فانه من طريق العلاء بن الحارث عن عائشة ، ويقول البيقهى انه مرسل جيد ؛ فان العلاء لم يسمع من عائشة (٢) اهـ .

غير أن الحكم على الحديث بالجودة فرع المعرفة برواتهومستوى ضبطهم فكيف تسنى ذلك مع الجهالة

---

(١) ابن ماجه فى كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ١/ ٤٤٤

(٢) راجع الترغيب والترهيب ٢ / ٨١

بمن روى عنه الحارث حيث لم يسمع من عائشة ؟ .

سلمنا أن الحديث مرسل جيذ ففى العمل بالمرسل خلاف معروف ، وما نرجحه هو عدم العمل به للجهالة بالمحذوف عينا وحالا .

وعلى افتراض انتهاض الحديث للاحتجاج فأقصى ما يدل عليه هو أن يدعو كل امرىء فى خاصة نفسه كما دعا النبى صلى الله عليه وسلم .

فان من المستيقن أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يدع الى الاحتفال بليلة النصف من شعبان فى المساجد.

كما أنه ليس من المعروف فى السنة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة انه جمع الناس لها ، أو حشدهم فى المسجد للدعاء المعروف : اللهم يا ذا المن .. وما هو بمعروف عند صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم !

وأول من ابتدع الاحتفال لها من التابعين خالد بن معدان ، ومكحول الشامى فما لبث أن اشترع المبتدعون لها صلاة خاصة عقب صلاة المغرب ليلتها ، وقراءة خاصة ، الخ .

وكل هذا لا أساس له من الصحة ولسنا ندرى أرأى هؤلاء أن الدين ناقص فاستكملوه ، ( أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ) ؟

ومن شرع للناس ما لم يشرعه الله ورسوله فقد أشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا ، ومن أحدث فى الاسلام ما ليس منه فهو مرفوض منه ومردود عليه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم:

من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ..

واذا فالسنة من شعبان كانت صوم أكثره .

ولا بأس من أن يدعو كل فى خاصة نفسه فى البيت أو فى المسجد أو فى المصنع أو فى المتجر بما شاء كيف شاء فى اطار قواعد الكتاب والسنة والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

**د : محمد الأحمدى ابو النور**

# الإسلام فى مرآة الغرب

للدكتور عبد الجليل شلبى

تزخر المكتبات الأوروبيــة الآن بفيض من المؤلفـات الاسـلامية ، أو التى يمكن أن تسمى اسلامية ، لأنهـا تتناول موضـوعات تتصـل بالاسلام بقطع النظر عمـا بهـا من صـحة أو زيف • وتختلف هــذه الموضوعات ــ وهذا أمر طبيعى ــ فى آرائها ونظرتهـا الى الاسلام ، والشرق الاسـلامى كما تختلف فى المواضـع التى تتناولهـا من الفكر الاسلامى وتاريخه أو تاريخ صاحب الدعوة الاسلامية (ص) •

ويرجع هذا الاختلاف الى التطور التـاريخى من جهـة والتعرف على الاسلام عن كثب من جهة أخرى • ففى العصور الوسطى كانت الكتابة عن الاسـلام بعيدة كل البعـد عن حقائق التـاريخ ، وكان الكتـاب يجهلون سيرة النبى محمـد (ص) فاما تلقفوا عنــه ما هــو أدنى الى الخيــال مما تتناقله أفواه العوام ، واما أطلقــوهم لخيــالهم العنان أن يتصور ما يمكن أو يوصف به النبى العربى ، وكثيرا ما نجد هذا الخيال مشبعا بتصــورات مسيحية ، لأنهم قاسوا حياة محمد على حياة المسيح • وقد تناول غير واحــد منهم قصـة مقابلة النبى محمد فى صباه لبحيرى الراهب ولكن اختلفت نظرتهم اليها ، فبينما يتخذها بعضهم أساسا للطعن فى الوحى السماوى الذى تلقاه نبى الاسلام ، اذ يعزو التعاليم التى جاء بها الى ما تعلمه من هــذا الراهب النصرانى ، يراها آخر مجرد خرافة لا أساس لها • خرافة اختلقها خيال المسلمين لعقــد صـلة المودة بـين المسيحية والاسلام • ولنا نحن أن ندرك حــدود العقلية التى تقبل أن مقابلة صبى ناشىء فى لحظـة عابرة تكفى أن تلقنه كل هذه المعلومات ، أو تفتح ذهنه وهو فى هــذه السن لمثــل هــذا التفكير الميتافيزيقى أو

التشريعى • ولست أريد أن أدافع عن القصة أو أثبت أنها صحيحة فهذا شىء غير ما نحن فيه •

وبزيادة اتصال الأوروبين بالمصادر الاسلامية ، وبدرسهم الفكر الاسلامى دراسة أدنى الى الجد خفت هذه النزعة ، وجاء فى كتابة المحدثين شىء من الانصاف ، ولكن كراهة الاسلام لم تنعدم ، وربما كان المحدثون أكثر لباقة وأقدر على حسن التأتى لطعن الاسلام والذى تميزوا به عن سابقيهم انما هو قلة الجهل بحقائق الاسلام وكتاب العصر الوسيط اتخذوا من كتابتهم سلاحا للهجوم على الشرقيين منذ انفجار الحروب الصليبية ، فكانت كتابتهم نوعا من الدعاية التى تهون من شأن الأعداء ، وتستحث جنودها وتضريهم على الهجوم » ومع ذلك تركت آثارا غير هينة فى تفكير المحدثين •

وقد عبر الفكر الاسلامى الى أوروبا من عدة منافذ ، وكان لهذه المنافذ أيضا أثر فى اختلاف الفكرة التى أثارتها فى خيال الكتاب الأوروبيين •

واذن فنحن بحاجة قبل أن نعرض نماذج من تفكير المحدثين وحكمهم على الاسلام الى وقفة قصيرة لتوضيح الأسباب والطرق التى انتقل بها الفكر الاسلامى الى أوروبا كما نحن بحاجة — الى أن نلم المامة عابرة بما كتب عن الاسلام خلال العصر الوسيط • وهذه الكتابة أضعف من أن تثبت للنقد أو تعرض للتمحيص ، ولكن حسبنا مما تعرض منها أنه يعكس عقلية هؤلاء الكتاب ومدى تحرشهم بالاسلام والمسلمين •

كان أول دخول المسلمين الى أوروبا عن طريق غزوهم الاندلس وكان ذلك أوائل القرن الثامن الميلادى ولكن لم تترجم آثار العرب الى اللغات الأوروبية الا فى القرن الثانى عشر ، ففى بداية العهد العربى فى أسبانيا كانت اللغة العربية هى لغة التعليم • وهذا أمر طبيعى وواضح ، ولم يكن الذين تلمذوا على العرب قد استطاعوا اجادة لغتهم كما أن أن بلادهم لم تكن مهيأة الى تلقى فكر علمى أو دينى عن العرب • ثم انهم لم يكونوا قد وصلوا الى درجة القدرة على التأليف • وقد أذكت

الحرب الصليبية التى انفجرت فى القرن الحادى عشر روح العداء والكراهية العمياء للمسلمين . فكانت كتابة الأوروبيين كما ذكرت اسهامافى هذه الحرب بما فيها من دعايات وأكاذيب .

والكتابات التى ألفت فى القرن الثانى عشر تنبىء بوضوح أن اللغة العربية لم تكن هضمت لدى هؤلاء الكتاب . ونجد الجهل الفاضح بكل ما كتبوا عنه ، حتى اسم النبى محمد (ص) ، لم يكن نطقه ولا كتابته ميسورة لهم ، فقد جاء اسمه فى كتابتهم Makhomet كما جاء أيضا Bophom

وظل المسيحيون الأوروبيون ــ بوحى هذه الكتابة يعتقدون أن المسلمين يعبدون محمدا ( ص ) كما يعبدون هم المسيح ، وجاء فى كتابتهم أيضا أن لدى المسلمين صنما يسمى « موهوم Mohom » وهذا هو الاسم الذى أطلقوه على نبى الاسلام» ينصب فى المساجد ويتجه اليه المسلمون فى صلاتهم . وهو على صورة النبى محمد .

بجانب هذا الجهل نجد اتجاها لا ريب لدينا أنه كان عملا متعمدا لا يراد منه الا تشويه الاسلام والحط من شأن المسلمين .

من ذلك ما كتبه قس اسبانى أطلق عليه اسم باكى قرطبة أو مؤبن قرطبة Eulogist of Cordova، ولم نر له غير هذا الاسم ، ولعله وصف أطلق عليه لكثرة مارثى تلك المدينة أن أصبحت فى يد المسلمين . يذكر هذا القس أنه استقى معلوماته من مخطوط لاتينى ألقته المصادفة البحتة فى يده . فهو اذن لا يستقى معلوماته من مصادر عربية واسلامية ولا حتى من مصدر محايد ، فالعداء بين الرومان والمسلمين مستحكم منذ احتكت كل منهما بالأخرى فى شمال الجزيرة وفى حياة الرسول ، وكانت غزوة مؤتة بداية هذا الاحتكاك . ثم استمر المسلمون ينتقضون دولة الروم من أطرافها حتى أسقطوا حصونها فى أوروبا ، ماذا عسى أن يكتب كاتب لاتينى بعد هذا عن نبى الاسلام . نقل القس كلامه بلا تحفظ فذكر أن النبى محمدا أخبر أصحابه أنه سيرفع

الى السماء بعد ثلاثة أيام من موته ، ولهذا ترك دون أن يدفن حتى تعفن جسده ونهشته الكلاب والخنازير ، والمسلمون لهـذا يحـرمون لحوم الخنازير .

وهذا مثل من أمثلة ما حفلت به الكتب التى ألفت فى القرن الحادى عشر المسيحى ، وما كنا لنذكر هذا المثـال الذى يثير فى نفوسنا التقزز لولا أن بقايا من كتابات هذا العصر لا تزال تأخذ مكانها فى مؤلفـات المحدثين .

وفى القرن الثانى عشر نجد رجلا آخر أكثر جدا وأوسـع نشاطا فى حمـلاته ضـد الاسـلام ، وهـو بطرس العظيم
أو المبجل كما كانوا يسمونه .
Peter the Venerable
فقد وضع خطةمنظمة لحرب الاسلام، رأى أن بدايتهـا هى تفنيد القرآن واستعان لذلك على ترجمته برجلين أحـدهما انجليزى يدعى روبرت ، والآخر كان يدعى هرمان Hermaan ،

ويبدوا أنه أسبانى ، وقد ترجما بعض الآثار العربية الى اللغة اللاتينية ، واستقل روبرت بترجمة أجزاء مختارة من القرآن الكريم ، ولم تكن ترجمة دقيقة ولاكان له قدرة على فهم النص العربى ، ولكن ترجمة نالت شهرة واسـعة طوال العصر الوسيط ، ثم ترجمت الى لغـات أوربية أخرى . وقدم بطرس المبجل لهـذه الترجمة بمقدمة ضافية لخص فيها حياة النبى محمد (ص) كما تراءت له واستمر يذكر تاريخ خلفـائه ونهاية حفيديه الحسن والحسين .

وبهذه الحركة التى قادها بطرس قامت حملات عنيفة ضـد الاسلام اعتمدت كلها على هذه الترجمة وما معها من مؤلفـات ، واذن فكتابات الأوروبيين خلال العصور الوسطى تعتمد على مصـدر واحد ، وترجع الى ما كتبه عـدو لدود للاسـلام والمسلمين . ولكن هل نبـا كتاب العصر الحديث أو عصر النهضة عن هذه الخزعبلات . ؟

انهم تركوا كثيرا مما لا تصدقه العقليـات المسـتنيرة ولكن بقى فى أذهانهم وكتاباتهم كثير منها .

د : عبد الجليل شلبى

# جمهورية مالى

**الموقع : افريقيا الغربية**

**المساحة : ٤٦٤٧٥٢ ميلا مربعا**

**السكان : خمســة ملايين**
**( ٩٠٪ مسلمون )**

**العاصمة : باماكو**

## التــاريخ

كانت افريقيا الشمالية قبل نهاية القرن السابع حصنا للاسلام منيعا ، اذ حملت قوافل العرب والبربر معها الدين الاسلامى عبر الصحراء ، فأخذ ينتشر فى أنحاء افريقيا الغربيـة تدريجيا . ولكن لم يكتب للاسلام أن ينتشر بسرعة الا بعد قيام حركة الاصلاح البربـرية التى تزعمها المرابطون .

وفى عام ١٠٤٢ للميـلاد هجـر المصلح البربرى عبد الله بن ياسـين المسجد الذى كان قد بناه فى جزيرة فى السنغال الأدنى وراح يدعو برابرة ادرار وزنوج تكرور الى اعتنـاق الاسلام . فاعتنق ملك تكرور وأسرته الدين الاسـلامى ، وتبعه بعد ذلك ملك مانديـنغ ( مالى ) الذى كان يقطن النيجر العليا . أما ملك سنغوى فى منطقة غاو فى أواسط النيجر فقد اعتنق الاسلام حوالى ذلك التاريخ .

وكانت الممالك المختلفة القائمـة فى هـــذه المنطقـة ولايات تابعـة لامبراطورية غانا ، التى أسسها أمراء يقال انهم انحـدروا من عرق أبيض وربمـا بربرى ، وبلغت أوجهـا فى القرن الثامن : ثم صـهرت الحروب والتزواج الشـعوب المستوطنـة الأصلية بعضها ببعض مما أدى الى نشوء شعب افريقى جديد . واستمدت غانا سلطانها بفضل سيطرتها على معظم تجارة الصحراء الكبرى ، حيث كان يسـتبدل الرقيـق والذهب بالملح والسلع الأخرى التى كانت القوافل تحملها معها من الشـمال . وفى عام

١٠٥٤ حرر عبد الله ياسين قبيلة لمتونا البربرية من سيطرة غانا ، وحوالى عام ١٠٧٦ للميلاد ، وبينما كان يوسف بن تاشفين على رأس جيش المرابطين يحتل المغرب ويتأهب لغزو اسبانيا ، قام ابن عمه أبو بكر ابن عمر من قبيلة لمتونا باحتلال كومبى عاصمة امبراطورية غانا . وهكذا قضى على نفوذ غانا فى تلك المنطقة . وبعدها اعتنق الدين الاسلامى العديد من الممالك الموالية .

هذا ولم تحد وفاة أبى بكر ابن عمر عام ١٠٨٧ ونزوح آخر قوات المرابطين المناصرة له الى الشمال من انتشار الاسلام المتزايد. ثم قامت فى القرن الثالث عشر امبراطورية مالى واستحوذت على مقاليد الحكم فى المنطقة وتعنى كلمة ( مالى ) باللغة البمارية فرس البحر ، وترمز الى القوة والمنعة . وكان منسا موسى ( ١٣٠٧-١٣٣٢) من أعظم أباطرة مالى العديدين فقد استولت جيوشه على تمبكتو وعلى أراضى مترامية الأطراف حول النيجر الوسطى . أضف الى ذلك أن القوافل كانت تزور مالى بانتظام ، وعين منسا موسى سفيرا له فى مدينة فاس . ويروى التاريخ أنه حج الى مكة يرافقه ٥٠٠ من رقيقه ووزع ١٥٠٠٠٠ ونسه من الذهب على طول الطريق . واصطحب معه فى عودته الفقهاء المسلمين لرفع شأن التعليم الذى اشتهرت به تمبكتو . وفى عام ١٣٥٣ للميلاد ، عندما بلغ مالى الرحالة الشهير ابن بطوطة ، كان يحكمها منسا سليمان . وبعد ذلك أخذت امبراطورية مالى تنهار . فاستولى الطوارق على تمبكتو وعلى قسم كبير من المنطقة الشمالية بينما تقاسم غيرهم الأجزاء الأخرى من الامبراطورية ، الى أن تلاشت فى أواسط القرن السابع عشر .

وازدهرت فى هذه المنطقة امبراطورية أخرى هى امبراطورية غاو السونغية . نشأت هذه الامبراطورية حوالى القرن التاسع عندما كان البرابرة الوثنيون من قبيلة لمتونا يبسطون نفوذهم على مزارعى سونغاى على طول نهر النيجر فى دوندى وهكذا ملكت حوالى عام ١٣٢٥ سلالة كان لتأثيرها السياسى صدى عظيم . ثم ان هؤلاء البرابرة

ارتدوا الى الاسلام فى القرن الحادى عشر وظلت مملكة غاو السونغية طيلة عشر سنوات ، من عام ١٣٢٥ الى ١٣٣٥ ، خاضعة لسيطرة مالى الا أنها حاولت التحرر من هذه السيطرة فيما بعد وحكمت خلال أكثر من قرن وادى النيجر الممتد الى جنوب غاو • ويعتبر ( اسكيا ) محمد طور من أعظم أباطرة سونغاى وقد قام فى مطلع القرن السادس عشر بأداء فريضة الحج فى مكة وتجلت فى حجته هذه مظاهر من العظمة طغت على عظمة حجة منسا موسى • وشن الحرب على جيرانه فاستولى على جميع المناطق باستثناء موسى فى الجنوب غير أن أولاده أطاحوا به عام ١٥٢٨ • وشهدت الخمسون سنة التالية أو ما يقاربها متآمرين عديدين يخلف الواحد منهم الآخر • وفى عام ١٥٨٥ تسلل الضعف الى أوصال الامبراطورية لدرجة ان سلطان المغرب أغرته قوته بالمغامرة فأرسل قواته لاحتلال مناجم فى توهزا الا أن محاولته باءت بالفشل • ولكن فى عام ١٥٩٠ هاجمت قوات مغربية مؤلفة من ٤٠٠٠ جندى المدافعين وقضت على امبراطورية غاو • الا أن الجيش كان ضئيلا وعاجزا عن فرض سيطرته على أنحاء الامبراطورية الشاسعة فتمركز فى قواعد آمنة فى غاووجن بينما كانت الفوضى تعم الأجزاء الأخرى •

ويقال ان قوات تضم ٢٥٠٠٠ رجلا أرسلت كتعزيزات خلال السنوات الثمانى والعشرين التالية فى محاولة بائسة لتوطيد السيطرة الفعلية على المنطقة كلها • وقد تزوج الجنود المغاربة من الافريقيات ولما بلغ أبناؤهم سن الرشد دخلوا فى سلك الجندية وشكلوا طبقة عرفت باسم ( ارما ) • واختارت هذه الفئة أعيانها الذين حاولوا أن يحكموا البلاد بمساعدة الجيش الا أن الارما والجيش بلغ بهم الضعف حتى تجزأت المنطقة الى دويلات هزيلة ، وكان ذلك فى عام ١٧٨٠ —

وازدهر الاسلام فى بلدان افريقيا الغربية فى نهاية القرن الثامن عشر وفى مطلع القرن التاسع عشر • وبدأ المصلح النيجيرى الكبير عثمان دان فوديو يبشر بالاسلام ما بين النيجر وتشاد ، وأسس فى عام ١٨٠٢

امبراطورية سوكوتو . وقد تبعه سيكو حماد وبارى الذى آرسى قواعد الاسلام فى ماسينا وشيد عاصمة له أسماها حمد الله ( عام ١٨١٠ ) . ثم أتى توكولور حاج عمر ، الذى خلع عليه فى أثناء حجه لمكة عام ١٨٢٠ لقب ( خليفة التيجانية ) لمجمع الصوفيين فى السودان ، فقام فى عام ١٨٣٧ بسلسلة حملات تبشيرية جعلت منه سيدا لمانزينغ ( عام ١٨٤٨ ) ، وكارتا ( عام ١٨٥٤ ) ، وسيغو ( عام ١٨٦١ ) وأخيرا ماسينا (عام ١٨٦٢). وبين عامى ١٨٥٧ و ١٨٥٩ حارب الفرنسيين الذين كانوا يحاولون بسط سيطرتهم على المنطقة . وقتل الحاج عمر عام ١٨٦٤ بينما كان يهم بقمع ثورة وتسلم زمام الحكم ابنه الذى لاذ بالفرار قبل زحف الفرنسيين . وبعد فترة من الزمن أحبطت محاولة قام بها امام غينيا ساموري طور لتأسيس امبراطورية اسلامية تضم السنغال وفولتا العليا ووقع الامام فى أسر القوات الفرنسية . وهكذا أتاحت هزيمة ابن الحاج عمر ، ومن بعده الامام ساموري طور ، أتاحت للفرنسيين أن يفرضوا سيطرتهم على البلاد بعد قليل من القوات التى كانت متمركزة خارج السنغال على الساحل الغربى .

وفى عام ١٩٠٤ شكل الفرنسيون اقليما فى منطقة مالى الحالية وسموها ( السنغال العليا والنيجر ) وفى عام ١٩٢٠ أبدلت هذه التسمية بـ ( السودان الفرنسى ) .

وفى عام ١٩٥٨ قرر زعماء البلاد التصويت الى جانب دستور الجنرال ديغول والانضمام الى الجماعة الفرنسية كجمهورية مستقلة ، وفى عام ١٩٥٩ بدأت حملة الاتحاد بين السنغال ومالى وأطلق عليه اسم مالى رمزا للامبراطورية التى ازدهرت فى البلاد فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر . وحصل الاتحاد على الاستقلال ضمن الجماعة الفرنسية فى حزيران ١٩٦٠ ، ولكن فى أقل من ثلاثة أشهر بعد ذلك التاريخ انحل بسبب خلافات فى السياسة بين البلدين .

# افتتاح أول مسجد ومركز إسلامي في مدينة سيول عاصمة جمهورية كوريا الجنوبية

ترجمة الأستاذ عبد العزيز عبد الحق

تلخيص لما نشر في صحيفة KOREA HERALD ومجلة NEWS REVIEW الكوريتين الجنوبيتين .

افتتح في أواخر الشهر الماضي أول مسجد ومركز اسلامي يقامان في مدينة سيول عاصمة كوريا الجنوبية . وكان الرئيس بارك شونج هي ، رئيس الجمهورية قد قدم قطعة الأرض التي يقام عليها المسجد والمركز الاسلامي ومساحتها خمسة آلاف من الأمتار المربعة . وتقع على سفح تل في هنّام دونج في الضواحي الجنوبية لمدينة سيول.

هذا وقد تقدم الزعماء المسلمون في البلاد العربية : السعودية والكويت وأبو ظبي وليبيا بتبرعات بلغت جملتها أكثر من أربعة ملايين من الدولارات لنفقات البناء .

وكان قد بدأ اتحاد المسلمين الكوريين انشاء هذا المسجد والمركز الاسلامي في عام ١٩٧٤ م وذلك انفاذا للقرار الذي اتخذه بهذا الصدد المؤتمر الاسلامي العالمي الذي عقد في مكة في عام ١٩٦٨ م .

وممن دعوا لحفل الافتتاح تنكو عبد الرحمن رئيس الوزراء السابق لجمهورية ماليزيا ، وأمان الله خان الأمين العام للمؤتمر الاسلامي العالمي ومقره في الباكستان ، والحاج عمر محمد وزير التربية في بروني ، والشيخ أمين نائب وزير الحج والأوقاف في المملكة العربية السعودية ، والسيد موتوفو مفتي المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في بوغندة ، والشيخ الأنصاري مدير الشئون الاسلامية في قطر ، والشيخ العقيل مدير الشئون الاسلامية في دولة الكويت ، وابراهيم مهدي وزير الزراعة السابق في ايران ، والأستاذ صالح السامرائي ممثلا لجمهورية العراق ، والسيد داي ولد سيدي بابا وزير

الأوقاف والشئون الاسلامية فى المملكة المغربية ، **والسيد عادل** فاضل الأمين المساعد للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى مصر .

واشترك فى حفل الافتتاح من رجال الحكومةالكورية : يوسنجون وزير الاتحاد القومى فى كوريا ، وتاى وان سون رئيس غرفة كوريا للتجارة والصناعة ، وهونج سونج شوى رئيس الجمعية الثقافية الدولية فى كوريا وبين ليمب رئيس الاتحاد العالمى لمناهضة الشيوعية .

وفى كلمات الافتتاح التى ألقيت بهذه المناسبة ما جاء فى خطاب داى ولد سيدى بابا وزير الأوقاف فى المملكة المغربية حيث قال : ان الشعب المغربى على بعد شقته من جمهورية كوريا وذلك من ناحية موقعيهما الجغرافيين فانه يرتبط ارتباطا وثيقا مع الشعب الكورى روحيا . وان افتتاح هذا المسجد ليعد حادثا تاريخيا هاما بالنسبة للمسلمين الكوريين وأبناء العالم الاسلامى .

**هذا** وقد أقيمت صلاة الجمعة فى المسجد وأم المصلين الامام الكورى الحاج محمد يون دنيوتج .

ونشرت مجلة أخبار كوريا الأسبوعية التى تصدر باللغة الانجليزية وذلك فى عددها الصادر فى ٢٩ مايو سنة ١٩٧٦ صورا كثيرة أنيقة للمسجد والمصلين وكبار الشخصيات ممن حضروا حفل الافتتاح . ويبدو المسجد فى هذه الصور بمئذنتيه السامقتين وقبته الجميلة فى طراز معمارى رائع يقترب من طرز العمارة الاسلامية فى فارس والتركستان .. ولا شك فى أن هذا المسجد تحفة معمارية تعد من المعالم البارزة فى مدينة سيول ، ترمز الى العلاقات المطردة النمو والأواصر القوية بين كوريا الجنوبية ومجموعة البلاد العربية والاسلامية .

وبتشييد هذا المسجد والمركز الاسلامى الملحق به حقق المسلمون الكوريون الذين يبلغ عددهم أكثر من أربعة آلاف نسمة حلما طالما كانوا يتوقون الى انفاذه .

**هذا** وقد نشرت مجلة أخباركوريا الأسبوعية فى عددها السابق الذكر عدة مقالات عن الاسلام وآدابه وتعاليمه ودحض ما يثار حوله من شبهات وترهات . ويهمنا من هذه

المقالات ما كتبه الأستاذ ياك يوتــج بيل تحت عنوان : أوائل اتصال كوريا بالاسلام • جاء فيه : لقد أثبت البحث التاريخى أن هناك على الأقل أسرة كوريه هى أسرة توكسو شانج التى ترجع فى نسبها الى أحد العرب الذين اتخذوا كوريا وطنا لهم • وكان الجد الذى تنتسب اليه هذه الأسرة قــد قدم كوريا فى عام ١٣٤٧ م التى توافق عام ٧٤٨ هـ • وكان هــذا الجــد تشريفاتيا للأميرة المغولية التى تزوج بها شونج يول أحد ملوك كوريا من أسرة توريو الحاكمة • وتزوج هذا العــربى من امرأة كورية واختار له الملك أسما كوريا وهو « شانج سان يونج » ومنحه اقطاعا له ، معفى من الضرائب •

وتذكر المصادر التاريخية الخاصة بكــوريا أن العــرب الذين أقاموا بكوريا لم يفرق بينهم وبين السكان الأصليين بسبب أصــولهم الأجنبية وأنهم ما لبثوا أن اندمجوا فى المجتمع الكورى وأنجبوا عــددا من ذوى المواهب الذين تقــلدوا الوظــائف الكبيرة فى الدولة •

ومــع أن الكــوريين فى العصر الوسيط عرفوا الاســلام عن طريق التجار العرب فان الاسلام لم يحظ بدرجة كبيرة من الانتشــار بسبب تمسك الكوريين بالديانة البوذية •

أما الدعوة الى الاسلام فى كوريا فى العصر الحديث فقد كانت بدايتها عن طريق الأتراك الذين اشتركوا فى الحــرب الكورية بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٥٣ م فقــد عين لأولئك الجند امام يؤمهم فى الصلاة • وأخذ هذا الامام فى الدعوة الى الاســلام بين الكوريين وذلك فى خيمة اتخــذها مسجدا واعتنق الاســلام آنــذاك نحــو من ثلاثين كوريا • وازدادت الدعوة الى الاســلام انتشــارا فى كوريا عند تأسيس الاتحاد الاسلامى الكورى فى عام ١٩٦٠ وتعيين الحاج صبرى شو رئيسا له •

ونرى فى جهود الامام التركى فى نشر الاســلام فى كــوريا وعنــاية الجمهورية التركية بالشئون الدينية الخاصــة بجنــدها ما يدل على أن العاطفة الدينية الاســلامية لا تزال قوية فى نفوس الشعب التركى على الرغم من السياسة العلمــانية التى سارت عليها تركيا •

وممن اعتنق الاسلام حديثا بعض الكوريين الذين أدوا فريضة الحج

فى عام ١٩٥٩ م كما أن هناك خمسة عشر طالبا يدرسون العلوم العربية والاسلامية على منح دراسية قدمتها لهم المملكة العربية السعودية ومصر وليبيا والكويت .

ويقول الأستاذ ياك يونج بيل: ان الاسلام وثيق الصلة بحياة الانسان اليومية وهو بهذا الاعتبار يعد دينا عمليا . ويحض الاسلام على التمسك بمبادىء العدالة والمساواة والاعتدال . وهو يدعو الى ايمان بالله وبرسله وكتبه كما حضت على ذلك الديانات السماوية فضلا عن أنه يبدى تسامحا نحو الديانات الأخرى .

ويوجد حاليا نحو خمسة عشر ألفا من الكوريين ممن يعملون فى مشروعات التنمية فى الشرق الأوسط ويذللون كثيرا من الصعوبات التى تعترض هذه المشروعات . ويثنى الكثيرون على اجتهادهم وأمانتهم فى الأعمال التى يتولون أداءها . وقال عنهم القائم بالأعمال السعودى : ان هؤلاء العاملين يمتازون بالجد والنشاط وانهم يتحرون الدقة والاتقان فيما يقومون به فلا يثيرون أية صعوبة أو مشكلة وانا لنقدر مزاياهم تقديرا عظيما . وأضاف أن المسجد الذى شيد فى سيول عاصمة كوريا يعد من أكبر المساجد فى القارة الآسيوية . وأنه سيكون مكان الالتقاء بين الكوريين والعرب حيث يناقشون وسائل تنمية العلاقات بينهم فى المجالات الدينية والسياسية والتجارية .

وقال وزير التخطيط السعودى الذى قام أخيرا بزيارة سيول : ان شعبينا العربى والكورى ينعمان بالحرية ويمارسانها ويدافعان عنها أسوة بسائر الشعوب المناهضة للشيوعية . ومضى يقول : لقد عقدنا الخناصر على توثيق الصلات بين شعبينا وتذليل الصعوبات المادية والانسانية من أجل الرفاهية العامة والسلم العالمى .

. . .

هذا وبعد اتمام بناء المسجد والمركز الاسلامى وضع اتحاد الكوريين المسلمين خطة ذات مرحلتين لبذل جهود فعالة لنشر الاسلام فى كوريا .

والهدف من المرحلة الأولى هو زيادة عدد المسلمين وتنويرهم بالمبادىء عن طريق وسائل الاتصال

العامة • ونشر اللغة العربية عن طريق معهد اللغة العربية الذى يشرف عليه اتحاد المسلمين الكوريين وقد لقى هذا المعهد اقبالا عظيما وأتم منهج الدراسة به أكثر من مائتين من الكوريين • ويعمل بهذا المعهد حاليا ثلاثة من الأساتذة الذين أرسلتهم جمعية الدعوة الى الاسلام فى ليبيا وهم يلقون محاضرات فى اللغة العربية والثقافة الاسلامية للطلبة الكوريين • هذا بالاضافة الى قسمين للدراسات العربية أنشئا فى جامعتى ميونجيل وهانكوك فى كوريا • ولا شك أن هذين القسمين سيساعدان على تنمية العلاقات الثقافية بين كوريا والبلاد العربية كما سيزيدان من حركة انتشار الاسلام فى كوريا •

أما المرحلة الثانية فتهدف الى انشاء كلية اسلامية ومشروعات للخدمة الاجتماعية • ويرى اتحاد المسلمين الكوريين أن نشر الاسلام يجب أن يوجه نحو الخدمة الاجتماعية التى تزود الكوريين بمعاونة عملية فى نواحى التعليم والرعاية الطبية • وهذا فى نظرنا يشير الى ما تصنعه هيئات التبشير المسيحى فى نشر المسيحية فالمبشرون لا يقتصرون على نشر تعاليم المسيحية ولكنهم يضيفون اليها برامج تعليمية مختلفة فى الصناعة والتجارة وغيرها مما يساعد المتنصرين على كسب عيشهم •

كما تشمل المرحلة الثانية مشروعا لترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة الكورية مما يشعر المسلمون الكوريون بأن الحاجة ماسة الى هذه الترجمة • ويقوم اتحاد المسلمين الكوريين بتشكيل لجنة لهذا الغرض بمساعدة علماء البلاد الاسلامية • ويقدر عدد من يقومون بهذا العمل نحو ثلاثين من الاخصائيين وينتظر أن يستغرق هذا المشروع نحوا من عشر سنوات •

ومع أن تاريخ انتشار الاسلام فى كوريا فى العصر الحديث يستغرق فترة قصيرة تزيد قليلا عن عشرين عاما فقد أفلح الاسلام فى نشر دعوته بين كثير من المثقفين الكوريين من الأساتذة والمحامين والصحفيين والطلبة ورجال الأعمال • وقال الحاج محمد يون امام الاتحاد

الكورى الاسلامى فى هذا الصدد ان الشعب الكورى صار واسع الالمام بالتعاليم الاسلامية كثير الاهتمام بها .

وأخيرا نرى أن هذه صفحة مشرقة تضاف الى تاريخ انتشار الدعـوة الى الاسلام تثلج صـدر كل مسلم غيور على دينه كما أنهـا تعد دليلا على أن الاسلام لا يزال يحظى بقوة حيوية زاخرة تدفع غير المسلمين الى الاقبال عليه واعتناقه بفضل ماتتضمنه مبادئه السامية ومثله العليـا من الحلول الصـحيحة الناجعة لمختلف المشكلات التى يعانى منهـا الجنس البشرى فى العصر الحديث .

* * *

والأزهـر الشريف . شـيخا وعلمـاء ـ اذ يهنىء المسـلمين فى جمهورية كوريا الجنوبيـة على هـذا العمل العظيم يتقـدم بعميق الامتنان والشكر للشعب الكورى الجنوبى الصديق على هذه المؤازرة الصـادقة المخلصـة للمسـلمين فى جمهورية كوريا الجنوبية . مسجلا لرئيس الجمهورية وأعضاء حكومته ولكل فرد من أبناء شعبه هذا الموقف النبيل تجاه الاسلام والمسلمين .

كما لا يفوتنا أن نسجل لسعادة الدكتور Dr.wec - Don - Chang سفير جمهـورية كوريا الجنوبية فى القاهرة ، ولأعضاء السفارة المحترمين مشاعرهم الطيبـة ، ومحـاولاتهم المخلصة الجادة من أجل دعم علاقات المحبة والاخاء بين الشعبين الكورى والمصرى ، ومن أجل انشاء علاقـة أخوية متينة بين المسلمين فى كوريا وبين الأزهر الشريف .

**عبد العزيز عبد الحق**

# إلى العلماء

لما اقترب الامام الزهرى من السلطان وخالطه ، كتب اليه « أخ له فى الدين » يقول له : « عافانا الله واياك من الفتن ، فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو الله ويرحمك ، أصبحت شيخا كبيرا قد أثقلتك نعم الله عليك لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء : فقد قال الله تعالى : « لتبيننه للناس ولا تكتمونه » .

واعلم أن أيسر ما ارتكبت،وأخف ما احتملت ، انك أنست وحشة الظالم ، وسهلت سبيل البغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا .

حين أدنوك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم ، وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم ، ويدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهلاء ...

فما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك ، وما أكثر ما أخذوا منك بما أفسدوا عليك من دينك .. فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » .

وانك تعامل من لا يجهل سبحانه، ويحفظ عليك من لا يغفل ، فداو دينك فقد دخله سقم ، وهيىء زادك فقد حضر سفر بعيد : « وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء » .

والسلام

---

*من الاحياء للغزالى .

# الأزهر والمشكلات الإسلامية الراهنة

للأستاذ يحيى هاشم

— ٢ —

### موقف المجمع من الدراسات القرآنية والحديثة

**الموقف السادس :**

وضع المجمع النقط على الحروف فى المسائل التى أثارت بلبلة فى هذه الدراسات ، وحسم فيها الأمر وأصبحت لا تثار الا لتقابل برأى المجمع فتهدأ .

* حسم المجمع موضوع تلحين القرآن فحكم برفضه رفضا قاطعا .

* حسم المجمع موضوع كتابة القرآن الكريم بغير الرسم العثمانى — فحكم برفضه رفضا قاطعا .

* أكد المجمع ضرورة التوسع فى تحفيظ القرآن الكريم ووضع الخطط اللازمة لذلك .

* عمل المجمع على تنقية كتب التفسير والحديث من الاسرائيليات، واختار الطريق الميسورة لذلك بأن أصدر كتابين لبيان هذه الاسرائيليات والتحذير منها ، وأصدر تفسيرا حديثا خاليا منها، ولم يجد من الميسور تتبع كتب التفسير القديمة فى الأسواق لاستبعادها واعادة طبعها خالية من هذه الاسرائيليات .

* أما عن الحديث : فقد رأى المجمع الحاجة ملحة الى وضع موسوعة حديثة بين أيدى العلماء والباحثين ، تضم أغلب الاحاديث المروية لتبين الصحيح منها والحسن ، والضعيف ، ووقع الاختيار على كتاب « جمع الجوامع » للامام السيوطى لوفائه — تقريبا — بالغرض .

كما وضع بحوثا وافية لبيان الاحاديث المشكلة ، التى يظن أن ظاهرها غير مراد ، لتحقيقها، وشرحها، وبيان الحق فى موضوعها .

**الموقف السابع :**
**موقف المجمع من التنظيم الاجتماعى بصفة عامة**

فى هذا الشأن يمكننى أن أقول واثقا أن مجموع الدراسات والقرارات والتوصيات التى صدرت عن المجمع حتى الآن قد شملت جميع النواحى الاجتماعية :علمية واعلامية، وتربوية ، واقتصادية ، وسياسية ، وعقائدية ، وحضارية ... الخ .

بل يمكننى أن أقول واثقا أن مجموع القرارات والتوصيات التى صدرت عن المجمع فى هذه الشئون تشل استراتيجية متكاملة لكل من يريد أن يعمل فى مجال التنظيم الاجتماعى للمسلمين ...

**الموقف الثامن :**
**موقف المجمع من الأقليات الاسلامية والأكثريات المضطهدة**

برغم كل الشانئين للمجمع تقول: أن المجمع لم يدخر وسعا فى هذا الشأن ..

وماذا فى وسعه الا أن يدرس المشكلة ، ويصل الى الرأى ، ويصدر البيان ويحرض على أداء الواجب ؟.

* لقد فعل المجمع ذلك فى كل المشكلات التى تعرض لها المسلمون أغلبية كانوا ، أو أكثرية ، وتابع المواقف ، وأكدها ، وألح عليها... فعل ذلك بالنسبة لمشكلات المسلمين : فى قبرص ، وفى الفلبين وفى أرتريا ، وفى الصومال ، وفى تونس وفى لبنان ، وفى المغرب والجزائر وفى الدول الشيوعية ، و ... الخ .

* وكان لا بد من التركيز على قضية رئيسية تكون لها الأولوية ، ويحصل منها الانبعاث ، وتختبر عندها القوى ، وحصل التركيز على قضية فلسطين والأرض العربية المحتلة وهى قضية اسلامية بالدرجة الأولى بالرغم من أى تفسير ضيق قد يقدمها فى اطار الصراع مع الامبريالية ، أو فى اطار الدفاع عن القومية ، هى قضية اسلامية بالدرجة الأولى ، يكون الانتصار فيها ــ مقدمة للانتصار فى القضايا الاسلامية الأخرى ــ كما يكون التراجع فيها مقدمة للتراجع فى القضايا الأخرى ،ولقد أثبتت الأحداث صدق نظرة المجمع فى هذا الموضوع . حيث أعقب الهزيمة فى ١٩٦٧ اجتياح للاقليات الاسلامية فى

الفلبين ، وتايلاند ، وغيرها من بلاد الأقليات الاسلامية فماذا يفعل المجمع ــ أو تفعل القيادات الاسلامية فى الأزهر ــ غير ذلك ؟

لقــد مر على المجمــع وقت كان يتسول فيه تكاليف سفر وفد منه الى أرجاء العالم الاسلامي وغيره للتعريف ــ اسلاميا ــ بالقضية الفلسطينية ولم يكن يجد ، فلما تيسر الأمر لبعض القيادات للسفر قيل / أنهم يلهثون وراء مؤتمرات النزهــة ، ليمــلأوا بطونهم بشهى الطعام ؟؟؟

* ان العجيب أن بعض الناس يتصــورون أن مجمــع البحــوث الاسلامية وجد لينوب عنهم فى أداء ما يجب عليهم اســلاميا ••• كأنه الكاهن ينوب عن أتباعه فى الصلاة •

كأنهم يريدون من المجمع أن ينوب عنهم فى الحرب اذا كــان الواجب الحرب ، وينوب عنهم فى الاتفاق اذا كان الواجب الاتفاق ، وينوب عنهم فى الاعتقــال اذا كان المصــير الى الاعتقال • وينوب عنهم فى الاتصالات الدوليــة اذا كان الواجب نوعا من السياسة ••

وهكذا •••

كلا •• ما هكذا تكون المسئولية فى الاسلام ، وانهم ليعلمون ، وانى لأسألهم ــ مثلا ــ من باب القياس الجاد •• ــ ماذا فى مقدور « امام أهل السنة » أن يفعل اذا وضعنا فى الاعتبار رفعة هذا اللقب • وشموله لأكثر من تســعمائة مليون مســلم فى جميع أنحاء العالم ؟

* ورجوعــا الى المجمع ــ أو الى الأزهر ــ ماذا يمكنه أن يفعل فى هذا المجال أكثر ما قلناه ؟

هل وجــدوا المجمــع أو الأزهر مقصرا فى شىء من ذلك على ما لديه من امكانات ضئيلة لا يدخر وسعا فى سبيل دعمها والنهوض بها ؟

* نعم لقد كان للمجمع سلبيات:

ولكن ســلبياته كانت من نقص خطير فى امكاناته :

١ ــ ان المجمع منذ انشائه حتى الآن لا يجــد المكـــان لموظفيــه أو أعضائه أو لجانه ، أو مجلسه ، أو مكتبته •

٢ ــ ان المجمـــع لا يتيسر له الحصول على الكفاءات اللازمة من الموظفين فهو يأخذ موظفيه من القوى

العاملة ، أو ممن يقبل أن ينتدب اليه من مدرسي المعاهد الأزهرية ومن فى حكمهم •••

هذا فى حين أنه يلزمه كادر خاص يجذب اليه الكفاءات العلمية الممتازة، أسوة بمراكز البحوث التى تعمل فى مثل مهمته •••

٣ ــ وان أعضاء المجمع لا يتقاضى أحدهم من المجمع غير مكافأة رمزية لا تتجاوز مرتب معيد بكلية ، فهى لا تغنيه عن ممارسة نشاطه فى جهات عديدة غير المجمع •

٤ ــ ان المجمع لم يجد حماية ــ فى فترة كبيرة من حياته ــ من الجهات الأخرى التى تتحيف من اختصاصه •••

※ وهذا الانتقاص من المجمع لم يحدث له نتيجة ضعف فيه •• أو قصور عن السعى وراء المشروع ، وانما كان ثمنا دفعه نتيجة مواقفه وكفاحه ومقاومته للضغوط الموجهة اليه من مراكز القوى والطغيان • وعلى سبيل المثال : لقد كانت القصور المصادرة توزع يمينا ويسارا على الأجهزة الرسمية والشعبية وغيرها ، وكثير منها أقل أهمية من المجمع ، والمجمع ينظر الى ذلك كله فى حسرة ولا يستجاب له •

والدليل على ذلك أنه فى عهد السادات بدأت تنفرج أزمة المجمع وهو تشيد له الآن بناية ضخمة مناسبة ينتظر أن يفرغ منها فى العام القادم على أكثر تقدير •

※ اننى بالرغم من هذه السلبيات •• أجد الأعمال الايجابية التى سردتها مفخرة حقيقية للمجمع والأزهر •• وعلماء الاسلام •• حيث حصنت الفكر الاسلامى من الاعتداء والتشوية فى عصر من أشد عصور الطغيان التى مرت بها مصر •• ومر بها المسلمون •

انها بالقياس الى ما كان يجرى من اضطهاد عقائدى موجه للفكر الاسلامى المعارض •• تعتبر من أعمال البطولة الخالدة •

※ لقد كان أخطر ما يمكن أن يوجه الى المجمع حينذاك هو الدعوة الى حله ليؤتى بتشكيل جديد هزيل لا يرعى فى الله ذمة ، يصدر قرارات بتزكية الاشتراكية المستوردة • ويصدر قرارات بالدعوة الى تحديد النسل وتحريم تعدد الزوجات •

ووضع حق الطلاق فى يد القاضى ، ودعم اقتصاديات الدولة بتحليل فوائد البنوك ، واقرار شركات التأمين على ما هى عليه ••• والقول بتطور الشريعة الاسلامية على أساس من مقتضيات العصر •

❊ ذلك كان مطلب مراكز القوى ، وذلك كان أملهم فى الأزهر والمجمع خصوصا فلما يئسوا منه •• سلبوه الامكانات الضرورية ، دون أن يجرؤا على الدعوة الى حله •

❊ لقد رهبت مراكز القوى أن تمس المجمع بالحل ، وتركته — على قصور امكاناته المتعمد — يسير فى طريقه ، وحصل المجمع بذلك على تقليد يحصنه من عبث ذوى الأغراض ، ذلك هو ألا يمس تشكيله باجراء استثنائى مهما تكن الدوافع •••

وحمدنا الله على رسوخ هذا التقليد •• الى أن أزعجتنا مجلة الاعتصام بندائها بحل مجمع البحوث الاسلامية فورا •••

❊ فى رأيى ان هذا النداء — مع احترامى الكامل للمجلة — هو فى حد ذاته دعوة الى العبث بالمجمع فى كل حين ، وعند أى دافع ، وامتهان لكرامة العلم والعلماء ، وصفعة منكرة على الوجه المفكر للأمة الاسلامية •• وتهديد خطير للحصن الذى لجأ اليه الفكر الاسلامى فى أعتى عصور الطغيان •

ولاشك عندى أن المجلة لاتقصد الى ذلك عمدا ••

الا اننى مع ذلك أتساءل مندهشا !!! :

اذن لماذا تدعو مجلة الاعتصام الى حل مجمع البحوث الاسلامية فورا ؟؟؟

هل لأنه أقر أخيرا مشروعا للأحوال الشخصية لم يصادف هوى المجلة ؟

ان لنا على حديث المجلة عن هذا المشروع ملاحظات :

فمن الناحية الشكلية لم ترسل رئاسة الجمهورية هذا المشروع الى المجمع كما ادعت المجلة •• ولست أدرى كيف ولم أقحمت المجلة رئاسة الجمهورية فى هذا الموضوع ، لقد كان عليها فى مثل هذا الأمر الدقيق

أن تتحرى الحقيقة ، وربما التبس عليها الأمر ، من ناحية أن هـذا المشروع سبق أن قامت بدراسته لجنة مختصة ـ فى غير المجمع ـ برئاسة فضيلة الشيخ محمد أحمد فرج السنهورى ـ عضو المجمع ورئيس اللجنة الحالية بالمجمع التى أقرت المشروع ـ ، وعندما أراد المجمع أن يقدم مشروعا للمسئولين مغايرا لما أرادته وزارة الشئون الاجتماعية .. عمل على اختصار الطريق ، وحصل على نسخة من المشروع السابق ، ووضعه موضع الدراسة ، ووصل الى اقراره ، واعتبره مشروعا خاصا به .

* هذه نقطة شكلية ..

* ونقطة أخرى :

هى أن هـذا المشروع صادر عن أعلى جهة مختصة فى مصر بخاصة والعالم الاسلامى قاطبة ، وكان من الواجب اذا كان للبعض ملاحظات عليه أن يسوقها فى أسلوب الاستفسار والاستيضاح ، لا فى أسلوب النقد والاحتجاج والمهاترة .

وهل كان على المجمع قبل أن يقر هـذا المشروع أن يلجأ الى مجلة الاعتصام ليتلقى عنها ، وليحمى نفسه من الوقوع فى الخطأ ، أو التعرض للمهانة ؟

اذا كان هذا هو رأى المجمع ، وذاك هو رأى مجلة الاعتصام .. فماذا على المسلمين أن يتبعوا ... ؟

* أما من الناحية الموضوعية :

فلن تنزلق وراء المجلة فى ايحائها بأن المشروع يستجيب لتخطيط قديم من « مرقص فهمى » وأمثاله ...

* لكن هل صدقت المجلة مع نفسها حين ذكرت أن هذا المشروع يحقق ما أرادته وزارة الشئون الاجتماعية بمشروعها الذى سبق أن رفضه المجمع ومن هنا وقع المجمع فى الخطيئة كما وقع فى التناقض ؟

تلك مغالطة متبرجة .

* ان مشروع وزارة الشئون الاجتماعية الذى سبق أن رفضه المجمع ومايزال يرفضه نص على جعل تعدد الزوجات باذن القاضى .

وجعل الطلاق لا يقع الا باذن القاضى .

أما مشروع المجمع فغير ذلك .

* ان مشروع المجمع غير ذلك ـ شكلا وموضوعا ـ مشروع المجمع صادر من الجهة المختصة ، ومشروع وزارة الشئون الاجتماعية صادر من جهة غير مختصة ، وهذا سبب كاف لرفض هذا وقبول ذلك .

* مشروع المجمع لا يجعل تعدد الزوجات باذن القاضى ، ولا يجعل الطلاق معلق الوقوع على اذن القاضى .

* انه فى تعدد الزوجات ينعقد العقد الجديد بمجرد الايجاب والقبول والشهود .

* والذى أضافه المجمع الى ذلك معمول به من قبل ، انه أجاز للزوجة السابقة أن تطلب الطلاق عند علمها بالزواج التالى ، ومن المعروف أن طلب الزوجة الطلاق للضرر مبدأ شرعى قديم . ليس هناك ما يمنع من تطبيقه فى نطاق تعدد الزوجات . والتضرر هنا مسألة نفسية ، غير منكورة ، وليس فى هذا الغاء لحق الزوج فى التعدد وليس من قائل بأن هذا الحق مطلق بلا قيد ، والقيد هنا من القرآن الكريم نفسه الذى يأمر بالامساك بالمعروف ، أو التفريق بالمعروف .

**وفى مسالة الطلاق :**

يقرر المشروع وقوع الطلاق بغير اذن القاضى ، وبغير حاجة الى توثيق والذى أضافه الى ذلك معمول بمثله ، من قبل ، انه علق « توثيق » الطلاق لا وقوعه على اجراء دعا اليه القرآن الكريم ، وهو ميسور فى كل وقت وفى كل حين ..

ومبدأ تعليق التوثيق على اجراء ممكن معمول به فى سائر العقود انه معمول به فى توثيق الزواج ومعمول به فى اجراءات الطلاق السابقة وفى غير ذلك من العقود .

* والاجراء المطلوب فى مشروع المجمع لتوثيق الطلاق هو اثبات اللجوء الى الحكمين ..

وقد يتساءل البعض : وما فائدة ذلك اذا كان الطلاق قد وقع ؟

* وهذا سؤال عن الفائدة ، لا يرتقى الى ادعاء أن الطلاق هنا معلق على اذن القاضى كما جاء فى المجلة .

* ويمكن القول بأن الفائدة هنا تظهر اذا تمكن الحكمان من الصلح بين الزوجين ورجعتهما • وقد تظهر الفائدة اذا تمكن الحكمان من اظهار تعسف أحد الزوجين فى استعمال حقه، ولا شك أن الشريعة الاسلامية ترتب على ذلك مسئوليات وتبعات •• ؟

* فأين هذا من مشروعات سابقة أرادت تحريم التعدد والطلاق أو تعليقهما على اذن القاضى ؟

* وأين هذا مما تصورته مجلة الندوة السعودية الصادرة فى ٩ ربيع الأول سنة ١٣٩٦ هـ فى خطابها المفتوح الى فضيلة الامام الأكبر وكذلك مجلة الدعوة الصادرة بالرياض ؟

* ان المشروع فى جملته وتفصيله قائم على الفقه الاسلامى والشريعة الاسلامية وصياغته كانت فى يد لا يرقى اليها الشك ، وقد يجد المعارضون له الذين نحسن الظن بهم ــ راحتهم عندما يطلعون على المذكرة التوضيحية للمشروع •

* وبعد : فماذا ــ أيضا ــ أثار مجلة الاعتصام ؟

* انها غاضبة لأن شيخ الأزهر لم يبادر الى الادلاء بدلوه فى المعركة الدائرة حول حكم الغناء فى الاسلام •

* ومجلة الاعتصام يغيب عنها فى هذا المجال : ان حكم الغناء فى الاسلام من الأحكام التى دارت حولها خلافات كثيرة بين العلماء ، كان الصوفية فيها أكثر الجهات تيسيرا ، وكان بعض الفقهاء أكثرهم تشددا ، وهم على اختلافهم يتفقون على تحريم الغناء المثير للفتنة ، ويتفقون على اباحة الغناء الذى لا يثير الفتنة • وقد كان أجدر بالصحافة الاسلامية أن تقف فى جدلها عند هذا الحد ، ايثارا لاعتبارات تقضى باللجوء الى الحكمة فى طرح الموضوعات أمام الجماهير ، ووضع أولويات لها ، وبخاصة أننا فى فترة تنتظر فيها حكم الجماهير على اتجاهات الحكم ، ونرجو أن تسفر عن وضع الشريعة الاسلامية موضع التطبيق ، ومن شأن مجابهة الجماهير بتحريم قاطع للغناء فى جميع صوره أن يحدث لديهم انطباعات بتزمت علماء الشريعة الاسلامية وأن

ينفرهم من مقرراتهم وأن يجعلهم ينفضون من حول أصحاب الاتجاهات الاسلامية — فى هذه المرحلة بالذات — وهذا ما يريده أعداء العمل بالشريعة الاسلامية من ملاحدة وشيوعيين وعلمانيين وغيرهم .

❋ ولعل هذا هو ما يدعو الى النصح بغلق هذا الموضوع ، وعدم التوسع فيه أما عن الحكم الشرعى فلا حرج فى الوصول اليه ، وهو مبذول فى مصادره لمن أراد ، ويكفى أن نشير الى المؤلفات التى تركها لنا العلماء فى هذا الموضوع من مثل « كف الرعاع عن اللهو والسماع » للامام ابن حجر ، « والسماع » للعسيرانى ، والفصل الخاص بهذا الموضوع فى احياء علوم الدين للغزالى وتفسير القرطبى ... وما أشبه . فما معنى الاصرار اذن على المهاترة حول هذا الموضوع ؟ وهل يطمع الطامعون فى رأى يحسم الخلاف وهو قديم : لمن أخطأ فيه أجر .. ولمن أصاب أجران ؟

❋ وأخيرا فان المجلة — كما سبق أن أوضحنا — لم تخط حرفا واحدا فى مناقشة علمية حول الموضوعات التى أثارها .

❋ وانما وجهت غضبها العصبى الى الأزهر فى أسلوب مجاف لتقاليد البحث العلمى التى تقتضى الموضوعية والتواضع واصطناع الأدب مع أهل الاختصاص .

❋ واقرر فوق ذلك أن هذا الاسلوب العصبى — وهو ما لم تصل اليه المجلة فى مهاجمتها لأعداء الدين — يهدد الصف الاسلامى بالتشرذم ، ويزيد أعداء الدين طمعا فى القضاء على الاسلام ، وتفاؤلا فى تحقيق مخططاتهم الرهيبة بعد أن يروا المجموعة الاسلامية وقد تكالب بعضها على بعض ، ووجهت أسلحتها الى صفوفها الداخلية ، وأخذت تهدم أعلى القيادات فيها ، انها باختصار تفعل ما لم تجرؤ على فعله التنظيمات المعادية للاسلام .

فلمصلحة من يجرى ذلك كله ؟؟؟

❋ وعلى أية حال فان القلب لمفعم بالأسى لهذا الأسلوب ، لما فيه من خروج على آداب الاسلام نفسها .

( أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتىهى أحسن )

( ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ) .

( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم )

* ولقد كنت أحسب أنصحافتنا الاسلامية واعية لما يجرى فى معترك العمل الاسلامى ، فتدخر شدتها وعنفها وانفعالاتها العصبية ـ ان كانت تفيد ـ لتواجه بها أعداء الاسلام الالداء من ملحدين ، وشيوعيين ، ووضعيين ، وعلمانيين، و ...

فاذا ألجأتها الظروف لمناقشة أطراف اسلامية تختلف معها فى الرأى تحلت بالأدب الاسلامىالذى يقضى به قوله تعالى : (رحماء بينهم)

أما اذا وجدت نفسها على خلاف مع أهل الاختصاص من علماء الاسلام فان عليها أن تكون أكثر تراحما ، وأشد تواضعا ، وأقرب الى الاستيضاح والاستفسار .

والله يهدى الى سواء السبيل .

**يحيى هاشم فرغل**

---

* ان اى طاغية فى داخل العالم «الاسلامى» ـ سواء أعلن حربه صريحة على الاسلام أم تظاهر بالحدب على الاسلام ورعايته وهو فى دخيلة نفسه عدو ـ ان اى طاغية لا يمكن ان يطبق الاسلام ، لسبب واحد بسيط : ان الاسلام يجعل ولاء الناس لله بينما هو يريد الولاء لشخصه من دون الله .

وتلك ـ فى بساطة ـ قضية كل طاغية فى التاريخ مع العقيدة ومع المؤمنين .

وذلك فضلا عن ان امثال أولئك الطغاة فى العالم«الاسلامى» لا يقومون بأمر أنفسهم انما يقيمهم الاستعمار الصليبى الصهيونى ليقوموا ـ بالوكالة عنه ـ بمهمة القضاء علىالاسلام وتدمير المؤمنين .

# عبد الرحيم فودة سيرة ومسيرة

للأستاذ حسن قزون

**تمهيـد :**

ليس مجـالى فى هـذا البحث الموجز أن أبكى صاحب الفضـيلة والفضل الأستاذ عبد الرحيم فودة، ولا أن أرثيـه أو أؤبنه وان كانت العين لا تزال تدمع ، والقلب ما زال ينفطر ، والحـزن يلفنى برداء من العذاب مرهوب ، وانما مجالى أن أعطى صورة لمـا أدى لدينه ووطنه ولغته من نبض كبير ، ودم جديد ، وفضل عميم ، لتكون لأبنائه وقرائه ومريديه مشـاعل على الطـريق ، ولنجعل من سيرته ومسيرته قدوة لمن يشاء أن يقتدى ، ودراسة لمـن أراد أن يدرس ، وفى كتـاباته من الثقافات الفكرية والأدبية واللغوية والشئون الاسلامية ما يقتضينا أن نكشف بعض وجوه الحسن فيها ، والاضافة التى أسـداها وجـلاها وحلاها بايمانه وبيانه ، فجاءت غذاء ونماء للألباب والمشاعر ، وقد توخى فيها القصد ، وجرى فى نتاجها على الطبع ، ولم يقصد فى مقال أوحديث أو كتاب أو خطبة أن يبعث الاثارة طلبا للشهرة على حد قولهم ( خالف لتعرف ) انما كان ديدنه ديدن العالم المدقق الذى تهمه الحقيقة يقـدمها مجلوة بعيدة عن الغموض والابهام، قريبة من القلوب والأفهام ، خاليةمن التعالى ، لأنها صادرة من قلب يخفق بحب المعرفة ونشرها واشراك الناس معه فى حبها ، بذكر سيرته تتبع خطاه، فنذكره كما خلقـه الله ، فـلا نكبر الصورة ولا نزخرف فى الاطار ، ولا نفتعل المواقف . ولقـد سـن لنـا أسلافنا العدول منذ أواخـر العصر الأموى سننا حميدة فى كتابة التراجم وعرض السير ، واتخذوا من الرواية

تعددها وتسلسلها بالعنعنة سياجا يحمى من الخطأ ، ورقيبا يقرع العصا لمن تزيد وتكلف ، فكان لنا من جهودهم ـ بعد السيرة النبوية ومغازى الرسول وتاريخ مكة ـ كتب الطبقات التى عنيت بسير الصحابة والتابعين ومشاهير الفقهاء والأدباء والشعراء ، وعلى نهجهم سار من ألفوا وأرخوا حتى تسنى لنا أن نعرف أخبار من ملئوا الدنيا وشغلوا الناس من أصحاب المذاهب الفقهية والكلامية والفنية ، ومن حفظ الحديث وحمله الى الآفاق ، وطرائفهم فى الحياة ومزاولة الأعمال ومدى زهدهم وتمسكهم بالحق والدفاع عنه ، والوقوف دونه مما يعطى الحقيقة ومغزاها وجدواها ويظهر ذلك جليا اذا كنت على مذهب أبى حنيفة أو غيره من الأئمة ، وشاقك أن تعرف تاريخ صاحب ذلك المذهب فانك تحن حنينا شديدا الى معرفة حياته ، ويعتريك الشوق حتى يؤرقك ، والطلب حتى يرهقك ، فاذا وقفت على سيرته ، وعرفت جل أموره ارتبطت به ارتباط الابن بأبيه ، والأخ بأخيه ، حينئذ تجد فى صحبته أنسا وودا وسرورا ، وتتقبل آراءه راضيا بها ، مقبلا عليها حريصا على حفظها وترددها ، لأنك لا تتكلم من منطقة فراغ ، أو عالم مجهول ، وقد كنا فى عهد الصبا نذكر الزعيم ( عرابى ) ولا نجد كتابا ولا أحدا يحدثنا عنه ، فقد حالت الدولة بينا وبين القرب منه أو الجلوس اليه فى كتاب أو بحث خضوعا للقصر ، فكنا نشعر بألم ممض ، وغيظ مرهق ، فلما انتصر الشعب وزالت الغمة عرفنا ما كان خافيا ، وكشفنا ما كان محجوبا ، لذلك كان التاريخ ، وبه عرفت الأجيال المتعاقبة النافع من الضار ، والطيب من الخبيث ، ومن كانوا فى خدمة الدين والوطن ، ومن كانوا لجلب الشر والمحن ، وحكم التاريخ لا يعادله حكم ، لأنه باق مع الأيام بجانبيه المشرق والمظلم ، ومن وراء حكمه تعديل سلوك الواقفين عليه ، والقارئين له ، والمتأملين فيه ، أذكر أنى أثناء الحرب العالمية الأخيرة ضقت بالبيت ذرعا ، فخرجت منه الى شوارع القاهرة والظلام يخيم عليها حتى بلغت مسجد الرفاعى واذا

بالشيخ عبد الرحيم فودة يجلس بين المسجدين ••• ودار بيننا حديث عن المساجد وبنائها ، وانصب أكثر كلامنا على المماليك ، فمساجدهم هى الفخمة الضخمة ، بها أركان للمذاهب الأربعة ، وقلنا : انها تناهض الأهرام فى ضخامتها ومغالبتها الزمن ، وعجبنا من كثرة من يؤمها من السياح ، وعشاق الآثار ، وكان آخر حديثنا : « خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا » هذا كلام أسوقه فى صدر حديثى عن سيرة عبد الرحيم فودة ومسيرته ، ليعرف القراء شيئا من حياته فى شبابه وكهولته والأرض التى أنبتته، والعوامل التى جعلت منه شاعرا وكاتبا وعالما اسلاميا يود بجدع الأنف أن يجعل من كل مسلم قوة سلاحها الايمان والعلم ، وأن يفتح الأبصار على تراثه وما حوى ، وعلى جهاد أسلافه وما منه انطوى ويدفعهم الى أن يعودوا الى دينهم وأمجاد أمتهم ، وأسباب رفعتهم وحضارتهم ، وينأى بهم عن الثقافات الضارة الواغلة عليهم ، وأن يكونوا أبدا ذاكرين قول الله تعالى : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وفى الصفحات التالية تلك السيرة والمسيرة ، وبالله التوفيق •

## وليد دنشواى

دنشواى لم تشتهر قرية أومدينة شهرتها فى عصرنا الحديث ، ولم يكتب عن مدينة أو قرية مثل ماكتب عنها ، لأن حادثتها جعلتها فىصورة مأساة ، وبعض المفكرين يقول ان التاريخ مجموعة مصادفات ، ولست معه ، فالمصادفة وحدها لا تكفى ، فلابد من عمل ضخم يرج الأرجاء ، ويحول الركود الى نشاط ونشاط كبير فيه التصادم والانفجار المخيف سواء كان هذا من انسان أو قرية أو مدينة أو أمة ودنشواى صاولت الاحتلال فى عنفوانه ، ونازلته فى ميدانه : ميدان الصراع والدفاع ، والاستخفاف بالحياة والأحياء ، قرية صغيرة من محافظة المنوفية تتحدى الاحتلال الانجليزى (١٨٨٢ـ١٩٥٦) وتتصدى له وتذود عن العرين ضباطا مسلحين تملكهم الغرور ، وملأهم الصلف يعتقدون فىالمصريين

الجبن والخوف والفشل ، فيفاجئون بشجاعة منقطعة النظير ، وكأن الأربعة والعشرين عاما التى مرت بويلاتها وصولاتها لم تنل من بسالتهم شيئا ، وكأن أهل دنشواى لم يسمعوا عن كرومر الطاغية الذى كانت تخضع له رقاب المستوزرين وتعنو له جباه الطامعين فى المال والمناصب ، لم يخطر على بالهم حين قاوموا جنوده وأرغموهم على الفرار لذلك كبر عليه أن تمر الحادثة فى مجالها المحدود ، كبر عليه أن يكون المصرى ندا للانجليز وقريعا له ، لا يخاف رصاصه ، ولا ما وراء رصاصه من تنكيل وتقتيل • وسجن وتكبيل •

والحادثة مشهورة موصوفة لكل مصرى شدا قليلا أو كثيرا من المعرفة ، ولكل طفل جلس على مقعد فى مدرسة أو جلس فى مسجد فقد عم السخط البلاد حين وقوعها وما زلنا الى اليوم نعيد ذكراها ، وتتخذ منها درسا فى معاملة المحتل ، ومعينا ثرا فى قول الشعر وتأليف القصص والكتب والخطب ، والتمثيل مسرحيا وسينمائيا ، وتتخذ منها مبدأ لليقظة والمقاومة بعد أن ران الاحتلال على النفوس والقلوب والعقول ، فأفقد الثوار الأفكار الصارخة فى وجه الدخلاء ومصاصى الدماء حتى كانت صيحة مصطفى كامل : « لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس » وهائذا أقص عليك الحادثة دون تفصيل ، حدث فى يونية ١٩٠٦ وهمة دنشواى فى جمع الحاصلات الزراعية أن دهمها خمسة ضباط قادمين من الاسكندرية مع فريقهم الذى عسكر قريبا منها ، وأرادوا أصطياد الحمام ، وكان معهم عسكرى مصرى يترجم لهم ، ولما رآهم يريدون مزاولة هوايتهم دعاهم الى استئذان العمدة قبل ممارسة الصيد ، وبالفعل ذهب للاستئذان ولكنهم لم ينتظروه ، ولم يحفلوا باستئذان أو تفكير فى العواقب ، ولو نظروا بعين العقل لكفوا عن هوايتهم فى تلك المنطقة المليئة بالأجران والانسان ، وأى اطلاق للنيران لابد أن يحدث ما لا تحمد عقباه ، ومالهم ولهذا التعقل فأهل مصر ليسوا من البشر ، وأموالهم ومنشئاتهم تحت تصرف المستعمر ،

وقد كان ما عصر الأفئدة وأسال العيون دماء وغطى صفحات من الكتب والصحف والمجلات من يومها الى يومنا هذا •

مارسوا هوايتهم فأصابت رصاصة زوجة مؤذن القرية التى كانت تركب النورج ، وشب الحريق فى الجرن، ووقع المحذور فهاج شعب دنشواى وماج ، وحدث اشتباك ، وليس فى نية المصرى أن يعتدى ، وانما ليستولى على أداة الهلاك التى لا تعرف للحق سبيلا ، ولا للقانون دليلا • أراد أخو المؤذن أن ينتزع البندقية من الضابط (بول) ومن زميله ( بوستوك ) وتشبث كل ببندقيته خوفا من عقاب رؤسائه ، ثم هربا ولجا فى الهرب ، وكان المعتدى ( بول ) قد جرح أثناء الاشتباك جرحا صغيرا ، ومع سرعة جريه وشدة خوفه وتسلط حرارة الشمس على رأسه قضت على حياته، فضربة الشمس هى القاضية لا أهل دنشواى ، ولم يسقط صريعا فى ميدان المعركة ، ولكنه سقط فى ساحة سوق ( سرسنا ) قرب المعسكر ، وفزع جنود الاحتلال لانقاذ زميلهم فوجدوا بجواره صبيا كان يسقى ماء ، واسم الصبى (محمد سيد أحمد ) فقتلوه ، فكان شهيد سرسنا ) وما جرى لأهل دنشواى بعد ذلك كان أشد من الحادثة نكرا وأبعد أثرا أذل مصر كلها من أقصاها الى أقصاها ، فقد ركب الاستعمار رأسه ، وألغى ضميره ، وأعمى عينيه عن الحق والقانون والانسانية ، واهتزت دوائر الحكومة المصرية وفقدت أعصابها وضلت طريقها ، فجرت المحاكمة الوحشية المخجلة لبنى آدم عامة ولقضاة مصر خاصة، شكلت المحكمة المخصوصة بأمر مستشار وزارة الداخلية الانجليزى برئاسة بطرس غالى باشا وزير العدل بالنيابة ، وأحمد فتحى زغلول رئيس محكمة القاهرة وثلاثة من الانجليز، وانعقدت المحكمة فى سراى محافظة المنوفية التى تتبعها قرية دنشواى، وقبل أن تصدر المحكمة حكمها نشرت جريدة المقطم الموالية للاحتلال أن المشانق أرسلت الى دنشواى ،وبان لكل ذى عينين أن الانتقام سيكون فظيعا شنيعا •

وماذا كان حكم قضاة تلك المحكمة ؟ حكمت بشنق أربعة من الفلاحين بعد دفاع دام نصف ساعة فقط عن خمسين متهما ، وبالأشغال الشاقة المؤبدة على واحد، وبالأشغال الشاقة المؤقتة على سبعة ، وبالسجن والجلد خمسين جلدة على ثلاثة ، وبالجلد خمسين جلدة على خمسة وكان تنفيذ الحكم من أبشع مارأى الناس ، ففى ٢٨ من يونية نفذ الحكم فى المكان الذى وقعت فيه الحادثة، نصبت المشانق ، وسيق المحكوم عليهم بالشنق والجلد على مرأى ومسمع من أهالى القرية جميعا ، وأفتن المجرمون فى التنفيذ فكلما شنق محكوم عليه بالموت جلداثنان، ومندوب الحكومة المصرية وأبناء الانجليز يشاهدون ما يجرى على هؤلاء المصريين التاعسين .

أخذت هذه المأساة مكانها فى الضمير المصرى فبكى الشرفاءوضج الأحرار وقال أمير الشعراء :

نيرون لو أدركت عهد كرومر
لعرفت كيف تنفذ الأحكام

وطار الخبر الى مصطفى كامل وهو فى باريس للعلاج فهب من سرير مرضه مروعا يكتب فىالصحف ويخطب فى المجتمعات ، فاضحا بريطانيا المتحضرة التى تنشر النور للشعوب وترسى قواعد العدل ، ويدعى معتمدها كرومر أنه جاء مصر لحماية أصحاب الجلابيب الزرقاء ، وينتقل الزعيم مصطفى كامل بالقضية وجراح دنشواى وغضبة الكنانة الى ( لندن )فيكتب المقال ، ويلقى الخطاب ويحادث الصحفيين ، وكان أن استدعى الطاغية كرومر الى بلاده ترضية للمصريين وتهدئة للخواطر المهتاجة، فودع من الحكومة بالثناء ، ومن الأدباء بلعنة الكتاب والشعراء

لما رحلت عن البلاد تنفست
فكأنك الداء العياء رحيلا

قصة دامية لقرية كانت آمنة ، ومأساة مريرة لشعب جريح ، وشهرة ذائعة فى عالم يتربص بالشعوب الضعيفة ، فى مصر أنشد الموال وفى أوربا وتركيا تحدثالناس عن الاحتلال .

وفى ١٢ من يناير ١٩١٤ ابان الحرب العالمية الأولى ولد مولود

سمى ( عبد الرحيم ) فى تلك القرية الشهيرة ليكون ذلك الوليدمشهورا يحمل على الاحتلال ، ويثور ضد المحتلين ، ويجعل من لسانه وقلمه سلاحا يطعن به ذلك البلاء العظيم .

**الفتى الأزهرى**

نحن الجنود ولكن لا لطائفة
بل للمراغى كى يحمى بنا الدنيا

جمع حاشد ثائر أمام جريدة البلاغ ، وصاحب الجريدة واقف بين المتظاهرين وفتى يلبس الزى الأزهرى ينشد شعرا بدأه بهذا البيت الذى ذكرته . كان ذلك فى الأيام الاخيرة من سنة ١٩٣٧ حين كانت الحزبية على أشدها ،والخلاف بين الحكومة والقصر قد بلغ مداه والأزهريون تتخذ منهم الحكومة أعداء فتؤذيهم بالاعتداء والاعتقال وخطف العمائم ، وسألت عن الشاعر فقيل لى انه عبد الرحيم فودة الطالب بكلية اللغة العربية ، وفى الصباح قبيل دق الجرس سألت عنه مرة أخرى ، فقال الزملاء انه معك فى الفصل ، والتقينا فكنا صديقين . دخلنا هذه الكلية فى العام الذى خرجت فيه أول دفعة ، وكانت هى وكلية الشريعة فى مبنى واحد بحى عابدين فى شارع البرمونى ، أماكلية أصول الدين فكانت بحى شبرا ولم تكن الكليات تسير على التنسيق الذى نعرفه اليوم فالحرية مطلقة لطالبى العلم ، وكانت كلية اللغة تمتاز بامتحان المتقدمين لها تحريريا وشفويا ، وأغلب ظنى أن الامتحان حال بينى وبين التعرف بزملائى ، واكتفيت بمن أعرفهم من معهد أسيوط

وكان يتولى عمادة هذه الكليات الثلاث شيوخ كبار لهم فضلهم وقدرهم ، ولكل منهم سماته التى تميزه ، وكان الشيخ ابراهيم حمروش شبخنا شديدا مظهره لينا مخبره يضربنا اذا تأخرنا دقائق عن مواعيد الدراسة ، ولكنه يستمع الينا باسما اذا ناقشناه ، واذاشكونا حل المشكلة فى أناة ، واذا أخطأنا وجهنا الوجهة السديدة ، ويسأل لم نمتحن المتقدمين وقدنجحوا فى الثانوية الأزهرية ؟ فيقول : كما ينبغى ــ انهم بضاعتى التى أنزل بها الى

السوق ولابد أن تكون جيدة ، ومن هنا كانت الشدة فى الامتحان ، والقسوة فى تلقى الدروس ، وكانت الكليات الثلاث فى ود لا ينقطع ، فاذا كان الاضراب أو التظاهروجدت كلية أصول الدين معنا ، ولا فرق بين شيخ وشيخ فكنا نحب الشيخ مأمون الشناوى عميد الشريعة والشيخ عبد المجيد اللبان شيخ أصول الدين ، وكثيرا ما كان أبناء الشريعة يجدون من شيوخهم اهتماما بالنحو والبلاغة عند دراسة التفسير والحديث فيقولون : ماذا أبقينا لكلية اللغة ؟ واثنان منهما توليا مشيخة الأزهر : الشيخ الشناوى والشيخ حمروش ، كانت كلية اللغة فى نهضة بارعة والأساتذة على اختلاف تخصصاتهم جادون يعرفون طلابهم طالبا طالبا ، وكان الشيخ حمروش يهتم بالطالب عبد الرحيم فودة اهتماما كبيرا على الرغم من اشتغاله بالسياسة ، انه ثائر على الظلم والطغيان ومجافاة الدستور وسيطرة المستعمر ــ كما كان يتصوره فما ان يخرج آخر النهار من قاعة الدرس حتى يكون من أعلام الخطابة وقادة الرأى فى الأندية السياسية ومواطن التجمع ، ومقتضى هذا أن يكون تحت سمع الشرطة وبصرها ومن حين الى آخر نسمع عن اعتقاله ، وحين يطلق سراحه يقف بيننا خطيبا منددا بأخطاء الحكومة والمحسوبية الحزبية وفساد الحكم مما كان يقال فى ذلك الزمان.

والواقع أن المظاهرات واتجاه الطلاب اليها فى الجامعة والأزهر ودار العلوم وفى المدارس أيضا يرجع الى الموروث عن ثورة سنة ١٩١٩ حيث كان الطلاب يسقطون الحكومات كما كانت تقول الصحف ، ويقص علينا شيوخنا عن طالب كان فى الرابعة عشرة من عمره رأوه وسمعوه ابان الثورة أنه كان يصعد منبر الأزهر فيهزه بصيحاته فيبكى الشيوخ على ما نال مصر من جور الاستعمار الانجليزى ، ويدفع الشباب الى الثورة العارمة ، وقد وصل هذا الطالب الى الصدارة فصار وزيرا لخارجية مصر فى آخر وزارة للوفد ، فكان هذا القصص وأمثاله يغرى الطلاب بالزعامة ، ويدفعهم الى القول ، وكانت الصحف بحزبيتها توقد النار ، وتعمق النبض نحو

الاستعمار ، وكانت معاهدة ١٩٣٦ قريبة العهد ينهال عليها النقد من كل قائل ، فى البرلمان بمجلسيه ، فى الصحف المعارضة للحكومة ، وكان انشقاق حزب الوفد دافعا الى المظاهرات ، فبشائر حزب جديد فى الأفق ولا بد له من أنصار ، وكانت جريدة البلاغ وكاتبها عباس العقاد فى عداء سافر للحكومة ، وطبيعة عبد الرحيم فودة تتلاءم مع المعارضة فكان من الثوار ، وكان يود أن يثأر لدنشواى حين كان يخطب ويشترك فى المظاهرات ، أما مذهبه السياسى فلم أتبينه حينذاك وخيل الى فى وقت أنه من جماعة السعديين ثم تبين لى فيما بعد أنه لا حزب له ، وفى قرارة نفسه حسب أحاديثه عن الزعماء أنه يضمر الحب لمصطفى كامل ، وذلك الحب لا يدعوه الى الانخراط فى صفوف الحزب الوطنى ، مصر يحب كل مصرى يعمل لوطنه ، ويسعى لطرد المحتلين .

وهذه الحقبة ــ وان كان دور السياسة أبرزها ــ كان الى جانبها وثبة رائعة فى الأدب والعلم والفنون ، نطالع كل يوم كتابات الرواد العظام طه حسين والعقاد والمازنى والزيات وهيكل وأحمد أمين وزكى مبارك فنقبل عليها بالقراءة والدرس والنقد والجدال كما تقضى الميول وعبدالرحيم فودة دائم التجوال فى النوادى الأدبية يشارك فيها بالقول والسماع ، ويناظر ويفوز فى المناظرة ، ويكتب وينشر ما يكتب ، وتحسبه لذلك أنه ضل السبيل ، ضل عن درسه ومستقبله ، ولكنك اذا عاشرته وصحبته من قريب رأيت طالبا أزهريا يعكف على المصنفات دارسا وفاحصا ومتعمقا فى الفهم وله مع شروح التلخيص مواقف معدودة ، يغضب عليها حينا ، وحينا يرضى فيقول عن أصحاب الشروح يا لهم من جادين وان صبرهم على التأليف لعزيز المنال ، وكان يسخر بمن يرجع فى اجراء الاستعارة الى كتاب الجارم ، ويقول : العلم هنا يشير الى شروح التلخيص ، وكانت صلته بمدرسيه صلة التلميذ المعجب بالشيخ الممتاز يحترمهم ويلهج بذكرهم ، ولا يشاركنا فى عد هفواتهم ، وكنا نقول عنه : انه مشغول بأشياء لا تدعه يتعرف على علمهم . وقد نكون صادقين

وقد نكون واهمين ، المهم أنه يودهم ويتعلق بهم ولايداخله شك فى علمهم . وأبرز صفاته الوفاء ، ولم أجده فى حديث ما نسى الشيخ محمد عبداللطيف دراز أو الشيخ الباقورى . ولا أدخل فى تفصيلات قد لا تهم القارىء فأقص ما جرى خلال ست سنوات حفلت بدراسات جادة أثمرت ثمرا جنيا ، فكانت بضاعة اعتز بها الشيخ حمروش رحمه الله وما من شك فى أن صنيع الأساتذة فيها كان خيرا كله ولا أنسى أستاذ النحو الشيخ محمد الطنطاوى فقد كان يدربنا على القاء الدروس ، وممن أجاد فى تدربه عبد الرحيم فوده فقد ناقشناه وسألناه فكان فى مستوى من انتهى وأعد درسه ، فانشرح صدره لكل سؤال . وكنا أثناء الامتحان يمر على اللجان عميد الكلية وفى مرة منها نظر فوجد عبدالرحيم فودة يتفصد عرقا . فسأل ما بال فودة ؟ قلنا : انه مشرق ، فقال : لا انه محترق ، حياة اجتماعية طيبة فيها الرعاية والعناية وتفهم أمانى الطلاب .

وجاءت سنوات الحرب العجاف فأظلمت القاهرة ، وترددت صفارات الانذار تبلو الأجسام والأفهام ، وكم كانت المخابىء مخيفة ومزعجة ندخلها فزعين ونخرج منها ساخطين ، وكم لعبد الرحيم فودة من تعليقات : ان أوربة شر البرية فلولا مطامعهم ما دخلت فى هذا الكهف اللعين ، ان ضعفنا جر الويلات علينا ، فمتى نخرجهم من بلادنا ؟

وكانت معاركنا مع الكتب — فى نظرنا — أشد وأقصى ، وقد انتصرنا عليها وتخرجنا قبل أن تضع الحرب أوزارها ، وتعفى الانسانية من ويلاتها . ولم يعكر علينا صفو التخرج الا أننا سنفترق بعد اجتماع ، ونبتعد بعد اقتراب ، ونستقبل أياما لا ندرى ما كنهها . وذهب كل الى طريق . أما عبد الرحيم فودة فعرف الطرق جميعا ، احتضنته وزارة المعارف أولا ، ، وحظى به الأزهر أخيرا فكان من شيوخه وأعلامه .

## الأديب الألمعى

اختلف سكرتير مجلة الأزهر عبدالرحيم فودة مع رئيس التحرير أحمد حسن الزيات حول مقال عده السكرتير تملقا وعارض فى نشره، وأصر رئيس التحرير على النشر، ثم افترقا، وفكر السكرتير فى أمر الزيات، لقد كان مثله الأعلى، انه صاحب مقال « فلاحون وأمراء » به تحدى الأسرة المالكة فكيف يجامل اليوم حتى يصل الى اقرار الرياء ؟ واتهم نفسه بالخطأ فى فهم الرجل، وذهب الى منزله، ومد يده الى مجلدات الرسالة التى يحتفظ بها مزمعا التخلص منها باحراقها أو القائها فى الشارع، وأمسك بمجلد منها، فقرأ موضوعا ثم آخر ثم ثالثا. وأجل مشروعه ونام وفى الصباح أقبل على الزيات مبتسما وقال له: افعل ما شئت فلك من أدبك شفيع لا يرد، فقد زال غضبه حين استباه أدبه. وأنا أذكر تلك النادرة لأبين الى أى حد بلغ اعجاب فودة بالكلمة الأدبية، والى أى حد يجل الأدباء، انه أديب ذواقة يسحره الأثر الأدبى، ويستولى على لبه وقلبه، وكانت له حافظة واعية لا يخرج منها ما دخل فيها، وانه ليسمعنا القصائد الطوال لامرىء القيس وغيره مما يعسر حفظه لكثرة الألفاظ الغريبة فيها، وكانت نظرته فاحصة لاقطة تميز الجيد من الردىء، والبلاغة من المبالغة، له محفوظه من الشعر والنثر، ومن حفظ أدب التراث شعره ونثره حصلت له ملكة قادرة على التعبير بلغة مضر كما يقول ابن خلدون ونحن لسنا من نبت الصحراء على عهد العرب العرباء، انما نحن نتعلم اللغة تعلما، ونحصلها تحصيلا، والعوائق تترامى حولها من العامية بأزجالها وشعرها وتمثيلياتها ولغة التخاطب بيننا بهماء، ومن اللغة الأجنبية التى تزاحمها، وما يترجم بأسلوب سقيم له أثره فى فساد اللسان العربى. لكن عبدالرحيم فوده نكب عن كل هذا جانبا، لم يعط أذنه للعامية، ولم يفتح عينه على الشعر العامى والأزجال بل حرص على الجيد من عيون الشعر، والبليغ من مختار النثر، وهو كثير وجده فى الأدب القديم والأدب الحديث فلزمه طويلا وحمى نفسه من الشعر

الفلسفى عملا بنصيحة البحترى ، فيغنيه أن يحفظ للفحول من شعراء الجاهلية والفحول من العصر الأموى والعباسى ولا ضير عليه اذا اختار من كل عصر ما يتفق وذوقه ، أما فى الحديث فله من شوقى والزيات مايغنيه ويرضيه ، وليس معنى هذا انه حبس نفسه عليهما وانما معناه أنه اتخذهما رفيقين وغيرهما معارف، ولكنى حين أنظر الى شعره ونثره أرى له شخصية متميزة فى الأداء عنهما ، وليس معنى هذا أيضا أنى أفضله عليهما ، وانما أذكر خصائص تميز بها هو عنهما ، فتأليف العبارة عنده موسيقية دائما ، وليس ذلك من صنيع السجع والازدواج والتجنيس انما يرجع فنه الى مجىء العبارة على توقيع انفعالاته ولحن فؤاده ، وانطلاق نفسه على سجيتها؛ فلا اكراه للفظ ، ولا غوص على معنى لا يقتضيه المقام ، ولا رصد لفكرة لا تكون من مبانى القصيدة أو المقالة وظنى فيه أنه حفظ القرآن وأطال النظر فيه ، والتأمل فى معانيه وتراكيبه فطبع أسلوبه هذا الطابع ذا الأداء المتميز الذى هو فى الشعر أنغام وألحان ، وفى النثر زقزقة عصفور جذلان ، وله موهبة نقية صقلها بروافد الآداب وغذاها بنتاج العلوم وروائع الفنون فهو يضع المعنى فى وعاء لطيف شفيف ، والكلمات القرآنية تزيده تأنقا ، وايمانه بما يقول يبعث فى أسلوبه الحرارة والحركة والحرية والانطلاق .

وكثيرا ماأثرته ليعود الى نظم الشعر وله فيه القِدْح المعلى ، فيقول : الشعر انقضى زمانه ، ولا مكان له فى عصر العلم والكشوف ، فالكتابة لها القدرة على السباق . أما الشعر فيجىء متأخرا ، وقد يحلم بحياة البداوة حين يعبر عن مطالب الحضارة ، وهو رأى قد تخالفه فيه. ولو نظرت الى شعره لرأيته من الطراز الراقص الأخاذ ، وخسارة ألا يجمع فى ديوان ، وهذه قصيدة من شعره أقدمها بين يديك نموذجا لتقرأها ، ويقينى أنك سترى فيها مصداق ما قلت ، ومناسبة القصيدة تفهمها من أبياتها ، فمن قيلت فيها كانت طلبته ، لتكون شريكة حياته ولكنها كانت لها تطلعات نحو الجاه

والمـال ، وهو على خلافها لا يرى للجاه والمال سلطانا على مسلكه، وقد نظمها وطواها كما طوى حبه ، ولكنى أخذتها من غير علم منه ونشرتها فى مجلة الصباح ( ١٣ فبراير ١٩٤٢ ) وحين قرأها لم يرض ولم يسخط كأنه لا شأن له بها : قال ،

سأنساها وأبحث عن سواها
فلست بطالب ذهبا وجاها
بذلت لها الهوى صفوا فضنت
على، وباعدت عنى هواها
وصورت الحياة كما أراها
فصورت الحياة كما تراها
مناها من تعلمها نضار
تجمعه وتكثر من حلاها
ومهوى نفسها قصر منيف
تشيده ليسكنه سواها
فلا تعتب اذا أغضيت عنها
ولا تعجب اذا قلبى سلاها
فقد كانت كما أحببت ( ليلى )
ترى فى حبها ( قيسا ) غناها
وكنت أريدها زوجا وحسبى
من التعليم ــ لوعلمت ــ نهاها
فغير رأيها رأى جديد
وكدر صفوها نجح زهاها
ولجت فى تحررها وخلت
ديار الحب تنعى من بناها

ألست معى فى أن هذا الشعر يستحق القراءة والدرس ؟ ألا ترى أنه يمثل صورة قائله النفسية ؟ انه يرفض مفهوم الحب عندها ، كان يريدها انسانا فوق المادة ومظاهر الحياة الكاذبة ، يريدها مطبوعة بطابعه ، ترى فى الحب حياتها وصفوها فكانت على النقيض منه تماما ؟ لذلك كان البدء عنيفا حاسما، وأى عنف أشد من النسيان والبحث عن سواها فى آن واحد ، وبعد أن وضح موقفه منها، وجلا رأيه ورأيها حملها تبعة ما أقدمت عليه ، فقد غيرت رأيها وهى المتعلمة :

ولجت فى تحررها وخلت
ديار الحب تنعى من بناها

وقد يجول فى خاطرك أن تضع كلمة « تحررها » ولكن بقليل من التأمل ندرك أن الشاعر وضع الكلمة المناسبة فى مكانها ، لأن ضياع حبها جاءها من مفهوم الحرية التى سيطرت

على عقول الفتيات بعـد أن تعلمن وقرأن الروايات والقصـص وطغت عليهن الحياة المـادية واذا بحثت عن الخصائص الفنية فى تلك الأبيـات راعك منهـا الارتباط بين أبياتهـا مما يعطى وحدة فنية لها الاسم والسمات مع المقـابلات فى معظم الأبيـات والتوازن بين الشطور ، وتلك القافية الهائية ذات المد الملائم لغصة الشاعر وحزنه المكظوم .

**اقرأ معى :**

بذلت لها الهوى صفوا فضنت
على ، وباعـدت عنى هواهـا

بذل هو الهوى وبخلت هى عليه به ، وباعدته عنه . وما الاختلاف ؟

وصـورت الحياة كما أراها
فصورت الحيـاة كما تراهـا

فلا تعتب اذا أغضيت عنهـا
ولا تعجب اذا قلبى سـلاها

فترى التقابل والتوازن ، وتقارب الحروف فى الكلمات مما ترضـاه العاطفة ، ويقصد اليه الفن الشعرى الصادق ، وقد كان الشاعر السـيد حسن القاياتى يعجب بشـعر فودة ويستنشده اذا زرناه، ولفودة ديوان طبعه وهو فى المعهـد الدينى صدر بيتين للشاعر القاياتى فيهما اعجاب بشـعره ، وكنا معا فى حفـل تأبين الشاعر الهراوى حيث ألقى الشاعر أحمد الزين قصـيدة بدأها بقوله « أودع صحبى صاحبا بعد صاحب وبعد انتهـاء الحفل صـحبناه الى منزله ، فطلب الى عبد الرحيم فودة أن يسمعه شيئا من جديد شـعره فأنشده ، وقضيت وقتا لا ينسى فى الاستماع الى الشـاعرين ، ووقفنا طـويلا عنـد قول الزين عن دعاة التجديد « هم جدرى الشعر آذوا جماله » لأن كلمة ( جدرى ) هزتنا هزا عظيـما ، وعجبنا كيف يدخـل الجـدرى الشعر ؟ ولكن فودة آبى أن يعود الى الشعر ؛ لذلك أعـود الى ما قلته سابقا عن أسلوبه المتميز فى النثر وأزيد على ماذكرت أن حفظ القرآن الكريم والتأثر به قد سبقه اليه كتاب تميزت أساليبهم بالرشاقة والأناقة والنغم الحـلو والاحتفـال باللفظ والمعنى جميعا ، وقـد كانوا طـلابا فى الأزهـر مثـله وطبعتهم الدراسة الأزهرية على النهج الجميل حين أشربوا حب الأدب وتمرسـوا

بالكتابة نذكر منهم على سبيل المثال: مصطفى لطفى المنفلوطى، وعبدالعزيز البشرى والزيات وطه حسين فاشراقاتهم راجعة الى تأثرهم بالقرآن ومعرفة أساليبه ، ولكل منهم أسلوبه الفريد فى بابه ، ونظرة عامة الى نتاجهم نريك طريقة كل فى الأداء ، وأديبنا عبد الرحيم فودة لم يبك كما بكى المنفلوطى ، ولم يسزح كما مزح البشرى، ولم يلتزم هندسة الأسلوب كما هندس الزيات ، ولم يكرر كما كرر طه حسين ، وانما كان الجد سبيله ، والكلمة توضع مكانها ولا تفسر بمترادف ، ولا يجعل للاطناب والتزام الزينة سبيلا على أدبه ، وأنا أفسر ذلك بطول اشتغاله فى الصحافة وكتابة المقال الأدبى حسب تطوره الحديث وأبرز سماته الايجاز ، وينسحب ما نقوله على المقال الصحفى والاجتماعى ؛ لأن الكاتب يجزىء موضوعه الى أفكار يجعل لكل فكرة مقالا .

وايجاز(١) المقال راجع الى أن الحياة الحديثة أثرت فى التناول الأدبى تأثيرين متباينين : فهى توحى بالتحليل والتفصيل نتيجة لاستمرار النمو والنشاط العقلى ، والكشف الفكرى مما يقتضى أن يتشعب الموضوع ويتطور . على أن السرعة الملحة فى الحياة الحديثة وكثرة الأعمال وتزاحمها تقتضى أن تكون المقالة قصيرة مضغوطة حتى يتسع الزمن لها . ويسير الاتجاهان جنبا الى جنب بتناول الموضوع الواحد من عدة نواح ، كل ناحية فى مقالة قصيدة ، ومهما كان المقال الأدبى قصيرا فان أثره عميق يبقى فى خلد قارئه .

ومقالات عبد الرحيم فودة يغلب عليها هذا الطابع ، ويميزه عن كتابة سواه ، ولنأخذ مقالا من مقالاته لنطبق عليها ماقلناه وليكن « قرآن الفجر » من كتاب «كلمات قرآنية» .

واذا شق الصبح بضيائه ظلام الليل الذاهب كان ذلك هو الفجر الذى أقسم الله به ليثير فى نفوس المؤمنين الحرص على الصلاة فيه فالمراد بقرآن الفجر فى قوله تعالى :

---

(١) النقد والبلاغة للدكتور مهدى علام وزميليه .

« أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا » هو الصبح وقد عبر عنها بالقرآن وهو القراءة ؛ لأنها لا تصح بدونها فهى ركن من أركانها .

وهذه الصلاة فى هذا الوقت تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار ، فاذا أديت فى جماعة كان شأنها أعظم ، وأمرها أكرم ، فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الصبح وفى صلاة العصر ، فيعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم . كيف تركتم عبادى.. ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون . وهكذا نجد قيمة هذه الصلاة ، وما يقرأ فيها عندما ننطلق صوت المؤذن مع انطلاق النور بندائه المعبر عن جلال الله .

انها التعبير الصادق فى الفجر الصادق ، عن شعور المؤمن بالبعث والحياة بعد الوفاة ، فان النوم موت ، واليقظة بعث ، كما يفهم من قول الله جل شأنه : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون » ولعل مما يؤيد هذا الفهم قول النبى صلى الله عليه وسلم : والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون . انها براعة استهلال أن يستقبل المؤمن نهاره بصلاة الفجر . وبما ينبغى لله من ذكر وشكر ، وصدق الله اذ يقول : ( وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا » .

فكاتبنا عبد الرحيم فودة كتب هذا المقال الموجز ، وقد سار فيه على النهج الحديث ، فمقاله ذو فكرة وهو الدعوة الى الحرص على أداء صلاة الصبح ، ويثير فى نفس القارىء المسلم الحماسة فى أدائها يوضح ويحلل ويفصل ويعلل لما يقول ويستشهد ، حتى يصل

الى ما يرومه من بعث المؤمن على أن تكون همته فى الاستجابة لنداء الله، ومع أنه مقال موضوعه دينى فقد جعل الأناقة فى الأسلوب سبيله الى التأثير ، فقد بدأ المقال بدءا موفقا بقوله : « اذا شق الصبح بضيائه ظلام الليل الذاهب كان ذلك هو الفجر الذى أقسم الله به .. » وهنا يتذكر القارىء قول الله تعالى ، « والفجر وليال عشر .. » فتصحو فى نفسه رغبة فى أن يتابع المقال ، فاذا تقدم فهم المعانى التى تؤكد له رغبته من قرآن يأمر بالحرص على أداء تلك الصلاة ، وهويوضح معنى « قرآن الفجر » بأنه القراءة فىصلاة الصبح لأنها لا تصح بدونها فهى ركن من أركانها ، وما أجمل أن يفهم المؤمن فضيلة تلك الصلاة التى يجتمع لها ملائكة الليل وملائكة النهار ، فاذا بلغ هذا تحدث عن النوم واليقظة ، وانتقل انتقالا شعوريا بقوله : « انها براعة استهلال أن يستقبل المؤمن نهاره بصلاة الفجر، وبما ينبغى لله من ذكر وشكر» وبذلك بلغ التأثير مداه ، وقر فى النفس أن الفلاح كل الفلاح فى المبادرة الى أداء تلك الصلاة حسب أمر الله ، ويزيد المرمى رسوخا الاستشهاد بالقرآن الذى ختم به المقال.وبذلك يكون الكاتب قد نجح فيما قصده، وألفاظ المقال وعباراته من الوضوح بحيث يشف كل لفظ عن المعنى بتآخيه مع مناسبه من الألفاظ .

**السيد حسن قرون**

---

قال الحسن البصرى رحمه الله : يا ابن ادم اذا رايت الناس فى الخير فنافسهم فيه واذا رأيتهم فى الشر فلا تغضبهم فيه ، الثواء ههنا قليل والبقاء هناك طويل .

* * *

قال على رضى الله عنه : كفاك من عقلك ما اوضح لك سبل غيك من رشدك .

# صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

## جزيرة الروضة (١)

— ١٣ —

ذكر المقريزى فى خططه أن جزيرة الروضة أقدم الجزر فى نهر النيل . ولعله يعنى فى مواجهة العاصمة لا نهر النيل كله . فجزيرة الروضة كانت موجودة عند انفتح العربى سنة ٢٠ هـ ( ٦٤١ م ) أما غيرها من الجزر مثل جزيرة الزمالك وجزيرة الذهب وغيرهما فقد نشأت فى الاسلام .

وهى على شكل بيضاوى تقريبا . أو كما ذكر على باشا مبارك أنها على شكل مركب مستطيلة الشكل من الشمال الى الجنوب . والمسافة الآن بين طرفها الشمالى عند فندق الميريديان وبين طرفها الجنوبى عند المقياس ٣٢٠٠ متر تقريبا . وهو طول الجزيرة . كما أن عرضها فى وسط هذه المسافة من فرع النيل الشرقى الى فرعه الغربى ٦٠٠ متر تقريبا . وهذه الأطوال قريبة مما ذكره على مبارك . وهى تعطينا مساحة ٣٠٠ فدان تقريبا .

ولم يكن هذا عرض الجزيرة قديما . فعند الفتح العربى كان الفرع الشرقى للنيل أقوى وأكبر الفرعين . وكان جامع عمرو بالفسطاط عندما أنشىء . وقصر

---

(١) من بحث وخريطة للمؤرخ محمد بك رمزى نشر بمجلة العلوم سنة ١٩٤٢ م ونشره الدكتور عبد الرحمن زكى فى كتابه القاهرة طبعة سنة ١٩٤٣ .

الشمع ( حصن نابليون ) يطلان على النيـل • والآن يبعد جامع عمـرو ٥٢٥ مترا تقريبـا • ويبعـد حصن نابليون ٤٥٠ مترا تقريبا عن مجرى النيل بهذا الفرع •

ثم تحول هذا الفرع الشرقى غربا على دفعـات حتى القـرن السادس الهجرى ( ١٢ م ) • ومن هذا التاريخ ثبت على حاله فى مجـراه الحالى • بعد أن خلف من هذا التحول أراضى بأحياء نعرفهـا الآن بأسـماء القصر العينى وجـاردن سـيتى والمنـيرة وميدان التحرير وباب اللوق وغيرها•

وكان الفرع الغـربى للنيـل فى المسافة بين كوبرى الجيزة ( عباس سابقا ) وكوبرى الجامعة يبعد أيضا غربا من مجـراه الحالى مسافة من ٣٥٠ الى ٥٠٠ متر • حيث كان مجراه السـابق فى موقع حدائق الحيوان والأورمـان شرقى كليتى الزراعـة والهندسة بجامعة القاهرة •

أما الجزء الجنوبى من هذا الفرع الغربى غربى جزيرة الروضة• المواجه لبندر الجيزة • فلم يغير مجراه منذ الفتح العربى •

وظل هكذا مجرى الفرع الغربى شـمال كوبرى الجيزة حتى عهـد الخديوى اسماعيل • فأمر بتحـويل مجـرى النيـل شرقا الى موقعـه الحالى • وتم هذا التحويل فى المدة من سنة ١٨٦٣ ــ سنة ١٨٦٥ م • وردمت شركة فرنسية الجزء المتخلف من هذا التحول • وأنشأ اسماعيل فى هذا الجزء سراى الجيزة • وشمالا منها حدائق الأورمان (الغابة) (١) •

ومنـذ القرن السـابع الهجرى ( ١٣ م ) • بدأ النيل يقوى مجراه فى الفرع الغـربى • كما يضعف فى فى الفـرع الشرقى المواجـه لمدينة الفسطاط حتى كاد هذا الفرع يجف تقريبا فى أيام التحـريق • ويخاض بين الفسطاط والجزيرة سـيرا على الأقدام •

ولاقى النـاس فى ذلك مشـقة كبيرة • فقد بعد مأخذ المـاء عنهم•

---

(١) من بحث وخريطة للمؤرخ محمود بك رمزى نشر بمجلة العلوم

فكانوا يستقون من الفرع الغربى • فارتفع أجر السقايين • وتضاعف ثمن رواية الماء ثمانية أضعاف •

فاهتم الناصر محمد بن قلاوون • ومن تلاه من السلاطين بعلاج ذلك بالحفر فى الفرع الشرقى أيام التحريق والقاء حمولة مراكب عديدة من الأحجار وغيرها فى الفرع الغربى ليضعف سير الماء فيه ويتحول بعضه الى الفرع الشرقى • وقد تحقق هذا الى حد ما •

ولكن ظل هكذا حال الفرع الشرقى • لا تتصل فيه المياه أيام التحريق على الدوام • بل تجف فى بعض السنين • واستمر هذا حتى العصر الحديث • فقد ذكر أمين باشا سامى (تقويم النيل جـ٣ ص ١٢٣٨) صورة أمر من الخديوى اسماعيل سنة ١٢٩٠هـ ( ١٨٧٥ م ) منطوقه كالآتى :

| بارة | قرش | كيسة | مليم | جنيه |
|---|---|---|---|---|
| ٧ | ٣٤٢ | ٥٧ | ( ٣/٤ | = ٢٨٨,٤٢١ ) [1] |

تكاليف القناية التى صار اعمالها لتوصيل مياه القصر بجهة القصر العالى والاسبتالية [2] •

| بارة | قرش | كيسة | مليم | جنيه |
|---|---|---|---|---|
| ٣١ | ١٤٣ | ١٨ | ( = | ٩١,٤٣٧ ٣/٤ ) |

نولون ومصاريف وابور قنا وصندل معه فى نقل مهمات ومفروشات ومرضى الاسبتالية الى قصر النيل [3] •

قد علمنا انهى ( انهاء ) وكيل المالية رقم كذا والأوراق مرفوقة أنه فى توتى ( أى توت أول السنة القبطية وكان التقويم القبطى متخذا أساسا لحسابات الحكومة من سنة ١٨٣٩

(١) الكيسة خمسة جنيهات . والقرش عشرة مليمات . والبارة ربع مليم . فيكون القرش اربعين بارة .

(٢) الاسبتالية من الكلمة الافرنجية Hospital هى مستشفى القصر العينى القديم . والقصر العالى موقعه كان بالجزء الجنوبى من جاردن سيتى حاليا . والقصر العالى من انشاء ابراهيم باشا بن محمد على . وهو والد اسماعيل . وكان القصر سكن والدة اسماعيل .

(٣) كان قصر النيل شمال الكوبرى الحالى بموقع جامعة الدول العربية وفندق هيلتون .

بأمر محمد على ) عند شحة ( من شحيح أى قليل ) مياه البحر المارة تحت رصيف الاسبتالية • وتغييرها بسبب عدم اتصال المياه بعضها من جهة المقياس بمصر القديمة لغاية فم الخليج • وكون المياه التى تلزم للشرب بجهتى القصر العالى والاسبتالية مما يلزم لعمل الأدوية هى من تلك المياه • فبمقتضى تصريح الداخلية صار اعمال قناة لتوصيل المياه لبعضها واصلاحها • وبلغت تكاليفها ٥٧ كيسة وكسور • كما أن فى سنة ٩١ ( أى السنة الهجرية السابقة ) لمناسبة الفرق الذى حصل بالاسبتالية لما اقتضى الحال نقل مهمات ومفروشات ومرضى منها صار استخدام وابور وصندل قنا ••الخ•

من هذا يفهم حال الفرع الشرقى للنيل بجوار جزيرة الروضة •

وللاستطراد نذكر أنه كما أن الفرع الشرقى للنيل بجوار جزيرة الروضة أضعف الفرعين • فان الفرع الغربى للنيل بجوار جزيرة الزمالك هو أضعف الفرعين • وجزيرة الزمالك لم تصبح جزيرة بالمعنى الصحيح الا منذ الربع الأخير من القرن الماضى • فالفرع الغربى للنيل هناك ــ وكان هذا الفرع يسمى بالبحر الأعمى لم يكن موجودا على الدوام • بل كان يمتلىء أثناء الفيضان • ثم يفيض (بالغين) ويجف أيام التحريق • ولعل هذا سبب تسميته بالبحر الأعمى • فالبحر اذا فقد منه الماء أصبح كالعين اذا فقد منها الابصار •

ثم أمر اسماعيل سنة ١٨٧٣ بحفره وتعميقه • وأنشأ عليه سنة ١٨٧٧ الكوبرى الذى نعرفه الآن باسم كوبرى الجلاء مقابل كوبرى قصر النيل الذى أنشىء سنة ١٨٧٢ على الفرع الشرقى لجزيرة الزمالك•

وكوبرى الجلاء كان اسمه عند انشائه كوبرى البحر الأعمى ثم عرف بكوبرى الانجليز لأنهم جددوه سنة ١٩١٤ وكان لهم معسكر هناك أثناء الحرب العالمية الأولى • ثم اشتهر بكوبرى بديعة لوجود كازينو للفنانة بديعة مصابنى محل فندق شيراتون الحالى • ثم عرف بعد ثورة سنة ١٩٥٢ باسمه الحالى كوبرى الجلاء ليقابل كوبرى قصر النيل •

الذى أطلق عليه كوبرى التحرير • والذى بعد ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ أطلق عليه كوبرى جمال عبد الناصر لتخليــد ذكراه • غلب الاســم القــديم • ولا يزال الجــارى على ألسنة الناس كوبرى قصر النيل •

ومنذ الربع الأخير للقرن المــاضى أمكن ما يسمى بتهــذيب النهــر • فثبت نهر النيل على أوضاعه الحالية مقابل العاصمة بدون تغيير •

**اسماء جزيرة الروضة وعهد عمرو ابن العاص :**

وعرفت جزيرة الروضة عند الفتح باسم الجزيرة • وباسم جزيرة مصر • وأما اسم الروضة فلم يرد الا بعد ما يقرب من الخمسة قرون • كمــا سيرد ذكره • وكان للجــزيرة دور بارز منذ الفتح الاسلامى كماسيتضح فى هذا المقال باذن الله •

فعندما اشتد ضغط المسلمين على حصن نابليون ( قصر الشمع ) انتقل المقوقس عظيم القبط ومن معه من جموع الروم والقبط الى الجزيرة • وســقط الحصن بأيدى المسلمين فى أول المحرم سنة ٢٠ هـ ( ٢١ ديسمبر سنة ٦٤٠ م ) • ثم تم الصلح كما هو معروف • وأعطاهم عمرو بن العاص عهدا قال فيه :

( بسم الله الرحمن الرحيم • هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم • وملتهم • وأموالهم • وكنائسهم • وصلبهم • وبرهم • وبحرهم • لا يدخل عليهم شىء من ذلك • ولا ينتقض • ولا تساكنهم النوبة • وعلى أهل مصر أن يعطو الجزية اذا اجتمعوا على هــذا الصــلح • وانتهت زيــادة نهرهم خمسين ألف ألف • وعليهم ما جنى لصوتهم ( لصوصهم ) • فانأبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزية بقدرهم • وذمتنا ممن أبى بريئة • وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى• رفع عنهم بقدر ذلك • ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليه • ومن أبى منهم واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطانه • عليهم ما عليهم أثلاثا • فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما فى هذا

الكتاب . عهد الله وذمة رسوله . وذمة الخليفة أمير المؤمنين . وذمم المؤمنين . وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا . وكذا وكذا فرسا . على ألا يغزوا . ولا يمنعوا من تجارة صادرة أو واردة ) . وشهد عليه الزبير بن العوام وابناه عبدالله ومحمد . وكتبه وردان مولى عمرو بن العاص (النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ج ١ ص ٢٤ ) .

والمعروف أنهم اجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران عن كل نفس شريفهم ووضيعهم . ممن بلغ الحلم . ليس على الشيخ الفانى . ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم . ولا على النساء شيء . وعلى أن للمسلمين حق النزل بجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل على ضيف أو أكثر من المسلمين كانت لهم ضيافتهم ثلاثة أيام مفترضة عليهم . وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يتعرض لهم فى شيء منها .

ويبدو أن هذه الجزية غير الخراج الذى كان يفرض على القرى بواقع حالتها ويتغير من سنة لأخرى . ولا نتعرض هنا لتفصيل هذا ولا للخلاف بين المؤرخين هل فتحت مصر عنوة أو صلحا . وأثر هذا فى فرض الضرائب . فهذا موضوع آخر . ولكن يهمنا هنا ما ورد فى عهد عمرو بن العاص من ربط استحقاق الجزية أو الخراج بوفاء النيل . وهذا ما دعا لاثبات وفاء النيل فى كل العصور الاسلامية لشرعية جباية الخراج .

وكان مقياس النيل بجزيرة الروضة هو الحكم فى اثبات هذا الوفاء .

**دار الصناعة والحصنى :**

أنشئت فى الجزيرة دار الصناعة سنة ٥٤ هـ فى ولاية مسلمة بن مخلد الانصارى وخلافة معاوية بن أبى سفيان .

والمقصود بدار الصناعة صناعة السفن البحرية بنوعيها الحربية والتجارية . ولكن اهتمام الدولة كان لانشاء السفن الحربية . وهو المقصود بدار الصناعة .

وقد حرف العامة لفظ دار الصناعة الى ترسانة . كما تحول اللفظ الى

اللغات الأوروبية . فكلمة أرسينال ORSENAL معناها مخزن للأدوات الحربية .

وفى سنة ٢٦٣ هـ ( ٨٧٦ م ) فى خلافة المعتمد على الله بن المتوكل على الله العباسى ( ٢٥٦ — ٢٧٩ هـ ) حصلت جفوة بين الموفق طلحة أخى المعتمد وبين أحمد بن طولون الوالى على مصر .

وموجز خبر هذه الجفوة أن المعتمد جعل ولاية العهد بعده لابنه المفوض . وبعد المفوض لأخيه الموفق طلحة . وقسم بينها أعمال الدولة . فجعل لابنه المفوض الأقطار العربية بما فيها مصر . ولأخيه الموفق الأقطار الشرقية . وعلى كل منهما نفقات جهاته . وحرر بينهما عقدا بذلك علقه بالكعبة .

وكان المعتمد سادرا فى شهواته غير ملتفت لشؤون الحكم . فتسلط أخوه الموفق على الدولة . وكانت كل أمورها فى يديه . وقامت فى هذه الأثناء ثورة الزنج بالبصرة . يقودها شخص يدعى الانتساب الى العلويين . واستفحل أمره . واشتد بأسه . وهزم جيوش الدولة عدة مرات . وشغل الموفق بمحاربته ما يقرب من العشرين عاما ( ٢٥٥ — ٢٧٦ هـ ) حتى تغلب عليه .

واحتاج الموفق للمال لما استلزمته هذه الحروب من نفقات . فأرسل الى أحمد بن طولون يستمده . فأرسل اليه ١٫٢٠٠٫٠٠٠ مليونا ومائتى ألف دينار . فاستقلها الموفق . فأرسل يوبخه بعبارات شديدة . لم يتحملها ابن طولون . فرد عليه بعبارات أشد أنه لا يقع فى دائرة نفوذه . وليس عليه أى التزام له بل التزامه لصاحب الأقطار الغربية . وهو المفوض بن المعتمد . وكان المعتمد أرسل فى نفس الوقت لابن طولون يطلب الخراج . وما اعتاد ارساله معه من هدايا وألطاف . وكتب اليه سرا يحذره من رسول الموفق أنه عين عليه . وأن الموفق أرسله يكتب لبعض القواد والأعيان .

وتحقق لابن طولون هذا . وعاقب هؤلاء القواد والأعيان . وساء ما بينه وبين الموفق . واغتاظ الموفق . فكلف موسى بن بغا . وهو أكبر

قواد الدولة قوة وجاها ومركزا بمحاربة ابن طولون وتولية آخر خلفا له .

وأكرب أحمد بن طولون هذا الأمر . لا عجزا عن مقاومة ابن بغا . ولكن لما تظهره هذه المقاومة بمظهر العاصى . وكان رجلا بعيد النظر فرأى أن يحمى نفسه وماله . فأنشأ فى الجانب الشرقى من الجزيرة حصنا نقل اليه حريمه وأمواله وذخائره . كما أرسل سفنا تسد مدخل النيل عند دمياط خوفا من أن يؤتى من البحر المالح . ومنع السفن من نقل المؤن والغلال من الصعيد حتى لا تقع فى يد الجيش الهاجم فينتفع بها .

واهتم ابن طولون بهذا الحصن حتى تم فى أقصر وقت . وأراد الله له الخلاص من هذا المأزق . فقد تلكأ ابن بغا فى الشام فى قصد ابن طولون لما عرف عنه من القوة والمنعة وشدة المراس . ثم مرض ابن بغا وتوفى قبل أن يتوجه الى مصر .

وقيل أن من الأسباب التى دفعت ابن طولون الى تحصين نفسه بانشاء هذا الحصن ، أن الموفق أراد أن يشغل باله ، فكلف من سرق نعل ابن طولون من مكان كان يبيت فيه مع احدى سراريه . وأرسل اليه النعل قائلا : قد كلفنى الحصول على هذا النعل خمسين ألف درهم . ولو أردت لقتلتك فقد تمكنت منك . وكان الحصن المذكور دار الصناعة .

وعرفت الجزيرة من ذلك التاريخ علاوة على أسمائها السابقة بجزيرة الحصن .

**بستان المختار واسم جزيرة الروضة**

وظل الحصن حتى عهد محمد بن طفج الأخشيد فى ولايته الثانية ( ٣٢٣ — ٣٣٤ هـ ) .

فقد رأى الأخشيد أن موقع دار الصناعة فى جزيرة الروضة ليس استراتيجيا . ما دام يحول بينه وبين البلاد الماء . فأنشأ دارا للصناعة بالفسطاط سنة ٣٢٥هـ (٩٣٦/٩٣٧م) مقابل جزيرة الروضة .

فأهمل شأن الحصن . وأنشأ الأخشيد بجواره بستانا كان ينتقل اليه للنزهة . ويسمى البستان المختار .

وبالروضة الآن شارع اسمه شارع المختار . يصل بين فرعى النيل الشرقى والغربى . وهو جنوبى

كوبرى الملك الصالح بحوالى ٤٠٠ متر تقريبا . وفى النهاية الشرقية لهذا الشارع شجرة المندورة . وسيأتى ذكرها باذن الله .

وقال المقريزى ( الخطط جـ ٢ ص ١٧٨ ) : ولم يزل هذا الحصن على الجزيرة حتى أخذه النيل شيئا بعد شيء . وقد بقيت منه بقايا متقطعة للآن ١٠ هـ . والمقريزى توفى ٨٤٥ هـ ( = ١٤٤١ م ) .

وفى هذا ما يتفق مع ما ذكرناه فى أول المقال عن تحول الفرع الشرقى للنيل غربا . أى أن جزءا من هذا الحصن ودار الصناعة كان فى مجرى الفرع الشرقى للنيل وفى موقع شارع كورنيش النيل المؤدى الى المعادى وحلوان .

وظل بستان المختار متنزها للأخشيد ومن بعده من أسرته حتى استولى الفاطميون على الحكم فى مصر ( ٣٥٨ ــ ٥٦٧هـ = ٩٦٧ ــ ١١٧١ م ) فكان أيضا متنزها للمعز وابنه العزيز ومن بعدهما من الخلفاء حتى عهد الآمر بأحكام الله الفاطمى ( ٤٩٥ ــ ٥٢٤ هـ ) . وكان المستولى على الحكم فى صدر دولته وزيره الملك الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى . فأنشأ فى شمال الجزيرة بستانا سماه الروضة. فعرفت الجزيرة باسم جزيرة الروضة وغلب هذا الاسم على غيره من الأسماء .

**الأسطول المصرى :**

واهتم الفاطميون بصناعة السفن الحربية ففضلا عن دار الصناعة التى كانت بجزيرة الروضة . ودار الصناعة التى أنشأها الأخشيد بالفسطاط فقد أنشأوا دارا ثالثة للصناعة بالمقس .

والمقس كانت عند جامع أولاد عنان[1] بشارع الجمهورية حاليا بالقرب

(١) جامع أولاد عنان اصلا من انشاء الحاكم بأمر الله الفاطمى فى أواخر القرن الرابع الهجرى ( ١٠ م ) . ثم جدده الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى سنة ٧٧٠ هـ فنسب اليه ثم عرف بجامع أولاد عنان عندما اقام فيه الشيخ محمد بن عنان واخيه الشيخ عبد القادر . وقد ذكرهما الشعرانى فى طبقاته ( جـ ٢ ص ١٣٠ و ص ١٣٨ ) وقال : سيدى محمد بن عنان كان من الزهاد العابدين والأولياء الصالحين له كرامات عديدة . واطال الشعرانى فى ذكر هذه الكرامات وتوفى الشيخ محمد سنة ٩٢٢ هـ ودفن بالجامع

من ميدان رمسيس • وكان النيل وقتذاك يجرى خلف الجامع المذكور بموقع شارع عماد الدين تقريبا •

وأصل منطقة المقس قرية كانت هناك عند الفتح العربى اسمها أم دنين موقعها الآن كتلة المبانى بين شارع كلوت بك وشارع ابراهيم باشا وشارع باب البحر عند ميدان رمسيس • وقد لاقى العرب هناك عند الفتح بعض المقاومة • وقيل أن اسم المقس مشتق من المقسم حيث قسم العرب هناك غنائم الحرب • وقيل من المكس أى الجمارك التى تجبى على التجارة •

وكان للفاطميين هناك منظرة يجلس فيها الخليفة لتوديع الأسطول عند خروجه للغزو • أو لاستقباله عند عودته • وكان الأسطول يخرج من هناك فى النيل الى فرع دمياط ثم الى البحر الأبيض •

وبلغت عدة قطع الأسطول المصرى فى عهد المعز لدين الله الفاطمى ٦٠٠ قطعة •

وفى الروضة شارع اسمه شارع دار الصناعة يتفرع من شارع الروضة على يسار القادم من كوبرى الملك الصالح •

**الهودج :**

وكان الآمر بأحكام الله الفاطمى صغيرا عندما تولى الحكم سنة ٤٩٥ هـ • فقد كان طفلا ابن خمس سنين • فلما كبر ضاق بتسلط الأفضل عليه وعلى شئون الدولة فدبر مؤامرة قتل فيها الأفضل فى عيد الفطر سنة ٥١٥ هـ • واستوزر بعده المأمون البطائحى • ثم قتل المأمون سنة ٥١٩ • فلم يعين الآمر وزيرا بعده • واستبد بالحكم •

---

المذكور . اما أخوه عبد القادر فقد توفى قبله سنة ٩٢٠ هـ ودفن ببرهتموش من محافظة الشرقية واستمرت ذرية الشيخ محمد تقيم بالجامع فعرف بجامع أولاد عنان .

وقد ازيل هذا الجامع أخيرا سنة ١٩٦٩ م لخلله ولأقامة مسجد آخر مكانه باسم جامع الفتح .

وأعاد الآمر كثيرا من أبهة الحكم وبهجته • وجــدد رســوم الدولة وعاداتها بعد أن كانت تضاءلت فى عهد الأفضل• ولكن فى عهده استولى الصــليبيون على كثـير من أراضى فلســطين مثل عكا وغزة وطرابلس وغيرها • وقال المقريزى فى ترجمــته ( الخطط جـ ٢ ص ٢٩١ ) أن أيامه كانت كلها لهوا وعيشة راضية لكثرة عطائه وعطاء حواشيه بحيث لم يوجد بمصر والقــاهرة اذ ذاك من يشكو زمانه البتة !! وكان به اقدام وفتوة وفروســية • وكان أسمر شــديد السمرة يحفظ القرآن ويكتب خطا ضعيفا • وله شعر متوسط فى الجودة ولكن يتفق مع روحه الوثابة • فقد كان يحلم أن يغزو بغــداد • فمن شعره :

دع اللوم عنى لســت بموثق
فلابد لى من صــدمة المتحقق

وأسقى جيادى من فرات ودجلة
وأجمع شمل الدين بعد تمزق

وكان بالآمــر غــرام بالنســاء البــدويات • فكان يرســل العيون الى البوادى والنجوع للبحث عنهن• فاذا نقل اليه ما يروقه عن احداهن• سعى للحصول عليهــا من أهلها • فســمع أن بالصــعيد بدوية كاملة الحسن ظريفة شــاعرة • فيقال أنه تزيا بزى الأعراب الى أن انتهى الى حيها • ونزل ضــيفا على أهلها • وتحايل حتى رآها • فعشقها ورجع الى العاصمة • فأرســل يخطبها من أهلها • ووافقوه فتزوجها • وحظيت عنده بأسمى منزلة •

وكانت هــذه البدوية قد ألفت طلق الهــواء • وتسريح النظــر فى الفضاء ، والسماء فضاقت نفســها أن تكون حبيسة جدران القصور • فشكت للآمر • فأنشــأ لها بجوار بستان المختار مكانا يتفق مع مشربها أسماه الهودج •

وكانت البدوية تحن الى ابن عم لها ذكروا أن اسمه ابن مياح•فكتبت اليه وهى عند الآمر :

يا ابن مياح اليك المشــتكى
ما لك من بعــدكم ما مالكا

كنت فى حبكم امرءا مطلقــا
نائلا ما شــئت منكم مدركا

فأنا الآن بقصــر موصــد
لا أرى الا حبيبــا ممســكا

كم تأنينا بأغصان اللوا
حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى
حيثما شاء طليق سلكا

وأجابها ابن مياح :

بنت عمى التى غذيتها
بالهوى حتى علا واحتنكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها
لو غدا ينفع منها المشتكى
مالك الأمر اليه يشتكى
هالك وهو الذى هلكا
شأن داود غدا فى عصرنا
مبديا بالتيه ما قد ملكا

وبلغت الأبيات الآمر فقال : لولا أنه أساء الأدب فى البيت الرابع لرددتها لأهلها وزوجتها له (١) . وغضب الآمر على ابن مياح فهرب واختفى . وطلبه الآمر فلم يصل اليه .

وكان هناك شاعر من بنى طى اسمه طراد . تحمس لابن مياح وبنت عمه البدوية فقال أبياتا :

ألا أبلغوا الآمر المصطفى
مقال طراد ونعم المقال
قطعت الأليفين عن ألفة
بها سمر الحى بين الرجال
كذلك كان آباؤك الأقدمون
سألت فقل لى جواب السؤال

---

(١) تذكرنا هذه القصة بقصة ميسون بنت بجدل الكلبية زوجة معاوية ابن أبى سفيان ووالدة ابنه يزيد . فقد برمت بحياة الترف وسكنى القصور . وحنت الى حياة البادية التى نشأت فيها . فقالت الأبيات المشهورة التى منها :

لبيت تخفق الارياح فيه — احب الى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى — احب الى من لبس الشفوف
واكل كسيرة فى عقر بيتى — احب الى من اكل الرغيف
وكلب ينبح الطراق دونى — احب الى من قط الوف
وخرق من بنى عمى نحيف — احب الى من علج عنوف

وسمعها معاوية تقول هذه الأبيات أو نقلت اليه . فقال : ما رضيت بنت بجدل حتى جعلتنى عجلا عنوفا ، هى طالق ثلاثا ، دعوها تأخذ ما فى القصر فهو لها . ثم سيرها الى اهلها بنجد . وكانت حاملا بيزيد . فولدته هناك وأرضعته سنتين . ثم أخذه معاوية .

وميسون فى اللغة الغلام الحسن القد

فلما بلغ الآمر شعره قال : جواب السؤال قطع لسانه على فضوله • فاختفى أيضا طراد • وطلبه الآمر فلم يصل اليه • وقال الناس : ما أخسر صفقة طراد • باع أبيات الحى بثلاثة أبيات من الشعر •

وتناقل الناس الأشعار وأخبار البدوية • وهذا الخبر يصلح أن يكون قصة درامية كاملة للمسرح أو السينما •

ولم يزل الآمر يتردد على الهودج للنزهة • حتى وثب عليه قوم من النزارية • كانوا يكمنون له تحت رأس الجسر ( يعنى الكوبرى وسيأتى ذكره ) بين الفسطاط والروضة • وضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه • ونقل الى منظرة اللؤلؤة بشاطىء الخليج فتوفى هناك فى ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ (أكتوبر ١١٣٠ م) (٢)•

**منظرة المشتهى :**

وكان للفاطميين منظرة أخرى بجزيرة الروضة غير الهودج عرفت بالمشتهى • والمنظرة عبارة عن قصر صغير كامل المشتملات والمرافق • وقد ذكرها المقريزى ضمن المناظر ( الخطط جـ ١ ص ٤٩٠ ) واكتفى بذكر الاسم • فلم يحدد موقعها فى الجزيرة ولا تاريخ انشائها • كما ذكر رباط المشتهى • وقال أنه يطل على النيل • وكذلك لم يحدد موقعه ولا تاريخ انشائه ( الخطط جـ ٢ ص ٤٢٨ ) •

ولكن على باشا مبارك فى الخطط التوفيقة ( جـ ١٨ ص ١٤ ) يذكر زاوية المشتهى • ويقول أنها المعروفة الآن بزاوية الكازرونى • ( الخطط التوفيقية طبعت من سنة ١٣٠٤ ــ ١٣٠٦ هـ = سنة ١٨٨٦ ــ سنة ١٨٨٨ م ) •

وزاوية الكازرونى منسوبة الى الشيخ المعتقد بهاء الدين محمد بن عبد الله الكازرونى أحد أعلام الصوفية • أخذ الطريق عن الشيخ أحمد الحريرى خادم ياقوت العرشى خادم أبى العباس المرسى عن أبى

(٢) لما توفى المستنصر بالله الفاطمى سنة ٤٨٧ تولى بعده ابنه المستعلى بالله . وتعصب فريق لنزار بن المستنصر وعرفوا بالنزارية . وظلوا يقاومون المستعلى وابنه الآمر . واللؤلؤة كانت أشهر مناظر الفاطميين وكان موقعها خلف مسجد الشعرانى بجهة باب الشعرية .

الحسن الشاذلى . وتوفى سنة ٧٧٤هـ ( ١٣٧٢ م ) .

وكانت هـذه الزاوية موجـودة لغاية الأربعينات من هذا القرن وكان موقعها عند نهاية شارع عبده رضوان المتفرع من شارع المنيل بالقرب من محطة الأوتوبيس المعـروفة بمحطة الباشا . والمتجه شرقا . عند التقائه بشـارع قايتباى . وكانت الزاوية غربى سراى للخـديوى اسماعيل . وقد جددتها والدته فى أواخر القرن المـاضى .

وقـد أزيلت الزاويـة المذكورة لانقاذ شارع جامع قايتباى .

فكأن الجهة هناك كانت معروفة بالمشتهى نسبة لمنظرة المشتهى .

ويوجد بالروضـة الآن شـارع متفرع من شارع المنيل يتجه غربا . وعلى ناصيته سينما جرين . واسمه شارع قصر المشتهى . وهذا الموقع بعيد عن الموقع السابق ذكره .

**شجرة المندورة :**

وقد ذكروا أن شجرة المندورة تقع على الفرع الشرقى للنيل . مقـابل نهاية شارع المختار السابق ذكره . والحى هناك يعرف بحى المندورة .

والأصـل فى الاسم شجرة نبق كبيرة تسمى المندورة كانت ببستان هناك كان وقفا للسادات الوفائية . تعتقدها النساء وكثير من الرجال . وينسبون لهـا كرامات فى قضـاء الحوائج وشفاء كثير من الأمراض . وينذرون لها النذور . ولذلك سميت بالمندورة .

وفى حوالى الثلاثينات من هـذا القـرن استبدلت أرض البسـتان المذكور . وقسمت أراضى للبناء . واحتاج الأمر لقطع هذه الشجرة . ولكن تمسك من لهم مصلحة فى جمع النذور بالقيمة الاعتقادية فى الشجرة . فزرعوا هنـاك على شـاطىء النيل شجرة أخـرى . أو لعلهـا كانت موجودة من ضمن أشجار البستان . واعتبروها بـدلا من تلك . ويقيم تحتها فى عشة رجل طاعن فى السن يجمع النذور والصدقات . وان كان اعتقاد النـاس فى الشجرة يتضاءل شيئا بعد شىء نتيجة لتقدم الوعى .

وقـد ذكر على مبارك فى خططه ( جـ ١٨ ص ١١ ) أنها شجرة نبق . والشجرة الحالية شجرة جميز .

**( يتبع )**

**محمد كمال السيد محمد المحامى**

# أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٧ —

٢٣٢ — ويقولون: لاق به الشيء لياقة، ومن باب اللياقة أن تكرم ضيفك بكسر اللام فيهما ، وفساد هذين التعبيرين واضح ، لأن كلمة لياقة لا وجود لها فى العربية ، والفعل لاق بابه باع ، تقول لاق الشيء بقلبى ليقا بفتح فسكون ، ولياقا ، وليقانا بفتحتين فيهما أيضا ، والتاق التياقا اذا لزق به ، وما يليق هذا الأمر بفلان أى ليس أهلا أن ينسب اليه، وما لاقت فلانة عند زوجها أى ما حظيت عنده ولم تلصق بقلبه .

ويقال : هذا أمر لا يليق بك ولا يليقك ، أى لا يعلق بك ولا يحسن ، ومن سجعات الأساس هذه خلائق غيرها بك لائق ، قال الأزهرى ، والعرب تقول : هذا أمر لا يليق بك ومعناه لا يحسن بك ولا يصلح حتى يلصق بك ، وما لاقت المرأة عند زوجها ولا عاقت أى لم تمتزج به ولم تلتصق بقلبه ، كأن عاقت اتباع للاقت .

ويقال : فلان لا يليق بكفه درهم أى لا يلتصق بها ، ولا تليق كفه درهما أى لا تمسكه لسخائه وما يليق درهما من جود ، قال :

كفاك كف لا تليق درهما
جودا وأخرى تعط بالسيف دما

ومن معانى الليق اللياذ ، تقول : لاق الولد بأبيه ليقا اذا لاذ به واستتر واحتضن .

ومن معانى اللياق بالفتح الثبات فى الأمر ، أما اللياق بالكسر فهو شعلة النار .

ومن معانى الالتياق :

١ ـ الاستغناء ، تقول : التاق فلان اذا استغنى ، قال ابن ميادة

ولأن تكون النفس عنها نجيحة(١)
بشىء ولا ملتاقة (٢) بيديل

٢ ـ المصافاة ، تقول : التاق الرجل بصديقه التياقا اذا صافاه وأحبه حتى كأنه لزق به والتاق له التياقا اذا لزمه .

٢٣٣ يقولون : أسكره الشراب ولكننا فوقناه تفويقا وهذا التعبير غير سليم ، لأن التفويق معناه التفضيل ، تقول : فوقت فلانا على زملائه اذا فضلته عليهم ، وهو يتفوق عليهم ، كما تقول : فاق فلان اخوانه فى العلم اذا فضلهم فهو فائق .

وللتفويق معنى آخر ، تقول : فوقت السهم اذا جعلت له فوقا (٣)، وأفقت السهم اذا وضعت فوقه فى الوتر .

وللثلاثى أيضا معنى آخر ، تقول: فاق الرجل السهم اذا كسر فوقه فهو سهم أفوق ، وهو الذى فى احدى زنمتيه (٤) كسر أو ميل .

ولاصلاح تعبيرهم ينبغى أن يقال: أسكره الشراب ولكننا أصحيناه من سكره فأفاق واستفاق .

ومن المجاز قولهم : أفاق الزمان اذا جاء بالخصب بعد الضيق كما فى قول الأعشى :

المهينين ما لهم فى زمان السو
ء حتى اذا أفاق أفاقوا

٢٣٤ ويقولون : سفرت المرأة سفورا اذا كشفت عن وجهها فهى سافرة ، والفصيح أن يقال فهى سافر بدون هاء ، كحاضت فهى حائض ، وهن سوافر وحوائض .

أما السافرة فهم القوم المسافرون، وكذلك هم أمة من الروم ، سموا

---

(١) نجيحة : صابرة .
(٢) ملتاقة : مستغنية .
(٣) الفوق بالضم : موضع الوتر من السهم .
(٤) زنمتا السهم : حرفا فوقه .

بذلك لبعدهم وتوغلهم فى المغرب سفرا ، وفى الحديث « لولا أصوات السافرة لسمعتم وجبة (١) الشمس .
وللسافر أربعة معان :

١ ــ فهو صفة خاصة بالمرأة التى كشفت عن وجهها كما سبق .

٢ ــ وهو المسافر ، تقول : سفر الرجل سفرا من باب ضرب فهو سافر ، جمعه سفر كراكب وركب ووافد ووفد ، والاسم السفر بالتحريك .

٣ ــ وهو الكاتب ، تقول : سفر فلان الكتاب اذا كتبه ، وهم سفرة ككاتب وكتبة ، ومنهم الملائكة الذين يحصون الأعمال ، وفى التنزيل « بأيدى سفرة كرام بررة » .

٤ ــ وهو السفير ، تقول سفر الرجل بين القوم سفارة اذا أصلح ما بينهم فهو سافر وسفير .

وللسفر معنيان : أحدهما قطع المسافة ، تقول : سافر والدى من القاهرة الى الاسكندرية اذا قطع المسافة التى بينهما ، والآخر البعيد ، تقول : فلان منى سفر أى بعيد ، قال النمر بن تولب :

فلو أن جمرة تدنو له
ولكن جمرة (٢) منه سفر

والسفر بالكسر الكتاب جمعه أسفار كجمع السفر ، تقول : حطمنى طول ممارسة الأسفار ، وكثرة مدارسة الأسفار ، قال تعالى « كمثل الحمار يحمل أسفارا » .

٢٣٥ ــ ويقولون : فلان من هيئة كبار العلماء ، والصواب أن تحذف كلمة هيئة من هذا التعبير لأنها ليست ذات فائدة ، فيقال : هو من كبار العلماء ، أو أحد كبار العلماء ، أومن جماعة العلماء الكبار .

أما الهيئة بفتح الهاء وكسرها فهى الشارة ، وحال الشىء الظاهرة ، وكيفيته .

---

(١) وجبة الشمس : غيابها .

(٢) الجمرة : الف فارس يريد أن الف فارس لا يستطيعون الدنو من الممدوح .

تقول : فلان حسن الهيئة ، وما أحسن هيئته ، وهيئاتهم ، وهاء الولد يهوء ويهيىء هيئة حسنة اذا صار اليها ، فهو هيىء بتشديد الياء مكسورة وزان كيس قالت العامرية : كان لى أخ هيىء أى ذو هيئة .

ويقال فى معنى آخر : هاء الرجل الى صديقه هيئة اذا اشتاق اليه ، وكذا هاء للأمر يهاء ، ويهىء اذا أخذ له أهبته وتفرغ له .

وتقول : هيأت ابنى للطب اذا أعددته له ، فهو مهيأ له بصيغة اسم المفعول ، ومن هذا قوله جل شأنه « وهيىء لنا من أمرنا رشدا » وتهيأ (١) الابن للدراسة فهو متهيىء لها أى استعد ويقال : هيأ الرجل أموره تهيئة وتهييئا اذا أصلحها ، ومن هذا قوله تعالى « ويهيىء لكم من أمركم مرفقا » أى يصلح لكم ما ترتفقون به وتنتفعون .

٢٣٦ ـ وينكرون أن يقال : فلان يزيد عن أخيه مالا وعلما أو نحو ذلك بتعدى الفعل بعن ، ويصرون على أنه ازتعدى بحرف فبعلى فقط ، كما فى قوله تعالى « وزد عليه ورتل القرآن ترتيلا » وقول ذى الأصبع :

وأنتم معشر زيد على مئة
فأجمعوا أمركم طرا (٢) فكيدونى

وفى الحق أنه يتعدى بعن كما يتعدى بعلى ، قال أبو البقاء فى كلياته : والزيادة تلزم وقد تتعدى بعن كما تتعدى بعلى ، لأن نقص يتعدى به وهو المقابل له ، والعرب تحمل الشىء على ضده وها هو ذا قبيصة الجرمى الفارس الشاعر الجاهلى يقول فى ممدوحه .

يزيد نبالة (٣) عن كل شىء
ونافلة (٤) وبعض القوم دون (٥)

---

(١) وقولك : هئت للأمر ، وتهيأت له معناهما واحد هو الاستعداد ، ومنه قرىء « هئت لك »

(٢) طرا : جميعا .

(٣) النبالة : الذكاء والنجابة .

(٤) النافلة : ما يفعله الانسان مما لم يجب عليه .

(٥) الدون : الحقير الخسيس .

٢٣٧ ــ وينكرون أن يتعدى الفعل حذر بمن،ويقولون:انه اذا كان مخففا تعدى الى مفعول واحد كما فى قوله تعالى « ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم » ولكنه اذا ضعف تعدى الى اثنين كما فى قوله جل شأنه « ويحــذركم الله نفسه » وقول العــرب حــذرنا فلانا الشىء تحذيرا •

وحجتهم فى ذلك أن هــذا الفعل لم يرد فى المعاجم متعديا بمن الا مع الأسماء ، فقالوا حذيرك من فلان ، وفى القاموس : أنا حذيرك منه ، أى محذورك منه •

وفى التاج أنشد اللحيانى :

حــذار حذار من فوارس دارم
أبا خالد من قبــل أن تتندما

فالتاج عدى حذار وهو اسم فعل بمن ، والقــاموس عدى حــذيرك ومحــذرك بمن على الرغم من أن الأخير اسم فاعل من المضعف •

والحــق أنه ورد متعديا بمن فى شعر جاهلى ، فقد روى المرزبانى فى معجم الشعراء لشاعر مشهور هــو سهم بن حنظلة قوله :

كم من عدو قد رمانى كاشح (١)
ونجــوت من أمر أغــر مشــهر
وحــذرت من أمر فمــر بجانبى
لم يبكنى ولقيت ما لم أحــذر

٢٣٨ ــ ويقولون : بعثنا بجنــودنا الى ميدان الحــرب ، فيخطئون فى التعبير ، وذلك لأن العرب تقول فيمن يتصرف بنفسه: بعث الله محمدا رسولا للعالمين ، ومن هــذا قــوله تعالى «فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين» وقــوله « فابعثوا حكمــا من أهله وحكما من أهلهــا » أى أن هــذا الفعل يتعدى الى المفعول فى هــذه الحالة بنفسه لا بالباء •

أما ما لا يتصرف بأن يحمــل كالكتاب والهدية ، فان الفعل يتعدى اليه بالباء ، تقــول بعثت بالكتاب

---

(١) الكاشح : من يضمر العداوة •

الى صـاحبه ، وبعثت اليه بهـدية قيمة ، ولذا عيب على المتنبى قوله :

فآجـرك الاله على عليـل
بعثت الى المسيح به طبيبـا

٢٣٩ ــ ويقولون : هؤلاء تعساء، وفيهم تعاسـة ، وفى هـذا التعبير غلطتان .

احداهما : فى الجمع ، لأن فعلاء انما يكون جمعا لوصف مذكر عاقل على وزن فعيل بمعنى فاعل ، وغـير مضعف ولا معتـل اللام ، ككريم وكرماء ، وبخيل وبخلاء ، وحكيم وحكماء ، وعليم وعلماء ، ولم يرد فى اللغة تعيس حتى يمكننا أن نجمعه على تعساء ، وانما الذى ورد هـو تاعس ، وتعيس بزنة ضجر .

تقول : تعس الجاهل من باب نفع تعسا فهو تاعس ، جمعه تاعسون ، ومن المجاز قولهم : جد تاعس ناعس أو تقول : تعس فلان تعسا من باب تعب فهو تعس ، جمعه تعسون ، كما يقال فرح فهو فرح وهم فرحون ومن هذا قوله تعالى « كل حزب بما لديهم فرحون » .

ويقال : تعسه الله تعسـا فهـو متعوس منحـوس ، وهـذا الأمر متعسة منحسة ، وأتعسه الله اتعاسا بالفعل الرباعى المهموز ، فهو متعس، ومنه قول الشاعر :

غداة هزمنا جمعهم بمتالع (١)
فآبوا باتعـاس على شر طـائر

والغلطة الأخرى : فى المصـدر ، لأن فعالة بالفتح انما يكون مصدرا لفعل بضم العين كفصـح فصـاحة وصرح صراحة ، وظرف ظرافة .

مما عرضنا استبان لنا أن الفعـل لا يكون الا من بابى نفع ، وتعب ، وأن المصدر تعس بفتح فسكون ، وتعس بفتحتـين ، والتعس معنـاه الهلاك ، وأصله الكب وهو ضـد الانتعاش ، يقال تعسا لفلان أى ألزمه الله هـلاكا ، وفى التنزيل « والذين كفروا فتعسا لهم » .

٢٤٠ ــ ويقولون : عين فلان وزيرا للبناء والتعمير ، وهذا التعبير فاسد، لأن التعمير هو اطالة العمر : تقول: عمر الرجل عمرا من باب فهم ، وعمرا

(١) المتالع بضم الميم : جبل بالبادية فى سفحة ماء يقال له : عين متالع .

بالضم ، أى عاش زمانا طويلا ، ومنه قولهم : أطال الله عمرك بضم العين وفتحها .

ويقال : عمره الله تعميرا بالفعل المضعف ، فهو معمر ، أى طول عمره ، ومن هذا قوله تعالى «وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب» وقوله « يود أحدهم لو يعمر ألف سنة » وقوله « ومن نعمره ننكسه فى الخلق » ، فالمعمر بصيغة اسم الفاعل هو الله سبحانه ، والمعمر بصيغة اسم المفعول هو الذى أطيل عمره .

أما المعنى الذى يريدونه فهو مأخوذ من عمرت الخراب أو الدار من باب كتب عمارة فهو عامر ، أى أى معمور ، كماء دافق بمعنى مدفوق ، والاسم العمارة بالكسر ، قال تعالى « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله» وقال « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام » .

تقول : عمر الله منزلك عمارة ، وأعمره اعمارا أى جعله عامرا آهلا .

والعمران بالضم اسم للبنيان ، والعَمَّار بفتح العين وتشديد الميم كثير الصلاة والصيام ، والقوى الايمان ، مأخوذ من قولهم : عمر فلان ربه اذا صلى وصام ، أما العمّار بالضم والتشديد فهم سكان الدار من الجن .

والصواب ــ لتأدية المعنى المبتغى ــ أن يقال : عين فلان وزيرا للبناء والعمارة ، أو الاعمار من أعمره اذا جعله آهلا .

**عباس ابوالسعود**

---

## كن ذا همة

لو امكنك عبور كل احد من العلماء والزهاد فافعل فانهم كانوا رجالا وانت رجل ، وما قعد من قعد الا لدناءة الهمة وخساستها . واعلم انك فى ميدان سباق والأوقات تنتهب ولا تخلد الى كسل فما فات من فات الا بالكسل ، ولا نال من نال الا بالجد والعزم وان الهمة لتغلى فى القلوب غليان ما فى القدر .

**ابن الجوزى فى صيد الخاطر**

# رسائل من العالم الإسلامي

## أيها الاخوة فى صحيفة الجمعة

**١ ـ شيئا من الدقة :**

صحيفة الجمعة أثيرة عزيزة عند كثيرين يجدون فيها من قضايا الدين واللغة والفكر وجوانب المعرفة ما يرجون منه المزيد ثقة منهم فى قدرة الذين يقومون عليها ويديرون دفتها، على العطاء من ثقافتهم ، ومن الكثير الطيب الذى يحمله اليهم البريد من قريب وبعيد ، ايثارا لصحيفة يودون أن تلتزم المنهجية والموضوعية اللتين عرفها بها وألفها الخاصة والعامة على السواء ..

لكن صحيفتنا الأثيرة التى طالعت قراءها فى ١٩٧٦/٤/٢٧ بسطور بالخط العريض عنوانا لموضوع ذكرت فيه أرقاما للأحاديث المكذوبة لا أظن بل انى أعتقد أنها غير صحيحة وأن الدقة فيها قد فاقت الصحيفة التى كنا نظن أنها تحرص على الدقة وتأخذ بها نفسها فى أقل القليل وتحرص على أن تدعو اليها الذين يكتبون اليها ...

« تسعمائة ألف حديث مكذوب يضمها كتاب » هكذا العنوان ثم بعد ذلك بنحو سبع وعشرين سطرا وفوق صورة « الامام موسى الصدر » تقول الصحيفة » :

« الكتاب يحوى بين مائة ألف حديث تصيدها السيوطى من هنا ومن هناك .. تسعين ألف حديث مكذوب » .

ثم تقول الصحيفة تحت صورة فضيلة الشيخ خلف السيد «ويتركنا الشيخ عبد الجليل مع آلاف الأحاديث المكذوبة حيارى محزونين » وتختتم

كلامها بقولها « وان هذا المكذوب كما تؤكده اللجنة الفاحصة للكتاب لا يقل عن تسعين ألف حديث من مائة ألف .. ولاحول ولا قوة الا بالله» . اهـ .

ونحن نقول : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، فبأى احصاء من هذه الاحصاءات نصدق ؟ وأيها نأخذ وأيها ندع ؟ .

اننا — بحق — حيارى محزونون لهذا الكلام الذى تنقصه الى الآن الدقة بما تخفى وراءها من معان ومعان ..

**٢ — قميص عثمان :**

وعثمان ذو النورين رضى الله عنه بعمله الجليل فى كتاب الله جمعاوتعفية على كل ما يثير الخلاف ويكون مدرجه الجدل والاعتساف ، يثير بذكره فيما قالته الصحيفة ، قصة قميصه ، والأخطاء الكثيرة التى ارتكبت باسمه ..

ان للسنة النبوية المطهرة حقا على المسلمين ، خاصتهم وعامتهم يبرز الخاصة صحيحها من سقيمها ، ولا يدخرون وسعا فى تخريج سندها وتنقية متنها مما يشوبه .. ووسائل ذلك وموازينه الدقيقة كثيرة فيما خلف الأسلاف رحمهم الله — حتى يكون غير الخاصة والمتخصصين فى أمن وعافية وهم يقيمون أمور عقيدتهم وعبادتهم وسلوكهم وقواعد دنياهم وآخرتهم على أسس من السنة النبوية الوضيئة فهى شارحة للكتاب مبينة لشكله ، مفصلة لمجمله — ألسنا نقرأ قول الله تعالى لمصطفاه .. « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم، ولعلهم يتفكرون » ( النحل ٤٤ ) .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه » متفق عليه .

وكل جهد أنفق فى هذا السبيل وينفق الى آخر الدهر مذكور مشكور ، يستوجب صاحبه من الله عظيم الأجر .. والامام السيوطى .. ولسنا نترجم هنا له ولا نحصى ما أثرى به المكتبة الاسلامية من مؤلفات ، ينال كل يوم من أيام حياته منها كراسان ، كراسان لكل يوم من أيام حياته منذ ولد حتى لقى الله — هذا الامام واحد ممن خدموا السنة بكتابه « الجامع الكبير » المعجم الجامع الذى شمر له فى عصر الجمع،

وسبق به ـ على ما فيه .. أصحاب المعاجم والفهارس الذين نذكرهم الآن ، الى كتب أخرى كاللآلى المصنوعة .. والاتحافات ...

وقد حاول أن يتدارك فى «الجامع الصغير» ما وقع فى سابقه واعترافه بذلك وسلم تصغر الى جواره الأوسمة التى أحرزها المتصدرون للمجامع العلمية اليوم فى شرق الدنيا وغربها .

واذا كنا نود أن يحرص مجمع البحوث الاسلامية وهو ينشر الجامع الكبير على تخريج ما أورد من أحاديث ، والتصريح بما هى عليه من صحة أو ضعف أو وضع حتى يكون غير المتخصصين على بينة من الأمر وهو يأخذ ويترك ، وحتى نشعر جميعا بجهد العاملين فى مجال احياء التراث ، فان الزمن أقصر من أن ننفقه فى مجرد نشر الكتاب .. كما يقولون .. توطئة لجولة أخرى فى تخريجه وتنقيته .

انهم لو فعلوا ذلك لرحموا أنفسهم من مثل قول الشيخ عبد الجليل عيسى « بعد ايراد أحاديث تنكرها معه وتقول فيها بقوله « وواضح أن تعليق اللجنة هنا زاد هذا الحديث بلة ... » .

**٣ ـ الشيخ عبد الجليل عيسى :**

ولقد عرفنا الشيخ عبد الجليل منذ نهاية العقد الثالث من هذا القرن ، صاحب رأى وعلم وجهاد فى ميادين كثيرة ، وحين كتب عن « الجامع الكبير » من أعوام حمدنا غيرته على السنة النبوية ووددنا وكثيرون معنا لو أن الشيخ قد بعثه الى مجمع البحوث وهو عضو فيه للمناقشة ، فذلك هو الميدان الصحيح لمثل هذه القضايا لا صفحات الجرائد ، ولا صحيفة الجمعة التى فاتتها ـ على دقتها ويقظتها ـ الدقة فيما نشرت أخيرا ، والله أعلم بنياتنا من أنفسنا ..

.. وكم كنا نود أن يرتفع بعض الكاتبين عن الدوافع الشخصية قبل أن يرسلوا أقلامهم بكثير مما يقرأ الناس ، وأن لا يرفعوا قميص عثمان باسم الغيرة على السنة وباسم المعرفة التى يحسبون أن لواءها قد انعقد

لهم وحدهم فى هذا الجانب أو ذاك من جوانب العلم ، قبل أن يصرخ بهم الناس قائلين :

ماذا صنعتم أنتم للسنة ؟؟

وهل لى أن اسأل الأخوة فى صحيفة الجمعة : ماجدوى تناول هذا الموضوع على هذه الصورة فى الصحافة ، ان عجز المتخصصون فى مصر أو غيرها عن اقناع المسئولين بسديد رأيهم ؟ •• الا اذا كانت بلبلة الناس ، وتقديم الوقود لمزيد من التشكيك فى قضايا لها قداستها وحرمتها ، هى بذاتها غايات وأهدافا ••

**٤ـ اتقوا الله :**

فليتق الله هؤلاء وأولئك فى السنة المطهرة التى توجه اليها الطعنات الظالمة من كل اتجاه ، وتواجه اهتماما مشبوها ، يلبس أحيانا « قميص عثمان » ويزعم فى أحيان أن الأحاديث التى رواها الصحابة الثقات العدول لا يحتج بها ، وانما يحتج بأحاديث فلان وفلان من طرق عرفت بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

واعرفوا أيها الاخوة للسيوطى وغيره من الأعلام أقدارهم ، وأنهم بشر غير معصومين من الخطأ ، وأن الذين يحاكونهم ينبغى أن يرتفعوا الى مستوى علمى يدنيهم من مستوى هؤلاء الرواد الأوائل ، وهذه آثارهم تدل عليهم ، فماذا عندنا نحن من مثل ما خلفوا ؟ ؟ أيكون ما عند أقوام هو الذى ألمح اليه ، لا بل صرح به الذى قال :

يقولون هذا عندنا غير جائز
ومن أنتمو ، حتى يكون لكم عند ؟ ••

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » •• الأحزاب ٧٠ : ٧١

**معوض عوض ابراهيم**
**رياسة البحوث العلمية والافتاء فى الرياض**

# ماذا يريد أن يقول أستاذ الفلاسفة ؟

بقلم
د. محمد عبد المنعم خفاجى

أبدأ بتهنئة الدكتور زكى نجيب محمود بهذا اللقب العلمى الذى منحه له محرر الأهرام فى الحديث الذى نشره له فى ١٩ من مارس الماضى .

وقد ضمن الدكتور حديثه ما شاء أن يضمنه من آراء يمكن أن نلخصها فيما يلى :

١ ــ من مصادر الخطأ عندنا اليوم الظن بأن التشريع الالهى قد غطى كل تفصيلات الحياة .

٢ ــ كون التشريع الالهى هو التشريع الوحيد للبشر مما يحتاج الى تعليق .

٣ ــ لماذا لا نعطى لأنفسنا الحق فى أن نفسر القرآن التفسير الذى يحقق مصلحة المجتمع . ويفسر الدكتور الأمر فى قوله تعالى: « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها » بالعقل .

٤ ــ العودة الى حديث الارهاب الفكرى المزعوم . ما دامت وسائل الاعلام مفتوحة لرجال الدين ..

أما عن الفكرة الأولى ، فانى أقول : ان التشريع الالهى قد أحاط بكل قوانين الحياة وأصولها ، فى كل جوانبها والفروع التى لم تذكر فى حكم المذكورة لأنها تندرج تحت أصولها ؛ لأنه لا اختلاف من عاقل فى اندماجها فى أصولها ، وفى ردها اليها ، ودساتير الدول التى بين أيدينا لا تحتوى على غير القوانين العامة ، وعلى ضوئها يكتب المشرعون تفصيلات للقوانين فى كل جانب من جوانب المجتمع .. والمذاهب والمجتهدون فى الاسلام انما يبدأ عملهم برد كل شىء فى الحياة الى الأصول الالهية المقررة .

وبهذه القوانين الكلية والأصول العامة ، أحاط التشريع الالهى بكل

جوانب الحياة ، ووجد المسلمون فى كتابهم الحكيم اجابة عن كل سؤال، وتفصيلا لكل مجمل ، وتوضيحا لكل مهم ، والله عز وجل يقول : ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء — ٨٩ النحل — ويقول عن القرآن الكريم : « ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء » — ١١١ يوسف •

وأما عن الفكرة الثانية : فان كل مسلم يجب أن يعتقد أن الاسلام هو التشريع الوحيد للبشر عامة أى أن نجاة الانسانية وسعادتها ورفاهيتها موقوفة على العمل والايمان به ؛ والحضارة القائمة — على كل ما وصلت اليه — لا يمكن أن تعد هى النهاية والخاتمة للحضارات ، والا لعطلنا حكم العقل الانسانى واجتهاده فى السير بالحياة الى الحضارة المثلى التى تحقق الرفاهية والسلام للبشرية عامة ؛ وفى رأى كل مسلم أن هذه الحضارة التى تسير الانسانية اليها لا يمكن أن تكون غير الاسلام متى وجد المؤمنون به ايمان فهم وعمل وتطبيق وسلوك كامل • والله عز وجل يقول : سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد؟ — ٥٣ فصلت — واذا تبين لهم أن القرآن والاسلام حق فقد آمنوا به ، وعملوا بشريعته •

وأما عن الفكرة الثالثة فانى أقول:

( أ ) للدكتور الحق فى أن يفسر القرآن اذا أعطى المؤهلات الثقافية الواجب توافرها فيمن ينهض بعبء هذا العمل الجليل ، وقد فسر المسلمون الأولون كتاب الله على اختلاف ؛ نزعاتهم لأنهم كانوا يملكون كل المؤهلات التى بدونها يصير المتصدى للتفسير كمثل من يدعى الطب أو الصيدلة أو الطيران أو علوم الفضاء وهو ليس من أهل هذه الثقافات ، والله تعالى يقول : ومايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم ٧ آل عمران •

(ب) على أن تفسير القرآن اذا أريد به ابطال مدلولاته ، وتغيير مضامينه وأفكاره ومعانيه لتتفق مع فكر أجنبى دخيل ، أو مع نظم ومبادىء وتشريعات حضارات أخرى ، فذلك مما يرفضه العقل ويرفضه المؤمنون بداهة ، لأنه يعطل

حكم النص القرآنى ذاته ، ويسير بالانسان الذى يدعى الايمان به بعيدا عنه ، وخارج دائرته مما ينتهى به الى الوقوع فريسة للأوهام والتيارات المذهبية والعقائدية عن الاسلام والقرآن .

(جـ) ومصلحة المجتمع لا تعنى أبدا الخضوع لمقاييس مستمدة من خارج أيديولوجيتنا الروحية والفكرية، لنجعلها هى الأصل ونجعل نصوصنا المقدسة فرعا لها ؛ وانما العكس هو الصحيح فى هذه القضية .

( د ) والآية الكريمة : ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ــ ١٨ الجاثية ــ لا يمكن تفسير « الأمر فيها بغير الوحى ، أى أمر السماء بدليل خاتمة الآية وما قبل الآية ، وبدليل أقوال كل المفسرين أيضا . ويؤيد ذلك المعنى قوله تعالى فى آية ، أخرى : فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ــ ١٥ الشورى .

وردى على الفكرة الرابعة : ان الارهاب الفكرى المزعوم حديث خرافة بدليل أن الدكتور يملك كل حرية التعبير وأن يقول ما يشاء ، وان كان فحوى ما يقوله محاولة للهدم ، وخضوعا لفكر أجنبى ، وتقليدا لما يردده بعض المستشرقين أعداء الاسلام . على أن رجال الدين هم طبقة من الأمة لها ما للدكتور من حرية التعبير عن فكرها الذى هو فكر الأمة ودينها الرسمى وقد كفل الدستور حرية التعبير لكل انسان ، وتحمى القوانين هذه الحرية حماية تامة .. فماذا يريد الدكتور ؟ أيريد الحجر على هذه الطبقة من طبقات المجتمع حتى لا تتكلم كما يفعل الشيوعيون مثلا فلا يتكلم غيره ويكون ذلك الصنيع مجمدة فى رأيه وليس من الارهاب فى شىء .

وأخيرا فانى أقول للدكتور ولغيره: يجب أن تعلم أن الاسلام صديق الحياة والحضارة والتقدم والرفاهية والسلام ، وهو صديق العلم دائما وصديق العقل أبدا ما دام هذا العقل غير متحيز ، وبعيدا عن الهوى ، وطالبا للحقيقة وحدها ؛ ان الاسلام طالب المسلمين أن يأخذوا العلم العملى من كل مكان وكل

مصــدر ، وألزمهم بالعقيدة الالهية المنزلة ، حيث لا مجال لعقل ولا لأحد فى أن يذهب بعيدا عنها •• والاسلام كذلك قــد أتى بكل ما فيه الخـير للمجتمعات والشعوب فى يومها وفى غدها ، ومصلحة المجتمع هى فى العمل بالشريعة الالهية لا فى تركها أو تأويلها بسوء قصــد للانصراف عن روحها ومضمونهــا •• وكل عيوب المجتمع التى نشكو منها اليوم انما هى نتيجة للانصراف عن روح الاسلام ، ولتركنا تعليم الدين للجميع وبخاصة للشباب فى كل مراحل الدراسة ••

والسلام على من اتبع الهدى •

**محمد عبد المنعم خفاجى**

---

**الاسلام هو المدنية :**

يقول مستر «ولز» اكبر مؤرخى هذا العصر :

«كل دين لا يسير مع المدنية فى كل طور من اطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به ، لأن الدين الذى لا يسير مع المدنية جنبا الى جنب لهو شر مستطير على اصحابه يجرهم الى الهلاك ، وان الديانة الحقه التى وجدتها تسير مع المدنية انى سارت هى الديانة الاسلامية ، واذا أراد الانسان ان يعرف شيئا من هذا فليقرأ القرآن . ان كثيرا من انظمتــه تستعمل فى وقتنا هذا وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة. واذا طلب منى القارىء أن أحدد له (الاسلام) فانى أحــدده بالعبارة التالية : الاسلام هو المدنية .. وهل فى اســتطاعة انسان ان يأتينى بدور من الأدوار كان فيه الدين الاسلامى مغايرا « للمدنية والتقدم ؟ » .

*  *  *

**الرجال :**

الرجال ثلاثة : فرجل رجل ؟ ورجل نصف رجل ، ورجل لا رجل ، فأما الرجل الرجل ذو الراى والمشورة وأما الرجل الذى نصف رجل فالذى له راى ولا يشاور وأما الرجل الذى ليس برجل فالذى ليس له راى ولا يشاور .

# باب الفتوى[١]

للاستاذ محمود محمد رسلان

## السؤال

سئل فضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى مصر عن الكينا أهى حلال أم حرام ؟ وكانت اجابة المفتى بأن هذا الأمر يحتاج الى بحث • وشكل لجنة تتولى هذا البحث •

ثم تأتى المبادرة من المجلس المحلى لمحافظة القاهرة • فقد طلبت لجنة الشئون الصحية بالمجلس من وزارة الاعلام حظر الاعلان عن الكينا باعتبارها مشروبا صحيا ؛ لأنها فى حقيقتها نوع من الخمر ، وقال الدكتور أحمد جمعة رئيس اللجنة : ان هذه التوصية صدرت بعد ما درست اللجنة عدة تقارير عن نتائج الفحص المعملى الذى أجرته مديرية الشئون الصحية للقاهرة ، وتأكد أنها تحتوى على ٣٠٪ كحول أثيلى سام ممنوع شرابه بالاضافة الى وجود مواد ملوثة ومواد أخرى ذات رائحة ضارة بالصحة •

وأخيرا قال المفتى كلمته :

## الكينا حرام

أخيرا أعلن فضيلة الشيخ محمد خاطر ، مفتى مصر رأيه فى قضية « الكينا » •• قال : انها حرام شرعا، بعد ثبوت وجود الكحول فيها ، وهو ذات الكحول الموجود فى الخمور •

وفيما يلى نص الفتوى :

« طلب الينا الكثير من المواطنين معرفة حكم الشريعة الاسلامية فى شراب الكينا •• وهل هو حلال أم حرام ؟

وقبل أن تصدر الفتوى طلبنا من الادارة العامة للمعامل المركزية بوزارة الصحة أن توافينا ببيان عن تحليل شراب الكينا فجاءنا الرد بتاريخ ١٨/٤/١٩٧٦ ، متضمنا أن الكينا بمختلف أسمائها الواردة بالتقرير بها كحول أثيلى تتراوح

نسبته ما بين ٢٥٪ الى ٣٥٫٢٪ ، وأن هذا الكحول هو الكحول الموجود بالخمور » . وبناء على هذا يكون شراب الكينا المتداول بمختلف أسمائه التجارية قد اشتمل على الكحول الموجود بالخمر المسكرة المحرمة بالنسب السابق ذكرها .

والمنصوص عليه شرعا أن ما أسكر كثيره فقليله حرام ، أسكر أو لم يسكر ، فلهذا يكون شراب الكينا بمختلف أسمائه من الأشربة المحرمة شرعا .

### السؤال

ما الحكم اذا ترك المسلم فرائض الصلاة سنين كثيرة بلا عذر ، ثم تاب الى الله فهل تسقط عنه فرضية الصلاة ؟

### الجواب

يقول فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى مصر الأسبق بالآتى :

من ترك صلوات مكتوبة بلا عذر فقد ارتكب اثمين عظيمين : اثم تركها ، واثم تأخيرها .

والاثم الأول : يزول بالقضاء ، والثانى : يزول بالتوبة ولكن بعد القضاء ، فاذا قضاها وتاب لا يعاقب على الترك ولا على التأخير ويغفر له ويعفى عنه فضلا من الله تعالى ورحمة .

واذا كثرت الصلوات المتروكة بحيث زاد عن ست بخروج وقت السادسة — على ظاهر الرواية عند الحنفية — سقط الترتيب بينها فى القضاء ، فلم يلزم أن يصلى ما قدر عليه فيها بترتيب أوقاتها ، كما سقط الترتيب بينها وبين الفريضة الوقتية ، فله أن يصلى الفائتة قبل الوقتية ، أو بعدها عند كثرة الفوائت .

وكذلك له أن يصلى مع كل فريضة وقتية فائتة مثلها — أربع ركعات مع الظهر وثلاثا مع المغرب وهكذا — قبلها أو بعدها حتى يغلب على ظنه أنه قضى كل ما عليه .

والله أعلم .

### السؤال

هل تصح النيابة فى الصلاة ؟

## الجـواب

يقول فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف :

العبادة ثلاثة أنواع :

مالية ، وبدنية ، ومركبة منهما ، فالعبادة المـالية : كالزكاة تصح فيها النيابة فى حالتى العجز والقـدرة ، والعبادة البدنية كالصلاة ، والصوم لا تصح فيها النيابة مطلقا فلا يصلى أحد عن أحد ، ولا يصوم أحد عن أحـد •

والعبادة المركبة منهمـا : كالحج ان كان فرضا لا تصـح فيه النيابة الا اذا عجـز الأصيل عجزا مستمرا الى الموت فيحج عنه وارثه أو غيره حجة الفرض بشرط أن يكون النائب قد أدى فريضة الحج عن نفسه ، وان كان الحج نفـلا يجوز حج النائب عنه ، وان لم يكن الأصيل عاجزا •

وعلى ذلك نقول : لا يصلى أحد عن أحد ، ولا يصوم أحد عن أحد • ويجوز أن يزكى أحد عن أحد ، وأن يحج أحـد عن أحـد ؛ لاسـقاط الفرض عنه ان كان قد مات ، وأما اذا كان حيا فلا يجوز أن ينوب عنه أحـد فى الحج الا اذا كان عاجزا عجـزا مستمرا الى وقت الموت عن أداء الحج • والله أعلم •

* * *

ورد للمجلة عدة أسئلة ، وأجوبتها من الدكتور ظافر العطار المعيد بقسم الرستوبتالوجيا ــ جامعة دمشق ــ حول الاستشفاء بعسل النحل ، والى القارىء بعضا من هذه الأسئلة التى ذكرها الباحث مـع أجوبتها وقـد استهل الباحث حديثه بالآية الكريمة:

« يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » ــ سـورة النحل ٦٨ ــ هذا هو الوصف الالهى لعسل النحل الذى هو ثمرة مجهود النحلة التى أوحى الله اليها بقدرته ومكنهـا بحكمته ومشيئته من تهيئة أفضل طعام وأحلى شراب للناس فيه شفاء لهم تقيهم وشقيهم على السواء•

## السـؤال

العلم الحديث يقول ان كثيرا من الأمراض مسبب عن مخلوقات غاية فى الصغر مثل الجراثيم وأشباههـا فهـل عندنا معلومات عن العسـل لشفاء هذه الأمراض ؟

## الجــواب

لقد راود مثل هذا التساؤل الطبيب الجراثيمى الدكتور ساكيت Sackett من ( كلية الزراعة بفــورت كولينز Fort Collins كولورادو ) وتســاؤله لم يكن لاثبــات اعجاز القرآن بالطبع بل كان بسبب شائعة راجت فى زمنــه ( أكثر من ثلاثــين سنة مضت ) أن العســل يمكن أن ينقل الأمراض لأن الحليب المتلوث ينقــل الجراثيم بالتجربة (١) وأحب أن يضع أثر العســل على الجراثيم تحت التجربة العلمية فــزرع جراثيم مختلف الأمراض على العسل الصافى ولبث ينتظر النتيجــة ولكن الذى حدث بعد ذلك أثار الدهشة لديه اذ ماتت هذه الجراثيم وقضى عليها فى بضــع ساعات أو فى مدة أقصــاها بضــعة أيام • ماتت جراثيم الحمى النمشية ( التيفوس ) بعد ٤٨ ساعة جراثيم حمى الامعاء ( التيفوئلا ) بعد ٢٤ ساعة وماتت جراثيم الالتهاب الرئــوى ( المــكورات الرئــوية Pneumococcus فى اليوم الرابع وكذلك بعض الأنــواع الأخــرى كجــراثيم البريتــون والبلــورا والخراجات المســببة عن المكورات العنقــودية Staphylococcus والمكورات العقدية أما جراثيم الزمار ( الدزنتاريا ) فقد قضى عليها بعــد عشر ساعات كل هذا تجده مسجلا فى النشرة رقم ٢٥٢ لمحطة التجارب التى يعمل بها (٢) وأعاد الدكتور لوكهيد Lockhead الذى كان يعمل فى قسم الخمائر بأوتاوا Ottawa كنــدا فأكد ما حصل عليه الدكتور ساكيت من أن الجراثيم الممرضــة تمــوت بالعسل ولكن بعض الخمائر المقاومة للسكر وغير الممرضة تظل تعيش فى العسل ولا تؤثر الا فى طعمه •

ان تجــارب ســاكت ولوكهيد وغيرهما لها أهميتها ومدلولها فقول ساكيت فى تقريره انجراثيم الالتهاب الرئوى ( المكورات الرئوية ) ماتت فى اليوم الرابع يعنى أن العسل دواء جيد للسعال والنزلات الرئوية فقد ذكرت الأهــرام فى عــدد ٢٨ آذار ( مارس ) ١٩٦٨ الخبــر التــالى : « المظهر لأهمية السعال فى اقتصاد بلد ما » جلاســكو فى ٢٧ منــه ــ رويتر ــ قال اليوم البروفسور جون كروفتون من جامعة أدنبرج أن البريطانيين أكثر شعوب العالم سعالا

وأن النزلات الرئوية تكلف البلاد ٤٨ مليون جنيه استرليني في السنة ولا نستطيع نفي العامل الديني عن لوكهيد وساكيت وغيرهما لأن العهد القديم « التوراة » قد ورد فيها أن سليمان عليه السلام قال ( اذهبوا وفتشو عن العسل واستعملوه ) (٣)

كما أن ساكيت في تقريره بأن جراثيم الزحار ( الدزنتاريا ) قد قضى عليها بعد عشر ساعات تعطينا فهما جديدا للحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى استطلق بطنه فقال ( اسقه عسلا ) فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال يا رسول الله سقيته عسلا فما زاده الا استطلاقا قال ( اذهب فاسقه عسلا ) فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال يا رسول الله ما زاده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( صدق الله وكذب بطن أخيك ، اذهب فاسقه عسلا ) فذهب فسقاه عسلا فبرىء ..

فاستطلاق البطن يمكن أن يكون والله أعلم بسبب الدزنتاريا (الزحار) وتجربة ساكيت بأن العسل يقضى على جراثيم الدزنتاريا بعشر ساعات كانت بوضع جراثيم الزحار على العسل فى وعاء زجاج (Petri Dish) ويختلف الأمر بشرب الانسان للعسل لأن الجسم فيه من الأخلاط المركبة مما استدعى تأخر شفاء الرجل كما تقدم .

ولو أمعنا النظر لوجدنا أن فى الحديث الشريف حكمة بالغة الاعجاز من حيث اعطاء مادة حلوة لشخص يستطلق بطنه ولكن اصرار رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء العسل تصديقا منه لقول القرآن الكريم يكشف لنا أن العسل وان كان مادة حلوة الا أنه يختلف عن تأثير المواد الحلوة فى استطلاق البطن . ونظرا لعدم اكتشاف الجراثيم فى عهد قدامى أطباء المسلمين فكانوا يحارون فى تعليل اعطاء المادة الحلوة لاستطلاق البطن . وكان هذا ينعكس على كتابات قدماء المفسرين للقرآن الكريم مثل ابن كثير ( من القرن الثامن للهجرة ) فكتب يقول : (٤)

( كان هذا الرجل عنده فضلات فلما سقاه عسـلا وهو حار تحللت فأسرعت بالاندفاع فـزاده اسـهالا فاعتقد الأعرابى أن هذا يضره وهو لمصـلحة أخيـه ثم سقاه فكذلك فلما اندفعت الفضلات الفاسـدة المضرة بالبدن استمسك بطنه وصلح مزاجه واندفعت الأسقام والآلام ) •

**السؤال**

كيف علل العلم الحـديث موت الجراثيم الضارة بالانسان فى العسل؟

**الجـواب**

هنالك عدة نظريات منها :

نظرية أولى تقـول ان الجراثيم الضارة لا تعيش فى بيئة سكرية عالية التركيز السكرى كالعسل ؛ ( لأنـه يحتوى ٨٠٪ من السـكاكر ) (٥) والجراثيم الضارة أكثر ما تنشط فى البيئـات أو المزارع ذات التركيز السكرى الضعيف أى حوالى ١٥ ـــ ٢٠٪ فيستوى بذلك السكر المركز أو المـربى أو حتى ديس العنب • ولكن هـذه النظرية قـد عارضتها التجربة ذلك أن الجراثيم تنمو بعد طور الحضانة فى وسط عالى التركيز من السكر (يشابه العسل فى تركيزه) أى ٤٠٪ جلوكوز و ٣١٪ لفلوزبة ٢ر٠٪ حمض التمليـك ( اسـيد فورميك ) فى الملح (٨) بينما هى فى العسل فان الجراثيم لا تنمو ولا حتى فى طور بعد الحضانة •

ونظرية ثانية أن العسل يحـوى فيما يحـويه على المـاء الاكسجينى ($H_2O_2$) وهـو حامض ومطهر وقاتل للجـراثيم وأول من اكتشف وبرهن على وجود المـاء الاكسجينى فى العسل عام ١٩٦٢ الدكتور وايت Jonathan White فى فجر أبحاث بفلادلفيا (٦) وان كان سبقه الكثيرون الى الاشـارة والتلويح تحت اسم المـانع للنمو Inhibine المختلف عن التركيز السكرى العالى كما قال العلماء الثلاثة رولد ، وديو ، ودزياو Dold, Du & Dziao عام ١٩٣٧ وقـام دولـد مـع وينتزنهـاوزن Wintzenhausen بايقاف الجراثيم المسماة بالمكورات العنقودية الهوائية ( وهى جراثيم ممرضة تسبب أنواعا متعددة من التقيحات بمزارع فيهـا تركيز ٥ ـــ ٢٥٪ من العسل •

واكتشف جوهه Gauhe عام ١٩٤١ غددا فى مرى النحل لها خاصة افراز خميرة الجلوكوز أوكسيداز التى تعمل على تشكيل الماء الأكسجينى من جراء تفككها. وأقام الدكتور وايت على أثر اكتشافه معرضا Open House فى مركز الأبحاث الذى يعمل به أظهر فيه لجمهور المشاهدين أثرا لماء الأكسجين على قتل الجراثيم المرضة ووجوده فى العسل واختلاف تأثيره بالنسبة لشدة تركيزه •

لذلك كان لزاما على الذين يستعملون العسل فى الطبخ أو فى تحلية الشاى أو الحليب أو القهوة الخ أن يعلموا أن الماء الأكسجينى يتفكك بالحرارة وان كانت حلاوة العسل تبقى كما هى فالعسل الحاوى على الماء الأكسجينى المطهر للجراثيم يكون فى العسل غير المغلى أو المخزون فى مكان حار لمدة طويلة وكذلك يمكن الحصول على أحسن النتائج اذا أخذ العسل فى كوب ماء دافئة لحالات قرح المعدة والأثنى عشر (٨) لأن الماء الأكسجينى ذو تركيب حامضى •

ونظرية ثالثة : أن العسل مصدر غنى بالبوتاسيوم فهو أى البوتاسيوم يسحب من الجراثيم رطوبتها الضرورية لحياتها (٢) •

**محمود محمد رسلان**

---

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

ورئيس مجلس الادارة

**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٦

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٩٠٠٢-١٩٧٦-٦٦٣٠

Meccan *sūrahs*. Six of these initiating oaths deal with perceptible natural phenomena such as the nigtht, the sun and the dawn' The remaining deal with less or non-perceptible matters, e.g. *al-Ṣāffāt*, *al-Mursālat*, *al-Nāzi'āt* . . . This might exemplify to us how the above-mentioned idea of Bint al-Shāṭi''s taken - for - granted perceptible matters of 'oath' cannot be accepted. Of the forty contexts of *qaṣam*, the "day" item appears 7 times. Here, "day" is roughly used. Words used vary from evening to night and dawn.

God's grace (Benevelonce and Revelation) occurs six times in 93 :4, 36 : 1-6, 19 :68-72, 12:93-8, 12 : 88-92, 12 : 58-76.

Divine support (affection) can be seen in 93:1-5, 12:77-87, 12:58-76.

Only three times has the Prophet, the present day and the hereafter come together in the context of *qaṣam*, 12: 88 - 92, 10:52-4, 4:62-3.

Signs and miracles manifestation occur in 95:1-6, 92:1-11, 68:1-6, 51:20-3, 34:3-4.

The last item, ethics appears in 92:1-11, 75:1-6, 52:1 - 13, 50:1-5, 34:3-5, 19:68-72, 16:63, 10:52-4.

From the above juxtaposition of the *qasam* and other relevant matters, one might distinguish a significant feature, that is the existence of God's grace and His support together with the oath whether it is with the name of Allāh as in 12:73, or with one of His created signs as in 93:1-2.

It is my feeling that the wonderous nature of the Qur'ān, whether in chapters or words, lies in its limitless nature of meaning. From the time of al-Tabari in the tenth centruy up to the present time, exegetes have been trying to understand the Qur'an through different approaches. None of these approaches seem to have the final say. Even in short *sūrah's* where a topical unity may be sought, the *tafsir* looks tentative. *Wa'l-Ḍuḥa* is an example for an ever-changing interpretation.

treating the first two verses of *wa'l-Duhā* underlies his theory of a diversified literary expansive understanding to the Qur'ānic text. To Nāsif, early and modern exegetes are alike in their endeavours to establish the exact meaning of single words and the interrelation between words as a group. Yet when they set out to make interpretations they try to apply pre-conceived elusive rules, containing ossified meanings on vocables, pericopes or groupings of words. Nāsif reads in *wa'l-Duhā wa'l-Layli idha sajā* a lot of meanings beside the most common one, which is clarity and appearance. To him, meanings change according to every usage. Therefore, a meaning based only on the simple idea of *wudūh* and *zuhūr* should be rejected outright. It follows that Bint al-Shāti's developed idea of "linguistic perception" is not instrumental in or aware of the "context". The "context" idea implies reviving changeability, in words which may not be achieved through the perception of "clarity" and appearance.

## IV

The foregoing was a descriptive and analytical study of a selection of exegesis attempts, past and present, on S. 93.

With the exception of Nāsif's remarks on the first two verses, there seems to be nothing new added to the classical *tafsir* which is usually supplemented by tradition, linguistics, rhetoric, dogmatcal, igrammatical and syntactical reading. In Abduh's tafsir, the socially flavoured concepts which, as shown above, appeared in replacement of the abandoned exegetical interpolations, may only mean one side of *tafsīr* which tends to socialize *tafsīr*. Similarly, Bint al-Shāti's notes on the role of the oaths, her deductive study of vocables, pericopes and verses, her illuminating overall results in the treatment of such a short *sūrah* "where the topical unity cannot be mistaken. is still inadequate. Her method may mean that she was preponderantly theorizing and postulating, working to achieve a specific angle' in the art of *tafsīr*.

Nāsif, however, has been critical of the *tafsir*, past and present. His theory, which has only in part been shown in the treatment of the *qasam* in S. 93 may be considered a new tradition to contemporary approaches to *tafsīr*.

In line with the approach of keeping all channels of *tafsir* open, professor Brlefeld helped the writer of this paper in applying the perforated cards method on S. 93 with the aim of discovering mroe "conceptual" references from the other contents in which oaths appear in the Qur'ān. To carry out this method,the oath formula was juxtaposed with the following checked items :

Nature (day), God's Grace (Benevolence, Revelation), Divine Support (affection), the Prophet, present day and the Hereafter, signs and miracles manifestation, ethics.

In 13 out of 40 cases, the *qasam* occurs at the begining of early

similar to the alternating phen omena of natural events.

The concept of *shafā'ah* (intercession) of the prophet for the faithful, which al-Zamakhsharī mentioned, together with the good tidings of future campaigns and events that wouldbe benefiical to Muslims, are rejected by 'Abduh and Bint al-Shāṭi'.

The attempts of both al-Ṭabarī and al-Zamakhsharī to define the *īwā'* (giving refuge), *hidāyah* (guidance) and *ighnā* (causing to richness) in vss. 5,6,7 successively are only considered by 'Abduh and Bint al-Shāṭi' as far as they show a general idea. Accordingly, al-Ṭabarī's reference of *ytm* (being an orphan), *ḍalālah* (non-guidance), *'aylah* (poverty) as stages in the life of the Prophet, and al-Zamakhsharī's obligation to find a way out of the attribution of *ḍalālah* to the prophet and thus his usage of the term "impeccability" are in general rejected by both authorities. They have taken *ḍalālah* not in the sense of "infidelity" which the early interpreters maintained, but in the sense of puzzlement.

Bint al-Shāṭi's comment on the Qur'ānic order of vss. 9-11, reminds us of the social flavour that 'Abduh gave to his interpretation. This in no way suggestsa resemblance in their way of thinking. Rather, their interpretation of *ghinā*, *sā'il*, and *ni'mah* is representative of a lot of differences.

While 'Abduh is in line with early exegetes' *tafsir* of *ghinā* as richness, Bint al-Shāti' through cross-references deductively shows that the rendering should be "chastity"

Bint al-Shāti' shows her acceptance of the early interpretation of the *sā'il* as the needy. 'Abduh, however, had understood this term as "the inquirer of what he does not know.-

Again 'Abduh, in defiance of early interpretation ruled out the idea that the ni 'mah referred to in vs. II, means *nubuwwah*. Bint al-Shāti' not only reverses Abduh's understanding of the term *ni'mah* but also states her amazement that he be among the exegetes whose exposition of the dissemination of *ni'mah* though precautionary yet lacks precision.

It is a common place for 'Abduh and Bint al-Shāti' that they both try to let the Qur'ān speak for itself, and that they do not give explanations to what is unexplained in the Qur'ān. Yet Bint al-Shāti', being influenced by the theory of her teacher al-Khūli, seems to be persistent in understanding the the meaning of the test through a background of vast knowledge of Arabic philology, a selection among early *tafsirs* and dictionaries of what contributes to the context, and an analysis of individual or combination of words which are bound together and deterimed by "linguistic perception" *al-Ihsās al-Lughawi*).

Nāsif's impressive way of

and mercy to the orphan and the needy. Further, the prophet's preaching of the new call of Islam and his guidance to those needing it, was in continuation of the concept of the grace of His Lord.

Parallel to his justification of the oath at the beginning of some *sūrahs*, Al-Zamakhshari held that the morning brighteness was sworn of because it had been the time Moses was spoken to and when the magicians prostrated in fear of their lord. This note was followed by 7 : 98 to show *ḍuḥan* might be expanded to include the whole day and that it can stand in contrast to *bayātan*.

Al-Zamakhshari refused to accept the incongruity which earlier interpretations of the word (*dalah* (infidelity) bore and which al-Tabarī let pass unexplained He based his refusal on the *'ismah* (Impeccability) of the Prophet before and after his mission. To him, it was a *ḍalālah* in the sense that the pre-Islamic period lacked revelation.

III

By the aforementioned examples for the *tafsir* of S. 93 classical and modern, we come to the point of concluding some notes on the significance of the latter compared to the former.

A main feature in "Abduh's" *Tafsir* is that it looks as Jansen noted, more like a commentary on the words of the Qur'ān than on its verses pericopes or *sūrahs*. In his *Tafsir* he seems inclined to simplicity and summarization that would enable the average and the busy man to understand the Qur'ān. He advocated the idea of the generality of the Qur'ān because of its suitability to contemporary needs of the life and to avoid early interpolated and useless digressions.

'Abduh' and Bint al-Shāṭi, have in common the hesitation to accept early interpretations were forced on the meaning of the text whether they were warranted by traditions or not. For instance, 'Abduh's implicit denial of those traditions that include the non-believers as those who wondered if the prophet had been despised and abandoned. Al Ṭabarī had in fact cited four traditions where the word *muskrikūn* (infidels) is mentioned. 'Abduh',s refusal of these traditions is both rationally and traditionally established First, he wonders how could those infidels know at such an early stage about the interruption of the revelation. Secondly, he vefers to what he termed as *Sahih* (sound) tradition where the Prophet is described to have been anxious and longing for the continuation of the revelation.

Bint al-Shāṭi' refuted the idea of glorification which al-Zamakhsharī had seen in vss. 1 and 2. To determine the meaning of the oath in the first two verses, she had not only to give the first-time revelation as "the morning brightness," and the interruption as "the quietness of night, as 'Abduh did, but arrive at the concept of rotation of revelation

of the Prophet and his intercession for the sinners. Putting vss. 4 and 5 together the reader may find that they are having the same line of interpretation.

Al-Tabari interpreted vss. 6,7,8 through citation of three traditions which are all in agreement on the Prophet having been an orphan, his pre-Islamic religious status, and his poverty. The last of these three traditions refers to the changes in the prophet's moral and social status, i.e. secured orphanage, guidance and richness as stages in his pre-mission life

In vss. 9,10, the two verbs *taqhar* and *tanhar* preceded by the negative particle *la* (do not) were interpreted as "oppress not," and " rebuke not." In the last verse 11, the intransitive verb *haddith* implied the disseminataion of Lord's grace through prophethood.

Unlike al-Tabari, al-Zamakhsari does not give the full *isnād* of the traditions used to support the interpretation of S. 93. In *al-kashshaf*, al-Zamakhshari is sometimes using incomplete, non - supported, and even suspected traditions. The grammatical and Syntactical analysis is much less in the first than in the latter.

Al-Zamakhshari starts with the identification of the *surah* as Meccan. He then gives the traditional chronology of the chapters of the Qur'-an which classifies S. 93 after S. 89, *al-Fajr* (the day break.) This addition of al-Zamakhsari is significant. Not only does it seem to insinuate a consensus on revelational chronology but it could also stand as a reminder of the continuation of the basic features of early Meccan *suras*. *Al-Fajr*, for example, includes references to natural phenomena, i.e. the day break and the night, the "honouring not" of the orphans, the "urging not" to feed the poor, greediness along with wealth, and good tidings for the righteous soul

Both the form and the content in al-Tabari and al-Zamakhshari's works are different. The grouping of the verses followed in the interpretation differs also. While in *Jami*, vss. 1-8, and vss. 9-11 seem to constitute two groups, al-Zamakhshari has divided the *surah* into four groups of vss. : 1-3, 4-5, 6-8, and 9-11. Al Tabari links the promise to the prophet of the Lord's grace in vs. 5 with the Lord's previously shown care in vss. 6-8. But the link cetween vs. 3 and vss. 4 and 5 does not seem to be thought of.

In contrast, al-Zamakhshari is more interested in showing the unity of the whole *surah* than al-Tabari. The above-mentioned four groups of verses are well connected. In vs. 4, he finds a continuation of the revelation in consequence of the negation of abandonment and despising vs. 3. Simlarly, vss. 6-8 were fouund to be enumerating the aspects of Lord's grace bestowed on Muḥammad,-- and to be interpretative of and interrelated with the three following verses, 9-11. Therefore, the prophet was instructed to show kindness

as phrases give many variant conceptions, so individual words do. Instead of the common traditional conception of *wa'l-Duha*, the beginning of the day some exegetes were of the opinion that it was the whole day. How was it possible that those exegetes left that common traditional interpretation? The reason, he answers, is simple. Exegetes have been depending on the text where words, though may have specific meanings, they are exposed to an expansive process of perception. In other words, *wa'l-Ḍuḥā*, which was commonly known to be reprsentative of only a part of the day, can be also indicative of other parts of the day.

In line with the above argumentation, Nāsif based his hesitation to accept categorized word connotations. "It is impossible to easily claim that each word contains a specific meaning". Even a linguistically based approach is refused because the meaning of a word could then be arbitrarily determined by a certain grouping of usages of its Arabic root, e.g. *ḍuḥa*, *ḍāḥiyah*, *ḍāḥa*, etc. To him, the claim that a word has had specific root in its meaning cannot be accepted. The word is better to be understood as a combination of processes. Therefore, *al-Ḍuḥā* neither can be considered as the conventional modifying adjective, nor can it be reduced to the concept of clarity and appearance. Rather it is an attitude implying richer and more multiple interpretations. *Al-Ḍuḥā*, therefore, could be an opportunity to decisively consider matters concerning the community and the individual, as understood from 20 : 59. It could be an opportunity for the apearance of irresistable spiritual crises or sudden unavoidable events such as mentioned in 7: 98. *Al-Ḍuḥā* can also be representative of growing features of beings and aspects of the potence of life.

## II

In the following, an exposition of al-Tabari's and al-Zamakhshari's interpretations of S. 93 is given.

Al-Ṭabari starts by referring to his *tafsīr* of wa'l-Ḍuḥā in 91:1. There, he gives preponderance to the interpretation of Qatādah (d. 117-8) of *wa'l-Shams wa ḍuḥāha* as the Sun and its full day. But he mentions another *tafsir* related to Qatādah where wa'l-*Ḍuḥa* means only a part of the daylight time.

For the second verse *wa'l-Layl idhā sajā*, he chose from a total of ten traditions one which gives the meaning "when the night engulfs its sleepers with quietness and darkness."

For vs. 3, he cites twelve traditions, eleven of which dealt with the reasons of the cessation of the revelation. The one remaining tradition is cited to show what al Ṭabari and the earlier interpreters had in common about this verse, i.e. that Allāh neither abandoned nor despised His Prophet.

Briefly has Ṭabari interpreted vs.4. "This world" and "the heareafter" are given as rendering of *al-Ūlā* and *al-Ākhirah* successively. But vs. 5 is substantiated by four traditions emphasizing the good tidings concerning the person

*al-Qur'ān* of al-Naysābūrī (d. 730/1329), *Mafātiḥ al-Ghayb* of al-Rāzī (d. 606/1206), *al-Tabyān fī Aqsām al-Qur,ān* of Ibn al-Qayyim (d. 751/1350), *Mufradāt al Qur'ān* of al-Rāghib al-Iṣbahāni (d. 502/1108), Ibn Sīdah (d. 458. or 448/1066 or 1056) in *al-Muḥkam*, al-Suyūṭī (d. 910/1504) in *al-Itqān* and 'Abduh's *Tafsīr Juz' 'Amma*. By doing so, she gives the Qur'ānic structure the final say in matters of grammar, rhetoric and philology, which, according to her, are analogeous to the Qur'ān. It follows that word occurrences should be checked throughout the Qur'ān in order to get "*al-dalālah al-Qur'ānīyah*" (the Qur'ānic connotation.)

Applying this method to the verses 4 to 8, she compares the occurrences of vs. 4 with those of vss. 53:25, 79 : 25, 92:13, and 8 : 70. She concludes that vs. 4 is uniquely located between the three preceding verses where Allāh's abandonment of His prophet is ruled out, and the following vs. 5 giving the prophet good tidings in the later-to-come future. In a nutshell, the first five verses mean "Your Lord did not abandon you in your past. Your near future is better than that past, and what will come later will content you.," Verses 6-11 are treated in the same deductive method: Allāh's unlimited protection and guidance of the prophet during and after his becoming an orphan ; his chastity or purity after poverty, Divine instruction to delicately treat the orphan and the needy, and to preach the message (*risalāh* or *nubuwwah*.)

A student of Amin al-Khlūi and a colleague of Bint al-Shāṭi', Nāṣif found insufficient both the former's dependence on the literary study of the Qur'an, and the latter's sponsorhip and development of the same method.

With regard to S. 93 Nāṣif cites only the first two verses, to warrant his theory of the rechness of the Qur'ānic text and the need for a *tafsir* which is based on multi-dimensional attitudes of understanding. He observed that diversity in the meaning may best be found in the imaginary phrases which are conductive to indirect or metaphorical conception. It is illusive to think that meanings of words can be properly defined through dictionary references. For instance, the verse *wal' layli idhhā sajā* was given different interpretation by both early and modern exegetes. Among these interpretations : were the Divinely wisdom behind the creation of the night, relaxation of human energies at the quiet night, loneliness, silence, darkness of tombs, expartiation, and the Divine splendour.

Nāṣif cites 'Abduh and Bint al-Shāṭi's understanding of 93 : 1,2. He wonders if it does not seem impossible for the even-handed reader to become incomplete favour of only one of those interpretations to the extent of excluding others, after assuming that he had been convinced of the existance of various possibilities and interpretations. Just

of the prophet which replaced his poverty. He was also puzzled in finding a means to guide his people, the Arabs, who were mostly infidels, and his puzzlement in knwoing Allāh. In vs. 9, 'Abduh took the opportunity to call the attention to the social wisdom behind the prohibition of orphans' ill-treatment. While explaining the verse 10, he condemned those who invented the beggars' traditions which could not be attributed to the prophet. As to the last verse, he held that the intention of the revelation was not to merely mention the fortune whose ostentation the prophet kept away from but to mention giving the poor. Here, he refused to interpret the *ni ' mah* [grace] as the *nubuwah* [prophethood], otherwise the verse "and He found thee needy" would be equivalent to "and he found thee confused" which is not the case. Thus, "He enriched thee" can be meaningfully compared with the "grace of your Lord' in vs. 11.

Bint al-Shāṭi', who significantly refers only to 'Abduh when she tackles modern exegesis, followed him in leaving away the disagreement of the early exegetes on the reasons of the revelation. Yet she pauses long to treat the *qasam* [oath] of the first verse. She refutes the idea of glorification that the *qasam* with the "morning brightness" bears according to the early exegetes. She also sees this idea of glorification prevalent in 'Abduh's thoughts along a similar view when he had to apply the *qasam* on the night and therefore he was compelled to see what he termed as *al-Jalāl al-Ilāhī* [ Divine Splendour]. After a long contemplation in the occurrences of the *wāw* [و] oaths, she gives her understanding as follows:

....... Qur'ānic oaths using *wāw* are not predicated to God but are mere rhetorical devices employed for other than their original oath meaning in order to draw attention dramatically to the perceptible phenomena taken for granted that are the subject of the oaths, the purpose being to introduce after them metaphysical or abstract phenomena which, though they are not perceptible to the senses, are as indisputable as the natural phenomena. Thus, S. 93, for instance, begins with oath by the forenoon and the still night, both of which are material images perceived daily by the unquestioning senses, only to introduce a similar unquestionable fact though not perceived by the senses and that is that God has not forsaken the prophet."

In pursuit of her methodology where Arabic language dictionaries are to be used along with *tafsīr* works, in order to perceive the philological Qur'ānic-word connotations, Bint al-Shāṭi' uses *al Baḥr al-Muḥīt* of (Abū Ḥayyan) al-Tawḥīdi (d. 380/990), *al-kashshāf* of al - Zamakhsharī, *Gharā'ib*

The last part is basically an endeavour to assess in the light of the given results whether the *tafsir* of *surat wa' Duḥāa* is valid and adequate.

'Abduh's major objective in his *tafsịr* was summarized by his student al-Sayid Muḥammad Rashịd Riḍā : "It is to seek guidance in the Qnr'ān". Abduh called the attention of his readers the necessity of having inter pretations that had to do with their Place in time. Exposition of the thirtieth section of the Qur'ān reflects his favour of a method that links the present with the past for the purpose of the discovery of the means leading to a social development of the nation.

'Abduh noted that the traditional versions agreed that the *sūrah* was revealed owing to an interruption of the revelation and that it was consequently suspected, fancied or said that Allāh abandoned and despised His prophet, may peace be upon him. But these very same versions differed on the identity of those unto whom suspicion and fancy had been attributed. He, purposefully was not interested in showing such disagreement because recital of S. 93 implies that Allāh wished to content the soul of the Prophet. by assuring him with (sequences of) events (included in the first five verses) and emphasizing the continuity of His grace on him. To 'Abdhu' the prophet was restless because of his longing for the revelation. Allāh, therefore, made him firm by the continuation of the revelation and announced the good news that the interruption was not because of a despising or an abandonment. Allah confirmed this by the oath where the first time *waḥy* (revelation) resembles the morning brigthness, which strengthens life and generates growth; the interruption resembles the quietness of the night where souls get preparedness for future duties and where phsical energies relax. The fifth verse indicating future Divine bounty is linked with 5:3, a late Medinan verse which exhibits the perfection of the religion and the completion of God's favour on Mulsims and His choise of Islam to be their religiong. In his inter pretation of this verse, 'Abduh avoided the literature which the early exegetes unnecessarily inserted in the *tafsir* with regard to the Prophet's intercession. Vs. 6 gave 'Abduh a chance to describe how the prophet was an orphan. He cited in brief the same traditional story which to some extent reminds us with the *sira* of Ibn Isḥāq. In vs. 7, he saw the providence's guidance of the Prophet. Before, he was puzzled *vi-àvis* the choice of one of the two religions existant in pre-Islamic times, Judaism and Christianity, which had been distorted by their contemporary followers Vs. 8 meant the richness

# INTERPRETATION AND LESSONS OF SURAH 'AL-DUHA'

*By*

**Muhammad Amin Tawfiq**

This paper aims at an evaluation of some Muslim exegetical attempts of *surat wa,l-Duhā* made by a selection of contemporaries. The selected are the *shaykh* Muhammad, Abduh (d. 1323/1905), Dr. Bint al-Shāti' and Dr. Mustafa Nasif. The first is renowned for being a pioneer of what is generally knwon as al-*tafsir al-ijtimā, i,* a socially flavoured interpretation which seeks guidance in the Qur,an. The second, together with her late late husband and teacher Amin al-khuli (d. 1387/1967) represent a literary approach based on chronologically arranged verse occurrences and their Qurānic-oriented meaning. Bint al-Shati' a former professor of Arabic and Literature at 'Ayn shams University, has continued in the sixties and the seventies of this century the applications of this methodology on the short *surahs* of the Quran giving it the name of *al-tafsir al-Bayani,* the expositive interpretation. Nasif, who is still a professor in the same field at the same University though he has concerned himself with the literary content of the Qur'an, seems to have introduced a different understanding of *tafsir*. Nasif has called for an integrated methodology where the diversified literary interpretation of the text is applied, *al-manhaj al-takāmuli fi zawaya al-fahm al-adabi.*

The paper does not pause to refer to interpretations that have dazzling titles while being devoid of interesting exegetical additions to the meaning of S. 93. For instance, the *tafsīr* of the shaykh Ṭantawi Jawhari (d. 1359/1940) is excluded because nothing impressive in his treatment of the *surah* would substantiate his theory of *al-tafsir al-ilmī,* the exegesis deducing from the Qur'an references to science.

To see the modern Muslim interpretation of S. 93 in its right perspective necessitates juxtaposing it and the classical interpretation. Because of the limits of space, only the *tafsir* of al-Tabari (d. 310/922) and that of al-Zamakhshari (d. 538/1144) are consulted. The two have been widely used and depended on by the later exegetes the first mainly because of its richness with classical *tafsīr* supported by chains of transmitters, while the second has been found well-versed in philological syntactical and grammatical connotations of the Quranic word. A brief comparison between his method and that of al-Ṭabari concerning S. 93 will be made in the second part of this paper.

exessive desires and must not commit crimes closely connected with injustice and moral corruption. On the contrary, they should live their lives with the purpose of attaining happiness for others and society in the world after death. This is why we aught to be obedient to Allah and live with righteous faith. The choice of faith is free and there is no compulsion in religion.

The Mercifulness of Allah is equally distributed to all human beings, like the rainfall. Also Allah, the Unique Creator, reveals the way to use it justly through belief in Him.

Among the phenomena caused by the Will of Allah, the Merciful and the Just, there are not only the invisible disasters and misfortunes but also the many crisis of spiritual world. Of course we will be surprised at His mercy in solving these problems and saving us from evil. It is wrong to think that all things on the globe exist or move for themselves. This is because it cannot be their own will that causes them to exist or move, but that of Allah.

The basic source of all activities and movements originates from the intentions of Allah and they are driven by His absolute law. Thus human beings should live as Allah, the Merciful, wishes and by the law created by Him and we should return to Him.

As modern scientific techenology has advanced to an extereme point, our daily material life has changed to one full convenience. However, our spiritual life has degenerated into decadance with destruction of our environment, social order and human dignity.

As a result of this we are now critically confronted with disillusionment and disability stemming from the modern civilization we have achieved. This is also the natural outcome of excessive selfcenterism which denies man and the ultimate goal of his own society, nation and the advancement of the spiritual world.

At this present juncture, Islam is the unique solution to this worldwide negative situation and the only way to keep and spread peace allover the world. Accordingly, all peace and freedom lovers must observe the critical situation of contemporary society and in order to do this effectively and to realize world peace and human welfare, all people should be faithful believers in Allah, the Merciful and the Benevolent. Really, Islam is the Unique way to world peace.

(The Korea Herald 21/5/76)

## ALLAH'S TEACHINGS LEAD TO WORLD PEACE

*By* :

**Haji Mohammed Yoon (a Korean Imam)**

At the present time, the powers of the world are running a competitive race to conquer planets of the universe. It is said that in the 20th century, scientists have concentrated their wisdoms and energies on developing new critcal weapons for destroying the human race. Thus it is necessary for the human race to establish concerte peace and everlasting stability in the world and place greater importance upon human value and dignity.

In this context, one of the most crucial problems we should deeply consider is how to eliminate was on the earth and to set up effectively a basis for peace.

The dispensation of nature is great and majestic ; the flow of time and space runs at equal speed. It is just the same as when we feel a change of season by the appearance of a touch of blossoms on the trees and a mild spring breeze after a long winter. We can't control or dominate the law of nature, even by highly developed modern sceintific technology. It is fruitless for human beings to try to cease the sun from rising to stop the flowers withering and to avoid the emergence of flood and drought. Therefore no one can deny the greatness of nature. But Allah, the Unique Creator, can destroy, control and govern it.

Allah, The Merciful and the Benevolent, created this great masterpiece, like all the things in the universe, by His eleborate and pricise plan, out of His own Will, Allah created the sun, moon and stars. Also Allah, the Merciful gave life and the principles of existnce to all creatures on the globe. Thus all creatures are purely administered and controlled by the laws of Allah, the Merciful, and then after their pre-determined life cycle they are reduced and disappear.

Human beings are created as the Lords of creatures, not only with reason, wisdom and emotion but also with atmost goodness. However, human beings cannot always be perfect because they lack their inner qualities of a complet personality. Human beings are determined to act in accordance with the free judgment of what is good or evil but they must be responsible for the results of their acts. It is quite natural that human beings come to depend on a strong faith in order to stabilize their unstable soul. Because of this, human beings must live according to the holy teachings of Allah, the Unique Creator, with absolute obedience to Him.

Human beings are equally created by Allah, the Unique creator, therefore they should love, respect and trust eachother. Also they should not have

Park Chung Hee donated, have greatly contributed to promoting relations between Koreans and Arabians especially since the present Middle East boom, notably in Suadi Arabia and Iran.

An official at the Ministry of Foreign Affairs said that the government of the Republic of Korea has pursued a very realistic position to be in harmony with any country which does not interfere with the domestic affairs of Korea and is willing to contribute to world peace.

He added :"In this connection, we have made every effort to promote the present relations with those Muslim countries on the basis of mutual respect and trust for mutual benifit. Religious exchanges in the enitial stage, would greatly contribute to consolidating and diversifying present ties".

Currently some 15,000 Korean workers are busily engaged in various development projects in the Middle East tiding over various natural difficulties there.

They have been highly praised by the people there for their industriousness and failthfulness to their assignment. Saudi Arabian Charge d'Affaires Mohammed A. Alaki also viewed : "They are hard-working. They can do a good job if they are properly supervised. They don't pose any problem and are quiet people who work hard without any noise and trouble. We appreciate their quality highly.

Saudi Arabian Minister of Planning Hisham M. Nazer, who recently made a visit to Seoul, also said : "We both belong to countries which have freedom, practice freedom, value freedom and defend freedom as anti-Communist countries".

He went on to say : "We have put our hands together setting an example of how cooperation among nations develops for the benefit of their people. We have also set an excellent example of how to surmount phisycal and human barreirs through mutual cooperation for the welfare of the people and world peace.

In view of the realistic diplomatic stand of the Republic of Korea, the officials observed, the potential of more brisk cooperation between Koreans and Arabians is great in that the economies of the two sides can complement each other.

---

*Al-Azhar avails this occasion to felicitate, in the name of its Grand Sheikh and the Muslims of Egypt, the Muslim brothers of South Korea, and to extend sincere gratitude to the President, to the government and to the people of South Korea for their valuable assistance and noble stand. We also thank H.E.Dr. Chang, the Ambassador and H.E. Mr. Chon, the Consul and all members of the Embassy of South Korea in Cairo, for their efforts to consolidate friendly relations between the peoples of South Korea and Egypt, particularly, between the Muslims in Korea and Al-Azhar.*

a two-stage plan to overcome difficulties and effectively propagate Islam in Korea. The aim of the first stage is increasing the Muslim population and enlighten them by mass communication ,operation of the Arabic language institute and the organization of Muslim student circles at universities across the country.

The Arabic Language Institute attached to the Korea Muslim Federation is gaining in popularity as a result of free lectures for both Muslim and non-Muslim Koreans. At present, over 200 Koreans who are now working in various fields of society, have completed the language course at the institute. At this institute, three missionary workers dispatched by the Libya Islamic Call Society are now giving Arabic Language lectures to Koreans and encouraging them to learn about Islamic Culture.

In the meantime, the number of Arabic departments in Korean universities increased to two this year-Myongi University and Hankuk University of Foreign Studies. The establishments will intensify cultural relations between Korea and Arabic countries and also strngthen the effective propagation of Islam in Korea.

The second stage includes the foundation of Muslim Community College and the establishments of hospitals and various social welfare facilities. The federation said that the future aspect of the propagation of Islam in Korea must be directed toward social work which can give practical help through education and medical salvation to those who have the potential of becoming Muslims.

Since the publication of a translation of Quran in Korean language is urgent, the federation is now acclerating the organization of the Korean translation commitee with the aid of Muslim countries all over the world. It would take almost 10 years to translate the Quran into Korean even by more than 30 specialists, it said.

The number of new Muslim converts are steadily increasing nowadays. Their motives to visit the mosque vary widely from a simple curiosity toward Islam and Arab world to a deep understanding of Islamic doctrines. In spite of a short 20-year history of propagation, Islam in Korea has succeeded in converting many Korean intellectuals into Muslim, including professors, lawyers, journalists, businessmen and students. Islam has become more widely recognized by the Korean people who have also shown a growing concern toward it.

**Kim Kyong-Hae writes on 'Korea-Arab Ties'**
**(The Korea Herald, May 29, 76):**

"Relations between Koreans and Arabians date back to the remote past as a Korean professor recently proved after extensive research that the Changs of the Toksu clan are descendants of an Arab. This relationship recently gave momentum to brisk economic cooperation developing notably since the rising oil price in late 1973.

Korean Muslims, who have recently achieved their long cherished dream of having a mosque on a site which President

In early days, some foreign Muslims came here but the religion was first systematically propagated by Turkish soldiers stationed here during the Korean War (1950-1953). In 1955, an imam, a prayer leader of Islam, for the Turkish troops came here and started missionary work at a shabby tent-mosque in Seoul with some 30 Korean converts.

But the activities of the Korean Muslims were not so remarkable until the inauguration of the Muslim Federation in 1960 with Haji Sabri Shu as its, president

Being entirely different from the native believes of Korea both in its creed and ritual practices, Mohammedanism was not readily accepted by Koreans even after the formation of the federation. Most Koreans feel some affinity for Christanitiy, Confucanism, and Buddhism because, of their relatively long history in Korea.

The off-and -on contact of Korean people with Muslims began, according to the Korean history, in the latter part of the Koryo Kingdom, through the intermittent visits of Arab merchants.

Few people outside the country know that a blood tie was developed between Koreans and Muslims about 700 years ago. Historical research and genealogical studies reveal that at least one Korean family originated from a naturalized Arabian. The progenioter of the Toksu Chang family was a naturalized Arabian. The Arabian forefather of the Chang family came to Korea in 1347 from China (during the Yuan Dynasty) as a member of chaberlains waiting on the Mongolian princess who became the queen of King Chungyol of the koryo Dynasty.

The Arabian later married a Korean woman and the king gave him a Korean name, Chang Sun-yong and gave him the Toksu district, free of all taxes. Historial records show that those naturalized Arabians were not discriminated against for their ancestral origin and they were assimilated rapidly, producing a number of high ranking government officials and literary men.

But the Muslim creed during that period failed to find favor with the Koreans, who were completely imbued with the Oriental belief of Buddhism which they believed to be incompatible with that of the Muslim.

"Every religion in the world has suffered severely during its evangelic mission with persecution and martyrdom, "said Haji Sabri Suo. "But it is not so in Korea. We made a religious revolution with not a singledrop of bloodshed in this non-Islamic nation."

He is one of the two early Muslims who made a pilgrimage to Mecca and other Arab countries in 1959. Currently there are a group of 15 Korean students who are studying Islamic affairs with scholarships in Arab countries Such as Suadi Arabia, Egypt, Libya, and Kuwait.

On completion of the Masjid and Islamic Centre, the Korean Muslim Federation has set up

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

| SHA'BAN 1396 | ENGLISH SECTION | AUGUST 1976 |
|---|---|---|


## SPOTLIGHT ON : ISLAM AND MUSLIMS IN KOREA

*By*

**Dr. Mohiaddin Alwaye**

The present century has witnessed a significant and widespread trend of Islamic rivival and a new awakening in the community of Islam over the world. This trend is visible in every country and at every place, and has within it the possibility of its becoming the forerunner of a new age. Geographically, the Muslim world is a globale community with Muslims living on every continent. A significant feature of this trend in the field of Islamic Call and its developments, is the awakening which has apeared recently among Muslims in Korea whose number is estimated at over 4,000and are expected to increase gradually. Muslims in Korea have achieved a long-chersished dream when the Central Mosque of the Korean Muslim Federation was opened in Seoul on Friday, May 21,1976. Over 40 Muslim leaders from the Arab and Islamic countries attended the opening cerenomy.

The Korea Muslim Federation started construction of the Mosque and Islamic Centre in 1974 in accordance of a decision at the world Muslim Congress at Mecca in 1968. For its construction, President Park Chung Hee donated the 5,000 square metre site in 1970, while Muslim leaders from Arabic countries extended financial support amounting to over 4,000,000 dollars. In view of the significance of this new trend, it may be useful to quote some relevant articles by authoritative local Korean writers, in order to shed light on the successive Islamic movements in that part of the world.

Pak Yong-Pill writes under the title "Contacts with Islam Begins Early" (Korea News review, May 29,1976) :

# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

المشرف على التحرير:
الدكتور عبد الودود شلبى

بدل الاشتراك
١٠٠ فى جمهورية مصر العربية
١٢٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السابع — السنة الثامنة والأربعون — رمضان ١٣٩٦ هـ — سبتمبر سنة ١٩٧٦م


بسم الله الرحمن الرحيم

## وإنه لكتاب عزيز


للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر


يقول الله سبحانه عن ليلة نزول القرآن :

« انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين • فيها يفرق كل أمر حكيم • أمرا من عندنا انا كنا مرسلين • رحمة من ربك انه هو السميع العليم » •

وهذه الليلة المباركة هى ليلة القدر ، وعنها يقول الله سبحانه :

« انا أنزلناه فى ليلة القدر • وما أدراك ما ليلة القدر • ليلة القدر خير من ألف شهر • تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر • سلام هى حتى مطلع الفجر » •

كيف حدث ذلك .. ؟

فى أوائل كتاب البخارى — أصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه — وصف كيفية نزول القرآن : عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : « أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ،

فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ( وهو التعبد الليالى ذوات العدد ) قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ .. قال ما أنا بقارىء .. قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال اقرأ .. قلت : ما أنا بقارىء .. فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ .. فقلت : ما أنا بقارىء .. فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم » •

وكما وصف الله سبحانه ليلة نزوله بأنها مباركة ، فانه وصف القرآن نفسه بأنه مبارك : « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » •

ولقد استفاض القرآن الكريم فى وصف القرآن ، ونبدأ الحديث عن هذه الأوصاف بملاحظة نرجو القارىء أن يتدبر معناها : ان الله سبحانه وتعالى يختم سورة الشورى بهذه الآيات الكريمة: « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم • وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم • صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا الى الله تصير الأمور » •

فى هذه الآيات الكريمة يذكر الله سبحانه صفتين من صفاته تعالى :

« انه على حكيم » ، وانه سبحانه على فى الأرض وهو على فى السماء ، وهو سبحانه أحكم الحكماء ، انه على حكيم دون تشبيه أو تمثيل ، وبعد هذه الآيات الكريمة يبدأ القرآن مباشرة فى سورة الزخرف والآيات الأولى منها : « حم • والكتاب المبين • انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون • وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم » ، وفى

هــذه الآيات يصف سبحانه وتعالى القــرآن الكريم بالوصــفين اللذين وصف بهمــا نفســه ، ولكنه يزيد شيئا من التأكيد .

ان القرآن علىً على كل ما عداه من قول ، اذا نظرت اليه من الناحية اللفظية وجدته فى أعلى مستوى من مستويات البلاغة ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضــل الله على سائر البشر ، لقــد أعجز البلغاء فى كل عصر وتحداهم فى كل بيئة .

واذا نظرت اليه من ناحية المعنى فانك تجده : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

لقــد أتى البــاطل على كتب الله السابقة حين غيرت وبدلت ، ولقــد أثبت عــلم تاريخ الأديان فى أوربا وأمريكا هذا التغيير والتبديل بمــا لا مجال للشك فيه .

لقد أثبته مثلا فى فرنسا الأستاذ شــارل جنبيير فى عــدة كتب من مؤلفاته ، والأستاذ شارل قمــة من قمم التحقيق العلمى ، وقد احتل أكبر المناصب العلمية فى علم تاريخ الأديان فى فرنسا ، وهو منصب رئيس قسم تاريخ الأديان فى جامعة باريس وأثبته الأســتاذ لودس ، وهــو من كبار أســاتذة تاريخ الأديان فى فرنســا أيضــا فى عدة كتب من مؤلفــاته ، وأثبته غيرهما .

أمــا القــرآن ـ فان الأســتاذ ديمــومبين وعشرات غــيره مــن المستشرقين الغربيين قد قالوا : ان القرآن الذى نقرؤه الآن هو القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدق الله العظيم اذ يقول:

« انا نحن نزلنــا الذكر وانا له لحافظون » ( الحجر ٩ ) .

ولم يدخل عليه الباطل من جانب المبادىء وانما كان التغيير والتبديل فى الكتب السابقة قد أفسد المبادىء التى أتت بها الأديان السابقة ، فان المبادىء التى رسمها القرآن هــداية للانسانية باقية على الدهر تعلن عن مصدرها وانهــا « تنزيل من حكيم حميد» ، وأى نظرة الى هذه المبادىء تثبت صدقها :

انها فىالتشريع ترتكز على العدالة: « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » « ان الله يأمر بالعــدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء

والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» ( المائدة ٨ والنحل ٩٠).

وفى الأخلاق ترتكز على الرحمة : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ( الأنبياء ١٠٧ ) .

وفى العلاقات الاجتماعية ترتكز على الأخوة .

وفى العقائد ترتكز على الأساس الثابت للعدل والرحمةوالأخوة وهو التوحيد ، والانسان الموحد حقا هو الانسان الذى أحب الاسلام أن يكون مثلا للانسانية أجمع .

وفى الآيات الكريمة التى نحن بصددها وصف القرآن بأنه نور ومن أسماء الله « النور » .

ويقول الله سبحانه :«ق.والقرآن المجيد » ويقول : « بل هو قرآن مجيد » ، ومن أسماء الله « المجيد » ( ق ١ والبروج ٢١ )

ومن أوصاف القرآن أنه عزيز « وانه لكتاب عزيز » ، ومن أسماء الله تعالى « العزيز » ( فصلت ٤١ ).

وفى نهاية الحديث عن هذه الأوصاف التى فى القرآن والحديث، نبين أن الله سبحانه وتعالى أقسم على وصف نفيس للقرآن : هو أنه كريم ، وهو أيضا وصف يعبر عن اسم من أسمائه سبحانه وتعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين » ( الواقعة ٧٥ ــ ٨٠ ) .

يقول صاحب «لطائف الاشارات»: « انه لقرآن كريم » والكرم نفى الدناءة ، أى انه غير مخلوق ، ويقال هو قرآن كريم ؛ لأنه من عند رب كريم على رسول كريم على لسان ملك كريم « فى كتاب مكنون » يقال فى اللوح المحفوظ ويقال فى المصاحف وهو محفوظ عن التبديل ، « لا يمسه الا المطهرون » عن الأدناس والعيوب والمعاصى ويقال هو خبر فيه معنى الأمر ، أى لا ينبغى أن يمس المصحف الا من كان متطهرا من الشرك وعن الأحداث ، ويقال لا يجد طعمه وبركته الا من آمن به ، ويقال

لا يقربه الا الموحدون فأما الكفار فيكرهون سماعه فلايقربونه، وقرىء « المطهرون » أى الذين يطهرون نفوسهم عن الذنوب والخلق الدنىء ويقال لا يمس خيره الا من طهر من الشقاوة ، ويقال لا يفهم لطائفه الا من طهر سره ، ويقال المطهرون سرائرهم عن غيره ، ويقال الا المحترمون له القائمون بحقه ، ويقال الا من طهر بماء السعادة ثم بماء الرحمة .

ولقد تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن القرآن فى استفاضة ومن عدة زوايا ، ونقتصر هنا على ذكر أربعة أحاديث :

١ ـ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى اليه ، ولا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ولايجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله » ( رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد ) .

٢ ـ عن عبد الله ـ يعنى ابن مسعود ـ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ، ان هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع ، عصمة الله لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد ، اتلوه فان الله يأجركم على تلاوته ، كل حرف عشر حسنات ، أما أنى لا أقول ( ألم ) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » ( رواه الحاكم وقال : هو صحيح ) .

٣ ـ عن أنس رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله أهلين من الناس : قالوا من هم يا رسول الله ... قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » ، ( رواه النسائى وابن ماجه والحاكم وقال المنذرى : اسناده صحيح ) .

٤ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب » ( رواه

الحاكم وقال : صحيح الاسـناد ، والترمذى وقال : حسن صحيح ) .

ولقد نهض القرآن بالأمة الاسلامية نهضة لا مثيل لها فى التاريخ حينما طبقته تحت قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخرجته عن وضع النظريات الى الواقع المطبق فى المجتمع ، ولقد كان مجتمعا تبطن والتحف التوحيد .

وهـذا المجتمع القرآنى فعل الأعاجيب ، وفى ذلك يقـول المستشرق دى يور : « أفلح محمد (عليه الصلاة والسلام) هو وخلفاؤه الراشـدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فى أن بعثوا فى نفوس أبناء الصحراء وفى نفوس من هم أكثر منهم تحضرا من أهل البلاد الواقعة فى الأطراف روح الاتحاد فى العمل ، والى هـذا البعث يرجع الفضل فى المكانة التى يتبوؤها الاسـلام كدين عالمى ، ولقد صدق الله المسلمين وعده بالنصر ، وكأنما تأييده لهم استجابة لندائهم عند لقاء الأعداء : ( الله أكبر) وكأنما قد صغرت رقعة الدنيا فطووها فى فتوحهم طيا ، ولم يمض زمن طويل حتى فتحت بلاد الفـرس كلهـا ، وانتزع العـرب من الامبراطورية الرومانيـة الشرقية أحسن ولايتين فيها وهما الشام ومصر » .

ان هذا المستشرق يرى أن هذه الفتوحات ــ التى كانت ــ لنشر الخير والحق لا تفسر الا بأحـد أمرين : اما أن تكون الـكرة الأرضية قـد صغرت فى عهدهم فجابوها بهـذه السرعة ، واما أن الأرض كانت تطوى من تحت أرجلهم ، ولكنـه الايمان ، ولكنه مجتمع القرآن .

ومجتمع القرآن يتسم بصفتين : الأولى أنه مجتمع قوى ، والثانيـة أنه مجتمع سعيد .

وذلك ان الله سبحانه وتعالى قد رسم فى القرآن طريق العـزة بالله ، ورسم طريق السـعادة ، فاذا طبق المجتمع المبادىء القرآنية فى أى عصر من العصور فانه يسعد وينهض .

والأمة الاسلامية فى العصر الحاضر لا سبيل لنهضتها الا اذا أسلمت قيادها للقرآن الكريم ، تستمد منه الطريق الى السعادة والقوة ، ولن يصلح أمر هذه الأمة فى عصر من عصورها الا بما صلح به أولها وأن كبار علماء المسلمين على مر العصور يعلمون هذه الحقيقة ، انهم يعلمون أنه لا نجاة ولا انقاذ للأمة الاسلامية الا بالقرآن ــ فعكفوا عليه مفسرين وموضحين ومستنتجين وداعين به الى الله وهادين به الى الحق فجزاهم الله أحسن ما يجزى العلماء عن أمتهم .

واننا فى هذا الشهر المبارك ندعو الله سبحانه أن يوفق الأمة الاسلامية للأخذ بوسائل السعادة والقوة وندعو زعماء العالم الاسلامى الى أن يكون القرآن الكريم أساس النهضة الاجتماعية حتى تكون الأمة الاسلامية قوية سعيدة .

**دكتور عبد الحليم محمود**

---

**خطبة لعمر بن عبد العزيز :**

كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول فى خطبته : « أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى ، وان لكم معادا يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وشقى عبد اخرجه الله عز وجل من رحمته التى وسعت كل شىء وجنته التى عرضها السموات والأرض ، وانما يكون الامان غدا لمن خاف الله تعالى ، واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقاوة بسعادة ، الا ترون انكم فى أصلاب الهالكين وسيخلفكم بعدكم الباقون ، ألا ترون انكم فى كل يوم تشيعون غاديا رائحا الى الله قد قضى نحبه وانقطع أمله ، فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب ؟ » .

# دعاء النبى

## صلى الله عليه وسلم

للأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

**( معرب من الأردية )**

**الفضائل النبوية لها قسمان :**

يمكن أن تقسم الفضائل النبوية التى توفرت فى شخصية النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — الى قسمين : « العبودية الكاملة » « والنبوة الجامعة » .

**الدعاء والدعوة :**

الدعاء هو مظهر العبودية كما أن مظهر النبوة هو الدعوة ، وكلاهما من أهم وأبرز عناوين السيرة المحمدية ، وناحيتان منفردتان ، وفصلان مستقلان لهذه الصحيفة المعجزة ، أما الدعوة فقد وقع عليها نظر كل دارس ، ولفتت عناية كل باحث ، وزخرت الكتب والمؤلفات بتفاصيلها ، وتنور العالم كله بأنوارها ، ولا يزال يتمتع بآثارها وثمارها وذلك ؛ لأن الدعوة تتعلق بالمشاهد والمجالس ، فشهدها كل انسان جلية واضحة ، أما الدعاء فقد قل عدد من تأمل فيما يحمله من الأهمية من بين جوانب السيرة ، وما كان نصيبه من التأثير فى الدعوة النبوية نفسها ، والى أى حد من الأوج والكمال انتهى النبى — صلى الله عليه وسلم — بهذه الناحية للعبودية ، والخضوع التام أمام الرب ، وكيف قام باحياء هذه الناحية الهامة وانمائها وريها وسقيها — وقد كانت ضائعة مهملة كجميع نواحى العبادة والعبودية — ولم يلحق برفيقه الأعلى الا بعد ما قام بتكميلها وتعميمها .

**ضعف الصلة بين العبد والمعبود فى الجاهلية :**

كل من درس تاريخ العقائد والديانات دراسة عميقة شاملة ، وأحاط به فى معنى الكلمة عرف جيدا : ان الصلة بين العبد والمعبود

فى هـذا العهـد ـ الذى تسـمى بالجاهلية ـ قد ضعفت واضمحلت ، حتى نضب معـين الدعاء ـ الذى ينبع من اليقين والحب والخشـوع والخشـية ـ فى داخـل النفوس البشرية ، وقد تعلق العبد ـ فيمـا يتعلق بنفسه وبالمعبود معا ـ بأوهام وأخيلة كان معهـا من المستحيل أن تتحرك فى النفوس عاطفـة الدعاء ، وتشعر بالحاجة اليهـا ، فان الدعاء لا يكاد يصـدر حتى يتمكن العبد من الايمـان بالذى يحقق جميـع متطلباته وحاجاته ، ثم من اليقين بأنه مليك مقتدر على كل شىء ، ثم من الثقة بأنه لا ملجـأ الا اليه ، ولا معطى الا هو ، وبالتالى من الايمان بأنه يحب الاعطـاء ، وان المحبـة والرحمـة ، والجـود والسـخاء ، والكرم والعطـاء من أهم صـفاته وأكرم أخلاقه ، ويفـرح بالاعطـاء فرحا لا يفرحه أحد بالأخذ والقبول ، ثم من تأكد أن العبـد احتيـاج فى احتياج ، وسؤال فى سؤال ، وفقر فى فقر ، وأن المعبود أقرب الى العبد بأكثر مما يتصـور من كل شىء فى الكون ، حتى من نفسـه ، بل انه أقرب اليه من حبل الوريد ، يجيب دعوة الداعى اذا دعاه ، ويقبل على نصره اذا ما اسـتنصره ، ويـؤتى سؤله ، ويقضى حاجته ، ويفـرج كربته .

**نفى الصفات واثرها فى النفوس البشرية :**

ان نظـرة عابرة على التـاريخ الجاهلى كفيلة بالدلالة على ما لقيه كل يقين هناك من تزعزع واضمحلال ، وكـم ثارت حـول الحقـائق من الشـكوك والشبهات ، وكم خيمت عليهـا من الأوهام والمغـالطات ، أما الفلسفة اليونانية فلفضل ابائهـا الشـديد لصـفات واجب الوجود « أو المبدىء الأول » وتأكيدها على تجريده من كل وصف ، واصرارها الأكيد على اثبات الذات المجردة من كل وصف وايمـانها بذلك ايمـانا لا تشوبه شائبة من الشك قد سدت باب الدعاء والالتجاء ، وقطعت كل خيط من الأمل والرجاء ، فما معنى السؤال والاستغاثة ـ يا ترى ـ بمن تجرد من كل صفة ، وتخلى من كل قوة ، وفرغ من كل كمال ؟ والذى لا دخل له فى أى شـأن من شئون الكون وفى أى أمر من أموره ، وقد

تعطل بعد ما خلق « العقل الأول » . و « الواحد » الذى لا يمكن أن يصدر عنه الا « واحد » وقد انتهى هذا الصدور — فيما تعتقده الفلسفة اليونانية القديمة — فكيف يصح الأمل فى صدور الأعمال عنه متتابعة فى كل حين وآن ؟

**عقيدة الشرك والوثنية تمنعان عن الدعاء :**

وبالعكس من ذلك كانت الوثنية والعقيدة الجاهلية قد خلعا كل صفة من صفات الاله على أشخاص ممن خلق ، فهذا يحمل القدرة على الاحياء ، وذلك يقدر على الرزق وهذا علمه محيط ، فأصبح له كل غيب كالشهود ، وذاك يستطيع أن يصل متى شاء الى من يشاء وهكذا ، فهل كان هناك رجاء فى السؤال — والحال على هذا المنوال — من « الاله الواحد » والالتجاء اليه ، والرجوع اليه ؟ ولا سيما اذا كان هذا الاله ما وراء الرؤية وما فوق الادراك ، على حين كانت الآلهة « المحلية » مشهودة محسوسة ، وفى متناول اليد ، ولا يغيبن عن البال أن الصفات الالهية والأعمال الالهية قد أصبحت هناك فى طى النسيان ، وضمير الغيب ، لا تكاد تذكر ، على حين كانت النوادى والمجالس عامرة بذكر مآثر الآلهة الكثيرة ، وأعمالها الجليلة ، وكانت القلوب والأذهان مأخوذة بمكارمها النبيلة ، وصنائعها المجيدة ، « فالوضع الذهنى والفكرى » الذى صوره القرآن الكريم كان نتيجة حتمية منطقية لهذه البيئة : « واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه ، اذا هم يستبشرون » (١) .

**الفلسفة اليونانية والعقيدة الجاهلية وأثرهما :**

وعلى كل فالفلسفة اليونانية بفضل موقفها الذى وقفته من الصفات — قد أقفلت كل باب من أبواب الدعاء والالتجاء ، كما أن عقيدة الشرك — تحكم اسباغها للأوصاف والكمالات الالهية على الخالق — قد اتجهت بكل ماتنطوى عليه كلمات الدعاء والتضرع

---

(١) سورة الزمر الآية : ٤٥

والسؤال من الخالق الى المخلوق ، وغيرت اتجاهها من العابد الى المعبود ، فكلتاهما — الفلسفة اليونانية وعقيدة الشرك — أدتا الى نتيجة واحدة موضوعية ، وهى أن أصبح السؤال من الله — الخالق — مباشرة ، والالتجاء اليه ، والاطراح على عتبته دون وساطة ، من المعانى التى لا تدرك ، والغايات التى لا تقصد ، ولذلك فلا تجد فى هذه الفترة حتى أشخاصا معدودين ، متعودين على الدعاء ، عارفين الطريق الى الالتجاء ، مرتاحين اليه بألسنتهم وضمائرهم وقلوبهم •

## فضل الرسول صلى الله عليه وسلم على الانسانية :

ومن فضل محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فدته أنفسنا وأرواحنا — انه أعاد الى الانسانية المحرومة ، ثروتها المفقودة — الدعاء — وجعل العبد يتشرف بالمناجاة مع ربه ، والتكلم معه ، فكان ان أعاد اليه لذة العبادة ، بل ولذة الحياة وشرفها وكرامتها ، وأتاح للانسانية المطرودة أن تتشرف باللقاء ، وتتمتع بالحضور والاجتماع ، وعاد ابن آدم الآبق من ربه الى عتبة ربه معتذرا ، يقول بلسان حاله :

الهى عبدك العاصى أتاكا
مقـرا بالذنوب وقد دعاكا

## عامل من عوامل الحرمان من الدعاء :

كان من عوامل الحرمان الكبرى من الدعاء فكرة الجاهلية الخاطئة : أن الله بعيد عنا ، فكيف يصل اليه صوتنا ؟ فأعلن النبى — صلى الله عليه وسلم — من قبل الله ، وبشر العبد : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان (١) •

## النافع والضار الحقيقى :

وكانت العقيدة الثانية الفاسدة : ان هناك من غير الله من يملك النفع والضر ويقدر على الاعانة والاغاثة ، ومن جناية هذه العقيدة أنها حولت اتجاه الدعاء والاستغاثة والاستنجاد بالنافع والضار الحقيقى الى الآلهة

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٦

« المساعدين » فأعلن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكل قوة وصراحة هذا الاعلان الذى وجه اليه مباشرة.

« قل يأيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين . وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين . وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم » (١).

**للدعاء شان أى شان :**

ولم يصرح النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأن العبد يستطيع أن يدعو معبوده والمعبود يجيب دعوته، فينصره ، لم يصرح بذلك فحسب ، بل وأثبت كذلك أن الدعاء مطالب به من الله ، ويسبب رضاه ، ويجلب سروره ، كما أن الاضراب عنه يسبب سخطه وغضبه ، والدعاء أبرز مظاهر العبودية ، وأوضح عناوينها ، وأعمقها أثرا ، والاعراض عن الدعاء دلالة على الاستكبار والعصيان والطغيان ، وقد أدى اعلان النبى ـ النبى صلى الله عليه وسلم ـ بالدعاء الى ما أدى ، فانتهى به من أعمال العبادة الاجبارية الى مكانة العبادة العظمى ووسائل التقريب الكبرى :

« وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » (٢)

وتدل أحاديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ صريح الدلالة على أن عدم الدعاء والالتجاء الى الله ليس من عوامل الشقاء والحرمان فحسب، بل يجلب سخط الله وغضبه فيقول الحديث :

« من لم يسأل الله يغضب عليه »

ولم يكتف بذلك ، فجعل الدعاء مخ

---

(١) سورة يونس، الآيات : ١٠٤ ـ ١٠٧ .

(٢) سورة غافر الآية : ٦٠

العبادة وقال : « الدعاء مخ العبادة » وجعله مفتاح الرحمة والبركة ، فقال: « من فتح له منكم أبواب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة » .

**الأدعية المأثورة دلائل مستقلة على النبوة :**

ولم تكتف النبوة المحمدية ــ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ــ بهذا التجديد فى الدعاء ، ولم تقتصر على هذا القدر من التكميل فى بابه، بل تخطته ، فبينما علمنا النبى الدعاء ، اذا هو جعل مكتبات العالم الأدبية تزخر وتموج ، فعادت تفيض بالجواهر واليواقيت التى عييت آداب العالم ــ على غناها ــ عن أن تقدم نظيرها ، فى لمعانها ، وصفائها ، وبهائها ، اللهم الا بعض الصحف السماوية والكتب المنزلة ، فقد دعا ربه بكلمات وألفاظ لم يستطع أحد ــ ولن يستطيع ــ أن يأتى بأكثر منها تأثيرا وبلاغة ، وأحسن منها اعتدالا واتزانا ، ومن ثم فهذه الأدعية دليل مستقل من دلائل النبوة ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومعجزة ذاتية كمعجزاته الأخرى الكثيرة ، وانها ــ فى نفس الوقت ــ تدل دلالة واضحة على أنها انما جرت على لسان رسول من رسل الله ، فيشع منها نور النبوة ، ويتجلى فيها يقين الأنبياء ، وتمتزجها عبودية « العبد الكامل » وتواضعه ويختلطها اعتماد حبيب رب العالمين، وثقته ، ودلاله ، وتسرى فيها طبيعة النبوة مع بساطتها وعفتها ، وتجمع بين بساطة القلب المتألم وانكساره ، والحاح ذى الحاجة وقلقه واضطراره، وحزم من يقف على آداب العتبة الالهية ، والبلاط القدسى وأدبه والاعتماد على مواساة المواسى واغاثته ، وبين اظهار الألم واعلان الواقع الصادق ، كما قال الشاعر الفارسى :

« رب قد أصبتنى بالألم،فواسيتنى أنت ، واحتضنتنى أنت بالعطف والحنان وعالجتنى أنت بنفسك » .

**قيمة الدعاء الأدبية :**

ان هذه الأدعية المأثورة تحتل ــ بالاضافة الى قيمتها الروحية وحقيقتها المعنوية ــ أعلى مكانة أدبية وأرفعها ، وأنها درر الأدب

اليتيمة ، وآثاره النادرة الخالدة التى ينقطع نظيرها فى المكتبات الأدبية البشرية بأسرها .

هناك رسائل شخصية قد نالت من نقاد الأدب مكانة كبيرة ؛ لأنها تحمل سذاجة وتنزها عن التصنع، وتعبر عن عواطف القلب تعبيرا صادقا ، بيد أنه قد فاتهم أن يدركوا أن هناك نوعا من الأدب يحمل من السذاجة والحقيقة ما لا تحمله الرسائل والكتابات وتصبح هناك المصطلحات اللغوية بأنواعها هباء منثورا ، حينما يصب فيها المتكلم عصارة قلبه ويعبر لسانه عن القلب بأصح ما يكون وأصدق ما يتصور، ويستغنى المتكلم عن الترحيب والتمجيد والاشارة والتقدير ، ولا تحاسب حسابا للسامع ، بل يخاطب قلبه ، ويتناجى مع مشاعره ويتحدث مع عواطفه ، وهذا النوع من الأدب الرفيع هو « الدعاء » و « المناجاة » .

**الاخلاص والصدق والواقعية من أهم عناصر الأدب :**

ان من أهم عناصر الأدب : الاخلاص والصدق ــ اللذين ظل يتغافل عنهما معظم نقاد الأدب . وهما يهبان الأدب روحا وقوة وحيوية ، ويجعلانه حقيقة أبدية خالدة ــ وقد اتسم « الدعاء » و « المناجاة » بهذين العنصرين بما لم يتسم ــ ولا يمكن أن يتسم ــ به أى نوع من أنواع الأدب ، فكيف اذا كان الداعى والمناجى رقيق القلب ، وجريح الكبد ؟ وله كل نصيبه من القدرة على التعبير عن ألمه بأنواع الأساليب ؟ فتكون الكلمات الصادرة عن لسانه معجزة من الأدب ، فانها أفلاذ كبده وقطع قلبه ، ودموع عينيه ، فتملك القلوب ، وتبكى آلاف البشر قرونا طوالا .

أما اذ كانت هذه الكلمات قد جرت على لسان تكرر عليه الوحى الالهى، وامتلك ناصية البلاغة وعنان الفصاحة ، فلا تسأل عن تأثيرها واعجازها .

الحديث موصول

**ابو الحسن الندوى**

# غزارة في الإنتاج وسوء في التوزيع

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

— ١ —

أعرف شابا كان يتولى الامامة والخطابة والوعظ فى مسجد من مساجد بغداد قبل اثنتى عشرة سنة ، كانت له هامة وقامة ، وجبة وعمامة ، يتسم بالورع والاستقامة ، ويتحلى بالدين والأمانة .

وكان هذا الشاب قد درس على شيخ عالم عامل مخلص ، لا تزال آثاره باقية فى طلابه ، فقد كان عليه رحمة الله يبنى الرجال ولا يبنى المؤلفات ، وكان يرعى العقول والقلوب ويهمل المظاهر والأجسام ، ولا يزال طلابه الشيوخ قادة منابر المساجد فى بغداد وغيرها من المدن : سامراء والفلوجة والرمادى وهيت وعانات من مدن العراق .

وأراد هذا الشاب أن يستكمل علومه الدينية ، فقصد الأزهر الشريف ، وانخرط فى احدى كلياته طالبا مجدا ، حتى نال درجة ( الماجستير ) و ( الدكتوراه ) ، وعاد دكتورا الى بغداد .

وكنت فى القاهرة أيام دراسته فى الأزهر الشريف ، فأراد أن يدخل تحسينات على مظهره ، فحلق لحيته أولا ، وكانت تزين وجهه وتسبغ عليه سمات الورع والتقوى والوقار ، ثم خلع الجبة والعمامة وارتدى السترة والسروال ، حاسرا رأسه ، مسبلا شعره ، فتخلى عن سمات رجل الدين وخسر من جملة ما خسر مخبره أيضا .

والذين يتعللون بأن ( المظهر ) لا أثر له فى ( المخبر ) ، مخطئون أو

واهمون أو مغرر بهم، فارخاء اللحية سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى الأثر أن من دعاء الملائكة: « سبحان الذى زين وجوه البشر باللحى » ؛ كما أن العمائم تيجان العرب متى وضعوها ذلوا ، والعمامة والجبة من مظاهر علماء الدين ، والعمامة تمنع المروق والفسق كما يقولون . وقد أثبت علماء النفس ، أن للمظهر أثرا فى المخبر ، وهؤلاء العلماء الذين أثبتوا أن للمظهر أثرا فى المخبر فى الأجانب ، ونسوق ذلك للذين لا تطربهم مغنية الحى ؛ أما العلماء المسلمون ، فقد سبقوا علماء الغرب المحدثين قرونا طويلة فى هذا المجال ، ولكن أين من ينقب على علمهم الأصيل ؟؟

والمشاهد عيانا أن الذين تخلوا عن قيافة علماء الدين ، واستبدلوا الذى هو خير بالذى هو أدنى انحرف أكثرهم عن تعاليم الدين الحنيف سرا أو علانية ، فهم يظهرون أنهم تخلو عن العمائم والجبب لازدحام المواصلات ، وقسم من هؤلاء الناكصين على أعقابهم لا يعانون من مشكلة المواصلات فى بلادهم ، وهم يظهرون أنهم تخلوا عن زيهم المهيب لازدراء الذين فى قلوبهم مرض بزيهم ، وهذا محض اختلاق ، فأنا أعلم أن الناس لا يزالون بخير ، وهم يحترمون الزى الدينى للعلماء ويجلون العلماء ، ولم أر من يترك مكانه فى الحافلات وغيرها من وسائط النقل للمرتدين الزى الغربى ، ورأيت كثيرا ممن يتركون أماكنهم فى وسائط النقل لرجال الدين وهم فى زيهم المعروف .

وأنا أنصح الذين يتعللون بهذه التعلات التافهة ليسوغوا بها اعراضهم عن زى رجال الدين ، أن يتخلوا عنها الى الأبد ؛ لأنها لا تخضع عاقلا ولا ترضى غير أعداء الدين ، واذا أظهر لهم قسم من الناس باقتناعهم بمسوغاتهم المتهافتة مجاملة أو نفاقا ، فانى أصارحهم بكل أمانة واخلاص بأنهم يظهرون مالا يبطنون ويعلنون ما لا يخفون ، وأنهم ضاقوا ذرعا بزيهم الذى يبعدهم عن الرذيلة ، فآثروا عليه زيًا يبعدهم عن الفضيلة .

— ٢ —

عاد صاحبنا الشاب الى العراق ، بعد أن ( تدكتر ) فى الأزهر الشريف ، فعرض عليه منصب دينى فى مسجد

كبير ببغداد ليتولى فيه الامامة والخطابة والوعظ والتدريس •

وكان هذا المسجد الكبير عامرا بالمصلين والطلاب ، هذا الشاب رأى أن هذا المنصب لا يناسب قدره بعد أن أصبح دكتورا ، ففضل عليه منصب التدريس فى الجامعة •

وتولى منصبه الجديد ، فأراد أن يظهر أنه شيخ مرن متطور ، أليس هو دكتورا؟ أحل ما حرم الله، وأفتى بما لم يفت به العلماء العاملون المخلصون ، وتساهل بما لم يتساهل به الدين الحنيف ، وأرضى المنحرفين وأغضب الله ••

لقد نكص على عقبيه ، فضيع المشيتين ، كالغراب الذى أراد أن يمشى مشية العصفور ، فلم يبق غرابا ولم يصبح عصفورا ، اذ لم يقبله الدكاترة الدراسون بأوروبا فى صفوفهم ، وتخلى عنه رجال الدين كما تخلى عنهم ، والبادىء أظلم •

وحرص على مخاطبته بكلمة : دكتور ، بمقدار حرصه على عدم مخاطبته بكلمة : شيخ ، وأصبح يهش ويرتاح عند مخاطبته بكلمة : دكتور ، ويعبس ويتذمر عندمخاطبته بكلمة : شيخ •

وطبع فى احدى المطابع بطاقة شخصية كتب اسمه عليها متوجة بكلمة : دكتور ، بغير ألف ولام التعريف ، وأخذ يوزعها على من لايعرف بمناسبة وغير مناسبة •

ولمس الناس مبلغ حرصه الشديد على مخاطبته بكلمة : دكتور ، فحرصوا بشدة على ألا يخاطبوه الا بكلمة : شيخ •

وكنت كلما أراه فى جمع من الناس خاطبته بصوت عال : يا شيخ ! فكان يذكرنى مرات ومرات بأنه دكتور وليس شيخا ، وما كنت أجهل انه دكتور ، ولكننى أعتقد بأن « الشيخ » أكبر من الدكتور •

وشهد مرة صلاة الجمعة فى مسجد من مساجد بغداد مع المصلين ، فغاب امام المسجد ، فرجاه بعض الحاضرين أن يخطب فيهم ويصلى بهم ، فرفض الرجاء وتعالى عن ارتقاء المنبر •

هكذا .. بكل بساطة وصراحة ، يترفع ( الدكتور ) عن اعتلاء منابر المساجد لئلا يتهم بأنه ( شيخ ) أو يمت بصلة الى الشيوخ !!

كان قبـل أن يتورط بشـهادته العالية أو قبل أن تورطه هذه الشهادة موضع ثقة الناس به ومحل رجائهم، فأصبح بعد أن صار دكتورا موضع سخرية الناس واشمئزازهم ؛ لأنه كان مؤمنا حقا فأصبح فاسقا حقا ، وكان متواضعا ، فأصبح متكبرا ، وكان دمثا فأصبح فظا ، وكان على شيء من العلم فأصبح على كثير من الجهل !!

وكان الناس يخاطبونه مخاطبـة رجال الدين : سيدنا الشيخ .. مولانا الشيخ .. فكفوا عن مخاطبته بمثل هذا الاحترام والتكريم ، فليس هناك فى الدنيا من يخاطب دكتورا : سيدنا الدكتور .. مولانا الدكتور ..

وكانوا يقدمونه حين يسيرون ، فليس هناك من يتقـدم رجال الدين من المتمدينين وغير المتمدينين أيضا، فأصـبحوا يتقدمون عليه : قـدموه احتـراما لزى رجال الدين ، فلما ارتدى ما يرتدون ، آن لأبى حنيفة أن يمد رجله !!

وكان الناس يقومون له ويخلون له صدور مجالسهم ، تواضعا للدين الذى يمثله وتكريما لرجال الدين، فأصـبحوا لا يكترثون به قادما أو مغادرا .

وكانوا يشـيرون اليه بالبنان ، فأصبح لا ينتطح فيه عنزان .

وكان عند الناس كبيرا ، فأصبح عند نفسـه كبيرا ، وعنـد النـاس صغيرا .

وكانت قيافته الدينية تسبغ عليه هالة من الوقار تجعله أكبر من حجمه الطبيعى ، فعاد من تلقاء نفسـه الى حجمه الطبيعى : لا يرد كلامه أحـد احتراما للدين حين كان معمما ، فلما أصبح بغير عمامة رد عليه النـاس فانكشف عنه غطـاؤه ، وعاد كأى فرد من الأفراد .

لم يلحق الضرر بأحـد فى تصرفه بعد أن أصـبح دكتورا ، بل ألحق الضرر بنفسه ، فتخلى متطوعا مختارا

عن مكانته ومنزلتـه ، والمرء حيث يضع نفسه .

ولكن الذى لا أغتفره له : هو تعاليه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيوت الله .

ان كل منبر فى كل مسجد هومنبر رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام وقد قاد النبى صلوات الله وتسليمه عليـه أصحابه الغر الميـامين عليهم جميعا رضوان الله من فوق منـبره ومن داخل مسجده .

لقد حسـب الدكتور أن منـبر الجامعة أكبر من منبر المسجد، ومع تقديرنا الشـديد لمنابر الجامعات ، الا أنها لا يمكن أن تقارن بمنـابر المساجد فى حال من الأحوال، اذليس فوق منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم منبر ، وليس فوق قدر أشرف المرسلين قدر .

كما أن العلماء ورثة الأنبيـاء ، وهؤلاء العلمـاء هم علمـاء الدين لا علماء القـانون أو الكيميـاء أو الفيزياء أو النفس .. الخ .

— ٣ —

ولست بصدد مقاومة الشـهادات الجامعية العالية .. بالعكس .فانى أحث على المزيد من العلم ، وأتمنى ألا يقتصر الطالب على الشهادات ثم يجلس متفرجا ، بل يستمر فى التعلم والتعـليم من المهـد الى اللحـد كما يقولون .

ولكننى بصدد استنكار ( تكبر ) أصحاب تلك الشهادات على المساجد، وايثارهم الجامعات على الجوامع .

ولست أجهل أن كثيرا من حمـلة الشهادات العالية ، فضلوا ما عنـد الله على ما عنـد النـاس ، فآثروا الجوامع على الجامعات ، الا أن عدد هؤلاء قليل بالنسبة الى الذين هجروا واجباتهم العلميـة الدينية فى رحاب المساجد : خطباء ووعاظا ومدرسين ومفتين .

اننى أرفض هـذا التكبر على الجوامع وأستهجنه ، فالعالم العامل المخلص يتّسم بالتواضع الجم والخلق الكـريم ، فيشرفه أن يرقى منبر رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ويدرس تعاليم الدين الحنيف ، ويأمر

بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويوجّه المسلمين الى الطريق السوى .

وقد صليت الجمعة فى مسجد من مساجد القاهرة فى الأسبوع الأول من شهر رجب الفرد سنة ١٣٩٦ هجرية ، فانتظر المصلون امام المسجد فلم يحضر ليلقى خطبة الجمعة . وينهض شاب من بين الحاضرين واعتلى المنبر وألقى خطبة الجمعة ، فزلزل سيبويه فى قبره وقرأ آيات من القرآن قراءة من لم يقرأ القرآن فى حياته ولم ينصت الى المذياع المسموع أو المرئى ، وأورد أقوالا متهافتة زاعما أنها أحاديث نبوية !!

وقضيت الصلاة فاقتربت من هذا الخطيب المفوه لأسأله : « هل أنت أزهرى ؟ » ، فقال بغير اكتراث : لا ! أنا فنان » ثم علمت أنه اعتلى المنبر ؛ لأنه تذمر من تأخر الامام ، وله عمل عاجل لا يتحمل التأخير !

لقد أدركت أياما كان لكل جامع من جوامع المدن خطباء ، وكان لكل جامع فى كل قرية نائية بأعماق الصحراء وبأعالى الجبال خطيب .

ودار الزمان دورته ، فأصبحت الجوامع فى الحواضر خالية من الخطباء ، بالرغم من كثرة المتخرجين من الأزهر الشريف والكليات الدينية الأخرى فى ديار المسلمين .

وكان الخطباء المفوهون يعدون بالعشرات فى كل مدينة ، فأصبحوا اليوم أندر من الكبريت الأحمر .

لقد كثر الشيوخ الذين تخرجوا فى الأزهر الشريف وفى المعاهد الدينية فى أرجاء الوطن الاسلامى ، ولكنهم ذابوا فى مجال التعليم المدنى والوظائف الادارية والمدنية ، ولى جار فى القاهرة تخرج فى كلية الشريعة بالأزهر الشريف ولكنه يعمل فى وزارة السياحة .

وطالما ساءلت نفسى : ماذا يصنع الشيخ فى وزارة السياحة والسواح ، وفى السياحة والسواح قضايا تناقض الدين الحنيف ولا يرتضيها الخلق القويم .

سيقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض : ان مع السواح عملة صعبة تحتاج اليها البلاد .

وهب أن موارد السياحة مبالغ ضخمة من العملة الصعبة ، ولكن ما نخسره من شرف ودين لا يمكن أن يقاس بأى حال من الأحوال بالعملات الصعبة .

ان الله سبحانه وتعالى هو مالك الملك بيده الخير كله ، فاذا اعتمدنا على البشر فى استجلاب العملات الصعبة مالا حراما بالتضحية بأبسط تعاليم الدين الحنيف وتقاليد الشرف الرفيع ، فان الله يمهل ولا يهمل .

قبضنا العملة الصعبة ، فابتلى الله بلدا بدودة القطن ، وبالحروب بلدا آخر ، والفتن بلدا ثالثا ، والفتن بلدا رابعا ، والوباء بلدا خامسا ، فخسرنا أضعاف أضعاف ما ربحناه من تلك العملة الصعبة الحرام .

وصدق الله العظيم : ( ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ) (١) ، ( وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ) (٢) ، ( وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ) (٣) ، ( وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا ) (٤) ، ( وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون ) (٥) .

فكيف يستسيغ أزهرى أن يعمل دليلا للسواح فى ساحات الملاهى وعلب الليل والحانات ؟ !

وكان الخلفاء الراشدون أفضل الصلاة والسلام واعظا ومدرسا وخطيبا فى المسجد حتى التحق بالرفيق الأعلى ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ، فجزاه الله عنا وعن البشرية أعظم الجزاء .

وكان الخلفاء الراشدون المصريون وقادة الفتح الاسلامى العظيم وعاظا ومدرسين وخطباء فى المساجد حتى أتاهم اليقين عليهم رضوان الله .

وكان العلماء العاملون المخلصون فى كل زمان ومكان وعاظا وخطباء ومدرسين فى المساجد حتى قضوا نحبهم عليهم رحمة الله .

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٩٦

(٢) سورة هود الآية : ١٠٢

(٣) سورة هود الآية : ١١٧

(٤) سورة الكهف الآية : ٥٩

(٥) سورة القصص الآية : ٥٩

ولا يزال العلماء العاملون المخلصون وسيبقون حتى قيام الساعة خطباء ومدرسين ووعاظا فى المساجد .

وربما سينسى الناس ما قدم المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام للأدب ، ولكنهم لن ينسوا ما قدمه للدين الحنيف من خدمات ، فقد كان داعية حين كان أستاذا جامعيا وسفيرا لمصر فى المملكة العربية السعودية والباكستان ، فلما تقاعد بنى فى ( حلوان ) مسجدا وتولى الوعظ والارشاد والتدريس ، ثم دفن فيه وقبره فى مسجده يزار .

فمن يكون هؤلاء الشيوخ الذين تخلوا عن مهمتهم الدينية وآثروا عليها المناصب الأخرى الى جانب الرسول القائد عايه أفضل الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين وقادة الفتح الاسلامى وقادة الفكر الاسلامى عليهم رضوان الله ؟ !

انهم ماتوا وهم أحياء ولن يكون منهم من يذكره التاريخ بالفخر والاعتزاز ، أما الذين حافظوا على مهمتهم واحتفظوا بقيافتهم ، فقد يكون لهم شأن أى شأن !

ان العرب والمسلمين اليوم بحاجة الى علماء عاملين مخلصين ــ وهم يعانون من ضعف وهوان مايعانون ــ كالعز بن عبد السلام وابن تيمية كحاجتهم الى قادة قادرين أفذاذ كخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيبانى ، ليعيد لهم قادة الفكر معنوياتهم وليعيد لهم قادة الفتح عزتهم ، وما أحوج العرب والمسامين اليوم الى المعنويات العالية والعزة القعساء .

— ٤ —

لقد لبيت دعوة شيخ جليل من أساتذة الأزهر الشريف فى يوم من أيام صيف سنة ١٣٩٠ هـ ، وكان هذا الشيخ منتدبا للتدريس فى كلية الامام الأعظم ببغداد ، فعرفت الشيخ معرفة كاملة ، وهو بحق عالم عامل مخلص .

ورأيت فى داره تصاوير أقرانه وشيوخه يوم كان طالبا فى الأزهر القديم ، وتصاوير أقرانه من الشيوخ وطلابهم يوم أصبح أستاذا ، وتصاوير دفعات من الشيوخ والطلاب فى الأزهر الجديد .

ولاحظت أن جميع الشيوخ والطلاب فى التصاوير الأولى ملتحين معممين يرتدون الجبب ، ولاحظت أن قسما من الشيوخ والطلاب فى التصاوير الثانية ملتحين معممين يرتدون الجبب وقسما من الشيوخ بغير لحى ولكنهم معممون يرتدون الجبب وأكثر الطلاب بغير لحى ولا عمائم ولا جبب ، ولاحظت فى التصاوير الأخرى أن القليل من الشيوخ والنادر من الطلاب معممون ملتحون يرتدون الجبب .

وزرت القاهرة سنة ١٣٧٢ هـ لأول مرة ، فتجولت فى الأزهر الشريف والساحات المحيطة به ، فوجدت العمائم تغمر الساحات والباحات ، واليوم نجد تلك الساحات والباحات ، خالية من العمائم الا نادرا .

وقد أصبح لقب الشيخ : الذى أحبه شخصيا وأكاد أكون به مغرما ، غريبا حتى فى الأزهر الشريف ومدير مجلة الأزهر : الذى يحمل لقب : الدكتور ، يخاطب به ويكتب ازاء اسمه على البحوث والمقالات والمحاضرات وفى البطاقات الشخصية أيضا ، والذى لا يحمل هذا اللقب يخاطب بكلمة : أستاذ !

حتى فى الأزهر الشريف وفى مجلته أصبح لقب : الشيخ غريبا !! لماذا !

• • •

وقد تنازل شيخ الأزهر الأسبق مصطفى عبد الرازق عليه رحمة الله عن لقب : الباشا ، وآثر عليه لقب : الشيخ .

فهل يتعلم منه سادتنا الشيوخ هذا الدرس ؟ ! ... يا ليت .

على الأقل يقتضى أن يكتب هؤلاء الشيوخ ازاء أسمائهم : الشيخ الدكتور .. على الأقل ... والا فحرام عليهم أن يهجروا هذا اللقب المبارك العريق .

ان الأزهر الشريف هو ركن القرآن الكريم لغة وعقيدة وتشريعا ، والمفروض أن يكون الأزهريون بخاصة ورجال الدين من غير الأزهريين بعامة سدنة القرآن وعقيدة القرآن وتشريع القرآن ، فلا يقبلون ولا ينبغى لهم أن يقبلوا هذا الحرص على ألقاب علمية غير عربية : ليسانس ، وماجستير ، ودكتوراه .

والعربية والحمد لله أغنى اللغات العالمية ألفاظا ومفردات ، فهى ليست عاجزة عن وضع مصطلحات علمية عربية تقابل تلك المصطلحات العلمية الأجنبية ، مع الاحتفاظ بكل تلك الدرجات العلمية بالنسبة لرجال الدين بلقب : الشيخ .

وأقترح أن يطلق على الطالب المتخرج فى كلية من كليات الأزهر الشريف بدرجة ليسانس لقب : شيخ ، فيقال له مثلا : الشيخ محمد .

وأقترح أن يطلق على الشيخ الذى يتخرج فى الأزهر الشريف بدرجة ماجستير لقب : الأستاذ فيقال له مثلا: الشيخ الأستاذ محمد .

وأقترح أن يطلق على الشيخ الذى ينال درجة الدكتوراه لقب : العالم، فيقال له مثلا : الشيخ العالم محمد .

أما الذين ينالون درجة الأستاذية فيقال لأحدهم : الشيخ العالم الأستاذ محمد .

انى أحب من صميم قلبى وأدعو الله أن يعود الأزهريون طلابا وشيوخا الى زيهم الدينى الجميل .

فاذا تخلى أكثر الشيوخ والطلاب الأزهريين عن زيهم الدينى لسبب أو لآخر ، فلا أقل من أن يحتفظ هؤلاء بلقب : الشيخ ، فذلك أفضل للشيوخ وأكرم .

وعلى مجلة الأزهر بخاصة والمجلات الدينية الأخرى بعامة ، أن تكتب لقب : الشيخ ، ازاء الكاتبين فيها ، فمن المؤلم جدا والمؤسف حقا أن يختفى هذا اللقب حتى فى مجلة الأزهر الشريف !!

أما ظاهرة تهرب الشيوخ من الوظائف الدينية الى الوظائف المدنية، حتى أصبح كثير من المساجد خالية من الخطباء والوعاظ والأئمة ، فلابد من التفكير فى معالجتها من أعلى المستويات فى الأزهر وفى الجامعات والمعاهد العلمية الأخرى فى الوطن الاسلامى وفى كل مكان فيه مسجد تقام فيه الشعائر الدينية .

انى أنادى وأطالب بمساواة خريجى الجامعات الدينية بأمثالهم من خريجى الجامعات الأخرى فى الراتب الاسمى والعلاوات والمخصصات والترقية ، فيكون ما يتقاضاه خريج كلية الشريعة فى الأزهر الشريف مثلا مساويا لما يتقاضاه خريج كلية الحقوق .

بل أنادي وأطالب باعطاء امتياز لخريجى الجامعات الدينية الذين يتولون مناصب دينية ، هو تخصيص سكن داخل المسجد أو مجاور له يسكنه امام المسجد وخطيبه ومدرسه بدون مقابل .

وقد أنشئت دور مجاورة للمساجد الجديدة وفى داخلها التى أقيمت ببغداد ، وفى مدينة الضباط ببغداد مثلا دار مريحة داخل المسجد يسكنها شيخ مصرى منذ سنوات منتدب للتوجيه الدينى فى العراق ، وهو موضع اعتزاز الضابط وتقديرهم .

وربما تكون هذه المساواةوالتميز حافزا للطلاب والمتخرجين على التمسك بالوظائف الدينية والحرص عليها وأداء واجباتهم باتقان .

ولكن الحوافز المادية لا تكفى وحدها ، والأهم منها الدافع النفسى للمرء الذى يجعله فدائيا للدين ، يحبه حبا جما ، ويتفانى فى الدفاع عنه ونشره بين الناس .

هذا الذى يهوى الدين ، لا يمكن أن يتخلى عنه ولو جاع والتحف الثرى .

ان الدراسة الدينية يجب أن تبدأ من الابتدائية ، ثم تمر بمراحل المتوسطة والثانوية والجامعة والتخصص ، كما كان يفعل أسلافنا من قبل .

وأن يجرى اختيار التلاميذ الصغار من أبناء الشيوخ والعوائل المتمسكة بأهداب الدين الحنيف .

وأن يوجه هؤلاء التلاميذ منذ الصغر توجيها دينيا خاصا برعاية شيوخ ورعين يخافون الله ، ومن هذا التوجيه أداء الصلاة فى أوقاتها والمحافظة على الخلق الكريم .

ان اختيار الطلاب للأزهر الشريف من خريجى الدراسة الثانوية العامة خطأ فاحش بغير جدال ؛ لأن بعض هؤلاء الطلاب وقد بلغوا السادسة عشرة من عمرهم على الأقل فى مجتمع فاسد ، يكونون ملوثين خلقيا ولا أزيد .

والملوث خلقيا لا يفيد الدين ولا يكون متدينا ، ويتهرب من الوظائف الدينية كلما استطاع الى ذلك سبيلا .

وأكثر هؤلاء يلجأون الى الكليات الدينيــة لضعف معــدلاتهم ؛ ولأن الكليات المدنية مسدودة فى وجوههم، فهم مرتزقة لا هواة ، لذلك يهربون من الوظائف الدينية بعــد تخرجهم مباشرة ويرضــون لأنفسهم أتفــه الوظــائف ما دامت تــدر عليهــم ما يطمعون فيه من مال •

والمرتزق لا يفيد الدين ولا يكون متدينــا ؛ لأنه بواد والدين بواد •

ان رجل الدين قــدوة حســنة للناس ، فلابد من أن يكون متدينا حقا ليؤثر فيهم ، والفضــائل تنتقل بالعــدوى الى النفوس ، والأرواح جنود مجندة ، والدين قمة الفضائل وركنها الركين •

ان اعــداد المدارس الابتدائيــة والمتوسطة والثانوية لتخريج الطلاب للأزهر الشريف وللكليات والجامعات الاسلامية الأخرى واجب دينى من أعظم الواجبــات واعــداد هــذه المــدارس بكل متطلباتهــا ليس من واجب الأزهر وحده ، بل لابد من تعاون الدول الاسلامية لوضع خطة المعاهد الأزهرية فى حيز التنفيذ ، اذ الأزهر ليس ملكا لمصر وحدها ، بل هو ملك للمسلمين ، فلابد من دعم الأزهر ( ماديا ) من المسلمين كافــة حكومات وشعوبا •

وأرجو الا يلوم المسلمون الأزهر الشريف على تقصير قد يكون حقيقيا أو يكون وهميــا ، فعــلى الأزهر ( واجبات ) تجاه المسلمين ، وقــد قدم لهم خدمات لا تقدر بثمن خلال ألف سنة مما يعــدون ، ولا يزال يقدم لهم خدمات ملموسة فى مجال اللغة والدين •

وكما أن على الأزهر ( واجبات ) تجــاه المســلمين ، فان له عليهــم ( حقــوقا ) ، فهل أدى المسلمون ما للأزهر الشريف عليهم من حقوق؟!

انى أطــالب المســلمين حكومات وشعوبا ، أن يعاونوا الأزهر الشريف ماديا بمــا يستطيعون مهما قــل ، فالقليل الحلال يزيد ويتكاثر ، وهذا الدعم المــادى هــو الذى ييسر للأزهر القيام برسالته على أفضــل الوجوه •

فهل من سميع مجيب ، أم على قلوب أقفالها !!

انى أتمنى أن يخرج الأزهر الشريف والكليات الأخرى فى أرجاء العالم الاسلامى علماء عاملين مخلصين لا موظفين متقاعسين ؛ ودعاة لله وفى سبيل الله باعوا أنفسهم لله، لا تلهيهم تجارة ولا بيع .

ان المسلمين اليوم بحاجة الى علماء لا الى تجار علم ، ويومئذ تخفق رايات الاسلام عالية ويقبل الناس على دين الله أفواجا ، وحينذاك يحل نصر الله ويفرح المؤمنون بنصر الله .

**محمود شيت خطاب**

---

## الاسود الراعى

قال ابن اسحاق :

« كان من حديث الاسود الراعى فيما بلغنى : انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له كان فيها اجيرا لرجل من يهود ، فقال يا رسول الله : اعرض على الاسلام ، فعرض عليه فأسلم ــ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر احدا أن يدعوه الى الاسلام ويعرضه عليه ــ فلما أسلم قال يا رسول الله : انى كنت اجيرا لصاحب هذه الغنم ، وهى امانة عندى ، فكيف اصنع بها ؟ قال : اضرب فى وجوهها فانها سترجع الى ربها ــ فقام الأسود ، فاخذ حفنة من الحصى فرمى بها فى وجوهها ، وقال : ارجعى الى صاحبك فو الله لا اصحبك ابدا فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن . ثم تقدم الاسود الى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قط ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع خلفه ، وسجى بشملة كانت عليه ، فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه ، فقالوا يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟ قال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين » .

طيب الله ذكر الأسود الراعى ، وأبلغنا منازل الشهداء

# تحديات العصر والشباب

للأستاذ أبو الأعلى المودودي

ترجمة من الاردية ـ خليل الحامدى

يجب عليكم قبل كل شيء أن تتفكروا : ما هو العصر الجديد ؟ ان الانسان فى كل عصر اعتبر عصره « عصرا جديدا » وظن العصور السالفة عصورا بائدة كانت تخلو من المزايا والمحاسن ، وكان الناس فيها مصابين بالجهل والرجعية ، أماعصره فهو جديد وأبناؤه متنورون متحضرون متحلون بالعلوم والفنون، ونملك من الأشياء ما لم يحظ به الأولون . هذا الظن الخاطيء وقع فيه الانسان فى كل عصر . مع أننا اذا صرفنا النظر عن الابتكارات العلمية والتطورات التقنية ـ التى قد فتح الله أبوابها على الانسان رويدا رويدا ـ رأينا أن الانسان لم يدخل عليه أى تبدل منذ الانسان الأول ( آدم عليه السلام ) الى يومنا هذا : ظل قالب ذهنه نفس القالب وظلت مواهبه الفكرية نفس المواهب وظلت اهواء نفسه نفس الأهواء ، وظلت متطلبات جسده نفس المتطلبات ، وظل نمط تفكيره نفس النمط لم يحصل أى فرق جوهرى فى تلك الجوانب أبدا . وذلك أن الفطرة التى فطر عليها الانسان ما زالت نفس الفطرة التى فطر عليها سيدنا آدم عليه السلام وهذا هو السر فى أن المنكر الذى أصيب به قوم لوط منذ أربعة آلاف سنة ـ نرى اليوم وبعد أربعة آلاف من السنين ـ يصاب به البلد البالغ فى التحضر والتطور مثل أمريكا التى تدعى أنه لا يقارعها بلد فى العالم كله فى نهضتها ورقيها ـ ونرى فيها ورثة قوم لوط يربو عددهم على عشرين مليونا من الناس . فأى فرق يا ترى قد طرأ على الانسان فى فطرته فى تلك المئات من القرون ؟ وهكذا اذا قال فرعون ـ فى قديم الأزمان ـ

لوزيره : فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى • أين هو ؟ ومن هو ؟ وكيف هو ؟ نرى اليوم وبعد ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة مضت على تلك القولة انه لما ارتفع القمر الصناعى الأول الذى أطلقته روسيا الى مائه وخمسين أو مائتى ميل من الأرض الى الفضاء انفجر رئيس وزرائها آنذاك المستر خروشوف قائلا : اطلعنا الى الآفاق السماوية فلم نجد فيها أى وجود للاله ؟ ويعلم من ذلك بداهة أنه لم يدخل أى تعديل على عقاية الانسان فى تلك الحقبة الطويلة من الزمان التى تشتمل على ثلاثة آلاف وخمسمائة من السنين لم يتبدل أسلوب تفكيره ونظره الى الأشياء • نعم اذا حصل هناك فرق فى هذا الباب فهو أن فرعون ما كان يقدر فى ذلك العصر الا أن يبنى عمارة شامخة لتحقيق غايته الى أكثر الحد ، أما منكرو العصر الحاضر وفراعنته فقد تمكنوا من صنع الأقمار الصناعية وغزو الفضاء أى حصل تطور فى التكنولوجيا فقط ولم يحصل أى تطور من الناحية العقلية • وكما أن الدهرية قد وجدوا فى سالف الأزمان كذلك يوجدون فى العصر الحاضر • وكما كان دعاة الفجور والمجون ومقترفو السوء والفاحشة قد برزوا على مسرح الحياة فى الأحقاب الخالية كذلك شوهدوا اليوم وفى العصر الحاضر • وكما أن الدنيا رأت أناسا عرفوا الحق وآمنوا به وجاهدوا فى سبيله فى زمن نوح عليه السلام كذلك ترى الدنيا اليوم وفى العصر الحاضر جماعات من البشر من حملة الحق ودعاته • فما زال الخير هو الخير « بنصه وفصه » • وما زال الشر هو الشر بقضه وقضيضه •

ولا يغيبن عن البال أيضا أن الناس فى كل عصر من العصور اعتبروا معالم التقدم فيه نقطة النهاية وخاتمة المطاف •

ولكن لم يلبث أن تحول ذلك العصر بتقدمه وبهيله وهيلمانه الى عصر بائد نعت بالبلى والخلوقة • ثم وقع الناس فى العصور التالية فى نفس الفكرة الخاطئة التى وقع فيها أسلافهم من العصور الأولى • فالى نهاية القرن الماضى وجد فى الدنيا

بعض العلماء والفلاسفة الذين كانوا يرون أن الجهاز الحديدى أو أى شيء يكون أثقل من الهواء لايستطيع التحليق فى الجو . وكانوا يرون ذلك أمرا مستحيلا . غير أنه لم يمض على هذه الفكرة فترة طويلة الا وصارت الأجهزة الحديدية تحلق فى السماء فى العشر الأول من القرن العشرين. وثبت من ذلك أن الذين كانوا الى ماقبل عشر أو خمس عشرة سنة يقولون باستحالة ذلك كانوا رجعيين . هذه هى حقيقة ما اصطلحوا عليه «العصر الجديد» أى حسب الانسان فى كل عصر من عصور التاريخ انه بلغ من التقدم أقصاه . ولكن العصر الذى لحقه انفتح فيه المزيد من أبواب التقدم ، وتحقق فيه المزيد من الرقى حتى أصبح العصر الذى سبقه فترة رجعية بائدة بالنسبة اليه . ان الفلسفة لم تكن اليوم فى المستوى الذى كانت عليه فى مفتتح هذا القرن . ونفس القول ينطبق على العلوم الطبيعية . اذ أن الوضع الذى كانت عليه العلوم الطبيعية فى بداية هذا القرن يختلف كثيرا عن وضعها الراهن وكذلك فى باب الأخلاق . فان مظاهر العرى والخلاعة التى كانت توصف فى مستهل هذا القرن بمنتهى الحرية توصف اليوم بالرجعية وهلم جرا ..

وبعد أن أدركتم حقيقة العصر الجديد ادراكا جيدا خذوا الآن النكتة الثانية من البحث وهى ما هو المراد من الشباب .

الشباب ليس خيرا محضا أو شرا محضا . الشباب عبارة عن الدم الفائر، عن قابلية اكتساب كل ماهو حديث، عن كائن اذا اقتنع بشيء انه حقيقى بالاكتساب لا يتأخر عن التضحية بالنفس فى سبيله ، بغض النظر عما اذا كان ذلك الشيء سيئا أو حسنا ، وقوة الشباب هذه مثلها كمثل حد السيف سواء بسواء يستخدمه المجاهد فى سبيل الله أو قاطع الطريق . ان الشباب هم الذين كانوا دعاة المساوى والمنكرات فى أقدم العصور كما كانوا هم الجيش العرموم لرفع ألوية الخير والصلاح، حسنة كانت أو سيئة ، ان الشباب هم أسرع اندفاعا اليها من الشيوخ.

وهـذه الظـاهرة لاتختص بعصر دون عصر بل عمت جميع العصـور وشملت كل الدهور . ان القبـائح الخلقية التى تنتشر اليوم فى أرجاء العالم كان الشباب هم أول المقبلين عليها . وهم الذين يزيدونها انتشارا ورواجا أكثر من غـيرهم ، بل هم الذين يتفننون فى ابتكار المسـاوى الجديدة فى الحياة الاجتماعية .

ولأجل ذلك أقـول : ان الشباب ليس عبارة عن الخير المحض . كما أنه ليس عبـارة عن الشر المحض . انـه اذا رغب فى شىء من الخـير واطمأن الى كونه خيرا وجد فى نفسه ما يجعله يضحى فى هـذا السبيل بنفسه ، ويقارع كل قوة ضده مهما بلغ شأنهـا وعظم أمرها ، وتنشط مواهبه فى ترويجه بعلمه وعمله .

خذوا حضارة مصر القديمة . ان أوضاعها فى عصر سيدنا يوسف عليه السلام لم تكن تختلف عمـا كانت عليه حضارة أمريكا وأوربا . ولكن قام شـاب وحيد ــ يوسف عليـه السلام ــ يحارب كل ما تضمنته تلك الحضارة من ضـلالات وانحرافات بصمود واباء وبرفض كل ما تحتوى عليه من مغريات ومطامع . انه جعل السـيدات المتحضرات اللائى كدن يفتحن له أحضانهن ويغرينـه على السوء جعلهن يلهجن بسمو خلقـه ونزاهة ذيله . وأعلن وهو فى غياهب السجن ، رفضـه لآلهة مصر الباطلة المزيفة واقراره بوحدانية الله الواحد القهار وفتح البلاد المصرية كلهـا ، لابجيش مدجج بالسلاح، بل بمحض ما كان عليه من طهارة الأخلاق وما أوتى من العلم والذكاء حيث قال : « اجعلونى على خزائن الأرض » . فتجاوب معـه من كانت بيده تلك الخزائن ، بدون تلكؤ قائلا : هذه هى الخـزائن ، وانك لأنت الأمين الذى تفوض اليه الخزائن وتسـلم اليه المقاليد .

لقد رأينا فى عهد الرسول عليـه الصلاة والسلام أنه لمـا قام صلى الله عليـه وسلم يدعو النـاس الى الحق وقام رؤسـاء مكة يحاربون دعوته ويصدونه عن سبيل الله صار الشباب فى طليعة المستميتين فى هذا الصراع فى كلا الطرفين : طرف الحق وطرف الباطل ففى جانب كان الشباب من الكفار يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسـلم وأصحابه ويصبون

عليهم أنواعا من العذاب والتنكيل بتحريض من سراتهم . من كانوا أولئك الذين جروا بلالا على رمال ملتهبة ؟ ألم يكونوا شباب مكة الذين سلكوا هذا الطريق المعوج بوحى من شيوخهم . وفى الجانب الآخر نرى الذين تولوا نصرة الحق والذود عن حياضه هم من شباب مكة نفسها من الذين آمنوا بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادقة باخلاص وتجرد . ثم تناهوا فى الاستماتة والتضحية فى سبيلها . خذوا القائمة بأسماء أصحاب الرسول الأوائل ، لا تجدوا فيها الا بضعة أشخاص ممن كانوا أكبر سنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والباقون كلهم كانوا أصغر منه سنا . منهم من كان فى السنة العاشرة من عمره . ومنهم من لم يتجاوز خمسة عشر عاما . ومنهم من لم يبلغ الا ثمانية عشر عاما . ومنهم من بلغ من عمره عشرين أو واحدا وعشرين ربيعا فقط . وكان أكبرهم سنا لم يتجاوز عمره ثمانية وثلاثين عاما . وهؤلاء الشباب هم الذين تواثبوا الى نيران النماردة بدون توقف ، كانوا يرون بأم أعينهم نيران العسف تتلظى ، كانوا يعلمون علم اليقين أن اعتناق الاسلام عبارة عن تأليب الوحوش الكاسرة عليهم لتنهشهم نهشا .

ولكن على الرغم من ذلك قاموا وأعلنوا أن لا اله الا الله محمد رسول الله . ولم يكترثوا أبدا بعواقب هذا الاعلان . فكابدوا كل محنة وعذاب . واستقبلوا كل ظلم واضطهاد ، ولما ضاقت عليهم أرض مكة تركوا ديارهم وأموالهم وأقاربهم وأهليهم وهاجروا الى الحبشة والمدينة دون أن يمر بخلدهم ماذا عسى أن يجابههم فى المهجر من محن وشدائد . الشباب هم الذين سجلوا هذه التضحيات فى سبيل الحق . بما فيهم فتيات وفتيان وهؤلاء كانوا ابناء الأسر التى كان رؤساؤها ألد أعداء الاسلام . وأخيرا وبفضل تضحياتهم الجسيمة وبطولاتهم الرائعة رفرف علم الاسلام فوق المعمورة . انهم بمسايرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه أحدثوا فى العالم انقلابا عظيما دام قرونا طويلة . ولايزال قائما وسيبقى ما دامت السموات والأرض . باذن الله العلى الكبير .

ولتلقوا نظـرة عابرة على هـذا « العصر الجديد » الذى يقال عنه بمنتهى الاعتزاز والمباهاة انه عصر التقـدم والرقى ، انه عصر الفـكر المتنور .

ومما يمتاز به هـذا العصر هـو تقدمه العلمى وهو على كونه أمرا جـديرا بالتقـدير والاجلال يستغل استغلالا فاحشـا فى دمار الانسان وهلاكه وشقائه أكثر من أن يستغل فى سعادته وصلاحه . وبواسطة هذا التقـدم العلمى يبتكر اليوم لابادة الشعوب بأسرها أخطر ما يمكن من الأسلحة والأدوات ، ما لا مثيل له فى تاريخ الشيطانية ، ونكتشف اليوم للجاسوسية أساليب لم يبق أمامهـا أى معنى لحياة الانسان الخاصـة ، وتكرس الدراسات لولادة الانسان بطريقـة العـلم بدون اتصال الأب والأم . وطبعا فان المولودين بتلك الطريقة العلمية سوف لا ينتمون الى أسرة من الأسر ولا يميل بعضهم الى بعض والى غيرهم من الانسان ميلا فطـريا ، ولا يرتبطـون بالتقـاليد المتوارثة أو الجذور الممتدة. وسوف تجهز المصانع لاستخراج أطفال من كل لون من الألوان وكل صورة من الصـور وكل شيمة من الشيم وكل قابلية من القـابليات حسب مبـدأ الطلب والعرض فى الأسواق وتبيعهم للأشخاص أو للشركات والحكومات بالتجزئة أو بالجملة . وهكذا يريد تمرد العلمـاء الملحدين أن يبلغ من التدهور نهايته ليفتح على البشرية بابا من أخطر وأوسع أبواب الفساد والشر ينحط فيه الانسان الى درجة الأغنام والأبقار . بل لعـل المصانع سوف تعد للأنظمة المناوئة لكرامة الانسانية فى العالم أناسا عند الطلب يكونون أشد افتراسا من الوحوش الضارية. وهذا هو التقدم العلمى الذى يفتخر به غاية الافتخار ويدعى أنه قد سما بالانسان الى آفاق السماء . مع أنه قد هبط بالانسان الى أحط درك .. وعـاد به الى الوراء ألوف السنين متمردا على كل القيم . وكان نكسة رهيبة للانسانية التى فقدت ربانهـا المـاهر فى بحر العواصف والهموم والقلق .

**ابوالأعلى المودودى**

# التوازن بين الفردية والجماعية في نظام الإسلام

للدكتور يوسف القرضاوى

التوازن من أبرز الخصائص التى تميز بها الاسلام عن الأديان والمذاهب والفلسفات قديمها وحديثها ، واليه يشير قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » •

ومن دلائل ذلك النظام الاسلامى: التقاء الفردية والجماعية فى صورة متزنة رائعة ، تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجماعة ، وتتكافأ فيها الحقوق والواجبات ، وتتوزع فيها المغانم والتبعات بالقسطاس المستقيم•

لقد تخبطت الفلسفات والمذاهب من قديم ، فى قضية الفرد والمجتمع والعلاقة بينهما : هل الفرد هو الأصل والمجتمع طارىء مفروض عليه ؛ لأن المجتمع انما يتكون من الأفراد ؟ أم المجتمع هو الأساس والفرد نافلة ؛ لأن الفرد بدون المجتمع مادة غفل (خام ) والمجتمع هو الذى يشكلها ويعطيها صورتها • فالمجتمع هو الذى يورث الفرد ثقافته وآدابه وعاداته وغير ذلك ؟

من الناس من جنح الى هذا ، ومنهم من مال الى ذاك ، واحتد الخلاف بين الفلاسفة والمشرعين والاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين فى هذه القضية ، فلم يصلوا الى نتيجة •

كان ( أرسطو ) يؤمن بفردية الانسان ، ويحبذ النظام الذى يقوم على الفردية •

وكان أستاذه أفلاطون يؤمن بالجماعية ــ الاشتراكية ــ كما يتضح ذلك فى كتابه « الجمهورية » •

وبهذا لم تستطيع الفلسفة الاغريقية ــ أشهر الفلسفات البشرية القديمة ــ أن تحل هذه العقدة، وأن تخرج الناس من هذه الحيرة • كشأن الفلسفة دائما فى كل القضايا الكبيرة

تعطى الرأى وضده ، ولا يكاد أقطابها يتفقون على حقيقة ، حتى قال أساتذتها : الفلسفة لا رأى لها !!

وفى فارس ظهر مذهبان متناقضان: أحدهما فردى يدعو الى التقشف والزهد ، والامتناع عن الزواج ، ليعجل الانسان بفناء العالم ، الذى يعج بالشرور والآلام ، وهذا هو مذهب « مانى » ويمثل أقصى الفردية • وقام فى مقابله مذهب آخر يمثل أقصى «الجماعية» وهو مذهب « مزدك » الذى دعا الى شيوعية الأموال والنساء وتبعه كثير من الغوغاء ، الذين عاثوا فى الأرض فسادا، وضجت منهم البلاد والعباد•

وقد جاءت الأديان السماوية لتقيم التوازن فى الحياة ، والقسط بين الناس ، كما قرر ذلك القرآن الكريم (١) ، ولكن اتباعها سرعان ما حرفوها وبدلوا كلمات الله ، ففقدت بذلك وظيفتها فى الحياة ، حين فقدت مزيتها الأولى ، وهى : ربانية المصدر •

لهذا لم تقدم الأديان السابقة قبل الاسلام حلا لهذه المشكلة ، فقد كان اليهود الذين تفرقوا فى الأرض يؤيدون الفردية،بتفكيرهم وسلوكهم القائم على الأنانية « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » (٢) كما سجل عليهم القرآن العزيز •

وجاءت المسيحية أيضا تهتم بنجاة الفرد قبل كل شىء ، تاركة شأن المجتمع لقيصر ، أو على الأقل، هذا ما يفهم من ظاهر ما يحكيه الانجيل عن المسيح • واذا طوينا كتاب التاريخ وتأملنا صفحات الواقع ، فماذا نرى ؟

ان عالمنا اليوم يقوم فيه صراع ضخم بين المذهب الفردى ، والمذهب الجماعى • فالرأسمالية تقوم على تقديس الفردية ، واعتبار الفرد هو المحور الأساسى ، فهى تدلله باعطاء

---

(١) فى قوله تعالى : « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » . ( سورة الحديد الآية ٢٥ ) .

(٢) سورة النساء الآية ١٦١ •

الحقوق الكثيرة ، التى تكاد تكون مطلقة ، فله حرية التملك ، وحرية القول ، وحرية التصرف ، وحرية التمتع ، ولو أدت هذه الحريات الى اضرار نفسه ، واضرار غيره ، ما دام يستعمل حقه فى «الحرية الشخصية» •
فهو يتملك المال بالاحتكار والحيل والربا ، وينفقه فى اللهو والخمر والفجور ، ويمسكه عن الفقراء والمساكين والمعوزين • ولا سلطان لأحد عليه ؛ لأنه « هو حر » •

والمذاهب الاشتراكية ــ وبخاصة المتطرفة منها كالماركسية ــ تقوم على الحط من قيمة الفرد والتقليل من حقوقه ، والاكثار من واجباته ، واعتبار المجتمع هو الغاية ، وهو الأصل • وما الأفراد الا أجزاء أو تروس صغيرة فى تلك « الآلة » الجبارة ، التى هى المجتمع ، والمجتمع فى الحقيقة هو الدولة • والدولة فى الحقيقة هى الحزب الحاكم ، وان شئت قلت : هى اللجنة العليا للحزب ، وربما كانت هى زعيم الحزب فحسب ، هى الدكتاتور !!

ان الفرد ليس له حق التملك الا فى بعض الأمتعة والمنقولات ، وليس له حق المعارضة ، ولا حق التوجيه لسياسة بلده وأمته ، واذا حدثته نفسه بالنقد العلنى أو الخفى ، فان السجون والمنافى وحبال المشانق له بالمرصاد !

ذلك هو شأن فلسفات البشر ومذاهب البشر ، والديانات التى حرفها البشر ، وموقفها من الفردية والجماعية ، فماذا كان موقف الاسلام ؟

لقد كان موقفه فريدا حقا ، لم يمل مع هؤلاء ولا هؤلاء ، ولم يتطرف الى اليمين ولا الى اليسار •

ان شارع هذا الاسلام هو خالق هذا الانسان ، فمن المحال أن يشرع هذا الخالق من الأحكام والنظم ما يعطل فطرة الانسان أو يصادمها • وقد خلقه سبحانه على طبيعة مزدوجة : فردية واجتماعية فى آن واحد • فالفردية جزء أصيل فى كيانه ، ولهذا يحب ذاته ، ويميل الى اثباتها وابرازها ، ويرغب فى الاستقلال بشئونه الخاصة •

ومع هذا نرى فيه نزعة فطرية الى الاجتماع بغيره ، ولهذا عد السجن

الانفرادى عقوبة قاسية للانسان ، ولو كان يتمتع داخله بما لذ وطاب من الطعام والشراب .

والنظام الصالح هو الذى يراعى هذين الجانبين : الفردية والجماعية ، ولا يطغى أحدهما على الآخر . فلا عجب أن جاء الاسلام ــ وهو دين الفطرة ــ نظاما وسطا عدلا ، لا يجور على الفرد لحساب المجتمع ، ولا يحيف على المجتمع من أجل الفرد . لا يدلل الفرد بكثرة الحقوق التى تمنح له ، ولا يرهقه بكثرة الواجبات التى تلقى عليه . وانما يكلفه من الواجبات فى حدود وسعه ، دون حرج ولا اعنات ، ويقرر له من الحقوق ما يكافىء واجباته ، ويلبى حاجته ، ويحفظ كرامته ، ويصون انسانيته :

١ ــ من هنا قرر الاسلام حرمة الدم فحفظ للفرد « حق الحياة » وأعلن القرآن : « أن من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا »(١) . وأوجبت الشريعة فى قتل العمد القصاص ، الا أن يعفوا أولياء المقتول ، أو يقبلوا بدلا ، وأوجبت فى قتل الخطأ الدية والكفارة .

٢ ــ وقرر حرمة العرض ، فصان للفرد « حق الكرامة » فلا يجوز أن يهان فى حضرته ، أو يؤذى فى غيبته ، بأى كلمة أو اشارة تسوؤه : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب » (٢) « ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ؟ » (٣) .

٣ ــ وقرر حرمة المال فصان للفرد « حق التملك » فلا يحل أخذ ماله الا بطيب نفس منه ، ولا يجوز للدولة ، ولا لفرد آخر ، نهب ماله وأخذه بغير حق . قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى حجة الوداع :

---
(١) سورة المائدة الآية : ٣٢
(٢) سورة الحجرات الآية : ١١
(٣) سورة الحجرات الآية : ١٢

« ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا»[1].

٤ ــ وقرر حرمة البيت ، فصان بذلك للفرد « حق الاستقلال الشخصى » فلا يجوز لأحد أن يتجسس عليه أو يقتحم عليه بيته بغير اذنه ، قال تعالى : « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا ، وتسلموا على أهلها » [2] وقال : « ولا تجسسوا » [3] .

٥ ــ وقرر للفرد «حرية الاعتقاد» فلا يجوز أن يكره على ترك دينه ، واعتناق دين آخر « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى»[4] « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » [5] .

٦ ــ وقرر للفرد « حرية النقد »، فمن حق كل فرد أن يعارض ما يراه من عوج ، وما يلاحظه من تقصير ، بل من واجبه ذلك اذا لم يقم غيره به . وهو ما سماه الاسلام « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » .

٧ ــ وقرر « حرية الرأى والفكر » . فمن حق كل انسان ، بل من واجبه ــ أن يفكر وينظر . فقد أمر الاسلام الناس أن يتفكروا . وما دام التفكير حقا ــ أو واجبا ــ لكل بشر ، فمن حق كل مفكر أن يخطىء . ولا لوم عليه فى ذلك اذا كان خطؤه بعد تحر واجتهاد وطلب للحق . وأكثر من ذلك أن الاسلام لا يحرم المجتهد من التوبة والأجر ، وان أخطأ اصابة الحقيقة . ففى الحديث : « المجتهد اذا أخطأ فله أجر ، وان أصاب فله أجران » [6] .

وليس فى الدنيا دين ولا نظام يشجع على استعمال الفكر ويرحب بنتائجه ــ أيا كانت ــ مثل هذا الاسلام ، الذى يثيب على الاجتهاد الخطأ .

---

(١) من خطبة الوداع .
(٢) سورة النور الآية : ٢٧
(٣) سورة الحجرات الآية : ١٢
(٤) سورة البقرة الآية : ٢٥٦
(٥) سورة يونس الآية : ٩٩
(٦) متفق عليه .

ثم تتعايش هذه الأفكار والاجتهادات المختلفة جنبا الى جنب، دون ضيق ولا تبرم ، كما رأينا ذلك فى عهد الصحابة ومن تبعهم باحسان.

وفى ظل هذه الحرية الفكرية ظهرت المدارس والمشارب المختلفة : فى الفقه والتفسير والكلام وغيرها ، من غير نكير ، الا ما توجبه المناقشة العلمية •

٨ ـ وقرر الاسلام « المسئولية الفردية » وأكدها تأكيدا بليغا فى كتابه ، فقال تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » (١) « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (٢) « ولا تزر وازرة وزر أخرى » (٣) •

وهذه الآيات تطبق على الانسان فى الدنيا وفى الآخرة ، فهو فى الحياتين لا يحمل وزر غيره •

ومع هذه الحقوق والحريات التى منحها الاسلام للفرد ، فقد فرض عليه للمجتمع واجبات تكافئها ، وقيد هذه الحقوق والحريات الفردية، بأن تكون فى حدود مصلحة الجماعة •• وألا يكون فيها مضرة للغير • وليس للفرد أن يستخدم حقه فيما يؤذى الجماعة ويضرها ، بل ولا فيما يؤذى نفسه ويضرها • اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام • أى لا يضر الانسان نفسه ولا يضار غيره • كما أن حق الفرد اذا تعارض مع حقوق الجماعة • فان حق الجماعة أولى بالتقديم :

( أ ) فالحياة التى صانها الاسلام للفرد ، اذا اقتضى المجتمع المسلم بذلها لحمايته ، وجب عليه أن يقدمها راضى النفس ، قرير العين ، معتقدا أن الموت هنا هو عين الحياة ، وكذلك اذا اعتدى على حق نفس أخرى كقاتل العمد ، أو على حق المجتمع فى الأمن والاستقرار ، كقاطع الطريق ، أو خرج على دينه وفارق الجماعة كالمرتد ، فقدت حياته ما لها من عصمة •

(ب) وحق التملك مقيد بأن يأخذ المال من حله ، وينفقه فى محله ،

---

(١) سورة المدثر الآية : ٣٨
(٢) سورة البقرة الآية : ٢٨٦
(٣) سورة فاطر الآية : ١٨

ولا يبخل به اذا طلبته الجماعة ، فملكية الفرد للمال ليست مطلقة كما ينادى أنصار « المذهب الحر » بل هى مقيدة بحدود الله وحقوق المجتمع ، حتى ان انتزاع هذا الملك من صاحبه يجوز للمصلحة العامة ، على أن يعوض عنه ثمن المثل .

ذلك أن المال مال الله ، وهو مستخلف فيه ، وبعبارة أخرى : هو وكيل الجماعة فى رعاينه وتثميره وانفاقه ، فاذا أساء التصرف فى المال ، كان من حق الجماعة أن تغل يده ، وتحجر عليه ، كما أن للجماعة عليه حقوقا فى هذا المال ، بعضها دورى ثابت كالزكاة بأنواعها، وبعضها غير دورى كما فى الحديث « ان فى المال حقا سوى الزكاة » (١) وبعضها يفرضه ولى الأمر عند الحاجة .

(جـ) والحريات والحقوق كلها مقيدة برعاية أخلاق المجتمع وعقائده ومثله العليا ، فليس معنى حرية الاعتقاد أو الرأى ، اباحة الطعن على الاسلام وأهله ، واذاعة الكفر بالله ورسوله وكتابه ، والتشكيك فى القيم العليا، ونشر الخلاعةوالفجور . فان حرية الافساد لا يقرها عقل ولا شرع .

( د ) ومع المسئولية الفردية التى أكدها الاسلام ، نراه قد أكد كذلك مسئولية الفرد عن الجماعة . فكل فرد فى المجتمع المسلم راع فى مجال من المجالات ، كما فى الحديث الصحيح : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ، والخادم راع فى مال مخدومه ، وكل على ثغرة من ثغرالاسلام، فلايجوز له اهمالها » . وفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تقتضى مسئولية المسلم عن المجتمع ، وتوجب عليه مراقبة أحواله ، وتقويم عوجه ان اعوج بكل ما استطاع : بيده أولا ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان .

ان النصيحة لكافة المسلمين خاصتهم وعامتهم ركن ركين من

---

(١) رواه الترمذى :

الاسلام ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم •

وليس لمسلم أن يعتزل الحياة والناس ويقول : نفسى نفسى ، ويدع نار الفساد تلتهم الأخضر واليابس من حوله ، فان هذه النار اذا تركت وشأنها ، لم تلبث أن تحرقه هو ، وتحرق كل ما يحرص عليه • ولهذا يقول القرآن : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » (١) وفى الحديث : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » •

(هـ) ومن معان الجماعة فى الاسلام ما عرف فى الشريعة باسم « فروض الكفاية » فكل علم أوصناعة أوحرفة أونظام أومؤسسة، تحتاج اليها الجماعة المسلمة فى دينها أو دنياها ، فتحقيقها فرض كفاية على المسلمين ، على معنى أنه اذا قام بها عدد كاف فقد ارتفع الحرج ، وسقط الاثم عن باقى الجماعة ، والا أثمت الجماعة كلها ، واستحقت عقوبة الله •

( و ) والمسلمون مسئولون مسئولية تضامنية عن تنفيذ شريعة الاسلام ، واقامة حدوده • ومن هنا كان خطاب التكليف فى القرآن الى الجماعة • وتكرر قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا » بهذه الصيغة الجماعية ليؤكد وجوب التكافل بين الجماعة ، فى تنفيذ ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى عنه • خوطبت الجماعة كلها بمثابة قوله تعالى :

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما(٢)» «الزانيةوالزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » (٣) • وان كان الذى يقوم على هذه الحدود هو الدولة والحكام ؛ لأن الجماعة كلها مسئولة عن اقامتها ، مؤاخذة بعقاب الله اذا عطلتها •

---

(١) سورة الانفال الآية : ٢٥
(٢) سورة المائدة الآية : ٣٨
(٣) سورة النور الآية : ٢

( ز ) حتى العبادة التى هى صلة بين الفرد وربه ، أبى الاسلام الا أن يضفى عليها روحا جماعية ، وصبغة جماعية ، فدعا الى صلاة الجماعة ورغب فيها ، حتى جعلها أفضل من صلاة المسلم وحده ، بسبع وعشرين درجة ، وكلما كان عدد الجماعة أكبر ، كان ثواب الله عليها أعظم • بل هم الرسول أن يحرق على قوم بيوتهم ، لتخلفهم عن الجماعة فى المسجد ، ولم يرخص لأعمى يسمع الأذان ، أن يصلى فى بيته ويترك صلاة الجماعة • وقال : « لا صلاة لمنفرد خلف الصف » (١) كراهية منه للشذوذ والانفراد ولو فى المظهر • واذا صلى المسلم منفردا فى خلوة لم تزل الجماعة فى وجدانه وضميره، فهو اذا ناجى الله ناجاه بصيغة الجمع، واذا دعاه دعاه باسم الجميع : « اياك نعبد واياك نستعين • اهدنا الصراط المستقيم » (٢) •

كما شرع صلاة الجمعة فى كل أسبوع مرة ، وصلاة العيد فى كل عام مرتين، وفرض الحج فى العمرة مرة على كل مسلم • وكلها شعائر لابد أن تؤدى فى صورة جماعية •

(ح) وفى مجال الآداب والتقاليد، حث الاسلام على جملة من الآداب الاجتماعية ، أراد بها أن يخرج المسلم من الفردية والانعزالية ، التى قد تروق للانطوائيين من الناس، فتحية الاسلام ، والمصافحة عند اللقاء ، وتشميت العاطس ، والتزاور والتهادى ، وعيادة المريض ، وتعزية المصاب ، وصلة الأرحام ، واحسان الجوار ، واكرام الضيف ، وحسن الصحبة فى السفر والحضر ، والبر باليتامى والمساكين وابن السبيل ، وغير ذلك من الآداب والواجبات هى التى جعلت الشعور الجماعى ، والتفكير الجماعى ، والسلوك ، جزءا لايتجزأ من حياة المسلم •

(ط) وفى مجال الأخلاق ، حث الاسلام على المحبة والاخاء والايثار، وأمر بالتعاون على البر والتقوى ،

---

(١) حديث شريف •
(٢) الفاتحة : الآيتان ٥ ، ٦

ودعا الى توحيد الكلمة وجمع الصف. كما دعا الى التراحم والتسامح، والى البذل والتضحية، واحترام النظام، والطاعة لأولى الأمر فى المعروف .

وبجوار ذلك حذر من الحسد والبغضاء، والحقد، والفرقة، والتنازع، وسائر الرذائل التى تنشأ من الأنانية والغلو فى حب الذات وحب الشهوات .

وبهذا كله أقام الاسلام ــ بالتشريع والتربية ــ الموازين القسط بين الفرد والمجتمع، أو بين الفرد والجماعية فى حياة الانسان .

وبهذا أيضا يتبين للباحث المنصف: أن من الظلم للاسلام أن يعد فى المذاهب الفردية، أو فى المذاهب الجماعية ( الاشتراكية ) . فهو فى الواقع نظام متفرد، فقد اعترف بالفرد وبالمجتمع كليهما، وقرر له حقوقه بالعدل، وألزمه واجبات تقابلها بالمعروف . وهذا هو القسط وان شئت قلت : هذا هو التوازن الذى اختص به هذا الاسلام .

**د: يوسف القرضاوى**

---

ان اى طاغية فى داخل العالم « الاسلامى » ـ سواء أعلن حربه صريحة على الاسلام أم تظاهر بالجدب على الاسلام ورعايته وهو فى دخيلة نفسه عدو .

ان اى طاغية لايمكن ان يطبق الاسلام، لسبب واحد بسيط : أن الاسلام يجعل ولاء الناس لله بينما هو يريد الولاء لشخصه من دون الله .

وتلك ــ فى بساطة ــ قضية كل طاغية فى التاريخ مع العقيدة ومع المؤمنين .

وذلك فضلا عن ان امثال اولئك الطغاة فى العالم الاسلامى لايقومون بأمر انفسهم انما الاستعمار الصليبى الصهيونى ليقوموا ــ بالوكالة عنه ــ بمهمة القضاء على الاسلام وتدمير المؤمنين .

# شخصية المؤمن وعناصر تكوينها

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز، وان أصابك شيء فلا تقل لو انى فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » . أخرجه مسلم .

يحرص الاسلام على أن يكون المؤمن ذا شخصية قوية تعطى وتأخذ ويتبادل المنافع مع غيره من أبناء الجماعة الاسلامية لتكون من الجميع أمة قوية مترابطة تنافس غيرها من الأمم ، وتأخذ مكانها فى مزدحم الجماعات العالمية عزيزة كريمة ، وقد بين الاسلام فى كثير من آيات القرآن وأحاديث الرسول عناصر بناء هذه الشخصية، فنبه الى فضيلة الصدق والوفاء والأمانة والعفة والتسامح والتعاون والتواد والتراحم والمحبة والايثار وغير ذلك من الفضائل التى يكمل بها بناء الشخصية .

وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الى أمهات الفضائل وهى القوة ، والحرص على ما ينفع ، والاستعانة بالله فى كل الأمور ، وعلى الشباب فى مواقف الشدة وعدم الاستسلام لليأس وترك التندم والتحسر على ما فات من الرغائب .

والقوة كلمة جامعة تشمل كل معانى القوة سواء فى ذلك القوة الجسمية الحسية أم القوة الخلقية المعنوية ، والقوة الجسمية تكون باتباع ما عرف من الوسائل بالرياضة المباحة أو العمل المباح وتجنب

ما يؤذى الجسم والنفس من طعام وشراب والبعد عن التفكير فيما يؤذى الناس وما لا خير فيه فان ذلك عناء يرهق الجسم ويشيع فيه الضعف والوهن والقوة النفسية الخلقية تتحقق بالتخلق بالفضائل التى رسمها الشرع واستحسنها العقل وجرى بها العرف الصحيح .

وفى مقدمة تلك الفضائل تكميل النفس بالعلم وتحميلها بما يتاح منه وافادة الناس به فللعلم زكاة يؤاخذ العالم بالتقصير فيها كما جاء فى الأثر، « من كتم علما يحسنه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » .

وثانى هذه العناصر التى تكون شخصية المؤمن ؛ الحرص على ما ينفع، وما ينفع كلمة عامة أيضا كالقوة ، فما ينفع كثير ، فمنه ما ينفع فى الدين وما ينفع فى الدنيا وجو الحديث يشعر بأن المقصد الأهم هو ما ينفع فى الدين . وما ينفع يختلف باختلاف الأشخاص واختلاف الأنواع من الرجال والنساء وما ينفع قسمان ؛ قسم لا سبيل الى الاختلاف فى نفعه كالعقائد والعبادات والمعاملات وما أوصى به الدين وأوجب التزامه فى السلوك الانسانى كالصدق والتسامح والانتصار للحق ومحاربة الظلم والظالمين وغير ذلك مما أشرنا اليه ، وقسم هو محل الاجتهاد والنظر يجتهد فيه الانسان ويقدره ويقرره حسب قدرته وتفكيره وتوسم الخير فيه ، الا أنه يجب أن يكون التقدير والتقرير فى نطاق الأصول العامة للشريعة . فلا يكون من النفع الذى يجب الحرص عليه ما يكسب من المال بطريق الغش والخداع والتدليس ، ولا يكون من النفع ما يصل اليه الانسان من المناصب بطريق الرشوة والتملق والنفاق؛ لأن الأصول العامة للشريعة تأبى ذلك وتحرمه .

ومن تلك العناصر ، الاستعانة بالله على ما يعزم عليه من الأمور ؛ لأن الاستعانة بالله والاعتماد عليه تريحه من عناء التفكيرات المضنية وتبعد عنه كثيرا من الأوهام المضللة المحيرة ، وتسهل عليه انجاز الأمور وتزيل من طريقه المعوقات وتعينه

على تحمل المسئوليات ، والانسان ــ مهما كان ــ ضعيف بحوله وحيلته قوى بمعونة الله وحوله ، وفى أول سورة من القرآن الكريم مما يكرر فى كل صلاة : « اياك نعبد واياك نستعين» ومن كان مع الله بالاستعانة والتوكل كان الله معه بالمعونة والتيسير « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » ان المؤمن فى حاجة الى الاستعانة بالله لينير له طريق الرشاد ، ويختار له ما فيه الخير والسداد ويهبه الطمأنينة ويلهمه الأمل والاستبشار بانجاح المقاصد فيقبل على ما يريد بروح وثابة لا يبالى بما يلقى من المصاعب والآلام .

والعنصر الأخير فى بناء الشخصية المؤمنة الذى ورد فى الحديث ، الثبات أمام المصاعب والمصائب ومواجهتهما برضاء واطمئنان ، ومما يعينه على ذلك أن يتذكر أن ماوقع له كان بتقدير الله وانه لابد كائن مهما تحرز بالحيطة والحذر وتدرع بأسباب الفوز والنجاح ، والحديث يحذر من الاستسلام لليأس والتضعضع عند الشدائد ويطلب اليه أن يتجنب التحسر والتندم على فائت ، فقد يكون فى فواته خير يستبين فى مستقبل الزمان وان بدا فى فواته عكس المطلوب الآن .

ان الحديث يحذرنا أن نأسى على ما فات ونلجأ الى هذه العبارات التى جرى العرف أن تنطق بها الألسنة فى مثل تلك المناسبات مثل قول القائل : لو انى فعلت كذا وكذا أو ليتنى فعلت كذا أو لولا أنى فعلت كذا لما حصل كذا ولو ذلك مما لا يرفع واقعا ولا يرد فائتا .

ليت وهل ينفع شيئا ليت
ليت شبابا بوع فاشتريت

ويعلل الحديث تحذيره من التندم بهذه العبارات بأنها تفتح عمل الشيطان ، وعمل الشيطان هنا الوسوسة بأن ما وقع ضد المصلحة وضد فائدة المؤمن ، وقد

يجره الاسترسال فى هذه الوساوس الى التسخط على الله وعدم الرضا بماقضاه فيتبلبل فكره وربماتشوشت عليه عقيدته ، ويرشد الحديث الى ما ينبغى أن يقال فى هذا المقام بدل تلك العبارات الموهمة للغضب مما وقع عبارات توحى بالرضا والاخبات للقضاء مثل قولنا قدر الله وما شاء فعل ليخلع عن نفسه لباس الخنوع والاستكانة ويلبس لباس النشاط والقوة ويستأنف العمل بجد وعزم يحقق بهما ما فات ، وربما كان خيره فيما هو آت ، وينبغى للمسلم أن يستذكر على الدوام قوله تعالى: « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على يسير • لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » •

هذا وقد يسأل بعض المستذكرين للحديث فيقول كيف السبيل الى التوفيق ودفع التعارض بين ما ورد فى هذا الحديث من التحذير من استعمال عبارات لو ونحوها فى مواقف الفشل وفوات المطلوب وبين ما ورد فى الحديث الآخر من قوله صلى الله وعليه وسلم : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ولولا أن معى الهدى لأحللت » •

وقد أجاب بعض شراح الحديث عن هذا السؤال فقال: والجواب عن ذلك يسير سهل ، فان الحالة التى ذكر فيها الرسول كلمة لو حالة دينية كان يود أن يبد لها بقربة أخرى لولا أنه ساق الهدى • اما لو المنهى عنها فى الحديث فانها التى تفتح باب الندم ويشعر صاحبها بالأسف على ما فات من شئون الدنيا وتسلك به سبيل الشيطان •

تلك هى العناصر التى تكمل بها شخصية المؤمن ويكون قويا، ويكون قريبا من الله محبوبا منه مرضيا عنه، فائزا بما هو أهل له من ثوابه حيث جرى على مارسمه له ونفذ ما أمربه• وكلما افتقد المؤمن عنصرا من هذه العناصر بعدعنه بمقدارما افتقده، الا أنه لا يخرج من رعايته ولا يحرم من

مثوبته لمـا فيه من أصل الخير وهو الايمان بالله الذى هو المطلوب الأول والغرض الأهم من خلق الانسـان وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » .

والمؤمن مهمـا فرط فى الطاعـات وأفرط فى المعاصى ففى قلبه أصـل الخير وهو الايمان ؛ لأنه يبعث فى النفس الخوف من الله والطمـع فى رضاه فيجاهد نفسه فى طاعته ويحاسبها على غفلتها، ولابدأن يعود يوما الى رحابه وفى الحديث : « مثل المؤمن والايمـان كمثل الفـرس فى آخيته (حبله) يجول ثم يرجع الى آخيته ، وان المـؤمن يسـهو ثم يرجع الى الايمان» . ومعنى الحديث أنه يبعد عن ربه بالذنوب وأصـل الايمـان ثابت فى قلبه .

وبعـد . فقـد تنـاول بعض المحـدثين شرح الحـديث على أنه اخبار ومقارنة بين المؤمن الضعيف والمؤمن القوى ولكنى تناولته بالشرح على أنه ارشاد وتنبيه الى ما ينبغى ان يتوافر فى المؤمن من خصال ليكون قويا واذا لم تتوافر فيه كان ضعيفا والذى يرجح عندى ما ذهبت اليه ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجل، ففى الحـديث : « احـرص على ما ينفعك . واستعن بالله ولا تعجل، وقل ما شـاء الله فعل ، ولا تقـل لو أنى فعلت كذا » .

وفى كلا الشرحين بيان للمقصـود من الحـديث وهو رسـم الطريق لمـا يرضاه الاسلام للمسلمين .

**ابو الوفا المراغى**

---

« قال ابن اسحاق ، اخبرنى عبد الله بن ابى نجيح انه ذكر له أن الشهيد اذا ما أصيب تدلت له زوجتاه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه ، وتقولان : ترب الله وجه من تربك وقتل من قتلك » .

# تذكرة الصائم

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

**معنى الصيام :**

الصيام فى اللغة : الامساك مطلقا عن الطعام أو الشراب ، أو غيرهما كالكلام ، قال تعالى على لسان مريم: « انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » (١) .

**وشرعا :**

هو الامساك عن ادخال شىء الى البطن ، وعن شهوة الفرج من طلوع الفجر الى غروب الشمس بنية ممن كان أهلا للصيام .

**الأدلة على وقت الصيام :**

يدل على بدء وقته قوله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » (٢) .

فالخيط الأبيض المراد به الفجر الصادق ، فقد أباح تعالى الأكل والشرب الى طلوع الفجر ، فيحرم عنده ، ويكون هذا ابتداء وقت الصيام .

ويدل على نهايته قوله تعالى : « ثم أتموا الصيام الى الليل » (٢).

وأيضا ما رواه البخارى أنه عليه الصلاة والسلام قال : ( اذا أقبل الليل من ههنا فقد أفطر الصائم ) — أى اذا وجدت الظلمة حسا فقد دخل وقت الفطر ، أو صار الصائم مفطرا حكما ، لأن الليل ليس ظرفا للصوم.

---

(١) سورة مريم الآية : ٢٦

(٢) سورة البقرة الآية : ١٨٧

**دليل لزوم النية فيه :**

الأول : ما رواه البخارى ومسلم من قوله عليه الصلاة والسلام : ( انما الأعمال بالنيات ) •

الثانى : الصوم ، ولا تتميز العبادة عن العادة الا بالنية فلا بد منها لتصحيح عبادة الصيام ، وتمييزها عن غيرها من عادات الانسان •

**اهلية الصيام :**

المراد بها خلو المرأة من الحيض والنفاس ، فاذا حاضت المرأة ، أو كانت نفساء يحرم عليها الصوم ، ولا يصح منها ، وبعد ذلك تقضى الحائض الصوم المفروض بعدد أيام حيضها ، وتقضى النفساء بعدد أيام نفاسها •

**حكمة مشروعية الصيام**

شرع الله تعالى الصيام لحكم سامية نجملها فيما يأتى :

١ ــ تعويد الانسان الصبر ليقوى على احتمال المشاق ، ويصمد أمام الأحداث •

٢ ــ تقوية الارادة عند الصائم بقهر النفس ، والانتصار على شهواتها •

٣ ــ بالصوم تصح الأبدان ، وتبرأ من بعض العلل والأسقام •

٤ ــ به يذوق الأغنياء مشقة الحرمان ، فيسارعون الى مواساة المعوزين والبائسين •

٥ ــ فى تشريع الصيام تحقيق عملى لمبدأ المساواة بين الناس ، واعلامهم بأسلوب واضح ، أن تفاوتهم فى حظوظ الدنيا ــ لا أثر له فى منزلتهم عند الله تعالى •

٦ ــ فيه تربية القلوب على الخشية منه سبحانه ومراقبته فى جميع التصرفات ، ومن راقب ربه حذر من مخالفته ، وسارع الى مرضاته ، وتلك هى التقوى التى جعلها ــ سبحانه ــ غاية للصوم حيث قال :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (١) •

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣

**اثبات رمضان :**

يثبت شهر رمضان بأحد أمرين :

الأول : رؤية هلاله بعد غروب شمس اليوم التاسع والعشرين من شعبان .

الثانى : اكمال عدة شعبان ثلاثين يوما اذا لم تتيسر الرؤية لعارض من العوارض الجوية كالغيم والغبار ــ كما أرشد الى ذلك صلوات الله وسلامه عليه حيث قال : صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما ) (١) .

**الحكم اذا ثبتت الرؤية فى قطر دون غيره :**

اذا ثبتت رؤية الهلال فى قطر دون غيره ــ تلزم سائر أقطار الاسلام التى تتفق مع قطر الرؤية فى جزء من الليل ، بلا فرق بين قطر وقطر ، كما لا فرق بين بلد من قطر الرؤية ، وبلد آخر فيه .

بهذا قال جمع كثير من الفقهاء ، ــ ويتلاقى هذا القول مع ما يدل عليه الحديث الشريف ، فان الحديث ربط الصوم والفطر بمطلق الرؤية الثابتة عند المخاطبين ، ولم يشترط لصوم كل شخص وفطره أن يرى بنفسه ، فمجرد حصول الرؤية من البعض كاف فى ايجاب الصوم ، أو الفطر على جميع المسلمين ، ويشهد لسداد هذا القول أيضا أنه ينشأ عن الأخذ به ــ تحقيق ما تهدف اليه الشريعة من توثيق الروابط بين المسلمين ، وتوحيد مشاعرهم فى أداء ركن عظيم من أركان الدين ، هذا وكما دل الحديث على ربط الصوم والفطر بالرؤية دل أيضا على أنه ينبغى للمسلمين أن يحاولوا التماس الهلال ، ويتنافسوا فى الوصول الى مشاهدته حرصا على اليقين فى عبادتهم ، وشوقا الى طاعة ربهم ، وتعظيما لشعائر دينهم .

**من الذى تقبل رؤيته للهلال ؟**

يقبل فى ثبوت هلال رمضان اخبار واحد أنه رآه اذا كان مسلما بالغا عاقلا عدلا ( أى ظاهر الاستقامة ) أو مستور الحال ، وأما فى هلال شوال فلا يثبت الا بشهادة رجلين عدلين ، أو رجل وامرأتين .

---

(١) رواه البخارى عن أبو هريرة رضى الله عنه .

وانما اشترط لثبوت هلال شوال ما لا يشترط لهلال رمضان للاحتياط فى أمر عبادة الصوم ، فهذا الاحتياط يقتضى الحكم بثبوت هلال رمضان باخبار الواحد العدل ، والاحتياط أيضا يقتضى ألا يحكم بانهاء العبادة الا بنصاب الشهادة .

روى أبو داود والدارقطنى وابن حبان والحاكم والبيهقى عن ابن عمر قال : تراءى الناس الهلال ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى رأيته ، فصام ، وأمر الناس بصيامه .

وروى الخمسة الا أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال ، انى رأيت الهلال ، يعنى رمضان ، فقال : ( أتشهد أن لا اله الا الله ؟ قال : نعم ، قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : يا بلال ، اذن فى الناس ، فليصوموا غدا ) .

وروى الدارقطنى أيضا والطبرانى فى الأوسط من طريق طاووس قال : شهدت المدينة وبها ابن عمر وابن عباس ، فجاء رجل الى واليها ، وشهد عنده على رؤية هلال شهر رمضان ، فسأل ابن عمر وابن عباس عن شهادته ، فأمراه أن يجيزه ، وقالا : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاز شهادة واحد على رؤية هلال رمضان ، وكأنه لا يجيز شهادة الافطار الا بشهادة رجلين .

فهذه النصوص المذكورة تدل على أنه تقبل شهادة الواحد فى دخول رمضان ، ولا ريب أن ابن عمر رضى الله عنهما ــ كان ظاهر العدالة ، وأما الأعرابى الذى شهد عند الرسول عليه الصلاة والسلام ، والرجل الذى شهد عند والى المدينة فالظاهر أن كلا منهما كان مستور الحال .

وما نقله طاووس عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما ــ صريح فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ كان يشترط نصاب الشهادة لثبوت هلال شوال .

**يوم الشك وحكم صومه :**

يوم الشك هو اليوم الذى يلى التاسع والعشرين من شعبان ولم تثبت فى ليلته رؤية هلال رمضان ، وحكمه أنه يمنع من صومه من أراد أن يصومه على أنه من رمضان لئلا يكون ذلك ذريعة الى فتح باب الزيادة فيما فرضه الله تعالى وقدره — ولما روى الخمسة الا أحمد عن عمار ابن ياسر رضى الله عنه قال: (من صام اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم محمدا صلى الله عليه وسلم ) ومثل هذا لا يقوله الصحابى الا بتوقيف وسماع من الرسول صلى الله عليه وسلم •

ويجوز صومه اذا وافق عادة للشخص ، كأن اعتاد أن يصوم يوم الاثنين مثلا ، فصادف يوم الشك ، فيجوز صيامه بنية النفل •

وروى أبو داود عن ابن عباس — رضى الله عنهما — عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( لا تقدموا الشهر بصيام يوم ولا يومين ، الا أن يكون شيئا يصومه أحدكم ، ولا تصوموا حتى تروه ، ثم صوموا حتى تروه ، فان حال دونه غمامة فأتموا العدة ثلاثين ، ثم أفطروا ) •

فان ظهر هذا اليوم الذى صامه بنية النفل — من رمضان — أجزأ عنه ، لتعين الوقت له — كما ذهب الى هذا بعض الفقهاء ، وبه نأخذ تيسيرا على الناس •

**الدليل على فريضة صوم رمضان :**

دل على فرضيته الكتاب والسنة والاجماع ، أما الكتاب فقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (١) ومعنى ( كتب ) فرض ، والصيام المكتوب المراد به صوم رمضان •

وقوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (٢) أى من كان حاضرا مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيه •

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥

وأما السنة فروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان» •

وأما الاجماع فقد اتفقت الأمة كلها على فرضيته ، فمنكر الفريضة كافر ، لانكاره معلوما من الدين بالضرورة •

**شروط وجوبه :**

هى التى اذا وجدت يفترض الصوم ، ويلزم الانسان ، وعددها ثلاثة : الاسلام ، والبلوغ ، والعقل وتعتبر أيضا شروط للتكاليف العامة •

**شروط وجوب أدائه :**

هى التى اذا توفرت يجب على الشخص انجاز فعل الصوم ، ويأثم بتأخيره ــ ويشترط لوجوب الأداء شرطان :

١ ــ الصحة ، فلا يجب الأداء على المريض ، ولا يأثم بتأخير الصيام ، مع أنه وجب عليه ، وذمته مشغولة به ، ولهذا يطالب بالقضاء بعد شفائه من المرض •

٢ ــ الاقامة فلايجب الصيام على المسافر مع أنه مكلف بالصيام ، وذمته مشغولة به ، ولذا يطالب بقضائه بعد انتهاء السفر ، قال تعالى فى بيان حكم المريض والمسافر: « ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٢) •

**شروط صحة الأداء :**

هى التى اذا تحققت كان الصوم معتبرا شرعا ، ويشترط لصحة الصيام ــ كما ظهر من تعريفه ــ شرطان :

الأول : الطهارة من الحيض والنفاس ، فلا يصح للحائض والنفساء أداء الصيام مع أنه يجب عليهما ، ويلزمهما قضاؤه بعد الطهارة

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥

من الحيض والنفاس ــ وكما يشترط لصحة الصيام الطهارة من الحيض والنفاس ــ تشترط أيضا لصحة الصلاة الطهارة منهما ــ لكن لايلزم فيهما قضاء الصلاة .

روى الجماعة عن معاذة قالت : سألت عائشة ، فقلت : ما بال الحائض تقضى الصوم ، ولا تقضى الصلاة ؟ قالت : كان يصيبنا ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة .

الثانى : النية ، فلا يصح أداء الصوم الا بالنية كسائر العبادات ، وحقيقة النية : أن يعلم بقلبه ليلة الصيام أنه يصوم غدا ، ولا يخلو مسلم عن هذا فى ليالى رمضان ، ويعتبر السحور نية ، وليس التلفظ بها شرطا ــ ويطلب لصحة النية أن تقع فى جزء من ليلة اليوم الذى يراد صومه .

روى الخمسة عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له ) .

**ركن الصوم :**

الامساك عن سائر المفطرات فى الوقت المحدد شرعا للصيام ،

**مبطلات الصوم :**

يبطل الصوم عند الجناية عليه بما يزيل ركنه وهو الامساك ، ــ فاذا كانت الجناية غير كاملة أوجبت القضاء فقط ، واذا كانت كاملة أوجبت القضاء والكفارة .

**ما يبطل الصوم ويوجب القضاء فقط: ثلاثة امور :**

الأول : أن يتناول الصائم شيئا ليس فيه غذاء ، أو ما فى معنى الغذاء ، وما فيه غذاء هو ما تميل النفس الى تناوله ، وتنقضى به شهوة البطن ، كالفاكهة بعد نضجها ــ وما فيه معنى الغذاء هو الدواء .

الثانى : أن يتناول غذاء أو دواء لعذر شرعى كمرض أو سفر ، أو خطأ ، كأن أهمل وهو يتمضمض فوصل الماء الى جوفه .

الثالث : أن يقضى الصائم شهوة الفرج غير كاملة .

**امثلة الأمر الأول :**

أن يأكل الصائم أرزا نيئا ، أو أكل ملحا كثيرا دفعة واحدة ، أو أكل تمرة لا تؤكل عادة قبل نضجها ، أو ابتلع نواة ، أو حصاة ، أو قطعة من النقود ، أو تعمد اخراج القيء وكان ملء الفم •

**امثلة الأمر الثانى :**

اذا تسحر أو جامع شاكا فى طلوع الفجر ، وهو طالع ، أو أفطر يظن الغروب ، والشمس باقية ، ويجب عليه الامساك بقية اليوم تعظيما لوقت الصيام •

**امثلة الأمر الثالث :**

اذا أنزل بقبلة ، أو لمس امرأة •

**ما يبطل الصوم ويوجب القضاء والكفارة :**

**أمران :**

الأول : أن يتناول الصائم غذاء ، أو ما فى معناه — عمدا — بدون عذر شرعى كالأكل والشرب ونحوهما مما تميل اليه النفس ، وتنقضى به شهوة النفس •

الثانى : أن يقضى شهوة الفرج كاملة بالجماع فى القبل أو الدبر ، وتسقط الكفارة بعد أن وجبت بطروء عذر ليس من صنع الانسان ، كأن يطرأ مرض مبيح للفطر فى اليوم الذى وقع فيه الابطال الموجب للكفارة ، أو يطرأ على المرأة الحيض أو النفاس ،

**بيان كفارة الصيام :**

الكفارة أنواع ثلاثة مرتبة الترتيب الآتى :

١ — عتق رقبة سليمة من العيوب ، وتخليصها من الرق •

٢ — عند العجز عن تحرير الرقبة يلزم صيام شهرين متتابعين ، ليس فيهما رمضان ، ولا يوما العيد ، وأيام التشريق •

٣ — عند العجز عن صيام الشهرين يلزم اطعام ستين مسكينا بأكلتين مشبعتين ، أو اطعام مسكين واحد ستين يوما كذلك ، أو دفع قيمة الطعام نقودا ، ويقدر طعام المسكين فى اليوم بخمسة عشر قرشا مصريا — تقريبا •

**دليل وجوب الكفارة عند تعمد الافطار :**

يدل على وجوبها عند الجماع ما رواه الجماعة عن أبى هريرة قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : هلكت يا رسول الله، قال : ( وما أهلكك ؟ قال : وقعت على امرأتى فى رمضان قال : هل تجد ما تعتق رقبة ؟ قال : لا ، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا ؟ قال : لا ) الحديث ...

وكما يدل الحديث المذكور على وجوب الكفارة عند الجماع — يدل أيضا على لزوم ترتيب أنواعها .

وأما وجوب قضاء يوم بدل اليوم الذى حصل فيه الافطار — فيدل عليه ما جاء لابن ماجه وأبى داود فى رواية للحديث : وصم يوما مكانه) .

وأما وجوب الكفارة عند تعمد الأكل أو الشرب — فيدل عليه ما رواه أبو داود أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : شربت فى رمضان ، فقال صلى الله عليه وسلم : ( من غير سفر ، ومرض ؟ قال : نعم ، فقال له : اعتق رقبة ) .

وعن على رضى الله عنه أنه قال : انما الكفارة فى الأكل والشرب والجماع ، ويدل على سقوط الكفارة عند طروء مرض مبيح للفطر ، أو طروء حيض أو نفاس للمرأة — أن هذا أمر عارض لادخل للشخص فيه ، وظهر أن صوم ذلك اليوم لم يكن مستحقا ، فلا تلزم الكفارة بالافطار فيه .

**الأعذار التى تبيح الافطار :**

الأعذار التى تبيح الافطار للصائم كثيرة منها :

١ — المرض ، فان مرض الصائم ، أو خاف زيادة المرض ، أو تأخر الشفاء ، أو حصول مشقة شديدة جاز له الفطر .

٢ — خوف الحامل أو المرضع الضرر على أنفسهما ، أو ولدهما ، ولا فرق فى المرضع بين أن تكون أما أو مستأجرة للارضاع .

٣ ـ حصول عطش شديد ، أو جوع يخاف منه الهلاك ، والخوف المعتبر فى كل هـذا ما كان مستندا لغلبة الظن بتجربة أو اخبـار طبيب مسلم ماهر فى طبّه •

٤ ـ السفر بشرط أن يبيح قصر الصـلاة ، أى ينوى قطع مسـافة ٨١ كيلومترا تقريبـا ، وبشرط أن يشرع فيه قبل الفجر •

٥ ـ الحيض أو النفـاس ، فلو عرض للصائمة الحيض أو النفـاس وجب عليهـا الفطر ، ولا يصـح صيامها ، وعليها القضاء ، كما يجب القضاء أيضـا على من أفطـر من أصحاب الأعذار السابقة •

٦ ـ كبر السن ، والمرض الذى لا يرجى شـفاؤه ، فالشيخ الهـرم الفانى الذى لا يقدر على الصيام فى جميع فصول السنة ، وكذا المريض مرضـا مستعصيا لا أمل فى البرء منه ـ يفطر كل منهما ، وعليه عن كلّ يوم فدية طعام مسكين ، وهـو مقـدار قـدح وثلث من القمح ، ويساوى خمسـة عشر قرشا مصريا تقريبا •

**أشياء لا تفسد الصيام :**

توجد أشياء لا تفسـد الصيام ، وقد يشتبه حكمها على بعض الناس، نذكر منها ما يأتى :

١ ـ غلبة القىء على الصائم من غير تعمد اخراجه ، فهذا لا يفسـد الصوم وانما يفسده تعمد الاخراج•

روى الخمسـة الا النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( من ذرعه القىء فليس عليـه قضـاء ، ومن استقاء عمدا فعليه القضاء ) •

٢ ـ دخول غبار ، أو ذباب ، أو دخان الى حلق الصائم من غير صنعه، وكان هذا غير مفسد للصوم لتعذر الاحتراز منه ، ووجود الحـرج فى اتقائه ، والحـرج مرفوع بالنص ، قال تعـالى : « ما جعل عليكم فى الدين من حرج » (١) •

---

(١) سورة الحج الآية : ٧٨.

٣ ـ جواز أن يصبح الصـائم جنبا ، فالصيام لا يتنافى مع الجنابة التى وقعت بالليل ، وهــذا لأن الله تعالى أباح الرفث وهــو الجمــاع ليلة الصيام بقوله سبحانه : « أحل لــكم ليــلة الصــيام الرفث الى نسائكم » (١) وما دام النص قــد أباح هــذا طيلة الليل الى الفجر ، فانه يدل باشــارته على جــواز أن يصبح الصائم جنبا .

روى أحمــد ومسلم وأبو داود عن عائشــة رضى الله عنها أن رجلا قال : يا رسول الله تدركنى الصلاة وأنا جنب ، وأصوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( وأنا تدركنى الصلاة وأنا جنب ، فأصوم ، فقال : لست مثلنا يا رسول الله ، قد غفر الله لك ما تقــدم من ذنبك وما تأخر ، فقال عليه الصــلاة والسلام : والله انى لأرجو أن أكون أخشاكم لله ، وأعلمكم بما أتقى ) .

٤ ـ استعمال الكحل والتقطير فى العين ، حتى ولو وجد الصائم أثر ذلك فى حلقه ـ وهذا لمــا روى أنه عليه الصلاة والســلام اكتحل وهو صائم ، وأيضــا لأن الواصــل الى الحلق من ذلك انما وصل عن طريق المسام والترشيح ، والمفسد للصوم الوصول الى المعدة من منفذ طبيعى كالفم أو الأنف ، وليس بين العين والحلق منفــذ طبيعى ، ولا يفســد الصوم بالكحل والتقطير .

٥ ـ الحقن العضــلية ، أو التى تكون تحت الجلد ، والتى تكون فى الأوردة أو التى لعلاج البلهارسيا ، وحتى الحقن التى تكون للتغذية ـ لا يفسد شىء من ذلك الصيام ، لأن السائل لا يدخل بها فى الجوف من منفذ معتاد كالفم والأنف ـ والمفسد الوصــول الى الجــوف من طريق طبيعى ، ولكن ينبغى التنبيه الى أن تعاطى حقن التغــذية يكره اذا كان من غير ضرورة ، لأن تعاطيها بدون عذر يجعل الصائم لا يدرك المشقة الأصلية للصيام ، ولا تتمثل فيــه حكمة مشروعيته .

---
(١) سورة البقرة الآية ١٨٧

وأما الحقنة الشرجية فقد قرر الفقهاء أنها تفسد الصيام ، لأن السائل بها يدخل الى الجوف من منفذ معتاد — لكن يجب بها قضاء اليوم فقط ، ولا تجب الكفارة ، حيث لم تتكامل الجناية على الصوم ، فلم تأخذ حكم الأكل أو الشرب ، أو الجماع عمدا .

٦ — استعمال السواك سواء كان يابسا أو رطبا ما دام لم يتفتت منه شىء يصل الى الجوف ، وهذا لأنه ما دام لم يتفتت منه شىء — لم يزل ركن الصوم ، وهو الامساك ، فلا فساد .

٧ — أكل الصائم ، أو شربه ناسيا ، وهذا وان كان قد زال به ركن الصوم وهو الامساك الا أنه عليه الصلاة والسلام قد حكم فى هذا بعدم فساد الصوم .

روى الجماعة الا النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ( من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فانما الله أطعمه وسقاه ) .

وروى الدارقطنى باسناد صحيح هذا الحديث بلفظ (اذا أكل الصائم ناسيا ، أو شرب ناسيا ، فانما هو رزق ساقه الله اليه ، ولا قضاء عليه .

ورواه الدارقطنى أيضا ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم بلفظ : ( من أفطر يوما من رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة ) .

**ما يكره للصائم :**

يكره للصائم أمور نكتفى منها بما يأتى :

١ — ذوق شىء لم يتحلل منه ما يصل الى الجوف ، الا فى حال الضرورة ، فيجوز للمرأة أن تذوق الطعام لتبين ملوحته اذا كان زوجها سىء الخلق ، ومثلها فى هذا الطاهى ( الطباخ ) .

وانما كره الذوق من غير ضرورة لما فيه من تعريض الصوم للفساد .

٢ — مضغ شىء بلا عذر كالمرأة اذا وجدت من يمضغ الطعام لصبيّها

كمفطرة لحيض ، أما اذا لم تجد من يمضغه سواها ممن يحل له الفطر فلا كراهة لصيانة الولد •

ومن المكروه مضغ العلك (اللبان) الذى لم يصل منه شىء الى الجوف مع الريق ــ وانما يكره ذلك لما فيه من التعرض للاتهام بالافطار ، ولا يجوز للعاقل الأريب الوقوف مواقف التهمة ، قال عليه الصلاة والسلام : ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهمة ) •

وقال الامام على رضى الله عنه : « اياك وما يسبق للعقول انكاره » •

وان كان عندك اعتذاره •

٣ ــ تقبيل الرجل امرأته اذا لم يأمن على نفسه من الانزال أو الجماع أما اذا أمن فلا يكره •

روى الجماعة الا النسائى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهو صائم ، ويباشر وهو صائم ، ولكنه كان أملككم لأربه ــ وروى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المباشرة للصائم فرخص له، وآتاه آخر فنهاه عنها ، فاذا الذى رخص له شيخ ، واذا الذى نهاه شاب

قولها : ( لأربه ) الأرب : الحاجة ، والمراد الحاجة الى الجماع •

قولها : (يباشر) الأصل فى المباشرة للتقاء البشرتين ، وتشمل التقبيل ، ما لم يبلغ ذلك طبعا الى حد الجماع •

واذنه عليه الصلاة والسلام فى المباشرة للشيخ ، وعدم اذنه للشاب يدل على ما سبق ذكره فى حكم القبلة ، لأن الشيخ مظنة عدم الشهوة ، فيأمن على نفسه الانزال والجماع ، فلا يكره له القبله ، والشباب مظنة الشهوة ، فلا يأمن على نفسه الانزال أو الجماع ، فتكره له القبلة ــ ولذا روى أن الشاب قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ان دينى ودينه واحد ، قال : ( نعم ، ولكن الشيخ يملك نفسه ) •

ط ــ فعل ما يظن أنه يضعفه عن الصيام كالفصد (١) والحجامة (٢). أما اذا كان يظن أنه لا يضعفه ، فلا كراهة .

روى الامام أحمد والبخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم ، واحتجم وهو صائم .

وروى البخارى أيضا عن ثابت البنانى أنه قال لأنس بن مالك رضى الله عنه : أكنتم تكرهون الحجامة للصائم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا الا من أجل الضعف .

فحديث ابن عباس يثبت جواز الحجامة للصائم ، وحديث أنس يشهد لهذا الجواز ، ويدل على كراهتها حين تكون مظنة اضعاف الصائم ، وكل عمل شاق يأتيه الصائم يفصل القول فيه كالحجامة.

**ما يستحب للصائم :**

يستحب له أشياء نكتفى منها بما يأتى :

١ ــ السحور ولو بمقدار قليل من الطعام والشراب ، لما فيه من التقوّى على الصيام ، ولما يحصل من المتسحر من الذكر والاستغفار ، ولأن هذا الوقت مظنة استجابة الدعاء ، فاذا قام الشخص وتسحّر ربما يدعو بدعوات ، فيستجاب له.

روى الجماعة الا أبا داود عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( تسحروا فان فى السحور بركة ) .

وروى الامام أحمد عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( السحور بركة فلا تدعوه ، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء ، فان الله وملائكته يصلون على المتسحرين).

---

(١) الفصد : قطع العرق ، وبابه ضرب .

(٢) يقال : حجمه الحاجم حجما من باب قتل شرطه لاخراج الدم ، والاسم الحجامة .

ويستحب أيضا تأخيره ، فان ذلك أبلغ فى تحقيق الحكمة من شرعيته ، وأعون على أداء صلاة الفجر .

٢ ـ تعجيل الفطر بعد التأكد من دخول وقت المغرب ، ويستحب قبل الصلاة ، لتقليل فترة حرمان البدن من الغذاء ، وهذا أكمل فى صيانته ورعايته ، روى الامام أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : ( لا تزال أمتى بخير ما أخروا السحور ، وعجلوا الفطر ) .

ويستحب للصائم فى فطره أن يفطر على رطب فتمر فماء .

روى الامام أحمد وأبو داود والترمذى عن أنس رضى الله عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل أن يصلى ، فان لم تكن رطبات فتمرات ، فان لم تكن تمرات حساحسوات من ماء ، كما يستحب أيضا أن يدعو بالدعاء المأثور حين الشروع فى الفطر .

روى أبوداود عن معاذ بن زهرة أنه بلغه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أفطر قال : ( اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ) فمثل هذا الدعاء يؤكد اخلاص عبادة الصيام لله سبحانه ، والشعور بجلال نعمته وفضله .

٣ ـ كف اللسان عن اللغو وفضول الكلام ، وهذا الكف وان كان يطلب فى كل زمان ـ الا أنه يتأكد طلبه فى رمضان .

٤ ـ الاكثار من الصدقة والاحسان وصلة الأرحام ، والذكر والاستغفار ، ومدارسة العلم ، وقراءة القرآن ، فان رمضان فرصة سانحة للمؤمن ينبغى أن يغتنمها ، ففيه يعظم أجر العمل الصالح ، ويتضاعف جزاؤه .

نسأل الله تعالى أن يجعل صيامنا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يملأ قلوبنا بمحبته ، والشوق الى طاعته ، ويمنحنا جزيل عطائه ، ومزيد تشريفه وتكريمه .

**منشاوى عثمان عبود**

# إلى متى يؤجل الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر ؟

للأستاذ عبد العزيز عبد الحق

نشرت الصحف العربية بالقاهرة منذ نحو أربع سنوات أن جمهورية مصر العربية تعتزم الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر ، وذلك بعد احتفالها بالعيد الألفى لانشاء القاهرة سنة ١٩٦٩ م • بالتاريخ الميلادى فى كل من الحالتين أو المناسبتين • وكانت النية قد اتجهت منذ أكثر من ثلاثين سنة الى الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر بحساب التاريخ الهجرى • ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية حالت آنذاك دون انفاذه •

وكان الدكتور بدر الدين أبو غازى قد نشر فى جريدة الأهرام فى العاشر من أكتوبر سنة ١٩٧٢ م مقالا ضافيا ممتعا فى هذا الصدد يدل على اهتمام حكومة مصر بهذا الاحتفال والاعداد له • ففى مقاله الذى كتبه تحت عنوان : العيد الألفى للأزهر وماذا أعددنا له ؟ أوضح أهمية هذه المناسبة وقال ان عام ١٩٧٢ م هو عام الأزهر ففيه ينقضى ألف عام على انشائه وأشار الى أن العام أوشك على الانقضاء وأضاف أن الأزهر أقدم جامعة فى العالم وأنه مفخرة مصر الاسلامية ومجدها الحى وأنه جدير فى عيده الألفى باحتفالات ترتفع الى مستوى هذا الحدث الحضارى العظيم فى تاريخ مصر •

وقال « ان الدولة الواعية بتراثها وحضارتها لتعد لمثل هذه المناسبات التاريخية اعدادا يسبق تنفيذها بأعوام ، تحشد لها الجهود وتجمع حولها أهل الرأى والفكر وتتخطى حدودها الاقليمية لتجعل من هذا الحدث الحضارى حدثا انسانيا يشترك فيه العالم كله • وانقضاء

ألف عام على الأزهر هو من أبرز الأحداث التى كان من الواجب أن تتبع للاعداد لها هذا الاسلوب . ولعلها فى هذه الآونة بالذات أحق بالاهتمام ليرتفع دور الأزهر واسم مصر العظيم فوق هامة الأحداث الحضارية هذا العام » .

وأضاف : « لقد أخذت وزارة الثقافة منذ أواخر عام ١٩٧٠ م فى الاعداد للاحتفال وحشدت لجان المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية من أجل التخطيط للعيد الألفى للأزهر وصدر عن هذه اللجان توصيات هى خلاصة فكر أهل الرأى فى هذا المجال ومن قوام هذه التوصيات تشكلت صورة لبرنامج الاحتفال » .

ثم سرد الدكتور أبو غازى هذه التوصيات التى بلغت عدتها عشرا . ثم ختمها بقوله : « ولقد كانت هذه التوصيات وغيرها محل دراسات جادة ومشتركة بين الأزهر وأجهزة الثقافة . ولكن الاعداد لها واخراجها الى حيز التنفيذ يتطلب جهدا متصلا. وان عاما آخر يعد خلاله لهذا الاحتفال ليس شيئا بالقياس الى ألف عام . وكم من دول أرجأت الاحتفال بمناسبات تقل جلالا عن ألفية الأزهر حتى تستكمل لها كل الأسباب وتعد لها ما يليق بمعناها الحضارى . وخيرا فعلت وزارة الثقافة باتخاذها قرار التأجيل كما نشر أمس بشرط أن يبدأ العمل الجدى من أجله منذ الآن . لا أن يتأجل العمل أيضا الى السنة القادمة. وجدير بالتاريخ فى هذا المكان أن تكون له ذاكرة حية متجددة ... وليكن عام ١٩٧٢ م بدءا للاحتفالات بألفية الأزهر لا نهاية له ولتحشد منذ الآن الجهود من أجل هذا الحدث العظيم » .

ونحن نعرف من الأحداث التالية أن مصر كانت تعد لعلاج النكسة التى أصيبت بها فى عام ١٩٦٧م وأنها قبل عام ١٩٧٢ قد حشدت قواتها لعبور القناة واقتحام خط بارليف وتحطيم خرافة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر . وتوج هذا بانتصار أكتوبر سنة ١٩٧٣ م . وشغلت مصر

بعد ذلك بمشكلات كثيرة يقتضى علاجها وقتا وجهدا . ومع ذلك فاننا نعتقد أنه لا يزال هناك متسع من الوقت لبعث مشروع الاحتفالات بالعيد الألفى للأزهر حتى لا يقال ان الجهود السابقة التى بذلت لهذا الاعداد كانت كصرخة فى واد أو نفخة فى رماد .

وكان كاتب هذه السطور عضوا فى اللجنة التى ألفت فى عام ١٣٦١ هـ للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر بالتاريخ الهجرى وهو الاحتفال الذى صرف النظر عنه بسبب الحرب العالمية الثانية . ثم بعد ذلك بثلاثين عاما كتب تقريرا ضافيا عن مشروع هذا الاحتفال قدمه للأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية فى العاشر من نوفمبر سنة ١٩٧١ م . ولعل من المناسب نشر فقرات من هذا التقرير .

لقد حظى الأزهر بمكانة رفيعة فى العالم العربى والاسلامى بفضل تاريخه الحافل فى تخريج أفواج من العلماء ، منهم من طبقت شهرته الآفاق من أعلام الفكر الاسلامى الذين تزخر بسيرهم معجمات التراجم وكتب الطبقات . فاليه يرجع جانب كبير من الفضل فى تجلية التراث الثقافى العربى ونشره ابان العصور الزاهرة فى تاريخ الثقافة العربية ثم فى صيانته والحفاظ عليه ابان المحن والنوازل التى حلت بالعرب والمسلمين . وبذلك تركزت فى الأزهر على مر العصور مقومات الثقافة العربية وقيمها ، اذ كان كالطود الشامخ الذى وقاها من الاندثار ، بل عصمها فى الأزمنة الحديثة من محاولات ما يسمى بالاستعمار الثقافى . وعلينا تبعا لذلك اعترافا بالجميل نحو هذا المعهد العتيق أن يكون الاحتفال به فى هذه المناسبة التاريخية الفذة مضاهيا لمآثره ومتوافقا مع الرسالة العظمى التى اضطلع بها المنتسبون اليه .

ولا ننسى استفادة بعض المستشرقين فى القرن الماضى من الأزهر وعلمائه فقد اختلف الى دروس الأزهر المستشرق المجرى (جولد زيهر) وكان يتسمى بالذهبى واستعان المستشرق الانجليزى (لين) فى وضع معجمه العربى الانجليزى بالشيخ ابراهيم عبد الغفار الدسوقى أحد أعلام الأزهر وجهابذة اللغة فى القرن الماضى . وقد أبان الدسوقى هذه

المعاونة فى ترجمته الذاتية التى أوردها على مبارك فى خططه ( جـ ١١ ص ١٠ : ١٣ ) . وكان محمد عياد الطنطاوى من علماء الأزهر الذين ذهبوا الى الروسيا فى العهد القيصرى لتدريس اللغة العربية وعلومها ( أنظر ترجمته فى مجلة الزهراء سنة ١٩٢٢ م ) . ومن علماء الأزهر فى القرن الماضى من نشر العلوم العربية والاسلامية فى أقطار خارج مصر كما صنع عمر التونسى وولده محمد فى دارفور ( أنظر ترجمة الأخير الذاتية فى مقدمة رحلته الى دارفور المسماة تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ) .

ومع أن الأزهر أنشىء فى القاهرة فانه قد اكتسب ما يمكن أن يسمى بالصفة العالمية فهو ليس معهدا خاصا بأبناء البلد الذى أقيم فيه، اذ فى أسماء الأروقة التى يشتمل عليها ما يدل على أنه كان ولا يزال يخدم أبناء المسلمين من مختلف بقاع العالم العربى والاسلامى . يجتمع فى حلقات دروسه الآسيويون والافريقيون يوثق بينهم أواصر الاخاء والمودة ويغرس فيهم المبادىء الانسانية التى يدعو اليها الاسلام . والأزهر فى هذا المجال انما هو أشبه بمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة المعروفة باسم اليونسكو . اذ قبل انشاء هذه المنظمة بعصور طويلة كان الأزهر قد سبقها فى النهوض بما تسعى هى اليه . وهذه الصفة العالمية للأزهر تسمح بأن يشترك فى الاحتفال بعيده الألفى والكتابة عنه العلماء المسلمون من مختلف بقاع العالم الاسلامى مهما تباينت أجناسهم وتعددت مذاهبهم وتباعدت بلادهم .

ولا شك أنه ستصدر بعض الكتب التذكارية لمناسبة هذا الاحتفال . وفى مقدمة ما نقترحه منها ما يتعلق بتاريخ الأزهر : عمارته وأوقافه ، ونظمه الدراسية ، وطلابه وكتبه المدرسية ، وأروقته، ومكتبته وتراجم علمائه وقوانين اصلاحه . ولقد أفاض الكثيرون فى هذه الموضوعات منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجرى الى اليوم . ونخص بالذكر منهم الباحثين المصريين مثل على مبارك فى الخطط التوفيقية

وسليمان وصهر الحنفى فى كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ـ القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ والأزهر لمصطفى بيرم وهى رسالة تقدم بها مؤلفها لمؤتمر المستشرقين الذى عقد فى همبورج سنة ١٩٠٢ م وطبعت فى القاهرة سنة ١٣٢١ هـ . والعلم والعلماء للشيخ محمد الأحمدى الظواهرى ( طنطا سنة ١٩٠٤ م ) والمنار والأزهر للشيخ محمد رشيد رضا ( القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ ) وتاريخ الجامع الأزهر لمحمد عبد الله عنان ( القاهرة سنة ١٩٤١ م ) وتاريخ الاصلاح فى الأزهر للشيخ عبد المتعال الصعيدى ( القاهرة سنة ١٩٤٣ م ) والسياسة والأزهر من مذكرات الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى ( القاهرة سنة ١٩٤٥ ) والشيخ محمد مصطفى المراغى بقلم أبى الوفا المراغى ( القاهرة سنة ١٩٥٧ م ) والأزهر فى ألف عام لمحمد عبد المنعم خفاجى ( القاهرة سنة ١٩٥٧ فى ثلاثة أجزاء ) والأزهر تاريخه وتطوره ( وزارة الأوقاف وشئون الأزهر ـ القاهرة سنة ١٩٦٤ م ) .

وهذه المؤلفات تتفاوت فيما بينها من حيث الايجاز والتفصيل والاقتصار على وجهة نظر معينة . وبعضها فى حاجة الى مزيد من الاحاطة واستيعاب المصادر التى تعذر على مؤلفيها الرجوع اليها ومنها اعتصار ما يرد عن الأزهر فى معجمات التراجم وكتب الطبقات . ومع ذلك فهى تمهد السبيل لوضع مرجع شامل عن تاريخ الأزهر يكتب بطريقة علمية ويكون فى مستوى المؤلفات الافرنجية الخاصة بتاريخ الجامعات الأوروبية والتى نذكر منها كتاب راشدول : جامعات أوروبا فى العصور الوسطى الذى صدر فى أكسفورد سنة ١٨٩٥ م والذى عنى بتحقيق نصه والتعليق عليه عالمان بريطانيان من أساتذة تاريخ أوربا فى العصر الوسيط وهما : بويك وايمدن وأخرجاه فى ثلاثة مجلدات فى لندن فى سنة ١٩٣٦ م

وتوكيدا للصلات الوثيقة بين العلماء المسلمين يحسن انتهاز فرصة الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر لاعداد رسائل مفردة فى تاريخ معاهد العلم الاسلامية الأخرى التى أسهمت بنصيبها فى اقامة صرح الثقافة العربية

سواء قبل انشاء الأزهر أو بعده • ومن النوع الأول حلقات العلم فى المدينة ومكة والفسطاط والقيروان وجامع القرويين فى فاس • هذا ولا ننسى أن كان للكوفة والبصرة من نباهة الفكر فى تاريخ العلوم العربية والاسلامية ما حمل أحمد زكى شيخ العروبة المتوفى عام ١٩٣٤ م على القول بأنهما كانتا تحتلان من المكانة ما يماثل جامعتى اكسفورد وكمبردج فى تاريخ الثقافة فى انجلترا • والقياس فى نظرنا مع الفارق بالنسبة لسعة انتشار الثقافة العربية ابان ازدهار الحضارة الاسلامية •

أما ما أنشىء من المعاهد بعد الأزهر فمثل معاهد الشام والمدرسة النظامية والمستنصرية فى بغداد ، والمدارس النظامية الأخرى فى أراضى الخلافة الشرقية • وحبذا لو أسندت كتابة تلك الرسائل الى علماء البلاد لتى أنشئت فيها هذه المعاهد • هذا وقد سبق الأستاذ أسعد طلس الى كتابة رسالة عن المدرسة النظامية فى بغداد وتاريخها وقد نشرها بالفرنسية فى باريس سنة ١٩٣٩ م • كما عنى المستشرق الفرنسى شارل بيلا بدراسة التاريخ الثقافى للبصره فى بحث قيم له عنوانه : البيئة البصرية وتكوين الجاحظ ، نشره فى باريس سنة ١٩٥٤ م •

ولدينا فى تاريخ الثقافة العربية ظاهرتان يحار الباحثون المحدثون فى تعليلهما : أولاهما : أن هذه الثقافة انتشرت ابان نشوئها ولما يستو عودها بعد فى بيئات غير عربية لها تقاليد وخلفيات ثقافية أخرى مغايرة لها • ومع ذلك لم تقو الأخيرة على تحوير الثقافة العربية بالقدر الذى يغير معالمها الأساسية • وما حدث هو أن الثقافة العربية التى كانت آنذاك غضة لينة أمكنها أن تجرى من التعديل والتحوير فى هذه الثقافات بما يتلاءم مع جوهر مفاهيم الثقافة العربية ومقوماتها • فصار ما هضم من الثقافات الأجنبية وكأنه عنصر أصيل فى الثقافة العربية •

والظاهرة الثانية:هى هذا الانتاج الوفير فى المؤلفات التى تتناول العلوم العربية والاسلامية والكونية • وليس حقا ما يقال من أن التأليف الموسوعى مقصور على ما أنتجه مفكرو القرنين الثامن ، والتاسع الهجريين من أمثال

النـــويرى والعمـــرى والذهبى والصفدى وابن شاكر وابن خلدون والمقريزى وابن حجـر العسـقلانى وابن منظور والعينى وابن تغـرى بردى وغيرهم • كما أنه ليس حقـا ما يقوله الفرنجة فى تاريخ الثقافات ان هذا النوع من التأليف الموسوعى الذى يحدث فى العصور المتأخرة انما يمثل شيخوخة الثقافة ويستشهدون على ذلك بما حدث للثقافة الاغريقية فى العهد السكندرى •

هذا لا ينطبق على تاريخ الثقافة العربية اذ أن ظاهرة التأليف الموسوعى صاحبت الثقـافة العربية منذ عصر التـدوين فى أوائل القـرن الثالث الهجرى فلدينا فى هذا القرن كتاب الأم للشافعى والطبقات الكبرى لابن سعد ومجاميع الحديث من المسانيد والمصنفات وتاريخ الطبرى وتفسيره• وفى القرن الرابع كتاب الأغانى لأبى الفـرج وأخبار الزمان للمسعودى وجمهرة اللغة لابن دريد والتهذيب للأزهرى والمجمل لابن فارس • وفى القرن الخامس حلية الأوليـاء لأبى نعيـم وتاريـخ بغـــداد للخطيب والاستيعاب لابن عبد البر ، والمحكم والمخصص لابن سيده وفى القـرن السادس تاريخ دمشق لابن عساكر ومؤلفات أبى الفرج بن الجـوزى وموسوعة الفنون لأبى الوفا بن عقيل وفى القرن السابع مؤلفات ياقـوت الحمـوى وعز الدين بن الأثـير وسبط ابن الجـوزى وفيمن ذكرنا قصدنا به أن يكون مثالا لا استقصاء•

ان هـذه المؤلفات الضخمة التى قضى المسـتشرق الألمـانى كارل بروكلمـان ( ١٨٦٨ ــ ١٩٥٦ م ) حياته الطويلة فى تتبع مظانها والبحث عن مخطوطاتها يتخلل الكثير منهـا اصطناع مؤلفيها للنقد وامعان النظر وليست فى جملتهـا مجـرد جمـع وتصنيف • وانا لنتساءل كيف تيسر لأصحابهـا أن يكتبوها فى عصر لم ينعموا فيه بالمخترعات الحديثة من اضاءة وطباعة وغيرها • ونحن على ما لدينا من هـذه الوسائل نقضى عشرات السنين فى تحقيقها وضبطها • ولا شـك أن هؤلاء المؤلفين كانوا يتحلون بما يسمى بالتصوف العلمى•

واذا كان الباحثـون ، فى تاريخ الثقافة العربيـة لم يوردوا ما يفسر لنا هاتين الظاهرتين فليس لنا الا أن نبحث فى المؤثرات التى أدت الى هذا

الانتاج الوفير وتلك التى ساعدت على هضم الثقافات الأجنبية . وفى مقدمتها فيما نعتقد خصائص التعليم الاسلامى الذى لم يكن فى حقيقته نظاما وانما كان مجرد سمات تميز بها . فهؤلاء المؤلفون نشأوا فى بيئة عربية أو اسلامية . ولا شك أنه كان لما تلقوا من تربية أثر فى انتاجهم فما هى خصائص هذه التربية ؟

فى مقدمتها حض الاسلام على طلب العلم ففى الأثر طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وروى أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة » . والأحاديث المروية فى هذا المعنى وغيره جمعها ابن عبد البر النمرى فى كتاب نفيس أسماه : جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله . وفى الحق المقصود هنا هو العلم الذى يتصل بالدين . ولكن الحماس فى التحصيل امتد الى دراسة العلوم الدنيوية من الطب والنبات والحيوان والهيئة والفلسفة . ولم يكن الاسلام عائقا يحول دون تحصيل هذه العلوم.

وبينا نجد المسيحية فى عصورها الأولى تغلق معاهد الاغريق وتقصر التعليم على الأديرة فى القرن الوسطى فان التعليم الاسلامى كان مباحا للكافة ، طليقا متحررا من سيطرة الهيئات الحاكمة . دوافعه نابعة من عامة الشعب أى أنها صادرة من أسفل وليست مفروضة مما هو أعلى . وعلى الرغم من التفرقة بين المعلمين والمؤدبين فلم تكن هناك معاهد خاصة بالطبقات العالية فالجميع سواسية فى ورود مناهل العلم دون أية تفرقة . والتعليم الاسلامى هو أصدق مثال لما يسمى حديثا بديمقراطية التربية ومبدأ تكافؤ الفرص . ولاننسى فى هذا الصدد ماتميز به التعليم الاسلامى من مجانيته وتزويد طلابه بنفقات اعاشتهم مما لم تأخذ به حضارة الغرب الا فى ظل النظم الاشتراكية فى القرن العشرين .

ومن خصائص التربية الاسلامية التلقائية فالطالب يدرس ما يميل اليه من المواد وهو يتلقى العلم مشافهة عن أستاذه ولا يأخذه من الكتب . وهذا يؤدى الى توكيد الصلة الشخصية بين الطلبة والأساتذة .

والطالب ينتسب الى الأساتذة الذين أخذ عنهم ولا ينتمى الى المعهد الذى تلقى فيه العلم . وفى معجمات التراجم يذكر مؤلفوها فى ترجمتهم لعالم من العلماء شيوخه الذين أخذ عنهم والطلبة الذين أخذوا عنه .

والرحلة فى طلب العلم من أبرز مميزات التعليم الاسلامى فالطالب يقطع مئات الأميال ويتجشم وعثاء السفر ومخاطره للأخذ عن شيخ طبقت شهرته الآفاق أو لتلقى رواية حديث من الأحاديث أو حتى للتثبت من صياغة أخرى فى روايته . وفى اللغة العربية لفظ خاص للعالم الذى يرحل اليه الطلاب من كل فج فيقال عنه العالم الرحلة بضم الراء وتسكين الحاء المهملة ولايخفى ما فى هذه الرحلات من صدق الرغبة فى التحصيل واكتساب التجارب وتوسيع المدارك واحتكاك الأذهان وتبادل الأفكار . ويصحب هذا أيضا التحلى بالأخلاق التى تدعو اليها مبادىء الثقافة العربية ويصدق هذا بصفة خاصة على المشتغلين برواية الحديث اذ يشترط فى تلقى الأحاديث التخلق بما تدعو اليه من مكارم الأخلاق ويتفق هذا مع تعريف الثقافة بأنها ما يكتسبه المرء من علم وتجربة يكون لهما أثر فى حسن تصرفه وسلوكه .

وقد عبر غير واحد من المستشرقين عن دهشتهم من هذا الحماس المقطوع النظير فى طلب العلم والرحلة اليه .

وهكذا كان لوحدة اللغة وخصائص التربية الاسلامية أثر بالغ فى ربط أجزاء العالم الاسلامى بما كان يفوق القانون الرومانى من أثر فى ربط اقاليم الدولة الرومانية القديمة كما قال صلاح الدين خودا بخش فى الجزء الثانى من كتابه عن الحضارة الاسلامية ( كلكتا سنة ١٩٣٠ م ) .

وقبل انشاء المدارس فى القرن الخامس الهجرى بل فى القرن الرابع كما ذكر التاج السبكى فى طبقات الشافعية كانت المساجد هى معاهد التعليم ووظيفة المسجد فى صدر الاسلام لم تكن مقصورة على أداء العبادات بل كان مقرا للامارة ودارا للقضاء ومعهدا للدراسة التى شملت اللغة والأدب وغيرهما بالاضافة الى العلوم الاسلامية بل كان أيضا دارا يأوى اليها الغرباء . وفى العصر الأموى كانت تجرى فى المسجد المناقشات السياسية وما يتعلق

بالمسائل العامة حتى وصفه لامنسى فى كتابه عن معاوية بأنه « برلمان الاسلام » . وجملة القول أنه كان للمسجد فى صدر الاسلام من الوظائف ما جعله واسطة عقد الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية فى الاسلام .

هذه هى على ايجازها خصائص التعليم الاسلامى التى كانت دون ريب عاملا فعالا فيما أنتجه العرب والمسلمون من اضافات فى ثقافة الجنس البشرى حتى صارت اللغة العربية فى العصور الوسطى لغة الثقافة العالمية التى حرص مسيحيو الغرب على تعلمها للوقوف على أحداث الآراء فى العلوم المختلفة كما ترجموا عددا منها الى اللغة اللاتينية . ولهذا الغرض اختلف عدد منهم الى معاهد الأندلس .

ومن النقاط الهامة التى لم تدرس بعد أثر التعليم الاسلامى فى أوروبا فى العصر الوسيط . فمن المعلوم أن المعاهد الاسلامية أنشئت قبل انشاء الجامعات الأوروبية فى العصور الوسطى . وهناك وجوه شبه كثيرة بين أنظمة الجامعات فى العالمين الاسلامى والمسيحى مثل نظام الاجازة والمعيد ومصطلحات القراءة والسماع . وقد أشار الى هذا المستشرق ألفريد جيوم فى الفصل الذى كتبه عن الفلسفة وعلم الكلام فى ص ٢٤٤ من كتاب تراث الاسلام ( أكسفورد سنة ١٩٣١ م ) . وأضاف بأن كلمة بكالوريوس التى لم يهتد قاموس أكسفورد الانجليزى الى تفسير أصلها تفسيرا مرضيا ربما رادفت فى معناها عبارة : « بحق الرواية » أى حق التعليم بتخويل من الغير . ولكنه علق على هذه المشابهات قائلا : « يبدو أن القول بأن الجامعة المسيحية أسست على غرار الجامعات الاسلامية يعد رأيا واهيا الى أن نحصل على دليل أكثر تحديدا يؤيد ذلك » .

وقال راشدول فى ص ٣ من حـ ١ من كتابه : « الجامعات الأوروبية فى العصور الوسطى » : ان الجامعة كنظام مثل البابوية والامبراطوية لا تدين فحسب بصورتها الأولى وبتقاليدها بل بوجودها ذاته الى مجموعة من الظروف العرضية وان نشأتها لا يمكن فهمها الا بالاشارة الى تلك الظروف » .

وقد علق ُبويك وايمدن على هذه الفقرة من كلام راشدول قائلين: « لقد أكد العالم الاسبانى خوليان ريبيرا ( فى ص ٢٤٣ من الجزء الأول من مجموعة أبحاثه ورسائله التى نشرت فى مدريد سنة ١٩٢٨ م ) أن الجامعة الأوروبية فى العصر الوسيط انما تدين بالكثير لمحاكمة مقصودة لنظام التعليم العربى » وأضافا أن ريبيرا يبنى رأيه على سرعة نمو التعليم الجامعى ابتداء من القرن الثانى عشر الميلادى ••• مشيرا الى المزج بين نمطين من أنماط الحضارة ومنح الألقاب أو الدرجات العلمية بيد أن حجته ليست مقنعة ( قارن ما ذكره عن الاجازة فى كتابه السابق من ص ٣٣٤ الى ص ٣٤٠ ) •

وكنا نود ترجمة ما كتبه ريبيرا فى هذا الصدد من الاسبانية لنحصل على بيان تفصيلى للأدلة التى ساقها لبيان تأثير الجامعات الاسلامية فى الجامعات الأوروبية فى العصر الوسيط • فلعها تبدو فى نظرنا مقنعة اذ أن أوجه الشبه بين التعليم الجامعى الأوروبى ونظيره الاسلامى الذى سبقه تاريخيا ترجع اقامة الأول على غرار الثانى • ولذلك كان يحسن بمحررى كتاب تراث الاسلام ( اكسفورد سنة ١٩٣١م) أن يضيفوا فصلا عن التربية الاسلامية لبيان أثرها على نظم التعليم فى الغرب • ونلحظ هذا الاغفال نفسه فى كتاب: « أثر العرب والاسلام فى النهضة الأوروبية » الذى أعده مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع هيئة اليونسكو • وقد نشر فى القاهرة سنة ١٩٧٠ م •

على أن الثقافة العربية فى العصر العثمانى لم تحتفظ بحيويتها فاقتصر التعليم فى الأزهر على العلوم اللغوية والعلوم الاسلامية أو ما يسمى بعلوم الآلات وعلوم المقاصد فأغفلت المطولات واقتصر على المختصرات أو المتون ولايضاح ما غمض من المتون زودت بشروح ثم بحواش على الشروح وتقارير على الحواشى واسترسل المدرسون فى تشقيقات لفظية تعنى بالعرض دون الجوهر ، ورسخ الاعتقاد بأن هذه الفوارق الدقيقة هى التى تكسب الذهن حدة وتوسع الأفق وتعين على استيعاب العلم • كما راجت النظرية

القائلة بأن رسالة الأزهر مقصورة على دراسات علوم الآلات وعلوم المقاصد ، ولما أدخلت علوم الرياضة والكيمياء والأحياء والجغرافية والتاريخ فى برامج التعليم فى المعاهد الدينية سميت علوما حديثة كما لو كان العرب خلال تاريخهم لم يشتغلوا بها قط ، وأين دراساتهم فى الرياضة واستحداثهم لعلم الجبر وكشفهم لقوانين انكسار الضوء وتقريرهم كروية الأرض • وقد قضى المستشرق الروسى كراتشوافسكى أربعين عاما فى دراسة الأدب الجغرافى عند العرب ولم يتجاوز فيه القرن العاشر الهجرى •

وكان فى مقدور محمد على أن يصفى تركة العصر العثمانى لو أنه أنشأ المدارس التى استحدثها فى صميم الأزهر لاعادته الى ما كان عليه حيث كانت تدرس فيه هذه المواد •فالطب كان يدرس فى الأزهر كما ذكر ذلك عبد اللطيف البغدادى الذى وفد على مصر فى سنة ٥٨٩هـ كما أوضحه فى ترجمته الذاتية التى أورد فقرات منها ابن أبى أصيبعة فى كتابه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء • وقد أدى انشاء محمد على للمدارس الجديدة مستقلة عن الأزهر الى أن ظهر فى مصر نوعا من التعليم : التعليم الدينى والتعليم المدنى • وقد ترتب على ذلك ما يسمى بثنائية الثقافة فى مصر ،وهى ظاهرة مستحدثة غريبة عن تاريخ التعليم الاسلامى فى عصوره الزاهرة، وهذا لم يحدث فى كلية عليكرة التى أنشأها محمد خان بهادور فى الهند فى سنة ١٨٧٥ م حيث كانت تدرس بها العلوم العربية والاسلامية جنبا الى جنب مع العلوم الكونية كما هو الحال فى جامعتى اكسفورد وكمبردج •

ان قانون تطوير الأزهر الصادر فى سنة ١٩٦١ م يعيد للأزهر ما كان عليه فى عصوره الزاهرة • فانشاء كليات للطب والهندسة والزراعة وغيرها ملحقة به ليس أمرا غريبا عليه لأنا نقرأ فى معجمات التراجم عن علماء يجمعون بين دراسة العلوم الاسلامية والكونية ويعبر عن ذلك بكلمة مشاركة فيقال بأن أبا حنيفة الدينورى صاحب الأخبار الطوال انه كان مؤرخا وله مشاركة فى علم النبات وآخر كان فقيها وله مشاركة فى الطب وهكذا •

وقد عبر البعض عن مخاوفه من أن اضافة مواد التعليم الثانوى المدنى للتعليم الثانوى فى الأزهر ارهاق للطلاب قد يدفعهم الى اهمال العلوم العربية والاسلامية وان فى هذا اضعافا لما خصص الأزهر له • ولكنا نرجو أن تحل هذه المشكلة بما يحفظ للأزهر مكانته ويدعم رسالته •

وليس الزمن ببعيد حينما نرى من الأزهريين من هم علماء فى الرياضيات والطب والأحياء والهندسة والنبات والاقتصاد وعلم طبقات الأرض كما هو الحال فى جامعات الغرب حيث رأينا من القسس من يجمع الى درجته العلمية فى اللاهوت درجة أخرى فى هذه الدراسات •

ان فى هذا ما يمكن التحدث عنه عند الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر•

**عبد العزيز عبد الحق**

---

**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه :**

« أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو انزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، ان تجعل القرآن ربيع قلبى ، ونور بصرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب غمى » .

**ولا تطرد الذين يدعون ربهم • • ؟**

حضر باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه جماعة منهم وسهيل بن عمرو وعيينه بن حصن ، والاقرع بن حابس فخرج الاذن فقال : أين صهيب ، أين عمارة ، أين سلمان ، فتمعرت وجوه القوم ، فقال واحد منهم لم تتمعر وجوهكم ؟ ؛ دعوا ودعينا فاسرعوا وأبطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر ، فان ما أعد الله لهم فى الجنة اكثر .

# معركة فى بنك تركى ..!

كتب مراسل صحيفة «The Times» اللندنية هذه القصة منذ سنوات • فقد أرغمته الظروف ليكون طرفا فى هذه المعركة التى أذهلتــه وأذهلت غيره من الأجانب والأتراك •

كنت ذات يوم فى المصرف العثمانى أريد صرف صــك • فاذا بمشــادة غريبة لدى احدى مناضد الصرف وعدد من موظفى المصرف يقبلون فى جدال عنيف على ســيدة كهلة تدل ملابسها وسائر سمتها الظاهرة على أنها من الفلاحين •

وكانت السيدة تصيح بلهجة تركية حازمة : ( لن آخذه • كلا لن آخذه ) وهى تومىء معززة اصرارها باشارة قاطعة تكاد تبلغ الاشمئزاز (كلا أبدا اصــــنعوا بالنقــــود ما بدا لكم ولا تعطونى اياها • ألم يرد فى كتاب الله أن أكل الربا حرام مهلك ..؟)•

ودنوت منهم مأخوذا بهذا المشهد الرائع • وقام من بينهم محمد ( بك) وهو تركى من أبناء الجيل الحــديث ذوى الصــبغة الأوربية الخالصــة ولا يكاد يظن الناظر اليه فى أى مكان الا أنه غربى ، وكان محياه ــ وقد عهدته باسما رزينا ــ قد علاه خليط عجيب من الحرج والاستعلاء والضيق• فأقبل على مبينا انها قروية لها مع المصرف حساب ، وهو أمر قد أصبح مألوفا نتيجة الاثراء الذى طرأ منذ أعوام على كثير من الفلاحين الاتراك• ثم روى لى كذلك انها : ( مسلمة شديدة التدين شأن سائر الفلاحين ) وانها اســتحقت خمسين ليرة فائدة على ودائعها لكنها تأبى اباء قاطعــا أن تمس شيئا منها لأن القرآن ينهى عن أخذ الربا •

أمعنت فيها النظر ، فاذا هى ضاربة على رأسها بالخمار المعهود ساترة به ذقنها ومسدلة اياه على أسفل الجبهة•

وهذا الشرشف ـ كما يسمونه ـ هو البقية الباقية من سالف الحجاب فى تركيا ، وكانت ترتدى ثيابا فاقعة الألوان وسراويل واسعة فضفاضة مما يعرفونه باسم ( الشلفاز ) • ولبثت تتأمل فى كشف رصيدها بكثير من الريبة • ثم انبرت فجأة مشيرة ببنانها ـ اشارة اتهام ـ الى جملة من الأرقام أضيفت الى الحساب ، معلنة بحزم فاصل : ( ان هذا هو الفائض وانه الاثم ) وأخذت تدقق فى الأرقام بنظرة مذعورة كأنها حشرات كريهة تدب دبيبا على ورقة الكشف وهى تكرر قولها : ( ان الكتاب يحرمه فلايحل لى أن آخذه ) •

وتساءلت ـ عجبا ـ كم مرة ألفى محمد بك نفسه مضطرا للتعامل مع (زبونة) كهذه ، ومال هو من فوق المنضدة الى تلك الكهلة العنيدة يستدرجها بصوت خافت ـ بينما أصبحت هى تبدو كبهيمة الحقل الثائرة التى تساق سوقا الى الحظيرة ( مهلا • مهلا ) ان من الخير لك أن تأخذى هذه النقود فانها لك تصنعين بها ما تشائين أو تتصدقين بها على الفقراء ان كنت زاهدة فى الانتفاع بها ) • وقد بدا جليا أن محمد بك ـ وهو التركى المستغرب ناله حرج كبير بل أدركه الخجل من أن يجرى كل هذا فى مصرفه لا سيما أمام غربى مثلى يفهم التركية • وقد ذكرنى حاله بمضيفة شابة على جانب من الجمال شهدتها يوما تحاول اقناع امرأة من المسافرين كى تخلع عن نفسها الحجاب ••

ولكن السيدة الكهلة لم تزدد الا اصرارا : ( لا • لن أمس الربا • هبوه أنتم للفقراء كما شئتم ولا شأن لى به البتة ) • ثم التفتت الى ـ على جزع وارتباك من الموظفين ـ وأخذت ثنية معطفى الطاعن فى البلى بين ابهامها والسبابة وقالت : بجرأة معروفة فى أهل الريف الأتراك : ( اعطوها لهذا الفتى ان رأيتم فربما كان له بها حاجة) • وأدركت عندئذ أنه دورى فى الأخذ

والرد ، فاستجمعت شتات ذكريات من كتــاب « مبادىء الاقتصــاد » للأستاذ توسيق ، وشرعت أوضح لها النظرية أى نظرية الفائدة المصرفية ، وان مالها حينما أودع فى المصرف قد خرج ــ الى حين ــ عن دائرة تصرفها، وان المصرف انما يتعهــد الآن بأن يؤدى لها عوضا عما فاتها من ذلك . لكن عباراتى التركية المتعثرة ضاعت سدى وهباء ، فقد رمتنى تلك السيدة الكهلة بنظرة شزراء ، وانا فى حسابها ــ بلا ريب ــ لا أعــدو أن أكون كافرا نحس الطلعة . وما هى قيمة مبادىء توسيق ازاء مبادىء الله ؟

وغادرت المصرف ولم تزل السيدة محورا لحلقة متزايدة من جمـــاعة المصرف الاداريين والتنفيذيين والعرق يتصبب منهم ، بينما هى صــامدة مكانها لا تبدو عليها باردة من وهن ..

ان النظام المصرفى الحديث أهون من أن يرقى فى رأسها الى مقـــام محمد ..

---

**ثلاثة تقر بها العيون :**

المرأة الموافقة ، والصديق الودود ، والولد الصالح الأديب .

وثلاثة يكدرون العيش : جار السوء ؟ والزوجة الشريرة والولد العاق .

**قال بعض الملوك لوزيره يوما :**

**ما احسن الملك لو كان دائما ؟ فقال الوزير لو كان دائما ما وصل اليك .**

# آداب المفتي

للدكتور : ى . ق

« لقد استفتى من لا علم له ، وظهر فى الاسلام امر عظيم ، ولبعض من يفتى ههنا احق بالسجن من السراق » ..

**ابن ابى عبد الرحمن**

الفتوى منصب عظيم الأثر ، بعيد الخطر ، فان المفتى ــ كما قال الامام الشاطبى ــ قائم مقام النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهو خليفته ووارثه « العلماء ورثة الأنبياء » . وهو نائب عنه فى تبليغ الأحكام . وتعليم الأنام ، وانذارهم بها لعلهم يحذرون. وهو الى جوار تبليغه فى المنقول عن صاحب الشريعة ، قائم مقامه فى انشاء الأحكام فى المستنبط منها بحسب نظره واجتهاده فهو من هذا الوجه ــ كما قال الشاطبى ــ شارع واجب اتباعه ، والعمل على وفق ما قاله وهذه هى الخلافة على التحقيق . (١)

واعتبر الامام أبو عبد الله ابن القيم المفتى موقعا عن الله تعالى فيما يفتى به وألف فى ذلك كتابه القيم المشهور «أعلام الموقعين» (٢) عن رب العالمين الذى قال فى فاتحته :

« اذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذى لا ينكر فضله ولا يجهل قدره وهو من أعلى المراتب السنيات فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات ؟ » .

---

(١) انظر : الموافقات ، للشاطبى جـ ٤ ص ٢٤٤/٢٤٦ بتحقيق الشيخ عبد الله دراز .

(٢) بعض العلماء ينطقونها « اعلام الموقعين » جمع علم لأن المؤلف ذكر عددا من اعلام الفتوى فى أوائل الكتاب . ولكن هذه الصفحات لا تجعل الكتاب كتاب تراجم اسلامية لأعلام المفتين . بل هو كتاب لأعلام المفتين ما يجب ان يعلموه من امر الفتوى وما يتعلق بها والكتاب من أوله الى آخره فى ذلك كما يعرف من قراءته ففتح « الاعلام » خطأ جزما .

وقد عرف السلف رضى الله عنهم للفتوى كريم مقامها ، وعظيم منزلتها وأثرها فى دين الله وحيـاة الناس ، وترتب على ذلك عدم أمور أومواقف تهيب السلف للفتوى .

أحدها : تهيبهم لها ، وتريثهم فى أمرها ، وتوقفهم فى بعض الأحيان عن القـول ، وتعظيمهم لمن قــال : « لا أدرى » فيمـا لا يدرى ، وازراؤهم على المتجزئين عليها دون اكتراث ، استعظاما منهم لشـأنها ، وشعورا بعظم التبعة فيها .

وأول الناس فى ذلك الصحابة ، فكان كثير منهم لا يجيب عن مسألة حتى يأخذ رأى صاحبه ، مع مارزقوا من البصيرة والطهـارة والتوفيق والسداد ، كيف لا وقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسأل أحيانا فلا يجيب حتى يسأل جبريل .

وكان الخلفـاء الراشـدون ، مع ما أتاهم الله من سـعة العلم ـ يجمعون علماء الصحابة وفضـلاءهم عندما تعرض لهم مشكلات المسائل، يستشيرونهم ، ويستنيرون برأيهم ، ومن هذا اللون من الفتاوى الجماعية نشأ ـ الاجماع فى العصر الأول .

وكان بعضهم يتوقف عن الفتوى فلا يجيب ويحيل الى غيره أو يقول: لا أدرى قال عتبة بن مسلم : صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهرا ، فكان كثيرا ما يسأل فيقول : لا أدرى .

وقـال ابن أبى ليلى أدركت مائة وعشرين من الأنصـار من أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسـلم يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا الى هذا ، وهذا الى هذا ، حتى ترجع الى الأول ، وما منهم من أحد يحدث بحديث، أو يسأل عن شىء ، الا َود ّ أخاه كفاه .

وقال عطاء بن السائب : أدركت أقواما ان كان أحدهم ليسـأل عن شىء فيتكلم وانه ليرعد (١) .

---

(١) اعلام الموقعين ج ٤ ـ ٢١٨ ـ ٢١٩ .

وقال عمر بن الخطاب : أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار (١) .

وقال ابن مسعود : والله ان الذى يفتى النـاس فى كل ما يستفتونه لمجنون .

وروى عن ابن عباس : اذا أخطأ العالم « لا أدرى » أصيبت مقاتله ونسب الى غيره أيضا .

واذا انتقلنا الى التابعين نجد سيدهم وأفقههم سعيد بن المسيب كان لا يكاد يفتى ، ولا يقول شيئا ، الا قال : اللهم سلمنى وسلم منى .

وسئل القاسم بن محمد ــ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ــ عن شىء فقال: انى لا أحسنة .فقال له السائل: انى جئتك لا أعرف غيرك ــ فقال له القاسم : لا تنظر الى طول لحيتى، وكثرة الناس حولى ــ والله لاأحسنه. فقال شيخ من قريش جالس الى جنبه: يا ابن أخى الزمها ، فوالله ما رأيناك فى مجلس أنبل منك اليوم . فقال القاسم : والله لأن يقطع لسانى أحب الى من أن أتكلم بما لا علم لى به.

وسئل الشعبى عن مسألة ، فقال: لا أدرى : فقيل له : ألا تستحى من قول « لاأدرى » وأنت فقيه العراق؟ فقال : « لكن الملائكة لم تستح حين قالـوا : « سبحانك لا علم لنـا الا ما علمتنا » ، وبعد التابعين نجد أئمة المذاهب المتبوعة لايستنكفون من قـول : « لا أدرى » فيما لا يحسنونه .

وقد حفظ عن أبى حنيفة ــ مع براعته فى الجواب، وقدرته الفائقة على الاستنباط والتوليد .. مسائل معروفة قال فيها : « لا أدرى » ..

روى الخطيب البغدادى بسنده عن أبى يوسف قال : سمعت أباحنيفة يقول : لولا الفرق ( الخوف ) من الله أن يضيع العلم ما أفتيت أحـدا يكون له المهنا ، وعلى الوزر .

---

(١) ذكره ابن بطة فى رسالته فى الخلع ص٣١ موقوفا على عمر ، ولكن السيوطى فى الجامع الصغير ذكره مرفوعا . نسبة الى الدارمى من حديث عبد الله بن أبى جعفر مرسلا .

وقال أيضا : من تكلم فى شيء من العلم وتقلده وهو يظن أن الله لايسأله عنه : كيف أفتيت فى دين الله ؟ فقد سهلت عليه نفسه ودينه[1].

وكان أشدهم فى ذلك مالك رحمه الله ، فكان يقول : من سئل عن مسألة فينبغى له قبل أن يجيب فيها أن يعرض نفسه على الجنة والنار ، وكيف يكون خلاصه فى الآخرة ، ثم يجيب فيها .

وقال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول : انى لأفكر فى مسألة منذ بضع عشرة سنة ، فما اتفق لى فيها رأى الى الآن .

وسمعه ابن مهدى يقول : ربما وردت على المسألة ، فأسهر فيها عامة ليلى .

قال مصعب : وجهنى أبى بمسألة ـ ومعى صاحبها ـ الى مالك يقصها عليه ، فقال : ما أحسن فيها جوابا ، سلوا أهل العلم .

قال ابن أبى حسان : سئل مالك عن اثنتين وعشرين مسألة ، فما أجاب الا فى اثنتين بعد أن أكثر من « لا حول ولا قوة الا بالله » .

وكان الرجل يسأله عن المسألة ، فيقول : العلم أوسع من هذا . وقال بعضهم ، اذا قلت أنت يا أبا عبدالله: لا أدرى فمن يدرى ؟ قال : ويحك ما عرفتنى . وما أنا ؟ وأى شيء منزلتى حتى أدرى ما لا تدرون ؟ ثم أخذ يحتج بحديث ابن عمر يقول : لا أدرى ، فمن أنا ؟ وانما أهلك الناس العجب وطلب الرئاسة وهذا يضمحل عن قليل . وقال مرة أخرى: قد ابتلى عمر بن الخطاب بهذه الأشياء فلم يجب فيها . وقال ابن الزبير : لا أدرى ، وابن عمر : لا أدرى

وقال مصعب : سئل مالك عن مسألة ، فقال : لا أدرى . فقال له السائل : انها مسألة خفيفة سهلة ، وانما أردت أن أعلم بها الأمير ، وكان السائل ذا قدر فغضب مالك وقال : مسألة خفيفة سهلة ، ليس فى العلم شيء خفيف . أما سمعت قول الله

(١) الفقيه والمتفقه المجلد الثانى ص ١٦٨ مطابع القسيم بالرياض .

تعالى: « انا سنلقى عليك قولا ثقيلا» فالعلم كله ثقيل ، وبخاصة ما يسأل.

قال بعضهم : ما سمعت قط أكثر قولا من مالك : « لا حول ولا قوة الا بالله » ولو شاء أن ننصرف بألواحنا مملوءة بقوله لا أدرى « ان نظن الا ظنا ، وما نحن بمستيقنين لفعلنا » (١) .

وقال أبو داود : سمعت أحمد ابن حنبل يسأل عن مسألة فقال . دعنا من هذه المسألة المحدثة . وما أحصى ما سمعت من أحمد ، سئل عن كثير مما فيه الاختلاط من العلم، فيقول : « لا أدرى » .

وجاء رجل يسأله عن شيء فقال : لا أجيبك فى شيء . ثم قال : قال عبد الله بن مسعود : ان كل من يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون(٢) .

وهكذا كان أئمة الاسلام .

**انكارهم على من « افتى » بغير علم :**

ثانيا : كان السلف ينكرون أشد الانكار على من اقتحم حمى الفتوى ولم يتأهل لها ويعتبرون ذلك ثلمة فى الاسلام ، ومنكرا عظيما يجب أن يمنع .

وفى الصحيحين من حديث ابن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، فاذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا فافتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا

وروى الامام أحمد وابن ماجة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من أفتى بغير علم كان اثم ذلك على الذى أفتاه « .

وذلك لأن المستفتى معذور اذا كان من أفتاه لبس لبوس أهل العلم، وحشر نفسه فى زمرتهم ، وغر الناس بمظهره وسمته .

غير أن من أقر هذا المفتى بعد تبين جهله وخلطه ــ من ولاة الأمور يشاركه فى الاثم أيضا ، ولا سيما

(١) انظر : ترتيب المدارك للقاضى عياض جـ ١ ص ١٤٤ وما بعدها.
(٢) اعلام الموقعين جـ ٤ ص ٢٠٦

اذا كان من أهل الحظـوة لديهم ، والقربى اليهم ، فهو ينفعهم ، وهم ينفعـونه ، على طريقـة « احملنى أحملك » .

ومن ثم قررالعلماء : أن من أفتى وليس بأهل للفتوى فهو آثمعاص، ومن أقره من ولاة الأمور على ذلك فهو عاص أيضا .

ونقل ابن القيم عن ابى الفرج بن الجوزى رحمه الله قال : ويلزم ولى الأمر منعهم ، كما فعل بنو أمية .

قال : وهـؤلاء بمنزلة من يـدل الركب وليس لـه علم بالطـريق ، وبمنزلة من لا معرفة له بالطب وهو يطب الناس ، بل هو أسوأ حالا من هؤلاء كلهم .

واذا تعين على ولى الأمر منع من لميحسن التطبيبمن مداواة المرضى فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة ولم يتفقه فى الدن ؟

وكان شيخ الاسـلام ابن تيمية شديد الانكار على هؤلاء،ولمـاقال له بعضهم يوما : أجعلت محتسبا على الفتـوى ؟ قال له : يكـون على الخبـازين والطبـاخين محتسب ولا يكون على الفتوىمحتسب؟(١).

والامام أبو حنيفة رغم ذهابه الى عـدم الحجـر على السفيه احتراما لآدميته يقـول بوجوب الحجر على المفتى الجاهل والمتلاعب بأحـكام الشرع لمـا وراء تلاعبه من ضرر عام على الجماعة المسلمة ، لا يقاوم حقه الفردى فى حرية التصرف (٢) .

وقـد رأى رجـل ربيعة بن أبى عبد الرحمن يبكى فقال : ما يبكيك؟ فقال : استفتى من لا علم له ، وظهر فى الاسلام أمر عظيم . قال : ولبعض من يفتى ههنـا أحـق بالسجن من السراق .

قال بعض العلماء فيمـا نقله ابن القيم عنـه : فكيف لو رأى ربيعـة زماننا ؟

---

(١) اعلام الموقعين ج ٤ / ٢١٧

(١) يرى أبو حنيفة وجوب الحجر على ثلاثة : الطبيب الجـاهل ، والمفتى المـاجن ( المتلاعب ) والمكارى ( المقاول ) المفلس دفعا لضررهم عن عن الجماعة .

واقدام من لا علم له على الفتيا ، وتوثبه عليها ، ومد باع التكلف اليها ، وتسلفه بالجهل والجرأة عليها ، مع قلة الخبرة وسوء السيرة وشؤم السريرة ، وهو من بين أهل العلم منكر أو غريب ، فليس له فى معرفة الكتاب والسنة وآثار السلف نصيب (١) .

ونقل أبو عبد الله بن بطة ما رواه الأعمش عن شقيق ابن مسعود : والله ان الذى يفتى الناس فى كل مسألة لمجنون ، وقول الحكم للأعمش : « لو سمعت منك هذا الحديث قبل اليوم ما كنت أفتى فى كثير مما كنت أفتى فيه » .

ثم قال أبو عبد الله : فهذا عبد الله ابن مسعود يحلف بالله ، ان الذى يفتى الناس فى كل ما يسألونه مجنون . ولو حلف حالف لبر ، ان أكثر المفتين فى زماننا هذا مجانين ، لأنك لا تكاد تلقى مسئولا عن مسألة ، متلعثما فى جوابها ولا متوقفا عنها ، .. ولا خائفا لله ، ولا مراقبا له أن يقول له : من أين قلت ؟ بل يخاف ويجزع أن يقال سئل فلان عن مسألة فلم يكن عنده جواب .. يفتى فيما عيى عنه أهل الفتوى ويعالج ما عجز عن علاجه الأطباء (٢) .

وقال غير واحد من السلف فى بعض أهل زمانه ، ان أحدهم يفتى فى المسألة لو عرضت على عمر لجمع لها أهل بدر .

وأقول : فكيف لو رأى ربيعة وابن بطة وابن القيم ومن قبلهم ومن بعدهم من علماء زماننا نحن ؟ وكيف أصبح يفتى فى قضايا الدين الكبرى من لا علم له بالأصول ولا بالفروع ، ولم يتصل بالقرآن والسنة اتصال الدارس المتعمق ، بل اتصال الخاطف المتعجل ؟

كيف أصبح بعض الشباب يفتون فى أمور خطيرة بمنتهى السهولة والسذاجة مثل قولهم بتكفير الأفراد والمجتمعات . وتحريمهم على أتباعهم

---

(١) اعلام الموقعين جـ ٤ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨

(٢) من رسالة لأبى عبد الله بن بطة بعنوان « جزء فى الكلام عن مسألة الخلع » ص ٣٣ مطبعة المنار سنة ١٢٤٩ هـ . مع مجموعة رسائل اخرى .

حضور الجمع والجماعات أو قـول آخرين باسقاط الجهـاد حتى تقوم الدولة القرآنية والخلافة الاسلامية.

وكثـير من هؤلاء ليسـوا من « أهل الذكر » فى علوم الشريعـة ولا كلف نفسه أن يجلس الى أهل الذكر ويأخذ عنهم ، ويتخـرج على أيديهم ، انما كون ثقافته من قراءات سريعةفى كتب المعاصرين، أما المصادر الأصـلية فبينه وبين قراءتهـا مائة حجاب وحجاب، ولو قرأها ما فهمها، لأنه لا يملك المفاتيح المعينـة على فهمهـا وهضمها فكل علم له لغـة ومصطلحات لا يفهمهـا الا أهـله العارفون به المتخصصون فيه ، فكما لا يستطيع المهندس أو الطبيب أن يقرأ كتب القانون وحده دون مرشد ومعلم ، ... ولا يستطيع القانونى أن يقرأ كتب الهندسة وحده كذلك لا يستطيع أحـد هؤلاء أن يدرس كتب الشريعة وحده دون موجه يأخذ بيـده .

وهـذا ما ينتهى بنـا الى الأمر الثالث ، وهو : ما يلزم الانسان من علم وثقافة لكى يفتى .

( للبحث بقية )

# نحو عقيدة عسكرية إسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين

— ٦ —

بعـد أن تناولنا ما انطوت عليه الحرب فى الاسلام من قواعد فاضلة وآداب وعدالة ، سبق بها الاسلام القانون الدولى قرونا طويلة ، مثل منـع قتل من لا يحـارب ومنـع التخـريب ، ومنع قتـل الضعفاء والشيوخ والنساء والأطفال ، وحسن معاملة الأسرى والقتلى ومنع تعذيب الجرحى أو قتلهم ، والوفاء بالعهد والتأمين للمحارب ، وعدم التعرض بالأذى لرسل العدو ، وحسن معاملة الشعوب المغلوبة ، واقـرار الصلح فور طلبه من قبل العدو .. الخ ، تتنـاول آثارها الاستراتيجية التى انفـردت بها العقيدة العسـكرية الاسلامية ، والتى لم تحظ بها أية عقيدة عسكرية أخـرى على مـدى التاريخ .

لقـد اتفق علمـاء الاستراتيجية العسكرية ـ كمـا يقـول الكاتب الاستراتيجى صـح ليدل هارت ـ على المبادىء التالية :

١ ـ ان الغرض من الحرب يجب أن يكون « الحصـول على سـلم أفضل » ، ومن أجل ذلك يجب أن تكون الأضرار الدائمة الناجمـة عن عن الضربات أقـل ما يمكن ، وأن تكون الجراح قابلة للشفاء .

٢ ـ ان الأسـاليب الوحشية فى القتال والطلبات المجحفة والشروط الجـائرة التى تفـرض على الجانب الآخـر لا يمكن أن تهيىء الظروف المناسبة لقيـام سلم حقيقى ومستقر بعد الحرب ، ويصف الاستراتيجيون ذلك السـلام بأنه سـلام مشـوه

لاحتوائه ــ على حد تعبيرهم ــ على « جراثيم حرب تالية » .

وقد حفل التاريخ بأدلة قاطعة على أن الشطط والمبالغة فى ادارة الحروب لا يهيئان مناخا صالحا لقيام سلام مستقر أو دائم ، ولقد أدرك هذه الحقيقة رجال السياسة فى القرن الثامن عشر بعد سلسلة من الحروب الواسعة التى كان على رأسها الحرب الثلاثينية ، فرأوا بضرورة كبح أطماعهم وتجنب الشطط والمبالغة فى كل الأعمال التى قد تطيح بالآمال المقصودة على حالة ما بعد الحرب .

وامتدت حروب نابليون قرابة عشرين عاما ، ولم تحقق له ما كان يتصوره من سلام عن طريق الحرب تلو الأخرى ، بل لقد وصل الأمر الى حد انهيار الامبراطورية النابليونية .

ومن أكبر الدروس التى لا تنسى فى هذا المجال أن المعاملة القاسية التى لقيتها ألمانيا على يد الحلفاء المنتصرين فى الحرب العالمية الأولى تحت شعار « ويل للمغلوب » ، والعقوبات الاقتصادية التى أثقلت كاهل الاقتصاد الألمانى جعلت السلام الذى جاء بعد تلك الحرب « سلاما مشوها يحمل جراثيم حرب جديدة » ، وهذا ما حدث فعلا ، اذ كانت تلك القسوة بالذات هى الدافع الرئيسى لهتلر فى العمل بكل الوسائل على انهاض ألمانيا وبالتالى سرعة نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ .

أما حروب الاسلام بدوافعها الفاضلة وآدابها وانسانيتها وسماحتها ، فلم تنطو على ما يقطع الأمل فى سلم حقيقى ومستقر ، بل كانت تجعل جراح المغلوبين تلتئم بسرعة ، أى أنها كانت « خالية من جراثيم حرب أخرى » ، بل لقد كان السعى نحو ذلك النوع من السلام هدفا من أهم الأهداف كما يشهد بذلك سجل التاريخ . ففى غزوة الفتح ــ على سبيل المثال ــ كانت كل الظروف مهيأة أمام المسلمين لتحقيق نصر عسكرى ساحق على قريش، ولو كان هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقق النصر على

أعدائه دون أدنى اعتبار لما بعد النصر ، ما نفذ ذلك المخطط العبقرى الذى حقق به فتح مكة بلا قتال •

واذا كان من شأن المنتصر أن يستبد ويملى شروطه بدافع الانتقام والغرور بالقوة ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم ــ على الرغم من كل ما فعلته قريش ضد الاسلام والمسلمين ــ لم يفعل شيئا من ذلك، بل كان كل همه وكل قصده أن يؤلف قلوب المشركين ، ويجعلها تقبل على الاسلام الذى هو دين السلام ، وكان تصرفه فى أهل مكة وهم ينتظرون ما هو فاعل بهم تطبيقا عمليا لمبادىء الاسلام السمحة ، وعقيدته العسكرية السليمة ، بل كان مثلا فذا للعبقرية السياسية والعسكرية معا ، حين قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » •

وأهم الآثار الاستراتيجية لهذه السياسة الاسلامية السمحة أن قريشا لم تقبل على الاسلام فحسب ، بل حملت رايات الجهاد فى سبيل الله ، وتحولت ، وتحولت اتجاهاتها من أشد الناس عداوة للاسلام ، الى أحرص الناس على رفع راية الجهاد فى سبيله ، وليس هذا فحسب ، بل كان من عرب شبه الجزيرة قادة عسكريون أفذاذ شهد لهم التاريخ ورجال العسكرية بأنهم من أعظم القادة العسكريين مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص •

وقد سار على نفس المنهج الخلفاء الراشدون ، فنرى أبا بكر رضى الله عنه يقول فى وصيته لقائد الجيش وهو يستعد للخروج للقتال :

« استعمل العدل ، وباعد عنك الجور ، فانه ما أفلح قوم ظلموا ، ولا نصروا على عدوهم ، واذا نصرتم عليهم فلا تقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ، ولا تحرقوا زرعا ولا تقطعوا شجرا ، ولا تذبحوا بهيمة الا ما يلزمكم للأكل ، ولا تغدروا اذا هادنتم ، ولاتنقضوا اذا صالحتم ، وستمرون على أقوام فى الصوامع رهبان ترهبوا لله ، فدعوهم وما انفردوا اليه ، وارتضوه لأنفسهم ، ولا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم » •

وأوصى عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعد بن أبى وقاص قائده الذى

وجهه لفتح فارس فقال : « أما بعد فانى أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله فى كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وأن تكون أنت ومن معك أشد احتراسا من المعاصى من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وان لم ننصر عليهم بطاعتنا لن نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله ، يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون منها أنفسهم ، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، وابعد منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق به » .

وكان عمر رضى الله عنه بالشام ، وحانت الصلاة وهو فى كنيسة القيامة ، فطلب البطريق من عمر أن يصلى بها ، وهم أن يفعل ، ثم صلى على درجة من درجات السلم خارجها ، واعتذر بأنه يخشى أن يأخذها المسلمون فيما بعد بدعوى أنه صلى فيها ، وكتب للمسلمين كتابا يوصيهم فيه بألا يصلوا على الدرجة التى صلى عليها الا واحدا واحدا غير مؤذنين للصلاة وغير مجتمعين .

وكان لتلك السياسة السمحة التى سار بها الخلفاء الراشدون على هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم آثارها الاستراتيجية العظيمة ، فكانت الشعوب المختلفة ترحب بالمسلمين الفاتحين ، وتنضم اليهم أحيانا لتنجو من عسف الفرس والروم ، وتستظل بوارف من العدل والسماحة والحرية ، ولقد تحقق لهذه الشعوب ما أملته ، وسرعان ما دان أكثرها بالاسلام عن رغبة واختيار ، وسرعان ما صارت البلاد المفتوحة موئلا للاسلام ،

وصار أهلها من دعاته وحملة لوائه ومن المجاهدين فى سبيله •

وهكذا يثبت التاريخ أن سماحة الاسلام فى الحروب قد حققت آثارا استراتيجية لم تصل اليها أية عقيدة عسكرية أخرى فى أى عصر ، وهذا ما يميز العقيدة العسكرية الاسلامية عن غيرها ، ويبوئها مكانة عليا لا تتسامى اليها أية عقيدة عسكرية أخرى •

ولقد أثار تحول الشعوب المفتوحة وتحول اتجاهاتها الى حمل لواء الاسلام والجهاد فى سبيله دهشة الفيلد مارشال مونتجمرى ، فقال فى كتابه ( الحرب عبر التاريخ ) : ومن العجيب أن القوة الرئيسية للجيوش الاسلامية فى فتح أسبانيا بين عامى ٧١٠ ــ ٧١٣ كانت مشكلة من الليبيين والتونسيين ! ! وقد علل مونتجمرى سر الفتوحات الاسلامية وسر بلوغها مدى لم تصله فى أى عهد سابق بأن المسلمين كانوا يستقلون فى كل مكان يصلون اليه باعتبارهم محررين للشعوب من العبودية ، وذلك لما اتسموا به من تسامح ، وانسانية وحضارة ، فزاد ايمان الشعوب بهم ، وقد ظلت جميع المناطق التى فتحها العرب فى القرن السابع حتى يومنا هذا ــ ما عدا أسبانيا ــ تحتفظ بالدين الاسلامى وكذلك بالعادات والتقاليد والتراث الاسلامى •

ويقول جوستاف لوبون فى كتابه ( حضارة العرب ) : ان القوة لم تكن عاملا فى نشر القرآن ، وان العرب تركوا المغلوبين أحرارا فى أديانهم ، فاذا كان بعض النصارى قد أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذى لم يكن للناس بمثله عهد ــ ولما كان عليه الاسلام من السهولة التى لم تعرفها الأديان الأخرى ، وقد عاملوا أهل سورية ومصر وأسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم ، تاركين لهم قوانينهم

ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين سوى جزية زهيدة فى مقابل حمايتهم لهم وحفظ الأمن بهم .. والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب .

ويقول الكونت هنرى دى كاسترى: ان المسلمين امتازوا بالمسالمة وحرية الأفكار فى المعاملات ومحاسنة المخالفين ، وهذا يحملنا على تصديق ما قاله ( روبنسون ) : ان شيعة محمد وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم . وهذه المحبة هى التى دفعت العرب فى طريق الفتح ، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة ، ولم يتركوا أثرا للعسف فى طريقهم الا ما كان لابد منه فى كل حرب وقتال ، ولم يقتلوا أمة أبت الاسلام .

**محمد جمال الدين**

---

يقولون لى فيك انقباض وانما
راوا رجلا عن موقف الذل احجما

ارى الناس من داناهم هان عندهم
ومن اكرمته عزة النفس أكرما

ولم اقض حق العلم ان كان كلما
بدا طمع صيرته لى سلما

وما كل برق لاح لى يستفزنى
ولا كل من لاقيت ارضاه منعما

اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما

# مجدد الألف الثانية الشيخ أحمد السرهندي

للدكتور عبد المقصود محمد شلقامي

حارس أصول الدين ومن أعظم الشخصيات الاسلامية فى شبه القارة الهندية ، قال عنه أستاذه الخواجة الباقى بالله المتوفى ١٠١٢هـ/١٦٠٣م: ان الشيخ أحمد كالشمس والعديد من أمثالنا كآلاف النجوم تختفى بطلوعها ، وقف هذا الصوفى العظيم والعالم الشجاع ضد أعظم الملوك فى عصره ألا وهو الملك « أكبر » أمبراطور الهند الذى اخترع دينا جديدا وأخذ الناس به وحملهم عليه حتى أوشكت شمس الاسلام فى الهند على الغروب ، ولم تقف حركة الشيخ المجدد عند هذا الحد وانما كان له أكبر الأثر فى الفكر الصوفى والثقافة والأخلاق .

ولد الشيخ أحمد فى ١٤ من شوال ٩٧١ هـ ٢٧ من مايو ١٥٦٤ فى قرية « سهرند » بكسر السين وسكون الهاء وكسر الراء وسكون النون والدال المهملة وهى قرية على الطريق المعبد بين دلهى ولاهور وتقع حاليا داخل حدود دولة الهند ، وقد حرف اسمها الآن فصار الناس يقولون سرهند ينسبون المجد اليها فيقولون « أحمد السرهندى » .

كان والده الشيخ عبد الأحد الفاروقى عالما جليلا وصوفيا كبيرا يتبع الطريقة الجشتية والقادرية ويتصل نسبه بالخليفة الثانى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فى سلسلة من الآباء تبلغ ثمانية وعشرين والدا ولا يعلم بالتحديد متى فصل هذا الفرع عن تلك الشجرة الباسقة فى المدينة المنورة غير أن ما عرف من تاريخ شيخنا السرهندى فى هذا الأمر هو أن أحد أجداده كان قد هاجر الى كابل فى أفغانستان وبعد

وقت ما نزحت أسرته الى بلاد الهند واستوطنت سرهند حيث ولد صاحب هذه الترجمة •

وتذكر المراجع ـ وهى اما أردية أو فارسية ـ أن الشيخ عبد الأحد الفاروقى رأى قبيل ولادة الشيخ أحمد السرهندى حلما عجيبا قال : كان الظلام حالكا ووحوش مفترسة تفتك بالناس ، وفجأة انبثق من صدرى شعاع ظهر فيه شخص عظيم مرموق المكانة يجلس متكئا على عرش وقد بدىء أمامه بذبح كل الوحوش ذبح الغنم والماعز وشخص ما يتلو بصوت مرتفع : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا • وقد عبر له هذه الرؤيا الشيخ كمال كيتلى قائلا : سيولد فى بيتك ولد يقضى على الفتن وظلام البدع •

تلقى المجدد تعليمه الأولى وبعض تعليمه الثانوى وحفظ القرآن على يد والده ، ويقال انه اهتم بالتصوف فى هذه الفترة المبكرة فقرأ عوارف المعارف وفصوص الحكم وغيرهما درسا درسا ، ثم ارتحل الى سيالكوت فأخذ المنطق والفلسفة على الشيخ كمال الدين بن موسى الكشميرى فكان زميلا للشيخ عبد الحكيم السيالكوتى ، وأخذ علوم الحديث على الشيخ يعقوب الكشميرى والقاضى بهلول البدخشى ، وانتهى من تحصيل علومه فى السابعة عشرة من عمره ثم انكب على التدريس والتأليف •

**المجدد والطريقة :**

ارتبط تاريخ الاسلام وانتشاره فى شبه القارةارتباطا وثيقا بالتصوف ورجاله وطرقه المتعددة التى كانت تختلف فى المسلك والأسلوب وتتفق فى الغايات والأهداف متمتعة فيما بينها بالوئام والسلام حتى لقد صار كل مسلم يرى لزاما عليه أن ينخرط تحت لواء واحدة منها أو أكثر ، ويبايع هذا الشيخ أو ذاك ليصبح تابعا أو مريدا يتعلم ويتلقى ثم يعمل فيرقى ضمانا لعقيدته من الزيغ بين بيئات الهند الوثنية ، وتبعا لذلك أخذ المجدد بيعة الطريقة الجشتية والقادرية عن والده لكنه لم يحصل على خلعة الخلافة القادرية الا من الشيخ كمال كيتلى الذى تنبأ بمستقبله وهو فى بطن أمه •

توفى والده الشيخ عبد الأحد الفاروقى سنة ١٠٠٧هـ / ١٥٩٩ م ، وفى هذا العام عزم المجدد على الحج فلما وصل دهلى عائدا ذكر له الشيخ حسن الكشميرى حسن صحبة الخواجة الباقى بالله وأنه يجب أن يقابله ، وكانت الطريقة النقشبندية قد وقعت من نفسه منذ وقت طويل فلم يملك الا أن حضر الى الخواجه الباقى بالله ـ وكان ينتظر لقاءه لما سمع عنه ـ فأظهر بشاشته بهذا اللقاء واحتفى بالمجدد الذى انخرط بعد يومين فى سلك النقشبندية ، ثم أقام فى جوار شيخه الجديد أكثر من شهرين استأذن بعدهما فى الرجوع الى سرهند ، ويقول صاحب سبحة المرجان : وللخواجة الباقى باللهفىحق المجدد عنايات عظيمة وكلمات كريمة منها ما كتبه فى أوائل ملازمة المجدد له الى بعض الأكابر بالفارسية ما ترجمته هذه : الشيخ أحمد رجل من سرهند ـ كثير العلم قوى العمل جالسه الفقيرعدة أيام وشاهدعجائب كثيرة فى أوقاته ويترآى أنه سيصير شمسا تتنور بها العوالم •

ثم جاء المجدد بعد ذلك الى دلهى ـ دهلى ـ مرتين ليحضر مجلس الخواجة الباقى بالله ، وفى المرة الأخيرة استقبله الخواجه بالترحاب وبشره بمستقبل عظيم ثم أجلسه مكانه وفوض اليه ادارة المجلس ورئاسته فى حضرته ، وقال عند وداعه : الآن أحس أن الضعف يغلب على وأن أيامى قد أصبحت قليلة جدا ثم أوصى المجدد قائلا : هذان ولداى : الخواجة عبيد اللهوالخواجة عبد الله قد أصبح أمرتعليمهما وتربيتهما روحيا أمانة فى عنقكم • وتظهر عظمة الشيخ المجدد من الحركة التى قام بها ضد الملك أكبر •

**عقيدة أكبر ومحنة المسلمين :**

حكم «أكبر» بلاد شبه القارة قرابة خمسين عاما ٩٦٣ ـ١٠١٤ ـ ١٥٥٦ ١٦٠٥ وانتصر فى معاركه الكثيرة ضد الحركات الانفصالية ثم اتجه شمالافدانت له كابل وقندهار ودخلت تحت ارادته المباشرة ، كما قام باصلاحات داخلية تستحق الاعجاب وتؤهله للثناء عليه ، لكن ما عقيدته التى ابتدعها ؟ وما الأسباب التى دفعته الى اختراع دين جديد ؟ • ذلك ما سنعالجه فى السطور الآتية :

بالرغم من أن هذا الامبراطور المغولى لم يتلق فى صغره تعليما

يعصمه بل تذكر المراجع أنه كان أميا الا أنه كان مولعا بالعلماء يحضر مجالسهم ويستمع الى نصائحهم ويتبرك بهم ، وظل — على ذلك قرابة عشرين عاما من حكمه ثم داخله الغرور لما قام به من فتوح وانجازات داخلية فاستغل بعض ممن حوله روح الغرور فيه وزينوا له أنه ظل الله فى أرضه وأن رأيه فوق رأى العلماء .. فصادف ذلك هوى فى نفسه واستمر ذلك الوهم ينمو حتى تحرر من قيود الشريعة الاسلامية ونبذ علماءها الا من وافقه ، وفكر ثم فكر ...وأخيرا خرج على الناس بعقيدة جديدة سماها « الدين الالهى » وكأنه أراد أن يجمع بها شعبه المتعدد الديانات على عقيدة واحدة فأعلن أن الاسلام قد مضى زمانه بمرور ألف عام على مجيئه وأن مبادئه أصبحت غير صالحة لهذا الزمان ، واستمر فأنكر الوحى والبعث والدار الآخرة وسائر السمعيات كما أنكر المعجزات وقال بتناسخ الأرواح ومنع ذبح البقر — معبود الهندوس — وأحل كثيرا من المحرمات فى الاسلام ، وقدس نار المجوس،واستبدل كلمة «لا اله الا الله محمد رسول الله«بالكلمة» لا اله الا الله أكبر خليفة الله ،وأشاع كثيرا من عقائد الهندوس وعاداتهم وهنا هلل الهندوس ورأوها فرصة سانحة للتخلص من الاسلام والمسلمين فى الهند فأخذوا يحيطونه بالرعاية ويفدونه بالأرواح الى أن اطمأن اليهم وتزوج منهم كما زوج ابنه ودعا حاشيته وأفراد دولته الى الثقة بهم والتزاوج معهم حتى صار لهم نفوذ كبير فى بلاطه وتوجيه سياسته فأخذوا ينفذون مخططهم الهدام ولندع المجدد يتكلم واصفا ما اقترفوه ضد الاسلام وأهله — حيث يقول فى خطاب الارشاد رقم ٩٢ : كفار الهند لم يتحاشوا هدم المساجد لاقامة معابدهم مكانها ، وفى الخطاب رقم ٤٧ : فى عهد أكبر فرض الكفار أحكام كفرهم فى بلاد الاسلام بالقوة والمسلمون قد عجزوا عن أداء أحكام دينهم علانية ، واذا جهر أحد المسلمين بعبادته يقتلونه ... باللأسف وياللخراب ... وطالب علم محمد صلى الله عليه وسلم ذليل ، أما طالب المنكر فعزيز مكرم !! وكان المسلمون فى ذلك الوقت ينعون الاسلام بقلوبهم المجروحة التى كان عدوهم

ينضحها بالملح ويذيقهم ألوانا من السخرية والعنت ، لقد اختفت شمس الهداية !!! ، ومثل ذلك خطاب رقم ٦٥ : كيف وصل الاسلام الى هذا الحد : الكفار يعترضون على الاسلام ويذمون المسلمين وبلا خوف يؤدون مراسم الكفر في الشوارع والأسواق وعلى العكس من ذلك يمنع المسلمون من أداء شعائرهم الطاهرة ويعترض عليهم وعليها .

وأرسل أكبر الى البرتغاليين وكانوا يحتلون بعض ثغور الهند يطلب من يفقهه في عقيدتهم فلبوا دعوته وبعثوا اليه بانجيل أمر بترجمته الى الفارسية ، وعهد الى الرهبان اليسوعيين بتعليم ولده مراد ثم أذن لهم بفتح مدارس في أكرا العاصمة وبعض عواصم الولايات الهندية .

ومما لا نزاع عليه أن أكبر قد أرضى كل الأديان ما عدا دين الاسلام الذى كان ينتمي وأسرته المغولية اليه والذى انسلخ عنه وناصبه العداء وقال عنه : ان واضعه من فقراء العرب ... وهناك حقيقة لا يمكن ان نغض الطرف عنها هى أن بلاط أكبر كان يضم بعضا من علماء المسلمين ممن باعوا آخرتهم بدنياهم من أمثال الشيخ مبارك ابن خضر الناكورى وابنه « أبو الغيض فيضى » صاحب التغير العجيب المسمى : سواطع الالهام وأخيه « أبو الفضل » وغيرهم من أصحاب المآرب الشخصية والاتجاهات الهدامة ، كما ينبغى أن نذكر أيضا أن يد أكبر الآثمة قد امتدت الى علماء آخرين عارضوا عقيدته المفتراه ورفضوها فكان نصيبهم الطرد من البلاد أو القتل والابادة من أمثال الشيخ عبد الله السلطانبورى والشيخ عبد الغنى الكنكوهى اللذين امتنعا عن التوقيع على بيان كان قد أعده الشيخ مبارك والذى يقول فيه: ان أكبر ظل الله فى أرضه وأن له أن يشرع ... وكان قد وقعه من ثمانية عشر عالما قبلهما بالرضا أو بالاكراه .

**دور المجدد :**

بعد هذا العرض الموجز السريع لعقيدة أكبر أكاد أسمع صوتك قارئى : فما دور الشيخ أحمد السر هندى ؟ وكيف استحق لقب مجدد الألف الثانية؟.والواقع أن المجدد لم

يكن بعيدا عن هــذه الحركة وانما كرس جهــده ووقته وسائر ما يملك لرفضـــها ووقاية المســـلمين من غوائلها لكن ما وســائله الى ذلك ؟ هل هى المظاهرات واثارة القلاقل أو اعلان العصيان والتمرد ؟ أم الدعوة فى سرية بعيــدا عن أنظــار أكبــر ومعاونيه ؟ بيد أن كل ذلك لم يكن يوائم طبيعة الشـيخ من ناحيــة ولم يــوافق مقتــضى الحال من أخــرى فالشــيخ لا يمـلك من وســـائل المظاهرات والثورة كما أنه رأى وسمع كيف أن أكبر فيه من القوة والبطش ما جعله يسكت ولايات بأكملها كانت قد خرجت عليه بسبب عقيدته الجديدة فلم يقدر لثوراتها النجاح أو اثارة منه، واذا اختار جانب الدعوة السرية فماذا يمكن أن يتــاح له من النجاح انه ولا شك سيجد أنصارا لأن كل مسلم أحس بحرج موقفه وغربته فى بلاده لكنه مهدد بالتعذيب والتجويع والقتل والاحراق ان ارتفع صوته بالرفض أو علم منه ذلك ، لقد ترك المجــدد هذه الفكرة لا جبنا منه ولكن رأفة بالمسلمين وصونا لدمائهم وأعراضهم ولو أن الأمر كان سيتعلق به وحده لـــا أحجم فلم يكن يخشى فى الحق أحدا : جاء مرة الى آكرا عاصــمة أكبر ودعا أبا الفضــل وغــيره من المقربين قائلا : لقد صار الملك أكبر خارجا على الله ورســوله ، اذهبوا اليه وبلغوه عنى أن مملكته وسلطانه وجنــوده وكل شىء لديه ذاهب فى يوم ما وأنه يجب أن يتوب الى الله ورســوله والا فلينتظر غضب الله . غــير أن الفتنــة كانت قــد عمقت جذورها ولم يعد يجدى معها النصح والوعظ أو اثارة الحمية لذلك أخذ المجدد يفكر ويتفرس فيما وصل اليه الحال ثم حدد أساس الفتنة فى ثلاثة أصناف من الناس ركز على اصلاحهم:

١ ــ رجال الحــكومة والحاشية الذين يستفيدون من أخطاء الحــكم واقتــراب الدولة الى الهندوســية ببعدها عن الاسلام .

٢ ــ علماء السوء الذين يلحدون مع رجال الحــكومة ويســيرون فى ركابهــا ويزينون للملك وأعــوانه حرصا منهم على مصلحة دنيوية أو اتباعا لغرفة ضالة ويسخرون فى سبيل ذلك علمهم وخبرتهم الدينية .

٣ ــ المبتدعون والمنحــرفون من رجــال التصــوف الذين يرون أن

الاسلام شريعة وطريقة أو ظاهر وباطن وأن الشريعة لا تقوى على الوقوف أمام الطريقة .

وقف المجدد جهده على اصلاح كل طبقة من تلك الطبقات الثلاث وكأنه رأى أن صلاح الدولة ورجوعها الى الاسلام مرهون بصلاح تلك الفئات ، واستمر لبعض السنين يستغل فى ثبات ورسوخ كل فرصة ممكنة لكن الذى كان له أكبر الأثر فى ذلك أنه كان يرسل خطابات لبعض الناس فى مختلف المواقع فانتشرت بذلك دعوته فى سائر أرجاء الهند ومنها عرف العوام وتأكد الخواص من زيف عقيدة أكبر ، ولهذا لانكون مبالغين اذا قلنا ان رجلا واحدا فقيرا أحدث تعلمه انقلابا فى الحياة وأرغم قوة السيف على التسليم وهو جالس فى زاويته .

ولتقدير قوة ونزاهة قلبه نلقى نظرة على أحد خطاباته وهو الذى أرسله الى الوزير الأعظم ( خان خانان ) أعظم خان حيث يقول : فى أول الأمر بالاسلام كان المسلمون فى حال من الضعف والفقر والقلة لكن أحدا منهم لم يكن ينظر الى شىء من ذلك ولا يهمه سوى نصر دين الله لذلك نصر الله حبيبه وأصحابه وأيدهم ، وفى وقتنا الحاضر من يعمل لدينه ولو قليلا ينل من الله ثوابا عظيما ، وما يتيسر لكم الآن من هذا العمل هو الجهاد باللسان وهو الجهاد الأكبر أعنى كلمة حق تقولها عند السلطان أكبر تقصد بها اصلاحه ، ونحن فى موقع لا يرتفع صوتنا منه الى السلطان ، واذ قد حرمت من هذه النعمة فانى أحملكم اياها . ومثل ذلك ما كتبه الى جهانكير ابن الملك أكبر عندما عينه حاكما على ولاية بيهار ومنه : اذا بدأت حكومتكم بنشر ورد اعتبار المسلمين فبها ونعمت والا فسوف تكون هناك مصاعب كثيرة . لقد كان المجدد يوجه نشاطه الى الفئات الثلاث بقدر متساو ولكنه لم ينس عامة الشعب الذين كان يجلس معهم دائما معلما ومرشدا ويحرص على عدم الاخلال بدروسه النظامية لطلابه ومريديه ، فهل نجح المجدد ؟ وهل استجاب له رجال الدولة والبلاط الملكى ؟ . والواقع أن المجدد وقد وقف وحيدا ضد نظام حكم قوى قد هيأ أذهان العامة لفكرة الرفض ،

وأكدها كما قلنا عند الخاصة واقنع رجال البلاط والحكومة بخطأ عقيدة أكبر ــ وان لم يتراجعوا عنها ــ فلم يستطع ذلك الامبراطور رغم حكمه الطويل ــ خمسين عاما تقريبا ــ وملكه العريض وسلطانه القاهر أن يرى عقيدته المزعومة مقبولة لدى فئات شعبه كما كان يقدر لها وانما مات وهى تتأرجح تحت تأثير هزات المجدد حينا وتترنح أحيانا كثيرة بسبب ضربات قوية من توجيهاته وقلمه ، ولما تولى ابنه جهانكير حكم الهند ١٠١٤/ ١٦٠٥ سارع فأبطل ما ابتدعه أبوه ضد الاسلام فألغى فكرة الدين الالهى بيد أنه أبقى على بعض آثار عهد أبيه ومن ذلك التقليد القاضى بتقبيل الأرض والسجود تحية للملك ، وعلى كل حال هدأت بذلك نفوس المسلمين ورأى المجدد أن جهاده قد أثمر فأخلد الى التصوف والروحانية واستغرق فيها حتى لقد كتب يوما الى أحد أصدقائه يصف مكاشفاته الروحية التى تخطى بها مقامات الأولياء وغيرهم ليصل الى الى مقام الصديق أبى بكر ثم يعبره الى مقام أعلى يقول:وظهر مقام آخر نورانى فى نهاية الحسن لم ير مثله قط محاذيا لمقام الصديق مرتفعا عنه قليلا كما تجعل الصفة مرتفعة عن وجه الأرض وعلمت أنه مقام المحبوبية وكان ملونا منقشا فوجدت نفسى ملونة منقشة بانعكاس ذلك المقام ثم وجدت نفسى فى تلك الكيفية لطيفة فانتشرت أنا كالهواء أو قطعة من السحاب فى الآفاق وانبسطت على بعض الأطراف والخواجة بهاء الدين فى مقام الصديق ووجدت نفسى فى مقام محاذ له على كيفية ذكرتها .

ويفهم من قول المجدد السابق أنه يرى أن مقامه فوق مقام الصديق أبى بكر لذلك ناصبه العلماء العداء وعقدوا العزم على خصامه وذكروا ذلك للسلطان جهانكير فاستدعاه وعند ذلك هلل خصومه علما منهم بأن المجدد ان استطاع أن يبرر شطحته الصوفية فانه لن يستطيع أن ينجو من العقاب بعدم السجود للامبراطور ولو أنه فطن الى مؤامرتهم وسجد للملك فانه يكون قد ناقض نفسه وسقط فى نظر الخاصة والعامة ، وعلم بهذه المؤامرة

الأمير خرم ـ شاهجان فيما بعد ـ ابن الملك جهانكير وكان مخلصا للشيخ المجدد فأرسل اليه قبل أن يحضر عند السلطان رسولين هما : أفضل خان والخواجة عبد الرحمن المفتى ومعهما بعض كتب الفقه وحملهما قوله الى المجدد : جوز العلماء سجدة التحية للسلاطين فان تسجدوا للسلطان عند المقابلة فأنا ضامن ألا يصل اليكم ضرر فلم يقبل الشيخ قائلا : هذه رخصة والعزيمة أن لا يكون السجود لغير الله .

دخل الشيخ السرهندى على الامبراطور جهانكير مرفوع الرأس ترتسم على وجهه كبرياء العلماء فحياه بتحية الاسلام وجلس فبادره السلطان : سمعت أنكم كتبتم أن مرتبتكم فوق مرتبة الصديق أبى بكر . فأجاب المجدد : انكم تطلبون الأدنى من خدامكم فتعطفون عليه وتسرون اليه حديثا فلا يصل اليكم ذلك الأدنى الا بعد طى مقامات الأمراء ثم يرجع الى محله ليقف فيه ولا يلزم من هذا أن تكون مرتبة ذلك الأدنى فوق مرتبة الأمراء فسكت السلطان بهذا الجواب وأعرض عن العقاب وعند ذلك خاطب أحد الحاضرين السلطان قائلا : أرأيتم هذا الشيخ ما سجد لكم مع أنكم ظل الله وخليفته وما أدى التحية الملكية المعمول بها فى بلاطكم فغضب جهانكير وأمر بحبسه فى قلعة كواليار ، والى ذلك الموقف أشار غلام على آزاد شاعر العربية الأكبر فى بلاد الهند قائلا :

لقد برع الأقران فى الهند ساجع
وجدد فن العشق يا للمجدد

فلا عجب ان صاده متقنص
ألم تر فى الأسلاف قيد المجدد

لبث المجدد فى السجن ثلاث سنين ثم أخرجه السلطان على أن يقيم بعسكره ويرحل معه أينما سار وأخيرا رخصه فعاد المجدد الى سرهند وأقام بها الى أن توفى فى أول صفر ١٠٣٤/١٣ من نوفمبر ١٦٢٤ وله من العمر ٦٣ عاما .

ولما تولى شاهجهان بعد أبيه ١٠٣٧, ١٦٢٨ قضى على سائر البدع وأجرى أحكام الاسلام وطهره مما ألصق به فى عهد أكبر وجهانكير وألغى سجدة التحية للملك فعاد للاسلام مكانته واحترامه فى نفوس

العامة والخاصة والبلاط ورجال الحكومة ، وكان ذلك بفضل جهود الشيخ أحمد السرهندى الذى عرف له مسلمو الهند هذه الأيادى فيما بعد فرفعوه مكانا عليا ولقبوه بمجدد الألف الثانية لأنه كما يقولون نفخ فيهم حياة جديدة بعد أن أعلن السلطان أكبر أن الاسلام قد أصبح لا يساير العصر بمضى ألف عام على مجيئه ، ثم أخذ أهل الهند يحثون عن آثار الشيخ ومؤلفاته ويصوغون حياتهم وثقافتهم على هدى منها فجمعت خطاباته فى مجلدات ثلاث صارت مع أعماله الأخرى مصادر بحث ومنارة اشعاع يتجه اليها الباحثون فى مجال التصوف والأخلاق .

أما مؤلفاته فقد عرف منها : الرسالة التهليلية ، رسالة فى اثبات النبوة ، المبدأ والمعاد ، المكاشفات الغيبية ، آداب المريدين ، المعارف اللدنية ، تعليقات العوارف ، شرح رباعيات الخواجة الباقى بالله ، المقدمة السنية فى انتصار الفرقة السنية وهذه المصنفات بالفارسية بيد أن الرسالة الأخيرة قد حظيت بالنقل الى العربية ترجمها عالم جليل يعادل الشيخ المجدد شهرة وعظمة هو الشاه ولى الله الدهلوى ١١٧٦/١٧٦٢ بناء على طلب من بعض علماء العرب ، ولم يحصر المترجم نفسه داخل دائرة النص الأصلى للرسالة وانما أضاف اليها وحذف مختلفا مع المؤلف فى مواضع كثيرة ثم جاء الشاه عبدالعزيز الدهلوى ١٢٣٩/١٨٢٣ ابن المترجم فأعاد ترجمتها وعلق عليها مختلفا مع أبيه فى مواضع وافق فيها المؤلف الأصلى الشيخ أحمد السرهندى .

تلك لمحات من تاريخ المجدد وكفاحه أردنا بها تعريف القارىء العربى وتوجيه نظر الباحثين من العرب نحو ذلك العالم العامل والصوفى الحق الذى عرف عظمة الحق فاحتقر ما سواه من الباطن ، وذاق حلاوة القرب فهان فى نظره عز الملوك وسلطانهم ووقف مناضلا عن الحق فى سبيل الحق . رحمه الله رحمة واسعة جزاء ما قدم لدينه والملايين من شعبه وأمته .

د : عبد المقصود محمد شلقامى

# مع الجنرال "برى" فى منى !

للدكتور عبد الودود شلبى

كان ذلك منذ ثلاث سنوات .. وبالضبط فى موسم الحج عام ١٣٩٣ هـ .. كنت نزيلا فى بيت من بيوت الضيافة المخصصة لزوار المملكة العربية السعودية بدعوة من جلالة الملك المرحوم فيصل ..

تهيأت للخروج فى صبيحة يوم من أيام التشريق لرمي الجمار . واذا بالضابط السعودى المكلف لحراسة البيت الذى كنا نتزل فيه يوجه الى سؤالا :

ــ أتعرف من هذا الواقف على باب البيت ؟

ــ قلت : لا .. لا أعرف .

ــ قال : هذا هو الجنرال «برى» رئيس جمهورية الصومال .

وباندفاع شديد توجهت الى الرجل .. عرفته بنفسى ثم قلت :

ليس مهما أن تعرفنى ... ولكن الأهم من ذلك كله أن تسمع منى هذه الكلمات ، وأن تتقبل برحابة صدر ما أقوله فى هذا الموقف .

كان الحديث بالانجليزية ، وقد نظر الرجل الى نظرات جامدة لم أفهم منها أى شىء .. !

قلت له : اننى سعيد جدا برؤيتك هنا ... لقد قرأت فى الصحف ، وسمعت من الاذاعات . أن الحركة التى قمت بها كانت من تدبير الشيوعية الدولية . ولكن وجودك هنا ياسيادة الرئيس ينفى كل ما كتب وكل ما أذيع .. !

ثم أضفت قائلا : ان تاريخ الصومال المسلم ، وموقعه الاستراتيجى ، وأطماع الدول الاستعمارية فى أرضه ، والحركة الكبرى التى قام بها الامام المجاهد الشيخ « محمد بن حسن » أو

المهدى الصومالى . كل ذلك يجعل من بلادكم عرضة لكل التيارات والمؤمرات الدولية . وليس أدل على ذلك من تقسيم بلادكم الى خمسة أقسام استغل منها قسمان وبقيت أقسام تحت حكم جيرانكم الأعداء!

وانني أقول مؤكدا ... اذا بقى الصومال الذى يدين شعبه كله بالاسلام ... اذا بقى محافظا على دينه وعقيدته وحريته . فلسوف يحقق مجدا للاسلام فى هذه المنطقة الحيوية من العالم ..

ثم قلت :

اننى أعلن اليك مشاعرى كمسلم، وهى مشاعر تتجاوز كل الاعتبارات التى تفصل بين الناس لعوامل أرضية ، أو قومية ، أو سياسية . وهذه المشاعر هى مشاعر كل مسلم يحب الصومال وشعبه ، ويعلق عليه رجاءه وأمله ...

ان الرجل لم يزد على كلمة واحدة ـ ان شاء الله ـ قالها بعين زائغة ... ! وكان يصاحبه رجل لم أجد فى سماته رغم ملابس الاحرام التى كان يرتديها سوى المكر والخبث .

ثم أقبلت السيارات ... واختفى كل منا على مقعده . ونسيت هذا اللقاء وصاحبه . حتى كان هذا اليوم الأسود فى تاريخ الصومال . اليوم الذى حرق فيه العلماء،وحرف فيه القرآن ، وضرب ماركس بمنجله الدموى ومطرقته الحديدية فى رأس الصومال المسلم .. !!!

وفى التقرير التالى عرض وتحليل لما تجرى عليه الأمور فى بلاد الصومال ..

ع . ش

# تقرير عن الوضع الخطير فى الصومال

## يقول هذا التقرير الذى حصلت عليه مجلة المجتمع الكويتية :

ان الوضع هناك فى غاية من الخطورة حيث تحاول الشيوعية العالمية أن تتخذ من الصومال نقطة الانطلاق الى بقية الدول الافريقية والى منطقة الشرق الأوسط واذا سارت الأمور على وضعها الحالى ولم يتنبه المسلمون قبل فوات الأوان فلا شك أن النتيجة ستكون مفجعة ويكون مصير الصومال كمصير الأجزاء العزيزة الأخرى التى ضاعت على المسلمين نتيجة اهمالهم وتكاسلهم عن الجهاد فى سبيل الله • ومن المعلوم أن هناك خطة دقيقة وضعها الاتحاد السوفيتى لمحو كل أثر اسلامى فى الصومال وأما النظام الحالى فى الصومال فانما هو أداة تنفيذ لما يتلقاه من ساسة كرمليين •

وتتلخص تلك الخطة فيما يلى :

١ ــ الغاء المواد الدينية من برامج التعليم أو الابقاء عليها اسما بحيث لا يكون لها أثر فى نفوس الطلبة حتى تأتى الفرصة السانحة لالغائها كليا •

وتقرير الفلسفة الماركسية فى جميع مراحل التعليم •

٢ ــ فتح مراكز للتوجيه الماركسى فى جميع المدن والقرى الصومالية وتسمى هذه المراكز بمراكز الارشاد ويوجد فى العاصمة مقديشو وحدها ١٤ مركزا رئيسية ويتبع كلا منها ٥ فروع وبذلك يصبح عدد المراكز للتوجيه الشيوعى فى مقديشو سبعين مركزا كما أنشئت فى جميع الهيئات الحكومية مراكز خاصة للعمال لنفس الغرض واضافة الى ذلك فقد فتح أخيرا المعهد الاشتراكى للدراسات الماركسية ويلزم كل فرد من أفراد الشعب بالذهاب الى هذه المراكز الماركسية والاستماع الى ما يلقى

فيها وينشر من أفكار هدامة والتظاهر بالاقتناع بها حتى يضمن الحصول على قوته وقوت عياله حيث وضعت المواد الغذائية فى أيدى المسئولين فى مراكز التوجيه الذين دربوا بصفة خاصة فى الاتحاد السوفيتى مدة من الزمن تتراوح ما بين سنة الى ثلاث سنوات وتوزع المواد الغذائية بواسطة البطاقات من تلك المواد وأقل عقوبة بالنسبة للذين لا يحضرون مراكز التوجيه الشيوعى هى حرمانهم من قوت يومهم ومن هنا أصبحت الشرذمة الماركسية المارقة تتحكم فى رقاب الشعب الصومالى المسلم والى جانب ذلك تعمل السلطات المركسية بنشاط كبير لتحطيم القيم الأخلاقية والاستهتار بالمثل العليا للقضاء على روح المقاومة فى المجتمع ليتسنى لها نشر المبادىء الهدامة بسهولة ومثال ذلك أن الرئيس الصومالى زار مركزا من مراكز التوجيه فى مدينة حركة التى تبعد عن العاصمة نحو ٩٠ كيلومتر .

وكان فى المراكز عدد كبير من الطلبة بنين وبنات وكان الوقت وقت الغذاء فوجد الرئيس عندما وصل الى المركز أن البنين يتغذون فى جانب والبنات يتغذين فى جانب آخر بدون اختلاط فلم يعجبه هذا المظهر الذى يدل على أن هناك شيئا من الحياء والروح الاسلامية لا زالت باقية فى نفوس تلك المجموعة فقال موجها الكلام الى الطلبة : ان مظهركم هذا مظهر رأسمالى رجعى وقد بذلنا جهودا لازالة مثل هذه المظاهر البالية وأنكم بعملكم هذا تهدمون فى ساعة ما كنا نبنيه فى سنوات ثم أمر أن يجلس كل فتى الى جانب فتاة ولما تم التوزيع على ذلك النحو الغريب قال أى الرئيس للطلبة : الآن أصبح مظهركم مظهرا اشتراكيا .

٣ ــ ضرب العناصر الاسلامية وابعادها من الجيش ومن الجهاز الحكومى واستبدالها بعناصر ماركسية وبعد ذلك يتم اعتقال العناصر التى أبعدت عن المراكز

القيادية أو ارسالها الى روسيا لتغيير عقيدتها أو وضعها تحت المراقبة الشديدة ويحدث كل ذلك ضد الفئة المؤمنة لأتفه الأسباب . فقد حدث أن قام ضابط صومالى برتبة مقدم اسمه آدم ورس - ببناء مسجد صغير فى مقر كتيبة الدبابات التى كان يقودها وكان مقر الكتيبة قرب العاصمة مقديشو وقبل اتمام بناء المسجد قدم الخبراء الشيوعيون الروس تقريرا عن الضباط واتهموه بمحاولة عرقلة خططهم الرامية الى خلق جيش شيوعى فى الصومال وفجأة أبعد الضابط الى روسيا وفرض عليه دراسة الفلسفة الماركسية مدة أربع سنوات .

٤ - تحويل المساجد الى مراكز للفكر الماركسى وتفسير الاسلام تفسيرا ماركسيا وقد أصبحت المساجد فى الصومال معاقل لبث الفكر الشيوعى المخرب .

٥ - جعل اللغة الصومالية المكتوبة بالاحرف اللاتينية اللغة الرسمية للبلاد واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية واهمالها اهمالا مقصودا حتى يفقد الشعب الصومالى صلته بلغة دينه والسؤال الوارد هنا لماذا دخلت الصومال فى الجامعة العربية فى الوقت الذى تعتبر فيه اللغة العربية لغة أجنبية وتحاربها ؟

والجواب ان ذلك كان ضمن خطة مدروسة لضمان عدم اجهاض النظام الماركسى فى مراحله الأولى قبل أن يقوم على قدميه فقد كانت الحكومة الصومالية بعد أن أعلنت على الملأ اعتناقها للاشتراكية العلمية الماركسية كانت تتوقع هجمات وانتقادات من داخل الصومال ومن الدول العربية الاسلامية والعالم الاسلامى أجمع ولكى تضلل الرأى العام فى داخل الصومال ولكى تسلم من انتقادات الدول العربية التى تعطى بعض اهتمامها للنواحى الاسلامية ولأجل ذلك فقط دخلت الصومال جامعة الدول العربية لتتخذها حصنا تحتمى به وليس دخول الجامعة العربية بالنسبة للنظام الماركسى فى الصومال

هـدفا ثابتا وانما هو خطـة مرحلية وكل شيء بالنسبة للنظام الحالى فى الصومال انما يستخدم لضمان نجاح الفلسفة الشيوعية •

فقـد قال الرئيس الصـومالى فى خطبة له انما نستخدم الدين مرحليا • اذا فكما يسـتخدم الدين مرحليـا لضمان نجاح النظام الماركسى تستخدم الجامعة العربية كذلك لنفس الغرض •

هذا وان ما يجرى فى الصـومال ضد الاسلام كثير وكثير ولا يمكن استـيعاب ذلك الا فى مؤلفات وما أشرنا اليه فى هذه الأسطر انما يعتبر قطرة من بحر بالنسبة الى الأحداث الخطيرة فى الصـومال ولكـن هل استسلم الشعب الصـومالى المسلم للواقـع المرير الذى يواجهه ؟ وهل ضعفت عزيمتـه أمام الغزو المـاكر الالحادى الذى يسعى الى القضـاء على عقيدته وعلى استقلاله وحريته ؟ الجـواب •• لا •• لا «وسـيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلـون »

---

## موعظة

شيع الحسن جنازة فجلس على شفير القبر ، فقال : ان أمرا هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله ، وان أمرا هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره . اخوانى كيف الامن وهذا الفاروق يقول : لو أن لى طلاع الأرض ذهباوفضـة لافتديت بها • كيف الأمن ؟ من هو ما أمامى قبل أن أعلم ما الخـبر ؟ لمـا طعن عمر قال لابنه ضع خدى على التراب فوضعه فبكا حتى لصـق الطين بعينيـه وجعل يقول «ويلى وويل امى ان لم يرحمنى ربى »

ابن الجوزى فى المدهش

**وثيقة تاريخية :**

# من الملا محمد عبد الله الى شعب الصومال[1]

« نحن قوم قاموا بالعزم والايمان، وعقدوا نيتهم على ان يدافعوا عن دينهم ووطنهم وشرفهم بآخر قطرة من دمائهم •• يجاهدون فى سبيل الله تعالى لاعلاء كلمة الاسلام • الى أن يحققوا غرضهم أو يستأصلوا من فوق الأرض •

نحن قوم نكافح لنطهر جميع أنحاء الصومال من الأعداء الكافرين المستعمرين • لأننا نعلم أنه لا يمكن لنا أن نعبد الله فى أرضنا آمنين ولا أن نقيم أحكام كتابه ــ ولا أن نستنشق نسيم الحرية فيها الا بعد تحقيق الغرض المذكور •••

ونحن قوم أحاط بهم الكفار والمنافقون من جميع الجهات ••• وقطعت عنهم جميع المواصلات والامدادات ••• وملئت صدورهم من الغضب والغيظ لأجل تخاذل المسلمين وتخالفهم مع كثرتهم •

ونحن قوم لا يخضعون لأعداء دينهم ووطنهم ، ولو كثرت جنودهم وتتابعت هجماتهم ، وتنوعت آلات المهلكات ، واشتدت وطأتهم ، لأننا نريد ونحب الجنة •

ونحن قوم لا نسمح للكفار أن يحتلوا بلادنا •• أو يحكموها ، ولا نذل قوانين الشريعة وأحكامها ، ولا نجعلها خاضعة لقوانين الكفرة ، وأحكام الطاغوت •

بل نعلن حربنا على الزعماء ، وعلى الذين يسمحون لهم بدخول بلادنا

---

(١) الملا محمد عبد الله او « المهدى الصومالى » بطل من ابطال الاسلام الذين جاهدوا فى سبيل اعلاء كلمة الله حتى قتل شهيدا فى معركة بينه وبين الانجليز فى اواخر القرن التاسع عشر •

واستعمارها ... ونوجه لومنا للعلماء والقضاة الذين يهملون شريعتنا الاسلامية ويجعلونها تحت أقدام الكفرة الفجرة .

ولأجل ذلك ... اتجهنا الى دفاع العدو وأذنابه ، وقررنا أن نواصل الكفاح المرير الأليم ... وبذلنا لهم الضربة بضربتين . . واللطمة بلطمات وقاتلناهم بعزم وشجاعة وحكمة .

وبعد ما ذاقوا العذاب والقسوة منا ... سمونى مع سيدهم الكافر الانجليزى الشيخ المجنون ، ولا أستبعد ذلك من الحكومة الانجليزية لسببين :

أولا : لأنها تقلد فى ذلك الأمم السابقة التى كانت تهم المصلحين وغيرهم من الأنبياء بهذه الكلمة .

ثانيا لأنها تستبعد محاربة رجل واحد ومناوأته للدول العظمى .

وقد قالوا : ان الحكومة الانجليزية تتسلح بآلة تحرق الأرض وتحرق جميع بلاد الصومال ... فلما علمت ذلك سكنت فزع الأمة وقلت لهم : ان تلك الآلة على فرض وجودها ، فهى لن تحرقنا وحدنا .. بل ستحرق معنا جميع الكفار الذين فى أرضنا ومن يساعدونهم ... وهذا ربح لنا وخسارة لهم . لأننا نموت شهداء . والشهادة هدفنا الرئيسى ، والكفار سيفارقون الدنيا وهى غرضهم الأول وسيدخلون النار المؤبدة عليهم .

---

## متى نصمت ومتى نتكلم

قال رجل لعمر بن عبد العزيز : متى أتكلم ؟ قال اذا اشتهيت أن تصمت ، قال : فمتى أصمت ؟ قال : اذا اشتهيت أن تتكلم .

## الإسلام فى مرآة الغرب :

# منافذ الفكر الإسلامى إلى الغرب

للدكتور عبد الجليل شلبى

— ٢ —

كانت الأندلس — أوسع هذه المنافذ وأغزرها رافدا للثقافة الاسلامية ، وقد فتحها العرب من وقت مبكر وأقاموا بها ثمانية قرون كوامل ( ٩٨ — ٨٩٧ ) هـ • وفى هذه الفترة الطويلة تطورت الثقافة والحضارة الاسلامية ، وجرى على العرب هناك ما جرى عليهم فى الشرق من تنافس وانقسام ، كما تلونت ثقافتهم وامتدت ودخلتها عناصر فكر أجنبية ومهما يكن من محاكاتها للفكر الشرقى كان لها طابع خاص بها ، وكانت عوامل بيئتها تمدها بعوامل حضارية وأدبية لا تتوفر فى البيئات الشرقية وكان التأثير والتأثر أمرا متبادلا بين العرب والمسلمين وبين الأوربيين الاندلسيين وغير الاندلسيين • وظل أثر المسلمين مستمرا حتى بعد اخراجهم ، اذ بقى هناك مسلمون حتى بعد سنة ١٦٠٠ م أى ما يزيد على قرن من الزمن ، وقد أرغم هؤلاء على التنصر وأطلق عليهم اسم الموريسكيين ، وكان منهم من تنصر بالفعل ومنهم من تنصر ظاهرا وبقى على اسلامه ، غير أن شعائر الاسلام كانت مقيدة ، والعقوبات عليها صارمة عنيفة ، ثم طرد هؤلاء أيضا •

وقد اندمج العرب بالاندلسيين من أول ما نزلوا هذه البلاد ، بل نجد نية الاختلاط مبيتة من قبل الفتح ، فقد منى طارق بن زياد فى خطبته الشهيرة جنوده ببنات الرومان الرافلات فى الحرير والعقيان ، وما كاد هذا الفتح يأخذ طرقه فى أنحاء هذه الجزيرة حتى

أقبل العرب على الأوربيات اقبالا منقطع النظير ، ومع أن العرب كانوا يتعالون على سكان البلاد المفتوحة ، ويعتبرون أنفسهم طبقة أرفع منهم ، كان للنساء الأندلسيات سلطان فعال على قلوب العرب ، وتتيجة لهذا التعالى كان تسرى الأندلسيات واتخاذهن اماء أكثر من الزواج منهن ، وكانت المرأة الأندلسية من عوامل الفساد والفناء التى صحبت حياة العرب هناك منذ بدايتها ، فالاندلسيون كاثوليك متعصبون ، وهناك أندلسيات تظاهرن بالاسلام وانغمسن فى حياة المسلمين شعبا وحكاما وكن يعملن فى الخفاء جواسيس على المسلمين .

أما سلطان هؤلاء على قلوب الحكام المسلمين فقد نسجت حوله أساطير منها ما يمكن أن يصدق ومنها ما لا يستسيغه العقل ، ولكنها كلها ذات دلالة على خضوع العرب لهؤلاء الفاتنات . وأشهر من حيكت حوله هذه المبالغات عبد العزيز بن موسى بن نصير ، فقد خلف والده على القيادة ، وتزوج من امرأة « لذريق » ـ القائد الذى قتله طارق ابن زياد فى أول معركة ، وكانت قد صالحت العرب وأقامت على دينها حتى فتن بها هذا القائد الجديد فتزوجها وخضع لها خضوعا اتهم بسببه أنه تنصر وترك الاسلام ، ولم يستطع الجهر بتنصره ، ويقال انها نسجت له مما كان عندها من الحلى والجواهر تاجا كان يلبسه وهو فى داخل بيته ولكن تصادف أن رآه بعض جنده وهو يلبسه فحدث به فشغب عليه جنده ، فقتلوه ، ثم حيكت حوله الأساطير البعيدة فقيل أنه تنصر وقيل أقام معها فى كنيسة فى أشبيلية ، وقيل انها طلبت منه أن يسجد له الناس كما كانوا يسجدون « للذريق » فجعل للحجرة التى يجلس فيها بابا منخفضا يضطر من دخله أن ينحنى ، واعتبر هذا الانحناء ركوعا ترضى به زوجه الحسناء .

ومهما يكن من مبالغات هذه الأحاديث فانا نجد آثار هذا الخضوع للمرأة الأندلسية باديا لدى غير عبد العزيز ، فقد بنى عبدالرحمن الناصر مدينة الزهراء وسماها باسم حظية له ، ويقال أنه استخدم فيها

عشرة آلاف عامل عملوا طوال خمسة وعشرين عاما ، ويقال ان المعتمد بن عباد تسمى بهذا الاسم من أجل زوجه « اعتماد » ومن أجلها بناتها أنشأ فى بيته بحيرة فرش جوانبها بالكافور وعجنه بماء الورد ، ومشين فى عجينته حافيات ، كل ذلك لأنها رأت بعض الخادمات يمشين فى وحل الشارع فأعجبها بياض سيقانهن وأرادت محاكاتهن ، ولم يرض الملك لها ولبناته ذلك فعمل ما ذكرنا .

أما المرأة الأندلسية فعملت من قبلها على رفع مكانتها فى عيون الرجال ، تعلمت الشعر والغناء والموسيقى والرقص ، وبالغت فى التجمل وتزيين نفسها ، وغصت بهؤلاء الفواتن قصور الخلفاء وبيوت الأثرياء ، وكان وجودهن عاملا على زرع الضغائن والأحقاد فى البيوت وبين الناشئة ، ومن عوامل الضعف فى الدولة بوجه عام .

ونلمح من هذا التأديب أثر البيئة الأوروبية ، كما أن الأندلسيين زينوا بعض مساجدهم بالصور ، وهذا ما لم يوجد فى مساجد الشرق ويروى أن مسجد قرطبة الكبير كانت بعض عمده تحمل صورا ، منها غراب نوح ، ومنها عصا موسى ، ومنها الكهف الذى ذكر فى القرآن وصور أهله وكلبهم ، وهذا كله تأثر بالمسيحية ولا ريب .

وكان الأندلسيون عارى الرؤوس لا يلبسون العمائم الا قليلا منهم ، بينما كانت العمائم حتمية لدى الشرقيين ، وكشف الرأس مما يعاقب به الحكام ، ويبدو أيضا أن هذه مما تأثروا به من حياة الأوروبيين ، ولعل كثرة الأجناس فى أسبانيا مما هون على سكانها تغيير عاداتهم وهيأ لهم أن يتقبلوا من مظاهر الحياة الاجتماعية كل ما راقهم ، وهذا على نحو ما نجد لدى الأمريكيين ، فهم شعب ناشىء وأجناس طارئة لا تتقيد بعادات خاصة .

ومع أن اللغة العربية انتشرت فى الأندلس بسرعة ، لم تستطع أن تمحو لغة البلاد الأصلية وهى اللاتينية ، ولكنها تراجعت وانكمشت فى الأديرة والكنائس ، وبقيت للأسواق لغة دارجة سميت « لطينية الأندلس » ، وكان العرب يستعملونها أيضا فى

حياتهم العامة ويتعلمها حكامهم وغير حكامها ، ويبدو أن شيوع هذه اللغة مما سهل شيوع الموشحات والزجل وهيأ لظهورهما هناك والمعروف الآن أن الزجل العامى نشأ قبل الموشحات ، فكان ظهوره استجابة لذوق العامة الذين لا يفهمون الفصحى ، ثم ارتفع الشعراء الى شىء وسط يشبه الزجل فى لجهته وموسيقاه ولكن ألفاظه فصيحة معربة ، وهذا النوع من الشعر ترك فى الأدب الأوروبى آثارا واسعة .
وقد برز فيه الشاعر الفكه « ابن قزمان » ، وديوانه الباقى الى الآن يدل على مدى شيوع الألفاظ الأندلسية فى لغة العرب ، ونحن لا نستطيع الآن أن نفهم معانى شعره لكثرة ما فيها من الألفاظ الغامضة الدخيلة ، وما يحويه من فحش وعبث يصور لنا جانبا من حياة الأندلسيين وما كان فيها من ضعف وانحلال .

واذا كانت اللغة الفصحى قد عجزت عن استئصال اللغة المحلية ، فمما لا ريب فيه أن الجيل المولد الناشىء من الاماء الأوروبيات والعرب كان من أسباب شيوع العامية ورواجها ، ولشيوع العامية يعزى صعوبة الاعراب على الأندلسيين فى كلامهم حتى أن أبا على الشلوبينى — وهو من كبار النحاة كان لحانة لا يستطيع النطق بعربية فصيحة ، وكانت صعبة على لسانه لا يكاد يبينها .

ونعنى بهذا كله أنه كان هناك تبادل مشترك فى التأثير والتأثر وأن الأسبانيين لم يكونوا كالمصريين مثلا مسالمين أو مستسلمين ولكنهم خالطوا المسلمين على دخن ، وانضووا تحت لوائهم وهم يضمرون لهم الكيد والضغينة ، حقا ان الأكثرية منهم اعتنقوا الاسلام عن ايمان وعقيدة ، وآثروا العربية وحفظوا القرآن سواء فى ذلك نساؤهم ورجالهم حتى انه كان فى قرطبة وحدها مائة وخمسون امرأة تعلم القرآن الكريم ، لكن الجسم يعتل بدخول بعض الجراثيم فيه ، وهذه الجراثيم تكمن فى الجسم وتخفى طالما كان هذا الجسم قويا ، فاذا ضعف وهزل لسبب ما ، استشرت الجراثيم وفشت

حتى تفتك به وتورده حتفه ، وكذلك كان شأن هؤلاء ، وكان فيما وراء جبال قشتالة رقعة ضيقة لم يفتحها العرب ، وكان سكانها من بدو الأسبان ذوى الخشونة والبأس ، هؤلاء ظلوا يتربصون بالمسلمين دوائر السوء ويعملون على كيدهم واستطلاع أسرارهم ، فلما أحسوا أن الضعف بدأ يدب فى كيانهم أخذوا هم يستقطعون من البلاد الاسلامية ما يتاح لهم استقطاعه ، فظلت معاقل المسلمين تنهار واحدة تلو الأخرى حتى كانت أشبيلية آخر معاقل المسلمين سقوطا .

وقد استعان مسلموا أسبانيا بأخوتهم من مسلمى افريقية ولم يبخل عليهم هؤلاء بما يستطيعون لكن الخطر كان قد تفاقم وكان العرب يحملون معهم داءهم المستمر المستحكم ، وهو شدة التنافس والرغبة فى الرياسة والتعالى ، فكان ذلك يفت فى عضدهم . ويوهن من قوتهم ، بينما كان عدوهم يعمل بجهد وقوة ، حتى استطاع آخر الأمر أن يستأصلهم ويزيلهم من بلاده .

وكان طرد المسلمين من أسبانيا أول نصر حاسم للأوروبيين عليهم ، وقبل ذلك أراد شارلمان أن يغزوهم فلم يستطع ، ويقال ان الخليفة هرون الرشيد هو الذى حرضه على هذا الغزو ، أما معركة شارل مارتيل ، فكانت ردا للعرب لا هجوما عليهم ، ولكن « صقلية » التى فتحت بعد الأندلس كانت قد سقطت أيضا قبلها .

من هذا نرى أن الصلة بين الأوروبيين والمسلمين ـ كانت صلة عداء مستحكم ، وقد ظهرت آثار هذا العداء فى معاملة الأسبانيين من بقى من العرب ببلادهم ، ولم يكن ذلك عداء للعرب ولكنه كان عداء للاسلام لأنهم أرغموهم على التنصر ، وظلت مساجد المسلمين طوال هذا التاريخ مغلقة معطلة ، ولم يسمح لشخص ما أن يعتنق غير المسيحية الكاثوليكية حتى بدت نزعة تسامح ضيقة منذ عام واحد تقريبا .

وبقى أن نعرف مدى استفادة أوروبا كلها وليس أسبانيا فقط من وجود المسلمين هناك .

د : عبد الجليل شلبى

# أين الله ؟

انه شـاب عربى اعتنق الشيوعية وأخلص لهـا ، فكوفىء على ذلك باختياره فى بعثة دراسية على نفقـة الاتحاد السوفيتى الى دولة من دوله، وبقى فيها خمس سنين، وأتم دراسته وحصل على « الدكتوراه » فى فنه ، ولكنه خرج منها هاربا بعد أن كفر بالشيوعية أشد الكفران ، حتى أنه فى أول ورقة رسمية قدمت له على حدود الدولة التى هرب اليها ، كتب تاريـخ يوم هروبه مكان تاريـخ الميلاد .

حدثنى هـذا الشـاب فى أمور كثيرة .

حـدثنى عـن قصـة اتصـاله بالشيوعية ، وكيف تطـورت صلته بها ، أو صلتهـا به ، حتى كفر بالله وبالأديان ، وكيف أنـه تعـلم فى « تكتيك » الدعاية ـ بعد أن نضج فى فهم المذهب وأصبح من رجاله ـ ألا يهاجم دينا من الأديان ، بل أن يدخل المسجد ليصلى ، وهو كافر بالصـلاة ، ليوهم المسـلمين أن الشيوعية لا تنافى الاسلام . وممـا قاله فى ذلك : اذا قال لك شيوعى أنه مسلم أو مسيحى فهو أحد اثنين : اما جاهل لم يفهم الشيوعية بعد ، واما شيوعى أصيل يجيد الفن كما كنت أجيده .

وحدثنى عن قصة حياته فى الدولة التى درس فيهـا ... عن أمله الذى ذهب به والفجيعة التى حطمت اعصابه وقال فى ذلك ان الشيوعيين فى طور الدعوة يصـلون حسب مفـاهيمهم الى ذروة من العنف فيما يسمونـه النزعـة الانسانية والكفاح المشترك

وانصاف الكادحين حتى اذا استولوا على الحكم وفشلو فى تحقيق أحلام الدعوة لم يتهموا انفسهم ولا فكرتهم ولكن يتهمون الشعب بعدم الوعى وبالرجعية المتأصلة ، فيكون من هذه الفلسفة حكم الارهاب الذى يشيع الجاسوسية حتى تتجسس المرأة على زوجها والابن على أبيه ، وحتى تكفى أقل همسة لتزج بك فى السجن دون محاكمة ، أو لترسلك الى المنفى أو ما يسمونـه ( معسكرات التصحيح ) حيث ينكل بك أشـد التنكيل دون رقيب . ويمكن لذلك كله النظـام الاقتصادى المحكـم الذى يجعـل أعنـاق الأفراد جميعـا فى يد الفئـة الحاكمة فكلهم أجراء يمكن تجويعهم فى أية لحظة بينما تنعم المالشيا (عصابة العمال المسلحين ) وضبـاط الجيش ( لا الجنود ) بامتيازات خاصة جزاء مايلقون من عنت فى ترويض الشعب الرجعى الجاهل .

وسرد على فى كل ذلك قصصـا رآها بنفسه ، وقال : لوكنت مسؤولا لما حاربت الشيوعية بالحديد والنار فان ذلك يقويها ولا كتفيت بارسال المتحمسين لها الى هناك ليعيشوا كما عشت .

ثم كان آخر ما قاله لقـد جئت اليك اليوم يا أخى لشىء هـو أهم عندى من ذلك كله جئتك بنفسى التى كفرت بالله هـذه السنين الطـوال وأصبحت صدئة حائرة لا تجد النور .. فخذ بيدى يا أخى الى الله .

ش . ع

---

## دعـاء

يارب تظاهرت على منك النعم ، وتداركت منى الذنوب ، فلك الحمد على النعم التى تظاهرت واستغفرك للذنوب التى تداركت .

يارب امسيت عن عذابى غنيـا واصبحت الى رحمتـك فقيرا .

اللهم انى أسالك نجاح الامل عند انقطاع الأجل .

اللهم اجعل خير عملى ما ولى أجلى .

اللهـم اجعلنـى من الذيـن اذا اعطيتهم شـكروا ، واذا ابتليتهم صبروا ، واذا ذكرتهم ذكروا .

# البخاري المفترى عليه

## للأستاذ محمد نجيب المطيعي

— ١٧ —

لست علم الله — ممن يسارعون الى الحكم على أى امرىء بالمروق والزندقة والخروج من الملة لمجرد رأى اجتهده فاشتط ، أو أصيب بلوثة من الشطحات الباطنية التى لا يسوغ فى صريح المنقول قبولها .

ولكن — والأمر ليس بيدى — بل انه مطروح برمته بين يدى ذوى الحجى ، وفى ساحة أولى النهى فليروا فيه رأيهم ، وليحكموا حكمهم فان كان صاحب هذه الترهات اللعينة ، والخرافات المقيتة لا يزال على مكان يربطه بهذا الدين خيط من خيوط العنكبوت — ولا أغلظ منه — فليدلونى على هذا الخيط حتى أمسك عن القول بردة هذه العظاية (١) ، وعضر فوطها (٢) الكبير المدعو أبو رية .

١ — فهذه ( ماء زمزم مكان للقاذورات ومباءة للحشرات والهوام ومسقط للدلاء النجسة ) ( ماء زمزم الملوث بكل شيء ) ص ١٣٦

٢ — ان درجة النبوة اكتسابية ، والا عد الرسول كالدمية يتحرك كما يشاء له غيره — وهو الله تعالى طبعا — لا كما يشاء هو بارادته واستقلاله حتى يستحق أن يمنح الرسالة ، لأنه لو كان الأمر كذلك لكان أحقر مسلم أفضل منه والقول

---

( ١ ) العظاية واحدة العظاء ، و هى الوزغة أو ما يسمى بالعامية (السحلية) .

( ٢ ) العضرفوط : كبير العظاء .

بأن النبى خلق نبيا وحشى صـدره بالحكمة وأنه مفطـور على العصمة عار وأى عار !!! ص ١٣٧ .

٣ ــ العروج الى السماء هو لقاء تم بين النبى وبين جبريل فى مكان ما على الأرض ، وليس هنـاك صـعود ولا هبوط ولا عروج بمعناه الحقيقى ، كمـا ورد فى القرآن والسنة ، واذا كان الاسراء الأرضى أمرا غريبا بل شـديد الغرابة فـكيف بالعروج الى السماوات ص ١٣٨

٤ ــ انكار فرضية الصلوات فى ليلة الاسراء ، وتردد النبى بين موسى وربه مستشهدا بكلام عبد الكريم الخطيب ص ١٣٩

٥ ــ كيف يسـمع النبى صريف الأقلام ، وهل للأقلام صريف ؟ واذا كان لها صريف كانت أقلاما بدائية ليست من الباركر والشيفرز ، وانما هى من الغـاب أو البسط الردىء وهذه أشجار لا تزرع فى السماوات ص ١٤١

٦ ــ كيف يكـون للسـموات أبواب وهل خشى الله سطو اللصوص عليها أو فرار أحد من سكانهـا الى آفاق أخرى ؟ ص ١٤٢

٧ ــ كيف يكون للجنـة أبواب وللنار أبواب ؟ وهما لم تخلقـا الى اليوم وان كانتا قد خلقتا فهل خاف الله أن يقتحـم الجنـة بعض مـن لا يستحق دخولهـا فيحتلها وينعم بخيراتها ؟ أو يهرب سـكان جهنم فـكان أن أوصـدها عليهـم حيث لا مهرب من ساحتها ؟ ص ١٤٢

٨ ــ ليس هناك شىء اسمه بركة فى الطعام حـدث على يده صلى الله عليه وسلم ــ وليلاحظ القارىء أننا نسوق التصلية من عندنا لأن الكتاب المشبوه خلا من أوله الى آخره من شيئين : خـلا من بسم الله الرحمن الرحيم ، لا فى مقدمته ولا فى خاتمته ولا فى أبوابه لأنها دخيلة على الاسلام وهى من الاسرائيليات ، لأنـه جاء ليطهر كتب الاسلام من الاسرائيليات فبدأ بنفسه فطهر كتابه من بسم الله الرحمن الرحيم كما فعـل ذلك فى الصلاة على النبى صلى الله عليـه وسلم فالنبى صلى الله عليه وسـلم اسمه (ص) اسم النبى صاد . وهكذا لا يوجد فى هذا المنشـور الخبيث

الا ( النبى صـــاد ) ولا أدرى من صاد هذا ؟ وسبحان واهب العقول وسالبها ، وســالب الايمان وقاذف الكفران فى قلب من غضب عليــه ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيرا

٩ ــ لا يمــكن للنبى أن يــرى الشيطان ولا أن يتغلب عليه ، وأنه لا سلطان لأحد من البشر على الجن سوى سليمان بن داود أما القــول بأن محمــدا له سلطــان على الجن فهذه اسرائيليات !!!

اللهم لا ترينا هذه الوجوه الكالحة حتى لا يدفعنا الغضب لدينك فنطوح بها عن كواهلها ، أو نلتمس فى أيدينا أسباب الردع والزجر لمن تجرد من عقله ودينه عامدا متعمدا على حــد تعبير امام السلفية ابن قيم الجوزية :

وما هو الا الحق أو حد مرهف
يقيم ظبــاه أخــدعى كل مائل

فهــذا شفاء الداء من كل عاقل
وهذا دواء الداء من كل جاهل

١٠ ــ انكار حديث ماجعل الامام الا ليؤتم به ، واتهامه بالاسرائيليات.

١١ ــ انــكار أن عمر بن الخطاب توسل بالعباس فى الاستســقاء ولو صح لكان وثنية وردة من عمر ومن المسلمين ص ١٤٧

١٢ ــ انكار أن الله تعالى لا يغيث النــاس ولا يسقيهم بالصــالحين ، ولا بغير الصالحين وأن هذا كله من الاسرائيليات ص ١٤٨

١٣ ــ ليست عائشة أفضل من النساء ولا فاطمة والا كانت هنــاك محسوبية أقام النبى ( صاد ) دولتها وهيج قرمهــا ، والنبى ( صــاد ) لا يعرف الأفضل من المفضول ولا يوحى اليه بشىء من هذا ص ١٤٩

١٤ ــ النبى لم يشــفع لعمــــه أبى طالب ولم يخفف عنه العــذاب بهذه الشفاعة ، وبمقتضى الفهلوة ، والفهم الفهلاوى تكون هذه الأحاديث كلها اسرائيليــات ( ومن لايعجبــه فليشرب البحر )

١٥ ــ كيف يبكى موسى ليلــة المعراج من كثرة أمة محمد وقلة أمة بنى اسرائيل ، وكيف أدرك موسى أن أمة محمد أكثر عددا من أمته ؟ أن هذا

الفهلاو ومن اتبعه من أهل الفهلوة يقولون : لا ، من الذى عرفنا ؟ وهل كنا أعددنا كشوف حصر بتعداد كل من الأمتين ، ولماذا لا يكون بنو اسرائيل رغم أنهم قد احتشدوا فى مكان أو مكانين فى الدنيا أكثر من أمة محمد التى تمتد على مدى امتداد خطوط العرض والطول فى قارات الأرض جميعا •

ان الفهم الفهلاو الأصيل النابع من كركرة بعض ثمار جوز الهند فى زقاق مظلم من أزقة الاسكندرية وبشدة التأمل فى هذا الدخان الأزرق الذى يتصاعد من الكرسى يسكن الحكم جزما بأن بنى اسرائيل أكثر عددا من أمة محمد ص ١٥٢

١٦ ــ ان بطن النبى ( صاد ) مستودع للبصاق ــ هكذا يكون التخريج والايضاح ــ فلماذا يترك النبى ( صاد ) المسلمين جائعين مادام بصاقه يكثر الطعام فتكون بطنه مخازن تموين مثل شونة الخواجة خريمة فى الاسكندرية ( وطبعا التشبيه بالشونة مستمد من عبارة مستودع بصاق ) الذى شاء له أدبه وأصالـه الرفيع أن يعبر به عن نبى المسلمين الذى يزعم بوقاحة عجيبة أنه منهم •

١٧ ــ كيف يشرب الصحابة ماء وضوئه ( صاد ) أليس هذا من الوثنية والاسرائيليات المدسوسة على الاسلام ، لأن ماء وضوئه يسمى عند هذا الفهلاو فضلات وبقايا ) وأنها ملوثة بالمكروبات والجراثيم ص ١٥٨

١٨ ــ أبو هريرة أسلم وعمره سبعة أعوام وتوفى النبى صاد وعمره عشر سنين ( أى والله ) هذا كلام مطبوع فيما يشبه الكتب وفى ص ١٥٩ وأنه عاش بعد النبى صاد سبعة وأربعين سنة ــ مات أهل الحياء ــ حكمة تسمعها ولا تتحققها الا فى مثل هذه المواقف الحرجة وكأن أبا هريرة كان من أهل الصفة وهو حدث لم يبلغ الحلم •

١٩ ــ الله لا يستطيع أن يخلق أناسا يكمل بهم سكانها وساحاتها « أى الجنة » ، ص ١٦٣ لأنه حينئذ يكون كالترزى الذى يخيط الجلباب واسعا على الزبون ، والله قد خلق الجنة على قدر الزبائن ص ١٦٣ ، ١٦٤

٢٠ ـ القول بنزول عيسى فى آخر الزمان يسلب النبى ( صاد ) خاتميته للأنبياء ، وعلى هذا فلن ينزل عيسى ولن يظهر الدجال ، وانما الدجال هذا هو كل من ألف كتابا ضالا أوبث تخريفا وتحريفا وزندقة نجمت عن رؤوس حشيت بكل كريه عفن ص ١٦٦

٢١ ـ انكار حنين الجذع الذى شهده جمهرة من الصحابة فوق مستوى الشبهات رضى الله عنهم أجمعين كجابر بن عبد الله وغيره .

٢٢ ـ الرقيا بفاتحة الكتاب من الاسرائيليات وانكار حديث أبى سعيد الخدرى وغيره .

٢٣ ـ انكار حديث المقترض الذى ألقى بالدين فى خشبة عبرت البحر والتقطها الدائن مع ذهاب المدين ليوفى الدين مرة أخرى .

٢٤ ـ انكارأن آية الكرسى تحصن قارئها من الشيطان ص ١٧٦

٢٥ ـ كيف يجلس موسى على يمين الرب على العرش يوم القيامة ( ولا أدرى من أين أتى بهذه الفرية ) ولكن انحطاط الأخلاق يصل بصاحبه الى حد الاختلاق على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى البخارى والقول على المسلمين بما لم يقل به أحد فسأل الله السلامة والعافية .

٢٦ ـ انكار حد الرجم وأن الله تعالى لم يشرع الرجم ولم يشرع التغريب ولم يشرع غير جلد المائة للبكر والثيب والقول بالرجم من الاسرائيليات !

٢٧ ـ نزول الله تعالى الى السماء الدنيا فى كل ليلة فيقول: هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه الى آخر هذا الحديث من الاسرائيليات ولا تأويل ولا فهم ولا يحزنون .

٢٨ ـ انكار ماحدث بين ملك الموت وموسى عليه السلام عند موته مما أزحنا شبهاته .

٢٩ ـ انكار الانابة فى الحج أو أى عبادة أخرى ص ١٩٠

٣٠ ـ انكار أن المدينة لا يدخلها الطاعون ، ولا الدجال وأن هذا من الاسرائيليات .

٣١ ـ انكار أن يكون للجنة باب للصائمين اسمه الريان •

٣٢ ـ انكار أن الشياطين تصفد فى رمضان •

٣٣ ـ التهكم بالبراق وتسميته بالدابة السيسى وادعائه أنه صعد به الى السماوات ناسبا هذا المعراج بالسيسى الى البخارى وانكار التقائه بالأنبياء ص ٣٠٩

٣٤ ـ ان أبا هريرة كان قليل الأدب لا وفاء عنده ولاحياء ص ٥٩ ، ٦٠ نقلا عن عضرفوطه ، أبى ريه •

٣٥ ـ ان أنس بن مالك اختلط فى آخر عمره والله أعلم بنيته وقصده ( يريد أن ينزع الثقة من نفس المسلم بخادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرب الناس له أكثرهم له عشرة وكأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يستطع أن يؤثر حتى فى خادمه ليكون صادقا ) ص ٦١ نقلا عن العضرفوط أبى رية •

٣٦ ـ انكار حديث « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق الى آخره » ص ٥٧

٣٧ ـ معاوية بن أبى سفيان يضع الأحاديث على النبى ص ٤٥

٣٨ ـ تناقض الصحابة فى روايتهم عن النبى الى غير ذلك مما تناولناه بالتفنيد وما سنتناوله ان شاء الله •

أيها القارىء ان ماسقناه آنفا هو بعض العظائم التى رددنا عليها فى مقالاتنا وبحوثنا السابقة ، وان بقية تفنيد العظائم الجسام سيأتى فى بحوثنا اللاحقة ، وانما أردنا بسوق هذه الخلاصة للشبهات التى عالجناها ورددنا مفترياتها أن يكون مانسوقه مما يثير العجب العجاب من أسباب الترفيه فى لحظات الصوم فيشغل الصائم ـ لاسيما وأن ممن يقبل الله تبارك وتعالى دعاءهم الصائم حتى يفطر ـ بالدعاء الى الله تعالى أن يهدى كل ضال ، ويرد كل شارد الى الصواب ، والسداد ، وأن يقينا سوء الخاتمة ووخامة العاقبة ، وفساد العقيدة ، والى العدد القادم ان شاء الله •

**محمد نجيب المطيعى**

# الشيخ عبد الرحيم فودة
# المفكر الإسلامي

للأستاذ السيد حسن قرون

— ٢ —

هناك عالم اسلامى ، وهناك مفكر اسلامى،ولكل منهما مجاله وعطاؤه، وتسألنى عن مميزات هذا وذاك ، والأمر كما هو معهود لايحتاج الى كثير من التأمل وكشف الفروق والمعطيات ؟ فالعالم الاسلامى غالبا انسان تخصص فى الشريعة ، وأطال النظر فى الكتاب والسنة ، وما جاء نتيجة لهما من العلوم كالتفسير وتمحيص الأحاديث وبيان الصحيح وغير الصحيح وكأصول الفقه الذى ظهر على يد الامام الشافعى ، ولكنه قد قيد نفسه بما حصله من كل أولئك ، فهو يردد أقوال من سبقوه من أصحاب المذاهب الفقهيـة ، ويتعرض لشرح الآى أو الأحاديث فى ضوء ما فهمه وعنى نفسه فيـه من الشراح وعلى طريقتهم من الاعراب وقضايا علوم البلاغة،وينشرح صدره حين يستطيع أن يوصل ما عنده الى طلابه أو سامعيه ، وانى لأذكر لأول عهدى بطلب العلم فى العقد الثالث من قرننا هذا أن شيخ المعهد كان يعلن: أنه لوضاع مذهب مالك لجمعه من صدره ، وهو جهد يشكر عليه ويثاب على نيته فيه، ولكنه لا يعد مفكرا اسلاميا ؛ لأن المفكر الاسلامى يجمع الى التجرد للعلم والتبحر فيه بعث الحركة فى الدين ، وجلاء ما خفى على معاصريه حتى ليعدونه مجددا ، وهو دائما يتطلع الى آفاق بعيدة ، فيه من القلق والتوتر ما يدفعه الى منازلة خصومه بروح البطل الواثق بنفسه وسلاحه ، وله من دينه السمح وكتابه المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سنه الرسول ، وما

رواه عن السلف الصالح ذخيرة يغلب بها المكابرين ، ويدحض بها حجج المناهضين سواء فى دائرته الضيقة بين مريديه أو دائرته الواسعة فى دوائر الفكر على اختلاف أمكنتها ونظمها وأديانها ، ولا يلتفتالى قولهم : ان باب الاجتهاد قد سد ، فالعقول التى وهبها الله للمتقدمين لايضن بها على المتأخرين ، ومشاهد لنا فى محيط العلم أنه يتقدم من جيل الى جيل حسب الأيام والأعوام ، والقرآن الكريم لا تنقضى عجائبه ، ولم يصل فيه أحد من المفسرين الى تفسير يقال فيه انه وصل الى مراد الله فيه ، وكلما نضجت العقول ، وتفتحت الأفهام أتت بجديد ، ولكل عصر أعلامه ، ومن الموروثلدينا أن لكل قرن علمهالذى يجدد ويبعث الحياة فى النفوس والقلوب والعقول فيعود الاهتمام بالشريعة ، ويقبل الناس على العبادة، وينهض الناهضون للذود عنه،والموت فىسبيله بعيدين عنالأوهاموالخرافات، وكأنهم قد عادوا الى صدر الاسلام بايمانهم القوى ، وقدوتهم الرائدة ، وفى عصرنا هذا ظهر مفكرون كان لهم الأثر الطيب ، والمنهج الحميد فى الاصلاح : من العقيدة الى الاشتراك فى صنع التاريخ ، ولهم جدهم وتجديدهم فى التأليف والتعريف بما يفيد ويدعو الى التطلع للمزيد منه ، وفرق كبير بين طريقة ( الخريدة ) ومنهج ( رسالة التوحيد ) للامام محمد عبده ، فالأولى ( أكاديمة ) والثانية تصلح للدرس كما تصلح للنشر يقرؤها المتخصص وغيره فتنير للجميع ، وتعمق العقيدة فى كل من قرأها أو درسها أو سمع الحوار حولها .

وأين موضع الشيخ عبد الرحيم فودة من هذين الصنفين ؟ وأنا لا أتكلف الاجابة عن هذا السؤال ، ولكنى أحاول أن أضعه فى موضعه، كان الشيخ فودة يسر سرورا عظيما حين يجد من طلابه تقبلا لأرائه فى الكتاب الذى يدرسه لهم ، ولكنه فى الوقت نفسه يريد أن يرى نفسه فى مجتمعه وأمته موجها يهدىسواء السبيل ، ومن هنا ظهرت له مقالات فى الصحف تحت عنوان « مع الناس » أو « السلام عليكم » وهى تشير الى أنه لا يكتفى بدروسه بين

طلابه ، ولا بالكتاب المقرر عليهم ، فدائرته أوسع ، وحبه لدينه ولأمته ولخير الناس جميعا كل أولئك يتطلب منه أن ينظر قريبا وبعيدا حتى ينير الطريق للسالكين ما وجد الى ذلك سبيلا ، وله قدوة فيمن أحبهم وعرف فضلهم ، واستبانت له طرائقهم فى فهم الدين والحياة ، وانك لتعجب اذا رأيته يتخذ من الشيخ الدردير (١) مثله الأعلى ، فالرجل مع علمه الواسع ، وتفرغه لدرسه فى صحن الأزهر كان لا يسكت عن ظلم يقع على الشعب فيخرج مع المظلومين الى الحاكمين ليرد ذلك الظلم ، ويزيل الغصة التى علقت بمن وقع عليهم الظلم ، واعجابه بالشيخ المراغى وأستاذه محمد عبده يسلكه فى صفوف المفكرين ، ولقد صاح فى شبابه نحن جنود المراغى لا لطائفة غيره ، ومعنى هذا أنه رتب نفسه على أن يفكر ويكشف ، ويكون من جند الرحمن الذين يحاربون الطغيان والشيطان بالقلم واللسان ، وقد كان ، فما من قضية من قضايا الفكر أو قضايا المجتمع الا شارك فيه ، فرأيناه فى مجلسه وفى الاذاعة والتليفزيون وفى الصحف يبدى الرأى مؤمنا بما يقول ، واتخذ سبيل المصلح بجانب الرجل الدينى المفكر ، فهو يحاور ويكتب بروح بعيدة عن التعصب ، وتبنى الرأى المثير . وقد ظهرت فى هذا العصر مذاهب اقتصادية وعقلانية وفلسفية تقف من الدين الاسلامى موقفا عدائيا ، فكان على ذوى الرأى النير من العلماء المسلمين أن يبدو آراءهم المؤيدة بالبراهين حتى لا يضل شباب المسلمين ، ومن الأراء التى نهض الشيخ فودة للرد عليها ، وبيان الخطل فيها دعوة اسرائيل فى حقهم نحو فلسطين العربية ، فألف كتاب « العرب واليهود فى القرآن » وانك لتراه يقف موقف الذى يتحرى الحقيقة ويقول الصدق ، فمن كلامه فى هذا الكتاب عن منهجه : « وقد توخيت فى هذه الكلمة هذا الصراط

---

(١) عالم من علماء القرن الثامن عشر .

المستقيم ، وهذا النهج القويم ، فلم أمدح العرب لأنهم عرب ، ولم أذم اليهود لأنهم يهود ، وانما ذكرت بعض ما يمدح به العرب ، وما يذم به اليهود مستنبطا من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليعرف العرب واجبهم تجاه ربهم ، وواجبهم تجاه عدوهم ، وواجبهم تجاه تاريخهم الذى شرفوا به ، وواجبهم نحو مصيرهم الذى أشرفوا عليه . » وانظر اليه كيف يبطل الأوهام الشائعة من تميز اليهود عن غيرهم بالمواهب العقلية وأن كثيرا من المخترعات الحديثة يقترن بأسماء علماء من اليهود ... كما يدفع وهم الواهم الذى يقول: ان العقل الآرى يمتاز عن العقل السامى بخصائص العمق فى البحث والاستقراء .. وأن العقل السامى سطحى البحث ، ضحل القرار يقف عند ظواهر الأشياء ، فيقول : والصحيح أن كلتا الفكرتين مجرد زعم كاذب ، ووهم خاطىء وأن الظروف الاجتماعية ، والمادية ، والتوجيه العلمى ، والشعور بالحاجة وما الى ذلك من مختلف العوامل هى التى تعمل على ايقاظ المواهب أو تعمل على اخمادها ، واطفاء نورها ، وقد عاش اليهود آلاف السنين قبل عصر النهضة الأوربية غارقين فى ظلام الجهل والذل دون أن ترى لهم أثرا أو خطرا ، وعاش الأوربيون كذلك آلاف السنين ذئابا ... والثابت الذى لاشك فيه أن هذه المنطقة من العالم عرفت الحضارات قبل أن يعرف أولئك وهؤلاء طريق الحياة ، ويدحض نظرية الآرية وتميزها عن السامية بقوله : « هذه النظرية ــ ان صحت ــ تهدم مايقال عن مواهب اليهود ، لأنهم ساميون ، وان صح أن عقلية اليهود كما يقال كان ذلك دليلا على خطأ النظرية التى تشيد بالعقلية الآرية » وكان انتصار اسرائيل دافعا العرب والمسلمين أن يفكروا فى آيات ( سورة الاسراء ) التى تحدثت عن بنى اسرائيل ، وكذا الكلام فى قوله تعالى : «لتفسدن فى الأرض مرتين» واليك النص القرآنى وتعليق الشيخ فودة عليه وبيان الحقيقة فيه : قال تعالى : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد

أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا • ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا • ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » •

وهنا ينبرى بكل فكره وبيانه ليجلو المراد من هذه الآيات ، فيبين الفساد فى بنى اسرائيل من أن الأبناء ائتمروا على أخيهم يوسف ليقتلوه ثم ألقوا به فى غيابة الجب ، وكذبوا على أبيهم ، وساق قصتهم حين جاء الى مصر ومعهم أبوهم ، وعاشوا فى مصر الى أن خرجوا ثم قال : « ونخلص من ذلك بأن الفساد المراد من قوله تعالى « لتفسدن فى الأرض مرتين » ليس هو الفساد العام الذى عرف عنهم وعرفوا به فى كل طور من أطوار حياتهم ، وانما هو فساد كبير لا يقاس به غيره ، ولا يعد غيره معه فسادا ، ولهذا خصه الله بالذكر ، وأكد أنه سيحدث معهم مرتين يستفحل فيهما أمره وشره •

المرة الأولى : وينتهى فيها أمرهم وأمره بأن يسلط الله عليهم عبادا يشرفون بعبادته والانتساب اليه ، ويعرفون بقوة البأس والشدة ، فلا يجرؤ بنو اسرائيل على مقاومتهم أو مناهضتهم أو معارضتهم أو الوقوف فى سبيلهم ، بل يخلون لهم الطريق ليجوسوا خلال الديار ، وهذا ما تم فى عهد عمر ••• هذا الى أن الفرس وقتذاك كانوا مجوسا يعبدون النار وقوله تعالى ، « عبادا لنا » يشعر بأن المراد بهم المسلمون ؛ لأنهم الذين يعبدون الله وحده ••• ومما يؤكد ذلك قول الله بعد ذلك « أولو بأس شديد » فان هذا الوصف يذكرنا بقوله تعالى: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار» ويفهم من قوله «ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا » أن المراد بهم العرب المسلمون ؛ لأن اليهود لم تكن لهم كرة على الفرس ، ولم يعرف لهم موقف مع الفرس يفهم منه ذلك، وانما كانت الكرة على

العرب المسلمين بمعونة الاستعمار وجهود الصهيونية ، وهذا ما يشهد به واقعهم ، فقد كثرت أموالهم وكثر بنوهم واستطاعوا بحيلهم وأموالهم أن يخدعوا العالم ويشتروا الذمم حتى صاروا مع من ينفرون معهم ويظاهرونهم على حرب العرب والمسلمين أكثر نفيرا .

المرة الثانية : من الفساد الخطير هي ما فعله ويفعله بنو اسرائيل الآن، فقد استشرى شرهم،وتفاقم خطرهم، وأصبحوا مع دول الاستعمار حربا لاينطفىء لها أوار على كل القيم والفضائل الانسانية ، ومن ثم نلمح مصيرهم فيما يفهم من قوله تعالى :

« فاذا جاء وعد الأخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجدكما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » فان هذا يعنى أن الذين سلطهم الله عليهم فى المرة الأولى هم الذين سيسلطهم عليهم ويمكنهم منهم فى الثانية أو الآخرة؛لأن مرجع الضمير واحد وهو « عبادا لنا » أولى بأس شديد، ولكن مصيرهم فى هذه المرة سيكون السوء الذى تظهر آثاره على وجوههم،والخراب والدمار لديارهم، فان معنى التتبير الهلاك ومعنى «ليتبروا ما علوا » ليهلكوا ما يتمكنون منه ويتسلطون عليه ، وسيتمكن العرب والمسلمون ـ بعون الله ـ من رقابهم، ويدمرون بأسلحتهم،وبكل مايستطيعون من قوة كل ما بنوه فى الأرض السليبة التى وثبوا عليها كالذئاب الضارية فى حمى الاستعمار والصهيونية » .

واذا اتسم الأسلوب فى الآخر بالعنف ، فلأن الموقف يدعوه اليه ، ولأن من تصدوا لشرح هذه الآيات فى الاذاعة المرئية لم يتنبهوا الى ما كشفه وحققه .

ولما أخذت مصر بمبدأ الاشتراكية أبدى رأيه ، وألف فيها كتابه «الاشتراكية العربية فى ضوء الاسلام» ورآها لا تخرج عن الاطار الذى جاء به الاسلام ، « انها فيه تقوم على الايمان بالله خالق الجميع ورازق الجميع ، وعلى أن المال مال الله ، فيجب أن يوجد لخدمة الجميع وعلى أن المؤمنين اخوة فيجب أن يسودهم التضامن والتعاون، ويجعل هذا أساسا تقوم عليه الحياة الطيبة للفرد والجماعة والأمة «فليس المال ملكا خالصا للدولة

حتى تجور على الأفراد فتأكل جهودهم ، وتلغى وجودهم ، كما هو الشأن فى الشيوعية ، وليس ملكا خالصا للأفراد حتى يحق لهم احتجابه واختزانه ، أو استغلاله بطرق آثمة ووسائل ظالمة كما هو الشأن فى الرأسمالية ، انما هو ملك لله يأخذ منه الانسان بالوسائل التى شرعها الله، كالعمل الصالح المثمر ، والارث أو الهبة ، والوصية ، وتأخذ منه الدولة بمقدار ما يعينها على تأمين حدودها وتأكيد وجودها وتيسير أسباب الخير والحياة الطيبة لبنيها فالملكية مشروعة فى الاسلام على أساس أنها ملكية نسبية ناقصة لا ملكية حقيقية تامة ، والضررالخاص الذى يقع على بعض الأشخاص يجب أن يتحمل فى سبيل رفع الضررالعام كماهى القاعدة الشرعية ، (١) وهكذا يبدى رأيه فيما يجد من نظم ، ولكن يرجع فى كل مايبديه الى التشريع الاسلامى حتى الاتحاد الاشتراكى يضمه فى دائرة الوحدة التى دعا اليها الاسلام « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » ومن هنا حمل على الأحزاب ، وعد النزاع حول الخلافة الاسلامية والقتال حولها بداية الانحراف ، والحرية عنده مظهر القوة والكرامة والانسانية ، وليس من الحرية فى شىء الدعوة الى التبذل والتحلل والترويج للمذاهب المنحرفة ، كالوجودية مثلا ، ولا النقد المغرض الهدام للأوضاع والتقاليد الصالحة ، « ومن ثم كان علينا أن نحرر معنى الحرية حتى يخلص للمعانى الكريمة، والحرية فى الديمقراطية الغربية منقوصة ، لأن حق المعارضة فى النقد والتوجيه يضع على ارادة الحكومة قيودا تحد من حريتها وارادتها .. فنلاحظ أنها فى الاسلام أوسع ؛ ذلك لأن الحكم فيه لله وحده يخضع له الحاكم والمحكوم ، فلا خضوع لارادة بشرية ، لأنهم يحكمون بما أنزل الله لا بارادتهم ، فاذا انحرفوا الى الحكم بالهوى والغرض والاستبداد

---

(١) الاشتراكية فى اطار الاسلام من الكتاب .

بالرأى فليس عليهم حق السمع والطاعة ، » ولا شك أن الديمقراطية تلتقى مع الاسلام فى مبدأ الشورى؛ فانه أصل من أصول الحكم فيه ، كما يفهم من قوله تعالى فى المؤمنين «وأمرهم شورى بينهم» وقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم : « وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

وبهذا وغيره صار من المفكرين الذين ينظرون فى ضوء الاسلام الى ما ينفع المجتمع الاسلامى ويرفعه .

وفى السنوات الأخيرة رأيته يستدعى من الجهات الشعبية والرسمية ليحاضر ويستفتى ، « يتنقل بين سوهاج وأسيوط وبنى سويف والاسكندرية والزقازيق وسائر المحافظات » ، وفى كل مجتمع من هذه المجتمعات يتجلى بطمه وايمانه وسلوكه فيجلو البصائر ، ويهدى من أراد الله هدايته ، وقد رأيت مكتبه فى مجلة الأزهر زاخرا بالوفود من السعودية ولبنان والسودان وغيرهم ممن جاءوا ليستفيدوا ويفيدوا،وروائده دائما الوصول الى الحقيقة ورضا الله.

**لمحات من مؤلفاته**

من عادة المؤلفين فى عصرنا الحاضر أن يجمع الكاتب مقالاته التى نشرها فى الصحف أو بعضها فى كتاب ، وأحيانا يعمد الى ما يكتبه فى موضوع ما فى فصول يضمها كتاب ثم يقدمه للمطبعة لينشره على القراء ، ولاسيما اذا كان من كتاب الصحف والمجلات، وكاتبنا عبد الرحيم فودة سلك هذا المسلك ، فهو يجمع مقالاته التى نشرها فى الصحف وغيرها،ويخرجها للناس كتابا له مقدمته واسمه أحيانا، وأحيانا يتبع الطريقة الأخرى،فيؤلف الكتاب كله ثم يدفعه الى المطبعة ليكون بعد فى أيدى قرائه ، من ذلك كتاب «الاشتراكية العربية فى ضوء الاسلام» و « العرب واليهود فى القرآن » ومنهج المؤلف طبعى ، فهو يبدأ بالكليات ثم يتبعها بالجزئيات ، وهو ينمى بحوثه بروافد تغذى وتثرى ، فالعرب واليهود فى القرآن مثلا بدأ بالحديث عنهما،ثم وازن بينهما مشيرا الى خصائص كل منهما بالموازنة ، ثم تحدث عن سيدنا ابراهيم وهو الجد الأكبر الذى يجمعهما ، ثم يتحدث عن خير بيت ، وخير يوم ،

وخير كتاب ، وخير نبى ، وخير أمة؟ فموضوعات الكتاب متصلة تجىء نتيجة حركة ذهنية واعية،وتجد فى الكتاب حديثا عن ( قلعة العروبة ) ويعنى بها مصر ، ولا جدال فى أن مصر من أمة وصفت بأنها خير أمة أخرجت للناس ، وجهدها للمسلمين معروف موصوف « قد احتملت فى دفاعها عن العروبة والاسلام مالم تحتمله أمة أخرى ؛ فكافحت فى كل ميدان، وضحت فى كل محنة ، وبذلت من دماء أبنائها،وأموال شبعها ما لا يفضله أو يعدله الا شرف ايمانها بالقيم التى كافحت فى سبيلها ، ونافحت عنها ، وقد امتد اشعاعها الفكرى والروحى الى كل اتجاه ، فحيثما أقام مسلم أو عربى فمصر فى قلبه وعقله ولسانه ؛ لأنها نداء دينه،ونور عقله، ولغة لسانه ... وذلك قول لاتمليه عاطفة وطنية ولا نزعة قومية ، وانما تمليه الحقيقة التاريخية ... » هكذا قال .

فاذا جئت الى مقالاته التى نشرت فى الصحف والمجلات وصارت مؤلفات تجد السمة الغالبة عليها هى منهجه فى الاجمال والتفصيل ، أو بتعبير موضح يتحدث عن البذرة ثم الشجرة ثم الفروع ثم الثمار،ولنأخذ كتابه « الدين عند الله » مثالا لما اتجه اليه فى تأليفه ، وهو يبصرك بالدخول من أبوابه بمفتاح يضعه بين يديك ، هو مقدمة الكتاب ، فيقول : « انه كتاب ، كل باب فيه خليق بكتاب ، ولكنه على ايجازه يصف معالم الدين الذى ارتضاه الله ، ويكشف عن صلته بالمجتمع والحياة ، وقد وضعته على الترتيب الطبيعى الذى قام عليه الدين ، فتحدثت عن الوحى ... الخ » بل هو فى الحقيقة بدأ بما قبل الوحى ، فتناول معنى الدين ، وهداية الدين الى أن وصل الى الوحى والدين ، واذا جعلنا هذا جانبا فيمكننا أن نقسم الكتاب الى أقسام :

١ ـ أصل التشريع : الكتاب والسنة .

٢ ـ دعائم الاسلام : ويشمل الموضوعات الآتية : التوحيد ، اقامة الصلاة ، ايتاء الزكاة ، صوم رمضان، حج البيت .

٣ ـ الجهاد فى سبيل الله ويشمل جهاد النفس والأعداء وانفاق المال والصدقات والتكافل الاجتماعى .

٤ ـ مكارم الأخلاق : ويشمل الصدق ، وقوة العزم والحزم،والوفاء بالعهد ، وحسن الظن بالله وتربية الضمير ، والحرص على الكرامة .

٥ ـ بناء الأسرة : ويشمل الخطبة أولا ، والميثاق الغليظ ، ورياسة الأسرة ، وحسن التبعل ، وحسن التربية .

٦ ـ الدين والحياة : ويشمل المجتمع والحضارة والنظام والسلام ويسر الدين والاعتصام به ، والمواسم والأعياد والأسوة الحسنة .

٧ ـ ويختم الكتاب : بخاتم النبيين، وصلوا عليه وسلموا تسليما .

وهو بهذا لم يترك شأنا من شئون الدين الا تكلم عنه بروح المؤمن القوى الايمان ، والدارس المتعمق الحسن البيان ، صاحب الرأى ، الحصيف ، المستنير بهدى القرآن والسنة ، وهو يقدم اللغويات ويربطها بالاصلاحات مقارنا وموازنا ، له من القرآن أدلة واستشهاد ، ومن الأحاديث سند وملاذ ، ومن الشعر تأكيد ورشاد ، يقول فى « معنى التدين » يلتقى معنى الدين فى الاصطلاع الشرعى مع معناه فى اللغة ؟ فان معنى دانه يدينه ملكه أو حكمه أو ساسه مديره ، أو قهره أو حاسبه أو جازاه وكافأه ، ومعنى يوم الدين يوم الحساب والجزاء ، ويقال دان فلان لفلان بمعنى خضع له ، وخشع أمامه وأطاعه ، ودان فلان بكذا على معنى اعتقده واعتاده واتخذه مذهبا له . وهكذا نجد معنى الدين فى اللغة ومعناه فى الاصطلاح يتلاقيان على التزام ما شرعه الله من أحكام ، واليقين بأنه كما يقول تعالى « ألا له الخلق والأمر » وهو فى كثير من موضوعاته يذكر شيئا يوضح فكرته مما يراه الناس ويعرفونه ليصل بذلك الى تثبيت المفاهيم فى النفوس ، فحين تكلم عن « الحياة بعد الوفاة » قدم بين يدى فكرته مايعرفه الناس بالمشاهدة ليقيس عليه ما هو معلوم من الدين وهو غيب . قال : « قد يموت فى جسم الانسان عضو أو عدة أعضاء فيبقى كما هو

انسانا بكل سماته النفسية ،وخصائصه العقلية ، ثم هو ينام فيغمض عينيه ، ويفقد احساسه بما حوله ، فيرى فى نومه ما يسعد به أو يشقى فيه ... معناه أن فيه الانسان المدرك الذى لاينعدم بانعدام الجسد أو جزء منه» فاذا شرح هذا وألح فى الشرح وبينه بما مثل انتقل الى القرآن والحديث ليثبت تلك الحقيقة،وهو أن الانسان لا ينتهى بانتهاء الحياة ، يقول الله تعالى : « يأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » ثم قد بين النبى ذلك حيث قال : « القبر اما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار » ويأتى بأمثلة كثيرة ليؤيد رأيه مما جاء فى القرآن عن آل فرعون وعن الشهداء ، وحبيب النجار ويختم مقاله بشعر أبى العلاء :

خلق الناس للبقاء فضلت
أمة يحسبونهم للنفاد

انما ينقلون من دار أعما
ل الى دار شقوة أو رشاد

فهو فى صنيعه هذا يعطيك المشاهدة والغيب معا ، ويرفع عنك قسوة الأفكار والأدلة بذكر القصص والشعر .

وقد تناول القرآن الكريم فى موضوعات طريفة تدلك على علمه وسعة أفقه ، وتفكيره الاسلامى الذى يتخذ من النقل والعقل سبيله الى الاقناع ، ويذكر حوارا جرى بينه وبين محاوره فى عجز الناس عن الاتيان بسورة من مثله ، وفى قدرة الجن على ذلك ، فيورد الشيخ أدلة قاطعة تفحم هذا المحاور ، ومن طريف ما رد به : أن القرآن خير لا ذرة فيه من شر .. وكيف يستقيم منهجه مع خطة ابليس وجنوده وهى تقوم على الاضلال والاذلال والاغراء والاغواء ؟ ثم كيف يتصور ــ مع ايمان المؤمنين من الجن ــ أن ينسبوا الى الله ما ليس له ، ويفتروا عليه ما لم يقله ؟ ويلحق هذا بقوله تعالى: « وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون » وهو حوار ممتع لا أستطيع نقله كله هنا ، لأنى بسبيل ذكر ملامح من مؤلفاته ولمحات .

وقد يبدأ المقال بقصة ليجذب القارىء اليه،ويدعوه الى الاشتراك معه فى رأيه ، فهو فى مقاله « التكافل الاجتماعى » وهو موضوع دسم يحتاج الى بيان وبرهان ، يتخذ القصة سبيله الى جذب قارئه كما قدمنا : بدأ هكذا : رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه شيخا ضريرا يسأل على باب ، فلما علم أنه يهودى قال له : ما ألجأك الى ما أرى ؟ قال:الجزية والحاجة،والسن، فأخذ ـ رضى الله عنه ـ بيده وذهب به الى بيته فأعطاه ما يكفيه يومه ، وأرسل الى خازن المال يقول له : انظر هذا وضرباءه ، فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب . ووضع عنه وعن ضربائه الجزية ، بهذه القصة يفسر التكافل الاجتماعى الذى عرفه الغرب لأول مرة فى القرن السابع عشر ... « وبهذا المدخل شرع فى تبيان ما يهدف اليه من بيان واجب الدولة نحو رعاية الفقراء والمرضى والشيوخ والعجزة ومن اليهم كالعمال الذين يصابون أثناء العمل ، ولا يفوته أبدا الاستئناس بالقرآن والحديث، وآراء الصحابة.

وهو كاتب عصرى يبعد عن المقدمات ، وفضول الكلام ، ويقصد الى ما يريد من أقرب طريق ، انظر معى مقال « التوكل على الله » كيف بدأه ؟ انه يرسل السهم ليصيب المحز ، لا يتأتى ولا يتعنى ، بدأه : « لكى نفهم معنى التوكل على الله حق الفهم ينبغى أن نعود بالكلمة الى الأصل الذى اشتقت منه ، لأنه يعين على فهمه فهما سليما ، فمعنى التوكل ...» وهنا يعرض المعنى اللغوى بايراد قول الراغب الأصفهانى ثم المقصود من التوكل وهو يكون بمجموع أمرين : الاعتماد على الله والثقة به ، ثم الأخذ بالأسباب والوسائل والعمل .

وهو يستخدم ما علمه مما درسه ؛ ليساعده على توصيل ما يريده الى الأذهان ، ففى مقال «الدين والحياة» يذكر ما علمه الزمخشرى فى عصره ، وما علمه هو من العلم الحديث ؛ فالزمخشرى تحدث عن بعض أنواع

الحيوانات الصغيرة ، فقال : وربما رأيت فى تضاعيف الكتاب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها ، فاذا سكنت فالسكون يواريها ، ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها ، وتجنبت مضرتها ، فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة ، ولعل من خلق الله ما هو أصغر منها وأصغر « سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » ويقول الأستاذ فودة : ولو بعث الزمخشرى فى هذا العصر ، ورأى ما يكشف المجهر المكبر للناظر من ملايين الأحياء التى تجتمع فى قطرة ماء لاستعظم حجم الدويبة التى استصغرها ، ورأى أن الناظر اليها لا يراها على ورقة من كتاب الا حين تتحرك .. هذه الحياة التى يعرفها الجميع ويستوى فى الجهل بسرها الجميع ترجع الى مبدئها ومنشئها من العدم وهو الله جل شأنه .. غير أن مفهوم الحياة تطور حتى أصبح يفهم منه المعنى القابل للدين ، وتصور بعض الناس أن عمل الدين لا يكاد يتعدى علاقة الفرد بالله .. وهذا خطأ نشأ عن انحراف التفكير وغرور الانسان بما وصل اليه من العلم ولو عقل لتلا قول الله تعالى : «ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك» وهكذا يمزج القديم بالحديث ، ويرد العلم عن مطامحه ، ويضعه فى مكانه ، وأن ماوصل اليه لا يزال عند قول الله عز وجل : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

واذا كان الايجاز سمة الكتاب كما ذكر فى المقدمة ، فهو ايجاز فى حجم كل موضوع لا فى حجم الكتاب فقد بلغت صفحات الكتاب ( ٣٨٤ ) صفحة وقد أعطى عطاء كشف عن معالم الدين وأصول تشريعاته ، وجال وصال فى كل ما يفيد المسلم ويهديه ، وهو بغية كل من أراد تفقها وتفهما لمعرفة واجب الانسان نحو ربه ونفسه ومجتمعه والانسانية جمعاء ، يستوى عنده المتخصص وغيره ، فيزيدهم علما وهداية .

ولمحات مؤلفاته لا تقف عند هذا الحد ، فقد يأتيك برأى كنت تبحث عنه ، وتريد الوقوف عليه من ذلك طلبك معرفة « الصلاة الوسطى »

التى خصها الله فى أمره : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » وبعد أن بين فضلها وأنها الفضلى ، وخير الصلوات ؛ اذ خصها الله بالذكر تنويها بقدرها ، لنتحراها ، ونحافظ على أدائها ذكر عشرة أقوال فى بيان وقتها : قيل انها صلاة الظهر لأنها وسط النهار ، وقيل انها صلاة العصر لأنها تقع بين صلاتى نهار وصلاتى ليل ، وقيل انها المغرب لأنها متوسطة فى عدد الركعات بين الأربع والاثنتين وقيل انها صلاة العشاء لانها وسط بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ، وقيل : انها صلاة الصبح لأنها وسط بين صلاتين يجهر فيهما وهما المغرب والعشاء وصلاتين لا يجهر فيهما وهما الظهر والعصر .. ولكل قول وجهة وسند يعضده ويؤيده ومن هذه الأقوال أنها غير معينة ، وأن الله خبأها فى الصلوات كما خبأ ليلة القدر فى رمضان ، وكما خبأ ساعة فى يوم الجمعة وساعات فى الليل يستجاب فيهن الدعاء ؛ وذلك ليجتهد المؤمن ويحافظ على الصلوات كلها ، فيضمن الصلاة الوسطى من بينها . ثم يعقب برأى يحسن الاعتماد عليه ، وأرجح الأقوال عنده أنها صلاة الجمعة لأمرين :

الأول : أنها تؤدى فى جماعة ، ويشترط فيها الخطبة .

الثانى : أن الله خصها بالذكر وأمر بالسعى اليها ، وحرم البيع ، وكل ما يشغل عنها ، ومع ذلك يقول كما يقول السلف ، والله أعلم بالمراد منها :

هذه بعض الملامح واللمحات فى تلك المؤلفات التى أذكر لك ما عندى منها .

١ ـ مشاعل على الطريق .

٢ ـ الاسلام والقومية العربية .

٣ ـ الاشتراكية العربية فى ضوء الاسلام .

٤ ـ قصة بنى اسرائيل .

٥ ـ من معانى القرآن .

٦ ـ العرب واليهود فى القرآن .

٧ ـ كلمات قرآنية .

٨ ـ أحاديث مختارة ١ ، ٢

٩ ـ شرح عبقريات العقاد .

وله كثير من المقالات الجادة فى الصحف والمجلات الاسلامية ومجلة الأزهر ، وديوان شعر طبعه فى صباه .

## خاتمة

فى غرة ربيع الأول ١٣٩٦ هـ الموافق ٢ من مارس ١٩٧٦ م أسلم الروح ذلك المفكر الاسلامى الشيخ عبد الرحيم محمود فودة عن اثنين وستين عاما قضاها فى اسداء البر والخير ، والبحث والمعرفة ، وفى دراسة القرآن والسنة ، ونشر المعرفة والعرفان ، وبث الايمان فى النفوس ، واحياء القلوب ، حياة وجدانية وعقلية فى الذروة من الصفاء والنقاء وانا لنذكر أن آخر ما أدى أنه كتب مقالة فى جريدة الجمعة بالأخبار تحية للمولد النبوى الشريف بعنوان « مكانة النبى » فكانت آخر ما كتب ونرجو أن تعد فى حسناته ، فينظر له الله بالقبول ، « واليه يرفع الكلم الطيب » وقد كتبت المقالة يوم الاثنين ، وشيعت جنازته يوم الثلاثاء . ومن المرغوب فيه أن ننقل ذلك المقال فى مجلة الأزهر التى كان يديرها ، لأنها آخر ما سطر قلمه ، وناجى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فى كتبه يختم بحوثه بالصلاة عليه فى عبارة أو مقالة ، وكذلك ختم حياته بالصلاة عليه وتحيته فى ذكرى مولده ، وبهذا الاعتبار نحن نضن بها ، ونحرص على نشرها فى المجلة التى أحبها ، وعاش لها وجعلها منارة للمسلمين ، تترجم عن أفكار الأزهريين وموقعهم من هداية أهل الاسلام فى الغرب والشرق ، وعن كل من أخلص لدينه ، واتبع رضوان الله ، واليك ذلك المقال ، قال كاتبا :

مكانة النبى ، انه عند المؤمنين كما يقول الله : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم » وفى ميزان الايمان كما يقول صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » وفى ميزان الانسانية كما يقول الله له : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وكما يقول الله : « يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

ورحم الله العقاد حين نظر الى هذا المعنى فقال : انه نقل قومه من عبادة الأوثان الى عبادة الله ، ونقل العالم كله من سكون الى حركة ، ومن فوضى الى نظام ، ومن مهانة حيوانية الى كرامة انسانية .

فاذا احتفل العرب والمسلمون بذكرى مولده فى هذا الشهر الأغر ، ليذكروا نعمة الله عليهم به ، واحسانه اليهم برسالته فذلك استجابة طبيعية لشعورهم نحوه ، وحبهم له ، وصلاتهم عليه،واقتدائهم به ؛ فانه كما يقول الله فيه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ولاشك أن الاحتفال بمولده يصلهم بسيرته العطرة ، وأخلاقه الكريمة ، وشريعته العظيمة ، ومن ثم كان تقليدا حميدا أن يستقبلوا شهر ربيع الأول بالفرح والأمل والاستبشار بالمستقبل ، فقد كان مولده كذلك بداية عهد جديد وطالع مستقبل سعيد ، وصلت فيه الأمة العربية الى القمة التى لم تصل اليها أمة ، وآلت اليها قيادة العالم فى كل شيء كان يعرفه العالم ، وصارت حضارتها هى المشعل الذى أضاء لأوربا طريق الخلاص من ظلام العصور الوسطى •

وكان ذلك هو التفسير الواقعى والتاريخى لقول الله فيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين • وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم • ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » صلى الله عليه، ووفقنا الى اتباع سنته ، والانتفاع بهديه •

رحم الله عبد الرحيم فودة بمقدار ما أدى لأمته فى كتبه وخطبه ومقالاته وأحاديثه ، وأفسح له فى جناته جزاء ايمانه وصلاته ، وطول عبادته ومناجاته ربه حين ينام الناس وتسكن الأحياء ، ولنا من كتاباته ما يجعله دائما معنا • وسلام على عبد الرحيم •

**السيد حسن قرون**

**موضوعات البحث**

١ ــ تمهيد •
٢ ــ وليد دنشواى •
٣ ــ الفتى الأزهرى •
٤ ــ الأديب الألمعى •
٥ ــ المفكر الاسلامى •
٦ ــ لمحات من مؤلفاته •
٧ ــ خاتمة •

# تعقيبات على بعض ما ينشر ويذاع

للأستاذ على البولاقى

— ٨ —

الملائكة والجن ، والتزوج من الجن :

سئل ( بريد الاسلام ) باذاعة القرآن الكريم عن حكم التزوج من الجن ، فأحال السؤال الى عالم كبير ، فأجاب ، بأن لدينا أربعة مفهومات : الملائكة،والانس،والجن ، والشياطين • ثم قال : ان الشياطين اما من الجن ، واما من الانس ، فليسوا حقيقة رابعة • ثم قال : ان الجن هم المجتنون ، أى : المستترون عن أعيننا ، وهم الملائكة ، فليسوا حقيقة ثالثة سواء أكانوا من الشياطين المتمردين أم لا ، لأن العصيان والتى لا يخرج صاحبه عن طبيعته ، فكما أن شيطان الانس لا يخرج عن كونه انسانا كذلك شيطان الجن لا يخرج عن كونه من الجن والملائكة • ثم أراد أن يقرر للسامعين أن ما قاله من كون الجن هم الملائكة قد سبقه اليه المفسرون ، فنقل عن الزمخشرى صاحب الكشاف أنه قال فى قوله تعالى : « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون » ١٥٨ الصافات — قال : الجنة هم الملائكة، والمعنى : وجعل المشركون بين الله تعالى وبين الملائكة نسبا وولادة ، حيث قالوا : ان الملائكة بنات الله ، ولقد علمت الملائكة ان هؤلاء المشركين لمحضرون للعذاب يوم القيامة لشركهم وافترائهم على الله تعالى حيث نسبوا اليه الولادة وجعلوا الملائكة اناثا • وأخيرا تهكم الأستاذ بالسؤال عن التزوج بالجن بعد العلم بأن الجن هم الملائكة ، وأنه ليس هناك الا حقيقتان اثنتان : الملائكة ، والانس • انتهى بالمعنى •

( أقـول ) لا تعقيب لى على أن الشياطين لا يعـدون حقيقة رابعـة ، فانهم فى الأصل المضلون من الجن ، وقد يراد منهم ، المضلون من الجن ، مجازا لأنهم يشبهونهم فى الاضـلال والوسوسة والتحريض على الفساد وتحسين القبيح وتقبيح الحسن وقد ذكر الشـيطان فى القـرآن الكريم ثمانيا وثمـانين مرة ولم يقصـد به شيطان الانس الا مرة واحدة ، وذلك فى قوله تعالى: «واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن » ١٤ البقرة وأريد به ما يشمل المضلين من الفـريقين مرة واحـدة ، وذلك فى قوله تعالى:« وكذلك جعلنا لكل نبى عـدوا شـياطين الانس والجن يوحى بعضـهم الى بعض زخـرف القـول غرورا » ١١٢ الأنعـام وفى المرات الست والثمانين الباقية قصد به شيطان الجن .

ولا تعقيب لى أيضا على أن لفظ الجن أو الجنة قـد يراد به الملائكة لاجتنانهم واستتارهم عن أعين الناس كما فى الآية السابقة الذكر ، ولعله ليس فى القـرآن الكريم آية سواها يذكر فيها الجان أو الجن أو الجنة بهـذا المعنى ، فقـد ذكر الجان فى القرآن الكريم سـبع مرات ، وكان بمعنى الحية مرتين ، وذلك فى قوله تعالى فى الآية العاشرة من سـورة النمل والحادية والثلاثين من سورة القصص([٣])«فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب » وفى المرات الخمس الأخـرى ذكر الجان بمعنى الجن الذى هـو نوع ثالث غـير المـلائكة والانس ، وفى القـرآن الكريم أيضـا ذكر لفظ الجنة عشر مرات : خمس منها بمعنى الجنون ، واثنتـان بمعنى الملائكة وثلاث بمعنى الجن الذى هو نوع ثالث كما سبق: فالآيات الخمس التى ذكـرت فيهـا كلمـة « جنـة » بمعنى « جنـون » أولاها قوله تعـالى فى آية ١٨٤ من سـورة الأعراف : « أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة » وباقيهـا آيتـا ٢٥ ، ٧٠ من سورة المؤمنون والآية الثامنة من سورة سبأ آية ٤٦ منها .

والآيات الثلاث التى ذكرت فيها الجنة بمعنى النوع الخاص هى قوله تعالى « وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» ١١٩ هود فالشياطين والعصـاة منهم يعـذبون بالنـار ، وقوله تعـالى : ولـكن حق

القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » ١٣ السجدة ، وهى كسابقتها ، وقوله تعالى : « قل أعوذ برب الناس » الى قوله تعالى : « الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس» وهى كسابقتها ، فالوسواس هو بعض الجن وبعض الانس وهو الشيطان من الفريقين .

والآية التى ذكرت فيها الجنة مرتين بمعنى الملائكة هى آية الصافات التى سبق عن الكشاف ما قاله فيها ، وليس ما قاله بلازم ولا متعين فقد تكون الجنة فيها بمعنى المخلوقات المستنيرة التى هى غير الملائكة والانس ، وذلك أن المشركين الذين قالوا : الملائكة بنات الله قيل لهم : فمن أمهاتهم ؟ فقالوا : سروات الجن ، بفتح السين والراء ) أى الشريفات من الجن فزعموا مزاعم كاذبة : منها أن الملائكة اناث وأنهم منسبون الى الله بالبنوة والولادة وأن أمهاتهم من الجن وأن هذه الجن أزواج الله سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا وبهذا جعلوا بينه وبين الجن مصاهرة ، فالجنة فى الآية ليس معناها الملائكة وانما معناها النوع الثالث الخاص كما فى الآيات الثلاث السابقة .

وذكر لفظ « الجن » فى القرآن الكريم ثنتين وعشرين مرة ، وقصد به النوع الخاص الذى ليس ملائكة ولا انسا ومن أدل الدلائل على مغايرتهم للملائكة قوله تعالى : «ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة : أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » ٤٠و٤١ سبأ . فالملائكة يستنكرون أن المشركين كانوا يعبدونهم ويقررون أنهم كانوا يعبدون الجن ، وهذا صريح فى أن الملائكة غير الجن وأن الجن غير الملائكة ، وكذلك قوله تعالى حكاية عن الجن : « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » ٨ و ٩ الجن . فالجن يقولون انهم كانوا يتسمعون من السماء ثم منعوا من التسمع ،

وليست هـذه صفة الملائكة فانهم لا حاجة بهم الى استراق السمع وهم يملئون السموات كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وعليه ملك واضع جبهته » رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبى ذر مرفوعا ، ورواه الترمذى بلفظ « ملك ساجد لله تعالى » .

( فان قيل ) : ان ابليس قد استثنى من الملائكة ووصف بأنه من الجن ، فى قوله تعالى : « واذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس كان من الجن » ٥٠ ـ الكهف . ومقتضى الاستثناء أنه من الملائكة ، فيكون من الملائكة ومن الجن ، ويصح قول القائل ان الجن هم الملائكة .

( قلنا ) ان ابليس كان من الجن كما صرحت به الآية ، وقد وصف بالفسق فى الآية نفسها ، ووصف أيضا فى نفس الآية بأن له ذرية ، وذلك قوله تعالى : « كان من الجن ففسق عن أمر ربه ؛ أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلا » والملائكة معصومون لا يعصون الله ما أمرهم وليسوا ذرية وليس لهم ذرية فهم لايتناكحون ولا يتناسلون ولا يتصفون بأنوثة ولا ذكورة ، وفى الآية نفسها النهى عن اتخاذهم أولياء وبيان أنهم أعداء ، والملائكة على العكس من ذلك ، فالناس مأمورون بموالاتهم ومنهيون عن معاداتهم ، قال تعالى : « من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين » ٩٨ ـ البقرة وقال تعالى : «ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير » ٤ ـ التحريم: والاستثناء لايقتضى أن يكون ابليس من الملائكة حقيقة بل يكفى فى صحته أن يجمعه الله الى الملائكة لأمر ما ثم يأمر الملائكة بالسجود لآدم وهو حاضر معهم وأقل شأنا منهم فيعلم علم اليقين أنه مثلهم بل أولى منهم بالسجود ، ألا ترى أن الملك لو قال لوزرائه اذا رأيتم

فلانا فقوموا له وكان مع الوزراء بعض تابعيهم — فلا شك أن هؤلاء التابعين يعلمون أنهم مأمورون بالقيام بدلالة الخطاب وان لم يخاطبهم الملك خطابا مباشرا ، ويكونون عاصين اذا لم يقوموا ؟

على أن كلمة « الجن » فى الآية لا يمكن أن يراد بها الملائكة ، اذ لو وضع مكانها كلمة «الملائكة» لكانت هكذا « كان من الملائكة ففسق عن أمر ربه » ولا شك أن ترتيب الفسق على كونه من الملائكة يخالف ما هو معلوم بالضرورة من كرامة الملائكة وملازمتهم للطاعة ، وقد ذكرت كلمة «الملائكة» و «الملكين» و «الملك» فى القرآن الكريم ٨٨ مرة كعدد الشياطين ، ووصفوا بأوصاف تباعد بينهم وبين الجن أشواطا ، فهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتناسلون ولا يوصفون بأنوثة ولا ذكورة ، وهم معصومون عن الكفر والفسق والعصيان ، والجن يخالفونهم فى كل ذلك •

١ — أما أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون فلا خلاف فيه ، ومن أدلته أن الملائكة لما جاءوا ابراهيم عليه السلام قدم لهم عجلا سمينا مشويا ينقط الدهن منه فلما لم يأكلوا منه خاف أن يكونوا أهل عداوة وشر ، فقالوا له : انا رسل ربك أرسلنا الى قوم لوط ولو كانوا ممن يأكل ويشرب لما امتنعوا من الأكل على مائدة ابراهيم أبى الكرماء عليه السلام • اقرأ ان شئت قوله تعالى : «ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما ، قال سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ : فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط » ٧٠ هود •

٢ — وأما أنهم لا يتصفون بأنوثة ولا ذكورة ولا يتناكحون ولا يتناسلون ، فلا خلاف فيه بين الأمة الاسلامية ، وقد نفى الله عز وجل عنهم الأنوثة التى زعمها بعض المشركين ، فقال تعالى : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا• أشهدوا خلقهم ؟ ، ستكتب شهادتهم ويسألون » ١٩ الزخرف • ويلزم من خلوهم من الاناث خلوهم من الذكور ، فان جهاز التناسل فى

الذكور لا بد أن يكون فى مقابلته جهاز تناسل أنثوى .

٣ — وأما أنهم معصومون عن الكفر والفسق والعصيان فلقوله تعالى : « عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ٦ — التحريم . وقوله عز وجل: «وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون » . « لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » ٢٦ — ٢٨ — الأنبياء . الى آيات كثيرة يطول الكلام بذكرها .

( فان قيل ) اذا كانوا لا يعصون فكيف عصى ابليس وهو منهم وكيف علم الملكان الناس السحر وتعليم السحر حرام ؟

( قلنا ) ان ابليس ليس منهم وانما كان معهم لأمر ما فكان مأمورا بالسجود لآدم كما سبق ، والملكان هاروت وماروت أنزلهما الله عز وجل لتعليم الناس السحر وتحذيرهم منه ، وهذا أمر أمرهما الله به فليس معصية ولا كفرا وانما هو ابتلاء من الله للناس كما يتعلمون الآن من العلوم ما يستطيعون به الافساد والاصلاح .

٤ — وأما أن الجن يأكلون ويشربون فله دلائل كثيرة فى السنة المطهرة ، فمن ذلك ما رواه مسلم وأبو داود عن علقمة قال : قلت لابن مسعود رضى الله عنه : هل صحب النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن أحد منكم قال : ما صحبه منا أحد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه فى الأودية والشعاب فقلنا استطير أو أغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، قال : « أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن » قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، فسألوه الزاد فقال : « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحما ، وكل

بعرة علف لدوابكم » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم» هذا لفظ الحديث فى كتاب مسلم ، والذى فى كتاب أبى داود: «كل عظم لم يذكر اسم الله عليه » وأكثر الأحاديث تدل على معنى رواية أبى داود ، وقال بعض العلماء رواية مسلم فى الجن المؤمنين والرواية الأخرى فى حق الشياطين ، وهذا الجمع مستبعد فان الذين سألوه هم المؤمنون .

ومن ذلك ما رواه ابن العربى بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشى اذ جاءت حية فقامت الى جنبه فأدنت فاها من أذنه وكأنها تناجيه ــ أو : نحو هذا ــ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « نعم » فانصرفت . قال جابر : فسألته فأخبرنى أنه رجل من الجن ، وأنه قال : مر أمتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة ، فان الله جعل لنا فى ذلك رزقا . ومعنى الرمة « العظام البالية » ، وهى بكسر الراء وتشديد الميم .

ومن ذلك ما رواه مالك ومسلم وأبو داود والترمذى من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يأكلن أحد منكم بشماله ولا يشربن بها فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها » .

ومنها ما رواه مسلم وأبو داود عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، قال : كنا اذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضع يده ، وانا حضرنا مرة معه طعاما ، فجاء أعرابى كأنما يدفع فذهب ليضع يده ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، ثم جاءت جارية كأنما تدفع فذهبت لتضع يدها فى الطعام ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها ، قال : « ان الشيطان ليستحل الطعام الذى لم يذكر اسم الله عليه ، وانه جاء بهذا الأعرابى ليستحل به ، فأخذت بيده ، وجاء بهذه الجارية يستحل بها فأخذت بيدها ، فوالذى

نفسى بيده وان يده فى يدى مع أيديهما » .

ومنها ما رواه أبو داود عن أمية ابن مخشى رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يأكل ولم يسم الله تعالى ، حتى اذا لم يبق من طعامه الا لقمة ، فلما رفعها الى فيه قال : بسم الله أوله وآخره ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : «مازال الشيطان يأكل معه ، فلما ذكر اسم الله استقاء ما فى بطنه » .

٥ ـ وأما أن الجن ينقسمون الى ذكور واناث ويتناكحون ويتناسلون فمن أدلته قوله تعالى فى وصف الحور العين : « لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ٥٦ و ٧٤ ـ الرحمن . أى لم يباشرهن المباشرة المزيلة للبكارة انس قبل أزواجهن ولا جان . وهذا يدل على أن الجان يستطيع أن يفض بكارة الأنثى كما يستطيع ذلك الانسان ، وفى ذلك اشارة الى أن فيهم اناثا وذكورا وأنهم يتناكحون.

ومن الأدلة آية الكهف التى سبق ذكرها قريبا ، وهى قوله تعالى : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ؟ » فهى صريحة فى أن لابليس ذرية أى أولادا ، وهو يدل على أن الجن يتناكحون ويتناسلون

وفى المسألة أحاديث كثيرة تدل على امكان المناكحة بين الجن والانس وعلى وقوع ذلك،ولا نطيل بذكرها.

٦ ـ وأما أن الجن ليسوا معصومين عن الكفر والفسق والعصيان ، فمن أدلته قوله تعالى حكاية عن كلام الجن : « وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا» وقوله: « وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » وقوله : « وأنامنا الصالحون ومنادون ذلك كنا طرائق قددا » وقوله : « وأنامنا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا .. وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا» سورة « الجن » .

قال شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية : لم يخالف أحد من طوائف

المسلمين فى وجود الجن ، وجمهور طوائف الكفار على اثبات الجن ، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كاقرار المسلمين ، وان وجد فيهم من ينكر ذلك فكما يوجد فى بعض طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك فان كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك،وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء عليهم السلام توترا معلوما بالاضطرار ، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء سفلاء فاعلون بالارادة مأمورون ، منهيون ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالانسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة . فلما كان أمر الجن متواترا عن الأنبياء عليهم السلام توترا ظاهرا يعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة من طوائف المؤمنين بالرسل أن تنكرهم، فالمقصود هنا أن جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب وكذلك عامة مشركى العرب وغيرهم من أولاد سام ، والهند وغيرهم من أولاد حام،وكذلك جمهور الكنعانيين واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث، فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن بل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم والطلاسم والرقى مما فيه عبادة للجن وتعظيم لهم ، وعامة ما بأيدى الناس من العزائم والطلاسم والرقى التى لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التى لا يفقه بالعربية معناها لأنها مظنة الشرك وان لم يعرف أنها شرك وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رخص فى الرقى ما لم تكن شركا وقال : من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل وقد كان للعرب ولسائر الأمم من ذلك أمور يطول وصفها ، وأخبار العرب فى ذلك متواترة عند من يعرف أخبارهم من علماء المسلمين وكذلك عند غيرهم ولكن المسلمين أخبر بجاهلية العرب منهم بجاهلية سائر الأمم ، ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة والأطباء ونحوهم أما أكابر القوم فالمأثور عنهم اما الاقرار بهم واما أن يحكى عنهم قول فى ذلك ومن

المعروف عن أبقراط أنه قال فى بعض المياه انه ينفع من الصرع لست أعنى الصرع الذى يعالجه أصحاب الهياكل وانما أعنى الصرع الذى تعالجه الاطباء ، وأنه قال طبنا مع طب أهل الهياكل كطب العجائز مع طبنا وليس لمن أنكر ذلك حجة يعتمد عليها تدل على النفى وانما معه عدم العلم اذا كانت صناعته ليس فيها ما يدل على ذلك كالطبيب الذى ينظر فى البدن من جهة صحته ومرضه الذى يتعلق بمزاجه وليس فى هذا تعرض لما يحصل من جهة النفس ولا من جهة الجن وان كان قد علم من طبه أن للنفس تأثيرا عظيما فى البدن أعظم من تأثير الأسباب الطبية وكذلك للجن تأثير فى ذلك قال صلى الله عليه وسلم : «ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وهو البخار الذى تسميه الاطباء الروح الحيوانى المنبعث من القلب السارى فى البدن الذى به حياة البدن » ا هـ

**على حسن البولاقى**

---

## روعة الخلق

لو كان الهواء ارفع كثيرا مما هو ، فان بعض الشهب التى تحترق الان كل يوم بالملايين فى الهواء الخارجى ، كانت تضرب فى جميع اجزاء الكرة الارضية . وهى تسير بسرعة تتراوح بين ستة اميال واربعين ميلا فى الثانية ، وكان فى امكانها أن تشعل كل شىء قابل للاحتراق ولو كانت تسير ببطء رصاصة البندقية ، لارتطمت كلها بالارض ولكانت العاقبة مروعة . اما الانسان فان اصطدامه بشهاب ضئيل يسير بسرعة تفوق سرعة الرصاصة تسعين مرة ، كان يمزقه اربا من مجرد حرارة مروره .

## العلم يدعو الى الايمان

# صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ١٤ —

## جزيرة الروضة

— ٢ —

**قلعة الروضة :**

كما أن الظروف السياسية دفعت أحمد بن طولون لانشاء حصن بجزيرة الروضة فقد دفعت الصالح نجم الدين أيوب ( ٦٣٧ — ٦٤٧ ) الى انشاء قلعة الروضة .

فقد كان الهم الأكبر للدولة الأيوبية طول عمرها القصير الذى استمر ٨١ عاما تقريبا (٥٦٧—٦٤٨) هو مكافحة من كانوا يسمون بالصليبيين الذين اشتد ضغطهم للاستيلاء على الشام وفلسطين . وانتصارات صلاح الدين الأيوبى عليهم فى كثير من المواقع أشهرها معركة حطين سنة ٥٨٢هـ (١١٨٦م). واسترداد بيت المقدس وغيره من المدن والمواقع خبر معروف وليس هنا مكانه .

وقصد الصليبيون الاستيلاء على مصر ثلاث مرات . وكانت المرة الأولى فى أواخر عهد الفاطميين . فلما اشتد التنافس بين ضرغام وشاور على وزارة العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين . وتغلب ضرغام . استنجد شاور بالسلطان نور الدين بن زنكى وكان يملك دمشق وأغلب الشام . فأرسل معه أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين بن أيوب . وأمكن لشيركوه هزيمة ضرغام وقتله . ثم اختلف شاور مع شيركوه . فراسل شاور الأفرنج ليعينوه على أسد الدين شيركوه.

وأطمعهم فى تملك مصر وعاد شيركوه الى الشام واشتد طمع الأفرنج فى مصر . حتى تسلموا أسوار القاهرة الفاطمية . وأعدوا فيها شحنة (قوة عسكرية) للمقاسمة فيما يتحصل فى العوايد والرسوم .

وساء أمر شاور واشتد عسفه وازدت اهانة الأفرنج للمسلمين . وأحرق شاور الفسطاط بحجة الخوف من استيلاء الأفرنج عليها . واستمر الحريق بها ٥٤ يوما حتى أتى على ما فيها وتركها خرابا وكاتب العاضد الفاطمى السلطان نورالدين سنة٥٦٤هـ (١١٦٨م) يستنجد بهفأرسل أسدالدين شيركوه ثانية.ومعه ابن أخيه صلاح الدين . على رأس قوة هزمت الأفرنج.وقتل شاور وتقلد شيركوه وزارة العاضد . ولكنه توفى بعد شهرين . فأقام العاضد صلاح الدين مكانه فى الوزارة . فاستبد صلاح الدين بالحكم . وانتهى به الأمرأن قطع خطبة العاضد . وخطب الخليفة المستضىء بالله بن المستنجد بالله .

وتوفى العاضد فى عاشوراء سنة٥٦٧ (١١٧١/٩/١٢م) بعد قطع اسمه من الخطبة بثلاثة أيام . وانتهى حكم الفاطميين . والمذهب الشيعى فى مصر . وبدأ عهد الأتوبيين .

والمرة الثانية من قصد الافرنج لمصر كانت فى عهد الكامل الأيوبى (٦١٥ ــ ٦٣٥هـ) والكامل ابن أخى صلاح الدين وهو الخامس من سلاطين بنى أيوب .

فقد استولى الافرنج على دمياط سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩م) بعد حصار سبعة عشر شهرا تقريبا . وأنشأ الكامل وقتها مدينة المنصورة لتكون مركزا له ولقواته فى صد العدو . وتقدم نحو المنصورة . وأخيرا أمكن للمسلمين التغلب عليهم وتم الاتفاق فى رجب سنة ٦١٨ هـ ( ١٢٢١ م ) على جلائهم عن دمياط بعد أن مكثت فى أيديهم مايقرب من السنتين. وأعطى الأفرنج عشرين ملكا وأميرا بصفة رهائن لتنفيذ الاتفاق . كما قدم الكامل ابنه الصالح نجم الدين أيوب بصفة رهينة .

والمرة الثالثة بعد الثانية بحوالى ثلاثين عاما . فقد عاد الافرنج سنة ٦٤٦فى عهد الصالح نجم الدين أيوب

واستولوا على دمياط ثانية لمدة سنة تقريبا ثم أمكن للمسلمين سنة ٦٤٧ التغلب عليهم • وأسر لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية • واستمر فى الأسر ٣٢ يوما • حتى افتدى نفسه بمبلغ كبير من المال(١)• مع الجلاء عن دمياط • وكان الافرنج قد حصنوها تحصينا يجعلها تصد أى هجوم •

وكان الصالح ولى عهد أبيه الكامل • ثم غضب عليه فجعل ولاية العهد للعادل الثانى بن الكامل • الذى تولى بعد أبيه ما يقرب من السنتين•ثم تغلب الصالح على أخيه• وخلعه وتولى الحكم من ٦٣٧ — ٦٤٧ هـ كما سبق ذكره •

وكان الصلح مشاركا لأبيه فى شؤون الحكم • فاستشعر الخطر على مصر وطمع الأفرنج فيها • فلما تولى الحكم شرع فى تحصين نفسه سنة ٦٣٨ هـ • كما فعل ابن طولون• بانشاء قلعة بجزيرة الروضة • لجعلها مركزا للدفاع عن البلاد • اذا تقدم الافرنج للداخل ولم يمكن صدهم •

وكانت جزيرة الروضة ملكا للمظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب • وتقى الدين عمر كان ابن أخى صلاح الدين الأيوبى • وهو والد وجد الملوك الذين حكموا ولاية حماة بصفتهم نوابا عن سلطان مصر لمدة تقل قليلا عن القرنين وآخرهم أبو الفدا المؤرخ المعروف •

وكان صلاح الدين بالشام • فأرسل ابنه العزيز عثمان لينوب عنه فى حكم مصر • وطلب تقى الدين عمر اليه بالشام • وتحقق لتقى الدين عمر أنه لن يعود الى مصر • وكان من أملاكه الدار المعروفة بمنازل العز بالفسطاط • وهى أصلا قصر يطل على النيل كان ملكا للسيدة تغريد زوجة المعز لدين الله الفاطمى

---

(١) توفى لويس التاسع فى حملة صليبية اخرى على تونس سنة ٦٦٩ هـ . واستمرت الحروب الصليبية حتى عهد الأشرف خليل بن قلاوون ( ٦٨٩ — ٦٩٣ هـ ) حيث تمكن من استرداد عكا وصيدا وصور وبيروت وانطرسوس . وبذلك طهر الشام وسواحله منهم نهائيا . بعد أن لوثوه باحتلالهم ما يقرب من القرنين .

ووالدة ابنه العزيز . وكان صلاح الدين وهبها له فاتخذها سكنا . فلما تقرر انتقاله جعل هذه الدار مدرسة عرفت بالمدرسة التقوية . وأوقف عليها جزيرة الروضة بتمامها.

فاستأجر الصالح نجم الدين الجزيرة سنة ٦٣٨ من القاضى المعروف بابن السكرى مدرس المدرسة المذكورة . وله مباشرة أوقافها لمدة ستين سنة . فى دفعتين فى كل دفعة قطعة . القطعة الأولى من البحر شمال جامع غين المعروف موضعه الآن بزاوية الأباريقى بالقرب من مكتب بريد الملك الصالح. وسيأتى ذكره باذن الله . والقطعة الثانية باقى الجزيرة . وأنشأ الصالح القلعة فى القطعة الثانية . وتسلمت القطعة الأولى للوقف بعد نهاية مدة الايجارة سنة ٦٩٨ هـ . ثم تنوسيت مع تقادم الزمن هذه الايجارة واعتبرت من أملاك الدولة بوضع اليد ( الخطط التوفيقية لعلى مبارك حـ ١٨ ص ١٨ عن كوكب الروضة للسيوطى ) .

فوقع الهدم فى المساجد والدور والقصور التى كانت بالجزء الجنوبى من الجزيرة . بجانب المقياس . وأنشأ القلعة . وجعل بها ستين برجا دائرا حولها . وملأها بالغلال والمؤن والأقوات . ونقل اليها العمد الصوان والرخام من المعابد المصرية القديمة . وشحنها بالأسلحة وأدوات الحرب . وبالغ فى الاجتهاد فيها والأنفاق عليها . حتى قيل أن كل حجر منها تكلف دينارا .

ولعل الصالح كان يرى أن موقع هذه القلعة بالجزيرة يحيط بها الماء من كل جهة أفضل استراتيجيا من قلعة الجبل التى أنشأها صلاح الدين . واتخذها الكامل مقرا للحكم . أو لعله أراد ـ فضلا عن التحصين ـ أن يتخذها متنزها وسكنا خاصا يحوى أمواله وذخائره وحريمه ومماليكه الذين أكثر من شرائهم . وعرفوا باسم المماليك البحرية نسبة لنشأتهم بالجزيرة بين أحضان بحر النيل . والذين وصل بهم الأمر أخيرا أن أدالوا دولة

الأيوبين وحلوا محلهم فى الحكم •

وبلغت عدة الجوامع التى هدمها الصالح بالجزيرة ٣٣ جامعا كما قيل • وأظن فى هذا الرقم بعض المبالغة • وهـدم البستان المختار والهودج • وقطع ألف نخلة مثمرة فائقة الثمار كان يتهادى ثمارها الملوك •

وفى هدم أحد هذه المساجد خبر يذكر للعظة والعبرة •

فقد أمر بهدم مسجد بعينه ليقيم مقامه قاعة من قاعات القصر بالقلعة• وتلكأ من كلف بذلك • كراهـة فى هدم المسجد • وأحس الصالح بهذا التلكؤ • فكلف آخر بهدم المسجد ليلا • ونفذ الأمر • وبنيت القاعة • ولكن لم يدخلها الصالح •

فقد قدم الافرنج • وخرج الصالح بعسـاكره اليهم • وتوفى الصـالح أثناء المعركة • وأخفت زوجته شجرة الـدر خبر وفاته عـن الجيش حتى لا تتزعزع أحوالهم • وكانت تصدر الأوامر كأنهـا منه • وأرسلت سرا الى ابنـه توران شاه • وكان غائبا بالشام • فقـدم • وأمكن هزيمـة الأفرنج • وأسر لويس التاسع كما سبق ذكره • ثم أساء توران شـاه التصرف مع اماليك البحرية • فقتلوه فى المحـرم سـنة ٦٤٨ هـ ( أبريل سنة ١٢٥٠ م ) • وأقاموا شجرة الدر فى الحكم • ولعلهـا المرأة الوحيدة التى حكمت فى الاسـلام بصـفة رسمية •

وحمـل جثمان الملك الصالح فى مركب • وأتى به الى الروضـة • وحفظ جثمانه فى تلك القـاعة التى أنشئت محل المسجد • حتى بنيت له تربته بجـوار مدرسته الصـالحية بجهة خان الخليلى • فنقـل اليهـا جثمانه •

**الجسـور والكبـارى حـول جزيرة الروضة :**

ذكرنا أنه عند الفتح العربى اشتد حصار العرب لحصن بابليون ( قصر الشمع ) • ولـما أوشك على السقوط فى أيديهم ترك المقوقس فيـه بعض القوات • وانحاز بمن معه من جموع

القبط والروم الى الجزيرة • وقطع الجسر بين الفسطاط والجزيرة •

هذا الجسر كان من مراكب من البر الى البر • ويربط بعضها ببعض • وتوضع عليها ألواح خشبية • ثم تكس هـذه الألواح بطبقـة من التراب • فيمكن السير عليها • والمـاء يمر من تحتها •

واستمرت هذه الطريقة فى عمـل الجسـور على النيل • فبعد الفتح أعيد هذا الجسر • وكان يقابله جسر آخر بين الجزيرة والجيزة • وقـد جدد الخليفة المـأمون عندما قـدم مصر سنة ٢١٧ هـ ( ٨٣٢ م ) عمل هـذين الجسرين • وكانا موجودين عندما قدم جوهر القائد سنة ٣٥٨ هـ من المغرب لفتح مصر • فعبر عليهما بجيشـه الى الفسـطاط • واعتنى كثيرون من الحكام بدوام الاتصال بالجزيرة بهذه الطريقة •

ولـما أنشـأ الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٨ هـ ( ١٢٤٠ م ) قلعـة الروضة • أقام جسرا بين الجـزيرة والفسطاط عرضـه ثلاث قصبات ـ ( ١١ مترا و ٥٥ سم لأن القصـبة كانت ٣ مترا و ٨٥ سم وقتذاك ) (١) وكان لا يمر عليه أحـد راكبا غير السلطان • أما غيره فيترجلون عند عبوره • وكان هـذا الجسر مكان الجسر القديم •

وقـد ذكرنا مقتل الخليفة الآمر بأحـكام الله الفاطمى سنة ٥٢٤ هـ عند رأس هـذا الجسر بالقرب من الهودج • وقال المؤرخون أن رأس هـذا الجسر كان يقابل جنوبى دار النحـاس بالفسطاط • وبذلك كان موقعه هو موقع كوبرى الملك الصالح الحالى • أو شمالا منه بقليل •

واستمرت هذه الطريقة فى عمـل الكبـارى على النيـل حتى العصر الحديث •

فقد ذكر الجبرتى فى كتابه المسمى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار)

---

(١) بحث لكاتب المقال عن الذراع وحدة قياس نشر بمجلة الازهر فى ذى الحجة سنة ١٣٩٣ هـ ( يناير سنة ١٩٧٤ م ) • .

أنه عندما قدم ابراهيم باشا بن محمد على من الحجاز فى صفر سنة ١٢٣٥هـ • ( ديسمبر سنة ١٨١٩ م ) بعد تغلبه على الوهـابيين • حضر عن طـريق القصير • فنودى بزينـة المدينـة ــ يعنى العـاصمة ــ سـبعة أيام بلياليها • وبات ابراهيم باشا بجزيرة الروضة بقصر شريف بك المطل على النيل تجـاه الجيزة • وكانوا قـد هيـأوه له • وزينوا له فى اليـوم التالى موكبا دخل به من باب النصر • وعلى رأسه شعار الوزارة • وشـق الموكب بالمدينة فى الشـارع الأعظم ( شارع المعز لدين الله حاليـا ) • وحضر والده الى الغـورية بقصـد الفرجة على موكب ابنه • ووصـل الموكب الى القلعـة ( يعنى قلعـة الجبل ) • ثم صار الى جهـة مصر القديمـة • حيث عبـر النيـل الى الروضـــة • على جسر عملوه من المراكب ربطت بعضها ببعض من البر الى البر وردموا فوق المراكب الأتربة حتى يتمكن الموكب من السير عليها •

ومن هذا الخبر نفهم أنه لم يكن هناك جسر وقتذاك • وأن طريقـة عمل الجسـور من المراكب كما كان متبعا أهملت فى عهد الحكم العثمانى كما شمل الركود كثيرا من نواحى العمران غير ذلك •

وقـد ذكرنا انشاء كوبرى قصر النيل سـنة ١٨٧٢ (١) • وكوبرى

---

(١) أقدم الكبارى على النيل ــ اذا استثنينا القناطر الخيرية ــ هى التى انشئت لتخدم خط السكة الحديدية بين الاسكندرية والقاهرة . فقد بدىء بانشاء هذا الخط سنة ١٨٥٢ فى عهد عباس حلمى الاول . بالاتفاق مع روبرت سـتيفنسون مخترع القـاطرة البخـارية . وتم هـذا الخط سنة ١٨٥٦ . وكان اول خط سكة حديدية فى الشرق كله .

فانشىء كوبرى بنها سنة ١٨٥٦ لمرور خط مفرد من السكة الحديدية. وانشىء كوبرى كفر الزيات فى سنة ١٨٥٧ ــ ١٨٥٩ لمرور خط مفرد ايضا . ثم تقوى الكوبريان فيما بعد لمرور خط مزدوج .

والمقصود تاريخ انشاء الكبارى القديمة . . فقد انشىء بدلهما أخيرا .

اما كوبرى انبابة فقد انشىء سنة ١٨٩٠ ليسير عليه خط مفرد أيضا . وتقوى بعد ذلك . ثم أنشىء شمالا منه الكوبرى الحالى وانتهى العمل فيه سنة ١٩٢٥ . وقبل انشاء كوبرى انبابة . كانت نهاية خط السكة الحديدية محطة انبابة . ثم يعبرون النيل عندها بالمراكب الشراعيـة شرقا أو غربا لاستكمال الرحلة من او الى الصعيد . ( ملحق تقويم النيل لأمين باشا سـامى ) .

البحر الأعمى المسمى حاليا كوبرى الجلاء سنة ١٨٧٧ فى عهد اسماعيل . وكانا أول وثانى الكبارى الثابتة على النيل مقابل العاصمة . ونذكر هنا الكبارى المحيطة بجزيرة الروضة .

**كوبرى الجيزة ( او كوبرى عباس سابقا ) :**

**على فرع النيل الغربى :**

افتتح للمرور فى ١٩٠٨/٢/٦ . وكان طوله ٥٣٥ مترا وعرضه ٢٠ مترا منها ٥ أمتار للافريزين وكان اسمه كوبرى عباس لأنه تم فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى . وبعد الثورة سنة ١٩٥٢ أطلق عليه كوبرى الجيزة .

وظهر به الخلل وعدم الكفاية لمقتضيات العصر الحديث من حيث قوة التحمل . فرمم مرارا . ثم تقرر انشاء كوبرى آخر مكانه فأوقف المرور عليه فى ١٩٦٧/٢/١ . وشرع فى ازالة الكوبرى القديم وانشاء الكوبرى الجديد الحالى . وكان المفروض أن يتم فى ثلاث سنوات . ولكن نظرا لظروف العدوان الاسرائيلى فى يونية سنة ١٩٦٧ تأخر بعض الوقت ولم يتم الا فى سنة ١٩٧١ . وهو أكثر عرضا من الكوبرى السابق .

وكانت طريقة عمل الكبارى السابقة جعل جزء من الكوبرى يتحرك على صينية لامكان فتح الكوبرى لمرور المراكب الشراعية . وكان فى هذا تعطيل للمرور فوق الكبارى . فلجأوا الى عمل الكبارى الثابتة . وبها انحناء تدريجى أعلاه فى الوسط لمرور المراكب . على أن تكون قلوع المراكب الشرعية بمفصلات ليمكن أن تنطبق عند مرورها . تحت الكوبرى .

والكبارى التى أنشئت بعد الثورة سنة ١٩٥٢ أنشئت بهذه الطريقة .

**كوبرى الملك الصالح على الفرع الشرقى للنيل :**

وهو مقابل كوبرى عباس السابق ذكره . وافتتح للمرور أيضا سنة ١٩٠٨ وكان طوله ٨٣ مترا . وعرضه

١٥ مترا منها ٣ أمتار للأفريزين • ثم أزيل وأقيم آخر مكانه أكثر عرضا منــه وافتتــح رسميا للمــرور فى ١٩٦٦/٧/٢٤

**كوبرى محمد على على الفرع الشرقى النيل :**

قريبا من سراى الأمير الســابق محمد على توفيق • وهو يبعد عن السراى بحوالى المــائتى متر • وهو غير كوبرى المنيل المجاور للســور البحــرى للسراى مباشرة • وآتى ذكره •

وقــد افتتح كوبرى محمد على سنة ١٩٠٨ وطوله ٦٧ مترا وعرضه ١٥ مترا منها ٣ أمتار للأفريزين •

وأنشئت بعد الثورة سنة ١٩٥٢ ثلاث كبارى أخرى بجزيرة الروضة•

كوبرى المنيل على الفرع الشرقى للنيل بجوار السور البحرى لسراى محمــد على كما ذكر وهــو مقابل كوبرى الجامعة الآتى ذكره •

كوبرى فم الخليج على الفــرع الشرقى للنيل أيضا شمال ميــدان فم الخليج بقليل •

كوبرى الجامعة على الفرع الغربى للنيل بجزيرة الروضة • يصــل الى الجيزة بالميدان الذى نقل اليه تمثال نهضة مصر للمثال محمود مختار من مكانه الســابق بميدان رمسيس • ونقــل الى ميــدان رمسيس تمثال رمسيس الثانى بعد أن ظل ملقى على الأرض فى ميت رهينــة حــوالى ٣٥٠٠ سنة •

ويؤدى امتداد كوبرى الجامعــة الى جامعة القاهرة بالجيزة !

وعرضــه ٣٠ مترا وطــوله ٤٨٤ مترا • وبلغت تكاليفه ٠٠٠ر٤٠٠ر١ جنيه مليونا وأربعمائة ألف جنيه • واستمر العمل فيه من سنة ١٩٥٥ ــ سنة ١٩٥٧

ولاستكمال الصــورة نذكر أن كوبرى بولاق المعــروف بكوبرى ( أبو العلا ) على الفرع الشرقى للنيل بجزيرة الزمالك • ويقابله على الفرع الغربى للنيل كوبرى الزمالك فقد فتحا للمرور سنة ١٩١٢ فى عهــد عباس حلمى الثانى أيضا •

**الترام بجزيرة الروضة :**

وكان الترام يسير بجزيرة الروضة مخترقا شارع الروضة بين كوبرى الملك الصالح وكوبرى الجيزة ( عباس ) • ولم يكن هكذا عند بدء سير الترام بالقاهرة •

فقد تأسست شركة الترام سنة ١٨٩٤ م • وكان امتيازها أولا لثمانية خطوط منها ستة تبدأ من العتبة الخضراء الى بولاق والعباسية والقلعة ومصر القديمة وغيرها • وكان الذاهب الى الجيزة يركب الترام الى فم الخليج عن طريق شارع القصر العينى • ومن فم الخليج يركب زورقا بخاريا الى الشاطىء الغربى للفرع الغربى للنيل حيث ينتظره هناك ترام آخر •

وقد احتفل فى ١٨٩٦/٨/١ بسير أول مركبة كهربائية فى شوارع العاصمة • وركب الترام وقتذاك ناظر (وزير) الأشغال وكبار موظفى الوزارة من بولاق الى العتبة ثم الى القلعة وغص ميدان العتبة بالمدعوين من الأمراء والنظار والعظماء وكبار الموظفين والأعيان ومحافظ العاصمة وقناصل الدول ورجال القضاء • وكان مدير الشركة يرحب بالمدعوين • وسارت المركبات بهم الى القلعة بين جماهير المتفرجين • ثم عادت الى مقر الشركة ببولاق حيث قدم للمدعوين المرطبات • وكان تعليق الجرائد على الترام أنه سريع يسابق الريح •

وكان أجر الركوب ستة مليمات للدرجة الأولى وأربعة مليمات للدرجة الثانية • ولم يكن للحكومة نصيب فى أرباح الشركة أولا • ثم تداركت الأمر سنة ١٩٠٨ فتقررت لها نسبة ٥٪ من ايراد الشركة تدفع شهريا ( الترام للأستاذ محمد سيد كيلانى ) •

ومن الفكاهات التى قيلت عن تسيير الترام وقتذاك ووردت فى الكتاب المذكور أنه سئل أحدهم كيف يسير الترام ؟ فأجاب : لازم مركبين فيه حمير من تحت !

وفى سنة ١٩٠٨ سيرت الشركة الترام من العتبة الى الجيزة رأسا عن طريق الروضة بعد انشاء كوبرى عباس وكوبرى الملك الصالح • كما أنها سيرت سنة ١٩١٢ الترام للجيزة رأسا عن طريق الزمالك بعد انشاء

كوبرى بولاق (أبو العلا) وكوبرى الزمالك •

وفى سنة ١٩٥٦ أبطل سير الترام من شارع القصر العينى كما أبطل قبل ذلك من شارع ٢٦ يوليـة (فؤاد الأول سابقا) ورمسيس وغيرها من الشوارع الهامة لاعتباره معوقا لحركة المرور السريعة الحديثة • فأصبح لايوجد ترام الى فم الخليج ومصر القديمة• وبالتالى لا يوجد ترام بالروضة •

**عود الى قلعة الروضة والظاهر بيبرس :**

ذكرنا أنه بعد وفاة الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ هـ تولى ابنه المعظم توران شاه • أثناء مقاومة الافرنج عند المنصورة • ثم قتله المماليك البحرية فى المحرم سنة ٦٤٨ هـ • وتولت شجرة الدر الحكم • وتلقبت بعصمة الدين أم خليل الصالحية •

وكانت ولاية سيدة لشؤون الحكم حدثا قوبل بالاستهجان من جميع الطبقات • وأخصها الخليفة العباسى فى بغداد • وكانت له السيادة الروحية • والحاكم فى مصر يستمد شرعية حكمه منه • فلبثت شجرة الدر فى الحكم أقل من ثلاثة شهور (من ١٠ صفر الى آخر ربيع الآخر سنة ٦٤٨ هـ) • فتنازلت وتزوجت المعز عز الدين أيبك التركمانى — أحد مماليك الملك الصالح البحرية — الذى تولى الحكم باللقب المذكور •

واختلف المعز أيبك مع زملائه المماليك البحرية • وعلى رأسهم بيبرس وقلاوون — اللذان توليا الحكم فيما بعد • فحصرهم فى القاهرة الفاطمية بقصد ابادتهم • فاتجهوا الى باب كان معروفا باسم باب القراطين بالسور الشرقى للمدينة فوجدوه مغلقا • فأحرقوه • ونفذوا منه هاربين الى الشام • وعرف الباب المذكور من ذلك التاريخ باسم الباب المحروق •

وأمر المعز أيبك بهدم قلعة الروضة • وأخذ من أنقاضها مابنى به مدرسة أنشأها بالفسطاط كان اسمها المدرسة المعزية • وأخذ بعض أعيان الدولة من أخشاب

القلعة وشبابيكها ورخامها جانبا • وباع البعض جانبا آخر • وظلت تمتد لها الأيدى حتى تولى الظاهر بيبرس الحكم ( ٦٥٨ ــ ٦٧٦ هـ )

وهو الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى • وقع أسيرا فى زحف التتار • فاشتراه أحد تجار الرقيق • وباعه فى حماه الى أستاذه ( أى مالكه ) علاء الدين ايدكين البندقدار • والبندقدار هو من يحمل غرارة البندق خلف السلطان أو الأمير • والبندق كرات صغيرة من الحجر أو الرصاص تستعمل فى صيد الطيور • ولما صادر الصالح نجم الدين أيوب أستاذه أيدكين البندقدار المذكور • آل بيبرس الى الصالح نجم الدين • ومن هنا كانت نسبته البندقدارى الصالحى •

وكان للمماليك البحرية فضل فى هزيمة الصليبيين سنة ٦٤٧ هـ ( ١٢٤٩ م ) فى المعركة التى أسر فيها لويس التاسع • وتوفى الملك أثناءها • وأظهر بيبرس شجاعة فائقة فى تلك المعركة مما قدمه على زملائه • ثم هربوا من المعز أيبك للشام كما سبق ذكره •

وقتل المعز أيبك سنة ٦٥٥ ــ قتلته زوجته شجرة الدر • وتولى بعده ابنه المنصور على من ٦٥٥ ــ ٦٥٧ هـ • ثم انتزع منه الحكم المظفر قطز • وفى هذه الأثناء كان زحف التتار المخرب حتى قضوا على الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ • وتقدموا نحو الشام • فسقطت أغلب مدنه فى أيديهم • فحرقوا ونهبوا وسلبوا وسبوا وخربوا • وكان الموقف فى حاجة الى تناسى الأحقاد وتضافر الجهود • فانضم بيبرس وزملاؤه الى المظفر قطز •

وكان لبيبرس كبير الأثر فى الهزيمة التى أنزلها الجيش المصرى بالتتار فى عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ • ( ١٢٦٠ م ) وهى أول هزيمة لحقت بالتتار • فقد كان بيبرس يقود طلائع الجيش المصرى • وهى طلائع فدائية • جعلت صغيرة لتستدرج جيش التتار • بينما اختفى أغلب الجيش • حتى اذا تقدم التتار نحو الطلائع وبدأت المعركة ظهر الجيش وأحاط بهم • وتحقق النصر •

وشمخت أنوف البحرية بما كان لهم من فضل الانتصار • وفكر

قطز فى القضاء عليهم • فقد انتهت الحاجة اليهم • وشعروا بذلك • فبادروا الى قتله فى طريق عودته للقاهرة • وأقاموا بيبرس سلطانا • ودخل بيبرس القاهرة • وقد زينت لقطز • وجلس فى سرير الحكم • وتلقب بالقاهر ثم غير لقبه الى الظاهر •

واذا كان بيبرس هو الخامس من سلاطين المماليك البحرية فى ترتيب الحكم ( باعتبار شجرة الدر منهم ) • لكنه فى الواقع يعتبر المنشيء الحقيقى لدولة المماليك • فهو الذى مكن لها بفتوحاته الخارجية • واصلاحاته الداخلية • ووطد مركزها بنقل الخلافة العباسية للقاهرة يستمد منها الظاهر ومن تلاه منهم من سيادتها الروحية مسوغا شرعيا لحكم المماليك بعد أن كان من غير المستساغ حكم مملوك مشترى ( الظاهر بيبرس - للدكتور سيد عبد الفتاح عاشور ) •

واستمرت الخلافة العباسية فى مصر من سنة ٦٥٩ هـ حتى انتقلت الى سلاطين تركيا باستانبول سنة ٩٢٣ هـ ( ١٥١٧ م ) بعد الفتح العثمانى • (١)

ولا نريد أن نسترسل فى سرد تاريخى يخرجنا عن الموضوع •

فنذكر أن الظاهر بيبرس • بالحنين الطبيعى لمكان نشأة المماليك البحرية • وللاعتبارات الاستراتيجية التى أدت الى انشاء قلعة الروضة • فقد اهتم باعادة عمارتها • وتجديد أبراجها • ووزع هذه الأبراج على أمراء البحرية لصيانتها وحمايتها • فأعيدت للقلعة حرمتها ومكانتها •

وكان بالجزيرة عدد كبير من أشجار الجميز على النيل كان يقصده الناس للنزهة والترويح تحت ظله • فقطعه بيبرس لاستعمال أخشابه فى تجديد أسطوله الذى دمر فى حملة فاشلة على قبرص •

وبعد وفاة الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦ هـ تولى بعده اثنان من أولاده (السعيد بركة خان والعادل سلامش)

---

(١) اعلنت الجمهورية التركية سنة ١٩٢٢ م . والغيت الخلافة الاسلامية من تركيا سنة ١٩٢٤ م •

فترة قصيرة • ثم انتزع الحكم المنصور قلاوون ( ٦٧٨ — ٦٨٩ )• فامتدت يده الى القلعة • فأخذ من عمدها ورخامها وأعتابها شيئا كثيرا أدخله فى بناء المدرسة والمارستان بجهة بين القصرين من القاهرة الفاطمية •

ولما تولى الناصر محمد بن قلاوون ( ٦٩٣ — ٧٤١ ) (٢) أخذ أيضا من أنقاضها ليبنى الايوان الذى عرف باسم دار العدل فى قلعة الجبل • وللجامع الجديد الناصرى الذى اندثر ويرجح أن موضعه كان قريبا من فم الخليج •

وقال المقريزى ( الخطط ج ٢ ص ١٨٤ ) : وتأخر منها — يعنى القلعة بالروضة — عقد جليل تسميه العامة بالقوس كان مما يلى جانبها الغربى أدركناه باقيا نحو سنة ٨٢٠ ( ١٤١٧ م ) • وبقى من أبراجها عدة قد انقلب أكثرها وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل •

وبالروضة الآن شارع اسمه شارع قلعة الروضة يتفرع من شارع الروضة ويتجه جنوبا حتى يصب فى شارع المختار الساق ذكره •

كما أن هناك شارع المماليك البحرية شمال شارع المختار السابق ذكره وموازى له•ويصل بين الفرعين الشرقى والغربى للنيل • وبوسطه تقريبا ميدان المماليك البحرية به المحطة النهائية لبعض خطوط الأتوبيس •

وشمال شارع المماليك البحرية شارع الملك المظفر وموازى له•ويصل أيضا بين فرعى النيل •

ولا ندرى هل قصدت البلدية بهذا الاسم الملك المظفر قطز الذى هزم التتار فى عين جالوت وكان أصلا أحد المماليك البحرية • أو الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الذى كان يملك جزيرة الروضة • وأوقفها على المدرسة التقوية

---

(٢) يتخلل هذه الفترة خمس سنوات تقريبا فى أوائلها استبعد فيها الناصر من الحكم وتولى خلالها ثلاثة سلاطين . ثم استقام الحكم من سنة ٧٠٩ — ٧٤١ للناصر محمد بدون انقطاع .

بالفسطاط . واستأجرها الصالح نجم الدين أيوب لينشىء قلعة الروضة كما سبق ذكره .

ونرجح أن البلدية تقصد الملك المظفر تقى الدين عمر . فشمال النهاية الشرقية لشارع الملك المظفر شارع صغير يتفرع من شارع الملك الصالح أو سيالة الروضة اسمه شارع ابن السكرى . وهو اسم القاضى الذى كان ناظرا على وقف المظفر تقى الدين عمر واستأجر منه الصالح أيوب جزيرة الروضة .

وجنوبى النهاية الشرقية لشارع الملك المظفر شارع صغير اسمه شارع البسطامى نسبة لزاوية هناك معروفة باسم زاوية البسطامى . وذكرها على مبارك نقلا عن السيوطى فى كوكب الروضة باسم جامع الريس . وقال أنه رابع جامع أنشىء بجزيرة الروضة . وأرى أن هذا التحديد تنقصه الدقة اذا رجعنا الى ما بسطه من تاريخ هذه الزاوية . والى ما ذكر عن عدد الجوامع التى هدمها الصالح أيوب لانشاء قلعة الروضة .

وقد ذكر السيوطى أن أول الانشاء كان زاوية أنشأها محمد ابن أصيل بن مهدى من ذرية أبى يزيد البسطامى ( وهو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى من أئمة الصوفية توفى سنة ٢٦١ هـ ) . وكان الأنشاء سنة ٦٩٦ هـ بتصريح من السلطان المنصور حسام الدين لاجين . ثم أكد هذا التصريح سنة ٧٠٨ بتوقيع من السلطان المظفر بيبرس الجاشناكير .

ثم حوالى سنة ٧٧٠ هـ جعلت هذه الزاوية جامعا عرف بجامع الريس . نسبة لرئيس الخلافة فتح الدين صدقة بن ناصر الدين بن زين الدين فى سلطنة الأشرف شعبان بن الأمير حسين بن الناصر محمد ابن قلاوون .

والزاوية المذكورة موجودة للآن . وبها ضريح مكتوب على كسوته اسم أبى يزيد البسطامى .

ويهمنا من ذكر هذه الزاوية أنها كانت ملاصقة للسور الشمالى لقلعة الروضة .

وكان كثير من المبانى لغاية الأربعينات من هذا القرن يطل على الفرع الشرقى للنيل دون فاصل

وهو المعروف الآن بسيالة الروضة فنفذ شارع بجوار النيل بينه وبين المبانى من جنوبى الجزيرة حتى سراى محمد على توفيق • واطلق على هذا الشارع من جنوبى الجزيرة حتى كوبرى الملك الصالح اسم شارع الملك الصالح • ثم من الكوبرى المذكور لغاية سراى محمد على اسم شارع قصر النيل • ثم بعد الثورة سنة ١٩٥٢ تغير هذا الاسم الأخير الى اسم شارع متحف المنيل •

كذلك عند الفرع الغربى للنيل حول الجزيرة نفذ شارع من منطقة المقياس بأقصى الجنوب حتى فندق الميريديان بأقصى الشمال • يفصل بين النيل والمبانى المطلة عليه • واسمه شارع الملك عبد العزيز آل سعود تخليدا لذكرى العاهل السعودى • وكان هذا الشارع أول الأمر من المقياس حتى شمال كوبرى الجيزة ( عباس ) بقليل • ثم بعد الثورة سنة ١٩٥٢ نفذ الى النهاية الشمالية للجزيرة •

وفى فترة حصلت جفوة بين مصر والمملكة السعودية • فغير اسم هذا الشارع الى شارع جدة • ثم الى شارع الجزيرة العربية • ولكن ظل الاسم الأصلى على ألسنة الناس • حتى عاد الصفاء السياسى فأعيد الاسم الأصلى رسميا • ولم يكن من اللائق التفكير فى تغيير الاسم • ويبدو أن من فكر فى التغيير كان يشعر أيضا بالحرج • فاختيار الاسمين ـ جدة والجزيرة العربية • فيهما الحرص على الأخوة العربية •

وبكل أسف أقيمت عملية مياه بجنوبى الجزيرة فى السنوات الأخيرة • فقطعت هذا الشارع لتطل هذه العملية على النيل مباشرة • وكان من الممكن توصيل مياه المآخذ بمواسير تحت أرض الشارع • ولكنها بهذا عطلت دوران الكورنيش حول الجزيرة • وأصبحت هذه العملية عقبة فى سيولة الاتصال بمنطقة المقياس والمناسترلى • وهى منطقة أثرية وسياحية • ويمكن انشاء فندق عالمى هناك فريد فى موقعه • يحيط به الماء من ثلاث جهات • فيكون الميريديان فى شمال الجزيرة والفندق الجديد فى جنوبها ؟

**( يتبع ) محمد كمال السيد محمد**
**المحامى**

# قرارات المؤتمر العالمى للسيرة النبوية

انعقد مؤتمر السيرة العالمى الأول بالباكستان فى الفتـرة ما بين الأول والثانى عشر من شهر ربيـع الأول سـنة ١٣٩٦ هـ الموافق ١٢ مارس سـنة ١٩٧٦ م تحت اشراف وزارة الشئون الدينية ومؤسسة «همدرد» الوطنية •

وقد حضر هذا المؤتمـر عدد من قادة المسلمين وكبار العلماء من شتى بقـاع العـالم ـ وذلك تلبيـة لدعوة كريمة من حكومة باكستان •

وقد قرر المؤتمر مناشـدة الدول الاسلامية أن تعقد مؤتمرا سـنويا مماثلا للسيرة النبوية الشريفـة على مستوى عالمى تستضيفه الحكومات الاسلامية واحدة بعد أخرى •

ويناشد المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية العناية بتدريس السـيرة وجعلها جزءا أساسـيا فى برامـج الدراسة بالمراحل الابتدائية والثانوية وانشـاء كراسى بجامعاتهـا لتدريس السيرة كما يناشدها أن تحاول اقناع الجامعات الغربية بانشـــاء كراسى مماثلة بها •

وينـادى المؤتمـر الحـكومات الاسـلامية جميعا بتطبيق الشريعة الاسلامية وجعلها أساسـا لجميـع تشريعاتها •

ويطالب المؤتمـر الحـــكومات الاسلامية بالتضـامن وتوثيق عرى الأخوة الاسـلامية بينهـا ، والعمـل بشتى الوسائل على تجنب الخلافات وعلى الوصـول الى تفـاهم أخـوى ودى فى جميع القضايا التى تعنيها •

كمـا يناشـد المؤتمـر جميـع الحكومات الاسلامية بمزيد العنـاية

التامة وبذل كل الجهود فى نشر التعليم مع مضاعفة الجهود فى اجراء البحوث العلمية حتى فى مجال العلوم التكنولوجية الى مستوى الدول الغربية المتقدمة .

كما يناشد المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية بمزيد العناية فى نشر اللغة العربية وتدريسها بين مواطنيها حتى تصبح لغة الكتاب الكريم سائدة للتفاهم بين المسلمين فى جميع أنحاء العالم .

ويناشد المؤتمر الدول الاسلامية وجميع المعنيين الامتناع عن المشاركة فى اصدار فيلم عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والعمل على احباط هذا المشروع وعدم عرضه فى بلادهم وذلك لأن شخص المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يليق تصويره أو تمثيله .

وينصح المؤتمر بجمع ما دار بجلسات من مناقشات وما ألقى اثناءها من محاضرات فى كتاب ينشر ويوزع ــ وذلك بعد مراجعة كل ذلك والتأكد من السلامة من الخطأ وعلى أن ينص على أن صاحب كل محاضرة مسئول وحده عن فحواها .

ويؤكد المؤتمر ضرورة الأخذ على يد كل من يحاول تحريف النص القرآنى الكريم وانزال العقاب الصارم بمن يحاول استيراد نسخة قرآنية محرفة أو توزيعها .

وقد قرر المؤتمر بمناسبة توصيته فى الفقرة الثانية من هذه القرارات تأليف لجنة تأسيسية دائما للمؤتمر تكون مهمتها متابعة قرارات هذا المؤتمر الأول والتعاون فى الاعداد لعقد المؤتمرات السنوية فى الأعوام المقبلة ــ على أن تضع اللجنة قواعد أو نظاما لنفسها تسير على ضوئها ــ وعلى أن تتكون هذه اللجنة التأسيسية الدائمة من السيد معالى مولانا كوثر نيازى وزير الشئون الدينية بالباكستان كرئيس لها ــ والسادة الوزراء ورؤساء الوفود التى اشتراكت فى المؤتمر الأول من أفغانستان والأردن وأندونيسيا وايران وبنجلاديش وتركيا وجزر القمر وسوريا والكويت وكينيا

ولبنان وليبيا ومصر والمغرب ومالزيا والمملكة العربية السعودية وموريتانيا وموريسيس ونيجريا ودولة الامارات العربية المتحدة واليمن الشمالى •

كما قرر المؤتمر انشاء سكرتيرية دائمة للجنة التأسيسية الدائمة بمدينة اسلام آباد وعين السيد حكيم محمد سعيد سكرتيرا عاما لها ويساعده أربعة أمناء عامين مساعدين وهم : الدكتور محمد عبد الرءوف مدير المركز الاسلامى بواشطن ، والسيد حسن اقصائى وزير الأوقاف فى تركيا والسيد على المختار وكيل وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية ، والدكتور أحمد عبد الله من كينيا ، والشيخ عبد الله ابراهيم المفرح وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت•

ويوصى المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية بالتأييد التام للقضايا الاسلامية والعمل على تحقيق الأهداف الوطنية للاقليات أو المغلوب على أمرهم من المسلمين مثل اخوان المسلمين فى فلسطين وكشمير وقبرص وجزر القمر وأريتريا وتاليند وفلبين مع العناية أيضا بحال المسلمين فى أفريقيا بصفة خاصة •

كما يرى المؤتمر ضرورة بذل الجهود لدى حكومات الدول الغربية كى تيسر للاقليات الاسلامية بها الوسائل لاتباع شعائر دينهم وتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية فيما يتصل بالأحوال الشخصية من زواج ونحوه فى شأنهم •

ويوصى المؤتمر الحكومات الاسلامية بأخذ الوسائل اللازمة للحد من نشاط المبشرين بين مواطنيهم والعمل على انسحابهم بسلام من البلاد الاسلامية مع تشييد المؤسسات التعليمية والخيرية ليلجأ اليها المسلمون ويستفيدوا منها بدلا من المؤسسات التبشيرية •

كما يناشد المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية أن يجعلوا يوم الجمعة عطلة اسبوعية كما يوصى بدراسة امكان توحيد الأعياد والمناسبات الاسلامية •

ويوصى المؤتمر الحكومات والمؤسسات الاسلامية بالاعداد لاقامة مهرجان اسلامى كبير فى عام ١٤٠١ هـ •

ويعلن المؤتمر عن بالغ أسفه لاستمرار الاحتلال الصهيونى على مدينة القدس الاسلامية ويحتج بشدة على تعدى الاسرائيليين على حرمة الأماكن المقدسة بالقدس وحرم الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام وينادى بوجوب المحافظة على جميع المقدسات الاسلامية ـ واعادة هذه المقدسات الكائنة بفلسطين الى أهلها وبانسحاب الاسرائيليين من القدس وغيرها من الأراضى العربية المحتلة دون أى تأخير أو مماطلة ويعتبر المؤتمر أن القدس مسئولية فى عنق كل مسلم حيثما وجد .

ويؤكد المؤتمر أن الاسلام الذى لا يقبل اغتصاب ومصادرة الأراضى والممتلكات من أصحابها بأى وجه يفرض على المسلمين فى العالم تأييد حق اخوانهم الفلسطينيين بذلك يلفت المؤتمر نظر العالم المسيحى وبصفة خاصة فى البلاد الغربية الى ما لحق شعب فلسطين من غبن فادح من أجل اقامة وطن يهودى فى بلادهم مما يتنافى مع أبسط قواعد العدالة ومع تعاليم المسيحية وسائر الأديان لذلك يناشد المؤتمر العالم الغربى بالعطف على حق الفلسطينيين واصلاح الأوضاع بمحو ما لحق بهم من ظلم وغبن .

والمؤتمر وقد سره أن تعلم بالمسابقة العالمية التى أعلنت عنها رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة لأحسن بحث يقدم عن السيرة النبوية الوارد تفصيلها فى الملحق المرافق يهنىء الرابطة على هذا العمل الجليل ويدعو الحكومات والمسئولين أن يحذوا حذوا الرابطة فى هذه الخطوة الحكيمة وأن يخصصوا صندوقا ماليا للانفاق منه على نشر الكتب والمؤلفات عن السيرة النبوية الشريفة .

كما يوصى المؤتمر اتباعا لقوانين الشريعة الاسلامية بأن يعامل ككافر كل من يدعى النبوة أو يسلم بها لأى شخص بعد الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم آخر الرسل وخاتم النبيين .

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **الاسلام والعصر الحديث :**

**تأليف : العلامة وحيد الدين خان**

**الناشر : المختار الاسلامي ـ القاهرة**

العلامة المفكر الاسلامي : وحيد الدين خان ، ليس في حاجة الى التعريف به ، فهو الذي قدم للمكتبة الاسلامية من قبل: الاسلام يتحدى، والدين في مواجهة العلم . وحكمة الدين ، والمفكر الاسلامي الهندي الكبير الأستاذ وحيد الدين خان ، ليس ككثير من كتابنا الاسلاميين الذين يملكون القدرة على الكتابة، وفي استطاعتهم أن يسودوا آلاف الصفحات ليحولوها الى كتب ، تتخم بها المكتبات دون أن يكون لها صدى في نفوسنا أو في تفكير شبابنا المسلم المتعطش الى الفكر الاسلامي الجاد ، وانما مفكرنا الكبير من الكتاب الاسلاميين القلائل الذين يعدون على الأصابع، والذين قد اشتقوا لأنفسهم طريقا وعرا ، لأنهم يملكون القدرة على التفكير لا القدرة على الكتابة وحدها ، هذا الطريق الوعر .. هو طريق المواجهة بالاسلام ضد التحديات التي تهب عليه من كل مكان .. من خارجه ومن داخله على السواء ، ويعتبر كتاب « الاسلام يتحدى » وكتاب «الدين في مواجهة العلم » وكتاب « الاسلام والعصر الحديث . الذي بين أيدينا بمثابة مشاعل على الطريق الوعر الذي اختاره المؤلف لنفسه ، هذه المشاعل لم تجتذب الشباب المسلم المثقف فحسب ، بل أعطت الاشارات الى ما يحدق بالاسلام عقيدة وفكرا

ونظاما ، من خطر ، يجب أن يتنبه له كل مثقف قادر على التفكير ، ليحمل قلمه ، ويقف فى صفوف المناضلين من أجل الاسلام .

ان كتاب الاسلام والعصر الحديث لم تتجاوز صفحاته الستين ، قد يقرأه القارىء العادى فى ساعة ، لكن القارىء المثقف لا يستوعبه الا فى أيام ، لأن الكتاب على تواضعه من حيث الكم ، كتاب يحتاج الى تأمل عميق من حيث الكيف ، لأنه يناقش قضايا على جانب من الخطورة ، يناقش هذه القضايا بفكر العالم المتعمق ، وبأسلوب المفكر الموضوعى ، هذه القضايا هى : الثورة الفكرية قبل الثورة التشريعية ، حوار مع المتغربين ، امكانيات لم يستخدمها العالم الاسلامى ، الايمان والحركة الايمانية ، ثم الدراسة الموضوعية عن الانسان .. ثم دعوة فى نهاية المطاف الى بعث اسلامى ..

والمقام لا يتسع هنا لعرض سائر القضايا ، وحسبنا أن نختار قضيتين، احداهما : من القضايا المسلمة وهى « الدراسة الموضوعية عن الانسان» والأخرى : تحتاج الى شيء من التحفظ وهى « الثورة الفكرية قبل الثورة التشريعية » ففى القضية الأولى : يشير المؤلف الى أن هناك نظريتين، كلتاهما تدعى حل مشكلات الانسان ومعضلاته : النظرية الأولى تقول : ان الانسان حيوان سياسى « أى أن السياسة هى العامل الجامع بين الجوانب الشاسعة من الحياة الانسانية وان السياسة هى الأصل الذى يجمع ويوفق بين كل الجوانب الأخرى ، لكن النظرية الأخرى ترفض هذا التفسير ، وتقرر: أن الانسان حيوان اقتصادى .. أى أن الجامع الذى يجمع بين مختلف جوانب الحياة الانسانية فى مجموعة متناسقة هو نظام الانتاج الاقتصادى ذلك الذى يوجد فى الحياة الخارجية للانسان .. ويرى المؤلف : أن الدراسة العلمية لآثار النظريتين ــ اللتين اعتبرتا قبل قرن أهم كشوف التاريخ ــ لم تصدق دعاواهما ، أما من الناحية العلمية التطبيقية ، فان الأحوال السائدة فى كل الدول التى طبقت النظريتين ، لدليل فاصل فى اخفاقهما فى حل قضايا الانسان ،

لأنهما قد حرمنا اليوم من رأسمال اليقين من الناحية « الأيديولوجية » أو القيمة المنفعية » .

هذه القضية ، نحن نسلم بوجهة نظر المؤلف فى مناقشتها ، أما القضية الأخرى « الثورة الفكرية قبل الثورة التشريعية » التى تتحفظ حيالها ، فمؤدى رأى المؤلف : أنه لا يمكن البدء بتنفيذ الأحكام الاسلامية اليوم ، لأن هناك عقبة تقف فى وجه تنفيذ التعاليم الاسلامية ، هى الحضارة المادية الحديثة التى تسلحت بالطاقات العقلية والعملية وغزت العالم كله « والواجب أولا هو خلق جو فكرى ملائم » وقد يكون لمثل هذا الرأى قدر من الوجاهة ، لكن الحضارة المادية الحديثة ليست هى العقبة الرئيسية ، وانما الأنظمة الحاكمة فى ديار المسلمين ونحن اذا أجرينا استفتاء عاما بين المسلمين على قضية « تطبيق الشريعة الاسلامية » ستكون النتيجة حتما فى جانب الشريعة بأغلبية ساحقة وعن اقتناع ، ومعظم الشواذ الذين لا يصوتون الى جانب الشريعة ، هم ممن ترتبط مصالحهم وفى مقدمتهم الأجهزة الحاكمة ـ بخلو الميدان من شريعة الله ، والحل ليس ـ فحسب ـ خلق جو فكرى ملائم ، بل ايجاد وعى اسلامى قوى يفرض نفسه على العقبات التى تتصدى للشريعة الاسلامية يكون هذا الوعى الاسلامى القوى ثمرة للجو الفكرى الملائم ، ونضيف الى ذلك أننا لسنا بحاجة اليوم الى اقتناع المجتمعات الاسلامية بتطبيق شريعة الله ، وانما بحاجة ماسة أن يرد لشريعة الله اعتبارها فى ديار المسلمين ...

### ● كتب جديدة :

### كيف تتأدب مع المصحف :

### للاستاذ محمد رجب فرجانى

كتاب نشرته دار الاعتصام » فى أكثر من مائتى صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف واعظ بالقوات المسلحة ، وهذا الكتاب باكورة انتاجه، وقد اختار للتأدب مع المصحف مجالات

أربعة : الكتابة والقراءة ، والتعليم والاستماع ، والحق أن المؤلف العالم الفاضل قد بذل جهدا فكريا طيبا ، حتى جاء كتابه زادا فقهيا وعلميا ، حيث حرص على عرض الكثير من الأحكام التى نحن فى حاجة اليها ، والتساؤل عنها لا يزال متواصلا ، ومن هذه الأحكام مثلا : حكم حصول معلم القرآن على أجر ، وحكم تعليم القرآن للكافر ، وحكم ترجمة نص القرآن ، بالاضافة الى ما زود المؤلف به كتابه من علوم القرآن ، مثال ذلك : أقسام كلام الله تعالى ، أسماء القرآن الكريم .

**● الخلافات الزوجية**
**للدكتور عبد الحى الفرماوى**

كتاب نشرته « دار مصر العربية » فى مائة وعشرين صفحة ، وهو يتناول قضية ذات أهمية خاصة اليوم ، والمؤلف يعرض للخلافات الزوجية : صورها وأسبابها وعلاجها ، من الوجهة الاسلامية بالطبع ، عرض للقوامة والنشوز ، والخلافات من ناحية الزوجة ، ومن ناحية الزوج ، ثم الشقاق ، والحق أن المؤلف يسير فى كتابه على منهج سليم مدروس ، فهو يعرض الصورة ، ثم الأسباب ثم العلاج ، فمثلا حول مسألة النشوز ، يعرض للمصطلح اللغوى والشرعى للفظ «النشوز» ومن هى المرأة الناشز ، ومن هو الرجل الناشز ، ثم أهمية العلاج عن طريق الوسائل التى نص عليها تشريعنا الاسلامى .

**● الرئيس واذاعة القرآن الكريم :**

نشرت جريدة الأهرام حديثا حول اذاعة القرآن الكريم ، أدلى به السيد الرئيس محمد أنور السادات للأستاذ الدكتور كامل البوهى « مدير اذاعة القرآن الكريم» أشار فيه سيادة الرئيس بالدور الفعال الذى تقوم به اذاعة القرآن الكريم ، وما يجب أن يكون عليه صوت الدعوة الاسلامية من ملاحقة التطور المقبل ، حتى يصل الى أذهان الملايين من مختلف الدول وبمختلف اللغات .

لا شك أن هذه لفتة كريمة طيبة من السيد الرئيس نأمل أن يستجيب لها المسئولون عن الاعلام ، فقد بحت الأصوات تطالب بتقوية اذاعة القرآن، واعطائها الامكانيات التى يتيسر لها القيام بدورها كما ينبغى ..

● **قراءات :**

« الحق أن الاسلام ليس مجرد نظام من العقائد والعبادات ، انه أعظم من ذلك كثيرا، هو مدنية كاملة ..انه يشمل مزيجا كاملا من الثقافات التى نمت حول الأصل الدينى.. فهو مزيج ذو خصائص يتميز بها فى تكوينه السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، وفى تصوره للقانون ، وفى نظرته الخلقية ونزعاته العقلية وأساليبه فى الفكر والعمل » ..

المستشرق الانجليزى « جب »

**محمد عبد الله السمان**

---

## لقد أعيانا سفيان

لقى أبو جعفر المنصور سفيان الثورى فى الطواف وسفيان لا يعرفه فضرب بيده على عاتقه وقال : اتعرفنى ؟

قال : لا ولكنك قبضت على قبضة جبار

قال : عظنى أبا عبد الله .

قال : وما عملت فيما علمت فاعظك فيما جهلت .

قال : فما يمنعك أن تأتينا .

قال ان الله نهى عنكم فقال تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار» فالتفت أبوجعفر الى أصحابه فقال : القينا الحب الى العلماء فلقطوا الا ما كان من سفيان فانه اعيانا فرارا .

# باب الفتوى

للأستاذ محمود محمد رسلان

## زكاة الورق النقدى

### السؤال

ما هى الزكاة المستحقة على ورق النقد « البنكنوت » المتداول بين الناس فى معاملاتهم المختلفة طبقا للمذاهب الأربعة ؟ علما بأن هناك من الأقوال المتضاربة ما تمنع وجوب الزكاة على مثل هذه المعاملات .

### الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فقد دار أمامى حوار داخل حجرة المجلة بين اثنين من أساتذتى حول زكاة النقد أو ورق « البنكنوت » ولما كنت حريصا على مثل هذه الموضوعات التى تهم المسلم فى دينه ودنياه بدأت فى البحث عن جواب يملأ نفس المسلم بالطمأنينة والسرور فوجدت على صفحات مجلة نور الاسلام المجلد الثالث ص٢٠٩ومابعدها لسنة١٣٥١هـ اجابة للمرحوم الأستاذ طه حبيب . عضو المحكمة العليا الشرعية .

يقول رحمه الله : « الزكاة ركن من أركان الدين أوجبها الله سبحانه وتعالى على الأغنياء رعاية الفقراء ورأفة منه بهم ورحمة ، فأوجب جل شأنه على المسلم العاقل البالغ الحر المالك ملكا تاما لنصاب تام قابل للزيادة بالتوالد أو التجارة ، أو ممكن النمو فى ذاته ولو لم ينمه صاحبه اخراج جزء من ذلك المال قدره سبحانه وتعالى .

وقد جعل الله مناط الوجوب ملك النصاب متى كان المال منتفعا به أو فى الامكان الانتفاع به ، فالمال المودع عند أمين تجب فيه الزكاة ولو لم يعمل فيه صاحبه ، والدين الذى على ملىء

لامكان الانتفاع به لتيسر الحصول على تجب فيه الزكاة عما مضى من السنين ذلك المال ، فيجب الأداء على المالك متى قبض الدين ٠

وقد قسم الامام الأعظم رحمه الله الديون الى ثلاثة أقسام رأى وجوب الزكاة فيها جميعها على التفصيل الآتى، وهى :

أولا : دين قوى وهو بدل مال القرض ومال التجارة ، وهذا يجب فيه الزكاة اذا حال الحول ولو لم يقبض الدائن من المدين ، غير أن الأداء يتراخى الى أن يقبض أربعين درهما فيجب عليه أداء درهم ، وكلما قبض شيئا بعد هذا وجب الأداء بحسابه ٠

ثانيا : متوسط وهو بدل ما ليس للتجارة كثمن الثياب ودار السكنى ، والحكم فى هذا كالأول ، الا أن الأداء لا يجب الا اذا قبض نصابا تاما ٠

ثالثا : دين ضعيف وهو بدل ما ليس بمال كالمهر والوصية وبدل الخلع ، وهذا لا تجب فيه الزكاة عما مضى من سنتين قبل القبض ، وتجب بعد القبض اذا قبض نصابا وحال عليه الحول ٠

ورأى صاحباه وجوب الزكاة فى الديون كلها قبل القبض ، وكلما قبض شيئا زكاه قل ذلك أو أكثر ، ولم يستثنوا الا بعض أفراد الديون ٠

واذ قد تبين هذا فالجواب هو ما يأتى :

اعتادت الدول فى هذه الأزمنة اتخاذ وحدات غير النقدين للتعامل بها بقيم اسمية مختلفة وحفظ ما يوازى قيمة هذه الوحدات من ذهب أو فضة ، أو من ذهب وسندات فى خزائنها ضمانا لما تصدره من الأوراق ، وقد نهجت حكومتنا السنية هذا النهج فى سنة ١٨٩٨ واستصدرت دكريتو لأحد المصارف المالية (البنك الأهلى المصرى) تدفع قيمتها لحاملها عند الطلب ، وقد اشترط على المصرف أن يكون فى خزائنه ذهب يعادل نصف قيمة هذه الأوراق التى تصدرها والنصف الثانى يكون من القراطيس التى تعينها الحكومة ٠ وقد نص فى الأوراق التى استصدرها المصرف أنه يتعهد بأن يدفع لحاملها لدى الطلب المبلغ المسمى بها ٠

وقد تعامل الناس بهذه الأوراق معاملتهم بالنقدين ، وصارت هـذه الأوراق أثمـانا ، فيصـح القـول بوجوب الزكاة فيها حيث ان الثمنية قد عرضت لها وصار الناس يتعاملون بهـا على اعتبار أنها أثمان رائجة ، فتجب الزكاة فيها بأعتبار قيمتهـا ، ويكون ذلك قياسا لها على الفلوس المسكوكة ان كانت أثمـانا رائجة أو سلعا للتجارة • وقد نص الحنفية على وجوب الزكاة فى قيمتها ، ففى فتاوى قارىء الهداية ــ الفتوى على وجوب الزكاة فى الفلوس اذا تعومل بها وبلغت ما يساوى مائتى درهم أو عشرين مثقالا من الذهب •

وفى الشرمبلالية ــ الفلوس اذا كانت أثمانا رائجة أو سلعا للتجارة تجب الزكاة فى قيمتها ، والا فلا •

غير أن هذا يبعده أن هذه الأوراق لا قيمة لها فى ذاتها ، واعتبارها انما جاء من ضمان جهـة الاصدار لمـا سمى بها ، حتى اذا تنحت الجهـة الكافلة عن الضمان أو أصيبت جهة الاصـدار بالافـلاس تصبح هـذه الأوراق ولا قيمة لهـا ، فرواجها فى الواقع ونفس الأمر ناشىء من ضمان أرباب الأموال الموثوق بهم وبقدرتهم على الدفع لقيمتها ، فليست كالفلوس المسكوكة التى تعرض لها الثمنية ، أو ينوى بها التجارة ، وليست هذه الادارة سندا بوديعة فيكون ايجاب الزكاة فيها باعتبار المال المودع فى المصرف ، لأن الوديعة تسليط الغير على حفظ المال صريحا أو دلالة بتعاقد بين الطرفين وشىء من هذا لم يحصل بين مدير المصرف وحامل هذه الأوراق ، ولأن المـال المودع لا يضمن عند الهلاك الا بقيود ، والقيمة الاسمية للأوراق مضمونة على المصرف ، ولأن المـال المودع فى المصرف الذى يصدر هذه الأوراق يكون أقـل من قيمتهـا الاسمية فى كثير من الأحيان ، وقد يكون المودع فى المصرف سـندات على الغير فيبعد اعتبار هذه الأوراق سندات بودائع حتى يكون ايجـاب الزكاة فيها باعتبار المـال المودع •

والذى يظهر هـو اعتبار هـذه الأوراق سندات بدين ( هو المبلغ المسمى بها ) على الجهة التى أصدرتها تطالب به ، ويجب عليها وعلى الجهة التى كفلتها فى الاصدار الأداء عنـد الطلب ، وهذا أقرب شىء الى ما نص

عليــه فى هـــذه الأوراق ، وإلى ما اشترطته الحكومة من الشروط .

واذ قـد علمت أن الامام الأعظم أوجب الزكاة على الدائن فى ديونه ، فلا تمتد فى وجوب الزكاة فى قيمة الأوراق المـالية ( البنكنوت ) على حاملهـا متى بلغت نصابا أو نصابا وحال عليه الحلول ، وأنها تجب فيها على السنين المـاضية قبـل القبض لأنها سندات بدين قوى ميســور الحصول على القيمة فيه . أما القول بعدم وجوب الزكاة فيها فأمر لايوافق روح الشريعة ، واحتيال على دفـع الوجوب ، وهــدم لركن من أركان الدين الحنيف .

وقد جرى السادة الشافعية على وجوب الزكاة فى الدين الحــال ، قال فى مختصر المزنى :

قال الشافعى : وان كان له دين يقدر على أخذه فعليه تعجيل زكاته كالوديعة .

ومــذهب المــالكية : أن الدين اذا لم يكن ثمن عرض وكان حــالا فيزكيه عن كل سنة ولو قبل قبضه .

وقال الحنابلة : أن من له دين على ملىء باذل من قرض أو دين عروض تجارة أو ثمن بيع وحال عليه الحول، فكلما قبض شيئا أخرج زكاته عمـا مضى . وفى الدين على غـير ملىء روايتــان الصحيح من المذهب أنه كالدين على الملىء فيزكيه اذا قبضه عما مضى .

فيتبين من هــذا وجوب الزكاة فى قيمة الأوراق المـالية عند أئمتنا الأربعة على الوجــه السابق بيانه ، والله أعلم » . اهـ .

### حكم التلهى ببعض الألعاب :

### الســؤال

ما حكم لعب السيجة ، والطاولة، والدمينو ، مع العلم بأن كل ما تقدم يتخذ للتسلية .

### الجـواب

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فهذا سؤال قديم ، جديد ينطبق على كثير من الأجيال المدبرة والمقبلة

ومنه أن كل ما يشغل عن الله فهو شؤم على صاحبه ، فلا يسعنا هنا الا أن نذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ، ولقد وجدت اجابة هذا السؤال على صفحات مجلة نور الاسلام أيضا المجلد الثالث ص ٥٦٩ وما بعدها لسنة ١٣٥١ هـ ما يلى :

« قال الحنفية : كره تحريما اللعب بالنرد والشطرنج ، وكره كل لهو وعبث ، فلا يجوز لعب السيجة ولا الطاولةولاالدومينو، كما لايجوز تضييع الوقت فى غير الشىء النافع . وأجاز الامام الشافعى وأبو يوسف رحمهما الله اللعب بالشطرنج بشرط ألا يكون للهو وألا يقامر عليه . وقد نصوا أيضا على عدم جواز الرقص والسخرية والتصفيق وضرب الأوتار : من الطنبور ، والبربط ، والرباب ، والقانون ، والمزمار ، والصنج ، والبوق . هذه الأمور جميعها مكروهة تحريما ، والمكروه تحريما كالحرام يستوجب فعله العقوبة بالنار . وانما كان الحكم كذلك لأن هذه الأمور من شأنها أن تلهى الانسان عن العبادة والطاعة ، وأن تمنعه عن مباشرة عمله مباشرة دقيقة .

ولو فقه الذين يلعبون هذه الألاعيب الى ما فيها من ضياع وقت كبير يستطيع أن يتعلم فيه الانسان علوما جمة ، وأن يستفيد فوائد عظيمة ، ما وسعهم أن يفعلوها . على أن فى فعل البعض منها ما هو مسقط للمروءة ، كالرقص ، والسخرية ، والضرب بالدف دون حاجته الى ذلك ، وفيما أباحه الشارع من الأفعال الموجبة للسرور ، والمفيدة للشجاعة كركوب الخيل ، والسباحة والفروسية ، وتعلم ضرب السلاح ، وما الى ذلك مندوحة عن هذا الصنيع الذى لو تأملت بعض التأمل فيه لوجدت حكمة الشارع فى كراهيته واضحة جلية .

أنظر أنت الى ما تجده فى الأسواق الآن من جماعات يجتمعون زرافات مكبين على لعب الطاولة والدومينو مضيعين أثمن الأوقات فى ذلك ، وقد

يكون أحدهم أحوج ما يكون الى جزء من هذه الأوقات يسعى فيه لتحصيل رزقه ورزق عياله • وتأمل قليلا فيما تجده بين هؤلاء من مشاحنات ومشاجرات تنجم عن هذه الألاعيب الخبيثة التى قد تدعو لاعبيها الى أن يقامروا بها فيخسروا أموالهم فوق خسران أوقاتهم •

على أن الذى يدعى أنه انما يلعب للتسلى لو فطن الى أن التسلية بالمباح وبما يجلب النفع خير ألف مرة من التسلية بأمثال هذا الذى يطلبه ، لما قال ما قاله : من أنه يلعب للتسلية •

ولو أن هؤلاء عملوا فى تلك الأوقات لتكميل أنفسهم ولما ينفع أمتهم • لما كان هذا حالتنا اليوم من تأخر عن بقية الأمم الناهضة ! فليتق الله المسلمون ، وليستيقظوا ويعملوا على ما فيه خيرهم ، خير من ضياع الأوقات فى مثل هذه السخافات التى لا تجدى نفعا ، بل تجلب ضررا » •

والله أعلم • اهـ

**محمود محمد رسلان**

---

## معنى «كاد» فى الاثبات والنفى

قال أهل اللغة « كاد » موضوعة للمقاربة ، فان لم يتقدمها نفى كانت لمقاربة الفعل ولم يفعل ، كقوله تعالى : « يكاد البرق يخطف أبصارهم » وان تقدمها نفى كانت للفعل بعد بطء ، وان شئت قلت : المقاربة عدم الفعل ، كقوله تعالى: « فذبحوها وما كادوا يفعلون »

**النووى فى شرح صحيح مسلم**

# أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

## مصر

• تمت – فى الفترة الأخيرة – عدة لقاءات بين فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وبين عدد من سفراء الدول فى القاهرة وعدد من مفتشى ووعاظ الأزهر وكبار المسئولين فيه ، وذلك لبحث سياسة التعليم فى معاهد الأزهر ومشاكل المسلمين فى العالم والنهوض بالدعوة الاسلامية ، والدفاع عن الاسلام ، والتصدى للغزو الفكرى ومقاومة الالحاد والتيارات الهدامة بكل صورها •

وطالب فضيلته – أثناء هذه اللقاءات من مفتشى ووعاظ الأزهر ، بذل الجهود فى الدعوة الى انشاء معاهد أزهرية ، على اختلاف مراحلها ، لأهمية التربية الدينية فى دعم الأخلاق ، وبناء الجيل المسلم ، ولمجابهة التحديات التى يجابه بها الاسلام •

وشرح لهم تيسير الأزهر للراغبين فى العلم من أبناء الأمة الاسلامية للالتحاق بالتعليم الأزهرى •

تحية لامام المسلمين على جهوده وكفاحه فى سبيل اعلاء كلمة الله ونشر دينه الحنيف •

• أجريت بالأزهر مسابقة للراغبين فى العمل بالوعظ من خريجى كليات الأزهر ( أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية ، والدراسات الاسلامية ) ، الذين يعملون خارج الأزهر فى الوزارات والهيئات والمؤسسات والشركات •

وتقدم لهذه المسابقة ٤٠٠ خريج ، دخل الامتحان منهم ٨٨ خريجا ، نجح

منهم ٤٤ خريجا ، وأجل امتحان ٣٠ خريجا ورسب ١٤ خريجا •

وبهذا تكون نسبة النجاح الأولية ٥٠٪ •

• تمت الموافقة على تحويل معهد الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة الأزهر الى كلية للدراسات الاسلامية والعربية •

## المغرب

فى نبأ لوكالة الأنباء المغربية أن ٢١٤ أجنبيا من الذين يقيمون فى المغرب قد دخلوا الاسلام ، ومن بين هؤلاء أساتذة ومهندسون وطلبة وصيادلة ومديرو شركات وتجار وزراع •

وذكر النبأ أن عدد الفرنسيين فى هذه القائمة يقدر بمائة وخمسة عشر شخصا أشهروا اسلامهم •

وهكذا نرى الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، تأكيدا لأصالة الاسلام ، وصدق مبادئه ودقة أحكامه ، وانه الدين الخاتم الذى تهرع اليه النفوس، فتجد فى رحابه الطمأنينة والخير والسلام وراحة النفس والقلب والوجدان ، وسيظل كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

• صدر العدد الأول من مجلة الرسالة التربوية التى تصدرها جمعية الوعى التربوى بوزارة التعليم الابتدائى والثانوى بالمملكة المغربية •

وهدف هذه المجلة ، التعبير عن النهضة التعليمية المعاصرة ، ورصد نظم العمل التربوى •

## السعودية

• نشرت صحيفة الميثاق المغربية أن جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ، عاهل المملكة العربية السعودية سيفتتح فى ٢٠ من مارس القادم ١٩٧٧ مؤتمر التضامن الاسلامى فى مجال العلم والتكنولوجيا ، الذى تنظمه كلية الهندسة ، بجامعة الرياض ، وذلك بقاعة الملك فيصل •

• تعقد جامعة الامام محمد بن سعود المؤتمر العالمى للفقه الاسلامى الذى سيعقد فى الفترة من ٢٠ الى ٢٧ من ذى القعدة ١٣٩٦ هـ والذى يرعاه مديرها بالنيابة الدكتور عبد الله الترك •

ومن أهم الموضوعات التى ستطرح للمناقشة ما يلى :

١ - وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية فى كل مكن وزمان •

٢ - الشبهات التى تثار حول تطبيق الشريعة الاسلامية فى العصر الحديث•

٣ - الاجتهاد فى الشريعة الاسلامية ونظام القضاء فى الاسلام •

٤ - التربية الاسلامية وأثرها فى المجتمع •

٥ - الاعلام وأثره فى نشر القيم الاسلامية وحمايتها •

٦ - الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام •

٧ - المعارف الاسلامية بين النظرية والتطبيق •

• أصدر المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الاسلامى الذى عقد بمكة المكرمة بدعوة من جامعة الملك عبد العزيز عدة توصيات ومقترحات هامة ، من أهمها :

١ - ايجاد سوق اسلامية مشتركة لتحقيق الاكتفاء الذاتى بين المسلمين•

٢ - اقامة مصارف لا تتعامل بالربا•

٣ - التوصيات بجعل الاقتصاد الاسلامى مادة أساسية فى جامعات البلاد الاسلامية تمهيدا لوضعه موضع التنفيذ •

## تركيا

• أفتتح فى أسطنبول كلية اسلامية ، تتولى الاشراف عليها الرئاسة العامة للشئون الدينية فى تركيا •

والهدف من انشاء هذه الكلية نشر الثقافة الاسلامية فى منطقة اسطنبول وخارجها •

ومن الجدير بالذكر أن هذه الكلية ستعنى بتدريس العلوم الاسلامية ، والأدب الاسلامى والعربى ، وستكون اللغة العربية من اللغات الرئيسية فى منهاجها الدراسى ، وسيحصل الدارس فى هذه الكلية على دبلوم فى العلوم الاسلامية •

## كوريا

أقيم فى سيول عاصمة كوريا الجنوبية مركز اسلامى كبير يضم مسجدا ، وقاعة للمحاضرات ، ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم •

ويعد هذا المركز فى هذا المكان ، نافذة نور ، وخطوة موفقة ، نسأل الله أن تليها خطوات .

تحية للقائمين بهذا العمل ودعاء لهم بالتوفيق والسداد .

**فرنسا**

أفتتح فى نانسى بمنطقة مورترو موزال المركز الثقافى الاسلامى الذى نظم تحت اشراف المعهد الاسلامى وجامعة باريس .

ويضم المركز مسجدا للصلاة ومكتبة وقاعات للمؤتمرات والقاء المحاضرات الدينية .

كما سيتم افتتاح معهد ثقافى لتعليم اللغة العربية فى باريس تبرع الشيخ عيسى بن سليمان آل خليفة أمير دولة البحرين بمبلغ مليون فرنك فرنسى للمساهمة فى اقامة هذا المعهد .

**امريكا**

• ذكرت جريدة نيويورك تايمز أن عدد الطلاب الذين يدرسون اللغة العربية فى الجامعات والمعاهد، والمدارس الخاصة قد زادت بنسبة ٥٠٪ ، وقد حدث تطور فى أسلوب التدريس نفسه الذى أصبح يهتم بالحديث والمفردات والقواعد الأساسية .

وذكرت الجريدة أن لغة المائة مليون عربى أصبحت تلقى اهتماما من الشعب الأمريكى ، وبخاصة بعد أن أصبحت احدى اللغات الرسمية فى الأمم المتحدة .

**ابراهيم حامد النويهى**

---

● كتب احد الولاة الى الخليفة عمر بن عبد العزيز يطلب مالا كثيرا ليبنى به سورا حول عاصمة الولاية فأجابه عمر ، وماذا تنفع الأسوار ؟

حصنها بالعدل ، ونق طريقها من الظلم .

# كتاب الشهر:

## بحث واف

في مشروعية الصيام وصلاة التراويح وفي الدعاء
والإجابة وفي ليلة القدر وزكاة الفطر

تأليف
مصطفى محمد الحديدي الطير

## مقــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين •

وبعد : فقد فرض الله الصوم على عباده فى جميع الرسالات ، لما له من فوائد جليلة تعود على الروح والخلق والجسد ، وجعله فى الاسلام أحد قواعده الخمسة التى يقوم بناؤه الكلى عليها ، وأفرد له شهرا كريما من شهور السنة القمرية ، هو شهر رمضان المبارك الذى أنزل فيه القرآن ، وجعل فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ، وأعقبه بعيد الفطر ليفرح فيه الصائمون باكمالهم لفريضة الصيام ، وليغتبط فيه البؤساء بصدقة الفطر التى جعلهم يشاركون المياسير فى مباهجه ومظاهره ، وليتواصل الجميع بالود والتراحم فيما بينهم •

وقد حفل هذا الشهر الكريم بأحداث جليلة كان لها أثر فى مسيرة الاسلام وانتشار نوره فى المشارق والمغارب ، فمن حقه علينا أن نفرد له رسالة تتضمن الكثير مما يتصل به من الأحكام والأحداث ، لتكون مشكاة للمهتدين ، وذكرى للذاكرين ، ولتغنيهم عن البحث فى أمهات الكتب وراء المسائل التى ضمناها اياها ، والله الهادى الى سواء السبيل •

## فريضة الصوم وتطوراتها

قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » •

### لطائف الخطاب :

يخاطب الله المسلمين بقوله : « يأيها الذين آمنوا » فى نيف وثمانين موضعا من القرآن ، بينما يخاطب اليهود فى التوراة بقوله : يأيها المساكين ، ويخاطب النصارى فى الانجيل بقوله : يا أبناء الماء والطين •

ونداء الله للمسلمين فى القرآن بذلك يمنح الكرامة ، ويورث الاعتزاز بأن ربهم اعتبرهم مصدقين بالحق ، لا يجادلون فيه بالباطل ، وجعلهم أهلا لوعده الجليل « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » •

**معنى الصيام وكتابه**

الصيام فى اللغة : الامتناع عن أى شىء ، ومنه قول مريم : «انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » وصومها امتناعها عن الكلام .

وفى الشرع : الامتناع عن الأكل والشرب والجماع فى وقت مخصوص مع النية القلبية ، وكتابه فرضه ، وقد أخبرنا الله تعالى فى الآية أنه فرض الصيام علينا كما فرض على من قبلنا ، فجميع الشرائع تضمنت فرض الله للصيام على أممها .

والصيام فى كل أمة له نظام قد يختلف عنه فى أمة أخرى ، ولكنه بصفة عامة يمنع النفس من غشيان ملذاتها وشهواتها ، ويمنحها الصبر وقوة العزيمة ، ويحضها على بر الفقراء والمعوزين ، ويضفى على الأجساد الصحة والعافية ، وعلى الروح السمو والصفاء ولهذه المزايا وغيرها فرض فى جميع الأديان كما تقدم .

**لعلكم تتقون**

بين الله فى قوله «لعلكم تتقون» الغاية من فرض الصيام، وهى حصول التقوى للصائمين والتقوى بابها واسع ، فهى من الوقاية، والوقاية تدخل فى الطاعات والأخلاق والأجساد والأرواح .

فالمعنى يأيها الذين آمنوا فرض عليكم الصيام كما فرض على أهل الأديان السابقة لتقوا أنفسكم وتحفظوها من وضر الاثم ، ودرن الخلق ، وفساد الجسم ، وصدأ النفس وظلمة القلب .

ولكون الصوم يحفظ من المعاصى وصفه النبى صلى الله عليه وسلم علاجا للشباب الذين لايجدون مؤنة الزواج من الانحراف فقال «يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة : ( أى مؤنة الزواج فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » أى وقاية من الفحشاء .

والأديان غير السماوية تهتم بالصيام رياضة للتقوى وتقوية للعزائم ، كمافى البوذية والهندوسية ، وبعض أولئك يصل بتقوية ارادية بالصيام الى درجة تحمل الآلام والتحكم فى النفس وشرايين الدم ، فتراهم ينامون على الواح برزت منها مسامير تغوص فى أجسادهم فلا يتألمون ولاينزف من أجسادهم دم ، وبعضهم يدفن ساعات تحت الرمل ، والهواء لا يصل اليه فى

محبسه ، ولايموت بذلك ، وقدحدث أن رجلا كان يسمى نفسه الدكتور سالمون دفن نفسه فى الاسكندرية فى ثلاثينيات هذا القرن لمدة ست ساعات تحت الأرض بحضور لجنة من الأطباء ، ثم رفع التراب عنه فاذا هو حى ، ولكنه كان يتصبب عرقا وقد عاصرنا هذا الحادث ، وهذا التحمل كان منه بفضل رياضة الصيام التى يجهل فضلها الجاهلون .

« أياما معدودات » .

كان الصيام أول الاسلام أياما معدودات ، فقد كان المسلمون يصومون من كل شهر هلالى ثلاثة أيام ١٣،١٤،١٥ ، وهى أيام الليالى البيض ، قيل وحدها ، وقيل معهايوم عاشوراء ، ثم نسخ ذلك بآية « شهر رمضان » قال ابن عباس أول مانسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم أ هـ ، فأما القبلة فانها نسخت من بيت المقدس وحولت الى الكعبة ، وأما الصوم فقد علمت أمره .

وذكر الأجهورى فى كتابه ( فضائل شهر رمضان ) أن الأيام المعدودات المذكورة التى فرض الله تعالى صومها قبل شهر رمضان كان فرضها فى شهر صفر من السنة الثانية الهجرية ، أما فرض رمضان فكان فى شهر شعبان لليلتين خلتا منهفى السنة الثانية الهجرية أيضا ، وبذلك يكون المسلمون قد صاموا على هذا النمط لمدة ستة أشهر ، فتكون جملة هذه الأيام ثمانية عشر يوما ، وأن الصوم لم يفرض الا فى المدينة .

ومن العلماء من قال ان الأيام المعدودات هى شهر رمضان ، قال مقاتل، كل معدودات فى القرآن أو معدودة فهى دون الأربعين ، ولا يقال ذلك لما زاد ، اهـ .

واذا كان المراد بالأيام المعدودات شهر رمضان فان التعبير عنه بذلك للايذان بأنه تعالى ترفق بنا وخفف عنا بصيام أيام قلائل ، بدلا من أن يكلفنا بعدة أشهر أو بصيام الدهر كله .

« فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

أفاد هذا الجزء من الآية أنه تعالى أباح الفطر للمريض والمسافر ، وأوجب على المريض أن يقضى ماأفطره

بعد شفائه ، وعلى المسافر أن يقضى ما أفطره بعد انقضاء سفره سواء كان المراد من الأيام المعدودات أيام الليالى البيض أم شهر رمضان كما تقدم بيانه « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

أى وعلى الذين يقدرون على صيامه ويريدون الفطر فدية طعام مسكين ان أفطروا ، وهذا الحكم معناه التخيير بين الصيام وبين الفطر والفدية ، وقد كان هذا فى أول مشروعية الصيام ، قبل أن يلزم به القادرون عليه الزاما لاتخيير فيه ، بقوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

والحكمة فى أن الصوم لم يشرع محتوما فى أول التكليف به أنه فريضة شاقة وأن بلاد الحجاز وقت فرضه كانت شديدة الحرارة ، فتكليفهم الصيام على القطع يشق عليهم ، وقد جرت عادة الاسلام بالتدرج فى التكاليف التى تشق على الناس ، كما صنع فى تحريم الخمر ، حيث بين لهم أولا أن اثمها أكبر من نفعها ، ثم طلب منهم ثانيا أن لا يقربوا الصلاة وهم سكارى ، فبقى بعضهم يشربها فى وقت لا يقدم فيه على الصلاة وهو سكران ، ثم حرمت نهائيا بآية « انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ، وأكد التحريم بقوله تعالى فى نهاية الآية الثانية « فهل أنتم منتهون » .

ومما يدل على أن الصوم كان مخيرا فيه أول التكليف به ، ما أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود وغيرهم عن سلمة بن الأكوع قال لما نزلت هذه الآية « وعلى الذين يطيقونه فدية » كان من شاء منا صام ومن شاء أفطر ويفتدى ، فعل ذلك حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وقد ذهب الى ذلك أكثر العلماء ومنهم عبد الله بن عمر وسلمة بن الأكوع قاله ابن العادل وخلاصة ما تقدم أن الصوم أول ما فرض كان أياما معدودات ، وهى اما ثلاثة أيام من كل شهر قمرى ١٣ ، ١٤ ، ١٥ على قول ، واما شهر رمضان على قول آخر ، وأن المسلم كان مخيرا بين الصيام والفدية ، فان كان يرغب فى الصيام ولا يبغى به بديلا ، ومنعه عنه المرض أو السفر أفطر وقضى بعد زوال العذر بعدد ما أفطره ، وان كان يريد الفطر سواء أكان صحيحا

أم مريضا أفطر وأعطى فدية طعام مسكين .

ومن العلماء من قال ان التكليف بالصيام أولا كان لشهر رمضان، وكان حتميا لاتخيير فيه ، والأيام المعدودات عنده هى شهر رمضان ، وفسر قوله تعالى « وعلى الذين يطيقونه فدية » بمعنى وعلى الذين يصومونه بمشقة ( من أطاق الشيء قدر عليه بمشقة ) وهم الشيوخ الضعفاء عليهم ان أفطروا فدية بدل صيامهم ، ففى الآية اباحة الفطر لهم مع الفدية وهذا الرأى فضلا عن مخالفته لظاهر الآية ، فهو مخالف لحديث سلمة بن الأكوع الذى روته كتب الصحاح ، ويلزم عليه تكرار حكم المريض والمسافر مرتين فى حالة واحدة بدون داع ، والفدية المذكورة هى مد من طعام عند أهل الحجاز عن كل يوم ، والمد رطل وثلث ، وعند أهل العراق نصف صاع من بر عن كل يوم أو صاع من غيره والصاع أربعة أمداد، والمد عندهم رطلان ويمكن دفع قيمة البر المطلوب، بدلا من البر نفسه « فمن تطوع خيرا فهو خير له » .

المراد من تطوع الخير اما الزيادة على القدر المذكور فى الفدية ، أو الزيادة على عدد من يلزم اطعامه بأن يطعم عن اليوم مسكينين مثلا ، أو الجمع بين الاطعام والصيام .

« وأن تصوموا خير لكم » من الفطر والفدية « ان كنتم تعلمون » ما فى الصوم من الفضيلة وعظيم الثواب « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

أفاد هذا الجزء من الآية أن الله تعالى أنزل القرآن الشريف فى شهر رمضان لهداية الناس الى الحق والخير عقيدة وخلقا وتشريعا ، منذ أنزله الله الى أن تقوم الساعة ، ومع كون القرآن الكريم أنزل فيه لهداية الناس .

فهو آيات واضحات من جملة الكتب الالهية الهادية الى الحق ، والفارقة بين الحق والباطل ، باشتمالها على المعارف الالهية والأحكام العملية .

وفى اختيار شهر رمضان لانزال القرآن اعظام لشأن هذا الشهر الكريم ، فلا بدع أن يجعله الله ميقاتا للصوم الذى فرضه الله على المسلمين، ليجتمع له بذلك شرفان ، شرف نزول القرآن فيه وشرف صيامه ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

أى فمن علم منكم بهلال الشهر ليلة الثلاثين من شعبان فليصمه ، فشهود الهلال ليس شرطا للصيام بمعناه الخاص وهو الرؤية له ، بل بالفرض منه وهو العلم بوجوده فى الأفق بالرؤية أو عن طريق العلم بحكم القاضى بثبوت الرؤية ، أو بتصديق من رآه ، أو عن طريق الحساب الوثيق كما سنبينه .

أما من شك فى رؤية ليلة الثلاثين من شعبان فانه يحرم عليه صوم يوم الثلاثين المذكور وحده ، وبهذا الجزء من الآية الكريمة نسخ التخيير بين الصيام وبين الفطر والفدية للصحيح المقيم وتحتم الصوم عليه .

وأعلم أنه اذا شهد عدلان عند القاضى برؤيتهما هلال رمضان ليلة الثلاثين من شعبان فانه يجب عليه الحكم بثبوت الهلال ووجوب الصيام غدا على أنه أول رمضان ، كما يجب عليه الحكم بوجوب الفطر بثبوت الهلال ليلة الثلاثين من رمضان بشهادة عدلين عنده أما ان شهد برؤية الهلال فى كل عدل واحد ، فانه يحكم بثبوت هلال رمضان ووجوب صيام الغد دون هلال شوال احتياطا للعبادة فى بدء الصيام ونهايته ، فيقبل قوله فى رمضان ليصوموا ولا يقبل قوله فى هلال شوال ليتموا رمضان ثلاثين يوما .

ويدل لثبوت هلال رمضان شاهد عدل واحد ( أن ابن عمر رضى الله عنهما رآه ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فصام وأمر الناس بصيامه ، رواه أبو داود وابن حبان وصححه، وأن ابن عباس قال:(جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال انى رأيت هلال رمضان ، فقال أتشهد أن لا اله الا الله ، قال نعم ، قال أتشهد أن محمدا رسول الله ، قال نعم ، قال يابلال أذن فى الناس فليصوموا غدا) صححه ابن حبان والحاكم .

ويعلم ثبوت الهلال برؤية المآذن مضاءة ، وقد كانت قبله لاتضاء ، كما يعلم ذلك بقراءة الصحف أو السماع

من المذياع بأن القاضى قد حكم بثبوته ، كما يعلم بنحو ضرب الدفوف والطبول كما يحدث فى بعض البلاد ولقد جرت عادة الجهات الشرعية العليا بمصر أن تحتفل بهذه المناسبة، وتبعث بمندوبيها الى المآذن وقمم المرتفعات ، كما يقوم مرصد حلوان برصد الهلال ، فاذا أبلغ شهود الرؤية الجهات الشرعية المذكورة أنهم رأوه أعلنت ذلك فى طول البلاد وعرضها .

وأحيانا تعتمد فى ذلك على بعض البلاد العربية الدائمة الصحو القريبة من مصر مثل السعودية والسودان ، فتثبت رؤية الهلال لدى أهل مصر برؤيته فى تلك البلاد ، وتوجب الصوم بذلك ، وهو مسلك شرعى سليم .

فاذا وجد المسلم ببلاد لا يرى فيها الهلال لأنها غائمة فى معظم أيام السنة ، فانه يكمل شعبان ثلاثين يوما، قال صلى الله عليه وسلم : «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

ولا يثبت رمضان برؤية أحد للنبى صلى الله عليه وسلم مناما وقوله للرائى غدا من رمضان ، حكى القاضى عياض الاجماع على ذلك ، ولا من طريق الكشف بأن رأى الرسول يقظة وأخبره بذلك ، لأن التلقى عن الرسول بأى صفة بعد الوفاة ليس من الأدلة ، قاله الشيخ الخضرى الكبير ولأن حكم الله لا يتلقى الا من لفظ أو استنباط ، وما ذكر أولا ليس واحدا منهما ، وعلى التنزل فهذا من قبيل تعارض الدليلين ، فيعمل بما فى اليقظة دون المنام،لأن الأول أرجح.

وقال جماعة منهم صاحب المهذب ، ان غم الهلال وعرف رجل بالحساب ومنازل القمر دخول رمضان يلزمه الصوم ، لأنه عرف الشهر بدليله ، فكان كمن عرف بالبينه،وعليه حمل قوله صلى الله عليه وسلم فى رواية « فان غم عليكم فاقدروا له » وجمع بينه وبين الرواية الأخرى « فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » بأن الأول لمن يعرف منازل القمر ، والأخير لمن لا يعرفها .

وجاء فى الكفاية ما نصه . وعن الشيخ أبى حامد أنه ذكر فى التعليق وجها أن ذلك بمنزلة الشهادة على الرؤية ، فيتعدى الوجوب ممن عرفه بالحساب الى من لم يعرفه .

واذا عارض الحساب أو التنجيم الرؤية فى اثبات الهلال وعدمه قدمت الرؤية ولو من عدل واحد ، كما قاله بعض العلماء ، وقال الشيخ محمد بن عوض الدمياطى فى كتابه منحة العلى المتعال فيما يثبت به الهلال ص ٢١ ( فقد استفيد من كلام الرملى أولا وأخيرا أنه اذا عارض الحساب الشهادة يعمل بالشهادة بالنسبة لعموم الناس ، وأما الحاسب والمنجم فيجب عليهما حينئذ العمل بما اقتضاه الحساب والتنجيم ، وكذا من صدقهما ، لكن لابد أن يكونا ذوى قدم راسخ فى هذا الفن ، فعليهما حينئذ التثبت التام ، وعلى من يصدقهما كذلك ، ليكون على ثقة تامة من الركون الى قولهما .

وقال ابن حجر فى الاتحاف كما نقله ابن عوض المذكور (تنبيه) قال السبكى محل قبول شهادة العدل بل العدلين اذا دل الحساب على امكان الرؤية ، فان دل على عدم امكانها وهو يدرك بمقدمات قطعية لم تقبل شهادتهما لاستحالتها ا هـ ملخصا .

وقال القليوبى فى حاشية على الخطيب قوله ( وتثبت رؤيته بعدل ) ما نصه : أى ان لم يدل الحساب القطعى على عدم رؤيته ، والا لم يعمل بقوله العدل وان تعدد ، بل يحكم بكذبه كما قال العبادى ، وهو مما لا يجوز القول بخلافه . ا هـ

« ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

المراد بالمرض ما يشق معه الصوم ويعسر ، كما يؤذن به قوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وهو قول الأصم وجماعة ، وأكثر الفقهاء على أنه هو الذى يؤدى الصيام معه الى ضرر فى النفس أو زيادة فى العلة .

والمراد بالسفر السفر الطويل ، فانه هو الذى يشق معه الصوم ، وقدره الشافعية بستة عشر فرسخا ، والفرسخ ثلاثة أميال ، وهو بالكيلو متر

نحو ٩٠ كم من دمياط الى الزاهبين ودليلهم قوله صلى الله عليه وسلم « يا أهل مكة لا تقصروا فى أدنى من أربعة برد . من مكة الى عسفان » فدل ذلك على أنه السفر الذى تحصل به المشقة عادة ، قياسا للصيام على القصر بل هو أولى ، وبهذا أخذ أحمد ومالك واسحق .

وهناك آراء أخرى للفقهاء فى تقدير مسافة السفر المبيح للفطر ، ومنها رأى أبى حنيفة ، اذ قدرها بأربعة وعشرين فرسخا ، فأرجع الى المطولات ان شئت المزيد من المعرفة .

والحكم المستفاد من الآية أن من كان مريضا أو على سفر فأفطر فعليه صيام أيام بقدر ما أفطره من شهر آخر غير رمضان، والفطر لهما رخصة عند الأكثرين ، فان شاء أصاما وان شاء أفطرا ، ما لم يتضررا بالصوم ضررا لا يحتمل عادة ، فان الصوم يكون حراما عليهما ، وذهب قوم من الصحابة الى أن الفطر واجب عليهما مطلقا ، وبه قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ، ونقل عن ابن عمر أن المسافر لو صام فى السفر فعليه القضاء فى الحضر ، وهذا اختيار داود بن على الأصفهانى ، ومن حججهم قوله صلى الله عليه وسلم « ليس من البر الصيام فى السفر » قاله حين رأى رجلا جالسا تحت ظلة وهو مجهد من الصيام فى السفر .

ومن حجج الجمهور ما رواه أبو داود أن حمزة الأسلمى سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هل أصوم على السفر . قال صلى الله عليه وسلم « صم ان شئت وأفطر ان شئت » ويشترط الشافعية فى اجازة الفطر للمسافر أن يسبق السفر طلوع الفجر لقوله تعالى ( أو على سفر ) أى أنه متمكن من السفر قبل الصوم ، فان كان سفره بعد الفجر لم يفطر يومه هذا .

واذا أفطر كل من المريض والمسافر ففى طريقة القضاء بعد زوال العذر قولان: أحدهما أن يقضى ماأفطر فيه على التتابع وجوبا ، وبه قال على وابن عمر والشعبى ، وثانيهما أن التتابع فى القضاء مستحب وهو قول الأكثرين .

ولا يجب القضاء على الفور خلافا لداود ، ومن أفطر رمضان كله وكان تسعة وعشرين يوما قضى عدته ،

ولا يقضى شهرا ثلاثين يوما ، واذا كان رمضان تاما فأفطره قضى مكانه ثلاثين يوما ، لا شهرا تسعة وعشرين يوما ، فان العبرة بعدة ما أفطر فيه .

**بعض احكام الصيام :**

١ ـ لا يشترط فى السفر المشقة ، فالسفر بالوسائل الحديثة المريحة لا يمنع من رخصة الفطر وان كان الصيام أولى ، بل قال أنس بن مالك ومالك والشافعى وأبو حنيفة وغيرهم الصيام أولى للمسافر القادر عليه وان كان السفر شاقا ، وكذا المريض ، وقال أحمد والأوزاعى وغيرهما الفطر أولى ، وقال غيرهم أفضلهما أيسرهما .

٢ ـ ومن أحكام الصيام أنه لا يضره وصول غبار طريق أو غربلة دقيق أو غبار عرقسوس أو نحو ذلك الى جوف الصائم لأن الاحتراز عنه شاق والله يقول « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

٣ ـ ولو وصل الطعام أو الشراب الى جوفه مكرها أو حال نومه فلا يفطر ، لأنه لا اختيار له فى ذلك وكذا لو أكل أو شرب ناسيا خلافا لمالك ، لحديث « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ولخبر الصحيحين « من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فانما اطعمه الله وسقاه » وزاد فى صحيح ابن حبان « ولا قضاء عليه ولا كفارة » .

٤ ـ ومن كان يتسحر فسمع الفجر فليلق ما فى فمه من طعام أو شراب ولا يبتلعه ، وليغسل فمه وليمسك ، وصيامه حينئذ صحيح ولا اعادة عليه ، وكذا من كان يأتى أهله فسمع الفجر فنزع فورا ، بخلاف ما لو ابتلع الطعام أو الشراب الذى فى فمه فانه يفطر مع الاثم وعليه الامساك وقضاء هذا اليوم بعد رمضان ولا كفارة عليه عند الشافعية وعليه الكفارة فى مذهب المالكية ، ومن استمر يجامع زوجته بعد سماعه أذان الفجر فعليه مع القضاء الكفارة الكبرى (١) وعليه كالذى قبله الامساك

---

(١) وهى عتق رقبة مؤمنة ، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا كما سيأتى بيانه فى شرح آية « أحل لكم ليلة الصيام .. » .

احتراما ليوم الصيام وان كانا قد أفطرا بما فعلا •

٥ ــ ومن غلبه القيء فلا يفطر ما لم يرجع منه شيء الى جوفه ، فانه يفطر ، وكذا من تعمد القيء وان لم يرجع منه الى جوفه شيء •

٦ ــ وابتلاع نخامة وصلت الى ظاهر الفم يفطر عند بعض الفقهاء ولا يفطر عند آخرين •

٧ ــ ولا يفطر أثر طعام تذوقه لتعرف شئونه ثم مجه ، ولا يفطر بالاكتحال ولو ظهر طعمه فى حلقه ولا برطوبة من مسام بالاستحمام ، ولا بدهن من مسام عضو طلى بالدهن ، ولا حقنة جلدية أو وريدية أو عضلية ، لأنها وصلت الى الجسم لا عن منفذ مفتوح ، وفى الحقنة الشرجية خلاف بين الأئمة ، فمنهم من يقول بالفطر بها ، ومنهم من لا يقول بذلك ولا يفطره ريح طيب وصل الى أنفه •

٨ ــ ومن مبطلات الصوم انزال المنى بلمس بشرة بشهوة ، كالوطء بلا انزال ، وفى الأخيرة الكفارة الكبرى مع القضاء ، أما نزول المنى بالاحتلام فلا يبطل الصوم ، كنزوله بنظر أو فكر ، وتكره القبلة لمن يحل تقبيله كالزوجة ، ان لم تحرك شهوة ، فان حركتها حرمت • فان قبلها ونزل المنى بسببها أفطر ، ولا يفطر بفصد ولا بحجامة •

٩ ــ ولابد من نية الصيام ليلا ، ويكفى عند مالك أن ينوى صيام الشهر أول ليلة فيه والنية محلها القلب ، وليس التلفظ شرطا ولا مسنونا ، ومن تسحر أو شرب ليلا ليتقوى على الصيام ، أو امتنع عن المفطرات خوف طلوع الفجر كان ذلك نية ، ويكفى فى صيام النفل أن ينوى قبل الزوال بشرط أن لا يسبقها مفطر نهارا •

١٠ ــ ويسن تعجيل الفطر لحديث الصحيحين « لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطر » زاد أحمد « وأخروا السحور » وأن يكون على رطب فتمر فماء فحلو فحلوى ، ويسن بعد الفطر أن يقول « اللهم انى لك صمت وعلى رزقك أفطرت » الى آخر الدعاء المأثور •

١١ – ويسن السحور لحديث الصحيحين « تسحروا فان فى السحور بركة » ولخبر الحاكم « استعينوا بطعام السحر على صيام النهار ، وبقيلولة النهار على قيام الليل » ويحصل بقليل المأكول وكثيره لحديث فى صحيح ابن حبان « تسحروا ولو بجرعة » •

١٢ – ويدخل وقت السحور بنصف الليل ، ويسن تأخيره ما لم يقع فى شك •

١٣ – وعلى الصائم أن يصون لسانه عن الفحش من الكذب والشتم والغيبة والنميمة ونحوها ، لحديث البخارى « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ولخبر الحاكم « ليس الصيام من الأكل والشراب ، الصيام من اللغو والرفث » أو كما قال •

١٤ – ويكره شم الرياحين ، لأن المقصود من الصيام كسر النفس •

١٥ – ويغتسل الصائم من الجنابة قبل الفجر ، ليكون على طهر من أول الصيام فذلك أفضل ، فان اغتسل بعده فلا شىء عليه ، ولا مانع من الاغتسال فى الصيام للنظافة أو التبرد ، ولا يفطر الصائم بوصول ماء الى أذنه ، لأنها لا توصل شيئا الى الداخل •

١٦ – ولو سبق ماء المضمضة أو الاستنشاق الى جوفه كرها فلا يفطر ، ما لم يكن ذلك من مرة زائدة على الثلاثة أو نتيجة غرغرة ولو من احدى المرات الثلاث ، فانه يفطر لأن الزيادة على الثلاث غير مستحبة ، والمبالغة فى المضمضة والاستنشاق مكروهة حذرا مما ذكر •

١٧ – والفطر واجب على الحائض والنفساء ، وعليهما القضاء بعد زوال العذر ، فان صامتا كانتا آثمتين ولا يصح صومهما ، وعليهما قضاء ما صاماه حال عذرهما •

١٨ – وللحامل والمرضع أن يفطرا كما لهما أن يصوما ، فان أفطرتا فعليهما القضاء بعد الحمل أو الرضاع ، ولا فدية عليهما ان أفطرتا خوفا على أنفسهما ، أو عليها وعلى الولد ، فان كان الفطر خوفا على الولد فقط فعليهما

مع القضاء الكفارة ، وقد مر بيان مقدار الفدية عند قوله تعالى « وعلى الذين يطيقونه فدية » .

١٩ ـ وفريضة الصوم معلومة من الدين بالضرورة ، فمن جحدها فهو كافر ، الا أن يكون قريب عهد بالاسلام ، أو نشأ بعيدا عن العلماء .

٢٠ ـ ومن أقر بفريضة الصوم ، ولكنه أفطر بغير عذر حبس ومنع عن الطعام والشراب نهارا ، عقابا له وتعويدا على الصوم جبرا .

**فضل صوم رمضان :**

جاء في فضل رمضان أحاديث عديدة نذكر منها ما يلى :

١ ـ جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » وفي رواية « وما تأخر » أخرجه الشيخان .

٢ ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل « كل عمل ابن آدم له ، الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما ، اذا أفطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه » رواه البخارى ومسلم .

٣ ـ وفي رواية لمسلم « كل عمل ابن آدم يضاعف . الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، يدع طعامه وشرابه من أجلى للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

**شرح بعض المفردات :**

« جنة » أى واق لصاحبه من الشهوات المؤذية ومن النار « فليقل انى صائم » أى فليقل ذلك بلسانه ليسمع الشاتم فينزجر ، وبقلبه ليمنع نفسه من المشاتمة والمسابة « فلا يرفث » أى لا يفحش في القول « ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك » خلوف فمه ريحه المتغير بسبب الصيام ، والمراد من كونه

أطيب عنـد الله من ريح المسـك أنه تعالى يرضى عن الصائم لأنه صبر على عدم تناول الطعام حتى تغير فمـه ، ويثيبه على ذلك لأن استطابة الروائح بمعنـاها الحقيقى من صـفات الخلق لا من صفات الخالق وهذا لا يقتضى أن يترك الصائم فمـه بدون سواك ، بل من السنة أن يستاك حماية لجوفه من ريقه الذى يصل اليه متغيرا بتلك الرائحة ملوثا بصديد الأسنان الذى هو أحد سببى هذا الخلوف، والسبب الثانى الجهـاز الهضمى ، ومن قال بكراهة السواك فى الصيام فقد أخطأ فهم المراد من الحديث ، ولم يفطن الى الضرر النـاشىء عن ترك مصـدر الرائحة الكريهة بدون ازالة • أخرج أبوداود والترمذى عن عامر بن ربيعة قال ( رأيته صلى الله عليـه وسـلم يستاك وهـو صائم مالا أعـد ولا أحصى ) •

٤ ــ وجاء فى الحـديث الصحيح « ان فى الجنة بابا يقـال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيـامة ، لايدخل منه أحد غيرهم ، فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منـه أحـد » رواه البخارى ومسلم وغيرهما، زاد الترمذى « ومن دخله لم يظمأ أبدا » •

٥ ــ وجاء فيـه أيضـا « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصـفدت الشياطين » رواه البخـارى ومسلم ، والمراد من تصفيد الشياطين حبسها عن الاغواء، ولعل ذلك بما حصن الله به الصائمين من قوة الارادة وبغض المعصية ، ومن شأن ذلك فشل الشياطين فى الاغواء فكأنهم مصفدون •

٦ ــ وجاء فيـه « اغـزوا تغنموا وصوموا تصـحوا » رواه الطبرانى ورواته ثقات •

٧ ــ وجاء فيه «الصيام جنة يستجن به العبد من النار » رواه أحمد باسناد حسن ورواه البيهقى •

٨ ــ وجاء فيه « من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صيام الدهر كله وان صامه » رواه الترمذى وأبو داود والنسـائى وغيرهم ، واللفظ للترمذى •

٩ ــ جاء فيه « من قام ليلة القـدر ايمـانا واحتسابا غفر له ما تقـدم من ذنبه، ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفـر له ما تقـدم من ذنبـه » رواه البخارى ومسلم •

١٠ ـ وجاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر » .

١١ ـ وجاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام،وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » .

١٢ ـ وجاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم « أعطيت أمتى خمس خصال فى شهر رمضان لم تعطهن أمة قبلهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، وتصفد فيه الشياطين، ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ، ويقول : ويوشك عبادى الصالحون أن يكف عنهم السوء والأذى يغفر لهم فى آخر ليلة منه ، قيل يارسول الله . أهى ليلة القدر ؟ قال لا،ولكن العامل انما يوفى أجره اذا قضى عمله » .

١٣ ـ وجاء فيه عنه صلى الله عليه وسلم قال « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أرأيت ان شهدت أن لا اله الا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الصلوات الخمس ، وأديت الزكاة ، وصمت رمضان وقمته فممن أنا ، قال من الصديقين والشهداء » .

١٤ ـ وجاء فيه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «رمضان سيد الشهور».

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

أى أنه تعالى شأنه أنه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر ، ولهذا رخص فى الفطر لعذر السفر أو المرض .

« ولتكبروا الله على ما هداكم » .

أى وشرع لكم الأحكام الماضية من صوم شهر رمضان عند العلم بهلاله ، والترخيص بالفطر لعذر السفر أو المرض ، وقضاء ما فاتكم منه لتكملوا عدة رمضان بما تصومونه أداء أو قضاء ولتعظموا الله على ماهداكم اليه من الصوم النافع لأرواحكم وأبدانكم ، والفطر عند العذر،ولعلكم تشكرون نعمة هذا التشريع فى جميع صوره ، لما فيه من الفوائد والمنافع

صوما ، والتيسير على المعذورين فطرا » •

**صلاة التراويح :**

يجمل بنا قبل أن نشرح باقى آيات الدعاء والصيام أن نتكلم على صلاة التراويح وعدد ركعاتها لاختلاف الناس فى أدائها حتى يكونوا على بينة مما يفعلون ، وفيما يلى البيان :

روى الامام البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من رمضان ، فصلى فى المسجد وصلى رجال بصلاته،فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم صلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا ، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة فعجز المسجد عن أهله حتى خرج عليه الصلاة والسلام لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس ثم قال « قد رأيت الذى صنعتم ، ولكنى خشيت أن تفرض عليكم » وفى الصحيحين عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى التراويح ليالى فصلوها معه ، ثم تأخر فصلاها فى بيته بقية الشهر ، وقال خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها » •

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم توفى والناس يصلونها فرادى، وكان الأمر كذلك فى خلافة أبى بكر وصدر خلافة عمر ، ثم جمع عمر الرجال على أبى بن كعب ، والنساء على سليمان بن أبى خثمة ، فخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه فى أول ليلة من رمضان فسمع القراءة فى المساجد ، ورأى القناديل فيها ، فقال نورالله قبر عمركما نور مساجدنا بالقرآن ، وكذلك قال عثمان بن عفان فى خلافته •

وسميت بهذا الاسم لأن كل أربع منها يتروح المصلون عقبها ، أى يستريحون ، وهى تؤدى ركعتين ركعتين ، وكل ركعتين بنية وتكبير وبتشهد وتسليم •

والناس مختلفون فى أدائها ، فمنهم من يؤدونها عشرين ركعة بعشر تسليمات ، ويوترون بعدها بثلاث ركعات ، ومنهم من يؤدونها ثمانى ركعات بأربع تسليمات ويوترون بعدها بثلاث ركعات ، وكل منهم له سند فيما يفعل •

فمن يؤديها بالطريقة الأولى سنده ما روى عن مالك عن يزيد بن رومان ( أن الناس كانوا يقومون رمضان فى زمان عمر بثلاث وعشرين ركعة ) .

ومن يؤديها بالطريقة الثانية سنده ما رواه مالك فى الموطأ عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد أنه قال ( أمر عمر بن الخطاب أبى بن كعب وتميما الدارمى أن يقوما للناس باحدى عشرة ركعة ، قال وقد كان القارىء يقرأ بالمئين ، حتى كنا نعتمد على العصى من طول القيام ، وما كنا ننصرف الا فى بزوغة الفجر ) .

فمن هذين الخبرين علم أن الناس كانوا يصلونها فى عهد عمر بالصورتين المذكورتين وعلى هذا لا ينبغى لأحد أن ينكر على الآخر اذا صلى بصورة منهما .

وبما أن التشريع أساسا مصدره الكتاب والسنة ، فلهذا لابد أن تكون الطريقتان المذكورتان رؤى الرسول صلى الله عليه وسلم يصلى بهما فى المرات التى ظهر لهم فيها وهو يصليها ، أو أنهم عرفوهما فى عهد عمر بحديث عنه صلى الله عليه وسلم سمعوه ولم يصل الينا .

**الدعاء واجابته :**

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب » .

لما أمر الله عباده المؤمنين بصوم رمضان ومراعاة عدته ، وحثهم على تكبيره وشكره ، عقب ذلك بهذه الآية الدالة على أنه سبحانه خبير بأفعالهم سميع لأقوالهم ، مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيدا لما مر وحثا عليه .

**سبب النزول :**

مما ذكره الفخر الرازى فى سبب نزولها أن أعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه فنزلت .

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة فرفع أصحابه أصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء فقال صلى الله عليه وسلم « انكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، انما تدعون سميعا قريبا » .

وقال الحسن ، سأل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أين ربنا ، فأنزل الله هذه الآية .

**معنى الآية :**

واذا سألك عبادى عنى فقل لهم انى قريب ، وقربه تعالى من عباده قرب علم وحفظ وليس قربا بالجهة والمكان ، فان ذلك للحوادث ، والله يقول « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » .

ولأن من كان فى مكان فهو مفتقر الى ذلك المكان ، وذلك على الله محال، ولأنه لو كان فى مكان لما كان قريبا من الكل ، بل كان اذا قرب من شىء بعد عن شىء آخر ، والآية تقول «فانه قريب» وذلك يقتضى أنه قريب من كل شىء ، فثبت أن القرب بالعلم وليس بالمكان وهذا هو معنى قوله تعالى « وهو معكم أينما كنتم » وهو المقصود من قوله « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » ومن قوله «ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم » الآية .

ومعنى اجابته تعالى للداعى اذا دعاه أن يقول له لبيك عبدى لأنه يسمعه، أو أنه يحقق له ما دعاه ، فتكون الاجابة بهذا المعنى مشروطة بمشيئة حملا للآية على قوله تعالى « فيكشف ما تدعون اليه ان شاء » .

فان قيل ان المطلوب بالدعاء ان كان مقدرا وقوعه فى علم الله فما فائدة الدعاء بالنسبة له وهو واقع ولابد ، وان كان غير مقدر الوقوع فان الدعاء لا يحقق وقوعه ، لأن ما فى علم الله لا يتخلف .

والجواب أن الدعاء ينفع فيما جعله الله أزلا مترتبا عليه، فلابد من حصول الدعاء ليحصل ما يترتب عليه ، كما لابد من حصول العلاج بالدواء الذى توقف شفاء المريض فى علم الله عليه، وكما أنه لا يصح أن يمتنع المريض عن تعاطى الدواء اتكالا على ما كتبه الله فى علمه من الشفاء أو عدمه . أخذا بالأسباب فكذلك لا ينبغى أن يترك العبد دعاء ربه فى أموره المختلفة اتكالا على ما قدره الله فى شأنها أزلا أخذا بالأسباب .

ولمثل هذا الاتكال سألت الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أرأيت أعمالنا هذه ، أهى شىء قد فرغ منه ؟ أم هى أمر يستأنفه الله تعالى ، فقال صلى الله عليه وسلم « بل هى شىء قد فرغ منه » فقالوا ففيم العمل اذن ؟ فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

وبعد هذا التحقيق نعلم أن وعده الكريم بالاستجابة للداعي هنا مقيد بمشيئة الله تعالى وفقا لقوله تعالى في آية أخرى « فيكشف ما تدعون اليه ان شاء » حملا للمطلق على المقيد •

وان من رحمته تعالى أن يجعل اجابة الدعاء مرهونة بمشيئته لا بمشيئة الداعي فان لله مقادير في عباده لا يتركها ولا يهملها من أجل دعاء الداعي ، فقد تكون استجابته تعالى لدعائه في غير مصلحته العاجلة أو الآجلة ، أو في غير مصلحة أسرته أو البيئة التي حوله ، فعلمه تعالى بالمصلحة أعمق وأشمل ، وحكمته فيما يقدره أرفع وأجل شأنا من رغبة الداعي فكل ما يقضي به الله من صحة أو مرض ، ومن غنى أو فقر ، ومن حمل أو عقم ، ومن سلم أو حرب ، ومن خصب أو جدب ، أو غير ذلك ، لله فيه حكم عظيمة ، والخيرة دائما فيما يختاره الله وان خالفت ما يشتهيه الداعي •

ولو أنه تعالى أجاب كل داع الى مايلتمسه منه لفسد نظام أهل الأرض ، بل لهلكوا جميعا ، فان كل امرىء لا يخلو من عدو ، فان استجاب الله دعاء كل داع في خصمه بأن يهلكه لهلك الناس جميعا ، فأي حكمة في ذلك ، وكل انسان يحب الغنى ويكره الفقر ، فلو استجاب الله فأغنى كل من يطلب الغنى لفسد نظام الناس ، اذ لا يستطيع أحد أن يسخر أحدا في خدمته ، فكل غني يترفع عن خدمة غني مثله ، فتعطل بذلك مصلحة الخلائق ، وتفسد أمورهم ، ولهذا قال سبحانه « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » •

ولو توالد الناس جميعا وأنجبوا كما يريدون وكما يسألون ربهم ، ولم يمت من ذرياتهم أحد كما يطلبون من مولاهم لضاقت عليهم الأرض بما رحبت ولم تكفهم أرزاقها ، ولأكل الناس بعضهم بعضا — لأن حاصلات الزراعة والبروتين الحيوانية والسمكية لا تفي بضروراتهم — ولأصبح الناس لا يجدون متنفسا لأنفاسهم من عظيم تكدس بعضهم فوق بعض ، وقس على ذلك بقية المطالب التي يدعو بها العباد ربهم ، فلهذا كان من حكمته تعالى أن لا يجيب أحد الى ما سأل الا وفق مشيئته وحكمته المبنية على نظام محكم

لخير البشرية جميعا ، واعلم أن دعاء الداعى لا يمكن أن يذهب سدى ، فاما أن يلقى استجابة من الله ان وافق مايدعو به مشيئته تعالى ، واما انشراحا فى صدره وصبرا يسهل معه احتمال البلاء ان لم يوافق مشيئته جل وعلا ، واما عوضا فى الدنيا أو الآخرة .

وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوة المسلم لاترد الا لاحدى ثلاث ، ما لم يدع بائم أو قطيعة رحم ،اما أن يعجل له فى الدنيا واما أن يدخر له فى الآخرة ، واما أن يصرف عنه من السوء بقدر مادعا » .

وللدعاء مزية كبيرة بين أنواع العبادة ، قال صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة » وذلك لما فيه من تفويض الأمر الى الله تعالى ،والاعتراف بأن مرد كل شىء اليه سبحانه وحسبك فى الدلالة على أهميته انه تعالى يغضب من عبده اذا نزلت به شدة فلا يدعوه، قال تعالى « فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون » .

والله يحب من عبده أن يسأله حازما ، قال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغى أن يقول أحدكم اللهم أغفرلى ان شئت ، ولكن يجزم ويقول اللهم اغفر لى » .

ومعنى « فليستجيبوا لى » فليجيبونى الى ما طلبته منهم من العبادة والطاعة فانى قريب منهم بعلمى ، مجيب دعاءهم اذا دعونى « وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » أى يهتدون الى مصالحهم فى دنياهم وأخراهم .

**الجماع فى ليالى الصيام :**

ويقول الله عقب ذلك « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم »الآية، وسبب نزولها كما روى أحمد وجماعة عن كعب بن مالك قال « كان الناس فى رمضان اذا صام الرجل فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد ، فرجع عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عند النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد سمر عنده ، فوجد امرأته قد نامت فأيقظها وأرادها، فقالت انى قد نمت ، فقال مانمت ، ثم وقع عليها ، وصنع كعب بن مالك مثل ذلك ، فغدا عمر بن الخطاب رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فنزلت » .

وكانوا اذا صلوا العشاء الأخيرة وان لم يناموا حرمت عليهم المفطرات ومنها الجماع فنزلت هذه الآية لاباحة ذلك من الغروب الى الفجر كما سنبينه .

والرفث الجماع ، ونساؤكم زوجاتكم وفى حكمهن الاماء والمملوكات بملك اليمين أى أحل الله لكم الجماع لزوجاتكم وامائكم ليلة الصيام من غروب الشمس حتى الفجر ، وذكر الله حكمة ذلك بقوله « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » وهو كناية عن أن كلا منهما يمنع الآخر ويستره من الفجور ، وفى الخبر « من تزوج فقد أحرز ثلثى دينه » وبما أن الله تعالى جعلهن وقاية للرجال من الفاحشة ، وجعل الرجال وقاية لهن منها فلهذا أفسح الله وقت الاستمتاع بهن فى الصيام منعا من الوقوع فيما لا يحل ، فأباح الاستمتاع فى أى وقت من الليل كله بدلا من الوقت الضيق السابق الذى أوقعهم فى الحرج وجعلهم يغشون الاثم .

« علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الخيانة عدم الوفاء والاختيان الخيانة الشديدة كما قاله الزمخشرى ، واختيانهم لأنفسهم عدم وفائهم بحفظها من المعاصى ، أى علم أنكم كنتم تسرون بالمعصية اذ تجامعون زوجاتكم سرا بعد النوم أو بعد صلاة العشاء وتأكلون وتشربون كذلك ، وبذلك تخونون أنفسكم لأنكم جلبتم لها العقاب ، ومعنى « فتاب عليكم » فقبل توبتكم من المعصية التى خنتم بها أنفسكم « وعفا عنكم » فلا يعاقبكم بسبب هذه التوبة المقبولة .

« فالآن باشروهن » أى فجامعوهن ليلة الصوم من الآن دون حرج ولو بعد النوم أوصلاة العشاء فقد حل لكم ذلك بعد ما كان محرما بعدهما « وابتغوا ما كتب الله لكم » أى اطلبوا ما كتبه الله وقدرة لكم من الذرية بسبب هذا الجماع ، لا لمجرد قضاء الشهوة فقط ، فان ذلك هو الغرض الأسمى من النكاح ، قال صلى الله عليه وسلم « تناكحوا تناسلوا تكثروا » أو اجعلوا هذه المباشرة فى حدود ما شرعه الله لكم وهو أن تكون للحلائل من زوجة أو مملوكة فى الطهر .

« وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » أى فالآن باشروا حلائلكم

بالوقاع ليلة الصيام وكلو واشربوا حتى الفجر ، فالفجر غاية لحل الوقاع والأكل والشرب ،فى أى وقت من ليل الصيام ، أما بعد بداية الفجر فيحرم كل ذلك .

والمراد من الخيط الأبيض أول ما يبدو من الفجر الصادق المعترض فى الأفق قبل انتشاره والمراد من الخيط الأسود ما يمتد مع الفجر من آخر ظلمه الليل ، وقوله « من الفجر » بيان لأول الخيطين ، ومنه يتبين أن الخيط الثانى من الليل ، وخصه بالبيان لأنه هو المقصود بالحكم ، وقيل هو بيان للخيطين الأبيض والأسود فالفجر مكون منهما ، قال الطائى : وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه : وهو على هذا يشبه قولك : حتى يتبين العالم من الجاهل من القوم .

فاذا فأجأك الفجر وأنت تأكل أو تشرب أو تجامع ، فألقيت ما فى فمك من طعام أو شراب ، ونزعت نفسك من مباشرة أهلك فورا صح صومك ، وقد مربيان ذلك :

ومن كان معه ( ساعة ) لضبط الوقت ، ومعه توقيت للفجر ، وكانت ساعته مطوعه كفته ( ساعته ) عذه فى معرفة الفجر حسب التوقيت

ويعرف الصائم أيضا لسماع المؤذن الذى عرفه أهل الحى بالدقة فى مراعاة الوقت ، وينبغى له أن يؤذن للفجر بصفة خاصة فى ميقاته تماما ، فلا يضيف اليه دقائق كما يفعله بعض المؤذنين الجاهلين ، حتى لا يتسبب فى فساد صيام بعض الناس فيتحمل اثمهم ، فان من الناس من يصحو قبيل الفجر فيأكل أو يشرب أو يأتى أهله اتكالا على أن الليل لا يزال باقيا فاذا أذن المؤذن للفجر بعد فوات دقائق من أول وقته ، وهؤلاء لايزالون يباشرون أكلهم وشربهم ووقاعهم ، فقد أوقعهم فى الفطر وهم لا يعلمون ، فيكون بذلك آثما ويصح صومهم ماداموا جاهلين ، فان علموا قضوا يومهم هذا .

ويعرف الفجر أيضا برؤية أول بياضه فى الأفق وبقراءة القرآنوورد وباخبار ثقة .

ومن السنة الامساك عن المفطرات قبل الفجر بزمن يسير يسع قراءة خمسين أية احتياطا للعبادة كما كان يفعل النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن أكل أو شرب أو جامع ناسيا أنه صائمولم تذكره زوجته أو غيرها فصيامه صحيح لحديث أبى هريرة عن

النبى صلى الله عليه وسلم ( أن رجلا قال أكلت وشربت وأنا صائم ، فقال صلى الله عليه وسلم « أطعمك الله وسقاك فأنت ضيف الله فتم صومك » ولقوله صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

وليحذر الصائم مغالطة ربه فيزعم أنه ناس وهو كاذب ، فانه تعالى يعلم السر وأخفى ، وليحذر الأزواج من مداعبة زوجاتهم نهارا حتى لايقعوا فى الخطيئة الكبرى بجماعهم فى نهار رمضان ، فانه اثم عظيم ، وكفارته هى الكفارة الكبرى مع قضاء اليوم ، والكفارة الكبرى هى عتق رقبة مؤمنه فان لم يجد فصيام شهرين أو ستين يوما متتابعة ، بحيث لو أفطر يوما ولو لعذر استأنف ، فان لم يستطع اطعم ستين مسكينا لكل مسكين مد ، والمد رطل وثلث من غالب قوت البلد

« ثم أتموا الصيام الى الليل » .

أفادت الآية أن الصيام يبدأ من أول الفجر الصادق عند تبين الخيط الأبيض من الخيط الاسود ، وأنه يتم عند غروب الشمس حيث يبدأ الليل ، فيحل الفطر حينئذ بأى مفطر قل أو أكثر ، ويحرم الوصال فى الصيام دون فصل ، فقد روى الشافعى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال ، قيل يارسول الله انك تواصل فقال: « انى لست مثلكم ، انى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » أى أن الله تعالى يجعل النبى صلى الله عليه وسلم فى قوة من أكل وشرب ، وان لم يطعم ولم يشرب «ولاتباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد » .

لما أباح الله مباشرة النساء ليلة الصيام وضع هنا قيد لحل هذه المباشرة ، وهو أن تكون فى غير المساجد ، فلا يحل للصائمين المتكفين فيها أن يستدعوا اليهم زوجاتهم لمباشرتهن ليلا فيها ، فكما تحرم تلك المباشرة نهارا لحرمة الصيام تحرم ليلا بالمساجد لحرمة بيوت الله

« تلك حدود الله فلا تقربوها » .

أى ما تقدم من الأحكام اباحة ومنعا أحكام الله التى حددها ، فلا تقربوها محاولين اقتحامها بتحريم ما أحل أو تحليل ما حرم .

« كذلك » البيان الواضح فيما مر يبين الله آياته للناس ، فى شرائعه

المختلفة ، لتكون واضحة المعالم « لعلهم يتقون » أي يحذرون عقوبته بامتثالها •

**حكم الصوم وما ينبغي فيه :**

حكم الصوم كثيرة منها أن يعرف الأغنياء قدر النعيم فيشكروا الله عليه ، فان الصائم الغنى يرى نفسه محروما من الطعام والشراب والاستمتاع الحلال بزوجته نهارا ، فيتذكر أن غيره من الفقراء محروم من هذا بصفة دائمة ، أما هو فانه يجده طول العام فيما عدا شهر الصيام ، كما يجده ليلا في الصيام ، فيدرك بذلك فضل الله تعالى عليه فيشكره ، اذ لا يعرف قدر النعمة كما ينبغي الا من غابت عنه •

ومنها أن يذكروا الفقراء فان من شبع لا يذكر من جاع ، وانما يذكره أن لوجاع مثله ، ومنها صحة الأجساد وراحة الأجهزة الهضمية التى تعبت طول العام من ألوان الطعام الدسمة ، ووجباته العديدة ، وكمياته الكثيرة ، لأن الطبيب يعالج المريض بالحمية حتى ينفع فيه الدواء ، والصيام أفضل حمية وأجل علاج ، بشرط أن تكون وجبتا الفطور والسحور معتدلتين مقدارا ونوعا ، حتى تحصل الفائدة المرجوة منه للجسم والجهاز الهضمى •

وينبغي للصائم أن يحرص على أكل الحلال والاكثار من الصدقة في رمضان لحديث ( أي الصدقة أفضل ؟ قال صلى الله عليه وسلم « الصدقة في رمضان » وكان صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة ، كما ورد في الحديث الصحيح •

والصدقة الطيبة مجزية من الله ولابد ، قال تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا » الآية فسماها قرضا لتحقيق جزائها وثبوته كثبوت سداد الدين ، وهي ترضى الرب ، قال صلى الله عليه وسلم: «الصدقة تطفىء غضب الرب » ويكون صاحبها في ظلها ، قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن في ظل صدقته حتى يقضى الله بين الناس » •

وينبغي للصائم أن لا يرد السائل المحتاج ولا يخيب رجاءه ما دام قادرا قال صلى الله عليه وسلم : « اذا وقف السائل بالباب وقفت الرحمة معه ، ردها من رده ، وقبلها من قبله » وكان صلى الله عليه وسلم اذا لم يجد شيئا

يعطيه للسائل يلين له الكلام ، ويعده بالعطاء فى وقت آخر ، وكانت عائشة رضى الله عنها تعطى السائل ماوجدت ولو تمرة ، والصدقة تدفع البلاء ، قال صلى الله عليه وسلم : «أكثروا من الصدقة ، فان البلاء لا يتخطاها » ولا تنقص من المال ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما نقص مال من صدقة ، ومازاد الله أحدا يعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله » ونها أجر عظيم عند الله ، قال صلى الله عليه وسلم « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولايقبل الله الا الطيب ، فان الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يرى أحدكم فلوه (١) حتى تكون مثل الجبل وان الرجل ليتصدق باللقمة فتربو فى يد الله حتى تكون مثل الجبل فتصدقوا ، ثم قرأ « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

وينبغي للصائم أن لايمن بصدقته على من أخذها فان المن حرام ومحبط للثواب ، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . كان أبى يقول : اذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك .

يثقل عليه فكف عنه سلامك .

وينبغى له أن يمتنع من اللغو والسباب وقول الزور والعمل به ، قال صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » وقال : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » .

كما ينبغى أن يواظب على الصلوات فى أوقاتها جماعة ، وأن يصل رحمه ويتزاور مع الصائمين ، وأن يكثر من قراءة القرآن ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من قراءته فى رمضان ، وكان يدارس جبريل فيه ، وبالجملة ينبغى له أن يأتى بما يستطيع من خير ويبتعد عن كل سوء حتى يخرج من صيامه وهو من الأبرار الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

## ليلة القدر

جاء فى آيات الصيام السابقة أن شهر رمضان أنزل فيه القرآن والليلة التى أنزل فيها ، هى ليلة القدر من هذا الشهر المبارك ، قال تعالى :

---

(١) الفلو : كسمو وكعدو وكحمى المهر .

« انا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ؟ ليلة القدر ؟ خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر » .

فأنت ترى أنه تعالى اختار لانزال القرآن الكريم ليلة القدر ، فكانت به أشرف الليالى وأعظمها قدرا ، وحسبك فى بيان قدرها أنها خير من ألف شهر ، وأن الملائكة تتنزل فيها من أجل كل أمر قدره الله ، وأنها ليلة السلام منه تعالى حتى مطلع فجرها .

وكيف لا ينزل فى أشرف ليلة وهو أجل كلام من أجل متكلم نزل على أعز رسول لأعز أمة وخيرها .

وحسبك فى الدلالة على فضل القرآن قوله تعالى: « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ، وقد بقى هذا التحدى الى يومنا هذا ، وسيبقى الى يوم القيامة ، وقد جاء به نبى أمى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك . اذا لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم . وما يجحد بآياتنا الا الظالمون » فاذا كان الحكماء والفصحاء قد عجزوا عن الاتيان بسورة مثله فمحمد مثلهم ، لأنه فوق قوى البشر جميعا من ناحية فصاحته وبلاغته وروحانيته الجذابة للقلوب والأرواح وتشريعاته الباقية على مر الدهور ، الصالحة لكل زمان ومكان ، واذا كان فوق مستوى البشر كما أنه فوق مستوى الجن ، فلابد أن يكون من عند الله العليم بمصالح عباده ، أيد به رسوله محمدا الذى عرف طيلة حياته بالصدق والأمانة ومكارم الأخلاق « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون » فكان الايمان به حقا له على العباد ، ومسلكا من مسالك الهدى والرشاد .

**اسماء ليلة القدر :**

تسمى ليلة البركة لقوله تعالى فى سورة الدخان : « انا أنزلناه فى ليلة مباركة » وليلة السلام لقوله تعالى فى حقها : « سلام هى حتى مطلع الفجر » وليلة الرحمة لقوله تعالى فى سورة الدخان : « رحمة من ربك انه هو السميع العليم » بعد قوله

« انا أنزلناه فى ليلة مباركة » الآيات من ٣ ـ ٦

**عظمة ليلة القدر :**

عظم الله ليلة القدر بقوله « وما أدراك ما ليلة القدر » أى أنها من فخامة القدر وعظم الشأن تفوق دراية المخلوقين ، ولا يعلم قدرها سوى رب العالمين .

وعظمها بطريقة أصرح اذ قال « ليلة القدر خير من ألف شهر » وقيل فى تفسير ذلك أن العمل الصالح فيها خير منه فى ألف شهر ليست فيها ، وروى عن ابن عباس أنه ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم أن رجلا من بنى اسرائيل حمل السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب لذلك ، وقال يارب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا ، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خيرا من ألف شهر الى يوم القيامة .

ولا أعتقد أن هذا الخبر صحيح النقل ، فبنو اسرائيل ليسوا أطول منا أعمارا ولا أكثر منا أعمالا ولايعرفون قداسة الجهاد ، فهم الذين قالوا موسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » كما أن ألف شهر تساوى ثلاثة وثمانين عاما وثلثا ، ولا يعقل أن هذا الاسرائيلى المزعوم، يظل طيلة هذه المدة يجاهد فى سبيل الله ، فطاقة الجسد على الجهاد لاتبقى هذه المدة الطويلة .

ومن أسباب رده أنه يصرف الناس عن الجهاد فى سبيل الله ، والاعتماد على قيام ليلة القدر التى تعدل ألف شهر جهادا فى سبيل الله ، ولاشك أن خطر ذلك على الاسلام لا حد لفظاعته ، لهذا نرفض هذا الخبر شكلا ( أى سندا ) وموضوعا .

دستور الله لعباده وقانونه لخلقه

والذى أفهمه من الآية أن هذه الليلة عظم الله قدرها بنزول القرآن الشريف فيها ، فهو دستور الله لعباده ، وقانونه لخلقه ، ولاشك أن الليلة التى نزل فيها تعتبر خيرا من ألف شهر لم ينزل فيها ، لما فيه من المنافع التى تعود على العباد فى عقائدهم وأخلاقهم ومعاشهم ومعادهم ، بما اشتمل عليه من قوانين وتشريعات ، وآيات بينات وارشادات واضحات .

فانك ان قارنت بين هذه الليلة التى نزل فيها هذا البلسم الشافى لأمراض

المجتمع الانسانى وعلله ، وبين العصر الذى سبق نزول القرآن تجد أن ذلك الحكم حقيقى خال من المبالغات فقد كان الناس يعيشون قبله بعقول متأخرة ، وأذهان راكدة،حتى عبدوا الحجارة والتماثيل والحيوانات التى هى عاجزة عن حماية أنفسها من الذباب « وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه • ضعف الطالب والمطلوب ، وكانت الحروب بينهم لأدنى الأسباب وأوهى العلل ، ولاتكاد حرب تنتهى حتى تتبعها أخرى ، وكانت الجهالة منتشرة ، والظلم سائدا ، والأعراض مسلوبة،والأموال منهوبة ، والضعفاء مستذلين،والأقوياء مستبدين ، الى غير ذلك من المآسى فكانت هذه الليلة التى نزل فيها القرآن حدا فاصلا بين هذا كله وبين العلم والعرفان وتمجيد الواحد الديان ، والالتزام بقوانين السلوك الرشيدة ، والأخلاق الحميدة ، والاستقرار والتجمع بين الأمة العربية وسواها على أساس من تبادل الخير والنفع والمحبة والسلام تحت دين واحد لرب واحد ، فكيف لا تفضل هذه الليلة التى نزل فيها القرآن الجامع لأشتات الخير ، المانع من اقتراف المآثم كيف لا تفضل ألف شهر؟أليست ليلة الشفاء خيرا من عمر طويل تقضيه عليلا طريح الفراش•

وليس المقصود من ألف شهر العدد بعينه ، بل هى خير من الزمان كله ، ولاشك أن العبادة فى ليلة لها هذا القدر عظيمة المكانة عند الله تعالى ، ولهذا صح فيها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » •

ومما سبق علمت أنها انما سميت ليلة القدر لأنها ذات قدر وشرف عظيم بسبب انزال القرآن الشريف فيها ، من قولهم فلان له قدر بين الناس أى شرف وكرم مكانة •

وقيل سميت بذلك لأن الله ينزل فيها مقادير الأمور للعام المقبل،ليقوم الملائكة مدبرات الأمور بتنفيذها فى حينها ، فينزل للملائكته آجال العباد وأرزاقهم ومقادير الرياح والسحب والأمطار والحروب ، ورحلات الطيور ، والمواليد والموتى ، وغيرذلك من شئون الخلائق من انسان وحيوان ونبات وجماد •

ومدبرات الأمور هم رؤساء الملائكة الأربعة ، وحين يقومون بالتنفيذ يفعلون ذلك بمعونة تابعيهم من الملائكة، وفى ذلك يقول الله تعالى : «انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم » .

وقيل للحسين بن الفضيل أليس الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض قال بلى ، قيل فما معنى ليلة القدر، قال سوق المقادير الى المواقيت، وتنفيذ القضاء المقدر .

وقيل سميت بذلك لأن للطاعة فيها قدرا عظيما .

**كيف انزل القرآن فيها :**

نصت الآية على أن القرآن أنزل فى ليلة القدر ، ولكن لايعلم منها صراحة أنه أنزل كله دفعة واحدة فيها ، أو ابتدىء انزاله ، وقد ذهب الى الأول بعض العلماء ، فقد قالوا أنزل كله ليلتها الى السماء الدنيا فى رمضان من العام الأول للنبوة ، ثم كان ينزل على الرسول منجما ومقسما حسب الوقائع مدة البعثة .

وقال الشعبى : ابتدىء انزاله فى ليلتها ، ولم ينزل كله دفعة واحدة ، وقال عمر : معنى الآية أنزلناه فى شأن ليلة القدر وفضلها ، أى أنزلنا قرآن هذه السورة من القرآن فى شأن ليلة القدر .

**موضع ليلة القدر من ليالى رمضان :**

أكثر العلماء على أنها فى أوتار العشر الأخير من رمضان ، وأكثر هؤلاء على أنها ليلة السابع والعشرين منه ، ولذلك جرت عادة المسلمين أن يحتفلوا بها فيها وعمادهم فى ذلك ما رواه مسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من كان متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين » .

ومن طرائف الاستنباط فى تعيين ليلتها أن عدد كلمات السورة ثلاثون كلمة وأن كلمة « هى » الراجعة الى الى ليلة القدر هى الكلمة السابعة والعشرون ، ونحن لانحتاج الى الاستنباط ، ومعنا النص فى حديث مسلم السابق .

والعلماء مختلفون فى تحديد وقتها، وكل يستند الى رواية صحيحة ولعل اختلاف الروايات يرجع الى أنها تتنقل بين الليالى التى وردت فى الروايات المختلفة .

وانما أخفاها الله تعالى ليتعدد طلب العبد لها بألوان العبادة والدعاء ، كما أخفى الاجابة فى الدعاء ليبالغ العبد فيه ، وكما أخفى ساعة الاجابة يوم الجمعـة ليجتهـد النـاس فى الدعاء جميع يومها ، وكما أخفى موعد قيام السـاعة ليديموا الحـذر منهـا ومن مفاجأتها فى أى وقت وقد علمت أن الأكثرين على أنهـا ليـلة السـابع والعشرين من رمضان •

وكان النبى صلى الله عليـه وسلم يستعد لهـا فيعتكف فى المسجـد فى العشر الأخير من رمضان قالت عائشة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الأخير شـد مئزره وأحيى ليله وأيقظ أهـله ، والمئزر ما يستر العورة ، وشـده كناية عن تمام استعداده للعمل •

**هل هى افضل من ليلة الاسراء :**

ظاهر الآية يدل على أنها أفضل من ليلة الاسراء والمعراج فى حق الأمة ، وان كانت ليلة الاسراء فى حقه صلى الله عليه وسلم أفضل منها ، ولم يأت فى ليـلة الاسراء حـديث يدل على فضل العمل فيها •

**من يحرز فضلها :**

يحرز فضل ليلة القدر من قامها ، قال صلى الله عليه وسلم : « من قام ليلة القـدر ايمـانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقـدم من ذنبه » رواه البخارى ومسلم •

ولمـا كانت ليلة القدر مختلفا فى وقتها ، وأن أرجى الليالى فيها هى ليالى العشر الأخـير من رمضان على رأى الأكثرين ، فلهذا يحسن قيام ليالى هذا العشر بل يستحب ، قال المتولى يستحب التعبـد فى كل ليـالى العشر حتى يحرز الفضيلة على اليقين ، أقول ولعل النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فى العشر الأخير لذلك كما قدمنا •

واحياؤها يكون بقيام لياليها صلاة ودعاء وقرآنا وذكرنا ، وقيامها يحصل بشغل طائفة من وقتها بذلك فلا ينام الليل كله •

ويرى بعض العلماء أن من صلى العشاء الأخيرة فى جماعة ، وعزم على صلاة الفجر كذلك فقد أدرك قيام ليلة القـدر ويرى بعض آخر أن صـلاة التراويح تكفى فى قيام ليلة القدر للمقل ولذلك تنوى بقيام رمضان كما تنوى

بالتراويح ، فاذا ضم اليها صلاة العشاء في جماعة مع العزم على صلاة الفجر كذلك كان ذلك قياما لليلة القدر لا بأس به .

وأصحاب الحظ السعيد ذوو النفوس الصافية والأعمال الطاهرة ينكشف لهم في هذه الليلة مالا يراه غيرهم ، فيرون الملائكة على صورهم مجتهدين في عبادة الله تعالى ، ويرون منازل الأولياء والأنبياء والصديقين والشهداء ، ويطلعون على بعض مظاهر الملك والملكوت ، فيتجلى لهم كبرياء الحى الذى لا يموت وعظمته التى لا حد لها .

ومنهم من يرى الناس في هذه الليلة على الحقيقة التى هم عليها ، وينكشف المستور من حالهم فيعلم المقيم على الطاعة بصدق واخلاص ، والمقيم على المعصية باطنا المرائى بالطاعة ظاهرا .

روى أن بعض الأولياء رأى فيها بعض من كان يعتقد فيه الصلاح على خلاف ظنه فيه ، فنعوذ بالله من الرياء .

ويرى الامام النووى أنه لا يحرز فضلها الا من أطلعه الله عليها ، فمن قامها ولم يشعر بها لم ينل فضلها ، ذكر ذلك النووى في شرحه لمسلم وخالفه الأوزاعى والمتولى حيث قالا ان فضلها يناله من قامها باخلاص لله تعالى ، وهذا هو الصحيح بدليل الحديث الصحيح الذى ذكرناه في هذا الفصل .

« تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » .

هذا كلام مستأنف دال على فضلها ، والملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والروح هو جبريل رئيس الملائكة والسفير بين رب العزة وبين الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ينقل وحيه وكتبه اليهم وهو الذى كان ينزل بالقرآن على النبى صلى الله عليه وسلم آنا فآنا ، قال تعالى : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » .

والتعبير بتنزل للاشعار بأن الملائكة والروح ينزلون في تلك الليلة على دفعات ، ولا يزالون يتنزلون الى الفجر .

وقيل ان الروح أعلى من الملائكة ، وهم حفظة عليهم ، كما أن الملائكة حفظة علينا ، واذن الله أمره ، ( من كل أمر ) معناه من أجل كل أمر قضاه الله عز وجل لتلك السنة كقوله تعالى : «فيها يفرق كل أمر حكيم » .

« سلام هى حتى مطلع الفجر » .

أى يسلم فيها الملائكة على مؤمنى أهل الأرض تحية لهم ، وقيل يسلم الله عليهم ، والسلام من الله الرحمة ، ومن الملائكة استغفار .

وأرى أن المعنى أن هذه الليلة ليلة سلام من الله وأمان ومسالمة منه تعالى لعبـاده ، يقبـل فيهـا من محسـنهم ويتجـاوز عن مسيئهم اذا اقبلوا على عبادته تائبين من ذنوبهم ، وكما أن تنزل الملائكة يبقى حتى مطلع الفجر ، فكذلك يبقى السلام حتى مطلع الفجر

**بقاء ليلة القدر :**

يرى بعض العلماء أن ليلة القدر لاتتكرر سـنويا ، وأنهـا كانت لليلة واحدة وانقطعت ويرى آخرون أنها تكررت فى عهد النبى صلى عليه وسلم ورفعت بعده ، والصحيح أنها باقية الى يوم القيامة .

واستدل من قال برفعها بقوله صلى الله عليه وسلم : «انى خرجت لأخبركـم بليـلة القدر فتـلاحى فلان وفـلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيرا لكم » ولكن هؤلاء غفلو عما جاء فى آخر الحـديث « فالتمسـوها فى التاسعة السابعة الخامسـة » وعلى هذا يؤول رفعها فى صدر الحديث برفع العلم بها ، أى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم بها ، وقد خرج ليعلم الناس بوقتها ، فلما تلاحى الرجلان أنساه الله اياها لحكمـة يعلمها الله ، ولهذا طلب من الناس أن يلتمسوها فى تلك الليالى فانها مظانها عنده صلى الله عليه وسلم .

**زكاة الفطر وصلتها برمضان :**

سـميت زكاة الفطـر لوجـوبها بالفطر من رمضان عند استهلال شهر شوال ، ويقال لها زكاة الفطرة ، أى الخلقة ، لأنها وجبت تزكية للنفس وتنمية لعملها ، وهى تجبر النقص الذى حـدث فى الصـيام كما تجبر سـجدة السهو ما حدث فى الصـلاة روى عن بن عبـاس قـال : «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين » .

والأصل فيها مارواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى ، والصغير والكبير من المسلمين ، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس للصلاة » .

وما رواه البخارى أن عبد الله بن عمر قال : «أمر النبى صلى الله عليه عليه وسلم بزكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير » قال عبد الله « فجعل الناس عدله مدين من حنطة »

وقد جاءت أصناف أخرى غير ماذكر كالزبيب والأقط (١) فى أحاديث أخرى .

وقد وجبت فى السنة الثانية من الهجرة مع صوم رمضان فقد فرض فى السنة الثانية من الهجرة أيضا .

وتجب عند ( الشافعية ) بأول ليلة العيد عن كل من أدرك جزءا من رمضان وجزءا من شوال ،فمن ولد بعد الغروب آخر يوم فى رمضان فلا زكاة عنده وكذا من تزوجها بعد غروب شمس اليوم المذكور ، ومن مات قبل غروبه فلا زكاة عنه أيضا ، وتكون أداء اذا أخرجت قبل غروب الشمس من يوم العيد ، ويحرم تأخيرها عنه ، وتعتبر حينئذ قضاء ، كمن يؤدى الصلاة بعد خروج وقتها .

ويصح تعجيلها من أول رمضان (٢) ، وتلزم زكاة الفطر من فضلت عن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته ، وعن مسكن وخادم وكتب علم وثياب الأسرة ، وما اعتيد عمله فى العيد من نحو كعك ونقل ولحم أو سمك ، ولا يشترط أن تفضل عن دينه على المعتمد عند الشافعية ، خلافا لمن اشترط ذلك .

ويخرج الشخص عن نفسه وعمن تلزمه نفقته منزوجته وولد صغيرأو كبير لايقدر على الكسب لمرض أو اشتغال بطلب العلم أو نحو ذلك ،وعن أبوين فقيرين وان قدرا على الكسب ، ولايلزمه زكاة زوجة أبيه .

---

(١) الاقط : لبن يابس نزع زبده .

(٢) وعند الحقيقة يصح اداءها مقدما ومؤخرا ، لان وقت أدائها العمر كله ، كما فى سائر الواجبات الموسعة ، وسيأتى فى بيان مذهبهم ومذهب المالكية .

ولو أيسر ببعض العصيان قدم نفسه فزوجته فولده الصغير فالأب فالأم فالولد الكبير والواجب عن كل نفس صاع ، وهو خمسة أرطال وثلث بغدادية، والرطل البغدادي مائة وثمانية وعشرون درهما وأربعة أسباع الدرهم، وهو قريب من أربع حفنات بكفي رجل معتدل الكفين ، وهو بالكيل المصري قدحان تقريبا من الحب الخالص ويخرج القدر المذكور من غالب قوت البلد(١) ، ويجوز اخراج قيمة ذلك نقدا تيسيرا على الناس وبخاصة أهل المدن الذين يقتاتون بالخبز (الجاهز) وما تقدم هو مذهب الشافعية كما قلنا من قبل والحنفية لا يوجبونها الا على من ملك نصابا فاضلا عن حاجته الأصلية، وتجب في مال الصبي والمجنون يخرجها عنهما وليهما ، ووقت وجوبها عندهم من طلوع فجر يوم عيد الفطر ويصح أداؤها عندهم مقدما ومؤخرا لأن وقت أدائها عندهم العمر ، الا أنها تستحب قبل الخروج الى المصلى ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « أغنوهم السؤال في هذا اليوم »

ويجب أن يخرجها عن نفسه وولده الصغير الفقير وخادمه وولده الكبير اذا كان مجنونا ، فان كان عاقلا فلا يجب على أبية وان كان فقيرا ، وله أن يتبرع عنه ، ولا يجب على المزكي أن يخرج زكاة زوجته ، فان تبرع بها أجزأت ولو بغير اذنها .

وتخرج عندهم من أربعة أشياء الحنطة والشعير والتمر والزيت ، والواجب عندهم من الحنطة وهي القمح نصف صاع عن الفرد الواحد ، والصاع أربعة أمداد ، والمد رطلان عندهم، والرطل عندهم أيضا ١٣٠ مائة وثلاثون درهما، ويقدر الصاع بالكيل المصري بقدحين وثلث ، فالواجب منه قدح وسدس (٢) ويجب من التمر والشعير والزبيب صاع كامل ، فالكيلة منها تكفي عن ثلاثة ويبقى منها قدح ، ويجوز اخراج القيمة نقودا بل هذا أفضل عندهم لأنها أنفع للفقير ويجوز دفع الزكاة عن جماعة الى مسكين واحد كما يجوز دفع زكاة الفرد الى عدد من المساكين .

---

(١) ويجب ان يعطي عندهم لثلاثة من المستحقين على الاقل ، والكيلة عندهم تكفي عن أربعة تقريبا ولا يلزمه الاقتراض .

(٢) فالكيلة من القمح عندهم تكفي سبعة أفراد اذا زيد عليها سدس قدح بشرط نظافة القمح .

والمالكية توجبها على كل مسلم حر قادر عليها فى وقت وجوبها ولو بالافتراض اذا كان يرجو الوفاء ، ويشترط أن تكون زائدة عن قوته وقوت من تلزمه نفقته فى يوم العيد ، فاذا احتاج اليها فى النفقة فلا تجب عليه ،ويخرجهاعمن تلزمه نفقتهوهم الأولاد الذكور الذين لا مال لهم ، الى أن يبلغوا قادرين على الكسب ، والاناث الفقراء الى أن يدخل الزوج بهن أو يدعى للدخول والزوجة أو الزوجات ، والوالدان الفقيران •

وقدرها عندهم صاع عن كل فرد ، وهو قدح وثلث بالكيل المصرى ، فتجزىء الكيلة عن ستة أشخاص ، وتخرج عندهم من غالب قوت البلد من هذه الأصناف • القمح والشعير والسلت والذرة والدخن والأرز والتمر والزبيب والأقط ( وهو لبن يابس نزع زبده ) كما مر ، ولا تصرف عندهم الا للفقير أو المسكين من غير بنى هاشم وبنى المطلب ، أما باقى الأصناف الثمانية فانها لاتصرف لهم ، وخالفهم فى ذلك الشافعية والحنفية فقد أوجبوا اخراجها لهم ، وهم مجموعون فى قوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم » الآية ويجوز عند المالكية اعطاء كل فقر أو مسكين صاعا أو أقل أو أكثر •

ويندب عندهم اخراجها بعد فجر يوم العيد وقبل الذهاب لصلاته ، ويجوز اخراجها قبل يوم العيد بيوم او يومين ولا يجوز بأكثر من يومين على المعتمد ويحرم تأخيرهاعن يوم العيد ولاتسقط بمضيه ، بلتبقى فى ذمته حتى يخرجها •

ويجوز عندهم اخراجها من الدقيق أو السويق بالكيل وهو قدح وثلث كما تقدم فى الحب فان أخرجت من الخبز فالوزن ، وقدر برطلين بالرطل المصرى،كذا قالوا ولكننى أراهما أقل من وزن قدح وثلث ، فالأولى الاعتماد على وزن القدح والثلث الواجبين عندهم فى الحب •

**تنبيه هام :**

لا أرى داعيا لاختلاف المذاهب فى مقدار ما يخرج عن الفرد الواحد ، ويعتبر مذهب المالكية وسطا بين مذهبى الشافعية والحنفية ، وبما أن الواجب عندهم قدحوثلث وأن الكيلة المصرية تكفى عن ستة ، فلتجعل الزكاة موحدة بين المسلمين على هذا الأساس فى جميع المذاهب ولتخرج القيمة فانها أنفع للفقير ، لافرق بين

مذهب ومذهب تمشيا مع واقع الحياة، ولأن الفقراء يحتاجون فى العيد الى غير الخبز ، من كساء وغيره ، وتقدر فى مصر قيمة سدس الكيلة فى وقتنا هذا بنمو خمسة عشر قرشا بالعملة المصرية يخرجها المزكى عن كل فرد ممن تجب عليه الزكاة عنه ويلاحظ أن الفقير تجب عليه الزكاة اذا فضلت عن قوت يومه وليلته يخرجها لمثله ، روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صاع من بر - أى قمح - على كل اثنين صغير أو كبير حر أو عبد ، ذكر أو أنثى غنى أو فقير ، أما غنيكم فيزكيه الله ، وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطاه » أى أكثر مما أخرجه فى الزكاة لمثله ، لأنه سيأخذ من الزكاة بوصف كونه فقيرا من الغنى أو الفقير ما يعوضه .

ولا شك أن اشتراك الجميع فى مواساة بعضهم بعضا مظهر تعاونى عام يحبه الاسلام ويحض عليه فى هذه المناسبة الكريمة .

**العيد وما ينبغى فيه :**

سمى العيد عيدا العودة وتكرره كل عام ،أو لأن المسلمين عادوا فيه من طاعة الله بالصيام والقيام الى طاعته بالمواساة والتراحم .

ويسن أن يأكل المسلم قبل توجهه الى المسجد أو المصلى لصلاة عيد الفطر ، أما فى عيد النحر فبعد الصلاة اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم .

وليس العيد لمن أكل اللذيذ ، ولبس الجديد ، ولكنه لمن أطاع ربه ، وواسى أهله وزار جيرانه ، واخوانه .

دخل رجل على على بن أبى طالب كرم الله وجهه يوم العيد فوجده يأكل خبزا خشنا ، فقال يا أمير المؤمنين ، أفى يوم العيد تأكل خبزا خشنا ؟ فقال : اليوم عيد من قبل صومه وشكر سعيه وغفر ذنبه ، ثم قال . اليوم لنا عيد ، وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد .

ورأى عمر بن عبد العزيز ولدا له يوم العيد وعليه قميص خلق ( قديم بال ) فبكى عمر ، فقال الولد لأبيه ما يبكيك ؟ فقال يا بنى أخشى

أن ينكسر قلبك فى يوم العيد اذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق ، فقال يا أمير المؤمنين : انما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه ، أو عق أمه وأباه ، فضمه اليه وقلبه بين عينيه ودعا له ، فكان أزهد أولاده بعده

وختاما أسأل الله تعالى أن يوفقنا واياكم فى هذا الشهر المبارك لعبادته، وأن يعيننا جميعا على قراءة كتابه ومواساة الفقراء والمعوزين ، وأن يكف ألسنتنا وجوارحنا عن المعاصى انه نم المولى ونعم المجيب .

**مصطفى محمد الطير**

# الفهـــــرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٦/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

١٣٠٠٢-١٩٧٦س٧٣١٤

## ENGLISH SECTION

*Verse* 46 : (And obey God and His Apostle and do not quarrel, lest you should lose heart, and your power depart and be patient and persevering : for God is with those who patiently persevere).

11. If the enemy is ready to cease war and inclined to reconile, you should be ready for peace.

There is not merit merely in a fight for itself. It should be a pleasant duty to establish the reign of peace and righteousness.

Allah says in verse 8 : 61 what means :

(And if they incline to peace, then incline to it and trust in Allah; surely He is the Hearing the Knowing).

12. When the religion of Islam was in its infancy and the Muslims were weak, the unbelieving prisoners were killed, because severity ought to be used where circumstances require it, though clemency be more preferable where it may be exercised with safety.

Allah's pleasure was that the opposers of Islam should be cut off, as is particularly directed in this verse. But when the Muslims will strengthen and their number multiply, and the religion of Islam spreads everywhere, ransom can be taken in return of releasing the captives of war.

Allah says in verse 8:67 what means :

(It is not fitting for an Appstle that he should have prisoners of war until he has thoroughly subdued the land, you look for the temporal goods of this world, but God looks to, the Hereafter; And God is Almighty, Wise).

Verse 70 : (0 prophet (Mohammad): "Say to those captives of war in your hands : If Allah knows anything good of Faith and repentance in your hearts, He will give you better than that which has been taken away of ransom from you, and will forgive you.

And Allah is Forgiving, Merciful).

That is if you repent and believe, Allah will bestow on you abundant sustenance for the ransom you have now paid.

This is a consolation to the captives if war. In spite of their previous hostility, Allah will forgive them out of His mercy if there was any good in their hearts, and confer upon them a far higher gift than anything they have ever lost. This gift in its highest sence would be the blessing of Islam.

13. The true believers are sure to win because they are promised with divine assistance. Morever, Allah suffices them and supports them with invisible warriors (angels).

Mecca : the Ka'bah and that the unbelievers shall no more have any access to it.

Allah says in verses 8: 34, 35 what means :

*Verse* 34 : (And what excuse have they that Allah should not punish them while they hinder men from the sacred Mosque and they are not fit to be guardians of it ; its guardian are only those who guard against evil, but most of them do not know).

*Verse* 35 : (And their prayer at the House of God is nothing but whistling and clapping of hands; taste then the chastisement, for you disbelieved).

7—This Surah refers to the great value of the success in the battle of Badr as a sign of the prophet's truth ; for, although the Muslims were only a third of the number of their opponents, they actually marched forth to victory).

Allah says what means in verse 8: 26 :

(And remember when you were few, deemed week in the land, and afraid that men might despoil and kidnap you ; but He provided a safe asylum for you, strengthened you with His aid, and gave you good things for sustenance that you might be grateful).

8—It states that success does not only depend on numbers and weapons but also it relies on faith.

Allah says in verse 8 : 29 what means :

(O you believe ! if you fear God. He will grant you a Criterion (to judge between right and wrong), and do away with your evils and forgive you ; and Allah is the Cherisher of Mighty Grace).

9—This Chapter directs the Muslims to be ready to deal a blow and to be well equipped, because they could only hope to secure peace by strength and readiness.

Allah says in verse 8: 60 what means :

"Against them make ready your strength to the utmost of your power, including steels of war, to strike terror into the hearts of the enemies, of God and your enemies, and others besides, whom you may not know, but Allah knows them; and whatever things you will spend in God's cause, it will be paid back to you fully and you shall not be dealt with unjustly).

10. This Surah informs that the battle of Badr was a testing time, and shows how Faith, steadfastness and valour can conquer against odds.

Allah says in verse 8: 45-46 what means :

(6 you who believe ! when you meet a party, then be firm, and remember Allah much that you may prosper).

*Verse* 12 : (Remember when your Lord inspired the angels (with the message) : "I am with you give firmness to the believers : I will cast terror into the hearts of those who disbelieve. Therefore strike off their heads and smite all their fingertips off them).

*Verse* 13 : This is because they contended against God and His Apostle : If any acts adversely to God and His Apostle, then surely God is severe in requiting (evil).

*Verse* 14 : (Thus : "Taste it and know that for the unbelievers is the chastisement of fire).

*Verse* 15 : (O you who believe ! When you meet those who disbelieve marching for war, then turn not your backs to them).

*Verse* 16 : (And whoever shall turn his back to them on that day-unless it be in a stratagem of war, or to retreat to a troop (of his own)-He draws on himself the wrath of God, and his abode is hell : and an evil destination shall it be).

*Verse* E7 : (So you did not slay them, but it was God who slew them, and you did not smite when you smote (the enemy) but it was God who smote, and that He might test the believers by a gracious trial from Himself : for God is He Who hears and knows (all things).

*Verse* 18 : (That, and also because God is He Who makes feeble the plans and plots of the unbelievers).

*Verse* 19 : (If you demanded victory and judgement, now the judgement has indeed come to you. And if you desist, it will be better for you, and if you turm back (to fight), We (too) shall turn back, and your forces shall avail you nothing, even if they were multipilied : for verily God is with those who believe).

—Obedience, intelligent discipline, zeal, faith and gratitude to God are the true passports to succes and protection from the assaults of evil.

Allah says in verses 8: 2, 3, 4; and 20 what means :

*Verse* 2 : (Those only are believers whose hearts become full of fear when God is mentioned, and when His signs are recited to them they increase them in faith, and their Lord do they trust).

*Verse* 3 : (Those who keep up prayer and spend benevolently out of what We have given them for sustenance).

*Verse* 4 : (These are the believers in truth : They shall have from their Cherisher exalted grades and forgiveness and an honourable sustenance).

*Verse* 20 : (O you who believe ! obey God and His apostle and do not turn back from him while you hear (him speak).

6—This Surah states that the Muslims shall be made the guardians of the Sacred Mosque at

and any accessions resulting from it belong to Allah or the community. Thirdly, certain equitable principles of division should be laid down to check human greed and selfishness. A fifth share goes to the Commander, and he can use it at his discretion, for his own expenses, and for the relief of the poor and suffering and the orphans and widows.

The remainder was divided according to the prophet's practise, not only among those who were actually in the fight physically, but all who were in the enterprise, young and old, provided they loyally did some duty assigned to them.

Allah says in verse 41 what means :

(And know that whatever thing you acquire in war, a fifth of it is for Allah and for the Apostle and for the near of kin and the orphans and the needy and the wayfarer, if you believe in Allah and in that which We revealed to Our servant, on the day of distincition, the day on which the two parties met, and God has power over all things).

Men of Faith should obey Allah's directions. Victory and the prize of victory come from Allah, as was proved at the battle of Badr.

Allah says in verses 8 : 5 to 19 :

*Verse* 5 : (Even as your Lord caused you to go forth from your house with the truth, though a party of the believers were surely averse).

*Verse* 6 : (Disputing with you concerning the truth after it was made manifest, as if they were being driven to death while they saw it).

*Verse* 7 : (And when Allah promised you one of the two parties that it shall be yours and you loved that the one unarmed should be yours, but God willed to justify the truth according to His words and to cut off the roots of the unbelievers).

*Verse* 8 : (That He may manifest the truth of what was true and show the falsehood of what wa false, though the guilty disliked).

*Verse* 9 : (Remember when you implored the assistance of your Lord, and He answered you : I will assist you with a thousand of the angels following one another).

*Verse* 10 : (And God only gave it as a good news and that your hearts might be at ease thereby; and victory is only from Allah : surely Allah is Mighty, Wise).

*Verse* 11 : (Remember when He covered you with a sort of drowsiness, to give you security from Him, and sent down upon you water from the cloud that He might thereby purify you, and take away from you the stain of the devil, and that He might fortify your hearts and plant your feet firmly thereby).

insisted so obstinately on pursuing the first design of falling on the caravan, that the holy Prophet grew angry, but by the interposition of Abu Bacr, Omar, Saad Ibn Obaidah, and Mokdad Ibn Amr, they at length acquiesced in his opinion.

Mokdad in particular assured him they were all ready to obey his orders, and would not say to him, as the Children of Israel did to Moses, "Go thou and thy Cherisher to fight, for we will sit here ;" but, "Go thou and thy Cherisher to fight, and we will fight with you." At this Apostle Mohammad smiled, and again sat down to consult with them, applying himself chiefly to the Ansars or Helpers, because they were the greater part of his forces and he had some apprehension lest they should thing themselves obliged by the oath they had taken to him at al—'Akaba to assist him against any oher than such as should atack him in Medina. But Sa'ad Ibn Moa'dh, in the name of the rest, told him that had received him as the Apostle of Allah and had promised him obedience, and were therefore ready to follow him where he pleased, though it were inti the sea.

Upon which the holy Prophet ordered them in Allah's Name to attack the succours assuring them of the victory.

Allah says in verses 8 : 42 to 44 what means :

(Remember when you were on the nearer side of the valley and they were on the farthest side while the caravan was in a lower place than you; and if you had mutually made an appointment, you would certainly have broken away from the appointment, but in order that God might bring about a matter which was to be done, that he who would perish might perish by clear proof, and he would live might live by clear proof. And verily God is He Who hears and knows all things).

*Verse* 43 Remember when in your dream God showed them to you as few : If He had shown them to you as many, you would surely have been discouraged, and you would surely have disputed in your decision, but God saved you; surely He is the knower of what is in the breasts.

*Verse* 44 (And remember when He showed them to you, when you met, as few in your eyes and He made you to appear little in their eyes, in order that Allah might bring about a matter which was to be done. And to God are all affairs returned).

4—As regards booty taken in battle, the first point to note is that thah should never be our aim in war. It is only an adventitious circumstance, a sort of winfall. Secondly, no soldier or troop has any inherent right to it. A righteous war is a community affair,

# THF SIGNIFICANCE OF THE EXEGESIS OF SURAH AL-ANFAAL : OR THE ACCESSIONS

*by*

**Dr. Mohammad Abdel Monem El Gammal**

1—This Surah is of seventy five verses. It is a Medinite chapter except the verses from thirty to thirty six are Meccans. It was revealed after the passage of the Cow (El Bakara).

The name of this chapter is taken from the verse 1 which says what means :

(They ask you about the accessions. Say : The accessions are for God and the apostle. So be careful of your duty to God and set aright matters of your difference, and obey God and His Apostle if you are believers).

2—In this chapter we have the lessons of the battle of Badr enforced in their larger aspects :

*a*) the question of war booty.

*b*) the true virtues necessary for fighting the good fight.

*c*) victory against odds.

*d*) clemency and consideration for one's own and for others in the hour of victory.

(*The Battle of Badr*)

3—The Apostle Mohammad having received private information by Jabriel of the approach of a caravan belonging to the Koraish, which was on its return from Seria with a large quantity of valuable merchandise, and was guarded by no more than forty men set out with a party to intercept it. Abu Sufian who commanded the little convoy, having notice of the Apostle Mohammad's motions, sent to Mecca for succours, upon which Abu Jahl, and all the principal men of the city, except only Abu Lahab, marched to his assistance with a body of nine hundred men. The Apostle Mohammad had no sooner received advice of this than Gabriel descended with a promise that he should either take the caravan or beat the succours, whereupon he consulted with his companions which of the two he should attack. Some of them were for setting upon the caravan, saying that they were not prepared to fight such a body of troops as were coming with Abu Jahl : but this proposal the Apostle Mohammad rejected, telling them that the caravan was at a considerable distance by the sea-side, whereas Abu Jahl was just upon them. The others, however

knowledge. It shows us that knowledge can do more than what a jinn can do. It also shows that the power of a learned man surpasses that of the most crafty jinn. With knowledge he travels across the globe, removes distances and accomplishes miracles.

*The Status Of Knowledge In The Quran.*

We may now draw our attention to the view of the Quran pertaining to knowledge in a direct manner. We should discuss the verses that dwell upon knowledge exhorting it and glorifying it. God mentions :—

"Verily only those who possess knowledge among His servants truly fear Allah." (XXXV : 28).

A man's fear of God lies in his deep knowledge gained by sincere pursuance and true zeal. The greater the depth the greater the fear. This is so because he sees the precision in God's creation and in the Laws of the Universe. He observes wisdom in the wonderful plannings of God which forces him to fall in prostration to his Creator and his Maker.

These are the people who by attaining a sound knowledge of anatomy or by specialization in it see the co-ordination and minutest precision in the various organs of the human body and in their minutest parts. This forces them to prostrate to the Creator if such co-ordination order and creation.

Anatomy is not the only science that bewildered the well versed scientist; in fact astronomy dazzles the astronomer and biology the biologist and so forth. It is in this way that the human mind is bewildered in the sciences of every field pertaining to the universe ; its earth, heavens and that which is in between :

"Blessed is He in whose hands is dominion, and He has power over all things. He who created death and life, that He may try which of you is best in deed and He is the Exalted in Might, oft-Forgiving. He who created the seven heavens one above another. No want of proportion will thou see in the Creation of the Most Gracious. So turn thy vision again ; Seest thou any flow ? Again turn thy vision, second time : (thy) vision will come to thee dull and discomfitted in a state worn out.

(to be continued)

7. A person should express his doubts in advance in mutual matters.

8. A person has the right to place conditions upon the person who wishes to follow him or benefit from him.

9. Once a condition is made it is obligatory to fulfil it.

10. Man is not reprimanded for forgetfulness and faults arising from lack of memory.

We may now round up our Quranic stories pertaining to knowledge by making to a third story. Thereafter we may project our attention to the direct inferences made in the Quran regarding knowledge followed by the traditions of the Prophet.

Here is the Prophet Solomon. He sits majestically with his most intimate companions discussing the paganistic tendencies of the Queen of Sheba who worshipped the sun. He discusses the presents he flung back at her which she had sent to pacify him and conciliate him. At this point he said :

"Will you give me abundance in wealth? But that which Allah has given me is better than that which He has given you! Nay it is ye who rejoice in your gift. Go back to them and be sure We shall come to them with such hosts as they will never be able to meet. We shall expel them from there in disgrace and they will feel humbled (indeed). (XXVII : 36-37)

Solomon then addresses the people around him saying:- "Ye chiefs! which of you can bring me her throne before they come to me in submission?" (XXVII : 38)

One of the large, powerful jinn reputed to be wicked and crafty-replied,

"I will bring it to thee before thou rise from thy council, Verily I have full strength for the purpose and am trustworthy."

Another jinn replied : The Quran portrays his answer in the following words :

"One who had knowledge of the Book said, "I will bring it to thee within the twinkling of an eye ! "

The latter who was versed with the knowledge of the Book implemented his word and within split seconds presented the throne to Solomon. When Solomon observed the throne firmly placed before him he said:

"This is by the grace of my Lord : To test me whether I am grateful or ungrateful, and if any is grateful, verily his gratitude for his own soul. But if any is ungrateful, verily his gratitude is for all Needs, Supreme in Honours !"

By illustrating this story, the Quarn emphasizes the wonders of

society. By Virtue of their being God's Messengers their rank and station, knowledge and wisdom are supreme.

Their positions remain the lofties. Despite this we have the illuminating story of the Prophet Moses and his companion, once, were in search of a learned man whom God had informed them. After strenuous efforts and great patience they found the man. God describes this beautifully :— "So they found one of our servants on whom we had bestowed mercy from Ourselves and whom we had taught Knowledge from Our own presence. Moses said to him : "May I follow thee, on the footing that thou teach me something of the (higher) Truth, which thou has been taught. (The other) said, "Verily thou will not be able to have patience with me ! And how canst thou have patience about things about which they understanding is not complete ?" Moses said : "Thou wilt find me, if God I disobey thee in aught. The so will, (Truly) patient : nor shall (man) said, "If then thou wouldst follow me, ask me no questions about anything until I myself speak to thee concerning it." (XVIII: 65—70).

The prophet Moses accompanies this humble man. They continue travelling together and Moses, the Messenger of God acquires knowledge from this ordinary man. He learns of things he had no knowledge of.

Iman el-Baidawie commenting on the significance of this story has the following to say :

1. Man should always pursue knowledge.
2. Man should show humble obedience to those who import knowledge to him.
3. Man should observe courtesy and etiquette when discussing. Imam el-Sayootie makes the following remarks :—

1. Travel in pursuit of knowedge is extremly desirable.
2. A learned man must further his knowledge.
3. A student should make means for his travels which is not contrary to placing trust in the providence of God.
4. Attributing undesirable things and forgetfulness to the devil is metaphoric. Such expressions are adopted as a mark of respect to God.
5. A student must show humbleness to his tutor even if the latter is below him in rank and station in life.
6. The one who offers know-ledge has the right to excuse himself in doing so if he feels that his student is unable to absorb and benefit from the knowledge.

3. By the first oath it mentions draws the attention of man directly and by way of revelation to pursue knowledge by all means whether by writing, reading or acquiring knowledge.

*Postition Of Knowledge In Islam By Way Of Stories.*

The Holy Quran from its inception emerged as an ally to knowledge. It shed its light with the glad tidings of knowledge. Thereafter the Quran encouraged the pursuit of knowledge in various methods. For instance it explains to us that when Allah created Adam He taught him all the names :-

"And He taught Adam the names of all things." (II : 31).

By virtue of this knowledge Adam's rank was elevated. He was much higher in station than the angels :

"Then (He) placed them before the angels and said, tell me the nature of these if ye are right." (II : 31).

The Angels were unaware of these names and in modesty said : "Glory to Thee; of knowledge we have none, save what Thou hast taught us. In truth it is Thou Who art Perfect knowledge and wisdom' (II : 32).

In the following verse God, indirectly portrays the rank and exalted poistion of Adam :

"O Adam, tell them the names of things". (II : 33).

Then Adam rattled out the names of things. The unique result of this is eloquently portrayed in the following words :

"Did I not tell you that I know the secrets of Heaven and Earth.

And I know what ye reveal and what ye conceal." (II : 33).

A very significant aspect of this, which is often not studied seriously lies in the following verse :

"And remeber, We said to the angels; Bow down to Adam: And they bowed down. Not so Iblis. He refused and was haughty. He was of those who reject Faith." (II : 34).

In the above verse God commands the angels to bow down to Adam after making it clear that Adam's knowledge was superior to theirs. The angles responded and prostrated accordingly. The context of the above verse reveals that man by virtue of his knowledge is elevated to such a supreme position that even the angels prostrate to him.

In the Quran, there is another story of invaluable significance. It is charged with wisdom, meaning-fulness and import. The Messengers of God are the most exemplary members of the human

Allah rest his soul in peace, narrates the most widely quoted tradition reported by Aesha, "mother of the believers" and which is found in most authentic books. It is the tradition relating to the "Commencement of Revelation". The tradition is lengthy and it relates the gripping scene that took place in the cave of Mount Hira, while the Prophet was meditating. There according to the tradition, an Angel appeared unto him saying : Read ! (O Muhammad !) The Prophet replied, "I do not know how to read". Then the Prophet described how the angel embraced him and enveloped him tightly. On releasing him the Angel repeated, "Read ! (O Muhammad !) The Prophet said, "I do not know how to read''. The Prophet went on to say, "He held me for the second time with all his might then released me saying, "Read - (O Muhammad !) I said, I do not know how to read." He continued describing, "He then embraced me for the third time. After releasing me he said, Read ! In the name of thy Lord and Cherisher Who created. He created man out of a mere clot of congealed blood. Read ! And thy Lord is most bountiful ; He Who taught (the use of) the Pen, taught man that Which he knew not. (XCVI: 1—5).

Commenting on the above verse, Sheikh Muhammad Abduh makes the following remark ;

"There isn't a more eloquent statement nor a more decisive evidence of the superiority of reading, writing and Knowledge in all its aspects for the introduction of God's Book and the commencement of Revelation.

God commenced the Revelation of the Islamic Religion with these eternal verses which eulogize reading, writing, and knowledge and more than once they touch on the subject of knowledge. After these verses come the following verse :- "Nun. By the Pen and by the (Record) which (men) write," (LXVIII : 1).

This time the Almighty commenced His Revelation with an alphabet and addressed man with an oath of the Pen, and that which it writes. It was the first oath mentioned in the Quran. As for the name of the Book that was revealed, theologians say, "This Book is named the Quran because it has the essence of all the books revealed. In fact it has collected the essence of all the sciences. The Quran points to this fact in the following words; "Fuller explanation of everything" and "Statment on everything". This goes to prove that the Quran

1. By its very name.

2. By the very first verse that was revealed.

## ISLAM AND KNOWLEDGE

*By*

**Dr. Abdul Halim Mahmoud**

*The Grand Sheikh of Al-Azhar*

---

In various verses of the Glorious Quran the object of the Islamic Call is defined and specified. In one of the verses we read : "It is He who has sent amongst the unlettered an Apostle from among themselves, to rehearse to them His signs. To sanctify them and to instruct them in Scripture and wisdom, although they had been, before, in manifest error." (LXII: 2).

The Almighty refers to His bounty upon the believers in that He chose His Messenger from amongst them and specified the wisdom and purpose underlying this choice : "Allah did confer a great bounty upon the believers when He sent among them an Apostle from among themselves, rehearsing unto them the Signs of Allah sanctifying them, and instructing them in Scripture and Wisdom although before this they were in manifest error." (III : 164).

The verses in chapter LXII, mention that whatever is in the heaven and on earth, all sing the praise and glory of the Almighty. They praise the glory of Allah, the Sovereign, the Holy One, the exalted in Might, the Wise.

The above verse and those of their kind do not require great reflection to grasp their import. To understand their meanings there is no need for exertion and hard thinking. They are as clear as crystal. They point out of wisdom in sending the Prophet which are basically :

1. Knowledge and Science.

2. Sanctification and Purification.

According to the above verses, knowldge is the twinhalf of the entire Islamic Message while the other twinhalf which is actually based upon th former is sanctifying and purity. It is not conceivable that purification and sanctification could be fruitful with ignorance.

Islam Emerged As An Ally To Knowledge.

A cursory glance upon the early years of Islam, when it emerged with its glory, will show the great importance Islam has conferred upon knowledge and science. Imam Ismail el-Bukhari, may

Fasting effectively restricts the increase of uric acid. It is also notable that fasting leads to the decrease of the harmful activity of intestinal microbes and restricts their secrection of poisons. Doctors always advise their patients to lessen the amount of food and try to reduce their weight. Fasting, as it causes the reduction of the quantity of water in the body, blood, and skin, may be considered one of the important factors in the cure of skin diseases.

Modern medicine has stated that after the increase that has taken place in the variety of dishes, that a man eats and the diversification of the ways of cookery he should fast completely for a certain period. Some opinion have called for fasting a day in every month, but it has been found that the best of these opinions agreed upon is fasting for a month every year.

With the advent of Ramadan the whole Muslim world is moved by one current from one end to the other. This is the greatest mass movement on the face of the earth. There is no other example of a mass movement like this in the world, and this is due to the significance of this month which witnessed the first ray of the greatest Divine Message, and many important events not only in the history of Islam but in the history of humanity as a whole.

and all people have the advantages and disadvantages equally distributed.

Also, this month brings together the Muslims, rich and poor, big and small, in great numbers in the mosques and other places to perform prayers. When they stand shoulder to shoulder, seeking the pleasure of Almighty God, they realise the terms of a healthy social relations and equality. Another aspect of social development of man by fasting is that he is thus taught to conquer his physical desires; he takes his food at regular intervals and that is no doubt a desirable rule of life, but fasting for one month teaches him the lesson that, instead of being the slave of his desires he should be their master, being able to change the course of his life. The man who is able to rule his desires, to make them work as he likes, in whom will-power is so developed that he can command himself. The exercise of abstaining from everything that is not allowed, strengthens the moral side of his life. Fasting accustoms him to face the hardship of life, and increase powers of resistence.

Fasting is also useful to increase the mental and intellectual activity of man. Modern science has proved that this activity can be increased by hunger and man's production while fasting is better than his production with a full stomach. Because eating leads to the rushing of greater quantities of blood to the stomach and to the other parts of the digestive system to help in digestion. This process lessens the mental and intellectual activities. It also lessens bodily activity, and this is why the doctors advise us to stop work when the stomach is full. So modern science calls for fasting and clarifies the fact that the good of fasting is not limited to the perfection of the moral character of the man, but it is also one of the most important means of perfection of the individual character.

In addition to these values, fasting has many physical values.The rest given to the digestive organs for a whole month only gives them additional strength by rest. All organs of the body are so made that rest only increases their capacity of work. The better the capacity of the digestive organs, the healthier is the physical growth of man.

Some of the world health resorts, in Germany and Switzerland and in other countries have been obliged to prescribe treatment by fasting. In this way science calls for fasting. Medical studies have proved that fasting maybe considered as a protection and a form of treatment. It is a protection against diabetes because it helps to prevent increase in weight.

forms and motives vary. Islam introduced a new meaning to fasting, as it is made a spiritual, moral and physical discipline of the highest order.

It is evident that the Holy Quran enjoins fasting with the object of making man ascent the spiritual and moral heights. In addition to its spiritual and moral values, fasting as prescribed in Islam has also effective social values. The appearance of the moon of Ramadan is a signal for a mass movement towards equality which is not limited to one section or country but effects the Muslims everywhere.

The Quran and the sayings of the Prophet stress that the seeking of Divine Pleasure should be the ultimate object of fast. The Prophet says : "Fasting is a shield, so the faster should not indulge in foul speech ........" He also said : "If it is the fasting day for one of you, he has not to be fussy or excited, and if he were insulted or attacked, by anybody, he would have to say "I am fasting". Not the deepest devotions can develop that sense of the nearness to God and of His presence everywhere, which fasting does. The Divine presence which may be a matter of faith to others, becomes a reality for him, and this made possible by the spiritual discipline underlying fasting.

Fasting is one of the means which creats honesty in man's life. The hungry man who sees food and dares not get near it, he finds himself thirsty and leaves water nearby untouched. It also creates honesty in man, for he fasts with no censorship but his conscience after God. Then fasting is an effective means to cultivate honesty and to check the whims of the soul, and to lessen his agitation. And so the Quran calls for fasting to implant many good manners needed by man in life and called for by all educational means and scientifical ways just as over-looking every unlawful or detestable thing ; abandoning slander and lying and keeping out of hearing every hateful thing. Explaining the very purpose of the fasting the Prophet states : "He who renounces not falsehood in speech and work, God needs not from him to leave his food and drink."

A lunar month has been chosen for fasting because the advantages and disadvantages of the particular season in which it falls are shared by the whole world. A solar month have given the advantages of shorter days and cooler weather to one part of the world, and burdened the other with the diadvantages of longer days and hotter weather. For these evident reasons, the lunar month is more in consonance with the universal nature for the teachings of Islam;

# MAJALLATU'L AZHAR

**(AL-AZHAR MAGAZINE)**

MANAGER Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

RAMADAN 1396 | ENGLISH SECTION | SEBTEMBER 1976


## THE SIGNIFICANCE OF THE MONTH OF RAMADAN

*By*

**Dr. A M. Mohiaddin Alwaye**

It is a well-known fact that the revelation of the Holy Quran first began in the month of Ramadan. As the month which witnessed the beginning of the Great Divine message, Ramadan was considered to be the most suitable month for the spiritual discipline of the Muslim community. On the other hand, it is due to the choice of particular month, with its advent the whole Muslim world is moved by one current from one end to the other. When they witness the tiny crescent of Ramadan they change the course of their daily lives, and there is a great mass movement in the Muslim world. This is due to the specification of a particular month for this institution.

It will be seen from the words of the injunction that was laid down in the Holy Quran relating to fasting in the month of Ramadan, that the choice of this particular month for this institution is for evident reasons. The Holy Quran says :

« شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . »(البقرة ١٨٥)

It means : "The month of Ramadan is that in which the Quran was revealed, a Guidance to the people and clear proofs of Guidance and the Distinction; therefore whoever of you witness this month, he shall fast therein." (2 : 185).

The institution of fasting in Islam came after the institution of prayer. It was made obligatory and the month of Ramadan was chosen for this purpose. The practice of fasting has been recognised in all religions, though the

المشرف على التحرير :
الدكتور عبد الودود شلبي

بدل الاشتراك

١٠٠ في جمهورية مصر العربية
١٢٠ خارج الجمهورية
للمدرسين والطلاب تخفيض خاص



مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثامن ـــ السنة الثامنة والأربعون ـــ شوال سنة ١٣٩٦ هـ ـ أكتوبر سنة ١٩٧٦ م



بسم الله الرحمن الرحيم

# المستقبل للإسلام

مدير التحرير

ان آفة الاسلام الأولى هى المسلمون أنفسهم . فالتناقض الواضح بينهم وبين الاسلام يقف حائلا كبيرا فى الطريق الى فهمه ، وفى الاقبال عليه واعتناقه وفى الدعوة اليه وتقبله .

فى كل بقعة من العالم نجد صورة هذا التناقض واضحة صارخة ، وهى فى العالم العربى ( مهد الدعوة ) أكثر وضوحا وتناقضا ..

هنا فى هذا العالم تموت كلمة الحق قبل أن تنطق وتمتد الى فم صاحبها ألف يد قبل أن تسمع ! ويهون فيها الانسان حتى لا يعرف مكانه ان كان حيا يرزق .

غير أن الاسلام يزحف فى كل اتجاه من الأرض ، وترتفع أعلامه فى الشرق والغرب ، ويدخل فيه الناس أفواجا من بعد فوج .

وفى هذا المقال الذى كتبه المرحوم محمد فريد وجدى منذ حوالى نصف قرن تتضح حقائق هذه النبوءة التى بشر بها علماء وفلاسفة ، ونادى بها مفكرون عرفوا بالانصاف وسعة الأفق والمعرفة وكان الحديث الذى أدلى به المفكر البريطانى (برناردشو) حول الاسلام هو المدخل الحقيقى الى هذه الكلمة .

يقول المرحوم محمد فريد وجدى :

لقد وقفنا على حديث له فى رسالة انجليزية تحت عنوان ( نداء للعمل ) كشف فيها القناع عن عقيدته فى صلاحية الاسلام لجميع الأمم ، وفى كل الأطوار التى تدخل فيها فى أى مكان وزمان .

فقال فى ذلك الحديث أثناء سياحته فى بمباى : Bambay

« لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامى بسبب حيويته المدهشة ، فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل جيل من الناس .

« لا مشاحة فى أن العالم يعلق قيمة كبيرة على نبوءات كبار الرجال ولقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوربا غدا ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم . وقد صور أكليروس القرون الوسطى الاسلام بأحلك الألوان ، اما بسبب الجهل ، أو بسبب التعصب الذميم .

« ولقد كانوا فى الواقع يمرنون على كراهية محمد وكراهية دينه ، وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح . ولقد درسته باعتباره رجلا مدهشا فرأيته بعيدا عن مخاصمة المسيح ، بل يجب أن يدعى منقذ الانسانية . وانى لأعتقد بأنه لو تولى رجلا مثله دكتاتورية العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة اليهما . ولقد أدرك فى القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون أمثال : كارلايل ، وجوت ، وجيبون القيمة الذاتية لدين محمد ، وهكذا وجد تحول حسن فى موقف

أوربا من الاسلام . ولكن أوروبا فى القرن الراهن تقدمت فى هذا السبيل كثيرا ، فبدأت تعشق عقيدة محمد . وفى القرن التالى ربما ذهبت الى أبعد من ذلك فتعترف بفائدة هذه العقيدة فى حل مشاكلها . فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتى . وفى الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومى ومن أهل أوروبا قد دخلوا فى دين محمد ، حتى ليمكن أن يقال أن تحول أوروبا الى الاسلام قد بدأ » .

يرى القارىء مما مر أن الفيلسوف الانجليزى برناردشو يعتقد عقيدة راسخة فى أن أوروبا قد بدأت تتعشق الاسلام ، وأن القرن الحادى والعشرين لن يمضى حتى تكون أوروبا قد اتخذته دينا لها ، وعهدت اليه فى حل مشاكلها .

وأحسن ما قاله فى حديثه هذا أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يعترف بالتطورات المختلفة للحياة البشرية ، ويستطيع أن يكون جذابا لجميع أجيالها .

فهذه الأقوال لا تصدر الا من رجل يكون قد عرف حقيقة الاسلام ، وشعر كيف يؤثر بجماله على القلب ، ويتسلط بجلاله على النفس . وليس برناردشو أول من شعر بهذا ، فقد سبقه كثيرون وعلى رأسهم جوت الفيلسوف الألمانى المشهور المتوفى سنة ( ١٨٣٢ م ) وهو يعتبر من أكثر رجالات الألمان علما وعقلا وبعد نظر . يؤثر عنه أنه نظر فى الاسلام فأعجبه فقال : « اذا كان هذا هو الاسلام فنحن اذا فيه » . وليس يخفى أن الألمانيين فى ذلك العهد كانوا مظهر الثقافة العلمية بكل ما فيها من مفيد وطريف .

ومما يلفت نظر الباحث الاجتماعى فى حديث الفيلسوف الانجليزى قوله : ان أوروبا ربما اعترفت بالعقيدة الاسلامية طلبا لحل مشاكلها ، وقوله قبل ذلك : انه لو تولى رجل على مثل صفات محمد صلى الله عليه وسلم دكتاتورية العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب اليه السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة اليهما ،

فهــذه الأقوال ليست ملقــاة على عواهنها ، ولــكنها ثمــرات بحث وتحليل وتفكير ، فان القرآن الكريم أرصــد لكل مســألة من مســائل الاجتماع حلا معقولا لا يدع للافراط والتفريط سبيلا الى العبث بالمجتمع ، وقد قام النبى صلى الله عليه وسلم بتطبيق ذلك النظام الالهى على الآحاد الذين اتبعـوه ، فألف منهم أمــة مافتئت تنمو وتشتد وترقى الدرجات العــلى فى كل مجال من مجــالات النشاط العقلى والمــادى ، حــتى انتهت اليهــا زعامة العــالم قرونا متوالية ، فكيف لا ينجح فى معالجة أدواء العــالم الحديث رجل يقوم على قدم محمــد ، فيطبق عليهــا ما أرصد ، القرآن الكريم لكل منها من علاج حاسم ؟

فاذا صح هذا على الأمة الاسلامية الأولى ، وصح على الأمم الأوربية الحديثة ، أفلا يكون أصــح على الشعوب الاسلامية الراهنة •

ان أكبر المسائل الاجتماعية التى تهدد مدنية أوروبا فى العصر الراهن هى المسألة الاقتصادية ، فان النظام الرأسمالى المتطرف الذى يقوم عليه الغرب قد استدعى فى الأزمنة الأخيرة أن يتــولد فى الســواد الأعظم من شعوبه ميول ثورية لا تقف مطالبها عنــد حد ، وما نجمت المــذاهب الاشتراكية التى تبنى نظرياتها على الأصول الاقتصادية الا لتترجم عن هذه الميــول الثورية ، وقد نجحت هذه المذاهب فى جمع كلمة العمال والفقــراء وتعبئتهم تعبئة صــالحة للنضال والثبات مما كان أثره تحسين حــالة المحــرومين من المــال بعض التحسين ، ولكن هؤلاء لا يزالون يرون أن لهــم حقوقا على المجتمع أكبر ممــا رضخت لهــم به تــلك الحكومات • ولمــا كان من شــأن الأمراض الاجتماعيــة أن تستشرى وتعضل اذا لم تستأصل جراثيمها ، فان هذه المذاهب الاشتراكية بمــا تطرفت فى مزاعمهــا ، وتبسطت فى مدعياتها ، قد استحالت الى برامج انقــلابات خــطيرة تهــدد وطائد المجتمعات بالدك عند سنوح أقرب الفرص ، وقد أفضى التناهى ببعضها الى الشيوعية البحتة •

هذه حالة تعتبر على أقصى حد من الخطورة ، وتؤدى الى تداعى بناء المدنية الغربية وسقوطها عند أول صدمة ، فاذا لم تسعف بالعلاج الفعال السريع التأثير فقد لا تبقى ولا تذر . وهل لهذه الحالة من علاج معقول غير النظام الذى أرصده الاسلام لمثلها منذ نحو أربعة عشر قرنا قبل أن توجد المجتمعات الأوربية الحالية ، وقبل أن تستحيل المسألة الاقتصادية فيها الى هذه النتيجة المزعجة ؟

نعم : لقد شرع الاسلام للعالم نظاما تعاونيا حكيما فيه كل ما فى المبدأ الرأسمالى من حسن ونافع ، وكل ما فى المذاهب الاشتراكية من حق وواجب ، فجاء نظاما حاصلا على جميع مزايا المذهبين دون أن يلتاث بشىء من مساوئهما .

فاذا كان النظام الرأسمالى يغمط حق العمل فى الانتاج ، ويتجاهل حق الفقراء من المال الاجتماعى العام ، واذا كان المذهب الاشتراكى يتغابى عن مكان رؤوس الأموال الفردية من بناء الصرح الاقتصادى للأمم ، ويرى أن من الواجب هدمه وبناء غيره على أساس رأس المال الاجتماعى العام ، مغضيا كلاهما عما ينتنى على تطرفهما من النتائج الخطيرة ، فان الاسلام لم يغفل ذلك أصلا ، فأتى بنظام حكيم يقر رؤوس الأموال الفردية من ناحية ، ولا يغضى عن المحرومين منها ، فيفرض لهم حصة سنوية منها من ناحية أخرى . فكان هذا الحل كما ترى وسطا جامعا لمزايا كلا النظامين الاقتصاديين وخالصا من عيوبهما ، تنحسم به مادة المتنازعين على الحياة ، ويبطل تناحرهما عليها ، ويحل محله تكافل ينتظم عليه أمر الجماعة ، ويسود بين فريقيها التحاب والتعاون فى الحياة الاجتماعية ذلك النظام هو الزكاة التى جعلها الاسلام ركنا من أركانه .

فماذا يريد المحروم أكثر من أن يكون له حق مفروض فى مجموع مال الأمة الموزع على أفراد منها ؟ وماذا يبغى صاحب رأس المال أكثر من أن يأمن على ماله فى مقابل حصة

من ربحه يؤديها للحكومة تضعها مواضعها ، مما نص عليه الكتاب فى آية الزكاة المعروفة انما الصدقات ( أى الزكاة المفروضة ) للفقراء والمساكين والعاملين عليها ـ الخ الآية الكريمة ؟

هذا النظام لا يدع لأحد الفريقين المتنابذين سلاحا يشهره فى وجه مناظره ، ولا يترك له طريقا الى ملاحاته .

فهذه علة من العلل التى يعنيها الفيلسوف ( برناردشو ) ويقول انها تشفيها متى أخذت أوروبا بالاسلام وعملت به . وفيها علل أخرى لكل منها دواء خاص فى الاسلام لا يتسع المقام للكلام عنها فى عجالة واحدة .ـ فندخرها لفرص أخرى ان شاء الله .

وبعد: أولا يعتبر هذا كله مصداقا لقوله تعالى : ( سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ) .

ترى هل صدقت هذه النبوءة .؟

نعم ... ولا .. !

نعم .. لأن الاسلام كدين صار معترفا به فى قوانين أوربا ودساتيرها ومنارات المساجد ترتفع الآن فى كثير من عواصمها ومدنها . ولايكاد يمر يوم لا يعتنق فيه الكثير من الأوربيين هذا الدين كطريق للسعادة فى الآخرة والدنيا ...

ولا ... لأن واقع المسلمين يقف . حائلا بين تغلغل هذه الظاهرة فى ضمير أوربا وشعوبها ولن أنسى ذلك الحوار الذى دار بين انجليزى ، ومسلم ، وبين أسرته حين ضيق عليه الخناق بسبب ايمانه ، وكانت الحجة الظاهرة فى اقناعه للعدول عن عقيدته بسبب ما يرى فى عالم المسلمين من تناقض وفى دنيا العرب من شتات وتمزق وبسبب ما يراه هؤلاء الأوربيون من مباذل ومفاسد يرتكبها اناس يدعون الغيرة على الاسلام ،وهى مفاسد ومباذل يندى لها جبين الانسانية كرابطة . فكيف بالاسلام كدين وعقيدة .؟

# فلسفة هيجل وماركس للتاريخ

للأستاذ أبو الأعلى المودودى

ان الضلالات الكبيرة التى تدفقت مع الحضـارة الغربية على الانسانية نبعت من منابع ، أهمها تلك الفلسفة للتاريخ التى وضعها هيجل ، وأسس على مقدماتها كارل ماركس بنـاء على تفسيره المـادى للتـاريخ فيما بعـد .

ان فلسفة هيجل للتاريخ خلاصتها : ان ما يحصل فى الحضارة الانسانية من تطور وارتقاء انما يحصل بظهور الاضداد وتناطحها وتمازجهـا فيما بينها وان كل دور من أدوار التاريخ فى حد ذاته وحدة أو كائن جسدى حى ، وان مختلف نظريات الانسان من سياسية واقتصاديـة ومدنيـة وخلقية وعلميةوعقلية ودينية تكون على مسـتوى معين فى ذلك الدور ويكون بينهما التناسب والتـلاؤم والوحدة المتماسكة ، كأنها جوانب مختلفة لهـذا الـكائن الحـى . أو الوحدة الزمنية تسرى فيها روح هذا الدور بكامله .

وان المبادىء والنظريات والأفكار الانسانية التى تقوم بالتوجيـه فى هذا الدور عندما تصل بالحضـارة الانسانية ومدنيتها الى قمة الطاقة والصلاحية ، ينبثق من حضن هذا الدور نفسه عدوه الذى يترعرع فيه ويبلغ أشده أى أن طائفية أخرى من الأفكار الحديثة ، والميول الحديثة، والنظريات الحديثة،والمبادىءالحديثة لا تتـولد الا من المقتضى الطبيعى لهذا الدور الآخذ فى الزوال بنفسه ثم تشرع فى محاربة الأفكار البالية القديمة .

يستمر الصراع على قدم وساق بين القديم والجـديد الى مدة من الزمان وفى النهاية يحصـل التمازج بينهما بعـد الأخذ والرد ، وتخرج الى حيز الوجود حضـارة عصرية جـديدة خليطة من عناصر قديمـة

وأخرى جديدة .. وهكذا يفاتح الدنيا دور جديد من أدوار التاريخ.

ثم عندما ترتقى روح هذا الدور الجديد الى أعلى مدارجها ، على غرار الدور الذى سبق ، يظهر من حضنها أيضا عدوها، وينشب الصراع العقائدى الذى يتمخض عنه أيضا خليط جديد مكون من عناصر من هذا وعناصر من ذاك ، وبعد الأخذ والرد يصير روحا لدور جديد للحضارة والمدنية .

وهذه العملية للارتقاء هى التى يعبر عنها هيجل حسب اصطلاحه بالعملية الجدلية (Dialectic proces) فكأن مجال التاريخ أو حلبة الدهر تجرى فيها — فى نظره — مجادلة منطقية متسلسلة ، وبموجبها تقوم أولا الدعوى (Thesis) ثم يبرز ضدها جوابها (Antithesis) ، وبعد أن يطول بينهما الصراع فان العقل الكلى أو الروح العالمية تعقد بينهما الصلح ، أى تقبل شيئا من هذا وجانبا من ذلك وتجعل منهما مزيجا (Sythesis) وهذ المزيج الحضارى عندما يتقدم قليلا يتحول الى دعوى ثم يوجه هذه الدعوى جوابها ، ثم ينعقد بينهما الصلح بعد نشوب النزاع بينهما مدة ويأتى الى حيز الوجود مزيج جديد ، وهلم جرا .

فالعملية الجدلية بموجب نظرية هيجل عملية اجتماعية كلية ، وبعبارة أخرى : ان الحضارة الانسانية بكل شعبها وفروعها فى كل عصر من عصور التاريخ بمثابة جسد حى .. أو كائن واحد وأن الأفراد أو الطوائف ليسوا الا بمثابة أعضاء أو أجزاء لهذا الجسد ، فعلى هذا لا يمكن لفرد من الأفراد ولا لطائفة من الطوائف أن تتحرر من طبيعة عصرها الجماعية أو من الروح العامة لمدنية عصرها وحضارته . فكل انسان مهما كان كبيرا ؛ ومن ألمع الشخصيات التاريخية وأبرزها ، ليس فى هذه اللعبة الجدلية أو الصراع الكلى الداخلى الا بمثابة قطعة من قطع البيدق فى لعبة الشطرنج، ففى خلال الفيضان الجارف المتفجر من نهر التاريخ الانسانى تعلو « الفكرة المجردة » وتسير على شارع

الحياة البشرية فى أبهة كأبهة الملوك دون منازع أو مصادم ، تعرض الدعوى أولا ثم تعرض جوانبها ثم تعقد بينهما الصلح بالمزج بينهما . ومن أعاجيب العقل الكلى أو الروح العالمية أنه يعترف بالأفراد ويوهمهم بأنهم فى هذه المسرحية يلعبون دورا هاما ، دور الأبطال البارزين دور الرواد والموجهين .. مع أن العقل العالمى هو الذى يستعملهم لاكمال ذاته فى حقيقة الأمر (١) .

أما كارل ماركس فقد استمد من نظرية هيجل الفلسفة فكرة العملية الجدلية وفصل عنها تصور الروح أو الفكرة ، الأمر الذى كان جوهرا لفلسفة هيجل . وجعل الأسباب المادية أو الدواعى الاقتصادية وحدها هى الأساس لتطور التاريخ فقال : ان الأمر الذى له الأهمية الحقيقية فى حياة الانسان انما هو الاقتصاد ، وأن النظام الاقتصادى فى كل عهد من عهود التاريخ هو الذى يرسم الصورة الكاملة للمدنية الانسانية فى ذلك العهد فالقانون والأخلاق والدين والفلسفة والعلوم والفنون وبالجملة سائر الأفكار والتصورات الانسانية (ideaiagics) لا تتشكل الا بتأثير هذا النظام الاقتصادى . أما الوجه الذى تقوم عليه العملية الجدلية أثناء التاريخ عند ماركس ، فهو أن أية طبقة من الناس عندما تحتكر انتاج أسباب الحياة وتوفيرها وتوزيعها وتجعل سائر الطبقات الأخرى، مفتقرة متسولة أمامها تحت نظام خاص للاقتصاد ، يبدأ القلق والاضطراب

---

(١) ان ذات الله هى التى يعبر عنها هيجل بالعقل الكلى (World Relasan) أو الروح العالمية (worldspirit) او الروح المطلقة (Absalute Spirt) او الفكرة المطلقة (Absalute Ides) وما اليها من الكلمات الأخرى فى حقيقة الأمر فعنده أن الروح العالمية أى الذات الالهية هى التى ترتقى بصورة ارتقاء المدنية او الحضارة الانسانية وأن الله هو الذى يظهر نفسه بنفسه وراء هذا الحجاب ويكدح ويكد لتنمية ذاته ، ويقوم بالمناورة على شارع التاريخ . واما الانسان فالمسكين انما يستخدم كمظهر خارجى او اداة للتنفيذ .

يرفع رأسه بين الطبقات المستضعفة ويجعلها أخيرا تطالب بنظام جديد للانتاج الاقتصادى(Production) ويكون ذلك ــ بكلمات أخرى ــ جوابا لدعوى النظام القديم أو عدوه الذى ينشأ وينمو فى حضنه ، فهنا يبدأ الصراع بينهما والمجموعة الكاملة من قوانين النظام الحاضر ودينه وأخلاقه ونظرياته لا تؤيد فى هذا الصراع والصدام الا النظام القائم فى هذا العهد من ذى قبل ، بينما القوى الجديدة الناشئة ضده، التى لا تقوم الا لأجل المطالبة بتغيير النظام الاقتصادى وأسسه تجد نفسها مضطرة الى أن تضرب بهذه المجموعة القديمة للتصورات القانونية والدينية والاجتماعيةعرض الحائط وتضع بدلا منها مجموعة أخرى تنسجم مع نظامها الاقتصادى المنشود فهذا الصراع الطبقى (Class Struggle) يبقى قائما على قدم وساق مدة من الزمان الى أن يزول النظام الاقتصادى نتيجة له آخر الأمر ، وبزواله تغادر التصورات القانونية والدينية والاخلاقية والفلسفية القديمة مكانها لتحل محلها التصورات الجديدة شاءت أم لم تشأ .

هذا هو تفسير ماركس المادى للتاريخ ، وهو يعرف بالمادية التاريخية : (Histerical materialism) أو المادية الجدلية (Dialectic materialism) فمسألة تهيئة وسائل المعيشة وتوزيعها هى المحور لارتقاء الحضارة الانسانية وجميع ما يطرأ على التاريخ الانسانى من تغييرات وتقلبات ، وفى نظر ماركس أن هذا المحور هو الذى تدور حوله رحى الحياة الانسانية ، وما القوة المحركة لهذا المحور الا قوة الصراع الطبقى، وليست هناك ــ عنده ــ من مبادىء خالدة للدين والأخلاق والحضارة الانسانية تطلق عليها صفة الدوام وتكون خالدة للدين حقا وصدقا فى حد ذاتها ، وعلى العكس من هذا يعتقد ماركس أن الانسان يتبع أولا فريقا تقتضيه مصالحه الذاتية وتدعو اليه مطامعه الاقتصادية ، ثم يختلق دينا وفلسفة للأخلاق ونظاما للأفكار والنظريات ليعمق بها هذا الطريق

ويجعله ويحكمه ويسيره بنجاح ويثبت للناس صحته ، ومما يطابق الفطرة والعقل معا — فى نظر ماركس — ان طبقة من الناس اذا وجدت طريقا آخر يحقق مصلحتها الاقتصادية فلها أن ترفض نظامها الاقتصادى السابق وترفض معه جميع ما يقوم عليه هذا النظام من التصورات الدينية والأخلاقية والقانونية والمدنية ، وتخترع بدلا منها عقائد ومبادىء جديدة أخرى تلتئم مع مصلحتها الاقتصادية ، وفوق هذا يقول ماركس بأن الصراع للأغراض الذاتية المادية هو من عين ما تنشده الفطرة • وأن الطريق الوحيد لارتقاء التاريخ الانسانى أن تتنازع وتتصادم وتتكالب مختلف طبقات الناس فى ما بينها لتحقيق أغراضها ومصالحها الذاتية المادية لأن الانسان ما قطع حتى الآن مرحلة من مراحل التاريخ الا متخاصما متقاتلا بعضه مع بعض وأن ليس عليه الآن الا أن يواصل قطع مراحل التاريخ بنفس المقاتلة والمصارعة ، وأنه ان كان هناك أساس للتوفيق بين مختلف أفراده فانما هو تكتلهم لأجل الأغراض الاقتصادية البحتة ، فكل من كانوا متكتلين على هذا الأساس لابد لهم من أن يتحولوا الى طبقة خاصة تشن الحرب على جميع ما يخالفها من الطبقات •

اننا لا نريد أن نتناول نظريات هيجل، وماركس بالنقد التفصيلى ، انما الذى نريد بيانه هنا ، هو أن هذه النظريات قد جعلت وجهات نظر أهل العلم فى العصر الحاضر عن الدين والأخلاق والحضارة والاجتماع خاطئة من حيث الأساس والمبدأ ، فان الذين قد افتتنوا بفلسفة هيجل قد أشرب فى قلوبهم أمران اثنان وهما :

١ — ان الحضارة بجملتها فى كل عصر من عصور التاريخ وحدة ، وأن كل ما يوجد فى عصر من العصور من الأخلاق والقوانين والدين والعلم والفلسفة والفن والعلاقات الدولية انما هو فى حقيقة الأمر مظاهر متنوعة للطبيعة

الاجتماعية أو الروح العالمية لذلك الزمان .

٢ ــ ان أى مدنية من مدنيات الانسان عندما تنضج وتتبلور وتبلغ ذروة كمالها ، فان طائفة جديدة من الميول والأفكار والنظريات والتصورات تبرز الى الوجود من بطن تلك المدنية نفسها وتشرع فى محاربة الأفكار والنظريات القديمة الى أن تخرج الى المسرح مدنية جديدة يبقى فيها كل ما فى المدنية القديمة من العناصر الصالحة ، وتحل محل العناصر غير الصالحة عناصر أخرى من الأفكار والميول والنظريات الجديدة .

يتضح من ذلك أن أحدا اذا رسخت فى ذهنه هاتان الفكرتان ، من المحال أن يكون أو يبقى مقتنعا بتعليم قد مضى عليه عدد من القرون أى التعليم الذى يرجع أصله الى عصر من العصور الفائتة حسب عقيدته . انك كلما ذكرت له ابراهيم، وموسى، وعيسى ، ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم . قال : « انما كان كل واحد من هؤلاء وليد زمانه ، ليقدم جوابا لدعوى المدنية الرائجة فى ذلك الزمان الذى تحول الى جزء من أجزاء المزيج الحضارى (Synthesis) بعد أن جاوز ما جاوز من فترة الصراع والأخذ والرد وكم من جواب بعده تعاقب وفرض نفسه ثم تحول الى مزيج حضارى كما أسلفنا . وأن المدنية الانسانية مازالت تجتاز بعده مراحل التقدم والرقى حتى بلغت الزمان الذى نعيش فيه ولا نشك أننا نجل هؤلاء الأفراد ونعترف لهم بما يستحقون من الفضل والتقدير من حيث عملوا لتطوير المدنية الانسانية وتنميتها فى عهودهم ، ولكن لا يصح البتة أن نرجع القهقرى ونجابه دعوى المدنية الحاضرة بجواب قديم قد أكل عليه الدهر وشرب .

ان اتباع ماركس يشاركون اتباع هيجل فى هاتين الفكرتين ومع هذا فقد استولت على أذهانهم فكرة ثالثة هى : أنهم لا يرون كل مايوجد فى عصر خاص من عصور التاريخ من الأفكار والتصورات الدينية والخلقية والقانونية الا متولدا من

النظام الاقتصادى الرائج فى ذلك العصر • ويقولون ان هذه التصورات والمبادىء والقوانين ما وضعت الا لحماية وحفظ النظام الاقتصادى الرائج فى ذلك الزمان • فالنتيجة المنطقية اللازمة لعقيدتهم هذه أنه كلما تغير أسلوب انتاج وتوزيع أسباب المعيشة للانسان ، فلابد أن يصاحبه التغير الشامل فى كل شىء من الدين والأخلاق والقانون ، لأنها ما كانت تساير الا النظام الاقتصادى القديم ولا تصلح للانسجام مع روح النظام الجديد • فهل لأحد أن يدعى أن من كان يعتقد بنظرية ماركس ، يستطيع أن يكون — فى الوقت ذاته — مؤمنا بتعليم دينى أو شريعة أو نظام خلقى يرجع الى ما قبل القرون • وقد نشر أحد الشيوعيين مقالا عنوانه : « أى شىء لا نجده فى الشيوعية » ؟ وحاول أن يثبت فيه أن لا تناقض هناك بين الشيوعية والاسلام ولربما يكون هناك رجال آخرون من طرازه يقولون بصحة الفكرة ، فانى أطلب منهم أن يدرسوا أولا تعبير ماركس المادى للتاريخ وتنائجه المنطقية ثم يتفكروا : أى مجال يبقى لمن اعترف بصحة هذه الفكرة لأن يقول بأنه مسلم ؟ لاريب أنه من حق كل شخص أن يختار ما يشاء من عقيدة ، فهم ان كانوا يعتقدون بصحة نظرية ماركس ، فلهم أن يختاروها ، ولكن الواجب عليهم مع ذلك أن يكونوا على بينة من الأمر وألا يساور أذهانهم أى نوع من التعقيد والارتباك أما كونهم يزعمون عقيدة ثم يعتقدون فى عقيدة تضادها فى الوقت ذاته فهذا يدل على ارتباك فى أذهانهم وهو أمر يدعو الى الأسف ويبعث على الأسى •

لقد حاول كل من هيجل وماركس أن يبلغ الحقيقة ويكاشفها ، ولكنهما فشلا فى بلوغها فشلا ذريعا • ان كل واحد منهما لم يجد الا جزءا يسيرا من الحقيقة فحاول أن يثبته كالحقيقة الكاملة فانتهى به المطاف الى أن وقع هو نفسه فى هوة سحيقة من الخطأ ونسج لغيره من الناس شبكة من الأخطاء • والأغاليط يقعون فيها ويذهبون ضحيتها •

واذا كان هناك جانب من جوانب فلسفة هيجل للتاريخ على شىء من الصحة فليس الا القول بأن كل

ما حصل من ارتقاء فى المدنية الانسانية عبر التاريخ ، حصل بسبب الحرب بين الأضداد ، أولا ثم التصالح بينها ثانيا . الا أن هيجل جاء يمزج هذه الفكرة الصحيحة بأفكار خاطئة كثيرة ويبنى نظرية لا تقوم معظم أعمدتها الا فى الفضاء ان قول هيجل بأن الله هو روح العالم ، وقوله ان الله يتخذ الانسان أداة لاستكمال ذاته وأن تاريخ ارتقاء المدنية الانسانية انما هو تاريخ السفر الذى يقوم به الله الى منتهى كماله ، فما كل هذا الا آراء سخيفة واهية ليس فى السماء ولا فى الأرض ما يثبت صحتها ثبوتا بحق فيرتاح اليه القلب وتطمئن اليه النفس .

ثم ان قوله بأن الانسان فى مسرح التاريخ ليس الا ممثلا لا شعور له ولا اختيار ولا ارادة ، وأن الله هو الذى يطرح الأفكار المتعارضة على بساط المسرح بوساطة الناس ويجعلهم يقتتلون أولا ثم يعقد بينهم الصلح ويحدث فيهم صورا جديدة للفكر والخيال فهذا أيضا قياس فاسد لا أساس له من الصحة ولا تؤيده حقيقة علمية .

فهذه هى أخطاء هيجل الأساسية قد جعلت فلسفته للتاريخ لغزا من الألغاز ثم اننا اذا تأملنا فى نظريته للجدال التاريخى ، وان كنا نلمح فيها بعض جوانب الصحة والصدق ، الا أن عنصر القياس والتخمين فيها يغلب على عنصر الاستشهاد بأحداث التاريخ . ولم يحد هيجل عن جادة الصواب فى قوله : ما زالت الحرب قائمة بين الأفكار المتضادة على مر التاريخ ، وما زال الصلح يحصل بينها بعد الحرب فيحولها الى جزء من أجزاء المزيج الحضارى ، الا أنه ما كرس نفسه كى يتعرف على حقيقة المسألة ويعرف نوعية الأضداد التى تحصل بينها الحرب فى الحقيقة ، ودواعى انعقاد الصلح بينها آخر الأمر والسبب فى أن المزيج الذى يأتى الى الوجود نتيجة هذا الصلح يولد فى حضنه عدوا لنفسه بعد ذلك فبدلا من أن يدرس هيجل هذه العملية الجدلية دراسة وافية تحليلية ، ألقى عليها نظرة عابرة كما يلقى الطائر نظرة على المدينة فى أثناء التحليق فى جوها .

أما ماركس فلم يكتب له الحظ اليسير من عمق النظر وسعة الأفق

الذى كتب لهيجل . انه لا يحاول أصلا أن يعرف ويفهم فطرة الانسان وصنعه وتركيبه فهو لذلك انما ينظر منه الى الحيوان الخارجى الذى يبحث عن الطعام والشراب ولا ينظر أبدا الى الانسان الداخلى الذى يعيش داخل (كبسول) هذا الحيوان الخارجى ، والذى ليس الحيوان الخارجى الا أداة من أدواته ، والذى تختلف مقتضيات طبيعته عن مقتضيات طبيعة الحيوان الخارجى ، ان قصور نظر ماركس وضآلة فهمه جعلت كل نظرياته الاجتماعية باطلة كل البطلان ، وأصبح يظن أن الانسان الداخلى انما هو تابع أو مستخدم بل عبد مذلل للحيوان الخارجى ، وأن كل ما أوتيه من قوى العقل والاستدلال والتفكير والبحث والمشاهدة والاستنباط والتحقيق والاختراع انما هو مقصور على خدمة الحيوان الخارجى وتحقيق شهواته ومطالبه وأغراضه ، ولهذا فان أقصى ما قام به الانسان الداخلى حتى الآن أو يستطيع أن يقوم به فى المستقبل ، لا يعدو — على حسب قول ماركس — أن يكون وضعا لمبادىء الأخلاق والقانون ، واختراع تصورات للدين ، وتقرير طريق للحياة وفقا لأهواء الحيوان الخارجى ، ما أضأل هذه الفكرة لحقيقة الانسان .. وما أبلد الأذهان التى ترتاح اليه وتقبله .

اننا لا نشك فى أن أحاسيس الحيوان الخارجى ومطالبه كثيرا ما تؤثر فى عزيمة الانسان الداخلى وأن هناك كثيرا من الناس تغلب عليهم حيوانيتهم . ولكن ما أخطأ فكرة ماركس القائلة بأن الانسان الداخلى لا يملك أى نفوذ يقهر به الحيوان الخارجى ، وما أخطأ دراسته لتاريخ الحضارة الانسانية التى جعلته لا يرى الحضارة الانسانية الا عمل أولئك الذين كانت انسانيتهم تتبع حيوانيتهم ، مع أنه لو تأمل فى صفحات التاريخ بعين متفتحة ، لوجد أن كل ما هو ثمين وصالح وجدير بالتقدير والاحترام من عناصر المدنية الانسانية انما هو منحة من أولئك الذين جعلوا حيوانيتهم تتبع انسانيتهم ، وأثروا بشخصيتهم القاهرة أغلبية ساحقة من أفراد البشر ضحايا الحيوانية ، فأفرغوا حياتهم فى قوالب ، مبادىء دائمة للحضارة والتهذيب والشرف والأخلاق والعدل والانصاف .

ولو أن هيجل وماركس درسا القرآن ، لما لقيا فى فهم حقيقة الانسان وادراك القانون الأساسى لارتقاء المدنية الانسانية من العثرات ما قد لقيا باللجوء الى الظن والتمسك بأذيال التخمين ، لأن ما قد يتقدم به القرآن من علم الانسان وفلسفة التاريخ يحل بصورة صحيحة وبأسلوب مقنع جميع تلك المسائل التى قد ارتبك فيها هيجل وماركس وارتبك فيها أمثالهما من مفكرى الغرب وفلاسفته .

وبموجب بيان القرآن ليس الانسان عبارة عن مجرد الوجود الحيوانى (Biological الذى هو محل الجوع والشهوة والطمع والخوف والغضب وما اليها من الغرائز ، وانما ( الانسان ) عبارة عن ذلك الوجود المعنوى الذى يعيش فى داخل الغلاف الحيوانى وهو محل الأحكام الخلقية ولم يجعل — كالحيوانات الأخرى — مجرد عبد للغريزة (Liitinct وانما أوتى مواهب مختلفة من العقل والوعى وقوة اكتساب العلم والرأى والفكر ، كما أوتى نوعا من الاستقلال الذاتى (Autonomy) ان الطبيعة لا توجهه كالحيوانات الأخرى عن طريق معين تقليدى ولا تكفل له جميع حاجاته بنفسها ، وانما قد أعطاه الله قوة الكد والجهد وتركه فى الدنيا لينال كل ما ينال بسعيه ويختار ما يختار من الاتجاه والطريق فى حياته بسعيه واجتهاده ويكون فى مقدوره أن يتابع سيره فيه الى ما يشاء ، فالروح الحائزة لهذا النوع من الاستقلال ، المالكة لهذا الطراز من السعى ، المنتخبة وجهة سعيها وخط سيرها ، هى الانسان فى نظر القرآن .

أما الحيوان الخارجى ، فقد منح للانسان الداخلى ليستخدمه ويتخذه أداة له وهذا الخادم انما هو جاهل لا يعرف الا الأهواء وشهوات النفس ومطالب الجسد ، ولا يستهدف الا الحصول على رغائبه وتحقيق حاجاته ، فهو بدلا من أن يخدم الانسان الداخلى ، يريد أن يطغى عليه ويستخدمه ويكرهه على أن يصير مجرد آلة بيده لتحقيق

مطالبه ، ورغباته الحيوانية بكل ما عنده من المواهب العقلية والقوى العلمية ، ويجعل فكره فى الحضيض بدلا من أن يعلو الى السماء ، ويجعل صدره ضيقا ويستنفد جهده ليجعله يعبد المحسوسات ويثير فى نفسه العصبيات الجاهلية ٠

وعلى العكس من هذا فان الانسان الداخلى تقتضى فطرته أن يسخر لنفسه الحيوان الخارجى ، وقد ألهمه الله علم الفجور والتقوى ، وأعطاه الكفاءة للتمييز بين طرق الخير والشر ( وهديناه النجدين ) وجعل فيه حسا خلقيا يقتضيه من الداخل أن يحقق حاجاته الحيوانية بطريق يناسب انسانيته لا كما تحققها العجم ٠ ولذا فانه بنفسه يستحى أن يميل الى الطرق البهيمية ، ويترفع بنفسه عن المقاصد الحيوانية ويحرص دائما على أن يتحول كائنا أعلى درجة وأفضل مكانة ، ويوجد فيه — بحكم شعوره الفطرى — الطلب لأن تقضى حياته لأسمى غايه وأنبل مقصد ٠

وعلى هذا ليست الحياة الانسانية من أولها الى آخرها الا ساحة للحرب القائمة بين الانسان الداخلى والحيوان الخارجى ، فالحيوان الخارجى يدفع الانسان الداخلى الى الأسفل ، وبعد أن يجعله تابعا لنفسه يشق بواسطته طرقا معوجة مشحونة بالظلم والعدوان والفحشاء والمنكر والاثم والبغى محفوفة بعبادة شهوات النفس ولذائذها والالتواء فى العلاقات الانسانية ٠ أما الانسان الداخلى فلا يرضى لنفسه بهذا اللون من الذل فيثور على الحيوان الخارجى ، الا أنه أثناء محاولته لتسخير الحيوان الخارجى واستذلاله واستعباده يميل الى طرق معوجة أخرى فيها الرهبانية والرغبة عن الدنيا واضطهاد النفس والعدول عن الحاجات الفطرية والفرار عن تبعات الحياة الاجتماعية ، فهناك يتمرد عليه الحيوان الخارجى مرة أخرى ويجره الى طرقه المعوجة ٠

فهاتان القوتان للافراط والتفريط تثور كل واحدة منهما على الأخرى من حين لآخر ٠ وبتأثير كل واحدة

منهما فى الأخرى ينشأ فى الدنيا من النظريات والمبادىء والمناهج العملية ما يشتمل على عناصر للحق وعناصر للباطل ، والانسان يجرب هذه المبادىء والنظريات والمناهج العملية حينا من الدهر ، وأخيرا فان فطرته الحقيقية التى تحن دائما الى الصراط المستقيم ، تنبذ كل مايكون فيها من العناصر الباطلة نبذ النواة حتى لا يبقى منها فى الحياة الانسانية الا الحق والصدق ... : ( كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ) . ولكن ما أن تفشل المجموعة الداعية الى الافراط أو التفريط حتى تأتى الى الحلبة مجموعة أخرى داعية الى الافراط والتفريط الى مدة من الزمان ، ثم ترفض الفطرة الانسانية هذه المجموعة أيضا لنفس الأسباب التى كانت قد رفضت بموجبها المجموعات السابقة المختلطة عن عناصر الحق والباطل .

فهكذا نجد أن ارتقاء الحضارة الانسانية على مر التاريخ انما يتمثل فى صورة خط متعرج يتقاطع مع خط مستقيم مرة بعد مرة كما هو ظاهر فى الرسم الآتى :

ففى هذا الرسم ، الخط ( ا = ب ) هو الطريق الفطرى للحياة الانسانية الذى يعبر عنه القرآن بكلمات الصراط المستقيم والرشد والهدى وسواء السبيل وسبيل الرب وما اليها . لقد كانت الانسانية على فطرتها فى بدء الأمر : ( كان الناس أمة واحدة ) ثم ظهرت فى الناس ميول الى تعدى حدودهم المشروعة ( وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ) فهذه الميول ما زالت تحيد بالانسان بعيدا عن الصراط المستقيم الفطرى مرة بعد أخرى .. ولكن فى كل مرة نجد أن مرارة التجارب وقلق الفطرة الانسانية يجبرانه على الرجوع الى طريق الفطرة ، ولكن الانسان ما كان يرجع الى طريق الفطرة الا ليبتعد عنه مرة أخرى الى الجهة المعاكسة ثم يجد نفسه مرة أخرى مضطرا الى الرجوع الى طريق الفطرة .

فالذى يعبر عنه هيجل بالدعوى وجوابها ، انما هو الميول المتطرفة التى تجر الانسان الى هذا الجانب من الخط المستقيم مرة والى الجانب المعاكس له مرة أخرى ، وان الذى يعبر عنه بالتركيب والمزج ، انما هو النقط التى يلتقى عليها الخط المتعرج مع الخط المستقيم ويقاطعه .

ان هيجل وماركس وجدا فى التاريخ هذا الخط المستقيم ، ولكنهما ما استطاعا أن ينظرا ذلك الخط المستقيم الذى هو مرسوم من الأزل الى الأبد، والذى يقتضيه فطرة الانسان من داخله ، والذى بوجوده خلال هذه الطرق المعوجة يشكل حقيقة يشهد بها كل قلب واع متأمل ، والذى فطر كل انسان على البحث عنه وبلوغه .

ان الأنبياء عليهم السلام هم الذين يعرفون هذا الصراط المستقيم، فقد دعوا الناس — كل فى حينه — الى هذا الصراط الوسط ، وأنشأوا عليه المدنية الانسانية فعلا : ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ) .

**ابو الأعلى المودودى**

---

## رجال الدعوة

« اننا فى حاجة الى رجال ينقطعون الى هذه الدعوة ، ويكرسون عليها علمهم ومواهبهم وكفايتهم ، ولا يطمعون فى مصب أو جاه أو وظيفة او حكومة، ولا يحملون لأحد حقدا ، ينفعون ولا ينتفعون ، ويعطون ولا يأخذون ، ولا يزاحمون طبقة فى شىء تحرص عليه تتهالك حتى لا تكون لها حجة عليهم ولا للشيطان سبيل اليهم ، شعارهم الاخلاص والتجرد عن الشهوات والانانيات والعصبيات » .

# دعاء النبى

## صلى الله عليه وسلم

للأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

— ٢ —

تعالوا نلق نظرة على الأدعية التى أثرت عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى دواوين الأحاديث وكتب التاريخ والسير ، ولننظر :

هل يستطيع أحدنا — مهما بلغ من تضلعه من الأدب ، وبراعته فى الفنون الأدبية والأساليب البيانية — أن يأتى — وهو يريد أن يبدى عجزه وضعفه ، ويصور فقره واحتياجه ، ويستجلب رحمة ربه ويستمطر سحابة كرمه — بكلمات أشد منها تأثيرا ، وأدق منها دلالة على المعانى وأكثر منها قلة فى المبانى ، وأحسن منها وقعا فى النفوس وجذبا للقلوب وسحرا للأذهان والعقول .

تصور سفره — صلى الله عليه وسلم — الى الطائف ، وما يحف به ، وأرسل النظر الى قلب المسافر المنكسر ، وقدميه المتضرجتين بالدم ، واقرأ فى هذه البيئة الظالمة الخانقة :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس رب المستضعفين الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ، أو الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، غير أن عاقبتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن يحل بى غضبك أو ينزل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك (١) » .

---

(١) جاء هذا الدعاء فى تاريخ الطبرى بهذه الألفاظ . وقد أخرجه صاحب كنز العمال بتغيير يسير .

أفهل تستطيع أن تأتى — وقد تكيفت نفسك بهذه الكيفيةالعجيبة بكلمات أحسن منها وأوقع ؟ أو هل تقدر مكتبات العالم الأدبية الغنية على أن تساعدك بألفاظ أكثر منها رشاقة ، وأحسن منها صياغة ؟

وتصور كذلك ميدان « عرفات » وهو يدوى بأصداء « اللهم لبيك ، اللهم لبيك ، ويتجاوب مع أدعيته الحجاج الكرام وقد تجلت فيه صمدية الأحد الصمد ، وعظمته وجبروته ، ترى فى هذا الحشد العظيم الكريم « رجلا » حاسرا عن رأسه ، لابسا احرامه — فداه أبى وأمى — يحمل على عاتقه مسئولية البشرية جمعاء ، ويشاهد عظمة الاله وكبرياءه أكثر من كل من يستطيع هذه المشاهدة ويطلع على عجز الانسان ، وضعفه ،ووعيه أكثر من كل من يقدر على هذا الاطلاع ، فى هذا الجو المهيب ، يدوى بصوته الأرجاء ، فيسمعه السامعون :

« اللهم انك تسمع كلامى ، وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلانيتى ، لا يخفى عليك شىء من أمرى ، وأنا البائس الفقير ، المستغيث المستجير، الوجل المشفق ، المقر المعترف بذنبى أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، فاضت لك عبرته ، وذل لك جسمه ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك شقيا ، وكن رؤوفا رحيما ، يا خير المسئولين ، ويا خير المعطين [1] » .

أفهل يستطيع الانسان أن يجد — لكى يعبر عن كبرياء الله وعظمته ويعترف بعجزه وضعفه ، وفقره واحتياجه ، وقلة حيلته وهوانه ، ويثير رحمة ربه ، ويستجلب كرمه — كلمات أكثر منها وقعا ، وأغنى منها اخلاصا ، وأشد منها جذبا للنفوس ونفوذا فى القلوب ؟ أو هل يستطيع أحدنا أن يصور كيفية قلبه ، وعجزه ومسكنه بأحسن من ذلك وأدق منه،

---

(١) كنز العمال مرويا عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وأيم الله ان هذه الكلمات لكفيلة باثارة سحابة كرم الكريم الحقيقى وكلما تكررها الأذهان ويجرى بها اللسان تفيض العيون دموعا ، وتترائى الرحمة الالهية مقبلة . فألف ألف صلاة وسلام على رحمة العالمين ، اذ أنه علم أمته هذه الأدعية الرائعة ذات الأثر البالغ والصياغة الدقيقة وعرفنا كيف تقرع « باب الرحمة » اللهم صل وسلم عليه وعلى عترته بعدد كل معلوم لك .

ولكى يستميل الانسان ، الملك المقتدر ، القوى الغنى ، القادر المطلق ، السلطان العادل ، ويستجلب رحمته وعطفه وحنانه ، لا شىء يفى له بذلك مثل الاعتراف بعجزه وضعفه ، وعبوديته ونقصه ، بأحسن ما يكون الاعتراف بأنه عبد الملك كابرا عن كابر ... وأسرة بعد أسرة ، فهو مملوك ابن مملوك ... الخ . وهو مدين العتبة السلطانية القديم ربيب هذا النعيم العميم ، والسلطان يملك نفسه وماله ، وكل شىء بيده ، اذا فمن يرحم على عبده ويواسيه من بعده ، فلننظر : هل يمكن أحدا أن يأتى بهذه المقدمة «اللازمة» بأحسن مما أتى به محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو ربه فيفيض .

« اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هولك ، سميت به نفسك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور بصرى ، وجلاء حزنى وذهاب همى [1] » .

ان حاجات الانسان لا يأتى عليها الحصر ، واختيارها صعب ، واستقصاؤها أشق ، اذا فأى حاجة يسألها ، وأى حاجة يتركها ؟ شىء فى منتهى الصعوبة وغاية الحرج .

ولننظر فى حاجاتنا ، لو أتيح لنا فرصة سؤالها واستشباعها ، لتواجهنا الصعوبة ويعقبها التلف ، والأسف . فانظر كيف عبر النبى ـ عليه

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه عن ابن أبى أوفى .

الصلاة والسلام ـ عن حاجيات الانسان أرق تعبير ، وكيف مثل الانسانية كلها تمثيلا صادقا جامعا شاملا ـ اذا كانت هذه الانسانية سليمة الطبع صحيحة الادراك .

« لا اله الا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم .. والحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم ، لا تدع لى ذنبا الا غفرته ، ولا هما الا فرجته ولا حاجة هى لك رضى الا قضيتها يا أرحم الراحمين (١) » .

ويقول فى دعاء آخر :

« اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر (٢) » .

ما أحرص الانسان على الراحة واللذة ، غير أنه قصير النظر ، فهو يطلب اللذة الفانية ويسعى للمسرة الزائلة ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدرج ذلك فيعلم أمته من خلال أدعيته أن ما ينبغى أن يطلبه الانسان هو اللذة الباقية ، والراحة الدائمة ، والمسرة فى الحياة الآخرة ، ولذة النظر الى وجه الله الكريم ، والشوق الى لقائه ، فيقول :

« اللهم انى أسألك نعيما لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر الى وجهك ، والشوق الى لقائك (٣) » .

ان الخلق الحسن أغلى نعمة بعد الايمان ، والذى أخبر عن نفسه : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ما كان ليتغافل عن أهمية الأخلاق الكريمة والصفات النبيلة ويتغاضى عن خطورتها ودقتها ، ولذلك فنرى

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه عن ابن أبى أوفى .
(٢) رواه الامام مسلم رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنهما .
(٣) المستدرك عن عمار بن ياسر ـ رضى الله عنهما .

أن مكارم الأخلاق والترغيب فيها والتشجيع عليها ، تشغل جزءا كبيرا من الأدعية المأثورة ، ويشتمل هذا الجزء على حقائق خلفية وخلجات نفسية دقيقة ، تناولها علماء الأخلاق والنفس — فعلا — دراسة وتحليلا .

فاقرأ أولا دعاء له — صلى الله عليه وسلم — جامعا ، ثم اقرأ الأدعية المأثورة الأخرى التى تتناول الجوانب المتنوعة للخلق البشرى ، فيقول — صلى الله عليه وسلم — فى دعاء له وقت تهجده :

« اللهم اهدنى لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق ، لايهدى لأحسنها الا أنت . وقنى سيىء الأعمال وسيىء الأخلاق ، لا يقى سيئها الا أنت [١] » .

حينما يشاهد الانسان صورته فى المرآة،يدرك اعتدال أعضائه ، واتزان جسمه ، وصدق قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » فلم يفت النبى — صلى الله وسلم — ان يشعر أمته بهذه المناسبة كذلك بأهمية الخلق الحسن ، فعلمها أن تدعو الله لتحسين الباطن بجانب تحسين الظاهر ، فباجتماعها يستحق البشر ان يكون خليفة الله فى الأرض فيقول — صلى الله عليه وسلم — وهو يرى صورته فى المرآة : «الحمد لله ، اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى [٢] » .

ان الحياة الطيبة « تحتاج فى تكاملها الى ايمان ، وصحة ، وخلق حسن فيقول — صلى الله عليه وسلم — فى دعاء له :

« اللهم انى أسألك صحة فى ايمان ، وايمان فى حسن خلق »[٣] .

---

(١) رواه النسائى عن جابر عن عبد الله رضى الله عنهما .

(٢) رواه الامام احمد فى مسنده عن أم سلمة رضى الله عنهما .

(٣) رواه الحاكم فى مستدركه عن ابى هريرة .

وفى دعاء آخر :

« وأسألك لسانا صادقا ، وقلبا سليما ، وخلقا مستقيما » (١) .

وقد دعا النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بجانب هذه الأدعية العامة المجملة التى تتصل بمكارم الأخلاق ومحاسن الأوصاف ، لبعض المحاسن الكبرى ــ وقد لفت بذلك انتباه الأمة للاهتمام بهذا الجانب العظيم ــ التى هى فى غاية الدقة والخطورة ، وهى بمنزلة المقياس لتكامل الأخلاق ، فما يدل على كمال الأخلاق الانسانية ، والشرف والكرامة ، والورع والتقوى ، أن يرزق الانسان حب الفقراء والمساكين ، فقد كثر من يجلون الثروة وذويها ويكرمون الدنانير والدراهم وأهلها ، أما الذين يحبون الفقراء والمساكين ويعطفون على ذوى الحاجة فهم فى قلة وندرة ، الا من وفقه الله وهداه الى مسالك الخير . يقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى دعائه :

« اللهم انى أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين» (٢)

قد اعتاد الانسان على أن يستكبر نفسه ، ويستصغر غيره ، ولم يسلم من هذا الداء الا أولئك الأفذاذ المخلصون الذين عصمهم ربك ، فتزكت نفوسهم وتنزهت قلوبهم والتأمل فى ذلك يؤدى الى أنه قد شذ من يسلمون من داء الاستكبار والاعجاب، فان ذلك يتمكن من النفس حيث لا يشعر بنو آدم ، وبألوان وأشكال لا يدركها البشر ، ولكى يسلم نفسه منه الانسان يحتاج الى العناية البالغة والاهتمام المتواصل بالدعاء ، فان ادراك هذا الداء وتشخيصه صعب ، والشفاء منه شىء غير يسير ، ولذلك فسيد

---

(١) رواه الامام الترمذى عن شداد بن أوس .

(٢) رواه الحاكم فى مستدركه عن ثوبان .

المخلصين يدعو لنفسه ــ ويعلم أمته أن تدعوا لنفسها :

« اللهم اجعلنى صبورا ، واجعلنى شكورا ، واجعلنى فى عينى صغيرا وفى أعين الناس كبيرا (١) .

ان اتحاد الظاهر والباطن، وصلاحهما من نعم الله العظمى ومن فضل الله الكبير ، الذى يحتاج الحصول عليه الى العناية الزائدة بالدعاء المخلص يقول معلم الأخلاق ــ صلى الله عليه وسلم : ــ :

« اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى ، واجعل علانيتى صالحة » (٢)

ويفصل ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذلك فى هذا الدعاء :

« اللهم طهر قلبى من النفاق ، وعملى من الرياء ، ولسانى من الكذب ، وعينى من الخيانة ، فانك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور » (٣) .

**ابوالحسن الندوى**

---

## دين يخاطب العقل ويكره الثرثرة

عن عائشة رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم ( رواه الشيخان والترمذى ) وزاد : ولكنه كان يتكلم بكلام بينه فصل يحفظه من جلس اليه .

وعنها قالت كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه .

وعن انس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه . ( رواه الترمذى والبخارى وأحمد ) ..

---

(١) جاء فى كنز العمال عن بريدة ( رضى الله عنهما ) .

(٢) رواه الترمذى عن سيدنا عمر بن الخطاب ( رضى الله عنه ) .

(٣) كنز العمال عن أم سعيد ( رضى الله عنها ) .

دراسات قرآنية :

# كرامة المرأة فى عفتها وحشمتها

للأستاذ مصطفى الطير

**قال الله تعالى :**

**« قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن » .**

الآية ٣١ من سورة النور

**وقال: « ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ».**

الآية ٣٣ من سورة الأحزاب

---

**البيان**

حلية المرأة عفتها ، وزينتها كرامتها وتصونها ، فمن أرادت أن تكون فواحة العبير بين الناس ، طيبة القالة بين أهلها وذويها ومجتمعها ، فعليها أن تبتعد عما يشينها ويثير الضباب من حولها ، وتتقى الله فى سرها وجهرها ، ولا تبدى زينتها للغرباء عنها ، فانهم لا شأن لهم بزينتها ، كما انها لا مصلحة لها فى الازديان بينهم ، فان ذلك يغريهم بها ، ويحرضهم عليها ، ويثير قالة السوء حولها ، فالاحتشام والتصون أساس كرامتها ، ومبعث الهيبة منها ، ومناط احترامها وحسن القالة فيها ، وعليه تقوم الأسرة الكريمة ، ذات الأخلاق الفاضلة المجيدة ، ومن أجل ذلك يعتبر مطلبا هاما للأزواج الفضلاء .

فينبغى للمرأة أن تحكم العقل فى تصرفها ؛ حتى لا تطلق الألسنة من عقالها عليها ، ولست أدرى لماذا تحرص المرأة فى هذا الزمان العاثر ، على ارتداء الأزياء التى تكشف مساحة كبيرة من جسدها ، أو تبرز أماكن الفتنة فيها وان سترت ظاهر

بشرتها ، أفليس الاحتشام والتصون أجدر بها ، فانهـا ان كانت عذراء فهو عنوان تصونها ، وبشير الخير لمستقبلها ، اذ يراها الشاب الأصيل ، فيرضـيه مظهـرها ، ويطمئن على طهرها ، فيرتضيها لنفسـه زوجا ، ولأولاده أما ، ويعيشان سعداء بلا شكوك وأوهام .

أما هـذه التى تبرز محـاسنها الجسدية بمختلف الوسائل ، فانهـا فتاة عابثة غافلة عن مصلحتها ، فانها تبعد الشباب الصالح عنها ، وتقرب أصحاب اللبانات العـاجلة منهـا ، وتغـريهم بهـا ، وهؤلاء اما زوج محترف ، أو عاشق عابث ، وقل أن يدنو منها رجل فاضل كريم ! وان كانت عانسا فالاحتشام لها أوجب ، والستر لهـا ألزم ، حتى لا تحـوم الريبة حولها ، وتنطلق ألسنة الناس بسوء القالة عنها والنقد لتصرفها ، اذ يقولون : لمن تتزين هـذه العانس ولا زوج لها ؟ ثم يعقبـون على ذلك بما يشتهون مما لا ترتضيه فضليات النساء

وان كانت زوجة وأما فالحشمة لها ألـزم ، والسـتر لها أوجب من العـذراء والعانس ، فان الناس لا يجدون لها أى عذر فى ابداء جسدها للغـرباء ، فهـى زوجـة وهى أم ، فحاجتها من دنياها موفورة ، وزينتها حق لزوجها دون كافة الناس ، فما لم تحتشم فليس لها أن تلوم النـاس فيما يقولون أو يتقولون ، فهى التى دفعتهم الى سوء القالة فى شأنها .

**حجة المرأة فى أزيائها الفاتنة**

ان حجة المرأة فيمـا ترتديه من ثياب ( تجريدية ) أن الثياب المحتشمة تشدها الى الريف ، وتجعل منهـا امرأة ( فلاحة ) وتلك الحجة فيهـا تجن على أخواتهـا الريفيـات ، وترفع عليهن ، وتنكر للريف الجميل الذى هـو أساس سـكان المدن ، ولا حياة لأهل المدينة من غير أهل الريف ، وان زى الفلاحة المصرية ، تتهافت عليه الأمريكيات اليوم ، بعد أن غزتهن به امرأة مصرية مهاجرة ، كما أن أزياءنا البلدية ، بدأت تغزو أرقى المستويات ، فقد نشرت جريدة الأخبار فى عـددها الصـادر يوم الثـلاثاء ١٩٧٢/١/٤ فى صـحيفة أخبار الناس ، أن أسـواق باريس

تبيع الآن ( الجلاليب ) البلدية ، بدلا من البيجامات ، من تصميم ( بيرجاردان ) .

فأى مانع من أن تلبسى أيتها الأخت المسلمة ، ملابس أختك الريفية ، وأن تهذبيها حتى تضم الى ( حشمتها ) رفعة المستوى .

**النساء العاملات والحشمة**

ان الضرورة أصبحت توجب على المرأة أن تتجمل بالملابس التى تستر جسدها عن الفضوليين ، وتوفر لها الكرامة بين الناس ، فانها تعمل فى مصالح الحكومة والمصارف والشركات والمصانع ، وتشارك الرجال فى العمل والمكاتب ، وتركب المواصلات العامة المزدحمة براكبيها ، وتنزل الى السوق لشراء حاجتها ، ولا يصح لها ــ والحال ما ذكرنا ــ أن ترتدى هذه الثياب المبدية لما يجب ستره من عورتها ومحاسنها ، ولا أن ترتدى الثياب اللاصقة بجسدها ، الحاكية لتفاصيل مفاتنها ، سواء أكان ذلك فى مكتبها أو مسيرها أو ركوبها ، فان ذلك يعرضها لأنظار الفضوليين ، وغزل المفتونين الفاتنين ، ويجعلها فتنة للناظرين ، ومتحملة لأوزار من بها يفتنون ، ولما يترتب على ذلك من الآثار التى تدمى لها قلوب المصلحين وأصحاب الضمائر الحية ، وتلوث سمعة الأخت المسلمة ، وسمعة الدولة التى تنتسب اليها ، ولا تليق بخير أمة أخرجت للناس .

**النساء المسلمات فى اليونان**

ان فى اليونان من اخواننا وأخواتنا المسلمات مائة وعشرين ألفا ، ومع أن النساء هناك يعشن فى بيئة أوروبية ، فانهن يلبسن الملابس المرسلة الساترة ، اذا خرجن لسماع المحاضرات فى المساجد ، أو شراء ضروراتهن ، ولايقلدن غير المسلمات اللائى يلبسن أحدث الأزياء ، لأنهن يعشن بأرواحهن وقلوبهن مع دين الله .

أفليست نساؤنا بمصر وغيرها من بلاد الاسلام أولى بالستر ، فانهن فى بيئة اسلامية ، ويستمعن الى القرآن والدروس الدينية من التليفزيون والراديو ، وقد تلقين المبادىء الدينية فى مدارسهن ، وعرفن أن الله تعالى قال فى سورة

النور : «ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن» أى ولا يبدين الا ما لابد من ظهوره من أجزاء الجسد ــ كما قال بعض الفقهاء ــ وهو الوجه (بدون أصباغ) والكفان ، فأصحاب هذا الرأى اعتبروا أعضاء الجسد زينة للجسد ، وحددوا ما ظهر منها بالوجه والكفين كما تقدم ، لما روى أن أسماء رضى الله عنها قدمت وعليها أثواب رقاق ، فحول النبى صلى الله عليه وسلم وجهه عنها وقال: « يا أسماء : ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا ــ وأشار الى وجهه وكفيه ــ » أخرجه أبو داود عن عائشة ، والى هذا الرأى ذهب الجمهور وعلى رأسهم ابن عباس رضى الله عنهما .

وفسر آخرون ( ما ظهر منها ) بما لابد من ظهوره من الثياب المرسلة المحتشمة ، وعلى رءوسهن المقانع .

وكما نهى الله النساء عن أن يظهرن من زينتهن الا ما ذكر ، أمرهن أن يضربن بخمرهن على جيوبهن ، وذلك بأن يسترن أعناقهن وفتحات صدورهن بثيابهن .

ومما عرفته من آداب الاسلام قوله تعالى: « يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » أى قل أيها النبى لزوجاتك وبناتك ونساء المؤمنين ، يرسلن عليهن من ثيابهن ، ذلك أقرب أن يميزن عن الفواجر غير المحتشمات ، فلا يتعرض لهن أحد بسوء من قول أو فعل .

ويجمع أدب الحشمة قوله تعالى فى سورة الأحزاب : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » .

ويفسر مجاهد هذا التبرج الذى كان فى الجاهلية بمشيتها بين أيدى الرجال وأعينهم ، ويفسره قتادة ، بخروجها من بيتها ومشيتها فى تدلل وتكسر ، ويفسره مقاتل بعدم سترها لقلائدها وقرطها وعنقها .

ويشير هؤلاء التابعون فى تفسيراتهم هذا النص الى معنى جامع ، وهو أن المرأة فى عصر الاسلام ، لا يحل لها أن ترجع فى أخلاقها ومظهرها بين

الناس الى عصر الجاهلية الأولى الذى جعل المرأة سلعة رخيصة ينالها كل حيوان من البشر ، لأنها كانت تتبرج وتتعرض له غير محتشمة وترى الاسلام لم يمنع المرأة من الصلاة بالمساجد ، ولكنه ألزمها بالاحتشام ، قال صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا اماء الله مساجد الله ، وليخرجن وهن تفلات » أخرجه أبو داود فى سننه وأحمد فى مسنده ، ومعنى كون المرأة تفلة أنها غير متزينة •

### هذه سبيل الكرامة

هذه أيتها الأخت المسلمة هى سبيل الكرامة والتصون والعفة ، يدعو اليها الاسلام ، حتى لا تتفرق بكن السبل المختلفة ، وتقذف بكن فى صحراء الضياع ، ولا يمكن لامرأة فاضلة ، أن تجعل المال والمتعة الشائنة ، ترجح على العفة والكرامة ، ولا الأيام العاجلة الزائلة فى الدنيا ، ترجح على الخلود والنعيم فى الآخرة «وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور» •

### سماسرة الشيطان

كثر المال فى أيدى من لا خلاق لهم ولا دين يعصمهم ، فلهذا يبعثرونه فى نزواتهم وشهواتهم ، فتراهم يرحلون حيث يجدون المتعة الحرام ، وهؤلاء فى كل بلد سماسرة يعملون لحساب الشيطان ، ويغرون الفتيات بالمال الذى لا تصل اليه أحلامهن ، فيقعن فى شباكهن ويؤثرن المال على الشرف والكرامة ، الا من عصم الله ، فابتعدى أيتها الأخت المسلمة عن سوق العاثرات وسماسرة الشيطان ، فالعرض لا يقوم بمال ، والشرف لا تعدله الدنيا كلها ، ورضا الرحمن أولى عند العقلاء من رضا الشيطان ، فالأول غايته النعيم المقيم ، والثانى عاقبته العذاب الأليم ، ورحم الله المرأة العربية ، فقد كانت تقول حتى فى جاهليتها : تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها •

هذه دعوة الحق والشرف أدعو بها نساءنا وبناتنا فى بلادنا العزيزة ، لعلى أجد منهن أذانا مصغية ، وقلوبا واعية ، ونوازع خيرة ، تعود بهن الى السنن الراشد فى أزيائهن وأخلاقهن ، ليكن أسوة لغيرهن من أخواتنا وبناتنا فى العالم الاسلامى ، بعد أن اندفعت الى

تقليد الغربيات فى أزيائهن ، غير متحرجات ولا متلومات .

**الى فتياتنا الجامعيات**

ولست أدرى ما الذى جعل فتياتنا الجامعيات يتبارين فى الزينة وارتداء الملابس الفاتنة ، كأنهن عارضات فى معرض أزياء عالمى ، ما هذه الألوان الزاهية ، والأصباغ الصارخة ، والثياب اللاصقات ، والحرص الشديد على ابراز المفاتن بين الشباب ، هل الجامعات معارض أزياء ، أو أسواق فتنة ، أم مسارح اغراء ، انها فى ضمير الأمة دور علم، وينابيع ثقافية ، ومنارات أخلاق ، فلا تقلبن الآيات ، ولا تحطمن الغايات .

أتتن بنات اليوم أمهات الغد ، والبنت الفاضلة تكون أما فاضلة ، وتنجب أسرة فاضلة ، وأمة فاضلة .

والأم مدرسة اذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

فنرجو أن ترتدين زيا موحدا ساترا يجمع بين الحشمة والمستوى الرفيع ، وأن تتكون منكن قيادات خلقية واعية ، تتجه بأزياء النساء نحو المظهر الأفضل ، ولا نرتاب فى أن قيامكن بهذه الحملة الأدبية الراعية ، كفيل بالقضاء على الأزياء الفاتنة ، بما لكن من المظهر الجماعى والثقافة العالية ، والدعاية الدائبة .

**والى اولياء الأمور**

وانني أهيب بالآباء والأزواج والأخوة ، أن يقوموا بواجبهم فى هذا الغرض السامى ، ازاء بناتهم وزوجاتهم وأخواتهم ، فلا يسمحوا لهن بالخروج الا فى ثياب ساترة محتشمة غير فاتنة ، مع ستر ما عدا الوجه والكفين ، فلقد بلغ السيل الزبى ، واستشرت حوادث المعاكسات ، وكثر خطف النساء والاعتداء عليهن ، بسبب خروجهن فى ثياب غير محتشمة ، وزينة زوجها أولى بها فى بيتها .

ونرجو أن تتناول التشريعات الاسلامية المقترحة ، عقوبات رادعة من شأنها القضاء على الانحرافات الخلقية وأسبابها : والله تعالى ولى التوفيق ؟

**مصطفى محمد الحديدى الطير**

# التوازن بين الفردية والجماعية في نظام الاسلام

للدكتور يوسف القرضاوى

— ٢ —

**التوازن بين الروحية والمادية**

ومن مظاهر التوازن فى الشريعة الاسلامية : موقفها من الروحية والمادية أو — بعبارة أخرى — بين الدين والدنيا .

( أ ) لقد وجدت فى التاريخ جماعات وأفراد ، كل همهم اشباع الجانب المادى فى الانسان . وعمارة الجانب المادى فى الحياة ، دون التفات الى الجوانب الأخرى « وقالوا : ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » (١) .

وهذه النزعة المغالية فى المادية وفى قيمة الدنيا ، جديرة بأن تولد الترف والطغيان ، والتكالب على متاع الحياة ، والغرور والاستكبار عند النعمة ، واليأس والقنوط عند الشدة .

نرى ذلك واضحا فيما قصه الله علينا من مصارع الأفراد والأقوام الذين عاشوا للدنيا وحدها ، ولم يلقوا للدين بالا ، ولا للآخرة حسابا ، ولا للروح مكانا .

فهذا صاحب الجنتين يفخر على صاحبه ، منتفخا بثروته ، مختالا بجنته قائلا : « أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال : ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة »(٢) .

فأرسل الله على جنته حسبانا من السماء فأصبحت صعيدا زلقا ، وأصبح ماؤها غورا .

---

(١) الأنعام : ٢٩

(٢) الكهف : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦

وهذا قارون ، الذى آتاه الله من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، بغى على قومه ، واغتر بماله ، وعزا الفضل فيه الى نفسه : «قال انما أوتيته على علم عندى(١)» فخسف الله به وبداره الأرض .

وهـذا فرعـون الذى قـال : « أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى، أفلا تبصرون؟(٢)»

وغير هؤلاء من الأمم التى أترفت فى الحياة الدنيا فقتلها الترف، ودمرها التحلل ، وحقت عليها كلمة العذاب ، وحرمت نصر الله وعونه « حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعـذاب ، اذا هم يجأرون . لا تجـأروا اليوم انكم منا لا تنصرون. قد كانت آياتى تتلى عليـكم فكنتم عـلى أعقـابكم تنكصـون » (٣) « وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين . فلما أحسوا بأسنا اذاهم منها يركضون . لاتركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون » (٤) .

(ب) وفى الطرف المقـابل لهـذه النزعة وأصحابها ، وجد آخرون من الأفراد والجماعات ، نظروا الى الدنيا نظرة احتقار وعداوة ، فحرموا على أنفسـهم طيبات الحيـاة وزينتها ، وعطلوا قواهم من عمارتها ، والاسهام فى تنميتهـا وترقيتها ، واكتشـاف ما أودع الله فيها .

عرف ذلك فى برهمية الهنـد ، ومانوية فارس ، وبدا ذلك بوضوح وجلاء فى نظام الرهبانية الذى ابتدعه النصارى ، فعزلوا جماهير غفيرة عن الحياة ، والتمتع بها ، والانتاج فيها .

وأصبح الشائع فى مفهوم الناس عن الدين والتـدين الحـق ، هـو الانقطـاع عن العـالم ، والتفـرغ للعبادة ، وان المتدين الحق هو الذى

---

(١) القصص : ٧٨
(٢) الزخرف : ٥١
(٣) المؤمنون : ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦
(٤) الأنبياء : ١١ ، ١٢ ، ١٣

يتبطل فلايعمل ، ويتقشف فلايتمتع، ويتبتل فلا يتزوج ، ويتعبد فلا يفتر ، ليله قائم ، ونهاره صائم ، يده من الدنيا صفر ، وحظه من الحياة خبز الشعير ، ولبس المرقع ، واتخاذ الفلوات دارا !

(جـ) وبين هاتين النزعتين قام الاسلام ، يدعو الى التوازن والاعتدال ، فصحح مفهوم الناس عن حقيقة الانسان ، وعن حقيقة الحياة •

فالانسان مخلوق مزدوج الطبيعة، يقوم كيانه على قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله ، ففيه عنصر أرضى ، يتمثل فى جسمه الذى يطلب حظه مما خرج من الأرض من متاع وزينة ، وفيه عنصر سماوى يتمثل فى روحه التى تتطلع الى هداها مما نزل من السماء •

وقد أشار القرآن الى هذه الطبيعة المزدوجة فى خلق الانسان الأول : آدم أبى البشر ، فقال تعالى : «اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين • فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين(١) »

وأشار الى هذه الطبيعة نفسها فى خلق ذرية آدم حيث قال : «وبدأ خلق الانسان من طين • ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين • ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ما تشكرون » (٢) •

وكان من حكمة الله سبحانه أن خلق الانسان على هذه الطبيعة ، لأنها تتفق مع الرسالة التى كلف القيام بها ، وهى الخلافة فى الأرض•

فهو ــ بعنصره الطينى المادى قادر على أن يسعى فى الأرض ويعمرها ، ويحسنها ، ويكتشف ما أودع الله فيها من كنوز ونعم ، ويسخر قواها المتنوعة ــ باذن الله لمنفعته والنهوض بمهمته • فالجسم المادى فى الانسان ليس اذن شرا ولا لعنة • ولو كان الانسان روحا

---

(١) سورة « ص » : ٧١ ، ٧٢

(٢) سورة السجدة : ٧ ــ ٩

خالصا كالملائكة ما وجـدت لديه الدوافع التى تحفزه على استخدام المـادة والمشى فى منـاكب الأرض والكشف عن مكنونها ، والعمل على تعميرها ٠

وهو ـ بعنصره الروحى السماوى مهيأ للتحليق فى أفق أعلى ، والتطلع الى عالم أرقى ، والى حياة هى خير وأبقى ٠ وبهذا يسـخر المـادة ولا تسخره ، ويستخدم ما على الأرض من ثروات وخيرات دون أن تستخدمه هى وتستعبده ٠

ان الأرض وما عليها خلقت له ، أما هو فقد خلق لله : لعبادته ومعرفته واحسان الصلة به ٠

والحيـاة ليست سـجنا عوقب الانسـان به ، ولا عبئا فرض عليه حمله ، انما هى نعمة يجب أن تشكر ، ورسـالة يجب أن تؤدى ، ومزرعة لحياة أخرى هى خير وأبقى ، يجب ألا تشغل عنها ، ولا تحيف عليها ٠

والقرآن الكريم يدعو الى العمل للحياة ، والضرب فى الأرض ، والمشى فى مناكبها ، والاستمتاع بطيباتها ، بجوار الحث على الاستعداد للآخرة والتزود ليـوم الحسـاب ، وذلك بالايمان والعبـادة وحسن الصـلة بالله ، ودوام ذكره الذى تطمئن به القلوب ٠

يقول سبحانه: «يأأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتـدوا ، ان اللـه لا يحب المعتدين ٠ وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » (١) ٠

ويقول تعالى : « هو الذى جعل لـكم الأرض ذلولا ، فامشـوا فى مناكبهـا وكلوا من رزقـه ، واليه النشور (٢) » ٠ ويقـول : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (٣) » ٠ ويقول: وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن

---

(١) سورة المائدة ٨٧ ، ٨٨
(٢) سورة الملك : ١٥
(٣) سورة الجمعة : ١٠

كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين (١) » .

والرسول صلى الله وسلم ، كان يأكل من طيبات هذه الحياة ولا يحرمها على نفسه ، ولكنه لم يجعلها شغل نفسه ، ولا محور تفكيره ، وكان من دعائه : « اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا(٢)»

وانما كان يعطيها حقها ، وللآخرة حقها ، بالقسطاس المستقيم . وكان من دعائه : « اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى اليها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر (٣) » .

فهذا الدعاء النبوى المأثور ، يبين موقف المسلم من الدين والدنيا والآخرة ، انه يطلبها جميعا ، ويسأل الله أن يصلحها له جميعا : الدين والدنيا والآخرة ، اذ لا غنى له عن واحد منها ، فالدين عصمة أمره ، وملاك حياته ، والدنيا فيها معاشه ، ومتاعه الى حين ، والآخرة اليها معاده ومصيره .

وهو مثل الدعاء القرآنى الموجز الذى كان ( صلى الله عليه وسلم ) كثيرا ما يدعو به : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (٤) » .

وكان ( صلى الله عليه وسلم ) حريصا على توجيه أصحابه الى التوازن المقسط بين دينهم ، ودنياهم بين حظ أنفسهم ، وحق ربهم . بين متعة البدن ، ونعيم الروح . فاذا رأى فى بعضهم غلوا فى جانب ، قومه بالحكمة ، ورده الى سواء الصراط .

لما رأى فى بعض أصحابه افراطا فى التعبد والصيام والقيام ، على حساب جسمه وأهله ، قال له : «ان لبدنك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لزورك — يعنى

---

(١) سورة القصص : ٧٧

(٢) رواه الترمذى عن ابن عمر ، وحسنه واقره النووى ، ورواه النسائى ايضا ،والحاكم وصححه على شرط البخارى .

(٣) رواه مسلم .

(٤) سورة البقرة : ٢٠١

زوارك وضيوفك — عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه (١) » .

وقال للجماعة الذين التزم أحدهم أن يصوم فلا يفطر ، والتزم ثانيهم أن يقوم فلا ينام ، والتزم الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبدا — قال لهم : « أما انى أعلمكم بالله وأخشاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى(٢) » .

وحين أقبل أبو عبيدة بمال من البحرين ، وأحس بعض الصحابة بقدومه فهرولوا مسرعين ، ينتظرون أن ينالهم شىء منه ، وبدا منهم الحرص على هذا المتاع الأدنى ، انتهزها النبى — صلى الله عليه وسلم — فرصة ، ليحذرهم من فتنة الدنيا وغرورها ، والحرص على زخارفها ، فخطب فيهم قائلا : « أبشروا وأملوا ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا ، كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها ، كما تنافسوها ، فتهلككم ، كما أهلكتهم » .

وهكذا تعلم الصحابة أن يوازنوا بين مطالب دنياهم وآخرتهم ، وأن يعملوا للدنيا كأحسن ما يعمل أهل الدنيا ، ويعملوا للآخرة كأحسن ما يعمل أهل الآخرة ، يقول القائد الفاتح عمرو بن العاص رضى الله عنه : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

ولم يشعروا بتعارض قط بين عملهم لدينهم ، وعملهم لدنياهم ، بل شعروا بالوحدة والانسجام والامتزاج ، كانت شعائرهم وواجباتهم الدينية تعطيهم زادا وشخصية قوية ، يواصلون بها الكفاح لدنياهم ، وكانت أعمالهم الدنيوية ، عونا لهم على أداء فرائضهم الدينية ، كانوا يعتقدون انهم — فى عبادتهم ومساجدهم — ليسوا مقطوعين عن الدنيا ، كما أنهم — فى مزارعهم ومتاجرهم وحرفهم — غير بعيدين عن الدين ! فأعمالهم هذه عبادة اذا صحت فيها النية ، والتزمت حدود الله .

**د : يوسف القرضاوى**

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى .

## الإسلام في مرآة الغرب :

# منافذ الفكر الإسلامي إلى الغرب

للدكتور عبد الجليل شلبي

— ٣ —

هناك نافذتان أخريان غير نافذة الأندلس ، وان كانت هي أهم كل هذه النوافذ وأوسعها ، هاتان النافذتان هما جزيرة صقلية ثم الحروب الصليبية .

أما صقلية فقد مثلت دورا قريب الشبه من الدور الذى مثلته جزيرة كريت فى التاريخ القديم ، فكما كانت تلك معبرا للفكر المصرى القديم الى بلاد اليونان ، كانت هذة أيضا معبرا للفكر الاسلامى العربى الى ايطاليا ثم الى أوروبا بوجه عام ، واذن فقد تمت دورة الفكر التى بدأت من مصر وتمت فى اليونان ثم انتقلت الى الشرق وأخيرا ردها الشرق الى الغرب ، ولكن الدور الذى قامت به صقلية الآن لم يأت بالثمرة التى كانت من قبل ، وفى الواقع كان خليقا أن يأتى بما هو أثمن وأكثر ، ولكن الحالة النفسية والعقلية لم تكن سواء فى الحالتين ، واليها يرجع الفارق البعيد بين النتيجتين ، فاليونان القدامى أكبروا المصريين وراعتهم حضارتهم فاقبلوا عليها ينهلون منها ويقدرون أصحابها أما الايطاليون . وكان شأنهم شأن الرومان فى كل مكان ، فقد كرهوا المسلمين ورأوا فيهم عدوا لايحتمل، عدوا محاربا أذاقهم هزائم متكررة لم يكن من السهل عليهم نسيانها ، ثم أنه اقتنص امبراطوريتهم الكبيرة من أطرافها حتى قضى عليها فى الشرق ، وهو بعد ذلك يصمى قلبها ويهجم عليها فى بلادها ، وهو أيضا عدو فى الدين والعقيدة حارب

فكرة تأليه المسيح ، وأزرى بفكرة الصلب والفداء ، ثم أحل الاسلام محل المسيحية فى الشرق والغرب جميعا ، وأخيرا يظهر هذا العدو تفوقه العلمى وسمو معارفه وتفكيره هذه الحالة ليس من السهل أن تعقد معها صداقة أو تقوم بها حالة تعاون فكرى •

أضف الى ذلك أن العقلية الأوروبية لم تكن ذات نضج ولا لديها قابلية للتطور الفكرى والاستفادة مما هو جديد عليها ، لهذا أنكرت الكنيسة ما نقل عن علماء الاسلام من نظريات فى الفلك والرياضة والعلوم حتى عاقبت معتنقيها بالقتل •

هذه الحالة حدت من حركة الاقبال على علم العرب والاستفادة منه، وانما استفادت منها قلة مستنيرة جريئة ، كما كان هناك أيضا حكام ذوو نزعة علمية وفكر متحرر مستنير •

فتح العرب صقلية سنة ٢١٢هـ ( ٨٢٧ ) م أى بعد فتح الأندلس بما يزيد على قرنين أو ما يقرب من ثلاثة قرون ، ولم يكن فتحها عن طريق الاندلسيين ، وانما كان عن طريق افريقة ، عبر العرب اليها من تونس فاحتلوها واحتلوا بعض الجزر الصغيرة حولها ، ثم انتقلوا الى جنوب ايطاليا ، وفى هذا الوقت كان العرب فى أسبانيا قد مدوا حدود حكمهم الى أقصى حدود أسبانيا فى الشمال ، كان الفتح العربى فى موجة مده ، وكان أثره على الأوربيين غير هين • ولكن لم يكن هناك صلة بين صقلية وبين الأندلس الا ما كان من صلات فردية • فلم تعتمد حركة العلم فى الجزيرة الصغيرة على الحركة الواسعة فى شبه الجزيرة الأسبانية ، وانما اعتمدت على افريقية •

كان شمال افريقية مزدهرا بالعلم لدرجة لا يجعل الفرق شديد البعد بينه وبين الحركة العلمية فى بغداد ، وكانت الصلة بينهما قوية ، ونور العلم غير منقطع ، ولم تقم فى صقلية جامعات كبيرة كالتى قامت بالأندلس ولكن قامت بها وفى شمال افريقية حركة ترجمة نشيطة عادت على النهضة الاوربية بأقوم المؤثرات ، اتجه المترجمون بادىء ذى بدء الى ترجمة التراث اليونانى الى اللغة اللاتينية

، وكان ذلك تقليدا لما فعل المسلمون من قبل فى الشرق ، لكن هذه الحركة لم تنجح ولم تأت بثمار ذات قيمة ، فلم يكن لدى هؤلاء المترجمين ماكان لدى مترجمى العباسيين من مقدرة عقلية وعلمية ، ولـم يكن لـديهم مكتبات كبيرة كالتى كـانت لدى العباسـيين ، وكان هضـم الفكر الأغريقى وتمثيله أمرا هينا أوميسورا لهم ، وذلك لفقرهم الثقافى وضعفهم الفكرى ، فالفرق كان واسعا جدا بين البيئة العربية فى الشرق ، والبيئة الأوروبية فى الغرب ، لهذا قـامت حركة أخرى فى افريقية كانت أكثر فائدة للأوروبيين ، قام بها عدد من اليهود الذين كانوا يقيمون هناك ، وكانوا كثرة ، فقد عمل هؤلاء على نقل العلوم العربية الى اللغة العبرية ثـم نقلت من العبرية الى اللاتينية، أثمرت هذه الحركـة وسـهلت على الغربيين فهم ما لم يفهموه عن العربية ، ولكنها أيضا جعلت ثقافة صـقلية ذات لون ومنهج يختلف عما كانت الحال عليه فى أسبانيا .

تـلاقت فى صقلية عـدة لغات ، الاغريقية ، واللاتينية ، والعربيـة والعبرانية ولكن اللغة العربية كانت ذات الأهمية،وكان القوم يبذلون جهدا لتعلمها ، فهى لغة الفاتحين الحكام وهى اللغة الأساسية للعلم والفكر ، واللغات الأخرى توابع لها ، ولهذا اضطر النورمانديون الذين قامـوا بحركة المقاومة الى تعلمها واشتهر من بينهم الامبراطور فريدريـك الثانى فقد أجاد العربية وآثرها فى تخاطبه، وقـد حرص على أن يصبغ بلاطـه صبغة علمية ، وكان هو نفسـه من العلماء ، وعمل على أن تستفيد بلاده من الثقافة الاسلامية . غير أن المدة الوجيزة التى أقامها العرب لم تكن كافية لاشـاعة اللغة العربية وجعلها لغة شعبية ، على أننا لانزال الى الآن نجد فى لغة أبناء صقلية ومالطة وبالرمو وبعض الجزر الأخرى بقايا من اللغة العربية .

ولـم يقطع العداء الناشـب بين اللاتينيين والعرب صلتهم الثقافية ولم يقض على حركة الترجمة ونقل العلوم حتى بعد طرد العرب من الجزيرة ، فقد انقطعت صلة الحكم وبقيت صلة الفكر والمعرفة خصوصا فى الجوانب العملية .

ويبدو أن شعور اللاتينيين الملح بالحاجة الى علوم العرب هو الذى هيأ لهذه الحركة أن تستمر بعد خروج العرب ، وقد كانت هناك مقاومة من الكنيسة لأنها لم ترض عن كل ما جاء به الشرقيون ففضلا عن الثقافة الدينية كانت الكشوف الفلكية أيضا مما لا تقره الكنيسة ، وعلى أى حال كان من فضل النورمانديين أنهم أقبلوا على هذه الثقافة •

ومهما يكن من أمر فهذه صورة من النشاط العلمى الذى تمثل فى صقلية •

وأما عن الحروب الصليبية فقد نشبت قبيل نهاية القرن الخامس الهجرى ، واستمرت نحو قرنين ، ولم تكن هذه الفترة كلها حربا مستمرة بل تخللتها فترات سلم هيأت للصليبيين أن ينشئوا ممالك ودويلات صغيرة فى الشرق ، ولكن مع هذا الهدوء وانقطاع الحرب لم يستفد الأوروبيون كثيرا من علوم الشرقيين ، ولم يعملوا كما عمل الأندلسيون والنورمانديون فى صقلية على انشاء مدارس أو القيام بحركة ترجمة ، يرجع ذلك الى أنهم قدموا محاربين لا دارسين ، والى أنهم كانوا ذوى غرور وتبجح فهم يتعالون على العرب ولا يظنون أن لديهم شيئا يفيد الأوربيين • ثم ان المحاربين ليست لهم صفات الطلاب الراغبين فى العلم ، وليس من شك أن الفرصة كانت سانحة لديهم بأوفر مما كانت لدى الآخرين ، فقد كانت العلوم فى الشرق قد نضجت أو على الأصح بلغت غاية نضجها ، وكانت الجامعات الاسلامية التى تتمثل فى المساجد قد تعددت وأصبحت كل عاصمة تنمى عددا من العلماء ، وكانت المدارس التى بدأها الوزير السلجوقى نظام الملك قد تعددت أيضا ودرست فيها علوم كثيرة ، وكانت المؤلفات الاسلامية قد راجت وكثرت ومع كل ذلك لم يحاول الصليبيون طوال فترات الهدوء التى عاشوها أن يستفيدوا من علوم الشرق أو ينقلوا شيئا منها الى بلادهم •

وأهم ما أفاده الصليبيون هو استيقاظهم لحقيقة الشرق وحقيقة أنفسهم ، وادراكهم أن غرورهم وتعاليهم ليس له ما يبرره ونتيجة لهذا الادراك قامت وحدة بين الدول

الأوربية ، ثم ضعف سلطان الكنيسة ولم يعد لها ما كان من قبل من سيطرة على عقول الناس وقلوبهم ، وقد كان لحملة بيتر الناسك أثر أعمق وأوسع ، لأنها أصابت كثرة من الناس وحرمت الشعوب من جيل جديد ، ولايزال الأوربيون الى الآن يرددون القصيدة الرمزية التى انشأها الشاعر الانجليزى «ياب» وجعل الأطفال المفقودين فيها على يد موسيقى ساحر لا على يد راهب من رجال الدين • واستفاد الأوربيون أيضا من الأعمال العسكرية التى شاهدوها فى الشرق ونقلوها الى بلادهم ، ثم عملوا على تصفية نظام الاقطاع أو بعبارة أخرى بدأت النهضة الأوربية •

هناك منفذ رابع للاتصال بين الشرق والغرب ، وهو الغزوالتركى العثمانى ، حقا ان هذا الغزو أزعج شمال أوروبا ، وذعرت انجلترا لحملات الملك بايزيد الثانى ، ولكن هذه الحركة لم تفد أوروبا ثقافيا ، فقد كانت أوروبا عبرت عصر النهضة ، ثم ان الأتراك لم يكونوا ذوى ميزات ثقافية وانما كان تفوقهم فى الجانب الحربى ونحن نعلم أنهم فى الشرق لم يفيدوا البلاد التى فتحوها شيئا بل كان عهدهم عهد ظلام وتأخر •

**د : عبد الجليل شلبى**

---

## الغرور بالعقل البشرى

لقد ادركنا الغرور ، ونحن نرى العقل البشرى يبدع فى عالم المادة ، ويأتى بما يشبه الخوارق فوهمنا ان العقل الذى يبدع الطائرة والصاروخ ويحطم الذرة وينشىء القنبلة الايدروجينية ويعرف القوانين الطبيعية ويستخدمها فى هذا الابداع ... وهمنا ان هذا العقل جدير بأن نكل اليه كذلك وضع « الحياة البشرية ... وقواعد القصور والاعتقاد وأسس الاخلاق والسلوك ...ناسين انه حين يعمل فى « عالم المادة » فانه يعمل فى عالم يمكن ان يعرفه ، لأنه مجهز بادراك قوانينه .. اما حين يعمل فى « عالم الانسان » فهو يعمل فى متاهة واسعة بالقياس اليه . هو غير مجهز ابتداء بادراك حقيقتها الهائلة الغامضة ..

# البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

**« ان الله لا ينزع العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ولكن ينزعه بقبض أهله ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسا جهالا ، فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا » .**
**متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا**

— ١٨ —

وتمضي مسيرة هذا الموكب المتساوك هزالا يتعالى صخبه بكل لحن نشاز يغمز ويلمز ، حتى يصل بغامه الى ساحة المشهود لهم بالايمان والخير من صحابة النبي صلى الله وسلم ، وكأن طاعون الجرأة على الصحابة العدول قد فشا وعدى حتى بعض أولئك الذين نشهد لهم بالعارضة وحسن الأدب فيتناثر من عناقيدهم الحصرم ، وينثال من عراجينهم الشيص ، فلا دراسة مستأنية ، ولا حكم ينبني على أصالة في البحث ، وانما هو كلام يلقى على عواهنه هكذا كيفما اتفق لا يربطه بحقائق العلم رباط ، ولم يكن من لوازم المقال الذي نشر في عدد رجب من مجلة الأزهر تحت عنوان في الأصول — خبر الواحد والقياس — أن يقحم الكاتب من الصحابة أسماء من رضي الله عنهم ورضوا عنه • ممن هاجروا وجاهدوا وقادوا الجيوش الاسلامية وكانوا عمالا للنبي صلى الله عليه وسلم وناهيك بمن يقلده النبي صلى الله عليه وسلم شرف العمل له يطبق شريعة الله وأحكامه في شعب بأسره • فيسيء بنيله منهم الى دينه والى تاريخه وتاريخ أمته حين ينهنه من مكانتهم ويحط من أقدارهم

اذ يقول : ( فرجل كانت نفسه على موعد من لقاء نفس النبى صلى الله عليه وسلم كسلمان الفارسى يتم له معنى الصحبة فى زمن يسير ، ورجل آخر ساقته المصادفات أو بواعث المصلحة الى لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم كالمغيرة بن شعبة أو عمرو ابن العاص أو غيرهما وليس فى نفسه سابق طلب الى هذا اللقاء لا يتم فيه معنى الصحبة الا بعد زمن أطول ).

ثم يمضى الكاتب قائلا :

( ولو قلت ان زمن الصحبة المعتد به هو ما يتسع لادراك الصاحب منهج الرسول وغايته مع انفعال شخصه بشخصيته ، وتحقق هذا المعنى يختلف باختلاف الأصحاب ).

بهذا المعيار الهلامى الذى لا ضابط له ولا رابط يمضى الكاتب فى تقويم الزمن وربطه بالذكاء والاستعداد وكلام يشبه الشعر الحديث أو أشد فوضى. وقد انحلت عرى القواعد المصاغة ، وحلت محلها ما ترى .

ولقد أنزل الله فى كتابه معايير التقويم وموازين الفضل والشرف بالهجرة والسبق والبلاء والنصرة والايمان والدعاء لأنفسهم ولمن سبقوهم بالايمان وألا يجعل فى قلوبهم غلا للذين آمنوا .

ولكى نعمل هذا المعيار الالهى فى تقويم الأصحاب نخرج بنتيجة تزرى بهذا الشعر الحديث فى هجو الصحابة باسم أصول الفقه وما هو من الفقه فى قبيل ولا دبير .

ان عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة كلاهما من المهاجرين الى الله ورسوله فأولهما هاجر بعد حرب مريرة للاسلام شأن كثير من الصحابة الذين اختارهم لصحبة نبيه فخالطت بشاشة الايمان قلوبهم باذنه كعمر ابن الخطاب وخالد بن الوليد فكان أولهما وهو عمرو بن العاص قد قدم المدينة مهاجرا هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة العبدرى فاستقبلهم النبى صلى الله عليه وسلم فرحا بهم قائلا ( لقد رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها ) وتقدموا يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم عمرو يسأل أن يغفر الله له ما كان منه قبل اسلامه

فيقول صلى الله عليه وسلم ( ان الاسلام يجب ما قبله ، وان الهجرة تجب ما قبلها ) .

ولقد رويت فى مناقب عمرو أحاديث يشد بعضها بعضا ويشهد بعضها لبعض أخرج ابن عبد البر وغيره عن أبى هريرة وعمارة بن حزم جميعا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام ) وحديث طلحة بن عبيد الله وهو أحد المبشرين بالجنة قال : ( سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان عمرو بن العاص من صالحى قريش ) وحديث ( أسلم الناس وآمن عمرو ) .

ومن مناقبه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم اختاره قائدا فى غزوة ذات السلاسل ، وكانوا أخواله فحاربهم وكانوا ممتنعين بقوتهم وكثرتهم فاستمد المدد من النبى صلى الله عليه فأيده حتى انتصر عليهم ثم أسلموا على يديه ، وكان يصلى بالناس وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، فما خطر ببال أحد أن به شميمة نفاق ، ومن مناقبه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم اختاره عاملا له على عمان وظل فى منصبه حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن مناقبه أنه أحد القواد فى حروب الردة ومانعى الزكاة .

ومن مناقبه أنه أحد قواد اليرموك والشام .

ومن مناقبه أنه فاتح مصر وتحت امرته من السابقين الأولين من الأنصار كعبادة بن الصامت ومحمد ابن مسلمة .

ومن مناقبه أن كل مصرى مدين باسلامه واسلام آبائه وسلفنا الصالح لهذا البطل المؤمن الذى حرر مصر من طغيان الرومان ومن طاغوت الشيطان وعبادة الانسان للانسان .

ويروى يزيد بن حبيب أن عبد الرحمن بن شماسة حدثه قال :

لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال ابنه عبد الله : لم تبكى ؟ أجزعا من الموت ؟ قال : لا ، ولكن لما بعد الموت فقال له : كنت

على خير وجعل يذكر صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتوحه مصر والشام فقال عمرو : تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا اله الا الله ، انى كنت على أطباق ثلاث ، كنت أول شيء كافر فكنت أشد الناس حياء منه ، فلو مت لقال الناس: هنيئا لعمرو أسلم وكان على خير فترجى له الجنة ، ثم تلبست بالسلطان وأشياء فلا أدرى أعلى أم لى . فاذا مت فلا تبكين باكية ولا تتبعنى نائحة ولا نار ، وشدوا على ازارى فانى مخاصم ، وسنوا على التراب فان جنبى الأيمن ليس بأحق بالتراب من جنبى الأيسر ، ولا تجعلن فى قبرى خشبة ولا حجرا ، واذا واريتمونى فاقعدوا عندى قدر نحر جزور وتقطيعه أستأنس بكم وأنظر ماذا أوامر رسل ربى ) وكأنه ينصح خصومه بقوله رضى الله عنه من شعره :

اذا لم يترك طعاما يحبه
ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

قضى وطرا منه وغادر سبة
اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

* * *

أما هذا الصحابى المغيرة بن شعبة فانه أسبق هجرة من عمرو اذ هاجر عام الخندق وعمرو هاجر بعده بثلاث سنين أو أربع وشهد المغيرة مع النبى صلى الله عليه وسلم المشاهد بعد ذلك كخيبر والحديبية وفتح مكة وما تلا ذلك ومات وهو أمير على الكوفة ، فليست المصادفة ولا دواعى المصلحة ، ولا شيء من هذه التهم التى تلتاث بالتشيع والرفض هى التى جعلته من أعيان الصحابة وأهل الحل والعقد فيهم وأحد القواد والأمراء المشهود لهم بالفقاهة والوجاهة فى الاسلام .

أما هذا التصنيف الطبقى للفقهاء والمفتين من الصحابة والحكم على هذا بالفقه ، وعلى ذلك بقلة الفقه فهذا ما يقلا الحق على ألسنة أئمة هذا الشأن ممن قولهم الذى ينأى عن الهزل .

فحين يقول كاتبنا المفضال ( ثم ان الرواة المعروفين بالرواية عنه طائفتان طائفة معروفة الى جانب الرواية بالفقه والفتيا والتقدم فى الاجتهاد ، وذلك كالخلفاء الراشدين

وعبد الله بن مسعود وابن عباس وأبى موسى الأشعرى وعائشة وغيرهم ، وطائفة أخرى عرفت بكثرة الرواية لكنها لم تعرف بالفقاهة والتقدم فى الاجتهاد ، وذلك كأبى هريرة وأنس بن مالك ) .

ولا نجد أرشد ولا أبلغ ولا أسد فى ايضاح مجانبة هذا التعبير للصواب من قول ابن القيم فى اعلام الموقعين لا سيما وهو من مراجع صاحب المقال قال رحمه الله : « والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ونيف وثلاثون نفسا ما بين رجل وامرأة : وكان المكثرون منهم سبعة : عمر بن الخطاب وعلى ابن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وعائشة أم المؤمنين وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر .

قال أبو محمد بن حزم : ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم قال : وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فتيا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى عشرين كتابا .

## المتوسطون فى الفتيا

قال أبو محمد : والمتوسطون منهم فيما روى عنهم من الفتيا أبو بكر وأم سلمة وأنس ابن مالك وأبو سعيد الخدرى وأبو هريرة وعثمان بن عفان وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبدالله ابن الزبير وأبو موسى الأشعرى وسعد بن أبى وقاص وسلمان الفارسى وجابر بن عبد الله ومعاذ بن جبل .

فهؤلاء ثلاثة عشر يمكن أن يجمع من فتيا كل منهم جزء صغير جدا ، ويضاف اليهم طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعمر بن حصين وأبو بكرة وعبادة بن الصامت ومعاوية بن أبى سفيان ا هـ .

* * *

على أن ما ورد من الخلاف بين أبى هريرة وغيره من الصحابة فى الوضوء مما مسته النار والاغتسال

من غسل الميت والوضوء من حمله ، وهى أمور لا تعد على أكثر من أصابع اليد الواحدة ، فاذا قورن بما وافقه فيه الصحابة بل واتبعوه فيه لوجدنا أنه لا يسوغ الحكم عليه بعدم الفقاهة ، وهؤلاء أئمة فحول قد ساووا بين أبى هريرة ، وأبى بكر فى قدر الفتيا .

* * *

ونرجع الى مانحن بسبيله من الذود عن السنة ودحض المفتريات الشرسة التى يصوبها أعداؤها الى السنة متمثلة فى الامام البخارى أحفظ من أقلته الأرض وأظلته السماء للحديث النبوى الشريف بشميمة من الالحاد ولوثة من الجهل جعلت هذا المنشور الخبيث فى ص ٢١٣ فيما أسماه الجزء الثانى ينقض حديثا أجمعت الكتب الستة على اخراجه عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا باسناده هكذا : حدثنا آدم بن ايار حدثنا شعبة بن الحجاج حدثنا الأعمش سمعت زيد بن وهب سمعت عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما، وأربعين ليلة ، ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث اليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح فان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها » .

فهذه الرواية هى رواية البخارى للحديث فى كتاب التوحيد ، وقد أخرجه فى القدر من طريق شيخه أبى الوليد وفى بدء الخلق من طريق شيخه الحسن بن الربيع وفى خلق آدم من طريق شيخه عمر بن حفص ابن غياث . وأخرجه مسلم من طريق

شيخه أبى بكر بن أبى شـيبة فى القدر وأخرجه أبو داود فى السـنة عن شيخه حفص بن عمر وعن محمد ابن كثير وأخرجه الترمذى فى القدر من طريق شيخه هناد وأخـرجه ابن ماجة فى السنة من طريق شيخه على ابن محمد .

ومناط الحملة على هذا الحديث الشريف هو كونه ـ فى وهم أصحاب هـذا المنشـور المشبوه ـ مستندا للمجرمين يقولون ما فعلناه من شر انما هو قدر مكتوب علينا ( أو كما قال ) :

وهؤلاء الذين يدعون السلفية لم يقرأوا لأئمتهم قليلا ولا كثيرا ، فهذا شيخ الاسـلام ابن تيمية يقـول : ان من ينظـر الى القضـاء الشرعى دون النظر الى القضاء الكونى انما هو أعور ينظر بعين واحدة ، وكذلك من ينظر الى القضـاء الكونى دون النظر الى القضاء الشرعى هو كذلك أعور مثله .

ولتلميذه ابن القيم كتاب اسـمه شـفاء العليل فى القضـاء والقـدر والحكمة والتعليل وعمدتهم جميعـا ـ أعنى أهـل السنة من العلمـاء السلفيين ـ هو هذا الحديث العظيم .

ويقـول الأسـتاذ أبو اسـحاق الاسفراييني فى كتابه أصول الفقه :

« الأخبـار التى فى الصـحيحين مقطوع بصحة أصولها ومتونها ولا يحصل الخلاف فيهـا بحال ، وان حصـل فذلك اختلاف فى طرقهـا ورواتها فمن خالف حكمه خبرا منها وليس له تأويل سائغ للخبر نقضنا حكمـه ، لأن هـذه الأخبار تلقتها الأمة بالقبول » .

وكمـا عرفت ليس لهـؤلاء على اختلاف ألوانهم ومشـاربهم تأويل سائغ ، وللأستاذ أبى اسحاق مناظرة بينه وبين القاضى عبدالجبار صاحب كتـاب المغنى فى علم الكلام عنـد المعتزلة وصـاحب متشابه القـرآن وتنزيه القرآن عن المطاعن الى غير ذلكم من كتب تدافع عن قضايا المعتزلة

وعقائدهم ويروى ابن السبكى فى طبقات الشافعية هذه المناظرة فيقول:

قال عبد الجبار فى ابتداء جلوسه للمناظرة : سبحان من تنزه عن الفحشاء .

فقال الأستاذ مجيبا : سبحان من لا يقع فى ملكه الا ما يشاء .

فقال عبد الجبار : أفيشاء ربنا أن يعصى.

فقال الأستاذ : أيعصى ربنا قهرا .

فقال عبد الجبار : أفرأيت ان منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن الى أم أسا ؟

فقال الأستاذ : ان كان منعك ما هو لك فقد أسا ، وان كان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشا .

فانقطع عبد الجبار .

ويسمى المعتزلة مذهبهم مذهب أهل العدل ويسمى الأشاعرة مذهبهم مذهب أهل السنة ، ولم يجرؤ أهل العدل أن ينالوا من السنة ولا من هذا الحديث ويحومون حوله بشتى التأويلات حاشا أن ينالوا من الحديث أو يطعنوا فى صحته ، فضلا عن اتهام الأحاديث الصحيحة بالزيف والاسرائيليات أو ما هو قريب من هذا التهريج الرخيص الذى تقوم عليه حملة أعداء السنة فى هذه الأيام من أصحاب مذهب ( القرآن وكفى )

ان مثل الانسان الذى ينظر الى تصريف أحوال الخلق تبارك وتعالى كمثل النملة التى تقف على ما يخطه مثل هذا القلم فلا ترى أكثر من النقطة التى تسير عليها فضلا عن الأنامل التى تقبض على القلم فضلا عن اليد فضلا عن الجسم كله والحديث متواتر تواترا معنويا فان عدم التصديق به يجر صاحبه الى التوقح على حديث عمر بن الخطاب.

**( يتبع ) محمد نجيب المطيعى**

# مساجد ومعاهد

## التحرير

كان المسجد هو النواة الأولى للمدرسة فى حضارتنا ، فلم يكن مكان عبادة فحسب بل كان مدرسة يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة والقرآن وعلوم الشريعة واللغة وفروع العلوم المختلفة ، ثم أقيم بجانب المسجد الكتاب ، وخصص لتعليم القراءة والكتابة والقرآن وشيىء من علوم العربية والرياضة ، وكان الكتاب يشبه المدرسة الابتدائية فى عصرنا الحاضر ، وكان من الكثرة بحيث عد ابن حوقل ثلاثمائة كتاب فى مدينة واحدة من مدن صقلية •

وكان من الاتساع أحيانا بحيث يضم الكتاب الواحد مئات وآلافا من الطلاب • ومما يذكر فى تاريخ ابى القاسم البلخى أنه كان له كتاب يتعلم به ثلاثة آلاف تلميذ ، وكان كتابه فسيحا جدا بحيث يحتاج الى ان يركب حمارا ليتردد بين طلابه وليشرف على شئوونهم ••

ثم قامت المدرسة بجانب الكتاب والمسجد ، وكانت الدراسة فيها تشبه الدراسة الثانوية والعالية فى عصرنا الحاضر • كان التعليم فيها مجانيا ولمختلف الطبقات ، فلم يكن يدفع الطلاب فى دراستهم الثانوية والعالية رسما ما من رسوم الدراسة التى يدفعها طلابنا اليوم ، ولم يكن التعليم فيها محصورا بفئة من أبناء الشعب دون فئة ، بل كانت فرصة التعليم متوفرة لجميع أبناء الشعب ، كان يجلس فيها ابن الفقير بجانب ابن الغنى ، وابن التاجر بجانب ابن الصانع والمزارع • وكانت الدراسة فيها قسمين : قسما داخليا للغرباء والذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على أن يعيشوا على نفقات آبائهم ، وقسما خارجيا لمن يريد أن يرجع فى المساء الى بيت أهله وذويه • أما القسم الداخلى فكان بالمجان أيضا ، يهيأ للطالب فيه الطعام والنوم والمطالعة والعبادة •• وبذلك كانت كل مدرسة تحتوى على مسجد ، وقاعات للدراسة ، وغرف لنوم

الطلاب ، ومكتبة ومطبخ وحمام. وكانت بعض المدارس تحتوى فوق ذلك على ملاعب للرياضة البدنية فى الهواء الطلق . ولا تزال لدينا حتى الآن نماذج من هذه المدارس التى غمرت العالم الاسلامى كله ، ففى دمشق لاتزال المدرسة النورية التى انشأها البطل العظيم نور الدين الشهيد ، وهى الواقعة الآن فى سوق الخياطين ، لاتزال قائمة تعطينا نموذجا حيا لهندسة المدارس فى عصور الحضارة الاسلامية لقد زارها الرحالة ابن جبير فى أوائل القرن السابع الهجرى ، فأعجب بها وكتب عنها : ( من أحسن مدارس الدنيا مظهرا مدرسة نور الدين رحمه الله ، وهى قصر من القصور الأنيقة ينصب فيه الماء فى شاذروان وسط نهر عظيم ثم يمتد الماء فى ساقية مستطيلة الى أن يقع فى صهريج كبير وسط الدار فتحار الأبصار فى حسن ذلك المنظر) ومع ان عوادى الزمن قد عدت على هذه المدرسة وانتزع منها بعض مساحتها وأجزائها،فقد بقى فيها حتى الآن الأيوان ،وهى قاعة المحاضرات، والمسجد وغرفة للمدرسين واستراحتهم وهى تقوم مقام غرفة الأساتذة فى كليات الجامعة ، وبيت خاص يسكنه رئيس المدرسين مع عائلته ، ومساكن للطلاب ولخدم المدرسة .

وقد اغتصب منها جيرانها قاعة الطعام والمطبخ ومخزن البقول والمواد المختلفة . هذا نموذج حى للمدرسة فى العصر القديم ، ونجد مثله فى حلب فى مدارس الشعبانية والعثمانية والخسروية ، حيث لا يزال فيها للطلاب غرف يسكنونها وقاعات للدراسة وقد كانوا من قبل يأكلون فيها ثم عدل عن ذلك الى راتب معلوم فى آخر كل شهر يعطى للطلاب المنتسبين اليها .

وأظهر مثال حى لهذه المدارس الجامع الأزهر ، فهو مسجد تقام فى أبهائه حلقات للدراسة ، تحيط به من جهاته المتعددة غرف لسكن الطلاب تسمى بالأروقة ، يسكنها طلاب كل بلد بجانب واحد ، فرواق للشاميين ، ورواق للمغاربة ، ورواق للأتراك ، ورواق للسودانيين وهكذا . . ولا يزال طلاب الأزهر حتى اليوم يأخذون راتبا شهريا مع دراستهم المجانية من ريع الأوقاف التى أوقفت على طلاب العلم بالأزهر .

**الجبرتى الجديد**

# المقتبس من أنباء أهل الأندلس

## لأبي مروان بن حيان القرطبي المتوفى عام ٤٦٩ هـ

## حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمود على مكى

للأستاذ عبد العزيز عبد الحق

هذا كتاب من القطع الكبير صدر فى عام ١٣٩٠ هـ وهو من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية يبدأ بتصدير بقلم الأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم رئيس لجنة احياء التراث الاسلامى ، ثم مقدمة المحقق فى مائة وست وعشرين صفحة تليها سبع صور لصفحات من المخطوطة ثم النص فى تسعين صحيفة تليها تعليقات اضافية من المحقق مطبوعة بحجم أصغر من الحروف وتقع فى مائة وثمانى عشرة صفحة ويختم الكتاب بفهرست فى صفحتين .

* * *

هذه القطعة من مخطوطة المقتبس تنتظم أحداث السنوات الأخيرة من امارة عبد الرحمن الأوسط ابن الحكم ومعظم امارة محمد بن عبد الرحمن . وهى ثالثة القطع التى تنشر من كتاب المقتبس بعد مخطوطة اكسفورد ومخطوطة المعهد التاريخى الملكى بمدريد باسبانيا . وكانت تؤلف مع تلك التى كانت فى حوزة المستشرق ليفى بروفنسال سفرا واحدا محفوظا فى خزانة جامع القرويين فى فاس . والقطعة التى نشرها الدكتور مكى لا تبلغ الا نحو ثلث هذا السفر اذ تبدأ من الورقة ١٨٩ وتنتهى فى الورقة ٢٨٤ .

وقد بذل الدكتور مكى جهودا مضنية فى تحقيق هذه القطعة من المقتبس ذلك لأن الرطوبة والأرضة اتيا على الجزء الأسفل من كثير من الأوراق واقتضى ذلك من المحقق الاستعانة بكل المصادر الممكنة واعتصار السطور المشوهة واستخلاص ما يمكن أن تدل عليه بقايا الكلمات . وسوف يستغرق نشر هذه القطعة ثلاثة أجزاء أخرج

منهـا الدكتور مـكى الجزء الأول يتلوه ان شـاء الله الجزءان الثانى والثالث .

ويمكن القول ان مقـدمة المحقق وتعليقاته تعتبر وحدها كتابا قائمـا بذاته . فالمقدمة تعرض لنا لأول مرة ترجمة تحليلية مفصلة لابن حيـان شيخ مؤرخى الأندلس جمعها المحقق مما تناثر منها فى مختلف المصـادر العربية الخاصـة بالأندلس . كمـا حلل المحقق تاريخ أسرته ونشـأته والشيوخ الذين أخـذ عنهم العلوم العربية والاسـلامية ، مثل الفقيـه المحدث عمر بن حسين بن محمد بن نابل الأموى القرطبى ، ثم اللغوى النحوى ابن أبى الحباب القرطبى وكان من أخص أصحاب أبى على القالى صاحب الأمالى وأكثرهم أخذا عنه ، واللغوى الشاعر صاعد بن الحسن الربعى البغدادى . وقد استفاد ابن حيان من هؤلاء فوائد جمة ، فقد أعانه هذا على امتلاك ناصية اللغـة على نحو لا يعـرف أنه أتيح لمؤرخ عربى ، فصـارت كتابات ابن حيان الى جانب قيمتها التاريخية من أرقى نماذج النثر الفنى فى الأدب العربى ، حرص الأدباء على ايراد نماذج منها فى المختارات الأدبية كما صنع ابن بسام فى كتابه « الذخيرة فى محاسن الجزيرة » .

ويقـول المستشرق الهولنـدى العلامة دوزى فى هـذا الصدد وفى منهج ابن حيان : « ان كتاب العرب يتمدحون فى كتب ابن حيان صـدق الرواية بقدر ما يعجبون بجزالة لفظه ورنين عباراته . وأنا أؤيدهم فى ذلك كل التأييد ولا أتردد فى القول بأن كتبـه لو بقيت لألقت على تاريـخ الأندلس الغـامض ضـياء باهـرا ولصورته لنا أحسن تصوير، ولوجدنا أنها تبلغ فى الامتياز مبلغـا يجعلنـا نستغنى عن غـيرها من الكتب التى تتناول تاريخ هذه العصور .

ان ابن حيـان سيال الأسـلوب ولكنه مع ذلك لا يتغير فى الاطناب والقعقعة اللفظية كما فعل غيره من أصـحاب الروايات المسـهبة . انه ليسوق التاريخ مساق من يبدى رأيه وحكمه فيمـا يعرض من القضـايا ويبحث عن أسباب الأشياء ويناقشها عن علم وفهم وذكاء . ويمتـاز ابن حيان بأسلوب صاف ناصع لا يهبط

الى الركاكة ولا يقـــع كذلك فى التفصح والاسراف ... ونخــرج من هــذا كله بأننــا لا نجد من بين مــؤرخى العــرب الا القليلين ممن نستطيع أن نقارنهم به ولن تجــد من بينهم من نقدمه عليه » .

كمــا أثنى عليه ابن خلدون فى مقدمته . ونقل ابن خلكان عن أبى على الغسانى أنه قال فى ابن حيان: كان عالى السن قوى المعرفة متبحرا فى الآداب بارعا فيها صاحب لواء التــاريخ بالأندلس أفصــح الناس وأحســنهم نظما له : وزاد المحقق منهج ابن حيان فى كتاباته التاريخية ايضاحا فقال : انه لم يكتب فى ظل رغبة أو رهبة وانه حرر قلمه من ربقة الخوف والطمع . وأضاف بأن صراحة ابن حيان ألحقت به تهمــة الثلب والاغتياب حتى ان ابن بسام حينما نقل فصولا عن ابن حيان فى الحديث عن بعض معاصريه رأى من التعفف أن يحذف أسماء الأشخاص المعنيين رغبة بكتــابه الذخيرة عن الشين .

وأوضح المحقق فى مقدمته منهج ابن حيان فى كتابه التاريخ اذ جمع بين طريقة الحوليات والطريقة التى تتناول موضوعا معينا مثل تاريــخ دولة بعينهــا أو التاريخ الاجتماعى والثقافى ممثــلا فى كتب الطبقــات وتراجم الأعلام . وفى القطعة التى نشرها الدكتور مكى نجد أنها تبدأ بعرض الأحداث ثم يعقبهـا أحكام عامة مع ملاحظات دقيقة تكشف عن قدرة عجيبة على التحليل النفسى ، تليها فصول طويلة يترجم فيها ابن حيان لرجال الدولة من حجاب ووزراء ثم يورد أخبــارا طريفة تلطف من جفاف السرد التاريخى فضــلا عما تتضمنه من أخبار بالغة القيمة حول الأوضــاع الاجتماعية والاقتصادية والعمــرانية ويترجم للأعلام ويورد طائفة كبيرة من الرسائل والأشــعار كما يعنى بالطرز المعمارية والفنية ثم يفرد فصولا لأخبار العلم والعلمــاء ويورد الدقائق فى حيــاة النــاس اليومية .

ومن الطريف أن ما يمتاز به ابن حيان من الدقة والضبط يشمل أيضا ما أورده من التفاصيل الدقيقة عن أخبار اسبانيا المسيحية وتاريخ فرنسا القديم ، وهى تفاصــيل صــححت كثيرا من الأخطاء الشائعة المتناقلــة

فى التواريخ القديمة مما يعد كشفا جديدا عظيم القيمة • وقد حمل هذا بعض الباحثين المحدثين على القول ان ابن حيان كان ملما باللغة اللاتينية الدارجة فى العصر الوسيط وانه ربما اطلع على مدونات مسيحية قديمة فقدت اليوم •

أما التعليقات التى ذيل بها الدكتور مكى هذا الجزء الأول من المقتبس فقد صحح فيها أسماء الأعلام الجغرافية التى كثيرا ماشوهها النساخ وأضاف اليها بيانات أخرى كثيرة من أعلام الأشخاص ، وهى تكشف عن علم المحقق الواسع بالأبحاث الأندلسية والمامه باللغات الأوروبية• وقد يسر له ذلك عمله بمعهد الدراسات الاسلامية بمدريد واطلاعه على مخطوطات الاسكوريال ورحلاته الواسعة فى اسبانيا والبلاد المغربية• ولا غرو فتاريخه العلمى حافل بما حققه من المخطوطات ونشره من الأبحاث • ونرجو أن يوفق فى نشر الأجزاء التالية من المقتبس بل نطمع فى أن يعاد ما نشره المستشرقون من هذا الكتاب الفذ زيادة فى تيسيره للقراء فى العالم العربى •

**عبد العزيز عبد الحق حلمى**

---

**العلم والعلماء**

قال ابن عباس : ذللت طالبا فعززت مطلوبا .

وكان يقال : اول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ والرابع العقل والخامس نشره .

ويقال : اذا جالست العلماء فكن على أن تسمع احرص منك على ان تقول .

وقال على رضى الله عنه : لا يرجون عبد الا ربه ، ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحى من لا يعلم أن يتعلم ولا يستحى اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله اعلم .

# التبشير والاستعمار

للدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

١ ـ جرت سنة الله فى دعوات الرسل جميعا أن تنهج فى تبليغ الناس منهج التبشير والانذار بالترغيب والترهيب .

والمتابع للقرآن الكريم كتاب الرسالة الخاتمة والمصدق لما بين يديه من الكتب والمهيمن عليها يجده فى عرض دعوات الرسل والرسالة الخاتمة يبرز كلا الجانبين التبشير والانذار على لسان كل رسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فكان كل رسول بشيرا ونذيرا وكانت رسالته تعتمد على التبشير والانذار :

« أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » ، « انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » الآية .

* * *

٢ ـ وأقرب الرسالات زمنا الى الاسلام هى رسالة عيسى ابن مريم عليه السلام .

ويسوق القرآن لنا نموذجين من دعاتها :

(ا) نموذج يحكى قصته فى سورة يس : « واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون » ويلخص منهجهم فى الدعوة فى الآتى:

(١) أنهم مرسلون .

(٢) وأنهم قائمون بالدعوة باسم الله وحده وأنه هو سبحانه المرسل

لهم « اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث » .

(٣) وأن مهمتهم البلاغ فقط « وما علينا الا البلاغ المبين » .

(٤) وأنهم متجردون للدعوة لا يبغون من ورائها غرضا دنيويا « اتبعوا من لا يسألكم أجرا » .

(٥) وأنهم نموذج لدعوتهم فى قولهم وسلوكهم « وهم مهتدون » .

(ب) نموذج يحكى قصته فى سورة ( البروج ) وهم الذين حملوا الدعوة الى بلاد اليمن التى كانت اليهودية تسيطر عليها فأحاطت هؤلاء الدعاة ومن تبعهم وأبادتهم « قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود » الآيات . ويلخص قصتهم فى الآتى :

أنهم تحملوا فى سبيل الدعوة أشق أنواع العذاب حتى الحرق وأنهم مؤمنون وما لاقوا من العذاب الا بسبب ايمانهم : « وما نقموا منهم ... » الآية .

وأن الله سبحانه انتقم لهم من أعدائهم «ان الذين فتنوا ...» الآية

وأن سبحانه وتعالى جازاهم الجنة بايمانهم « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... » الآية

٣ — فدعوى ( التبشير ) فقط وحدها لا تعطى تصورا صحيحا عن أية رسالة سماوية ولا تمثلها فضلا عما تحمله من معانى الخداع للجماهير بجذبهم من جانب الأمانى فقط وتملق عواطفهم وتضليلهم عن معنى الدين بحق .

ومن هذا فان دعوى التبشير لا تنتسب الى الرسالات السماوية بقدر ما تنتسب الى أغراض بشرية .

فما هى هذه الأغراض ؟

٤ — وقبل الاجابة على هذا السؤال نلفت النظر الى أنه من الحقائق المقررة أنه لا يجب أن تختلف أغراض البشر عن أغراض الرسالات بل يجب أن تدور فى فلكها ؛ لأن الرسالات السماوية هى أساس لهداية البشرية وتوجيه أغراضها الى الأهداف السامية لاقامة حياة كريمة على الأرض ترتبط

بالسماء وبالكون كله ويعرف فيها الخلق خالقهم ويحيون على الأرض معمرين فيها باسم الله لا باسم الطواغيت :

« هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » .

أنشأنا من الأرض لنعمرها متعارفين ، لا متناكرين ، واخوة لا سادة وعبيدا « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

٥ ـ لكن النظرة الى الواقع الانسانى تجد البون شاسعا بين ما هو واجب أن يقع أن الواقع هو ما يعبر عنه بهذا المنطق (١) «اذا طلب منى أن أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيدا فاننى أقول ان شعوب أوربا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين لم تر بدا من أن تستعبد شعوب افريقية لكى تستخدمها فى استغلال كل هذه الأقطار الفسيحة ، والشعوب المذكورة ما هى الا جماعات سوداء البشرة من أخمص القدم الى قمة الرأس ، وأنفها افطس فطسا شنيعا بحيث يكاد أن يكون من المستحيل أن ترثى لها ولا يمكن للمرء أن يتصور أن الله سبحانه وتعالى ـ وهو ذو الحكمة السامية ـ قد وضع روحا ـ وعلى الأخص روحا طيبة ـ فى داخل جسم حالك السواد » .

٦ ـ ومن هذا المنطق وبهذه الروح بدأ يتحرك المستعمرون لاستغلال من يكاد أن يكون من المستحيل أن ترثى لهم ـ حق الرثاء ! .. .. أو تتصور أن الله سبحانه وهو ذو الحكمة السامية قد وضع روحا ـ وعلى الأخص روحا طيبة فى داخل هؤلاء الاناس ان كانوا أناسيا ! .

فاذا تقدم هؤلاء المستعمرون لهؤلاء الأناسى تحت شعار التبشير وباسمه لتحقيق هذه الأهداف فأى

---

(١) من كتاب منتسكيو « روح القوانين » نقلا عن محمد عوض محمد «الاستعمار ص ٣٧ » .

خدعة هذه تكون ؟ وأى تضليل باسم الدين يكون ؟

ومن هنا تتضح الصلة بين الاستعمار والتبشير صلة بعيدة كل البعد عن رسالة السماء .

٧ ـ واليك هذه الحقائق والصور دليلا على الصلة الوثيقة بين الاستعمار والتبشير :

(١) كان أول هدف للاستعمار فى افريقية هو الحصول على الرقيق ولجأوا الى كل الوسائل لتحقيق هذا الهدف فما هو الثمن الذى كانوا يدفعونه ؟

( ا ) لقد نشر « الاب جادان » أنه فى سنة ١٨٠٤ م ذهب ابن ملك الكونغو « جارسيا الخامس » وابن أخيه « الأميران : بيد رودى سان سلفادور ، والفونسو » الى معهد فى « لواندا » ليؤهلهما لدخول سلك « القساوسة » وكان هذان الأميران التلميذان الشابان يتلقيان من الملك فى كل عام « ثلاثة من العبيد » ليدفعاهم أجرا لتعليمهما وتأهيلهما لدخول سلك القساوسة ثم يقول : وانه لأمر منزع أن يدفع للكنيسة ثلاثة من العبيد سنويا أجرا لتعليم هذين الافريقيين كيفية نشر المسيحية وقارن بين هذا وبين ما كان يفعله الاسلام من فداء الأسرى نظير التعليم

(ب) (٢) كتب الأب « تاكر » يسجل : « على الرصيف البحرى فى « لواندا » كانت العين لا تزال حتى سنة ١٨٧٠ م تقع على مقعد رخامى كان « الأسقف » يقعد عليه ويمضى فى عملية « تعميد » جماعات من هؤلاء البائسين المساكين وهم يمرون به فى زوارقهم وكانت الحكومة تجمع ضرائبها و « رجل الله » يقبض أجره ويلج العبيد لأول مرة باب « ديانة » الرجل الأبيض .. وكانت الكنيسة على وجه العموم راضية بنصيبها فى الأسلاب وقد أثبتت الأبحاث الجديدة التى قام بها

---

(١) انظر « صحوة افريقية » ص ٦٨ من مجموعة الألف كتاب .

(٢) المصدر السابق ص ٦١ ، ٦٢

الأب « جادان » أخيرا فى سجلات « الكنيسة » فى « لواندا » صحة الرأى بأن الكنيسة « كانت قانعة بأن تطالب بتعميد العبيد المرسلين الى أمريكا أولا حتى تيسر انقاذ أرواحهم على الأقل ، وفيما عدا هذا لم تكن الكنيسة ترى فى المسألة أية مخالفة « صحيح ان الأساقفة كانوا يصرون على أن تحمل كل سفينة ناقلة للعبيد « قسا » يصحبها فى رحلتها بين القارتين وهى الرحلة البحرية القاتلة بين رحلتين على الأقدام :

الرحلة الأولى : من الغابة الى ساحل المحيط الأطلنطى .

الرحلة الثانية : من السفينة الى المزارع والى المناجم الأمريكية .

ولكن من سوء الحظ أن الرحلة لم تكن لتجذب سوى عدد قليل جدا من « القساوسة » وكان لا بد من الالتجاء الى كهنة فقراء وغيرهم ممن لم يكونوا من النوع المطلوب ، وهكذا فشلت الكنيسة فى معونتها على ضآلتها .

ولم تشعر الكنيسة بأنها قادرة على القيام بأكثر من هذا ، وانما راح الأسقف يجلس على مقعده الرخامى فيعمد العبيد ويقبض نصيبه من رسوم التصدير ...

وقد وجد الأب « جادان » أن ضريبة « التعميد » فى القرن السابع عشر « كانت تبلغ ثلاثمائة ريس » يدفعها تجار الرقيق عن كل رأس وكانت تذهب بأكملها الى « قس » أبرشية « ريمديوس » وأبرشية « بنجيلا » ، ولكن بعد انتهاء القرن السابع عشر حين صار تصدير العبيد تجارة معترفا بها صار « الأسقف » يحجز من هذه الضريبة «١٥٠» ريسا لصندوقه هو ...

ان الذين لا يميلون الى الاقتناع بأن الرق كان هو العامل الرئيسى فى الذل الذى جلبه اتصال أوربا بالبلاد المستعمرة هؤلاء يجب أن يعملوا الفكر فى ضخامة الأعداد التى لفها الرق فى أغلاله فقد صدر لأوربا وأمريكا من العبيد الملايين ، ولن يصل أحد مطلقا الى الرقم الصحيح، وهو ما لا يلقى اهتماما فان العدد

كان كبيرا والعملية متواصلة وقد تقدر بمعدل تسعة آلاف من العبيد فى كل سنة خلال القرنين « من منتصف القرن الخامس عشر الى منتصف القرن السابع عشر » من « الكونغو » فقط •

٨ ــ هكذا استنزف الاستعمار الثروة البشرية فى ظل تعميد المبشرين لها ولم تعترض عليه لا الكنيسة الكاثوليكية ولا الكنيسة الانجليكانية لدرجة أن تجارة الرقيق بررت بوساطة نصوص من العهد القديم (١) وبضرورة تنصير الوثنيين•

أما عن استنزاف الثروة الطبيعية فلم يكن للمستعمرين من هدف سوى جمع المال وتصدير المنتجات وخيرات البلاد المستعمرة • ونجحوا فى ايجاد طبقة من الشعب تشبه الأوربيين فى المظهر الخارجى فى حين بقى معظم الشعب على حالة من الجهل والبدائية والوثنية •

٩ ــ فى الأيام الأولى للاستعمار البرتغالى كانت الارساليات (٢)تقوم على آلام المواطنين وكانت حكومة البرتغال تتخذ كل الاحتياطات الكفيلة بمنع البابا أن يبعث بارساليات من طرفه ما لم تكن تلك الارساليات تحت سيطرتها •

وهكذا دار التبشير والمبشرون فى فلك الاستعمار وتحت سيطرته بدءا من « البابا » الى أصغرمعمد يتناول رسوم التعميد للعبيد • فضلا عن انغماسهم فى تلك الجريمة الانسانية البشعة جريمة استرقاق الانسان واستعباده من غير وجه حق الا العلو فى الأرض فسادا •

١٠ ــ ويمكن القول بأن رغبة أوربا فى اكتشاف أفريقية لم تظهر الا بعد أن ذللت المشكلات الجغرافية فيها بواسطة الرواد المبشرين المكتشفين وكان الانجليز من أوائل البادئين فى هذا الميدان وعلى الرغم من قيام الحدود بين المستعمرات

---

(١) انظر تاريخ افريقية ص ٩٩ من مجموعة الألف كتاب .

(٢) انظر تاريخ افريقية ليفيج ص ٥٩

فان الارساليات كانت تجوب شمالا وجنوبا ومن ذلك بعثة « دافيد لينفجستون » وقد نشر اكتشافاته تحت عنوان « رحلات تبشيرية وأبحاث (١) » وأثار هذا المؤلف حماس الانجليز لفتح تلك البقاع « جنوبى أفريقية وشرقيها » للتبشير والتجارة واهتمت الجمعية الجغرافية الملكية بمعاونة الحكومة فأرسلت « برتون وسبيك » الى بحيرة «تنجانيقا» فى عام ١٨٥٨ م «وسبيك وجرانت» الى فيكتوريا نيانزا ثم الى « منابع النيل » ... الخ .

وأصبحت أفريقية ميدانا لابراز البطولة من الرواد المبشرين سواء فى أوربا أو أمريكا بطولة ظلت تخبو فيها أنفاس حب البشرية تحت ستار التبشير والبحث العلمى وكشف المجهول ولم تفكر الحكومات من وراء ذلك بعقلية ولا بمنطق هذه الارساليات بل ولا بعقلية التجار والمكتشفين بل كانت نظرتها أوسع فالحكومات تعلم مثلا أن الحصول على زيت النخيل من أفريقية لايستمر بحماية المبشر المكتشف وحده بل بحماية الأسطول .

وصار جهد الاثنين «المبشر والاسطول» معا فكان جناحى الحركة الاستعمارية .

١١ — وقد أدرك المستعمر أن مصلحه المادية تعتمد كل الاعتماد على القوى البشرية فى المستعمرات فى المقام الأول لتوجيهها لصالحه وأدرك كذلك أن عملية الكشف الجغرافى عن المجهول من أرض المستعمرات لا يكفى وحده بل لابد أن يواكبه جهد أكبر لكشف المجهول من عادات الناس وعقائدهم هناك ، فاستنهض لذلك همم رجال العلم بجانب همم المبشرين فى الاستقصاء والبحث ، وأدرك أن «الدين» هو العنصر الفعال والقوة المحركة فى حياة هذه المجتمعات فاتخذه نقطة ارتكاز فى سائر أبحاثه. وأفادت الهيئات التبشيرية من هذه الحقائق فوضعت منهجها على هذا الأساس وكان من نتائج ذلك الكثير .. مثل ترجمة الانجيل الى كثير من لغات المستعمرات وتدعيم الارساليات

---

(١) أنظر تاريخ افريقية ليفيج ص ٦٤

واحتواء حركة التعليم والاتجار بالقيم الانسانية كالمستشفيات وغيرها •

١٢ ـ ثم كان الصراع الراهن بين الصليبية والشيوعية فى المستعمرات وكان لا بد أن يكون «الدين» عنصرا فعالا فى هذا الصراع •

ومن الظواهر التى تلفت النظر فى اتجاهات كثير من الكتاب فى أوربا انها بقدر ما تحرص على تجاهل دور «الدين» فى المشاكل الحية للشعوب أصبحت تفسح له من صدرها فيما يتصل بحاضر «أفريقية» ، ومستقبلها وذلك يرجع الى أن خطر الشيوعية النشطة فى أفريقية واضطرار الدول الغربية الى التسليم بأن الشعوب الافريقية لا يمكن أن يحميها من هذا الخطر الا حصانة سريعة لا يقدر على تحقيقها الا الدين وأن هذه الشعوب وهى لا تزال قريبة من الفطرة لن تستحوذ عليها فكرة القومية كراية للتجمع كما حدث فى أوربا وهذا يجعل الحاجة ماسة الى مؤثر سريع ـ وهو الدين ـ يحميها من أساليب الشيوعية فى التضليل وليس أسرع ولا أبسط من تحديد المعركة مع الشيوعية بأنها معركة بين الايمان والكفر •

١٣ ـ لكنهم من وجه آخر وبدل أن يركزوا معركتهم مع الالحاد والوثنية يديرون وجوههم وجهادهم ضد الاسلام ويجعلون من زحفه هناك بما له من قوة وتأثير فى تحرير الشعوب وتبصيرها بخطر كل من الصليبية والشيوعية معا • ولذلك وبدل أن يركزوا نشاطهم ضد الشيوعية وضد الوثنية فانهم وجهوه ضد الاسلام من ذلك ما يقوله (١) : « مستر أكيلا تودى » الرئيس الافريقى الأول لكنيسة المسيح اللوثرية بالسودان : « لقد اشتركنا مع الكنائس الأخرى فى مشروع يهدف الى تبصير أعضاء الكنيسة بالموقف الذى يجب اتخاذه ازاء المسلمين والمبادىء الاسلامية •• واننا بهذا نأمل أن تصبح وسائلنا فى تبشير المسلمين بالانجيل أكثر فعالية ولماذا التركيز على المسلمين والاسلام؟

(١) نشرة الاتحاد اللوثرى العالمى رقم ٧/٦١/٧ تصدر فى لندن .

لأن «الاسلام .. أكبر تهديد للمسيحية فى أفريقية » .

وقد أعلن الأسقف « ستيفن باين» الموظف المنفذ المقربان المقدس الانجيليكانى بأن « الاسلام أعظم تهديد للمسيحية فى القارة «ثم قال : ان المبشرين المسلمين ليبرهنون أنهم أقدر من المبشرين المسيحيين كما انهم يبشرون بمذهب التوحيد الحازم الذى يلاقى قبولا كبيرا » ثم يتناقضون يائسين بمثل ما يزعم مبشر أوربى (١) « من أن الاسلام اليوم قد عقم حضاريا وأن انتشاره فى أفريقيا يهدد بأن يؤدى بها الى زقاق مغلق وطريق مسدود » وأبسط رد على هذا ان أكثر أجزاء افريقية تقدما واشراقا بالحضارة هى بالذات أكثرها اسلاما كما وكيفا » .

ولكن أكل هذا التحامل على الاسلام لأن خطره على الصليبية والتبشير بها فى المستعمرات فى أفريقية فقط ؟ ويجيبنا أحد حكام هذه المستعمرات بقوله (٢) « انه من صالح فرنسا استغلال زعماء القبائل الوثنية فى تلك الأرجاء ؛ لأن الاعتماد على الجماعات الاسلامية ينطوى على خطر أكيد على المستعمر » .

هكذا كلاهما مقرنان فى صف واحد «التبشير والاستعمار» وهكذا احساسهما يزيفهما فى المستعمرات وخطر الاسلام عليهما بكشفهما ودحضهما (٣) « وكل شىء باجماع وقلق كل الكتاب والمبشرين الغربيين قبل سواهم يشير الى أن دين المستقبل فى قارة المستقبل انما هو دين الاسلام » .

وصدق الله العظيم : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض»

والله ولى التوفيق ؟

د: حسن عيسى عبد الظاهر

---

(١) افريقية الجديدة ص ٢٨٥

(٢) هو « بريقيه » فى كتابة « الاسلام ضد الوثنية فى السودان الفرنسى » سنة ١٩٢٣ م نقلا عن هوبير ديشان فى « الديانات فى افريقية السوداء » ص ١٣١ من مجموعة الألف كتاب .

(٣) العالم الاسلامى المعاصر ص ١٦ ، ١٨

# ثقافة المفتى ...

للدكتور : ى . ده

ان المفتى أو الفقية الذى يقوم مقام النبى صلى الله عليه وسلم . بل يوقع عن الله جل شأنه . جدير بأن يكون على قدر كبير من العلم بالاسلام ، والاحاطة بأدلة الأحكام.

والدراية بعلوم العربية ، مع البصيرة والمعرفة بالحياة وبالناس أيضا بالاضافة الى ملكة الفقه والاستنباط.

لا يجوز أن يفتى الناس فى دينهم من ليس له صلة وثيقة وخبرة عميقة بمصدريه الأساسيين : الكتاب والسنة .

ولا يجوز أن يفتى الناس من لم تكن له ملكة فى فهم لغة العرب وتذوقها حتى يقدر على فهم القرآن والحديث .

ولا يجوز أن يفتى الناس من لم يتمرس بأقوال الفقهاء ؛ ليعرف منها مدارك الأحكام وطرائق الاستنباط ، ويعرف منها كذلك مواضع الاجماع ومواقع الخلاف .

ولايجوز أن يفتى الناس من يعيش فى صومعة حسية أو معنوية ، لا يعى واقع الناس ولا يحس بمشكلاتهم .

يروى الحافظ الخطيب البغدادى فى كتابه « الفقيه والمتفقه » (١) عن الامام الشافعى قوله :

«لا يحل لأحد أن يفتى فى دين الله، الا رجلا عارفا بكتاب الله ، بناسخه ومنسوخه وبمحكمه ومتشابهه ، وتأويله وتنزيله ، ومكيه ومدنيه ، وما أريد به ، وفيم أنزل ، ثم يكون

---

(١) المجلد الثانى ص ١٥٧ ــ مطابع القصيم بالرياض .

بعد ذلك بصيرا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالناسخ والمنسوخ ويعرف من الحديث ماعرف من القرآن ، ويكون بصيرا باللغة بصيرا بالشعر ، وبما يحتاج اليه العلم والقرآن ويستعمل — مع هذا — الانصات وقلة الكلام .. ويكون بعد هذا مشرفا على اختلاف أهل الأفكار وتكون له قريحة (أى ملكة وموهبة) بعد هذا فاذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتى فى الحلال والحرام، واذا لم يكن هكذا فله أن يتكلم فى العلم ولا يفتى » .

وسئل الامام أحمد : ما تقول فى الرجل يسأل عن الشىء فيجيب بما فى الحديث وليس بعالم بالفتيا؟ قال : ينبغى للرجل اذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عارفا بالسنن ، عالما بوجوه الكتاب ، عالما بالأسانيد الصحيحة،وانما جاء خلاف من خالف لقلة معرفتهم بما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها (١) .

ولم يكتف الامام أحمد بمعرفة المفتى للسنن ، فاشترط له المعرفة بأقوال الفقهاء والمجتهدين ، قال ينبغى لمن أفتى أن يكون عالما بقول من تقدم ، والا فلا يفتى . وقال أيضا : أحب أن يتعلم الرجل كل ما تكلم فيه الناس .

وسأله بعضهم : اذا حفظ الرجل مائة ألف حديث يكون فقيها ؟ قال : لا . قال : فمائتى ألف ؟ قال : لا . قال : فثلاثمائة ألف ؟ قال : لا. قال : فأربعمائة ألف ؟ قال بيده هكذا وحركها (٢) .

وقد خفف علماء الأصول بعد ذلك نزولا على الأمر الواقع فى أزمانهم وقالوا : المهم أن يعرف من الأحاديث ما يتعلق بالأحكام ، ولا يلزم حفظها عن ظهر قلبه ، ويكفى أن يكون ممارسا لها ، عارفا بمظانها متونا وشروحا ، خبيرا بنقدها تعديلا وتجريحا قادرا على مراجعتها عند

(١) الفقيه والمتفقه ، للحافظ الخطيب البغدادى .
(٢) اعلام الموقعين ج ٤ ص ٢٠٥

الحاجة الى الفتوى ، ومهما قدر على الحفظ فهو أحسن وأكمل .

على أن الحفظ وحده لا يجعل الحافظ فقيها ، مالم تكن لديه المقدرة على التمييز بين المقبول والمردود ، والصحيح والمعلول ، وكذلك على الاستنباط والترجيح أو التوفيق بين النصوص بعضها وبعض وبينها وبين المقاصد الشرعية والقواعد الكلية .

وقيل للامام عبد الله بن المبارك : متى يفتى الرجل ؟ قال : اذا كان عالما بالأثر بصيرا بالرأى .

وبهذا لا يكفى الأثر دون الرأى ، ولا الرأى دون الأثر .

ولابد للمفتى من ثقافة عامة ، تصله بالحياة والكون ، وتطلعه على سير التاريخ وسنن الله فى الاجتماع الانسانى حتى لا يعيش فى الحياة وهو بعيد عنها جاهل بأوضاعها .

يقول الخطيب البغدادى فى « الفقيه والمتفقة » اعلم أن العلوم كلها أبازير للفقه وليس دون الفقه علم الا وصاحبه يحتاج الى مايحتاج اليه الفقيه ، لأن الفقيه يحتاج أن يتعلق بطرف من معرفة كل شىء من أمور الدنيا والآخرة ، والى معرفة الجد والهزل ، والخلاف والضد ، والنفع والضر ، وأمور الناس الجارية بينهم ، والعادات المعروفة منهم ، فمن شرط المفتى النظر فى جميع ما ذكرناه ، ولن يدرك ذلك الا بملاقاة الرجال . والاجتماع مع أهل النحل والمقالات المختلفة ، ومساءلتهم وكثرة المذاكرة لهم وجمع الكتب ومدارستها ، ودوام مطالعتها .

ولا يريد الخطيب من المفتى أو الفقيه أن يجمع الكتب فى خزائنه من هنا وهناك دون أن يعيها ، وتفهم ما فيها ، فهذا كمثل الحمار يحمل أسفارا .

ونقل عن بعض الحكماء أنه قيل له : ان فلانا جمع كتبا كثيرة . فقال : هل فهمه على قدر كتبه ؟ قيل : لا . قال : فما صنع شيئا . ما تصنع البهيمة بالعلم ؟

وقال رجل لرجل كتب ، ولا يعلم مما كتب شيئا : مالك من كتبك

الا فضـل تعبك وطـول أرقك ، وتسويد ورقك (١) .

ان من أسوأ الأشياء خطرا على المفتى أن يعيش فى الكتب ، وينفصل عن الواقع .. ولهذا أحسن الخطيب رضى الله عنه حين طلب الى المفتى أن يعرف الجد والهزل ، والنفـع والضر فى أمور الحياة .

ومما قاله الامام أحمد :

لا ينبغى للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال: أولها : أن تكون له نية ، فان لم تكن له نية ، لم يكن عليه نور ، ولا على كلامه نور .

والثانية : أن يكون له حلم ووقار وسكينة .

والثالثة : أن يكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته .

والرابعـة : الكفـاية ( أى من العيش ) والا مضغه الناس .

والخامسة : معرفة الناس (٢) .

وبدون معرفة الناس ومعايشتهم فى واقع حياتهم ومشكلات عيشهم ، يقع المفتى فى متاهات ، أو يهوم فى خيالات ، ويظل فى واد والناس فى واد ، فهو لا يعرف الا ما يجب أن يكون ، دون ما هو كائن ، مع أن الواجب شىء والواقع شىء آخر .

يقول ابن القيم : الفقيه من يطبق بين الواجب والواقع ، فلكل زمان حكم والناس بزمانهم أشـبه منهم بآبائهم .

ذكر هذا فى معرض جواز استفتاء مستور الحال . بل الفاسق اذا لم يكن معلنا بفسقه ، داعيا الى بدعته . قال : واذا عم الفسوق وغلب على أهل الأرض فلو منعت أمامة الفساق وشـهاداتهم وأحكامهم وفتـاويهم وولاياتهم لعطلت الأحكام وفسـد نظام الخلق وبطلت أكثر الحقـوق ومع هذا فالواجب اعتبـار الأصلح فالأصلح (٣) .

---

(١) الفقيه والمتفقه : ١٥٨ ، ١٥٩

(٢) ذكره ابن بطه فى كتابه فى الخـلع . ونقلـه ابن القيم فى الاعلام ج ٤ ص ١٩٩

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٠

**الجانب الاخلاقى فى المفتى :**

والعلم مع فرضيته والثقافة مع حتميتها للمفتى ، ليسا كل شىء ، فلابد مع العلم من عمل ، ولابد مع العمل من خشية ، والعلم الذى لا يثمر خشية الله وتقواه لا قيمة له فى ميزان الحق . يقول الله تعالى : ( انما يخشى الله من عباده العلماء ) .

ان آفة الحياة ليست من فساد العقول بقدر ما هى من فساد الضمائر وان أزمة الناس ليست أزمة معرفة بقدر ما هى أزمة أخلاق .

ولم تفسد الأديان السابقة على الاسلام بسبب الجهال بحقائقها ، بقدر ما فسدت من علماء السوء المتاجرين بها ، المحرفين لها .

ولا عجب أن حمل القرآن بقوة على الذين يخونون علمهم يشترون به متاعا زائلا ويلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون .

نقرأ قوله تعالى : ( واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم ، وأشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ) .

ونقرأ كذلك قوله سبحانه : ( ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا ، أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ) .

ونقرأ أسوأ مثلين ذكرهما القرآن لمن علم ولم يعمل بمقتضى ما علم : كالذى أتاه الله آياته فانسلخ منها ، وأخلد الى الأرض واتبع هواه ، وجعل الله مثله . مثل الكلب ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث وكذلك بنو اسرائيل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها أى لم يقوموا بحقها ، ولم يعملوا بهديها جعل القرآن مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارا .

من هنا أكد علماء الاسلام على الجانب الأخلاقى للمفتى ، ولم

يكتفوا منه بسعة العلم والتبحر فيه ، حتى يزين علمه بالتقوى ومكارم الأخلاق .

يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه :

« ألا أخبركم بالفقيه كل الفقيه ؟ ومن لم يؤنس الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم فى معاصى الله ، ألا لا خير فى علم لا فقه فيه ، ولا خير فى فقه لا ورع فيه ، ولا قراءة لا تدبر فيها .

ويقول الحسن البصرى : هل ترى ما الفقيه ؟ الفقيه الورع الزاهد، الذى لا يسخر ممن أسفل منه ، ولا يهمز من فوقه ، ولا يأخذ على علم علمه الله حطاما .

ويقول الامام مالك : لا يكون العالم عالما ، حتى يعمل فى خاصة نفسه بما لا يلزمه الناس ولا يفتيهم به ، مما لو تركه لم يكن عليه فيه اثم (١) .

فأين هذا ممن يفتى الناس بمنع شىء وهو يمارسه ويعمله أو يفتيهم بوجوب فعل شىء ، وهو تاركه ومضيعه ؟ والله تعالى خاطب بنى اسرائيل فقال : ( أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون ؟ ) .

ومن أمانة المفتى وتقواه : أن يحيل سائله الى من هو أعلم منه بموضوع الفتوى ولا يجد فى ذلك حرجا فى صدره .

سئلت عائشة أم المؤمنين عن المسح على الخفين . فقالت للسائل: سل عليا فانه أعلم منى بهذا . وقد كان يسافر مع النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك أن يسأل هو اخوانه من أهل العلم ويشاورهم ليزداد استيثاقا واطمئنانا الى الأمر . كما كان يفعل عمر حيث يجمع علماء الصحابة ويشاورهم بل كان يطلب رأى صغار السن فيهم مثل عبد الله ابن عباس ، الذى قال له مرة : تكلم ولا يمنعك حداثة سنك .

---

(١) الفقيه والمتفقه .

ومن هذا الجانب الأخلاقى : أن يرجـع عن الخطـأ اذا تبين له ، فالرجـوع الى الحق خـير له من التمادى فى الباطل . ولا اثم عليه فى خطئه ، لأنه مأجور عليه ، وانما يأثم اذا عرفه ثم أصر عليه عنـادا وكبرا ، أو خجلا من الناس والله لا يستحى من الحق .

وقـد كان بعض السـلف يفتى سـائله ، فاذا تبين له خطؤه بأمر ينادى فى الناس بأن فلانا الفقيـه أفتى اليوم خطأ . ولا يبـالى بما يقول الناس .

ومن أخلاقيات المفتى : أن يفتى بما يعلم أنه الحق ، ويصر عليـه ، ولـو أغضب من أهـل الدنيـا ، وأصحاب السـلطان ، وحسبه أن يرضى الله تبارك وتعالى وكل الذى فوق التراب تراب .

وقـد أفتى الأئمـة المتبـوعون بأحكام رأوها حقا ، ورآها أصحاب السلطان ضد السلطان فأصروا عليها مجاهدين ، وعرضوا أنفسهم لسخط المتسـلطين ، فضربوا وأوذوا ، ولكنهم صبروا على ما أصابهم فى سـبيل اللـه وما ضـعفوا وما استكانوا .

ولقد امتحن شيخ الاسلام ابن تيمية من أجل فتاويه التى خالف بها المألوف لدى المقـلدين الجامدين . فكادوا له لدى أولى السلطة حتى دخل السجن أكثر من مرة وظل فى محنته الأخيرة الى أن وافاه الأجل ـ رضى الله عنه ـ

ومع هذا لم يتزحزح عن موقفـه ولم يتراجع عمـا رأى أنه الحق . ولم يبال بسجن ولا نفى ولا تهديد بقتل . ومن كلامه فى ذلك : سجنى خلوة ، ونفى سياحة ( هجرة ) وقتلى شهادة .

وقبل ذلك كله يجدر بمن عرض نفسه للفتوى أن يشعر بالافتقـار الى الله تعـالى .. وصدق التوجه اليـه . وأن يقف على بابه متضرعا داعيا ، أن يوفقه للصـواب ويجنبه زلل الفكر واللسان والقلم ، ويحفظه من اتباع الهـوى ، وخليق به أن يقول ما كان يقوله ابن تيمية : اللهم

يا معلم ابراهيم علمنى ، وما كان بقوله بعض السلف ، سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم .

أو يدعو بدعاء موسى عليه السلام: « رب اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى » .

وبما جاء فى الصحيح من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم [1] » .

وقد وضع علماء المسلمين جملة من الكتب فصلوا فيها الشروط والواجبات والآداب التى ينبغى أن تتوافر فيمن يقوم بالافتاء .

منها : « صفة الفتوى والمفتى والمستفتى » للعلامة ابن جمدان الحنبلى .

ومنها : « الأحكام فى تمييز الفتاوى والاحكام » للامام القرافى المالكى .

ومنها : « الفقيه والمتفقة » للامام الحافظ أبى بكر الخطيب البغدادى .

ومنها : الكتاب الذى طبقت شهرته الآفاق « أعلام الموقعين عن رب العالمين » للامام ابن عبد الله شمس الدين ابن القيم .

وينبغى لمن وضع نفسه — أو وضعته الأقدار — موضع الفتيا ، أن يراجع هذه الكتب — وبخاصة: آخرها ، فهو أجمعها — ليمضى فى طريقه على نور من ربه وبصيرة من أمره .

**الدكتور ى . ق**

---

(١) اعلام الموقعين : ج ٤ ص ٢٥٤

# جذور مأساة المسلمين فى الفليبين

للتحـــرير

كان « البوكرك » قائد الأسطول البرتغالى ـ الذى تحرك فى مطلع القرن السادس عشر ـ يحلم بتنفيذ هذا المخطط .. ليحقق ما عجـزت الحروب الصليبية عن تحقيقه ..

قال « البوكرك » فى خطابه .. قبل الهجوم الثانى على « مالاكا » سنه ١٥١١ :

« .. الخـدمة الكبـرى التى سنقدمها للرب هى طرد المسلمين من هذه البلاد حتى نخمـد نار هـذه الطائفة المحمدية فلا تعود للظهـور بعد ذلك أبدا .. ! وأنا شـديد الحماس لهذه النتيجة فاذا استطعنا الوصول اليها فسيترك المسلمون الهند كلها لنا ، ان غالبية المسلمين وربما كلهـم يعيشـون على تجارة هذه البلاد ولقد اغتنوا وأصبحوا أصحاب ثروات ضخمة ، «ومالاكا» هى مركزهم الرئيسى .. فاذا تمكنا من حرمانهم من هذه السوق القديمة لا يبقى لهم ميناء واحد .. ليستمروا فى تجارتهم ، وأؤكد لكم أنه اذا استطعنـا تخليص « مالاكا » من أيديهم فستنهار القاهرة . وبعدها تنهار مكة تلقائيا .. !

سقطت مالاكا .. فأقيم قـداس الشكر ! وعندما انهارت مقـاومة « مـالاكا » سـنة ١٥١٥ ، أقيم « قداس شكر » فى روما وجاء فى الخطبة التى ألقاها بهذه المنـاسبة «كامبلوتورنيوق» امام «ليوالعاشر»

«انسقوط مالاكا ستتسهل استعادة القدس ! وفسر كيف أن « الصليب وصل الى أماكن بعيـدة ، واتهـم سلطان مالاكا بأنه مسلم ! متعصب

ويكـره المسيحيين ونـادى بحرب صليبية جديدة لاحتلال القدس ..!) ولو ربطنا بين الحوادث نجـد ان سقوط مالاكا جاء بعد قرابة عشرين عاما من خراب مملكة غرناطة المسلمة فى الأندلس .. !

وكتب « تومى بيرس » أحـد المفكـرين البرتغاليين .. الى ملك البرتغال «اما نويل» : (أن البوكرك يقاتل ضد «محمد» ومن الواضح أن قوة الرب «تساعده لان الرب» يرغب فى ترسيخ جذور المسيحية فى سائر أنحاء مملكتك ! ثم يذكر بيرس مالاكا فيقول : ( وبقدر ما لملاكا من فائدة دنيوية فان لها نفس الفائدة الدينية ، فان (محمدا) محاصرا ولا يستطيع ان يتوسع بعد الآن .. بل سيهرب بأسرع ما يمكن . ! )

**«باب الله» يواجه التبشير البرتغالى:**

لم يهـدأ المسلمون بعد سقوط مالاكا ، فأعلنوا الجهاد أمام التبشير البرتغـالى ، وكان المسلمون أحسن وضعا من البرتغاليين فى هذا المجال، فلهم رصيد سابق ولقد دعم سقوط مالاكا مركز « آنشيه » وأبرزها على بقية الامارات الاسلامية .

ومن « برونى » أطلقت صـيحة الدعوة للاســلام فى عام ١٥٢١ وفى عام ١٥٣٩ خاض السلطان علاء الدين رباث شـاه ( سلطان آنشيه ) حربا على وثنى « باتاك » ، وفى عام ١٥٧٥ دمر « باب الله » سلطان « ترنيت » كل ما أنجزه المبشرون البرتغاليون وتابع ما بدأه أبوه وعبـاس هـو « أباســو » وجعفـر « كازالو » ولا زالت هـذه الأسماء الجـديدة منتشرة بين المسلمين الى الآن ... !

... الى الجبال والغابات !

انحسر الاسلام عن القسم الشمالى من أرخبيل الفليبين،وتركز المسلمون فى جزر الجنوب حيث دافعت سلطنة « سـولو » وسلطنة « مانـدانا » عن عقيدتها أمام الغـزو الأسبانى . ولم يستطع الأسبان اقتحامها بسبب تطرفهما والأحراش الكثيفة والجبال العالية ، وقد استفاد المسلمون من

هذه الموانع الطبيعية فى صد محاولات الغزو ونجحوا فى الاحتفاظ بكيانهم فى تلك الجزر النائية !

وفى أوائل القرن العشرين أصبحت الفيلبين تحت الاحتلال الأمريكى ، الذى نجح فى السيطرة على المناطق الجنوبية المسلمة ، ثم منحت الفيلبين استقلالها عام ١٩٤٦

**الغزو الكاثوليكى .. !**

بدأت عملية تهجير سافرة ومنظمة من شمال الفليبين الى جنوبه فى عام ١٩٤٨ وكان هدف هذه العملية هو النفاذ الى ذلك المجتمع الذى ظل قرونا عديدة مغلقا على المسلمين وحدهم . وبالفعل أقيمت معسكرات عمل تستقبل العائلات الكاثوليكية المهجرة من الشمال . ولم تجد هذه العائلات صعوبة فى الاستقرار وسط جموع المسلمين فالأرض شاسعة وغنية والمسلمون فقراء وحسنوا النية وجهلاء لا يعرفون أساليب التحايل فضلا عن نصوص القانون وأحكامه .

وبسبب هذا الجهل فقد المسلمون أرضهم فقد كان القادمون من الشمال يسجلون الأرض بأسمائهم ، بينما لم يكن بين المسلمين من يهتم بسند ثابت يثبت ملكيته لأرضه .. وضاعت الأرض ! وفقد المسلمون آلاف الهكتارات من الأراضى الزراعية ، بل طردوا منها وظلت جموعهم تنقهر حتى سكن بعضها فى أكواخ على شاطىء المحيط !

ويقدر عدد الأسر المهجرة من الشمال سنويا بـ ٥٠٠ أسرة ، ومع عمليات التهجير ظهر التبشير فى مجتمع الجنوب مستخدما أسلوب الترغيب والترهيب !

**أين اتجهت .. التصفية الدينية ؟**

ان نمو العناصر الاسلامية فى أرض « سولو » بدأ منذ أواخر القرن الثالث عشر ، أمام وصول الاسلام الى « مينداناو » وبخاصة الى ما يسمى الآن بمقاطعة ( كوتاباتو ) ومقاطعتى « لاناو » فينسب الى « الشريف محمد كابونك سوان »

ويقال أنه أحد أبناء عربى حضرموت اسمه الشريف زين العابدين ، عاش فى « جوهرر » وتزوج ابنة السلطان هناك .

كان كل سكان جزيرة «ميندناو» من المسلمين ، فأصبحت نسبتهم الآن لا تتعدى ٥٠٪ من السكان ! وفى مدينة زامبوانجا كانت نسبة المسلمين ١٠٠٪ وأخـذت تهبط حتى وصلت الى ٣٠٪ .

ان منحة الفلبين .. ليست نهاية المطاف فى مسلسل التصفية الدينية.. ولا هى وقفا على الفلبين وحـدها ولكنه مخطط للقضاء على الأقليات الاسلامية .. ! فى بلاد تنتسب زورا الى المسيح عيسى ابن مريم الذى كانت رسالته رحمة ، وكان من أظهر ملامح دعوته الاخاء والمحبة .

---

**شعر :**

ياراقـد الليـل مسرورا بأوله
ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

أفنى القـرون التى كانت منعمـة
كـر الجـديدين اقبـالا وادبـارا

كم قد ابادت صروف الدهر من ملك
قـد كان فى الدهـر نفـاعا وضرارا

يا من يعانق دنيـا لابقـاء لها
يمسى ويصبح فى دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معانقـة
حتى تعانق فى الفردوس ابكارا

ان كنت تبغى جنان الخلد تسـكنها
فينبغى لـك أن لا تأمـن النـارا

# بحث فى حد القذف

للسيد المستشار جميل بسيونى

القذف الموجب للحد شرعا هو الرمى بصريح الزنا أو نفى النسب أوالولد ودليله من الكتاب : قوله تعالى :

أولا : « ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » ( سورة النور آية ٢٣ ) .

ثانيا : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » .

( سورة النور آية ٤ ) .

ثالثا : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربعة شهادات » .

**ومن السنة :**

١ — عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هى يا رسول الله ... ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات العاملات المؤمنات .

٢ — عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى اللهعليه وسلم لأصحابه أى الربا أربى عند الله .. ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : أربى الربى عند الله استحلال عرض امرىء مسلم ثم قرأ « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا » .

٣ — وقال النبى صلى الله عليه

وسلم : « أيمـا امرأة أدخلت على قـوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهـو ينظـر اليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين : رواه أبو داود — وورد بالمغنى لابن قدامه : ( قوله : وهو ينظر اليه يعنى يراه منه فكما حـرم الله على المرأة أن تدخل على قوم من ليس منهم حرم على الرجل جحد ولده — ولا يجوز قذفها بخبر من لا يوثق بخبره — لأنه غير مأمون على الكذب عليها ولا برؤيته رجلا خارجا من عندها من غير أن يستفيض زناها — ( ص ٤٧ طبعة الرياض ) — والمحصن هو العفيف عن الزنا ويشمل الذكر والأنثى — مثله مثـل البكر والثيب فهو يشمل الذكر والأنثى .

وثم خلاف بين الفقهاء حول الرمى باللواطة — وهل يعتبر ذلك قـذفا يستوجب الحد على فاعله — ومناط الخلف فى اعتباره أو عدم اعتباره زنا ونوع حـده ونورد لذلك تفصيلا : الأصل ان من تلوط قتل ، بكرا كان أو ثيبا فى احدى الروايتين والأخرى ان حكمه حـكم الزانى — واجماع أهل العلم على تحريم اللواط :

• قال تعـالى : « ولوطا اذ قال لقـومه أتأتون الفاحشـة وأنتـم تبصرون .. أئنكم لتأتون الرجـال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون ( النمل ) .

وقال تعالى : « أتأتون الذكران من العالمين ... » .

وقال صلى الله عليه وسلم « لعن الله من عمل عمل قوم لوط — لعن الله من عمل قوم لوط — لعن الله من عمل عمل قوم لوط » .

وقال صـلى الله عليـه وسـلم «اذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان» .

وقال صـلى الله عليـه وسـلم « من وجدتموه يعمل عمـل قـوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به — وفى روايـة « فارجمـوا الأعـلى والأسفل » .

وثم خلاف أيضا فى حد اللواط : فروى عن أحمد أن حده الرجم بكرا كان أو ثيبا محتجا بقـول على عليه السلام اذ كان يرى الرجم ولأن الله عـذب قوم لوط بالرجم فينبغى أن يعاقب من فعل فعلهم بمثل عقوبتهم .

وهذا قول ابن عباس وجابر بن زيد وربيعه ، وقول مالك واسحق وقتـــادة والأوزاعى ، ومحمـــد وأبو يوسف ، وهـــو المشهور من قول الشـــافعى ؛ ولأنه ايلاج فرج آدمى لا ملك له فيه ولا شبهة ملك فكان زنا كالايلاج فى فرج المرأة — واذا ثبت كونه زنا دخل فى عمـــوم الآية — ولأنه فاحشـــة فـكان زنا كالفاحشة بين الرجل والمرأة ويروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه أمر بتحريق اللوطى وهـــو قول ابن الزبير لمـــا روى صـــفوان بن سليم عن خالد بن الوليد أنه وجد فى بعض ضواحى العرب رجلا ينكح كما تنكح المرأة فكتب الى أبى بكر فاستشار أبو بكر رضى الله عنه الصحابة فيه فكان على أشدهم قولا فيه فقال ما فعل هذا الا أمة من الأمم واحدة وقد علمتم ما فعل الله بها — أرى أن يحرق بالنـــار فكتب أبو بكر الى خالد بذلك فحرقه .

ويرى أبو حنيفة — ويظاهره — آخرون منهم أهـــل الظـــاهر — أن اللواط ليس زنا — وأن اطلاق الزنا عليـــه من باب المجـــاز لا من باب الحقيقة — اذ ليس يعتبر بأحـــدهما عن الآخر — ولا حد عليه لأنه ليس بمحـــل الوطء أشبه غـــير الفـــرج ويحتجون أيضا بأن الصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا فى عقوبة هـــذه الجريمـــة على مذاهب شتى — على ما سلف — ولو كانت من الزنا لمـــا وقع اختلاف .

ونحن نرى الأخذ بمذهب الجمهور والصاحبين وهـــو المروى عن مالك ومذهب الحنابلة والمشهور من مذهب الشافعى — فى أن القـــذف باللواطة يستوجب اقامة حد القـــذف بالزنا والقـــول بغـــيره مخـــالف النص والاجمـــاع — وقياس الفرج على غيره لا محـــل له لأن القبل والدبر كل منهما فرج — والزنا ايلاج فـــرج فى فرج على وجـــه محظور لا شبهة فيه وهو موجود فى اللواطة — وان كان الذكر ليس بمحل لوطء الذكر — (المغنى لابن قدامة المقدسى — المرجع السابق جـ ٧ ص ١٨٧ وما بعدها ) .

وقد استبعد القانون الليبى — هذا الرأى — عند تعيين حد القذف — اذ لم يأخذ باعتبار اللواطة زنا .

**وسائل القذف :**

قد يقع القذف بالقول الصريح وكذلك بالكتابة والاشارة واضحة الدلالة ظاهرة المعنى — وكذلك بالصورة أو الرسم عموما ولا يشترط حضور المقذوف وقت وقوع القذف ولا المجاهرة به أى العلانية .

ويخرج بذلك القذف بالتعريض أو الكتابة لأنه بهما محتمل والاحتمال يورث شبهة والحدود تدرأ بالشبهات

وهذا مذهب الحنفية والظاهرية واحدى روايتى مذهب أحمد وفى الرواية الأخرى يسوى بين القذف بالكتابة والتعريض وبين القذف بالصريح لعموم النص فى قوله تعالى « والذين يرمون المحصنات .. » .

ويرى مالك هذا الرأى — قال مالك فى موطئه : لا حد عندنا الا فى نفى أو قذف أو تعريض ، يرى أن قائلة : انما أراد بذلك نفيا أو قذفا فعلى من قال ذلك الحدث ما ، قال مالك : الامر عدنا انه اذا نفى رجل رجلا من أبيه فان عليه الحد وان كانت أم الذى نفى مماوكه فان عليه الحد (كتاب الحدود — الموطأ صفحة ٥١٨ طبعة دار الشعب ) ويرى الشافعى — وهو الراجح عندنا — ان القاذف بالكتابة — يحد مع النية — لأن ما لا تعتبر فيه الشهادة كانت الكفاية فيه مع النية بمنزلة الصريح كالطلاق والعتاق ، وعبر الماوردى عن ذلك بقوله : ان الحد لا يجب فى القذف بلتعريض ألا اذا أقر الجانى أنه أراد بما قال القذف :

**شرائط المقذوف :**

يشترط فى المقذوف أن يكون :

١ — محصنا : يعموم لفظ الآية — والذين يرمون المحصنات « أى عفيفا عن الزنا — ومعنى العفة عن الزنا عند الحنفية ألايكون المقذوف وطىء وطئا حراما فى عمره — فى غير نكاح أصلا ولا فى نكاح فاسد بالاجماع والا سقطت عفته واحصانه — وهو ما يعبر عنه بالعفة المطلقة — والرأى عند مالك : أن العفة هى سلامة المقذوف من فعل الزنا قبل قذفه وبعده — ومن ثبوت حده عليه ؛ لأن ثبوت الحد يستلزم فعل الزنا وهو يقول بحد قاذف من وطأ وطئا حراما

لا حد فيه ( كمن وطىء امرأة ظنها زوجته ) ومذهب الشافعى أن قاذف الزانى لا يحد ــ أخذا بظاهر الآية ــ ويعبر مذهب مالك والشافعى عن « العفة الفعلية » أما أحمد ــ فيرى كفاية العفة الظاهرة عن الزنا خلاف العفة المطلقة ( الحنفية ) والعفة الفعلية ( مالك والشافعى ) فمن لم يثبت عليه الزنا ببينة أو اقرار ومن لم يحد لزنا يعتبر عفيفا وان كان تائبا عن زنا أو ملاعنة ونرى الأخذ برأى الحنابلة .

٢ ــ ويشترط ان يتأتى من المقذوف ما يقذف به اى ان يكون قادرا على الوطء ــ والرأى عند أبى حنيفة ومالك والشافعى أنه لا حد على قاذف المجبوب بالزنا أو الخصى للعجز عن الوطء وذلك للعلم بكذبه ــ ولأن العار منتف عن المقذوف بدون حد ــ

والرأى عند أحمد وجوب الحد لعموم نص القذف وامكان الوطء أمر خفى لا يعلمه كثير من الناس فلا ينتفى العار عند من لم يعلم بدون الحد ويضاف الى ما تقدم العقل والبلوغ والاسلام ــ ابو حنيفه والشافعى وأحمد فى أحد قوليه ــ وفى قول آخر يرى أن البلوغ ليس بشرط لأن المقذوف العاقل العفيف عن الزنا يتغير بمثل هذا القول الذى يمكن تصديقه فأشبه الكبير ــ ولكن بشرط أن يكون ممن يتأتى منه ما قذف به ( ومن هذا الرأى مالك واسحق )

**شرائط القاذف :**

يشترط فى القاذف الشروط العامة التى تسرى فى كل الحدود ومن وجوبه أن يكون عاقلا بالغا مختارا عالما بأن ما يفعله يستوجب حدا لأن المسئولية تنتفى عن المجنون والمعتوه وذى العاهة العقلية والمكره .

والبلوغ الأصل فى معرفته هو ظهور العلامات الطبيعية الدالة عليه الا أنه بحسب وصف هذا يختلف من شخص الى آخر ولا مناص من اعتبار ضابط السن يلتزمه قاضى الحد ــ ونرى الأخذ بمذهب الامام مالك فى تحديد سن يقوم بالتقويم الهجرى ــ بحيث يعذر من لم يبلغه ــ هذا وينبغى التنويه الى أن البلوغ ــ كشرط ــ موضع اتفاق بين الفقهاء سواء كان القاذف ذكرا أم أنثى مسلما أم غير مسلم ــ حرا أم عبدا .

**اثبات جريمة القذف :**

١ ــ تثبت جريمة القذف الموجبة للحد بالاقرار الصادر عن البالغ العاقل طواعية بوقوع القذف بالزنا أو يفى الولد أو اللواطة بأى وسيلة تدل عليه دلالة ظاهرة ــ ويكفى الاقرار الموصوف كما تقدم ولو لمرة واحدة أمام السلطة المختصة ــ وقد انعقد اجماع الفقهاء على ذلك( مالك وأبو حنيفةوالشافعى وأهل الظاهر)٠

٢ ــ كما تثبت بشهادة رجلين عدلين ــ والشاهد العدل هو من يتجنب الكبائر ويتقى الصغائر فى الغالب أو شهادة رجل وامرأتين عند الضرورة وهو مذهب الظاهرية والأباضية « أبو اسحق الخضرى »٠

٣ ــ وينهض دليل امتناع الزوج عن اللعان ويحد حد القذف ويرى البعض أنه اقرار ــ واذا كذب الرجل نفسه بعد اللعان أيضا يحد حد القذف ٠

**مسقطات الحد :**

يسقط الحد باثبات القاذف صحة ما قذف به :

وهذا الاثبات بالبينة ــ ونصاب البينة هنا أربعة شهداء : قال تعالى «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ٠٠ ) وقال تعالى : «وقالو هذا افك مبين ــ لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فأذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون » ٠

واذا ما ثبت القذف انتقل الأمر الى المقذوف واندرج شأنه بحد الزنا ــ واجماع الفقهاء على ذلك لدلالة النص ٠

٢ ــ كما يثبت بتصديق المقذوف للقاذف لانه اقرار بمارمى به ٠

٣ ــ عدول القاذف عن اقراره الى ما قبل اعتبار الحكم نهائيا ــ وعلى هذا الرأى الجمهور عدا أبى حنيفة فانه يرى بقاء الاقرار حتى التنفيذ بوصف كونه شرط استيفاء ٠

٤ ــ العفو عند من يرى أن القذف حق للآدمى وهو مشهور مذهب أحمد والشافعى ــ ومشهور مذهب مالك أيضا اذا لم يبلغ الأمر الى الامام وان بلغ لم يجز الا أن يريد المقذوف ستر نفسه ٠

ويرتبط بذلك التنازل عن الشكوى ــ ويغلب ابوحنيفه حق

الله على حق الفرد فى جريمة القذف ولا يجوز العفو .

٥ ــ الملاعنــة : قال تعــالى : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لم الصادقين. والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين . ويدرأ عنهــا العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين . والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين » .

فالشارع الحكيم حصن الزوج بأن أقام لعانه مقام الشهادة فى نفى الحد والفسق ورد الشهــادة عنه وقــال صلى الله عليه وسلم : « البينة والا حد فى ظهرك » فاذا تم اللعان لم يقم الحد ، وان نكل وجب عليه الحد واللعان عنــد جمهور الفقهاء ايمان مؤكدة بالشهادة وردت بهذه الصيغة للتغليظ وليس شهادات لان أحــدا لا يشهد لنفسه لما ورد فى حديث ابن عباس عن هلال بن أمية « وسبب نزول الآية » لولا الايمان لكان لى ولها شأن « وفى رواية أخرى لولا ما معى من كتاب الله لكان لى ولها شأن» ومن آثار اللعان اسقاط العقوبة الدنيــوية عن الزوجــين ــ فالزوج يسقط عنه حد القذف بلعانه والزوجة يدفع عنها العقاب بلعانها .

**توبة القاذف :**

قال تعالى : ( الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) ويرى مالك والشافعي وأحمد قبول توبة القاذف المحدود بالنسبة لعقوبة رد الشهادة ــ احتجاجا بالنص ــ وهو أرفق بالقــاذف ويرى أبو حنيفــة تأبيد رد الشهادة ولا أثر فى ذلــك للتوبه وأن الاستثناء الوارد بالآية لا ينسحب الى عدم قبول الشهادة وهو أنكى وأشد فى الزجو والردع

**خاتمة البحث :**

**( ١ ) هل الخصومة شرط لقيام دعوى القذف ؟**

الأصل فى الحدود أن الخصومة ليست بشرط لأن العقوبة فيها حق الله تعالى الا أن جمهور الفقهاء على أن القذف يغلب فيه حق الآدمى اذ يمس عرضه وسمعته وهو أن شاء خاصم به وتنازل عن الخصومة وعفا ومن ذلك أحمد والشافعي ومالك ــ

ويحتجون بأن المقذوف قد يختـار الستر على نفسه كما أنه قد يسلك اثبات صحة ما قذف به حتى لا يحد للقذف وقد يرى أنه لا يسلك ذلك وأن فى القذف تعريض للحـد ـ وبذلك تنهض مصلحة فى دفع الضرر عنه •

وقد ورد فى المغنى لابن قدامة :

( لا يتعرض له باقامة الحد عليه ولا طلب اللعان منه حتى تطالبه زوجته بذلك فان ذلك حق لها فلا يقام من غير طلبها كسائر حقوقها ـ وليس لوليها المطالبة عنها ان كانت مجنونة أو محجورا عليها ولا لولى الصغيرة لأن هذا حق ثبت للتشفى فلا يقوم الغير فيه مقام المستحق كالقصاص)•

ويرى أبو حنيفه تغليب حق الله على حق الفرد •

ونرى أنه من السياسـة الشرعية فى العقاب أعمال رأى الجمهور •

**(ب) حد القذف :**

الجلد ثمانين جلـدة ••• قـال تعالى : « فاجلدوهم ثمانين جلدة » « ورد الشهادة ••• قال تعالى : «ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا» وروى الامام أحمد فى مسنده بسنده عن عائشة ـ والترمذى وأبو داود ـ والنسائى وابن ماجة ـ قالت « لمـا نزل عذرى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن ولمـا نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم » •

والله تعالى أعلم ،،،

**جميل بسيونى**

---

## دين شرع للدبلوماسية اخلاقها

عن نعيم بن مسعود الأشجعى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرسولى مسيلمة حين قرأ كتابه ما تقولان انتما ، قال نقول كما قال ، قال اما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما .. رواه أبو داود والامام احمد رضى الله عنهما .

# فيم يفكر الشباب

**اعداد وتقديم الدكتور عبد الودود شلبى**

- يسألونك عن الروح

**لفضيلة الشيخ خلف السيد**

- تفكير ماركسى منحرف

**للاستاذ محمد عبد الله السمان**

- مفاهيم خاطئة عن التشريع الجنائى الاسلامى

**للاستاذ المستشار على منصور**

- هل فى الزواج اكراه ؟

**للدكتور عبد الودود شلبى**

# ويسألونك عن الروح ...

تسأل الآنسة فاطمة الزهراء الطالبة بكلية التجارة ـ جامعة القاهرة ، عن حقيقة الروح ، وموقف الاسلام من ظاهرة تحضير الأرواح.

وقد أحلنا سؤالها الى فضيلة الشيخ خلف السيد الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف للاجابة عنه ، فقال فضيلته:

ان آية الاسراء : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ، تشير الى أن البعض قد سأل رسول الله ، والمشهور أن هذا البعض من أهل الكتاب ، وكانت الاجابة الحاسمة من الله عز وجل : قل الروح من أمر ربى ؛ لأن الروح من الأسرار الالهية التى اختص الله بها ، ولا يطيق البشر ادراك كنهها ، وهذا من قبيل رحمة الله بعباده ، حتى لا يكلفهم فوق ما تطيقه عقولهم من البحث ، ومهما أوتوا من العلم فهو دائما قليل بالنسبة الى علم الله عز وجل ، وليس فى هذا ـ كما يقول صاحب الظلال : حجر على العقل البشرى أن يعمل ، ولكن فيه توجيها لهذا العقل أن يعمل فى حدوده وفى مجاله الذى يدركه .. والروح غيب من غيب الله ، لا يدركه سواه ، وسر من أسراره القدسية أودعه هذا المخلوق البشرى ، وعلم الانسان محدود بالقياس الى علم الله المطلق».

وهناك رأى لبعض العلماء المفسرين مؤداه أن المقصود بالروح ، هو الوحى ، وليس الشىء اللطيف الشفاف ، وعلى هذا التفسير ، نكون مطالبين بالايمان بوجود الوحى ونزوله على الأنبياء والمرسلين ولسنا مطالبين بالبحث عن حقيقة الملك ، تماما كايماننا بوجود الروح لكن لسنا مطالبين بالبحث عن مكان الروح من الجسد ، ولا عن نهج مسارها ، لأن هذا وذاك من الأسرار التى استأثر الله بها ..

أما ظاهرة تحضير الأرواح التى راجت فى أوربا وأمريكا ، وتسللت الى ديار الشرق ومنها مصر ، فما يقال بالنسبة لهذه الظاهرة : ان الانسان لا يمكنه السيطرة على الروح لتسخيرها ؛ لأنها من أمر الله وحده ، لكن اذا وقفت المسألة عند حد الاستكشاف بها ، فهذا يخضع للتجربة ، فمن صدقت التجربة لديه فله أن يصدق ، وليس لنا أن ننكر عليه ، كما ليس له أن يفرض ايمانه على من يشهد التجربة ، وعندما يكون الهدف من الاستكشاف عن طريق الروح ، الوصول الى الايمان بالله ، ومقاومة المادية الملحدة ، فان كل مسلم بل كل مؤمن بالله يسعده ذلك ..

**خلف السيد**

---

**من ملامح هذا الدين :**

**دين نصب موازين الكرامة**

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم الناس يوم فتح مكة فقال يا ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم حمية الجاهلية وتعاظمها بآبائها . فالناس رجلان بر تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله . والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قال الله تعالى : ( يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ) الآية .

عن سمرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الحسب المال والكرم التقوى » . **رواهما الترمذى .**

# تفكير ماركسى منحرف

رسـالة من الأخت ألفت محمود جعفر الطالبة بكلية الاعلام ، تقول فيهـا :

« لقد وقع فى يدى بحث مطبوع كان مقررا من قبل على طلبة أحـد المعاهد ، جاء فيه على لسان الكاتب : ان اشـتراكيتنا ترفض أن يـكون التكافل الاجتماعى قائما على أساس من الصدقات ، لأن فى الصـدقات اذلالا لنفسية الانسان » .

وقـد تولى الـرد على رسـالة الأخت المسلمة ، السـيد الأسـتاذ محمد عبد الله السمان :

تدهش الطالبة المسلمة متسائلة : كيف تقرر مثل هذه الآراء المنحرفة التى تغمر الاسلام على طلبة أحـد المعاهد لا سيما والكاتب يعلن انتماءه الى الماركسية ؟ والحق أن هذا قد حدث بعد عام ١٩٦٠ حيث كانت مصر مرتعا خصـبا للماركسية ، وكان للكاتب نفوذه ، وهو يومئذ أحـد الوزراء ، أما هراء هذا الكاتب فهو لا ينم ـ فحسب ـ عن جهل مطبق بل عن غباء مطلق لا حدود له .

فمن البدهيات التى يجهلها الكاتب أن الاسلام لا يعتمد على الصدقات وحدها فى مسألة التكافل الاجتماعى بل جعل التكافل الركن الثالث من أركانه الخمسة . واذا كانت هـذه الأركان التى يقوم عليها بناء الاسلام لها ارتباط بضمير المسـلم ، ومعنى هذا الاكتفاء بظواهر الأعمال فيها ، الا أن ركن الزكاة قـد انفرد دون بقية الأركان الأربعة بخاصية هيمنة الدولة عليـه ، وذلك لأن الأركان الأربعة تعمل أساسا فى اطار الصلة بين العبـد وربه ، أما الزكاة ، وان كانت لهـا هذه السمة الا أنها أيضا وثيقة الصـلة بالمجتمع الذى يعيش فيه المسلم .

لذلك اعتبر الاسلام الزكاة حق المال يجبر على دفعها كل مالك للنصاب المقرر ، وتعتبر الدولة المسلمة مقصرة اذا هى فرطت فى تحصيل هذا الحق ، وكان أبو بكر رضى الله عنه على حق وبصيرة من الرأى حين سير جيشا مسلما لمحاربة المرتدين الذين أعلنوا رفضهم لدفع الزكاة ، وقالوا :

« انها أخت الجزية » .

ويجب أن نذكر أن بيت المال بشتى موارده ، يعتبر حجر الزاوية فى ضمان التكافل الاجتماعى ، بل ان الاسلام ــ كما يقول السيد رشيد رضا فى تفسير المنار ــ يجعل حال كل فرد من أفراد المتبعين له مالا لأمته كلها ، مع احترام الحيازة والملكية وحفظ حقوقها ، فهو يوجب على كل ذى مال كثير حقوقا معينة للصالح العام ، ويحث فوق ذلك على البر والاحسان ، والصدقة الدائمة ، والصدقة المؤقتة ، فالبلاد التى يعمل فيها بالاسلام ، لا يوجد فيها مضطر الى القوت والستر فقط ، سواء أكان مسلما أم غير مسلم ، لأن الاسلام يفرض على المسلمين فرضا قطعيا أن يزيلوا ضرورة كل مضطر ، كما يفرض فى أموالهم حقا آخر للفقراء والمساكين ومساعدة الغارمين ، ويرى الاسلام كل من يتيم فى تلك البلاد أن مال الأمة هو ماله ، اذا اضطر اليه يجده مذخورا له » .

هذا هو نظام الاسلام فى قضية التكافل الاجتماعى ويتقرر فيه مسئولية الدولة مسئولية كاملة عن كل فرد يعيش فى كنفها ، وهذا حق مقرر له فى عنق الدولة المسلمة ، وليس من قبيل المن أو التفضل عليه .

وهذه هى الشيوعية التى تتغنى بالاشتراكية ، فالشعوب التى تعيش فى كنفها ، أو بمعنى أدق ــ تعيش تحت رحمتها ــ هى كالأدوات المسخرة تبذل من جهدها وعرقها دون أن تنال الا الكفاف من لقمة

العيش ورقعة الثوب ، أما الأموال كلهـا فتسـاق الى خزائن الدولة ليستمتع بها قادة الحزب ومن والاهم فالطبقية قائمة على قـدم وساق فى شراهة لا مثيل لها ..

وقـد يقال : ان الطبقية الترهة أيضا قائمة على قدم وساق فى بعض الدول المسـلمة ، لـكن يجب أن لا ننسى أن مصدر هذه الطبقية ليس الا الانحراف عن مبادىء الاسلام ، اذ ليس فى هذه المبادىء أية امتيازات لطبقة على طبقة ، فالاسلام ــ كما يقول المرحوم الشيخ محمد عرفه فى كتابه : الاســلام أم الشيوعية .. يبغض نظـام الطبقـات المتفـاوتة الشـديدة التفـاوت ، ويرفض أن تنقسم الأمة الى قســمين : الثراء والجاه والقوة والترف فى جانب ، والفقر والضعف والحرمان فى جانب آخر .

**محمد عبد الله السمان**

---

## دين المجتمع المتكافل

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليــه وسلم قال : ( تكون ابل للشياطين وبيوت للشياطين فأما ابل الشياطين فقد رايتها يخرج احدكم بنجيبات معه قد اسمنها فلا يعلو بعـيرا منها ويمــر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله ، وأما بيوت الشياطين فلم ارها ــ كان سعيد يقول لا أراها ــ الا هذه الأقفـاص التى تستر بالديباج . رواهما أبو داود ..

## دين القيادة المتجردة

عن عمرو بن الحارث رضى الله عنهما قال ما ترك النبى صلى الله عليه وسلم الا سلاحه وبغـلة بيضاء وارضا بخيبر جعلها صـدقة . رواه الثلاثة والنسائى .

# مفاهيم خاطئة

## من مبدا التشريع الجنائى الاسلامى

---

كثر الكلام فى هذه الأيام ، حول تطبيق أحكام الشريعة الغراء . وفى هذه المناسبة ورد الى المجلة رسالة من الأخ صابر البطاوى الطالب بحقوق عين شمس يسأل :

« اذا كان للنظام الجنائى الاسلامى ما يميزه على التشريعات الجنائية الوضعية ، فلماذا يبدى البعض تحفظه على أحكام التشريع الجنائى الاسلامى ؟

وقد أحالت المجلة سؤال الأخ الى السيد المستشار على على منصور ليتولى الرد عليه ، فأجاب مشكورا :

انه لمما يؤسف له ، أنه سرت الى بعض الأذهان مفاهيم خاطئة عن هذا التنظيم بسبب تأثر التشريعات الجنائية الغربية ومفاهيمهما ، وبسبب عدم الاحاطة الشاملة البصيرة بالنظام الجنائى الاسلامى لاستجلاء الدور المهم الذى تؤديه عقوبات الحدود والقصاص ..

وقد كان يكفى فى الرد على هذه المفاهيم الخاطئة ، القول بأن هذه العقوبات هى من تشريع الخالق الحكيم . والله أدرى بخلقه بما يضرهم وما ينفعهم ، الا أن لهذه العقوبات مزاياها الكبرى التى يتعين تجليتها للأذهان ، حتى تتبدد الشكوك وتنهار الأوهام ، وتتجلى حكمة الله البالغة من سن هذه العقوبات ، ولذلك كان حريا بنا أن نوضح بعض الحقائق عن هذه العقوبات :

ان جرائم الحدود والقصاص هى أخطر الجرائم ولا تشكل الا نسبة ضئيلة جدا من مختلف أنواع الجرائم ، وهى لندرتها

وخطورتها تبرر قسوة العقوبة على مرتكبيها والشارع الاسلامى لم يشرع هذه العقوبات الا لمواجهة جرائم اتسمت بالخطورة البالغة على الدولة والمجتمع والأسرة والأفراد والأموال ، ولذلك كان من الضرورى مواجهة الجرائم الخطيرة بعقوبات شديدة فعالة ، والتجربة أثبتت فاعلية عقوبات الحدود فى مواجهة الجرائم الخطيرة ، ومن الضرورة أيضا النظر الى أهوال جرائم الحدود ومضاعفاتها الخطيرة قبل النظر الى شدة العقوبة ، ثم ان عقوبات القصاص والحدود تتفادى العيوب الجسيمة التى كشفت عنها العقوبات السالبة للحرية ، وهى التى تواجه بها أكثر التنظيمات الجنائية الوضعية ، الجرائم التى واجهها الاسلام بعقوبات الحدود والقصاص • وبيان ذلك أن العقوبات البدنية تتسم فى الأغلب بأنها فورية التنفيذ ، لأنها توقع فى وقت قصير ولا تمتد مع الزمن ، وانها — وان ألحقت بالجانى ألما وقتيا شديدا — الا أنها تظل عالقة بذهنه وبذاكرته، وبنفسه بما يردعه فى الغالب الأعم عن العودة الى الاجرام أو التفكير فيه • وذلك على خلاف السجن الذى كثيرا مايعتاده المجرمون بحكم طول البقاء فيه ، فيفقد أثره الرادع ويقتل فيهم الشعور بالمسئولية ، ثم ان فورية العقوبات البدنية تتيح للمذنب أن يواصل بعد تنفيذ العقوبة عمله ، فلا تصادر عليه رزقه ورزق أولاده ، على عكس العقوبات السالبة للحرية ، فانها تعطل الجانى فترة سجنه ، وتصادر عليه رزقه ورزق أسرته ••

ومن الجدير بالاشارة اليه فى هذا المجال ، أن شريعة القصاص فى جرائم الاعتداء على النفس — شأنها فى ذلك شأن بعض أحكام الشرع الاسلامى ، قد تعرضت للتهجم من جانب البعض ، ممن درجوا على منطق القانون الوضعى — وهؤلاء منهم من لا يؤمن بدين فلا ينصرف اليه القول ، ومنهم من توهم أن

القصاص هو الانتقام من الجـانى ، وهم يقولون : ان عهد الانتقام من الجانى قد ولى منذ زمن بعيد ، وأن العقوبة يجب ألا تستهدف الانتقام وانما منع المجرم من العـودة الى الاجـرام فتحـل نظـرية النفعيـة الاجتماعية محل الانتقام من المجرم أو يمتزج النفع الاجتماعى وارضاء العدالة فى العقوبة ، كما رأى بعض علماء القانون الجنائى الوضعى ..

وشتان ما بين شريعة القصـاص وبين الانتقام ــ فالانتقام يدفع اليه الحقد ، والقصاص يدفع اليه طلب العدل ــ والانتقام يتـولاه بيـده المعتدى عليه أو أقرب النـاس الى القتيل ، أما القصاص فيتولى أمره الحاكم ، ولايكون الا باذنه ، وأهم من ذلك أن الانتقام هو فى كثير من الأحيان أخذ بالشبهة وقضاء بالظن وتنفيذ باسراف ، أما القصاص فهو أخـذ بالدليل ، وقضـاء باليقين ، وتنفيذ بالعدل ، وذلك من المسلمات فى الفقه الاسلامى ، لا يحتاج الى بيـان .

**على منصور**

---

## دين يسلح التشريع بالعقيدة

عن انس رضى الله عنه قال كنت اسقى ابا عبيدة وابا طلحة وأبى بن كعب من فضيخ زهو وتمر فجاءهم آت فقال ان الخمر قد حرمت فقال أبو طلحة قم يا انس فاهرقهـا فاهرقها . ( رواه الثلاثة ) .

## دين ينفر من الاستبداد

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى بيتى هذا : ( اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به ) ..

# هل فى الزواج اكراه ؟

**السؤال :**

هل يجوز لوالد الفتاة ارغامها على الزواج من رجل لا ترغب فيه ؟

ع. م. حسن (موظفة)

**الجواب :**

أولا : ان الغاية من الزواج هى السكن والمودة والرحمة ، يقول الله سبحانه :

( وهو الذى خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ) .

ولا يكون السكن والمودة والرحمة الا بعد ميل ورغبة ، واختيار وحرية ، وكل شيء يجوز فيه الاكراه والقسر ، ما عدا الأمور القلبية والنفسية التى لا تخضع أبدا لأية قوى خارجية .

ثانيا : ان حق الخاطب فى رؤية الفتاة التى تقدم لخطبتها جاءت به الأحاديث النبوية الصحيحة الصريحة بحيث لا تترك مجالا لمتعسف فى الرأى ، أو متزمت فى الفهم ، قطعا للاجتهادات الخاطئة ، ومنعا للتصرفات الظالمة ، وهدما للتقاليد البالية العتيقة .

روى مسلم عن أبى هريرة قال :

كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل .. فأخبرة أنه تزوج امرأة من الأنصار (أى رغب فى الزواج منها ) فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أنظرت اليها .. ؟

قال : لا .

قال النبى : فاذهب فانظر اليها ...

وروى المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما ( أى تحصل الموافقة والمحبة ) ..

فأتى أبويهـا •• فأخبرهمـا بقول الرسول (ص) فكأنهما كرها ذلك ـ كما يحـدث ذلك من بعض الناس ـ فسمعت بذلك المرأة وهى فى خدرها فقالت : ان كان رسول الله أمرك ان تنظر فانظر قال المغيرة : فنظرت اليها فتزوجتها •••

وقد فصل الفقهاء هذه الاحاديث ، واختـلفوا فى بيـان الأجزاء التى يجوز للخاطب أن يراها من خطيبتـه وأعدل الآراء فى نظرنا : ان للخاطب ان يرى خطيبته فى الملابس التى تظهر بها لأخيها وأبيها ومحارمهـا • وقال بعضـهم : ان للخاطب ان يصـحب خطيبته الى بعض الامـاكن المباحـة بشرط أن يكون ذلك مع أبيها أو أحد محارمها ـ ليتعرف على عقلها وذوقها وملامح شخصيتها ، فان ذلك داخل فى مفهـوم الحـديث النبوى الذى يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:( اذا خطب أحدكم المرأة فقدر ان ينظر منهـا بعض ما يدعـوه الى زواجها فليفعل •• )

ومن هـذه الأحاديث تعلم أنه لا يجوز للأب المسلم ان يمنع ابنته ان يراها من يريد خطبتها ـ صادقـا ـ باسم التقاليد فان الواجب ان تخضع التقاليد للشريعة لاأن تخضع الشريعة الاسلامية للتقاليد • كما لا يحل للأب ولا للخـاطب ولا للمخطـوبـة ان يتوسـعوا فى هذه الرخصـة فيلقوا الحبل على الغارب للفتى والفتاة باسم الخطبـة • يذهبـان الـى الملاهى والأسواق بغير حضـور أحـد من المحارم •

ان التطرف يمينا أو يسارا تأباه شريعة الاسلام والفطرة •

( من كتاب « الحلال والحرام » المرأة بين البيت والمجتمع ) •

ثالثا : واذا كان الاسلام يعطى الرجل هذا الحق فى رؤية المرأة التى يريد أن يتزوجها فقد أعطى الاسلام المرأة مثل هذا الحق أيضا •• لا بد من أخذ رأيها • ولا بد من استئذانها ولا بد من موافقتها قبل الاقدام على

تجربة فاشلة تدمر نفسيتها وأسرتها ومجتمعها. فالنساء ( شقائق الرجال ) كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم. يقول عليه الصلاة والسلام :

( الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن واذنها صماتها .. )

وجاءت فتاة الى النبى ( ص ) فاخبرته أن أباها زوجها من ابن أخيه وهى له كارهة فجعل النبى صلى الله عليه وسلم الأمر اليها .. ( أى الحرية فى القبول أو الرفض ) فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ولكن أردت أن أعلم النساء ان ليس للآباء من الأمر شىء ...

وكانت بريرة جارية لعتبة بن أبى لهب فزوجها رجلا ما كانت لترضاه لو كان الأمر اليها . وشكت أمرها الى عائشة رضى الله عنها .. فاشترتها عائشة وأعتقتها .

فقال لها النبى : ملكت نفسك فاختارى . . .

فتركت زوجها وكان يحبها حبا جما حتى كان يمشى خلفها ويبكى وهى تأباه . . .

فقال النبى : ألا تعجبون من شدة حبه لها وبغضها له .... ؟

ثم قال لها : انه زوجك وأبو ولدك .

فقالت : أتأمرنى ؟

فقال النبى : لا انما أنا شافع .

فقالت : لا حاجة لى اليه ..

وبعد :

فالدين ليس هوى يميل به الناس حيث يريدون .. انه وحى الله الحق .. وكلمته التى لا كلمة لأحد بعدها أبدا ... ولن يشاد الدين أحد الا غلبه . فأوغلوا فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ...

د. عبد الودود شلبى

---

● لا تحسب المجد تمرا انت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

# صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

## جزيرة الروضة

— ١٥ —

— ٣ —

**المقياس — وفاء النيل — جبر الخليج:**

عندما جدد عمرو بن العاصى حفر الخليج المصرى سنة ٢٣ هـ (٦٤٣ م) فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب • كان النيل يجرى غربى موقع ميدان السيدة زينب بحوالى ٣٠٠ متر تقريبا • وكان فم الخليج هناك • والآن يبعد غربا عن مجراه السابق بحوالى ١٠٠٠ متر •

والخليج المصرى من أعمال الفراعنة•فقد حفره سنوسرت الثالث من فراعنة الأسرة الثانية عشر فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد • ليصل النيل بالبحر الأحمر • وتجدد حفره عدة مرات فى عهد الفراعنة والفرس والبطالسة والرومان • ولما دخل العرب مصر جددوا حفره لتسهيل وصول المؤن من خيرات مصر الى الحجاز • ونشأت قطائع ابن طولون والقاهرة الفاطمية على جانبه الشرقى • ثم اتسعت المدينة على جانبيه • وظل داخل المدينة من معالمها الرئيسية • حتى ردمته شركة الترام فى داخل المدينة سنة ١٨٩٧ ليصير شارعا يسير فيه أحد خطوط الترام • فكأن عمر هذا الخليج ٣٨ قرنا من الزمان • ثم توسع شارع الخليج وأصبح معروفا لنا الآن باسم شارع بورسعيد •

وأنشأ عبد العزيز بن مروان أثناء ولايته على مصر ( ٦٥ — ٨٥ هـ ) من قبل أخيه عبد الملك بن مروان قنطرة على الخليج عند مبدئه من

النيل عرفت باسمه • وجهل الآن موقعها على التحديد •

وكان عند هذه القنطرة منظرة السكرة من أشهر مناظر الفاطميين • وكان الخليفة الفاطمى يقصدها عند الاحتفال بجبر الخليج ووفاء النيل كما سنذكر فيما بعد باذن الله •

وجهل أيضا موضع منظرة السكرة على التحديد • ولكننا نرجح أنها كانت محل المدرسة السنية للمعلمات بجهة السيدة زينب • أو دار الهلال بشارع المبتديان ( محمد عز العرب حاليا ) • أو قريبا منهما •

ثم تحول النيل غربا على دفعات حتى القرن السادس الهجرى (١٢م) فبعد مجراه عن فم الخليج السابق • فمد الصالح نجم الدين أيوب الخليج الى المجرى الجديد للنيل حوالى سنة ٦٤٠ هـ • والميدان هناك معروف الآن بميدان فم الخليج •

وكان اذا قرب النيل من الوفاء يوضع سد من التراب فى مجرى الخليج بالقرب من فمه — سواء الأول أو الأخير — فاذا تم الوفاء وارتفعت المياه فى النيل • أزيل هذا السد الترابى • فينساب الماء فى الخليج • وهو ما عرف بكسر السد أو جبر الخليج •

والجبر ضد الكسر • وهو تعبير الرقيق من رقة الأدب العربى • فبدلا من أن يقال كسرت ذراع يقال جبرت للتيمن والتفاؤل • أو هو من جبره أى أحسن اليه وأغناه بعد فقر • فيكون المقصود أن السد يكسر فيجبر الخليج بالنماء وجريان الماء فيه •

وكان الفاطميون يحتفلون بوفاء النيل وكسر السد احتفالا فخما يليق بهذه المناسبة الدورية الهامة فى اقتصاديات ورفاهية الدولة •

والاحتفال بوفاء النيل من أقدم الأعياد المصرية • وكان المصريون القدماء يقدسون النيل ويرفعونه الى مقام المعبودات • مثل رع وآمون وأوزوريس • ومن أوصافه عندهم: رب الرزق الوفير • والد الأرباب خالق الكائنات • المحيى • وكان اسمه حعبى أى الفيض ( على هامش التاريخ المصرى القديم للمرحوم عبد القادر باشا حمزة ) •

وقيل فى تفسير الآية الكريمة ( موعدكم يوم الزينة ) فى المباراة بين موسى عليه السلام بالمعجزات النبوية وبين سحرة فرعون أنه يوم الاحتفال بوفاء النيل .

فاذا فاض النيل وعمت مياهه الأراضى تفرغ الجميع ـ بما فيهم فرعون والأمراء ـ للاحتفال . وكان على شاطىء النيل من منف الى أسوان قصور للأمراء وأعيان الدولة ينتقلون اليها فى هذه المناسبة . ويبالغون فى تهيئتها بفاخر الأثاث وتزويدها بأشهى الأطعمة لاحتمال أن يشرفهم فرعون بالنزول فيها .

وكان فرعون والأمراء يستقلون البواخر الكبيرة لرحلة طويلة فى النيل على سبيل النزهة وفرصة لتفقد أحوال الأقاليم [1] وكانت سفنهم على درجات .

فسفينة فرعون من أربع طبقات كل طبقة ارتفاعها عشرة أقدام . وكانت مذهبة من الداخل والخارج ومزينة بصور المعبودات .

وكانت سفن الأمراء وحكام المديريات ورؤساء الجيش من ثلاث طبقات كل طبقة تسعة أقدام . ولم تكن كاملة التذهيب لتختلف فى اللون والارتفاع عن سفينة فرعون .

وكانت سفن الكهنة والضباط والأعيان من طبقتين كل طبقة ثمانية أقدام ومزينة بعديد الألوان .

أما سفن الباقين فمن طبقة واحدة مدهونة بلون واحد بسيط ( الخطط التوفيقية لعلى مبارك ج ١٨ ص ٣٠)

وكانت أصوات الموسيقى تتجاوب من السفن وأمواج من أفراح الناس تسير فوق أمواج مياه النيل . وكانوا يترقبون وفاء النيل فى شوق وتلهف . فوفاؤه بشير باليسر والرخاء . وتخلف الوفاء نذير بالفقر والحرمان لمدة عام كامل .

---

(١) قيل ان من اسباب بناء الهرم الاكبر امتصاص تعطل الايدى العاملة اثناء الفيضان بايجاد عمل لهم . ويستدلون على هذا ان مدة الثلاثين عاما التى قيل ان الهرم بنى فيها تدل على ان العمل لم يكن متصلا بل كان لعدة شهور كل عام .

**عروس النيل :**

ولا سند تاريخى لأسطورة عروس النيل التى تحكى أن المصريين القدماء كانوا يلقون فى النيل كل عام بنتا بكرا ليتحقق الوفاء . فمن الرقى الروحى للمصريين القدماء أنهم آمنوا بخلود الروح . وأنهم لم يكونوا يعرفون القربان البشرى فى طقوسهم الدينية كباقى الديانات القديمة — ولو كانت الأسطورة صحيحة لظهرت فى أوراق البردى أو فى النقوش التى حفلت بها جدران المعابد وسجلوا فيها شتى صور الحياة الاجتماعية والتاريخية . وقد أنكر أغلب المؤرخين هذه الأسطورة .

وقد قرأت رأيا أن مصر كلها هى عروس النيل يحتضنها بين أمواجه وفيضانه مرة كل عام .

ومن أخبار المؤرخين العرب عن هذه الأسطورة أن أقباط مصر طلبوا من عمرو بن العاص القاء بنت بكر فى النيل ليتحقق الوفاء فرفض . وأرسل الى أمير المؤمنين عمر يقص عليه الخبر فأرسل اليه رقعة وأمره بالقائها أى الرقعة فى النيل . والرقعة مكتوب فيها : ( من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر . أما بعد . فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر . وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك ) فألقاها عمرو فى النيل . وما أصبح الصباح حتى كان النيل قد أوفى الستة عشر ذراعا . وهى علامة الوفاء . وانقطعت الأراجيف .

والمؤرخون العرب نقلوا عن بعضهم . وظاهر أنها أسطورة . أو مصادفة . فماء الفيضان لا ينبع من مجرى النيل فى يوم وليلة . بل من مياه الأمطار فوق جبال الحبشة ويستغرق وصول هذه المياه الى مصر أياما عديدة .

ولكن كان للأقباط عادة أن يلتوا فى النيل فى عيد الشهيد ( ٨ بشنس

= ٣ مايو ) (١) تابوتا من خشب به أصبع من أصابع الموتى القدماء . ويجتمع الناس من كل الجهات فى هذا اليوم على شاطىء النيل بجهة منية السيرج ( الجزء الشمالى من شبرا ) . وينصبون الخيام ويسرفون فى شرب الخمر وأسباب اللهو والخلاعة .

ويرى صاحب الخطط التوفيقية أن ما ألقاه عمرو بن العاص . هو القاء أصبع الشهيد هذا وليس القاء بنت بكر فى النيل .

ونلاحظ على رأى المرحوم على باشا مبارك أن رواية المقريزى ( الخطط جـ ١ ص ٥٨ ) وابن اياس ( بدائع الزهور ص ١٣ ) نقلا عن ابن عبد الحكم أن الأقباط ذكروا لعمرو بن العاص أن من عادتهم القاء بنت بكر فى النيل فى ١٢ بؤونة ( ٦ يونية ) (٢) كل عام ... الخ . وهو تاريخ آخر .

واستمر الأقباط فى الاحتفال بهذا العيد . وشاركهم المسلمون للهو والمتعة . حتى ألغاه المظفر بيبرس الجاشناكير عندما كان استادارا (٣) للناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٢هـ لما كان يجرى فيه من الهتك والعربدة ، ثم أعاده الناصر سنة ٧٣٨ هـ . ثم أبطل فى عهد الصالح صالح بن الناصر سنة ٧٥٥هـ

---

(١) الآن ٨ بشنس يوافق ١٦ مايو ، ١٢ بؤونة يوافق ١٩ يونية بفرق ١٣ يوما عن التاريخين السابقين نظرا للتعديل الجريجورى .

(٢) بيبرس الجاشناكير تولى السلطنة من ٧٠٨ ـ ٧٠٩ باسم المظفر ركن الدين بيبرس . والجاشناكير احدى الوظائف الهامة مركبة من كلمتين : جاشنا بمعنى الذوق وكير : بمعنى المتعاطى . وهو الذى يتصدى لتذوق الطعام أو الشراب قبل السلطان خوفا من أن يكون مسموما .

(٣) قال القلقشندى فى صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٤٧ أنها مركبة من كلمتين ( استد بمعنى الأخذ ودار بمعنى ممسك ) وهو الذى يتولى شؤون مال السلطان . وقالت دائرة المعارف الاسلامية انها من أستاذ فارسية معناها الرئيس والمعلم ورب الصنعة وأن استادار لقب لعامل من أكبر عمال السلاطين المماليك . وأن العامة اختصرت لفظ أستاذ الى أستى أو أسطى بمعنى حوذى . ونقول انه لو صح هذا فالعامة لا تقصد الحوذى فقط بل تقصد رئيس أى حرفة كالنجار وغيره .

وهدمت الكنيسة بشبرا التى كان بها أصبع الشهيد . وأحرق الأصبع والصندوق . وذرى رمادهما . وبطل هذا العيد نهائيا .

واهتم المصريون القدماء بضبط مياه النيل منذ أربعين قرنا قبل الميلاد . أى ستين قرنا من الآن ( الموسوعة العربية الميسرة ) . كما اهتموا بتسجيل حركات الفيضان بانشاء مقياس نقالى يقيسون به عمق مياه النيل . وقد وصلتنا أشكال كثيرة من هذه المقاييس . بعضهاعلى شكل حرف T الافرنجية . وبعضها على شكل زهرة اللوتس بداخلها قائم من الخشب تقطعه خشبات عرضية. وبعضها على شكل قائم فى نهايته حلقة. ويعرف بمفتاح النيل . وغير ذلك من الأشكال أثبت الكثير منها صاحب الخطط التوفيقية ( جـ ١٨ ص ٢٠ ) . وكان المقياس النقالى يحفظ فى مدينة منف .

وكان عندهم بخلاف المقاييس النقالى مقاييس ثابتة من البناء . اما على شكل عامود قائم من البناء مقسم بعلامات عليه . أو على شكل درجات سلم بارتفاع معين .

وقيل ان اختيار جزيرة الروضة من ضمن مواقع المقاييس الثابتة يرجع الى عهد الفراعنة .

وفى عهد البطالسة كان هناك مقياس بأرمنت . وآخر بأسوان . وفى عهد الرومان كان هناك مقياس بمنف وآخر بقفط . ولما اعتنق قسطنطين الأكبر الديانة المسيحية نقل المقياس النقالى من منف الى كنيسة الاسكندرية . وكان للرومان أيضا مقياس بقصر الشمع ( حصن بابليون ) وقد ذكرنا أنه كان على النيل مباشرة عند الفتح الاسلامى .

وبعد الفتح أمر عمرو بن العاص بانشاء مقياسين : أحدهما بأسوان والآخر بأرمنت .

وروى المقريزى عن القضاعى أن عمرو بن العاص كتب الى عمر ابن الخطاب يقول : ( ان الاستشعار يدعو الى الاحتكار . والاحتكار

يدعو الى غلاء الأسعار .. وأن النيل يروى أرض مصر ريا مريحا كاملا على الستة عشر ذراعا . وأن النهايتين الخوفتين للظمأ أو الاستبحار هما اثنا عشر ذراعا وثمانية عشر ذراعا (١) .

فأمره عمر بن الخطاب . بناء على مشورة على بن أبى طالب أن ينشىء مقياسا بحلوان . وأن ينقص اصبعين من الاثنى عشر ذراعا الأولى . وأن يقرها على ما بعدها على الأصل . وأن ينقص أصبعين من كل ذراع بعد الثمانية عشر . وقال القضاعى : وفى هذا الباب نظر .

والذراع ٢٤ أصبعا . فلعله يقصد أن يزيد أربع أصابع فى كل من الاثنى عشر ذراعا الأولى ليستقيم المعنى ويمنع الاستشعار . بدليل ما قاله المقريزى بعد ذلك أنه جعل الاثنى عشر ذراعا الأولى أربعة عشر ذراعا (٢) .

ونرى مع القضاعى أن فى هذا الباب نظرا فمن المستبعد أن يلجأ الصحابة الى مغالطة الرأى العام بهذه الطريقة .

وفى سنة ٨٠ هـ أنشأ عبد العزيز ابن مروان مقياسا صغيرا على النيل فى حلوان .

ثم فى سنة ٩٧ هـ بنى مقياس فى جزيرة الروضة فى خلافة سليمان بن عبد الملك الأموى وولاية عبد الملك بن رفاعة . وأصلح فى سنة ٢٣٣ فى خلافة المتوكل على الله العباسى .

---

(١) خطط المقريزى جـ ١ ص ٥٨ . وانظر كيف توصل العرب بذكائهم الفطرى الى قاعدة هامة من قواعد علم الاقتصاد وعبروا عنها بأدق العبارات واكثرها اختصارا .

والقضاعى هو القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة توفى سنة ٤٥٤ هـ وهو من اقدم من كتبوا فى خطط مصر والقاهرة . وكتابه ( المختار فى الخطط والآثار ) مفقود عرف بالاشارة اليه فى المقريزى وغيره من كتب التراث .

(٢) ١٢ ذراعا × ٢٨ اصبعا = ٣٣٦ اصبعا ، ١٤ ذراعا × ٢٤ اصبعا = ٣٣٦ اصبعا .

ثم حصـل له تجـديد شـامل سـنة ٢٤٧ هـ فى خـلافة المتوكل المذكور • وأصبح يعرف بالمقياس الجديد، وبالمقياس الكبير • ونسب للمتوكل المذكور (١) • وصار هذا المقياس هو المعول عليـه فى مقياس النيل • حتى انشاء السد العـالى جنوب أسوان •

وأمر المتوكل بعزل النصارى عن المقيـاس • فجعل الوالى يزيد بن عبد الله التركى ( ٢٤٢ ــ ٢٥٣ هـ ) عبد الله بن عبد السلام بن الرداد على المقياس • وظل هو ومن بعده من ذريته وآله على المقياس حـتى العصر الحـديث • ويعـرف بيتهم ببيت المقياس •

واعتنى حكام مصر بعد هذا على ممر العصور بأمر هـذا المقيـاس • فأصلح عدة مرات : فى دولة أحمد ابن طولون سنة ٢٥٦ هـ • وفى عهد المستنصر بالله الفاطمى سنة ٤٨٥ هـ وفى دولتى السلاطين المماليك ، وفى عهد على بك الكبير سنة ١١٨٣ هـ ثم أصـلح اصـلاحا كاملا فى زمن الفرنسيين • كما اعتنى به فى عهـد أسرة محمد على •

والمقيـاس فى الطرف الجنـوبى لجزيرة الروضة • وقد وضعه على باشا مبارك وضـعا كاملا كما كتب عنه المرحوم يوسف أحمـد مفتش الآثار بوزارة الأوقاف ( الخـطط التوفيقية جـ ١٨ ص ٢٠) محاضرات أثرية ليوسف أحمد •

وبانشاء السد العالى عند أسوان انتهت أهمية المقياس وأصبح لا قيمة له الا من الناحية الأثرية التاريخية •

**الاحتفال بوفاء النيـل فى عهـد الفاطميين :**

كان ابن الرداد قاضى المقياس عند بدء موعد الفيضان يسجل علامات المقيـاس يوميـا • ويطلـع عليها الخليفة سرا أولا بأول • وعنـدما يقارب النيل الوفاء • أى قبل الذراع

---

(١) يوجد بالروضة شارع ضيق لا يزيد عرضه عن ثلاثة امتار يصل بين شارعى المماليك البحرية والمختار اسمه شارع الخليفة المتوكل على الله . والاسم التاريخى جـدير بمكان اكثر رحابة وأهمية .

السادس عشر بأصابع . يأمر الخليفة بالمبيت فى المقياس ـ أى مقياس الروضة . وترسل فى القصر الأطعمة الوفيرة الى هناك . فيذهب قراء الحضرة ـ أى الخاصون بقصور الخليفة . وشيوخ الجوامع الكبرى وغيرهم . ويوقدون الشموع الكثيرة فى المقياس والجامع بجواره . طول الليل . ويتلون القرآن برفق . ويطربون مكان التطريب . ويختمون الختمة الشريفة .

فاذا أصبح الصباح . وحضرت البشرى بالوفاء . يخرج الخليفة من القصر الشرقى الكبير من القاهرة الفاطمية فى موكب فلخر الى باب زويلة بالشارع الأعظم ( المعز لدين الله ) حتى الصليبة فينحرف بالجسر الأعظم الفاصل بين بركتى الفيل وقارون ( موقعه الآن شارع عبد المجيد حاليا أو مراسينا سابقا عند ميدان السيدة زينب ) متجها الى منازل العز بالقسطاط . فيركب فى سفينة خاصة . يوضع له فيها بيت خاص مثمن الجوانب من عاج وأبنوس . عرض كل جانب ثلاثة أذرع . وعندما تضم الجوانب الثمانية يصير مكانا دوره أربعة وعشرون ذراعا . وعليه قبة من خشب دقيق الصنعة ملبسة بصفائح الذهب والفضة . ويجلس الخليفة فى هذا البيت وحده .

وينتقل الخليفة وحاشيته الى المقياس بجزيرة الروضة . فيصلى هو والوزير ركعات ثم يحضر اليه اناء فيه المسك والزعفران . فيديفهما ( بالفاء ) بماء الورد بآلة فى الاناء . ثم يتناوله ابن الرداد . فينزل حوض المقياس متعلقا بالعمود محتضنا له برجليه ويده اليسرى . ويخلق العمود بيده الأخرى بعجين المسك والزعفران .

وبعد هذا اما أن يعود الخليفة بالطريق الذى حضر منه . أو يركب العشارى ( نوع من البواخر ) الى القس ومنها الى القاهرة من باب القنطرة ( كان بالقرب من مسجد

الشعرانى بباب الشعرية فى السور الغربى للقاهرة الفاطمية ) .

وفى اليوم التالى يتوجه ابن الرداد الى القصر مبشرا بوفاء النيل . فيجد فى انتظاره خلعة مذهبة يأمر بلبسها . وتصرف له البشارة من نقود وخلع له ولأهله . حمولة عدة بغال . ويعود الى المقياس مخترقا القاهرة الفاطمية ومارا بالفسطاط . تتقدمه البغال محملة بخلع الخليفة وهداياه . والطبول تدق أمامه لاعلان الوفاء .

وفى هذه المناسبة كانت تصرف أيضا الخلع والهدايا لجميع رؤساء الدولة . كل على قدر منزلته .

ويبدأ الاستعداد لفتح الخليج أو كما كان يقال جبر الخليج .

**جبر الخليج ومنظرة السكرة :**

فتنصب الخيام على الشاطىء الغربى للخليج وأمام قنطرة السكرة بالقرب من قنطرة عبد العزيز بن مروان السابق ذكرها . وكان السد عندها أيام الفاطميين . وقد ذكرنا أننا نرجح أن موقع القنطرة والسكرة كان قريبا من الموقع الحالى لدار الهلال بشارع المبتديان .

ومنظرة السكرة أنشأها العزيز بالله بن المعز لدين الله . وقال عنها المقريزى ( الخطط جـ ١ ص ٤٧٠ ) أنها من جنان الدنيا المزخرفة . ووصفها ووصف تهيئة المقصورة الخاصة بالخليفة برسم راحته وتغيير ثيابه فقال : ( وقد وقعت المبالغة فى تعليقها وفرشها وتعبئتها . وقدم بين يديه سوائى الذهب التى وقع التناهى فيها من همم الجهات من أشكال الصور الآدمية والوحشية . من الفيلة والزرافات ونحوها . المعمولة من الذهب والفضة والعنبر والمرسين (؟) المشدود والمظفور عليها المكلل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد من الصور الوحشية ما يشبه الفيلة جميعها عنبر معجون كخلقة الفيل . ونا باه فضة . وعيناه جوهرتان كبيرتان . فى كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده . وعليه ( أى الفيل ) سرير منجور من عود بمتكآت فضة وذهب وعليه عدة من الرجال ركبان عليهم اللبوس

تشبه الزرديات . وعلى رؤوسهم الخوذ وبأيديهم السيوف المجردة والدرق . وجميع ذلك فضة . ثم صور السباع منجورة من عود . وعيناه ياقوتتان حمراوان . وهو على فريسته . وبقية الوحوش . وأصناف تشد من المرسين المكلل باللؤلؤ تشبه الفاكهة .. الخ ) .

ومن الخيام كانت خيمة كبيرة للخليفة تسمى القاتول مساحتها فداتان وارتفاع عمودها سبعون ذراعا . وكانت لا تنصب الا بمعرفة المهندسين . وسميت القاتول لأنه عند ما نصبت أول مرة قتل بسبب ارتفاعها عاملان .

وينتقل الخليفة وحاشيته فى موكب حافل . وقد هيئت للخليفة من دار الطراز بدلتان من ذهب وحرير . احداهما لموكب الذهاب والأخرى لموكب العودة . كما تهيأ الخلع الخاصة برؤساء الدولة . ويتقدم موكب الخليفة أربعون نافخا للأبواق على الخيول . والأبواق من ذهب وفضة . ويتبعهم راجلون بأبواق من نحاس . ويشق الموكب القاهرة الفاطمية ثم يسير حتى تصل الى قنطرة ابن مروان . فيعبرها الى الخيام غربى الخليج وأمام منظرة السكرة .

فيجلس الخليفة فى المكان المخصص له بالقاتول . ويلزم كل فرد مكانه اما جالسا أو واقفا حسب منزلته . ويقرأ القرآن . ثم يؤذن بالكلام للخطباء والشعراء . ويكافأ من يحسن منهم . ثم تمد الأسمطة . وتكون الأطعمة العديدة الأصناف الشهية الأوصاف . قد حملت من القصر . وتقدم الموائد للجميع . يأكلون . ويحملون ما تيسر لهم من أصناف الأطعمة على سبيل الشرف والبركة .

وبعد ذلك يدخل الخليفة للراحة فى منظرة السكرة . وتكون قد هيئت له كما ذكرنا . ثم يطل الخليفة منها . ويشير بفتح الخليج . فيكسر السد وينساب الماء فى الخليج .

ويعـود الخليفة بموكبه وسـط المـزارع والبسـاتين بالبر الغربى للخليج . وكان ما بين الخليج والنيل فى ذاك الوقت قليل عرض . حتى يصل الموكب الى بستان الدكة (١) بجوار بسـتان المقس . وكانـت هنـاك الميناء النهرية للقاهرة كمـا ذكرنا . وكانت للخليفة فى بسـتان الدكة منظرة أيضـا . مثل منظـرة بستان المقس.فيدخل الخليفة بستان الدكة وقد أغلقت أبوابه ودهاليزه . ويدخل الخليفة بمفـرده . ويسقى فرسه فى البستان . وقال المقريزى ولم يعلم سبب هذا التصرف .

وأقـول : لا غموض ولا ألغاز . فلعله لاحتمال حاجـة طبيعية من حاجات البشر بعد ساعات طويلة فى الاحتفال .

ويخرج الخليفة من البستان ويعود بموكبه الى القاهرة من باب القنطرة.

وقد أسهب المقريزى فى وصـف الاحتفال بوفاء النيل وفتح الخليج . فذكر تفصيلا ما يلبسـه الخليفة . وما يخلعه على الأمراء وأعيان الدولة وقـاضى المقياس . وما يقـدم من الأطعمة . كذلك تشكيل المـوكب وخط سيره . والتحركات المرسومة بكل دقة لكل فرد . مما تعبر عنـه الآن بقواعد البروتوكـول . حتى يخيل للمرء أنه فى عرض سـينمائى فخم . ورائع بالألوان . لا أمـام حقائق مدعمة بالتواريخ والأرقام(٢)

وكان عمال الجهات يبلغون بوفاء النيل . بخطابات بليغة حافلة بحمد الله على ما أنعم على أمته من خـير ورخاء .

---

(١) بستان الدكة كان بين شارعى الجمهورية وعماد الدين . واسـم قنطرة الدكة باق للآن . وكانت القنطرة على خليج الذكر الذى كان يصب فى بركة المقسى او بركة بطن البقرة التى أصبح جزء منها بركة الأزبكيـة . والذكر كان أحد أمراء الظاهر بيبرس كان له نصيب فى تجديد حفره . وسميت القنطرة بهـذا الاسم لأنه كان هناك دكة يجلس عليها المتنزهون .

(٢) الفقرة السابقة عن جبر الخليج ومنظرة السكرة سبق نشر بعضها فى مجلة الأزهر ( ربيع الآخر سنة ١٣٩٥ هـ ) عند الكلام على حى المنيرة ورأيت اعادتها هنا لاستكمال الصورة ولعدم اضطرار القـارىء للبحث عما سـبق نشره .

وذكرنا أن النيل عند ماتحول غربا مد الصالح نجم الدين أيوب الخليج الى المجرى الجديد للنيل وأنشأ حوالى سنة ٦٤٠ هـ بالقرب من نهاية الامتداد الجديد قنطرة كان يعمل عندها الاحتفال بوفاء النيل وجبر الخليج .

**بعد الفاطميين :**

وأهملت قنطرة عبد العزيز بن مروان ومنظرة السكرة حتى اندثرتا وعرفت قنطرة الصالح أيوب باسم قنطرة السد . وظلت بهذا الاسم حتى زالت مع الخليج سنة ١٣١٦ هـ ( ١٨٩٨ م ) .

واستمر الاحتفال بوفاء النيل وفتح الخليج بعد الفاطميين . ولكن لم يصل فى رونقه وبهائه الى ما كان يعمل أيام الفاطميين .

وكان الاحتفال يختلف عظمة وأبهة باختلاف السلاطين واستقرار الحالة السياسية . ومجمل ما كان يعمل فى زمن الأيوبيين والسلاطين المماليك أن يخرج السلطان بموكبه من القلعة الى ساحل الفسطاط فيركب الباخرة الخاصة المسماة بالعقبة الى المقياس بالروضة . ويكون النهر مليئا ببواخر الامراء والكبراء والأعيان وعامة الناس . فيخلق المقياس فى حضرته بالمسك والعنبر المعجونين فى ماء الورد ثم يعود بالباخرة حتى فم الخليج . فيأمر بفتحه فيزال السد فى أقرب وقت . ويعود بموكبه على الخيول حتى قناطر السباع ( ميدان السيدة زينب ) ثم يتجه بموكبه الى الصليبة ثم الى القلعة . وقد ازدحمت الطرقات بالجماهير . فينثر عليهم نقود الذهب والفضة يمينا وشمالا .

وفى زمن العثمانيين كان الوالى والصناجق ( أمراء المماليك وكان عددهم ٢٤ فى أغلب الأحيان ) وقاضى العسكر وكبراء الدولة . يذهبون الى المقياس . عندما يقارب النيل الوفاء . ويمكثون هناك قبل الوفاء أياما فى لهو ومتعة . من مأكل ومشرب وطرب . حتى يتم الوفاء . ثم يعود الوالى ومن معه الى الخليج فيأمر بفتحه ويعود الى القلعة .

وكان الشعب يشارك فى هذه الاحتفالات بالتجمع والتبهرج واظهار الفرح والزينة .

واحتفل الفرنسيون بوفاء النيل وفتح الخليج فى الثلاث سنوات مدة اقامتهم بمصر . وقد ذكرنا أنهم قاموا بعمارة المقياس . ولم يشارك الشعب الفرنسيين فى هذه الاحتفالات فلم يشترك فيها غير الموظفين الرسميين وقلة من الأقباط الذين لاذوا بالفرنسيين .

وفى عهد أسرة محمد على أخذ الاحتفال فضلا عن الطابع الرسمى شكلا شعبيا . فكانت محافظة القاهرة تعلن عن الوفاء بتكليف شيخ المنادين بأن يجمع الأولاد يدورون فى الحارات والأزقة وبأيديهم الرايات الملونة بعديد الألوان . ويردد بعضهم : البحر زاد . وغرق البلاد . ويجيبهم الآخرون أوفى الله . وتتوجه السفينة الرسمية العقبة وسفن أخرى . عامة وخاصة . الى فم الخليج . ويكون قد هيأه العمال من الليلة السابقة برفع أغلب تراب السد . فيفتح الخليج . ويقام سرادق بالقرب من فم الخليج تعمل به حفلة ساهرة بالغناء والطرب على حساب الدولة . وتوزع بطاقات الدعوة على الكبراء والأعيان .

وقد ذكرت جريدة الأهرام . فى ١٧ سبتمبر سنة ١٨٩٢ ما يأتى : كان مهرجان جبر الخليج مساء أمس قرة لعيون المصريين . ومسرة لخواطرهم التى ألفت عادة هذه الحفلة . وتتوسم فيها الخير للعام كله . فلم تكن الساعة الثامنة حتى أخذ المدعوون يتوافدون على السرادقات البديعة التى أعدت كالمألوف على دكة فم الخليج من الحرير الملون المعلقة فيها المصابيح والثريات الباهرة وكانت المراكب فى البحر غاصة بالجماهير .

ولما ردم الخليج سنة ١٨٩٨ لم يبق الا الاحتفال بوفاء النيل فى النصف الثانى من أغسطس كل عام .

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ — ١٩١٨ ) ألغيت الحفلة الساهرة . ثم أعيدت سنة ١٩١٨ . ثم ألغيت لاندلاع الثورة المصرية سنة ١٩١٩ .

واستمر الاحتفال بوفاء النيل مع التهوين من شأنه تدريجيا . واكتفى بالمهرجان النيلى .

وكان هـذا طبيعيا نتيجـة لزيادة التحكم فى مياه النيل بانشاء خـزان أسوان ثم السد العالى أخيرا .

واقتصر الأمر على عطلة رسـمية يوم الوفاء لمصالح الحكومة بالقاهرة فقط مع مهرجـان نيلى تمـر فيـه الباخرة العقبة مزينة . واثبات الحجة الشرعية بوفاء النيل بمحافظة القاهرة

وقد ذكرت الأهرام فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٦٦ : تمت أمس كتابة الحجة الشرعية لوفاء النيل بديوان محافظة القاهرة . وقـد أقيم حفل بهـذه المناسبة . حضره الشيخ احمد حسن هريدى مفتى الديـار المصـرية . ومنـدوب بطـريركيـة الأقبـاط الأورثـوذكـس والـدكتور فؤاد الخورى مندوبا عن وزارة الرى . كما حضره وكلاء الوزارة ومديرو العموم ورؤساء الأحياء بالمحافظة . اهـ .

وفى سنة ١٩٦٧ ألغيت العطلـة الـرسمية والمهرجان النيلى بسـبب اعتداء اسرائيل فى ٥ يونية سنة ١٩٦٧ على الأراضى العربية باحتلال سيناء من أرض مصر . وغربى الأردن وغزة من فلسطين ومرتفعات الجولان من سوريا . واكتفى بكتابة الحجـة الشرعية بوفـاء النيل فى ٨/٢٦/ ١٩٦٧

وفى ١٩٧١/٨/٣١ ذكرت الأهرام ( احتفل أمس فى القاهرة بوفاء النيل وصـدق الشيخ محمد خـاطر مفتى الجمهوريـة على الحجة الشرعية . التى أثبتت وفاء النيل . وقد سجلت الحجة قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية ( مصر وسوريا وليبيا ) للعمل على عزة الأمة العربية وسيادتها ) .

وفى ١٩٧٢/٨/٢١ أخذ الاحتفال بوفاء النيل مظهرا آخر . ففضلا عن اثبات الحجة الشرعية فقد أقامـت محافـظة القاهرة . مهرجانا بدأ من أمـام فندق هيلتون . من شعبتين : الأولى برية من الخيالة والموسـيقى و ١٠٠ فرد من المشتركين فى أوبريت ( مـوال من مصر ) بزيهم الفرعونى بجانب موكب الزهور . والشـعبة الثانية نيلية من اللنشات والمراكـب الشراعية .

وقال السيد / ابراهيم بغدادى محافظ القاهرة وقتذاك بضرورة المحافظة على هذا الاحتفال فهو جزء من تاريخ مصر • احتفل به آلاف السنين • وهو من مظاهر الشكر لله على نعمة وجود النيل واهب مصر الحياة • كما أنه جزء من خطة استغلال النهر كمصدر من مصادر السياحة • فالقاهرة تزخر الآن بأعداد كبيرة من السياح العرب والأجانب الذين أتيحت لهم فرصة الاستمتاع بمشاهدة هذا المهرجان والمشاركة فى طقوسه على صفحات النيل •

واذا كانت مظاهر الاحتفال بوفاء النيل قد ضعفت • فلا يزال النيل على عهده حافظا لوفائه • يغدق على مصر خيره وفيضانه كل عام • ولكن بدلا من تدفق مياه الفيضان الى البحر • فانها تحتجز الآن أمام السد العالى جنوبى أسوان رصيدا ضخما لتنظيم الرى والتوسع الزراعى برى الوادى الجديد وغربى البحر اليوسفى بمصر الوسطى ومديرية التحرير ومحافظة سيناء وغيرها من أراضى الصحراء فتحيلها جنة خضراء •

**محمد كمال السيد محمد**

---

**وصية اعرابى لاخيه :**

اثر بعملك معادك ، ولا تدع لشهوتك رشادك ، وليكن عقلك وزيرك الذى يدعوك الى الهدى ، ويعصمك من الردى ، والجم هواك عن الفواحش ، واطلقه فى المكارم فانك تبر بذلك سلفك وتشيد شرفك ، وابذل الصداقة تستفد أخوانا ، وتتخذ اعوانا فان العداوة موجودة عقيدة ، والصداقة متعذرة بعيدة ، وجنب كرامتك اللئام ، فانك ان احسنت اليهم لم يشكروا ، وان نزلت شديدة لم يصبروا •

# الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزى

للأستاذ محسن حسب الله

— ١٠ —

تكلمنا فى العدد السابق عن نظام الملكية فى الشريعة الاسلامية وتتكلم فى هذا العدد عن نظام الملكية فى القانون الانجليزى .

نشأ النظام الاقطاعى فى انجلترا على نمط يخالف تمام الاختلاف النظام الاقطاعى فى باقى دول أوروبا وكان لذلك أثره الكبير على نظام الملكية وتطويره فى القانون الانجليزى فبينما كان أمراء الاقطاع فى باقى دول أوروبا يعتبرون فى درجة تقارب الملوك من ناحية استقلالهم باقطاعياتهم وتكوينهم جيوشا خاصة بهم ومحاكم يحاكمون فيها كل من يعيش فى اقطاعياتهم وتحكمهم فى الفلاحين تحكما كاملا حتى كان يطلق عليهم « رقيق الأرض » .

نجد أن نظام الاقطاع الذى نشأ فى انجلترا عقب الغزو النورماندى لانجلترا سنة ١٠٦٦ يختلف تمام الاختلاف عن ذلك النظام فقد اعتبرت جميع العقارات ملكا للملك وأمراء الاقطاع مجرد حائزين لاقطاعياتهم ، لهم الانتفاع بها مقابل الخدمات التى يفرضها عليهم الملك وهم بدورهم يصرحون لغيرهم بحيازة أجزاء من هذه الاقطاعيات نظير فرض خدمات معينة على المنتفعين بها ولذلك نشأ نظام يشبه التأجير الى حد ما أما ملكية الأرض فقد ظلت دائما للملك وكل حق على الأرض مصدره الارادة الملكية كما قام النورمانديون سنة ١٠٨٦ بحصر الأراضى الزراعية والمبانى بعد توزيعها الجديد وقيدها فى سجل خاص Domesday Book

يحتوى على جميع البيانات المتعلقة بخمس عشرة ألف اقطاعية ومائتى ألف منزل فى ذلك التاريخ .

ومنذ الغزو النورماندى حتى سنة ١٥٨٣ لم يكن هناك ملاك لأراضى انجلترا وانما مجرد حائزين يستمدون حقهم فى الحيازة من الملك ومن أمراء الاقطاع نظير ما يفرض عليهم من خدمات .

وبعد أن أصبحت الأرض فى ملكية أمراء الاقطاع ظلت الأرض المصدر الأساسى للثروة والقوة ولذلك حرصت الأسر الانجليزية على ابقاء أراضيها بقدر الامكان فى حوزة أفرادها فوضعت قيودا صارمة واجراءات معقدة سواء بالنسبة لنقل الملكية أو الانتفاع بالأرض المملوكة فكان نقل ملكية الأرض عملية صعبة جدا وشاع استعمال الوصايا للاحتفاظ بالأرض داخل الأسرة وذلك بعد أن قضى على نظام الاقطاع تماما فى العصور الوسطى ومع بدء القرن الخامس عشر بدأت تنتهى أهمية التجارة فى حياة الانجليز وتأخذ اهتماما موازيا للاهتمام بالأرض كمصدر للثروة حيث بدأ كبار ملاك الأراضى فى امتلاك آلاف من قطعان الماشية والانتفاع بأصوافها ببيعها لدول أوربا بعد غزلها وبذلك بدأت أهمية التجارة الدولية فى انجلترا كذلك بدأ اكتشاف الفحم والحديد بالأرض وكان نظام ملكية الأرض من أكبر معوقات استغلال هذه المناجم لذلك اضطر البرلمان لاصدار عدة قوانين تنظم الملكية سواء بالنسبة للعقارات أو المنقولات والبضائع وقد أدخلت عدة تعديلات على هذه القوانين والذى يهمنا هو التعديلات الأخيرة المعمول بها حاليا وهذه القوانين هى :

١ ــ قانون بيع البضائع والمنقولات المحلية الصادر سنة ١٨٩٣
The sale of Goods Act, 1893

٢ ــ قانون الملكية سنة ١٩٢٥
Law of Property Act, 1925

٣ ــ قانون تسجيل الأعباء المفروضة على الأراضى سنة ١٩٢٥
Land charges Act, 1925

٤ ــ قانون تسجيل الأراضى سنة ١٩٢٥
Land Registration Act, 1925

٥ ــ قانون التأجير بقصد الشراء سنة ١٩٦٥
Nire purchase Act, 1965

٦ ــ قانون البيوع الدولية سنة ١٩٦٧ Uniform Laws on Internat'onal

وطبقا للقوانين المذكورة فان نظام الملكية فى القانون الانجليزى يتميز بالخصائص التالية :

أولا : لا تقتصر الأشياء القابلة للتمليك فى القانون الانجليزى على الأشياء الحسية فقط physical, corporeal وانما تشمل أيضا الأشياء المعنوية ــ
non - physical, incorporeal
كحقوق الاختراع والديون وغيرها

ثانيا ــ لا يأخذ القانون الانجليزى بالتقسيم السائد فى القوانين الوضعية الى عقارات ومنقولات وانما يأخذ بالتقسيم التالى :

١ ــ ملكية الأرض ( وتشمل ما عليها من مبان )
Real Property

٢ ــ ملكية كل ما عــدا الأرض ويطلق عليها
Personal Property

وهــذا القسم الثــانى ينقسم الى فرعين :

( ا ) جميع الحقوق المقررة على العقارات ( فيما عدا حق الملكية التامة ) كحق الايجار مثلا ويطلق عليها Real chattles

(ب) كل ما عدا الأرض والحقوق المقررة على العقارات وذلك كالأشياء والأمتعة وغيرها مما يعتبر منقولا فى سائر القوانين الوضعية ويطلق عليها
Personal Chattles

وهذا الفرع الأخير ينقســم بدوره الى قسمين :

القسم الأول : ويشمل الأشــياء المعنوية أى غير الحسية مثل الديون والحقوق المتنازع عليها والحــق فى التعـويض والشيكات وحقـوق الاختراع وغيرها من الأموال التى لا يمكن لمسها كمادة وانمــا يمكن

رفع دعوى action بشأنها ولذلك يطلق على هذا القسم •

Choses in action

والقسم الثانى : يشمل الأشياء المادية أو الحسية مثل الأمتعة الشخصية والنقود وسائر الأموال المنقولة متى تمت حيازتها فعليا ويطلق على هذا القسم

Choses in possession

ويأخذ القانون الانجليزى بالتقسيم المعروف للملكية سواء فى الشريعة الاسلامية أو القوانين الوضعية الى ملكية تامة وملكية ناقصة •

---

ففى حالة الملكية التامة ( ملكية ذات الشىء ومنفعته) فان المالك يكون له حق استعمال الشىء والتمتع به واتلافه والتصرف فيه للآخرين سواء بالبيع أو الهبة أو الوصية أو غير ذلك من التصرفات مع ملاحظة أنه بالنسبة لاستغلال ما فى باطن الأرض من فحم وحديد وبترول وسائر المعادن فان هذا الحق يحرم منه مالك الأرض فى انجلترا وينقل الحق فى هذا الاستغلال الى الدولة بحكم القانون ولا يمكن لمالك الأرض الاحتفاظ بها أو استغلال ما فى باطنها بنفسه وتعوضه الدولة عن ذلك تعويضا عادلا وهذا المبدأ يتفق تماما مع آراء بعض الفقهاء المسلمين من اعتبار ما فى باطن الأرض من معادن وخلافه ملكا خالصا للدولة لأن الأرض لا تطلب لهذا الغرض على أساس أن الأرض تطلب اما لزراعتها أو للبناء عليها فقط •

أما بالنسبة للملكية المنفعة فان نطاقها يتحدد حسب ما هو مشروط فى الاتفاق أو المصدر الذى آلت بموجبه المنفعة لصاحب الحق فيها •

ثالثا ــ ان وسائل نقل الملكية هى : البيع والهبة والوصية والميراث والاستيلاء على الأموال المباحة ونتاج الأموال الأصلية ( مثل تكاثر الحيوانات ) accession ونزع الملكية للمنفعة العامة فتصبح الدولة مالكة بحكم القانون ونزع الملكية وارسائها على الغير بحكم قضائى وصنع شىء من أول الأمر كالرسام الذى يقوم برسم لوحة معينة فمصدر ملكيته لها هو صنعه

اياها وتختلف أحكام بيع الأرض عن غيرها من الأموال أو المنقولات •

فعقد بيع الأرض عقد شكلى a formal contract فيشترط القانون صياغته بشكل محدد والا كان باطلا وعديم الأثر وطبقا لأحكام المادة ٤٠ من قانون الملكية الصادر سنة ١٩٢٥ يشترط فى عقود بيع الأراضى أن تكون مكتوبة وأن تتضمن اتفاق الطرفين على البيع ووصف لأطراف العقد ووصف للعقار المبيع وقيمة الثمن المتفق عليه وتوقيع طرفى العقد أو من يمثلهما قانونا • ويجب أن يثبت البائع صحة ملكيته عن فترة الخمسة عشر عاما السابقة على البيع وأن يستخرج على نفقته الأوراق والمستندات اللازمة لذلك • ولتوفير الضمانات للمشترين أنشأت الحكومة سجلين عقاريين الأول سجل الأراضى Land Registry وهو يضم عددا من رجال القانون ووظيفتهم التحقق من صحة التصرفات المتعلقة بالأرض وبعد ذلك اجراء قيد المالك الجديد بالسجل المذكور ومتى تم هذا القيد أصبح هذا القيد نهائيا ومضمونا من الدولة فلا يستطيع أحد الاحتجاج بخطأ هذا القيد أو مغايرته للحقيقة لمنازعة المشترى من صاحب هذا القيد ولا يقتصر القيد فى هذا السجل على البيع فقط وانما يمتد أيضا الى الايجار متى كانت مدته أربعين عاما والقيد بهذا السجل اجبارى وفى حالة ما اذا كان هناك شك فى صحة الملكية يقيد المالك على أنه مجرد حائز للأرض فقط الى أن يزول كل شك فى ملكيته a possessary title only

ويمنح هذا السجل شهادة بالملكية a land certificate تحل محل جميع عقود ومستندات الملكية •

أما السجل الثانى فهو سجل خاص باثبات جميع الأعباء المحملة بها الأرض كحقوق الارتفاق والرهون والديون والحجوز والطلبات المقدمة من مشترين سابقين وغيرها ويمكن لأى مشترى الرجوع الى هذا السجل للتعرف على حقيقة الوضع بالنسبة للأرض التى يرغب فى شرائها •

ويعتبر القيد فى هـذا السـجل بمثابة اعلام أو اخطار من البـائع الى المشترى بكل هذه الأعباء سواء علمها المشترى حقيقة أم لم يعلمهـا فاذا كان على الأرض المبيعة عبء من الأعباء ولكنه غير مسجل ويعـلم به المشترى فان البـائع لا يمكنـه الاحتجاج على المشترى بهذا العلم ويظل البـائع مسـئولا عنه أمام المشترى لأنه لم يسجله ، ومسئولية البحث فى هذا السـجل تقـع على المشترى لأنه صاحب المصلحة فى ذلك

كما يعتبر القيد فى هذا السجل ضمانا لأصحاب الحقوق المقيدة به فان لم يقيد أصحاب هذه الحقوق حقوقهم بهذا السجل وتم البيـع فلا يعتبر المشترى مسئولا أمامهم عنها حتى ولو كانت ديونا حـكومية فمثـلا يتحمل أصحاب العقارات فى انجلترا بتكاليف المشروعات الجديـدة التى تستفيد منها عقاراتهم كتوسيع الطرق مثلا فاذا لم تقيد السلطات الحكومية قيمة حصة العقار فى مقابل التحسين بالسجل المذكـور وتم البيـع فان المـالك الجديد لا يكون مسئولا عن سـداده للسلطات الحـكومية ولا تملك مطالبته به وانما ترجع على البائع وحده .

أما بالنسبة للمنقولات والبضائع فان القاعدة الأساسية أنه لا يمكن نقل ملكيتها الا بواسـطة المـالك الحقيقى لها أو ممثله القانونى وهذا الحكم ينفرد به كـلا من القـانون الانجليزى والشريعة الاسلامية عن جميع الشرائع والقوانين الوضعية .

فالقوانين الوضعية لا تجيـز استرداد المسروقات من مشتريهـا حسن النية وتسليمها لمالكها الأصلى الا اذا تم ذلك فى خلال مدة معينة من تاريخ السرقة ( أغلب التشريعات تحدد هذه المدة بثلاث سنوات فقط) وبشرط أن يدفع المـالك للمشترى حسن النية قيمـة ما دفعـه الأخير للسـارق أو غيره . أما القـانون الانجليزى فلا يأخذ بمثـل هـذا الوضع اطلاقا فلو أن سيارة مثـلا سرقت وتم تداولها بالبيع بين عشرات المشترين حسنى النية لعشرات السنين ثم ظهر بعد ذلك مالكها الأصلى الذى سرقت منه فانه يستطيع استردادها من حائزها الأخير دون أن يدفع له أى مبلغ .

ويرد على قاعدة عدم امكان نقل الملكية الا عن طريق المالك أو ممثله القانونى استثناء هام اقتضته ظروف التجارة بانجلترا وتشجيعها عمليات التصــدير بكل الطرق ، فالأصل فى القانون الانجليزى أن الملكية تنتقل من البائع الى المشترى بمجرد عقــد البيع ، ويترتب على ذلك أن تصبح البضــائع المبيعــة ملكا للمشترى ويكون هلاكها تحت يد البائع على المشترى ( ما لم يتفق على غير ذلك ) وتدخل فى تفليسة المشترى وفى تركته حتى ولو لم يدفع ثمنهــا ولا يملك البائع حق حبسها عن المشترى لحين استيفائه الثمن ، واذا أفلس المشترى ولم يكن البائع قد تقاضى الثمن فانه يدخـــل ضـــمن باقى الدائنـــين فى التفليسة دون أى امتياز له عليهم .

ورغم كل هذه النتائج التى تترتب على انتقال الملكية للمشترى بمجرد اتمـام عقــد البيع فان القــانون الانجليزى قد خرج على هذا الأصل بأن أباح للبــائع اعادة بيع هــذه البضائع اذا تركها المشترى فى حيازة البائع وتعويض المشترى عنها فمثلا اذا كان لدى بائع الأقمشة مائة ثوب من نوع معين باع منها عشرين ثوبا ولكنها ظلت فى حيازته ولم يتسلمها المشترى ثم جاءه شخص آخر يطلب شراء المــائة ثوب بأكملها والا فانه لن يشترى الثمانين ثوبا الباقية ، فان القانون الانجليزى يسمح للبائع بأن يبيع للمشترى الجديد المــائة ثوب بأكملها رغم أن منها ٢٠ ثوبا لم تعد مملوكة له لسبق بيعه لها ، وينحصر حــق المشترى الأول فى التعويض النقدى ولا يملك الزام البائع بتسليم الأثواب المبيعة له .

ويشترط القــانون الانجليزى فى البيع أن يدفع الثمن بالنقود .

وبالنسبة للوصية فان القــانون الانجليزى يجيز الوصية بكل الملك ولأى فرد ، وقد كانت المرأة المتزوجة ممنوعة من أن توصى لأى فرد حتى سنة ١٨٨٢ حيث سمح لها بالوصية بعد صدور قانون بذلك Married women's property Act, 1882.

ويشترط لصــحة الوصية أن تكون مكتوبة وصــادرة من شخص بالغ

وعاقل ويستثنى من شرط بلوغ سن الرشد العسكريين من جنود وبحارة وطيارين فى الميدان فتعتبر وصاياهم صحيحة متى كان سن الواحد منهم لا يقل عن أربعة عشر عاما كما تصح وصيتهم الشفهية ، وفى سنة ١٩٣٨ رأى المشرع الانجليزى أن ترك الحرية فى الوصية بكل الثروة وحرمان الورثة فيه أجحاف كبير فى بعض الحالات ، ولذلك عالج هذا الوضع فى قانون المواريث الصادر فى سنة ١٩٣٨
Inheritence Act, 1938.

فأعطى هذا القانون للمحكمة حق تعديل الوصية بناء على طلب الزوج أو الزوجة أو الابنة التى لم تتزوج أو الأولاد الذين لا يستطيعون كسب عيشهم فهؤلاء جميعا لهم الحق فى التقدم للمحكمة لاعادة توزيع الأموال الموصى بها بينهم وبين الموصى له ، وللمحكمة سلطة واسعة فى هذا الخصوص بل لها حق حرمان الموصى له من أى قدر من الأموال الموصى بها متى كانت هذه الأموال لا تتجاوز قيمتها خمسة آلاف جنيه وبذلك يقترب القانون الانجليزى من المبدأ المأخوذ به فى الشريعة الاسلامية من حماية الورثة وضرورة أن يؤول اليهم جزء من أموال مورثهم .

وبالنسبة للميراث فان الورثة ينقسمون فى القانون الانجليزى الى خمس طبقات : الطبقة الأولى الزوج والزوجة ، والثانية الأولاد ، والثالثة الوالدين ، والرابعة الأخوة والأخوات والخامسة باقى الأقارب وهناك جداول لتوزيع الميراث وتقسيمه بين كل من هذه الطبقات التى يرث بعضها فى المنقولات ولا يرث فى العقارات والذى يتحدد نصيب بعضها بمبلغ نقدى وليس بحصة معينة فى التركة والمبدأ السائد فى القانون الانجليزى أن حصة كل طبقة فى الميراث توزع بين أفرادها بالتساوى بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة .

وبالنسبة للهبة : Gifts فان الملكية لا تنتقل الا اذا انتقلت حيازة الشىء الموهوب الى الموهوب له بواسطة الواهب Donor Deed فعلا وحقيقة، ويستثنى من شرط انتقال

الحيازة الفعلية الهبات التى تتم بمحرر رسمى Deed فانه لا يشترط فيها انتقال الحيازة الفعلية من الواهب الى الموهوب له •

ولا يجيز القانون الانجليزى الرجوع فى الهبة بعد تمامها قانونا (بالحيازة الفعلية أو المحرر الرسمى) لأى سبب من الأسباب ، وذلك على عكس معظم الشرائع الوضعية التى تجيز الرجوع فى الهبة،وعودة المال الموهوب للواهب فى حالات معينة •

ويأخذ القانون الانجليزى بالهبة المشروطة،ويجيز للواهب استرداد ما قدمه على سبيل الهبة اذا لم يتحقق الشرط وذلك مثل خاتم الخطوبة فانه يجوز للخاطب استرداده من مخطوبته اذا لم توافق على اتمام الزواج، وكذلك الهبة المشروطة بتحقق الوفاة فلو شارف أحد على الهلاك فانه قد يهب أحد الذين بجانبه بعض مايحمله من نقود أو غيرها فهذه الهبة لا تنتج أثرها فى نقل الملكية للموهب له الا بعد وفاة الواهب فاذا قدر له أن يعيش فان له أن يسترد ما سلمه للموهوب له وأن يمتنع عن تسليمه ما وهبه اياه ان لم يكن قد سلمه له لأنها هبة مشروطة بوفاة الواهب •

رابعا ـ بالرغم من أن القاعدة الأساسية فى القانون الانجليزى هى عدم سقوط أى حق وعدم اكتساب أى حق بمضى المدة الا أن المشرع الانجليزى قد أورد استثناء محدودا على هذه القاعدة فى سنة ١٩٣٩ Limitation Act, 1939 فاعتبر أن الحيازة قرينة على الملكية فاذا استمرت الحيازة مدة طويلة دون أية معارضة مدة اثنى عشر عاما فى العقار وستة أعوام فى المنقول دون انقطاع وبنية التملك ولم يكن هناك أى سبيل لمعرفة المالك الحقيقى أو الوصول اليه فهذا الحائز يعتبر مالكا فى مواجهة الجميع فيما عدا المالك الحقيقى اذا ظهر •

خامسا ـ يأخذ القانون الانجليزى بنظام فى الملكية يكاد يماثل نظام الوقف فى الشريعة الاسلامية تماما وهذا النظام يسمى ملكية الترست Treus Property وفى هذا

النظام يعهد أحد الأشخاص The Settlor الى فرد أو أفراد أو هيئة معينه Trustees بادارة الممتلكات أو الأموال التى يحددها وتسليم ريعها الى فرد أو أفراد أو هيئات معينة Beneficiaries طبقا لما هو محدد بوثيقة الترست . وسمى هذا النظام بالترست لأن أساسه الثقة التى تتوافر لدى منشىء الترست فى هؤلاء الأشخاص المختارين بمعرفته لادارة هذه الأموال .

وملكية أموال الترست تعتبر ملكية مزدوجة لكل من مديرى الترست والمنتفعين به فمدير الترست يعتبر المالك القانونى وصاحب الحق فى الادارة والتصرف فى أموال الترست بكافة أنواع التصرفات ومن ناحية أخرى فان هذه الادارة وهذه التصرفات انما تتم لصالح المنتفعين وحدهم دون مدير الترست .

ويستطيع منشىء الترست أن يكون هو مدير الترست والمنتفع به تماما كما يوقف أحد الأشخاص على نفسه ثم على ذريته من بعده يتولى هو النظارة على الوقف .

ولمدير الترست رفض تعيينه مديرا للترست فتعين المحكمة مديرا آخر غيره وان كان القانون يجيز أن يدخل فى ملكية الترست كل الأموال العقارية والمنقولة مهما كان نوعها الا أنه من الناحية العملية تقتصر ملكية الترست على العقارات والأوراق المالية من أسهم وسندات فقط .

وينقسم الترست الى قسمين ترست خاص Private Trust وترست خيرى Charitable Trust وهو فى هذا يماثل تقسيم الوقف الى وقف أهلى ، ووقف خيرى فالترست الخيرى هو : ما كان المقصود منه مساعدة الفقراء أو تحقيق أغراض ثقافية أو دينية أو اجتماعية بصفة شاملة وتعم فائدته الجماهير كمجموع public benefit وليس أفرادا معينين بذواتهم specified individuals

وقد حكم ببطلان الترست المنشأ لتعليم أحد الأطفال،وبصحة الترست المنشـأ لصـالح الفقراء من أقارب ومستخدمى منشىء الترست .

والغرض من نظام الترست الخاص فى القانون الانجليزى هو حماية ناقصى الأهلية وغيرهم من ذوى العـاهات غير القـادرين على اعالة أنفسهم أو رعاية مصـالحهم من أقارب منشىء الترست،وهو نفس الهدف فى نظام الوقف الاسلامى فى بعض الأحيان .

أما نظام الترست الخيرى فالغرض منه دعم الروابط والقيم الاجتماعية والدينية .

ويتم تسجيل الترست الخـيرى لـدى مـكتب حـكومى خـاص The Charity Commissioners وهذا المكتب يقوم بالرقابة والتفتيش على مديرى الترست الخيرى وله حق اتخاذ الاجراءات القانونية اللازمة فى جميع الأحوال ، وتعفى الحـكومة البريطانيـة كل أمـوال وايرادات الترست الخيرى من جميـع أنواع الضرائب .

وتتدخل المحكمة فى تعيين وعزل مديرى الترست الخاص ، والترست الخيرى ، ويلتزم هؤلاء المديرون فى ادارتهم لأموال الترست ببذل العناية والحـرص اللازمين ويحظـر عليهم تحقيق أى فائدة شخصية عن طريق الترست والا التزموا بردها لأموال الترست ويسألون مسئولية مدنيـة وجنائية عن كل خطأ وعن كل خسائر تحدث نتيجة هذا الخطـأ ويحـدد القـانون الانجليـزى أنـواع الاستثمارات التى يجوز لمديرى الترست اسـتثمار أمـوال الترست فيها .

ويلتزم مدير الترست بسلك حسابات خاصة بالترست والاجـابة على كل سـؤال للمنتفعين وعـرض هـذه الحسابات عليهم للمراجعـة ويخضـع فى جميع الأعمال المتعلقـة بالترست لرقابة المحكمة .

ونظرا لأن نظام الترست الخاص فى القـانون الانجليزى يبيح لمدير الترست اجراء أى تصرف قانونى فى أمـوال الترست ولو بالبيـع على

خلاف نظام الوقف الاسلامى وتحقيقا للحماية الكافية للنتفعين بأموال الترست أعطى القانونى الانجليزى للمنتفعين حق التتبع لأموال الترست فى أى صورة يتم تحويلها اليها وتحت أية يد كانت ، وذلك فضلا عن المسئولية المدنية والمسئولية الجنائية لمدير الترست ومن تصرف لصالحه ان كان الأخير متواطئا معه الاضرار بالمنتفعين الى جانب ابطال التصرف فى الحالة الأخيرة ٠

ونظرا لأن تعيين أشخاص بذواتهم كمديرين للترست يعرض ادارة الترست لبعض الخلل نتيجة مرضهم، أو وفاتهم ، أو استقالتهم من ادارة الترست والوقت الضائع فى تعيين بديل عنهم لذلك سمح القانون الانجليزى بتكوين هيئات خاصة لادارة الترست Trust Corporations حتى يكون هناك ضمان كاف للمنتفعين ٠

ومن هذه الهيئات البنوك البريطانية، وشركات التأمين ، كذلك أنشأت الحكومة البريطانية هيئة حكومية لهذا الغرض أيضا ، وهى تعادل وزارة الأوقاف عندنا The?ublic Trustee قد أنشأتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٠٦

بهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن نظام الملكية فى كل من الشريعة الاسلامية ، والقانون الانجليزى وتتكلم فى العدد القادم انشاء الله عن القانون الجنائى فى كل من الشريعتين ٠

**حسن حسب الله**

---

**شذرات متفرقة**

- يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: « لو ان لى قلاع الأرض لافتديت بها من هول ما أمامى قبل ان أعلم ما الخبر .
- قال يحيى بن معاذ: بئس الأخ اخ تحتاج ان تقول له اذكرنى فى دعائك

# حوار ذوى البصائر

للأستاذ السيد حسن قرون

فى تاريخ الأمة الاسلامية مواقف لعلمائها مع خلفائها وقادتها تعطينا المثل الأعلى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : وتقدم لنا صورة قريبة للعظة والاعتبار ، وترسم للمسلم فى كل عصر وعهد واجبه نحو ربه ومجتمعه ، وستجد الحوار الذى يدور ويعتمد دائما على الكتاب والسنة ، وفى ضوئهما يتبين وجه الحقيقة باهرا ، فيخضع له الراعى والرعية ، ولا يجد الرئيس غضاضة فى الاعتراف بالحق ، واتباع سبيله .

من هذا القبيل ما جرى بين الخليفة ( سليمان بن عبد الملك ) والعالم ( أبى حازم ) وقبل أن نورد لك الحوار نحدثك حديثا موجزا عن كلا الرجلين حتى تجىء الصورة واضحة ناصعة ، فالخليفة سليمان ( ٩٦ هـ - ٩٩ هـ ) ولى الخلافة بعد أخيه ( الوليد ) وفقا لنظام ولاية العهد فى ذلك الحين ، وكان سليمان له سجايا طيبة تؤهله لمنصبه الخطير ، فهو شاب جميل المنظر ، فصيح اللسان ، تربى فى البادية عند أخواله ( بنى عبس ) فنشأ قوى الجسم ، بعيدا عن أمراض الحضر ، وأوضار الترف ، وكان أبوه يفخر بفصاحته ، قال لخالد بن يزيد بن معاوية فى مراء جرى بينهما « ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان » وكان غيورا الى درجة أنه خصى فتى كان فى عسكره سمعه يغنى بأبيات غناء مطربا . وصفها لجلسائه قائلا : « والله لكأنها جرجرة الفحل فى الشول (١) ، وما

(١) النوق .

أحسب أنثى تسمع هذا الا صبت » وكان يكره الظلم ومقترفـه ، وما عداوته للحجاج الثقفى الا أنه كان يسرف فى ارتكاب المظالم والدماء .
قال الرواة : كانت ولاية سليمان يمنا وبركة ، افتتحها بخير ، وختمها بخير افتتحها برد المظالم واخراج المساجين، وختمها بخير ، باستخلافه (عمربن عبدالعزيز)قالوا: فعل سليمان فى يوم واحد ما لم يفعله عمر بن عبد العزيز طوال عمره ، أعتق سبعين ألفا من مملوك ومملوكة وكساهم ، ويذكرون فى ذلك أن مفاخرة جرت بين ولد لعمر بن عبد العزيز ، وولد لسليمان ، فذكر ولد عمر فضل أبيه وحاله ، فقال له ولد سليمان : ان شئت أقل ، وان شئت أكثر ، فما كان أبوك الا حسنة من حسنات أبى يشير الى توفيق سليمان فى اختيار عمر خليفة بعده . ويصفه المؤرخون بأنه كان أكولا ، ويقصون فى ذلك القصص ، كما يصفونه بالزهو بنفسه ، من ذلك أنه لبس يوما واعتم بعمامة ، وكانت عنده جارية حجازية، فقال لها : كيف ترين الهيئة ؟ قالت : أنت أجمل العرب لولا ... قال : على ذلك لتقولن . قالت :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى
غير أن لا بقاء للانسان

أنت خلو من العيوب ومما
يكره الناس غير أنك فان

فتنغص عليه ما كان فيه ، فما لبث بعدها الا أياما حتى توفى وسنه ثلاث وأربعون سنة . وفى عهده كانت الدولة الاسلامية امبراطورية مترامية الأطراف من ( فرغانة ) شرقا الى ( غانة ) غربا ، هذا هو الخليفة فمن أبو حازم ؟

أبو حازم (سلمة بن دينار ) مولى (ليث بن بكر) وقد يقال له أبوحازم المدنى ، وكان أعرج يتولى قص القصص بمسجد المدينة المنورة . توفى سنة ١٤٢ هـ وله أقوال مشهورة فى الزهد والقناعة ، يروى سعيد بن جبير عن أبيه أن عبد الملك بن مروان قال حين ثقل ورأى غسالا يلوى ثوبا

بين يديه ، وددت أنى كنت غسالا لا أعيش الا بما أكتسبه يوما فيوما، فذكر ذلك لأبى حازم فقال : الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ، ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه . فماذا جرى بينه وبين الخليفة سليمان ؟

أزمع سليمان أن يؤدى فريضة الحج فخرج من دمشق فى موكب فخم ، فحط رحاله فى المدينة ، فاستقبله أهلها استقبالا كريما ، اشترك فيه وجوه القوم ، فقضى أياما حافلة بالذكريات المجيدة طاف بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والأماكن التى شرفت باشراقات سيد الخلق عليها ، وكان فى مقدمة من استقبله وسايره وجالسه ( محمد بن شهاب الزهرى) وهو رجل له مكانته العلمية والدينية ، وحسبك أنه حظى برؤية عشرة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وذات يوم سأل سليمان من حضره ، هل بالمدينة أحد أدرك أحدا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا له : أبو حازم ، فأرسل اليه ، فلما دخل عليه واطمأن به المجلس . قال سليمان : يا أبا حازم ، ما هذا الجفاء ؟ وهذا خطاب لطيف من الخليفة . قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن ، ما عرفتنى قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك ، فالتفت الخليفة الى ابن شهاب الزهرى وقال : أصاب الشيخ وأخطأت .

وهذه الكلمة من الخليفة تفيد أن ابن شهاب نال من أبى حازم ، وآفة العلماء الحسد ، وأنا أعتذر لابن شهاب من قولى هذا فهو من ( زهرة ) أخوال الرسول ، ومن زهرة الصحابيان الجليلان : عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، ولكن هكذا فهمت . ولنتابع الحوار ، وهو بيت القصيد فى المقال . قال الخليفة : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أخربتم الآخرة ، وأعمرتم الدنيا ، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب ، قال : أصبت يا أبا حازم . قال سليمان : فكيف القدوم غدا

على الله تعالى ؟ قال : أما المحسن فكالغائب عن أهــله ، وأما المسىء فكالآبق يقــدم على مولاه . فبكى سليمان ، وقال : ليت شعرى ما لنا عند الله ؟! قال : اعرض عملك على كتاب الله . قال : وأى مكان أجده؟ قال : « ان الأبرار لفى نعيم . وان الفجار لفى جحيم » قال ســليمان: فأين رحمة اللــه يا أبا حازم ؟ قال أبو حازم : رحمة اللــه قريب من المحسنين . قال له سليمان : يا أبا حازم ، فأى عباد الله أكرم ؟ قال : أولو المروءة والنهى ، وهذا الجواب اشارة ذكية الى قوله تعالى : « انما يتذكر أولو الألباب » وكان المتبادر الى الذهن أن يقول : ان أكرمكم عند الله أتقاكم ــ قال ســليمان : فأى الأعمال أفضل ؟ قال أبو حازم: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم . قال سليمان : فأى الدعاء أسمع ؟ قال : دعاء المحسن اليه للمحسن . فقال : أى الصدقة أفضل ؟ قال : للسائل البائس وجهد المقل ليس فيها من ولا أذى . قال : فأى القــول أعدل ؟ قال : قول الحق عنــد من تخافه وترجوه . قال : فأى المؤمن أكيس ؟ قال : رجل عمل بطاعة الله، ودل الناس عليها . قال : فأى المؤمن أحمق ؟ قال : رجل انحط فى هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيــا غيره . قال له سليمان : أصبت، فما تقول فيما نحن فيه ؟ ــ لقد بلغنــا محنة الامتحان ، ومحك الايمان ، ومجال قــوله الحق ــ ولذلك قال أبو حازم ، أو تعفينى ؟ قال سليمان: لا ، ولكن نصــيحة تلقيها على ــ وهنا بدا ذكاء الخليفة فهو فى جمع من الناس ويريد أن يكون الجواب نصيحة تؤدى فى المستقبل ــ فبماذا أجاب أبو حازم ؟ قال : يا أمــير المؤمنين ، ان آباءك قهروا النــاس بالسيف ، وأخذوا هذا الملك عنوة على غــير مشــورة من المســلمين ولا رضا لهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، فقد ارتحلوا عنها فهــل شعرت ما قالوه وقيل لهم ؟ وهــذه العبــارة تلخص حــكم بنى أمية ، والصراع الذى دار بينهم وبين بنى عمــومتهم من هاشــم والزبيريين ، والدماء التى سالت ، والألوف التى قتلت ، والمبــادىء التى انتهكت ،

فقد أصبحت الشورى فى خبر كان ، وصارت الخلافة ملكا عضوضا ، ولم يعد هناك رأى للشعب فى اختيار خلفائه — كما جرى فى عهد الخلفاء الراشدين .

ولما كان أبوحازم قد مس السلطان بكلامه قال أحد الحاضرين : بئس ما قلت يا أبا حازم . قال أبو حازم: كذبت ، ان الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه . لم يغضب سليمان ولم يقطب جبينه بل قال : فكيف لنا أن نصلح ؟ قال : تدعون الصلف ، وتمسكون بالمروءة ، وتقسمون بالسوية . قال سليمان : فكيف لنا بالمأخذ منه ؟ قال : تأخذه من حله ، وتضعه فى أهله .

أعجب الخليفة بقاص المدينة وود أن يصحبه ويكون فى بطانته ، وينقله الى حاضرة الخلافة دمشق . فقال : هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا ، فتصيب منا ونصيب منك ؟ قال : أعوذ بالله . قال سليمان : ولم ذاك؟ قال : أخشى أن أركن اليكم شيئا قليلا ، فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات . قال سليمان : ارفع الينا حوائجك . قال : تنجينى من النار وتدخلنى الجنة . قال سليمان: ليس ذاك الى . قال أبو حازم : فمالى اليك حاجة غيرها . قال : فادع لى . قال أبو حازم : اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة ، وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى . قال له سليمان : « قط » يعنى هكذا دون زيادة . قال أبو حازم : قد أوجزت وأكثرت ان كنت من أهله ، وان لم تكن من أهله فما ينبغى أن أرمى عن قوس ليس لها وتر . قال سليمان : أوصنى . قال : سأوصيك وأوجز ، عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك .

وهذه الوصية الوجيزة هى خلاصة التقوى ، فهى تنهى الخليفة أن يأتى أمرا يغضب الله والنواهى معروفة موصوفة ، وتأمره أن يفعل ما أمره الله ، والأوامر معلومة للمسلم تجمع أركان الاسلام الخمسة والجهاد والصدقة ، وخدمة المجتمع

الى كثير مما يحتاج الى بسط واطناب ، ومرجعه الى قوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

انتهى أبو حازم من نصحه ووصاياه ، وألقى السلام على الخليفة وجلسائه ، وانصرف الى داره ؛ فبعث اليه سليمان بمائة دينار ، وكتب اليه أن أنفقها ولك عندى مثلها كثير . فهل قبلها أبو حازم ؟ تقول الرواية : ان أبا حازم ردها عليه ، وكتب اليه : يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن يكون سؤالك اياى هزلا ، أو ردى عليك بدلا (1) ، وما أرضاها لك ، فكيف أرضاها لنفسى ؟ فان كانت هذه المائة دينار عوضا عما حدثت فالميتة والدم ولحم الخنزير فى حال الاضطرار أحل من هذه ، وان كان لحق فى بيت المال فلى فيها نظراء ، فان ساويت بيننا والا فليس لى فيها حاجة .

وقد تعرض لهذه القصة (القرطبى) فى تفسيره قول الله عز وجل : « ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا » قائلا : هكذا يكون الاقتداء بالكتاب والأنبياء ، انظروا الى هذا الامام الفاضل ، والحبر العالم كيف لم يأخذ على عمله عوضا ، ولا على وصيته بدلا ، ولا على نصيحته صفدا ، بل بين الحق وصدع ، ولم يلحقه فى ذلك خوف ولا فزع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يمنعن أحدكم هيبة أحد أن يقول أو يقوم بالحق حيث كان » وفى التنزيل : « يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » والقرطبى هنا عنى بأمرين : عفة أبى حازم وشجاعته ، ولكن الحوار يعطى مدلولات واسعة أبرزها ما يتصل بالرجلين وموقفهما من الشريعة والمجتمع ، فسليمان الخليفة لا شك فى أنه فى أسئلته كان ينزع عن ايمان ورغبة وثيقة فى معرفة الطريق الموصلة الى رضا الله والناس ، ولذلك كان واسع الصدر ، يتقبل النصح وان جاء فى بعض الأحيان جافيا عنيفا ،

---

(1) راجيا عطاءك .

وانظر اليه يسمع هجو آبائه ونعتهم بالاغتصاب ، وأخذهم الملك بالقوة ، وتركهم الشورى التى دعا اليها القرآن وسار عليها المسلمون على عهد الخلفاء الراشدين ، والواقع أن وجدان الأمة الاسلامية لم يفارقه النزوع الى مبدأ الشورى على توالى العصور وفى أنفس الخلفاء الغالبين ، والوارثين أثر منها ، ومعايشة لها ، ترعاها الضمائر ، وتدور حولها الخواطر ، وكثيرا ما رأينا منهم من يثور على ابن عمه أو أخيه اذا رأى منه حيدة عن الحق وتنكرا لتعاليم الاسلام ، ولكن المصلحة الشخصية كانت تصور لهم أنهم ان دعوا الى الشورى والانتخاب انقسمت الأمة، وضاعت وحدتها كما أشار الى ذلك معاوية رحمه الله حين دعا الى بيعه يزيد من بعده وقد استقر الأمر لبنى عبد مناف من أمية أو هاشم فرضوا أن تكون الخلافة وراثة ، وفى سبيلها كان الصراع .

لذلك كان أبو حازم حازما فى تذكير سليمان بأمر الشورى ، وأن ملكه قائم على القهر والغلبة دون أخذ رأى الرعية ، وقد تحدث أبو حازم عن سياسة المال فى رده على سليمان ورفض أخذ المال ، بين له أنه فرد من أفراد الأمة لايجوز له أن يأخذ من أموالها الا اذا تمت المساواة ، ونال كل فرد نصيبه ، فليس رفضه لمائة الدينار زهدا كما يتبادر للذهن لأول وهلة وانما رفضه من جهة المبدأ ، وهذا المبدأ كان نافذا على عهد رسول الله وخليفته أبى بكر ، ونظمه عمر حين دون الدواوين ففرض لكل مسلم من بيت المال نصيبا ، لكن هذا المبدأ لم يلتزمه بنو أمية ، بل جعلوه لصنائعهم وأنصارهم وللشعراء ليذيعوا فضلهم وينشروا حقهم فى الخلافة مما دعا الخوارج الى الحملة عليهم ، والنكير على بذل الأموال للشعراء ، وبجانبهم كثير ممن أنكروا سياسة المال فى عهدهم ، فأبو حازم أحد الثائرين على تلك السياسة ، وشىء آخر ألمع اليه وهو قوله لسليمان : « تدعوا الصلف » يشير

بذلك الى تعالى بنى أمية على الموالى والأعاجم ، الناس سواسية كأسنان المشط ، وكلهم لآدم ، وآدم من تراب ، ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى هكذا يقول صاحب الرسالة صلوات الله عليه ، ولكن بنى أمية لا يولون واليا ولا قائدا ولا جابيا ولا يؤم الناس فى الصلاة الا عربى ، هذا دينهم ومسلكهم وما حدث بين زيد بن على زين العابدين وهشام بن عبد الملك يصور ذلك المسلك ، استدعى زيد لمقابلة الخليفة هشام فلما دخل عليه قال له هشام : بلغنى أنك تحدث نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها لأنك ابن أمة . قال زيد : أما قولك انى أحدث نفسى بالخلافة فلا يعلم الغيب الا الله ، وأما قولك انى ابن أمة فهذا اسماعيل صلى الله عليه وسلم ابن أمة ، أخرج الله من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم ، واسحق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت ألا ترى نظرة هشام المتعالية حتى على العلوى الذى ينحدر من سلالة فاطمة بنت محمد لما كانت أمه غير عربية رآه غير أهل للخلافة وهو من نسل هاشم سيد البطحاء فما بالك بغيره من الموالى لذلك كان الموالى يتربصون الدوائر ببنى أمية فكانوا شيعة العلويين والعباسيين ، حتى قوضوا ملكهم بزعامة أبى مسلم الخرسانى . وأبو حازم يقول لسليمان « تدعون الصلف » يريد المساواة بين العرب وغيرهم ، وأن يكون التفاضل بالتقوى لا بالحسب والنسب ، والخلاصة أن ذلك الحوار كشف عن رأى الشعب فى الحكم وسياسة المال ، والدعوة الى المساواة وارساء قواعد العدل فى ذلك الحين ، ولنا من ذلك كله اهتداء واقتداء .

**السيد حسن قرون**

# قصة من التراث

## التحرير

لما رجع المعتصم من الثغر وصار بناحية الرقة ، قال لعمرو بن مسعدة: ما زلت تسألني في عمر بن فرج حتى وليته الأهواز ، فقعد في سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ، ولم يوجه الينا بدرهم واحد . أخرج اليه من ساعتك !

فقلت في نفسي : أبعد الوزارة أصير مستحثا على عامل خراج ؟

ولكني لم أجد بدا من طاعة الأمير ، فقلت أخرج اليه يا أمير المؤمنين ...

فقال : احلف لي أنك لا تقيم ببغداد الا يوما واحدا ...

فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد فأمرت ففرش لي زورق ثم خرجت ، فلما صرت بين دير هرقل اذا رجل يصيح : يا ملاح . رجل منقطع !

فقلت للملاح : قرب الى الشط فقال يا سيدي هذا شحاذ فان قعد معك اذاك ، فلم ألتفت الى قوله ، وأمرت الغلمان فأدخلوه فقعد في مؤخرة الزورق فلما حضر وقت الغذاء عزمت أن أدعوه الى طعامي فدعوته ، فجعل يأكل ، أكل جائع بنهامة الا انه نظيف الأكل فلما رفع الطعام أخذت أحادثه ، فقلت :

يا هذا ما صناعتك ؟ .. قال حائك .. ثم قال لي : جعلت فداك قد سألتني عن صناعتي فأخبرتك ، فما صناعتك أنت ؟ .

فكرهت أن أذكر له الوزارة ، وقلت اقتصر له على الكتابة ، فقلت : كاتب ... قال : جعلت فداك ، الكتاب على خمسة أصناف : فكاتب رسائل يحتاج الى أن يعرف الفصل من الوصل والصدور ، والتهاني ،

والتعازى ، والترغيب ، والترهيب والمقصور ، والممدود . وجملا من العربية ... وكاتب خراج يحتاج الى أن يعرف الزرع ، والمساحة ، والتقسيط ، والحساب .. وكاتب جند يحتاج الى أن يعرف مع الحساب الرواتب وشيات الدواب وصفات الناس ... وكاتب قاض يحتاج الى أن يكون عالما بالشروط والأحكام، والفروع ، والناسخ ، والحلال ، والحرام ، والمواريث ... وكاتب شرطة يحتاج الى أن يكون عالما بالجروح ، والقصصان ، والديات .

ـ فأيهم أنت أعزك الله ؟

فقلت : كاتب رسائل ...

فقال : أخبرنى اذا كان لك صديق تكتب اليه فى المحبوب والمكروه وجميع الأسباب فتزوجت أمه فكيف تكتب اليه ؟ .. أتهنيه ، أم تعزيه ؟

فقلت : والله أقف على ما تقول .

قال فلست بكاتب رسائل ...

فأيهم أنت ؟ ...

فقلت : كاتب خراج .. فقال : فما تقول وقد أصلحك الله وقد ولاك السلطان عملا فبثثت عمالك فيه فجاءك قوم يتظلمون من بعض عمالك ، فأردت أن تنظر فى أمورهم وتنصفهم اذ كنت تحب العدل والبر، وكان لأحدهم مزرعة ليس عليها بناء ولا حولها شجر ـ كيف كنت تمسحه قال : كنت أضرب العطوف فى العمود وانظر كم مقدار ذلك ؟ ! قال : اذن تظلم الرجل ... قلت فأمسح العمود على حده ... قال : اذن تظلم السلطان ! .. فقلت والله لا أدرى ! قال : فلست بكاتب خراج، فأيهم أنت ؟ ..قلت : كاتب جند !.. قال : فما تقول فى رجلين اسم كل واحد منهما أحمد ، أحدهما مقطوع الشفة العليا ، والآخر مقطوع الشفة السفلى ، كيف تكتب صفتيهما ؟ .. قلت : كنت أكتب أحمد الأعلم وأحمد الأعلم .قال : كيف يكون هذا ورزق هذا ألف درهم فيقبض هذا على دعوة هذا فتظلم صاحب الألف ... فأيهم أنت ؟ .

فقلت : كاتب قاض ! .. فقال : فما تقول أصلحك الله فى رجل توفى وخلف زوجة وسرية ـ مملوكة ـ وكان للزوجة بنت وللسرية ابن ..

فلما كان فى تلك الليلة أخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتهامكانه فتنازعتا فيه فقالت هذه هذا ابنى ، وقالت هذه : هـذا ابنى ••• كيف تحكم بينهما وانت خليفة القاضى ؟

قلت : والله لست أدرى ! •••

قال : فلست بكاتب قـاض • فأيهم أنت ؟ ! قلت كاتب شرطة : قال فما تقول أصلحك الله فى رجل وثب على رجل فشجه شجة موضـحة بلغت العظم ، فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مأمومة ـ بلغت أم الرأس ؟••

فقلت : ما أعلم ! ••

ثم قلت : أصلحك الله ، قد سألت، ففسر لى ما ذكرت ! •••

قال : أما الذى تزوجت أمه فتكتب اليه : أما بعد : فان أحكام الله تجرى بغير تحـاب المخلوقين والله يختار للعباد ، فخار الله لك فى قبضها اليه• فان القبر أكرم لها والسلام •••

وأما القـداح فتضرب واحدا فى مساحة العطوف فثم بابه •••

وأما أحمد وأحمـد فتكتب صفة المقطوع الشـفة العليا أحمد الأعلم والمقطوع الشفة السفلى أحمد الأشرم•

وأما المرأتان فيوزن لبن هذه وتلك فأيهما كان أخف فهى صاحبة البنت!•

وأما الشـجة فان فى الموضـحة خمسا من الابل وفى المـأمومة ثلاثة وثلاثين ••

قال عمرو بن مسـعده : ولقـد كلمت المعتصم فى شأن هذا الرجل ، فولاه المعتصم الكتابة •••

ارأيت ما كان يشترط لتلك الوظيفة من علم مختلف مع حـذق وفطنـة وعمل ؟!

ابن عبد ربه
فى « العقد » الفريد

---

## دين القيـادة المكافحة

عن سهل رضى الله عنه قال جرح وجه النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه . رواه البخارى ..

# التنشئة الاجتماعية الإسلامية

للدكتور زيدان عبد الباقى

تبـدأ تلك العملية لحظة ولادة الطفل ، بل وقبل ولادته ، بتربية أمه ، وتستمر معه الى مرحلة النضـج الاجتماعى ، ذلك أن الأسرة تتلقى الطفل وتتعهده بالرعاية والعنـاية والحنان الى أن يتعلم الكلام فتبدأ فى تلقينه كل مايفيده فى الحيـاة ، وتنهاه عن كل ما قد يسبب له الضرر لكى يكون كائنا اجتماعيا سـويا ومواطنا فاضلا .

والتنشئة الاجتماعية بهذه الصورة تعتبر من أهم العمليات الاجتماعية فى حياة الانسان ، ومن ثم فان حيـاة الانسان وسلوكياته وشبكة علاقاته الاجتماعية تتأثر فيما بعد بوقائع تلك الفتـرة ، بمعنى أنه اذا كانت تلك الوقائع تحبب الطفل فى الخير وتبعده عن الشر ، فان هذا الطفـل ينشـأ اجتماعيا ايجابيا سويا ... واذا كانت وقائع نفس الفترة تحبب الشر اليـه وتزهده فى الخير ، فان الطفل ينشأ « غير اجتماعى » . Anti-Social أو اجتماعى سلبى غير سوى . ومن هنا فان « التنشئة الاجتمـاعية غير السوية تعتبر عملية اجتماعية سلبية والعكس صحيح » .

وقد ضرب الرسول الكريم أروع الأمثلة فى مجال التنشئة الاجتماعية ، كما بذل من صفاته الرائعـة الكثير حتى يقف الناس على كل زوايا معانى الرسالة التى جاء بها صلى الله عليه وسلم ، فقد كان خلقه القرآن ، كما كانت سجاياه الرحمـة . وكيف لا تكون سجاياه الرحمة وهو الرحمة المهداة الى العالمين ، وصـدق الله العظيم اذ يقول : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ولفظ العالمين يشمل الانس والجن والحيـوانات وجميع المخلوقات . كما أن رحمته لم تكن

نابعة من عقد يعانيها أو رد فعل ليتمه .. لا ، بل هى رحمة الأقوياء البازلين ، وكانت هذه الرحمة نبعا فياضا يستقى منه الرائح والغادى حتى أنها شملت الوليد فى مهده ، كما أصابته وهو فطيم يلعب على ردفيه وهو فى صلاته ، فلم يزجره ولم ينهه ، وانما كان به شفوقا عطوفا ... فقد سمع ذات مرة بكاء طفل فأمر أمه بأن تهدهده وتمسح عنه بكاءه بيدها الحانية بقوله: «ألا تعلمين أن بكاءه يؤذينى » .

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى أطفالا يلعبون ويمرحون ،ورأى طفلا منزويا باكيا ، فذهب اليه الرسول الكريم وقال : مايبكيك أيها الغلام ؟ فقال الطفل : دعنى يارجل فقد مات أبى فى الغزو مع الرسول الكريم ... فقال صلى الله عليه وسلم : أترضى أن أكون أبا وفاطمة لك أختا وعائشة لك أما . فقال الطفل : عفوا يارسول الله، ثم أخذه الرسول الى منزله وأطعمه وكساه وأعطاه نقودا ثم قال له الرسول الكريم : العب مع اخوانك .. فلما رآه الأطفال مزهوا فخورا ، قالوا : مالك أيها الطفل ؟ كنت منذ لحظات باكيا والآن نراك فرحا مسرورا ؟ فقال الطفل مجيبا : لقد رأيت أبا خيرا من أبى وأما أكرم من أمى .

ومن أقواله صلى الله عليه وسلم: « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » وقوله أيضا : «سبعة يظلهم الله فى ظله، يوم لا ظل الا ظله .. امام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله » . ولقد كان صلى الله عليه وسلم يعرف للعلاقة الأبوية مكانتها التربوية وأثرها فى تنشئة الأطفال ، فقد أبصره الأقرع ابن حابس يقبل الحسن ، فقال : ان لى عشرة من الأبناء ما قبلت واحدا منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لا يرحم لا يرحم» ويزيد هذا المعنى تأكيدا ما اشتهر عنه من حدب وعطف على الأطفال حيث روى أنه صلوات الله وسلامه عليه مر ببيت فاطمة فسمع حسينا يبكى فقال لفاطمة : ألا تعلمى أن بكاءه يؤذينى؟

ومما يروى أن أحد أبناء فاطمة قد علا منكبيه وهو ساجد فى صلاته

فأطال سجوده حتى لا يشق على الطفل من طول اعتلائه المنكبين . ولقد امتدت رحمته من محيط أسرته الى الصبيان من غير أسرته ، من أتباعه وأحبابه ، فقد لاحظ ذات يوم فى مجلس عائشة رضى الله عنها امرأة رثة الثياب ، وتعلو قسمات وجهها الجميل كآبة ، كما كانت كسيرة الرنوات ، زرية الهيئة ... فيسأل صلى الله عليه وسلم عن أمرها ، ولعله كان يعلم عنها أنها ينبغى أن تكون فى بحبوحة من العيش ورغادته ، فيخبر أن زوجها عبد الله بن عمرو بن العاص يصوم دائما ويقوم الليل كله ، صارفا وقته كله للعبادة ولا شىء غيرها ... ومن هنا فان الرسول صلى الله عليه وسلم تعهد عبد الله بالنصح والارشاد قائلا له : بلغنى أنك تصوم النهار وتقوم الليل ، فلا تفعل فان لجسدك عليك حقا ولعينيك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ... صم وأفطر ... الخ » وانصرف عبد الله ، وبعد حين عادت زوجته لزيارة عائشة وهى طليقة المحيا متعطرة ، ترفل فى الجديد والنظيف من الثياب ، مزدانة بالدين السمح ، مزدادة به تمسكا وكذلك كان « عطفه » على الكبير والصغير ، يعم كل ضعيف حتى الحيوان فهو القائل : «ومن لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا » .

وكان صلى الله عليه وسلم يربى الناس على الرحمة بالحيوانات ، لكى تكون مدخلهم الى الرحمة بالانسان فعن عبد الله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل بستانا لرجل من الأنصار ، فاذا فيه جمل ، فما أن رأى الجمل النبى ، حتى زرفت عيناه وجن ... فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عنه فسكت . وقال الرسول الكريم من رب هذا الجمل ؟ » فقال فتى من الأنصار : هو لى يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها ، فانه شكى لى أنك تجيعه وتدئبه ... » . ومن الدروس التربوية المشابهة أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : « عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت ، لا هى سقتها وأطعمتها ولا هى تركتها حتى تأكل من خشاش الأرض » .. وتلك أمثلة لتوجيهاته التربوية حول الحيوانات

... فما بالك بتوجيهاته التربوية حول الانسان ؟!

ولقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على تربية الناس على احترام مشاعر الآخرين والأمثلة على ذلك كثيرة . فقد كان حريصا ـ على سبيل المثال ـ على شعور وكرامة السيدة صفية بنت حيى به أخطب زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتى كانت من يهود بنى النضير . فقد حدث خلاف بينها وبين السيدتين عائشة وحفصة زوجتا رسول الله فقالا لها: نحن أكرم على رسول الله منك ، فشكت ذلك للحبيب المصطفى فقال لها : ألا قلت لهما وكيف تكونان خيرا منى وزوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى . وكذلك ما روى من السيدة عائشة أم المؤمنين لقبتها مرة باليهودية ، فهجرها رسول الله شهرين كاملين عقوبة لها وتأديبا .

وقد عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنشئة الاجتماعية السوية للشباب حيث كان يتعهده بالموعظة والتوجيه ، ويلقنه المبادىء الصحيحة والأخلاق الكريمة، تقديرا منه لرسالة الشباب ، وأنه عماد الأمة وقوتها . فقد قال عليه الصلاة والسلام « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » .

وقال مرة لابن عباس وكان راكبا خلفه : أيا غلام ، ألا أعلمك كلمات يحفظك الله بهن ؟ » فقال : بلى يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام: احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك ، لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

ولم ينس صلى الله عليه وسلم آداب المعاملة ، فقد طلب أعرابى يوما من النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فأعطاه اياه، ثم قال له : أأحسنت اليك ؟ فقال الأعرابى : لا ، ولا

أجملت ، فغضب المسـلمون ممن كانوا حاضرين ذلك الحوار وقاموا اليـه ... فأشار النبى اليهم بأن كفوا ؟ : ثم دخل منزله وأرسل الى الأعرابى وزاده شيئا ، ثم قـال : أأحسنت اليك ؟ فقال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقـال له النبى : انك قلت ما قلت وفى نفس أصحابى شىء من ذلك ، فاذا أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى تذهب من صدورهم ما فيها عليك . قال نعم : فلما كان الغداة جاء فقال النبى : ان الأعرابى قـال ما قـال فزدناه ، فزعم أنـه رضى ، أكذلك يا أعرابى ! ؟ فقال الأعرابى : نعـم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال النبى لأصحابه : ان مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فتبعها النـاس فلم يزيدوها الا نفورا ، فناداهم صاحب الناقة : خلوا بينى وبين ناقتى ، فانى أرفق بها وأعلم . فتوجـه صاحب الناقة بين يديها ، وأخذ لها من قمام الأرض فـردها هونا حتى جـاءت واستناخت وشد عليهـا رحلهـا واستوى عليها ... وانى لو ترككم حيث قال الرجل ما قـال فقتلتموه دخل ودخلتم النار » .

وفى واقعة أخرى مشابهة ، وفيها يروى أن يهوديا كان له دين ، فأراد أن يطلب دينه قبل حلول أجلـه ، فاعترض رسول الله ــ فى طريـق المدينة ــ فقال اليهودى : انكم بنى عبد المطلب قوم مطل « مماطلون » ورأى عمر ذلك فاشتد غضبه وقال: ليأذن لى رسول الله فأقطع عنقه ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أنا وصاحبى أحوج الى غير هـذا يا عمر ، مره بحسن التقاضى ومرتى بحسن الأداء . ثم التفت الى اليهودى وقال : يا يهودى ، انما يحل دينك غدا» وهكذا كانت التربية الاسلامية التى تقوم على الحلم وما أعظمه من حلم ، حبذا لو اقتدينـا به فى كل علاقاتنا ومعاملاتنا .

ومن التوجيهات التربوية للرسول الكريم التى أكدتها النظـريات البيولوجية ، ما يتصل بالوعاء الذى يتكون فيـه الجنين ، وضرورة أن يكون وعاءا طاهرا بعيدا عن الدنس ولمـا كانت التنشئة الاجتماعية

للطفل تبدأ قبل ولادته ، فقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على سلامة تلك التنشئة عن طريق الاهتمام بالأسرة الاسلامية ، التي يعرف فيها كل فرد حقوقه وواجباته بحيث تستقيم أمورها على دعائم الدين الحنيف ، لكي تكون أسرة مثالية . فالدين يمهد لها الطريق القويم ويجعل سبيلها الايمان وقبلتها رضوان الله ، ونبضات فؤادها : لا اله الا الله وأنفاسها محمد رسول الله . والزواج الذي تقوم عليه الاسرة الاسلامية شركة بين رجل وامرأة يسعيان الى معيشة صالحة وتقديم مواطنين صالحين للمجتمع بما تقوم عليه من حسن اختيار طرفي الزواج لبعضهما البعض طبقا لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » وعلى التكافؤ بين الزوجين من حيث المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي حتى يتيسر لها الاستقرار الاجتماعي الضروري للتنشئة الاجتماعية السليمة .

فالوعاء الطيب لا يخرج منه الا طيبا ، فكثيرا ما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يؤكد ذلك بالحديث عن عراقة أصله ، وطهارة نسبه ، وأن سلسلة بيته لم تتلوث بسفاح الجاهلين .فقد روى الامام على بن أبي طالب رضى الله عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء » .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى اللهعليه وسلم « لم يلتق أبواي قط على سفاح ، لم يزل ينقلني من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة مصفا مهذبا لا تنشعب شعبتان الا كنت في خيرهما » .

ونبينا الكريم بصفاته هذه جاء استجابة لدعوة جده ابراهيم الخليل بأن يكون من نسل ولده اسماعيل نبي مرسل بهذه السمات ، كما جاء في الآية الكريمة : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا

مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » ... صلوات الله وسلامه عليك ، فقد اختارك ربك من سلالة كريمة المحتد، طيبة المنبت ، أصيلة الجد ، عريقة النسب ، شريفة الحسب .. وها أنت تتمدح بذلك فتقول : « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار » .

وفى الواقع ، ونتيجة لطهارة وعائه، فقد كان الرسول الكريم من عشاق الفضائل منذ نعومة أظافره ، عف عن الدنايا منذ طفولته ، وفى مقتبل عمره ، فكانت حياته كلها حافلة بعظائم الأمور ... كان غلاما يترفع عن مألوف الغلمان ، وكان فتى له تفكير الساسة المحنكين ، وكان شابا فيه خلال الكبراء وهيبة الشيوخ رغم أن طور الطفولة وطور الشباب عاملان يدعوان الى النزق والطيش ويحملان على الاسفاف والضعة ... ولكن الرسول فى كل هذه الأطوار كان مثالا للاباء والشرف .

هذا وقد أوتى الرسول الكريم جوامع الكلم فى دروسه التربوية فى مجال التنشئة الاجتماعية وفى غيرها من العمليات الاجتماعية ، فقد روى الامام أحمد عن وابصة بن معبد رضى الله عنه ، قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أريد ألا أدع شيئا من البر و الاثم الا وسألته عنه فقال لى : أدن ياوابصة فدنوت منه حتى مست ركبتى ركبتاه ، فقال ياوابصة « جئت تسألنى عن البر والاثم ؟ قلت نعم : فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكث فى صدرى وقال : ياوابصة استفت نفسك ، البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك فى القلب وتردد فى الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك » .

وهكذا كان اسلوب معلم الانسانية الأول فى التنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع ، ولاغرو فى ذلك والقرآن الكريم يقول عنه : « وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى »

الأيات ٣ ، ٤ من سورة النجم • وكذلك قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم » الآية ١٢٨ من سورة التوبة •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى القدوة الحسنة لمن سيجىء بعده من خلفائه ، حيث كان يزور ضعفاء المسلمين ويلاطفهم ويواسيهم ويؤانسهم ، ويجلس معهم ، ويعود مرضاهم ، ويحضر جنائزهم • وكان يدعو ربه اذا توجه الى المسجد ، كما جاء فى صحيح مسلم • ومن دعائه صلى الله عليه وسلى : « اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى بصرى نورا ، وفى لحمى نورا ، وفى دمى نورا ، وفى شعرى نورا ، وفى بشرى نورا » رواه الشيخان •

ولقد سارت التربية فى المجتمع الاسلامى على أساس أن يعمل المؤمن المسلم أو المؤمن غير المسلم « النصرانى أو اليهودى » على تربية نفسه على مكارم الأخلاق فمن أراد أن يتحلى بالحلم ويجعله خلقا من أخلاقه ، فعليه أن يتعود ضبط النفس وكظم الغيظ ـ وذلك حتى تستقر لديه خاصة الحلم ، بل والكرم اذا أراد أن يكون الكرم سمة من سماته ، فعليه ـ كذلك ـ أن يؤمن بقيمة الخير ويعمل دائما على ترويض نفسه على السماحة والبذل ، حتى تستقر لديه صفة الكرم ، فالحلم والكرم هما جناحا الأخلاق ، تلك التى قيل فيها :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس ، لا بالجسم انسان

ولا ريب أن هذا المنهاج التربوى كان استجابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : « قد أفلح من تزكى » وقوله تعالى : « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » والفلاح هنا شرط لقدرة الانسان على تربية نفسه على الفضائل وتنمية نوازع الخير فيها ، وتنحية دوافع الشر عنها •

والتزكية الواردة فى الآية الكريمة السالفة الذكر ، تشتمل أيضا على التطهر من الرذائل والتربية على

الفضائل . فقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس بين يديه وقال يارسول الله : ماالدين؟ قال : حسن الخلق ، ثم أتى اليه من قبل شماله ، قال يا رسول الله ، ما الدين ؟ قال « حسن الخلق » ثم أتى اليه من ورائه وقال : يا رسول الله : ما الدين ؟ قال « حسن الخلق » وهنا أضاف الرجل : أما تفقه !؟ أى ألا تغضب !؟ هذا ويرجع عدم غضب الرسول عليه الصلاة والسلام الى كبحه لجماح نفسه وتمرينها على الانضباط والتحلى بمكارم الأخلاق فالحليم هو الذى يضبط نفسه عند الغضب . وحلمه هذا وكرمه الأخلاقى ورقة قلبه ، كانت السبيل الأساسى الى جمع الناس حوله واستمساكهم به،وحبهم له،وحرصهم على رضاه . وكل ذلك كان منه رحمة من الله به وبالناس .

ولا غرو فى ذلك فهو القائل:«انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فطوبى لمن اتبع سبيل خاتم النبيين وسلك الصراط المستقيم والمنهاج القويم فى تنشئة أبنائه باتباع توجيهات الرسول الكريم : « الذين يتبعون النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل،يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » وهل يترك الله حبيبه محمدا حامل لواء الحق والعدل لعدوان عبدة الأصنام والأوثان ؟ كلا فهو الذى وجده يتيما فآواه ، ووجده ضالا فهداه ، ووجده عائلا فأغناه ، وهو الذى قرن اسمه باسمه وأمرنا بالصلاة والسلام عليه فقال:«ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

وفى كل نظريات التربية التى تدرس فى كل كليات التربية فى العهد الحاضر ، تنصح كل ذى أبناء أن يسترشد بأسلوب رسولنا الكريم فى التنشئة الاجتماعية لأبنائه من البنين والبنات ، حتى تمتد اليه يد الرحمة بالهداية والارشاد ، تصديقا لقوله تعالى : « قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ، حتى اذا رأوا

ما يوعدون،اما العذاب واما الساعة، فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا » الآية ٧٥ من سورة مريم .

ولا ريب أن الصيغة المثلى لصنع المجتمع الاسلامى على نفس المنوال الذى يحدده القرآن الكريم،مجتمع رائد ، متماسك ، ناهض ، دينامى ، كمجتمعك الذى ساد بالفكر المتطور والوحدة النقية الوثقى ، والقوة الواعية ... فليس كالاسلام دينا ينشد السلام ويعمل جاهدا على تحقيقه وتدعيمه،معتمدا على المنطق والحجة فى اطار الحرية الكاملة لعقل وفكر الانسان .. الانسان الذى كرمه الله جلت قدرته ، وفضله على سائر المخلوقات .

تلك هى التنشئة الاجتماعية بالمعنى الاسلامى ، والتى وضع أسسها من كانت تنشئته الاجتماعية على يدى الله ، حيث كانت عناية الله ترعاه فى كل طور وفى كل مرحلة ، عاله وهو يتيم فقير ، وكفله وهو راع صغير ، ووفقه وهو تاجر أجير ، ثم شاء — ولأمر يريده — أن يصنعه على عينه، فأدبه بأدبه ، وعلمه من علمه،وعصمه من أرجاس الوثنية وأوزار الجاهلية، حتى صار اليتيم العديم سيدا للجزيرة العربية ، والراعى الصغير راعيا للعالم كله ، والتاجر المتجول فاتحا للأرض ومؤسسا لنظام اقتصادى يقوم على العدالة . ولما كان الله قد زوده قبل كل ذلك بسمات الصبر والصدق والايمان والثبات وحب الجهاد والخلق والرجولة ... فقد أثمر الغرس وتم النور واتحدت الكلمة واتسعت الرقعة ، فصارت المدينة دنيا ، والقلة ملة ، والقرى الثلاث مكة والطائف ويثرب أشبه بنيويورك ولندن وباريس .. وبالتالى فان علينا أن نتخذ من أسلوبه فى التربية نبراسا لنا اذا شئنا التحضر بحضارة الاسلام الحقيقية وليس بحضارة الغرب الزائفة .

د : زيدان عبد الباقى

# بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **الحديث الشريف رواية ودراية**
**تاليف : الدكتور النعمان القاضى**

بالرغم من أن هذا الكتاب صغير الحجم اذ لا تبلغ صفحاته الا زهاء مائة وثلاثين صفحة من القطع المتوسط ، الا أنه دراسة جيدة جديرة بالاهتمام ، والواقع أننا لا نزال فى حاجة أكثر الى علوم الحديث النبوى الشريف بأسلوب العصر ولغته . لأن الحديث كمصدر ثان من مصادر التشريع بعد كتاب الله عز وجل ، قد تعرض لاثارة الشبهات — لا من ناحية المستشرقين والمبشرين فحسب — بل أيضا بأقلام بعض المنتمين الى الاسلام .. وأجدر الناس بالعناية باستيعاب علوم الحديث ، الشباب الجامعى المسلم ، الذى يتعرض لكثير من الاهتزازات التى يثيرها حول الحديث النبوى الشباب الماركسى الأحمر ، وقد أحسست بهذا بنفسى من خلال الأسئلة التى كنت أتلقاها فى المحاضرات الاسلامية للجماعات الدينية بالجامعات .

رتب المؤلف هذه الدراسة القيمة فى فصلين ، جعل أحدهما فى رواية الحديث ، ووزعه على عشرة مطالب هى على الترتيب : تعريف الحديث الشريف وبيان منزلته — مظاهر العناية بالسنة الشريفة — متابعة الرواية والتدوين فى عهد النبى وفى عهد صحابته — فى عصر التابعين — حركة التدوين الشامل والنهوض بها — صور التدوين المختلفة حسب ترتيبها الزمنى — تجريد الكتب للحديث — طريقة التصنيف على المسانيد — كتب الصحاح الست ، ثم كتب الحديث الأخرى وبخاصة المتأخرة منها — وأهم كتب الشيعة المعتمدة فى الحديث ..

أما الفصل الثانى فقد جعله المؤلف لعلم الحديث • ووزعه على عشرة مطالب أيضا ، هى على الترتيب : الحديث عن الوضع وأسبابه ، حيث كان أهم الدوافع التى دفعت علماء الحديث الى أحكام ضوابطه ومعاييره ـ الفرق بين الحديث والسنة ـ المقصود بعلوم الحديث ومباحثه المختلفة ـ أهم خواص ركن الحديث متنه وسنده ـ الجرح والتعديل ومقوماتهما ـ طرق التحمل والضبط والأداء ـ شروط الرواية التصنيف الوصفى ـ التصنيف من حيث الصحة والضعف والقبول والرد ـ ثم ما يعتور الحديث من علل وشذوذ تحول دون صحته وقبوله ••

الحق أن المؤلف الأستاذ الدكتور النعمان القاضى كتب هذه الدراسة كتابة العالم المحقق المدقق ، وقد قام بتدريسها لطلبته فى كلية آداب القاهرة • قسم اللغة العربية ، وربما كان الدافع الى الايجاز الذى توخاه هو أن يفيد الطلبة منها ويستعينوا بها ، ويتمكنوا من استيعابها ، ومع تسليمنا بأن بعض صفحات الدراسة قد تضمن الرد غير المباشر على ما أثير من شبهات حول الحديث الا أننا كنا نطمع فى اضافة فصل مستقل للرد على هذه الشبهات ولا جدال فى أن الطلبة ـ فضلا عن غيرهم ـ فى حاجة الى هذا الفصل ، ويبدو أن المؤلف قد عرض سريعا لكتب الحديث عند الشيعة ، وموقف الشيعة من كتب السنة المعتمدة •مع أن هذه المسألة من الدقة بمكان •

هذا وقد أشار المؤلف الى كتابى الامام السيوطى : جمع الجوامع والجامع الصغير ـ فذكر أن جمع الجوامع مخطوط ، بينما فى الواقع لم يعد مخطوطا ، اذ بدأ مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف طبعه منذ سنوات ، وقد ظهر منه عدة أجزاء ••

**● الضياء من أقوال سيد الأنبياء**
**تأليف: الأستاذ عطية عبدالرحيم عطية**

المؤلف كاتب اسلامى دءوب ـ يهتم فى المقام الأول بالتراجم عن الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ،وقد نشر له المجلس الأعلى للشئون

الاسلامية كتبا ثمانية فى التراجم ، أما كتابه الذى بين أيدينا ، فهو مجموعة من أقوال الرسول ، أحسن المؤلف اختيارها ، لأن كلا منها يرتبط بموضوع من الموضوعات التى تمس حياة المجتمع الاسلامى ، ومن هذه الموضوعات : أداء الحقوق فى الاسلام ـ الاحتكار خطيئة ـ صيانة الأعراض ـ حرمة النفس ـ أشرف الكسب •••

ومنهج المؤلف : هو أن يجعل من الحديث النبوى الشريف رأسا للموضوع المتصل به ، ثم يأخذ فى شرح الحديث شرحا يستوعب الموضوع ، مستعينا بكتاب الله ، وأقوال الصحابة والسلف والعارفين، محاولا أن يتوافر فى كل موضوع الوحدة العضوية له •• جهد استطاعته •• ويبدو أن اهتمام المؤلف بالمعنى جعله لا يعنى كثيرا بشرح بعض ألفاظ الحديث ، والتنقيب عن الأسرار البلاغية فيه • كذلك يبدو أن اعتماد المؤلف على شهرة الأحاديث التى عرضها ، جعله لا يعنى كثيرا بتخريجها وابراز درجتها ••

ومع ذلك، فقد قدم لنا المؤلف دروسا فى السلوك والأخلاق والمعاملات ، لها أهميتها الكبرى فى حياتنا المعاصرة ، ولها تأثيرها فى تربية جيل من الشباب المسلم ••

● **قطوف من السنة :**
**للشيخ عز الدين فريد**

المؤلف امام وخطيب وواعظ من أنشط العاملين فى الحقل الاسلامى ، وهذه القطوف من السنة التى نشرتها **دار الاعتصام بالقاهرة** ، هى مختارات من الكلم الجوامع ، والحكم الدوافع جمعها المؤلف وقدم لها ، بدأها بفضل الصلاة والسلام على الرسول ، وضمن هذه القطوف ألوانا شتى من العبادات والمعاملات والأخلاقيات والأوامر والنواهى ، والرسالة موجزة تبلغ صفحاتها أكثر من سبعين صفحة ، وهى رسالة خفيفة الظل ينجذب القارىء اليها ، ولقد حرص الشيخ عز الدين فريد امام وخطيب مسجد كلية طب جامعة عين شمس ، على تخريج الأحاديث النبوية التى ضمنها رسالته •

● **حول ضمائر صحف موسكو..**

ذكرت الأنباء أن صحف روسيا شنت حملة دعائية على الأحداث الدامية فى جنوبى أفريقيا التى تقوم بها حكومة جنوبى أفريقيا العنصرية ، وصحف موسكو تتظاهر بالدفاع عن الافريقيين الذين يتعرضون للارهاب الدموى • ويبدو أن شهامتها تصاب بالعجز والقصور اذا كانت الدماء البشرية دماء اسلامية •• والا فلماذا لم تتحرك هذه الشهامة المصطنعة تجاه حرب الابادة التى تشنها الطغمة العسكرية فى الحبشة على شعب أريتريا المسلم، والتى تشنها الطغمة العسكرية فى الفلبين على خمسة ملايين مسلم فى جنوبى الفلبين ، والتى تشنها الطغمة العسكرية البوذية عى أربعة ملايين مسلم فى اقليم فطامى فى تايلاند ؟

واذا علمنا أن ماركوس رئيس دولة الفلبين قد قام فى الأسابيع الماضية بزيارة ودية للاتحاد السوفييتى ، بهدف اقامة علاقة صداقة بين البلدين • حيث صرح ماركوس فى البيان الذى أدلى به اثر عودته الى العاصمة بأن الفلبين وجدت صديقا مخلصا فى الاتحاد السوفييتى ، أدركنا السبب فى أن ضمائر الصحافة فى موسكو ضمائر انحيازية لا يحركها الا الهوى •

× × ×

● **قراءات :**

« الدنيا دار أولها عناء وآخرها فناء••فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب •• من صح فيها أمن ، ومن مرض فيها ندم•• ومن استغنى فيها فتن •• ومن افتقر فيها حزن » •

من كلمات الامام على

محمد عبد الله السمان

---

● قال بعض السلف كنا نمزح ونضحك اذ أصرنا يقتدى بنا فما أراه يسعنا ذلك

# باب الفتوى

للشيخ الأستاذ محمود محمد رسلان

## شبهة ملحد

**السؤال بتصرف :**

طلب أحد الملحدين من أحد خطباء المساجد وهو فى درسه الدينى تفسير قول الله تعالى : « ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » من الآية ٢٧ من سورة يونس .. فقال الخطيب : يخرج الحى وهو الانسان ، من الميت وهى النطفة ، فقال الملحد : أربك يكذب ؟ فقال الخطيب : حاشا لله ، فقال : وما تعمل اذا ظهر كذب تفسير هذه الآية وأن هذا الكلام ليس من كلام الله ، وانما هو من افتراء نبيكم محمدا فاقشعرت قلوب الحاضرين مما قال وهموا أن يضربوه ويخرجوه من المسجد ، ولكن الماكر كان معه رجل آخر يعاونه فقال لنا : انتظروا وسيفسر لكم أخى محمد تلك الآية تفسيرا متقنا ، وقال :

يا محمد قم وبين هذه الآية ، فقال : اخوانى : من منكم يخدم الانسانية ، ويتبرع باحضار نطفته ويأخذ مبلغ خمسين قرشا ، فقام رجل بهذه المهمة، ووضع محمد النطفة فى كأس نظيفة غسلها القوم بأيديهم وطهرها الرجل بالكحول ، وأخرج من بين ملابسه منظارا معظما ، ونظر الى النطفة فى الكأس ، ثم أخذنا المنظار ونظرنا فيه فوجدنا فى الكأس دودا يسبح فى النطفة ، فدهشنا أى دهش عند سماعنا من هذا الملحد عبارات التكذيب لقانوننا السماوى ونحن بدورنا نحيل عليكم هذا السؤال للاجابة عليه اجابة شافية حتى نسكته ونسكت أمثاله ؟ والله يهدينا واياكم سواء السبيل .

**السيد محمد متولى حمادة**

**الجواب :**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فان أمثال هذا كثيرون يخرجون فى كل زمان لتشكيك المسلمين وصرفهم عن دينهم وعقيدتهم ، ومن العجيب أن أغلبهم ممن ينتسبون الى الاسلام ، والأسلام منهم براء ، ومن ثم وجب على كل مسلم وخاصة من يتصدون للدعوة الى الله أن يكونوا على درجة كبيرة من العلم والمعرفة حتى يبصروا الناس أمور دينهم ، ويحذرونهم من المارقين عنه ، واذا كان هذا الملحد تجرأ على الله ورسوله فانا نسوق له الأدلة الرادعة له ولأمثاله .

ففى سورة آل عمران عند قوله تعالى : « وتخرج الحى من الميت » من الآية ٢٧ كالعالم من الجاهل والصالح من الطالح ، والمؤمن من الكافر « وتخرج الميت من الحى » . كالكافر من المؤمن ، والجاهل من العالم ، والشرير من الخير ، وقد مثل المفسرون للحياة الحسية بخروج النخلة من النواة والعكس ، وخروج الانسان من النطفة ، والطائر ونحوه فى البيضة والنواة ؛ لأن هذه الحياة اصطلاحية لأهل الفن فى عرفهم دون العرف العام الذى جاءالتنزيل به ، ومن الأمثلةالصحيحة فىالعرفين خروج النبات من التراب ، وقد جاء القرآن بتسمية ما يقابل الحى ميتا سواء كانت الحياة حسية أو معنوية ، وسواء كان ما أطلق عليه لفظ الميت مما يعيش ويحيا مثله أم لا وهو استعمال عربى صحيح فصيح . والآية تدل على قدرة الله وعظمته فعنده سبحانه كل شىء بمقدار . ا . هـ انظر تفسير المنار حـ ٣ ص ٢٢٦ بتصرف .

وتأتى مجلة نور الاسلام على هذه الشبهة فتفندها وتعريها فقد قال المرحوم الشيخ يوسف النجوى من هيئة كبار العلماء فى الأزهر ما يلى :

يحزننا كثيرا انتشار أولئك الملحدين الذين تزيوا بزى الاسلام

وما هم منه فى قليل ولا كثير ، وأكبر ظنى أن هذا الغمز الوقح من المبشرين الذين افتنوا فى وسائل التبشير وان لم يكن منهم فهو صنيعتهم . يحزننا أن يعيشوا فى الأرض فسادا بلا زاجر من حياء ولا احترام للأمة التى يعيشون بين أظهرها ، ولا خوف من الحكومة التى دينها الاسلام .

وانى أعتب كل العتب على أولئك المسلمين الذين كانوا مجتمعين عندما قال كلمته الشنعاء أمامهم ، محتقرا اياهم ، هازئا بدينهم ، مكذبا لنبيهم ، ولو كان للدين فى تلك النفوس الضعيفة الخوارة ، ما للوطنية أو الحزبية ، لكان منهم ما يقمع أمثال أولئك المارقين الذين أصبحوا يهاجمونهم فى مساجدهم طمعا فيهم واستهانة بهم ، مع أن القانون يحظر ذلك ويعاقب عليه لو أبلغوا ذلك لأولى الأمر : ، ولكن ما تفعل القوانين اذا فسدت النفوس ، وضعفت القلوب ، وقصرت العقول ، وتفككت عرا الوحدة الاسلامية ! ولعمر الله لقد ذهب أولئك الذين يحبهم الله ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وخلف من بعدهم خلف كغثاء السيل أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين؟ ولندع هذا كله آسفين باكين :

وليل طال بالأنكاد حتى
ظننت الليل ليس له نهار
لما لا والتقى حلت عراه
وبات على بنيه الانكسار
لبيك معى على الدين البواكى
فقد أضحى مواطنه قفار

ولنشرع فى الجواب مستعينين بالله فنقول : ان هذا الملحد من أجهل الجاهلين فان الحى لا بد أن يخرج من الميت بالبرهان العقلى ، لأن أول حى قد خرج من الميت لا محالة ، والا لم يكن أول حى ، وقد فرضناه أول حى ( هذا خلف ) . أو نقول : لو كان كل حى خارجا من حى للزم الدور أو التسلسل ، وهما محالان كما هو معروف وقد كان ذلك العالم الطبيعى الذى يقول : « ان الحياة فلتة من فلتات الطبيعة ، ولا بد أن يرد الحى الى أصله الميت » أعقل من هذا الأحمق ، فانه لم يسهل عليه

أن يقول بالتسلسل الى غير النهاية ، بل جعل لها أولا هو ذلك الأصل الميت،فلم يقل بالتسلسل غير المعقول، وان كان ما قاله أيضا فلتة من فلتات العلم .

ثم نقول : ان صح ما زعمه هذا الملحد فى الانسان (مع أنه غير صحيح فى الانسان الأول كما عرفت،ولا فى الانسان المتولد من النطفة كما ستعرف ) فماذا يصنع فى حبة القمح أو نواة النخلة ، والنخل أقرب أنواع النبات الى الحيوان ، بل كاد يصل الى أفقه ؟ فهل يقول : ان فيها شيئا حيا يرى بالمكرسكوب فيه خصائص الحيوان ومميزاتها ؟ وانى أخشى أن يقول كما قال بعضهم : ان الحبة والنواة حية بالقوة فليعلم هو وأمثاله أن معنى الحياة بالقوة هو الاستعداد للحياة ، وأن الحى بالقوة ميت بالفعل كما قرره العلماء ، وأن الاستعداد للشىء والاعداد له ينتهيان بوجود ذلك الشىء ، فهذا طور وذاك طور آخر ، ومن الذى تشتبه عليه الوسيلة بالغاية والمقدمة بالنتيجة ؟ فهذا ما يقرره العلم ويقتضيه العقل ، فلا بقاء للوسيلة مع الغاية ، ولا وجود للغاية مع الوسيلة فان قال : ان النواة مستعدة للحياة التى ستحلها وتخرج منها شجرة حية وثمرة شهية ، كان ذلك صحيحا ، وليست تحل الحياة الا فيما هو مهيأ لها ومستعد لظهور آثارها ؛ وان قال : ان النواة حبة أو فيها شىء حى بالفعل ، كان ذلك جهلا وكذبا .

ثم نقول بعد ذلك : ان ما زعمه من أن الانسان هو من الحيوان المنوى الحى الذى يرى فى منى الرجل — باطل من وجوه عديدة :

أولا : أن ذلك الحيوان الذى اغتر به لا بد أن يرجع الى أصل ميت ، والا لزم الدور أو التسلسل كما قلنا .

ثانيا : أن هذا الحيوان لا بد أن يموت قبل خلق الانسان ، فالانسان اذا ما خرج الا من ميت ، وذلك أنهم صرحوا بأن التلقيح انما يكون برأس الحيوان فقط ، وهو لا يبقى حيا عند انفصال رأسه ، فسنة الحيوان جارية فيه ، فمتى انفصل رأسه مات، وقد حصل المقصود من حياته

وحركته وهو الوصول الى البييضة التى يلقحها ذلك الرأس عند وصوله اليها .

ثالثا : أنه يمتزج بهذه البييضة امتزاجا يجعلهما شيئا واحدا ، فلا معنى لبقائه حيا تلك الحياة الحيوانية مع هذا الامتزاج والاتحاد .

رابعا : أن هذه البيضة قد يتولد منها جنينان أو أكثر ، والمرأة لا تفرز الا بيضة واحدة فى كل شهر ، والمعروف أن التلقيح انما يكون بحيوان واحد ، وقد صرح بذلك بعض الاختصاصيين ، فكيف يكون الحيوان حيا باقيا على حالته المرئية التى يشبه بها الملق على الناس ، ثم يتولد فيه جنينان أو أكثر ؟! وكأن ذلك الجاهل يظن أن هذا الحيوان المنوى قد كبر ونما حتى صار انسانا ، وما أجهل من يظن ذلك وما أغباه !

خامسا : على أن الانسان لم يخلق من هذا الحيوان فقط ، بل خلق من أشياء كثيرة ، وتغذى بأشياء كثيرة يعسر تبينها على الحقيقة ، وقد قال بعضهم : ان علم الأجنة لا يزال جنينا حتى الآن ، ولا يزال سبب انقطاع الحيض زمن الحمل مجهولا ، وان كانوا يتكلمون فى غايته لا فى سببه ، ولذلك ترى كثيرا منهم يعدون الثديين من أعضاء التناسل ، ويقولون : اذا قطع ثديا المرة لم تلد ، ولا يستطيعون تعليل ذلك تعليلا شافيا الى غير ذلك مما لا يمكننا شرحه ولا الافاضة فيه ، فليرجع الى الاختصاصيين المبرزين فى هذا .

فان اعتبر الاستعداد للحياة والتهيؤ لها حياة ، كان الخلاف بيننا وبينه لفظيا ، وكذلك النمو والانقسام ، فاننا لا نعتبر الحياة الا بالحس والحركة ، ولا فرق عندنا بين كلمة حى وكلمة حيوان ، والحيوان هو الجسم النامى الحساس المتحرك بالارادة ، فان اعتبر الحياة أوسع من ذلك اصطلاحا ، ولا مشاحة فى الاصطلاح ، فيكون الخلف بيننا وبينه فى العبارة لا غير .

وان شئت قلت : انها حياة تشبه حياة النبات ، ونحن نريد الحياة الحيوانية لا النباتية ، ولو أخرج الله من الشجرة انسانا لقلنا : انه أخرج الحى من الميت ، وليس يقل

ما بين الانسان والشجر من الفـرق عما بين الشجر والحجر من الفرق ، وقد رأينا المعـادن تربى وتنمو فى بطن الأرض ولهـا مـدد مختلفـة فى نمـوها وتربيتهـا ، فالملـح والشـب والكبـريت لا تحتـاج الا لمـدة سنة أو أقل ، والحـديد والرصاص والفضة تحتاج الى مدة طويلة ، والعقيق والياقوت يحتاجان الى مدة أطول من ذلك كله ، مع أنها لا تعتبر أحياء بذلك النمـو ، فان قالوا : ان هذه حياة ، كانت تسمية اصطلاحية ، وكلامنا معهم فى معان لا فى ألفاظ .

وبعد فالأمر واضح لا مرية فيه ، ولكنهم يلبسون الحـق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون اللهم فانصر دينك ، وقو حزبك ، واكبت أعداءك الضالين المضلين ، فانك على ذلك قديرا اللهم انا نعـلم أن ذلك لا يضرك شـيئا ، ولكن نسألك أن تخذلهم بقـوتك القاهرة رحمة بنـا يا أرحم الراحمين !

**الخلاصة :**

١ ــ والخلاصة أن لك أن تقول: ان المـراد الحى الأول ، والحـى الأول خارج من الميت لا محـالة ، ولا بد أن تنتهى سلسلة الأحياء ، والا لزم الدور أو التسلسل .

٢ ــ ولك أن تقول : اذا شاهدنا الحيوان المنوى فى المنى فاتنـا لم نشاهد شيئا حيا فى النـواة مع خروج النخلة منها ، وهم يعترفون بحياتها لا محالة ، فقد خرج الحى من الميت لا محالة .

٣ ــ ولك أن تقوله : ان المـراد فى الآية الانسان المتولد من النطفة، وما تخلق الانسان من ذلك الحيوان المنوى الا بعد انفصال رأسه وامتزاجه بالبييضة ، فهو اذ ذاك ليس حيا ، فما خرج الانسان الا من شىء ميت.

٤ ــ ولك أن تقول : ان الانسان قد تخلق من أشـياء كثيرة من الأب والأم بل غالب تغذيته وتكونه من الأم بواسطة أشياء عديدة ، ومنها دم الحيض ، وهذه الأشـياء التى تكون منها ليست حيوانات بالضرورة، فاذا يكون قد خرج الحى من الميت، فان هذه أشياء ميتة لا محالة .

٥ ــ لو تنزلنا غاية التنزل وقلنا : انه خلق من ذلك الحيـوان ، وان

الحيــوان لم يمت وانه ليس هناك أشياء ميتة أخرى يخلق منها الانسان، لو قلنا ذلك كله وافترضنا صحته مع أنــه غير صــحيح ، لكان ذلك الحيــوان نفسه خارجــا من الميت لا محالة ، فانه متخلق من الأغذيــة الميتة لا محالة ، أو راجع الى أصل ميت لا محالة •

ولنقتصر على هــذا وقد فرغنــا من الايمان بصدق الرسول وعصمته التى قامت عليهــا الآيات البينــات الواضحات « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» • والله أعلم •

المجلد الثالث من مجلة نور الاسلام لسنة ١٣٥١ ص ٤٨١ وما بعدها •

**محمود محمد رسلان**

---

## وحدك على الحق جماعة

قال عمــر بن ميمون الاودى : صحبت معاذا باليمن فما فارقتــه حتى واريته فى التراب بالشام ، ثم صحبت بعده افقه النــاس عبد الله بن مسعود رضى الله عنــه ، فسمعته يقول : عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم ســمعته يوما من الايام وهو يقول : سيلى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فصلوا الصلاة لميقاتها ، فهى الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة ، قال قلت : ياأصحاب محمد ما أدرى ما تحدثونا قال : وما ذاك ؟ قلت : تأمرنى بالجماعة وتحضنى عليها ثم تقول : صل الصــلاة وحدك وهى الفريضة وصــل مع الجماعة وهى نافلة قال : يا عمر بن ميمون قد كنت اظنك من افقه أهل هذه القرية . تدرى ما الجماعة : قال : لا قال ان جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة . الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك . وفى طريق أخرى ( فضرب على فخذى وقال : ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وأن الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل ، قال نعيم بن حماد يعنى اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وان كنت وحدك فانك انت الجماعة حينئذ .

**اغاثة اللهفان ــ ابن القيم**

# أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ ابراهيم حامد النويرى

**مصر**

* أرسى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر — فى الفترة الأخيرة — حجر الأساس لعدد من المعاهد الأزهرية ، الاعدادية والثانوية ، فى عدد من محافظات جمهورية مصر العربية .

وتوجه مشيخة الأزهر عنايتها الآن الى العمل على انشاء مزيد من المعاهد الأزهرية ، فى مختلف المحافظات ، وذلك بهدف التوسع فى التعليم الدينى وتيسيره للراغبين فيه من أبناء المسلمين فى مختلف مراحل التعليم .

* تتجه النية فى الأزهر الى استيعاب أكبر عدد من المتقدمين لدخول مسابقة الالتحاق بالمرحلتين الاعدادية والثانوية ، بالمعاهد الأزهرية وذلك بناء على توجيهات فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر .

تحية لفضيلته على جهاده ، وعنايته بالأزهر والمسلمين ، ودعاء له بالصحة والقوة ، حتى يصل بالأزهر الى مكانته ، فى ظل دولة العلم والايمان التى أرسى قواعدها الرئيس المؤمن محمد أنور السادات .

* أصدر السيد/ممدوح سالم رئيس الوزراء قرارا بتعيين الدكتور عبد الجليل عبده شلبى أمينا عاما مساعدا لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

تهنئة لفضيلة الدكتور عبد الجليل ودعاء له بالتوفيق فى أعماله .

* قررت وزارة التربية والتعليم أن تطبع آيات القرآن الكريم فى الكتب الدراسية المقررة على المدارس عن طريق التصوير من المصحف ، وذلك تجنبا لأى خطأ مطبعى أو تحريف فى آيات ورسم المصحف .

وهذا القرار يعد عظيما وحكيما ، فبجانب هدفه السابق فان له هدفا آخر ، وهو تعويد النشء على قراءة آيات القرآن وحفظها حسب الرسم العثمانى ، ليظل المصحف ورسمه محفوظا فى الصحف وفى الصدور ، مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى : ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) .

اننا نحيى وزارة التربية والتعليم على قرارها وعلى عنايتها بكتاب الله ، وندعو لها بالتوفيق فى تربية نشء المسلمين .

## السعودية

* تقيم جامعة الامام محمد بن سعود معرضا للكتاب الاسلامى بالرياض ، وذلك فى الفترة من غرة ذى القعدة الى الثامن منه ١٣٩٦ هـ الموافق ٢٤ الى ٣١ أكتوبر ١٩٧٦م ، وهى الفترة التى سيعقد فيها مؤتمر الفقه الاسلامى الذى تنظمه الجامعة .

وستشترك دور النشر من مختلف الدول فى هذا المعرض .

وقد وجهت الجامعة الدعوة الى فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر للمشاركة فى المعرض ، وذلك لعرض ما لدى المجمع من أمهات الكتب والمراجع الاسلامية وأحدثها عامة ، وما يتعلق منها بالفقه الاسلامى .

* سيتم انشاء ثلاث كليات جديدة فى الطائف بالمملكة العربية السعودية وذلك فى العام الدراسى الجديد ١٣٩٦ هـ / ١٣٩٧ هـ ، وستكون تابعة لجامعة الملك عبد العزيز .

والكليات الثلاث هى : الطب ، والزراعة والتربية ..

## ابو ظبى

* أشهر بريطانى وفرنسى يعملان فى دولة الامارات العربية اسلامهما أمام فضيلة الشيخ أحمد عبد العزيز رئيس القضاء الشرعى بدولة الامارات العربية .

## السنغال

* تقيم جمعية الهدى الخيرية بداكار عاصمة السنغال مشروعا خيريا ضخما ، عبارة عن مؤسسة تضم فروعا للعبادة والتعليم والصحة

وتحفيظ القرآن الكريم والتربيـة الدينيـة والرياضية ، وستقام على ثلاث مراحل هى :

١ ـ المرحلة الأولى من البناء وقد تم حتى الآن بناء الهيكل ، كما جهز بأدوات الكهرباء ، والمبنى مؤلف من خمسـة طوابق ، يضـم ناديـا للاجتماعات العامة واحياء المواسم الدينية والثقافية ، ومسجدا ومعهدا لتعليم اللغة العربية ، ومكتبة عامة وعيادة طبية مجانية، تبرع للمساهمة فيهـا حوالى ١٥ طبيبا ، من أبنـاء المسلمين هناك ، وتبلغ تكاليف هذه المرحلة ١٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك .

٢ ـ المرحلة الثانية ، وقد تم شراء الأرض اللازمة لها ، وهى عبارة عن مدرسـة يتعلم فيهـا الطلاب جميع المناهج الحـكومية فى السـنغال ، مضافا اليها التعليم العربى والتربية الدينية ، وتبلغ تكاليف هذه المرحلة ـ حسب التقديرات الموضوعة لها ـ حوالى ٢٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك .

٣ ـ المرحلة الثالثة ، وهى عبارة عن اقامة مسجد كبير مع ناد مستقل، ومستوصـف فيه كـل مايلزم مـن التجهيزات الحديثة ، وتقدر تكاليف هذه المرحلة بأكثر من مليون دولار .

وهدف المشروع المساهمة الفعالة فى توثيق الروابط الأخوية والتعاون الثقافى بين البـلاد العربية والبـلاد الافريقية ، ونشر الثقـافة واللغـة العربية والتربية الدينيـة بين أبنـاء العرب فى هذه البلاد باعتبار السنغال نقطة الانطلاق فى غرب أفريقيا .

وقد وجهت الجمعية نداءها الى جميع الهيئات والمؤسسات الاسلامية فى العالم لمد يد المساعدة المـالية لها لانجاز هذا المشروع الخير الكبير .

## ايطاليـــا

* دعا المركز الاسلامى الثقافى بايطاليا جميع المسلمين هنـاك الى الوقوف بصلابة وشدة لمنـع عرض فيلم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ اذ أن هذا العمل الخطـير لا يقصد منه الا الدس المسيىء والنيل من المسلمين ودينهم الحنيف .

## الدانمارك

* اعتنقت سيدتان دانماركيتان الاسلام بعد دراسة عميقة وواعية للاسلام وأصوله وأحكامه وأهدافه.

ومن الجدير بالذكر أن السيدتين تخرجتا فى جامعة كوبنهاجن وعملتا فى حقل التدريس وقد اختارت الأولى لنفسها اسم ( هدى سيد ) واختارت الثانية اسم (جنة سالم) .

تقول السيدة ( هدى سيد ) عن القرآن والاسلام : ( ان القرآن دستور كبير للحياة الانسانية وأن الدين الاسلامى هو التشريع الشامل لكل وجوه الحياة فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وأنه المرشد الوحيد للفرد والجماعة على هذه الأرض ، وأنه دين صريح وواضح لا غموض فيه ، ويصلح لكل الأزمان والعصور ) .

وتقول السيدة ( جنة سالم ) عن الاسلام : ( ان الاسلام دستور يزخر بمبادىء العدل والمساواة والاخاء بين جميع الناس ، وان القرآن كتاب حق، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين .. اننى أشعر أننى ولدت من جديد بين الهدى والنور بشهادة الحق : أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ) .

## سويسرا

* وافق فضيلة الشيخ خلف السيد على الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر على المساهمة فى انشاء المركز الاسلامى بسويسرا ، وذلك على أثر الرسالة التى تلقاها فضيلته من الدكتور اسماعيل محمد رئيس الجمعية الاسلامية بسويسرا والذى طلب فيها معاونة الأزهر فى ذلك .

## النمسا

* أعلن فى النمسا الاعتراف بالدين الاسلامى وأصبح للمسلمين هناك الحق فى التظاهر به ، وانشاء المؤسسات الضرورية لمعتنقيه ، من مساجد ومعاهد للتعليم ... الخ .

**ابراهيم حامد النويهى**

# كتاب الشهر :

## رجال الدين[1] ..!

للواء الركن محمود شيت خطاب

---

(١) لقد ناقشنا الكاتب الكبير فى هذا العنوان . ذلك لانه ليس فى الاسلام « رجال دين » بل علماء دين .

# رجال الدين

– ١ –

كنت أعرفه متدينا يرتاد المساجد ولكنه كان يجهل أبسط تعاليم الدين الحنيف . وكنت أسمعه يردد : « أبو حنيفة رجل ، وأنا رجل ، وقد اجتهد فى الدين – ومن حقه أن يفعل وأنا أجتهد فى الدين ، ومن حقى أن أفعل » .

وكان يردد دائما بحسن نية : « ليس فى الاسلام رجال دين كما فى المسيحية واليهودية والبوذية ، فكل مسلم هو رجل دين » .

وكان هذا الرجل يردد آراء كأنها قضايا بديهية لا تحتاج الى برهان ، وعبثا حاول المقربون اليه ، أن يعيدوه الى رشده ، ولكنه كان يزداد غيا على غيه ، بل أخذ ينتقد الأئمة المجتهدين فى الدين وفقهاء السلف الصالح والزهاد والصالحين نقدا فيه قسوة وشدة ، وفيه ظلم واجحاف .

قلت له يوما : « من أين لك هذه الآراء ؟! » ،فعلمت أن وراءه زمرة من أنصاف المتعلمين ، يقرأون فى كتاب معين ، أراد مؤلفه شيئا ، فيفهمون غيرما أراده المؤلف وسطره فى كتابه ، فاذا حدثوا أصحابهم الجهلاء حدثوهم بما فهموه من قراءتهم محرفا ، ثم يزداد التحريف حين يسمعه أصحابهم الذين لا يقرأون ويحدثون الناس عما سمعوه !

لقد كان صاحبنا متدينا بغير فقه ، ولكنه كان يحب الدين ، وقد كان الامام الشعبى يقول عن أمثاله من المتدينين بغير فقه : « هذا من بقر الجنة » ، ولم يكن صاحبنا من بقر الجنة ، بل كان من حميرها أيضا .

سأله مرة صديق له،وهو فى خضم ادعائه بأنه مجتهد : « هل قرأت القرآن الكريم ؟ » ، فقال صاحبنا : « قرأته مرات ومرات ، وأنا أقرؤه فى كل رمضان من كل عام » ، فقال له الصديق : « وهل تستطيع تفسير آياته ؟ » ، فقال : « القرآن عربى ،

وأنا عربى ، فكيف لا أستطيع تفسير آياتــه ، وقــد أنزل بلســان عربى مبين ؟ ! » .

وكان فى ذلك الصديق دعــابة ، فقال لصاحبه المجتهد الجاهل : « فى أى سورة هذه الآية : ( ان الذين يغسلون ثيابهم بالليــل ويلبسونهــا بالنهار ، أولئك هم المفلسون ) ؟ » . فقال صاحبه المجتهد : « لقد قرأت هذه الآية كثيرا ، ولكننى لا أتذكر الآن فى أى سورة » .

وضج المجلس الحافل بالضحك ، فخجل المجتهد من جهله ، وعاد الى رشده بعد ذلك ، واستغفر الله كثيرا على ما فرط منه فى جنب الله .

وما يقال عن هذا الرجل ، يقــال عن كثيرين غيره : منهم يصــدر عن جهل مطبق ، ومنهم يصدر عن ثقافة مستوردة عائمة أو عميقة ، وهؤلاء هم موطن خطر لا ينبغى السكوت عنهم أبدا .

أذكر أن أحدهم كان يحمل شهادة الدكتوراه ويتولى منصبا رفيعــا ، أنابه رئيس جمهورية عربية فى مناسبة دينيــة ، ليقــرأ عنه كلمته فى تلك المناسبة ، فقرأ الآية الكريمة : ( ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ) بهــذا اللفظ : ( ويوم حنين اذا أعجبتكم كثرتكم ) وكانت الاذاعة المسموعة والاذاعة المرئيــة تنقلان على الأثير مباشرة ما يقرأ ، ففضحه الله وكشفه ، ولا يزال الناس يطلقون عليــه حتى اليوم : « أبو حنين » .

فماذا يمكن أن نطلق على هــذا الدكتور ؟ انه من بقر النــار ، لأنه وهو العربى المسلم ، يفخــر بأنــه لم يقرأ القرآن فى حياته ، ولم يتوجه الى القبلــة للصــلاة أبــدا ، وهو لا يؤمن بالغيبيات ولا يعترف بالطقوس ، وهو علمى من قمة رأسه الى اخمص قدمه ، ولكنه مجتهــد كالأئمة المجتهدين فى الدين !

وقد قرأت كما قرأ الناس ، فى مجلة تهتم بالقضايا النسائية ، فتاوى خطيرة فى مجال الأحوال الشخصية بعــامة والأمور المتعلقة بالمرأة بخاصة ، أفتت بها سيدة لا تنفك تردد : انها

تفتى فى الدين لأنه لا رجال دين فى الاسلام ، وأن كل مسلم هو رجل دين ، وأن الشيوخ الأزهريين ليسوا أحق منهـا بالافتاء ، وانها أحـق بالافتاء فى المعضلات النسـائية من المفتى الرسمى ولجنـة الافتـاء فى الأزهر وشيخ الجـامع الأزهـر ومجمع البحوث الاسلامية ، لأنهم رجال وهى امرأة أعرف بمشـاكل جنسها منهم وأحرص على مصالحهم!

وقرأت كما قرأ الناس ، فتاوى خطيرة أفتى بها كتـاب منحرفون ، يقفون من الدين علنا موقف الحاقد المناهض ، ويصرحون بأنهم علمانيون لا يلتزمون بالدين الحنيف ، ولكنهم ـ كما يدعون ـ قادرون على الافتاء فى الدين على قدم المساواة مع علماء الدين الأعلام !

فهـل من حق كل مسلم جغرافى أو حقيقى أن يفتى فى الدين ؟

وهل ليس فى الاسلام رجال دين؟

وهل من حق المسـلم أن ينتقد أعلام المسلمين ظلما وبغير حق ؟

ـ ٢ ـ

يقتصر الاجتهاد على كل حـكم شرعى ليس فيه دليل قطعى،فيخرج من ذلك ما لا مجال للاجتهاد فيـه مما اتفقت عليه الأمـة من جليـات الشرع ، كوجوب الصلوات الخمس والزكوات وما ماثل ذلك .

ومادام الاسلام آخـر الأديان ، والنبى صلى الله عليه وسلم خـاتم الأنبياء ، فلا بد من الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص ثابت صريح فى القرآن الكريم وسنة النبى صلى الله عليـه وسلم ، ليكون الاسلام صالحا لكل زمان ومـكان ، لأن عجلة الزمان تدور ، والناس يتعرضـون لأمور تستجد ، فلابد من الاجتهاد لوضع الأمور فى نصابها السليم .

فهل من حق كل مسلم أن يجتهد فى الدين ؟

من الواضح جدا أن المسلم الذى لا يعرف النصوص الدينية الواردة، لا يستطيع أن يجتهد ولا ينبغى له أن يجتهد ، لأن اجتهاده سـيكون فيما لا يعرف وفى مجال غير مجاله .

ان الذى لا يعلم ، عليه أن يستفتى الذى يعلم ، والدليل على ذلك قوله

تعالى : ( فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ) (١) ؛ وكان الصحابة رضى الله عنهم يفتون العوام ولا يأمرونهم برتبة الاجتهاد ؛ كما أن العامى مكلف بالأحكام ، وتكليفه رتبة الاجتهاد محال ، لأنه يؤدى الى أن ينقطع الحرث والنسل ، وتتعطل الحرف والصنائع ، ويؤدى الى خراب الدنيا لو اشتغل الناس بجملتهم فى طلب العلم الدينى ، فاذا استحال هذا لم يبق الا سؤال العلماء .

ولكن العامى لا يستفتى الا من عرفه بالعلم والعدالة ، فاذا علم انتفاء أحد الوصفين فيه امتنع تقليده اتفاقا .

ان الاجتهاد قوة لا تكون الا لخاصة العلماء ، الذين توفرت لهم أسبابها وكملت لهم أدواتها ، وقد نصت مصادر أصول الفقه على شروط الاجتهاد ، ولعل من المفيد أن نذكر بايجاز شديد تلك الشروط .

يشترط فى المجتهد شرطان :

الأول : أن يكون عدلا ، وهذا شرط لجواز الاعتماد على فتواه ، أما أخذه لنفسه باجتهاد ، فلا يشترط ذلك له .

والثانى : أن يكون محيطا بمدارك الشرع ، متمكنا كل التمكن من النظر فيها ، وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره . ومدارك الأحكام هى : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس .

أما الكتاب فهو الأصل ، فلابد من معرفته . ولا يلزم لصحة الاجتهاد معرفته كله ، بل ما يتعلق بأحكام الأفعال منه ، ولا يشترط حفظ ذلك عن ظهر قلب ، بل أن يكون عالما لمواضعها ، بحيث يطلب الآية المحتاج اليها عند الحاجة .

وأما السنة ، فلابد من معرفة أحاديث الأحكام . ولا يلزم أن يكون حافظا لها عن ظهر قلب ، بل أن يكون عنده أصل مصحح لجميع أحاديث الأحكام ، ويكفيه أن يعرف مواقع كل باب ، فيراجعه عند الحاجة الى الفتوى .

---

(١) الآية الكريمة فى سورة النحل (٤٣) .

وأما الاجماع ، فينبغى أن تتميز عنده مواقع الاجماع حتى لا يفتى بخلافه ، وليس من اللازم أن يحفظ جميع مواقع الاجماع والخلاف ، بل فى كل مسألة يفتى فيها ينبغى أن يعلم أن فتواه ليست مخالفة للاجماع .

وأما القياس ، فينبغى أن يكون قادرا على استنباط الأحكام من النصوص الخاصة والعامة ، فلا بد أن يعرف النصوص الكلية التى بنى عليها الشرع الاسلامى ، لتكون له بمثابة شهود عدل على ما يستنبطه من العلل فى المواقع الجزئية .

ويقتضى أن يكون ماهرا فى علوم أربعة :

الأول : معرفة نصب الأدلة وشروطها التى بها تصير الأدلة والبراهين منتجة ، بأن يعلم أقسام الأدلة ، فيعلم أن الأدلة ثلاثة : عقلية تدل لذاتها ، وشرعية صارت أدلة بوضع الشرع ، ووضعية وهى العبارات اللغوية .

والثانى : معرفة اللغة والنحو على وجه يتيسر به فهم خطاب العرب وأساليبهم ، الى حد يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله ، وحقيقته ومجازه ، وعامه وخاصه ، ومحكمه و متشابهه ، ومطلقه ومقيده ، ونصه وفحواه ، ولحنه ومفهومه . ولا يلزم أن يبلغ فى ذلك مبلغ الخليل والمبرد وابن جنى ، بل فهم ما يتعلق بالكتاب والسنة ، وادراك حقائق المقاصد فى تعابيرهما .

والثالث: معرفة الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة ، وذلك فى آيات وأحاديث مخصوصة ، ويكفيه أن يكون اذا أراد أن يفتى فى واقعة بآية أو حديث أن يعلم أن ذلك الحديث وتلك الآية محكمان .

والرابع : معرفة الرواية وتمييز صحيح السنة عن فاسدها ، ومقبولها عن مردودها ، فان ما لا ينقله العدل عن العدل لا حجة فيه ، ويكفيه فى ذلك الاعتماد على ما قرره أئمة الشأن ورجال الحديث الذين صبروا غوره واعترفت لهم الأمة بما بذلوه من الجهد فى تلك السبيل ، كأن

يعتمد على الامام البخارى والامام مسلم رضى الله عنهما (١) ٠

يجب أن يكون المجتهد مكينا باللغة العربية ، متينا بعلوم القرآن، عالما بالأحاديث النبوية ، متقنا للسيرة النبوية ، عارفا بالتاريخ الاسلامى، فقيها فى الدين ، وفوق ذلك وقبل ذلك يكون عدلا ورعا تقيا نقيا صالحا مستقيما ، ليمكن أن يصبح قدوة صالحة وأسوة حسنة •

- ٢ -

ان باب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه ، ولكن ليس لكل من هب ودب •

والصحابة رضى الله عنهم فى أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ، لم يكونوا كلهم مجتهدين، والمجتهدون منهم فى تلك الأيام المباركة معروفون وقد ألف الامام ابن حزم الأندلسى كتابا هو : أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم فى كثرة الفتيا (٢) » ، ولم يقل أحد أن الصحابة كلهم مجتهدون •

ولم يكن التابعون كلهم مجتهدين، ولم يكن المسلمون فى الصدر الأول للاسلام عبر القرون حتى اليوم كلهم مجتهدين ، فليس من المعقول أن يدعى ( دعى ) أو ( دعية ) الاجتهاد فى الدين مستغلا الصحف والمجلات التى يشرف عليها ذلك الدعى وتلك الدعية •

ان باب الاجتهاد مفتوح الى يوم القيامة ، لمن تتوفر فيه شروط الاجتهاد فقط ، فهذه الشريعة شريعة الخلود ، باقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، لأن النصوص محدودة ، والنوازل متجددة غير متعددة ، كما أنه لابد مع وجود النصوص من الاجتهاد فيها ، بمقابلة عامها بخاصها ، ومطلقها بمقيدها ، ومجملها بمبينها ، وناسخها بمنسوخها ، فلا مناص اذا من الاجتهاد حتى فى عصر الرسالة الخالدة •

---

(١) محمد الخضرى ( الشيخ ) - أصول الفقه - ( ٣٦٨ - ٣٦٩ ) - القاهرة ١٣٠٩ هـ .

(٢) ابن حزم - أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم من كثرة الفتيا - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم - القاهرة .

والناس بعد ذلك أحوج اليه ، لتجدد الحضارات ، وتغير الأعراف والعادات ، وتبدل المصالح بتبدل الأزمنة والأمكنة • فما يكون صالحا فى زمان قد لا يكون صالحا فى غيره • وما يكون محققا لحكم الشريعة وأغراضها فى مكان قد لا يكون محققا لغاياتها فى مكان آخر • ومن لوازم ذلك حتما اختلاف الآراء والاجتهاد (١) •

لقد بدأ الاجتهاد فى عصر التنزيل، واتسع نطاقه وزاد نشاطه فى العصور التالية حسبما اقتضته الحاجة وتطلبته مصلحة الأمة الاسلامية •

وقد اجتهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن وقائع اجتهاده التى يشهد بها القرآن الكريم ، أنه استشار أصحابه فيما يصنع بأسرى غزوة ( بدر ) الكبرى ، ثم أخذ برأى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ورجح قبول الفداء على ما رآه الفاروق عمر رضى الله عنه من قتلهم ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ( ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض (٢) • ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لو نزل بنا عذاب ما نجا منه الا عمر » •

وكذلك اجتهد فى الاذن للمعتذرين أن يتخلفوا عن غزوة ( تبوك ) ، وفى ذلك نزل قوله تعالى: عفا الله عنك ، لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ) (٣) •

وقد اجتهد قسم من الصحابة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فأقر اجتهادهم وشجعهم عليه •

روى أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذبن جبل الى اليمن يعلمهم ويقوم ببعض الأمر فيهم ، قال له : « كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟ » ، قال : « أقضى بما فى كتاب الله » ، قال : « فان لم يكن فى كتاب الله ؟ » ، قال : « فبسنة

---

(١) محمد علي السايس (الشيخ) ــ نشأة الفقه الاجتهادى واطواره ــ ( ٦ ــ ٧ ) القاهرة ــ ١٣٨٩ هـ •

(٢) الانفال ( ٦٧ ) •

(٣) التوبة (٤٣) •

رسول الله » ، قال : « فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ » ، قال : « أجتهد برأيى لا آلو » ، قال معاذ : « فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على صدرى وقال : الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله » .

فهذا ارتياح منه صلى الله عليه وسلم ، لما رآه من أخذ معاذ بالقياس والاعتماد على الاجتهاد

وقد تعددت وقائع الاجتهاد من الصحابة فى حضرته وغيبته ، فكان صلى الله عليه وسلم يقرهم على ما أصابوا ، وينكر عليهم ما أخطأوا (١) .

ومع هذا فالمعتبر أن الاجتهاد فى عصر الرسالة ليس مصدرا مستقلا من مصادر التشريع ، اذ أن اجتهاد النبى صلى الله عليه وسلم يرجع فى نهايته الى الوحى ، فان كان صوابا أقر عليه ، وان كان غير ذلك نبه الى وجه الخطأ فيه .

وأما اجتهادات الصحابة ، فما كانت تحصل منهم غالبا الا فى الحالات التى يعسر فيها رجوعهم الى النبى صلى الله عليه وسلم ، لاستفتائه فى الأمر ، بسبب بعد الشقة بينهم وبينه ، أو خوف فوات الفرصة ، وكان لابد لهم أن يرجعوا بعد ذلك الاجتهاد اليه ، فيقف بهم على حقيقة الأمر ، فيصوبهم أو يخطئهم ، ويكون مرجعهم بمقتضى ذلك الى السنة .

والحكمة فى اجتهاده صلى الله عليه وسلم واذنه للصحابه فى الاجتهاد ، أن هذه التشريعات لما كانت خاتمة الشرائع ، وأنها عامة للناس جميعا مهما اختلفت أجناسهم وطبائعهم ، وتنوعت عادتهم وأعرافهم ، وأنها خالدة باقية ما بقيت الدنيا وعمرت بأهلها ، وأن قواعد الدين ونصوصه جاءت كلية لم تعرض للتفاصيل ، وما كان لها أن تفعل ، فالحوادث متجددة ومتكاثرة لاتقف عند حد ، فكل زمن يحدث لأهله من الوقاع ما لم يكن يعرفه أهل

---

(١) انظر امثلة من اجتهاد قسم من الصحابة فى : نشأة الفقه الاسلامى وأطواره ( ٢٠ — ٢٣ ) .

الزمان السابق . ولما كان الأمر كذلك ، أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم طريقة الاستنباط ، ويعرفهم على كيفية أخذ الأحكام من أدلتها الكلية ، ليستطيع أهل الفقه والمعرفة من بعده بقوة مداركهم أن ينزلوا ما يجد من الحوادث على عمومات الكتاب والسنة ، وذلك مصداق قوله تعالى : ( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ) (١) .

فليس معنى أن القرآن تبيان لكل شيء ، أنه أحاط بجزئيات الوقائع والحوادث ونص على تفاصيل أحكامها ، فان الواقع يشهد بأنه فى الأعم الأغلب لم يعرض لهذه التفاصيل ، ولم يعن بالجزئيات ، وانما أتت الأحكام فى صورة قوانين عامة ومبادىء كلية يمكن تحكيمها فى كل ما يعرض للناس فى حياتهم اليومية ، فهى قوانين محكمة ، ثابتة لا تختلف ولا يسوغ الاخلال بشىء منها ، وعامة كلية يمكن أن تتمشى مع اختلاف الظروف والأحوال .

فالقرآن الذى هو المصدر الأول للتشريع بتبيان كل شىء ، من حيث أنه أحاط بجميع الأصول والقواعد التى لابد منها فى كل قانون وأى نظام ، وذلك كوجوب العدل والمساواة والشورى ، ورفع الحرج ودفع الضرر ، ورعاية الحقوق لأصحابها ، وأداء الأمانات الى أهلها ، والرجوع بمهام الأمور الى أهل الذكر والاختصاص ، وما الى ذلك من المبادىء العامة التى يجب أن يتناولها كل قانون يراد به صلاح الأمم واسعادها .

وبذلك يكون النبى صلى الله عليه وسلم باجتهاده واذنه للصحابة بالاجتهاد قد ضرب لأمته من بعده المثل ، ورسم لهم الطريق ليأخذوا أخذه من بعده ، حتى يكون الفقه الاسلامى بتفاصيله قويا على مسايرة الزمن ومتابعة نهوض الأمم (٢) .

**— ٤ —**

علمنا مما تقدم أن مصدر التشريع فى عصر النبوة كتاب الله وسنة

---

(١) النحل ( ٨٩ ) .

(٢) نشأة الفقه الاجتهادى وتطوره ( ٢٤ — ٢٥ ) .

رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام، وأن النبى صلى الله عليه وسلم كان المرجع الأعلى للافتاء والقضاء، فلما التحق بالرفيق الأعلى وانقطع الوحى، انتقلت قيادة الأمة الاسلامية فى أمور الدين والدنيا الى خلفائه الراشدين وكبار الصحابة عليهم رضوان الله، فاضطلعوا بهذا العبء، ونهضوا بهذا الواجب .

وقد واجهتهم مهمة شاقة ، لأن الفتوحات الاسلامية اتسعت وامتد نفوذ المسلمين الى ما وراء شبه الجزيرة العربية ، وبسطوا سلطانهم على مصر وليبيا وتونس وأرض الشام وبلاد فارس والعراق، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وانضوت أمم وشعوب مختلفة تحت راية الاسلام ، فوجد المسلمون أنفسهم أمام حوادث ووقائع لا عهد لهم بها من قبل، فلكل بلد أخلاقه وعاداته ونظمه التى يسير عليها فى معاملاته ومبادلاته وسائر مرافق حياته ، فدعاهم ذلك الى البحث عن أحكام تلك المسائل الطارئة فى كتاب الله وسنة رسوله. ومن الواضح أنهما لم ينصا على كل ما نزل وينزل بالمسلمين من حوادث ووقائع ، فكان لزاما على أولئك الأئمة أن يجتهدوا فى تطبيق القواعد الكلية المقررة فى الكتاب والسنة على هذه النوازل الجزئية ، وقد مهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيل الاجتهاد ، ودربهم عليه ، ورضيه لهم ، وأثابهم عليه ، أخطأوا أم أصابوا ، فبذلوا قصارى جهدهم وأوقفوا نشاطهم على استنباط أحكام ما جد من المسائل . وكان اجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم بمعناه الواسع ، فقد نظروا فى دلالة النصوص ، وقاسوا ، واستحسنوا الى غير ذلك ، الا أنهم كانوا يطلقون كلمة الرأى على ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الأمارات ، فلم يكن الرأى مقصورا على القياس ، بل كان يشمل القياس ، والاستحسان ، والاستصحاب ، وسد الذرائع ، والمصالح المرسلة ، مع ملاحظة أنهم لم يهملوا العرف. وقد كان الاستنباط فى هذا العصر مقصورا على ما ينزل بهم من الحوادث ، فلم يكونوا يتخيلون مسائل لم تقع ويقدرون وقوعها ويبحثون عن أحكامها ، كما كان ذلك فيما بعد ، بل اقتصروا على

الافتاء فيما يقع لهم ، وكانوا يتورعون عن الفتوى ، ويحيل بعضهم على بعض خشية الزلل والخطأ، ومن كان هذا شأنه ، فهو أبعد عن التوسع بالفتوى فيما لم يكن .

روى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه ، أنه كان اذا استفتى فى مسألة سأل عنها ، فان قيل له : وقعت ، أفتى بها ، وان قيل له : لم تقع ، قال : دعوها حتى تكون .

ومع استعمالهم للرأى ، فلم يجرؤ أى منهم أن يجزم بأن ما وصل اليه هو حكم الله ، وأنه الحق والصواب وما عداه خطأ ، بل كانوا يجهرون بقولهم : ان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمن أنفسهم ومن الشيطان .

فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول : « هذا رأى ، فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمنى وأستغفر الله » .

ولما سئل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن المرأة التى تزوجت ولم يفرض لها زوجها صداقا ومات قبل أن يدخل بها قال : « أقول فيها برأيى ، لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط ، فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمنى ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان » .

ولقد كتب كاتب لعمر بن الخطاب رضى لله عنه فى فتيا : « هذا ما رأى الله ورأى عمر» ، فقال له : «بئسما قلت ، هذا ما رأى عمر ، فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمن عمر » ، ثم قال : « السنة ما سنه الله ورسوله ، لا تجعلوا خطأ الرأى سنة للأمة » . وفى رواية أخرى : « يا أيها الناس ان الرأى كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبا ،لأن الله كان يريه ، وانما هو منا الظن والتكلف ، السنة ما سنه الله ورسوله ، لا تجعلوا خطأ الرأى سنة للأمة » .

وكان الصحابة يحترمون آراء غيرهم ، فما كان الواحد منهم يتعصب لرأيه بمحاولة حمله مذهبا يرد الناس اليه عند الاختلاف، فى الاجتهاد ولو كان صاحب سلطان !

روى الطبرى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ وهو أمير المؤمنين ـ لقى رجلا له قضية فسأله : « ماذا صنعت ؟ » ، فقال : « قضى على بكذا » ، فقال عمر : « لو كنت أنا لقضيت بكذا » ، فقال الرجل : « فما يمنعك والأمر اليك ؟ » ، فأجابه عمر : « لو كنت أردك الى كتاب الله أو سنة رسوله لفعلت ، ولكنى أردك الى رأى ، والرأى مشترك ، ولست أدرى أى الرأيين أحق عند الله » (١) .

ولكن الصحابة لم يكونوا فى استعمال الرأى سواء ، فقد كان منهم من يتخرج منه ويخشاه خيفة الخطأ والزلل فى دين الله ، وعلى رأس هذه الطائفة عبد الله بن عمر وزيد ابن ثابت رضى الله عنهما ، ومنهم من برع فيه وتوسع فى الأخذ به ، وعلى رأس هذه الطائفة عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعبد الله ابن مسعود رضى الله عنهم وأرضاهم .

ولكنهم كانوا يستعملون الرأى اذا لم يجدوا نصا فى الكتاب والسنة (٢) .

المهم هو الورع وعدم التسرع فى الافتاء ، وهذه هى سمة الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين فى الدين والعلماء الصالحين .

يقول ابن القيم : « وكان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع فى الفتوى ويود كل واحد منهم أن يكفيه اياها غيره ، فاذا رأى أنها قد تعينت عليه ، بذل اجتهاده فى معرفة حكمها من الكتاب والسنة أوقول الخلفاء الراشدين ثم أفتى» .

ويروى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أنه قال : «أدركت عشرين مائة ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما كان منهم محدث الا ود أن أخاه كفاه الحديث ، ولا مفت الا ود أن أخاه كفاه الفتيا » .

---

(١) انظر أمثلة من اجتهاد الصحابة فى : نشأة الفقه الاجتهادى واطواره ( ٤١ ـ ٧٠ ) .

(٢) انظر التفاصيل فى : نشأة الفقه الاجتهادى واطواره (٣٦-٧٧) .

— ٥ —

( أ ) وسار الاجتهاد فى عهد بنى أميــة على نحــو ما سبق فى عصر الراشــدين من حيث اعتماده على الكتاب ، ثم السنة ، ثم الاجماع ، ثم الرأى ؛ الا أنــه جدت فى هذه المرحلة أحداث سياسية وأخرى غير سياسية ، كان لها أثر ظاهر فى الحركة الاجتهادية •

فقــد تفرق المسلمون وتنــازعوا حول الخــلافة ومن الأحق بهــا ، فظهر الخــوارج والشــيعة خالفوا الجمهــور ، وتعصبت كل فرقة بما عندها من علم وما اتخذته من أصول وقواعد وما جنحت اليه من آراء ، والتفت حول من تثــق به من ذوى المكانة فيها فاتخــذته اماما لهــا ، وحصرت الثقــة العلمية فيمن ينتهى الى جانبها من الفقهاء ، وأســاءت الظن بمن عداهم ، فلم يعد الاجماع ميسورا ، ولم يعد لمبــدأ الشورى من المنزلة ما كان له فيما سلف ، وهذا الاضطراب السـياسى هــو أول الأسباب التى أدت الى الاضطراب الفــكرى ، وكان له أكبر الأثر فى تشعب الخلافات الفكرية •

وكان لتفرق الصحابة فى الأمصار : ولاة وعمــالا ومعلمين ومجاهدين ومرابطين ، أثر فعـــال فى تشعب الخــلاف وعدم تيسر الشــورى والاجماع ، فقد كان الصحابة فى أيام الخلفاء هم عماد الشورى والاجماع وروحه •

كما كان لشيوع رواية الحــديث وظهور الوضاعين آثر فعال فى نشوب هذا الخلاف ، فقــد استتبع شيوع الرواية مع عــدم تدوين الحــديث واكتفاء الصــحابة بالاعتمــاد على الذاكرة وصــعوبة حصر مــا قاله الرســول صلى الله عليه وسلم وفعله فى ثلاثة وعشرين عاما من بدء الوحى الى أن لحق بالرفيق الأعلى — ان وجد أعداء الاسلام من يهود وفرس وروم منفذا يدسون منه على المسلمين ما يفســد دينهم ، ليتسنى لهم قلب الدولة الاســلامية واسترجــاع ما فقدوا من عز وسلطان •

ولم يجدوا وقد سدت فى وجوههم أبواب الكتاب العزيز الذى تولى الله حفظه بنفسه : ( انا نحن نزلنا الذكر

وانا له لحافظون ) (١) ، الا أن يلجأوا الى السنة ، فألفوا الجمعيات السرية لوضع الأحاديث فى التشبيه والتعطيل وتحريم الحلال وتحليل الحرام .

ولكن الوضاعين ــ وان لم يبلغوا مأربهم من الدين ــ لمناهضة العلماء لهم ومقاومتهم اياهم ، الا أنهم وضعوا الشكوك فى طريق الفقهاء المستنبطين وعرقلوا سيرهم وجعلوه شاقا عسيرا ، فبعد أن كان الفقيه لا يشغله شاغل بعد سماع الحديث عن النظر فيه والاستنتاج منه وهو واثق مطمئن ، أصبح واجبا عليه أن يعنى قبل كل شىء ببحث الحديث متنا واسنادا ، والتثبت من صحتهما ، حتى اذا تبددت غياهب الشك حل له أن ينظر ويستنبط ، فلا يبلغ مايروم الا بعد جهد ومشقة وطول عناء .

وقد كان ورع العلماء العاملين عميقا ، وكان اخلاصهم للدين وللسنة عظيما ، وكان دفاعهم عن السنة المطهرة مجيدا . لذلك استطاعوا تطويق محاولات الوضاعين ، فسارت قافلة الاجتهاد قدما كما أراد لها الله .

وقد انقسم جمهور الأمة الى : أهل حديث وأهل رأى .

أما أهل الحديث ، فيرون الوقوف عند النصوص والتمسك بالآثار ، وكان مركزهم الحجاز ، وكان على رأسهم الامام سعيد بن المسيب رضى الله عنه .

وأما أهل الرأى ، فيرون التوسع فى استعمال الرأى ، وكان مركزهم العراق ، وكان على رأسهم الامام ابراهيم النخعى رضى الله عنه .

ولقد كان الفقه فى مدرسة الحديث واقعيا ، فلم يفرضوا المسائل ويقدروا لها أحكامها . أما فى مدرسة الرأى ، فقد كان الفقه واقعيا أول الأمر ، ثم اتجه الى الفرض والتقدير لما وضعوا الضوابط والقواعد

---

(١) الحجر (٩) .

نيفرعوا عليها ، فما وقع من الحوادث أعطوه حكمه ، وما لم يقع فرضوه وأعطوه من الأحكام ما يتفق مع هذه الضوابط وتلك القواعد .

وقد انقضت هـذه المرحلة ولم يدون فيها شيء من السنة أو الفقه ، ولم تكون فيها مذاهب معينة ، فهى تشبه المرحـلة السابقة ـ الاجتهاد فى عصر الخلفاء الراشـدين ـ وتخالفها من قبل كثرة الاختـلاف وتشعب الآراء (١) .

(ب) ومضى الاجتهاد فى عهـد العباسيين نشـيطا أعظم النشـاط واتسعت دائرته اتساعا شاسـعا ، واتجه الفقهاء الى ما لم يتسع له فى زمن أسلافهم ولم تتهيأ لهم أسبابه، فأفرغوا كثيرا من جهودهم فى ترتيب أشـتاته ، وتنافسـوا فى ابـراز مكنوناته ، وتضافرت الجهود على ضبطه وتدعيم قواعده واستيعابه ، فأصبح الفقه الاسلامى ثروة طائلة خلفها ذلك العصر للأجيال المتعاقبة، ولم يعد المسلمون بعده بحاجة الى كبير عناء فى الالمام بجزئياته أو ضبط كلماته .

وقد أصبح هذا العهد الاجتهادى جديرا بحق أن يسمى : دور النشاط والقوة والنضوج الفكرى ، والحياة العلمية الواسعة والبحث الجدى العميق المنتج ، والمنافسـة الفقهية الحادة البريئة ، والاجتهـاد المطلق والحرية الجريئة فى النظر والاستنباط . فيه دونت علوم القـرآن والسنة ، والكلام واللغة والفقه ، وظهر نوابغ القراء وأهـل اللغـة والتـأويل والمحدثين والمتكلمين والفقهاء .

وحسـبك أنه أنجب ثلاثة عشر مجتهدا ، دونت مذاهبهم وقـادت آراؤهم ، واعترف لهم الجمهـور الاسلامى بالامامة والزعامة الفقهية، وأصبحوا هم القـدوة والقـادة : سفيان بن عيينه بمكة ، ومالك بن أنس بالمـدينة ، والحسن البصرى بالبصرة ، وأبو حنيفـة وسـفيان

---

(١) انظـر التفاصيل فى : نشـأة الفقـه الاجتهـادى واطـواره (٧٨ ـ ٨٨) .

الثوري بالكوفة ، والأوزاعى بالشام ، والشافعى والليث بن سعد بمصر واسحق بن راهويه بنيسابور وأبو ثور وأحمد بن حنبل وداود الظاهرى وابن جرير ببغداد .... والى جنب هؤلاء كثير ممن لم يسعدهم الحظ بانتشار مذاهبهم .

وبالجملة فقد كانت حركة علمية واسعة النطاق فى سائر الأقطار الاسلامية ، ونهضة مباركة نفذت بجدها ونشاطها فى كل فن .

وكان لتدوين العلوم الذى ذاع وانتشر فى العهد العباسى أثر فى ازدهار الفقه ، والعمل على نشره وذيوعه . وقد استفاد الفقه كثيرا من تدوين العلوم الأخرى ، والعلوم جميعها شبكة متصلة الأجزاء يخدم بعضها بعضا ويشدالواحد منها أزر الآخر ، ولا سيما الفقه الذى هو أكثر تصالا بالعلوم الأخرى من سواه ، كما أن التدوين يسهل طريق البحث ويساعد الى الرجوع الى العلوم مهما كثرت ويهيىء للانسان أن يلم بالكثير من أشتات المسائل فى وقت قصير .

لقد كان للتدوين فى هذا العهد شأن كبير ، فقد دونت السنة وهى المصدر الثانى للفقه بعد القرآن الكريم ، كما وضع علم أصول الفقه . وهو عبارة عن قواعد الاستنباط التى يسير عليها المجتهدون كما دون الفقه نفسه : دون قسم من الأئمة مذاهبهم بأنفسهم قبل وفاتهم، ومن مات ولم يترك وراءه مذهبا مدونا دونه تلاميذه من بعده ، كما فعل تلاميذ الامام أبى حنيفة رضى الله عنه .

– ٦ –

وكان الأئمة الأربعة المجتهدون فىالدين هم أبرز من عرف اجتهادهم ودون وأصبح لهم أتباع ومقلدون فى نطاق العالم الاسلامى من المحيط الى المحيط ، وهم : أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم .

ولبقاء فقه هؤلاء الأئمة أسباب كثيرة ، لعل من أبرزها تدوين فقههم بأقلامهم أو بأقلام تلاميذهم النجباء، وانصافا لتاريخ الفقه نذكر أن كثيرا من الأئمة سبقوهم أو عاشوا فى أيامهم أو جاءوا من بعدهم عفا

الزمن على تراثهم الفقهى لسبب أو لآخر ، فقد ذكر مؤرخو الامام الشعبى مثلا أنه كان اماما عظيما ولكن لم ينهض به طلابه .

كما أن فقه الامام سعيد بن المسيب جمع فى ثلاثة أجزاء ضخمة وطبعتها رئاسة ديوان الأوقاف فى العراق ، ودراسة ما أمكن جمعه من فقهه — وما لم يجمع منه كثير — يدل على رسوخ قدم هذا الامام العظيم فى الفقه الاجتهادى .

وبامكان المشرفين على الدراسات العليا فى الأزهر الشريف وفى الكليات الاسلامية الأخرى فى أرجاء الوطن الاسلامى ، أن يوجهوا طلابهم الى مجال خصب فسيح ، هو : جمع فقه أعلام المسلمين من بين طيات التراث الاسلامى المطبوع والمخطوط ، وحينذاك سيبهرنا ويبهر العلماء المسلمين وغير المسلمين أصالة الفقه ومبلغ ما بذله العلماء من جهد فى الاجتهاد .

وما دامت المذاهب الأربعة هى الشائعة ، فمن الخير أن نسوق بايجاز شديد أصول هذه المذاهب التى بنوا عليها مذاهبهم والتى بسببها كان اختلافهم فيما لم يرد فيه نص ثابت معروف .

فمن الواضح أن طرائق استنباط أبى حنيفة رضى الله عنه للأحكام لا تختلف مطلقا عن سائر الأئمة المجتهدين فى الدين ، فقد روى عنه أنه قال : « انى آخذ بكتاب الله اذا وجدته ، فما لم أجد فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار الصحاح عنه التى فشت فى أيدى الثقات ، فاذا لم أجد فيها أخذت بأقوال أصحابه من شئت وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج من قولهم الى قول غيرهم » .

غير أن هناك أشياء اختلفت فيها وجهة النظر بين أبى حنيفة وغيره من المجتهدين ، ترجع الى الاحتياط والتثبت فيما يروى من الأحاديث والآثار .

وسار الامام مالك رضى الله عنه فى اجتهاده على طريقة سلفه الراشدين ونهج نهجهم فى اعتماده على الكتاب أولا ، ثم السنة ثم الاجماع ثم القياس ، فهو ينزع

بوجه عام الى طريقة الحجازيين فى الوقوف عند الآثار ما أمكن ، ويكره التوسع بتقدير المسائل وفرضها قبل وقوعها .

وقال الامام الشافعى رضى الله عنه : « الأصل قرآن وسنة ، فان لم يكن فقياس عليهما ، واذا اتصل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح الاسناد به فهو المنتهى ، والاجماع أكبر من الحديث المفرد ، والحديث على ظاهره ، وما احتمل المعانى فما أشبه منها ظاهرها أولاها به ، فاذا تكافأت الأحاديث فأصحها اسنادا أولاها ، وليس المنقطع بشىء ما عدا منقطع ابن المسيب ، ولا يقاس أصل على أصل ، ولا يقال للأصل لم وكيف ؟ وانما يقال للفرع لم ، فاذا صح قياسه على الأصل صح وقامت الحجة » .

فهو ينظر الى السنة الصحيحة نظره الى القرآن ، يرى كلا منهما واجب الاتباع ، ولا يشترط ما شرطه أبو حنيفة من الشهرة والا يكون فيما تعم به البلوى ، ولاعدم مخالفة الراوى لمرويه ، ولا ما اشترط مالك من عدم مخالفته لعمل أهل المدينة ، وانما شرط الصحة والاتصال .

أما الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، فمسلكه فى الاجتهاد مسلك الامام الشافعى رضى الله عنه ، لأنه تفقه عليه وعنه أخذ .

قال ابن القيم فى كتابه : أعلام الموقعين : « فتاوى أحمد بن حنبل مبنية على أصول : أولها ، النصوص : القرآن والحديث المرفوع ، فاذا وجده أفتى بموجبه ولم يلتفت الى ما خالفه ولا من خالفه كائنا من كان .... ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملا ولا رأيا ولا قياسا ولا قول صحابى ولا عدم العلم بالمخالف الذى يسميه كثير من الناس اجماعا ، ويقدمونه على الحديث الصحيح ، وقد كذب أحمد من ادعى الاجماع ، ولم يسغ تقديمه على الحديث الصحيح .

« وثانيهما ، فتاوى الصحابة : فاذا وجد لأحدهم فتوى لا يعرف منهم مخالفا فيها لم يعد لها الى غيرها ، ولم يقل : ان ذلك اجماع ،

ولا يقدم على هذا عملا ولا رأيا ولا قياسا .

« وثالثها ، اذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم أقربها الى الكتاب والسنة ، ولم يخرج عن أقوالهم ، فان لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف ولم يجزم بقول .

« ورابعها ، الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف اذا لم يكن فى الباب شىء يدفعه . وليس المراد عنده بالضعيف الباطل ولا المنكر ولا ما فى روايته متهم بحيث لايسوغ الذهاب اليه ، بل هو عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن ؛ ولم يكن يقسم الحديث الى صحيح وحسن وضعيف ، بل الى صحيح وضعيف ، والضعيف عنده مراتب، فاذا لم يجد فى الباب أثرا يدفعه . ولا قول صحابى ، ولا اجماعا على خلافه ـ كان العمل به أولى من القياس .

« وخامسها ، القياس : وهو عنده مستعمل للضرورة ، بحيث اذا لم يجد حديثا ولا قول صحابى ولا مرسلا ولا ضعيفا قال به ، ويتوقف اذا تعارضت الأدلة . وكان شديد الكره والمنع للفتوى فى مسألة ليس فيها أثر عن السلف . ويسوغ افتاء فقهاء الحديث وأصحاب مالك ويدل عليهم ، ويمتنع من افتاء من يعترض على الحديث » .

ان مصادر الفقه الاسلامى فى مختلف العهود التى تطرقنا اليها هى : نصوص من الكتاب والسنة واجبة الاتباع ، وقواعد عامة كلية صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان، واجتهاد بطريق القياس والالحاق ، أو بطريق الاستحسان ، أو الاستصلاح ، أو الاستصحاب ،أو بمراعاة العرف القائم فى المسألة .

واختلاف المجتهدين فى الفروع الفقهية ، بعد اتفاقهم فى طريقة الاجتهاد ومصادره الأصلية : الكتاب والسنة ، كان نتيجة حتمية لفتح باب الاجتهاد واباحته لهم واثابتهم عليه سواء أصابوا أم أخطأوا . وقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم فى اجتهاداتهم مع قربهم من عصر النبوة وتلقيهم الهدى عن صاحب الرسالة ، وان كان خلافهم لم تبعد شقته، ولاتثريب عليهم فى هذا الاختلاف ؛ لأنه يرجع

الى أسباب لا يدلهم فيها ولا قدرة لهم على تفاديها ، من أهمها : اختلافهم فى فهم معانى الألفاظ من الكتاب والسنة لترددها بين الحقيقة والمجاز والاشتراك وغير ذلك ، والسنة ، فقد يصل الى أحدهم الحديث ولا يعلم به الآخر ، أو يصل اليه من طريق غير صحيح فيتركه ، وقد يصل اليهما من طريق واحد ، ولكن أحدهما يشترط فى قبول الحديث شروطا لم يشترطها الآخر ، فيعمل به أحدهما ويتركه الآخر ، وكذلك اختلاف مسالكهم فى الجمع والترجيح بين النصوص المتعارضة ظواهرها ، والاختلاف بطرائقهم فى الأخذ بالقياس ، والاختلاف فى فهم الأدلة والاعتماد عليها كالاستحسان والاستصلاح والاستصحاب وقول الصحابى وغير ذلك ، والاختلاف فى بعض القواعد التى يتوقف عليها استنباط الأحكام .

ان الاجتهاد قوة لا تكون الا لخاصة العلماء الذين توفرت لديهم أسبابها وكملت لهم أدواتها ، فالله الرحيم بعباده لا يتعبد جميع الناس بالاجتهاد ولا يكلفهم تحصيل أدواته ، اذ أن ذلك من أعظم الموانع عن القيام بضروريات الحياة ، وفيه تعطيل للمصالح والصناعات التى يدور عليها النظام ويبنى العمران ، واذن فليس التقليد بالنسبة لغير المؤهلين للاجتهاد عيبا ، كما أن اختلاف المجتهدين فيما يصلون اليه من الأحكام لا شية فيه ، بل هو من محاسن هذه الشريعة ، فان الله أراد الرحمة لعباده والتوسعة عليهم ، فيكون من لم يتأهل للاجتهاد فى حل من أن يأخذ برأى من يشاء منهم على ما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام : « أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وقد قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : « ما أحب أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يختلفون ، لأنه لو كان قولا واحدا لكان الناس فى ضيق ، وانهم أئمة يقتدى بهم ، فلو أخذ رجل بأحدهم لكان سندا » .

وقد روى أن المنصور العباسى لما حج قال لمالك رضى الله عنه : « قد عزمت أن آمر بكتبك هذه التى صنفتها فتنسخ ، ثم أبعث فى كل مصر

من أمصار المسلمين منهـا نسـخة وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره » ، فقـال : « يـا أمير المؤمنين ! لا تفعل هذا ، فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل ، وسـمعوا الحديث ، ورووا روايات، فأخذ كل قوم بما سبق اليهـم من اختـلاف الناس ، فدع الناس وما اختار كل بلد منهم لأنفسهم (١) » .

ولا نعلم اماما من الأئمة المجتهدين فى الدين ، جامل السلطان لحمـل الناس على الأخذ بمذهبه ، ولا طالب أحدا من الناس أن يقلده، ولا ادعى أن اجتهاده أفضل من اجتهاد غيره ، ولا مذهبه أفضل المذاهب ، ولا رأيه نهائى لا رأى بعده ، ولم يقل أحدهم أن رأيه لا يحتمل الخطأ والصواب، وكانوا جميعا يقولون : « اذا صح الحديث فهو مذهبى »، وكانوا جميعا يقولون : « اذا ناقض رأيى الحديث فاضربوا برأيى عرض الحـائط » ، وقد قال مالك رضى الله عنه بلسانهم: « كل أحـد يؤخذ منه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر » ، وأشـار الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم.

ان الكتاب العزيز وحده : (لا يأتيه البـاطل من بين يديـه ولا من خلفه ) (٢) ، والرسول صلى اللـه عليـه وسلم وحـده ( لا ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ) ، أما البشر فغير معصومين ، والعصمة لله وحده .

— ٧ —

رحم الله الشيخ أمجد الزهاوى شيخ علماء العراق الذى كان تيقن فقه الامام أبى حنيفة رضى الله عنه اتقانا لا حدود له ويحفظ عن ظهر قلب معظم أمهات كتب هـذا الفقه ويحفـظ أرقام الصـفحات وأرقام الأسطر فى الصفحات ، فقد رأيتـه يدخـل مسـجد ( المرادية ) ببغداد لصـلاة العصر ، فسأله سـائل عن مسألة فقهية على مذهب الحنفية ، وكانت تلك المسـألة بسيطة جـدا

---

(١) أنظـر التفاصيل فى : نشـأة الفقـه الاجتهـادى واطـواره ( ٨٩ — ١٠٦ ) .

(٢) فصلت ( ٤٢ ) .

يستطيع الاجابة عليها أقل الفقهاء علما ، ولكن الشيخ فكر فى المسألة مليا ثم قال للسائل : « اسمح لى بأن أراجع كتبى ، لأجيب على مسألتك بعد يومين ، وأرجو أن ألقاك بعد يوم غد عصرا فى هذا الجامع ، لعل الله يوفقنى لتحقيق رغبتك » .

وسألت الشيخ بعد أن قضيت الصلاة : « السؤال بسيط ، فهلا أجبت السائل لتريح وتستريح ؟! » .

وقال الشيخ : « ليس فى الدين بسيط ، والتساهل فى القضايا البسيطة يحمل على التساهل فى القضايا الكبرى ، حيث يتسع الخرق على الراقع » .

وكنت متيقنا أن الشيخ يحفظ الجواب عن ظهر قلب ، ولكنه كان ورعا لا يفتى الا بعد دراسة مستفيضة وتدقيق شامل ، ليكون فى جوابه أمينا مع نفسه وأمينا مع الناس .

لذلك كان الناس يتهافتون على استفتائه ، ويعتبرون فتواه غاية اليقين .

انه كان يعتبر العلم أمانة فى عنقه ، ولا بد أن يؤدى الأمانة الى أهلها ، وكان يعتبر العلم ( عبادة ) من أجل العبادات .

وعشنا لنرى من يفتى ويجتهد فى أصعب المسائل ، وهو لا يعرف شيئا من الفقه أو يعرف منه شيئا قليلا لا يمكن أن يؤهله للافتاء .

ان الذين يفتون بالدين بغير علم يكذبون على الله ورسوله ، عن المغيرة بن شعبة قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان كذبا على ليس ككذب على أحد ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ، رواه مسلم .

وعن سمرة بن جندب وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنهما قالا : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » ، رواه مسلم .

وخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه الى أصحابه وهو يمسح بطنه ويقول : « يا بردها على الكبد سئلت عما لا أعلم ، فقلت : لا أعلم ، والله أعلم » .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنه : « أيها الناس ! من علم منكم علما فليقل بـه ، ومن لـم يعلـم فيقول : لا أعلم ، والله أعلم ، فان من علم المرء أن يقول لمـا لايعلم : الله أعلم » •

وسـئل الامام مالك عن أربعين مسألة ، فأجـاب عن ست وثلاثين مسألة لا أدرى ! أى ان جوابه عن عشرة بالمئة مما عرض عليه •

وما يقال عن الامام مالك رضى الله عنـه ، يقـال عن الأئمـة الأربعة المجتهدين فى الدين ، وعن جميـع المجتهدين حقا •

وقـال أبو بكر الصـديق ثانى اثنين اذ هما فى الغار : « أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، اذا قلت فى كتاب الله برأيى » •

هؤلاء المجتهدون ( حقا ) يتورعون أعظم الورع حين يفتـون وحين يتكلمون فى الدين وحين يجتهدون •

أما المجتهدون المزيفون ، فجرأتهم على الله وعلى دينه وعلى رسـوله صلوات الله وتسليمه عليه بغير حدود •

انهـم يفتون بما لا يعـرفون ويجتهدون بما لا يفقهون ، ورحم الله من عرف قدر نفسه ، وهم بحق لايعرفون قدر أنفسهم ، فيحملونها ما لا تطيق !

- ٨ -

ان الدين نزل لهداية العقـل فى مجال المـاديات والمعنويات على حد سواء • فالدين أطلق للعقل الحرية الكاملة فيما يتعلق بالبحث والكشف فى مجال المـاديات فى السـماء والأرض وفيما بين السماء والأرض ، وقيده بشرط واحد هو : أن يكون ذلك فى خير البشرية • وهذا القيد هو الذى ميز الاسلام عن الأديـان والمبادىء والمذاهب الأخرى • فقـد فجر العلماء الذرة ، واستعملوا هذه الطاقة الرهيبة لتدمير مـدن كاملة كمدينتى هورشيما وناكازاكى وتدمير ما يقرب من ألف ألف انسـان من سكانهما فى أواخر الحرب العـالمية الثـانية ( ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ) ، أما الاسلام فلا يمنع المسلم من تفجير الطاقـة الذرية ، ولكن للأغـراض السلمية كتحلية مياه البحر للشرب لارواء الصحارى ولانتـاج الكهرباء

ولتسيير البواخر والقطارات والطائرات ووسائل النقل الأخرى من أجل خير الانسان ورفاهيته،فاذا هوجم المسلمون بالسلاح الذرى ، فلا بأس من استعمال نفس السلاح لأغراض دفاعية (١) • وقد كان أسلافنا يسمون العلوم المادية : الطبيعة ، والكيمياء ، والفيزياء ، والفلك ، وعلوم الأحياء ، علوم الكشف عن السنن الكونية ، فهى كشف عن بعض صفات الله سبحانه وتعالى ، ومادام الأمر كذلك ، فهى عبادة •

أما فى مجال المعنويات وهى أمور المجتمع ومجالاته : العقيدة ،الأخلاق، نظام المجتمع ، التشريع ، فقد نزل الدين هاديا للعقل فيها •

وحينما نقول : ان الدين نزل هاديا للعقل ، انما نعنى أن العقل لا يتحكم بالدين وانما يهتدى به ، وأن العقل يفهم الدين ويتقبله ولا يتعارض معه ولا يتناقض،وأن هذه الهداية معصومة لأنها من قبل الله سبحانه وتعالى • فلابد من اتباعها ، قال تعالى : ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (٢)، ( ومن لم يحكم بما أنزل الله،فأولئك هم الفاسقون (٣) ، ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ) (٤) ، ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما ) (٥)•

وسبب هذا التحديد وهذه الدقة فيما يتعلق بضرورة اتباع هذه المبادىء الالهية هو تناقض الفكر البشرى فى المجالات النظرية بالذات: التشريع ، الأخلاق ، العقيدة ، نظام

---

(١) واذا علم المسلمون أن أعداءهم يبيتون لهم الاعتداء بالسلاح الذرى ، فعليهم ان ياخذوا المبادرة من اعدائهم ، ويهاجموا اعداءهم بهذا السلاح ، فالهجوم أفضل وسائل الدفاع •

(٢) المائدة (٤٥) •

(٣) المائدة (٤٧) •

(٤) المائدة (٤٤) •

(٥) النساء (٦٥) •

المجتمع (١) ، فما كان صالحا منها فى مدة زمنية أصبح غير صالح فى مدة أخرى .

كل هذه النظريات متناقضة بين الشرق والغرب ، بل متناقضة فى المعسكر الشرقى ، ومتناقضة فى المعسكر الغربى ، بل هى متناقضة بين كل دولة من دول المعسكرين ، متناقضة بين جماعات تلك الدول وأفراده ، وما يكون مرغوبا فيه اليوم قد يكون غير مرغوب فيه غدا ، ولو عاد ( لينين ) مثلا الى الحياة لأنكر كثيرا مما يؤمن به الاتحاد السوفياتى اليوم !

لقد نزل الدين هداية للعقل ، وهذه الهداية للعقل ليست قاصرة على زمن دون زمن ، ولا على مكان دون مكان ، فالشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، لأن الاسلام آخر الأديان : ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا (٢) ، فأورثتنا الأجيال المتعاقبة بفضل المجتهدين مجموعات هائلة من الاجتهادات الفقهية فى جميع النواحى العملية ، تفى بحاجات الناس فى كل زمان ومكان .

فالشريعة والفقه منظمان لجميع العلاقات ، محددان لكل الحقوق والواجبات ، مبينان لحكم ما يصدر من تصرفات فردية أو جماعية أو دولية .

ان الاسلام نظم الصلة بين العبد وربه فى أبواب العبادات ، والصلة بين الانسان وأخيه الانسان فى أبواب المعاملات والعقوبات والأحوال الشخصية والسياسات الشرعية ، مالية ، وادارية ، وقضائية .

ان الوحى الالهى وضع قواعد الاسلام العامة ومبادئه الكلية فى أيام الرسالة ، ثم أخذ ينمو على مر الزمان بالاجتهاد المثمر ، حتى وصل فى مدة وجيزة من الزمن الى غاية

---

(١) عبد الحليم محمود ( الشيخ ) — الاجتهاد والثبات فى الشريعة الاسلامية — ( ٤ — ٨ ) — القاهرة — ١٣٩٦ هـ .

(٢) المائدة ( ٣ ) .

لم يصل اليها غيره فى قرون عديدة (١) .

وقد زعم قسم من المنحرفين ، أن الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، لأن بالامكان تكييفه بحسب الزمان والمكان .

حاول أحدهم فرض الافطار فى رمضان ، فأخفق حتى بعد استعماله القوة لفرض عدم الصيام .

ومنع تعدد الزوجات ، وأباح العشيقات وحرم الزوجات ، فكثرت العوانس ، وكثر اللقطاء ، وكثرت الأمراض السرية .

ومنع الطلاق ، فشاع الزنا ، وتفككت الأسرة ، وتضاعفت الخيانة الزوجية ، وضاعت الثقة بين الزوجين .

والطلاق فى الاسلام مقيد بشروط معروفة حتى النصارى فى بعض الدول الأوروبية أقروه بشروط دون شروط الاسلام ، لأنه دواء لعلل اجتماعية يستحيل التغلب عليها .

ومع اباحة التعدد فى الزوجات فى معظم الدول الاسلامية ، فان نسبة المتزوجين بأكثر من واحدة هو : واحد فى كل خمسة آلاف !!

واستهان قسم من رجال التعليم بالتعليم الدينى ، فخربت الضمائر ، وفشى الكذب ، وانهارت الفضيلة .

كان الفلاح يصلى الصبح فى مزرعته ، ويخاف الله ، فكانت غزارة الانتاج ، ورخص الأسعار ، وعمارة الحقول ، وزيادة الربح من المحصول .

وكان العامل يشتغل وهو يذكر الله ، فيبنى قويا ، ويشيد رصينا ، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الآخرون .

وكان التلميذ يحضر دروسه بانتظام ، ويقدر أساتذته ، فأصبح يزيغ من مدرسته أو كليته ، واستهان بأساتذته ومعلميه .

وكان الأستاذ يعتبر العلم (عبادة) فأصبح يعتبره ( تجارة ) ...... ولا أزيد !

---

(١) نشأة الفقه الاجتهادى وأطواره ( ١٠٩ - ١١٠ ) .

وكانت الحدود تطبق ، فاستقر الأمن واطمأن الناس ، وقلت السرقات ، وحفظت الكرامات .

وكان ... وكان ...

أصبح الفلاح لا يتقن عمله ، ويسرق مزرعته ، فأصاب المزارع الخراب والدمار ، وأصبح الغلاء هو القاعدة والرخص هو الاستثناء .

أذكر أن فقيرا طرق باب دارنا وأنا لا أزال طفلا صغيرا ، فأعطته جدتى سمنا خالصا لا يقل وزنه عن كيلوين ، فرفض السائل أخذه ، وطالب عوضا عنه بالنقود .

وأصبح العامل فى معمله متفرجا ، كل همه أن ينقضى وقت العمل لينصرف الى ترفيه نفسه بما حرم الله ، مضيعا وقته ، مدمرا صحته ، غارقا بالفسق والفجور .

بنى جدى دارا قبل سبعين عاما ، وبنى والدى دارا قبل ثلاثين عاما ، فتهدم دار والدى ، ولا يزال دار جدى قائما ، لاينفذ فى جداره مسمار .

وسألت والدى : لماذا ؟ فقال : كان العامل فى أيام جدك يبنى وهو يذكر الله ، فأصبح اليوم يبنى وهو ينصت الى المذياع .

وأصبح التلميذ لا يقرأ ، كل همه أن ينال الشهادة ، لينصرف الى لهوه ، ويوظف شهادته فى عمل يعيش به .

وقد أصغيت الى دكتور من خريجى الأزهر الشريف يقرأ فى كتاب ، فصعقت لأنه ينصب الفاعل ويرفع المفعول ، ويخطىء فى النحو والصرف أخطاء لا يقع فيها التلميذ الصغير .

وأصبح الأستاذ موظفا يعدد أياما ويقبض راتبا ، وكان من قبل أبا ورائدا ومرشدا ، يقدس العلم من أجل العلم ، ويحرص على كرامة العلماء .

ولقد رأيت بأم عينى أستاذا يشرف على طالب فى الدراسات العليا ، يكتب رسالة هذا الطالب

لنيل شهادة الدكتوراه فى دار ذلك الطالب ، ويأكل ويشرب فى أكثر الأيام فى تلك الدار : وحده تارة ومع أهله تارات ، ويقبل الهدايا الثمينة من طالبه قماشا وأجهزة وذهبا .

كل ذلك لأننا تركنا ديننا ، الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحث على العمل الصالح واتقانه، وتمسكنا بمبادىء مستوردة وشعارات هوائية ، وتخلينا عن مثلنا العليا .

ان الله سبحانه وتعالى ضمن لمن يتبع دينه السعادة فى الدنيا والآخرة، وضمن له الفوز والنصر ، وضمن له سعة الرزق ، وضمن له كفالته ورعايته ، ووعد الله سبحانه وتعالى لا يخلف أبدا .

ودراسة تاريخ المسلمين منذ كانوا حتى اليوم ، هو الدليل على صدق وعد الله ، ان كان صدق وعد الله يحتاج الى دليل .

لقد كان المسلمون عربا وعجما بالاسلام كل شىء ، فأصبح المسلمون عربا وعجما بدون اسلام لا شىء .

وحاضرهم المرير خير دليل على ما أقول .

– ٩ –

مما تقدم يتضح أنه ليس بامكان كل مسلم أن يكون رجل دين ، وليس كل رجل دين يمكن أن يكون مجتهدا ، وليس كل مجتهد يمكن أن يكون اماما ، وليس كل امام يمكن أن يبقى علمه على الدهر كما بقى علم الأئمة الأربعة المجتهدين فى الدين .

صحيح أن كل مسلم يستطيع أن يصبح رجل دين ، اذا تعلم على شيخ فأجازه ذلك الشيخ بحق ، أو اذا تخرج فى كلية دينية واستمر على التعلم والتعليم بغير انقطاع ،وخاف الله كثيرا .

وهذه هى مزية من مزايا الاسلام فى هذه الناحية ، اذ يمكن أن يتولى

المسلم أعظم المناصب الدينية تأسد ابن الفرات قاضي القضاة وفاتح صقلية ، فقد كان ابن سبيل فقيرا معدما ، ولكنه تلقى العلم على الامام مالك ومحمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنهما •

كل مسلم يستطيع أن يصبح رجل دين ، اذا تعلم العلوم الدينية ، ولا يشترط فيه أن يكون من عائلة معينة ، ولا من طبقة معينة ، ولا من لون معين ، ولا من جنس معين ، كما تنص على ذلك تعاليم بعض الأديان الأخرى ليمكن أن يصبح فيها رجل دين !!

أما الذى لا يتقن العلوم الدينية، فادعاؤه بأنه : لا رجال دين فى الاسلام ، وأن كل مسلم رجل دين، محض سخف وهراء •

هل يستطيع كل انسان أن يكون نجارا ؟ هل يستطيع كل أحد أن يصبح طبيبا ؟ هل بمقدور كل فرد أن يصير مهندسا ؟ ••• الخ ••

فكيف اذا يستطيع أن يكون كل مسلم رجل دين ؟

ان هذا العصر بخاصته ــ عصر التخصص ، بل الامعان فى التخصص، ورجل الدين الاسلامى يجب أن يكون متخصصا فى العلوم الدينية، ليمكن أن نطلق عليه اسم : رجل دين •

بل يجب أن يتحلى رجل الدين بصفات : أولها : الورع والتقوى ، وثانيهما : العلم المتين،وثالثها : العمل بهذا العلم ، ورابعها : الاخلاص لعقيدته ، وخامسها : المحافظة على كرامة العلم والعلماء ، وسادسها : الالتزام بالخلق الكريم •

تلك هى مزايا رجل الدين ، فأين هم رجال الدين حتى بين رجال الدين ؟

بقى على أن أقول كلمة فى الذين ينهشون الأئمة المجتهدين فى الدين وفقهاء السلف الصالح والزهاد والصالحين ويسلقونهم بألسنة حداد ظلما وعقوقا •

ان الذين يفعلون ذلك لابد أن يكونوا جهلاء كل الجهل ، أو منحرفين كل الانحراف ، أو عملاء

كل العمالة ، أو مغرر بهم كل التغرير .

ان هؤلاء يكشفون أنفسهم أو على الأصح يكشفونها ، ونقدهم الجاهل أو المتحيز عقوق أى عقوق .

هؤلاء لا يضرون أولئك العلماء الأعلام ، ولا ينتقصون من مكانتهم ، بل يضرون أنفسهم ، وينتقصون من قيمتها . ويضعونها فى صفوف الجهلاء أو المنحرفين أو العملاء أو المغرر بهم .

ولهؤلاء أقول : ان الذى ينطح الصخرة الصماء برأسه ، لا يفعل شيئا أكثر من تحطيم رأسه ، ثم يرتد الى مستقره خاسئا حسيرا .

ان علماءنا الأعلام هم ورثة الأنبياء ، والذين ينتقدونهم ورثة الشيطان .

ولكن هذا القول لا يغنى عن كل قول ، فلنا عود الى مزايا رجال الدين أولا ونهى السلف الصالح من العلماء ان شاء الله .

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وصلى الله على سيد القادات وقائد السادات أشرف المرسلين ، ورضى الله عن قادة الفتح الاسلامى وقادة الفكر الاسلامى ، وأثابهم عن المسلمين أعظم الثواب .

والله تعالى ولى التوفيق ، وهو الهادى الى أقوم طريق ، وحسبى الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ، والله أعلم .

**اللواء الركن محمود شيت خطاب**

## استدراك

وقع فى عدد شهر رمضان ١٣٩٦هـ فى ص ٩١٧ فى السطر الثامن « وكان الخلفاء الراشدون » ، وصحتها : « وكان الرسول عليه » وفى السطر الرابع عشر ( المصريون ) وصحتها ( المهديون ) .

# الفهـــرس



هـ

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٦

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٠٠٠٢-١٩٧٦س٨٣٦٨

The intercalary years, of which the twelfth month, Dhul-Hijja, had 30 days are 2nd, 5th, 7th, 10th, 13th, 15th, or 16th; 18th; 21st, 24th, 26th and 29th year of the cycle of 30 years (vide Zeech Ulugh Beg, chapter 1 Dar Marafati Tarikh, p. 6.). Some observe 15th year and some observe 16th year of the cycle as intercalary year. The scholar Gravius in his table observes the 15th year but another scholar, Wustenfeld-Mahler'Sche Vergleichungs, observes the 16th year of the cycle as intercalary year. The Indian Ephemeris and Noutical Almanac published by the Government of India follows the latter. This Fixed calendar is called SAL-e Istilahi (vide Isid) or Taqwim-Istillahi and is useful in every walk of life except religion.

(Islamic Culture. July, 1976.)

---

## ENGLISH SECTION

## Why Has Islam Adopted the Lunar Calender ?

Among the world religions only Islam observes a pure lunar calendar. Its year consists of 12 months without intercalation. The months actually begin from sunset when moon becomes first visible. The months of this calendar from visibility to visibility are not more than 30 days and less than 29 days. For the religious festivals and observances, such as the first of Ramadan, Idul Fitr and Haj, etc., which have been solemnly enjoined on Muslims, the beginning of each month strictly depends on the visiblity of the lunar crescent. Had Islam adopted Solar or Luni-solar calendar, fasting, one of its principal observances, would have been a perennial burden on the Muslims of one hemisphere while it would have been a permanent blessing for the Muslims of the other hemisphere. Realising the reason the Muslim world must, therefore be grateful to Islam that by adopting the lunar calendar all the religious festivals and observances, specially Ramadan, the month of fasting, are constantly shifting from one season to another and thus each month completes the round of the seoson in 33 years.

The way of combining astronomical periods such as weeks, months, and years is called Calendar. The period of light recivel from the Sun an the moon is called by astronomers the solar day and the synodic Month. From the very beginning the two periods are adopted and efforts have been made from time to time to reconcile them with one another.

Most religions observe Lunisolar Calendar.

Sometimes different beginnings of the same month have been used by different people living in the same city. It is therefore impossible to fix an exact date for an event in the calendar unless the day of the week is given with the day of the month.

Hence the calendar based on the lunar visibilility does not serve the purpose in civil and public affairs.

For civil and astronmical purposes a more exact rule is given by Ulugh Beg, the illustrious astronomer, in his zeech. The mosths of the year have 30 days and 29 days alternately, except the twelfth minth which has 29 days 19 times and 30 days 11 times in a cycle of 30 Islamic years called Daur-Saghir. Such 7 cycles make one period or Daur-Kabir; after that the days of the week return in the same order.

so turn they vision again seest thou any Falw ;" "Again turn they vision a second time : (thy) vision will come back to thee dull and discomfitted in a state worn out."

LXVII : 1-4

By the oaths and adjurations of the stars and planets God has declared that He has made them Subserbient to man. In deing so God has bestowed great bounty upon us. The following verses illstrate this fact :

"And He hath made subject to you the sun and the moon, Both diligently pursuing their courses ; and the night and the day hath He (also) made subject to you."

XIV : 33

"He has made subject to you the night and Day the sun and the moon and the stars are in subjection by His command : Verily in this are signs for men who are wise."

XVI : 12

"Seest thou not that Allah merges Night into Day and He merges Night into Day and He has subjected the sun and the moon (to His Law) each running its Course for a term appointed and that Allah is well acquinted with all that ye do ?". XXXI : 29

The significance that is concealed in these statements which Allah wants to bring forth and which man should be grateful of, lies in the following : Man study the laws operating in the universe and the Kingdom of Nature. This done, man should make them subservient to him and consequently have control over them. Eventually man should own them.

When dicussing space exploration and travels to the moon, it is sheer ignorance to say that Islam opposes such a propostion. It is nonsensicll to utter such a fallacy. The Quranic view pertaing to the planets and heavenly bodies is one of reality and factuality. It reduced them to their proper status while others had sanctified them and even worshipped them. Regarding those who prostrated to them and worshipped them the Quran has the following to say :—

"Do not prostrate to the sun and the moon but fall in prostration to Allah who created them."

LXI : 37

The sun and the moon and all the planets are mere creation of God He is their Creator and Lord. He is the Lord of the mighty planet Sirius and is also the Lord of all the planets and all stars. He created the moon and the sun and the entire heavens which He beautified with the stars.

(to be continued)

did originate creation; so will Allah produce a later creation for Allah has power over all things."

"Say : Travel through the earth and see what was the end of those before (you) most of them worshipped other besides Alloh."

"Do not they trovel through earth, and see what was the end of those before them? They were superior to them in strength : They tilled the soil and populated it in greatee mumbers than these have done : There cane to them their Apistles wiht clear (signs) (which they rejected, to their on desturtion) : it was not Allah who wronged them, but they wronged their own sauls". xxx : 9

"See they not how many of those before them we did destroy? Generations we had established on the earth, in strength such as we have not given to you, for whom we poured out rain form the skies in abundance and gave (fertile) streams flowing beneath their (feet) yet for their sins we destroyed them, and raised in their wake fresh generltions (to succed them.) VI : 6

The Quran also exhorted the Muslims to study atronomy when it adjured them by taking oaths of ceratain stars : By way of oaths and adjuration the position and rank of the stars are brought to light. This calls for great resarch, reflettion and thinking. God uses the following oaths :

"By the star when it goes down." LIII : 1

"Furthermore I call to witness the setting of the stars and that is indeed a mighty adjuration if ye odt knew."

LVI : 75-76.

God says that He is the Lord of the Mighty Star.

"That He is the Lord of Sirits (The Mighty Star)".

God discusses the great precisional wonders in the system of the planets and heavenly bodies and their movements :

"It is not permitted to the sun to catch up the moon, nor can the night outstrip the day each (just) swings along in (its own orbit swings (accordini to Law)."

XXXXVI : 40

Describing His Creation, God goes on tosay :

"Blessed is He in whose hands is Dominion and He hath power over all things."

"And He who created Death and Life, that He May try which of you is best in deed. And he is the Exalted in might. Oft-Forgiving".

"He Who created the seven heavens one above another no want of proportion wilt thou see in the creation of God Most Gracious

of the prophet (Peace Be Upon Him).

Some people, basing their ideas on suppositions, feel that the knowlede towards which the Quran appelrs so desirous in nothing but ledge about God, His Angels. His Books His Messeengers, the Hireaftar and knowledge about religious oblegations such as paryers, fasting, poor tax, Haj and knavleege about Islamic legislation and Islamit divinity.

It is a fact that Religious knowimplies faith, morals and legislatlegislations encouraged by Islam. In fact they rank in the first division. Flit is the most essential fundamental of any religion. Man's knowledge aboct God and relations with Him through His prophets is the noblest knowledge for the security of the society and the safety of its honour, life and blood.

However, despite the fact that knowledge of Allah through His Messengers rann the highest in Islam and in the domain of religion the Quran itself tells us that the whole universe is a Book of knowledge regarding God. The universe is a vast complex of natural phenomena with their complexities, precision and natural laws. The adavancement of knowledge in thse fields lead to greater comprehension about God which in turn leads one to fear God all the more.

Let's ponder together on the following verse :

"Seest thou not that Allah sends down rain from the sky ? with it we then bring out produce of various colours. And in the mountains are tracts of parions shades of colour and black intense in hue. And so amongst man and crawing crea tures and cattle, are they of various colours those truly fear Allah among his servants who have knowledge for Allah is exalted in might oft. Forgiving"

This leads us to the fact which we discussed earlier regarding the cordination, order and creation found in this world of matter, we were forced to admit,

"Verily only those who possess knowledge among His servants turuly fear Allah."

The Quran has exhorted the Muslims to pursue knowledge in various fields regarding the universe. It exhorted them to learn about the historicity of the world which it calls "Ayyam - Allah" (The passage of time). How those who followed the teaching of God and were steadfast in their faith prospered and how those who continued in evil and sins pershde. The passage of time portrays the successive lives of God's friends and the absolute dejection of those who remained the enemies of the Almighty. "Say : Travell through the earth and see how Allah

Abdullah bin Masood asid, "There are two gluttonous people who can never quench their gluttony ; One the learned man and two can never be equal. As for the Other, the wordly man. These as the learned man is concerned he increases the pleasure of God while the wordly man continues in his transgression. Abdullah then read the following verse of the Quran : "Nay, but man doth transgress all bounds, in that he looketh upon himself self-sufficient."

(XCVI 5-6

And then he read,

"Verily only those who possess knoweldge among His servants truely fear Allah."

Abu Hurairah reported :

"After a man dies his relations are severed from everything save three : charity that continues in his name, knowledge with which people benifit and His progeny that pray for him".

"After the death of a believer the rewards of the following deeds are bestowed upon him :

(1) Knowledge he learnt and imparted to others.

(2) Noble progeny he leaves behind.

(3) A Quran he leaves in his legacy.

(4) A mosque he built for the public.

(5) A way-house he built for the way farer.

(6) A river or a canal he introduced for general welfare.

(7 Wealth he offered in charity while alive and sound in health.

Safwan bin Ussal al-Muradie reports : -

"I appoached the messenger of Allah while he was sitting and resting on a red sheet. I told him, 'I have come in search of knowedge. 'He said, welcome to a seeker of knowledge. He is welcomed by the angels who spread their wings for him in groups soar up is heaven conveying this news in great delight.

Abu Hurairah reports that the Prophet (Peace Be Upon Him) said, "The finest charity for a Muslim is to study knowledge and the impart it to his Muslim brother."

Abu Hurairah reports that the Prophet (Peace Be Upon Him) said,

"Knowledge that benefits none is like treasure not spent in the way of Allah."

The Type Of Knowledge Advocated by the Quran and the Hadith

The learned on the earth are like the stars in the sky. Guidance is available by them during dark nights on land and sea. Once the stars disappear the guides are on the verge of failing astray. Kusair bin Qabas narrates the following : He said,

"I was sitting with Abu Darda in *a mosque in Damscus. A man came* forward and said, O Abu Darda ! I have come from the city of the Prophet (Peace Be upon Him). I have not come for anything except that I heard the Prophet (Peacce Be Upon Him) say : "Any person who travels for the acquisition of knowledge Allah puts him on one of the paths to Heaven.

"The angels stretch their wings welcoming a student in search of knowledge. All the things that exist between the heavens and the earth including the fish in the sea ask Almighty to accept the repentance of the learned.

A learned man, in comparison to an isolated worshipper is superior. He is like the full moon in comparison to the stars. The learned are the heirs of the Prophets. The Prophets of Allah have not bequested money or wealth. The inheritance left by them is knowledsimethng considerablly great."

Abu Omama el-Bahily reports : "Two persons were discussed by the Prophet (Peace Be Upon Him) one a worshipper and another a learned man. The Prophet said,

"The status of a learned man compared to a worshipper, is like my status, conpared to the most inferior ones amongst you. The prophet then added, "Verily Allah His Angels and all His creation in the heavens and the earth, includnig ihe ants in their moles and the fish, pray for the learned who mports the good things to people".

Aisha reports the following :

"I heard the Prophet saying. "Allah has revealed it to me that He paves the way to Heaven for those who travel in search of knowledge. He confirms Heaven for those who have lost their two daughters. The bounty of knowledge is superior to the merits of worship and the most noble aspect of religion is God consciousness".

Anas reports :

The Messenger of Allah, said whoever travels in search of knowleldge is in the path of Allah until he returns."

Abdullah bin Masood reports :

The Messenger of Allah, soid "Only two people may be envied : One who is endowed with abundant wealth and is engaged in spending it in the way of truth and another whom God has given wisdom and he imparts it to the others and judges with it."

Since the learned people bear witness to the concept of monotheism together with God and the angels, their positions became very noble and their ranks too,are noble.

"Allah will raise (suitble ranks) those who believe and who have been granted knowledge. And Allah is well-acquainted with what you do''. (LVIII : 11).

Because of the extremely elevated position of knowledge and the learned people, the Lord, especialy asked His messenger who is an ideal example for the Muslims, to say the following :

"O my Lord ! Advance me in knowledge". (XX : 114

O Lord ! advance me in knowledge every day ; in fact every second. This should be the motto of the believing Muslim. Obviously if a Muslim's knowledge in creases, his fear for the Lord. too, will increase. With that Islam would be established in full and will be absolutey perfect.

A point that should never be forgotten, in fact alays remembered is the first word that was revealed to the Prophet (Peace Be Upon Him : the first word that gave the glad-tidings of a new era full of new light. It was the word "Read".

*The Status of Knowledge in the "Sunnah" of the Prophet.*

We may allude to the teachings of the Prophet (Peace Be Upon Him) from where we can take a beautiful pattern of conduct in matters pertaining to life in general and knowledge in particular : "There is indeed in the Apostle of Allah a beautiful pattern of conduct for you ; for anyone whose hope is in Allah and the Final Day and who engages much in the praise of Allah." (XXXIII : 21)

Abu Hurairah reports the following :

Whosoever relieves a believer from an afliction on the Day of Judgement, and whosoever conceals a beiever's shortcoming Allah protects him both in this world and the Hereafter. Allah assists every person who is preoccupied in helping his bdother.

"Whosoever travels in search of knowledge Allah makes his way easy to heaven. Indeed, wherever people gather in the house of Allah reciting and studying the Book of Allah, the angels welcome them, peace is showed upon them and Allah's mercy envelops them. Allah mentions them among those who are close to Him.

"A person whose noble deeds and actions are nil can never be responsible by his noble geneology. "(In Islam deeds and not lineage counts for eternal bliss).

Anas bin Malik reports the following :

is better ? Allah or the false gods they associate (With Him) ? Or, Who has created the heavens and the earth and who sends you down rain from the sky ? Yea, with it we cause to grow well planted orchards full of beauty and delight : it is not in your power to cause the growth of the trees in them. (Can there be another) god besides Allah, Nay they are a people who swerve from justice. "Or who has made the earth firm to live in ; made rivers in its midst ; set thereon mountains immovable; and a separating bar between the two bodies of flowing water ? (Can there be another) god besides Allah ? Nay, most of them know not. Or, who listens to the (soul) distressed when it calls on Him. ond who relieves its suffering, and makes you inheritors of the earth ? (Can there be another) god besides Allah ? Little it is that ye heed or, who guides you through the depths of darkness on land and sea, who sends the winds as heralds of gladtidings, going before His Mercy ? (Can there be another) god besides Allah ? High is Allah above what thou associate with Him. Or who originates Creation then repeats it, and who gives sustenance from heaven and earth ? (Can there be another) god besides Allah ? Say, "Bring forth your argument if ye are telling the truth. (XXVI : 59-64).

Following the above verses, God makes a further remark. According to the Lord, no man's knowledge, however encyclopeadic, can ever comprehend the unknown. The unknown is far greater and none save Allah comprehends everything. This apparently means that knowledge has no ens and as long as the earth and heavens exist knowing the unknown will never come to finality :

"Say, None in the heavens or on the earth, except Allah knows what is hidden : Nor can they perceive when they shall be raised up (for judgement) XXVLL 65).

Islam has laid great stress on knowledge. It has encouraged mankind to acquire it and made it one of the basis of religion. This it has done for man to reach the stage of monotheism in faith and to reach the highest point where mankind can reach. In stressing on knowledge Islam has reached In unchallengable point; point where none can compete with.

For the purpose of monotheism in faith or for the specific purpose for man to reach the highest point possible, Islam has encouraged the pursuit of knowledge. In fact Islam has made knowledge an integral part of its system. The Quranic verses and traditions of the Prophet pertaining to knowledge are plenty and most beneficial.

## ISLAM AND KNOWLEDGE—II

*By*
**Dr. Abdul Halim Mahmoud**
**The Grand Sheikh of Al-Azhar**

The Almighty Lord is True in His Proclamation :

"Verily, only those who possess knowledge among His servants truly fear Allah."

The fear of the Lord which is the fruit of knowledge is one of the most important basics of Islam. It is from here that Islam sees knowledge as a necessity and not as a luxury. This in itself is an in an Islamic personality. A Muslim personality must be versed with personality must be versed with knowledge ; hnowledge of the universe, of man and of the mind. In fact in every field that this word may entail.

Where does the fear of the Lord lead ? Where do the sincere believing scholars end up ? What is the import of the following verse :

"There is no god but He : That is the Witness if Allah His Angels and those endued with knowledge. standing firm on justice. There is no god but He, the Exalted in power, the Wise." III : 18.

By the way of knowledge which produces fear of God, man reaches the realms of monotheism. According to el-Bayruni, monotheism is the hallmark of Islam and it is also the characteristic of true religion. The concept of monotheism is witnessed by God and His pure angles. In co-relating and corresponding the Ulemas with the Angels the Almighty has elevated the position of knowledge to the noblest rank.

The tenet of monotheism is the fundamental principle in Islam. It is :

"I bear witness that there is no god but Allah and Muhammad is His Messenger."

This is witnessed in full by the learned only. In the same way monotheism whch is the height of spiritualism is also witnessed by the learned in faith. God Has presented monotheism to mankind in various ways. The presentation is unique, precise and often very deep. It is only comprehended by the learned and those who are versed with knowledge :

"Say ; Praise be to Allah and peace on His servants Whom He has chosen (For His Message) (Who)

write in over 70 different styles of scripts.

Among the calligraphic exhibits at the London Festival some of the finest examples were those from Egypt, Turkey - especially those of the Ottomans - and Persia. Calligraphy thus has the most honoured place among the arts of Islam. To study Arabic calligraphy and the rich variety of its various styles, it is said, is to feel the heort-beat of the Muslim art.

The Festival of Islam was the most spectacular and comprehensive fair ever organised. Except for transporting buildings to depict the splendid architectural heritage of Islam, nothing has been left undons. Over 2,000 invaluable art treasures, spanning over 1,400 years, have been brought together from countries stretching from Spain to Indonesia. The indemnity given for these exhibits by the British Government was between £ 30—50 - million. The cost of the Festival has been estimated by the organisers to be around $ 2 billion. The funds have been entirely contributed by Islamic countries, espcially Saudi Arabia, Kuwait, the United Arab Emirates, and Iran.

———— -

The art that holds the key position among all artistic activities of the Mulims is architecture. In fact most other arts were encouraged only to serve architecture and hence are of secondary importance. Some beautifully made audiovisual shows and films based on the architecture achievements of Muslims were being shown in the Festival.

Islamic architecture revolves round three stuctures- the mosque, the palace and the tomb. A mosque or masjid a place where one prostrates oneself is any public place of worship. The mosque was never meant to be only a place of worship. It was used for many other purposes such as a court, a public meeting hall and most commonly as madrassa or place of learning. Some of these mosques grew into famous universities, e.g. Al-Azhar in Cairo which has been flourishing as a centre of learning for over a thousond years.

The rest of the arts of the Muslims is represented with innumerable selections of the finest carpest as well as art objects made of glaass, cermics, wood, ivory and marbleof these ceramic and glass products of Persia, Syira and Egypt are indeed exquisite.

In the 'Quranic exhibition being held at the British Museum there were manuscripts from every part of the world. There were early Qurans of the 8th and the 9th centuries written on vellum, a parchment made of lambskin. The oldest Arabic manuscript written in the ancient Mail script was also no display. So are many precious Qurans of the Salijuk, Mamluk, Mongol and Timurid periods : the exquiste calligraphy and illuminations (decorations of Qurans) of the Ottomans and the Safavids were also represented. Indian exhibits formed an important section, with manuscripts showing Indian calligraphic styles and illuminations of Qurans from the 13th to the 19th century which have been brought from various personal collections and important museums.

The copying of the Quran is considrered of great spiritual benefit to both the calligrapher and his patron. Thus many Muslims spent alot of their time making copies of the sacred book.

The earliest version of calligraphy was in the script that is called Kufic after the city kufa in Iraq- which was one of the main centres of Islamic culture. There were a number of forms and variations of the Kufic script; some elaborate and intricate examples at the Islamic Arts Exhibition looked lovely but were not easy to read. There were numerous other styles of writing. A Persian calligrapher was said to be able to

rical and also places the Nile correctly. In the West, cartography is claimed as a 19th century European science.

Medicine was undoubtedly one of the world Islam's major fields of accomplishement. The Science Exhibition is flooded with pictures and copies of the thesis of the Muslim physicians al-Razi and Ibn-Sina (known in Europe as Avicenna) and other important works on anatomy and surgery.

Ibn-Sina in the 10th century wrote 43 books on medicine. He emphasised the importance of diet and climate on health and wrote about the dangerous effects of emotional strain and of contaminated water being a carrier of diseases.

Al-Razi's medical encyclopaedia was used in Venice until the 16th century. He wrote the first clinial account of smallpox to distinguish from measles. There is some very interesting information in it : for instance, al-Razi chose a site for a new hospital in Baghdad by hanging up lumps of raw meat in various parts of the city to see where it rotted most slowly.

Although Muslim doctors performed surgery only as a least resort, many surgical operations were well developed. For example caesarean operations were done and written in the 11th century by the geatest Muslim surgeon of medieval times-al-Zahrawi. His major work became a standard text in Europe and remained so until the 16th century.

Also on display were pictures showing anatomical details of the human and animal bodies. The father of the micoroscope, telescope and even the camera was a Muslim Al Haythum who in his Book of Optics had laid the foundations of outical knowledge. Muslim physicians also exclled in treating diseases of the eye.

In the technological field also, Islam's contribution is noteworthy. There are drawings by engineers showing how water can be impounded, conducted through canals, focred up into fountain jets and used to run water-wheels. By building massive cistrns and by distributing the stored water through complex irrigation systems, they were able to create entire cities in the desert.

A few days later the venue shifted from Albert Hall *to* the Haywa from Albert Hall to the Hayward Gallery. A dstigufshing gathering of British Cabinet Ministers, Members of Parliament, Ambassadors, Government officials, leaders of various delegations from Islamic countries and eminent Muslim and Western scholars sat together as Queen Elizabeth inaugurated the World of Islam Festival' by opening the exhibition, "The Arts of Islam''.

these sciences were systematised and enriched and from them new forms and branches came into being.

Th transmission of the sciences from languages such as Greek, Syriac, Sanskrit and Phalvi into Arabic was in itself a stupendous task. It was accomplished within a period of 200 years from the 8th to the 10th century. With translators such as Hunayn ibn Ishaq and the efforts of many Caliphs, princes and veziers, the works of Ptolemy, Aristotle, Euclied and Galen were translated into Arabic. And thus for the first time in history, science became international and Arabic, as its vehicle, the most important language of science in the world.

The tools, instruments, maps, manuscripts and drawings that the Festival has borrowed from various museums bear testimony to what the Muslims - in particular what the Arabs and the Persians - had achieved in the realm of sciences from astronomy to minerology. They invented or perfected many scientific instruments. Istitutions like the teaching hospital and the observatory are the gifts of Islam to the world. Sundials are an Islamic invention. The earliest known portable sundial was on display at the exhibition. The sandglass clock and the astrollbe were perfected by Muslim scientists both as instruments and as works of art.

Most of the renowned Muslim astronomers and mathematicians also worked on astrolongical studies. Although Isam forbids fortune - telling, royal patronage gave it an important place in Muslim life. Its practice led to significant adventures in the study of astronomy and mathematics. One of the exhibits that was an ancient manusiript of al-Biruni's book on astrology.

It was from the greatest Muslim astrologer, Abu Mashar, that the West first learned of the connection between the moon and the tides. In the field of geography, the Arabs were the first to make maps and chart sea routes as early as in the 13th century. Copernicus's discovery that the earth rotates on its axis and the planets revolve in orbits round the sun was based on earlier discoveries by Muslim astronomers.

Yaqut, a former Greek slave, also known as al-Rumi, compiled a massive six-volume geographical dictionary, Mujam al Buldam, in 1228 which contained a great deal of information about the physical features, climate, plant and animal life of various parts of the world. The most remarkable map of the world was drawn by a Morrocan, al-Idrisi, in the 12th centory; it recognises the earth's being sphe-

the West maligned Islam and its Prophet and belittle the achievemeits of Muslims. The record has been put straight with the world's first exhibition of the contributions made by Muslim scholars, scientists, poets, architects, artists and craftsman in different countries through the ages.

It is not surprising that after many generations had been fed on this kind of falsehood Europeans could not believe that Muslims had made any contribution to learning or that they had produced great works of architecture, written exquisite poetry or that the sovereign creed of Islam was what the word means-Peace. It was, therefore, gratifying to see a citadel of Christianity glorifying Islam and paying it a long-overdue tribute.

The Exhibition of Science and Technology became the focal point of interest in the Festival. For it is in this field that the contribution of the Muslim world is outstanding but least known. Apart from highlighting the achievements of the Muslims, the Exhibition helped to clear the erroneous view that had persisted in Europe that Islamic science acted merely as a bridge between the Greek and other ancient civilisations on the one hand and Medieval Europe on the other.

Before the Greeks, ancient Egyptians and Mesopotamians had produced important works on medicine and mathematics. The Greeks developed these further and gave to the word philosophers such as Aristotle, Plato, Pythogoras, Thales and many others. There centuries later, the centre of activity shifted to Alexandria where a synthesis of Greek, Egyptian and Oriental learning was evolved. It produced men like Galen, Ptotemy and Euclid. And thus from Alexandria the Graeco-Hellenic heritage came to Islam.

Persian contributions to Islamic sciences are both indigenous as well as of Greek or Indian origin.

Among those that came from India were mathematics, medicien, astronomy and natural history. The main source of Muslim Natural History which became one of the masterpieces of Arabic literature was first translated from Sanskrit into Pahlvi and then into Arabic.

However it would be incorrect to consider Islam merely a carrier of ideas of older civilisations to the West. The material, it got from the Greeks, the Indians and the Persians provided the Muslim scholars bases in which to work. They developed them further, remoulded them and gave them a Muslim orientation. Consequently

# MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

| SHAWWAL 1395 | ENGLISH SECTION | SEPTEMBER 1976 |
|---|---|---|

## A GLANCE AT 'THE WORLD OF ISLAM FESITVAL' IN LONDON

*By*

**Dr. Mohiaddin Alwaye**

The five-month long International Festival of The World of Islam held in Britain, in the first half of t his year (1976), was a unique occasion to highlight the debt that the world owes to Islam. It was the most spectacular and comprehensive Festival ever organised. Beside a series of seminars on different Islamic themes; several exhibitions were held, and valuable books on Islamic Contributions have been published.

The most outstanding of the exhibitions were those of "Science and Technology in Islam", "The Arts of Islam" and "the Quranic Exhibition". According to the organisers, the Festival is a cultural and intellectual exercise with the specific purpose of putting Islam in its proper perspective and highlighting it from the Islamic viewpoint. In a way it is perhaps the clearing of its conscience by the West for all the misrepresentations and distortions to which it had subjected Islam ever since the Middle ages.

The mistrust of Islam began with the conquest of Muslim armies which planted the banner of the crescent over large parts of Asia, North Africa and into the heart of Christendom. Then came the direct confrontation with Christianity when Muslims drove the Christian crusaders out of Western Asia. With the political decline of the Ottoman Empire in the 17th century, Islamic power was eclipsed and the resentment against Islam turned to disdin, its intellectual achievements were treated with contempt and its artistic content ignored. For many centuries,

مدير التحرير
الدكتور عبد الودود شلبي
بدل الاشتراك
١٠٠ فى جمهورية مصر العربية
١٢٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء التاسع — السنة الثامنة والأربعون — ذو القعدة سنة ١٣٩٦ هـ — نوفمبر سنة ١٩٧٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

## الفقه الإسلامى
### طريقته ومكانته فى أعراف المستبصرين

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

ان الفقه الاسلامى : هو مواد السلوك للمسلم : انه يتناول حياته فى الصغير منها والكبير ، وينظم سلوكه الأخلاقى بأوسع ما تتضمنه كلمة أخلاق ،منذ أن يصبح الى أن يمسى، ومنذ ميلاده الى أن تنتهى به الحياة ثم ينظم شئون ميراثه — ان كان له ميراث — بعد حياته •

انه ينظم سلوكه مع نفسه،ويشرح من ذلك ما خفى وما ظهر وينظم سلوكه مع الله فيبين له ما ينبغى أن يتحلى به حتى يصير ربانيا وينظم سلوكه مع اخوانه فى المجتمع ، سلبا وايجابا ، قولا وفعلا •

انه قانون الحياة بالنسبة للمسلم•

انه : القانون الذى يبين أنواع السلوك ، من حيث كونه جائزا ، أو واجبا ، أو مستحبا ، ومن حيث كونه حراما ، أو مكروها وذلك فى ميادين الحياة •

لقد تتبع آيات القرآن الكريم ، وتتبع الأحاديث النبوية تتبعا دقيقا ونسقها ، فأصبح بذلك صورة واضحة لحياة المسلم ، وتغلغل بذلك فى جميع الميادين ، حتى تلك التى ما كان الانسان يظن أنه ينتبه اليها أو يتجه نحوها .

خذ مثلا مسألة الروائح الزكية ، أو العطرية تجده يذكر : عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :«من عرض عليه طيب فلا يرده ، فانه خفيف المحمل طيب الرائحة » .

وعن أبى سعيد : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال فى المسك هو . «أطيب طيبكم » ويذكر الفرق بين التزين والكبر :

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » .

فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنا ، قال : ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس» ومن هذا الوادى ــ وادى التزين والروائح الطيبة ــ عن جابر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أكل الثوم والبصل والكراث : فلا يقربن مسجدنا ، فان الملائكة تتأذى منه » (١) .

ويتحدث الفقه عن : الذهب ، والحرير ، والأقمشة المحلاة بالتصاليب ، فيذكر : عن أبى موسى ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أحل الذهب والحرير للاناث من أمتى ، وحرم على ذكورها » (٢)

وعن حذيفة قال : « نهانا النبى صلى الله عليه وسلم ، أن نشرب فى آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج ، وأن نجلس عليه » (٣) .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه أحمد والترمذى وصححه .
(٣) رواه البخارى .

وعن أنس : «أن النبى صلى الله عليه وسلم ، رخص لعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، فى لبس الحرير لحكة كانت بهما » .

وعن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم « لم يكن يترك شيئافيه تصاليب الا نقضه » رواه البخارى وأبو داود وأحمد ، ولفظه «لم يكن يدع فى بيته ثوبا فيه تصليب الا نقضه » .

ويتحدث الفقه عن نواح من التحفظ الصحى فيذكر : عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه نهى أن يبال فى الماء الراكد(١) » .

وعن جابر بن عبد الله ، فى حديث له ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أوك سقاءك ، واذكر اسم الله، وخمر اناءك واذكر اسم الله ، ولو أن تفرض عليه عودا » متفق عليه .

ولمسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : غطوا الاناء وأوكوا السقاء فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء ، الا نزل فيه من ذلك الوباء » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا اللاعنين قالوا : وما اللاعنين يارسول الله ؟

قال : الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم ، أى الذى يقضى حاجته فى الطريق الذى يسير فيه الناس ، أو تحت الأشجار التى يستظلون بها (٢) » . أما عن التبرج والتخنث فانه يشرح .

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، على رءوسهم أمثال أسنمة البخت المائلة ، لايرين الجنة ولايجدن ريحها ورجال معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس » (٣) .

---

(١) رواه احمد ومسلم والنسائى وابن ماجه .
(٢) رواه احمد ومسلم وأبو داود.
(٣) رواه احمد ومسلم .

وعن أبى هريرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، « لعن الرجل يلبس لبس المرأة والمرأة تلبس لبس الرجل (١) » .

والحديث عن التبرج والتخنث ، يجر الى الحديث عن سفر المرأة وحدها : فعن أبى هريرة فيما رواه الشيخان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة الا مع ذى محرم عليها » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما — فيما رواه الشيخان أيضا — أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع ذى محرم ، فقال رجل يا رسول الله ان امرأتى خرجت حاجة ، وانى كتبت فى غزوة كذا وكذا ، قال : انطلق فحج مع امرأتك » .

والحديث عن التبرج أيضا يجر الى الحديث عن كشف العورة : عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال : قلت : يارسول الله عوراتنا ما نأتى منها وما نذر ؟ قال « احفظ عورتك الا من زوجتك ، أو ماملكت يمينك .

قلت : فاذا كان القوم بعضهم فى بعض قال : ان استطعت ألا يراها أحد فلا يرينها ، قلت : فاذا كان أحدنا خاليا ، قال : فالله تبارك وتعالى أحق أن يستحيا منه » .

وعن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حى ولا ميت (٢) » .

وعن محمد بن جحش قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على معمر ، وفخذاه مكشوفتان ، فقال : «يا معمر : غط فخذيك ، فان الفخذين عورة » (٣) .

وعن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «الفخذ عورة» رواه الترمذى وأحمد ولفظه : « مر

---

(١) رواه أحمد وابو داود .

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه .

(٣) رواه أحمد والبخارى فى تاريخه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وفخذه خارجة ، فقال : غط فخذيك فان فخذ الرجل من عورته» .

وعن يعلى بن أمية : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأى رجلا يغتسل فى فضاء مكشوف ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: ان الله عز وجل حيى ستير يحب الحياء والستر ، فاذا اغتسل أحدكم فليستتر (١) » .

ويأخذ الجانب الأخلاقى شأنا كبيرا فى الفقه نذكر منه على سبيل المثال : عن ابن عباس ، رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم: « مر بقبرين فقال : انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير : أما أحدهما ، فكان لا يستتر من بوله وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة» رواه أصحاب الصحاح وفى رواية البخارى والنسائى : « وما يعذبان فى كبير ثم قال « بلى كان أحدهما ...» وذكر الحديث ويروى الفقه فى هذا الجانب قوله صلى الله عليه وسلم :

« بعثت لأتمم حسن الأخلاق »

ويصل الأمر بسعيد بن المسيب أن يقول : ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى ، قال : اصلاح ذات البين ، واياكم والبغضة فانها الحالقة .

ويروى الفقه قول رسول الله صلى الله علبه وسلم ، لكل دين خلق ، وخلق الاسلام الحياء وتقول السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ماخير فى أمرين قط الا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثما ، فان كان اثما كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها (٢) » .

ويصل الأمر فى الفقه الى تنظيم كيفية الأكل والشرب وما يقوله الانسان عند خروجه من البيت وعند دخوله وعند ركوبه وعند نزوله وفى الملابس مثلا عن أبى هريرة قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لبس قميصا بدأ بميامنه » .

---

(١) رواه أبو داود والنسائى .

(٢) الاحاديث من المصدر السابق .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا لبس ثوبا : عمامة أو قميصا أو رداء ، يقول : اللهم لك الحمد ، أنت كسوتنيه ، أسألك خيره وخيرما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (١) » .

وما كان الفقه فى يوم من الأيام خاصا بجانب من الحياة الاجتماعية دون جانب .

لقد كان يتضمن الأخلاق ، ويتضمن التشريع ، كان يشتمل على العبادات والمعاملات : بيعا وشراء ـ وجهادا وقتالا ، وسلاما ، نكاحا وميراثا ، لقد كان الفقه يشرع للانسان فى جميع أقطاره وزواياه .

وكانت الطريقة المثلى للتأليف فى الفقه : هى الطريقة التى اتبعها السلف الصالح رضى الله عنهم : لقد اعتقدوا اعتقادا موفقا ، هو أن مهمتهم انما هى جمع الأحاديث فى كل مجال ، وتنسيقها ، وتبويبها ، وتقسيمها الى فصول ، والى فقرات تنتظم جميعها تحت وحدة متحدة هى الحياة الاسلامية .

والحياة الاسلامية : لا تنقسم الى ميادين تنفصل وتتعدد ، انما هى وحدة متماسكة ومن هنا كانت هذه ـ الكتب الأولى فى «الحياة الاسلامية» تبدأ بالحديث عن الوحى ، وعن الايمان ، وعن العلم .

واذا تصفحت كتابا مثل الموطأ للامام مالك رضى الله عنه ـ وهو كتاب فقه رغم كل ما يمكن أن يقال ، بل هو فى نظرنا كتاب الفقه المثالى : فانك تجد فيه فصلا عن حسن الخلق ، وفصلا يطول عن صفة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأسى به ، ومتابعته فى أخلاقه وسلوكه ، وفصلا عن الرؤيا وتجد فصلا عن العلم ، وفصلا عن أسمائه صلى الله عليه وسلم .

كان الفقه الاسلامى صورة كاملة لحياة المسلم على صورتها الصحيحة وفى ترابطها الذى لا انفصام له ولا انفكاك .

لقد كان شرحا للاسلام ، وتفصيلا للايمان ، والاسلام هو تصوير للحياة التى أحبها الله لمن كانوا خير

---

(١) رواه الترمذى .

أمة أخرجت للناس ، والايمان الاسلامى:تعبير عن الحياة الاسلامية الخالصة المخلصة والايمان فى وحدته التامة شعب كثيرة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ،قال: يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « الايمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الايمان » •

وحينما بين سادتنا العلماء المحققون ، الذين أخلصوا لله ورسوله ، تلك الشعب ، عن طريق الأحاديث الشريفة التى وضحت الايمان ، وعن طريق الآيات القرآنية الكريمة التى تحدثت عن الايمان : قسموا تلك الشعب الى ما يختص منها بالقلب ، وما يختص باللسان ، وما يختص بالبدن ، أى أن الايمان يغمر الكيان الانسانى كله : اعتقادا وقولا وفعلا •

ومن الأحاديث الشريفة : تتبين أن الحب فى الله والبغض فى الله من الايمان،وأنه : لا يؤمن أحدكمحتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وأن الذى يؤذى جاره ليس بمؤمن •

وليس بمؤمن : من شبع وجاره جائع •

وأن الجهاد من الايمان : يقول صلوات الله عليه وسلامه : « انتدب الله لمن خرج فى سبيله ، ولا يخرجه الا ايمان بى ، وتصديق برسلى أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أن أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل » •

ومنها تتبين أيضا أن :

قيام ليلة القدر : من الايمان •

والانصاف من النفس : من الايمان •

وبذل السلام للعالم : من الايمان•

والانفاق من الاقتار من الايمان•

وتطوع قيام رمضان : من الايمان•

وصوم رمضان ايمانا واحتسابا: من الايمان •

والصلاة : من الايمان : بل لقد عبر الله تعالى عنها بالايمان فى قوله

تعالى : « وما كان الله ليضيع ايمانكم » .

ويتغلغل الايمان فى الحياة الاجتماعية حتى يصل الى السهل من أمرها والميسور فتكون اماطة الأذى عن الطريق : من الايمان ، ويكون افشاء السلام ـ تعارفا وتوددا من الايمان .

واذا ما تغلغل الايمان فى النفس : وجد المؤمن حلاوة الايمان ، وهو لا ينعم بحلاوة الايمان الا أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه الا لله .

وأن يكره المرء أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار (١) .

لقد كان الفقه : بيانا للحياة الاسلامية حسبما رسمها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يلبى حاجات المجتمعات فيما يتعلق بالأحكام الاسلامية كلما أحدثت المجتمعات جديدا من الأمر أو ابتدعت شأنا من الشئون .

لقد كان الصحابة يلجئون الى الآيات القرآنية يستلهمونها الصواب ، والى الأحاديث النبوية يستمدون منها الرشد .

وما كان الفقه فى يوم من الأيام ، وما كانت هذه المواد التى تنظم الحياة آراء بشرية ، انها ليست نتيجة منطق بشرى أو تفكير انسانى يصدر عن الذات الانسانية : فيختلف فيه الناس من فرد الى فرد ، ومن بيئة الى بيئة ومن زمن الى آخر ، كما يختلفون بحسب ذلك ، فى كل ما هو نتاج بشرى .

كلا ، ان الفقه الاسلامى ، انما هو ميراث النبوة ، انه شرح للوحى أو بتعبير أدق : انه ترجمة للوحى ، واستنتاج من قواعده العامة ، واتباع لسلوك الرسول صلى الله عليه وسلم ، باعتباره المسلم الأول : « وأنا أول المسلمين » .

أو باعتباره المطبق الدقيق لما أوحاه الله تعالى على قلبه ، رسالة

---

(١) هذه كلها درر منثورة اقتبسناها من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب الايمان .

الى الانسانية لهدايتها الى الصراط المستقيم .

ان الفقه الاسلامى : اتباع،وليس ابتداعا ، وانه محاولة جاهدة لكشف الآثار النبوية والتزامها ، وليس اختراعا يؤلفه البشر .

ولقد كان أئمتنا ، رضى الله عنهم، ينبهون بأقوالهم ونزعاتهم وسلوكهم الى هذا الأمر البدهى عند ذوى الشعور الدينى .

لقد كان شعار أئمتنا جميعا ، رضى الله عنهم .

اذا صح الحديث فهو مذهبى .

انما أنا متبع لا مبتدع .

كل انسان يؤخذ منه ويرد عليه الا صاحب هذه الروضة الشريفة وصاحب هذه الروضة الشريفه : هو وحده الامام ، وكان الامام لأنه الكائن الوحيد الذى اجتباه الله رسولا خاتما للرسل ، ونبيا خاتما للأنبياء ، وكل ما أتى به قرآنا كان ، أو حديثا قدسيا ، أو حديثا نبويا شريفا انما هو مقدس ، لأنه : ماينطق عن الهوى ، ولأنه يدعو الى الله على بصيرة ، ولأن من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن اتبعه فقد أحبه الله .

« وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى » (١)

« قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة » (٢)

« قل : ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » (٣)

كان سلفنا الصالح ينزعون هذه النزعة : نزعة الخضوع المطلق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، لقد كانوا يسجدون للنص، يسجدون له بجوارحهم وقلوبهم ، وأرواحهم ، وعقولهم ، لقد كانوا يخضعون عقولهم للنص ويجعلون القائد الحكم المهيمن .

وكانوا يعرفون أن ادخال شخصيتهم فى النص ، انما هو انحراف

(١) سورة النجم آية ٣ ، ٤
(٢) سورة يوسف آية ١٠٨
(٣) سورة آل عمران آية ٣١

يعظم أو يقل بحسب مدى التدخل البشرى فى النص ، وكانوا يعرفون أن الوحى جاء هاديا للعقل ، قائدا له فى الأمور التى لا يتأتى للعقل أن يلج ميادينها أو يقتحم حماها ، أو يدلى فيها برأى يتفق عليه الناس .

وهذه الميادين هى الدين ، ومادام الدين ليس رأيا بشريا لأنه تنزيل من حكيم حميد :

فان كل موقف من الشخصية البشرية ، تجاه النص الالهى — سوى موقف السجود له — انما هو موقف لتبديل الدين من أن يكون الهيا الى أن يكون بشريا .

ولو كان يستقيم الأمر على ذلك — أى على التبديل — لما كان هناك من حاجة الى الدين .

يروى أبو داود والدار قطنى عن سيدنا على رضى الله عنه قال : « لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه ، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه » .

ان الدين ليس رأيا ، وليس بالرأى ، وانظر الى الحديث التالى :

انه معبر أقوى ما يكون التعبير ، ودقيق فى مغزاه دقة بالغة : عن البراء ابن عازب ، رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : اذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللهم انى أسلمت نفسى اليك ، ووجهت وجهى اليك ، وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ منك الا اليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت فان مت فى ليلتك : فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به .

يقول البراء بن عازب : فرددتها على النبى صلى الله عليه وسلم ، ( أى أخذت فى اعادتها عليه صلى الله عليه وسلم ) فلما بلغت : آمنت بكتابك الذى أنزلت ، قلت ورسولك ، قال : لا ونبيك الذى أرسلت رواه الستة .

وزاد البخارى والترمذى : « فانك ان مت من ليلتك مت على الفطرة ، وان أصبحت خيرا » .

ان الصحابى الجليل البراء ابن عازب ، رضى الله عنه ، أبدل كلمة بكلمة نسيانا منه ، لقد قال « رسولك » بدل أن يقول «نبيك» .

وكلمة « رسول » تتضمن معنى النبوة فهى اذن فيها المعنى وزيادة ، وبحسب منطقنا وبحسب عقلنا تكون صالحة ... ولكنها فى منطق الحق لم تكن صالحة .

وبعد .. فاننا لا نرى بعقلنا ومنطقنا ، الا الشكل والظاهر ، أما بواطن الأمور اما أسرار الكلمات ، اما حكمة الأوضاع المحددة ، اما اكتناه خفايا التقديرات الالهية .

ان كل ذلك اذا لم يكشف الله عنه ، أو عن بعضه فاننا لا نصل اليه بمنطق البشر .

« انا كل شىء خلقناه بقدر » بمقدار محدد وتقدير معين .

واكتناه سر هذا القدر أو هذا التقدير ، اكتناها تاما لا يصل اليه الانسان بل لا تصل اليه الملائكة :

« وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم» .

ان العلم الصحيح الصادق فى عالم الهداية الالهية ، والتربية الربانية ، انما هو من الله سبحانه ، وكل ابتعاد عنه ، أو خروج عليه ، أو تغيير فيه، انما هو ضلال .

**دكتور عبد الحليم محمود**

---

# دعاء النبى صلى الله عليه وسلم

للأستاذ أبو الحسن الندوى

— ٣ —

**التعبير عن القلب :**

وقد ناب النبى — صلى الله عليه وسلم — فى دعائه كل انسان عن كل ما يحتاج اليه ، بأكمل ما يكون النيابة ، فسيجد كل انسان فى كل زمان ومكان الى يوم يرث الله فيه الأرض ومن عليها ، تعبيرا عن قلبه ، وتمثيلا لعواطفه ومشاعره ، وأسبابه وارتياحا لقلبه ، وطلبا لحاجات قلما تخطر ببال عامة البشر ، اقرأ هذا الدعاء على سبيل المثال :

« اللهم انى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال ، والأهواء ، والأدواء ، نعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد — صلى الله عليه وسلم — (١) ومن جار السوء فى دار المقامة ، فان جار البادية يتحول وغلبة العدو ، وشماتة الأعداء ، ومن الجوع ، فانه بئس الضجيع ، ومن الخيانة ، فانها بئست البطانة ، وان نرجع على أعقابنا ، أو نفتن عن ديننا ، ومن الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ومن يوم السوء ومن ليلة السوء ، ومن صاحب السوء »(٢).

ان كل واحد منا يحتاج الى الرزق ، غير أنه كم منا من يدرك أن السعة فى الرزق والرغادة فى العيش ، يحتاج اليهما الانسان — بأشد ما يكون الاحتياج — حينما يجتاز آخر مرحلة من مراحل حياته ، فلا يقدر على تحمل المشاق ومعالجة العسر ، ويفقد القدرة على كسب المعاش ، وتعجز

(١) جاءت هذه الفقرة نيابة عمن يدعون من الأمة المحمدية — على صاحبها الصلاة والسلام .

(٢) الترمذى عن ابى أمامة (رضى الله عنهما) .

قواه عن الكد والاجتهاد ، فيروح حريصا على الراحة وسعادة العيش وسعة الرزق ، فانظر كيف يدعو لذلك معلم الحكمة ــ صلى الله عليه وسلم .

« اللهم اجعل أوسع رزقك على عند كبر سنى وانقطاع عمرى »(١).

ولم يكتف ــ صلى الله عليه وسلم ــ بطلب السعة فى الرزق فى آخر العمر ، بل دعا أن يسود هذه المرحلة الباقية من العمر ، خير من كل جانب ، وان تكون آخر المراحل أسعدها ، وأفلحها ، وأصلحها ، فيقول :

« واجعل خير عمرى آخره ، وخير عملى خواتيمه ، وخير أيامى يوم ألقاك فيه » (٢) .

وما من شك فى أن الخير والنعمة من ملاك السرور والراحة ، الا أن الخير الذى يصيب الانسان فجأة ، ويساق اليه بغتة ، يجلب سرورا يفوق الوصف ، فاذا كانت الشرور والفتن مما تجب فيه الاستعاذة والاستخلاص مرة ، فالشر الذى يفاجىء الانسان وينوبه مصادفة ، تجب الاستعاذة منه مائة مرة .

والذين جابهوا ذلك وجربوه يعرفونه جيدا ، فكم منا من يتذكر خطورة هذا الأمر وهوله فيستعيذ منه ، ولم يفت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يذكر ذلك فى دعائه :

«اللهم انى أسألك من فجأة الخير وأعوذ بك من فجأة الشر » (٣).

وكذلك الفقر والاحتياج بعد العيش السعيد والرزق الرغيد ، والعسر بعد اليسر ، مما تجب الاستعاذة منه ، فان ذلك ابتلاء شديد ومحنة خطيرة وقد دعا له ــ صلى الله عليه وسلم ــ بكل عناية :

« اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجأة نقمتك » (٤) .

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك عن عائشة ( رضى الله عنها ) .
(٢) رواه الطبرانى عن أنس (رضى الله عنه )
(٣) اخرجه النووى فى « كتاب الأذكار » عن انس (رضى الله عنه).
(٤) رواه مسلم وأبو داود عن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما).

وأن طول العمر مما طلبه الانسان دوما منذ اليوم الأول ، وقد جرت العادة على أن يدعو البعض للبعض لطـول العمر والبركة فى الحياة ، لكن طول العمر الذى يفقد القوى ، ويجعـل الانسان عاجزا عاطلا كلا على غيره شىء تجب الاستعاذة منه فيدعو النبى ربه :

« اللهم انى أعوذ بك من العجز ، والكسل ، والجبن ، والهرم ، ومن أن أرد الى أرذل العمر » (١) •

**الاستعاذة من نفس حريصة لا تشبع ومن علم عقيم لا ينفع :**

الأموال ، يراها الانسان كغاية ، وأكبر شىء فى الحياة ، ولا يذكر أن الكثرة الكاثرة ، والكميـة الكبرى من الثروة لا تكفى لنفس حريصة ، والنفس التى لا تشبع ، انها لمصيبة للانسان نفســه ، وللعـالم كله ، استعاذ منها الحكيم الربانى ــ صلى اللهعليه وسلم ــ وأوصانابالاستعاذة، كذلك العلم الذى لم يكسب صاحبه الخشية والتقى ، ولم ينفع الناس •

والقلب الجرىء الذى حرم خشية الله وتجرد من خوف خالقــه ، كل ذلك تجب الاستعاذة منه والتحصن منــه ، فقــد جنى على الانســانية ما لم يجن عليها الأعداء ، وقد حوى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كل ذلك فى دعاء واحد :

« اللهم انى أعــوذ بك من قلب لا يخشــع ، ودعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشبع ومن علم لا ينفــع ، أعوذ بك من هؤلاء الأربع » (٢) •

ان من الحوائج الجذرية الواقعية التى لا معدى للبشر عنها ــ لكى يحيى حيــاة سعيدة ــ هى الدار الواسعة مع الرزق الواسع ، انهــا حاجة لا تقل أهمية فى أى فترة من الزمان ، أما فى الحياة المعاصرة فقد أصبحت تشــكل مشكلة كبيرة •• وأصبحت من أهم متطلبات الحياة ، غير أنه يجب أن لا يفوتنا أن تتذكر

---

(١) رواه الشيخان فى صحيحهما.

(٢) رواه الترمذى والنسائى عنعبد الله عمرو بن العاص ( رضى الله عنهما ) .

أن سعة الدار ليست كل العلاج ، وانما هو كفايتها لأهلها ، وشعورهم بسعتها ، فلو عدم الشعور بسعتها ، لما تكفى أوسع دار لطبع طموح ونفس طماعة ، وعدم هذا الشعور والطمأنينة والرضى ، هو السر وراء مشكلات الحضارة الحاضرة ، ونظم الاقتصاد المعاصرة التى تستعصى على المعالجة ، ولذلك فالنبى الحكيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسأل ربه « السعة فى الرزق » و « والسعة فى الدار » ، والفرق بينهما واضح لكل خبير :

« اللهم اغفر لى ذنبى ، ووسع لى فى دارى ، وبارك لى فى رزقى ».

والسفر من الحوائج التى لابد منها للانسان ، والمسلم ـ بحكم المركز الذى يحتله فى الكون ـ يجب أن لا تخلو أى خطوة منه بل وأى تحرك منه من الدعاء والاستخارة ، وطلب البر والنجاح، فالسفر الذى هو من أهم الخطوات، يجب أن يكون مشفوعا بكمية كبرى من الدعاء وطلب الخير ، وسؤال الصلاح والفلاح ، فالمسافر يترك داره وأهله ، ويصادف سفرا طويلا ، وأمكنة جديدة ، وأناسا لا يألفهم ، ويقضى مدة فى هجرة من أهله ، وبعد عن وطنه ، ويموج قلبه بخليط من الآلام والآمال ويساوره الحزن على ما تركه من ورائه من الوطن والأهل والمال ، وتخالطه الأمانى فيما يستقبله ، ثم العناية بالسفر ، والتأهب له ، ومتاعبه ومشاقه ، وبعد المنزل ، والاهتمام بالأهداف ، والحنين الى الغايات ، والتطلع الى الأغراض ، كل ذلك يقلق قلبه ويشوش ذهنه ، وهو ـ لكى يفوز بالنجاح ـ يحتاج فى كل مرحلة من هذه المراحل الى نصر الله ونجدته ، وعونه، وعصمته.

فانظر كيف جاء التعبير جامعا شاملا عن كل هذه الحوائج والأحاسيس فى هذا الدعاء الموجز، الذى لا يمكن لأحد من البشر ـ مهما تمتع بذكاء وافر ، وأعمل فكره العميق ـ أن يأتى بدعاء أشمل منه وأكمل ، وأجمل ، وأدل :

« اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى. اللهم هون علينا سفرنا هذا ، وأطوعنا بعده الأرض ، اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهل ، اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الأهل والمال » (١) .

غير أنه ليس السفر هو الذى يستحق العناية بالدعاء ، بل ينبغى للمسافر أن يطلب الخير والبركة كلما أتى مكانا جديدا ، ودخل معمورة جديدة ، فقد جاء فى الحديث الشريف أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يكرر ثلاث مرات ، كلما دخل قرية : « اللهم بارك لنا فيها » ثم يقول : « اللهم ارزقنا ، جناها » وكل مسافر بصورة عامة، والمسافر الذى يحمل دعوة ورسالة بصورة أخص ، يحتاج الى أن يحرز حب أهل القرية التى نزل بها ، لكى يرتاح ضميره ، ويطمئن قلبه ثم لكى تتمكن رسالته من القلوب ، الا أن المسلم تحتم عليه عقيدته ودينه أن لا يقصد الا حب أهل الصلاح والفلاح والدين والتقى ، ولذلك يقول — صلى الله عليه وسلم — فى دعائه :

« وحببنا الى أهلها ، وحبب صالحى أهلها الينا » (٢) .

**الدعاء عند اقبال الليل والنهار :**

ليس السفر أو المنزل هما اللذان يستحقان من المؤمن العناية بالدعاء والاستخارة لا ، بل يجب أن يطلب المؤمن ربه لدى اقبال كل ليل وادبار كل نهار وبالعكس لما فيهما من الخير والنفع ، ويستعيذ به مما فيهما من الشر والفتنة ، ويشهد بأنه هو المالك الحقيقى المطلق ، سائلا أن يجعل له الحظ الأوفر ، والنصيب اللائق مما فيهما من الصلاح والبركة والنجاح ، وينبغى أن يستحضر لدى كل تطور وتغير يمر به ، هذه الحقيقة الكبرى ، فقد جاء فى الحديث الشريف أن النبى

---

(١) رواه مسلم والترمذى وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص ( رضى الله عنهم ) .

(٢) رواه الطبرانى عن ابن عمر ( رضى الله عنهما ) .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يدعو كلما كان يمسى :

« أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، رب أسألك خير ما فى هذه الليلة ، وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر ما فى هذه الليلة وما بعدها رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر ، رب أعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر » (١) .

ويدعو حينما يصبح ، فيضع كلمة « أصبحنا وأصبح الملك لله» مكان ... « أمسينا وأمسى الملك لله » وجاء فى حديث آخر دعاء بهذه الكلمات : « أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين ، اللهم انى أسألك خير هذا اليوم : فتحه ونصره ونوره وبركته ، وهداه ، أعوذ بك من شر ما فيه ومن شر بعده » (٢) .

**الاستعاذة من شر النفس :**

لا شك فى أن الخوف ما يجب أن يخافه الانسان ، وأجدر ما يجب أن يستعيذ منه البشر ، هو شر نفسه ، فكل ما شهده العالم من فظائع الدمار والهلاك ، ومظاهر الوحشية والاستبداد ، ومن خسارة الدنيا والآخرة ، كل ذلك يرجع الى « شر النفس » ولذلك أكثر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ من الاستعاذة من هذا العدو الألد فقد جاء فى دعائه عند الصباح :

« اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شىء ، والملائكة يشهدون أنك لا اله الا أنت ، فانا نعوذ بك من شر أنفسنا ومن شر الشيطان الرجيم وشركه وأن نقترف سوءا أو نجره الى مسلم » (٣) .

وجاء فى دعاء آخر :

« اللهم قنى شر نفسى ، واعزم لى على رشد أمرى » (٤) .

---

(١) أخرجه صاحب جمع الفوائد عن أبى مالك ( رضى الله عنه ) .
(٢) رواه مسلم والترمذى وابو داود عن ابن مسعود .
(٣) جمع الفوائد عن أبى مالك ( رضى الله عنه ) .
(٤) رواه أبو داود وابن عمر (رضى الله عنهما ) .

وجاء فى دعاء آخر :

« يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفةعين»(١).

ان ما يقف سدا منيعا ، وسياجا حديديا ، بين العبد وشر النفس والمعاصى هو خشية الله ، والذى يهون على العبد ضربة البلايا والرزايا ويخفف له أثر المآسى والمصائب ، هو اليقين فيقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ،ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا » (٢) .

وان منطلق هذه الشروروالمعاصى وأنشط وأقوى عامل من عواملها، هو حب الدنيا ، انه منبع الخطيئات كلها ، فقد جاء فى الحديث الشريف: « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

أما طبيعة النبوة فهى : « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة » . و«ان الدار الآخرة لهى الحيوان » وقد جاء فى دعائه ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا غاية رغبتنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا»(٣).

**حب الله هو الدواء الوحيد لكل داء :**

« الا ان القلب الذى تمكن من هذا الحب ، وتغلب على هذا العشق لم يهب ــ ولن يهاب ــ أى جلال ، ولم يأخذه ــ ولن يأخذه ــ أى جمال ، وقد تغنى بذلك شاعر الاسلام الدكتور محمد اقبال فى شعره الأردى ، .. فقال :

« حب الله عجب فى عجب ، فانه يجعل القلب يستغنى عن العالمين بما فيهما » .

ان العلاقة التى تقوم على أساس من الحدود والقيود ، والطاعة التى

(١) رواه الترمذى عن انس (رضى الله عنهما ) .

(٢) رواه الترمذى عن ابن عمر ( رضى الله عنهما ) .

(٣) رواه الترمذى والنسائى عن عبد الله بن عمر ( رضى الله عنهم ) .

تفرضها الأوامر والنواهى ، لن تقوما مقام هذا الحب ولن تقوما بالدور الذى تقوم به هذه العلاقة ، فان القوانين ربما تؤدى الى اتخاذ « الباب السرى » و « المدخل الخلفى » ثم ان القوانين تأتى بالتأويلات ، وتأخذ الكلمات فتحملها ما لا تحتمل ، ثم انها تمل ، فتضع السلاح ، أما الحب فلم يعرف التأويل والمال ، وبعد عن الكل ، وتعال عن الاستكانة والاسترخاء ، فهو داء ودواء ، وان هؤلاء العشاق — كما قال الشاعر الفارسى — لا يبالون بوعارةالطريق ، بما أن العشق هو طريق ومنزلة معا ، ولذلك فالنبى — صلى الله عليه وسلم — عنى بالدعاء لهذا الحب أبلغ عناية وأكملها :

« اللهم اجعل حبك أحب الأشياء الى من نفسى وأهلى ومن الماء البارد » (١) .

وجاء فى دعاء آخر :

« اللهم اجعل حبك أحب الأشياء الى ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندى واقطع عنى حاجات الدنيا بشوق الى لقائك ، واذا أقررت عين أهل الدنيا من دنياهم فاقرر عينى من عبادتك » (٢) .

وجاء فى دعاء آخر :

« اللهم ارزقنى حبك وحب من ينفعنى حبه عندك ، اللهم فكما رزقتنى مما أحب فاجعله قوة لى فيما تحب ، اللهم وما زويت عنى مما أحب فاجعله فراغا لى فيما تحب » (٣) .

**طلب نصر الله وعونه وكرمه :**

بيد أن هذا الحب ، وهذه الطاعة ، والتوفيق للعبادة ، والذكر والشكر ، كل ذلك منوط بعطف الله وكرمه ، ويتوقف على اعانته ونصرته ، ولذلك فأوصى — حبيب رب العالمين — محمد : صلى الله عليه وسلم — أحد أصحابه بهذه الكلمات التى تتدفق بالحب ، وتفيض بالحنان :

« يا معاذ ، والله انى لأحبك ، أوصيك يا معاذ : لا تدعن فى دبر

(١) الترمذى عن أبى الدرداء عن معاذ ( رضى الله عنهم )
(٢) جاء فى « كنز العمال » عن أبى مالك ( رضى الله عنه )
(٣) رواه الترمذى عن عبد الله بن يزيد الأنصارى ( رضى الله عنهما )

كل صلاة أن تقول : اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»(١).

**شهادة القلب السليم :**

هذه هى الأدعية المأثورة ــ التى ألقينا على نذر منها نظرة عابرة ــ يتجلى فيها ــ كل التجلى ــ نور النبوة ويقينها ، وحكمة الأنبياء وعلمهم ، وحبهم ، وعرفانهم وهى مزية الأنبياء ــ صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاصة ، وان القلب ــ اذا كان على فطرته الصحيحة التى فطره الله عليها ــ سيشهد كلما يمر بهذه الأدعية ، بأنها من كلام النبى المعصوم المصون ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ، كلما شهد القلب السليم فى صدر عبد الله بن سلام ــ رضى الله عنه حينما وقع نظره على وجه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ . «والله ليس هذا بوجه كذاب » .

وقد شهد بالأمرين كليهما العارف الرومى ــ مولانا جلال الدين الرومى ــ فى شعره الفارسى : ــ

فلئن كانت أبواب السير، والأعمال والأخلاق ، والعبادات ، قد دلت على كمال النبوة وفضلها ، وعلومها وحكمتها ، فان هذه الأدعية المأثورة دليل من دلائل النبوة ومعجزة من معجزاتها .

فما أسعد الأمة التى ورثت من نبيها ــ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ مفتاح الدين والدنيا ، ونعم الغيب وثروته ! وبالعكس ، ما أشقى تلك الأمة التى لم تتمتع بهذا المفتاح ، ولم تستخدم هذا السلاح !

وأخيرا .. لا بد من اثبات حقيقة كبرى : أن من شقاء المنكرين للسنة ــ بالاضافة الى خسائرهم الأخرى الكثيرة الكبيرة ــ انهم حرموا تلك الأدعية المأثورة ، الكلمات النبوية التى هى جزء من الأحاديث، فالشبهات التى تمكنت من قلوبهم فى صحة الأحاديث وثبوتها ، وحالت ــ طبعا ومنطقيا ــ بينهم وبين التمتع بهذه الثروة الغيبية الفنية ، واتخاذها وسيلة الى التضرع والتعبير عما فى القلب .. وكفى به عقابا .

أبو الحسن الندوى

---

(١) رواه أبو داود والنسائى عن معاذ بن جبل ( رضى الله عنهم ) .

# نظرية داروين للنشوء والارتقاء

للعلامة : أبو الأعلى المودودى

كتب الى أحد قراء « ترجمان القرآن » بما يلى :

● « ان نظرية داروين للنشوء والارتقاء من الأمور المسلم بها اليوم فى الأوساط العلمية ولكننا اذا قرأنا القرآن ، وجدنا فى غير موضع واحد منه ، تصادما وتناقضا بين تعاليمه وبين تلك النظرية ، فالانسان ـ على حسب بيان القرآن ـ كان انسانا منذ أول يومه ، خلق بعملية الخلق فى يوم معلوم . ثم انتشرت منه السلالة البشرية على وجه الأرض ولكن الذى تشهد به العلوم الطبيعية التى ندرسها فى كلياتنا ، أن الانسان انما جاء متطورا من مرحلة الحيوانية شيئا فشيئا ، ومن المحال أن يحدد فى هذا التلسل الارتقائى نقطة انتهت عليها مرحلة الحيوانية وابتدأت مرحلة الانسانية .. نقطة أشار اليها القرآن الحكيم فقال : ( فاذا نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ) .

● وهذا انما هو مثال واحد على ما يوجد من التناقض بين بيان القرآن ونظرية داروين للارتقاء ، والا فهناك فى مسألة خلق الانسان تفاصيل كثيرة يتصادم فيها بيان القرآن مع نظرية داروين ، ونظرا لهذه الأمور فان طالبا من طلبة العلوم الطبيعية لا يستطيع أن يحتفظ بايمانه . فهل لكم أن تحلوا لنا هذه المشكلة الشائكة ؟

● ان هذا السؤال الذى تقدم به القارىء الكريم وأجاد فى وضعه وعرضه ، لا نحتاج للجواب عليه الى استعراض دلائل نظرية داروين وشواهدها ، وانما الذى يجب التحقيق فيه هو : هل تصور النشوء والارتقاء الذى تقدم به دروين حقيقة ثابتة

أو هو مجرد نظرية من النظريات ؟ وانه ان كان نظرية لا مير ، فهل هى من الأهمية بمكان حتى اذا واجهها المسلم يندفع الى التفكير : أيؤمن بها أم يبقى مؤمنا بالقرآن الحكيم ؟

● ولكن الدارس على علم بأن نظرية دروين لا تزال فى الستينات من القرن العشرين نظرية بحتة كما كانت نظرية صرفة فى أواسط القرن التاسع عشر ، ولم تتحقق بعد كحقيقة واقعة (Fact) ولا يخفى على أحد الفرق بين النظـرية والواقع ، وأن الانسان لايحتاج الى اعادة النظر فى ايمانه الا حينما يتصادم ايمـانه مع شىء هو حقيقة وأمر واقع لا مجال للريب فيه ، والا فان الايمان الذى لا يصـمد أمام الأمور القياسـية والنظريات المجردة ، فما هو بايمان وانما هو (حسـن الظن ) يمكن أن يتبدل (بسوء الظن) على أساس مجرد الأوهام والخرافات والاشاعات .

● هذا ، وتعال نسـتعرض الآن مسألة علم الحياة ( Biology ) قد استبهمت على علمـاء الطبيعة ، ألا وهى : ما هو مبدأ الحياة ؟ أما القرآن فيقول مجيبا عن هذا السؤال : ان مبدأ الحياة هو أمر الرب سـبحانه وتعالى وأن الرب هو الذى ينشىء آثار الحياة فى مادة ميتة ، وأما الذين ظلت العلوم التجريبية الحاضرة تنمو وتتقدم على أيديهم فى الغرب منـذ عهد البحث ، فما زالوا يحـاولون التملص من اقرار واحساس بوجود ما فوق الفطرة ( Super natural ) وسلطانه وتصرفاته ، وظلوا يتمنون منذ بدء أمرهم لو عثروا فى داخـل معمل الفطرة أى الكون نفسه على قوة توجهه . فهذا الخطأ الأساسى قد خلق لهم مسائل صعبة متعددة ما وجدوا لأنفسهم مناصا لحلها الا .. باللجؤ الى القياس والخرص والرجم بالغيب . فبالقيـاس والرجم بالغيب أرادوا أن يحلوا عقدة بدء الحياة ، وبالقياس والرجم بالغيب أرادوا أن يجدوا اجابة للتساؤل عن سبب التنوع فى الحياة، وسبب التفاضل بين مختلف الأنواع ؟ فدروين من أولئك الذين حاولوا بحث هذه المسـائل بهـذا

الأسلوب ، ولكنــه ما قال أبدا انه قد أدرك الحقيقة،كما أن علماء العلوم الطبيعية القائلين بنظــريته هم أيضا لا يعتبرون قياسهم حقيقة وفكرتهم دافعا ، غير أن الذين ما مستهم الا نفحة يسيرة من نظرية دروين سمعوا بها من مكان بعيد . تراهم يلهجون بذكرها كأن الحقيقة تكشــفت لهم جلية .. وتماثلت بين أيديهم لامعة .

● ولو أن دروين انطلق فى بحثه من تلك النقطة التى فصلها القرآن للبحث فى هذه المسألة لما انتهى الا الى هذا التنوع والتفاضل فى مختلف أنواع الحياة وأجناسها وصورها الذى يلمح فى كل شىء فى هذا الكون من الجزئية وحيدة الخلية Pantelleria الى الانســان المتــكامل بترتيب لا نظير له ، انما هو نتيجــة لتخطيط حكيم مــدبر ، وأن تخطيط هــذا الحكيم المدبر هو الذى ــ بعد أن هيأ لمختلف أنواع الحياة بيئة تناسبها وظروفا توافقها ــ مازال يخرجها الى حيز الموجود بمزاياها المخصــوصة المتنوعة بالتدرج ، كما أنه بجانب ذلك يمحــو الأنواع التى ما بقيت اليها حاجة فى مخططه . الا أن هؤلاء ــ كما قلنا آنفا ــ يريدون أن يتملصوا بأى وجه ممكن من الاعتراف بوجود واضع هذا التخطيط ... ولا يحبون أن يروا فى معمله آثار عمله ، فنجد أنهم يفسرون ما يشاهدونه بطــريق يثبت لهم أن هذا المعمل يسير بنفسه ويتطور بنفسه ، وهكذا فسر دروين التنوع والتفاضل فى أنواع الحيــاة بتلك النظرية للتطور والارتقاء التى تعرف اليوم باسمه ، ولأجل هذا فان أوروبا التى كانت الى ذلك الحين انما تسير الحادها بدون أرجل ، هرولت الى تلقى هذه الأرجل الخشبية بكل قبول ، ووضعتها تحت كل شعبة من علومها الطبيعية ، بل وفى فلســفتها وأخلاقها وعلومها للعمران ، مع أنه كان ولا يزال فى هذا التفســير من الوجهة العلمية والعقلية اضطرابات كثيرة لا يمكن لعاقل أن يقول معهــا ان هذا التفسير تفسير وجيه أو هو من التفاسير الجديرة بالاعتبار .

● وها نذا أحاول الآن أن أبين لكم الضــعف الأســاسى الحقيقى

الكامن فى نظرية دروين بمثل أضربه لكم متجنبا فيه ما استطعت أسلوب النقد الفنى المعقـد والبحث العلمى الدقيق .

● هب أن أستاذا للعلوم التجريبية يأتى من المريخ الى الأرض بموافقة جماعة من تلاميذه ، وهدفه أن يقوم فى هذه الأرض بتحقيقات علمية ، وهب كذلك أن فى بصر هذا الأستاذ ومن معه من التـلاميذ غشاوة بينهم وبين أن ينظروا الى الانسان على وجه هذه الأرض فلا يشاهدون الا مصنوعاته وأدوات حضارته ومقوماتها دون أن يشـعروا بوجوده ، فالمصـنوعات الانسانية التى يشاهدها هذا المحقق على وجه الأرض يجد فيهـا فروقا واضحة من ناحية الأشكال والأنواع كما يحس أن بعض هذه المصنوعات أفضل من بعضها ، كما ينتهى به العلم أثناء التحقيق الى أن هناك أشياء لم تكن رائجة من قبل وانما لاقت الرواج فيما بعد ، وأن هناك أشـياء كانت رائجة فى غابر الأزمان ولكن ما بقى لها رواج فى الوقت الحاضر ، فيمكث هذا المحقق حينا من الدهر يرتب فى ذهنه ما فى هذا المنظر المبعثر من أشياء وأدوات الى أن يقسم هذه الأشياء المنوعة ويضع لها الدرجات باعتبـار أنواعها وأصنافها ثم يخطو خطـوة أخرى فى ميدان التحقيق ويحاول أن يعرف كيف جاءت الى الوجود هذه الأشـياء المتنـوعة المتفاضلة ، وما الأسباب والقوانين التى لهـا ضلع فى جعل هذه الأشياء متنوعة متفاضلة فى ابقاء بعضها وافناء بعضها الآخر .

لقد كان من الممكن أن يجيب هذا المحقق على هذه الأسئلة والخواطر بأن الأغلب أن هناك ذاتا تصنع هذه الأشياء حسب مختلف مصالحهـا ، فالأشياء التى لا تزال هنـاك حاجة اليهـا ، لا تزال تصـنعها ، وأما الأشياء التى ما بقيت حاجة اليهـا اليوم ، فقد أمسكت عن صنعها — لقد كان من الممكن أن يجيب المحقق المريخى بهـذا الوجه على الأسئلة الا أنه يريد — لسبب من الأسباب — أن يجـانب افتراض وجـود ذات كهذه ويدير وجهة قياسه الى جانب آخر ، ثم يفسر المنظر الذى وجده

على وجه الأرض على الوجه الآتى: انّ الأشياء الموجودة هنا لعلها كلها ابتدأت من بذرة بدائية واحــدة ثم أخذت هذه البذرة تتطــور الى أن أخرجت الى حيز الوجــود مختلف أنواع الأشياء لسبب كذا وكذا من أسباب البيئة ثم بدأت هذه الأنواع تتصارع بينها ، حيث حاول كل واحد منها أن يسابق غيره لجعــل نفســه ملائما لبيئته وللاستفادة من القوى المنتشرة حــوله ، فكل نوع لاقى الفشل فى حلبة هذا الصراع هــو الذى تمخض عن الارتقاء والتطور فى أشــكال هــذه المصــنوعات وخصائصها وفى غضون هذا التنازع للبقــاء أصبحت الأشــياء من نوع خاص تترقى الى أن تحولت رويدا رويدا الى نوع آخر •

وعلى سبيل المثال يقــول هــذا المحقق معتمدا على قياسه : ان نوع العجلة التى كانت يجــرها الثور ، استنفذ جهده خلال مدة من الزمان، ثم بدأت تظهر تغيرات فى هيئة بعض عناصره الصــالحة القــوية الى أن تحولت هذه العناصر الى العــربات التى يجرها الحصان،ثم بدأ نوع العربة ــ كذلك ــ يستنزف قواه حتى بدأ يحدث التغيير فى نظام بعض عناصره النشيطة الى أن تطورت أخيرا الى السيارات • ثم ان الســيارات لمــا رأت أشجارا عالية وبيوتا شاهقــة وجبالا تناطح الســماء ، رغبت فى التحليق فوقها فبدأت تتوثب فى سبيل هذه المحاولة وانتهى بها المطاف الى بروز الأجنحة فيها فاذا بها تحولت الى الطائرات •

❋ ويقول من يرافق هذا المحقق الجليل من طلبة كلية العلوم فى المريخ: يا فضــيلة الأستاذ ، ان التطــور والارتقاء ان كان قــد حدث هكذا بالتدريج من العجلة الى العربة ومن العــربة الى السيارة ، ومن السيارة الى الطائرة ، فلابد أن يوجد هناك بين العجلة والعــربة وبين العــربة والســيارة وبين السيارة والطيــارة مراكب عديدة تملأ المسافة الواقعــة بين كل نوعين من هذه الأنواع فمثلا يجب أن توجد فى المسافة الواقعــة بين العــربة والســيارة أنواع من المراكب لا تكون عربات كامــلة ولا سيارات كامــلة فيكون بعضها لم يدخلَ بعــد مرحلة السيارة ، بينما

يكون بعضها الآخر قد خرج من مرحلة العربة ، وهكذا يجب أن توجد هناك مراكب عديدة بين مرحلتى السيارة والطيارة لم يتم بروز أجنحتها كاملة .

* والأستاذ المحقق عندما يسمع من تلاميذه هذا السؤال يتفكر مليا ثم يقول : « نعم يا أبنائى ، ان هذه المراكب الوسيطة أو الحلقات المفقودة التى تسألون عنها بين كل نوعين من هذه الأنواع ، لعلها تكون قد وجدت ، انظروا الى هذه العربة التى أمامكم أظن أنها تحولت أولا الى « العربة السيارة » ثم الى السيارة العربة ، حتى اكتملت سيارة آخر الأمر كما تشاهدونها الآن ، فهذه الحلقات المتخللة التى قد سميتها لكم لعلها توجد فى بقعة من بقاع الأرض حتى اليوم ، فاذهبوا باحثين عنها تحت أكوام التراب .

* يقول الأستاذ هذا ويسكت ، أما التلاميذ الذين جاءوا معه الى الأرض ونفوسهم تضمر نوعا من العصبية على الانسان من قبل ، آمنوا باكتشاف أستاذهم الفذ ايمانا راسخا جعلهم ( يشطبون ) من كلامه كلمات : « لعل » و « أظن » وبدءوا يشرحونه للناس فى خطبهم وكتاباتهم « لعل » و « أظن » وها نحن أولا بكلمات اليقين الجزم بدل كلمات نرى دروسهم العلمية تتخللهما كلمات « السيارة الطيارة » و « الطيارة السيارة» بكثرة كاثرة كأن هذه أشياء موجودة محفوظة فى متحفهم بدون ما ريب ، مع أنه ان كان هناك شىء له وجود فى حقيقة الأمر فانما هو العجلة والعربة والسيارة والطيارة .

* وان هذا المثل لينطبق تماما على نظرية دروين والقائلين بها انك اذا درست ما دون فى هذه النظرية من الكتب الأساسية علمت أن هذه النظرية لا يقوم كل بنائها الا على أساس « لعل « و » أظن » مع أن الأمر الجدير بالاعتبار فى العلوم هو اليقين والوقع لا القياس والتخمين والرجم بالغيب ، وأقول : انه اذا كان هناك نوع من الاعتبار للقياس والتخمين فى العلوم ، فكيف ولماذا يمكن التفريق بين قياس وقياس ولا سيما اذا كان أحد القياسين أقوى

وأقرب الى التعقــل من الآخر انكم اذا كنتم مستعدين لأن تقبلوا حتى القياس والتخمين فى تفسير المشهودات، فكيف لكم أن تردوا قيــاسى اذا قلت لــكم على أساســه بأن بــدء الحيــاة والتنــوع والتفاضــل بين الموجــودات انما يكون قد حصــل بأمر حكيم عليم ، وتخطيطه . وهو أقرب الى التعقل وأسهل على الفهم وأحظى للقبول من قياس دروين... لأن قياسى هذا يفسر المشهودات كلها على طريق أحسن من طريق دروين ، ولا يترك سؤالا دون أن يرد عليــه بجواب مقنع ، وأن ما يقويه ويزيده وزنا أيضا ، أنه ليس هناك من جانب دروين من أحد يستطيع الجزم بشىء فى صــدق وأمانة وكل ما يستطيعه هو أن يقول : عسى أن يكون كذلك أو لعل أن يكون كذلك ، وأمــا فى جانبى انا ، فهناك عدد لا يحصى من أصلح الناس خلقا وأطهرهم سـيرة وأصــدقهم قولا يقولون بكل جزم وتأكيد أن الأمر الفلانى حقيقته كذا وكذا ، واننا لا نقول بشىء الا بعد أن رأيناه بأعيننا فما لطلاب العلوم التجريبية ينحازون اليوم الى جانب دروين دون جانب هؤلاء ؟ وهــل لذلك ســبب غير ذلك المقت للدين والتدين ( theophobia ) الذى قد ورثه طلاب العلوم التجريبية من القرون الوسطى ؟ وان الأمــر اذا كان كذلك فمــا لهم يســمون النزوات والعواطف علما ومعرفة ؟

* واننا حتى اذا أغمضنا النظر عمــا فى هــذه النظرية من مكامن الضعف ومواطن النقص من الوجهة العلمية والعقلية ، ونظرنا الى الفتن التى قد أثارها هــذا التخيل الباطل لاهلاك الانسان والفتك به بعد أن دخلت فى الفلسفة والأخلاق العلوم العمرانية والاجتماعية ، فلعل أحدا اذا كان عنده بقية من الفهم الصحيح والعقل السديد لا يتلكأ فى القــول معنا بأن نظرية دروين هذه فى قمة رأس النظريات الباطلة التى ناصبت الانسان العداء فى هذا الزمان وعملت للقضاء على انسانيته فقد حاولت أن تجعل الانسان يعتقد بأنه ليس الا

حيوانا كسائر الحيوانات ومن نتائجها أن بنى آدم لا يتعاملون فيما بينهم فى أى شعبة من شعب الحياة الا كما تتعامل الوحوش فى الغابة ، ومن تأثيرها أن الانسان بدل أن يستمد القوانين والمبادىء والمناهج لحياته من مصدر من المصادر السامية ، انما يبحث عنها فى حياة البهائم والوحوش وهى التى قد عرضت على الانسان نظام الحياة الطبيعية الحقيقية بحيث أن كل من يبدى قوته وجدارته فى هذا الصراع والقتال هو الذى يستحق الحياة ويحرز النجاح وهو الصالح الباقى وهو على الحق وان كل ما هو ضعيف هو غير الصالح ويكون فناؤه وانقراضه من نتائج قوانين الفطرة الصحيحة ومن بركات هذه النظرية الغاشمة أن جميع الناس أفرادا وطوائف وأمما وشعوبا ودولا جعلوا الدنيا ميدانا للتنازع والصراع والقتال . وليس مقتضى الفطرة — حسب زعمهم — الا أن القوى من حقه أن يبيد الضعيف ولا يرى له على نفسه الا ... ولا ذمة .

ترجمه عن الأوردية
**خليل الحامدى**

**ابو الأعلى المودودى**

---

## شذرات متفرقة

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفى عليه يغيب

ولا أن ما تخفى عليه يغيب .

● قال يساره بن الحكم : الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له .

● قال يحيى بن معاذ : حقيقة الحب فى الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء .

# إعداد علماء الدين

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

— ١ —

يحاصر العرب والمسلمون حصارا لا هوادة فيه ولا رحمة ، من عدوين لدودين وخصمين عنيدين : عدو فكرى ، وعدو استعمارى .

العدو الفكرى سلاحه الحرب النفسية ، والحرب العقائدية ، ووسائل أجهزة الاعلام فى كلمات مقروءة ، ومسموعة ، ومرئية ، واشاعات .

وكان تأثير أجهزة الاعلام مقتصرا على الذين يحسنون القراءة ، من كتب وصحف ومجلات ونشرات . فأصبح اليوم يشمل الذين يحسنون القراءة والأميين ، بعد ظهور أجهزة الاذاعة المرئية والمسموعة ، وبروز دور ( الاشاعة ) التى تخترق الحدود والسدود .

الفلاح الأمى فى مزرعته ، والعامل الأمى فى مصنعه ، والكاسب الأمى فى عمله ، يستطيعون سماع محطات الاذاعة العالمية بسهولة ويسر ، وينصتون الى ( الاشاعة ) عمدا أو بالصدفة ، ويتأثرون حتما بما يسمعون .

وقد أصبح فى تنظيم كل حزب أو أو نحلة أو طائفة أو عنصر ، قسم مهم جدا ، يديره علماء ( الاشاعة ) للترويج للأحزاب والفئات والنحل والطوائف والمبادىء والمذاهب ، بأسلوب علمى أخاذ ، يستهوى النفوس ، ويلعب بالعقول ، ويستميل الأهواء والنزوات .

وبالاضافة الى ذلك ، يعمل هذا القسم على تشويه سمعة أعدائهم

أفرادا وجماعات وشعوبا ، فى نفس الوقت الذى يعمل على الاشادة بأصدقائهم أفرادا وجماعات وشعوبا أيضا .

وقسم الاشاعة يستغل أجهزة الاعلام فى ترويج مبادئه وعقائده ومذاهبه وأفكاره ، بالاضافة الى وسيلة الهمس والدس والتشويش .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فانهم يشوهون سمعة المناهض لهم ، الثابت أمام تياراتهم ، المنتقد لادعاءاتهم ، فاذا كان متدينا طعنوه فى دينه ، وشنعوا عليه ، فينسبون له فتاوى لا علم له بها ، وأقوالا لم يقلها ، وتصرفات لا يرتضيها .

وقد يعرفه حق المعرفة القريب منه ، المتصل به ، العارف بفضله ، الواثق به ، ولكن البعيد عنه قد لا يعرف حقيقته حق المعرفة ، فينجرف بتيار الاشاعات ، ويصدق ادعاءاتهم الباطلة ، وهو منها برىء !

وقد كنت فى الديار المقدسة قبل شهور معتمرا ، فسمعت اشاعات عن شيخ جليل ، هو شيخ العلماء وعالم الشيوخ ، يرددها مسلمون متدينون ملتزمون ، بسذاجة وغفلة تمزقان نياط القلب ، بمكة المكرمة فى البيت الحرام ، وبالمدينة المنورة فى المسجد النبوى الشريف ، وكان كل ذنب ذلك الشيخ الجليل ، هو مقاومة حزب من الأحزاب الهدامة ، دفاعا عن الاسلام وفى سبيله ومن أجله اعلاء لكلمة الله !

فاذا كان هناك ما يسوغ ترديد تلك الاشاعات ، عن ذلك الشيخ الجليل ، من معتنقى هذا الحزب الهدام أو من المنحرفين والمخربين ، فما هو المسوغ لترديدها من المسلمين المتدينين الملتزمين .

والحق أن المتدينين بصورة عامة، يتميزون بالسذاجة والبساطة والغفلة وطيبة النفس والقلب ، فيصدقون ما لا يصدق ، ويتبعون كل ناعق .

وقد كشفت للذين سمعت منهم حقيقة الشيخ ، فاستغفروا الله كثيرا وتابوا ، وقلت كلمة الحق وهو واجب كل مسلم ، وأطلعت أولئك

على الدوافع والأهداف ، فغيروا أفكارهم وكذبوا ما صدقوه ، ولكن الذين سمعت منهم قليل ، ومن لم أسمع منهم كثير ، ومن واجب كل مسلم حقا أن يحق الحق ويبطل الباطل ، وصدق الله العظيم : ( يا أيها الذين آمنوا ، ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ) (١) .

هذا هو المبدأ القويم الذى يجب أن يلتزم به كل مسلم حق ، فلا يحيد عنه أبدا : ألا يصدق الاشاعات ، وأن يكذبها فورا بقوة وصراحة ، ولا يرتضى لنفسه أبدا أن يرددها ، ولا يسكت عمن يرددها ، ويخرس بحزم صلابة كل انسان يبثها ، ويضع حدا حاسما لها ، بحيث تموت فى مهدها ، قبل أن تنتشر من نطاق ضيق الى نطاق واسع ، فتقوى وتشتد ، فيصعب مقاومتها وقبرها .

والساكت عن الحق شيطان أخرس ، والمسلم صريح قوى أمين ، لا يخاف فى الله لومة لائم .

— ٢ —

أما العدو الاستعمارى ، فيتمثل بدول الاستعمار القديم ، ودول الاستعمار الجديد ، والعدو الصهيونى ، والصهيونية العالمية .

وهذا العدو سلاحه القوة والبطش من جهة ، والاستغلال والاستعباد من جهة أخرى ؛ ووسائله الحديد والنار والقسع من جهة ، والعملاء والخونة والمغفلين من جهة أخرى .

والبلاد الاسلامية كلها تقريبا ، لها تجربة طويلة مع الاستعمار القديم والاستعمار الجديد ، فقد عانت منه كثيرا منذ أواخر القرن التاسع عشر الى أوائل القرن العشرين ، ولا تزال تعانى منه الأمرين بشكل أو بآخر حتى هذا اليوم .

العدو الاستعمارى ، يقضى عليه ويتخلص منه ، بالقوة تدريبا وتسليحا وتجهيزا وتنظيما وقيادة ، اذ لا يفل الحديد الا الحديد ، والقوة لا تقام الا بالقوة ، وصدق

---

(١) الاية الكريمة فى سورة الحجرات ( ٦ ) .

الله العظيم : ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون ) (١) .

والقيادة العسكرية هي التي تضع الخطط للاعداد الحربي وتنفذ تلك الخطط في السلم اعدادا وفي الحرب قتالا .

فاذا كانت القيادة العسكرية ذات كفايات عالية ، استطاعت أن تعد للحرب اعدادا متكاملا في أيام السلام ، واستطاعت احراز النصر على الأعداء في أيام الحرب .

والقيادة العسكرية القادرة ، لا بد من أن تتميز بثلاث مزايا : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب ، والتجربة العملية .

ان العرب والمسلمين اليوم ، بحاجة ماسة الى قيادة عسكرية قادرة ، كقيادة خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة وموسى بن نصير وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح عليهم رضوان الله .

ولست أشك أبدا ، أن الأمة الاسلامية التي أنجبت هؤلاء القادة وأنجبت الآلاف من أمثالهم ، منذ ظهر الاسلام حتى اليوم ، قادرة على انجاب أندادهم اليوم وغدا ، فهي لم تصب بالعقم ولن تصاب به أبدا ، ولكن المشكلة هي في عدم وضع القائد المناسب في القيادة المناسبة ، فطغت العملة الرديئة على العملة الجيدة ، واختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل ، وضاع الحق في خضم النزعات الشخصية والأهواء .

وما هكذا تورد يا سعد الابل ، كما يقول المثل العربي القديم .

أما العدو الفكري ، المتمثل بالحرب النفسية ، والحرب العقائدية ، وحرب الاشاعات ، فلا يمكن مصاولتها ووضع حد جذري لتأثيرها في القلوب والنفوس معا ، الا بالعقيدة الراسخة، والايمان العميق ، والأخلاق القويمة، والتشريع المحكم ، والمجتمع الرصين .

وقد جاء الاسلام هاديا للعقل في أمور المجتمع والعقيدة والأخلاق والتشريع بما لا مزيد عليه ولا مثيل له في الأديان الأخرى

---

(١) الآية الكريمة في سورة الأنفال ( ٦٠ ) .

وباب الاجتهاد مفتوح فى الاسلام لما يستجد من قضايا وأمور الى يوم القيامة : « اجتهد فان أصبت فلك حسنتان ، وان أخطأت فلك حسنة واحدة » ، ولكن الاجتهاد مفتوح للقادرين عليه من علماء الدين ، وقاصر على ما لم ير فيه نص قاطع : « لا اجتهاد فى مجال النص » ودون مخالفة للكتاب والسنة والاجماع .

بذلك كان الاسلام وسيبقى صالحا لكل زمان ومكان .

ان غرس تعاليم الاسلام ونشرها فى الداخل والخارج ، وتكوين جيل اسلامى يفهم الاسلام ويلتزم بتعاليمه ، ويضحى من أجله بالأموال والأنفس ، وتشييد مجتمع اسلامى مصون من المبادىء الوافدة والأخلاق المستوردة وبناء الرجال عقليا ونفسيا وروحيا وماديا ومعنويا ، كل ذلك بحاجة ماسة الى علماء عاملين مخلصين .

وجيل النبى صلى الله عليه وسلم خير الأجيال ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه لأن جيل النبى صلى الله عليه وسلم تأثر به ، وهم أثروا فى التابعين ، والتابعون أثروا فى تابعى التابعين عليهم رضوان الله . فجيل النبى صلى الله عليه وسلم ، هم طلابه وتلاميذه وخريجو مدرسته ، وجيل التابعين هم طلاب وتلاميذ وخريجو مدرسة الصحابة رضى الله عنهم ، وجيل تابعى التابعين هم طلاب وتلاميذ وخريجو مدرسة التابعين رضى الله عنهم ... وهكذا .

والنبى صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة للمسلمين ، والعلماء ورثة الأنبياء ، وهو القدوة والرائد والقائد ، فكل عالم يقتبس منه ما يستطيع ، فيؤثر فى جيله حسب ايمانه وعلمه وعمله واخلاصه .

وقد كان تأثير النبى صلى الله عليه وسلم عظيما ، فكان جيله خير الأجيال ، وكان تأثير أصحابه فى التابعين أقل من تأثير الداعية الأول البشير النذير عليه الصلاة والسلام ، فكان جيلهم بعد جيل الصحابة فى الفضل والتقوى ، وكان تأثير التابعين فيمن حولهم أقل من تأثير أساتذتهم الصحابة ، فكان جيلهم أقل فضلا من جيل التابعين .

ان تأثير رجل الدين يتناسب تناسبا طرديا فى أصحابه وطلابه وتلاميذه

مع علمه وعمله واخلاصه ، فلينظر العالم الدينى أين يضع نفسه فى سجل الدعاة العاملين المخلصين .

وكما يكون تأثير القائد العسكرى القادر فى اعداد الجيش وقيادته فى ميادين القتال لاحراز النصر هائلا حاسما ، فان تأثير العالم العامل المخلص فى أبناء بلده وطلابه وتلاميذه هائلا حاسما .

بل قد يكون تأثير القائد العسكرى القادر فى الجيش والأمة محدودا بزمان معين وبلد معين ، ينتهى بعد تقاعده أو وفاته .

أما تأثير العالم العامل المخلص ، فيتعدى بلده الى بلاد أخرى ، ولا يقتصر على زمان معين ، بل يمتد الى ما بعده من أزمنة ، ثم يبقى علمه ينتفع به حتى يرث الله الأرض ومن عليها ولا نزال ننتفع بعلم الأئمة المجتهدين فى الدين حتى اليوم ، وسيبقى تراثهم يقود المسلمين الى الهدى والنور .

ان المسلمين اليوم بحاجة ملحة الى القادة القادرين ، كحاجتهم الى العلماء العاملين المخلصين ، لكسر طوق الحصار الذى لا هوادة فيه ولا رحمة ، والذى فرضه عليهم عدوان لدودان وخصمان عنيدان : العدو الاستعمارى ، والعدو الفكرى .

انهم بحاجة الى قادة عسكريين أمثال خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيبانى وموسى بن نصير وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبى ومحمد الفاتح عليهم رضوان الله كحاجتهم الى علماء عاملين مخلصين من أمثال سعيد بن المسيب والامام أبى حنيفه والشافعى ومالك وابن حنبل وابن تيمية .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ويفرحون بالعودة الى التمسك بتعليم الدين الحنيف .

— ٣ —

ولكن ، كيف نعد العلماء العاملين المخلصين ، ليعيدوا المسلمين ثانية الى الاسلام من جديد ؟

لقد شهدت مؤتمرات اسلامية كثيرة فى مختلف البلاد الاسلامية ، فعالج قسم من لجان تلك المؤتمرات مشكلة اعداد العلماء الصالحين ،

وأصدروا مقررات طنانة رنانة، بقبت حبرا على ورق ، مطمورة فى الأدراج والملفات ، دون أن ترى النور أو يراها النور .

وعدت الى بعض تلك المقررات المتيسرة لدى فى القاهرة ، محاولا اقتباس ما يمكن اقتباسه منها ، لتطعيم هذا البحث بما يفيد .

وقلبت الصفحات اثر الصفحات ، وقرأت ما ورد فيها بامعان ، ولكننى مللت القراءة لأن أسلوب كتابتها ترقيما وفقرات لا يشجع على التتبع بقدر ما يبعث على الملل ، فقررت أن أتبع أسلوبا جديدا يعيننى على شرح رأيى فى طريقة اعداد رجال الدين ، ويعين القارىء على دراسة هذا الرأى بعيدا عن التكلف والملل .

واخترت قصة الامام أسد بن الفرات مؤلف ( الأسدية ) وفاتح ( صقلية ) فى طلب العلم ، ولست أكتم حرصى الشديد على تفهم ما أراه فى اعداد رجال الدين ، بطريقة جديدة وأسلوب جديد ، لأننى أطمح أن يتدارس هذا البحث أكبر عدد من الشيوخ والأساتذة والطلاب والتلاميذ ، عسى الله أن يفيد به من يقرأه فكرا وتنفيذا .

ولد الامام أسد بن الفرات رضى الله عنه فى ( حران ) احدى مدن جزيرة ابن عمر المشهورة سنة اثنتين وأربعين ومئة الهجرية ( ٧٥٩م ) ، فحمله أبوه الذى كان جنديا فى جيش محمد بن الأشعث الخزاعى الى ( القيروان ) ، وهو يومئذ ابن سنتين .

وقد أتقن حفظ القرآن فى قرية صغيرة تقع على وادى ( بجردة ) وهو نهر معروف بتونس ، وكان عمره يومئذ ثمانى عشرة سنة ، فارتحل من تلك القرية الى مدينة ( تونس ) ، وسمع من على بن زياد ( الموطأ ) وتعلم منه العلم .

وارتحل أسد الى المشرق سنة اثنتين وسبعين ومئة الهجرية (٧٨٨م) بعد أن بلغ الثلاثين من عمره ، فقصد مالك بن أنس رضى الله عنه بالمدينة المنورة ، وواظب عليه وطلب عليه العلم وسمع منه ( الموطأ ) .

وكان تلاميذ مالك رضى الله عنه يهابونه ، فلا يسألونه الا بمقدار ،

وكان أسد جريئا فى الأسئلة والمناقشة، فألح أسد مرة بالسؤال ، وكان مالك رضى الله عنه يكره السؤال عن أحكام الحوادث قبل وقوعها ، فقال مالك لأسد : « ان أردت هذا فعليك بالعراق » .

وقبل أن يغادر أسد المدينة المنورة، ودع هو وأصحابه الامام مالكا ، فقال له مالك : « أوصيك بتقوى الله والقرآن والمناصحة لهذه الأمة » .

وقصد أسد العراق ، فلقى فى ( بغداد ) أصحاب الامام أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى رضى الله عنه : أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم، ومحمد بن الحسن الشيبانى وغيرهما، فكتب الحديث فى العراق ، وتفقه به .

وحضر أسد مجالس محمد بن الحسن الشيبانى العامة ، فلم يكتف بتلك المجالس ، بل طلب اليه أن يسمح له بوقت يخصه فيه بالدراسة، فقال أسد لمحمد : « انى غريب وقليل النفقة ، والسماع عندك نزر، والطلب عندك كثير ، فما حيلتى ؟ » .

ورحب محمد بن الحسن باستزادة تلميذه من العلم ، وقال له : « اسمع مع العراقيين بالنهار ، وقد جعلت لك الليل وحدك ، فتأتى فتبيت عندى، فأسمعك » .

قال أسد : « فكنت أبيت فى سقيفة بيت يسكن محمد بن الحسن فى علوه، فكان ينزل الى ، ويضع بين يديه قدحا فيه ماء ، ثم يأخذ بالقراءة ، فاذا طال الليل ورآنى نعست ، ملأ يده ماء ، ونضح به على وجهى ، فأنتبه ، فكان ذلك دأبى ودأبه ، حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه » .

وقد أسبغ محمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنه ، رعايته المادية والمعنوية على تلميذه أسد ، كما كان يفعل السلف الصالح من الأساتذة بطلابهم وتلاميذهم .

قال أسد : « كنت جالسا يوما فى حلقة محمد بن الحسن ، فصاح صائح : الماء للسبيل ... فقمت مبادرا ، فشربت من الماء ، ثم رجعت الى الحلقة ، فقال محمد بن الحسن : يا مغربى ! ... أشربت ماء السبيل ؟ ! ... فقلت : أصلحك الله، وأنا ابن سبيل! ... ثم انصرفت .

« فلما كان الليل اذا بانسان يدق الباب ، فخرجت اليه ، فاذا خادم محمد بن الحسن ، فقال : مولاى يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : ما علمت أنك ابن سبيل الا فى يومى ، فخذ هذه النفقة ، فاستعن بها على حاجتك ... ثم دفع لى صرة ثقيلة ، فقلت فى نفسى: هذه كلها دراهم ... ففرحت بها ، فلما دخلت منزلى فتحتها ، فاذا فيها ثمانون دينارا » .

وكانت الشاة حينذاك تباع بدرهم ، وكان المبلغ الذى أهداه محمد بن الحسن لتلميذه ضخما جدا فى حساب ذلك الزمن .

وأراد أسد المزيد من العلم ، فانتقل الى مصر ، وذلك بعد وفاة مالك بن أنس رضى الله عنه ، وهناك حضر مجالس عبد الرحمن بن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وغيرهما من أصحاب الامام مالك ، ولكنه لزم ابن القاسم ، فأخذ عنه كتاب : ( الأسدية ) ، التى جمع فيها أجوبة عبد الرحمن بن القاسم عما سأله فيه من فصول الفقه المالكى ، ثم رتبها وبوبها بعد ذلك ، وأتى بها المغرب ، فسميت : ( المدونة الأسدية ) أو ( الأسدية ) فحسب [1] .

وحين ودع أسد أستاذه عبد الرحمن بن القاسم ، قبل مغادرته مصر الى المغرب ، قال له ابن القاسم: « أوصيك بتقوى الله ، والقرآن ، ونشر هذا العلم » .

وقدم أسد ( القيروان ) عائدا من مصر سنة احدى وثمانين ومئة الهجرية بكتابه : ( الأسدية ) ، فسمعها منه خلق كثير مع ( الموطأ ) وغير ذلك من العلوم ، وانتشرت امامته ، فولاه زيادة الله بن ابراهيم ابن الأغلب قضاء ( افريقية ) وهى تونس الحالية مع الأجزاء الغربية لولاية ( طرابلس ) ومنها المدينة ، والتخوم الشرقية لبلاد الجزائر الى ( بجاية ) فى ولاية ( قسنطينة ) سنة ثلاث ومئتين الهجرية ( ٨١٨ م ) ،

---

(١) فى رياض النفوس ( ١/١٧٨ – ١٧٩ ) تفصيل حسن عن : الأسدية ، فليرجع الى هذا المصدر من أراد التوسع فى تفاصيل مدونة أسد بن الفرات هذه .

فأقام فى ( القيروان ) يقضى بين أهلها بالكتاب والسنة ، حتى خرج لغزو جزيرة ( صقلية ) .

— ٤ —

جمع زيادة الله بن ابراهيم ابن الأغلب مجلسه الحربى المؤلف من وجوه أهل ( القيروان ) وفقهائها ، منهم أسد بن الفرات وأبو محرز القاضيان ، وسحنون بن سعيد الفقيه ، واستشارهم فى أمر فتح ( صقلية ) .

وانقسم أهل الشورى فريقين : أقلية لا ترى الغزو ولا تشير به منهم سحنون ، وأغلبية ترى الاقدام على غزوها وتشير به .

وبعد مناقشات مفصلة، قرر زيادة الله غزو ( صقلية ) وأمر بالاستعداد لهذا الغزو .

وسارع أسد الى الخروج ، فكان زيادة الله يتغافل عنه ، فقال أسد : وجدونى رخيصا ، فلم يقبلونى ! وقد أصابوا من يجرى لهم مراكبهم من النواتية » ، والنواتى جمع نوتى ، وهو الملاح فى البحر، وأردف أسد قائلا : « فما أحوجهم الى من يجريها لهم بالكتاب والسنة » .

لقد كان أسد يريد أن يكون جنديا مجاهدا من عامة الجنود المجاهدين ، فكان يريد أن يؤدى واجبه فى الجهاد الأصغر محاربا ، بعد أن أدى واجبه فى الجهاد الأكبر متعلما وعالما ، ودارسا وأستاذا ، وقاضيا ومفتيا .

وحين رأى زيادة الله اصرار أسد على الخروج مجاهدا فى سبيل الله، أمره على تلك الغزوة ، وعزم عليه فى ذلك ، فقال أسد : « أصلح الله الأمير ! من بعد القضاء والنظر فى حلال الله تعالى وحرامه ، تعزلنى وتولينى الامارة ؟ ! » ، فقال زيادة الله : « انى لم أعزلك عن القضاء، بل وليتك الامارة ، فأنت قاض أمير » .

وخرج أسد على ذلك ، ولم تجتمع الامارة والقضاء بيلد فى ( افريقية ) الا لأسد وحده .

وغادر أسد الى ( صقلية ) من ( سوسة ) يوم السبت النصف من شهر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة

ومئتين الهجرية ( ١٤ حزيران ــ يونيو ــ سنة ٨٢٧ م ) ، وكان معه فى جيشه عشرة آلاف رجل ــ منهم ألف فارس ، حملتهم مئة سفينة •

وخرج لتوديع أسد وجيشه وجوه أهل العلم وجماعة الناس ، فقد أمر زيادة الله ألا يبقى أحد من رجاله الا شيعه ، وقد صهلت الخيل ، وضربت الطبول ، وخفقت البنود ، فقال أسد : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ••• يا معشر الناس ! ما بلغت ما ترون الا بالأقلام ، فأجهدوا أنفسكم فيها ، وثابروا على تدوين العلم ، تنالوا به الدنيا والآخرة » •

وتحرك جيش أسد الى (صقلية)، ففتح أسد جزيرة ( قوصرة ) فى طريقه الى ( صقلية ) •

ووصل أسد الى ( صقلية ) يوم الثلاثاء الثامن عشر من ربيع الأول سنة اثنتى عشرة ومئتين الهجرية ( ١٧ حزيران ــ يونيو ــ سنة ٨٢٧ م ) أى بعد أربعة أيام من اقلاعه من ميناء ( سوسة ) ، فرست سفنه فى ميناء ( مازر Mazara ) على ساحل ( صقلية ) الغربى ، وهو أقرب ثغور الجزيرة الى ( افريقية ) ، وهناك جرى انزال قوات المسلمين وفتحوا المدينة •

ونفذ أسد الى شرق الجزيرة لمقاتلة الروم الذين اجتمعوا حول صاحب ( صقلية ) بلاطة ( بلاتة ) •

ودار القتال فى ميدان بين ( بلرم = بالرمو Palermo ) و ( مازر ) ، وكان جيش الروم يتفوق على جيش المسلمين عددا وعددا ، فقد كان تعداد جيش الصقليين مئة ألف وخمسين ألفا •

وكان أسد فى هذه المعركة ، يحمل اللواء بيده ، والسيف بيده الأخرى ، وهو يدعو الله ، فحمل على الروم ، وحمل الناس معه ، فهزم ( بلاطة ) ، وجرح أسد ، واستولى المسلمون على عدة مدن وحصون من الجزيرة •

وانسحب جيش الروم الى ( سرقوسة ) ، فسار أسد بجيشه يقتفى أثر المنهزمين •

ووقف أسد تحت أسوار ( سرقوسة ) قاطعا اليها من ( مازر ) مسافة مئتى كيلو متر ، فحاصرها برا وحاصرتها البحرية الاسلامية بحرا •

وفى ذلك الحين وصل الى مياه ( سرقوسة ) أسطول بيزنطى بعثه الامبراطور من ( القسطنطينية ) لانقاذ الجزيرة ، فاشتدت مقاومة الروم للمسلمين ، ونشبت بين الطرفين معارك طاحنة فى البر والبحر •

وتحرج موقف المسلمين ، لتكاثر الروم عليهم من جهة ، وانتشار الوباء فى معسكرهم من جهة أخرى ، وذلك سنة ثلاث عشرة ومئتين الهجرية ( ٨٢٨ م ) ، فهلك منهم خلق كثير •

ولكن أسدا دأب على القتال ، فاستشهد وهو يحاصر ( سرقوسة ) متأثرا بجراحات أصابته أو بالوباء ، وكانت وفاته فى ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومئتين الهجرية (٨٢٨م) ودفن بذلك الموضع عليه رضوان الله•

وهكذا سقط شهيدا فى ميدان الجهاد ، دون أن يسقط السيف والقلم من يديه •

ومضى المسلمون بعد أسد فى استكمال فتح ( صقلية ) ، فسقطت ( سرقوسة ) آخر معاقل الجزيرة بأيديهم سنة أربع وستين ومئتين الهجرية (٨٧٨ م ) ، فتم للمسلمين فتح هذه الجزيرة وأسسوا فيها امارة اسلامية كانت تابعة فى البداية لدولة الأغالبة ، ثم استقلت بعد سقوط دولة الأغالبة • وبقيت ( صقلية ) قرنين تحت لواء المسلمين ، حتى استعادها منهم الدوق وجاء ( روجيرو Ruggero ) سنة أربع وستين وأربع مئة الهجرية (١٠٧٢م) ، فانتهت بذلك دولة الاسلام فى ( صقلية ) كما ينتهى الحلم السعيد•

لقد كان أسد أول من فتح ( صقلية ) ، وترك الدنيا بعد أن خدم العلم والدين خمسا وستين سنة قمرية أو ثلاثا وستين سنة شمسية دون أن يخلف دارا أو دينارا !

تولى القضاء فى أيام ابراهيم بن الأغلب مؤسس أسرة الأغالبة ، وفى عهد زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب

عين أسد فوق منصبه شيخا للفتيا وقاضيا للقضاة .

رضى الله عن العالم العامل ، المخلص المجتهد ، القاضى العادل ، شيخ الافتاء ، قاضى القضاة ، القائد الفاتح المجاهد الشهيد ، أسد ابن الفرات (١) .

— ٥ —

أتوقع أن يكون الذين قرأوا بامعان ما سجلته من سيرة الامام أسد بن الفرات العلمية ولمحات من سيرته القيادية ، قد وضح فى أذهانهم الأسلوب الأمثل لاعداد علماء الدين العاملين المخلصين والمجاهدين أيضا، ولا بأس من ايجاد هذا الأسلوب ليكون ( دليلا ) للمعنيين باعداد علماء الدين .

وسأحاول تطبيق دراسة أسد بن الفرات ( القديمة ) ، على ما يطبق فى دراسة التلاميذ والطلاب فى المدارس والمعاهد والكليات الدينية (الحديثة)، تقريبا لأسلوب اعداد العلماء الدينيين المقترح للأذهان .

( أ ) أتقن أسد حفظ القرآن الكريم وشيئا من علومه ، ودرس علوم اللغة والحديث فى مدرسة ( القرية ) ، فتخرج فى مدرسة القرية على شيخها أو شيوخها .

وقد أكمل كل ذلك وعمره ثمانى عشرة سنة ، فاذا بدأ دراسته فى السادسة من عمره ، فقد قضى فى مرحلته الدراسية هذه اثنتى عشرة سنة ، وهى ما يعادل الدراسة الابتدائية والاعدادية والثانوية العامة .

لقد كان الأزهر الشريف والكليات الاسلامية فى الوطن الاسلامى تتغذى من معين الدارسين فى المدارس والمعاهد الدينية قبل تطوير الأزهر وتطوير تلك الكليات ، لذلك كان الذين يتخرجون فى الكليات الاسلامية على جانب كبير من (العلم) و ( الورع ) و ( التقوى ) .

(١) انظر التفاصيل فى كتابنا : بين العقيدة والقيادة — (٢٤٩ — ٢٧٧) — بيروت — ١٣٩٢ هـ .

فلما اضطر الأزهر والكليات الاسلامية على قبول خريجى الثانويات العامة ، أصبح أكثر خريجيها على جانب كبير من (الجهل) و ( الانحلال ) و ( التسيب ) •

فلا بد من توسيع المدارس الابتدائية والاعدادية والمعاهد الدينية ، لسد احتياجات الأزهر الشريف والكليات الدينية الأخرى من التلاميذ •

ومن الانصاف أن نثنى على جهود شيخ الأزهر الحالى ، لسعيه الحثيث الدائب من أجل تأسيس المعاهد الأزهرية الجديدة ، حتى تكون قادرة على سد احتياج كليات الأزهر فى جامعة الأزهر للخريجين •

ومن حقه على كل مسلم ومسلمة ، وكل دولة وحكومة اسلامية ، معاونته على تحقيق أهدافه فى انشاء معاهد أزهرية جديدة •

(ب) قصد أسد مدينة ( تونس ) وسمع ( الموطأ ) وتعلم على شيخها العلم ، وقضى فى سماعه وتعلمه أربع عشرة سنة •

وهذه المرحلة تعادل مرحلة التخصص فى الكليات الدينية ومرحلة الدراسات العليا ، والفرق بين ما تعلمه أسد وما يتعلمه طلاب الجامعات الاسلامية ، هو تركيز أسد على الدراسات الدينية كهدف رئيسى ، بينما تبدد طاقات طلاب الكليات الاسلامية اليوم فى مرحلة التخصص ومرحلة الدراسات العليا لعلوم ثانوية لا علاقة لها بالعلوم الدينية •

لقد صعقت حقا حين سمعت (دكتورا) من خريجى الأزهر يخطىء أخطاء نحوية فاحشة ، وحزنت حقا حين سمعت شيخا أزهريا يتولى منصب الأستاذية فى كلية أزهرية ، يبدى آراء دينية مبترة ساذجة ، فى منهج : نور على نور ، الذى يذاع أسبوعيا من الاذاعة المرئية فى القاهرة •

وهذا ان دل على شيء ، فانما يدل على عدم كفاية المناهج الدينية واللغوية فى الجامعة الأزهرية ، فلابد من اعادة النظر فى تلك المناهج لتؤتى أكلها مرتين •

(ج) لقد رأينا أسد بن الفرات يحفظ القرآن فى مدرسة القرية التى تعادل مرحلة الدراسة الابتدائية والاعدادية والمعاهد الأزهرية •

فلابد من تحفيظ القرآن للتلاميذ فى هذه المرحلة ، كشرط لقبولهم فى فى كليات الأزهر والكليات الاسلامية الأخرى •

ان اهمال تحفيظ القرآن فى هذه المرحلة ، كان له نتائج وخيمة على التلاميذ من الناحيتين الدينية واللغوية كما هو معروف •

فمن الضرورى اصلاح هذا الخطأ فورا ومن دون تسويف •

( د ) قصد أسد المشرق : المدينة المنورة ، بغداد ، القاهرة ، وهى من أهم مراكز العلم فى الوطن الاسلامى حينذاك ، وتلقى العلم على أئمة هذه الأمصار ، وأمضى تسع سنوات ، متنقلا بين عواصم العلم الثلاث ، دارسا على قمم أئمتها المجتهدين فى الدين ، متخرجا فى مدارسهم مؤجزا منهم بأرفع الأجازات ، فعاد الى المغرب بمؤلفه : ( الأسدية ) من أمهات المصادر للفقه المالكى مع علم غزير •

وفى هذه المرحلة تخطى أسد رتبة الأستاذية الى رتبة الامامة ، فأصبح اماما يقصده التلاميذ والطلاب من كل مكان ، وأصبح بعلمه واخلاصه أرفع مكانا وأعز مكانة وأعظم قدرا وأكبر منزلة من الملوك والأمراء •

وتولى القضاء وعمره أربعون سنة ، ثم سما الى مرتبة قاضى القضاة وشيخ الفتيا والقائد العام لجيش الأغالبة الزاحف لفتح ( صقلية ) •

وقد جاءته المراتب تجرر أذيالها ، فهى لا تصلح الا له ، وهو لا يصلح الا لها •

وختم حياته بالشهادة ، بعد أن عاش احدى وسبعين سنة قمرية أو تسعا وستين سنة شمسية ، مكللا حياته بالفتح المبين •

والدرس الذى يتعلمه الشيوخ حاملى شهادة ( الدكتوراه ) من

الامام أسد ، هـو أن يدأبوا على الدرس والتتبع والتأليف ، ويعتبروا شـهاداتهم بداية الطـريق للتعـلم والتعليم لا نهايته .

ان الشهادة العالية ( توجه ) ولا ( تعلم ) ، وطريق العلم طويل طويل، وما أوتينا من علم الله الا قليلا .

والذى نلاحظه أن الشهادة العالية (تجمد) أكثر حامليها و (تخدرهم) ، والمفروض أن(تطلقهم) و (تحفزهم) .

ان الجـامعات الاسـلامية غزيرة الانتاج فى الشهادات العالية ، ولكن كم عدد الذين يحملون تلك الشهادات بلغوا درجة أسد بن الفرات فى العلم والعمل والاخلاص ؟

وأخشى ما أخشاه أن تنتج تلك الجامعـات ( موظفـين ) يهتمـون بالمناصب والدرجات ، ولا يهتمون بالدعوة والدعاة .

ان الجامعات العلمية تهتم بالقضايا المـادية فحسب ، أمـا الجامعـات الاسلامية فينبغى أن تهتم بالقضـايا المـادية والروحية على حد سواء .

واذا اقتصر اهتمـام الجامعـات الاسـلامية على القضـايا المـادية فقط ، أسوة بالجامعات العلمية ، فقد بطل مسوغ وجودها وبقائها ، وبذلك تحكم على نفسها بنفسها بالاعـدام شنقا حتى الموت .

والجامعات الاسـلامية حين تهتم بالقضايا الروحية بقـدر اهتمامهـا بالقضـايا المـادية تدعم مركزها ، وتسوغ حقهـا بالوجود والبقـاء ، وبذلك تصبح ضرورية للشعب والأمة والمجتمع ، كما تتفوق على الجامعات الأخرى لتميزها بالاهتمام بالقضـايا الروحية ، وبهذا تتفوق على غيرها فواقا بعيدا ، فتصبح (رأسا) ولا تبقى ( ذنبا ) ، اذ لا تستطيع الجامعـات العلمية منافستها فى هذا الميدان .

ان على المدارس والمعاهد والكليات الدينيـة أن تعيد النظـر فى مناهج تعليمهـا ، فاذا كانت تلك المنـاهج نسخة طبق الأصل من مناهج المدارس والمعاهد الأخرى ، مع اضافات تافهة لا تفيد صديقا ولا تضر عدوا ، فان فضـل السبق والريادة لا تكـون

للدينية بل تكون لغـيرها ، وبذلك تصبح ( ذنبا ) ولا تبقى ( رأسا ) .

وقـــد كان الأزهـــر الشريف ، بمناهجه الدينية واللغوية المركزة ، فريدا فى الجامعات ومتميزا عليها ، له اختصاصاته واهتماماته المتميـزة التى لا يمكن غمطها ولا الحط من أهميتها وقيمتها فى التوجيه الفريـد المفيد دينيا ولغويا .

أما اليوم ... ؟ !

— ٦ —

درس أســد على شيوخ يرعون التلميـذ ويحرصـون عليه ويربو نه تربيـة الأب لولده ، وأهم من كل ذلك أنهم كانوا يشـعرون شـعورا عميقا بمسئوليتهم العلمية ، ويؤمنون بأن العلم (عبادة) من أجل العبادات ، لا ( تجارة ) من أربح التجارات .

وكان الشيوخ يعطون الطـلاب مالا ، ويأخذون منهم المال والهدايا!

لذلك أدوا واجبهم نحـو أسـد وأمثـاله بقـوة وأمانة واخلاص ، فخلفهم أسـد وأضرابه حملوا من بعـدهم الأمانة العلميـة وأدوها ، وتحملوا الرسالة الدينية ورعوها .

لم يمت أولئك الأساتذة الشيوخ، لأنهم بنوا العلماء العاملين المخلصين للحاضر والمستقبل ، وألفوا الكتب علمـا ينتفع بـه مـا بقيت الأرض والسموات .

ينبغى اختيار الأسـاتذة الشيوخ من العلماء حقا لا من مرتزقة العلم ، فهم الضمان الوحيد لبناء جيل جديد من العلماء الأعلام .

ان أثر الأســاتذة الشـيوخ فى تلاميـذهم وطـلابهم أثر ملمـوس محسـوس فوراء كل تلميـذ نابه متفوق أستاذ متميز أمين .

وليس هنـاك أى متعـلم أثبت وجوده بعلمه وكفايته محليا أوقطريا أو قوميـا أو على نطـاق الأمـة الاسـلامية أو عالميـا ، الا ويرجع الفضـل فى تفـوقه الى أستاذ من أسـاتذته الذين تلقى عليهم العـلم فى أيام الطلب والتعلم . فلا بد من اهتمام المدارس والمعاهد والكليـات الاسلامية بهذه الناحية الحيوية .

واذا كان اختيار الأساتذة الشيوخ بالغ الأهمية الى أقصى الحدود ، فان اختيار التلاميذ والطـلاب لا يقـل أهمية عن اختيار الأساتذة الشيوخ.

لقد كان أسد تلميذا نجيبا وطالبا مجدا ، فبلغ ما بلغ من العلم والعمل والاخلاص ، لأنه كان يتحلى بسجايا تؤهله للوصول الى ما وصل اليه .

أما أن ترضى بقبول المتخلفين فى النتائج الدراسية ، الذين سدت أمامهم أبواب الجامعات غير الاسلامية التى تقبل الحائزين على المعدلات العالية فقط وترفض أصحاب المعدلات الواطئة ، فأمر لا يرتضيه الاسلام ولا يتفق مع ( كرامة ) الجامعات الاسلامية .

ان (المتخلفين) لا يمكن أن يصبحوا ( متفوقين ) بالتمنى ، اذ من المستحيل أن تثمر شجرة الشوك غير الشوك .

ولكن المطالبة باختيار التلاميذ المتفوقين بمعدلاتهم لا يكفى ، بل لا بد من تمتعهم بالاضافة الى ذلك بالدين والتقوى والورع والصلاح والخلق القويم .

ولكى نطالب المسئولين عن الجامعات الاسلامية باختيار التلاميذ والطلاب المتفوقين فى المعدلات والاستقامة أيضا ، فلابد من وضع حوافز مادية لهم ، تميزهم على غيرهم من طلاب الجامعات ، وتجعلهم يقبلون على الجامعات الدينية ، وأول تلك الحوافز هى : أن يكون مرتبهم مساويا لمرتب خريجى الجامعات الأخرى ، مع تخصيص شقة أو منزل لسكنى خريج الجامعة الاسلامية بجوار مكان عمله ، كما فعلت بعض الدول العربية والاسلامية .

ان المرتبات والمناصب لا تبقى ، والعلم والدين يبقيان ، وقد نسى الناس والتاريخ ما لا يعد ولا يحصى من أصحاب الثروة والسلطان ، ومات أكثرهم وهم أحياء ، ولم يبق أى أثر وتأثير لأكثرهم فى العقول والقلوب والنفوس . بينما لا يزال للعلماء الأعلام ذكر فى الناس والتاريخ ، وبقى أثرهم شامخا فى العلم والمتعلمين ، وفى الطلاب والأساتذة ، وفى الاسلام والمسلمين .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن يهدى الله على يديك أحدا ، خير لك من حمر النعم » ، أو كما قال .

ولا نزال نذكر أسد بن الفرات ، فقد ملأ الأعين قدرا وجلالا فى حياته ، وملأ العقول علما والقلوب دينا والنفوس هدى فى حياته وبعد موته ، ولا نزال نتعلم من سيرته العبر والدروس .

فمن يذكر من الناس اليوم وغدا محمد بن الأشعث الذى كان قائد والد أسد ، ومن يذكر ابراهيم بن الأغلب وزيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب اللذين كانا من أمراء أسامة ، ومن يكون هؤلاء جميعا بالنسبة لأسد بن الفرات ؟ ؟

فما أحرانا اليوم أن نعرف قدر العلم والعلماء ، وما أحراهم اليوم أن يعرفوا قدر أنفسهم .

أدعو الله العلى القدير ، أن يوفقنا بعون من عنده ، لاعداد علماء الدين اعدادا سليما ، فهم وحدهم القادرون بتوفيق الله أن يبدلوا حالنا الى أحسن حال .

والله أسأل أن يفيد بهذا البحث ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم .

**محمود شيت خطاب**

---

**(( حكم ))**

- **قال زياد : ايها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا ان تنتفعوا باحسن ما تسمعون منا .**
- **ثلاثة من لم تكن فيه واحدة منهن كان الحيوان خير منه : خلق يعيش به فى الناس وحكم يرد به جهل الجاهل** وورع يحجزه عن محارم الله .
- ينبغى للعاقل أن يمنع معروفه عن الجاهل واللئيم والسفينة . اما الجاهل فلأنه لا يعرف المعروف ولا الشكر عليه واما اللئيم فأرض سبخة لا تنبت ولا تصلح للغرس . وأما السفيه فيقول أعطانى خوفا من لسانى .
- **كتمان السر كرم فى النفس ، وسمو فى الهمة ، ودليل على المروءة وسبب للمحبة ، وطريق لبلوغ الرتبة** وكاتم السر هو بحق من عظماء الرجال .

دراسات قرآنية :

# فساد نظرية داروين

## في النشوء والارتقاء

للأستاذ مصطفى محمد الحديدى الطير

**قال تعالى فى سورة ( المؤمنون ) :**
**« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين .. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين .. ثم خلقنا النطفة علقة .. »**
**( الآيات ١٢ - ١٤ )**

### البيان

### آدم ومذهب النشوء والارتقاء

يطول الحديث فى مذهب النشوء والارتقاء ، من الخلية الى آدم عليه السلام ، فلهذا نجمله فيما يلى :

يقول أصحاب هذا المذهب : ان الخلية ( أو الأميبيا ) هى أصل الحيوانات ومنشؤها حتى الانسان ، وذلك أن الأميبيا تطورت الى الاسفنج ، ثم نشأت الحيوانات الرخوة من الاسفنج بطريق الارتقاء ، ثم الحيوانات القشرية ، ثم الفقريات ، ثم الأسماك ثم الزواحف ، ثم الطيور ، ثم الثدييات ، ثم الانسان .

ويعرف هذا التطور عندهم بالتطور العضوى ، وتنسب هذه الفكرة الى فلاسفة الاغريق ، القدماء أرسطو وغيره - ثم تبناها فى العصر الحديث جماعة من الباحثين - منهم داروين وأتباعه - وقد وصلوا فى مزاعمهم الى أن أصل البشر (آدم) منبثق عن القردة السيمانية ، وقد انقسم أصحاب هذه النظرية الى قسمين ( أحدهما ) يقول ان التطور والانقسام الى فروع وفصائل حدث بسبب تباين البيئات والظروف والانتخاب الطبيعى ، وهو ذاتى بحت ، ويقول : ان هذا التطور عملية بطيئة جدا ، تحدث على مدى الألوف أو الملايين من السنين ، ويقول

شرحا لذلك :

ان الزرافة ذات العنق الطويل نشأ طول عنقها عن ظروف البيئة وتأثيرها المستمر عليها حتى استطال عنقها ذاتيا، فلقد شاهدت الحيوانات العالية الطويلة الأعناق ، تجد فرصة فى تناول أوراق الشجر المرتفع ، فأثر ذلك عليها حتى طال عنقها أكثر من الحيوانات التى تريد اللحاق بها،وأثر ذلك فى نسلها ، ويزعم هؤلاء أن هذا التطور حدث بعد آلاف بل ملايين السنين ، ويتزعم داروين هذا القسم من الباحثين ، وتراه يقول : ان شرحه لهذه النظرية ليس نهائيا ، وقد يثبت أن ما قاله غير صحيح ، ولكنه يرجو أن يظل الهيكل ثابتا — ومعلوم أن داروين لا يؤمن بالله ، بل بالطبيعة ، وسيأتى بيان فساد نظريته من أساسها .

( والقسم الثانى ) يرى هذا الرأى بعينه ، ولكنه لا يرى أن التطور العضوى ذاتى ، بل بفعل الله وخلقه ، ويقول أصحاب هذا الرأى: ان يد الله الهادية ، هى التى فعلت هذا التطور ، وممن قال بذلك ( جورج ) كوفيه ، وبعض المفكرين المصريين المعاصرين ، حتى قال بعضهم : ان آدم نشأ فى الأرض خلية ، وقد تدرج منها عبر خمسة آلاف مليون سنة ، حتى وصل الى أحسن تقويم بهداية الله وتطويره اياه .

ويقول أصحاب هذا الرأى : ان التطور بالحوافز الذاتية تبعا للبيئة ، وبدون يد هادية لا سبيل الى الاقتناع به ، وانما تم بقدرة الله وهدايته .

وهناك قسم ثالث من المفكرين العقلاء ، لا يؤمنون بمذهب الترقى والتطور ، بل يقولون : ان كل حيوان خلقه الله خلقا خاصا قائما بذاته ، غير منبثق عن حيوان أدنى منه ، وان الانسان خلقه الله كذلك ، دون أن يكون متطورا عن القردة السيمانية — كما يقول داروين — وهذا هو الحق الذى يقره الاسلام وجميع الأديان السماوية ، أما الرأيان الأولان فانا نقول فى أصحابهما ما قال الله تعالى « أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون » .

**الآراء المعارضة لمذهب الترقى وادلتها**

كثير من الفلاسفة لا يقرون داروين على نظريته فى النشوء

والترقى الذاتى دون تأثير للخالق الفعال ، وحسبه فى ضعفها أنه ليس واثقا منها ، بل يتوقع من يثبت أنها هراء ، وفيما يلى آراء من يعارضه .

١ ـ يقول الدكتور ( جوستاف جولبر ) : يكفى لابطال نظرية داروين أن يتأمل الانسان الحشرة ، فانها ظهرت فى أقدم العصور فى الحياة الأرضية ، فانها تنقلب من حال الدودة الى حشرة طائرة ، ولا تأثير لشىء عليها من الخارج ، كما أن الهوة عميقة بين الحالة الأولى ـ وهى كونها دودة ـ وبين الحالة الثانية ـ وهى كونها طائرة ـ وهى هوة تضيع فيها جميع النظريات الداروينية الماركسية ، فالحشرة أدت شهادة حسية ضد مذهب داروين ، كما أثبتت عجزه عن تفسير غرائزها الأولية .

٢ ـ ويقول ( فون باير ) مؤسس علم الأجنة : ان الرأى القائل ان النوع الانسانى متولد من القردة السيمانية ، هو بلا شك أدخل رأى فى الجنون ، قاله رجل على تاريخ الانسانية .

٣ ـ ويقول ( دوفرى ) ان التحولات الفجائية هى القاعدة فى عالم الحيوان والنبات ، وقد أظهر هذه الحقيقة ( جوفر : وسان هيلى : وكوب ) وثبت أن الظهور الفجائى للأنواع الكبيرة الرئيسية،كالزواحف والطيور وذوات الثدى كان فى الأرض الجيولوجية ، ومتى ظهرت حصلت على صفاتها الكاملة .

٤ ـ ويقول البروفوسور ( جوهانز ) ان الصلة بين القرد والانسان مفقودة ، ولولا ضيق المقام لذكرت آراء سواهم .

أقول : ومما يقلب هذه النظرية رأسا على عقب ، أن اثنين من عمال المناجم فى روما بايطاليا ، عثر على هيكل عظمى بدون رأس ، لانسان يجلس القرفصاء ، بداخل كتلة فحمية على عمق ٦٩٠ قدما من سطح الأرض ، وقدر عمر هذا الهيكل بأحد عشر مليونا من السنين ، وقد ذكر هذا الخبر جريدة ( الشعب ) المصرية القديمة ، فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٥٨/٨/٥ ، فكيف ساغ لداروين وأشياعه ، أن يهرفوا بما قالوه واهمين .

### كيف خلق آدم

يقول الله تعالى فى صدر هذه الآيات التى نشرحها اليوم « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » أى من خلاصة سلت وأخذت من طين ، وفى آيات أخرى أنه خلق من تراب ومن حمأ مسنون ومن صلصال ، ولا تعارض بين هذه النصوص ، فالمادة الأولى لخلق آدم عليه السلام هى التراب ، فلما عجن بالماء صار طينا ، وبمضى فترة على الطين ، اسود وصار حمأ مسنونا أى طينا أسود متغير الرائحة ، قال ، ابن عباس فى شرحه: هو التراب المبتل المنتن : ولما جف هذا الحمأ المسنون صار صلصالا كالفخار •

واذا كان هذا هو الأصل فى خلق آدم عليه السلام ، فاننا ندرك الفرق الشاسع بينه وبين ما انتهى اليه خلقه ، من هذا الانسان الصبوح الحسن التكوين والتصوير ، الذى يفيض حيوية وحسنا ونضارة ، ويتحرك بالارادة ، ويفكر ويدبر ، ويحسن ادارة ما حوله من مملكته التى مكنه الله تعالى من السيطرة عليها وتسخيرها لمنفعته ، ويفكر بعقله فى آيات خالقه فيؤمن به ويشكره على خلقه فى أحسن تقويم ، ويطيعه فيما كلفه به على ألسنة رسله ، ويحثه على الثناء عليه بمثل قوله « فتبارك الله أحسن الخالقين » فانه هو « الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين »

ثم يبين الله تعالى النظام الذى أجرى عليه تكاثر النوع الانسانى وانتشاره وبقاء نوعه الى أن يرث الله الأرض ومن عليها فقال •

« ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين »

أى أنه تعالى خلق الانسان باعتبار أصله « من سلالة من طين » وباعتبار فرعه من نطفة أودعها فى قرار مكين هو الرحم فانظر الى حكمة الله وتدبيره جل وعلا •

لقد أهبط الله آدم وحواء الى الأرض ، ليجعل منهما وذرياتهما خلفاء فى الأرض ، وأودع فيهما الرغبة فى اللقاء الجنسى ، وقادهما بالألفة والمحبة والشهوة الى هذا اللقاء ، فاذا تم خرج من كليهما سائل شهوانى لزج ، ويشتمل ماء الرجل على حيوانات

منوية لاحصر لها ، فالسنتيمتر المكعب منـه يحتوى على عدة ملايين من الحيوانات المنوية ، وطول الحيوان المنوى $\frac{١}{١٠٠٠}$ واحـد على ألف من المليمتر ، كما يشمل ماء المرأة على بويضة (١) تخرج منها فى كل دورة شهرية مرة واحدة ، فاذا أراد الله أن يخلق من هـذا اللقاء جنينا ، التقى الماءان فى قناة تصل بين مبيضى المرأة ورحمهـا ، أطلق عليهـا اسم مكتشفها ( فالوب ) ففى هذه القناة الفالوبية يلقح البويضة أقوى هذه الحيوانات المنوية ، وتتكون من هذا التلقيح الخليـة الأولى ، وتنقسـم بسرعة الى خليتين ، ثم الى أربع ثم الى ثمان ــ وهكذا ــ وفى اليـوم الرابع للتلقيح ، تكون الخلية قـد وصلت فى انقسامهـا الى مجمـوعة كبيرة من الخلايا متماسكة ، فتنزلق يومئذ من القناة الفالوبية الى الرحم ، ثم تلتصق بجـداره وحولها أغشية لوقايتها وتمكينها من جدار الرحم ، وغير ذلك من الفـوائد التى خلقت لأجله ، والجنين فى هذه الحالة طائفة من الخلايا دائمة التكاثر ولا تمييز بينها .

وفى خلال الأسبوع الثالث يبدأ التمييز بين خـلايا الجنين ، فيظهـر الجـزء الذى سـيكون الرأس ، والجـزء الذى سيكون العظـام ، وباستمرار النمو يستمر التمييز بين الأعضاء ، ففى خـلال الأسـبوع الرابع يمكن تمييز بعض الأعضـاء تمييزا أوليا ، كالعين ، كما يبدأ ظهور الأذنين وبراعم اليـدين والرجلين ، وفى الأسـبوع الخامس يمكن تمييز الوجه ، وتطول الأطراف ، ويبـدأ ظهـور المفاصـل ، وفى الأسـبوع السـابع يتضـح شـكل الرقبـة والوجه والأذنين والأنف ، ويمكن تمييز الأصـابع ، كمـا تظهـر الأعضاء التناسلية بحيث يمكن تمييز الجنين ، وفى نهاية هـذا الأسبوع يكون طول الجنين ( ٣٠ ملليمترا ــ أى ٣ ثلاث سنتيمترات ) ولكنـه لا تكون أعضاؤه مستكملة نوعيتها ، ويظل يستكمل أجزاءه بقـدرة الله الى الشهر الخامس وفى خلال الشهر

---

(١) حجم البويضة ضعف حجم الحيوان المنوى تقريبا ، وسنوضح ذلك فى كتاب لنا نرجو أن يوفقنا الله لاخراجه قريبا .

الخامس تبدأ حركته فى بطن أمه حيث تم خلقه ، وهو ما عناه الله بقوله سبحانه بقوله « ثم أنشأناه خلقا آخر » وعنته السنة بقوله صلى الله عليه وسلم بعد دور المضغة « ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح » والمقصود بنفخ الروح فيه حينئذ اعطاؤه دفعة قوية من الحياة تمكنه من الحركة بعد أن تم خلقه ، فان الحياة موجودة فيه منذ اتحاد الحيوان المنوى بالبويضة ، ولايمكن تكوين الجنين الا اذا كان حيا منذ تلقيح البويضة حتى يولد ، كما أن الحيوان المنوى فيه حياة والبويضة كذلك ، ومن كانت حيواناته المنوية ميتة أو مفقودة فلا تحمل منه امرأته ولا غيرها ، ومن كانت بويضاتها ميتة فلا تحمل من زوجها ولا من غيره ، والأمر كذلك فى الحيوان والنبات ، فلابد أن تكون أعضاء التلقيح والبذور فيها حياة ، والا فلا ذرية ولا نبات « سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » •

وفى الشهر الخامس المذكور يظهر شعر الرأس ، ويكون طول الجنين ( ٣٠ ثلاثين سنتيمترا ) ووزنه كيلو ونصف ويستمر الجنين فى النمو وهو محاط بثلاثة أغشية ، وحوله ( السائل الأمنيوتى ) ليكون محفوظا من الصدمات الخارجية حتى يولد باذن الله تعالى ، فى نهاية الشهر التاسع من حمله غالبا ، وطوله حينذاك خمسون سنتيمترا ، ووزنه من ٣ الى ١/٢ ٣ كيلوجرام ، وترى المرأة أثناء مدة الحمل تباشر عملها المعتاد ، وحملها محفوظ فى رحمها بعناية الله تعالى ولذا سمى الله هذه الرحم بالقرار المكين •

وقد شرحنا لك أدوار تكوين الجنين وأطواله وأوزانه باختصار حسبما عرفه الأطباء والممارسون بالتجربة والمناظير وصور الأشعة ، فلا يغرب عن بالك أن عمليات الاجهاض التى تتم فى المستشفيات فى أدوار الحمل المختلفة ، لا تمر دون اجراء الفحص للأجنة وأحوالها المختلفة ، كما أنهم يستعملون المناظير والأجهزة العلمية والأشعة لفحص الأحوال التى لا تتبينها العين المجردة ، وغير ذلك من الوسائل التى أوصلتهم الى تلك المعلومات وأعمق منها وأدق وأكثر تفصيلا •

### التوفيق بين النصوص القرآنية والكشوف العلمية

الاسلام دين الله الحق ، ولا يمكن

أن يتجافى مع الواقع بحال من الأحوال ، وقد جاء فى هذه الآيات الكريمة أن النطفة بعد استقرارها فى قرار مكين تتحول الى علقة ، وقد فسرها الفقهاء وعلماء التفسير بالدم الغليظ الذى يعلق بالأصبع ، وهذا التفسير حسب اجتهادهم اللغوى ، ولم يكن لهم المام بعلم الأجنة وقتئذ ، حتى يستطيعوا تفسيرها حسب الواقع من أمر الأجنة ، وأقرب تفسير لها حسب المنهجين اللغوى والعلمى ، أنها هى الخلايا العلقة اللاصقة بالقرار المكين من الرحم ، والعلماء السابقون معذورون فى تسميتهم تلك الخلايا العالقة دما غليظا يعلق بالأصبع ، لأنهم لم يكن لديهم مناظير معظمة ( تلسكوبات ) تبين لهم ما بداخل هذا الدم من أعضاء الجنين الدقيقة ، وكثير من النساء فى هذا العصر ، اذا نزل منهن سقط فى فترة العلقة ، فانهم يضعون عليه ( الكحول ) حتى يتحلل الدم ، فيظهر لهم الجنين فى بداية تخليقه مغلفا بهذا الدم الذى يسميه المفسرون علقة ، وبهذا يعلم أن العلقة هى مجموعة خلايا وأعضاء الجنين داخل هذا الغشاء الدموى ، عالقة بجدار الرحم ، تشبه فى مظهرها الداخلى الدودة العالقة ، ويلاحظ أن من معانى العلقة لغة ( الدودة ) وجاء فى هذا النص الكريم ، أن الله تعالى يخلق من هذه العلقة مضغة ، وفسرها علماء التفسير بقطعة لحم صغيرة قدر ما يمضغ ، وهذا فى الواقع اجمال لصورة الجنين العامة عقب فترة العلقة ، فانه انتقل من خلايا طرية رخوة متلاصقة الى أنسجة لحمية أقوى من حالة العلقة ، وكان حجمه فى أولها غير كبير ، فكان أقرب اسم له هو المضغة ، وذلك كما قلت هو تعبير عن الشكل العام للجنين ، دون تعرض للتفاصيل الدقيقة لما هو عليه من التخليق المبدئى له ، فان العرب وقت نزول القرآن لم يكن لهم علم بتفصيل خلق الأجنة ، ولا دراية لهم بالتشريح ، فكان من الحكمة أن لا يفاجئهم القرآن منها بما يجهلون وهم قريبو عهد بالاسلام ، حتى لا يشغلوا أنفسهم بها ، أو يتشككوا فى أمرها ، وقد علمنا القرآن هذه الحكمة ، فى قوله تعالى « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » وذلك فى

اجابته على سؤالهم : يا رسول الله . ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير ، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما بدا ، لا يكون على حالة واحدة ،فنزلت الآية » لصرفهم عن سؤالهم عما لا يستطيعون فهم الجواب عنه ، أو يكون فيه فتنتهم الى ما يفيدهم وما هو جدير بالسؤال عنه .

وجاء فى النص الكريم بعد خلق المضغة قوله تعالى « فخلقنا المضغة عظاما » والمراد منه أنه تعالى صير بعض المضغة عظاما لا كلها ، اذ العظام تتكون على شكل خيوط طرية داخل المضغة ، ثم تيبس شيئا فشيئا ، ولحم المضغة يلتف حول العظام فى تطورات هذه العظام ، وهذا هو المقصود بقوله تعالى « فكسونا العظام لحما » فاذا تم كل ذلك ، انتقل الجنين من حال البناء والتكوين ، الى حال التمام والكمال ، التى ترى كأنها شىء آخر بالنسبة لعملية البناء والخلق المتطور ، فما أبعد الفرق بين التراب والنطفة والعلقة والمضغة ، وما انتهى اليه خلق الانسان من هذه الصورة الجميلة الكاملة المعبر عنها بقوله تعالى « ثم أنشأناه خلقا آخر » ولذا قال الله تعالى عقبها « فتبارك الله أحسن الخالقين » .

**التوفيق بين السنة وتكوين الجنين**

أخرج البخارى عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا ويؤمر بأربع كلمات » الخ من كتاب بدء الخلق .

وفى بعض روايات هذا الحديث زيادة « ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح » بعد قوله صلى الله عليه ثم يكون مضغة مثل ذلك » .

ومعنى جمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ، هو ما ذكرناه سابقا من تطوير خلقه حيث حولت النطفة الى خلايا جمعها الله وألصقها بجدار الرحم ، ورتب لها أسباب غذائها ونموها فى هذا القرار المكين ، وهذا الدور يسمى دور النطفة باعتبار مبدأ خلقه ، ومعنى كونه علقة مثل ذلك ، أنه يمكث أربعين يوما

كالدودة العالقة اللاصقة بالرحم حيث يمتص غذاءه منه ، ولو رأيت صورته فى تلك الفترة لرأيته يشبه الدودة تماما فى مظهره العام ، ولعلك تعلم أن الجنين فى هذه الفترة يكون مقوس الشكل كالهلال ، وأن له ذيلا ، وأن رأسه يكاد يلمس ذيله • ثم يتلاشى هذا الذيل ويختفى فى نهاية الأسبوع السابع ، ولعل هذا الذيل كان فى مبدأ تكوين الجنين ، لأن الحيوان المنوى كما يرى بالميكروسكوب له رأس وجذع وذيل ، فحينما يلقح بويضة المرأة يعطيها خصائصه ، ولكن الله تعالى ، يقضى على هذا الذيل فى نهاية الأسبوع السابع كما بيناه سابقا ، فسبحان القادر الذى خلق الانسان فى أحسن تقويم •

وأما كونه مضغة مثل ذلك ، فالمراد منه أنه يكون فى مثل تلك المدة كقطعة من اللحم بلا حركة ، فيشبه الجنين فى تلك الحالة جنس اللحم الذى يمضغه الناس فى مظهره العام وفى عدم تحركه ، وان كان يشتمل على التخليق المتطور الذى شرحناه •

وأما نفخ الروح فيه بعد طور المضغة ، فالمقصود منه اعطاؤه دفعة قوية من الحياة تمكنه من الحركة فى بطن الأم ، لتطمئن على حياة جنينها ، ولأن حركته من لوازم تكوينه ، ولكى تستريح أمه بانتقاله من حال الى حال ، وقد بينا لك أن الحياة تلازم الجنين منذ بدء التلقيح فى القناة الفالوبية الى أن يخرج من ظلمات البطن ، ويستقبل أنوار الحياة الأرضية ، ويحيا فيها الحياة اللائقة بها ، ولولا هذه الحياة التى لازمته منذ تلقيح البويضة ، لما تكون فى بطن أمه ، كالبذرة الفاسدة ، تضعها فى التربة ، وترويها بانتظام فلا تنبت •

وانما لم تتعرض الآية الكريمة والحديث الشريف الى التفاصيل التى ذكرناها ، مخاطبة للناس فى ذلك الزمان بما تطيقه عقولهم ، أخرج البخارى عن على رضى الله عنه ( حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ) وأخرج مسلم عن ابن مسعود قال « ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم ، الا كان لبعضهم فتنة » •

والله تعالى أعلم ،

**مصطفى محمد الحديدى الطير**

# الإسلام والنظم الاقتصادية المعاصرة
# عَرْض ونَقْد

**لكتاب : الاسلام والراسمالية** Islam et Capitalisme
**بقلم مكسيم رودنسون** Maxime Rodinson
**باريس سنة ١٩٦٦ م**

للباحث الإسلامي الأستاذ عبد العزيز عبد الحق

**١ ـ مقدمة :**

كثر الجدل فى السنوات الأخيرة بعد الحرب العالمية الثانية حول موقف الاسلام من النظم الاقتصادية المعاصرة فى كل من الشرق والغرب. فذهب البعض الى أن الاسلام بتقريره مبدأ التكافل الاجتماعى يقترب نحو نوع من أنواع الاشتراكية . بينما يرى آخرون أنه بتمسكه بحق الملكية انما ينحو نحو النظام الرأسمالى .

وانبرى عدد من علماء المسلمين الى تبيان وجهة النظر الاسلامية استنادا على ما جاء فى الكتاب والسنة فيما يتعلق بالنظم الاقتصادية المعاصرة. واستحدثت احدى الكليات الجامعية فى القاهرة مادة جديدة سميت بالاقتصاد الاسلامى .

واشترك فى هذا النقاش بعض المستشرقين نذكر منهم الأستاذ الفرنسى مكسيم رودنسون اذ أصدر فى باريس فى سنة ١٩٦٦ م كتابا أسماه : الاسلام والرأسمالية .

وقد شاقنى الى الاطلاع على هذا الكتاب أن مؤلفه كان قد نشر مقالا أسماه : حياة محمد عليه السلام والمشكلة الاجتماعية لنشأة الاسلام :
La Vie de Mohamed et le Problème Sociologique des Origines de l'Islam.

نشره فى العدد العشرين من مجلة ديوجين Diogéne الربع سنوية ( أكتوبر سنة ١٩٥٧ م ص ٣٧ الى ص ٦٤ ) . وهى مجلة يصدرها المجلس الدولى للفلسفة والعلوم

الانسانية بمساعدة المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة المعروفة باسم اليونسكو •

تناول رودنسون فى مقاله هذا ظاهرة انتشار الاسلام فى العالم فى فترة وجيزة نسبيا وعللها تعليلا هو أقرب الى الحقيقة والواقع • فقد فند فيه ما ساقه المستشرقون من نظريات فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى لبيان العوامل التى أدت الى هذه الظاهرة ومنها حب الفاتحين العرب للغنائم والأسلاب أو دورات الجفاف التى كانت تصيب الجزيرة العربية والتى كانت تدفع بسكانها الى الهجرة الى العراق والشام ومنها هجرات البابليين والأشوريين والفينيقيين وغيرهم وآخرها الهجرات العربية فى القرن السابع الميلادى التى أعقبت ظهور الاسلام •

والنظرية الأخيرة هى تلك التى ذهب اليها المستشرق الايطالى الأمير ليونى كايتانى Leone Coetani فى موسوعته الضخمة حوليات الاسلام Annoll dell Islam ( ميلان من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٢٦م فى اثنى عشر مجلدا من القطع الكبير) • تناول فيها السيرة وتاريخ الخلفاء الراشدين حتى سنة ٤٠ من الهجرة • وتوج كايتانى صفحة الغلاف ببيت من الشعر بالخط الكوفى الجميل جاء فيه :

كفاف عيش كفانى ذل مسألة
وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى

وقد انتقد المستشرقون دعوى دورات الجفاف التى أوردها كايتانى وعلى الأخص فيما يتعلق بظاهرة انتشار الاسلام • واذا نفينا فكرة الغنائم والأسلاب ونظريات دورات الجفاف انتفت بالتالى دعوى العوامل الاقتصادية فى تعليل ظاهرة انتشار الاسلام وسقطت دعوى كارل ماركس فى التفسير المادى للتاريخ فانها لا تنطبق على ظاهرة انتشار الاسلام •

وقد ذهب رودنسون فى مقاله الآنف الذكر الى أن الاسلام لابد أنه يتميز بخصائص تفرد بها • وأن هذه الخصائص أشبعت حاجات

الناس النفسية والاجتماعية فأقبلوا على اعتناقه طواعية واختيارا ودخلوا فيه أفواجا وأنه ليس لدينا من سبيل آخر سوى هذا التعليل لادراك العوامل التى أدت الى سعة انتشاره فى فترة وجيزة نسبيا . ومضى رودنسون يقول ان هناك ديانات أخرى ظهرت فى مختلف عصور التاريخ لم تصب مثل هذا الحظ من سعة الانتشار مثلما أصاب الاسلام .

**٢ ــ كتاب رودنسون :**

أما كتاب رودنسون الذى نعرض له هنا فيقع فى ٣٠٤ صفحة من القطع الصغيرة ويشتمل على تمهيد ومنهج للبحث شرح فيه المؤلف معنى الرأسمالية ثم أورد تعاليم الاسلام فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، والمثل الأعلى للعدالة الاجتماعية . والحياة الاقتصادية العملية للعالم الاسلامى فى العصور الوسطى ويشتمل على القطاع الرأسمالى والاقطاع وطرق الانتاج وعما اذا كان هناك مجتمع عادل . ثم أثر التعاليم الاسلامية عموما فى المجال الاقتصادى كما وصفتها لنا المؤلفات العربية الجغرافية منها والتاريخية . وتوضح أثر القرآن والسنة . ثم الرأسمالية المعاصرة فى بلاد العالم الاسلامى . والفصل الأخير خاتمة ويشتمل على بند موجز عن الاشتراكية والاسلام .

ولقد اعتذر المؤلف فى المقدمة أنه لم يقصد أن يؤلف تاريخا اقتصاديا للاسلام . وانما أراد فحسب أن يحدد العلاقة بين الاسلام والنظام الرأسمالى من وجهة نظر علوم الاجتماع والاقتصاد . ثم حدد مراده من معنى الرأسمالية . وقسم الرأسمالية الى أنواع : منها الرأسمالية المصرفية والرأسمالية الربوية والرأسمالية التجارية وأخيرا الرأسمالية الانتاجية طبقا للأسلوب الذى ابتدعته أوروبا وعلى الأخص منذ حركة الانقلاب الصناعى التى بدأت فى العقود الأخيرة للقرن الثامن عشر ــ وهى التى ينصرف اليها الذهن عند الحديث عن الرأسمالية وهى عبارة عن وجود أصحاب رءوس أموال يستثمرون أموالهم فى الانتاج الصناعى أو تقديم الخدمات ، ووجود أيد عاملة تعمل عند الرأسمالية لقاء أجر ، مع وجود

علاقات وتنظيم اجتماعى خاص يساعد على قيام هذا النظام الذى لم يسبق ظهوره من قبل حتى أواخر القرن الثامن عشر فى البلاد غير الأوروبية مثل اليابان قبل عصر النهضة التى بدأت فى سنة ١٨٦٨ م والصين حتى اعلان الجمهورية فى سنة ١٩١٢ م بل حتى قيام النظام الشيوعى بها فى سنة ١٩٤٩ والهند حتى استقلالها فى سنة ١٩٤٧ م والعالم الاسلامى حتى بداية القرن التاسع عشر • وهذا التحديد يتفق مع آراء علماء التاريخ الاقتصادى•

٣ ـ العلاقة بين الدين والاقتصاد :

تناول العلماء الغربيون موضوع العلاقة بين الدين والاقتصاد والمقصود بالدين هنا هو الدين المسيحى على اعتبار أن النظام الرأسمالى ظهر فى أوروبا وأمريكا الشمالية وهناك مدرستان فكريتان عن العلاقة بين المسيحية والاقتصاد ونعتقد أن رودنسون لم يحدد موقفه من هاتين المدرستين لأن الاسلام يختلف عن الديانات الأخرى على اعتبار أنه أورد قواعد وأحكاما مفصلة عن التصرف فى المال وأوجه النشاط الاقتصادى•

( ١ ) والمدرسة الفكرية الأولى يمثلها العالم الاجتماعى الألمانى ماكس فبر Max weber ( ١٨٦٤ ـ ١٩٢٠ م ) وكان قد نشر بحثا فى سنة ١٩٠٤ م عنوانه : الأخلاقيات البروتستنتية والروح الرأسمالى ، ظهرت ترجمة انجليزية بعنوان The Protestant Ellic & the Spirit of Capitolism ( لندن سنة ١٩٣٠ ) •

وقد ذهب فيه الىأن قيام النظام الرأسمالى الانتاجى انما يرجع الى صفات الجد والمثابرة والاقتصاد والزهد مما أشاعته البروتستنتية على مذهب كالفن Kalvin فى نفوس أصحابها • وكانت ترى أن جمع المال نتيجة لهذه الصفات هو واجب دينى بل قربة الى الله • وقد رأى فبر فى نشاط البروتستنت من الهيوجونوت والبرزبتيريين والكالفنيين فى غربى أوروبا وأمريكا الشمالية ونجاحهم فى أعمالهم الاقتصادية والمالية ما يؤيد دعواه • كما ذهب الى أن هذه الفرق البروتستنتية فيما عدا اللوثريين تبيح الفائدة الربوية على عكس الكتلة الكثلكة • ويلاحظ أن فبر ينقض النظرية الماركسية

التى تذهب الى أن الأفكار والمذاهب هى نتيجة لتطور وسائل الانتاج •

هذا وقد عدّل رينشرد هنرى تونى R. H. Towney فى كتابه : الدين وقيام الرأسمالية ( لندن سنة ١٩٢٢ م ) نظرية فبر قليلا فقد سلّم بأثر البروتستنتية ولكنه ذكر أيضا أثر الرأسمالية فى البروتستنتية • واشترك فى الموضوع العالم الاقتصادى سومبار Sombart الذى أشار أيضا الى أثر اليهود فى قيام النظام الرأسمالى •

غير أنه ثبت أيضا أن الكثلكة لها من الأثر فى قيام النظام الرأسمالى ما لا يقل عن أثر البروتستنتية فاشتغال اليسوعيين بالأعمال المالية ونجاحهم فيها ينقض نظرية فبر • وهذا هو ما ذهب اليه العالم الاقتصادى الايطالى أمنتورى فانفانى Amintore Fanfanl الذى تولى المناصب الوزارية فى ايطالية أكثر من مرة • وذلك فى كتاب له بعنوان : الكثلكة والبروتستنتية فى النشأة التاريخية للرأسمالية ، ظهرت له ترجمة انجليزية فى لندن سنة ١٩٣٥ م •

(ب) والمدرسة الفكرية الثانية يمثلها العالم السويدى كيرت صمويلصن Kurt Somuelson. وذلك فى كتاب له أسماه : الدين والعمل الاقتصادى الذى ظهرت له ترجمة انجليزية نشرت فى لندن سنة ١٩٥٧ م وقد أنكر فيه علاقة المسيحية بقيام الرأسمالية الانتاجية ومما ذكر فى كتابه أن الديانات غير المسيحية مثل الهندوكية والبوزية لم تحل دون قيام الرأسمالية عند أصحابها وأنه تبعا لذلك ليس هناك من وجه لانفراد البروتستنتية الكالفنية بهذه الظاهرة •• ومنذ ظهور كتاب فبر عن الأخلاقيات البروتستنتية والروح الرأسمالى فى سنة ١٩٠٤ لا يزال الجدال محتدما الى اليوم بين علماء الاجتماع والاقتصاد أو الأخصائيين فيما يسمى بعلم الاجتماع الاقتصادى بشأن هذا الموضوع •

هذا ولم يكن رودنسون بحاجة الى تحديد موقفه من هاتين المدرستين الفكريتين لأن الاسلام أورد أحكاما مفصلة عن النشاط الاقتصادى والمعاملات فهو لذلك أوثق اتصالا

بالاقتصاد من المسيحية ومع ذلك فقد ظهرت الرأسمالية الانتاجية عند المسيحيين فى غربى أوروبا وأمريكا الشمالية • وهنا تساءل رودنسون لماذا لم يحدث تطور مماثل فى البلاد الاسلامية وخاصة اذا علمنا أنه كان هناك تشابه فى النشاط الاقتصادى فى أوروبا فى العصر الوسيط ونظيره فى الشرق الاسلامى المعاصر لأوروبا ؟

هذه هى عقدة المسألة التى لم يستطع رودنسون أن يورد اجابات شافية عنها • بيد أنه نفى ما ذهب اليه بعض المستشرقين من أن تحريم الربا فى الاسلام كان من العوامل الفعالة فى اعاقة حدوث هذا التطور فى البلاد الاسلامية لأن العمليات الربوية كانت موجودة فعلا فى العالم الاسلامى فى العصور الوسطى يشتغل بها اليهود والمسيحيون وفئة قليلة من المسلمين • واستعان الأخيرون ببعض الحيل الفقهية للتخلص من تحريم الشرع اياها • وقد وردت اشارات اليها فى عدد من المؤلفات العربية مثل كتاب البخلاء للجاحظ ومؤلفات الجغرافيين والمؤرخين العرب •

وأضاف رودنسون أنه لم يحدث أن قام نظام رأسمالى انتاجى فى الصين على الرغم من أن الكونفوشية التى يدين بها الصينيون ليس بها التحريم الاسلامى للربا • وعلى ذلك فان دعوى المستشرقين الآنفة الذكر منقوضة من أساسها • بيد أن رودنسون علل عدم قيام رأسمالية انتاجية فى بلاد العالم الاسلامى مثلما حدث فى أوربا بالأسباب التالية :

١ ــ كثرة الأيدى العاملة فى البلاد الاسلامية •

٢ ــ عدم استخدام المبتكرات الآلية التى تساعد على زيادة الانتاج •

٣ ــ وأخيرا وقوع البلاد الاسلامية فى العصور الحديثة فى براثن الاستعمار الأوروبى الذى عمل على اعاقة التطور الصناعى بها لجعلها موردا للمواد الغفل (الخام) وسوقا لتصريف منتجاته المصنوعة•

ولم يفت رودنسون أن يرجع الى عدد من الأبحاث والدراسات

التى ذكرها فى الحواشى منها مقالان لمحمد حميد الله الأول بالانجليزية وعنوانه : حلول الاسلام للمشكلات الاقتصادية الأساسية ، والثانى بالفرنسية وعنوانه : العالم الاسلامى حيال الاقتصاد الحديث • وكذلك أبحاث ماسينيون التى جمعت فى أعماله الصغرى Opera Minora ومن عبارات ماسينيون التى وردت بها والتى انتقدها رودنسون : أن الاسلام يشغل مكانا وسطا بين الرأسمالية البورجوازية وشيوعية البلاشفة ، وكذلك قوله ان الاسلام لا ينحنى لأى صنم من الأصنام سواء أكان قوة الذهب أو قسوة النظام التقنى Techniaue السياسى •

ومع ذلك فالموضوع الذى يعالجه رودنسون لا يزال بحاجة الى دراسة مفصلة لأنه لم تؤلف الى الآن أبحاث تستوعب التاريخ الاقتصادى للبلاد الاسلامية ابتداء من القرن الأول للهجرة تشمل التاريخ الاقتصادى لعصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية ثم الدولة العباسية والدول لتى انفصلت عنها فى الشرق والغرب • فهذه الناحية من الدراسات الاسلامية لا تزال بكرا • وهناك أبحاث متناثرة لا يتألف منها مجموع متكامل عن تاريخ الاسلام الاقتصادى •

هذه الأبحاث المفردة بدأ بها فيما نعلم المستشرق البلجيكى الأب هنرى لامنس فى كتاب له أسماه : « مكة قبيل الهجرة » نشر بالفرنسية فى بيروت سنة ١٩٢٤ م شرح فيه الطرق التجارية التى تمر بمكة ، واشتغال قريش بالتجارة ، ونظام القوافل ، والمعاملات المالية والتجارية • ويعيب الأب لامنس أنه يؤون ما ينتقيه من المصادر العربية والأجنبية التى يرجع اليها تأويلا يجانب فيه البحث العلمى ليؤيد به تحامله على الاسلام • كما أننا نعجب كيف أن راهبا يسوعيا يطبق النظريات الماركسية فى تفسير تاريخ مكة الاقتصادى قبيل الهجرة •

**٤ ـ تعاليم الاسلام الاقتصادى :**

هذا هو عنوان الفصل الثانى من كتاب رودنسون ( ص ٢٩ : ٤٤ ) ولعله أضعف فصول كتابه لأنه لم

يفصل فيه تعاليم الاسلام المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية عن المال وأوجه التصرف فيه • واكتفى بوصفها تعاليم خلقية • ولم يوفق فيما ذهب اليه من آراء خاطئة تقوله عن الزكاة انها لاتؤثر تأثيرا محسوسا فى علاج تفاوت توزيع الثروة وزعمه بأن الأحاديث المتعلقة بالمعاملات لا يمكن الوثوق بها تاريخيا • مع أن المنهج الذى سار عليه المستشرقون ممن هم أعلى كعبا من رودنسون فى دراسة العلوم الاسلامية يتجه نحو توثيق الأحاديث وخاصة تلك التى تتعلق بالأحكام ويسمونها « وثيقة السنة » لأنها المثل الأعلى للمجتمع الاسلامى فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة وما بعدها بقليل أى الى نهاية عصر تدوين الحديث •

وأنكر رودنسون ما ذهب اليه المستشرق الألمانى هيوبير جريمة Hub Grimme. فى الجزء الثانى من كتابه عن محمد عليه السلام ( الذى نشره فى مينستر Munstes فى جزئين سنة ١٨٩٢ م ) من أن الاسلام يتجه اتجاها اشتراكيا •

وذكر رودنسون قصة أبى ذرالغفارى فى عهد الخليفة عثمان وقال انها حادثة عارضة تخالف ماأجمع عليه الصحابة• وأضاف أن انتقال الحكم الى الأمويين فى سنة ٤٠ للهجرة هو انتصار للرأسمالية التجارية •

ونرى أن أى بحث فى التاريخ الاقتصادى للاسلام يجب أن يبدأ بهذه الناحية الفقهية التى توضح أحكام الاسلام فيما يتعلق بالمسائل المالية والاقتصادية • فمن وظائف الدولة فى الاسلام التى تبرر وجودها قيامها بجباية الزكاة لتخفيف أعباء الطبقات الفقيرة ومنها أيضا منع الاحتكار والربا • وقد اعتبر أبوبكر الصديق والصحابة أن الامتناع عن أدائها ردة عن الاسلام • أى أن مهام الدولة الاسلامية تحقيق ما يسمى بالعدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى واعتبار المال مال الله ، وأنه وديعة عند أصحابه عليهم أن يحسنوا القيام عليه فلا يستخدمونه فيما يلحق الضرر بالمسلمين • وفى

معنى التكافل وتقارض المنفعة قال الشاعر العربى :

الناس للناس من بـدو وحاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

**٥ ـ الحياة الاقتصادية العملية فى العالم الاسلامى فى العصور الوسطى:**

فى هـذا الفصل الثالث من كتاب رودنسون (من ص ٤٥ الى ص ٨٩) عرض للقطـاع الرأسمالى التجارى والمصرفى فى البـلاد الاسـلامية ثم الاقطاع وتساءل عما اذا كانت هناك عدالة اجتماعية • وهذا بحث تاريخى رجع فيه المؤلف الى بعض المصادر العربية مثل الفصل الذى عقده ابن خلدون عن التجارة فى مقـدمته • وبعض مؤلفات الجغرافيين العرب • وشكا رودنسون من قلة المصـادر ونـدرة الوثائق التى تسـاعد على كتابة التاريخ الاقتصـادى للبـلاد الاسلامية • ولكنه فى بحثه لم يقتصر فى دراسته للمعاملات على العصور الوسطى كما هو عنوان الفصل الذى عقده بل تناول هـذه المعاملات فى العصور الحديثة فى مراكش وتونس وفارس وغـيرها نقـلا عن كتابات الرحالة الفرنجة فى العصور الحديثة•

وفى أغلب الحـالات كان المؤلف يرجع الى دراسات المستشرقين دون أن يرجع الى المصادر العربية ذاتها • كما صنع فى دراسته لثروات الوزراء العباسيين • كما أنه لم يشر الى نظام الاستصفاء الذى بدأ به الخليفة عمر ابن الخطاب وأهمله الأمويون وأحياه الخلفـاء العباسـيون وامتدحـه المستشرق الألمانى نولدكه In.Noldeke فى دراسته عن الخليفة أبى جعفـر المنصـور ( انظر الترجمة الانجليزية لكتابه : صور من التاريخ الشرقى ــ لندن سنة ١٨٩٢ م ص ١٠٧:١٤٥ ) واعتبره محاولة لمنع تركيز الثروة فى أيد قليلة ومعالجـة لاستغلال ذوى الجـاه والنفوذ لسلطتهم فى جمـع المـال •

ومن المصـادر العربية التى كان يحسن بالمؤلف الرجوع اليها كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف ، ومثله ليحيى بن آدم القـرشى ، وكتـاب الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام وبعض فصول الأحكام السلطانيـة

للمـاوردى ومثله لأبى يعلى الفراء وتراجم بعض الأعلام فى تاريخ بغداد للخطيب وكتاب الوزراء للجهشيارى ومثله لأبى هلال الصابى وتاريخ الطبرى والأجزاء الأخيرة التى تكمل تاريخ الطبرى فى تجارب الأمم لابن مسكويه •

وعندما تناول المؤلف الاقطاع فى البلاد الاسلامية شغل بتفنيد دعوى المـاركسيين فى أن الاقطاع مرحلة عامة شملت التطـور الاقتصـادى للجنس البشرى وأخذ يبين أوجـه الخلاف بين الاقطـاع الأوروبى فى العصر الوسيط وبين أشباهه فى آسيا والبلاد الاسلامية وتطرق من ذلك الى اقتصـاديات الشـعوب البدائية واقترح فى زيادة الضـبط لأوجـه الشبه والخلاف مدلولات اقتصادية جديدة لا يتسع المقام لذكرها ، ثم طبق هـذه المدلولات على النظـم الاقتصادية فى البلاد الاسـلامية فى العصر الوسيط • وقال بتنوعها تبعا لاختلاف البلدان والأزمنة • وأشار الى أن بعض الأراضى الزراعية كان يفلحهـا الأرقاء كما كان الحال فى جنوبى العـراق فى أواسط القـرن الثـالث للهجـرة حيث قامت ثورة الزنج الشـهيرة بالبصرة التى كادت تزعزع عرش الخلافة العباسية •

وذكر رودنسـون أن الأتقيـاء ينسبون تشويه الاقتصاد الاسلامى الى نزغات الشر فى الطبيعة البشرية أما أنصار العاطفة القومية من العرب المحدثين فينسبون انحطاط الاقتصاد الاسلامى الى فساد الحكم العثمانى•

ثم تساءل المؤلف بعد ذلك : أولم يتيسر تطبيق المثل الأعلى للاقتصـاد الاسلامى تطبيقا عمليا ؟ وأجاب بأن الفترة المثالية هى حـكم الخلفـاء الراشـدين ومدتهـا ٢٩ عاما وهى الفترة التى يذهب أهـل السنة فى تمجيدها كل مذهب • ولكنه ذكر أن الخوارج ينقصون منهـا خلافة على بن أبى طالب بينمـا الشـيعة لا يعترفون فيهـا الا بخلافته • كما أن أهل السنة أنفسهم يعترضـون أحيانا بالاتهـامات التى وجهت الى الخليفة عثمان • وبذلك لا يتبقى من هذا العهد المثالى للخلفاء الراشدين سوى أربعـة عشر عاما هى خلافة أبى بكر وعمر •

وأيا كان الأمر فى نظر المؤلف فان مبدأ الملكية الخاصة لم يمس قط وأن تاريخ الدول الاسلامية المتعاقبة يعرض لنا صورة مطردة لترف الطبقات الحاكمة والغنية من جانب وفقر الكافة وشقائها من جانب آخر • ولكن ذكر المؤلف أن تعاليم الكتاب والسنة تحث على البر والتعاطف واصطناع العدل والنصفة وأنها لذلك كانت كافية فى حمل الأغنياء على البذل فى سبيل الفقراء وحبس الأموال عليهم ونوه بأن الاسلام يعنى بالنواحى الاقتصادية وأنه يمتاز على الديانات الأخرى التى أغفلت هذه النواحى واستغرقت فى الحث على الزهد واطراح مباهج الحياة ذلك لأن الاسلام يجمع بين الدين والدنيا فى نسق معتدل • كما أنه يجعل العمل فى سبيل كسب العيش نوعا من العبادة التى يثاب المرء عليها وقد رويت فى هذا الصدد ــ تأكيدا لرأى المؤلف ــ أحاديث كثيرة تحض على العمل وتنهى عن الكسل والاعتماد على كد الغير • ونضيف أن النظم الاسلامية كما شرحها الماوردى وأبو يعلى الفراء وأصحاب كتب الحسبة كالشيزرى وابن الأخوة وابن الرفعة كانت تمنع التواكل والاستجداء بالنسبة للقادرين على العمل فقد كان من سلطة المحتسب تعزير من يجد من الناس على شاكلة هؤلاء •

وهناك صفحة باهرة فى تاريخ الحضارة الاسلامية أشار اليها رودنسون اشارة موجزة وهى عناية الحكام المسلمين والموسرين منهم بحبس الأموال الطائلة على الفقراء والمرضى والطبقات الضعيفة مما يدل على الروح الانسانية العالية فى الحضارة الاسلامية • ونضيف الى ذلك ما ذكره المرحوم الطبيب اللغوى المصرى أحمد عيسى فى كتابه : تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ( أى المستشفيات ــ دمشق سنة ١٩٣٩ م ) أن أصحاب الوقفيات على المستشفيات كانوا يعنون عناية زائدة بالمرضى ومن مظاهر هذه العناية بالنسبة للمصابين بالأرق أنهم كانوا يقدمون صلاة الفجر عن موعدها لتخفيف آلامهم • وكانت هناك أنظمة دقيقة تمنع تلاعب المتعهدين بتقديم الأغذية للمرضى •

وكان مستشفى قلاوون أول ما زاره علماء حملة بونابرت على مصر نظرا لشهرته فى أوروبا . وكانت هناك وقفيات أخرى للمعاونة فى تجهيز العرائس الفقيرات فضلا عن وقفيات أخرى لتعويض الأوانى التى تكسرها خادمات المنازل لانقاذهن من ضرب ساداتهن لهن كما كان يوجد فى بيت القاضى فى القاهرة مكان لايواء القطط التى يملها أصحابها . فلله در أصحاب هذه الوقفيات من ذوى الضمائر المرهفة الذين يتقربون الى الله بأموالهم استجابة لهذه المبادىء الانسانية العالية . ويطول بنا المقام نشرح هذه المبادىء الانسانية فى الكتاب والسنة ووقائع التاريخ الاسلامى .

**٦ ـ أثر التعاليم الاسلامية عموما فى المجال الاقتصادى :**

عاد المؤلف فى هذا الفصل الرابع من كتابه ( ص ٩١ : ١٢٩ ) الى تفصيل أثر التعاليم الاسلامية فى النواحى الاقتصادية . وذكر أن كلا من الكتاب والسنة لم يحولا دون نمو القطاع الرأسمالى وأن هذا القطاع شبيه بنظيره فى أوروبا فى العصر الوسيط وتساءل من جديد لم لم يتطور هذا القطاع فى البلاد الاسلامية الى رأسمالية انتاجية كما حدث فى أوروبا الحديثة ؟ هل يرجع ذلك الى صفات وراثية فى الجنس الأوروبى تدفع الأوروبيين الى الاقدام والمبادأة أو أن ذلك يرجع الى المسيحية ؟ وفيما يتعلق بالترابط بين العرق أو السلالة والحضارة فان هذا مما يقول به أنصار التفرقة العنصرية وينسبون كل تقدم الى الجنس الأوروبى . وهذه مغالطة لأن هناك أجناسا غير أوروبية قطعت شوطا يعتد به فى الحضارة . وفيما يتعلق بالمسيحية فان المسيحية تحض على الزهد واطراح متاع الدنيا وهذا يناقض الرأسمالية .

ثم أشار المؤلف الى أبحاث ماكس فبر التى ذكرناها آنفا ولكنه لم يعقب عليها . بيد أن رودنسون نفى الفكرة الشائعة عن عقيدة المسلمين فى القضاء والقدر باعتبار أثرها فى اضعاف النشاط الاقتصادى عند المسلمين . وقال ان الاسلام لا ينفرد وحده بتوقف تطوره الاقتصادى . ولكن

تشاركه فى هذه الظاهرة بلاد الاغريق والدولة الرومانية القديمة والهند والصين واليابان . ثم ذكر اعتماد الاسلام على العقل وتدبر مظاهر الكون . وأسقط اتهام المجتمع الاسلامى فى العصر الوسيط بقصوره عن التطور وختم بحثه بانكار أى أثر للاسلام فى اعاقة هذا التطور .

ولدينا بدورنا ما نرد به على مزاعم بعض المستشرقين وغيرهم من أن عقيدة القضاء والقدر عند المسلمين كانتا من عوامل التخذيل والتثبيط فى طلب الرزق . وهذا فى نظرنا مخالف لتعاليم الاسلام لأن الايمان بهذه العقيدة لم يحل دون الجد والاجتهاد عند المسلمين . ومن العجيب فى هذا الصدد أن الكتاب الفرنجة يزعمون أن الأخلاق البروتستنتية على مذهب كالفن كان لها أثر فى قيام النظام الرأسمالى واثارة النشاط الاقتصادى العارم فى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية .

وقد نسى هؤلاء أن مذهب كالفن نفسه من خصائصه الايمان بعقيدة القضاء والقدر . فذهب كالفن الى أن الخلاص Saluotion لا يكون بالأعمال الصالحة فحسب ولكن بالايمان وهذا هو مذهب لوثر الذى يسمى ذلك بعقيدة التبرير بالايمان أو ما أسماه justijication of Flilh. ولكن كالفن زاد على لوثر بقوله ان التبرير بالايمان لا يناله الانسان باجتهاده فى الأعمال الصالحة ولكنه هو ما قدره الله له وآثره به منذ الأزل . وعلى ذلك اذا كانت نظرية ماكس فبر صحيحة وهى نسبة قيام النظام الرأسمالى الى البروتستنت الكالفنيين . فلماذا لم تعق هذه العقيدة التى تقيد من حرية المرء وتقطع أمله فى الخلاص من نشاطهم فى المجال الاقتصادى ؟

### ٧ ــ الراسمالية المعاصرة فى بلاد العالم الاسلامى :

فى هذا الفصل الخامس من كتاب رودنسون شرح للتطورات الاقتصادية فى بعض البلاد الاسلامية فى العصر الحديث مثل مراكش ومصر وايران . وأشار الى تجربة مصر فى الصناعة الحديثة وقد سماها « رأسمالية الدولة » . وأوضح أثر الاستعمار الأروبى فى اعاقة هذه النهضة المبكرة

فى العالم العربى . وبين أثر المصارف الأجنبية واقامة اقتصـاد استعمارى يعتمد على محصـول واحـد ... ولكنه لم يوضح أثر قروض اسماعيل التى استدانها من المصارف اليهودية والتى أدت الى التدخـل الأجنبى والاحتلال .. ومع أن هـذا الفصل استغرق عـددا كبيرا من الصفحات ( ص ١٣١ : ١٩٣ ) فان المؤلف لم يستوعب موضوعه فقد ذكر اشارات عارضه عن الاقتصاد التركى فى عهد الكماليين . والموضوع يحتاج بطبيعة الحال الى كتاب مستقل ان لم يكن الى عدة كتب نظرا لاتسـاع رقعة العالم الاسلامى . ولكن كان بوسع المؤلف أن يورد الحقـائق الأساسية لتوضـيح الظـواهر الاقتصـادية المشتركة مع بيان الخصائص المحلية التى ينفرد بها كل قطر .

**٨ ـ خاتمة ووجهات نظر :**

قسم رودنسون الفصل الأخير من كتابه الى ثلاثة بنود : ١ ـ علاقات وأولويات . ٢ ـ أوهام وأفكـار غامضة ٣ ـ الاسلام والاشتراكية . ( ص ١٩٥ : ٢٤١ ) وفى هذا الفصل تلخيص لمـاسبق مع ابداء ملاحظات جديدة استدركها المؤلف .

ومع أن المؤلف ذكر فى بداية هذا الفصل بأن الاسـلام يلفت النظـر بأصالته التى لانظير لها والتى لاريب فيها فقد تساءل كيف تتصـور أن يكـون ضـعيف الأثر فى الحيـاة الاقتصادية ؟ ثم أنكر قدرة الاسلام على التوجيه الاقتصـادى وقال انه لم يحاول تجنيد طاقة الجماهير نحو الانتـاج وزعـم أن موقف الدول الاسـلامية بعد الاستقلال تجـاه التضنيع والتنمية لا يجـد عونا من الاسلام . وأن الحالة العقلية السابقة لا تساعد على انتقاء المنهج الاقتصادى المناسب لهذه الدول .

وكنت أنتظر أن يتناول المؤلف مشروعات التـأميم والتنظيمـات الاقتصادية التى سارت عليها البلاد العربية فى السـنوات الأخيرة مثل العراق ومصر . ونذكر فيما يتعلق بمصر : الاصلاح الزراعى وقوانين العمل وتحرير الاقتصاد الوطنى من المؤثرات الأجنبية واشراك العمال فى ادارة العمـل والأرباح ومجانيـة التعليم وافساح المجال للقطاع الخاص مع القطاع العام .

هذا من ناحية التنظيم الاقتصادى . أما من ناحيـة مسـاندة المبـادىء

الاسلامية لهذا التنظيم فقد جرد أعضاء مجمع البحوث الاسلامية بحوثا قيمةتوضح وجهة نظرالاسلام فىالملكية والمعاملات المصرفيةوأوجه استثمار المال وغيرها • وكلها تؤكد مبادىء الاسلام فى العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى •

ونذكر فى هذا الصدد أن الأوروبيين روجوا فى أوائل القرن العشرين للفكرة القائلة بأن الاسلام يتعارض مع المدنية الحديثة مع أن المسيحية فى عصورها الأولى أغلقت معاهد الاغريق ونادت بأن الجنة للجهال • مع أن المسلمين فى العصر الوسيط كانوا أكثر الناس اقبالا على دراسة الثقافات الأجنبية مثل ثقافة الاغريق والفرس والهنود •

وقد ظهر فى العقود الأخيرة أن المدنية الغربية بها من المساوىء ما يهدد بانهيارها ، والدعوى الأخيرة بأن الاسلام لا يتفق مع النظم الاقتصادية المعاصرة يرددها مع رودنسون بعض الكتاب الغربيين كما رددوا بالأمس دعوى معارضة الاسلام للمدنية والتقدم التى خفتت حدتها اليوم • وسيصطنع الاسلام من النظم الاقتصادية ما يتفق مع تعاليمه الى أن تندثر هذه الدعوى الجديدة •

***

بقى فى الختام أن نشكر للأستاذ رودنسون جهده فى هذا البحث • ونعتقد أن فى قراءة المشتغلين بالدرسات الاسلامية لكتابه ما يحفزهم على العناية بالتاريخ الاقتصادى للاسلام الذى لم يحظ بعد بدراسات عامة مفصلة • والمعروف أنه يتعذر تكوين صورة شاملة له قبل تجريد الأبحاث المفردة التى تتناول حقبا معينة أو دولة من الدول الاسلامية التى ظهرت فى التاريخ • ثم يلى ذلك ما يسمى بالدراسة التركيبية اعتمادا على هذه الدراسات المفردة ؟

**عبد العزيز عبد الحق حلمى**

# الإسلام : دعوة شاملة كاملة

للدكتور يوسف القرضاوى

« الشمول » من الخصائص التى تميز بها الاسلام عن كل ما عرفه النـاس من الأديان والفلسـفات والمذاهب ، بكل ما تتضمنه كلمـة « الشمول » من معان وأبعاد .

انه شمول يستوعب الزمن كله، ويستوعب الحياة كلها ، ويستوعب كيان الانسان كله .

لقد عبَّر أحد علماء الاسلام عن أبعاد هذا الشـمول فى رسـالة الاسلام فقال وأجاد :

انها الرسـالة التى امتدت طولا حتى شملت آباد الزمن .

وامتدت عرضـا حتى انتظمت آفاق الأمم ..

وامتدت عمقـا حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة .

**رسالة الزمن كله :**

انها رسالة لكل الأزمنة والأجيال ، ليست رسالة موقوتة بعصر معين أو زمن مخصوص ينتهى أثرها بانتهائه ، كما كان الشأن فى رسـالات الأنبياء السابقين على محمد ( صلى الله عليه وسلم ) .

فقد كان كل نبى يبعث لمرحلة زمنية محـدودة ، حتـى اذا ما انقضت بعث الله نبيا آخـر .

أما محمد ( صلى الله عليه وسلم ) فهو خـاتم النبيين ، ورسـالته هى رسالة الخلود التى قدر الله بقاءهـا الى أن تقـوم السـاعة ، ويطوى بساط هـذا العالم ، فهى تتضمن هداية الله الأخيرة للبشرية . فليس بعد الاسلام شريعة ، ولا بعد القرآن كتاب ، ولا بعد محمد نبى .

انها رسـالة المستقبل المديد ولاشك ، وهى أيضا رسالة المـاضى

البعيد . انها ــ فى جوهرها وأصولها الاعتقادية والأخلاقية ــ رسالة كل نبى أرسل ، وكل كتاب أنزل . فالأنبياء جميعا جاءوا بالاسلام ، ونادوا بالتوحيد ، واجتناب الطاغوت :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » (١) .

« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٢)

كل الأنبياء أعلنوا أنهم مسلمين ، ودعوا الى الاسلام .

نوح عليه السلام قال : « وأمرت أن أكون من المسلمين » (٣) .

وابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام قالا : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » (٤) .

ووصى ابراهيم بنيه ويعقوب فقالا : « يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » (٥) .

ويوسف عليه السلام دعا ربه فقال : « توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » (٦) .

وموسى عليه السلام قال : « ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » (٧) .

وسحرة فرعون حين آمنوا بموسى ، قالوا : « ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » (٨) .

وسليمان عليه السلام بعث لبلقيس وقومها : « ألا تعلوا على وأتونى مسلمين » (٩) .

والحواريون قالوا لعيسى : « آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » (١٠) .

انها ــ اذن ــ فى جوهرها ــ رسالة كل نبى جاء من عند الله منذ عهد نوح الى محمد عليهم الصلاة والسلام . انها رسالة الزمن كل الزمن .

---

(١) الأنبياء : ٢٥
(٢) النحل : ٢٦
(٣) يونس : ٧٢
(٤) البقرة : ١٢٨
(٥) البقرة : ١٣٢
(٦) يوسف : ١٠١
(٧) يونس : ٨٤
(٨) الاعراف : ١٢٦
(٩) النمل : ٢١
(١٠) آل عمران : ٥٢

**رسالة العالم كله :**

واذا كانت هـذه الرسـالة غير محدودة بعصر ولا جيـل ـ فهى كذلك غيرمحدودة بمكان ولابأمة، ولا بشعب ولا بطبقة •

انها الرسـالة الشـاملة ، التى تخاطب كل الأمم ، وكل الأجناس، وكل الشعوب ، وكل الطبقات •

انها ليست رسالة لشعب خاص، يزعم انه وحده شعب الله المختار ! وأن النـاس جميعـا يجب أن يخضعواله •

وليست رسـالة لاقليم معين ، يجب أن تدين له كل أقاليم الأرض، وتجبى اليه ثمراتها وأرزاقها •

وليست رسـالة لطبقـة معينـة مهمتها أن تسخر الطبقات الأخرى لخدمة مصالحها أو اتباع أهوائها ، أو السير فى ركابها ، سواء أكانت هذه الطبقة المسـيطرة من الأقوياء أم الضعفاء من السادة أم من العبيد، من الأغنياء أم من الفقراء والصعاليك انها رسـالتهم جميعا • وليسـت لمصلحة طائفة منهم دون سواها • وليس فهمها ولا تفسيرها ولاالدعوة اليها حكرا على طبقة خاصة كما قد يتوهم كثير من الناس • انها هداية رب الناس لكل الناس ، ورحمة الله لكل عبـاد الله • « وما أرسـلناك الا رحمة للعالمين »(١) • « قل يأيها النـاس انى رسـول الله اليـكم جميعا » (٢) • « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعـالمين نذيرا » (٣) • « ان هـو الا ذكر للعالمين » (٤) •

وقـد زعم بعض المستشرقين أن محمـدا ( صلى الله عليه وسـلم ) لم يكن يعلن فى أول أمره أنهمبعوث الى الناس كافة ، وانما فعـل ذلك بعدما أتيح له الانتصار على قومه من العـرب • ولكن الآيات التى ذكرناها ترد عليهم • فكلها ـ لسوء حظهم ـ من سور القرآن المكية • ومثلهـا مما نزل من أوائل القرآن كثير •

---

(١) الأنبياء : ١٠٧
(٢) الاعراف : ١٥٨
(٣) الفرقان : ١
(٤) الفرقان : ٩

**رسالة الانسان كله :**

وهى كذلك رسالة الانسان كله من حيث هو انسان متكامل .

انها ليست رسالة لعقل الانسان دون روحه ، ولا لروحه دون جسمه ، ولا لأفكاره دون عواطفه ، ولا عكس ذلك .

انها رسالة الانسان كله : روحه وعقله ، وجسمه وضميره ، وارادته ، ووجدانه . كما أشرنا الى ذلك فى « خصيصة الانسانية » .

ان الاسلام لم يشطر الانسان شطرين ، كما فعلت أديان أخرى : شطرا روحيا يوجهه الدين ، ويتجه به للمعبد ، وهذا الشطر أو النصف من اختصاص رجال الدين (الكهنوت) يتحكم فيه الكاهن أو القسيس ، ويقود الانسان من خلاله . وشطر آخر مادى لاسلطان للدين ولا لرجاله عليه ، ولا مكان لله فيه . انه شطر للحياة ، للدنيا ، للسياسة ، للمجتمع ، للدولة ، وهذا فى الواقع هو الجزء الأكبر من حياة الانسان .

ترى هل يتفق هذا مع فطرة الانسان وطبيعته كما خلقه الله ؟

كلا ، فالانسان ــ كما خلقه الله ــ ليس مجزءا ولا مشطورا . انه « كل » متكامل ، و « كيان » واحد ، لا تنفصل فيه روح عن مادة ، ولا مادة عن روح ، ولا عقل عن عاطفة ، ولا عاطفة عن عقل ، انه « وحدة » لا تتجزأ ، من الجسم والروح والعقل والضمير .

فلهذا يجب أن تكون غايته واحدة ، ووجهته واحدة ، وطريقه واحدا ، وهذا ما صنعه الاسلام . فقد جعل الغاية الله ، والوجهة الآخرة .

وبهذا لا يتمزق الانسان بين توجيهين مختلفين ، أو سلطتين متناقضتين ، هذه تشرق به وتلك تغرب . كالعبد الذى له أكثر من سيد ، كل واحد يأمره بغير ما يأمره به الآخر ، فهمه شعاع ، وقلبه أوزاع كما ذكر القرآن الكريم فى قوله : « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ، هل يستويان مثلا » (١) .

---

(١) الزمر : ٢٩

**رسالة الانسان فى اطوار حياته كلها:**

ان الاسلام هو رسالة الانسان كله ، وهو رسالته كذلك فى كل مراحل حياته ووجوده ، فهذا مظهر آخر من مظاهر الشمول الاسلامى .

انها هداية الله ، تصحب الانسان أنى اتجه وأنى سار فى أطوار حياته. انها تصحبه طفلا ، ويافعا ، وشابا ، وكهلا ، وشيخا . وترسم له فى كل هذه المراحل المتعاقبة المنهج الأمثل الذى يحبه الله ويرضاه .

فلا عجب أن تجد فى الاسلام أحكاما وتعاليم تتعلق بالمولود منذ ساعة ميلاده مثل اماطة الأذى عنه ، والتأذين فى أذنه ، واختيار اسم حسن له ، وذبح عقيقة عنه شكرا لله . وغير ذلك مما ضمنه امام كابن القيم كتابا مستقلا له سماه « تحفة المولود فى أحكام المولود » .

ونجد أحكاما تتعلق بارضاع الرضيع ومدته وفصاله وفطامه ، ومن يرضعه وعلى من تكون نفقة المرضعة أو أجرتها ، وخصوصا عند الطلاق وانفصال أم الرضيع عن أبيه . فهنا ينزل القرآن الكريم موضحا مفصلا كل ذلك ، فيقول : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس الا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ، ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ، وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ، واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير » (١) .

وبعد ذلك نجد أحكاما تتعلق بالانسان صبيا ، وشابا وكهلا وشيخا . فلا توجد مرحلة من حياته الا وللاسلام فيها توجيه وتشريع .

وأكثر من ذلك أنها تعنى بالانسان قبل أن يولد ، وبالانسان بعد أن يموت .

ولا غرو أن وجدنا فى الاسلام أحكاما تتعلق بالجنين ، من حيث

---

(١) البقرة : ٢٣٣

وجوب حمايته ، والحرص على حياته واستمرار غـذائه بمقـدار كاف . ولهـذا حرم الشرع الاجهـاض ، وقـدر دية محـددة تجب على من تسبب فى اسقاط الجنين . وشرع للحامل أن تفطـر فى رمضـان اذا خافت على جنينها أن يقـل غذاؤه ، وتتأثر صحته . الى غـير ذلك من الأحكام التى تتعلق بالحمل وميراثه، وبالحامل ونفقتهـا مدة الحمل وان كانت مطلقة « وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن »[1]

كما وجدنا فى الاسـلام أحكاما أخـرى تتعلق بالانسان بعد موته من وجوب تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ، ودفنه بكيفية خاصـة ، ومن شرعية التعزية فيـه ، والدعاء له ، وتنفيذ وصاياه ، وقضاء ديونه التى عليه للعباد أو لله تعالى . وغير ذلك مما يشمله كتاب « الجنائز » وغيره فى الفقه الاسلامى .

**رسالة الانسان فى كل مجالات حياته:**

ومن معـانى الشمول فى الاسلام أيضا أنه رسـالة للانسـان فى كل مجالات الحيـاة ، وفى كل ميـادين النشاط البشرى . فلا يدع جانبـا من جوانب الحياة الانسانية الا كان له فيه موقف : قد يتمثل فى الاقرار والتأييد ، أو فى التصحيح والتعديل، أو فى الاتمـام والتكميـل ، أو فى التغيـير والتبـديل ، وقد يتدخل بالارشـاد والتوجيه ، أو بالتشريع والتقنين ، قد يسلك سبيل الموعظة الحسنة ، وقد يتخذ أسلوب العقوبة الرادعة ، كل فى موضعه .

المهم هنـا أنه لا يدع الانسـان وحده ــ بدون هداية الله ــ فى أى طريق يسلكه ، وفى أى نشاط يقوم به : ماديا كان أو روحيا ، فرديا أو اجتماعيا ، فكريا أو عمليا ، دينيا أو سياسيا ، اقتصاديا أو أخلاقيا .

ان الاسلام ــ كما قال المرحوم العقاد ــ هو العقيدة المثلى للانسان منفردا أو مجتمعـا ، وعاملا لروحه

---

(١) الطـلاق : ٤

أو عاملا لجسده ، وناظرا الى دنياه ، أو ناظـرا الى آخـرته ومسالمـا أو محاربا ، ومعطيا حق نفسه ، أو معطيا حق حاكمه وحكومته . فلا يكون مسلما وهو يطلب الآخرة دون الدنيا ، ولا يكون مسلمـا وهـو يطلب الدنيا دون الآخرة ولا يكون مسلما لأنه روح تنكر الجسد ، أو لأنه جسـد ينكر الروح ، أو لأنه يصحب اسلامه فى حالة ويدعه فى حالة أخـرى ... ولكنما هو المسـلم بعقيدته كلها مجتمعة لديه ، فى جميع حالاته ، سواء تفرد وحده أو جمعته بالناس أواصر الاجتماع .

« ان شمول العقيدة فى ظواهرها الفردية ، وظواهرها الاجتماعية ، هو المزية الخاصة فى العقيدة الاسلامية ، وهو المزية التى توحى الى الانسان أنه ( كل ) شـامل ، فيستريح من ( فصام ) العقائد التى تشطر السريرة شطرين ثم تعيا بالجمع بين الشطرين على وفاق » (١) .

يريد الكاتب الكبير رحمه الله أن بعض الديانات كالمسيحية ، ارتضت أن تقسـم الحيـاة نصفين : نصف للدين تقـوده الكنيسة .. ونصف للدنيا تقوده الدولة . كما ذكرنا من قبل .

وسند رجال المسيحية فى ذلك ما حـكاه انجيلهم عن المسيح عليـه السـلام أنه قال لمن سأله عن قيصر قولته المشـهورة : اعط ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » ؟

ولكن الاسلام ينكر هذه القسمة للحياة ويرفضها لأمرين :

الأول : أن الاسلام يجعل الكون كلـه والخلق كلهم ملكا لله ، وليس لقيصر فيه ذرة واحدة . فقيصر اذن وما لقيصر لله الواحد القهار . وفى هذا يقول القرآن : « ألا ان لله من فى السموات ومن فى الأرض » (٢) « له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهمـا وما تحت الثرى » (٣)

---

(١) الاسلام فى القرن العشرين للاستاذ عباس العقاد : فصل «قوة صامدة»

(٢) يونس : ٦٦ (٣) طه : ٦

« وله أسلم من فى السموات ومن فى الأرض طوعا وكرها » (١) .

فلا يجوز فى عقيدة الاسلام أن يخضع المسلم — مختارا — لأمر قيصر ، وهو قادر على اخضاع قيصر لأمر الله . ولا يجوز أن يعطى ظاهره لقيصر ، وباطنه لله « بل لله الأمر جميعا » (٢) .

والثانى : أن الحياة بكل جوانبها كتلة واحدة ، لا تقبل الانقسام والتفريق ، الا فى الورق أو الرؤوس . أما فى الواقع فالحياة كل لا يتجزأ ، ولا ينفصل فيه دين عن دولة ، ولا اقتصاد عن أخلاق ، ولا فرد عن أسرة ، ولا أسرة عن مجتمع .

ولهذا تحاول كل المذاهب الكبرى السيطرة على كل نواحى الحياة ، وتوجيهها حسب فكرتها وعقيدتها . حتى الكنيسة نفسها فى العصور الوسطى بأوروبا ، لم تطبق عمليا ما جاء فى الانجيل نظريا . وحاولت هى أن تأخذ مكان قيصر أو — على الأقل — تسيطر عليه ، وتدير السياسة من خلاله .

ولهذا لم يقبل الاسلام أن يكون مجرد عقيدة نظرية ، أو عبادة روحية ، أو تهذيب خلقى برغم أهمية هذه الجوانب وضرورتها فى نظر الاسلام . ولكن لا بد لها من سياج يحميها من التشريعات والأنظمة التى هى جزء لا يتجزأ من رسالة الاسلام .

**شمول التعاليم الاسلامية :**

واذا كان الاسلام هو رسالة الانسان كله فى كل أطواره ، ورسالة الحياة كلها ، بكل جوانبها ومجالاتها ، فلا عجب أن نجد التعاليم الاسلامية كلها تتميز بهذا الشمول والاستيعاب لكل شئون الحياة والانسان .

نجد هذا الشمول يتجلى فى العقيدة والتصور ، ويتجلى فى العبادة والتقرب ، ويتجلى فى الأخلاق والفضائل ، ويتجلى فى التشريع والتنظيم .

---

(١) آل عمران : ٨٣

(٢) الرعد : ٣١

**شمول العقيدة الاسلامية :**

فالعقيدة الاسلامية عقيدة شاملة من أى جانب نظرت اليها .

(أ) فهى توصف بالشمول، باعتبار انها تفسر كل القضايا الكبرى فى هذا الوجود . القضايا التى شغلت الفكر الانسانى ، ولا تزال تشغله وتلح عليه بالسؤال ، وتتطلب الجواب الحاسم الذى يخرج الانسان من الضياع والشك والحيرة ، وينتشله من متاهات الفلسفات والنحل المتضاربة قديما وحديثا : قضية الألوهية .. قضية الكون .. قضية الانسان .. قضية النبوة .. قضية المصير والجزاء .

فاذا كانت بعض العقائد تعنى بقضية الانسان دون قضية الألوهية والتوحيد ، أو بقضية الألوهية دون قضية النبوة والرسالة ، أو بقضية النبوة ، دون قضية الجزاء الأخروى ، فان عقيدة الاسلام قد عنيت بهذه القضايا كلها ، وقالت كلمتها فيها ، بشمول واضح ووضوح شامل .

(ب) وتوصف بالعقيدة الاسلامية بالشمول كذلك ، لأنها لا تجزىء بين الهين اثنين : اله الخير والنور ، واله الشر والظلمة ، كما كان فى المجوسية ، أو بين الله والشيطان الذى سمى فى الأناجيل باسم رئيس هذا العالم ، واسم اله الدهر ، وانقسم العالم بينه وبين الله ، فله مملكة الدنيا ، ولله ملكوت السموات . فيوشك أن يكون عمله فى نظر المسيحية مضارعا لعمل « اهريمان » اله الظلام فى المجوسية ! » (١) .

ان الشيطان فى نظر الاسلام ، يمثل قوة الشر لا مراء ، ولكنها قوة لا سلطان لها على ضمير الانسان، الا سلطان الوسوسة والاغراء والدعوة الى الشر وتزيينه فى الأنفس ، فهذا مبلغ كيده وجهده ، وهو كيد ضعيف أمام يقين المؤمنين المعتصمين بالله المتوكلين عليه .

يقول الله تعالى ، على لسان الشيطان نفسه فى مخاطبة من أغواهم:

---

(١) انظر : حقائق الاسلام للعقاد ص ١٠٣ ط . أولى .

« وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى » (١).

ويقول سبحانه فى مخاطبة الشيطان : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » (٢) ويقول : « انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » (٣) ويقول : « ان كيد الشيطان كان ضعيفا » (٤)

(ج) وتوصف العقيدة الاسلامية بالشمول من ناحية أخرى ، وهى : انها لا تعتمد فى ثبوتها على الوجدان أو الشعور وحده ، كما هو شأن الفلسفات الاشراقية والمذاهب الصوفية ، وكما هو شأن المسيحية التى ترفض تدخل العقل فى العقيدة رفضا باتا ، بحيث لا تؤخذ الا بالتسليم المطلق ، على حد قولهم: اعتقد وأنت أعمى !

وهى كذلك لا تعتمد على العقل وحده ، كما هو شأن جل الفلسفات البشرية التى تتخذ العقل وسيلتها الفذة فى معرفة الله وحل ألغاز الوجود .

وانما تعتمد على الفكر والشعور معا أو العقل والقلب جميعا ، باعتبارهما أداتين متكاملتين من أدوات المعرفة الانسانية ، والوعى الانسانى .

ان الايمان الاسلامى الصحيح هو الذى ينبعث من ضياء العقل وحرارة القلب ، وبذلك يؤدى دوره ويؤتى أكله فى الحياة .

ويوم أصبح « علم التوحيد » فى الاسلام علما عقليا بحتا ، يقوم على الجدل حتى سمى «علم الكلام» أنكره كثير من أئمة الاسلام . لأن فعل هذا الجدل وحده لا يكون الايمان الاسلامى .

وبانتشار هذا اللون من المعرفة العقلية الجافة وجد فراغ عاطفى وروحى ، هيأ لظهور فئة أخرى تقوم بملئه على طريقتها، وهى «الصوفية» .

---

(١) ابراهيم : ٢٢
(٢) الاسراء : ٦٥
(٣) النحل : ٩٩ ــ ١٠٠
(٤) النساء : ٧٦

والحق أن « علم الـكلام » انما يجدى فى مجال واحد وهو مجادلة خصوم العقيدة ودفع الشبهات والأباطيل عنها • أما تكوينها واثباتها من الأساس فلا يكفى •

( د ) وتوصف العقيدة الاسلامية بالشمول أيضا ، لأنها عقيدة لا تقبل التجـزئة ، لا بد أن تؤخذ بـكل محتوياتها دون انكار ، أو حتى شك فى أى جزء منها • فمن آمن بـ ٩٩٪ من مضمون هذه العقيدة ، وكفـر بـ ١٪ لم يعـد بذلك مسـلما • فالاسلام يقتضى أن يسلم الانسـان قياده كله لله ، ويؤمن بكل ما جاء من عنده •

لا يجوز فى نظر العقيدة الاسلامية، أن يقول مسلم : أنا مؤمن بالقرآن الكريم فى شأن الشعائر والعبادات ــ مثلا ــ ولكن لا أومن بمـا جاء به فى شأن الأخلاق والآداب أو يقول: آخذ من القرآن العبادة والأخلاق ، ولكن لا أستمد منـه النظـام والتشريع • أو آخذ منه ذلك كله ، ولكن لا أصدقه فى كل ما يرويـه من أحداث التاريخ • أو أصـدقه وأسـلم له فى كـل ما ذكرنا ولكن لا أعتقد بحقيقة ما جاء فى وصـف الآخرة ، وحقيقة الجنة والنار •

ومن ثم أنكر القرآن أشد الانكار على بنى اسرائيـل ايمانهـم ببعض الرسل دون بعض ، وببعض الكتاب الالهى دون بعض • يقـول تعالى : « ان الذين يكفرون باللـه ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقـولون : نؤمن ببعض ونكفـر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقـا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا » [1]

« للبحث بقية »

د / يوسف القرضاوى

---

(١) النساء : ١٥٠ ــ ١٥١

الإسلام والغرب :

# العلاقات الثقافية

للدكتور الشيخ عبد الجليل شلبي

— ٤ —

أشرت من قبل الى أن العلاقات العامة بين الشرق والغرب كانت علاقة عداء ، وكراهية ، ولم يكن جوارهم جوار اخاء ومودة فالحروب المتطاولة والدماء المسفوكة كانت بداية هذا اللقاء كما كانت خاتمته .

وفد العرب على أسبانيا وفرنسا وصقلية وايطاليا غزاة فاتحين ووفد الأوروبيون على الشرق فى حروبهم الصليبية أيضا غزاة فاتحين ، وليس من شأن أى من الحالين أن يكون مودة واخاء ، زد على ذلك اختلاف الدين واليه تعزى كل هذه الحروب، ولكنه على الرغم من هذا العداء المرير والحروب المتعاقبة وجدت علاقات ثقافية واتجه الغرب نحو ينابيع العلم الاسلامية .

يرجع السبب فى هذا الى أن المسلمين بهروا الأوروبيين بماقاموا به من أعمال ، ومساجدهم التى أسسوها واستكثروا منها بسرعة فى الأندلس وصقلية والجزر الأخرى التى فتحوها كانت بحق جامعات تدرس ألوانا عديدة من الفكر والثقافة ، وازاء اكبار الأوروبيين لأعمال العرب الحربية أكبروا عقليتهم واضطروا أن يردوا مناهلهم العلمية ليستفيدوا منها .

ولا نعجب اذا كان تراجع العرب وانكسارهم فى المواقع التى أوقفت تقدمهم لم يحط من شأنهم فى نظر الغرب ، بل جعلهم يبقون على تقديرهم من الوجهة العلمية ، ذلك أن هذه المواقع حالفتها الصدفة من

جهة ومن جهة أخرى أشعرت الغربيين مع انتصارهم أنهم أقل شأنا من العرب . وأقوى هذه المواقع هى موقعة (بواتيه) التى انتصر فيها (شارل مارتل)، ولكن هذه الموقعة هى التى جعلت فرنسا بعدها تهتم بثقافة المسلمين .

وكان الفاطميون بعد أن وضعوا أيديهم على صقلية قد طمعوا فى الاستيلاء على ايطاليا ، أو التوغل فيها توغلا أوسع ، فأعدوا حملة بحرية بثت الرعب فى قلوب اللاتين، ووصل الأسطول ذو القطع العديدة أمام ثغر « أوستيا » ولكن عاصفة هوجاء عارضة هبت عليه فأغرقته ، وكان الهدف من هذه الحملة هو الاستيلاء على روما وكانت جيوش المسلمين قبل ذلك بنحو ثلاثة أعوام قد هددت هذه العاصمة ولكنها لم تستطع اقتحام أسوارها التاريخية، غير أن المسلمين دخلوا الكاتدرائيات الكبيرة ذات الشهرة ، واستولوا على كنوزها الثمينة ، فلما غرق أسطول المعز كانت نجاة العاصمة من الصدف التى لم تحط من شأن العرب ، وظلوا على ما كانوا عليه من القوة فى جنوب ايطاليا ، وتوقع الرومان أن يجدد العرب حملاتهم فصالحم البابا يوحنا الثامن على أن يدفع لهم الجزية ، فمازالت اذن لهم الغلبة .

وعندما تغلب النورمانديون واستولوا على صقلية كانوا يدركون أنه نصر عسكرى ، لهذا تركوا عددا من الوظائف فى أيدى العرب لعلمهم أنهم أقدر على القيام بها ، ولعل فشل الحملات الصليبية المتتابع فى الشرق كان ذا أثر أيضا فى رفع معنويات العرب ، واشعار الأوروبيين اشعارا مستمرا بضعفهم . وقد دهش ريتشارد قلب الأسد لما رأى من خلق المسلمين وصمم على ألا يعود لحربهم ، كما أن حملة الامبراطور غليوم الثانى البحرية على الاسكندرية لاقت فشلا أشد على يد صلاح الدين، فاضطرت الجرمانيين أن يهادنوا بنى أيوب ، وأن يعقدوا بينهم صلات ود وسلام .

فاذا أردنا بعد هذه اللمحات التاريخية أن نحدد أبرز مواطن الصلات الثقافية بين المسلمين والأوروبيين نجد أمامنا مواضع ثلاثة :

أولها: صلات المودة التى توثقت بين الملك الكامل محمد الأيوبى ، وبين الامبراطور فريدريك الثانى، وترجع هذه الصلات الى شخصية الرجلين ولا ريب ، فقد آثر كل منهما صلة الثقافة والعقل على اللجوء الى الحرب واثارة الدماء وقد وصف بعض الكاتبين هذه العلاقة بأنها كانت نتيجة ضعف الامبراطور وعجزه الظاهر أمام قوة الأيوبيين ، وهو وصف لم ين على غير أساس ، وأساسه أن الحملة التى قادها الامبراطور كان بها نحو ستمائة محارب ، قابلها من محاربى الشرق المتطوعين من شتى الأنحاء عدد كبير، فانتهت بصلح سمح فيه باسترداد بيت المقدس على أن يسمح للمسيحيين بأداء الحج اليه ، ولم تحدث معارك ولا قتل جند ولا أريقت قطرة واحدة من الدماء • ولكننا نلمح فى هذا التصرف سمات الذكاء وحسن الفهم للأمور كما نلمح سمات التسامح والخلق الانسانى •

ولعل هذا أهم وأوضح ما أفاد الصليبين • هذا لأنه على الرغم من تطاول هذه الحروب لم يحاول الصليبيون أن يستفيدوا من علوم الشرقيين وكان نقصهم فى العلوم واضحا كل الوضوح ، وكان الأندلسيون وبنو صقلية أهدى منهم اذ ترجموا ونقلوا الكثير عن العرب، أما هؤلاء فكانوا جماعات من الرعاع الذين تغلب عليهم النعرة والعنجهية، ولا قدرة لهم على هضم المعارف والعلوم ، ولكنهم استفادوا من طريق غير مباشر • •

وقد روى أسامة بن منقذ قصة لطبيب عربى استدعاه أحد رؤساء الفرنجة ليطب لفارس ، ولامرأة فما كاد يبدأ عمله حتى حضر طبيبهم، فعاب الطبيب العربى واتهمه بالجهل، وكان برجل الفارس دمل فقرر الطبيب بترها ، وأحضر فأسا وقطع ساق الفارس فظلت تنزف حتى مات ، أما المرأة فشق فى جلد رأسها صليبا ظهر منه عظم الجمجمة فلحقت بالفارس ، وعاد الطبيب العربى ، ولم يعمل شيئا ، غير ادراكه جهلهم ، كما أدركوا هم جهل أنفسهم •

أما الاتصال الثانى: فكان فى صقلية، وقام على تصرفات شخصية فذة هى شخصية الامبراطور فريدريك الثانى

( ١٢١٥ ) فهذا رجل ذكى حصيف حرص على الاستفادة من علوم العرب رغم العداء السياسى الذى كان ما يزال مستحكما ورغم الحروب الصليبية التى كانت ما تزال دائرة الرحى فى الشرق ، ورغم الكتابات التى حاول أصحابها أن يشوهوا بها سمعة الاسلام والمسلمين . كان هذا الامبراطور على صلة أيضا بالملك الكامل الأيوبى وبغيره من كبار الشخصيات الاسلامية ، وأعجب بعادات الشرقيين وتقاليدهم واستهوته الفلسفة الاسلامية فاستكثر من درسها ، وقد جمع عددا من الأسئلة والمشاكل الفلسفية وبعث بها الى الشام ومصر والعراق وافريقية والأندلس ، وكانت أسئلته تدور على أسس الميتافيزيقا والمقولات وحقيقة النفس وقدم العالم ، وما اليها من المشاكل الفلسفية التى أثارها فلاسفة الاسلام ، وقد حفظ التاريخ ردود (ابن سبعين) عليه، ومحاورتهما تصور مقدرة هذا الامبراطور العلمية ومدى اهتمامه بالفلسفة .

وكان ملما بعدد من اللغات ، فضلا عن احاطته باللغة الايطالية واللغة اللاتينية يعرف الالمانية والفرنسية والاغريقية والعربية . وواضح أنه لم يجد فى كل هذه اللغات ما يشفى غليله ويروى ظمأه الفلسفى فلجأ الى العربية فهى اذن فى هذا الوقت سيدة اللغات فكرا وثقافة .

ومنذ توليه الحكم فى صقلية أخذ يعمل على انهاضها ورقيها علميا واجتماعيا ، فجمع من الكتب العربية ما لم يتوفر لغيره ، وخصوصا مؤلفات ابن رشد ، ويظهر أنه وقع تحت تأثير التيار اليهودى الذى كان يؤثر الفلسفة الرشدية ويقدمها على فلسفة ابن سيناء .

وأسس (فريدريك) هذا جامعة فى نابولى جعل العلم العربى أساس منهجها ، وجعل مهمتها نقل العلوم العربية الى الشعوب الأوروبية ، مما يدل على رغبته فى نشر العلم بين شعبه وغير شعبه .

وهو الذى بعث بالعالم الكبير ميخائيل سكوت الى طليطلة لنقل فلسفة ابن رشد ، وكان ميخائيل ذا ذكاء واسع ونشاط كبير وخبرة بالترجمة ولم يقنع بجهده بل استعان بعدد من المترجمين كان يوزع عليهم

الكتب ليترجموها الى اللاتينية ثم يراجع هو عملهم ويصحح ما يحتاج منه الى تصحيح ، وهو ومساعدوه غذوا مكتبات صقلية وجنوب ايطاليا بالكتب العربية ولكنهم أيضا جنحوا الى ابن رشد أكثر مما جنحوا الى غيره .

ولكن فريدريك مع حبه للفلسفة الاسلامية لم يكن يحب الاسلام ويوصف بأنه كان علمانيا حر التفكير فلم يهده تفكيره الى الاقتناع بوجود الله ، وينسب اليه زرايات على الديانات ، وعلى كبار الأنبياء ، فيروى أنه كان يقول أنه بحث الديانات فوجدها جميعا سواء فى أنها لا تساوى شيئا ، وان أصل البلاء فى هذا العالم انما هو الدين ، وشر ما منى به الناس كان من الأدعياء السامين الثلاثة — موسى وعيسى ومحمد ، وسخر من البابا أيضا وشبهه بالتنين الذى تحدث عنه القديس يوحنا ، فالتنين يبتلع العالم ، والبابا أخضع الناس لجبروته .

ولعل ما لقيه من محاربة البابا لحركة الترجمة ومحاربته الفكر الشرقى كان مما أضرم خصومته له . وله الفضل على النهضة الأوروبية مما حد من نفوذ البابا ونشر من الترجمات على رغم الكنيسة .

وهو على أى حال يصور ذروة ما وصلت اليه صقلية من النضج العقلى واكتمال المعارف والعلوم .

وبعد هذا — وقبله — تأتى حركة الجامعات الأندلسية ، وقد تحدثنا عن جامع قرطبة . والآن نذكر جامعة طليطلة .

كان المسلمون قد حولوا كنيسة طليطلة الكبرى الى مسجد للصلاة وجامعة للتعليم وظلت نحو أربعة قرون تقوم بتعليم المسلمين وغير المسلمين ، وقبيل نهاية القرن الحادى عشر المسيحى ( ١٠٨٥ ) م سقطت المدينة فى أيدى القشتاليين ، فردوا الجامع كنيسة ، وقام الأساقفة على حركة التعليم فيها ، أما المسلمون الذين عاشوا تحت حكم القشتاليين فمنحوا حرية الدين وان لم تخل حياتهم من مضايقات ، وقد كانوا موضع اعجاب المواطنين اخلاقا وحسن سلوك وطيب معاملة ، ولكنهم لم يظفروا بحريتهم زمنا طويلا .

وبين عامى ١١٣٠ و ١١٥٠ م تولى الرياسة الدينية أسقف يدعى (ريموند)

وكان مع مسيحيته شـديد الاعجاب بالفلسفة الاسلامية وأراد أن يجعلها فى متناول المسيحيين ، فأسس مدرسة للمترجمين نقلت أهم الكتب العربية خصـوصا الشروح والتعليقات التى وضعها الفارابى وابن سينا على فلسفة أرسطو .

وفى هـذا الوقت كان المرابطون والموحدون هم الذين يحكمون فى بقية أسبانيا ، وكان حكمهم يتسـم بالتزمت وعدم الميل الى الفلسفة ، وسبب ما فى حكمهم من شدة أن يفر كثيرون من غير المسلمين الى قشتاله، وهؤلاء زادوا حركة الترجمة نشاطا .

والذى يؤخذ على هذه الترجمات بوجه عام أن الذين قاموا بهـا لم يكونوا متفلسفين ولا يفهمـون الأغراض الفلسفية ، فكانوا يضعون كلمات لاتينية فوق الكلمات العربية التى فى النص ، ثم يأتى من له دراية بالفلسفة فيـكون من الكلمات اللاتينيـة جملا تؤدى معنى فلسفيا وكما عانى الكندى مشقة الترجمـة الأولى من الاغريقية الى العربية عانى هؤلاء المراجعـون مشقة النقل من العربية الى اللاتينية،وكان المراجعون أنفسهم تنقصهم المقدرة الكافيـة ، لذلك كانت هذه الترجمـة بـداية حركة ، وقد أدخلت على اللاتينيـة كلمات كثيرة عربية ، وفضل مدرسة طليطلة أنهـا نقلت فكرا جديدا الى الأوروبيين ، وبهذا الفـكر الجديد اتجهوا الى الفكر اليونانى فى أصوله الأولى ، لكنهم وجدوا أن العـرب قد نموه ولونوه وزادوا فيه .

والعجب للفيلسـوف الفرنسى رينان ، انه أولع بابن رشد وألف عن فلسفته تأليفا جيـدا ، وأدرك مخالفـاته للفلاسـفة الاسلاميين وموقفه من آراء الغزالى ، ومع كل هذا كان يعلن أن العرب لم يكونوا الا طريقا لنقل الفكر الاغريقى ولم يبتكروا فكرا فلسفيا .

وتلت هذه الحركة على أى حـال حركة تنقيح وتهذيب وشرح اعتمدت على ما زاده العرب على الأصـول اليونانية من شرح أو معارضـة ، وكانت هذه الحـركة بداية تفكير أوروبى جديد يعتمد على منطق وعلم صحيح ، وكانت بداية تصفية العقلية الأوروبيـة من خرافـات العصر الوسيط .

**دكتور عبد الجليل شلبى**

# الإسلام والمسلمون في ألمانيا الاتحادية

للأستاذ محمد رسول

أشار الدستور الألماني الى ضمانات حقوق الانسان ومن بينها حرية العقيدة ومزاولة العبادة، محققا بذلك السبيل لجميع الأديان مباشرة شتى أنواع العبادة تحت ظل القانون وفى حمايته . وربما كان ذلك سببا من ضمن الأسباب للزيادة المضطردة فى عدد المسلمين بألمانيا وتفتح وجوه نشاطهم المختلفة من عام الى عام . فطبقا لاحصاء ١٩٦٥ بلغ عدد المسلمين فيها ٢٢٠ ألفا، وفى عام ١٩٧٠ — أى بعد خمس سنوات — بلغ هذا العدد ٢٦٠ ألفا أى بمعدل ثمانية آلاف مسلم فى كل عام .

ولاشك أن هذا العدد قد تضاعف على أقل تقدير بعد أن وصل عدد العمال الضيوف فى ألمانيا الى مليونين ونصف مليون شخص . وأكثرهم من القادمين من الدول الاسلامية الأخرى مثل ايران وتركيا وأندونيسيا وباكستان وأفغانستان والملايو والصومال .. الخ .

وبالاضافة الى هذا العدد فهناك عدد كبير من المسلمين الألمان الذين اعتنقوا الدين الاسلامى ومن المسلمين الروس واليوغسلافيين الذين هاجروا الى ألمانيا . ومن الغريب أن عدد المسلمين من الألمان هو فى النساء أكثر منه فى الرجال دون أن تتوصل الاحصاءات والكتب التى تناولت مثل هذه الموضوعات الى تعليل يذكر لهذه الظاهرة . ولعل ذلك يعود الى زواج الألمانيات بالمسلمين من مختلف مناطق العالم الاسلامى ثم اعتناقهم الاسلام بعد الزواج .

ويعيش هؤلاء المسلمون فى بلد لا تكاد تخلو فيه قائمة الطعام من وجبات يدخل فيها لحم الخنزير . كما لاتكاد تخلو فيه مائدة من البيرة. ولكنهم لا يأكلون الخنزير ولا يشربون الخمر . يعيشون فى قلب مجتمع مسيحى محض وبين أناس تختلف عاداتهم وتقاليدهم وطريقة حياتهم عنهم تمام الاختلاف.

وبعد فترة من الوقت كانت وجبة الطعام فيها تعتبر مشكلة بالنسبة للمسلم • فان طعام المسلمين الخالى من الخمر ولحم الخنزير متوفر اليوم بصورة واضحة • حتى فى المطاعم الجماعية للشركات • اذ يراعى القائمون عليها أن تتوفر وجبات طعام خاصة بالعمال المسلمين خالية من لحم الخنزير ودهنه • هذا وقد استعانت الحكومة الألمانية ببعض القصابين المسلمين من الأتراك لذبح الأبقار والأغنام حسب الشريعة الاسلامية • وذلك ارضاء لمئات الألوف من المسلمين المقيمين فى ألمانيا والمنتشرين فى كل أطرافها منظمين أنفسهم اما تحت لواء جمعية اسلامية أو هيئة مسجد •

كانت مناطق تجمع الجاليات الاسلامية فى ألمانيا متركزة فى ولاية بادن فورتمبر — فى جنوب ألمانيا وفى منطقة الراين حيث مراكز الصناعة الألمانية • أما اليوم فلا تكاد تخلو مدينة كبيرة من المدن الألمانية من معتنقى الاسلام • سواء من العاملين أو من الدارسين فى المعاهد والجامعات •

ان مركز الثقل فى الاعلام والدعوة الاسلامية والعربية ليقع غالبا على عاتق الطلبة المسلمين وفى حدود طاقاتهم المتواضعة وفى حدود ما تخصصه الجامعات لهم من مساعدات أسوة بالمنظمات الطلابية الأخرى • وبالرغم من قلة المال فقد أتت المجهودات الطلابية بثمرة طيبة • اذ أن نشاط الطلبة على هذا الصعيد يلقى تقبلا فى الأوساط الألمانية وبين المواطنين الذين يقبلون على سماع محاضرات المسلمين بشغف المتطلع الى معرفة الاسلام الحنيف على وجه نقى من الشوائب التى يبثها خصومه والتى لاتتفق مع الروح العلمية الصحيحة•

وانطلاقا من هذا المبدأ نظمت حلقات دراسية ومناظرات بين الطلبة المسيحيين والمسلمين وأسست أخيرا فى بون أول جمعية «للتعاون المسيحى الاسلامى» تلك الجمعية التى أسسها الشيخ عثمان يادجى من سفارة السنغال والتى بدأت نشاطها بمحاضرة للمستشرق الايطالى الدكتور ( كيوزى ) عضو الجماعة

الاسلامية فى فرانكفورت ، التى تناول فيها أوجه الخلاف والتشابه بين المسيحية والاسلام .

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور كيوزى من معتنقى الاسلام وهو أول من ترجم معانى القرآن الكريم الى لغة الاسبرانتو .

وقد وضعت مؤسسة « انترناسيونس » قاعة محاضراتها تحت تصرف بعض الهيئات التى تهتم بالعلاقات المسيحية الاسلامية لالقاء محاضرات عن الاسلام فيها .

وتعتبر ألمانيا الاتحادية مركزا هاما لعقد المؤتمرات الاسلامية لمركزها الجغرافى المتوسط فى أوروبا . فكثيرا ما عقد الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية اجتماعاته الدورية والثانوية فى ألمانيا . تلك الاجتماعات التى يلتقى فيها المسلمون من مختلف أنحاء العالم وتشترك فيها اتحادات الطلاب المسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول أوروبا ، كذلك اتحادات الطلبة المسلمين من نيجيريا واندونيسيا والباكستان الخ . وهنا فى ألمانيا تدعو هذه المؤتمرات فى هدوء بعيدا عن المؤتمرات الأخرى التى ربما تعكر صفو حرية العقيدة والتعبير عنها الى تبين هذه الحقيقة والى الاستمساك القوى بالاسلام والعودة الصادقة اليه عقيدة وشريعة ومنهجا كوسيلة فريدة لحل الكثير من مشاكل العالم الاسلامى .

لم ينس المسلمون واجبهم فى التعاطف والتراحم بينهم ومد الأيادى سخية فى نطاق الجمعيات والاتحادات الى شد الأزر والتعاون اجتماعيا والمسارعة بالتبرعات للمحتاجين وتذليل ما يصادفهم من متاعب فنذكر ـ بجانب احياء الشعائر واقامة الحفلات فى مناسبات الأعياد وخصوصا بقصد ادخال البهجة على أطفال المسلمين واعداد افطار جماعى للعمال فى شهر رمضان المبارك ، ان الجمعيات الاسلامية قد أخذت على عاتقها أيضا عيادة المرضى بالمستشفيات وتنظيم لجان لرعاية الأسر عند مرض عائلها أو وفاته ، فأشرفت على دفن موتى المسلمين فى المقابر الألمانية بعد تأدية الطقوس الخاصة بذلك

والحرص على أن تخلو القبور من الصليب التقليدى فى المقابر الألمانية ثم يحدث ذلك كله دون اعتراض من أحد ، أو حتى من السلطات الألمانية المشرفة على الدفن . اذ أن ذلك أيضا يدخل فى أمور العقيدة التى يحميها الدستور الألمانى .

ولا يقل واجب الجمعيات الاسلامية فى تعليم لغة القرآن عن واجباتها الأخرى حتى أصبحت تلك الجمعيات مدارس غير مباشرة لتعليم اللغة العربية ، فمثلا تقوم الجماعة الاسلامية ـ شعبة برلين ـ بمحاولة رعاية مائة ألف مسلم ببرلين الغربية وحدها التى بها الآن ثلاثة مدارس لتعليم أطفال الاتراك اللغة العربية والقرآن الكريم بجانب اللغة التركية بطبيعة الحال .

لم تعد القباب والمآذن فى ألمانيا، أى فى قلب أوروبا من المناظر غير المألوفة ـ لا يعتبر صوت الآذان اليوم بجانب قرع أجراس الكنائس من الأمور المزعجة للسكان . كذلك لم تعد صلاة المسلمين اليوم أمام المواطنين الألمان من المشاهد الغريبة. حتى ولم تعد تأدية شعائر الاسلام فى بعض الكنائس فى بعض الأحيان من الأمور المستحيلة فى ألمانيا الاتحادية. فقد فتحت بعض الكنائس أبوابها أحيانا فى احتفالاتها وأعيادها لتستوعب هذا العدد الغفير منهم والذى يصل الى بضعة آلاف فى يوم واحد .

فنذكر على سبيل المثال صلوات الأعياد الاسلامية التى أقامها المسلمون يوما ما فى الكاتدرائية التاريخية فى مدينة كولونيا. ثم فتحت ساحات المعارض والاستادات الرياضية وقاعات الاحتفالات بعد ذلك أبوابها للمسلمين الذين وجدوا فيها أكبر بقع تسع آلاف المصلين فى يوم العيد.

واعتادت الصحافة أن تنشر تقارير صحفية عن احتفالات المسلمين فى أعيادهم مصحوبة بصور تمثل هذه الجموع وأحذيتها فى الاستادات الرياضية . وقد لوحظ أن هذه الصور تحتوى على شىء من الطرافة. ألا وهى تلك اللافتات التى تحيط بجموع المصلين داخل الاستاد وتعلن عن أنواع مختلفة من الخمر المحرم عند المسلمين . ومع هذه الأوضاع كلها ومع اطراد زيادة عدد المسلمين

كما سبق ذكره فى مدخل هذا المقال. فانه ينتج عن ذلك بطبيعة الحال ازدياد اهتمام المسلمين ببناء المساجد واعداد بيوت للعبادة .

ومنذ فترة قريبة أصبحت مدينة ميونخ تملك رسميا مسجدا خاصا بها يعتبر تحفة معمارية تجمع بين الطرازين الاسلامى والأوروبى معا . وقد أصبحت ميونيخ بذلك سادس مدينة ألمانية يوجد بها مسجد كبير لاقامة شعائر الله عز وجل .

أما المساجد الأخرى فمنها مسجد بلال بمدينة آخن الذى شيد بمجهودات الطلاب المسلمين بكلية الهندسة هناك وقامت بتمويله حكومات اسلامية كثيرة منها قطر والبحرين وسوريا والكويت والأردن والسعودية والباكستان . علاوة على معونة قدمتها بلدية آخن قدرها عشرة آلاف من الماركات ، علاوة على التبرع المقدم من المهندس المعمارى شتاينباخ الأستاذ بجامعة آخن . على صورة وضع التصميمات والنماذج التحضيرية واعداد المقاييس العامة والتكاليف بلا مقابل .

وأول مسجد رفعت قوائمه لذكر الله تعالى هو المسجد الذى بناه أمير ألمانى فى أواخر القرن الثامن عشر بمدينة شفتسنجن ( بالقرب من هايدلبرج ) وألحقه بقصره اكراما لزوجته التركية التى اعتنق الاسلام على يديها . وهذا المسجد يستعمل الآن كمتحف ولا تقام فيه الا صلوات العيدين .

ويعتبر مسجد برلين من أقدم المساجد فى ألمانيا أيضا ، اذ انشىء عام ١٩٢٨ واكتسب شهرته عندما كانت برلين عاصمة لألمانيا الموحدة ، والتى كان يؤمها الكثير من الدبلوماسيين من مختلف البلاد الاسلامية . أما مساجد مدينة هامبورج فأولها مسجد بسيط متواضع بلا مئذنة أنشأه أهل السنة وهو يعتبر النواة الأولى لمشروع مسجد كبير يعد من أكبر المساجد فى ألمانيا جمعت له التبرعات من الطلبة ومن الشخصيات الاسلامية التى تتردد على الميناء الألمانى بين الحين والآخر . هذا بجانب مسجدين آخرين أحدهما يستقل بالايرانيين وهو مبنى على الطراز الفارسى المغلف بالهندسة الأوروبية . ويوجد فى مدينة

فرانكفورت على نهر الماين مسجد كبير كان قد افتتحه وزير باكستانى هو نائب رئيس محكمة العدل الدولية بلاهاى . هذا علاوة على الاجراءات اللازمة التى اتخذت بمطار فرانكفورت عند توسيعه لانشاء عدة قاعات به تخصص كل منها لأتباع كل دين من الأديان . وقد خصصت منها فعلا قاعة للمسلمين . كما توجد فى أكثر الجامعات الألمانية غرف خصصتها السلطات الجامعية للطلبة من المسلمين لاستعمالها كمصلى ، ويعتبر هذا التصرف مأثرة مشكورة أشاد بها طه الولى فى كتابه عن الاسلام والمسلمين فى ألمانيا ( ص ١٣٠ ، طبعة ١٩٦٦ ) اذ قال : « ان هذه الظاهرة الودية نحو المسلمين تكاد تكون قاصرة على البلاد الألمانية دون غيرها من البلاد المسيحية فى كافة أنحاء العالم » .

أما أرباب العمل الألمانى فلا يألون وسعا فى ايجاد الحلول المناسبة للعمال المسلمين لاقامة شعائرهم الدينية . ومن أطرف تلك المجهودات ذلك المسجد المتحرك الذى يجرى على عجلات هيئة السكك الحديد الألمانية ، والذى خصصته الهيئة لعمالها من المسلمين ، ذلك المسجد الذى يتكون من بعض عربات الركاب التى تحولت ليصبح جزء منها مكانا للاغتسال وآخر فرش بالسجاد ليكون صالحا لتأدية الصلاة .

ويعتبر المسجد الذى أقامه مصنع الحديد والصلب فى مدينة الندورف بولاية هيسن أول مسجد يقيمه مصنع فى ألمانيا على الاطلاق لعماله من المسلمين والأتراك الذين يبلغ عددهم أكثر من ثلاثة آلاف عامل يشكلون ٤٠ فى المائة من مجموع تعداد عمال المصنع الذى قرر تشغيلهم بعد أن تأكدت ادارة المصنع من أنهم أكثر الناس استعدادا للعمل فى صهر الحديد . ومن الجدير بالذكر أن هذا المسجد قد بنى بتضحيات العمال بجانب المساعدة التى قدمها لهم المصنع .

وتعتبر اقامة صلاة العيدين فى مقر السفارة المصرية تقليدا قديما قدم التمثيل الدبلوماسى بعاصمة ألمانيا الاتحادية . ففى سفارة مصر يلتقى المثلون الدبلوماسيون من أجناس

مختلفة بألبستهم وأزيائهم الوطنية ومعهم الكثيرون من الطلبة والمواطنين، محققين بذلك مظهرا جميلا من مظاهر الوحدة والتآلف بين المسلمين .

وهناك مشروع اسلامى آخر جليل فريد فى نوعه ، ألا وهو « مشروع دار الاسلام » الذى خرجت فكرته من كولونيا والمقصود به هو انشاء بيوت ومراكز اسلامية ثقافية للمغتربين من المسلمين على غرار بيوت الشباب المنتشرة فى أوروبا وأمريكا .

لقد عمل المسلمون هنا على اصدار الصحف والمجلات والمنشورات التعليمية والاخبارية كأنجع وسيلة للترابط بينهم من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، تلك المطبوعات التى تصدر بلغات عديدة فمنها ما هو محرر بالألمانية أو العربية أو اللغات الأخرى مثل التركية والفارسية ، ومنها ما هو صادر بلغتين أو أكثر فى وقت واحد . ونذكر على سبيل المثال مجلة المسلم المغترب التى تصدر فى شتوتجارت ومجلة الرائد التى يصدرها المركز الاسلامى فى آخن ، ثم مجلة صوت الاسلام بالألمانية وهى تتسم بطابع حماسى للاسلام من جانب مصدريها من الألمان ممن اعتنقوا الاسلام ، هذا علاوة على نشرات أخرى تصدرها بعض الأحزاب الاسلامية التى تزاول نشاطها غالبا بين الأوساط الطلابية والعمال .

يعد صوت ألمانيا باذاعة مدينة كولونيا الاذاعة الوحيدة فى العالم كله التى تقدم فى برامجها الثقافية برنامجا أسبوعيا من جزئين للمسلمين بلغات مختلفة ، كما تواظب هذه الاذاعة على اذاعة أخبار العالم الاسلامى ضمن برامجها .

أما اذا تطرق الحديث عن الكتاب العربى فى ألمانيا فان الذهن ينصرف لأول وهلة الى كتاب الله الكريم ، وقد حدث ذلك فعلا ، اذ تكررت محاولات طبع القرآن الكريم فى ألمانيا وترجمته باللغة الألمانية — وان لم تكن تلك المحاولات مرضية فى الاتجاه وكثرة الأخطاء ، الا أنها تدل على مدى اهتمام الألمان بالاسلام . لقد كان لنشاط المستشرقين الألمان سببا فى بحث الشوق والفضول فى نفوس المواطنين الألمان لمعرفة القرآن نفسه ، فكان هذا

أول الدوافع الى ظهور هذه الترجمات العديدة للقرآن الكريم التى لم تصل بعد الى المستوى العلمى والتحقيق التاريخى الصادق • ويذكر فى هذا المجال على سبيل الطرافة فى الحديث أن المستشرق الألمانى (روكيرت) أراد أن يحاكى الأسلوب القرآنى فى الايقاع اللغوى ، فاختار بضعة آيات نظمها شعرا باللغة الألمانية على نحو ما فعل بمقامات الحريرى التى قام بترجمتها كذلك الى الألمانية • أما اذا علمنا أنه ظهرت فى ألمانيا للآن ثنتان وأربعون ترجمة للقرآن الكريم جمعت بين ترجمات كاملة وأخرى جزئية لأمكننا تصور مدى اهتمام الألمان بدراسة القرآن ونقله الى لغتهم التى تعتبر ثانى لغة فى العالم بعد الانجليزية نقلت اليها معانى القرآن الكريم • أما أول طبعة للقرآن الكريم فقد صدرت فى ألمانيا لشفايجر عام ١٦١٦ بمدينة نورنبيرج •

ولا ينبغى عند معالجة مثل هذا الموضوع اهمال ذكر الدور الحضارى للاسلام فى الحياة الثقافية الألمانية ففى شمال ألمانيا تعد مجموعة الآثار والتحف الفنية بالمتحف الاسلامى بمدينة برلين أكبر مجموعة من نوعها فى خارج العالم الاسلامى على الاطلاق • أما فى أقصى الجنوب فان متحف القرآن الكريم بمدينة ميونيخ يعتبر أيضا فريدا فى نوعه فى العالم كله ، جمعت فيه صور لكل الكتب التى لم تطبع للآن وللنسخ المخطوطة باليد وأهم المطبوعات وكل ما يتعلق بالتفسير والاحصاء والبحث • وعلاوة على ذلك فان هناك من الأدباء والعلماء الألمان ممن لعبوا دورا هاما فى تقريب روح الاسلام الى شعبهم نذكر منهم الشاعر الألمانى (جوته) بسبب ولعه بآيات القرآن الكريم وما جاء به من تعاليم سماوية • وخصوصا من سورة البقرة • لقد بلغ اعجاب هذا الشاعر الألمانى العظيم بتعاليم الاسلام حدا جعله يذكر بعض العبارات المستقاة من روح القرآن والعقيدة الاسلامية •

ويأتى بعد روكيرت وجوته من المتحدثين الكثيرون ممن لا يزالون على قيد الحياة ، ومنهم الباحثة

المستشرقة (أناماري شيمل) التى تحب لغة القرآن حبا كبيرا والتى وصفتها بأنها حقا لغة للجنة مؤكدة بذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لها • وغير أنا ماري شيمل من المتحدثين ممن ساهم بنصيب كبير فى عرض حقائق الاسلام وفضل الحضارة الاسلامية على أوروبا • نذكر منهم السيدة (زيجريد هونكه) مؤلفة كتابها المشهور « شمس الله على الغرب » ذلك الكتاب الذى يعد بحق واحد من أنجح ما كتب بالألمانية عن الاسلام والشرق العربى ، اذ أنه يساعد القارىء بفضل دقته العلمية وعرضه الجذاب على التعرف على الدور الرائع للمسلمين فى تطور حضارة الانسان•

ولهذه الكاتبة يرجع الفضل فى نفس الوقت فى نفى الكثير من الأفكار الخاطئة عن الاسلام والمسلمين ، اذ انبرت تثبت للرأى العام فى كل مناسبة ان المسلمين على عكس ما شيع عنهم فى كتب التبشير والتاريخ المسيحية ، فهم خير من ضرب المثل فى المروءة والتسامح خلال الحروب الصليبية التى اندلعت بين العالم الاسلامى وأوروبا المسيحية فى بيت المقدس وأسبانيا•

ولا يفوتنا كذلك ذكر بعض مجهودات الألمان من المسلمين فى سبيل الدعوة لدين الله عز وجل مثل (أحمدشميد) و (مالك اسمان) ، وهما مؤسسا مجلة « الاسلام » باللغة الألمانية •

ان المواطن الألمانى اليوم يعلم أكثر عن حقائق الاسلام • ولم يعد محمد صلى الله عليه وسلم فى نظر الألمان « مجرد وثن أسطورى يعبده المسلمون الأغبياء • ولا نبيا كاذبا خداعا يضلل الناس عن جادة الحق والصواب » ـ كما كان يصوره أحبار الكنيسة والدائرون فى فلكها ـ بل أصبح فى نظرهم انسانا جديرا بكل احترام وتبجيل لأنه ـ كما صوره المستشرق الألمانى ( بوستل ) « جاء بدين ينطوى على أجود الآراء وأحسنها » •

ان المجتمع الألمانى قد احتك أكثر من مرة وفى أكثر من مناسبة بالمجتمع الاسلامى خلال ظروف

فردية وجماعية . ذلك الاحتكاك الذى تقلب تارة بين سلبية الخصومة وأخرى بين ايجابية الصداقة حتى انتهى أخيرا « الى النطاق العلمى البحت » بحيث يمكن القول بأن هذه المرحلة الأخيرة سيكون لها ما بعدها فى تطوير العلاقة المباشرة بين الألمان والمسلمين » وبالتالى بين المسيحية والاسلام الى ما فيه خير الحضارة المشتركة » .

« ان الكثيرين لينظرون الى مستقبل الاسلام فى ألمانيا بتفاؤل وأمل كبيرين لأن الصفات التى يتحلى بها الشعب الألمانى . ومن بينها النظام والنظافة والجد فى العمل والدقة فى المواعيد الخ .. ليست بعيدة عن صفات المسلمين الأوائل وشمائلهم » مما يؤكد أن مفاهيم المسلمين فى النظرة الى الحق والخير والجمال ليست بعيدة عن روح الشعب الألمانى . ومما يؤكد هذا التفاؤل التصريح الصادر من احدى الشخصيات الألمانية الكبرى :

« ان العنصر الجرمانى ارتكب خطأ فاحشا عندما استجاب لتقاليد الفروسية فى القرون الوسطى وحمل الشعوب الأوروبية عبء الوقوف فى وجه الزحف الاسلامى القادم من أسبانيا .

محمد رسول

# كيف ضاعت الأندلس..؟

التحريــر

يصـف كاتب أوربى الخسـارة الفادحة التى حلت بأسبانيا وكان سببها الهوس الدينى فيقول :

« لم يعرف الأسبان عندئذ ماكانوا يفعلون ، اذ أنهم فرحوا أشد الفرح بنفى العرب وذلك لأنهم سئموا الحياة الرتيبة ، « لوب دى فيفا » يغنى أغنيتـه المثيرة التى مطلعهـا « الحكم العادل » ولم يدروا أنهم قتلوا أوزتهم الذهبية » •

**ترى كيف قتلوا اوزتهم الذهبية ؟**

أترك للكاتب الأسبانى المسيو كوندو يصف مقتلها :

فى سنة ١٦١٠ م أنجز فيليب الثالث العمل الذى كان بداية والده وهو نفى زهاء نصف مليـون من هؤلاء البائسين الى أفريقية ، فأمر بانزالهم على الساحل • أما سكان الشمال وكان عددهم لا يقل عن مائتى ألف نسمة ، وهم البقية البـاقية من ذلك الشعب القوى الباسل ، فقد طردوا من غير شفقة ولا رحمة الى فرنسا حيث اضطر من بقى منهم حيا بعد مذابح الأسبان وأهوال الطريق الى النزوح الى البلاد الاسلامية • وبلغ عدد الذين طردوا من أسبانيا منذ سـقوط غرناطة حتى عهـد الملك فيليب ثلاثة ملايين نسمة •

وهكذا اختفى من أرض الأندلس شعب ذكى مستنير شجاع بعث بجده واجتهاده الحياة فى أسبانيا التى كانت تئن تحت نير القوطيين فحول بلاد الأندلس جنة فيحاء ، وحل مشـعل العلم والعرفان بينما كانت الممالك حولها تتخبط فى دياجير الجهـل ، كما نشر الثقافة وبث المدنية ووضع أسس الفروسية ، بل لا نعدو الحق اذا قلنا أن الشعب العربى قد خلق أوربا الحديثة خلقا •

والآن يحق لنا أن نتساءل ما الذى استفادته أسبانيا من طرد العرب ؟

وجواب ذلك ..

ان الأندلس الجميلة ظلت بضعة قرون موطن الثقافة ومركز العلوم والفنون تدهورت ثانية الى حالة العقم وأصبحت علما على تدمير الثقافة والأخلاق فاكتنفتها وحشية أبدية بعد أن كان العرب قدأضاءوها بنورهم ، وفى الواقع لم تتغير الطبيعة انما الذى تغير هو الشعب الأسبانى ودياناته. ومع ذلك فلايزال بعض آثار العرب تعلوه الخرائب التى ملأت تلك البلاد المقفرة ، ومن وسط التماثيل والخرائب الصامتة يرتفع صوت الحق ينادى بمجد وحضارة العرب المنهزمين وانحلال ، وتدهور الأسبان المنتصرين .

بعد هذه المقدمة نريد أن نعرف :

**كيف ضاعت الأندلس ؟**

ان القائد ( براقا ) قابل الاذفونش فى روما داخل الفاتيكان ، وجاء معهما دوق فينيسيا ( البندقية ) .

فقال له ابن اذوفنش : « اعلم أيها البطل أن البابا قد استدعى بارونات أوروبا وشاورهم فى استرجاع مملكة أسبانيا من العرب ، فلتكن مساعدا لنا » .

فقال براق : ( ان الأسد لا يصاد الا بالمكر والخديعة ، وقد يستعين الصيادون بالخمر : ولا يفل الحديد الا الحديد ) .

فقال دوق فينيسيا : ان جيوش البارونات تسحقهم سحقا فى أقل من لمح البصر .

فقال براق :

١ ــ ان العرب يحافظون على دينهم وعلى حريمهم وقد تفنى القبيلة كلها محافظة على الشرف ، ولكنهم قوم كرام صادقون يأبون الكذب . فهم يخدعون بسهولة بالظواهر المموهة ، فاجعلوا بينكم وبينهم معاهدة على حرية الدين والتعليم والتجارة فهذه تفتح لرهبانكم طريقا بها يبثون التعاليم بين أطفالهم ، فان لم يتبعوا دينكم فهم على الأقل يهملون الحمية الدينية التى تحببهم الى الحرب .

٢ ــ فأما حرية التعليم فانها تولد لهم غلمانا شؤما عليهم لانهم يكونون

مشغوفين بحب معلميهم ، ويبتعدون عن محبة وطنهم .

٣ ــ فأما حرية التجارة فهى التى تضعضع شيئا فشيئا تمسكهم بأزيائهم فضــلا عن تجارة الخمر ، فهى الآن محرمة فمتى شاعت بينهم أقدموا على المنكرات بلا مبالاة وفقدوا النخوة والجسوم وفشا بينهم الشر ، وساءت حالهم وارتبكت شؤونهم ، فيساقون كالأغنــام .

ولاتنس ياحضرة الــدوق ان التأنق فى النعمة والبذخ والاسراف فى الشــهوات ، واهمال ســير الآباء والجدود من أقوى أسباب انحطاط الممالك القوية .

فلمعت أسرة وجه ابن اذفونش بعد أن كان يلوح عليه اليأس ، وشكر براقا على اخلاصه .

وفى الصــباح اجتمع البابا ودوق فنيســيا وبارونات أوربا بــبراق وتحدثوا ملياوكتبوا صــورة هــذه الشروط وأرسلوها معتمــدين على أمراء الاسلام فى الأندلس فوصلت شروط طلب الهــدنة الى ( مالك ابن عبــاد ) بقرطبة وقــد فرغ من تحصين مدائنه وقلاعه فدعا قــواده وعمــال مدائنه وأمراء اشبيلية وطليطلة وبلنسية ومالقة والجــزيرة الخضراء وغرناطة ، فحضروا بعد أيام الى قرطبة وهم يختالون على خيولهم ، وكان من بينهم ( عدى بن ابى عامر ) صاحب بلنسية يتبعــه مائتا فارس نعــال افراسهم ذهب ابريز ، فنزلوا جميعا برصافة قرطبة ، وكان ( مالك ابن عباد ) قد بنى بها قصرا فخمــا تحيط به الحدائق والجنات ، قــد جعل فيه تماثيل من فضة بأشــكال الطيور والحيــوانات تخرج من أفواهها المياه ، وفيها قال ابن زيدون من قصيدة :

قصر يقــر العــين منه ناظــر
بهج الجوانب لو مشى لاختالا

فقبلوا شروط الصلح فعارضهم قيس ابن مصعب وبقى الأمراء فى ضيافة مالك بن عباد شهرا .

ومن رعى غنما فى أرض مسبعة
ونام عنها تولى رعيها الأســد

فلما انقضت أيام الولائم رجع الأمراء الى بلادهم الا عدى بن عامر صاحب

بلنسية فانه بقى مع الأمير يقضيان الزمن فى اللهو والصيد والخمر وهكذا بقية الأمراء وشعوبهم يتبعونهم فانحطت الدولة بذلك وزاد فى افسادها تلك المعاهدة فانتشر الرهبان فى أنحاء الأندلس وأخذوا يبثون تعاليمهم ، وكانوا يجتمعون فى أوقات خاصة للتشاور ، وقد شيدوا ضيعة على ضفة نهر قرطبة وسط البساتين ، وكانت منتزها جميلا يؤمه العظماء والأمراء لا سيما أيام الآحاد .

وقال صاحب التاريخ المسمى بالمعجب : لقد جددوا فى عام هذه المعاهدة أربع مدارس كبرى على نفقة (دوق فينيسيا) أحد كبارهم وجعلوا التعليم فيها عاما لمن شاء ( بينما كانت مدارس المسلمين بقرطبة وغيرها تكاد تمحى اذ انقضت تعاليمها تماما الا ما يختص بالشريعة ) .

فأقبل العرب على تلك المدارس، واختلطوا بالقسيسين والرهبان وتعلموا لغاتهم وجاروهم فى عاداتهم وأخلاقهم وزاد الأمر فى بلنسية فان المبشرين والمعلمين تدخلوا فى كل شىء . لأن نائب عدى عليها المسمى ( ابن ذى النون الغافرى ) أطلق لهم الحرية التامة حتى اتهمه بعض الوزراء « بأن البابا استماله بالرشوة » .

**خيانة جندل بن حمود أمير اشبيلية :**

ولقد لعب براق بن عماد دورا مهما هنا ، ذلك أن أمير اشبيلية (جندل بن حمود ) لم يمكث فى قرطبة الا ريثما وقع على شروط الهدنة ، وأبى البقاء وعاد الى عاصمته ، وذلك لسر خفى فى نفسه ، ذلك أن أحد معتمدى البابا الذين حضروا الى قرطبة أعطاه خطابا من البابا وعده فيه بأنه يؤمله أن يجعله ملكا مستقلا بولايات الأندلس قاطبة ، وأن البارونات متفقون على نصرته فى أى وقت شاء .

**البطريق شيل يصبح قائدا لجيش المسلمين :**

ثم ان براقا وفى بعهده لأنه عاهد البابا على أن يدخل بعض البطارقة فى قيادة الجيش ، وقد أخذ البطريق المسمى (شيل) يرافقه فى أيام الصيد وأخذ براق يمدحه عند ابن عباد بالشجاعة ثم أحضره الى الديوان

فقال ( مالك بن عباد ) وما بلغ من شجاعته يا براق ؟

فقال اختبره ان شئت فقال مالك لتتبارزا فان غلبته فكفاه وان غلبك جعلته من قواد جيشنا ، فتبارزا وتظاهر براق بأنه مغلوب . فتكدر مالك بن عباد لما يعلم من مهارة براق وشجاعته وجعل البطريق قائدا وقربه منه ، فانتخب من أبناء بلاده من أراد لتدريب عسكر المسلمين على استعمال السلاح ، وصارت عواصم الأندلس محط الغرباء ، وراجت التجارة فى البلاد ولا سيما الخمر .

وقد قتل عامله ، وسقطت الحرية، وهذه أول نتيجة للمعاهدة .

ولما رجع دوق فينيسيا الى رومة قص القصص على البابا والبارونات فأيقنوا بتفرق كلمة العرب ، وان الوقت آن لتخريب ممالكهم وتفريق شملهم .

ولقد كان عدد المبشرين بالأندلس ألفا ، وعدد المعلمين بالمدارس التى أنفق عليها البابا ٤٨٥ . وأنفق البابا من خزينته لترويج الخمر خمسمائة ألف ( فلورين ) .

**عن مجلة المجتمع الكويتية**

---

**فائدة :**

رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفى فى صلاح القلب ، الا أن يمزج بالرقائق والنظر فى سير السلف الصالح فأما مجرد العلم بالحلال والحرام فليس له كبير عمل فى رقة القلب ، وانما ترق القلوب بذكر رقائق الأحاديث وأخبار السلف الصالحين . **لانهم تناولوا** مقصود النقل وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها الى ذوق معانيها والمراد بها .

**ابن الجوزى فى صيد الخاطر**

أبطال منسيّون

# الشيخ أحمد العوّام

للدكتور عبد الودود شلبى

كنت فى لندن منذ سنوات ساعيا وراء الحقيقة التى لم يعد لها مكان فى هذه الدنيا .. !

وفى منزل الدكتور عبد الجليل شلبى ــ الملحق بالمركز الاسلامى فى ريجنت بارك Regents, park دخل علينا أخ من السودان يحمل مخطوطة مصورة تحمل اسم هذا الشيخ عثر عليها ذلك الأخ السودانى فى قسم المخطوطات بالمتحف البريطانى وكان اسم هذه المخطوطة « نصيحة العوام » .

وقد حرص هذا الأخ على مراجعتها مع الدكتور عبد الجليل شلبى الذى كان بيته أشبه بالمدرسة ، أو حلقة الدراسة الجامعة لكل فنون الدين والمعرفة .

وفى الحقيقة أننى لم أعر هذه المخطوطة ، ولا اسم الشيخ الذى تحمل اسمه شيئا من المبالاة والاهتمام. كنت مشغولا طوال هذه المرحلة فى البحث عن جامعة أسجل فيها اسمى . وكانت زياراتنا المتكررة لجامعة لندن ، واتصالاتنا الدائبة مع المعنيين بالدراسات الاسلامية فى كمبردج Cambrioge واكسفورد Oxford شغلنا الشاغل ، وكل ما علق بى من أمر هذه المخطوطة أنها ذكرتنى برحلة قمت بها منذ خمسة عشر عاما الى مدينة مرسى مطروح وزيارتى لمسجد هناك اسمه مسجد « العوام » يقع قريبا من ساحل البحر ، ويمتزج سكونه بهدير الأمواج فيحدث فى النفس رهبة آخذة وخشية صادقة .

ومضى أكثر من عامين على هذا اللقاء فى لندن نسيت فيها المخطوطة وصاحبها وناقلها . ثم شاء الله أن أعود اليها باحثا فى كل مكان ، وأن يصبح « الشيخ العوام » جزءا من دراستى العليا فى باكستان .

كنت قد تقدمت ببحث عن «مهدى السودان » الى جامعة Thepunjab للحصول على درجة الدكتوراه وفوجئت أثناء عملى هذا بـ «الشيخ العوام » واقفا الى جوار « المهدى السودانى » مشاركا فى الحركة التى قام بها ضد الغزو البريطانى .

فمن يكون ذلك الشيخ الذى استأثر باهتمامى فجأة وكان مسرح حياته ممتدا على طول الطريق بين الخرطوم والقاهرة ؟

يقول الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف (١) : حاولت بكل جهد أن أقف على شىء من حياة هذا البطل ونشأته . ولكن عبثا حاولت. لقد ظهر أحمد العوام بطلا مكافحا فى صفوف الثورة العرابية بالاسكندرية .. ولكن هل كان أصلا من الاسكندرية ؟ ثم أين تعلم؟ وماذا كان نصيبه من التعليم الذى به تربى وتثقف ؟ انها أسئلة لم نستطع أن نظفر لها بجواب ، ولم أعرف عن « أحمد العوام » الا أنه كان يعمل فى الجمارك أو فى عمل من أعمال البحر . أما ثقافته فتؤخذ من الرسالة التى تركها « نصيحة أحمد العوام » انها كانت ثقافة دينية ترتكز على حفظ القرآن الكريم، ومحصول وافر من الأحاديث النبوية وسيرة النبى والخلفاء الراشدين . ثم الالمام باتجاهات الأمور فى السياسة المصرية ، والسياسة العثمانية ،ومآرب الدول الاستعمارية، على أنه كان يجمع الى ذلك بديهة حاضرة ولباقة بارعة ، وقوة خطابية لها تأثيرها فى اثارة الجماهير .

فهل يعقل بعد ذلك أن يكون مثل هذا الرجل الذى يجمع فى رسالته بين الدين والسياسة ، ويحيط علمه وادراكه بمؤامرات الاستعمار مجهول النشأة والثقافة ؟

---

(١) مجلة الجديد ـ العدد رقم (١١١) ـ اغسطس ١٩٧٦

ان موظف الجمرك أو عامل البحر لا يجد من وقته فراغا لمثل هذه الدراسة ؟

وهل يتصور فى مثل هذا الرجل - بعد نفيه الى الخرطوم - أن يجمع الناس من حوله ، ويؤلف جمعية وطنية من السودانيين الذين تشبعوا بروحه ، ويقول لهم :

« ( انها محنة وادى النيل كله ، وأن الانجليز لن يقفوا عند القاهرة ، ولكنهم يريدون أن يتخذوا منها قاعدة للسيطرة على وادى النيل كله ، بل على أفريقيا كلها ) » . ثم يصدر بعد ذلك مجلة أو نشرة دورية تندد بهذه المؤامرة ، ويهيب بتركيا أن تبادر الى حشد قواتها فى الخرطوم حتى لا يجرؤ الانجليز على اقتحامها ؟

ان هذه الآراء والأفكار لا يمكن أن تصدر من عامل مكدود مرهق ، أو من موظف يقضى أوقاته بين الميناء والمكتب . لقد كان الشيخ أحمد العوام تلميذا من تلامذة الأفغانى فى مدرسة الثورة ، وكان نوابغ هذه المدرسة من العلماء والازهريين الذين أشربوا روحه وفكره ، وقد أيد ذلك بعض المؤرخين الذين عاصروا هذه الفترة وكانوا على قرب من أحداث الثورتين العرابية والمهدية .

لقد كان العوام عالما أزهريا من أبطال الثورة العرابية الذين نفوا الى السودان عقب اجهاض هذه الثورة .

وقد تصرف هناك بمنطق العالم الذى لا يخاف فى الله لائمة ، ولا تفل عزيمته محنة أو كارثة . وقد قامت الثورة المهدية لنفس الأسباب التى أدت الى قيام الثورة العرابية كانت القضية واحدة ، والمصيبة عامة ، والظلم الذى يقع على أى من الشعبين السودانى والمصرى يتقاسمانه معا بالسوية ، كما كان من أهم أسباب الثورة العرابية التدخل الأجنبى فى شئون الدولة وتحكم المرابين والمستشارين الأجانب فى رقاب الرعية حتى أصبح المصريون فى بلادهم مواطنين من الدرجة الثانية ، وصارت أمورهم فى يد من لا يراعون فيهم ولا فى دينهم الا ولاذمة .. وانتهى الأمر بالخديوى وحكومته الى

الانحياز الكامل الى القوى الأجنبية والاستعانة بهم فى قمع الحركة الوطنية ، ووقوفهم جميعا فى صف واحد مع القوات البريطانية .

« وفى يوم ٦ رمضان سنة١٢٩٩هـ انعقد مؤتمر عام فى وزارة الداخلية وبعد تلاوة الأوراق المعروضة للتذاكر فى شأنها صدرت فتوى شرعية من الشيخ العارف بالله شيخ الاسلام والمسلمين السيد محمد عليش ، وشيخ الاسلام الشيخ حسن العدوى ، والشيخ الخلفاوى ، وغيرهم من العلماء بمروق الخديوى توفيق باشا من الدين مروق السهم من الرمية لخيانته لدينه ووطنه وانحيازه لعدو بلاده (١) » .

وكتب المهدى السودانى فى ذلك الى الخديوى توفيق يقول له :

«.. ما كان ينبغى منك أن تتخذ الكافرين أولياء من دون الله وتستعين بهم على سفك دماء أمة محمد — صلى الله عليه وسلم .

فاذا كنت ممن ينظر بعين بصيرته ، ولا يؤثر متاع الدنيا الخسيس على نعيم آخرته فاعتبر بذلك ، وبادر الى النجاة ونزه نفسك من أن تكون فى أسر أعداء الله ، ولا تهلك من كان معك من أمة محمد (٢) » .

كانت المعركة واحدة فى كل من الخرطوم والقاهرة ، ولهذا كان الضباط والجنود المصريون يفرون بأسلحتهم الى معسكر المهدية . وكانت نداءات الأفغانى ومحمد عبده على صفحات العروة الوثقى تهيب بالمصريين ألا يقاتلوا اخوانهم فى العقيدة حتى لا تكون بلادهم وأموالهم غنيمة لصاحب أمرهم من الأجانب وهو ( غوردون (٣) ) لأن منطق الايمان والعقيدة يرفض رفضا باتا محاربة المسلم لأخيه المسلم ، فاذا كانت هذه الأوامر صادرة من أجنبى

---

(١) مذكرات عرابى صفحة ١٩٦ — ١٩٧ — طبعة دار الهلال .
(٢) منشورات المهدية — جزء ٢ — الانذارات .
(٣) العروة الوثقى — صفحة ٢١٦ — ط سجل العرب — القاهرة .

فى الجنس والعقيدة . فان طاعته فى هــذه الحال تصــبح خيانة للأمة ، وردة بعد ايمان فى العقيدة .

وقد لخص «الصادق المهدى» (١) ما كتبه الشيخ العوام فى رســالته « نصيحة العــوام للخاص والعام » فيما يأتى :

أولا : أن امامة الخليفة العثمانى سقطت لأنه لم يعــد مطبقا للشريعة الاسلامية ، ولم يعد مستقلا بسيادة دولتــه التى اســتباح حــرماتها الأجانب .

ثانيا : أن ولاية الخديوى توفيق فقــدت شرعيتها لأنهــا تخلت عن الشرع واستغلت شعب مصر ، وظلمت الفلاح المصرى .

لذلك ... وجب على المســلمين القيام ضد السلطان عبد الحميــد الخليفــة العثمانى ، وضــد توفيق الخديوى المصــرى ، ثم انهما أى السلطان والخديوى ليســا أهــلا للامامة الاســلامية بعد أن فقــدا الشروط الواجبــة لاســتحقاقها ، وتركهما العمل لجمع كلمة المسلمين، وايقاف الحرب الدائرة فى السودان. وهذا دليل على افلاسهما وقد وقع عبد الحميد « الســلطان التركى » وتوفيق ( الخــديوى المصرى ) فى خطأ فادح لأنهمــا لم يرســلا الى المهدى العلماء لمناظرته بل أرســلوا له الجيوش لمحاربته ، وحرضوا عليه موظفيهم من الفقهاء للهجوم عليــه والتشهير به ثم دعا فى نهاية الرسالة جميــع المسلمين لتأييــد المهــدى والوقوف بجانبه . وعندما اطــلع المهدى على رسالة العوام هذه ــ بعد فتح الخرطوم ــ أعجب بها وأمر بطبعها . وهذه الرسالة أى رسالة العوام تشبه فى بعض ما جاء فيهــا ما عبر عنه الامامان الأفغانى ومحمد عبده ــ حيال الدعوة المهــدية ــ فى مجلة العروة الوثقى (٢) » .

بهذا المنطق .. منطق الايمــان والعقيدة . وبهذه الجرأة .. جرأة العالم الذى باع لله نفسه . وقف الشيخ أحمــد العــوام فى وجــه « غوردون » الطاغية . واستعصى

( ١ ) يسألونك عن المهدية . ص ١٥١ ، ١٥٢

(٢) المصدر السابق . ص ١٥٣

بدينه وابائه على كل محاولة ، ودفع ثمن ذلك فى النهاية روحه وحياته .

يقول نعوم شقير (١) :

« وكان فى الخرطوم رجل من خطباء الثورة العرابية يقال له أحمد العوام .. وقد نفى الى الخرطوم بسبب الثورة العرابية . فرأى الثورة المهدية فى وجهه ، فتشيع لها، وقد اطلعت على رسالة له بتاريخ ١٧ رمضان سنة ١٣٠١ هـ سماها « نصيحة العوام » فاذا هى ثورة محضة وقد أعلن فيها تشيعه للثورة المهدية وكرهه للحكومة الخديوية. ومما قاله مشيرا الى موظفى حكومة الخرطوم « وقد طالما جادلتهم بالحق سرا ، ونصحت لهم حتى فى دار الحكومة جهرا . على مرأى ومسمع من وكيلها النصرانى ( غوردون ) أن يسعوا فى الصلح بين الطائفتين المتحاربتين عملا بأمر الله ، فلم أجد بينهم محقا ، كلا ولا ساعيا بكلمة حق لاخماد هذه الحرب بين المسلمين ، وعباد الله المؤمنين ، ولذلك اعتزلتهم الا من جاءنى يسعى وهو يخشى ، فانى أبذل له محض النصح ، حتى يفتح الله بيننا وهو خير الحاكمين .

وقد أثرت أقواله تأثيرا سيئا فى نفوس أهل الخرطوم فسجنه غوردون وكبله بالحديد .. ثم عفا عنه وجعله معاونا فى الحكمدارية براتب ١٥٠٠ قرش فى الشهر ، ولكن ما لبث أن عاد الى سابق عادته من انتقاد الحكومة ، وتهييج أهل البلاد ضدها . ولما جاء الخبر بزحف المهدى على الخرطوم ، وأعلن غوردون خبر قدوم الجيش الانجليزى جاهر — الشيخ العوام — بتكذيبه وتصديق المهدى ، ولم يقتصر على ذلك . بل أغرى احدى النساء فرمت جمرة من شباك على معمل ( الفشكليك ) الذخيرة بقصد احراقه ، فسقطت الجمرة على بعض الأوراق فأحرقتها . فشعر بها الحارس فأطفأها ، واعترفت المرأة أن « احمد العوام » هو الذى أمرها بذلك .فأمر غوردون بقتله فقتل فى سراى الشرق .. !

**دكتور عبد الودود شلبى**

---

(١) جغرافية وتاريخ السودان الحديث ص٨٢٨ ، ٨٢٩

مع أدب القرآن :

# الذين كفروا

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٥ —

كانت سورة البقرة وهى تأخذ فى سياقها لبيان المكانة الانسانية لهذا الكتاب الكريم الذى جعلت من شأنه أنه قوة دافقة من الهداية للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله ، تتعرض للحديث لما يقابلهم من أصناف الآدميين ممن لم تتفتح قلوبهم للهداية . ولا أفئدتهم للنور ، ولا أبصارهم على الضياء . وهم الكفار الذين أعلنوا التمرد والعصيان والتزموا جانب الباطل ، ولاذوا بكنف الغواية ، وانحازوا الى ناحية غضب الله بما استوجبوه لأنفسهم من اللعنة ، وما انحدروا فيه من سخط رب العالمين ، ثم المنافقون الذين وقفوا فى منتصف الطريق فلم يكونوا فى علانية من أحد الجانبين . ولا على شجاعة كافية لانضمامهم الى معسكر من هذين المعسكرين «واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم» وأصل كلمة الكفر كانت تنصرف عند الاطلاق الى معنى الستر ، ومن ذلك قول القائل الليل ساتر أى يغطى بردائه الأسود الوجوه والمعالم فلا يدرى أحد حال آخر ، وكأنما كان الكافر كافرا أو مستحقا لهذا الوصف لأنه غطى قلبه عن الهداية ، وحجبه عن المعرفة ، وحال بينه وبين الرشد . وعطل الفطرة التى فطره الله عليها . والاستعداد الذى أودعه الله فيه ، وفى الحديث النبوى الشريف ما يفيد أن فى الجسد

مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهى القلب ، وكما يكون صلاحه بالعلم والمعرفة ، يكون كذلك تنحيه عن المعـوقات المعطلة ، والأمراض الضارة والحواجز المانعة ، ولهذا نرى القـرآن يكثر من وصايته للمؤمن صيانة لقلبه من التلف ، وليقينه من الشـك ، ولعقيدته من البلبـلة ــ ألا يخالط أهل الباطل ، أو يعيش مع أرباب الزيغ ، اذ يقـول : « ولا تركنوا الى الذين ظلمـوا فتمسكم النار •• يا أيها آمنوا لا تتخـذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا •• والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولى ببعض فى كتـاب الله » ونحـن نلحظ ــ هنـا ــ أن الآية الكريمة تقدم « ان الذين كفـروا » بهـذا العنوان كما تتقدم الدعـوى على دليلها ، أو النتيجـة على مقدمتيها • ليكون ذلك أشبه بالمفاجأة المذهلة • أو المباغته الغريبة ، التى لا يكون من ورائها الا الترقب والاستشراف والتطلع والانتظـار ، والتلهف الى ما سيجىء بعد هذا كله • وهـو أسلوب يدعو الى البحث والنظـر وبخاصة اذا أضيف اليه تمام الآية

« سـواء عليهم » الخ • حتى اذا ما وصل المطاف بصاحبه الى مابعدها من الختم على القلوب والسمع وجعل البصر مغطى عليه بحجاب يحول بينه وبين رؤية الأشياء • آمن أنه لاأمل فى الهداية • ولا رجاء فى الرشد ، ولا ترقب أبدا لأن يستقيم هؤلاء على الجادة • أو يسيروا على السنن أو يرودوا أنفسـهم على الحـق ، أويحملوها على الصواب ، أويلووا عنانها الى الصراط السوى ، مادامت الوسائل قد تعطلت ، والأسباب قد انعدمت ، والوسـائط صارت غير صـالحة لأداء مهمتها ، والانصراف الى غايتها ، وهذا الختم الذى كان بمثابة الحاجز الذى جعـله الله على القلب فلا يدرك أو يعى ، ولا يشعر أو يحس ، ولايرق أو يهفو ، ولايهتز أو يميـل ، ولا ينعطف أو يحن ، ولا يذعن أو يصدق • وعلى السمع ــ كذلك ــ فلا يصل اليه الصوت ، ولا يخترق حجابه النداء ولا يدوى فى داخله لحن ، ثم هذه الغشـاوة التى جعلت صاحبها فى ليل سـواده من سواد الغراب ، وحيرته توصـد فى وجهه الأبواب ، وتملأ طريقـه

بالضباب ، وكانت تلك فى اجتماعها أو افتراقها بمثابة الجدار المتماسك القوى الذى لا تستطيع قوة أن تقتحمه أو تنفذ منه ، وعلى هذا كانت سواء عليهم أشبه بالتحدى والاعجاز لأن الايمان لا يستقر فى القلب ، ولا تطمئن له النفس ، ولا ينقاد اليه الفؤاد ، ولا يطيب به الخاطر ، خبط عشواء ، من غير طرق يمر بها ، ومنافذ يسلكها ، وأبواب يلجها ، وتلك هى الحواس الخمس التى جعلها الله سبحانه جنودا للعقل الانسانى الذى جرى القرآن الكريم على تسميته باسم القلب وهو مركز الادراك ، وميزان الصواب والفيصل بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والضار والنافع ، وربما كان السمع والبصر من هذه الحواس محل الاهتمام والرعاية دون سواهما من الحواس الأخرى ، واذا كان السمع هو الوسيلة الوحيد الى التلقى من الآخرين ، والأخذ عنهم ، والانتفاع بهم ، والمشاركة لهم فى هواجسهم وأفكارهم ، فان البصر سبيل الى المشاهدة التى هى أقوى سبل الاقناع الذى يصحبه الاطمئنان والتسليم ، والايمان والتصديق ، ولهذا نرى الآيات الكريمة تعول عليه ، وتنادى به ، فى مثل قوله سبحانه : « قل سيروا فى الأرض ثم انظروا .. قل انظروا ماذا فى السموات والأرض .. أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت » .. وعلى قدر ما كان الكافر عليه من الاستمرار فى الغواية والاسترسال فى الباطل ، والبقاء فى الجحود ، والاصرار على الطيش . والتمادى فى الاعراض ، لم تقف الرسالات التى جاءت بها الرسل المتعاقبة منه موقف قلق وخوف ، ومعاناة واهتمام ، لأنه انسان معطل الفكر والرأى ، والعقل والادراك . والذوق والاحساس ، لكن معاناتها الحقة ، وقلقها الشديد ، وعناءها الدائم ، كان من المنافقين الذين يضمرون غير ما يظهرون ، ويعلنون خلاف الذى كانوا يكتمون ، وانما كانت هذه المعاناة وذلك التعب ، لأنهم لا يعرفون على وجه التحديد

الوضع الذى يضعونهم فيه ، والجماعة التى يلحقونهم بها ، لتكون معاملتهم واياهم على أساس من الحق ، أو أصل من الصدق ، وتلك الأوصاف التى نعتهم القرآن الكريم بها . لم تكن هى كل ما تميزوا به من الشر ، أو اختصوا به من النقص ، أو انفردوا به من العيب ، ولكنهم كالأمراض الخبيثة التى جعل الله فيها ألف جرثومة وجرثومة ، فى الوقت الذى جعلهم يستعصون على الدواء ، ولعل هذا هو السر فى أنهم يوم القيامة يكونون فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا .. والتحليل البشرى لهؤلاء الذين نسميهم فى العرف الأخلاقى بالمنافقين يرى أنهم أحط الطبقات الآدمية طباعا ، وأخسهم نفسا وأقلهم ادراكا ، وأكثرهم جهلا ، وأسفلهم تطلعا وطموحا ، لأنهم فقدوا شجاعة الرأى ، وسلامة الطبع ، وكرم النفس ، وقوة الادراك ، وصحة العقل ، وشرف الذوق ، ومعنى الآدمية وصاروا فى سواد الناس جراثيم سوء . ووباء أمراض ، وعوامل هدم ومن حق الدساتير التى تقطع يد السارق أو رجله أن تقطعهم من جذورهم لأنهم يزيدون على اليد والرجل جوارح أخرى ، خلقها الله للشر ، وجعلها للسوء ، وجندها للفتنة ، ونصبها للايذاء .. والكافر الذى طمس الله على بصيرته ، وختم على قلبه وعلى سمعه ، أذاه يعود على نفسه . وضرره لا ينال غيره . أما أمثال هؤلاء فانهم جراثيم تتمكن فى الأرض ، وتنتشر فى الأنحاء ، وتمتد حبالها بين الناس .

د. ابراهيم على أبو الخشب

---

## دين يلعن الظلم

وللترمذى أن أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناه مجلسا امام عادل . وابغض الناس الى الله وأبعدهم منه مجلسا امام جائر ..

# رأى الصديق فى شرف الإمارة

للأستاذ السيد حسن قرون

الامارة ــ كما كانوا يقولون ــ أو الرئاسة ــ كما نقول اليوم ــ أمر طبيعى وضرورى لحياة البشر ؛ اذ عليها قوام حياتهم ، وتنفيذ شرائعهم ، واشاعة الأمن بينهم حتى ينصرفوا الى أداء الأعمال ، وتوفير مطالب العيش ، وقد عرفها الجاهلى كما عرفها الاسلامى وهى علامة الرقى فى سائر الشعوب والأمم ، ومن ثم دعا اليها الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أثر عنه من أن الثلاثة يجعلون عليهم أميرا منهم لينظم أمرهم ، وتنعقد قلوبهم على المودة والوفاء ، ويقول الشاعر الجاهلى الأفوه الأودى :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وهو لا يريد الجهل الذى هو ضد العلم ، انما يريد السفه والطيش الذى هو ضد الرزانة والوقار ، ولا جدال فى أن السفهاء اذا تولوا أمر العباد أفسدوا ، وقوضوا البناء ، وشوهوا الجمال ، لذلك كان الرؤساء العقلاء مصدر الراحة ، ومنبع النعيم ، وحبهم لمن يرعونهم يزيدهم اقبالا على صنع الخير ، واسداء البر ، والسهر على رفاهية الرعية يجدون فى ذلك هناءتهم وسعادتهم ، ويتحدث ابن خلدون عن « خلق (١) السياسة » فيقول عمن يخدمون أوطانهم ورعاياهم : « انهم يتنافسون فى الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات ، والاحتمال من غير القادر ، والقرى للضيوف ، وحمل الكل وكسب المعدم ، والصبر على المكاره والوفاء بالعهد ، وبذل الأموال فى صون الأعراض ، وتعظيم الشريعة ، واجلال العلماء الحاملين لها

(١) المقدمة ــ علامات الملك التنافس فى الخلال الحميدة .

والوقوف عندما يحددونه لهم من فعل أو ترك وحسن الظن بهم ... والانقياد الى الحق مع الداعى اليه ، وانصاف المستضعفين من أنفسهم والتواضع للمسكين ، واستماع شكوى المستغيثين ، والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى أسبابها ، والتجافى عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد» فاذا كان عكس تلك الخلال ساءت الحال ، « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » ولأن الرئاسة تتوخى العدل وتتحرى الصدق نرى كثيرا من أسلافنا عزفوا عنها ، وفروا من مغرياتها ، وحذروا من الاقتراب منها ، وفى مقدمة هؤلاء أبوبكر الصديق الذى نصح بترك التطلع اليها والمنافسة فيها لما يترتب على الخطأ فى تطبيقاتها من أوزار يثقل حملها فى الدنيا والآخرة .ورأى الصديق رضى الله عنه جاء عن تجربة ونظر ثاقب،حدث ذلك الرأى فى غزوة « ذات السلاسل » قال الرواة[1] :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاصى الى أرض بنى عذرة ، وكانت أم العاصى بن وائل ــ والد عمرو من قبيلة (بلى) ليستألفهم وليسيروا معه ويكونوا حربا على الروم بالشام .

وكان عمرو حديث العهد بالاسلام، ولم تظهر بطولته بعد ؛ فعلى مدى الحروب التى شنتها قريش وأحلافها على نبى الاسلام لم يكن عمرو من فرسانها أو المشاركين فيها ؛ لأنه كان رسول قريش الى النجاشى ملك الحبشة ليرجع بمهاجرى المسلمين الى مكة ، وقد أخفق وعاد بخفى حنين ، ثم أسلم وحسن اسلامه ، فاختياره لتلك الغزوة كان لتلك القرابة التى أشرنا اليها سابقا ،فلما بلغ ماء بأرض جذام يقال له ( السلسل ) وبه سميت غزوة « ذات السلاسل » خاف ، فبعث الى رسول الله يستمده ، فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين ، فيهم أبوبكر وعمر وقال لأبى عبيدة حين وجهه : لا تختلفا .

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام والطبقات للواقدى ، وتاريخ الطبرى .

تحرك أبوعبيدة بجيشه من المدينة وسار حتى التقى بعمرو ،وهنا حدث الأمر الذى توقعه الرسول : قال عمرو بن العاصى لأبى عبيدة : انما جئت مددا لى . قال أبو عبيدة : لا ، ولكنى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وأصر عمرو على رأيه قائلا له : بل أنت مدد لى . قال الرواة : وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا هينا عليه أمر الدنيا فقال لعمرو: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : لا تختلفا،وانك ان عصيتنى أطعتك.قال عمرو: فانى الأمير عليك وأنت مدد لى . فدونك ، فصلى عمرو بالناس .

ومن الطبيعى أن ما جرى بين القائدين ترك أثره فى الأجناد ، وجعل بعضهم يتطلع الى الامارة ، ويراها شرفا لمن يحصل عليها ،من هؤلاء: ( رافع بن أبى رافع الطائى) الذى اتخذ فى هذه الغزوة أبا بكر صاحبا ، ليأخذ عنه ، ويتعلم منه ، ويقص رافع قصته فيقول : كنت امرأ نصرانيا وسميت ( سرجس ) فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرمل — يعنى الصحراء — كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أغير على ابل الناس ، فاذا أدخلنا الرمل غلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمر بذلك الماء الذى خبأته فى بيض النعام ، فاستخرجه فأشرب منه . فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى ذات السلاسل ، فقلت : والله لأختارن لنفسى صاحبا ، فصحبت أبا بكر ، فكنت معه فى رحلة ، وكانت عليه عباءة فدكية ، فكان اذا نزلنا بسطها ، واذا ركبنا لبسها ، ثم شكها عليه بخلال — وذلك الذى يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا : نحن نبايع ذا العباءة ؟ فلما دنونا من المدينة قافلين : قلت : يا أبا بكر ، انما صحبتك لينفعنى الله بك فانصحنى وعلمنى . قال أبو بكر : لو لم تسألنى ذلك لفعلت . فما نصائح أبى بكر

له ؟ قال : آمرك أن توحد الله ولا تشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمر على رجل من المسلمين أبدا . وقد وافق رافع على كل تلك النصائح ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ماعدا النصيحة الأخيرة؛ فقال : « وأما الامارة فانى رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس الا بها ، فلم تنهانى عنها ؟ » قال أبو بكر ، انك استجهدتنى لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك : ان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله وجيرانه وفى ذمته ؛ فاياك لا تخفر(١) الله فيتبعك الله فى خفرته ، فان أحدكم يخفر فى جاره ، فيظل ناتئا عضله غضبا لجاره ان أصيبت له شاة أو بعير ، فالله أشد غضبا لجاره . ثم افترقا .

ورافع الطائى — من قصته — نعلم أنه كان لصا فاتكا ولم تمنعه نصرانيته — فى الجاهلية — من السلب والنهب ، والتغلب على الناس بالهرب الى الصحراء القاتلة التى أمنها هو بحيلته وهى الاحتفاظ بالماء فى بيض النعام ، وشأن مثل هذا ليس مؤهلا للامارة وسيادة الناس ، فلما أسلم وغزا شاهد نزاعا حول الامارة فظنها خيرا وشهما لصاحبها ، ولم ينظر الى جدال القائدين ، فعمرو يتمسك بحق ويدافع عنه ، ويرى نفسه أهلا لقيادة الجيوش ، وأنه ان تأخر اسلامه لا يمنعه ذلك من الحرص على أداء حق الجهاد ، وأنه اختار رسول الله فى البدء به فى تلك الغزوة ورأى أبا عبيدة مددا له . وأبو عبيدة لسابقته فى الاسلام ، ومكانته من الجهاد فى الغزوات كلها ، وأنه قتل

---

(١) لا تنقض عهده .

أباه فى غزوة بدر ، وأنه ثبت فى غزوة أحد حين فر الناس ونزع المغفر من وجه الرسول بثنيته فسقطت فصار أثرم ، وفوق ذلك كله « أين هـذه الأمة » كما يقول الرسول ، له حين يحضر حق الامارة ، ومع ذلك فقد حسم النزاع وسلم القيادة لعمرو بن العاص . لم ينظر رافع لهذا ، وانما نظر اليهـا وجاهة وعزا وسلطانا ، وشرفا يتنافس الناس فيه ، وكان أن حذره أبو بكر منها ، وبين له غضب الله على من يسيء الى عواذه وجيرانه وهم المسلمون الذين دخلوا فى هذا الدين ، ومتى يسلم الحاكم من خطأ أو ظلم أو اشتغال عن مظلوم بغيره أو تقصـير فى البناء والتعمير ؟ أو اهمـال غير مقصـود ، أو اختيار لموظف غير أمين الى غـير ذلك مما يوجب عقاب الآخرة .

وكأن رافعا لم يسترح الى تحذير أبى بكر فى هـذا الشـأن ، وكأنه يرصـده ليرى ماذا يفعل لو عرضت عليه الامارة ، وكان أن أصبح خليفة رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وهنا يقول رافع : فلما قبض رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم وأمر أبو بكر على النـاس قـدمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر : ألم تك نهيتنى أن أتأمـر على رجـل من المسلمين ؟ قـال : بـلى ، وأنا الآن أنهـاك عن ذلك . فقلت له : ما حملك على أن تلى أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بدا ، خشيت على أمة محمد ــ صلى الله عليـه وسلم ــ الفرقة .

كلمة صدق من صديق ، أول من أسلم من الرجـال ، وثانى اثنين اذ هما فى الغار ، واختيار الرسول فى مرضه ليؤم المسلمين فى الصـلاة ، شارك فى بناء الدولة الناشئة من أول يوم شع فيه نور الرسالة ؛ انه يخشى الفرقة ، فمن ثم حين سمع باجتماع الانصار تحت سقيفة بنى سـاعدة غشى القوم فى مجتمعهم ، وكان معه عمـر رضى الله عنـه ، ووافاهمـا أبو عبيدة بن الجراح ، ولما خطب الأنصار ، وذكر جهـادهم فى سبيل الدين ، قال أبو بكر : أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهـل ، ولن

تعرف العرب هذاالأمرالا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم، وأخذ بيد عمر وبيد أبو عبيدة وهوجالس بينهما ، فأبو بكر حين سعى الى اجتماع السقيفة كان ايمانه يدفعه الى حفظ الملة ودفع الفرقة ، ولم يقل أنا ، وانما غيرى ، ونظرته سليمة ، فقريش هى الجمهور الذى بيده اعتدال الميزان فى ذلك الزمان ، فقد كانت العرب محجبة عن الدخول فى دين الله ، فلما أسلمت قريش دخل الناس فى دين الله أفواجا ، فحين يكون الأمر فى أيديهم يمتنع الخلاف، وتستقر الأمور ، ويؤيد ما نذهب اليه أنه حدث حين أظلمت غاشية الردة أن اجتمع بعض سادة المسلمين للتفكير فى الرجة التى تفاقمت بعد أن انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه فمر عليهم عمر ، فقال لهم : ماتصنعون ؟ قالوا نفكر فيماحدث. قال لهم : لو سلكت قريش جحرا لسارت وراءهم العرب ، فهو يدعوهم الى ترك الأمر للخليفة أبى بكر يعالجه بايمانه ورأيه — والأحداث جاءت دليلا قاطعا على ذلك ، فما ان قال عمر لأبى بكر : أبسط يدك ياأبا بكر فبسطها ، فبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ، ولم تسمع بعد ذلك خلافا من الأنصار ، انما كان الخلاف فيما بعد بين بطون قريش .

فأبو بكر أزهد الناس فى الرئاسة ، وأبعدهم عن طلبها ، ولعل رافعا الطائى عرف كما عرفنا ، وتنبه لما تنبهنا له . والذين اختارهم أبو بكر للعمل معه لم يخترهم لميل أو هوى انما اختارهم لكفاءتهم ومنزلتهم الدينية والحربية ، ولم ينظر الى من يطلب الامارة أو القيادة ، بل وضع نصب عينيه المصلحة العامة مصلحة الأمة الاسلامية ، فكل من اختارهم أدوا العمل بجدارة واخلاص ، وناهيك بمن اختارهم ، وفى قدمتهم خالد بن الوليد سيف الله المسلول ، وأبو عبيده بن الجراح أمين هذه الأمة ، وقد نزع اللواء من يد خالد بن سعيد الأموى لقولة قالها من

أن هـذا الأمـر يجب أن يكون فى ( بنى عبد مناف ) يريد أحد رجلين : على بن أبى طالب أو عثمان بن عفان فأبو بكر يريدها صافية نقية بعيدة عن العصـبية أو المطلب الشخصى ، وحين اختار من بعده ، اختار رجلا ليس من أسرته وهو عمر بن الخطاب ، وهـذا التعيين نفسه قصد به درء الخلاف ، فالجيوش الاسـلامية فى اشتباك مع العـدو شرقا وشمالا ، والأمر لا يحتمل الانتخاب والتحزب ، وبذلك نجى المسلمين من الفرقـة ، ودفعهم الى الأمجاد .

رضى الله عنه فقد كان للمسلمين اماما فى الصـلاة والسياسـة على السواء .

**السيد حسن قرون**

---

**الحسنات قسمان :**

« الحسنات قسمان : قسم سلبى ، واخر ايجابى وانت
اذا اعتزلت الدنيا فى غار بسـفح جبل تعبـد فيه ربك ولم
تبرحه طول حيـاتك ، تصرف أوقاتك بالتبتل الى الله ، فان
احسن ما يقـال فى مدحك انك اتقيت الشر ، ولم تقترف
سيئة تذم عليها .

فعلت من الناحيـة الايجابية من خير : هل حملت كلا ، أو
وذلك من الحسنات الا انها حسنات سلبية . ولكن ماذا
نصرت مظلـوما ، أو كسبـت معدما أو اطعمت جائعا ، أو
كسوت عاريا ، أو سـاعدت فقيرا ، أو ذدت عن ضعيف أو
هديت ضالا ؟

**سليمان الندوى « الرسالة المحمدية »**

# الحياة والكون بين الدين والعلم

للدكتور عبد الرحمن عميرة

يقف العقل البشرى مذهولا أمام التطـور العظيـم الذى أحـرزته الانسانية فى القرن العشرين فى بعض جوانب المـادة ، هذا التطور الذى لم يحققه جيل من الأجيال السـابقة ولم تحلم بـه البشرية فى تاريخهـا الطويل . فهل استطاع الانسان عن طريق العلم أن يكشف مغاليق الكون ويتعرف على أسرار الوجود ؟

لا يسـتطيع منصف أن ينـكر ما أحرزه الانسان من تقدم فى مجال العلم الطبيعى . ولكن يبقى سؤال آخـر .

هل وفق العـلم فى الاجابة على بعض التساؤلات التى تحـوك فى داخلنا ولا نجد لها جوابا ؟

وعندما أدخل العلم النفس البشرية الى معمله ووضعها تحت مجـاهره ومعـداته أتراه عرف السير داخل دروبها ومسالكها وفض الأختام عن أسرارها ومعمياتها ؟

يقـول « شاشاوان » مهما يكن تقـدمنا العجيب فى العصر الحاضر علميـا ، وصناعيا ، واقتصـاديا ، واجتماعيا ، ومهما يكن اندفاعنا فى هذه الحركة العظيمة للحياة العملية وللجهاد والتنافس فى سبيل معيشتنا ومعيشة ذوينا ، فان عقلنا فى أوقات السكون والهـدوء ، عظاما كنا أو متواضـعين ، خيارا كنا أو أشرارا يعود الى التأمل فى هـذه المسائل الأزلية .

لم ، وكيف كان وجودنا ووجود هـذا العالم .. ؟ والى التفكير فى العلل الأولى أو الثانية ، وفى حقوقنا وواجبنا .. ؟ (١) من يجيب عـن هذه الآسئلة .. ؟

---

(١) نقلا عن بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ــ د. عبد الله دراز.

أيجيب عنها العلم الجبار المكتسح فى داخل معمله •• ؟

أيجيب عنها العلم المادى أم العلم الانسانى •• ؟

أيجيب عنها علم الطب ، أم علم التشريح ، أم علم النفس •• ؟ لو كان الأمر أمر « شاشاوان » أو مجموعة من الناس ، أو جيل من الأجيال ما كان هناك بأس ••

ولكن الأمر أمر البشرية كلها ، أمر الأجيال السابقة ، والأجيال اللاحقة •

يقول « بارتيلمى سانت هيلير » : هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا ، ما العالم •• ؟ ما الانسان •• ؟ من أين جاء •• ؟ من صنعهما •• ؟ من يدبرهما •• ؟ ما هدفهما •• ؟ كيف بدءا •• ؟ كيف ينتهيان •• ؟ ما الحياة •• ؟ ما الموت •• ؟ ما القانون الذى يجب أن يقود عقولنا أثناء عبورنا فى هذه الدنيا •• ؟

هل يوجد شيء فى هذه الحياة العابرة •• ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود (١) •• ؟

يقول بعض المفكرين : ان العلم قد أوجد الأصول والقواعد النهائية للحقيقة ولم يترك للمستقبل الا النظر فى التفاصيل (٢) ••

اذن العلم ، والعلم وحده ، هو الساحر الذى يجيب على تساؤلات البشرية وينقذها من هذه الحيرة •

ولم لا •• ألم تترك أوربا المجال للعلم ليقتحم كل شيء •• ويجيب على كل شيء •

ولكن « وليم جيمس » وهو من أشهر مفكرى أمريكا على الاطلاق ، وأحد قادة الفكر الحديث فى التربية وعلم النفس يقول ردا على أولئك الذين بهرهم العلم فسلموا مقاليدهم اليه :

---

(١) نقلا عن بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ــ د. عبد الله دراز.

(٢) كتاب ارادة الاعتقاد تاليف وليم جيمس ترجمة الدكتور محمود حب الله .

ان أدنى تدبر وتأمل فى الحالات الواقعية يبين ضلال مثل هذه الفكرة ويعدها عن الصواب . اذ أنها لا تصدر الا عن شخص ضعفت عنده قوة الخيال العلمية ، فهل من المعقول اذن لعلم محدود مثل هذا ولمعرفة نمت فى وقت قصير ولم تنضج بعد أن يكون أكثر من ومضة من المعرفة الحقيقية للعالم ، حينما يفهم فهما دقيقا ويدرك ادراكا شاملا — ان معرفتنا ليست الا قطرة بجانب بحر، ألا وان البحر هو جهلنا ، ومهما يكن من يقين أو من عدمه حول كثير من الأشياء فان عالم المشاهدة محاط بعالم آخر أكبر منه ولكننا لا نعرف فى الوقت الحاضر شيئا عما يتصف به من صفات ايجابية (١) ..

ان هذا التقدم العظيم فى مجال العلم والتكنولوجيا وفى مجال الطبيعة والوجود ليس الا قطرة من بحر وذرة من رمل . يقول هذا الكلام رجل عرف خبايا العلم ودرس أصوله وقدراته وعاش فى أمريكا حيث مجالات العلم ومعامل الاختراع التى لا تكف عن الجديد.

وصدق ربى فى قوله :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (٢) .

وهذا العجز الذى صوره « وليم جيمس » هو فى عالم الطبيعة عالم المادة فاذا أردنا أن نتعرف على ما وصل اليه العلم بالنسبة لهذا الكائن العجيب الذى يسمى الانسان وتأمل فى أجهزته الدقيقة « صنع الله الذى اتقن كل شيء » (٣) نرى عالما آخر هو الدكتور «ألكسيس كاريل» يقول :

لست فيلسوفا ولكنى رجل علم فقط ، قضيت الشطر الأكبر من حياتى فى المعمل أدرس الكائنات

---

(١) كتاب ارادة الاعتقاد .
(٢) سورة الاسراء آية رقم ٨٥
(٣) سورة النمل آية رقم ٨٨

الحيـة »، والشـطر الباقى أراقب بنى الانسان وأحاول أن أفهمهم(١).

ماذا كانت ثمرة هـذه الدراسة الجادة الممتدة ... ؟ وبماذا عاد هو وأمثاله من خبرات بعد هـذا العمر الطويل الذى قضـاه فى المعمل ومع الناس .. ؟ يجيبنا على هذا بقوله :

« واقع الأمر أن جهلنـا مطبق ، فأغلب الأسـئلة التى يلقيهـا على أنفسهم أولئـك الذين يدرسـون الجنس البشرى تظل بلا جواب،لأن هناك مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنية ما زالت غير معروفة ، فنحن لا نعـرف حتى الآن الاجـابة على أسئلة كثيرة مثل :

١ ــ كيف تتحـد جزئيات المواد الكيمـاوية لـكى تكـون المركب والأعضاء المؤقتة للخلية .

٢ ــ كيف تقرر «الجنس» ناقلات الوراثة فى نواة البيضة . صـفات الفرد المشتقة من هذه البويضة .. ؟

٣ ــ كيف تنتظم الخلايا فى جماعات من تلقـاء أنفسها مثـل الأنسجة والأعضاء فهى كالنمل تعرف مقدما الدور الذى قرر لها أن تلعبه فى حياة المجمـوع ، وتسـاعد العمليـات الميكانيكية الخفية على بنـاء جسم بسيط ومعقد فى الوقت ذاته .. ؟

وهناك أسئلة أخرى لا عداد لها يمكن أن تلقى فى موضوعات تعتبر فى غاية الأهمية بالنسبة لنا ، ولكنها ستظل بلا جواب .. ؟

ومن الواضح أن جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسـان غـير كاف . فان معرفتنا بأنفسـنا مـا زالت بدائيـة فى الغالب .. » (٢) .

واذا كانت هذه هى قدرات العلم ووسائله .

تتقدم ولكن فى مجال محدود .

وترسل أضواءها لتكتشف ولكن فى دائرة لا تتعداها .

---

(١) الانسان ذلك المجهول « الكسيس كاريل » .

(٢) المصدر السابق :

وهناك أمور يقف أمامها العلم عاجزا لم يلج معمياتها بعد فماذا نفعل .. ؟

أنلجأ الى العقل لعله يكشف لنا النقاب عن هذه الأسرار .. ؟

وهل فى مقدوره اقتحام أسوارها وفض كنوزها .. ؟

لنسر معه جولة أخرى فمن يدرى .

لقد نادى مفكرو عصر التنوير فى القرن الثامن عشر بوجوب سيادة العقل كمصدر للمعرفة على غيره .

من هؤلاء الفيلسوف الألمانى ولف Wolf ولسبخ Lessing

وفى انجلترا : لوك joun Lock

وفى فرنسا : فولتير Voltaire

وبايل Bayle ولامترى Lamettree

وللعقل عند هؤلاء الحق فى الاشراف على كل اتجاهات الحياة ، وما فيها من سياسة وقانون ودين .

ومن أجل ذلك وجدت الخصومة الفكرية بين العقل والدين ، واتجه التفكير فيه الى اخضاع الدين للعقل ، لذلك عد زمن هذا العصر فترة سيادة العقل .

ولكن الفيلسوف « بلانش Ballanche » يهاجم هذا الاتجاه وينقد سيادة العقل كمصدر وحيد للمعرفة ويذكر أن فلسفة التنوير أخطأت عندما قصدت الى أن العقل وحده ومن نفسه يمكن أن يوجد الحقيقة وينظم الجماعة فاذا ما تركنا « بلانش » واتجهنا الى فيلسوف آخر هو « برجسون » نراه يقول عن العقل :

« ان العقل يتصف بعجز طبيعى عن فهم الحياة » وصاحب المذهب التجريبى يقول : « غاية المعرفة الانسانية هى تحصيل علل الظواهر الطبيعية وترتيب آثارها فى دائرة قليلة من العلل العامة أما محاولة كشف علل أخرى لهذه العلل العامة أو كشف علة واحدة مشتركة لها فهى محاولة غير مجدية من الطريق الانسانى . أى لايصل اليها الانسان وصولا علميا يقينيا » (١) .

---

(١) الفكر الاسلامى وصلته بالاستعمار الغربى — د/ محمد البهى .

فالحقائق الدينية لا يمكن أن تعلم أبدا عن طريق الانسان سواء بعقله أو حواسه ــ تقصد بعض الحقائق ــ وانما يصدق الانسان بها فقط فاذا ما اتجهنا الى الاسلام لنتعرف على رأيه بالنسبة للعقل فنراه يقرر أن العقل هو الأداة التى وهبها الله للانسان وزوده عن طريقها بالوسائل التى تحقق له الخلافة فى الأرض ولم يكلفه أكثر مما يطيق ، وفى الكون أمور لا يحيط بها ادراك العقل ولا تستوعبها أدواته المحدودة التى زوده الله بها ولكن مع ذلك وعن طريق هذه الآلة التى تسمى العقل يتحقق لهم ما يريدون فى رحلتهم القصيرة ــ رحلة الحياة ودور العقل فى الاسلام هو التلقى عن الرسول والالتزام بالوحى .

يقول الدكتور عبد الحليم محمود : « وصلة الدين بالعقل تتلخص فيما يأتى :

١ ــ جاء الدين هاديا للعقل فى مسائل معينة هى أولا ما وراء الطبيعة أى العقائد الخاصة بالله سبحانه وبرسله وباليوم الآخر وبالغيب الالهى على وجه العموم .

٢ ــ فى مسائل الأخلاق ــ أى الخير والفضيلة وما ينبغى أن يكون عليه السلوك الانسانى ليكون الشخص صالحا .

٣ ــ فى مجال التشريع الذى ينتظم به المجتمع وتسعد به الانسانية وجاء الدين هاديا للعقل فى هذه المسائل بالذات لأن العقل اذا بحث فيها بحثا مستقلا بنفسه فانه لا يصل فيها الى نتيجة يتفق عليها الجميع .

جاء الوحى هاديا للعقل وقائدا له فى الأمور التى لا يتأتى للعقل أن يلج ميادينها أو يقتحم حماها أو يدلى فيها برأى يتفق عليه الناس » (١) .

وليس من اختصاص العقل فى الاسلام أن يوازن بين مقرراته الخاصة ومقررات الله .

ان له أن يعارض مفهوما عقليا بشريا للنص بمفهوم عقلى بشرى

---

(١) الاسلام والعقل : دكتور عبد الحليم محمود .

آخر هذا مجاله ولكنه ليس حكما فى المقررات الدينية ، ليس حكما له الحرية فى أن يصحح ويبطل ، أو يقبل ويرفض والا لوقع فى دائرة المحظور .

يقول تعالى :

« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » .

فاذا ما أردنا أن تتعرف على آراء المفكرين بالنسبة للعقل رأينا المفكر الانجليزى الذى عاش فى القرن التاسع عشر الميلادى يكاد يلخص مذهبه وتتاج فكره فى عبارته التى يقول فيها :

« نحن لا نعرف شيئا وسوف لا نعرف شيئا » (١) .

أفشل العقل اذن وألقى كل أسلحته ؟ أهناك منطقة محرمة عليه لا يمكن أن يطرقها .. ؟

اذن ماذا نفعل..؟ وأين تتجه..؟ أنلجأ الى الدين .. ؟

ولكن قبل أن نطرق بابه ونقف على أعتابه يجب أن نتعرف عليه حتى نكون على بصيرة منه .

ان علماء المسلمين يعرفون الدين بأنه .. الوضع الالهى السائق لذوى العقول السليمة باختيارهم الى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل .

ويمكن تلخيصه بأن نقول : الدين وضع آلهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات (٢) .

ويقول « ششرون » فى كتابه ( عن القوانين ) : الدين هو الرباط الذى يصل الانسان بالله » .

ويقول « كانت » ( فى كتابه الدين فى حدود العقل ) : الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر الهية » .

---

( ١ ) كتاب منبع الاخلاق والدين : هنرى برجسون ــ تعريف سامى الدروبى وزميله .

( ٢ ) كتاب بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د . عبد الله دراز .

ويقــول « روبرت سبنسر » فى خاتمــة كتاب ( المبادىء الأولية ) : الايمان بقوى لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية : هــو العنصر الرئيسى فى الدين (١) •

أما «وليم جيمس» صاحب كتاب ارادة الاعتقــاد فيتوســع فى معنى كلمة « دين » بقوله : « دلت كلمة الدين فى تاريخ الفكر الانسانى على كثــير من المعــانى ، ولكنى حــين أستعملها الآن أقصد بها ما هو فوق الطبيعة مقــررا بذلك أن ما يدعى بنظــام الطبيعة الذى يتضمن عالم التجربة ليس الا جزءا من مجموعة الكون ، وأن هناك وراء هذا العالم المشاهد عالمــا آخر غير مشــاهد • لا نعرف الآن عنه شيئا ايجابيــا ، ولكنا ندرك أنه ليس لحياتنا هــذه من قيمة الا فى علاقتها وارتباطها به ، وليس للعقيدة الدينية عنــدى من معنى « مهما يكن شأن ما تضمنته من تفاصيل الا الاعتقــاد فى وجود نظــام خفى غير مشــاهد يمكن أن توجد فيه حلول لطلاسم ذلك النظام الطبيعى •

ترى الأديان العليا أن هذه الدار ليست الا مدخلا وطريقا لعالم آخر أكثر منها حقة وأدوم بقاء » (٢) •

ان « وليم جيمس » يقــرر أن الأديان السماوية فيهــا الاجابة على أســئلة البشرية وفيها حل الطلاسم والألغاز التى تعترض حياتنا » •

الأديان السماوية هى التى تستطيع أن تقرر وتقول : من أين والى أين••

وفى القــرن الســابع عشر قام « سبينوزا » Spinoza ١٦٣١ / ١٦٧٧ م و « وليبنيتر » Leibniz ١٦٤٦/١٧١٦ م • و « لوك » Locke ١٦٣٢ /١٧٦٤ م •

---

(١) كتاب بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د. عبد الله دراز.

(٢) كتاب ادارة الاعتقاد ـ وليم جيمس ـ ترجمة الدكتور محمود حب الله .

وأراد ثلاثتهم أن يجمعوا الطوائف المسيحية فى أوروبا الغربية طوائف الكاثوليك وأتباع لوثر ، والمصلحين للاتفـاق على معنى الدين ومعرفـة أساسـه ، وكان مما توصلوا اليه :

« ان الدين هـو الايمـان الكامل بالوحى الالهى » ..

وعرفـوا الوحـى الالهى بأنـه « ما كان فـوق العقل البشرى » ، ولكن ينسجم مع العقـل . أى أن الذى يعتبر أن يكون وحيـا هـو ما لا يستطيع العقل أن يجـده من نفسـه ، ولكن مع ذلك يمكن أن يفهمه فى وفاق وانسجام مع تفكيره الصحيح » [١] .

ولكن أكل الناس يؤمنون بالدين ويعترفون به ؟ حتى ولو لم يطبقوه على حياتهم وينفذوه فى سلوكياتهم؟

ان هناك أفرادا من البشرية تنكر للـدين جمـلة وترفض الوحى من أساسه وتعلل الديانات تعليلا لايتفق مع العقل ولا يتوافق مع الواقع من هؤلاء السوفسطائيون الذين يقولون:

« ان الانسـان كان فى أول نشأته يعيش بغير رادع من قانون ولا وازع من خلق ، وانه كان لايخضع الا للقوة الباطشة .

فاذا ما تركنا عصر السوفسطائيين وذهبنا الى عصر التنوير كمـا كان يسمى فى أوروبا نجـد « فولتير » يقول :

« ان الانسانية لابد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولة فى حياة مادية خالصـة قوامها الحـرث والنحت والبناء والحدادة ، والتجارة ، قبل أن تفكـر فى مسـائل الديانات والروحانيات » .

بل ان فكرة التأليه انما اخترعها دعاة ماكرون من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء » [٢] .

---

( ١ ) الفكر الاسلامى وصلته بالاستعمار الغربى ــ د/ محمد البهى .

( ٢ ) كتاب بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ــ د. عبد الله دراز

ولكن معجم « لاروس » للقرن العشرين : يرى أن التدين فطرة ونزعة فى داخل النفس لا يمكن الفكاك منها •

ونص عبارة المعجم : أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها الى الحياة الحيوانية ، وأن الاهتمام بالمعنى الالهى وبما فوق الطبيعة ، هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية » •

ويقول أيضا : ان هذه الغريزة لا تختفى بل لا تضعف ولا تذبل الا فى فترات الاسراف فى الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد»(١)•

فاذا أردنا أن تتعرف على عالم مثل « فرويد » (٢) نراه أطلق أسطورته الكريهة المبنية على العشق الجنسى الذى يحسه الأولاد نحو الأم •

وعن طريق هذه الأسطورة يبنى جذور الديانات التى عرفتها البشرية•

تقول الأسطورة : ذات يوم فى الماضى السحيق الموغل فى الظلمات ارتكبت البشرية جريمة مروعة •

أحس الأولاد برغبة جنسية نحو أمهم ، ولكنهم وجدوا أباهم حائلا دون الوصول الى هذه الشهوة فقرروا أن يقتلوا أباهم ليخلولهم الطريق ، وبالفعل قتلوه •

وما أن أتموا فعلتهم الشنيعة حتى أحسوا بالندم على ما قدمت أيديهم فأقسموا ليقدسن ذكراه ، فعبدوه ونشأت بذلك أول عبادة فى الأرض عبادة الأب ، التى تحولت فيما بعد الى عبادة الطوطم وهو حيوان تعبده القبيلة كلها وتعتقد أن دماءه تجرى فى دمائها ويحرمون ذبحه الا فى مناسبات دينية خاصة حيث يحتفل بذبحه ، ويأكل منه الجميع لتجرى دماؤه فى دمائهم من جديد •

ثم وجدوا أنهم سيتقاتلون فيما بينهم على أمهم فلا ينالها أحد منهم فحرموها عليهم جميعا •

وكل الديانات التى جاءت بعد ذلك هى محاولات لحل المشكلة ذاتها •

(١) كتاب بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د. عبد الله دراز.
(٢) ولد سيجمند فرويد عام ١٨٥٦ م من أبوين يهوديين وحصل على الدكتوراه فى الطب عام ١٨٨١ م •

احساس الأبناء بالجريمة ، وهى تختلف بحسب مستوى الحضارة التى ظهرت فيها والوسائل التى تطبقها ، ولكنها جميعا تهدف الى شىء واحد وهو رد الفعل لنفس الحدث العظيم ( قتل الأب ) (١) .

وقد نسى « فرويد » أو تناسى أن الدين كان موجودا من أيام المشاعية الأولى ومن قبل أن يوجد التحريم بين الأم وابنها ، ومن قبل أن تظهر العقدة «الأوديبية » على الاطلاق.

ولكن من أين جاء « فرويد » بأسطورته تلك .. ؟

أعن طريق الحفريات والبحث الجيولوجى فى باطن الأرض .. ؟

أم عن طريق الغوص فى باطن التاريخ المنقوش فى الحفريات وعلى أعمدة المعابد .. ؟

أم تلقفه من أفواه المهوسين والمهوسات والشاذين والشاذات ممن كانوا يأتون اليه فى معمله .. ؟

انه يقرر فى كتابه Totema Toboo أنه أخذ هذه الأسطورة من مثال أورده « دارون » من عالم البقر ، ففى عالم البقر تهيج الثيران فى موسم الاخصاب فتقتل أباها الشيخ ، ثم تقتتل فيما بينها على الأم كل يريد أن يفوز بها لنفسه ، فتموت الثيران الضعيفة أو تخور قواها مما تنزف من الدم ويبقى الثور الأقوى ، يفوز وحده بالأم ويلبى معها داعى الجنس » (٢) .

و« فرويد » فى بساطة وبلا تحرج ولا تأثم ولا تأنيب ضمير ينقل هذه الظاهرة الحيوانية الى عالم الانسان، وينسبها الى البشرية الأولى ، كأنما قد شهد مولدها ، وعاين تحركها وسجل ما جرى لها من الأحداث ، ويغفل فى بساطة ، وبلا تحرج ولا تأثم ولا تأنيب ضمير أن بعض الحيوانات ذاتها يأبى الولد منها أن يطأ أمه ، ولو دفع الى ذلك دفعا وعوقب على الامتناع بالضرب الأليم.

---

( ١ ) دراسات فى النفس الانسانية ـ للأستاذ محمد قطب وكتاب الشيوعية والاسلام ـ د/ مصطفى محمود .

( ٢ ) كتاب الانسانية بين المادية والاسلام ـ محمد قطب .

ولكنــه « فرويد » اليهــودى المتعصب ..

ليس هــذا فقط ولكنه التلميذ المخلص لـ « داروين » [١] .

« داروين » الذى يقول بصراحة: « ان ذلك ـ أى تفسـير شـئون الحيـاة بوجـود خالق له ارادة فى الخلق ـ يكون بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة فى وضـع ميكانيكى بحت » [٢] .

وليس هنـا مجـال الـرد على « داروين » فسنفرد له بمشيئة الله بحثا خاصا ولكن الفيلسوف « هنرى برجسون » يدفع ما يقوله «داروين» بقوله :

« لقد وجـدت وتوجد جماعات انسـانية من غـير علوم وفنــون وفلســفات ولكنه لم توجـد قط جماعة بغير ديانة » [٣] .

بل ان البشرية فى تاريخها الممتد فى القدم وجـد فيها الواحد بعـد الواحد الذى اهتدى الى التوحيد الخالص وساير فطرة الله التى فطر الناس عليها .

وفى التاريخ اليونانى القديم كان « اكزنوفنس » يسخر من آلهة قومه التى تأكل وتشرب وتلد وتمـوت ويقول: «ان الناس هم الذين اخترعوا الآلهة وتصـوروها بمثل هيئاتهم ، ولو كانت الثيران أو الأسـود أو الجياد تعرف التصوير لرسمت لنـا الآلهة أشكالهـا ثورا أو أسدا أو جوادا كلا . ثم كلا .

انه لايوجد غير اله واحد ، هو أرفع الموجودات ، ليس مركبا على

---

( ١ ) داروين ولد فى أحدى مقاطعات ويلز فى بريطانيا عـام ١٨٠٩ م ودرس اللاهوت والتاريخ الطبيعى صاحب كتاب اصل الانواع .

( ٢ ) تراث الانسانية ح ١

( ٣ ) كتاب ادارة الاعتقاد هنرى برجسون .

هيئتنا ولا يفكر مثل تفكيرنا بل كله بصر وكله سمع ، وكله فكر[1] .

وهذا الذى قاله « اكزنوفس » قاله آحاد غيره قبل مبحث الرسالات والرسل قاله رجال من فارس قبل أن ينحرفوا الى القول بالتثنية .

وقاله رجال من الهند قبل اتجاههم الى السلبية .

واهتدى اليه اخناتون فى مصر القديمة . فقد ذكر أنه قال بالتوحيد وآمن بالبعث والنشر ، ومع ذلك أخذت البشرية تتخبط وتتوه فى ركام من الضلالات .

حتى كانت الديانات السماوية فحددت للبشرية طريقها ، وخططت لها حياتها وكان كل نبى يأتى الى قومه بعد فترة ليذكرهم ان نسوا ويوجههم كلما ضلوا . ثم كان خاتم الرسل وخاتمة الرسالات ووضع الله فيها كل ما تحتاج اليه البشرية ، فى حالها ومآلها ولكن البشرية ــ الا ما عصم ربى ــ جعلت الديانات وراءها ظهريا وأخذت تأله العلم تارة وتحتكم الى العقل أخرى فما أغنيا عنها شيئا ولم يقدرا على انقاذها من شقوتها أو ينتشلانها من وهدتها وليس هذا انتقاصا من شأن العلم أو تهوينا من مهمة العقل ، ولكن العلم كما قلنا يوصل الى بعض الحقائق لا الى كل الحقائق فالعلم المادى حاليا يقدم لنا ما يحدث ولكنه لا يفسر لنا كثير مما يحدث ان فى مقدوره أن يجيب عن : ما هذا ؟ ، ولكن ليس لديه القدرة على اجابة السؤال .. لماذا ؟

والعقل أيضا دائرة اختصاصه محددة وقدرته على كشف حقائق الوجود لا تتعدى قدرا محدودا ولا يقدح هذا مطلقا فى سلامة العقل . لأن العقل ميزان صحيح وأحكامه فى كثير من الأوقات يقينية وخصوصا فى عالم الرياضيات غير أننا لا نطمع أن نزن به أمورا فوق طاقته ،من ذلك،

---

(١) قصة الايمان للشيخ نديم الجسر .

الغيبيات فان ذلك طمع فى محال ، فان فعلنا كنا كالرجل الذى رأى ميزانا يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال ، وهذا لا يدل على أن الميزان غير صادق فى أحكامه .

ولكن يدل فقط على مدى امكانياته ، وقدرته على استيعاب الأشياء .

الدين اذن هو الذى يجيب على تلك المعميات ويحل تلك الطلاسم التى تأخذ بعقول البشر .

لقد عاشت البشرية ردحا من الزمن وهى تفتش عن الخالق لهذا الكون لتتوجه اليه بالعبادة وتخصه بالنسك ، ولكنها تاهت وضلت فتصورته مرة رعدا وبرقا ، وأخرى صنما وحجرا ، وثالثة شجرا وكوكبا فلما جاء الدين وضع حدا لهذه الاضطرابات ، وأرشد البشرية الى الخالق المالك ، الموجد ، المبدع يقول تعالى :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » (١) .

وتناكرت البشرية واختلفت فى أصل الخلقة ، وحقيقة الانسان أوجد عن طريق الصدفة .. ؟ أم صنعته الطبيعة ..؟ أم كان نتيجة تطور كائن آخر ..؟ فأجاب الدين عن هذه التساؤلات ورد البشرية الى طريق الصواب بقوله :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » (٢) .

وهذا الكائن لم يخلق عبثا وانما وجد لغاية ، وخلق لهدف وهو عبادة

---

(١) سورة الاخلاص .
(٢) سورة المؤمنون الآيات : من ١٢ — ١٤

الله .. « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (١) .

وعمارة الكون :

« وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها » (٢) .

والقيام بدور الخلافة :

«انى جاعل فى الأرض خليفة»(٣).

وحياته رحلة قصيرة وأيامه معدودة فوق هذا الكوكب الأرضى وأجزاء الانسان وتركيباته وأطرافه صنعت لتلائم هذا الدور وتتناسب مع تلك المدة فهو لا يبقى فى رحلته أكثر مما قدر له ، والا تلفت أعضاؤه وفسدت خلاياه فلا تستطيع القيام بدور أو المشاركة فى حياة ، ولا يكلف هذا الانسان أكثر مما يطيق ، ولا يعطى من المعرفة فوق ما تحتاجه هذه الرحلة ، والا اختلطت عليه الأشياء وتعددت أمامه السبل .

وهذا الكون أيضا مخلوق ليتناسب وقدراته ، ويتلاءم مع مواهبه فلا يرهق من أمره عسرا .

وكل شيء محدود ومقدر ، ليس للصدفة مكان ولا للرأى العجل موضع .

« انا كل شيء خلقناه بقدر»(٤).

« وكل شيء عنده بمقدار »(٥).

وهذا الانسان الفانى الضعيف يستطيع أن يتصل بالقوة الكبرى قوة الله ، يتصل بلا وساطة أوكهانة، أو قطع رحلة من آلاف الأميال .

« ادعونى أستجب لكم » (٦) .

لأنه قريب من عباده أقرب مما يتصورون .

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب » (٧) .

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦
(٢) سورة الملك آية : ١٥
(٣) سورة البقرة آية : ٣٠
(٤) سورة القمر آية : ٤٩
(٥) سورة الرعد آية : ٨
(٦) سورة غافر آية : ٦٠
(٧) سورة البقرة آية : ١٨٦

وكل انسان يأخذ حقه كاملا لا ينقص منه شيء ، وحياته ليست بقاؤه على ظهر الأرض فقط ، وليست هى الرحلة القصيرة ولكن هناك حياة باقية بعد هذه الحياة الفانية . فما نقص هنا ادخر له هناك ، وما حرم منه فى الدنيا يضاعف له فى الدار الآخرة واذا كان ذلك كذلك فما الداعى الى القلق الذى يمزق الانسان فى داخله ، أو الحسرة على ما فات ، أو التألم على ما حرم منه ؟

ولم تستطع البشرية فى تاريخها الطويل بما اخترعت من مبادىء وأفكار أن توجد الرضا فى داخل النفس ، ولكنها أوجدت التكالب والصراعات والحروب المدمرة .

لأنها لم تستطع أن تسوى بين الأفراد جميعا ولن تستطيع ..

والمذاهب المادية على ما بذلته من وعود ، وما سودته من قرارات لم تستطع أن تزيل الدمامة عن مشوه الصورة .

أو تعوض الانسان فقد عضو من أعضائه .

ولم تستطع بالرغم من تقدمها فى المجال المادى أن تجعل من ضعف النظر قوة ، ومن قصر القامة طولا ، أو من العقم اخصابا ، أو أن تتحكم فى نوع الانجاب ولكن الدين ان لم يفعل ذلك فهو يقدم البديل لذلك كله .

انه يقدم الاطمئنان الى عدل السماء ، وحكمة الخالق .

« وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم » (١) .

« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » (٢) .

ومع ذلك فنصيبه مدخر ، وأجره محفوظ ، وقد لا تنكشف لنا حكمة

---

(١) سورة البقرة آية : ٢١٦

(٢) سورة البقرة آية : ٢١٦

الله وعدله عما قريب فعلينا أن نترصد لها .

وحكمة الله مبذولة لخلقه وتعطى لمن يصطفى من عباده :

« يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » (١) .

والهامات الله لا تقف عند حد ، ولا تنتهى عند عصر ، ولا يختص بها جيل من الأجيال .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

«ان لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » .

وكل انسان يمكن أن يكون قريبا من ربه . ووسيلة القرب معروفة .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » (٢) .

ويقول تعالى :

« واسجد واقترب » (٣) .

عندها ينتقل الانسان من ترابية الأرض الى شفافية السماء ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن قتامة الأفكار الى صفاء الايمان . فيعرف ما لم يكن يعرف ويدرك ما لم يكن يدرك . والموت ليس لغزا ، وليس طلسما ، ولكنه مرحلة فى الطريق . ونقله من دار الى دار وسياحة فريدة من رحاب الكون المحدود الى رحاب الخالق الذى لا يحد .. والله أعلم .

دكتور عبد الرحمن عميره

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٦٩

( ٢ ) رواه الامام مسلم وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة ورواه البزار عن ابن مسعود .

(٣) سورة العلق آية : ١٩

# صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ١٦ —

## جزيرة الروضة

— ١٤ —

**جزيرة الروضة فى العصر الحديث :**

ذكر لنا على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية ( جـ ١٨ ) بعض أسماء من أعيان عصره كانت تمتلك جزيرة الروضة . واكتفى بذكر الأسماء ولم يذكر تراجمهم باعتبارهم معروفين للقارىء وقتذاك . فنذكر فيما يلى بعض التوضيح لبعض هذه الأسماء وما كانوا يملكون من الجزيرة .

قال على مبارك ان بالجزء الجنوبى من الجزيرة كان المقياس وسراى حسن باشا المناسترلى ومن الناحية الشرقية على سيالة الروضة يوجد من الجنوب سراى وبستان سليم باشا الجزائرى . وشمالا منه بستان السادات الوفائية الذى عرف أخيرا جزء منه بالمندورة . وقد سبق ذكرها . ثم أرض الست البارودية وبها زاوية أبى يزيد البسطامى . وقد سبق أيضا ذكرها . ثم أرض حسن باشا يجن وبستان شاكر بك . ثم بستان وقصر على باشا شريف . ثم بستان وقصر على باشا ذى الفقار . ثم بستان وسراى للخديوى اسماعيل . ويفصل هذه السراى عن سراى والدة عباس باشا الأول الطريق الموصل لجامع قايتباى الكائن بوسط الجزيرة .

وفى شمال الجزيرة البستان الكبير الذى أعده ابراهيم باشا بن محمد على للنزهة. وقال على مبارك : وكان الناس يترددون على اختلاف طبقاتهم على البستان المذكور فى أيام شم النسيم . وهو من أعظم البساتين لاحتوائه على الأشجار المتنوعة المجلوبة اليه من البلاد البعيدة . واحتوائه أيضا على أصناف الحيوانات والطيور . وبه خلجان من البناء تجرى فيها المياه . ومنارة معمولة من الودع . وجبلاية مصنوعة مغروسة بالأشجار والحشائش والأزهار . ويحيط بالبستان المذكور رصيف من الثلاث جهات .

ومن هذه الفقرة الأخيرة يكون موقع البستان المذكور هو محل القصر العينى الجديد وفندق الميريديان فى شمال الجزيرة .

أما الجانب الغربى من الجزيرة على فرع النيل بينها وبين الجزيرة . فذكر على مبارك أنه كان يوجد من الجنوب سراى باشا ثم أرض حسين باشا يجن . ثم أرض على باشا شريف . ثم أرض مغلق الخديوى اسماعيل . ثم أرض أحمد باشا المنكلى . ومنزل وبستان مغلق ورثة خليل بك . ثم القرية المعروفة بالمنيل ثم . ثانية أرض ورثة المرحوم أحمد باشا المنكلى . ثم قصر وبستان قاسم باشا . ويتوصل منه الى الفرع الشرقى بطريق مظلل بالأشجار .

**حسن باشا المناسترلى :**

هو حسن فؤاد باشا المناسترلى كتخدا مصر فى عهد عباس حلمى الأول من ١ / ٢ / ١٨٥٠ — ٢٩/٣/١٨٥٤ . (١) وأضيفت اليه رئاسة مجلس الأحكام فى سنة ١٨٥٢ — سنة ١٨٥٥ . ثم عين محافظا للقاهرة فى ٢١/١١/١٨٥٤ — ٢٤/١١/١٨٥٥ ثم وكيلا للداخلية فى ٢٤/٢/١٨٥٧ . ثم ناظرا للداخلية فى ٢٥/٤/١٨٥٧ — ١٠/٢/١٨٥٨

ولا تزال آثار سراى حسن باشا المناسترلى باقية للآن جنوبى الجزيرة غربى المقياس . وتستعملها وزارة الثقافة والاعلام فى بعض أوجه نشاطها . ففيها مركز الفن والحياة ويرأسه الدكتور حامد سعيد . ويلقى فيه أسبوعيا محاضرات وفيها معرض لبعض القطع الفنية من

(١) قتل عباس حلمى الاول فى ١٤/٧/١٨٥٤

الخزف والباتيك والتحف والتصوير وغير ذلك . كما تعقد به احدى الجمعيات الموسيقية حفلة كل أسبوع .

وبالجانب البحرى الشرقى للسراى جامع صغير أنشأه حسن باشا المناسترلى سنة ١٨٥١ — بدلا من جامع المقياس الذى هدمه — ودفن فيه مع الشيخ عبد الرحمن !! . وقد ذكرت مصلحة المساحة فى خرائطها أنه عبد الرحمن ابن عوف الصحابى الشهير . وهذا غير صحيح . فالمذكور توفى سنة ٣٢ هـ ( ٦٥٢ م ) ولم يدخل مصر .

وكان بالجزء الجنوبى من الجزيرة سراى ذكرها الفرنسيون باسم سراى نجم الدين — ولعله الصالح نجم الدين أيوب — وكانت عند دخولهم قد تهدم أغلبها . وبقيت منها قاعة كبيرة مساحتها ١٤٫٦٠ س م × ١٢٫٧٠ س م .

وذكر على مبارك أن الباقى منها كشك مطل على النيل وبه شبابيك من جميع الجهات . والكشك باق للآن .

وقد نزل السلطان سليم الأول العثمانى بسراى نجم الدين هذه فترة من الوقت بعد فتحه مصر سنة ١٥١٧ . وقد حاول بعض أمراء المماليك اغتياله فى هذه السراى انتقاما لشنق الأشرف طومان باى آخر السلاطين المماليك . ولكن لم تنجح المحاولة .

**ابن النحاس وابن محمد الهروى :**

ونذكر بمناسبة هذا الموقع من المقياس ماورد فى بعض كتب التراث أن أحمد بن محمد النحاس كان من علماء اللغة فى دولة بنى الأخشيد وله مؤلفات عديدة تقرب من العشرين وكان لئيم الطبع بخيلا شديد التقتير على نفسه . فجلس يوما على درج المقياس بجزيرة الروضة سنة ٩٤٨ م ( ٣٣٧ هـ ) . والنيل فى أيام زيادته . وهو يقطع بالعروض شيئا من الشعر . فرآه بعض العوام . فاعتقد أنه يسحر النيل حتى لا يزيد . فتغلو الأسعار ويسوء الحال . فدفعه برجله فى النيل فلم يوقف له على خبر .

ويشبه هذا ما ذكر فى الحاكم بأمر الله الفاطمى ما بلغه عن جنادة بن محمد الهروى اللغوى النحوى . وكان يقرأ بجامع المقياس . اذ توقف النيل عن الزيادة فى بعض السنين . فقيل للحاكم ان جنادة رجل مشئوم

يقعد بالمقياس ويلقى النحو • ويعزم على النيل • فلذلك لم يزد • فأمر الحاكم بقتله فى ذى الحجة سنة ٣٩٩ هـ ( ١٠٠٩ م ) (١) •

**سليم باشا الجزائرى :**

وأرضه كانت شرقى المقياس على الفرع الشرقى للنيل • وتصل شمالا الى أرض السادات الوفائية المعروفة بالمندورة •

وقد تولى المذكور عدة وظائف منها حكمدار الأقطار السودانية فى ١٨٥٣/٤/٢٣ الى ١٨٥٤/٧/٢١• وناظر للمرور والسكك الحديديةمن ١٨٦٠/١٠/٢ — ١٨٦١/١/١٠ • ثم رئيس القومسيون المخصوص بمحافظة مصر فى ١٨٦٦/٢/٢٠ • ثم مدير أسيوط فى ١٨٦٦/٣/٩ — ١٨٦٧/٤/٢٠ •

وقد أنعم عليه اسماعيل بـ ٦٠٠ فدان فى ١٨٦٣/٧/١٤ •

وشمالا من أرض سليم باشا الجزائرى كانت أرض السادات الوفائية والمعروف مكان جزء منها الآن بالمندورة • وشمالا منها أرض البارودية التى بها زاوية أبى يزيد البسطامى • وقد سبق ذكرهما •

**على باشا شريف :**

ثم شمالا منها أرض وسراى على باشا شريف • وكانت بعرض الجزيرة من الفرع الشرقى الى الفرع الغربى للنيل • وهى مساحة واسعة لعلها بمفهوم الوقت الحاضر من شارع الروضة جنوبا حتى قرب محطة الأوتوبيس المعروفة بمحطة الباشا •

وبها من المعالم الحاضرة سينما جرين وسينما روضة ومكتب بريد الملك الصالح وزاوية الأباريقى التى أصلها جامع غين • وسيأتى ذكره باذن الله•

وعلى باشا شريف كان رئيسا لمجلس تجار مصر سنة ١٨٧١ م ( ١٢٨٨ هـ ) • وأنعم عليه برتبة اللواء فى مارس سنة ١٨٦٣ ( ١٢ رمضان سنة ١٢٧٩ هـ ) •

وهو ابن السيد محمد باشا شريف والى ألوية الشام فى أثناء حروب ابراهيم باشا بن محمد على • وقد ذكرنا أنه غير محمد باشا شريف الذى كان ناظرا للنظار وعاصر الثورة العرابية وتوفى سنة ١٨٨٤ م •

---

( ١ ) معجم الادباء لياقوت الحموى ج ٤ ص ٢٢٥ ، ج ٧ ص ٢٥٩

كما ذكرنا عند الكلام على الكبارى حول جزيرة الروضة ما رواه الجبرتى عن الاحتفال بعودة ابراهيم باشا بن محمد على فى ديسمبر سنة ١٨١٩ فى الحجاز بعد تغلبه على الوهابيين وأنه نزل بقصر شريف ( بك ) بالروضة .

وقد قسمت أرض شريف باشا الى شوارع وقطع للمبانى، وبيعت للأهالى بمعرفة شركة أراضى الجيزة والروضة، وكانت منها بقية لغاية الأربعينات من هذا القرن . فمثلا كان حوالى موقع سينما روضة مشتل للمرحوم المهندس الزراعى ابراهيم الجزار . وقد اشتريت منه سنة ١٩٤٧ بعض أشجار الفواكه .

**على باشا ذو الفقار**

وشمالا من أرض شريف باشا كان بستان وقصر على باشا ذو الفقار .

وقد تقلب المذكور فى الوظائف فكان رئيسا لمجلس الأحكام من من ١٨٥٧/٤/٢٥ ( ٢ رمضان سنة ١٢٧٣ هـ ) (١) — ١٨٦٠/٤/١٣ م .

ثم ناظرا للخارجية من ١٨٦١/١/١٠ — ١٨٦٣/٨/١ .

وأنعم عليه بألف فدان فى يونية سنة ١٨٦٣ فى عهد اسماعيل .

ثم محافظا للاسكندرية من من ١٨٦٦/١/١٠ — ١٨٦٧/٩/١٦ .

ثم عضوا بالمجلس المخصوص فى مايو سنة ١٨٦٨ . ثم محافظا لمصر من ١٨٧٠/٢/٢ — ١٨٧٠/٩/٨ .

ثم محافظا للاسكندرية من ١٨٧٠/١١/٢٧ — ١٨٧١/٦/٢٥ .

ثم ثانية محافظا للاسكندرية من ١٨٧٢/٨/٥ — ١٨٧٣/٨/٢٨ .

ثم محافظا لمصر من ١٨٧٣/١٢/٢٨ — ١٨٧٥/٦/١٤ . ثم ثالثة محافظا لمصر من ١٨٧٧/٦/١٥ — ١٨٧٨/٤/١٩

ثم رئيسا لمجلس شورى النواب ، ثم ناظرا للخارجية من ١٨٧٩/٣/٢٦ — ٦ أبريل من نفس السنة وهذا فى الوزارة التى كان يرأسها توفيق ابن الخديوى اسماعيل (٢) . ثم ناظرا

---

( ١ ) كان مجلس الاحكام قد الغى فى آخر سنة ١٢٧١ هـ ثم اعيد فى غرة ربيع الاول سنة ١٢٧٣ برئاسة اسماعيل باشا فى عهد سعيد باشا . واستقال اسماعيل باشا من رئاسته فى غرة رمضان ١٢٧٣ هـ

( ٢ ) فى أواخر عهد اسماعيل سقطت وزارة نوبار باشا وتشكلت اخرى برئاسة ابنه محمد توفيق فى فبراير سنة ١٨٧٩ ولم تمكث طويلا فقد سقطت وتولى محمد باشا شريف رئاسة الوزارة فى ١٨٧٩/٣/٢٩

للحقانية (العدل) من ١٨٧٩/٨/٩ــ ١٨٧٩/٩/٩ • ثم ثالثة محافظا للاسكندرية من٢٦/٩/١٨٧٩ لغاية ١٣/٧/١٨٨٠ م •

ويفهم من وصف على مبارك لزاوية الكازروني السابق ذكرها • والتي كانت معروفة بزاوية المشتهى أن شرقى الزاوية المذكورة سراى وبستان لاسماعيل باشا • ومعنى هذا أن أرض على باشا ذى الفقار لم تكن واصلة شرقا للفرع الشرقى للنيل • ولعلها كانت من محطة الأوتوبيس بشارع المنيل المعروفة بمحطة الباشا جنوبا حتى الحى المعروف بالغمراوى شمالا •

وكان هناك شارع اسمه شارع نابليون يبدأ من محطة الباشا ويتجه شرقا • وقد تغير اسمه الى شارع على باشا ذى الفقار • وامتداده أيضا بالجانب الغربى من شارع المنيل اسمه أيضا شارع ذى الفقار • وشمالا من الأخير بقليل شارع باسم سعيد باشا ذى الفقار • الذى كان كبير الأمناء فى عهد الملكية الملغاة •

واطلاق اسم نابليون هناك لمناسبة سنذكرها عند الكلام على جامع قايتباى باذن الله •

ويعتقد أن سراى وبستان اسماعيل باشا المذكورين كانا ممتدين شمالا حتى موقع قصر محمد على توفيق الذى أصبح الآن متحف المنيل • وشمالا منه كان البستان الذى أنشأه ابراهيم باشا وسبق ذكره •

### حى الغمراوى :

هذا الحى منسوب لعائلة الغمراوى من محافظة بنى سويف • وكان لأحدهم فيلا على شارع المنيل مكانها الآن العمارة التى تحتها مطعم فولى جود للساندويتشات •

ومن أفراد أسرة الغمراوى المرحوم مصطفى بك الغمراوى الذى تبرع بمبلغ ٥٠٠ جنيه لانشاء الجامعة المصرية سنة ١٩٠٦ وكان اسمه بالقائمة الأولى للتبرعات (١) •

---

(١) جامعة القاهرة للدكتور خليل صابات . دائرة معارف الشعب المجلد الرابع ص ٦٥٠ وما بعدها .

هذا عن الجانب الشرقى للجزيرة.

أما الجانب الغربى فقد ذكر على باشا مبارك أن شمال قصر حسن باشا المناسترلى كانت سراى وبستان أمين باشا .

**محمد أمين باشا :**

وما وصلت اليه من ترجمته أنه كان مديرا للجهادية من ١٨٥٠/٢/١ ـ ١٨٥٤/١٠/٢٠ ثم عضوا بمجلس الأحكام من ١٨٥٥/١٠/١٥ . ثم محافظا لمصر من ١٨٥٩/٥/٤ ـ ١٨٦٠/١٢/١٦ ثم رئيس مجلس الاسكندرية فى ١٨٦٣/١/٢٠ بأمر اسماعيل ( اسماعيل باشا تولى فى ١٨٦٣/١/١٧ ) ثم أمين بيت المال من ١٨٦٤/١/١١ ـ ١٨٦٤/٤/٨ . ثم رئيس مجلس استئناف الاسكندرية سنة ١٨٦٤ . ثم محافظا لمصر من ١٨٦٨/٤/١٤ ـ ١٨٦٩/٤/٢٩

ويبدو أن أرض أمين باشا كانت ممتدة شرقا حتى جامع الريس المعروف الآن بزاوية الكازرونى . فقد ذكر على مبارك أن بيته كان شمال هذه الزاوية بحوالى ٢٥٠ مترا .

وشمال أرض أمين باشا كانت أرض حسين باشا يكن . أو يجن كما يذكره على مبارك . ثم أرض على باشا شريف السابق ذكرها . ثم أرض للخديوى اسماعيل . ثم أرض أحمد باشا المنكلى .

**احمد باشا المنكلى :**

حضر لمصر سنة ١٨٣٦ م فى عهد محمد على . وعينه وكيلا للجهادية فى ١٨٣٧/٢/٢ . ثم حكمدارا على جبال الذهب بالسودان سنة ١٨٤٣ . ثم مأمورا لاستكشاف المعادن بالسودان سنة ١٨٤٤ . ثم رئيسا للمجلس العسكرى سنة ١٨٤٩ . ثم عضوا بالمجلس المخصوص فى عهد عباس الأول وأيضا فى عهد سعيد سنة ١٨٥٤ عند سفر سعيد لاستانبول .

وبعد أرض أحمد باشا المنكلى شمالا منها كان بستان ومنزل ورثة خليل بك .

**خليل بك :**

كان محافظا لدمياط فى عهد محمد على • ثم عضوا بمجلس الشورى سنة ١٨٢٩ م •

ونذكر أنه لما أراد محمد على أن ينظم جيشا من المصريين ليكون عدته فى مقاومة الحامية العثمانية ويعزز طموحه للتوسع • فقد كلف مديرى المديريات القبلية بانتخاب بضعة آلاف من أولاد الفلاحين الأقوياء • وكلف الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) بتدريبهم على الأعمال العسكرية • فقام بهذه المأمورية فى أسوان • ولما تم تدريبهم حضر بهم الى مصر • وأمر محمد على بأن يطوف الجيش الجديد بالأقاليم فى احتفالات مناسبة •

وذهب أحد الآلايات ( الفرق ) الى دمياط • ففى محفل العرض العسكرى تفوه ناظر السلخانة هناك بعبارات غير لائقة وقال : ( صاروا الفلاحين العمى عساكر!! مهما كانوا لا يكونون مثل عساكرنا الترك ) • وبلغ محمد على ذلك فأرسل الى الى خليل بك فى ١٨٢٩/٧/١٣ يأمره بضرب ناظر السلخانة ١٠٠ نبوت على اليته • وينفى • وان عاد يصلب (١) •

**قرية المنيل وحى الهلباوى :**

وشمال أرض ورثة خليل بك كانت القرية المعروفة بالمنيل • وموقعها الآن تقريبا الحى المعروف بالهلباوى نسبة الى ابراهيم بك الهلباوى المحامى الشهير فى أوائل هذا القرن • فقد كان بيته هناك • ويوجد الآن شارع باسمه فى الحى المذكور • وكانت ابنته تقيم هناك لغاية أواخر الأربعينات • فقد زرتها سنة ١٩٥٠ فى أثناء بحثى عن شقة للسكن • وأخبرتنى أن الأمير محمد على توفيق كان يتردد كثيرا على والدها بحكم الجوار •

وشمالا من قرية المنيل كانت أرض أخرى لأحمد باشا المنكلى • وكان بيته بجوار مسجد الدرينى الآتى ذكره باذن الله •

وبعد ذلك فى شمال الجزيرة كانت أرض وقصر قاسم باشا •

(١) تقويم النيل ج ٢ ص ٣٤٥

**قاسم باشا :**

كان مديـرا لمديـرية روضـة البحـرين(١) ( المنوفيـة والغربيـة تقـريبا ) من ١٨/١٢/١٨٦٠ — ٢٦/١٠/١٨٦٢ • ثم أحيـل لمجلس الأحـكام للتحقيـق معـه • ثـم عين مديرا للغربية فى ٢/٢/١٨٦٣ • ثم ناظرا لدائرة اسـماعيل الخاصـة فى ١١/٣/١٨٦٣ حيث أنعم عليـه برتبة الفريق فى ١٤ منه • ثم مفتشا للوجه القبلى فى ١٩/٥/١٨٦٥ — ٢٢ منه • ثم عاد لنظـارة الخاصـة ثم ناظرا للجهادية من ٢٩/١١/١٨٧٠ الى ٣٠/٩/١٨٧٣ • ثم محافظ مصر من ١٢/٦/١٨٧٤ — ١٤/٦/١٨٧٥ ثم مفتش عمـوم الأقاليم القبلية من ٢/١١/١٨٧٥ — ١٤/٦/١٨٧٧ • ثم محافظ مصر من ١٥/٦/١٨٧٧— ١٩/٤/١٨٧٩ •

وكان شـمال أرض قاسم باشـا طريق يصـل الى الفـرع الشرقى للنيل • وكان مظللا بالأشجار وهذا قريب من موقع الطريق الحالى بين كوبرى الجامعة وكوبرى محمد على•

وشمال هذا بستان ابراهيم باشا السابق ذكره •

**جوامع الروضة :**

بجـزيرة الروضـة عدد كبير من الجوامع والمساجد والزوايا بعضـها قديم وبعضها حديث وقد يبلغ عددها ما يقرب من الثلاثين • ولا يتسـع المقام هنا لذكـرها جميعا • فنذكر منها أهمها من الناحية التاريخية •

وقد ذكـرنا جامع الريس الذى أصـبح مكانه زاوية أبى يزيـد البسـطامى • كما ذكرنا زاوية المشتهى التى أصبح مكانها زاوية الكازرونى وأزيلت عنـد امتـداد شـارع قايتـباى • وذكـرنا جامع المقياس الذى هـدمه حسن باشـا المناسترلى وأنشأ مكانه جامعا صغيرا دفن فيه •

---

( ١ ) الغيت هذه المديرية فى ٢/٢/١٨٦٣ بعد وفاة سعيد باشا •

وأقدم الجوامع الباقية للآن بجزيرة الروضة جامع غين ومحله الآن زاوية الأباريقى بأرض شريف باشا بالقرب من مكتب بريد الملك الصالح .

**جامع غين او زاوية الاباريقى :**

وغين المنسوب له هذا الجامع كان أحد خدام الحاكم بأمر الله الفاطمى (٣٨٦ــ٤١١هـ = ٩٩٦ــ١٠٢٠م).

وظلت الخطبة بهذا الجامع الى أن عمر جامع المقياس فبطلت منه .

وكان الناس فى صدر الاسلام يفضلون الصلاة بجامع عمرو بالفسطاط . لأن الوالى كان يؤم المصلين بنفسه . وازداد عمران جزيرة الروضة فى عهد بنى طولون وبنى الأخشيد . فوجد الناس مشقة فى عبور النيل الى الفسطاط . فأنشأ غين المذكور هذا الجامع فى صدر الدولة الفاطمية . ثم انقطعت الخطبة منه بانشاء جامع المقياس .

ولما أنشأ الصاحب بهاء الدين ابن حِنّا (١) منظرته بالكوم الأحمر بالقرب من فم الخليج تجاه جزيرة الروضة فى عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨ ــ ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ــ١٢٧٧م) حسّن للظاهر اعادة الخطبة لهذا الجامع . وصادف هذا الطلب هوى فى نفس الظاهر بيبرس . فقد ذكرنا اهتمامه بتجديد قلعة الروضة . فأمر سنة ٦٦٠ هـ باعادة الخطبة اليه مع استمرارها أيضا بجامع المقياس .

ثم تهدم الجامع المذكور وظلت منه بقية تعرف الآن بزاوية الأباريقى وبها ضريحه .

**ترجمة غين :**

وغين المذكور ارتفع شأنه فى عهد الحاكم بأمر الله فوصله بالخلع والهدايا وكثير من المال . ولقبه سنة ٤٠٢ بقائد القواد . وقلده الحسبة والشرطتين بمصر والقاهرة والجيزة وكلفه بالتشديد فى مراقبة المحظورات التى قررها الحاكم بأمر الله من عمل الفقاع . وأكل الملوخية . والسمك الذى لا قشر له . والملاهى بأنواعها

---

(١) سبق ذكره فى أول الفصل الثالث من القسم الثانى .

وحضور النساء فى الجنائز . وبيع العسل الا اذا كان أقل من ثلاثة أرطال ولمن لا يظن أنه يتخذه مسكرا وغيرها من المحظورات .

واستمر غين فى منزلته العالية حتى سنة ٤٠٤ هـ فصرفه الحاكم عن الحسبة والشرطتين .

وكان لغين كاتب اسمه على الجرجانى . كان أصلا بخدمة ست الملك أخت الحاكم فانتقل الى خدمة غين فغضبت عليه . فكتب اليها يستعطفها . وذكر فى رسالته شيئا من الأسرار التى وقف عليها أثناء خدمتها . فتشككت فى أمره . وخافت أن يكون دسيسة عليها . فأرسلت كتابه الى الحاكم بأمر الله . فغضب عليه وأمر بقطع يديه .

وقيل سبب آخر لقطع يدى الجرجانى المذكور . أنه كانت ترد الرقاع من أنحاء الدولة من صاحب الخبر للحاكم . فيستلمها غين من صاحب الخبر . ويسلمها الى كاتبه الجرجانى ليتحين فرصة فيسلمها للحاكم بأمر الله . وكان الجرجانى يفض هذه الرسائل ويطلع على مافيها ثم يعيد ختمها . فاطلع فى احداها على خبر يمس سيده بسوء . فقطع من الرسالة ذلك الخبر وأصلح موضعه . وعلم بذلك صاحب الخبر . فطلب مقابلة الحاكم وأطلعه على ذلك . فأمر بقطع يدى الجرجانى .

وبعد ذلك بخمسة عشر يوما أمر الحاكم بقطع يد غين الأخرى . وكان قبل ذلك بثلاث سنين أمر بقطع يده الأولى . فأصبح غين مقطوع اليدين .

ولما قطعت يد غين حملوها الى الحاكم فى طبق . فأرسل اليه الأطباء ووصله بمبلغ كبير من الذهب وبعدد من أسفاط الثياب . وأمر رجال الدولة أن يعودوه .

وبعد ذلك بعشرة أيام أمر بقطع لسانه . فقطع . وحمل الى الحاكم . فأمر أيضا الأطباء بعلاجه ولكنه مات [1] .

---

(١) خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٩٧ ، الخطط التوفيقية ج ١٨ ص ١٢

**جامع قايتباى :**

ذكر على باشا مبارك (١) نقلا عن السيوطى أنه ثالث جامع أقيم بالروضة . ويعنى أنه بعد جامع غين وجامع المقياس .

وهذا الجامع كان اسمه عند انشائه جامع الفخر نسبة الى منشئه فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش فى عهد الناصر محمد بن قلاوون حوالى سنة ٧٣٠ هـ ( ١٣٢٩ م ) . وكان فخر الدين أصلا نصرانيا وأسلم وحسن اسلامه وولاه الناصر شؤون المال فتسلط على الدولة بعفة وأمانة . وظل وراء الناصر حتى أقنعه بالغاء منصبى نيابة السلطنة والوزارة وأصبح الأمر كله بيد الفخر ناظر الجيش . ولما مات الفخر سنة ٧٣٢ هـ وله من العمر ما يزيد عن السبعين سنة ترك موجودا عظيما للغاية . أوصى منه بأربعمائة ألف درهم للناصر . ولكن طمع الناصر واستولى على مليون درهم من تركته . وقال الناصر عند ما بلغه موته : لعنه الله !! خمسة عشر عاما ما يدعنى أعمل ما أريد . وبعد وفاة الفخر استبد الناصر وكثر تسلطه على أموال الناس .

وصادره الناصر مرة فى مبلغ أربعمائة ألف درهم . ثم رضى عنه فأمر بردها اليه . فقال انى خرجت عنها للسلطان . فليبن بها جامعا . فبنى بها الناصر جامعه الذى عرف بالجامع الناصرى الجديد بالقرب من فم الخليج . وقد اندثر هذا الجامع .

وقال المقريزى : وأدركت ولد الفخر يتكفف الناس بعد مال لايحد كثرة (٢) .

ثم جدد هذا الجامع الصاحب شمس الدين المقسى الذى سبق أن ذكرنا أنه جدد جامع الحاكم بأمر الله الذى عرف فيما بعد باسم جامع أولاد عنان (٣) فأصبح اسم جامع الفخر جامع المقسى . ونسى اسم الفخر .

---

(١) ذكر على مبارك جامع قايتباى فى ثلاثة مواضع ج ٥ ص ٦٧ ، ٦٩ ، ج ١٨ ص ١٣

(٢) خطط المقريزى ج ٢ ص ٣١١

(٤) بشارع الجمهورية بالقرب من ميدان رمسيس وهدم أخيرا وأنشىء مكانه مسجد الفتح .

ثم جدد هذا الجامع السلطان قايتباى ( ٨٧٢ – ٩٠١ هـ = ١٤٦٧ – ١٤٩٥ م ) فى سنة ٨٨٠هـ فوسعه وعمله على شكل مدرسة • ثم فى سنة ٨٩١ زاده اتساعا • وبالغ فى الانفاق عليه فعرف بجامع قايتباى وجامع السلطان • ونسى اسما الفخر والمقسى •

ومما نقله على مبارك عن السيوطى أن قايتباى عمل فيه ناعورة (ساقية) على وضع غريب بحيث تدور بحمار ينقل قدميه وهو واقف من غير أن يمشى ولا يدور • وركب عليها طاحونا يدور بدورانها •

وكان هذا الجامع يعرف أيضا بجامع السيوطى لاقامة الشيخ جلال الدين السيوطى فيه أيام نزوله بالروضة •

وذكر الجبرتى فى حوادث سنة ١٢١٦ هـ ( ١٨٠١ م ) أن هذا الجامع احترق بسبب أن الفرنسيين كانوا يستعملون فى جنينة بجواره مكانا لصناعة وتخزين البارود • فصادف دخول رجل من الفلاحين ومعه غلام الى الجنينة المذكورة • ومعه قصبة يشرب بها الدخان • ففتح ظرفا من ظروف البارود والقصبة مشتعلة فى يده • فلحقت النار البارود فانفجر المكان • واحترق الجامع والرجل والغلام • وظلت النار بالجامع طول النهار • ثم جدد الجامع • ولا يزال باقيا للآن وهو من العمائر الاسلامية الجيدة الجديرة بالعناية بها ونظافة مجاوراتها وتسهيل الوصول اليها •

**شارع نابليون :**

ولعل مصنع البارود هذا فى زمن الفرنسيين هو ما دعا البلدية الى اطلاق اسم شارع نابليون على الشارع الذى أصبح اسمه الآن شارع على باشا ذى الفقار كما سبق ذكره •

**مسجد الدرينى :**

وبالجهة البحرية من الجزيرة غربى بستان ابراهيم باشا السابق ذكره يوجد مسجد الدرينى • وهو مسجد قديم غير معروف تاريخ انشائه • وقد جددته زوجة الهامى باشا بن

عباس حلمى الأول ( وهى والدة السيدة أمينة زوجة الخديوى توفيق التى عرفت بأم المحسنين . وكانت ممن أقيمت لهم أفراح الأنجال كما سبق ذكره عند الكلام على حى المنيرة .

وبالمسجد المذكور ضريح الأستاذ الشيخ عبد العزيز الدرينى !! وذكره على مبارك ( جـ ١١ ص ٧٢ وجـ١٨ ص ١٤ ) وذكره الشعرانى فى طبقاته (جـ ١ ص ٢٢٤) وقال عنه : الشيخ العابد الزاهد القدوة ذو الحالات الفاخرة والأحوال الشريفة والكرامات المشهورة والمصنفات الكثيرة فى التفسير والفقه واللغة والتصوف وغير ذلك . وله نظم كثير شائع . وكان العلماء يقصدونه لعلمه والناس يتجهون اليه للتبرك . ا هـ . وذكر عنه بعض الكرامات التى تخرج عن حد المعقول . وقال انه توفى سنة ٦٩٧ هـ ( ١٢٩٧ م ) وقبره بقرية ديرين يزوره الناس !! والجامع موجود للآن بالجزء الجنوبى الغربى من القصر العينى الجديد .

**جامع صلاح الدين :**

وغربى مسجد الدرينى يوجد جامع صلاح الدين أنشىء فى الخمسينات فى عهد الثورة ويطل على ميدان كوبرى الجامعة . وهو جامع فخم أنيق له مئذنتان . ويعتبر من تحف العمارة الاسلامية .

ونكتفى بهذا القدر عن الجوامع . ونحمد الله أن وفقنا فى كتابة ما ذكر عن جزيرة الروضة .

**محمد كمال السيد محمد**

# حسان الهند غلام على آزاد

للدكتور عبد المقصود محمد شلقامى

ليس من الجديد أن نتكلم عن حياة شاعر معين أو نقوم أعماله ولكن الجديد فى مقالنا هذا أن الشاعر الذى نريد الحديث عنه يمثل حلقة من تراثنا العربى خارج الوطن العربى ، ومما يزيد فى جدته ويلفت النظر اليه أن هذا التراث ما زال مغمورا لم يطلع عليه العرب من قبل، وسوف ترى قارئى اصالة وابتكارا وألوانا من البيئة والمتعة فى هذا الشاعر الذى هو واحد من جم غفير من شعراء العربية فى شبه القارة .

**اصله ومولده :**

هو غلام على آزاد بن نوح الحسينى الواسطى البلكرامى، ولد يوم الأحد ٢٥ من صفر ١١١٦/ ٣٠ يونيو ١٧٠٤ فى حى السادات ببلدة بلكرام من أعمال ولاية لكنئو بالهند، ويرجع نسبه الى زيد الشهيد ١٢٢/ ٧٣٩ ابن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب ،ونظرا الى اضطهاد الأمويين للعلويين فقد هاجر كثير منهم الى بلاد الهند واستوطنوها .

وتذكر المراجع أن أحد العلويين واسمه محمد على صغرى كان يعمل فى بلاط السلطان شمس الدين التتمش ( ايلتمش ) أحد سلاطين المماليك فى الهند والذى حكمها من ٦٠٧/ ١٢١١ الى ٦٣٣/ ١٢٣٥ فأمره هذا السلطان على حمله لتأديب حاكم بلكرام الهندى المتعصب ضد الاسلام فدارت معركة خارجها قتل فيها الراجا الهندى ودخل محمد على صغرى بلكرام فاتحا ٦١٤/ ١٢١٧ فعمرها وأقام بها ومن نسله شاعرنا غلام على آزاد .

كانت أسرة آزاد تحرص على تربية أبنائها تربية دينية عربية ولذا فقد خرجت هذه الأسرة فى بلكرام شيوخا ذاع صيتهم وانتشر نذكر منهم على سبيل المثال: السيد مرتضى

الزبيدى ــ من أبناء عمومة شاعرنا آزاد ومعاصره أيضا ــ صاحب تاج العروس ، واتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين وغيرهما من امهات الكتب وأحد أساتذة الجبرتى ، ومن هذه الأسرة أيضا الشيخ عبد الجليل البلكرامى ١١٣٨/١٧٣٥ جد شاعرنا الذى كان يجيد أربع لغات هى العربية والفارسية والتركية والهندية وله فيها أشعار قال عنه السيد على معصوم صاحب سلافة العصر : ما رأيت لهذا السيد بالهند نظيرا ، ونظرا لتفوقه فقد فوض اليه السلطان أورنك زيب عمل كاتب الوقائع وأمانة المال فى اقليم السند، ثم رغب فيه السلطان فرخسير عن هذا العمل فولاه لابنه محمد وجعل الشيخ من مستشاريه .

**نشأته :**

نشأ آزاد فى مهد العلم والتدين فتعلم القراءة والكتابة العربية ثم تلقى تعليمه الأولى على أيدى شيوخ أسرته ثم تولاه جده عبد الجليل سنة فى بلكرام وارتحل به الى العاصمة شاهجهان آباد فأقام معه فيها سنتين تعرف فيهما على حياة المدينة ودرس تفنيات أهلها وطريقة تعاملهم وتطلع بشغف الى مجالس العلماء وما يدور فيها ، وقد أدرك جده حسن استعداده وتوسم فيه خيرا فكان يقول: أرجو أن يبقى بك ذكرى من بعدى ، ثم أجازه ورجع الى بلكرام .

أخذ آزاد مكانه بين شباب القرية فى بلكرام يعلم الصغار ويتلقى عن الكبار ، وبعد ما يقرب من عشر سنوات من اجازته عن جده ارتحل الى اقليم سيوستان بالسند لزيارة خاله عامل المال وكاتب الوقائع فيها حيث أنابه خاله منابه ورجع الى بلكرام ليقيم بها سنتين ،ولأول وآخر مرة يتولى آزاد عملا رسميا منظما لمدة سنتين أثبت خلالها مقدرة وجدارة فى تصريف هذا العمل ، ثم رجع خاله فتولى عمله بنفسه .

**الرحلة المقدسة :**

لم تمض ثلاث سنوات بعد رجوعه من سيوستان بالسند حتى أخذه الشوق الى الأراضى المقدسة فخرج هائما على وجهه دون زاد أو راحلة ، ولم يعلم أهله بخرجه لهذا الأمر الا بعد يومين وحينئذ جدوا

فى البحث عنه وذهب أخوه غلام حسن الى مرحلتين أو ثلاث فلم يعثر له على أثر ، وفى هذا يقول آزاد :

هاج البكاء الى منازل رحمة
مسقية بالديمة الهطلاء

ما لاح من نحو الأبار بارق
الا وأذكى النار فى أحشائى

وجلست فى كد على بعد المدى
شتان بين الهند والزوراء

لوكنت أخبر جيرتى وعشيرتى
لتزاحموا بينى وبين رجائى

فخرجت عنهم خائفا مترقبا
شوقى أمامى والأناس ورائى

لولا اعانة جذبة نبوية
أصبحت فى يدهم من الأسراء

لكن لماذا لم يأخذ الزاد ويهيىء الراحلة؟ ولماذاحاول أهله اثناءهعلما بأن هذه رحلة يباركها كل مسلم؟ وتتلخص الاجابة فى أنهم كانوا يحتاجون اليه فى رعاية مصالحهم وتدبير أمور معاشهم ولو أنه أخذ الزاد وهيأ الراحلة لشكوا فى أمره وراقبوا سيره فحالوا بينه وبين مقصده .

اتخذ آزاد أول سفره طرقا غير مسلوكة فى الصحارى حتى لايقع فى قبضة الطالبين له من أهله ثم مال بعد أن أمن الى الطرق المعبدة، وقد لاقى فى سفره هذا نصبا وأنشأ أثناءه شعرابالفارسية وسماهالطلسم الأعظم ، ولما وصل الى بلدة «سرونج» من أعمال «مالوة» بالدكن كانت قدماه قد تورمتا واستحال السير عليهما فحملهجندى طيب القلب الى الأمير « آصفجاه » الذى كان يستعد لمعركة من معاركه المتتالية مع « المراهتا »(١) ولم يكن آزاد يرغب فى لقاء الملوك والأمراء غير أنه لما رأى عجزه عن مواصلة السير والابحار حضر مجلسه وأنشده بالفارسيه وطلبمنه أن يعينه على مواصلة الرحلة

---

(١) المرهتا : من القوميات الهندية القديمة تجمعوا فى أقصى جنوب الهند وكانوا دائما حربا على المسلمين وقد استفحلأمرهم فى أواخر عهد الدولة المغولية واستولوا على العاصمة دلهى أكثر من مرة .

الى الأراضى المقدسة فاستمهله الأمير ريثما تنجلى الحال ويعود الأمن فبقى فى جنده نحو شهريقول الشعر ليقوى به عزم المجاهدين ويشترك أحيانا فى الحرب كواحد منهم ومع الأسف فاتنا لم نعثر له على شعر عربى فى هذه المناسبة ، ولما عقد صلح بين آصف جاه والمراهتا حمله الأمير الى ميناء « سورت » ومنها ركب السفينة الى جدة فوصلها فى المحرم ١١٥١/ ١٧٣٨

نزل آزاد فى ميناء جده وكان موسم الحج قد انصرم فتوجه الى مكة واعتمر وأقام بها يوما واحدا ثم خرج الى المدينة المنورة فبلغها بعد شهر تقريبا ، وفى جوار المصطفى صلى الله عليه وسلم أقام آزاد ثمانية شهور تتلمذ أثناءها على الشيخ محمد حياة السندى ١١٥٨ /١٧٤٥ ونال منه اجازة الصحاح الست كما زار المشاهد النبويةوقبر حمزة بن عبد المطلب ، ولما اقترب موسم الحج ترخص من الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا :

عليك سلام الله يا أشرف الورى
لقد سال دمعى فى فراقك فانيا

وما أنا الا كالذى جاء منهلا
فذاق ولكن عاد ظمآن باكيا

وصل آزاد مكة فى شوال ١١٥١ /١٧٣٩ وأثناء انتظاره لموسم الحج تتلمذ على الشيخ عبد الوهاب الطنطاوى المحدث المصرى ، ولما انتهت مناسك حجه قصد الطائف وتفرج عليها وزار قبر الصحابى عبد الله بن عباس ثم ذهب الى جده وركب السفينة متجها الى الهند فى ٣ من جادى الأولى ١١٥٢/١٧٣٩ فتوقفت به فى مخا أربعة أيام زار خلالها الامام الصوفى على بن عمر الشاذلى وفى ٢٩ من الشهر نفسه وصلت السفينة الى ميناء«سورت» بالهند .

أقام آزاد خمسة شهور تقريبا فى ميناء سورت ثم ذهب الى «اورنك آباد » فاعتكف فى زاوية الشاه مسافر العد جوانى سبع سنوات خرج بعدها ليكون فى صحبة الأمير ناصر جنك الذى تولى حكم الدكن ١١٦١/١٧٤٨ بعد وفاة الأميرآصف

جاه ، وتنقل الشاعر بعد ذلك بين أرجاء الدكن ثم ألقى عصاه أخيرا فى أورنك آباد حيث مات بها سنة ١٧٨٥/٢٠٠٠

**شخصية الشاعر :**

كان آزاد يعجب بنفسه كثيرا ويفتخر على أمثاله من شعراء الهند فيقول :

آزاد أربى على الأقران ناطقة
والسحر بعد اليد البيضاء معزول

ويقول أيضا فى خاتمة الدفتر الأول من أرجوزة «مظهر البركات» :

بارك الله فيك ياآزاد
قد أرحت الأسماع بالانشاد
قد تجلى سناك بالهند
أين شمع سواك بالهند
أنت سيف مهند والله
للمعانى مجدد والله

بل انه يفتخر على الشعراء عامة حيث يقول :

أبدعت فى النظم طرزا طارفا عجبا
وصرت مشتهرا فى العرب والعجم
طالع دواوين قوم نظموا دررا
هل فى أولئك مثلى ناظم القوم

وقد أخذ عليه مولانا شبلى النعمانى : فقال : ان مثل هذا الفخر والتيه لايليق بالعلماء . أما مولانا عبد الحى الحسنى فقال: ان مؤلفات آزاد ممتعة ومقبولة ولم يتعرض للفخر والتيه .

والواقع أن الشاعر آزاد كان يعيش فى برج من العاج ينظر من خلاله الى الناس يدرجون على الأرض فعندما رجع من رحلة الحج ورأى ماحل بوطنه من خراب على يد نادر شاه سنة ١١٥٢/ ١٧٣٩ والمصائب التى توالت على الهند بعد ذلك هرب من هذا الواقع الأليم ليعتكف سبع سنوات فى زاوية باورنك آباد حتى اذا ابتسمت له الحياة بتولى صديقه ناصر جنك حكم الدكن هجر الزاوية ليكون فى صحبته ولايبرحه فى الظعن والاقامة، لقد كان شاعرنا يريد القمة ويسعى اليها .

وذكر صاحب «كل رعنا» أن آزاد بينما كان يمر بأحد الأسواق رأى شاله الذى كان قد ضاع منه أمام أحد التجار معروضا فهم أن يأخذه وسأل التاجر : ممن

أخذت هذا الشال ؟ فراوغ التاجر ولما أفهمه الشاعر أنه ملكه قدضاع منه أنكر عليه التاجر ورفض أن يقول شيئا الا أمام القاضى ولماعلم آزاد اصراره ترك التاجر والشال ومضى قائلا: أنا المدعى لكن لاأحب ولا يليق بى أن أقف أمام القاضى بجانب هذا السوقى .

ومع حبه للعظمة كان يترفع عن الصغائر : سأل بعض أصدقائه يوما أن يطلب من صديقه ناصر جنك منصبا فأبى وقال : مثل هذهالدنيا مثل نهر طالوت غرفة منه حلال والزيادة عليها حرام وفى هذايقول من أرجوزة مظهر البركات :

قال لى واحد من الخلصاء
عاقل كامل من الفضلاء
ان هذا الأمير يرعاكا
فى كمال الخلوص يهواكا
فاطلب من مراتب الدنيا
واكتسب من مناصب الدنيا
قلت يا ناصحا يكلفنى
مخلصا صادقا يعنفنى
عند من نستعين لاهوتا
هذه الدنيا نهر طالوتا
غرفة منه شربها مشروع
والزيادات شربها ممنوع

وكان آزاد عزيز النفس لايرضى بالهوان ولايقيم على ذل : أراد والده السيد نوح الحسينى وكان يعمل فى قصر الأمير شاهنوازحاكم ولاية « اله آباد »من قبل السلطان محمد شاه أن يحصل له ولأخيه غلام حسن على وظيفتين فى القصر الذى يعمل فيه فأخذهما الىرئيس الحاشية وأوصى بهما ثم انصرفالى عمله غير أن رئيس الحاشية تشاغل عنهما بالتوقيع على أوراق كثيرة وطال وقوفهما دون أن يلتفت اليهما فأخذت آزاد العزة وقال : ان الرجوع الى الخالق أفضل من الوقوف على باب مخلوق وخرج بدون استئذان فسأله الحاجب : الى أين ياهذا ؟ فأجابه آزاد : الى البيت . قال الحاجب : هذه فرصتك الوحيدة وانجئت ثانيا فلم يسمح لك فلم يعره آزاد اهتماما وذهب الأخوان الى البيت وتركا العمل فى القصر .

وكان شاعرنا سريع التفكير سديد الرأى حاضر الجواب : اجتمع مجلس من العلماء والشعراء

يوما فى حضرة الأمير ناصر جنك فأنشد أحدهم بيتا لميرزا صائب :

أهل كمال رالب اظهار خامشىاست
منت بذير ماه تمام هلال نسيت

ومعنى البيت فى الظاهر أن أهل الكمال صمتهم بيان لايحتاج الى تفسير كالبدر لايستمد نوره من الهلال لكن وقع الاختلاف فى المقصود بماه تمام ( البدر ) اذ ما المناسبة بين أهل الكمال وبين البدر ؟ وبينما المناقشة تدور فى قوة اذ ابتدأ آزاد يقول : ليس المقصود من ماه تمام البدر وانما يراد به هنا الشهر الكامل والمعنى على هذا أن أهل الكمال سكوتهم لايحتاج الى تفسير كمثل الشهر القمرى اذا أتم ثلاثين يوما لايحتاج الناس معه الى رؤية الهلال وبهذا حسم آزاد المناقشة وأقنع الحاضرين .

**مدح الملوك والأمراء :**

يقول آزاد بعد أن مدح صديقه ناصر جنك وما نظمت قط فى مدح غنى الا هذين البيتين . غير أن آزاد يبالغ فى هذه الدعوى فقد سبق أن عرفنا فى رحلة الحج أنه مدح الأمير آصف جاه كما قرأنا له فى سبحة المرجان قوله :

يأيها الملك الرفيع جنابه
لم يلف فى كل الورى لك ثان
ظل لرب العرش أنت وظاهر
أن لا يكون لواحد ظلان

وقوله :

ان فاق أعصار الملوك زمانه
فالعيد ممتاز عن الأيام

واذا كان آزاد قد أورد هذه الأبيات ولم يشر الى الغرض الذى قيلت فيه فان معناها يجزم بأنها فى مدح ملك أو أكثر ، والذى يمكن أن نطمئن اليه هو أن آزاد لم يجعل مدح الملوك والأغنياء وسيلة للتقرب والزلفى أو كسب المال ، ولهذا خلت دواوينه من مديح الملوك والأغنياء الاماندر من بيت أو بيتين ولاعتبارات غير التكسب والزلفى .

**اعمال الشاعر :**

أجاد آزاد ثلاث لغات هى الفارسية والعربية والهندية وله فى الأولى والثانية شعر وتصنيف فله فى الفارسية ديوان شعر يبلغ ٩٠٠٠ بيت ومؤلفات لماتزل مرجع الباحثين فى شبه القارة مثل : مآثر الكرام فى تاريخ بلكرام طبع فى حيدر آباد

بالدكن ١٩١٠م ، خزانة عامرة طبع فى لكنئو ، سرو آزاد طبع بالدكن أيضا ١٩١٣ ، يد بيضاء ، روضة الأولياء ، سند السعادات فى حسن خاتمة السادات ، غزلان الهند ، كشكول ، مآثر الأمراء ، أنيس المحققين .

أما مؤلفاته العربية فهى كمايلى:

١ - ضوء الدرارى شرح صحيح البخارى كتبه عندما كان بالأراضى المقدسة ولم يتممه اذ وقف به عند آخر كتاب الزكاة وهو شرح ممزوج بالمتن ملخص من القسطلانى .

٢ - سبحة المرجان فى آثار هندستان : طبع فى بمباى ١٣٠٣هـ وهذا الكتاب مشهور بين العرب والعجم ويشتمل على أربعة فصول الأول فى مكانة الهند من خلال الأحاديث والتفاسير القرآنية ، والثانى تراجم لعلماء وأدباء الهند ممن لهم آثار من علم وأدب وهو فى هذا يعد صاحب فضل السبق اذ لم يكتب أحد قبله تراجم لعلماء الهند ورجالها ، ولما يزل هذا الفصل مرجعا للباحثين ، والفصل الثالث فى المحسنات البديعية : محسنات نقلها الى العربية عن الهندية ، وأخرى اخترعها بنفسه ، وثالثة فى نوع من البديع سماه «أبو قلمون» بأنواعه ورابعة فى حسن التخلص ، وأخيرا فى بيان العشاق والمعشوقات وأحوالهم ونفسياتهم .

٣ - شفاء العليل : رسالة صغيرة فى اصلاح أخطاء المتنبى شعرا اعتمد فيها على شرح الواحدى .

٤ - تسلية الفؤاد فى قصائد آزاد : لم نعثر على هذا الكتاب ويبدو أنه مفقود .

٥ - الشجرة الطيبة : فى أنساب السادة من أهل بلكرام .

٦ - مرآة الجمال : قصيدة نونية تبلغ ١٠٥ أبيات فى وصف أعضاء المعشوقة من الرأس الى القدم وله عليها شرح .

٧ - أرج الصبا فى مدح المصطفى: مجموعة قصائده التى مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم فى

الدواوين المختلفة جمعها فى مجلد واحد .

٩ ــ الديوان العربى : لآزاد شعر كثير فمنه مرآة الجمال ، ومنه ما أنشأه عند تأليف سبحة المرجان وله غير ذلك عشرة دواوين وأرجوزة أسماها مظهر البركات وقد أحصينا أشعاره بما يبلغ أكثر من سبعة عشر ألف بيت .

وعندما أتم الدواوين السبعة الأولى جمعها فى مجلد واحد سماه السبع السيارة وقد رأيت مخطوطتين له فى ندوة العلماء يلكنؤ فى صفحات كبيرة وقد كتب على آخر صفحة من احداهما الرقم ٨١٦ كما توجد مخطوطة للسبع السيارة فى رامبور ناقصة الطرفين صفحاتها ٣٩٨ وقد طبعت مختارات من الدواوين الثلاثة الأولى فى الدكن ١١٨٧ كما طبعت أيضا مختارات السبع السيارة ، ويمتاز الديوان الرابع والخامس فى أن أولهما قد نظمه الشاعر مردفا والثانى مستزادا على طريقة الفرس. أما الديوان الثامن فتوجد له مخطوطة فى مكتبة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ضمن مجموعة عارف أفندى كما توجد فى مكتبة آزاد بجامعة عليكره بالهند مخطوطات الديوان الثامن والتاسع والعاشر الا أنها مخطوطات ناقصة متآكلة الأوراق بخلاف المخطوطة الموجودة فى الندوة لهذه الدواوين الثلاثة الأخيرة حيث توجد فى حالة جيدة وتمتاز بالكمال ووضوح الخط وسلامة الأوراق .

أما أرجوزة مظهر البركات فهى مجموعة قصص صوفية واجتماعية تقع فى سبعة فصول أصغرها يتكون من خمس عشرة حكاية ومعظمها ضمن ذلك .

**حسان الهند :**

أعجب كثير من علماء الهند وأدبائها بشعر آزاد ومديحه النبوى فأضفوا عليه لقب « حسان الهند » تكريما له واعترافا بمنزلته فيهم لكن هل يستحق آزاد هذا اللقب ؟ وهل هناك وجه يشترك فيه مع شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان ابن ثابت الأنصارى ؟ والواقع أن آزاد قد اشترك مع حسان بن ثابت فاذا كان الأخير قد دافع عن الدعوة

الإسلامية ومدح صاحبها فان آزاد قد اقتفى أثره وأكثر فى المديح وان لم يبلغ مبلغ حسان اجادة وشمولا ، واذا كان الفرس قد أطلقوا لقب حسان العجم على شاعرهم الخاقانى (١) وتعارفوا على ذلك فان آزاد بلا شك يستحق لقب حسان الهند فى نظر أهلها على الأقل بل ان مما يؤيد استحقاقه وجدارته بهذا اللقب فى رأينا أنه أنشأ مديحه النبوى فى اللغة العربية والفارسية بخلاف الخاقانى الذى أنشأه بالفارسية دون سواها •

وقد ثارت معارك أدبية فى الهند ضد أعمال آزاد نذكر من هؤلاء من قام بالاعتراض على شعره العربى وهو محمد باقر آكاه ـ شاعر ومصنف هندى ـ الذى ألف « جهارصد ايراد بركلام آزاد » أى أربعمائة اعتراض على كلام آزاد ، واذا كان أزاد قد رد بنفسه على كثير من هذه الانتقادات فانه لم يعدم المؤيدين له لذلك نجد صاحب « تذكرة ككزار أعظم » لم يذكر من هذه الاعتراضات الأربعمائة سوى أربعة مظهرا عدم الرضا عن آكاه ، وفى رأينا أن معظم هذه الاعتراضات لم يكن مبعثه الفن للفن وانما دافعه شخص يحاول الهدم بتصيد الأخطاء حينا وافتعالها أخرى ومن ذلك تغييره لبعض أبيات آزاد بزيادة حرف أو حذفه حتى يجد مندوحه مثل قول آزاد :

وصل وصد رأفة وقساوة
ما المبتغى من هذه الأوصاف

فيورده آكاه هكذا :

وصل وصد رأفة وقساوة
ما المبتغى لمن هذه الأوصاف

**آزار والعرب :**

كان آزاد كسائر المسلمين فى الهند يتطلع بعقله وقلبه وروحه الى

---

(١) هو أفضل الدين ابراهيم بن على الخاقانى الحقايقى الشروانى ولد ١١٢٦/٥٢٠ فى قرية دربند من قرى شروان وتوفى ١١٩٨/٥٩٥ ( فرهنك دانش وهنر ) .

الأراضى المقدسة ويتمنى أن يعيش فى بلاد العرب ويخاطب الناس بالعربية وقد مكث فى رحلة الحج بهذه الديار أكثر من سنة التقى خلالها بأئمة العرب المسلمين وعامتهم وقال الشعر أمامهم فاستحسنوه وشهدوا له بالسبق ، وعندما ألف سبحة المرجان أرسل نسخة منها الى امام مسقط فرد الامام بالجواب الآتى : من عبيد الله المتوكل عليه المعتصم بامام المسلمين أحمد بن سعيد بن محمد البوسعيدى (١) الى حضرة أوضح الأمة لسانا وأبرعهم بيانا وأحدسهم عقلا وأثبتهم نقلا الشيخ الأستاذ علامة الدهر وفريدة العصر آزاد الحسينى الواسطى البلكرامى ــ سلمه الله ــ أحيا رسوم الفصاحة بعد أن درست وعفت معالمها وأطلع شمسها بعد أن انكسفت وأجرى مياهها بعد أن غاضت وشيد أركانها بعد أن انهارت .. الخ ويشتمل الكتاب على ما يقرب من خمسين فقرة علاوة على أشعار .

ويقول زبيد أحمد فى كتابه اسهام الهند فى الأدب العربى : ان بعض قصائد آزاد الموحية وصلت الى علماء المدينة المنورة فاستحسنوها وأعجبوا بها ورفعوها هدية الى الحرم النبوى ويقول الشيخ عبد العلى البحرينى فيما يورده له صاحب كل رعنا لجهمى نراين : والله لو ادعى النبوة فى الهند صاحب هذا الديوان ــ يشير الى ديوان آزاد ــ لسمعت دعواه .

د . عبد المقصود شلقامى

---

(١) مؤسس الدولة اليوسعيدية المعاصرة فى عمان .

# أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٢٦١ – ويقولون للقائم : اجلس كما يفعل المدرسون مع تلاميذهم ، والاختيار – على ما حكاه الخليل ابن أحمد – أن يقال لمن كان قائما : اقعد ، ولمن كان نائما أو ساجدا : اجلس ، وعلل بعضهم لذلك بأن القعود هو الانتقال من علو الى سفل ، ولهذا قيل لمن أصيب برجله: مقعد ، وأن الجلوس هو الانتقال من سفل الى علو ، ومنه سميت نجد جلسا لارتفاعها ، وقيل لمن أتاها جالس وقد جلس، ومنه قول عمر بن عبد العزيز للفرزدق :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها
ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس

أي اقصد الى نجد ما دمت تهمل أوامرى .

٢٦٢ – ويزعمون أن كلمة ريس بزنة كيس عامية ، لكثرة جريانها على ألسنة العامه ، والحق أنها عربية سليمة ، قال الكميت يمدح محمد بن سليمان الهاشمى :

تلقى الأمان على حياض محمد
تولاء مخرفة وذئب أطلس

لاذى تخاف ولا لهذا جرأة
تهدى الرعية ما استقام الريس

٢٦٣ – ويقولون : دخل اللص المنزل رغم حارسه ، والحق أن الرغم لا يستعمل – ان كان مضافا ، أو مقرونا بأل وبعده من – الا مع حرفين .

أحدهما على : فيقال : فعلت كذا على رغم فلان أو على رغم أنفه ، وذلك كناية عن الذل كأنه لصق بالتراب هوانا ، قال زهير :

فرد علينا العين من دون الفه
على رغمه يدمى نساء وفائله

ويقال كذلك : فعلت كذا على الرغم منه :

والحرف الآخر الباء ، كما فى قولك : فعلت كذا برغمه أو برغم أنفه كما فى قول أبى نواس :

رجعت الى العراق برغم أنفى
وفارقت الجزيرة والشآما

وقول مطيع بن اياس :

وبرغمى أن أصبحت لا تراها
العين منى وأصبحت لا ترانى

وقول المتنبى :

برغم شبيب فارق السيف كفه
وكانا على العلات يصطحبان

فان لم يكن مضافا ولا مقرونا بأل جاز أن يكون منصوبا على أنه حال أو مفعولا لأجله كما فى قولك : فعلت ذلك رغما أى كارها أو كرها .

٢٦٤ — ويقولون : صمنا الأيام البيض بنصب كلمة البيض على أنها نعت للأيام ، والصواب أن يقال : صمنا أيام البيض باضافة أيام الى البيض ، والكلام فيه حذف ، والتقدير صمنا أيام الليالى البيض ، وهى ليلة ثلاث عشرة ، وليلة أربع عشرة ، وليلة خمس عشرة ، وسميت هذه الليالى بالبيض لاستنارة جميعها بالقمر ، قال المطرزى : ومن فسرها بالأيام فقد أبعد .

٢٦٥ — ويخطئون حين يزعمون أن البنادرة هم الذين يقيمون فى المدن ، وأن واحدهم بندرى نسبة الى البندر ، والحق أن البندر والبندرى كلمتان عاميتان ، وأن البنادرة هم أولئك التجار الذين يخزنون البضائع التى يتجرون فيها ، ولا يبيعونها الا حين ترتفع أثمانها ، وأحدهم بندار بالضم وزان عثمان .

أما الذين يسكنون الحواضر فيسمون حضريين ، نسبة الى الحضر بالتحريك والحاضرة ، تقول : فلان من أهل الحضر والحاضرة ، وهو حضرى بين الحضارة ، كما يقال : فلان بدوى بين البداوة ، وهو بدوى يتحضر ، وغيره حضرى يتبدى .

والحضر والحاضرة ، والحضارة بالفتح والكسر ، خلاف البادية ، والحضارة بالفتح الاقامة فى الحضر ولك أن تقول : هم مدنيون ، كما تقول لسكان القرى قرويون، ولسكان الريف ريفيون ، ولسكان البوادى بدويون ، وتقول تبدى فلان اذا أقام بالبادية ، وتبادى اذا تشابه بأهل البادية .

٢٦٦ — ويقولون : فلان بطينى بكسر الياء وفتح الطاء وتشديد الياء ، يعنون أنه مفهوم كثير الأكل والصواب أن يوصف بأنه بطن وزان ضجر وهو من همه بطنه أو الرغيب لا ينتهى من الأكل أو يوصف بأنه مبطان بكسر الميم .

ويقال : بطن فلان بالبناء للمفعول اذا اعتل بطنه ، فهو مبطون ، والبطن بالتحريك داء البطن وعلته ، تقول : أصيب الولد بالبطن والبطن بالكسر والأشر والكظة بتشديد الظاء، ويقال: رجل مبطن وزان معظم اذا كان خميص البطن ضامرة ، ورجل بطين اذا كان عظيم البطن من كثرة ما أكل .

أما البطانة بكسر الباء فهى السريرة ، والصاحب ، وهى من الثوب خلاف ظهارته تقول : بطن الخياط ثوبى بطانة حسنة ، وبطائن ثيابنا الديباج .

ومن المجاز قولك : فلان فى بطنان الشباب بضم الباء اذا كان فى وسطه ، وتبطن الفلاح الكلأ اذا توسطه ، قالت الخنساء :

فجاء يتشر أصحابه
تبطنت يا قوم غيثا خصيبا

ويقال : فلان عريض البطان بكسر الباء اذا كان غنيا ،وزت به البطنة اذا أبطره الغنى .

٢٦٧ — ويقولون : مع فلان محفظته ثمينة يصون فيها دراهمه ودنانيره ، وكلمة محفظة غير عربية . والفصيح يقال لها حافظة لأنها تحفظ ما يكون فيها من الضياع ، أو يقال لها كيس الدراهم .

أما المحفظة مضمومة الميم بزنة اسم الفاعل فهى الحمية والغضب عند حفظ الجرمة تقول : ألك محفظة ؟

أى حرمة تحفظك وتغضبك ، جمعها محفظات كما فى قول القطامى .

أخوك الذى لا تملك الحس نفسه
وترفض (١) عند المحفظات الكتائف (٢)

ومثل المحفظة فى معنى الحمية الحفيظة جمعها الحفائظ ، تقول : هم الحفائظ والمحفظات ، وفى المثل « المقدرة تذهب الحفيظة » ويضرب فى وجوب العفو عند الاقتدار عليه قال الحطيئة :

يسوسون أحلاما بعيدا أناتها (٣)
وان غضبوا جاء الحفيظة والجد

٢٦٨ ــ ويقولون: فلان شاعر رقيق الوجدان ، ووجه الكلام أن يقال : هو رقيق الاحساس أو رقيق العاطفة، صادق الشعور ، واسع الخيال ، صافى القريحة ، بارع التصوير ، قوى التأثير .

أما الوجدان فهو مصدر لقولك : وجد فلان ضالته يجدها وجدانا ، ووجد عليه فى الغضب بكسر الجيم موجدة ووجدانا ، ومن هذا قول صخر الغى .

كلانا رد صاحبه بيأس
وتأنيب ووجدان شديد

وقد يستعمل الوجدان فى الوجد بضم الواو ، ومنه قول العرب :
وجدان الرقين (٤) يغطى أفن (٥) الأفين ، والمعنى أن اليسار يغطى ما يبدو على صاحبه من ضعف فى عقله .

والوجد بالضم هو اليسار والسعة ومنه قوله تعالى : « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » .

٢٦٩ ــ ويقولون للميت جنازة بكسر الجيم ، والفصيح ــ كما قال أبو على الدينورى ــ أن الجنازة

---

(١) ترفض : تتفرق .
(٢) الكتائف : الأحقاد .
(٣) الأناة : الحلم والوقار .
(٤) الرقين : الدرهم .
(٥) الأفن : ضعف العقل ونزقه ماخوذ من قولك : فنته الناقة اذا استنزف الحالب لبنها .

بالكسر هى السرير الذى يحمل عليه الميت ، ولا يقال له دون الميت جنازة وقال صاحب كتاب العين : الجنازة بالفتح هى الانسان الميت ، والشيء الذى ثقل على القوم واغتنموا به جنازة ، وأنشد لصخر •

وما كنت أخشى أن أكون جنازة
عليك ومن يغتر بالحدثان

٢٧٠ ــ ويقولون : هذا المشهد ملفت للنظر ، يعنون أنه معجب يأخذ بمجامع القلوب ، أو مؤلم يثير فى النفوس الحسرات ، وهذا التعبير معيرة لقائلة ، لأن كلمة ملفت اسم فاعل من فعل رباعى لم يرد عن العرب ، وانما الذى ورد عنها هو الثلاثى والخماسى ، على أنهما لا يؤديان المعنى الذى يبتغونه ، تقول : لفته يلفته لفتا من باب ضرب اذا لواه وصرفه ، وللفت ثلاث معان لا صلة لها بما يريدون •

١ ــ الصرف ، تقول : لفته عن رأيه اذا صرفه عنه ، ومنهقوله تعالى: « أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا » ومنه الالتفات كما فى قوله سبحانه : « ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك » أى ولا ينصرف منكم أحد ولا يتخلف الا امرأتك ، ومنه أيضا التلفت كما فى قوله :

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى
وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

٢ ــ الضرب ، تقول : الفلاح يلفت الماشية اذا ضربها لا يبالى أيها أصاب •

٣ ــ العطف كما فى قولك : لفت ردائى على عنقى اذا عطفته وثنيته •

٢٧١ ــ مما نشر خطأ فى صحيفة الأهرام قول أحد محرريها : قررت شركة السيارات ايقاف الحجز اعتبارا من يوم كذا ، وقد أعلمنا البنك الأهلى ومراسليه بذلك فى كافة

---

(١) الليت بكسر اللام : صفحة العنق •
(٢) الأخدع : شعبة من الوريد •

البلاد ، وفى هـذه العبارة على قلة كلماتها أربعة خطأ •

أحدها : أنه استعمل فى تعبيره مصدر الفعل الرباعى فقال : ايقاف ، مع أن علماء اللغة لم يستعملوا الرباعى الا فى قولهم أوقف فلان اذا سكت وأوقف عن الأمر اذا أمسك وأقلع وعن أبو عمر والكسائى أنه يقال للواقف : ما أوقفك ها هنا ؟ أى أى شىء حملك على الوقوف هنا ؟ والفصيح استعمال الثلاثى لازما ومتعديا تقول : وقفت الدابة وقفا ووقوفا ، ووقفها صاحبها ، ويؤيد ذلك قوله جل شأنه : « وقفوهم انهم مسئولون » وقوله : « ولو ترى اذا وقفوا على النار » •

والثانى : أنه قال : اعتبارا من يوم كذا ، والحق أن الاعتبار معناه الاتعاظ والتذكر كما فى قوله تعالى: « فاعتبروا يا أولى الأبصار » ومن معنى الاعتبار الاختبار والامتحان كما فى قوله : اعتبرت الدراهم فوجدتها ألفا ، وكذا التعجب كما فى قولك : اعتبرت من كذا اذا تعجبت وكان عليه أن يقول : قررت الشركة وقف الحجز ابتداء من يوم كذا •

والثالث : أنه قال ( البنك ) بفتح فسكون ، وهذه كلمة أعجمية عربيتها المصرف وزان المنزل اسم مكان من قولهم : صرف فلان الدراهم اذا باعها بدنانير ، وأصرفها من المصرف اذا اشتراها تقول : فلان صراف الدراهم ، وصيرف ، وصيرفى ، والجمع صيارفة ، والهاء فيه للنسبة وقد جاء فى الشعر صياريف •

وفى اللغة كلمة معربة هى البنك بضم فسكون وزان القفل ، ومعناها أصل الشىء أو خالصه ، والساعة من الليل ، تقول : مكثت على شاطىء البحر بنكا أى ساعة من الليل ، وتطلق أيضا على نوع من الطيب •

والرابع : أنه قال فى كافة البلاد باضافة كافة الى البلاد وهذا فاسد ، لأن كلمة كافة لا تضاف أبدا ، كما لا تدخلها أداة التعريف ، ولا تعرب فى أفصح الآراء الا حالا ، تقول : عاد الحجاج كافة أى جميعا ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : «وما أرسلناك الا كافة للناس »

وقوله: «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة» وقوله : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة» فكان عليه أن يقول : فى البلاد كافة.

وقال الأزهرى : ان كافة مصدر جاء على فاعلة كالعافية والعاقبة والباقية ،وهو منصوب على الحال.

وفى القاموس : وجاء الناس كافة أى كلهم ولا يقال : جاءت الكافة لأنه لا يدخلها أل ولا تضاف،وعاب النووى على الفقهاء فى التهذيب استعمالها بأل أو بالاضافة .

٢٧٢ ـ ويزعمون أن الفعل أنجب لا يستعمل الا لازما ، اعتمادا منهم على أن معاجم اللغةلم تذكره متعديا، ففى الأساس أنجب به أبواه ، وفيه قال الأعشى :

أنجب أيام والداه به
اذ نجلاه (١) فنعم ما نجلا

وفى المصباح أنجب انجابا ولد له ولد نجيب ، وفى القاموس : وأنجب ولد ولدا جبانا ضد ، وقد نجب ككرم نجابة وأنجب .

والحق أنه يتعدى الى المفعول به ، اذ ورد متعديا فى شعر حفص الأموى الشاعر الاسلامى الذى عاصر كثير عزة ، قال فى سباق أقامه هشام بن عبد الملك وحاز فيه فرسه قصب السبق :

ان الجواد السابق الامامْ
خليفة الله الرضى الهُمامْ

أنجبه السوابق الكرامْ
من منجبات مالهن ذامْ (٢)

وفى الأغانى ص ١٥ من الجزء الثالث عشر أن على بن الخليل وفد على يزيد بن مزيد الشيبانى وقد ولد له ولد ، فقال : أتسمع أيها الأمير تهنئة بالفارس الوارد ؟ فتبسم يزيد وقال هات ، فأنشده .

يزيد يابن الصِّيد (٣) من وائلٍ
أهل الرياسات وأهل المعالْ

(١) نجلاه : ولداه .
(٢) الذام : العيب .
(٣) الصيد : جمع اصيد وهو المزهو بنفسه .

يا خـــير من أنجبـــه والد
ليهنـك الفـارس ليث النزال

جاءت به غـرائر ميمونة"
والسعد يبدو فى طلوع الهلال

عليـه مـن معن ومـن وائل
سيما(١) تباشر وسيما جـلال

وفى مجمع الأمثال فى شرح المثل « أنجب من فاطمـة بنت الخرشب الأنمارية » .

ولا يقـولون منجبة حتى تنجب ثلاثة .

وقال المرحوم على الجارم فى حفل العيد المئوى لوزارة المعـارف على لسان المعارف .

أنجبت للبـلاد أبطـال عزم
هم دروع البلاد فى الأزمات

أنجبت كل عالم بهر الكو
ن بآيات علمـه البينـات

أنجبت كل شـاعر عبقرى
صادق الحس بارع اللفتات

٢٧٣ ـ ويقولون : هذا الرجل أخصائى فى فن الطب ، بفتح الهمزة وكسر الخاء وتشديد الصاد مفتوحة وهـذا غير سليم ، لأنه نسب الى كلمة أخصاء كأنه جمع خصيص ، كخيـل وأخـلاء والمفرد والجمع لا وجود لهما فى العربية .

والفصيح أن يقال اخصائى فى كذا بكسر الهمزة وسكون الخـاء نسبة الى مصدر أخصى الرجل اخصاء اذا قصر جهوده على تعلم علم واحـد واتقانه ، أو يقال متخصص فى كذا .

٢٧٤ ـ ويقولون للمتوسط : هو بين البينين ، والصواب أن يقال : هو بين بين ، أى بين الجيد والردىء ، قال عبيد بن الأبرص :

انا اذا عض الثقاف (٢)
برأس صعدتنا (٣) لوينا

---

(١) السيما : العـلامة .
(٢) الثقـاف : ماتسوى به الرماح .
(٣) الصعدة : القناة المستوية لا تحتاج الى تثقيف .

نحمى حقيقتنا وبعض
القوم يسقط بين بَيْنا

أى بين العالى والمنخفض ، وقد كان الأصل فى هذا الكلام أن يضاف بين ، فلما قطع عن الاضافة وضم أحد الموسمين الى الآخر ، وحذفت واو العطف المعترضة بينهما بنيا على الفتح كما بنى أحد عشر ، واختيرت له عند بنائه الفتحة لأنها أخف الحركات •

٢٧٥ ــ وكثير من الخاصة يوهمون حين يقولون : نضج الثمر أو اللحم نضوجا ، يعنون انه أدرك وطاب أكله ، وهذا التعبير مشوب بالخطأ ، لأن هذا الفعل ليس من باب دخل•والفصيح أن يقال : نضج الشىء من باب سمع نضجا بالفتح ، والاسم النضج بالضم ، والفاعل ناضج ونضيج ، تقول : هذا ابان نضج العنب وهو نضيج ، ومنضج بصيغة اسم المفعول من أنضجه الله ، ومن المجازقولك : فلان نضيج الرأى أى محكمه ، وتقول لابنك أنضج رأيك أى أحكمه •

٢٧٦ ــ وما ينبغى أن يعد من الأساليب الأجنبية التى استعملها الخاصة وصف التقبيل والقبلات بالحرارة ، وربما كان هذا الأسلوب من صنيع الانجليز ،ولايعلم ماذا يريدون بالحرارة فى قولهم : قبلات حارة ، أيريدون بها حرارة النفس والجوف ؟ أم يريدون بها المعنى المجازى ، فيعنون أن القبلات حارة أى لذيذة ، ولا جرم فان الحرارة والدفء كليهما مبعث اللذة والنعمة فى بلادهم الباردة ، كما أن البرودة والخضر مبعث النعمة واللذة فى بلاد العرب الحارة ومن ثم يقولون : أثلج الله صدره ووجه الكلام أن توصف القبلات باللذة أو المتعة فيقال : قبلات لذيذة أو ممتعة •

٢٧٧ ــ ويقولون لمن لايأتى النساء عجزا أولا يريدهن معنون ، والفصيح أن يقال له عنين وزان سكين ، تقول عنن فلان عن امرأته وآعن عنها بضمهما اذا حكم القاضى

عليه بذلك أو منع عنها بالسحر ، والاسم العنة بالضم ، وهى أيضا الحظيرة من الخشب .

أما المعنون فهو المجنون ، وكذلك هو المجبوس ، تقول : عننت الفرس أعنه من باب قتل اذا حبسته بعنانه فهو معنون والعنين وزان أمير هو من لايقدر على حبس ريح بطنه ، وأصل العنين مأخوذ من عن اذا اعترض ، فكأنه متعرض للنكاح ولكنه لايقدر عليه ، والعرب تسميه أيضا بالسريس وزان سمير ، قال أحد الشعراء .

ألا حييت عنا يا لميس (١)
علانية فقد بقى النسيس (٢)
رغبت اليك كيما تنكحينى
فقلت بأنه رجل سريس (٣)
ولو جربتنى فى ذاك يوما
رضيت وقلت أنت الدربيس (٤)

**عباس أبو السعود**

---

**القدوة :**

« ان نظرية مهما تبلغ من الصحة ودقة الفكر ، وان تعليما مهما يكن رائقا ويقع من الناس موقع الاعجاب ، وان هداية مهما تجمع من صنوف الخير ، كل أولئك لايغنى غناء ولا يثمر ثمرة ولا يبقى على الدهر الا اذا كان له من يمثله بعمله ، ويدعو اليه بأخلاقه وفضائله ، ويعرفه الى الناس بالقدوة والاسوة ، فيقتدى الناس بدعاية من طريق العمل بعد العلم ، معجبين بسجايا هؤلاء الدعاة معظمين لأخلاقهم مكرمين طهارة قلوبهم وزكاة نفوسهم وسجاحة اخلاقهم ورجاحة عقولهم وحصانة آرائهم وسداد أفكارهم » .

**سليمان الندوى فى الرسالة المحمدية**

---

(١) لميس : اسم امرأة .
(٢) النسيس : بقية الروح .
(٣) السريس : العنين .
(٤) الدربيس : الداهية .

# على هامش رحلة الإمام الأكبر إلى أندونيسيا

للدكتور رؤوف شلبي

**تمهيد :**

فى النصف الثانى من شهر شعبان سنة ١٣٩٦هـ الموافق للنصف الثانى من شهر أغسطس سنة ١٩٧٦م سافر الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الى الجزر الفسيحة الخضراء فى جنوب شرق آسيا المعروفة بأندونيسيا ..

تلبية لدعوة كريمة من حكومة

وكان سفر فضيلة الامام الأكبر

أندونيسيا ليشهد فضيلته مواكب احتفالات عيد الاستقلال الأندونيسى الذى أسهمت فيه الحركة الاسلامية بالجهود الأساسية وكانت مصر أول دولة تعترف بدولة اندونيسيا كدولة مستقلة ذات سيادة ، بل وكانت حركة التحرير الأندونيسى تنبع من صحن الأزهر حيث كان طلاب رواق جاوا يؤججون نشاطهم من رحاب الأزهر الشريف ..

بالاضافة الى هذا فقد كانت الدعوة الرسمية من حكومة أندونيسيا الى فضيلة الامام الأكبر لها جانب دينى هام هو : أن يتعرف الامام الأكبر على مستوى العمل الاسلامى الذى ترعاه الحكومة والذى تقوم به المؤسسات الاسلامية الشعبية على مقصد دقيق هو : أن تتعرف الحكومة والشعب الأندونيسى مدى انطباعات الامام الأكبر على ما يشاهده من معالم حضارية فى الثقافة وأسلوب العمل الاسلامى ، ولهذا كانت الرحلة شاقة وكانت الرحلة دقيقة وكانت عناية الله هى التى تسير الركب وتمنح اللفظ المعبر عن الحقيقة .

**جغرافية اندونيسيا**
**ودخول الاسلام اليها :**

وأندونيسيا هى أعظم جزر أرخبيل الملايو ، انها أعظم جزر الأرخبيل كثافة فى السكان ، والسكان المسلمين بالذات ، وأعظم من ناحية

الحجم والكم وأعظم من ناحية الثراء الاقتصادى وأعظم من ناحية موقعها الهام الذى يجعلها الأم بالنسبة لبقية جزر الأرخبيل الأخرى والتى يقطنها مسلمون هم فى أمس الحاجة الى حقوق الجوار الاسلامى من أمة الاسلام فى أندونيسيا العظيمة ..

وحسب البيان الذى وزعته الحكومة يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٧٦ فى الاحتفال بافتتاح الاتصال اللاسلكى عن طريق القمر الصناعى فان جزر أندونيسيا تبلغ : ١٣٫٦٧٧ جزيرة الآهل منها بالسكان عدده : ٦٫٠٤٤ جزيرة وتمتد جغرافيا من خط عرض ٦ شمالا الى خط عرض ١١ جنوبا ومن خط الطول ٩٥ الى خط ١٤١ شرقا ..

ومساحتها بالميل المربع ٧٣٥٠٠٠ ميل مربع .

وقد دخلها الاسلام فى القرن الأول الهجرى ــ يقول الدكتور : عبد الملك كريم ــ أمر الله الشهير بـ «همكا» ان الاسلام قد انتقل الى هذه البلاد فى القرن الأول الهجرى عام ٥٢هجرية فى عهد معاوية بن أبى سفيان ..

والذى يدل على ذلك أن اتصالا تجاريا بين العرب ومناطق جنوب شرقى آسيا كان موجودا قبل الاسلام ثم ازدهر فى القرن السابع الميلادى على نحو ما ذهب اليه فرنسيس داى الذى يقول : ان العرب والفارسيين كانوا يتخذون من موانى الهند مقرا للراحة وذلك منذ القرن السابع الميلادى .. وقد عثر الباحثون على مذكرات باللغة الصينية ثبت منها أنه فى عام ٦٨٤م كان هناك فى سومطرة الشمالية داعية من أصل عربى .

كما أن الحجاج بن يوسف الثقفى عامل العراق عام ٧١١/٧١٢ م قد أرسل جيشا الى بلاد الهندوستان لتأديب القراصنة الذين خطفوا مجموعة من بنات المسلمين اللاتى مات أباؤهن أو رحلن عن جزيرة ( سليون ) .. مما يفيد أن جزيرة

سيلون فى القرن السابع الميلادى كان فيها جماعات اسلامية (١) ..

ويمتاز دخول الاسلام الى هذه المنطقة بأنه دليل تاريخى قوى يكذب ما يدعيه المستشرقون من أن الاسلام انتشر بالسيف ، ولهذا كان فضيلة الامـام الأكبر يصر فى كثير من محاضراته على أن يستقـر فى ذهن الجـامعيين والمثقفين فى أندونيسيا أن بلادهم لها امتياز خاص فى التفكير الاسـلامى لأنها الدليل على كذب المستشرقين الذين يتهمون الاسلام بأنه انتشر بالسيف ..

**مع الامام الأكبر**
**فى رحلة العمل الشاقة :**

ان الذى يطلع على برنامج الزيارة الذى أعدته لجنة من وزارة الخارجية الأندونيسية مـع ادارة العـلاقات العـامة فى وزارة الشئون الدينيـة يحكم لأول وهلة أن هـذه الرحلة عصيبة وشـاقة ، فاذا مـا أضيف الى هـــذا تقـدير السن أحس الانسان بأن هذه الرحلة مضنية فانها لم تدع لحظة للراحة ولا فاصلا زمنيا يستريح فيه الجسم بين كثرة الأسفار بالطائرة بين الجزر .. ولولا عناية الله بالركب المخلص لدعوته لما كان فى الجسم حـول ولا طـول يواجه كثرة هذا العمل .

لقد وصل ركب الامام الاكبر الى جاكارتا عصر يـوم السبت ١٤ من أغسطس سنة ١٩٧٦ وكان فى استقباله السيد الدكتور عبد المعطى على وزير الشئون الدينية والدكتـور محمد ناصر ــ وكيل رابطة العالم الاسلامى ورئيس المجلس الأعـلى الأندونيسى للدعوة الاسلامية .

والدكتور همكـا ــ رئيس مجلس علماء أندونيسيا .

ومديرو الجامعات الاسلامية .. والسـفراء العرب ومعهم السـفير المصرى وجموع غفيرة أخـرى من رجال الأزهر هنـاك وكبـار رجال وزارة الخارجية والشئون الدينيـة والأئمة المسلمون .

ومنـذ وطئت الأقـــدام أرض أندونيسيا وقـد بـدأت الحـركة المتزاحمة السريعة .

---

(١) راجع كتاب تاريخ الأمة الاسلامية للدكتور همكا .
وراجع كتاب الاسلام فى أرخبيل الملايو للدكتور رءوف شلبى .

ويمكن القاء الضوء على هذه الرحلة المزدحمة بالأعمال فى هذه الركائز حسب الأماكن التى زارها الوفد .

**١ ـ فى جاكرتا :**

بدأت الرحلة بمحادثات بين الامام الأكبر شيخ الأزهر والوفد المرافق له وبين وزير الشئون الدينية والمشاركين معه من وزارة الخارجية والتربية والثقافة والبحث العلمى والشئون الدينية وكانت المباحثات فى قاعة من قاعات وزارة الخارجية الفخمة الرائعة التى لا تعدلها قاعة أخرى فى بلاد جنوب شرقى آسيا أو فى غيرها . وتناولت المباحثات :

* انشاء مركز اسلامى فى جاكارتا .
* زيادة عدد المبعوثين الأساتذة وخاصة الى الجامعات الاسلامية .
* زيادة المنح الدراسية .
* تبادل الكتب والمطبوعات .
* زيادة الروابط بين علماء أندونيسيا وعلماء الأزهر .

وجاءت ساعات عيد الاستقلال التى تبدأ يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٧٦ بخطاب فى البرلمان للرئيس سوهارتو ووضع مقعد للامام الأكبر فى مقدمة رجال السلك الدبلوماسى وأضيفت لأول مرة فى تاريخ البرلمان الأندونيسى الترجمة الفورية باللغة العربية ، وفى كلمة الافتتاح حيا الدكتور أدهم خالد رئيس البرلمان شيخ الأزهر وقابل أعضاء النواب المسلمين هذه التحية لفضيلة الامام الأكبر بالتصفيق الحاد اهتزت له القاعة ... وكأنما همس فى الآذان والصدور يردد لقد كان استقلال اندونيسيا ثمرة كفاح المسلمين ولعل شيخ الازهر جاء اليوم ليعيد الى الأذهان ذلكم النداء الذى طرد الاستعمار الهولندى واليابانى ذلكم النداء الاسلامى الصادر من أعماق القلب والفؤاد :

**الله أكبر . الله أكبر**

وكانت ساعات أثنس فيها المسلمون لحظة عيد استقلال اندونسيا بشيخ الأزهر وهو فى وقاره الرفيع، راح يسبح الله حمدا وشكرا على ماحققته الحركة الاسلامية لأندونيسيا من حرية واستقلال ... وكان

الرئيس سوهرتو من مقعده يتابع الامام الأكبر بنظراته ••• ثم استمر فى كل يوم يسأل عن أحوال الامام الأكبر ، ويستفسر عن رحلاته وصحته بعد أن اطلع على برنامج الرحلة فوجده ممتلئا زاخرا مزدحما بالأعمال والرحلات الطويلة بالسيارة ••• ووقع للشيخ المهيب وقار فى نفس الرئيس سوهرتو فأمر أن يوضع كرسى الشيخ فى احتفالات الاستقلال صباح غد ١٧ أغسطس سنة ١٩٧٦ فى القصر بحيث يأتنس الرئيس دائما بالنظر اليه طوال الاحتفال كما ذكر ذلك لى رئيس ادارة البروتوكول بالخارجية السيد : سوتادى •

وفى المساء بالقصر الجمهورى تبدل النظام لأول مرة حيث كان أول مهنىء بعيد الاستقلال هو الامام الأكبر يصحبه مترجما الدكتور وزير الشئون الدينية ، وجرى حديث بالفرنسية مع كثرة الحاضرين عن مصر والاسلام والمسجد الأقصى وفلسطين ••

وانطلقت حركة العمل : لقاء مع وزير التربية والثقافة عن التربية الاسلامية فى مدارس الحكومة الرسمية ، ومقابلة فى نفس اليوم لرئيس البرلمان الدكتور أدهم خالد وحديث طويل عن انشاء المركز الاسلامى ، والعلاقات الطويلة مع الأزهر •

ثم محاضرة طويلة فى جامعة اشريف هداية الله عن : ( موقف الاسلام من الحضارة ) ثم اجتماع مع العلماء وحديث عن : ( دور العلماء فى النهضة الحديثة ) •

كل ذلك فى الفترة من ١٥ الى ١٨ أغسطس سنة ١٩٧٦ ، وفى صباح الخميس ١٩ أغسطس سنة ١٩٧٦ طرنا الى جاوا الشرقية حيث جابها الركب مدينة مدينة استقبلت الامام الأكبر رسميا وشعبيا •• ومع طول الطريق من سورابايا الى جؤجاكارتا كان الامام الأكبر يلقى فى كل جامعة محاضرة •

وفى جاوا الشرقية والوسطى على مدى أربعة أيام ألقى الامام الأكبر هذه المحاضرات ففى جامعة سورابايا : ألقى محاضرة عن :

**الاسلام والقضايا المعاصرة**

حطم فيها مخطط الاستعمار ، ووضح المفاهيم المغلقة ، ودعا الى يقظة ترد العزيمة الى المجاهدين ...

وفى جامعة منبع العلوم : ألقى محاضرة عن :

**عناصر الدعوة وصفات الداعية**

وكانت توجيهات لأسلوب العمل الاسلامى ومواصفاته وحثا على اعداد نوع خاص من الدعاة ..

وفى مدينة مديون ألقى الامام الأكبر محاضرة فى مجلس العلماء عن :

« كيف يسهم العلماء مع الحكام فى النهضة الحديثة » .

بين فيها منزلة العالم ، وحكمة الحاكم وأن التوازن بينهما ينتج مجتمعا طيبا ... وحذر العلماء من التهاون فى شأن الشريعة وحذرهم من الخطر المحدق بالاسلام ..

وفى كوتتور بالمعهد العصرى تحدث فضيلته عن :

**شمول الهدف عند الداعية**
**وأهمية الأخلاق فى نشر الدعوة**

فحدد بذلك عدة مفاهيم عن الحرية والقومية ، والمذاهب والتيارات المعاصرة...ووضع على الطريق معالم للدعاة ..

وفى مجلس علماء جوجاكارتا وهى المدينة السياسية التى تشتهر بأنها عاصمة أندونيسيا القديمة ، ومنها كان كبار زعماء الحركة الاسلامية للاستقلال مثل البروفيسور المرحوم عبد القهار مذكر .. ألقى الامام الأكبر محاضرة عن :

**ميثاق الله على العلماء**
**أن يقيموا شريعته**

حمل العلماء مسئولية تطبيق الشريعة الاسلامية ، والعمل على ذلك باعداد جيل وبناء جماعات ، وتهيئة الجو السياسى والاجتماعى لذلك .

ـ ٣ ـ فى سومطرة .

وبالطائرة نعود الى جاكارتا مساء يوم الاثنين ٢٣ أغسطس سنة ١٩٧٦ لنرحل صباح الثلاثاء فى الساعة السادسة الى سومطرة ... جزيرة الثورة الاسلامية وخزينة الاقتصاد

الأندونيسى ففيها البترول والمطاط ، والحـديد والفحم والخشب ... والأرز والذرة ... الخ .

وفى سومطرة كانت الفترة وجيزة ولكنها كانت مجيدة فقد استقبل الامام الأكبر كما يستقبل رئيس أى دولة بالحرس وطوابير الشرف وزاد على ذلك أن طلاب الجامعة لحنوا نشيدا بعنوان : « مرحبا بك يا شيخ الأزهر » أنشدوه باللغتين العربية والأندونيسية وألقى الامام الأكبر فى يوم واحد عشناه فى ميدان بسومطرة الشمالية محاضرتين ..

الأولى : فى الجامعة الاسلامية عن :

**العلم والايمان ومنزلة العلماء**

والثانية : فى مجلس علماء سومطرة الشمالية عن :

**اللغة العربية لغة الاسلام**
**وواجب العلماء نحو نشرها**

وسافرنا فى اليوم الثانى بالطائرة الى سومطرة الغربية ، وبنفس المشاعر والحماس استقبل الركب الميمون وبنفس المستوى فى العمل والأداء ألقى الامام الأكبر فى يوم واحد محاضرتين :

الأولى : فى مجلس علماء سومطرة الغربية عن :

**نظريات الاستعمار فى الوطن الاسلامى**
**وكيف نجابهها**

الثانية : فى الجامعة الاسلامية عن :

**منهج الدعوة**
**وحاجتها الى العلم والعمل معا**

وفى ثنايا ذلك زار الامام الأكبر مؤسسة التربية الدينية للفتيات المسلمات أسستها احدى المتخرجات فى جامعة الأزهر من كلية البنات وأنشأت بها كلية للتربية الاسلامية .

كما زار المستشفى الاسلامى الأهلى الذى أقامته الجهود الذاتية للمسلمين فى هذه المنطقة لمواجهة خطر التبشير فى هذا المجال ..

وعدنا عصر يوم الخميس ٢٦ أغسطس سنة ١٩٧٦ لنستقبل شهر البركات واليمن والمغفرة والرضوان مع المسلمين فى جاكارتا ،

وفى يوم الجمعة أم الامام الأكبر خمسين ألفا من المسلمين فى مسجد الاستقلال ذلك المسجد الذى جعل نواة للمركز الاسلامى فى القريب العاجل ان شاء الله •

وفى يوم السبت ٢٨ أغسطس سنة ١٩٧٦ كان يوما مشحونا بالأعمال :

* لقد قابل الشيخ الامام الأكبر الرئيس سوهارتو الذى راح فى اصرار يشرح لمولانا الامام الأكبر ظروف أندونيسيا الاقتصادية وكأنما يريد أن يطلب من الامام الأكبر أن يساعده فى الدول العربية للحصول على استثمارات لرأس المال الاسلامى ••

وفى كلمة الشيخ الى رئيس الجمهورية كانت الحكمة والموعظة الحسنة تترى فى هدى رفيق أن يدعو الى التقدم على أساس من القرآن الكريم والسنة المطهرة وعرض الشيخ على الرئيس انشاء مركز اسلامى ووافق الرئيس وحدد أن يكون المكان فى الأرض الملحقة بمسجد الاستقلال أكبر مساجد دول جنوب شرقى آسيا على الاطلاق •

* ثم خرجنا الى زيارة السيد / على صادقين ــ محافظ جاكارتا وجعل يعرض على الامام الأكبر فى غرفة عمل خاصة مجهوداته فى تعمير جاكارتا وتنميتها ، وبنفس الروح والهدهدة الرفيقة نصحه الشيخ أن يؤسس حضارته على العلم والايمان فان ذلك أضمن الطرق وأفضل الوسائل بالتجربة والتاريخ ••

* ومع وزير الداخلية وهى وزارة تنمية للمحافظات تحدث الوزير من واقع بيانات كانت فى يده عن مساعدة الوزارة للعمل الاسلامى ، وجرى حديث متبادل مع الشيخ الامام الأكبر •

وفى كل مرة كان الامام الأكبر يقدم لهم الدليل تلو الدليل على أن العمران يجب أن يؤسس على التقوى والايمان بالله وشريعة الاسلام •

* ثم عاد آدم مالك وزير الخارجية من كولومبو عاصمة

سيرلانكا وكان شغوفا بمقابلة الامام الأكبر ، وزاره الشيخ وكان الحديث بينهما واضحا وصريحا فى أمور كثيرة من أهمها انشاء المركز الاسلامى ..

* وفى الظهر انعقد المؤتمر الصحفى بوزارة الشئون الدينية وقد وجه الامام الأكبر حديثا خاصا للصحفيين انبهروا منه واندهشوا لأنهم لأول مرة يعرفون واجبهم فى صنع الرأى العام السليم القويم .. وأعلن فى هذا المؤتمر انشاء مركز اسلامى فى جاكارتا يرعاه الأزهر فنيا ويشترك فيه الأندونيسيون اداريا ..

* وعلى التو غادر ركب الامام الأكبر جاكارتا آيبا الى الحرمين الشريفين لعمرة شكر على ما وفق الله فى هذه الرحلة وما أعان عليه من أعمال ..

أما عن نتائج هذه الرحلة ففى مقدمتها :

** انشاء مركز اسلامى ..

** توجيه العلماء الى وظيفتهم ..

** توجيه المسئولين فى اندونيسيا الى بناء الحضارة على أسس من الاسلام الحنيف ..

** تأكيد موقف المسلمين هناك ..

وبقية الآثار أتركها كوظيفة بين السطور للقارىء الكريم ...

وبالله التوفيق .

**دكتور : رءوف شلبى**

---

# باب الفتوى[١]

للأستاذ محمود محمد رسلان

مما يلفت النظر هذه الأيام كثرة المنادين بتطبيق شريعة الاسلام ولا غرابة فى هذا فان الاسلام دين الفطرة السليمة « فطرة الله التى فطر الناس عليها » ومن ثم كان الرجوع الى ما شرعه الاسلام رجوع الى الحق والرجوع الى الحق فضيلة ومجلة الأزهر نادت وتنادى بتطبيق شريعة الاسلام قولا وعملا وهى اليوم تعيد على سمع الدنيا حكم الله فى « تبرج النساء » وسيطالع القارىء الكريم أسئلة وأجوبة سطرت فى مجلة نور الاسلام ــ المجلد الرابع سنة ١٣٥٢ هـ ص ٣٨٤ وما بعدها ــ ونحن نوردها هنا لنعيد للأذهان حكم الله فى مشكلة من مشاكلنا المعاصرة • مشكلة تبرج النساء !!

## حكم الله فى التبرج

الحجاب ــ السفور ــ التبرج ــ صور النساء ــ نشرها فى الصحف التجديد وفى أى شىء يكون ــ تزين الرجال بزينة النساء •

### السؤال

ما حكم الله تعالى فى حضور المسلمات حفلات السينما والملاهى التى تبعث فى القلوب ينابيع الشر والفسق والفجور مما هو شائع ومشهور ، أو يوجد فيها اللهو بالآلات المحرمة التى لا تخلو من نظر رجال الأجانب الى وجوه النساء وشعورهن وأعناقهن وغير ذلك ؟

أو بيد النساء مع حضور الرجال ونظرهم الى رءوس النساء وأعناقهن فهل يفترض منع جميع ذلك فى دين الاسلام ؟

**الجـواب**

الحمد لله رب العـالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين • وبعد :

فقد أجاب على هذه الاستفسارات الأستاذ المرحوم طه حبيب فقال :

**ظهور السيدة خارج منزلها :**

خروج السيدة من منزلها متبرجة يأباه الدين وتأباه الكرامة باجمـاع المسلمين ، ولا يرضى به الا من هـو بعيد عن الخلق والدين • فاذا خرجت المرأة لمقتض فلا يباح لها الخـروج بحالة تبرج وتزين يكون داعية الى نظر الرجال •

قال الله تعالى : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » من الآية ٣٣ من سورة الأحزاب،وقد نص الفقهاء على أن بدن السيدة كله عورة الا وجهها وكفيها • فلايجوز أن تبدى شيئا فى الطرقات والأسواق والحفلات والمجتمعات العامة ولو مع أمن الفتنة ، لأن ذلك عورة ، ولا يجوز اظهارها• أما الوجه فانما يجوز النظر اليه لمن يأمن الفتنة • أما من لا يأمنها فلا يجوز له النظر ، ولو أن الوجه غير عورة لأنه لا تلازم بين كونه ليس عورة وجواز النظر اليه ، اذ جواز النظر منوط بعـدم خشية الفتنة •

وصـفوة القـول أنه اذا خرجت السيدة لمـا يقتضى الخروج فينبغى أن يكون خروجها فى حشمة ووقار ، وعلى كيفية لا تجلب اليها أنظـار المـارة من الرجال والشبان ، وظاهر لك من هذا أن خروج السيدة ليـلا أو نهارا لمثل ما جاء فى السؤال من الحفلات الروائية وحفلات السـينما التى تقـول انها تبعث فى القـلوب ينابيع الشر ، وانها لا تخلو من نظر الرجال الى وجوه النساء وأعناقهن ، لا يجوز ، لمـا فى ذلك من الفتنة ، ولمـا فيه من الوقوع فى المحرم فعلا، كنظر الرجال الى أعناق السـيدات وشعورها وغير ذلك مما لا يجـوز النظر اليه •

والقـاعدة أن كل ما فيه فتنة أو فتح باب فتنة محظـور غير جائز ؛

لأن سد الذرائع مقدم على جلب المنافع • ولا شك أن ذهاب المسلمة الى حانوت الحلاق لقص أو حلق شعرها ، بيد رجل أو بيد امرأة ، مع حضور الرجال ونظرهم الى رءوس النساء وأعناقهن ، أمر غير جائز؛لأنه فضلا عما فيه من كشف الشعر والعنق ـ وهما عورتان ـ هو تبرج ممقوت •

**السفور :**

وتحدث المرحوم طه حبيب عن السفور فقال :

ولا شك أن الخروج على الوصف الوارد فى السؤال لا يجوز شرعا • وقد التبس الأمر على كثير من الناس ، فظنوا أن مجرد أن وجه المرأة ليس عورة يبيح لها الخروج سافرة ، مهما ترتب على ذلك من فتنه ، كما ظن هؤلاء أنه ما دام الوجه غير عورة يجوز النظر اليه ، وكلا الأمرين غير صحيح • والأساس الذى يجب السير عليه هو خشية الفتنة ، فمتى وجدت لا يجوز الخروج لمن لا يأمن الفتنة•

ولقد ترتب على هذا الظن الخاطىء أن تورط الناس فى ذلك تورطا فاحشا فأصبحت بعض السيدات تغشى الطرقات دون حاجة ، وتختلف الى محلات التجار سافرات متبرجات يستجلبن النظر اليهن ، ولا تخرج احداهن الا متزينة بأبهر زينة سافرة بادية الذراعين والعنق والصدر وبعض الظهر دون حياء أو مبالاة بخلق أو دين • ولقد بلغ من أمر بعض هؤلاء أنهن أصبحن لا يبالين بالأخلاق الفاضلة ، وفقد خلق الحياء بالمرة ، وأصبحن كالنساء فى الجاهلية الأولى • وقد نعى القرآن على أصحابها فى القرآن ، وأمر النساء بترك التبرج •

**وقال عن الداعين الى السفور :**

وكأنى بأصحاب الدعوة الى السفور يندبون الأخلاق ؛ لأنهم لم يكونوا يتوهمون أن يترتب على ماقاموا به من دعوة الى خروج المرأة سافرة ما عليه النساء الآن؛لأن دعوتهم لم تكن الا مصحوبة بطلب الحشمة والوقار ، حتى انهم نعوا حين دعوا على من تستر وجهها بخمار لايحجب

ماوراءه ويدعو الى النظر . وماكان ذلك الا لأنهم يرون أن جواز كشف السيدة وجهها يجب أن يكون مصحوبا بغير تبرج ، كما يجب أن يكون مصحوبا بترك الزينة التى تجلب الأنظار . ولقد كانت دعوتهم الى ابداء الوجه واليدين اعتمادا منهم الى أن ذلك أدعى الى عدم التبرج وترك المهازل التى كان عليها النساء وقت الدعوة من التستر بخمر ولا يغيب ما وراءها ، بل تكون داعية الى تحديق النظر أكثر مما لو كان الوجه عاريا والزينة متروكة .

تلك كانت دعوتهم ، ولكنها للأسف لم تفهم على وجهها الصحيح ، فوقعنا فيما نراه الآن : من انهيار الأخلاق ، وضياع الحشمة والوقار بل وضياع المروءة فى بعض النساء ، حتى أصبحن تبرزن للناس بوجه ليس فيه حياء ، تكاد الواحدة منهن تخرج عارية . وان لك فيما تراه من الصور التى تنشرها جرائد الصباح والمساء لأكبر العبر فيما وصل اليه الحال الآن .

**التبرج والشكوى منه :**

وكتب رحمه الله ما يلى : ولقد راقنى ما قرأته لبعض الكتاب فى جريدة الآهرام الصادرة فى ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٥٢ هـ تحت عنوان : « ما قل ودل » فقد جاء فى هذا المقال ما نصه : « الاسكندرية فى أوجها ، و « ستانلى باى » صباح الأحد هائج مائج . لقد طفح عليه قطار البحر مئات المتلهفين على رؤيته ، الذين تنقصهم الموارد ، والناس يجذب بعضهم بعضا ، فهذا رجل حائر يدور بآلة التصوير فى يده ، يلتقط عن يمينه وشماله ، ويجتهد فى الحصول على الصور الشاذة الخارجة ، يريد الاحتفاظ بتذكار دائم » الى آخر ما كتبه ذلك الكاتب القدير من قوله : « ولكن جزعى ليس من أجل واحد أو اثنتين أو عشر فتيات لكن جزعى هو من أجل المستقبل . أخشى عشر السنين القادمة ، أخشى التحضير عن طريق الاستهتار » الى أن قال فاننا يجب أن ننفخ فى صور الفضائل ، ونمجد اللواتى يجلسن الى مكاتبهن السنين الطوال ، يدرسن ويبذلن شبابهن فى خدمة المجتمع ، فهؤلاء

هن اللواتى يحضرن هذا المجتمع للحرية العاقلة الرزينة الكريمة ، لا اللواتى يقتبسن آخر أزياء البجامات من شاطىء «ستانلى باى» .

**صور النساء :**

راقتنى هذه الكلمة حقا ، وبقدر ما راقنى الأسلوب البديع للدعوة الى الأخلاق الفاضلة وترك التبرج الممقوت ، ساء لى واليه ما رأيته فى احدى جرائد الصباح من رسم لثلاث فتيات من مدرسة لتعليم الرقص ، ومن رسم فتاتين بثياب البحر ، تلعبان مع صديق لهما بقذفه الى الماء ، ومن رسم الألعاب على شواطىء البحر ، التى سمتها الجريدة « قذفة الخروف » فان هذه الرسوم التى تنشرها جرائدنا على اختلافها ليس اظهارها من صالح مجتمعنا ولا هى تناسب قوميتنا . وظهورها يرغب فتياتنا فى هذا ، وهو ما ينافى أخلاقنا وديننا .

ساءنى هذا — كما ساءنى غيره من كثير مما أراه من الرسوم فى صحيفة الصور التى تنشر فى جرائد الصباح والمساء ، وقلت : حبذا لو أن كتابنا وجهوا عنايتهم واقلامهم البليغة الى محاربة هذا الصنيع الممقوت ، الذى يقف عند النساء بل تعداهن الى الشبان ، فان منهم — والحسرة تملأ القلب — يتزين بزينة النساء ، فيضع المساحيق على وجهه بجميع أنواعها فهذا والله داء وبيل ، وصنيع ممقوت ، وأمر يأباه شرعنا ، وتأباه الفضيلة ، ويدعو الخلق الى تغييره . وانه لمما يدمى له القلب ويضيق له الصدر أن يترك القوم أوامر دينهم التى يؤيدها العقل ، ويسلم بها الطبع السليم ، وتدعو اليها الفضيلة فالام نبقى على تلك الحال السيئة ؟ وأين الآباء والأزواج ؟ انهما مسئولان قبل كل أحد ، مسئولان عن تدهور الأخلاق وراء ما نسميه تمدينا . ألا قاتل الله التمدين اذا كانت هذه آثاره وتلك نتائجه ؟

لقد اعتدنا وا أسفاه على أن نأخذ من عادات الغير ما هو ضار وترك ما هو نافع . ولو أننا تمسكنا بأخلاقنا وقوميتنا تمسك هؤلاء الذين نقلد بعضهم ، لما وصل حالنا الى ما وصل اليه اليوم . فها نحن أولاء نسمع أن بعض الدول

العظمى قد بلغت أسمى المراتب ، ومع ذلك لا تزال متمسكة بعاداتها التى كانت لها فى العصور الوسطى أما نحن فمع اننا لم نبلغ شأوا فى الدنيا ، فقد تركنا الدين والخلق ، وأخذنا بكل جديد ، دون نظر الى آثاره وما يترتب عليه ، حتى نشأ عن ذلك أن انهارت أخلاقنا،وكثرت فينا المفاسد ، وفشت البدع ، حتى صار القبيح المجمع على قبحه حسنا فى نظر البعض ، يحبذه ويدعو اليه . ولك مما تنشره بعض الجرائد الأسبوعية فى تحسين ما ليس بحسن الدليل القاطع على أننا قد كدنا نتسل من الأخلاق الفاضلة . واليك مثلا أنت الحكم فيه بعد سماعه :

نشرت احدى الجرائد الأسبوعية أن ممثلة من الممثلات عقدت مباراة بين الممثلات ، لابسات البحر ، عرضتهن وهن كذلك على النظارة ، وجعلت الحكم لبعضهم فى أى الفتيات أحسن ، فحكموا لاحداهن، وقد رسمتها هذه المجلة بملابس البحر . أفهل رأيت أو سمعت مثل هذا فى بلد يدعو دينه الى مكارم الأخلاق ؟ انى لا أكاد أصدق أن مثل هذه الأمور بلغ مسامع القائمين بالأمر فينا ، ولو سمعوه لمنعوه وعاقبوا القائمين به ، لأن هذا الضرب من التهتك بل الجنون فى التهتك انتحار لأخلاقنا !

هذا مثل من كثير من تحسين ما ليس بحسن ، والدعوة الى ماينافى الفضيلة . ولا أدرى أى نفس تلك التى تستحسن تحبيذ هذا الفعل القبيح وهو خزى فى الدنيا والآخرة ومعصية تأبى الأديان وجودها ، وتدعو الى قطع شأفتها ومحو جرثومتها ؟ !

وما جاءنا هذا الا من اتباع الهوى وعدم تحكيم العقل ، والتقليد الأعمى فى كل ضار ، وترك تعاليم ديننا ، حتى أصبح الذى يدعو الى خلق حسن وعادة قومية وينهى عما ينهى عنه الشرع ، محلا لسخرية أصحاب الهوى والغرض ، يسكبون عليه جام غضبهم ، ويوجهون اليه كل لوم ، وينسبونه الى الجهل وقلة الذوق مهما كان من أمره . ولو درى الألى يعملن هذا وعلم الذين يدافعون عنهن بأن الكل بهذا قد ذهب بخلق الأمة وهدم قوميتها،

وارتكب محظور دينه — لو علم هؤلاء ذلك وتفطنوا له ، لثابوا الى رشدهم ، وحالوا بين الأمة وماهى فيه من سوء الأدب.ولكن ما الحيلة وقد ابتعد الناس عن الدين والخلق المتين ، حتى كاد ينقض من الأساس وأصبحت تسمع ممن تنصحه الدراية بك والطعن عليك بأنك جاف جامد لا تكاد تصلح للجيل الذى أنت فيه : جيل التجديد والمجددين .

**التجديد وبراءة المجددين من امثال هذه المفاسد :**

وتحت هذا العنوان كتب رحمه الله فقال : وانى أربأ بالمجددين وعلماء التجديد عن أن يكون منهم نصير أو شبه نصير لمثل هؤلاء ، وأعتقد ان المجددين ودعاة التجديد يدعون أول ما يدعون الى الأخلاق والتمسك بأهداب الفضيلة . ومن الذى يقول ان التجديد غير مطلوب وهو ضرورى لحياة الأمم ؟ ولكن لم يكن معناه فى يوم من الأيام العمل على هدم القومية ، أو ضياع الأخلاق أو الحط من كرامة الدين ، أو العمل على محوه . وانما هو سير مع الظواهر الكونية والنواميس الطبيعية . وهو فى كل شىء بحسبه وبما يلائمه ، ولا يكون التجديد الا فيما يقبله .

ومن البدهيات أن الأديان لا تقبل التجديد ، لأنها عقائد وأحكام يجب على أهلها التمسك بها ولا يمكنهم الخروج عنها ، الا اذا خرجوا عن الدين والأخلاق الفاضلة فلا يمكن التجديد فيها ، الا بكثرة الدعوة اليها ، والتفنن فى الأخذ بها ، وصيرورتها ملكة تنطبع فى نفوس الأمة . والمحظورات الدينية لايمكن تغييرها ، ولا المساس بجوهرها ، ولا القول بإباحتها . فاذا حظر الشارع أمرا بقى محظورا ، وليس من التجديد أن أفعله والدعوة الى فعله خروج على الخلق والدين ، وليس هذا من التجديد فى شىء بل هو محو وهدم لا يقول به أحد، اذ لا يمكن القول بأن ما اتفقت العقول والفطر السليمة على أنه خلق حسن ، ومضت الشرائع على أنه واجب ، لا يمكن القول بأن تركه تجديد ، بل الداعى الى ذلك هادم باغ ، عاد على خلقه ودينه .

أما ما يقبل التجديد فاننا لم نجدد فيه وتقبل التجديد ، كنا كمن يريد الخروج من الكون وهو فيه ، والقعود والركب سائر ، وهذا ما لا يقول به أحد . ومن الذى يستطيع القول بعدم الاستفادة من الحوادث والظواهر الكونية ، مع أن الأمور الدنيوية متجددة ؟ فالواجب على ذوى العقول العمل فى تلك الدوائر الواسعة ، واكتناه الحقائق العلمية منها .

كذلك الحوادث التى تقع للناس وليس فيما بين يدينا نص عليها ، يجب علينا الاجتهاد فيها ، والبحث فى عوارضها ، ورد الواقعة الى حكم يتفق مع تعاليم الدين الأصلية ولا ينبو عنها . ولا شك أن هذا تجديد . وهذا النوع من التجديد دعا اليه الشارع واعتبره ، حيث قال تعالى : « فاعتبروا ياأولى الأبصار » والاعتبار ليس موقوفا على فن من الفنون ، ولا على قوم معينين ، ولا على زمن دون زمن بل هو مطلوب ممن قدر عليه ، ولم يتخذ هواه سبيلا اليه .

التجديد بهذا المعنى مطلوب ومرغوب فيه . أما ما يفهمه بعض من لا يستطيع فهم التجديد من أن معناه ترك القديم ولو دينا ، فهذا ما لا يقول به من له مسكة من العقل وها نحن أولاء نرى علماء أوربا قد جددوا واستفادوا ، ومع ذلك لم يقل أحد منهم لواحد من قومه :لاتذهب الى محل عبادتك وللدين عندهم المنزلة السامية . وهذا البابا رئيس الدين له من التجلة والاحترام فى نظر ملوك أوربا وأتباعه ما هو معلوم ، فهو اذا دعا الى أمر دينى تلقته أتباعه بالقبول . ومما يلفت النظر فى أوامره أنه أمر بأن النساء اللاتى يكن عاريات الذراع والمعصم لا يباح لهن دخول المعابد .

راقنى هذا الأمر واستحسنته ، لأنه أمر يدل على أن التبرج أمر ممقوت فى الأديان ، وأن من تتبرج ليست ممن ينظر اليها الدين نظرة قبول ، ولا هى حرية بدخول معابده ومحلات التقرب الى الله .

هذه النصيحة الغالية أمر بها البابا . فهل سمعت أن أحدا من

أتباعه قال : ان هذا رجوع بالناس الى القديم وترك للتجديد ؟ لم يحصل هذا ولن يحصـــل ، لأن الديانات ليست محل تجديد كما قدمت لك .
وهذه الدعوة التى دعا اليها البـــابا دعا اليها الدين الاسلامى من أكثر من ألف وثلاثمائة ســنة . ولكن بعض المسلمين ــ كما شرحنا لك ــ قـــد غفل كثير منهم عن حكم دينه ، وأبى الا ترك تعاليم الدين ، وما لا يتفق والخلق الحسن .

ويمضى المرحوم الشيخ طه حبيب فى اجلاء ما خفى على بعض الناس مما يدعو اليـــه الاســـلام الحنيف فيقول : ولا يفوتنى أن ألفت نظـــر المسلمين الى مادعا اليه ديننا الحنيف انما هو الخير كل الخير . وأن كل خلق دعا اليه هو الفضـــيلة ، وكل خلق نهى عنه هو الرذيلة . وما نراه الآن ونستحسنه مما يأتينا به الغرب منصوص فى ديننا ، فهذه جرائدنا نقلت على سبيل الاستحسان ما أمر به زعيم ايطاليا من حظر الرقص على الضباط اشفاقا على رجولتهم . فهذا الذى استحسنته جرائدنا ــ وهو حسن فى ذاته ــ دعا اليه ديننا من قبل ثلاثة عشر قرنا . ولكن غفلتنا عن حكم الدين أوقعتنا فى الشرور من حيث لا ندرى ، والا فأى مسلم هذا الذى لا يتقطع قلبه حين يرى بعض الشباب يتزين بزينة النساء ، فيزجج الحاجب ، ويحمر الخد بعد تبييضه ؟ ! انها فضيحة وأى فضيحة أن نرى رجالا يتركون رجولتهم ، ويأبون الا أن يرتكبوا ما حظره الدين على النساء فى الطرقات !

ولست أبالغ اذا قلت ان الحالة فى حاجة الى سن قانون يقضى بعقاب كل شـــاب يلاحظ عليـــه التبرج ، وعقاب كل امرأة تخرج متبرجـــة تتزيا بأزيـــاء الجاهلية ، وتتبـــرج تبرجهن ففى سن هذا القانون قطع للرذيلة ومحو لها ، وبت لتلك الظاهرة السيئة التى عليها الحـــال الآن فى الطرقات والمسارح والملاهى .

فحبذا لو أن حكومتنا عملت هذا أو ما يقرب منه ، كوضع عقـــوبة لأولياء الأمور من آباء وأزواج ، والا فقد طفح الكيل وبلغ السيـــل الزبى ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

**محمود محمد رســلان**

الوطن الإسلامى :

# مأساة أريتريا

للأستاذ محمد نعيم

*** مخطط دموى رهيب لابادة شعب ارتيريا المسلم .**

*** أكثر من نصف مليون لاجىء اريترى يعيشون فى الغابات والجبال .**

*** أين دور الهيئات الاسلامية الايجابى ؟ !**

**بقلم الأستاذ محمد نعيم**

ما زال شعب اريتريا المسلم يتعرض لأبشع الاعتداءات الوحشية التى تشنها ضده السلطات الأثيوبية الحاكمة ، وقد لقى حتى الآن نحو مائة ألف من السكان الأريتريين العزل من السلاح مضرعهم من جراء القصف الجوى على مناطقهم ، كما قتلت القوات الأثيوبية عددا كبيرا من الأطفال والنساء والشيوخ أثناء العمليات العسكرية على المدن والقرى الأريترية الآهلة بالسكان المدنيين ، ودمرت قرى كاملة بسكانها تدميرا تاما كما طردت نحو نصف مليون من الأريتريين من أراضيهم وممتلكاتهم حيث يعيشون الآن فى الغابات والجبال بلا مأوى ، تهددهم المجاعة ، وتفتك بهم الأمراض ، وتعصف بهم ظروف الطبيعة القاسية .

بالاضافة الى ذلك تقوم السلطات الأثيوبية بمصادرة ممتلكات المواطنين الأرتيريين فى العاصمة أديس أبابا واعتقال الكثيرين منهم

حيث تودعهم السجون وتجرى عليهم أشد أنواع التعذيب كاجراء انتقامى لمطالبة المسلمين الأريتريين بحقهم فى الحرية وتقرير المصير •

وتشير التقارير التى تسربت مؤخرا من أثيوبيا أن السلطات العسكرية الحاكمة تفرض رقابة صارمة على برقيات وكالات الأنباء الأجنبية فى أديس أبابا ومنع دخول الصحفيين الأجانب الى أراضى ارتيريا لاخفاء الأعمال البربرية والوحشية ضد المواطنين الأريتريين الآمنين ، وما يزال مطار أسمرة يخضع لاجراءات بوليسية صارمة خوفا من الأعمال الفدائية المباغتة •

وتؤكد الأحداث الدامية ، واعدام العديد من قيادات الثوار الأريتريين هناك مدى حقد المجلس العسكرى الأثيوبى على الاسلام وأهله بصفة خاصة ، وعلى أهل الديانات الأخرى بصفة عامة ، ومحاولة استئصال الشعب الأريترى المناضل عن أرضه وحرمانه من حقه الطبيعى فى الاستقلال الذاتى •

ورغم المساعى الحميدة التى بدأها الرئيس جعفر محمد نميرى ، رئيس جمهورية السودان الشعبية ، فلم تستجب السلطات الأثيوبية الحاكمة لصوت العقل والضمير وأصرت على موقفها الغير انسانى لافناء شعب اريتريا المناضل •

وهو ما حدا بالرئيس محمد أنور السادات الى مناقشة موقف سلطات أثيوبيا الحاكمة من شعب أريتريا أثناء لقائه بالوفد الأثيوبى الذى زار القاهرة أخيرا ، ومطالبته باجراء حل عادل لانهاء القتال المستمر بين الجانبين على أساس منح شعب أريتريا حقه المشروع فى حياة آمنة ومستقرة •

وقد تفجرت محنة شعب أريتريا بشكل حاد فى شهر يوليو منذ عامين حيث قامت القوات الأثيوبية حينذاك بقتل نحو أربعمائة من سكان مدينة أم حجر ودمرت القرية تماما وشردت مئات الألوف من سكان أريتريا ، ثم امتدت عمليات الارهاب والقتل الى مناطق أخرى كثيرة •

والمعروف أن عدد المسلمين الأريتريين يبلغ أكثر من ثلاثة ملايين مسلم ، وقد بادرت جبهة تحرير أريتريا بالاعراب عن حسن نيتها بعد وقوع التغيير الذى حدث فى أثيوبيا وأدى الى الاحاطة بالامبراطور هيلاسلاسى •• وأعلن شعب أريتريا وقتها عن قبول المفاوضات والحل السلمى وتجميد العمليات العسكرية لفترة من الزمن ، ولكن المجلس العسكرى الحاكم فى أثيوبيا رد على هذه المبادرة بسوء النية من خلال سلسلة من العمليات العسكرية المستمرة ، هذا بجانب حملات التشويه التى يقودها المجلس العسكرى الأثيوبى ضد الثورة الأريترية متهما اياها بالعمالة للدولة العربية ، وتضييع معالم القضية الأريترية وقد ختمهامنذ فترة باعلان « منفستوهيلى ماريام » الذى يقرر تجنيد ستة ملايين أثيوبى لابادة شعب أريتريا •

**تحالف أثيوبى ــ اسرائيلى :**

وبهذا حدد المجلس العسكرى الحاكم فى أثيوبيا وبلا مواربةسياسته تجاه أريتريا • ولم يترك مجالا للمبادرات والنوايا الحسنة • بل وضع الثورة الأريترية أمام تحد ، ورد الثوار الأريتريين على هذا التحدى ليس من موقع العنتريات ولكن من موقع حقهم الطبيعى فى الاستقلال وتقرير المصير ••

وتشير أصابع الاتهام الى أن اسرائيل تلعب دورا خطيرا لانهاء الوجود الاسلامى فى أريتريا حيث تحارب فصائل أمن من الجيش الاسرائيلى الى جانب قوات أثيوبيا شعب أريتريا ، كما أن هناك وجودا صهيونيا « اقتصادى وفنى » الى جانب الوجود العسكرى وتمتلك اسرائيل فى أراض أثيوبيا عدة شركات تجارية وزراعية •

والسبب وراء تأييد اسرائيل القوى لأطماع أثيوبيا فى أريتريا هو أن أمن أثيوبيا وسلامتها هو ضمان لاسرائيل وأن هذا لن يتحقق الا بخضوع أريتريا خضوعا مباشرا وتاما لأثيوبيا •

**ثورة علمانية .. وقرآن محرف :**

وحكم أثيوبيا ــ كما هو معروف ــ يقوم الآن على أساس علمانى

لا يقيم وزنا للأديان أو قداسة لما أنزل الله من كتب سماوية .. والمسلمون هناك يعانون أشد المعاناة فى ممارسة شعائرهم الدينية وتعليم أبنائهم مبادىء الاسلام واللغة العربية يحرم تدريسها فى مدارس المسلمين أو التخاطب بها فى أى مكان ، وامعانا فى القضاء على الوجود الاسلامى أصدرت سلطات أثيوبيا طبعات مخرفة من القرآن الكريم باللغة الأمهرية ( لغة الحبشة ) مما أثار سخط جماعات المسلمين واستنكارهم الشديد، وقد دفع ذلك السلطات الحاكمة الى مزيد من عمليات القمع والتنكيل بالمسلمين فى أديس أبابا والمدن الأخرى .

والى هنا يثور سؤال هام وملح . أين دور الهيئات الاسلامية بالعالم فى التصدى لهذه الجرائم والفظائع المستمرة التى ترتكب ضد شعب أريتريا بوجه خاص والمسلمين المقيمين فى أثيوبيا بوجه عام .. ولماذا يقتصر الأمر ــ كما هو حاصل اليوم ــ على اظهار الامتعاض أو ارسال برقيات الاحتجاج فقط دون اتخاذ موقف متكتل لاثارة القضية فى المحافل الدولية ، وحمل هيئة الأمم المتحدة على الاعتراف بحق الشعب الأريترى العادل فى تقرير مصيره[1] .

**محمد نعيم**

---

(١) مما يجهله الكثير من الناس أن عدد المسلمين فى الحبشة لا يقل عن ٦٥٪ من مجموع السكان وبالرغم من أغلبيتهم الساحقة فانهم محرومون من أبسط الحقوق المدنية والسياسية .

« مجلة الأزهر »

# إقبال أمير الكلمة

للدكتور سعد ظلام

في صفاء كصفاء المسلم
وخشوع كخشوع المحرم
جئت للساح بشوق مفعم
أجتلى الحب وأروى نهمى
وأناجى من ضمير مغرم
شاعر الله وشدو الأمم
وأندى صفحة القلب العمى
بضياء كضياء الحرم
ايه « اقبال » وأنتم حلمى
وابتهالى وائتلاف الحلم
ما أنا الا جناح يحتمى
يحمى المشوق ودفء النغم
ما أنا الا فؤاد يرتمى
كجريح بين كفى بلسم
أنا في الساح مريد كالظمى
أطرق الباب لعلى أنتمى
روني من نبعك الطهر الهمى
واحتضني في سناك الاكرم
وأعرنى روح شاد ملهم
فالهوى يسمو بروح الملهم

* * *

كان « اقبال » كسقراط أمير الكلمة
ورسولا بين رسل الفكر يحيى قلمه
ويحيى موكب الحق ويعلى علمه
فيلسوفا يقدر العقل ويجلو قيمه
ويندى مهجة الانسان يروى نهمه
كان للاسلام قيثارا وضيىء النغمة
ويرى العالم دون الدين رؤيا مبهمه
وبقايا من تعابير بلون الغمغمه
لو تناسى الشرق فى كل الذى قد نغمه
أو جفا الاسلام والمجد الذى قد قدمه
لو تخلى عن هدى الله وروح مسلمه
لاحتواه الغرب شيطانا يردد المشأمه
وأقام الغرب فى ذكراه أقوى ملحمه

***

شاعر الاسلام ياقيثاره
صاغه الله من الحس النضير
أزهر الايمان فى أوتاره
وحباه الله مكنون السور
فاذا روحك فى أسراره
خفقة الحس على دفء الوتر
كل معنى من سنا أفكاره
كان فى قلبك قلبا ينفطر

فهو اللحن الذى غنيته
وهو الموج الذى لا ينحسر

وهو المجد الذى أحببته
وتفاخرت به طول العمر

ما ازدهاك الغرب فى أوتاره
قشرة فوق ركام وحجر

وثياب يفتن الغر بها
واذا فتشت تلقاها سقر

ليس فيها واحة الروح اذا
أضنت السارى ومضاء السفر

ليس فيها راحة النفس اذا
أقلق الانسان آلاف الفكر

ليس فيها لمسة الحب اذا
واجه الانسان أشباح القدر

ليس فيها خفقة النور اذا
أظلم الكون بأحداث كبر

فالحياة الدين ان ضاع فلا
أمن السفر ولا لذ سفر

واذا الايمان قد ضاع فلا
ملأ الأمن أحاسيس البشر

* * *

أيها الشادى بتوحيد الاله
ومفدى الروح من كرم السماء
شدك النور الى قدس حماه
وأراك الحق فى أبهى رواء
فقطعت العمر تروى من سناه
ونذرت العمر فى عشق الضياء
قصة التوحيد ماذا ألهمت
حسك الريان من نبع الصفاء
نحن روح فى كيان واحد
وشعور خافق بالانتماء
أولسنا أمة التوحيد والتو
حيد أشواق واشراق اخاء
ربنا الله اله واحد
ونبى هو خير الأنبياء
وحد القرآن فيما بيننا
وتولانا على نهج الوفاء
قبلة واحدة تجمعنا
وأذان يحتوينا فى النداء
وحدة صيغت على عين الهدى
وعلى نور من الله مضاء
منذ كنا كان فجر زاحف
ونشيد كأناشيد الرجاء
أيقظ الكون حدانا فصحا
ورششناه بأنوار وماء

وزرعنــاه أمانا وهــدى
وروينــاه بآيات الســماء

وبنينــا آيــة المجــد فمــا
أكــرم البــانى وأجمــل بالبناء

وملكنــاه زمانا ناضرا
فســلوه كيف كنا فى العطاء

لكن الأدواء والحقــد الذى
شــاع فينــا مزقت خفق اللواء

ســيطر الخلف على أهوائنــا
فتفرقنــا عــلى غــير اهتــداء

فاذا الأمــة صــارت أممــا
واذا الوحــدة محض الادعــاء

ولذا الهمــة صــارت هممــا
بعثرتهــا مرجفــات الابتــلاء

واذا النــاى الذى غنى لنــا
يتلاحانا على نفس الغنــاء

واذا الكــون الذى كان بنا
يتبــاهى عــاد مقهــور الوفاء

ثم تهنــا وتوارت شــمسنــا
أى جــرم ياترى •• أى جفاء ؟

❋ ❋ ❋

عاد مجد الشرق اكليلا من الورد القديم
ومنى عجفاء مازالت على كف السموم
قم هنا « اقبال » تلق الشرق كالطير الكليم
عضه الأسر وندت منه صرخات الكلوم
كثرت أعلامه . لكن كقطعان اليتيم
كل باغ حمر العينين بالشر الأثيم
واحتوانا كل قيد فى أعاصير الجحيم
وبقينا فى قيود الذل والأسر الأليم
نمضغ اليأس ونستجدى بقايا من رميم
ثم نلهو بترانيم وأمجاد القديم
وحكايا ملها الدهر لترداد سقيم
أين منا الآن يا « اقبال » صوت كالنعيم
يبعث الأحلام فينا مثل شلال عظيم
ينزع القيد عن الفكر وعن روح حطيم
ويلم المزق الخرساء فى صوت الهزيم

* * *

يا أخا الاسلام .. والدنيا صراع
بين حب ونفوس بربريه
عصف الغدر بأحلام الشراع
ودهاه بالليالى الغسقيه
« قدسنا » فى الأسرفى أيدى الرعاع
وأذان الله يدعونا اليه

« وفلسطين » على كف الضياع
وحواليها ذئاب البشريه
وحمى الاسلام يحميه الشجاع
وذوو الايمان والروح الأبيه
فانفروا كالأسد فى شتى البقاع
وافتدوه من أياد همجيه
انما الاسلام ذكر ودفاع
فانهضوا ياعزمة الله القويه

**د. سعد ظلام**

---

## الخوف

● قال تعالى « فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ».

● وقال تعالى « فاياى فارهبون ».

● وقال « فلا تخشوا الناس واخشون » .

● ومدح اهل خشيته «ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقوله « اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون » .

● وفى المسند والترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله ، قول الله ، ( والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ) أهو الذى يزنى ويشرب الخمر ويسرق قال : لا يا ابنة الصديق . ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه » .

● قال ابوسليمان : ما فارق الخوف قلبا الا خرب .

# أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ ابراهيم حامد السويرى

( مصر )

* أصدر الرئيس محمد أنور السادات قرارا بتقليد فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى، تقديرا لجهوده فى خدمة الاسلام ..

وقام فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر بتقليده هذا الوسام نيابة عن الرئيس السادات، وذلك فى حفل كبير أقيم لهذا الغرض، حضره كبار علماء الأزهر والعاملون فيه ..

تحية للرئيس المؤمن على تقديره للعلم والعلماء، ورعايته للأزهر والأزهريين .. وتأييدا له قائدا ورئيسا وحاميا للأزهر، وراعيا لدولة العلم والايمان التى أرسى قواعدها ..

* اعتمد فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر نيابة عن فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر تعيين ١٥٢ محفظا للقرآن الكريم بالمعاهد الأزهرية، وذلك فى الدرجات الخالية المخصصة لهم ..

وكان قد سبق تعيين ٢٠٠ محفظ دفعة أولى .. وبذلك يبلغ عدد المحفظين الذين عينوا بالمعاهد الأزهرية خلال هذا العام ٣٥٢ محفظا ..

* طالب فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر من الأئمة والوعاظ دراسة أهداف ومبادىء جماعة التكفير والهجرة، وكل مبادىء منحرفة .. وناشد فضيلته وسائل الاعلام الكف عن نشر ما يثير الجماهير وبخاصة الشباب منهم ..

السعودية

* تم انشاء مؤسسة خيرية بالمملكة العربية السعودية أطلق

عليها اسم ( مؤسسة الملك فيصل الخيرية ) ••

ومن الجدير بالذكر أن هذه المؤسسة يرأسها جلالة الملك خالد ابن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية ••

وسيمتد نشاط هذه المؤسسة الى رعاية البرامج العلمية والثقافية والاجتماعية على المستويين المحلى والاسلامى ، وذلك بالاضافة الى النشاط الخيرى الواسع •• ي

* تقرر اذاعة صلاة الجمعة من مكة المكرمة والمسجد النبوى الشريف ، وذلك بالتناوب من اذاعتى الرياض وجدة •

* اعتمدت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة مبلغ ١٥٠ ألف ريال سعودى لأحسن خمسة بحوث تقدم عن السيرة النبوية ، وشكلت لجنة لهذا الغرض من كبار العلماء ••

## ابو ظبى

* تقرر قبول جميع أبناء الجاليات الاسلامية بمراكز مشروع زايد لتحفيظ القرآن الكريم ، وذلك تلبية لرغبة بعض الجاليات الاسلامية هناك •

* دعا حاكم الشارقة الدول العربية البترولية الى تخصيص جزء من دخلها السنوى كزكاة لمساعدة مسلمى العالم الذين يعيشون فى بعض المناطق فى أدنى مستوى ويحاربون أعداء الدين الاسلامى ••

* بحث الدكتور حسن عباس زكى رئيس مجلس ادارة صندوق أبو ظبى للتنمية مع الأستاذ أحمد على رئيس قسم ادارة البنك الاسلامى موضوع ايجاد نظام اقتصادى يتضمن اصدار أوراق تجارية خارجة عن نطاق الربا ، وايجاد طرق للتعامل بدون فوائد ••

## السودان

* أعلن الرئيس السودانى جعفر نميرى أنه يجب على مساعديه وكبار المسئولين وجميع موظفى الدولة الامتناع عن تناول المشروبات الكحولية ، والا فقدوا مناصبهم •• وقال : انه لن يتسامح فى أى سوء للسلوك فى الوظائف العامة •

* تقرر عقد مهرجان ثقافى بالسودان فى الفترة من ١١/١٥ الى ١٩٧٦/١٢/١٥ ، وذلك بمدينة الخرطوم ، وستشترك فيه ٢٠ دولة

عربية ، تعرض كل منهـا عن طريق وفودها ألوان الثقافة الخاصة بها من كتب وقصص وروايات ونـدوات شعرية ومحاضرات أدبية ..

* عقـد بالخرطوم اجتمـاعات مجلس أمنـاء المركز الاسـلامى الافـريقى الذى يهـدف الى نشر الاسـلام والثقـافة الاسـلامية فى افريقيا ، ويضـم المركز ٥٠٠ طالب افريقى ، وتسهم فيه المملكة العربية السعودية والكويت ودولة الامارات العربية المتحدة والسودان ..

### الكويت

* استنكر وزير العدل والأوقاف والشـئون الدينيـة السيد عبد الله المفرح الحملة الوقحة فى كندا للتهجم على الرسول والاسلام ، وذلك بطبع المناهج الدراسية فى احدى المقاطعات وبها مغالطات لتشويه الاسلام ..

وقال : ان الكويت ستبذل كافة الامـكانات بجميع الوسـائل مـع المسـئولين الكنـديين لتصحيح المغـالطات التى تضمنتها المنـاهج الدراسية فى احدى المقاطعات الكندية ، والتى تعتبر تشـويها لروح الدين الاسلامى ..

### كندا

* قامت وزارة التعليم فى مقاطعة ( ونتاريو ) الكندية على تعميم كتب مدرسية بها مغالطات تشوه معـانى ومبادىء وقيم الاسلام ، وتسىء الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعلى الهيئات الاسـلامية التحرك السريع لوقف هذه الحملة على الاسلام ..

### امريكا

* يقبل على اعتناق الاسلام فى أمريكا كل يوم أعداد كبيرة من شباب الجامعات والمدارس ، ومن المفكرين من أبناء البلاد أنفسهم ، وذلك بعد دراسة عميقة لأصوله ومبادئه ..

فقـد وجدوا فى الاسـلام سمو الهدف ، وصدق الأحكام ، وسلامة العقيدة ، وهـذا على الرغـم من المحـاولات التى تبذلهـا الصهيونية هناك لعزل الاسلام .

**ابراهيم حامد النويهى**

# كتاب الشهر:

## الجامع الكبير للسيوطي
## تقدير علماء الحديث له
## وأثره في مكتبة الحديث الشريف

لفضيلة الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم

# الجامع الكبير للسيوطى

## تقدير علماء الحديث له
## وأثره فى مكتبة الحديث الشريف

---

**محتويات البحث :**

**الفهـرس**

* مؤلف جمع الجوامع ومكانته فى عالم الحديث الشريف .

* مؤلفـات السيوطى فى عالم الحديث الشريف .

فى علم أصول الحديث ( تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ) .

فى علم رجال الحـديث كتـاب ( طبقات الحفاظ ) .

فى درايتـه وعلمه بالموضـوعات ( اللآلىء المصـنوعة فى الأحـاديث الموضوعة ) .

السيوطى وشرح الحديث .

* الجـامع الكبير للسـيوطى ( جمع الجوامع ) وتقـدير علمـاء الحديث له .

* أثر الجامع الكبير فى مكتبة الحديث الشريف .

* منهـج السـيوطى وعلمـاء الحيث : يحذرون من رواية الأخبار الموضـوعة ويحرمونها ، ويدافعون عن السنة وكتبهـا ، ويفرقون بين الضعيف والموضوع .

* الجـامع الكبير للسـيوطى يشتمل على الكتب السـتة ومسند الامام أحمد والموطأ وأكثر من ثمانين كتابا ، ومسند الامام أحمـد عدوه وحده أربعين ألفـا بالمكرر وثلاثين ألف حديث من غير المكرر .

* مقاييس ابن حجر والسيوطى المعتمدة فى الذب عن السنة وكتبها .

* نتائج البحث .

* هـل صحيح ما نشره فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى حول الجامع الكبير أم هـو كلام جـرائد كمـا يقولون ؟

* اعتراض الشيخ عبـد الجليل عيسى على منهج السيوطى فى روايته

للحديث بدون سند غير الصحابة ، وعلى تخريجه ، وعمل اللجنة ، ورد علماء الحديث ومنهم ابن الأثيرعليه .

* منهج الشيخ عبدالجليل عيسى فى الأحاديث التى ذكرها فى جريدة الأهرام وجريدة الأخبار .

* الشيخ عبدالجليل عيسى ومعه الصحافة .

يهاجم السيوطى وأمين مجمع البحوث بالأزهر ولجنة تحقيق الجامع الكبير للسيوطى نتيجة لعدم دراسته لمصطلحات المحدثين والحديث وبيان ذلك بالأدلة .

* رأى المتقى الهندى فى جامع السيوطى .

والله ولى التوفيق .

# الجامع الكبير للسيوطى

## تقدير علماء الحديث له
## واثره فى مكتبة الحديث الشريف

**« مؤلف جمع الجوامع » ( الجامع الكبير ) ومكانته العلمية فى عالم الحديث الشريف » .**

هو عبد الرحمن بن أبى بكر ابن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد ابن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيوب ابن ناصر الدين محمدبن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى الأسيوطى الشافعى ولد بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانية ( ٨٤٩ ) هـ وتوفى ليلة الجمعة تاسع عشر من شهر جمادى الأولى من سنة ( ٩١١ هـ ) سافر الى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور طلبا للعلم قال فى ( حسن المحاضرة ) ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور : منها أن أصل فى الفقه الى رتبة سراج الدين البلقينى ، وفى الحديث الى رتبة الحافظ بن حجر . ورزقت التبحر فى سبعة علوم التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع ) قال ( وقد كنت فى مبادىء الطلب قرأت شيئا فى المنطق ثم ألقى الله كراهته فى قلبى وسمعت ابن الصلاح أفتى بتحريمه وتركته لذلك فعوضنى الله تعالى عنه علم الحديث الذى هو أشرف العلوم ..

**مؤلفات السيوطى فى عالم الحديث :**

تشير الى بعضها لنتبين مدى تحليقه فى سماء الحديث النبوى فى علم أصول الحديث وقواعده الأصيلة .

وفى معرفة رجال الحديث .

وفى معرفة الأحاديث الموضوعة .

وفى جمع الحديث ، له فى هذه المجالات كتب تتلمذ عليها أجيال فى الأزهر الشريف والعالم الاسلامى عامة .

فى علم أصـــول الحــديث كتاب ( تدريب الراوى فى شرح تقـريب النواوى لخاتمة الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ) (١) احتل مكانة ســامقة فى جامعــة الأزهــر والجامعات الاســلامية فى العــالم الاســلامى كمقياس لقواعد الحديث وأصــوله ومعرفة الصحيح والحسن والضعيف ومسائل الحــديث وقــد درسناه فى قسم الحــديث فى كليــة أصول الدين وقسم الدراسات العليا للحديث ، وعنه ينقــل المؤلفون فى أصول الحديث فى العالم الاسلامى.

قــال السيــوطى فى مقدمتــه : أما بعد فان علم الحديث رفيع القدر عظيم الفخر شريف الذكر لا يعتنى به الا كل حبر ولا يحرمه الا كل غمر ( غير مجرب ) ولا تفنى محاسنــه على مر الدهــر وكنت ممن عبر الى لجة قاموسه ( معظم ماء البحر ) .. مع ما أمدنى الله تعالى به من العلوم ثم يقــول فرأيت كتــاب التقريب والتيسير لشيخ الاسلام الحافظ ولى الله تعالى أبى زكريا النواوى كتابا جل نفعه وعلا قدره وكثرت فوائده وغزرت للطالبين فــوائده .. فقوى العزم على كتابة شرح عليه كافــل بايضــاح معانيه وتحــرير ألفاظــه ومبانيه .. فشرعت فى ذلك مستعينا بالله وسميتــه ( تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى )وجعلته شرحا لهــذا الكتاب خصوصا ثم لمختصر ابن الصلاح ولسائر كتب الفن عموما والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه..

وفى علم رجال الحديث نذكر له ( طبقات الحفاظ ) .

حقق طبقــات الحفاظ للسيوطى الأســتاذ على محمد عمر ونشر فى مكتبة وهبه بمصر ـ قال المحقــق للكتاب فى المقدمة « وكتاب طبقات الحفاظ للسيوطى الذى نقدمه اليوم رتب التراجم فيه طبقا لأجيال المحدثين وطبقاتهم وقد لخص الامام السيوطى طبقــاته هــذه من طبقات الحفاظ لمؤرخ الاسلام الحافظ الذهبى المتوفى سنه ٧٤٨ هـ وجمع فيها تراجم من يرجــع الى اجتهــادهم فى التوثيق والتجريح والتضعيف والتصحيح

(١) المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

وذيلها بذكر من جاء بعدهم من الحفاظ والأصوليين والمحدثين ورتبهـا على أربع وعشرين طبقة تبتدىء الطبقـة الأولى من كبار الصـحابة وتنتهـى بالطبقة الأخيرة بابن حجر المتـوفى سنة ٨٥٣ هـ ويقـول ان السيوطى كان يختار ويؤلف ولا يلخص فقط

ومن هنا يمكن أن نستنتج أنه لا غنى للباحثين عن كل من الكتـابين ( طبقات الحفاظ للذهبى وطبقـات الحفاظ للسيوطى )وان لكل منهما مزاياه الخاصة • وثمة مظهر آخـر من مظاهر شـأن طبقات السيوطى هو أنه ذيل عليهـا بالحفاظ الذين تلوا عصر الذهبى الى طبقة ابن حجر وقد طبع هذا الكتاب ، ( طبقـات الحفاظ للسيوطى) فى أوربا مع ترجمة فرنسية سـنة ١٨٣٣ م « والكتاب تحقيق للنسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٥٩ تاريخ مصطفى فاضل بعنوان ( طبقـات الحفـاظ لشيخ الاسلام حافظ العصر بقية المجتهدين أبى الفضل جلال الدين السـيوطى الشافعى )•

## رواية السـيوطى وعلمه بالاحاديث

السـيوطى من أقدر العلماء على معرفة الأحاديث الموضـوعة وجمعها لتنقيـة السنة منهـا وللتعريف بها للدارسين وقـد جمـع الأحـاديث الموضوعة فى كتـاب سماه ( اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ) ليتجنبها العلماء وعندما يقول عالم ان السيوطى جمع الموضوعات فلا يصدق هذا القول الا على كتـاب اللآلىء المصـــنوعة فى الأحـاديث الموضـوعة ) والكتاب قد طبعتـه المكتبة التجـارية الكبرى من أجل الحفاظ على السنة لا مجمع البحوث، يقول السيوطى فى مقدمته ( فان من مهمات الدين التنبيه على ما وضع من الحديث واختلق على سيد المرسلين

صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين وقد جمـع فى ذلك الحافظ أبو الفرج الجوزى كتابا فأكثر فيه من اخراج الحديث الضعيف الذى لم ينحط الى رتبـة الوضع بل ومن الحســن ومن الصحيح كما نبه على ذلك أئمة الحفاظ ومنهم ابن الصلاح فى عـلوم الحديث وأتباعه وطالمـا اختلج فى ضميرى انتقـاؤه وانتقاده واختصاره لينتفع به مرتاده الى ان استخرت الله تعالى وانشرح صدرى لذلك وهيـأ لى أسبـاب المسالك فأورد من الكتاب الذى أورده هو منه كتاريخ الخطيب والحاكم وكامل ابن

عدى والضعفاء للعقيلى ولابن حبان وللأزدى وافراد الدار قطنى والحلية لأبى نعيم وغيرهم بأسانيدهم حاذفا اسناد أبى الفرج اليهم ثم أعقبهم بكلامه ثم ان كان متعقبا نبهت عليه وأقول فى أول ما أزيد ( قلت ) وفى آخره والله أعلم ...

وسميته ( اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ) ثم يقول واعلم أنى كنت شرعت فى هذا التأليف سنة سبع وثمانمائة وفرغت منه فى سنة خمس وسبعين وكانت التعقيبات قليلة وعلى وجه الاختصار وكتبت منه عدة نسخ ومنها نسخة راحت بلاد التكرور ثم بدا لى فى هذه السنة وهى سنة خمس وتسعمائة استئناف التعقيبات على وجه مبسوط والحاق موضوعات كثيرة فاتت أبا الفرج فلم يذكرها ففعلت ذلك فخرج الكتاب عن هيئته التى كان عليها أولا وتعذر الحاق ما زدته فى تلك النسخ التى كتبت الا باعدام تلك وانشاء نسخ مبتدأة فأبقيت تلك على ما هى عليه ويطلق عليها الموضوعات الصغرى وهذه الكبرى وعليها الاعتماد ) أ . هـ .

فالسيوطى مدافع عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كعالم للحديث له مقاييسه الصحيحة المتفق عليها عندعلماء الحديث فهو يفرق بين الحديث الصحيح والحسن والضعيف ولا يخلط بين الحديث الضعيف والمكذوب ويعرف ذلك كل من يرجع الى أمهات أصول الحديث ومنها كتاب تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ، وان تعمد الخلط بين أنواع الحديث يعتبر من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول الامام الحافظ أبو العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى فى مقدمته تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى فى ذكر الكتب التى ألفت فى الأحاديث الموضوعة منها الذيل على موضوعات ابن الجوزى للسيوطى وذكر منها الموضوعات الكبرى — فى أربع مجلدات لابن الجوزى — وقد أورد ابن حجر فى الذب عن مسند أحمد جملة من الاحاديث التى أوردها ابن الجوزى فى الموضوعات وهى فى مسند أحمد ورد عليها أحسن الرد — وقد شرع ابن حجر فى تأليف تعقيبات على الموضوعات وقد تتبع جلال الدين

السيوطى جملة من الأحاديث ليست بموضوعة منها ما هو فى السنن الأربعة والمستدرك فى تأليف سماه (النكت البديعيات على الموضوعات) ولخصها أيضا فى كتاب مع زيادات وتعقيبات سماه اللآلىء المصنوعة فى الأخبار الموضوعة ) كذا فى الكشف • ومنها تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة للشيخ أبى الحسن على ابن محمد بن عراق الكنانى المتوفى سنة ٩٦٣ هـ جمع فيه بين موضوعات ابن الجوزى والسيوطى ورتب على ترتيبه وأهداه الى السلطان سليمان خان » (١) •

فالسيوطى امام فى معرفة الحديث وناقد ومدافع عن السنة بمنهج أقره علماء السنة ولمنهجه أثره العظيم فيمن ألف بعده للذب عن سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكتاب تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة هو جمع لموضوعاته وموضوعات ابن الجوزى — وارتضى مقاييسه علماء الحديث فى كل عصر ومصر •

السيوطى وشرح السنة له كتاب ( تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك

وله شرح على الترمذى ( قوت المغتذى على جامع الترمذى )

وله شرح لصحيح مسلم بن الحجاج ( الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ) •

أيها القارىء الكريم :

ان السيوطى صاحب هذه التصانيف وغيرها فى مكتبة الحديث هو مؤلف الجامع الكبير فماذا قال العلماء فيه ؟

## الجامع الكبير للسيوطى

### تقدير علماء الحديث له

يقول فيه المحدث العلامة علاء الدين بن حسام الدين الشهير بالمتقى الهندى •

انى قد وقفت على كثير مما دونه الأئمة فى كتب الحديث فلم أر فيها أكثر جمعا ولا أكثر نفعا من كتاب

---

(١) مقدمة تحفة الاحوذى للمباركفورى ص ٣٩٠ •

جمع الجوامع الذى ألفه العلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطى سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه حيث جمع فيه من الأصول الستة ( البخارى ومسلم وجامع الترمذى وسنن أبى داود وسنن النسائى وابن ماجه ) وغيرها الآتى ذكرها عند رموز الكتاب وأودع فيه من الأحاديث ألوفا ومن الآثار صنوفا وأجاد فيه كل الاجادة مع كثرة الجدوى وحسن الافادة ) (١) هذه شهادة محدث من أكبر محدثى علماء الهند والعالم الاسلامى وأعلنها منذ أكثر من ثمانين سنة فى كتابه المطبوع منذ أكثر من ثمانين عاما وملأ الدنيا واحتل الصدارة فى مكتبات العالم الاسلامى وجامعاته وأقرها العلماء المحدثون فى الهند ولم يعترض عليها عالم وأقرها علماء الحديث بمصر والأزهر والعالم الاسلامى ولم نر اعتراضا أو مخالفا من علماء الحديث فى قوله •

وصاحب الرسالة المستطرفة يعد جمع الجوامع من مشهور كتب السنة المشرفة ذكر مولانا الامام السيد محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة (٢) قال ( والجوامع الثلاثة للسيوطى وهى الصغير وفيه على ما قيل عشرة آلاف حديث وتسعمائة وأربعة وثلاثون حديثا فى مجلد وسط وذيله المسمى بزيادة الجامع وهو قريب من حجمه والكبير وهو المسمى (جمع الجوامع) أ هـ •

ثم يذكر الكتانى المؤلفات التى ألفت حول جمع الجوامع وكانت ثمرة له فى مكتبة الحديث وسأذكرها فى هذا البحث عند الحديث عن أثر جمع الجوامع فى مكتبة الحديث الشريف •

---

(١) مقدمة كتاب كنز العمال فى سنن الأقوال والافعال للمتقى الهندى.

(٢) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمولانا الامام السيد محمد بن جعفر الكتانى طبع دار الفكر سنة ١٩٦٤ صفحة ١٨٢

ويقول صاحب أهم مرجع لأحاديث الأحكام وهو كتاب نيل الأوطار ، محمد بن على بن محمد ابن عبد الله الشوكانى ثم الصنعانى ذكروا فى ترجمته أنه سند المجتهدين الحفاظ وترجمان الحديث وشيخ الاسلام قال : ومؤلفات السيوطى محررة لا تصحيف فيها وقد انتشرت فى سائر الأمصار (١) .

وفى كتاب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون للعالم الفاضل المؤرخ الكامل مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة وبكاتب جلبى (٢) ، قال جمع الجوامع فى الحديث للسيوطى الشافعى وهو كبير.. ذكر فيه أنه قصد استيعاب الأحاديث . وأخذ يعرف به بلا اعتراض عليه .

ويقول المحدث الشيخ أبو الحسن البكرى فى تأليف جمع الجوامع وقسمه قسمين : الأول ساق فيه لفظ (للسيوطى منة على العالمين وللمتقى منة عليه ) (٣) .

ففى رأى المحدث الكبير أن السيوطى بتأليفه الجامع الكبير أسدى للعالمين خيرا وكان له بذلك التأليف منة على العالمين لنشر سنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومنهجه الموفق ، وللمتقى منة عليه لأنه رتب جمع الجوامع على الأبواب فى كتابه ( كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ) ، وعرف بالجامع الكبير للسيوطى صاحب تحفة الأحوذى شرح الترمذى فى المقدمة(٤) وهو الامام الحافظ أبى العلى محمد ابن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى : ذكر الجوامع وبدأ بالجامع الكبير للسيوطى ( فقال منها جمع الجوامع لجلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى وهو كبير ذكر فيه أنه قصد استيعاب الأحاديث النبوية

---

(١) مقدمة تدريب الراوى للشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف .

(٢) كشف الظنون طبع طهران ج ١ ص ٥٩٧

(٣) اول كنز العمال طبع دائرة المعارف النظامية فى حيدر اباد الدكن سنة ١٣١٢ هـ .

(٤) مقدمة تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى المباركفورى ص ٧٧

الحديث بنصه يذكر من خرجه ومن رواه من واحد الى عشرة أو أكثر يعرف منه حال الحديث مرتبا ترتيب اللغة على حروف المعجم والثانى فى الأحاديث الفعلية المحضة والمشتملة على قول أو فعل أو سبب أو مراجعة ونحو ذلك مرتبا على مسانيد الصحابة،قدم العشرة ثم بدأ بالباقى على حروف المعجم فى الأسماء ثم بالكنى كذلك ثم بالمبهمات ثم بالنساء ثم بالمراسيل وطالع لأجله كتبا كثيرة» قال فى الجامع الصغير قصدت فى جمع الجوامع جمع الأحاديث النبوية بأسرها قال شارحه المناوى هذا بحسب ما اطلع عليه المؤلف لا باعتبار ما فى نفس الأمر لانافتها على ما جمعه الجامع المذكور لو تم وقد اخترمته المنية قبل اتمامه (١) .

**اثر جمع الجوامع فى مكتبة الحديث الشريف :**

عرف العلماء المحدثون قدر الجامع الكبير للسيوطى فقامت حوله الدراسات الحديثية وألفت حوله الكتب من كبار علماء الحديث العالمين بمقياس الحديث ورجاله .

يقول صاحب الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة بعد التعريف بالجامع الكبير للسيوطى .

( ولخاتمة المحققين بالحديث بالديار المغربية ( أبى العلاء ) مولانا المتوفى بها سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف هجرية .

كتاب عرف فيه بأئمة الحديث المخرج لهم فى الجامع الكبير ( الفتح البصير فى التعريف بالرجال المخرج لهم فى الجامع الكبير ) وله أيضا كتاب آخر فى الكلام على أحاديث الجامع الكبير بالصحة والحسن وغيرهما وسماه الدرر اللوامع فى الكلام على أحاديث جمع الجوامع ولكنه لم يكمل ) (٢) .

---

(١) مقدمة تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى للمبار كفورى ص ٧٧.

(٢) الرسالة المستطرفة لبيان أحاديث السنة المشرفة طبعة دار الفكر صفحة ١٨٢ الطبعة الثالثة .

كتاب الجامع الأزهر من حـديث النبى الأنور ) (١) .

رأى صاحب كتـاب الجـامع الأزهر أن العلماء اعتقدوا أن جمع الجـوامع به جميـع الأحاديث لأن السيوطى قال قصدت جمع الأحاديث النبوية بأسرها ولكن قد اخترمتـه المنية قبـل أن يستكمل الأحاديث بأسرها ورأى أن العلماء اذا لم يجدوا حديثا فى الجامـع الكبير للسيوطى ظنوا أنه غير موجـود ، وذكر أن العلماء المحدثين يعتمدون عليـه فى الكشف على الحديث ، وهذا يدل على تقـدير العلماء للكتاب واتخاذه مرجعـا واقرارهم له ، فرأى مؤلف الجامع الأزهـر ، أن يكمل هـذا البناء الشامخ العظيم مع المحـافظة على ما فى الجامع ، ومثل هـذا هو النقد البناء ، قال المباركفورى (٢) ( الجـامع الأزهر من حديث النبى الأنور ) قال مؤلفه فى خطبة الكتاب ما لفظه : ومن البواعث على تأليف هـذا الكتاب أن الحـافظ الكبير الجلال السيوطى ادعى أنه جمع فى ( كتابه الجـامع الكبير ) الأحاديث النبوية مع أنه فاته الثلث فأكثر فيما وصلت اليه أيدينا فصار كل حديث يسأل عنـه أو يريد الكشف عنـه يراجع الجامع الكبير فان لم يجده فيه غلب على ظنـه أن لا وجود له فربما أجاب بأنه لا أصـل له .. فأردت التنبيه على ما فاته فى هـذا المجموع فما كان فى الجامع الكبير أكتبه بالمداد الأسـود وما كان من المزيد فبالمداد الأحمر أو أجعل عليه مدة حمـراء ولم أورد فيـه مما فى الكتب الستة الا النـادر نشـهرتها وكثرة تداولهـا وسـهولة الوقوف عليها فعمـدت الى جمع الشـوارد والاعتناء بالزوائد واعتمدت فى بيان حال الأسانيد على ما حرره جدنا من قبل الأمهـات ولى الدين العـراقى والحافظ الكبير نور الدين الهيثمى ومن فى طبقتهم فهم المرجـع فى ذلك والعمدة وعليهم الاعتماد والعهـدة ولمـا تم هذا المطلب على هذا النمط

(١) انظر مقدمة تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى للمباركفورى ص ٧٨ .

(٢) مقدمة تحفة الاحوذى .

سميته ( بالجامع الأزهر من حديث النبى الأنور ) .. مرتبا على حروف المعجم لكونه أسهل كشفا وأقوم ولأن كلا من الطلاب لذلك آلف ) .

كتاب منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للتقى الهندى مطبوع على هامش مسند الامام أحمد وعليه تنبيه نصه «كنز العمال وان اشتهر بين الأنام لكن منتخب كنز العمال الموضوع بالهامش مع احتوائه على المقصود من كنز العمال قد فاق عليه بشيئين كما قال المؤلف فى خطبته (ففاق هذا التأليف على كنز العمال بشيئين أحدهما بحذف التكرار ، والثانى امتزاج أحاديث الأفعال بأحاديث الأقوال ترجمة بعد ترجمة ) وقد اشتمل على نحو اثنين وثلاثين ألف حديث خالية عن التكرار فليعلم ) .

**كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال:**

للعلامة المحدث علاء الدين على ابن حسام الدين المتقى الهندى (١) طبع بحيدر آباد الدكن بالهند (٢) وطبع بحلب .. وطبع منشورات مكتبة التراث الاسلامى ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكرى حيانى وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوة السقا . وقدم له فضيلة المحدث الكبير محمد يوسف الحسينى البنورى ، جمع فيه المؤلف الجامع الكبير للسيوطى ، والجامع الصغير للسيوطى وهو عشرة آلاف حديث كما ذكر النبهانى فى كتابه ( الفتح الكبير ) الذى جمع فيه الجامع الصغير وزيادات السيوطى عليه وذكر النبهانى أن زيادة السيوطى على الجامع الصغير عدها بعض أصحابه فوجدها أربعة آلاف وأربعمائة وأربعين حديثا فيكون مجموع الجامع الصغير والزيادة أربعة عشر ألف وأربعمائة وخمسين حديثا ، جمع كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال الجامع الكبير والجامع الصغير والزيادة على الجامع الصغير ورتب الأحاديث على الأبواب ، قال المتقى الهندى : ( وسميته كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال فمن ظفر بهذا التأليف فقد ظفر بجمع الجوامع للسيوطى مبوبا

مع أحاديث كثيرة ليست فى جمع الجوامع لأن المؤلف السيوطى رحمه الله زاد فى الجامع الصغير وذيله أحاديث لم تكن فى جمع الجوامع(١) قالوا فيه ( كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين الهندى البرهان فورى ـ لله دره ـ حيث من بترتيب جمع الجوامع للسيوطى كان ترتيب أحاديثه على وفق حروف الهجاء فسهل الطريق على الطالبين وصيرها مبوبة على ديدن الفقهاء فشدوا الرحال اليه وكان الشيخ أبو الحسن البكرى يقول:(للسيوطى منة على العالمين وللمتقى منة عليه) .

وقد فرغ المؤلف من تأليفه سنة (٩٧٥ هـ فى شهر جمادى الأولى ) .

ولمنهج التبويب على طريقة الفقهاء أهميته فى دراسة الموضوع متكاملا وجمع الأحاديث فى مكان واحد يفسر بعضها بعضا فيطلع الباحث على جميع أحاديث البيع مثلا فى مكان واحد أو الزكاة أو الصلاة أو الأخلاق الخ ...

ولمنهج الترتيب على حروف المعجم أهميته ومميزته فلا يغنى منهج عن منهج كما قال صاحب كتاب ( الجامع الأزهر من حديث النبى الأنور ) : « جعلته مرتبا على حروف المعجم لكونه أسهل كشفا وأقوم ولأن كلا من الطلاب لذلك آلف » .

ومثال ذلك مسند الامام أحمد رتبه الشيخ البنا فى كتابه القيم ( الفتح الربانى ) مبوبا على طريقة الفقهاء وهو عمل جليل له مميزاته ولكن لا يقال نستغنى به عن طبع المسند للامام أحمد فهو مع ذلك لا زال يطبع طبعات متعددة ولقد فطن المحدثون لذلك فطبعوا كتب المسانيد ، والمعاجم والجوامع وعن تنظيمهم ومناهجهم وتبويبهم وفهرستهم ، تعلمت أوربا وطوروا منهج التنظيم فأنتجوا مثل المعجم المفهرس لألفاظ الحديث لونسنك وغيره .

---

(١) كنز العمال ص ٣ طبع حيدر أباد الدكن بالهند سنة ١٣١٢ هـ .

**منهج السيوطى فى الجامع الكبير :**
**( جمع الجوامع )**

قال السيوطى ( هذا كتاب شريف حافل بجميع الأحاديث النبوية كامل قصدت فيه استيعاب الأحاديث النبوية وقسمته قسمين : الأول ـ أسوق فيه لفظ المصطفى بنصه وأطوق كل خاتم بفصه وأتبع متن الحديث بذكر من خرجه من الأئمة أصحاب الكتب المعتبرة ومن رواه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ) .

ويرمز السيوطى « لدرجة الحديث الصحيح ( صح ) والحسن ( ح ) والضعيف ( ض ) ووضع رموزا لأسماء الكتب التى يعزو اليها مثل ( خ ) لصحيح البخارى و ( م ) لمسلم و ( ق ) فى الجامع الصغير لما اتفق عليه البخارى ومسلم وأما فى الجامع الكبير فهى رمز (للبيهقى) و ( د ) لأبى داود و ( ت ) للترمذى و ( م ) للنسائى و ( حم ) لأحمد فى مسنده و ( حب ) لابن حبان فى صحيحه الى آخر ما ذكره فى المقدمة وقال فى جمع الجوامع : وجميع ما فى الكتب الخمسة صحيح، البخارى ومسلم وصحيح ابن حبان والمختارة للضياء المقدسى والمستدرك للحاكم سوى ما فيه من التعقيب فينبه عليه والعزو اليها معلم بالصحة وكذا ما فى موطأ مالك وصحيح ابن خزيمة وأبى عوانه وابن السكن والمنتقى لابن الجارود والمستخرجات فالعزو اليها معلم بالصحة أيضا وفى سنن أبى داود ما سكت عليه فهو صالح وما بين ضعفه نقلت وفى النسائى والترمذى وابن ماجة ومسند الامام أحمد وزوائد ابنه ومصنف عبد الرازق وابن أبى شيبة ومسند أبى يعلى والطبرى فى المعجم الكبير والصغير والأوسط ـ والدارقطنى والحلية لأبى نعيم والبيهقى فى الشعب ـ والسنن ، يقول فيها صحيح وحسن وضعيف فأبينه غالبا وكل ما كان فى مسند أحمد فهو مقبول فان الضعيف الذى فيه يقرب من الحسن وكل ما عزى للعقيلى فى الضعفاء ولابن عدى فى الكامل وللخطيب فى تاريخه ولابن عساكر فى تاريخه والديلمى فى

مسند الفردوس فهو ضعيف فيستغنى بالعزو اليها أو الى بعضها عن بيان ضعفه ) •

وذكر السيوطى (١) أسماء الكتب التى اطلع عليها حتى اذا اخترمته المنية يكمل من يريد بعده من غير الكتب التى جمعها فى الجامع الكبير •

قال المتقى الهندى ( وجد بخط الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله ما صورته ( الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى هذه تذكرة مباركة بأسماء الكتب التى انتهيت من مطالعتها على تأليف جمع الجوامع خشية أن تهجم المنية قبل تمامه على الوجه الذى قصدته فيقضى الله من يذيل عليه فاذا عرف ما انتهت مطالعته استغنى عن مراجعته ونظر ما سواه ) فذكر مما انتهت الكتب الستة البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى واليسائى وابن ماجة والموطأ ومسند الامام أحمد ومسند الشافعى وأخذ يعد أكثر من ثمانين كتابا ختمها بمصنف عبد الرازق ومصنف ابن أبى شيبة والترغيب فى الذكر لابن شاهين •

**من كتب السنة المعتمدة ما يشتمل على الصحيح والحسن والضعيف ولكن لا يشتمل على الموضوع :**

علمنا من دراسة منهج السيوطى فى التنبيه على درجات الحديث وكتبه أن من كتب السنة المعتمدة عند علماء الحديث ما يشتمل على الحديث الصحيح والحسن والضعيف مثل سنن أبى داود ، وسنن النسائى ، وجامع الترمذى أو صحيح الترمذى كما يطلق عليه علماء الحديث وسنن ابن ماجة ومسند الامام أحمد ومصنف عبد الرازق ومصنف ابن أبى شيبه وسنن البيهقى ) •

وليس فيها الموضوع كما سيذكر لنا السيوطى وعلماء الحديث فهناك فرق بين الضعيف والموضوع •

فمن الضعيف ما يقرب من درجة الحسن كما ذكر السيوطى فى قوله ( وكل ما فى مسند أحمد فهو مقبول

---

(١) مقدمة كنز العمال للمتقى ص ١١ ج ١ طبع الهند .

فان الضعيف الذى فيه يقرب من الحسن ) .

## السيوطى وعلماء الحديث

( يحذرون من رواية الأخبار الموضوعة ويحرمونها ) .

( ويدافعون عن السنة وكتبها ) .

( ويفرقون بين الضعيف والموضوع ) .

يقول الشيخ ابن الصلاح : الموضوع هو المختلق المصنوع واعلم أن الحديث الموضوع شر الأحاديث الضعيفة ولا تحل روايته لأحد علم حاله فى أى معنى كان الا مقرونا ببيان وضعه بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التى يحتمل صدقها فى الباطن حيث جاز روايتها فى الترغيب والترهيب ) مقدمة ابن الصلاح .

ويقول الامام النووى فى كتابه التقريب[1] ( الموضوع هو المختلق المصنوع وشر الضعيف وتحرم روايته مع العلم به فى أى معنى كان الامبينا ) .

ويقول السيوطى فى كتابه تدريب الراوى شرح تقريب النواوى فى النوع الحادى والعشرين ( الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع وهو شر الضعيف وأقبحه وتحرم روايته مع العلم بوضعه فى أى مكان سواء فى الأحكام والقصص والترغيب وغيرها الا مبينا أى مقرونا ببيان وضعه وذلك لحديث الامام مسلم عن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين ) .

وقال النووى فى التقريب ( قد أكثر جامع الموضوعات فى نحو مجلدين أعنى أبا الفرج بن الجوزى فذكر كثيرا مما لا دليل على وضعه بل هو ضعيف ) فالمحدثون يفرقون بين الموضوع والضعيف .

## مقاييس ابن حجر والسيوطى المعتمدة فى الذب عن السنة وكتبها

ذكر السيوطى فى كتابه التدريب « قال قد اختصرت هذا الكتاب

---

(١) تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ص ١٧٨ .

( الموضوعات لابن الجوزى ) فعلقت على أسانيده وذكرت منها مواضع الحاجة وأثبت بالمتون وكلام ابن الجوزى عليها وتعقبت كثيرا منها وتتبعت كلام الحفاظ فى تلك الأحاديث خصوصا شيخ الاسلام ابن حجر فى تصانيفه وأماليه ثم أفردت الأحاديث المتعقبة فى تأليف وذلك أن شيخ الاسلام ألف « القول المسدد فى الذب عن المسند » ( مسند أحمد ) أورد فيه أربعة وعشرين حديثا فى المسند وهى فى الموضوعات وانتقدها حديثا حديثا ( فأخرجها عن الوضع ) ومنها حديث فى صحيح مسلم وذكر ذلك فى الموضوعات غفلة شديدة ــ قال السيوطى وذيلت على هذا الكتاب بذيل فى الأحاديث التى بقيت فى الموضوعات من المسند وهى أربعة عشر مع الكلام عليها ثم ألفت ذيلا بهذين الكتابين سميته « القول الحسن فى الذب عن السنن(١) » أوردت فيه مائة وبضعة وعشرين حديثا ليست بموضوعة منها ما هو فى سنن أبى داود وهى أربعة أحاديث ومنها ما هو فى جامع الترمذى وهو ثلاثة وعشرون حديثا ومنها ما هو فى صحيح البخارى رواية حماد بن شاكر ومنها ما هو فى تأليف البخارى غير الصحيح كخلق أفعال العباد أو تعاليقه فى الصحيح أو فى مؤلف أطلق عليه اسم الصحيح كمسند الدارمى والمستدرك وصحيح ابن حبان أو فى مؤلف معتبر كتصانيف البيهقى فقد التزم ألا يخرج فيها حديثا موضوعا ومنها ما ليس فى أحد هذه الكتب وقد حررت الكلام على ذلك حديثا حديثا فجاء كتابا حافلا (٢) .

وبهذه القوة العلمية والمقاييس الدقيقة دافع ابن حجر والسيوطى عن السنة وكتبها وبصروا المحدثين بدرجات الحديث النبوى وكتبه وتتلمذ العلماء على كتبهما وكتب ابن الصلاح والنووى فى المحافل

---

(١) تدريب الراوى للسيوطى ص ١٨٢
(٢) انظر تدريب الراوى فى أصول الحديث ص ١٨٢ طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

العلمية والجامعات الاسلامية وتأليف كتب أصول الحديث النبوى الشريف .

أيها القارىء الكريم :

قد أكون أطلت وأسهبت ولكن من أجل غاية نبيلة « الدفاع عن كتب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ولعل بعد هذه الدراسة الموضوعية العلمية المدعمة بالمراجع الأصلية وليس لنا فيها الا شرف اظهار الحقيقة والاشارة الى قسماتها الوضاءة لعلنا تتفق على نتائج حاسمة صادقة نسميها .

## نتائج البحث

١ ــ السيوطى صاحب مكانة فى الحديث النبوى وعلومه بمؤلفاته فى أصول الحديث . وعلم رجال الحديث وطبقاته ــ وفى الدلالة على الأحاديث الموضوعة والتحذير منها ــ وفى شرحه الحديث وجمع الحديث وتخريج الحديث وبيان درجته .

٢ ــ كتاب جمع الجوامع والجامع الصغير وزوائد الجامع الصغير . طبعت منذ أكثر من ثمانين عاما مبوبة على طريقة الفقهاء ، وكان تخريجها ودرجاتها كما خرجها السيوطى ونشرت باسم ( كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ) ــ واستقبله علماء الحديث بالتقدير وحفلت به مكتبات العالم الاسلامى فى الهند ومصر فى مكتباتها العامة والخاصة ومنها مكتبة الأزهر وكلية أصول الدين والشريعة بالازهر وعرفه العامة والخاصة بما فيهم فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ولم يعترض عليه معترض بل ظفر بثناء العلماء المحدثين ودراساتهم فى العالم الاسلامى فى الهند والمغرب ومصر وأشاد به مدونو كتب الحديث واعتبروه من كتب السنة المشرفة ولم يدع عالم مطلقا فى العالم الاسلامى بأنه من كتب الموضوعات وقد عمت شهرته وتعددت طبعاته فى القديم والحديث فى الهند ودمشق وبيروت .

٣ ــ مجمع البحوث بالأزهر قد سبق من علماء الحديث فى العالم الاسلامى بالعناية بكتاب الجامع

الكبير ولم يعترض معترض مطلقا بل أثنى العلماء على هذا العمل الجليل .

٤ ــ الجامع الكبير ( جمع الجوامع للسيوطى ) ضمن محتوياته كتب أصول السنة المعتمدة صحيح البخارى وصحيح مسلم وجامع الترمذى وسنن أبى دواد والنسائى وابن ماجة والموطأ للامام مالك ومسند الامام أحمد ومعلوم أن مسند الامام أحمد وحده يضم أربعين ألف حديث بالمكرر وثلاثين ألف حديث بغير المكرر(١) .

٥ ــ يفرق علماء الحديث بين الضعيف الذى قد يوجد ضمن كتب السنة المعتمدة كمسند الامام أحمد وجامع الترمذى وسنن أبى داود وابن ماجة وغيرها وبين الموضوع . أئمة علوم الحديث ابن الصلاح والنووى وابن حجر والسيوطى وغيرهم يحرمون رواية الحديث الموضوع ويوجبون النص عليه بأنه موضوع والاكان أحد الكذابين كما روى لنا السيوطى حديث الامام مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين » ..

فى ضوء هذه النتائج تنهار الدعاوى الصحفية التى أثارها فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الجليل عيسى حول الجامع الكبير للسيوطى فتعال معى لنناقش قضاياه ونرى مدى صحتها :

أولا ــ هل صحيح ما نشر فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى حول الجامع الكبير للسيوطى أم هو كلام جرائد كما يقولون ؟ فلنناقش ذلك ..

« ( قال الشيخ عبد الجليل عيسى فى صفحة الفكر الدينى عدد الجمعة بجريدة الأهرام ٢٣ يناير سنة ١٩٧٦م وفى جريدة الأخبار الصفحة الثالثة

---

(١) مقدمة مسند الامام أحمد فى مناقب الامام أحمد والتعريف بمسنده ملخصة من طبقات الامام ابن السبكى الكبرى ــ المطبعة الميمنية ج ١ ص ٢ فى المقدمة ..

يوم الجمعة ١٩٧٦/٤/٢٣ م « من المسئول فى الأزهر عن نشر ٩٠ ألف حديث مكذوب » الأهرام فى الأخبار « ( سؤال موجه الى مجمع البحوث لماذا الاصرار على نشر كتاب يضم ٩٠٠ ألف حديث مكذوب ؟ ) » .

ومن الناحية الشكلية فليس من المعقول أن يزيد فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى العدد من ٩٠ ألف حديث مكذوب كما نشر فى الأهرام فى شهر ١/سنة ١٩٧٦م الى ٩٠٠ ألف حديث مكذوب كما نشر فى الأخبار شهر ٤/سنة ١٩٧٦م وننزه فضيلة الشيخ عن ذلك فلابد أن تكون هذه الزيادة من كلام الجرائد وأثارتها لا من الشيخ عبد الجليل عيسى .

والدليل على ذلك أن الكتاب ( الجامع الكبير ليس فيه هذا العدد ٩٠٠ ألف حديث ) ولا يوجد كتاب فيه هذا العدد ، قال النبهانى فى كتابه « الفتح الكبير فى ضم الزيادة الى الجامع الصغير » وهما لجلال الدين السيوطى ( طبع مصطفى الحلبى ) قال الشيخ عبد القادر الشاذلى تلميذ السيوطى فى كتابه حلاوة المجامع قال السيوطى أكثر ما يوجد على ظهر الأرض من الأحاديث النبوية القولية والفعلية مائتا ألف حديث ونيف جمع المصنف منها (السيوطى) مائة ألف حديث فى هذا الكتاب الجامع الكبير واخترمته المنية » (١) فما نشر فى الأخبار من العدد ٩٠٠ ألف منهار من أساسه ومن البطلان وتصحيف صحفى أو غير صحفى لا يليق بمكانة السنة والغيورين عليها .

يبقى الرد على ما نشر فى الأهرام ( من المسئول عن نشر ٩٠ ألف حديث مكذوب ؟ ) .

وتنهار هذه الدعوى أيضا ويتأكد فى يسر عدم صحتها بعد أن علمنا من علماء الحديث المعتمدين بالاجماع بأن الجامع الكبير للسيوطى ضمن ما يشتمل عليه كتب أصول السنة

---

(١) الفتح الكبير للنبهانى طبع الحلبى فى المقدمة ج ١

وصحاحها بصحيح البخارى وصحيح مسلم وجامع الترمذى وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجة والموطأ ومسند أحمد ، ومسند أحمد وحده يضم أربعين ألف حديث بالمكرر وثلاثين ألف حديث من غير المكرر هذا فضلا عن باقى كتب السنة المعتمدة للبخارى ومسلم والترمذى وأبى داود والموطأ وغيرها فهل أحد يصدق أن هذه الكتب فيها الموضوع من الحديث يا فضيلة الشيخ ؟

أو موضوعة ؟ انه أمر واضح البطلان لا يحتمل المناقشة ويتأكد بذلك كذب ما نشره الشيخ فى الأهرام أو الأخبار معا .

ثانيا — هل صحيح قول فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى فى الأهرام؟

فى قوله : والغريب أن هذا الكتاب لم ينشر ولم ير النور من قبل ؟

والرد واضح بأن ذلك الكلام غير صحيح مطلقا بعد أن علمنا أن الجامع الكبير نشر منذ أكثر من ثمانين عاما وألفت حوله الدراسات وملأ المكتبات وتكررت طبعاته وأقره العالم الاسلامى ولم يعترض عليه الشيخ عبد الجليل عيسى ولا غيره ، ولكن الشيخ يدعى أنه لم ينشر ويعلل عدم نشره بقوله ( والسبب أن السيوطى نفسه قرر أن فيه كذبا كثيرا والدليل على ذلك أنه استخلص منه ١٠ آلاف حديث جمعها فى كتابه الجامع الصغير وقال فى مقدمته ) — ( راجعت ماجمعت وفحصته وأبعدت ما جاء به وضاع أو كذاب ) ا هـ كلام الشيخ عبد الجليل عيسى .

وبناء على ذلك عمل الشيخ حسبة فى ذهنه على الفور فطرح عشرة آلاف حديث ( الجامع الصغير ) من مائة ألف حديث الجامع الكبير فيكون الباقى وهو ما يتكون منه الجامع الكبير ٩٠ ألف حديث مكذوبا وهو الموضوع الذى اعترف به السيوطى نفسه والاعتراف سيد الأدلة وهو السر فى عدم نشر كتاب الجامع الكبير الذى يشتمل على ٩٠ ألف حديث مكذوب .

وأقول للشيخ عبد الجليل كما أن دعوى عدم نشر الكتاب غير صحيحة التعليل أيضا غير صحيح .

التحريف من الشيخ لكلام السيوطى والتقديم والتأخير من الشيخ لعبارة السيوطى هو الذى أوجد الخطأ وليس ذلك من أمانة النقل والعلم واليك ما قال السيوطى فى مقدمة الجامع الصغير بنصه :

قال السيوطى : هذا كتاب أودعت فيه من الكلم النبوية ألوفا ومن الحكم المصطفوية صنوفا اقتصرت فيه على الأحاديث الوجيزة ولخصت فيه من معادن الأثر أبريزة وبالغت فى تحرير التخريج فتركت القشر وأخذت اللباب وصنته عما تفرد به وضاع أو كذاب ففاق بذلك الكتب المؤلفة لهذا النوع كالفائق والشهاب وحوى من نفائس الصناعة الحديثية ما لم يودع قبله فى كتاب ورتبته على حروف المعجم مراعيا أول الحديث فما بعده وسميته الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير لأنه مقتضب من الكتاب الكبير الذى سميته جمع الجوامع وقصدت فيه جمع الأحاديث النبوية بأسرها ) اهـ كلام السيوطى مقدمة الجامع الصغير للسيوطى .

فانظر أيها القارىء الكريم كيف استقام المعنى عندما صح النقل وحذف الموضوع من كلام الشيخ عبد الجليل فى النص فالسيوطى لم ينسب الكذب للجامع الكبير ولم يقل قصدت فيه جمع الموضوعات وانما قال قصدت فيه جمع السنة النبوية بأسرها ..

« اختصار كتاب من كتاب ليس معناه الغاء الكتاب المختصر منه » .

ولو ظن الشيخ أن اختصار كتاب من كتاب معناه الغاء المختصر منه واعتراف صاحبه بذلك لكانت سنن النسائى الصغرى تلغى الكبرى والتاريخ الصغير للبخارى يلغى التاريخ الكبير له ومعجم الطبرانى الصغير اعتراف بالغائه للكبير وليس الأمر كذلك ولم يقل أحد بذلك ولذا لم يفهم هذا الفهم من كلام السيوطى أى عالم للحديث وليس من الأمانة تحريف النصوص .

**ايها القارىء الكريم :**

لعلك تبينت الآن وأيقنت أن كل ما ذكره الشيخ عبد الجليل عيسى منهار من أساسه ولا صحة له ويمكن أن نكتفى بذلك عن المناقشة التفصيلية المتشعبة خاصة وأن فى مقالات الشيخ ظاهرة غريبة لا ندرى سرها وهى تدخل الصحفيين بالتأييد والاثارة والتعليق فى مقالاته سواء فى الصفحة الدينية فى جريدة الأهرام أو الأخبار وكأن بينهم وبين المجمع أو التراث الاسلامى ثأرا ، يتجلى ذلك واضحا فى كتابتهم وتعليقهم على الشيخ عبد الجليل وذهاب المحررين اليه ويتجلى ذلك فى تدخلهم فى المقال الذى رد به فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث فيعنونون له باصرار المجمع على الكذب ، ويعلقون بقولهم « وأخيرا تكلم أمين المجمع » وهذه غوغائية صحفية بعيدة عن المنهج العلمى الذى يدعيه الشيخ عبد الجليل والمعلقين عليه فى الصفحات التى تنتسب للدين ..

نعم كان من الممكن أن نكتفى بهذه الجولة معه ولكن حبا فى زيادة التوضيح فلنستمر فى الجولة .

« اعتراض الشيخ عبد الجليل على منهج السيوطى فى روايته للحديث بدون سند غير الصحابى وتخريجه الحديث وعمل اللجنة » .

يقول محرر حديث الشيخ عبد الجليل فى جريدة الأخبار عدد الجمعة ١٩٧٦/٤/٢٣م :

ونسأل الشيخ المجاهد المحقق عن كيفية تخريج الأحاديث فيقول :

والتخريج هو أن نذكر جميع رواة أى حديث بترتيبهم من مبدأ السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آخر من دون الحديث فى كتاب البخارى ومسلم .

ويقول : ان علم الحديث فن لا يقدر عليه الا أولو العزم من العلماء المتخصصين ولا يتقن هذا الفن فى الأزهر اليوم الا عدد قليل من العلماء فى الخارج ( ونطمئن الشيخ على الازهر ففيه علماء فى الداخل والخارج وهم كثرة والحمد لله .

وأقول للمجاهد المحقق الكبير هل تعترف بكتاب التاج الجامع

للأصول فى أحاديث الرسول تأليف الشيخ منصور على ناصف ــ طبع الحلبى ــ .

انه لا يذكر من السند الا الصحابى فقط ويذكر الكتاب الذى خرج الحديث مثل عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين ــ رواه الشيخان فالتخرج أن يذكر الكتاب الذى خرج الحديث وذكره وهذا يغنى عن السند يقول صاحب الكتاب جمعت فيه الأصول الخمسة واكتفيت من السند براوى الحديث فى أوله ومخرجه فى آخره ( جـ ١ صفحة٨)

وهل اطلعت على جامع الأصول لابن الأثير وهو من هو فى علم الحديث :

يقول ابن الأثير فى مقدمة كتابه ( اننى حذفت الأسانيد كما فعله الجماعة ولنا فى الاقتداء بهم أسوة حسنة لأن الغرض من ذكر الأسانيد كان أولا لاثبات الحديث وتصحيحه وهذه كانت وظيفة الأولين رحمة الله عليهم وقد كفونا تلك المئونة فلا حاجة الى ذكرها وقد فرغوا منه وأغنونا عنه فلم أثبت الا اسم الصحابى الذى روى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ان كان خبرا أو اسم من يرويه عن الصحابى ان كان أثرا وأذكر من خرجه .

وهذا ما سار عليه السيوطى ولجنة تحقيق الجامع الكبير بالأزهر الشريف ..

فهل فى منطق فضيلة الشيخ أن ابن الاثير أخطأ كما أخطأ صاحب التاج والسيوطى ونطالب بعدم نشر جامع الأصول وغيره ، أى منطق هذا يا فضيلة الشيخ ؟ رفقا بالمجمع والأزهر والصحافة وكتب السنة والتراث الاسلامى .

**منهج الشيخ عبد الجليل عيسى فى الأحاديث التى ذكرها فى جريدة الأهرام والاخبار .**

اليك أيها القارىء أمثلة مما نشره فضيلة الشيخ عبد الجليل فى جريدة الأهرام الجمعة ٢٣ يناير سنة ١٩٧٦م :

ان الشيخ لم يتحر النص فى رواية الحديث وذكرها من غير راو لها فلم يذكر الصحابى ولا غيره من

الرواة ولم يخرج الحديث فلم يذكر ما ذكره السيوطى من درجة الحديث والكتاب الذى خرجه وراوى الحديث ..

مع أنه فى جريدة الأخبار لا يرتضى التخريج وذكر الحديث الا بذكر جميع السند ..

ولقد بحثت عن الأحاديث التى ذكرها فى الأهرام بحسب كلماتها الأولى فى الجامع الصغير كما ذكر فلم أوفق لأنه ذكرها بالمعنى محرفة.

فرجعت الى كتب تخريج الحديث لأصحح الأحاديث أولا ثم أكشف عليها فى مواطنها فى الجامع الصغير ثانيا وأرى ما قاله السيوطى فى تخريجها ودرجتها واليك الأمثلة :

قال الشيخ عبد الجليل قال السيوطى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كلوا العدس فان الله قد مدحه على لسان أربعين نبيا »

ووجدته فى مجمع الزوائد للهيثمى فى جـ ١ ص ٤٤

عن واثلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« عليكم بالقرع فانه يزيد فى الدماغ وعليكم بالعدس فانه قدس على لسان سبعين نبيا » رواه الطبرانى وفيه عمرو بن الحصين وهو متروك.

وفى الجامع الصغير للسيوطى ( عليكم بالقرع فانه يزيد الدماغ وعليكم بالعدس فانه قدس على لسان سبعين نبيا (طب) .

عن واثلة ( ض ) الجامع الصغير جـ ٢ ص ٦٤ طبع الحلبى .

ومعنى ( طب ) رواه الطبرانى فى الكبير ومعنى ( ض ) ضعيف فالحديث خرجه الهيثمى صاحب الكتاب العظيم مجمع الزوائد وضعفه الهيثمى وضعفه السيوطى .

فهل يطالب الشيخ عبد الجليل ومحررو مقالاته الصحفية بالغاء كتاب مجمع الزوائد للهيثمى ومعجم الطبرانى وحرقها لذكر هذا الحديث كما يطالب بعدم نشر الجامع الصغير والكبير للسيوطى لأن فيه ذلك ؟ وكان على الشيخ أن يبين فى الجريدة رأى السيوطى فى درجة الحديث وأنه ضعفه للانصاف والأمانة

العامية والمنهجية العلمية التى ينادى بها هو والصحفيون ..

أليس فى تخريج الحديث واعطاء درجته من الهيثمى والسيوطى فائدة جليلة ؟

ويقول الشيخ عبد الجليل يروى السيوطى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « فى الجنة اثنان وسبعون زوجة » الحديث ولم أجده فى لفظ لكل فى الجامع الصغير ثم وجدته فى كتاب ( مجمع الفوائد[1] ) ج ٢ ص ٧٧٢ «ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » رواه الترمذى .

وفى الجامع الصغير للسيوطى « ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربهاناظرة» (ت) (ض) عن ابن عمر يعنى رواه الترمذى ..

والحديث ضعيف ومروى عن ابن عمر فخرج السيوطى الحديث للترمذى وضعفه وذكر راويه كما فعل كتاب مجمع الفوائد .

فهل يريد محرر مقال الشيخ فى الصحافة والشيخ أن يذكرنا بمافعل عثمان من حرق المصاحف فنحرق الجامع للترمذى ومجمع الفوائد وكتب السيوطى ونلجأ اليهم فى المختار من الأحاديث طبقا لمقاييسهم؟ رفقا بالسنة وكتبها والصحافة وعقول المسلمين وتراثهم يا فضيلة الشيخ ويا أصحاب الصحافة .

**الشيخ عبد الجليل عيسى ومعه الصحافة :**

يهاجم السيوطى وأمين مجمع البحوث ولجنة تحقيق الجامع الكبير نتيجة لعدم دراسته لمصطلحات المحدثين والحديث واليك البيان والدليل .

ذكر فى صحيفة الاخبار [2] تحت العنوان الخطأ ( لماذا الاصرار على

---

(١) مجمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد لابى محمد بن محمد بن سليمان ــ ملتزم الطبع والنشر السيد عبد الله اليمانى ــ المدينة المنورة .

(٢) جريدة الأخبار يوم الجمعة ١٩٧٦/٤/٢٣ م .

نشر كتاب يضم ٩٠٠ ألف حديث مكذوب ) مع أنه كما بينا لا يوجد كتاب فيه هذا العدد ولا كل كتب السنة ولكن ليس هذا هو المقصود فقد رددنا عليه .

وانما المقصود قوله تحت هذا العنوان ( كلام أمين المجمع والعجب العجاب ) .

ويذكر الشيخ عبد الجليل عيسى دليل العجب العجاب فى رأيه ومنهجه فيقول : ( وفى حدود كلام الأمين العام للمجمع وعندما ننظر فى الكتاب سنجد العجب العجاب !! فان أكثر الأحاديث المنشورة فى الكتاب لا تحظى بأى جهد علمى دراسة أو تخريجا أو تعليقا أو تنبيها على أنها صحيحة أو ضعيفة أو مكذوبة !!

هناك مثلا حديث فى الكتاب يقول ( ان لله ملائكة ما بين شحمة اذن أحدهم الى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطير السريع الطيران ) هذا الحديث ورد فى الكتاب دون ذكر سنده أو تخريجه . فقط فيما أوردت نصه حم ع و حب و ض عن جابر : ماذا يفهم من هذا ؟ ) أ هـ كلام فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى .

وأقول لفضيلة الشيخ أما أنه لم يذكر السند فقد صدقت فيها ولكن قد بينت لفضيلتكم بأن جامع الأصول للمحدث الكبير ابن الأثير لم يذكر السند وتاج الأصول . والتجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للزبيدى؛ لأن التخريج يغنى عن ذكر السند كما ذكر لك ابن الأثير فلا تحاول أن تشوش على العامة لأنك لا شك تعرف هذه الكتب المشهورة المقدرة عند الجميع .

أما أن تقول ان الحديث لم يخرج بعد ذكرك لهذه الرموز التى ذكرتها فهذا هو المؤسف حقا ، وكذلك قولك متعجبا «ما يفهم من ذلك ؟)والسبب يافضيلة الشيخ عبد الجليل أنك جرىء تتحدث عن الأمر وتعترض عليه ، وكان عليك أن تدرسه قبل ذلك فلو كلفت نفسك بالاطلاع على مصطلحات المحدثين والكتب لعرفت انظر فى مقدمة كنز العمال أو منتخب كنز العمال أو الجزء الأول مقدمة الجامع الصغير أو مقدمة الجامع

الكبير لتعرف بأنه يفهم من ذلك الآتى :

( حم ) معناها أن الحديث رواه الامام أحمد فى مسنده و ( ع ) لأبى يعلى فى مسنده و ( حب ) لابن حبان فى صحيحه ، و (ض) للضياء المقدسى فى مختاره و ( د ) كل الدنيا تعرف هـذا الرمز فى كل كتب الأحاديث معناه لأبى داود فى سننه •

أفبعـد ذلك تقـول وتستحل وتتعجب من السيوطى وأمين مجمع البحوث واللجنة وتدعى بأن الحديث لم يخرج ، أن العجب العجـاب فى منهجك يا فضـيلة الشـيخ لا فى منهجهم •

ولو قـرأت يا فضـيلة الشـيخ عبد الجليل المصطلحات لما تورطت فى قولك بأن الحديث لم ينبه عليه أنه (صحيح أو ضعيف أو مكذوب) وانى قد فرحت بتعبيرك هذا لشىء واحد لأنك فرقت فيه بين الضـعيف والمكذوب وهذا حق كنت أحب أن تعترف به وتعتبره •

أما أن الحديث لم ينبه عليه ولم تعرف درجته فهذا غير صحيح اقـد نبه السيوطى وذكر فى منهجه أن ما روى فى بعض الكتب الصحيحة •

منها البخارى ومسلم وصحيح ابن حبان فالعزو اليها معـلم بالصـحة فالرموز التى ذكرتها تفيدك الحكم بصحة الحديث فاعلم ذلك يا فضيلة الشيخ واعلم فائدتها •

فالعجب العجاب يا فضيلة الشيخ الناقد أن الحديث خرج وصحح وأنت لا تدرى أو تدعى ذلك لتهـاجم السيوطى وأمين المجمع ولجنة الجامع الكبير للسيوطى والأزهر ••

وهـذا الحـديث الذى ذكـرته يا فضيلة الشيخ ذكره كتاب مجمع الفوائد من جامع الأصول ومجمـع الزوائد لأبى محمد بن محمـد بن سليمان جـ ٢ ص ٦٠٧ •

اذن لى أن أحـدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة رواه أبو داود فى سننه وأخرجه المنذرى فى تخريج السنن ١١٧/٧/ وسكت عنـه وأخـرجه الجامع الصغير للسـيوطى أيضا ــ بالنص الذى ذكره صاحب مجمـع

الفوائد وعلق عليه ( د ) سنن أبى داود والضياء عن جابر ورمز اليه بالصحة ( صح ) .

فالمذكور الضياء عن جابر لا كماذكرت الصحيفة فىمقالك (العظم عن جابر) فهذا تصحيف من الصحيفة أو منك يجب أن تصان عنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهل بلبلة الأفكار يا فضيلة الشيخ عبد الجليل فىاحياء التراث الاسلامى أم فىمساعدة الصحف علىالتصحيف والتحريف فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الحكم عليه ـ تحريف فى العناوين وتحريف فى النصوص وتحريف فى المقاييس .

ان للحديث قداسة وللعلماء قداسة يجب مراعاتها ..

**أيها القارىء الكريم :**

هذا هو المنهج الصحفى فىالأهرام والأخبار فى الصفحات الدينية التى كتب فيها فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ومنهجه كما علمت شكلا وموضوعا ودراسة .

وبعد فلنترك الكلام على منهج الشيخ عبد الجليل عيسى بعد أن تبين وتعال معى لنختم الحديث برأى صاحب كنز العمال المحدث الكبير علامة الهند المتقى الهندى فى الجامع الكبير للسيوطى فهو أعلم من محررى الصحف قال :

« انى قد وقفت على كثير مما دونه الأئمة فى كتب الحديث فلم أر فيها أكثر جمعا ولا أكبر نفعا من كتاب جمع الجوامع الذى ألفه العلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطى سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه حيث جمع فيه من الأصول الستة ( البخارى ومسلم وجامع الترمذى وسنن أبى داود وسنن النسائى وابن ماجة « وغيرها » من الموطأ ومسند أحمد وصحيح ابن حبان وغيرها « وأودع فيه من الأحاديث ألوفا ومن الآثار صنوفا وأجاد كل الاجادة مع كثرة الجدوى وحسن الافادة [1] » .

هذا والله الموفق للصواب ..

(١) مقدمة كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال للمتقى الهندى ـ طبع الهند ...

# الفهـــرس

---


طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

**على سلطان على**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٦/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

٥ ١٩٧٦/٦/٠ ١٠٠٢

مدير التحرير والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبي

# مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر — السنة الثامنة والأربعون — ذو الحجة سنة ١٣٩٦ هـ — ديسمبر سنة ١٩٧٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

## موقف الدين من :
# الفن والعلم والفلسفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

كثيرا ما يلتبس على بعض الناس المفهوم الحقيقي لزاوية من زوايا الثقافة وكثيرا ما يلتبس عليهم أيضا موقف الدين من جانب من جوانبها .

ونحب هنا — بتوفيق الله تعالى — أن نتحدث في صورة تخطيط عام ، أو في اجمال مجمل عن علاقة الدين ببقية موضوعات المعرفة .

ولعله ينبغي — من أجل الوضوح — أن نقول كلمة في تعريف كل من هذه الموضوعات ، ولسنا بصدد تعريفات نناقش فيها ونجادل ونورد ما سبق منها باحثين متفحصين أو ناقدين مختبرين ، كلا ، وانما نورد تعريفات موجزة تعطى الفكرة ولا تجانب — ان شاء الله — الصواب .

ونقول :

١ — ان ما بنى على الوحى فهو دين وهو شريعة .

٢ ـ وما كان مرده الى الذوق والعاطفة والوجدان فهو فن .

٣ ـ والقواعد والقوانين التى قامت على الملاحظة والتجربة والاستقراء : علم .

٤ ـ أما مجال ما وراء الطبيعة ومجال الأخلاق بمعناها الشامل ، هذا المعنى الذى يدخل فى نطاقه التشريع ونظام المجتمع ، فان ماينبنى من ذلك كله على العقل البحت فهو : فلسفة .

وعلى أساس من هذه التعريفات التى لا نشك فى أنها لا تبتعد عن الصواب نسير فى هذا البحث باذن الله .

ما موقف الدين من الفن ؟

وجوانب الفن متعددة : انها الشعر ، وهى القصص : مسرحيات أو روايات ، وهى التصوير ، وهى النحت ، وهى السينما وهى المسرح

ما موقف الدين من ذلك ؟

ونبدأ بالشعر .

يقول الله تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم :

« وما علمناه الشعر »

لقد نفى سبحانه أنه علمه الشعر . هل لذلك من تعليل ؟

لقد قال الله تعالى :

« وما ينبغى له » .

هناك اذن مستويات من الانسانية هى فى سموها ترتفع عن مستوى الشعر .

ومن هذه المستويات : مستوى الرسل ولعل مستوى الصديقية فى قمته لا يناسبه أيضا مستوى الشعر ولم يكن أبو بكر رضوان الله عليه وهو قمة الصديقين : شاعرا .

ولكن الله سبحانه وتعالى تحدث عن مستوى محمد صلى الله عليه وسلم أى تحدث عن أعلا مستوى المخلوقات .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه الامام مسلم ـ ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل، واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة: قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم .

وكل من يحاول ـ فى صدق ـ أن يرتقى صاعدا فى المستوى

الروحى ليكون الرسول صلى الله عليه وسلم له أسوة وقدوة فانه يتنزه شيئا فشيئا عن الشعر •

ان الله سبحانه لم يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم الشعر ولم ينشىء رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر بل وكان صلى الله عليه وسلم يتحرج عن رواية الشعر •

يقول الامام الألوسى :

لا يرد أنه عليه الصلاة والسلام قال يوم حنين ، وهو على بغلته البيضاء ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بزمامها ، ولم يبق معه عليه الصلاة والسلام من الناس الا قليل:

« أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » ، لأنا لا نسلم أنه شعر ، فقد عرفوه بأنه الكلام المقفى الموزون على سبيل القصد ، وهذا مما اتفق له عليه الصلاة والسلام من غير قصد لوزنه ومثله يقع كثيرا فى الكلام المنثور ، ولا يسمى شعراء ولا قائله شاعرا » •

ولكن الآية الكريمة على كل حال لا تأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم قوله ، يقول صاحب روح المعانى :

« وليس فى الآية ما يدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم ، لاينبغى له التكلم بشعر قاله بعض الشعراء والتمثل به ، وفى الأخبار ما يدل على وقوع التكلم بالبيت متزنا نادرا كما روى أنه عليه الصلاة والسلام، أنشد بيت ابن رواحة :

يبيت يجافى جنبه عن فراشه
اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وانشاده اياه كذلك مذكور فى البحر ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم أصاب أصبعه الشريفة حجر فى بعض غزواته فدميت فتمثل بقول الوليد بن المغيرة :

على ما قاله ابن هشام فى السيرة، أو ابن رواحة على ما صححه ابن الجوزى :

ما أنت الا اصبع دميت
وفى سبيل الله ما لقيت

وأحيانا كان يتمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيت من الشعر، ولكنه يتمثل به غير موزون ، ومن

ذلك ما روى أنه عليه الصلاة والسلام أنشد :

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا
ويأتيك من لم تزود بالأخبار

فقال أبو بكر رضى الله عنه :

ليس هكذا يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :

« انى والله ما أنا بشاعر ، ولا ينبغى لى » .

ويتحدث المفسرون والمحدثون عن أمثال هذا ، ومن ذلك ما أخرجه الامام أحمد ، وابن أبى شيبة عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا استراث الخبر تمثل ببيت طرفة وتأتيك من لم تزود بالأخبار .

وأخرج ابن سعد، وابن أبى حاتم عن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت ، كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا .

فقال أبو بكر : أشهد أنك رسول الله ما علمك الشعر، وما ينبغى لك.

وأخرج ابن سعيد عن عبدالرحمن ابن أبى الزناد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن مرداس : أرأيت قولك :

أتجعل نهبى ونهب العبيـ
ـد بين الأقرع وعيينه

فقال له أبو بكر : رضى الله تعالى عنه بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما أنت بشاعر ، ولا راوية ، ولا ينبغى لك انما قال « بين عيينة والأقرع » .

وروى أنه قيل له عليه الصلاة والسلام : من أشعر الناس ؟ فقال: الذى يقول :

ألم تريانى كلما جئت طارقا
وجدت بها وان لم تطيب طيبا

والشطر الثانى من البيت هو :
وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وأخرج البيهقى فى سننه بسند فيه مجهول ، عن عائشة قالت : ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط الا بيتا واحدا :

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما
يقال لشىء كان الا تحقق

قالت عائشة : ولم يقل تحققا لئلا يعربه فيصير شعرا » .

ولقد كان المكيون يحاولون أن يقللوا من شأن القرآن الكريم ، ويقللوا من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان من وسائلهم فى ذلك قولهم عن القرآن ، انه شعر ، وعن الرسول انه شاعر ، وكان القرآن يرد عليهم فى ذلك .

ويقول الله تعالى :

« فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، انه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين » .

ولقد كان كثير من العرب أنفسهم — حتى غير المسلمين منهم — ينفون عن القرآن أنه شعر :

وعن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنه : شاعر .

هذا فيما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم .

أما فيما يتعلق بالشعر نفسه ، فان الله تعالى يقول :

« والشعراء يتبعهم الغاوون » .

ثم يعلل الله تعالى هذه القضية ، فيقول :

«ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون»

« وأنهم يقولون مالا يفعلون »

ومن الطرائف التى لها معناها العميق لمن يتدبرها رغم أنها طرائف ما يرويه الحافظ بن كثير قال :

اختلف العلماء فيما اذا اعترف الشاعر فى شعره بما يوجب حدا . هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا ؟ لأنهم يقولون ما لا يفعلون — على قولين : وقد ذكر محمد بن اسحق ومحمد بن سعد فى ( الطبقات ) والزبير بن بكار فى كتاب (الفكاهة) أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل النعمان بن عدى بن نضلة على ميسان ، من أرض البصرة . وكان يقول الشعر ، فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها
بميسان يسقى فى زجاج وحنتم

اذا شئت غنتنى دهاقين قرية
ورقاصة تجثو على كل مبسم

فان كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى
ولا تسقنى بالأصغر المتلثم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا بالجوسق المتهدم

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : اى والله ! انه ليسوؤنى ذلك . ومن لقيه فليخبره أنى قد عزلته . وكتب اليه عمر: «بسم الله الرحمن الرحيم. حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير » . أما بعد فقد بلغنى قولك :

لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا بالجوسق المتهدم

وأيم الله ! انه ليسوؤنى ذلك . وقد عزلتك ) .

فلما قدم على عمر بكته — بتشديد الكاف — بهذا الشعر . وقال : والله ! يا أمير المؤمنين ! ما شربتها قط . وما ذاك الشعر الا شىء طفح على لسانى . فقال عمر : أظن ذلك . ولكن ، والله ! لا تعمل لى عملا أبدا وقد قلت ما قلت .

فلم يذكر أنه حده على الشراب ، وقد ضمنه شعره . لأنهم يقولون ما لا يفعلون . ولكن ذمه عمر ولامه على ذلك وعزله به .

وحكى الزمخشرى عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله:

فبتن بجانبى مصرعات
وبت أفض أغلاق الختام

فقال : قد وجب عليك الحد .

فقال : يا أمير المؤمنين ! قد درأ الله عنى الحد بقوله ( وأنهم يقولون ما لا يفعلون ) .

وما من شك فى أن وجهة نظر الفاروق رضى الله عنه أن من يتولى ولاية لا يجوز له أن يكون عابثا بالقول أو بالسلوك .

وانه لمن المؤسف أن يوجد فى البلاد الاسلامية الولاة الذين ديدنهم العبث يجاهرون به أحيانا ويسرون به أحيانا ولكن أمرهم حين يسرون به يعلنه ندماؤهم وأخدانهم وهؤلاء لا يصلح بهم مجتمع ولا تستقيم لهم به أمور .

واذا كان الشعر لا ينبغي لبعض المستويات • فهل نأخذ من ذلك : أنه حرام ؟ هل نأخذ من ذلك أنه مكروه ؟

ونجب قبل الاجابة على هذا السؤال أن نذكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يشجع حسان بن ثابت على قول الشعر ، ويشجع غيره من شعراء الصحابة على قوله دفاعا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وردا على المشركين •

وقد أنصت الرسول صلى الله عليه وسلم لكعب بن زهير وهو ينشد قصيدته المشهورة :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم اثرها لم يفد مكبول

وفيها يمدح كعب الرسول وصحبه بقوله :

ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

في فتية من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما أسلموا : زولوا

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف
يوم اللقاء ولا ميل معازيل

وقد بلغ من اعجاب الرسول بهذه القصيدة • وهذا المديح الجميل أن خلع عليه صلى الله عليه وسلم بردته الشريفة التي احتفظ بها ، واحتفظ بها ورثته من بعده زمنا غير قليل •

وهناك في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم القصائد العصماء من أمثال البردة والهمزية : انها درر نفيسة ترضي الذوق والوجدان والشعور الراقي ! واننا جميعا نسعد حينما نقرأ لشوقي في معارضته لهمزية البوصيري قوله :

فاذا سخوت بلغت بالجود المدى
وفعلت ما لا تفعل الأنواء (١)

واذا عفوت فقادرا ومقدرا
لا يستهين بعفوك الجهلاء

واذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء

---

(١) النوء : المطر •

واذا غضبت فانما هى غضبة
في الحق لا ضغن ولا بغضاء

واذا رضيت فذاك فى مرضاته
ورضى الكريم تحلم ورياء

واذا خطبت فللمنابر هزة
تعرو الندى (١) وللقلوب بكاء

واذا قضيت فلا ارتياب كانما
جاء الخصوم من السماء قضاء

واذا حميت الماء لم يورد ولو
أن القياصر والملوك ظماء

واذا أجرت فانت بيت الله لم
يدخل عليه المستجير عداء

واذا ملكت النفس قمت ببرها
ولو أن ما ملكت يداك الشاء

واذا بنيت فخير زوج عشرة
واذا ابتنيت فدونك الآباء (٢)

واذا صحبت رأى الوفاء مجسما
فى بردك الأصحاب والخلطاء

واذا أخذت العهد أو أعطيته
فجميع عهدك ذمة ووفاء

واذا مشيت الى العدا فغضنفر
واذا جريت فانك النكباء (٣)

وتمد حلمك للسفيه مداريا
حتى يضيق بعرضك السفهاء

فى كل نفس من سطاك (٤) مهابة
ولكل نفس فى نداك رجاء

ويمكن أن يسأل انسان : وماذا كان موقف الصحابة والتابعين من الشعر ؟

وموقفهم هو موقف الرسول صلى الله عليه وسلم منه ، وعن ذلك نذكر ما يلى :

عن عمر الركاء ـ بسنده عن الجوهرى والمهلبى ـ قال :

بينا ابن عباس فى المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه ، اذ أقبل عمر ابن أبى ربيعة فى ثوبين مصبوغين موردين أو ممصرين ( فيهما شىء

---

(١) الندى : النـاد .
(٢) البناء بالأهل: الدخول عليهن . والابتناء : أن يصبح ذا بنين .
(٣) النكباء : ريح تهب بين ريحين .
(٤) سطا : جمع سطوة .

من صفرة ) حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال : أنشدنا، فأنشده :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أم رائح فمهجر ...

حتى أتى على آخرها ، فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال : الله يا ابن عباس ! انا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا ، ويأتيك غلام مترف من مترفى قريش فينشدك :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيخزى واما بالعشى فيخسر

فقال : ليس هكذا قال ، قال : فكيف قال : قال :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيضحى واما بالعشى فيخصر

فقال : ما أراك الا وقد حفظت البيت ! قال : أجل ، وان شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك اياها !

قال : فانى أشاء ، فأنشده القصيدة حتى أتى على أخرها .

وفى رواية:أن ابن عباس أنشدها من أولها الى آخرها ، ثم أنشدها من آخرها الى أولها مقلوبة ، وما سمعها قط الا تلك المرة صفحا ( أى مرورا ) قال : وهذا غاية الذكاء ! فقال له بعضهم : ما رأيت أذكى منك قط ! فقال : لكنى ما رأيت قط أذكى من على بن أبى طالب عليه السلام .

وكان ابن عباس يقول : ماسمعت شيئا قط الا رويته ، وانى لأسمع صوت النائحة فأسد أذنى كراهة أن أحفظ ما تقول !

قال : ولامه بعض أصحابه فى حفظ هذه القصيدة : ( أمن آل نعم .. ) فقال :

انا نستجيدها ـ قال الزبير بن بكار فى خبره عن عمه : فكان ابن عباس بعد ذلك كثيرا ما يقول : هل أحدث هذا المغيرى شيئا بعدنا ؟

قال : وحدثنى عبد الله بن نافع ابن ثابت قال :

كان عبد الله بن الزبير اذا سمع قول عمر بن ربيعة ( فيضحى واما

بالعشى فيخصر ) قال : لا ، بل : ( فيخزى ، واما بالعشى فيخسر ) •

وفى هذا الخبر : ثم أقبل — أى ابن عباس — على ابن أبى ربيعة فقال :

أنشد فأنشده : ( تشط غدا دار جيراننا) وسكت فقال ابن‌عباس:

( وللدار بعد غد أبعد ) فقال له عمر : كذلك قلت أصلحك الله — أفسمعته ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغى •

وعن هشام الكلبى أن عمر بن أبى ربيعة أتى عبد الله بن عباس وهو فى المسجد الحرام فقال : متعنى الله بك ! ، ان نفسى قد تاقت الى قول الشعر ونازعتنى اليه ، وقد قلت منه شيئا أحببت أن تسمعه وتستره على!

فقال : أنشدنى ، فأنشده : ( أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ) •

فقال له : أنت شاعر يا ابن أخى، فقل ما شئت ، قال : وأنشد عمر هذه القصيدة طلحة بن عبد الله ابن عوف الزهرى وهو راكب ، فوقف وما زال شانقا ناقته حتى كتبت له !

وعن عبد الجبار بن سعيد المساحقى عن أبيه قال : دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق ، فانه لمعتمد على يدى اذ مررنا بسعيد بن المسيب فى مجلسه وحوله جلساؤه فسلمنا عليه فرد علينا ، ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد ، من أشعر : صاحبنا أم صاحبكم ؟

يريد : عبد الله بن قيس أو عمر ابن أبى ربيعة ، فقال نوفل : حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟

قال : حين يقول صاحبنا :

خليلى ما بال المطايا كأنما
نراها على الأدبار بالقوم تنكص
وقد قطعت أعناقهن صبابة
فأنفسنا مما يلاقين شخص
وقد أتعب الحادى سراهن وانتحى
بهن فما يألو عجول مقلص (١)

(١) المقلص : المشمر الجاد فى سيره .

يزدن بنـا قربا فيزداد شـوقنا
اذا زاد طول العهد والبعد ينقص

ويقول صاحبك ما شئت •

فقال له نوفل : صاحبكم أشعر فى الغـزل ، وصاحبنا أكثر أفانين شعر •

فقال سعيد : صـدقت • فلمـا انقضى ما بينهما من ذكر الشـعر ، جعل سعيد يستغفر الله ويعقد بيده حتى وفى مائة ، فقـال البكرى فى حديثه عن عبد الجبار : قال مسلم : فلما انصرفنا قلت لنوفل : أتـراه اسـتغفر الله من انشاد الشـعر فى مسجد رسـول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال : كلا ! • هو كثير الانشاد والاستنشاد للشـعر فيه • ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه •

بعد كل ذلك نتساءل : هل موقف الدين من الشـعر الاباحة انشاء وانشادا ، وسـماعا ، دون قيـد أو شرط ؟

كلا !

وعن ذلك سنتحدث فى مقال تال ان شاء الله تعالى •

( الحديث موصول )

**دكتور عبد الحليم محمود**
**شيخ الأزهر**

---

**● طويلة اليد :**

عن عائشة أم المؤمنين قالت : قـال النبى صلى الله عليه وسلم لأزواجه : يتبعنى اطولكن يدا ، قالت عائشة : فكنـا اذا اجتمعنا فى بيت احدانا بعد النبى صلى الله عليه وسلم نمد ايدينا فى الجدار نتطاول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش فكانت امراة قصيرة ، يرحمها الله . ولم تكن اطولنـا ، فعرفنا حينئذ ان النبى صلى الله عليه وسلم انما اراد بطول اليد الصدقة .

# نحن الآن فى المغرب

لسماحة الشيخ العلامة أبو الحسن الندوى

قدرت لى زيارة أكثر الأقطار الشرقية الاسلامية فى شرخ الشباب، وفى فجر الحياة وظهرها ، وتأخرت زيارة المغرب الاسلامى العربى الحبيب – لحكمة يعلمها الله – الى أن دنا الأصيل ومالت شمس الحياة الى المغرب •

لقد تأخرت زيارة المغرب الحبيب جسديا وبحساب الشهور والأعوام، ولكن لم تتأخر زيارته والتعرف به فى ظلال العلم والدراسة ، وفى رحاب المكتبة الاسلامية العالمية الواسعة ، التى يشغل فيها المغرب الاسلامى حيزا كبيرا وله فيها ركن خاص هو من أغنى أركان المكتبة وأجملها ، وقد عشت فى أطيافه ، وعشت مع أعلامه ونوابغه ، ردحة من الزمن ، وتقلبت بين مدنه وعواصمه ، وجوامعه وجامعاته ، وحكوماته وحضاراته ، وبطولاته ومغامراته ، وعثرته ونهوضه ، وسايرت ركب تاريخه الطويل المليء بالألوان المختلفة ، والأحداث الجسيمة ، التى تمر بها جميع الشعوب الحية الكريمة القوية الراجحة فى ميزان الشعوب والأمم ، الغيور على رسالتها وشخصيتها ، المحاطة بالأعداء والمنافسين من كل جانب •

وقد حتم على المغرب لكونه على مقربة من أوربا وعلى آخر حدود العالم الاسلامى فى جهة الغرب ، أن يكون مرابطا دائما ، فليس « الرباط » هو المدينة الواحدة التى هى عاصمته اليوم ، بل المغرب كله الرباط ، وقد أثبت التاريخ أنه كان رباط الفتح •

وكان المغرب المدخل الذى دخلت منه الكتيبة المؤمنة تحت قيادة طارق ابن زياد فى الأندلس ، ونقطة انطلاق للمد الاسلامى والاشعاع العلمى

العقلى فى أوربا ، فكانت دولة ، وكانت حضارة ، وكان علم ، وكان عقل ، وأصبحت الأندلس أمنية الفاتحين ، وأغنية الشعراء والمتغزلين ، وموضوع المؤرخين والجغرافيين ، وكانت جنة الدنيا ، وسوق العلم ، ومثابة العلماء ، ومنتجع الشعراء ، وكانت ذات مدرسة فى الفقه والشعر والأدب ، والفلسفة والفن المعمارى ، وكانت فيها « مرسية » و «بلنسية» و « جيان » و «شاطبة» و «قرطبة» و «اشبيلية» و «غرناطة» وكانت فيها مدينة « الزهراء » وقصر « الحمراء » .

والأندلس مدينة للمغرب الأقصى فى فترات كثيرة من تاريخها ، فكان المغرب سندا لها ومددا ، يغيثها فى أحلك فترات التاريخ وأدقها ، بأبطال مجاهدين وقادة مغامرين ، ينقذونها من الاحتضار والانهيار ، ويمنحونها قسطا من الحياة والقوة ، نخص بالذكر منهم أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين بطل وقعة « الزلاقة » ( سنة ٤٧٩ هـ ) ، وهو الذى اختط مدينة « مراكش » والقائد المجاهد أبا يوسف يعقوب المنصور الموحدى بطل معركة «مرج الحديد» (٥٩١هـ) وهو الذى بنى « رباط الفتح » تذكارا لهذا الفتح المبين ، والمجاهد العظيم على الشريف الحسنى ( ٧٦٢ — ٨٤٧ ) جد الملوك السجلماسيين العلويين فى المغرب الأقصى وجد الأسرة الحاكمة اليوم ، دخل عدوة الأندلس للجهاد مرارا ، ودعى الى الملك فزهد فيه ، وقال لا أريد أن أحبط عملى وأشوبه بمنفعة دنيوية .

وعفوا أيها المغرب الحبيب من الانتقال السريع الى الأندلس ، ودخولها فى هذا الحديث الخاص بالمغرب الأقصى ، فقد هبت على نفحة من هذا الفردوس المفقود وجاءنى أريج من أجوائه العطرة وتربته الندية الزكية التى اختلطت بها دموع المسلمين ودماؤهم ، وتجلت فيها عبقريتهم وانسانيتهم فى أروع مظاهرها ، فالأندلس على علوة من المغرب اذا وقف الواقف على مضيق جبل الطارق ، ولقرب المكان حكم ليس للبعد .

كان المغرب الاسلامى والعربى الذى نشأ وتكون فى أواخر القرن الاسلامى الأول دليلا على انسانية رسالة الاسلام ، وعلى قدرته العجيبة على اخراج الأقاليم والشعوب من اطارها الضيق ومن زاوية الخمول التى عاشت فيها قرونا طويلة ، وفى بعض الأحيان آلافا من السنين ، الى العالم الفسيح ، ومن الانطواء على نفسها والانشغال بالمنافسات القبلية والحروب الداخلية ، والنظرة الضيقة الى الحياة والى الكون الى مسايرة الركب الانسانى السيار ، بل والى قيادته وتوجيهه أحيانا وتمثيل دور خاص فى بناء الحضارة وتكوين العلوم ، والعناية بالقضايا البشرية ومشكلاتها وأزماتها ، فقد عاش هذا الحزام الشمالى الغربى الممتد من ليبيا الى المحيط الأطلسى ، مفصولا عن العالم المتحضر المتطور المائج بالحركات والنشاطات والدعوات الدينية والمدارس الفكرية ، لا شأن له بالعالم الخارجى ، لاتتصل به الامبراطورية الرومانية الا من الناحية العسكرية ، والاستعمار الرومانى ، ليست له شخصية متميزة ، ولا رسالة كريمة ، ولم تعرف هذه البلاد المنتشرة من طرابلس الى مراكش فى تاريخ القرن السادس والسابع الميلاديين فى أكثر الأحيان الا بالقسوة والفروسية وشدة الشكيمة ، وتمرد أهلها على الفاتحين ، حتى ضرب بسكانها الأصليين — ومعذرة الى من ينتمى الى هذه الأصول الكريمة — المثل فى الوحشية والنخوة فكانت كلمة «البربر» و «البربرية» مرادفتين لهما فى المعاجم والآداب واللغات الكثيرة ، ولم يعرف عنها نشاط حيوى الا التشاغل بالحروب الداخلية وشدة التمسك بالعادات القديمة والتقاليد القبلية ، لا لغة راقية ، ولا حضارة رقيقة ، ولا دين معقول ، ولا مدينة مشهورة ، وكل ما أثر عنها من المدنية والعلم فى العصر القديم اندثر ودفن تحت ركام المبانى وأنقاض المدن .

وكان دليلا كذلك على قدرة الاسلام العجيبة على اشعال المواهب وتفتيق القرائح ، وتنمية الملكات ،

وتحريك الميول والرغبات، وتوجيهها الى غايات نبيلة وجهود هادفة ، ومشاريع بنائية ايجابية ، والنظرة الواسعة المتفتحة الى العالم والى الشعوب والأمم ، وتسخير الطاقات واستخدام الوسائل لصالح الانسانية ، فلما هبت على هذه الناحية القاصية المجهولة لكثير من المطلعين والدارسين والمؤرخين والجغرافيين ــ نفحة الاسلام ، قفز الى الوجود عالم جديد ، كل شيء فيه جديد .

وقامت فيه مدينة « قيروان » و «فاس» و «مكناس» و «مراكش» و «باجه» و «سوسة» و«سرقسطة» و «بجاية» و «تلمسان» و «تونس» أنجبت أفذاذا فى الحديث والتفسير، والفقة والتصوف ، والشعر والأدب، والنقد والتاريخ ، والفلسفة وعلوم الحكمة ، يطول استقصاؤهم ، وكانت فيها مدارس كجامع القرويين، وجامع الزيتونة ،وتخرج منها ودرس فيها أئمة فى العلوم والفنون ، وخلفوا آثارا باقية بقاء اللغة العربية والعلوم الاسلامية .

وقد خاض المغرب الاسلامى العربى معارك دامية وتعاقبت حكومات ودول ، وأسر وعشائر ، وواجه اضطرابا فى الحكم وانتقال القوة والقيادة من يد الى يد ومن بيت الى بيت ، ولكنه لم يزل محافظا على شخصيته الاسلامية وطابعه العربى والحضارى الجميل، وعلى هيامه بالعلم والثقافة ، فلم تركد ريح العلم ولم تفتر حركة التدريس والتأليف فى فترة قصيرة ، ولم تزل الجوامع والمدارس تبلغ رسالتها وتؤدى أماناتها ، ولم يزل العلماء الربانيون والدعاة المخلصون يقولون كلمة الحق ويدعون الى سواء السبيل ، فكانت هذه التطورات والانقلابات سطحية عابرة لا تمس جوهر الشعب العربى المسلم ولا تؤثر فى شخصيته وعقيدته ، وكانت التحولات السياسية وتعاقب الملوك على عرش الحكم من أسر مختلفة وتبدل العواصم ومراكز الحكم لا يختلف عن انتقال الملك من يد الى يد فى أسرة واحدة وتوارث الأبناء للآباء فالدين هو الدين ، والثقافة هى الثقافة ، والذوق هو الذوق .

ثم منى أخيرا باستعمار ـ وبالأصح احتلال ـ هو من أقسى أنواع الاحتلال وأكثرها ذكاء وشمولا ، وأدقها تخطيطا وتصميما ، وأبعدها غايات ومرامى وهو الاستعمار الفرنسى يرافقه الاستعمار الأسبانى فى بعض المناطق ، وكان استعمارا يجمع بين الصرامة والرقة ، وبين الوضوح والدقة ، مسلحا بأقوى أسلحة التطوير وأحدثها ، وكان يرمى الى ابادة شاملة • ابادة فكرية ثقافية علمية حضارية ، وكان مما استعان به هذا الاستعمار فى الوصول الى غاياته البعيدة ، الدعوة الى التمييز العنصرى والتفريق بين العرب والبربر ، واشعار السكان الأصليين القدامى بقوميتهم وحضارتهم وأعرافهم قبل دخول الاسلام والعرب فى هذه المنطقة ، ولا ينسى الجيل الذى هو فى مرحلة الكهولة والشيخوخة « الظهير البربرى » الذى يدعو البربر المسلمين الى العودة الى عهدهم قبل الاسلام والى أن يحيوا لغتهم ويكتبوا بها ، فكانت مؤامرة استعمارية من أدق المؤامرات التى عرفت فى تاريخ الاستعمار وأكبرها خطرا على الوحدة الاسلامية والوجود الاسلامى •

ولكن المغرب الاسلامى العربى واجه كل ذلك بشجاعة واستقامة ووعى ، وأثبت البربر المسلمون أن ايمانهم لايقل عن ايمان العرب ، واعتزازهم بالدين الاسلامى وحضارته وثقافته لايختلف عن اعتزاز العرب أنفسهم بها •

وخرج المغرب بعنصريه العربى والبربرى ظافرا منتصرا من هذه المعركة ، محتفظا بشخصيته الاسلامية العربية وبعقيدته وبلغته ، ونخوته المغربية ، وزال الاستعمار وأشباحه ، وجلا الفرنسيون والأسبان ، فكان دليلا على قوة هذا الشعب وجدارته لمواجهة الأخطار والتحديات والمشكلات والأزمات ، ودليلا على تغلغل الاسلام فى أحشائه وجريانه منه مجرى الروح والدم واخلاص أولئك الرجال الذين وطئوا هذه الأرض فى فجر تاريخ الاسلام ودعوا البربر الى أن يشاركوا العرب فى سعادتهم

ويأخذوا من هذه الثروة الانسانية المشتركة نصيبا غير منقوص ، ولهم أن يسبقوا العرب أنفسهم فى بعض الأحيان فى قوة الايمان والاعتزاز بالاسلام والتحلى بفضائله ومحاسنه والقرب عند الله ، وقد أعلن رب العزة عن ذلك بقوله : «يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم (١) » • فكان منهم علماء وزهاد ، ومربون ومصلحون ، ومدرسون ومؤلفون ، وقد انصهروا فى بوتقة الاسلام كما انصهرت بعض شعوب العجم التى حسن اسلامها فى بلاد العجم •

* * *

ويخوض المغرب الاسلامى العربى الآن معركة هى أشد من كل معركة حربية جربها وخاضها فى تاريخه الطويل ، ومن معركة الاستعمار الأجنبى المباشر فى الزمن الأخير ، فكانت المعارك الأولى تحدثنا بها معارك سافرة مكشوفة يستعمل فيها السلاح وتنفع فيها الشجاعة والفروسية ، وتقرر مصيرها التضحيات فى النفوس والأموال ، وينتبه ويثور لهما الشعب على اختلاف مستوياته العلمية والعقلية ، فكانت حربا بين كفر واسلام ، ومعركة بين أبناء البلاد والأجانب •

ولكن معركة اليوم معركة صامتة هادئة ، معركة دقيقة مقنعة ، هى معركة الصراع بين فكرتين : الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية بأوسع معانيهما وآفاقهما وأبعادهما ، هى معركة نستطيع أن نلخصها فى قولنا : هل يبقى هذا الشعب وهذه البلاد اسلامية — بكل معانى الكلمة — تنظر الى الدين الاسلامى كدين يكفل سعادة البشر فى جميع مجالات الحياة وكدين كامل له تخطيطه الشامل للحياة والمدنية ، وصياغة للأجيال ، وسياسة للتربية ، وحق التدخل فى كل قضية تمس دينه ومقاصده من قضايا الحياة الانسانية ،

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣

بل له أكثر من ذلك حق الوصاية والاشراف على سير الحياة ، وحق القيادة والتوجيه لركب المدنية ، وتنظر الى الاسلام كدين خالد دافق بالحوية ، زاخر بالقوة يساير كل عصر بل يسبقه ويحل كل مشكلة ، بل يمنع من وقوعها فى الحياة التى يسيطر عليها ، وفى البيئة التى له فيها الكلمة العليا .

أم هو دين عقيدة وايمان فحسب ، وقضية شخصية لا شأن لها بالمدنية وتخطيط الحياة وسياسة التربية والتعليم وصياغة الأجيال وفق عقائده وقيمه ومثله ، وتشريع القوانين وحق التدخل فى الحياة ، فليبق المسلم مسلما بالعقيدة والعبادة والاسم والقومية والطقوس والتقاليد عند الولادة وعند الموت ، والتخطيط هو التخطيط الغربى الشامل ، والمدنية هى المدنية الغربية فى كل مظاهرها الخارجية والداخلية والشخصية والاجتماعية ، والقيم هى القيم التى يؤمن بها الغرب ودعا اليها فلاسفته ومفكروه ، والمثل هى المثل التى يقدسها الغرب ويكافح فى سبيلها ، والأخلاق هى الأخلاق التى نشأت واختمرت فى البيئة الأوربية التى خضعت للمادية ، وكان للمسيحية فيها أثر ضئيل ، ثم أثر فيها العصر الصناعى التكنالوجى والتسابق الاقتصادى .

ويبدو للفاحص المطلع أن الغرب استفاد بتجاربه الطويلة المريرة فى محاولة القضاء على العقيدة الاسلامية واجتثاث جذورها من قرارة قلوب المسلمين وتحويلهم عن دينهم بشكل سافر والدخول فى ديانة أخرى كالنصرانية كما وقع فى أسبانيا ، وعدل عن فكرة التنصير الضيقة التى تثير الجماهير وتخلق مشكلات وقد تحدث موجة رد فعل عنيفة ، وذلك فى ضوء تجاربه ودراساته ، عدل عنها الى خطة تجريد المسلم عن شخصيته المتميزة الواسعة ، وعن حضارته التى نشأت وتكونت فى ظلال عقيدته وتعاليم القرآن والآداب والأخلاق الاسلامية ، وروعيت فيها التسهيلات لأداء واجباته وشعائره الدينية ، وكانت خاضعة لتصور اسلامى خاص للطهارة — وهى أكثر من النظافة وأدق — وموازين خاصة فى مفهوم الاقتصاد والاسراف والتبذير وقد انبثقت هذه المدنية

فى شكلها البدائى والأساسى ــ لا فى تفاصيلها ومظاهرها التى توسع فيها المسلمون وتأنقوا فى أوج حضارتهم ورفاهيتهم ــ عن تعاليم الشريعة السمحة والسنة النبوية المطهرة .

والحضارة عميقة الجذور فى أعماق النفس الانسانية وفى مشاعر الأمة وأحاسيسها ، وتجريد أمة من حضارتها الخاصة التى نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعتها ، وكان فى صياغتها نصيب كبير للذوق الدينى الخاص ، وطابع هذه الأمة الخاص ، مرادف لعزلها عن الحياة وتحديدها فى اطار العقيدة والعبادة والطقوس الدينية الضيق وفصل حاضرها عن ماضيها ، وأثر هذا التحول كان عميقا دائما فى حياة الأمم والمجتمعات البشرية ، فانها ذابت تدريجيا فى بوتقة الأمم التى اقتبست منها هذه الحضارة بمعانيها الواسعة ، وكان انسلاخها عن العقيدة التى بقيت متمسكة بها سهلا .

وليس المقصود من ابراز ناحية خطر الحضارة الغربية واقتباسها على الشخصية الاسلامية وكيان الأمة المسلمة هو تحريم الاستفادة من الحضارة الغربية فى مرافق الحياة واقتباس بعض ما توصل اليه العلم والصناعة والاختراع فى الغرب من وسائل تسهيل وترفيه ، واغلاق الباب على مصراعيه ، فان ذلك لا يقوله عاقل فضلا عن مطلع على روح الدين وتعاليمه ، والاسلام لم يزل ولا يزال واسع الأفق متفتح القلب والنظر فى الاستفادة بكل ما يصلح وينفع ، ولكن مفهوم الحضارة الغربية فى هذا المقال هو أوسع من اقتباس الآلات والمخترعات والتجارب المفيدة فى الحياة العامة ، انها تشمل الأفكار والقيم والمفاهيم والمثل وصبغ الحياة كلها بالصبغة الغربية والتخطيط المدنى الشامل واقتباس أساليب الحياة التى لا تتفق مع تعاليم الاسلام ومعاييره فى الطهارة والنظافة والاعتدال والاقتصاد والوقوف عند الحدود التى رسمتها الشريعة الاسلامية ، ويعسر على المسلم معها التأدب بآداب الشرع والعمل بالسنن النبوية الكثيرة ، ويبتعد بها عن الحياة

الاسلامية التى عاشها الرسول والصحابة والتابعون لهم باحسان ابتعادا كليا ، وتضفى على الأمة شخصية أجنبية لا تعرف فيها الا بالأسماء الاسلامية أو بالازياء التى لا تزال بعض الشعوب العربية أو الاسلامية محافظة عليها ، أو عندما يرتفع صوت الأذان من مناثر مساجدها ، أو عندما تدخل فى المساجد على قلة عدد الداخلين فى بعض البلاد وكثرتهم فى بعضها ، فلا يربطها بالاسلام الا خيط رقيق من عقيدة وتقاليد دينية ، اذا انقطع هذا الخيط ــ لا سمح الله بذلك ــ انقطع كل شىء .

وأعتقد أنه من الميسور جدا الجمع بين التسهيلات المدنية والاستفادة بالآلات والمخترعات وما وصل اليه العلم الحديث ، وبين ما تمتاز به الحضارة الاسلامية من جمال وبساطة وجدية وعناية بالطهارة والنظافة والابتعاد عن الاسراف والتبذير والاغراق فى المظاهر الخارجية ، اذا وفقت الحكومات الاسلامية والمجتمعات الاسلامية للتخطيط المدنى المستقل ، البعيد عن التقليد الأعمى والارتجالية ومركب النقص ، واذا توفر عندها الذكاء والأصالة والايمان بفضل التعاليم الاسلامية والحضارة الاسلامية التى تنبثق عنها وتقوم عليها ، والاعتداد بشخصيتها ، وكان هذا التخطيط أجمل وأفضل وأكثر جلبا للأنظار واستهواء للقلوب وأبعث على الاحترام والتقدير ، ويؤم هذه المدن عدد أكبر من السياح بل من قادة الفكر ورواد العلم من العدد الذى يؤمها الآن من المتنزهين ، وربما يكون هذا الطراز الجميل الأصيل من المدنية باعثا لكثير من الأقطار الغربية على تقليد بعض هذه الجوانب واقتباسها وعلى الأقل على التفكير فيها وتقديرها ، كما كان الشأن مع الحضارة الاسلامية الأندلسية التى كان لها تأثير عميق فى الحضارة الغربية وفلسفتها وآدابها .

ولكن مع الأسف الشديد لم يوفق لذلك قطر واحد من الأقطار الشرقية والغربية العربية والحكومات الاسلامية ، ولم تكن عند أحدها جراءة كافية تحملها على مجرد هذه التجربة ، وكانت النتيجة أن أصبحت

هذه الأقطار كلها نسخة ناقصة من المدنية الغربية وصورة شاحبة لها ، لا تسترعى اهتمام الغربيين ولا تحرك فيهم مشاعر الاجلال والاحترام ، وانما يقولون اذا زاروا هذه المدن متفرجين أو مشاهدين : « بضاعتنا ردت الينا » .

وأشد من ذلك خطرا هو سياسة التربية والاعلام التى لا أداة أقوى تأثيرا وفعالية منها فى صياغة الجيل الصاعد وتكوين عقليته ومشاعره وأخلاقه ومثله ، فانها هى المرضعة والحاضنة ، وهى المعلمة والمربية ، وهى التى تستطيع أن تنحت من أمة ذات عقائد ومبادىء ومثل ، أمة جديدة لا تتصل بآبائها الا بالولادة والدم والنسل وبالأسماء واللغة أحيانا ، بل أكثر من ذلك أمة ثائرة على هذه العقائد والمبادىء والمثل ، ترى من أول واجباتها محاربة هذه العقائد والمبادىء والمثل وازالة هذه الأنقاض والركامات ، ولو استنفد هذا العمل السلبى معظم جهدها وطاقاتها وأوقاتها وشغل البلاد والمجتمع بحرب مسعورة هى فى كثير من الأحيان أشد وأطول من الحرب مع الاستعمار والعدو الأجنبى .

انها حرب ابادة معنوية أشد خطرا على الأمة من حرب ابادة نسلية أو جنسية ، لو ألهمها بعض قادة ابادة نسلية فى الماضى السحيق وارتقت عقولهم وسياستهم الى التفكير فيها واستخدام وسائلها ، لتوصلوا الى غاياتهم من غير أن يشتهروا فى التاريخ بالقسوة والوحشية واراقة الدماء بل ربما أضفى عليهم التاريخ نعوتا وألقابا مشرفة ، ووصفوا بنشر الثقافة واحتضان العلم وتشجيع المعارف .

ان قصة القيادات فى العالم الاسلامى فى هذه الفترة التى تمتد على نصف قرن ، هى قصة محاربة طبيعة الشعوب الاسلامية الدينية ومحاولة التخلص منها أو التغلب عليها بكل حيلة ووسيلة ، الحرب الشعواء التى أسفرت فى أكثر الأقطار الاسلامية عن الاخفاق والفشل ، ولكنها استهلكت جهود هؤلاء القادة وطاقات هذه الشعوب من غير أن تعود عليها بجدوى ، وقد كانت جهود أقل منها تقوم على

معرفة هذه الحقيقة وتقرير هـذا الواقع تعـود على الأمة والبـلاد بحاصل كبيروتوفر الوقت والجهـد على هؤلاء القادة .

وقد دلت حرب التحرير فى الجزائر التى استخدمت الحماس الاسـلامى والايمـان المودع فى هـذا الشعب المسلم فى اجلاء المستعمر وتحـرير البلاد ، ودلت المسـيرة التى قادها جلالة الملك الحسن الثانى فى شوال ١٣٩٥هـ ـ نوفمبر ١٩٧٥م بمقدرة وحكمة وحققت الغـرض المطلوب وكان لها دوى فى العالم كله ، على أن هذه الأمة لا تستجيب لدعـوة ولا تتحمس لها الا اذا اقترنت هذه الدعوة بصبغة دينية ومست قلوبها ومشاعرها الايمانية ، وأنها لا تفهم الا لغـة الايمـان والحنـان التى تخاطب القـلوب قبـل أن تخاطب العقول ، تجربة تكررت عشرات من المرات فى مشارق العالم الاسـلامى ومغاربه ، فلا يسوغ المنطق السليم والعقـل العملى حتى السـياسة الرشيدة الواعية والقيادة الحكيمة العاقلة أن تتجاهل هـذه القـادات هذه الطريقة السهلة للاستفادة من هذه الشعوب وتلتجىء الى طـرق وأسـاليب لا تتجاوب معها هـذه الشعوب الا مقهـورة مغلوبة على أمرها ، وتضيع الوقت والجهد فى تحويل هـذه الشعوب عن طبيعتها أو مصارعتها فى غير طائل ، وتكون العاقبة كما قال الشاعر :

ومكلف الأيام ضـد طباعهـا
متطلب فى المـاء جـذوة نار

ومن هذه القيادات قيادات تحب الاسـلام وتجله وتفكر فى تطبيـق تعاليمه فى مناطق نفـوذها وتتمتع باحترام الشـعوب التى تحكمهـا وبثقتها ، ولكنها مصابة بالتكاسـل والتسـويف ، وضـعف الارادة ، والتسامح الزائد للعناصر المحـاربة للاسلام ، وفسح المجال لهـا للعمل والنفوذ فى مجال التربية والاعلام والصحافة ، فما يكون جـزاء ذلك الا أن هـذه العنـاصر تنتهز أول فرصة لاقصـاء هـذه القيـادات المسلمـة الضـعيفة ، عن الحـكم والسـيطرة على الجهـاز الادارى والحكومى ، وتقع هـذه الشعوب

المسلمة الوادعة تحت رحمة هؤلاء اللادينيين أو العلمانيين أو الشيوعيين، وتساق الى غايات وأوضاع لا تحبها ولا تتفق معها ، كما تساق القطعان من الغنم والخراف الى زريبتها بعصا الراعى ، لا تملك من أمرها شيئا ، وما ذاك الا بضعف هؤلاء القادة المسلمين وتكاسلهم وتضييعهم الفرص وتمكينهم لأعدائهم وأعداء الاسلام ، وعلى أنفسهم وبلادهم جنوا ، وهذه قصة بلاد قريبة من الأرض التى تتحدث اليها وما الأمر بسر حتى يحتاج الى اكتشاف .

وأرجو أن يستفيد المغرب الاسلامى العربى العزيز بجميع هذه التجارب القاسية التى مرت فى تاريخ الأقطار الاسلامية الشرقية والغربية ، والحوادث التى حدثت فى الماضى القريب ، وكما يقول الحديث النبوى الشريف : « السعيد من وعظ بغيره » .

ولا ينقذ هذه البلاد وهذه الأمة من هذه الأخطار الداهمة الا القائد القوى الأمين ، والبطل العصامى الذى يضحى فى سبيل عقيدته ومبدئه ، بلذته وراحته ، وبكل ما يحبب الى النفس من تمتع ورخاء ، ومدح واطراء ، وملك زائل وسلطان راحل ، ولا لذة فوق لذة الايمان والكفاح لانقاذ البلاد والعباد ، وحماية الاسلام والمسلمين ، وتأمين مستقبلهم ، وارضاء الله ، والانخراط فى سلك المجاهدين والمجددين الذين قيضهم الله لكل فترة حالكة ومحنة قاسية ، وقد جرت سنة الله بأن يجزيهم بأعظم نصيب ، من شرف وكرامة ، وطيب الأحدوثة ، وانتشار الذكر فى الآفاق ، والخلود فى التاريخ ، والمحبة فى النفوس والقلوب ، يتضاءل أمامه ويتلاشى ما يطمع فيه الطامعون ، من جاه ومنصب ، وملك وسلطان ، وشهرة زائفة ، ودعايات مصطنعة .

وتحياتى العطرة وتشكراتى الخالصة لاخواننا فى المغرب الحبيب الذين غمرونا بحبهم واحتفائهم وأخوتهم الاسلامية الصادقة وكرمهم العربى الأصيل ، وكانت الأيام القصيرة التى قضيناها بجوارهم وفى أرضهم الجميلة الزاهية من أجمل أيام العمر ومن أطيبها .

**ابو الحسن الندوى**

# التسامح فى الاسلام

لسماحة العلامة أبو الأعلى المودودى

اذا كان لديك شىء واحد يقـول عنه رجل انه أبيض ، والثـانى انه أسود والثالث انه أخضر ، والرابع انه أصفر ، فليس من الممكن لك أن تصـدقهم جميعـا وكذلك اذا كان رجل يمدح فعلا من الأفعال ويأمر به ، والثانى يذمه وينهى عنه فمن المحال أن يكون كلا الرجلين صحيح الرأى صادق الحكم على ما بينهما من خلاف واضح بين وان كل من يصدق بمثل هذه الأقوال المتضاربة ويقول بصحة مثل هـذه الأحكام المتعارضة جميعا ، فهو اما يريد أن يسترضى النـاس جميعهم ، أو أنه يبدى رأيه فى الأمور بدون أن يفكر فيها وبدون أن يجيـل فيهـا النظر ويعيرها ما يقتضى الحكم عليها من الجد والاهتمام • ولا يمـكن أن يخلو أمره من احدى هاتين الحالتين، وكلتاهما متنافية مع العقل والصدق الصريح ولا يليق بمن يحب العقـل أن يصـــدق عدة رجال فى آرائهم المتعارضة لأى سبب من الأسباب •

قد يظن النـاس أن تصـديقهم لمختلف الأفراد فى آرائهم وأفكارهم المتعارضة المتضاربة هو «التسامح»، مع أن الحقيقة أنه ليس بالتسامح ، بل هو نوع من أشنع أنواع النفاق، لأن التسامح معناه أن نتحمل عقائد غيرنا وأعمالهم مع كونهـا باطلة فى نظرنا ، ولا نطعن فيهم بمـا يؤلمهم رعاية لعواطفهم وأحاسيسهم ، ولا نلجأ الى وسائل الجبر والاكـراه لتصريفهم عن عقائدهم ومثل هـذا التحمل واعطاء الناس الحـرية فى العقيدة والعمـل على هـذا الوجه ما هو بفعل مستحسن فحسب ، بل هو مع ذلك أمر لابد منه لابقاء جو السـلام وحسن التفاهم بين عدة جماعات مختلفـة العقـائد متباينة

المبادىء . أما أن نكون على عقيدة واضحة المعالم والجوانب ، ثم نأتى نصدق غيرنا فى عقائدهم المتضاربة لمجرد كسب رضاهم ، أو نكون متبعين لمنهج خاص ودستور معين للحياة ثم نقول لدعاة المناهج والدساتير الأخرى انكم جميعا على الحق ، فهذا هو النفاق الصريح الذى لا يمكن بأى وجه من الوجوه أن نعبر عنه بالتسامح .

ان التسامح الحقيقى المحمود هو ما قد جاء به الاسلام ودعانا اليه حيث يقول سبحانه وتعالى : ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم . كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون » (١) ويقول مثنيا على أهل الايمان : « والذين لا يشهدون الزور » (٢) : « واذا مروا باللغو مروا كراما » (٣) . ويقول : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون »(٤) : « ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ماعبدتم »(٥): ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين » (٦) . ويقول : « لا اكراه فى الدين »(٧) . ويقول: « ويدرءون ـ أى المؤمنون ـ بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لانبتغى الجاهلين » (٨) ويقول : « فلذلك فادع ، واستقم كما أمرت ، ولاتتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا ، واليه المصير » (٩) ويقول : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » (١٠) .

---

(١) الأنعام : ١٠٨ .
(٢) الزور هو : الكذب والباطل .
(٣) الفرقان : ٧٢
(٤) بالنسبة للحال .
(٥) بالنسبة للمستقبل .
(٦) الكافرون .
(٧) البقرة : ٢٥٦ .
(٨) القصص : ٥٤ ــ ٥٥ .
(٩) الشورى : ١٥ .
(١٠) النحل : ١٢٥

نعم ان هذا هو التسامح الذى يمكن أن يتبعه رجل سليم الفطرة يحب الصدق ويناصر الحق . انه يعض بالنواجذ على عقيدته التى رآها صحيحة بصدق واخلاص وايمان . ويصدع بها ويدعو اليها الناس بكل جرأة وحماسة ولكن بدون أن يؤلم غيره ويجرح قلبه أو يشاتمه ويلاعنه أو يتحامل على عقائده أو يحول بينه وبين أداء طقوس دينه ومراسمه أو يكرهه على اعتناق دينه قبل أن يقنعه على صحته . واما أن يقال للحق انه باطل ، أو يقال للباطل انه حق مع علمه بكونه باطلا . فأمر لا يمكن أن يصدر أبدا عن رجل صادق جرىء . وهو من أسوأ أنواع المجاملة ، لا سيما اذا كان الانسان لا يفعله الا ارضاء للناس . وليست مثل هذه المجاملة بأمر شنيع مستقبح من الوجهة الخلقية فحسب، بل هو كذلك محاولة لا طائلة تحتها من الوجهة العملية أيضا ، اذ قلما ينجح الانسان فى غايته التى لأجلها يتذرع بتلك المجاملة ويرضى أن يتردى فى هذه المكانة المنحطة ، وفى ذلك يقول تبارك وتعالى مخاطبا رسوله — صلى الله عليه وسلم : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءاهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير»(١)

لا شك أن التسامح المشبوه قد يتذرع باعلانه لبلوغ الأهداف السياسية ... لأن رجال السياسة فى الغرب قد فصلوا الأخلاق عن السياسة ، الا ان الذى يدمع العين ويحرق القلب أسفا هو فكرة أولئك ( الباحثين العظام ) الذين بدون أن يكلفوا العقل بالتأمل والفكر بالنشاط يعلنون مبدأ بحوثهم الدينية الذى يقول : « الأديان كلها على حق » اننا كثيرا ما نسمع هذه الجملة من ألسنة الذين يزعمون أنهم لا يتكلمون بكلمة ولا يسلمون بها مالم يزنوها بميزان العقل ، لا أنه من الحقيقة

---

(١) البقرة : ١٢٠ .

أن ميزان العقل يأبى أن يقيم لتحقيقهم الطريف هذا أى وزن ، لأن الأديان التى يحكمون بها ويقولون انها على الحق ، نرى بين أصولها ومبادئها من الفرق الهائل والبون الشاسع ما بين السماء والأرض أو الأسود والأبيض . يقول أحدها : بأن الاله واحد . ويقول الثانى : بأن هناك الهين اثنين ، ويقول الثالث: بأن هناك آلهة ثلاثة ويقول الرابع : بأن هناك عدة قوى هى كلها مشتركة فى الألوهية ، ويقول الخامس: بأن ليس هناك شيء يعرف بالاله ، فهل من الممكن أن تكون هذه الأديان الخمسة كلها على الحق بصفة واحدة ؟ يرتفع أحدها بالانسان الى مقام الألوهية ، والثانى ينزل بالله الى منزلة الانسان ، والثالث يجعل الانسان عبدا والله معبوده ، والرابع لا تصور فيه أصلا للعبد ولا للمعبود فهل يجوز بحكم العقل أن تجتمع هذه الأديان كلها ولا يكون بينهما من فرق باعتبار صدقها ؟ يجعل أحدها مدار النجاة على العمل وحده ، والثانى على العقيدة وحدها ، والثالث لابد فيه تحقيق النجاة من العقيدة والعمل كليهما ؟ فهل يمكن أن تكون هذه الأديان الثلاثة صحيحة فى آن واحد ؟ يختار أحدها طريق النجاة خارج الدنيا وحياتها والثانى يشق طريق النجاة وسط مشاغل الحياة الدنيا ومصاخبها ، فهل من الممكن أن يكون كلاهما على الحق والصواب بدرجة واحدة؟ ولعمرى أنه اذا كان من الجائز أن يعبر « بالعقل » عما يحكم على مثل هذه الأمور المتضاربة المتنافية بالصدق والصحة والصواب ، فالواجب أن يعبر عما يحكم باستحالة الاجتماع بين الأضداد بكلمة أخرى غير كلمة « العقل » .

نعم ، هناك تصورات مشتركة فى مختلف الديانات ، ولكن من دواعى الأسف أن الذين لا ينظرون من الأشياء الا قشورها ، لا يريدون أصلا أن يعرفوا حقيقة هذه التصورات المشتركة ، وانما يرتبون المقدمات ترتيبا فاسدا ويستنتجون

منها نتائج خاطئة مع أن هذا الاشتراك يرشدنا الى حقيقة مهمة، وهى أن جميع هذه الأديان متفرعة من أصل واحد. وأن هذه التصورات والتعاليم ليس لها الا مبدأ بعينه، وأن هناك وسيلة للعلم بعينها هى التى قد أعلمت الأنسان فى مختلف الأوطان والأزمان والألسنة بهذه الحقائق المشتركة، وأن هناك بصيرة بعينها حصلت للناس جميعا على كل ما كان بينهم من بعد المشرقين وفترة المئات والآلاف من السنين، فهم بهذه البصيرة لم ينتبهوا الا الى نتائج متقاربة من نوع واحد، ولكن لما تباعدت الأديان عن أصلها تسربت اليها تصورات خارجة ومعتقدات أجنبية وأن هذه الامور البعيدة لم تكن مأخوذة من ذلك المبدأ المشترك وتلك البصيرة المشتركة، بل وضعها الناس الذين تضاربت طبائعهم وتباينت ميولهم وتنوعت مستويات علمهم وعقلهم. ولأجل ذلك فان الأبنية التى أسسوها على هذه الأسس المشتركة أصبحت مختلفة فيما بينها كل الاختلاف باعتبار صورها وهيئاتها وأشكالها.

فعلى ذلك ان جاز أن يحكم بالحق والصدق على شىء فانما يجوز أن يحكم بهما على ذلك الأصل المشترك الذى يوجد فى جميع الأديان، لا على تلك الصور والهيئات التفصيلية المختلفة التى تقوم عليها هذه الأديان اليوم، لأن الحق انما هو جنس بسيط ــ فى اصطلاح المنطق ــ يستحيل الاختلاف بين أجزائه. فكما أنه من الممكن أن نطلق كلمة « اللون » بكل سهولة على الأبيض والأسود والأخضر والأحمر كذلك ليس من الممكن أن نطلق كلمة « الحق » على مختلف الأحكام مثل أن الله واحد، وأن الالهين اثنان، وأن الآلهة متعددة.

أما أن الأديان كلها من أصل واحد وأن هناك حقيقة بعينها أعطيت لمختلف الأمم فى مختلف الأزمان فأمر جاء بيانه بكل صراحة فى غير واحدة من آيات القرآن الحكيم : فقد قيل مثلا : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا »(١) وقيل : « وان من

(١) النحل : ٣٦ .

أمة الا خلا فيها نذير » (١) وقيل : « جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير » (٢) وقيل : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان » (٣) أى ما كان مختلف الانبياء والرسل يتلقون رسالة الصدق والحق الا من ينبوع واحد بعينه وانهم جميعا ما كانت لهم الا رسالة واحدة هى : « أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٤) وأنهم جميعا ما كان يوحى اليهم الا وحى واحد : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون » (٥) وأنه ما قال واحد منهم لقومه : « ان الذى أعرضه عليكم وأدعوكم اليه هو من نتائج فكرى وعقلى ، بل قد ظلوا جميعا يقولون لاقوامهم : « وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا » (٦) وأنه ما دعا واحد منهم قومه الى عبادته وانما دعاهم الى عبادة الله ربه وربهم «ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين » (٧) .

فهذا هو التعليم المشترك الذى جاء به الى جميع الأمم قادتها الدينيون ومما يبينه القرآن الحكيم أن الناس ما كانوا جميعا فى أول أمرهم الا أمة واحدة ، أى كانوا على حالة انسانية فطرية خالصة stete of natuxe وكان قد جاءهم من الله العلم بصراطه المستقيم(٨) . ثم ظهر فيهم الاختلاف لا لشىء الا لأن

---

(١) فاطر : ٢٤ .
(٢) آل عمران : ١٨٤ .
(٣) الحديد : ٢٥
(٤) النحل : ٣٦
(٥) الانبياء : ٢٥ (٦) ابراهيم : ١١ ، ١٢ (٧) آل عمران : ٧٩

(٨) مما يجب ان يلاحظ بصفة خاصة فى هذا المقام ان من بيان القرآن الحكيم على العكس من نظرية النشوء والارتقاء وفلسفة التاريخ الانسانى فى هذا الزمان أن النوع البشرى ما بدأ حياته على وجه الأرض فى ظلمة الجهل ، بل بدأها فى ما أعطاه الله من نور العلم ، فقد أكرم سبحانه وتعالى آدم ــ وهو اول انسان على وجه الأرض ــ برسالته ، وأعطاه بطريق الالهام من العلم ما كان ضروريا للانسان لقضاء حياته فى الأرض وفقا لمرضاته وقانونه .

بعضا منهم حاولوا الخروج عن حدهم المشروع ، والحصول على مرتبة أعلى من مرتبتهم الفطرية ، واقامة حقوق لأنفسهم أكثر من حقوقهم الفطرية . فهناك شرع الله سبحانه وتعالى يرسل اليهم رسله ليعطوهم العلم الصحيح بالحق ويقيموا بينهم العدالة الاجتماعية soeial tustice وتلك كانت رسالة جميع الانبياء فى الدنيا ، فالذين تلقوها بالقبول ، واتبعوا ما آتاهم أنبياؤهم من العلم اتباعا صحيحا كاملا،واهتدوا بهديهم، هم وحدهم على الحق وليس غيرهم، كائنا من كان ، الا على الباطل سواء أكان ممن أبو اتباع الأنبياء أو ممن حرفوا تعاليمهم وبدلوها حسب أهوائهم وأغراضهم الشخصية.ففى ذلك يقول عز وجل : « وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا »(١) ويقول : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم »(٢) . « فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم »(٣) ويقول : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب

---

(١) يونس : ١٩

(٢) البقرة : ٢١٣ معنى كلمة «البغى» المستعملة فى هذه الآية هو تعدى الحد المشروع وتجاوزه . فالذى يقرره القرآن اساسا لكل ما يتورط فيه الناس من الضلال الاعتقادى والظلم الاجتماعى . هو أن بعضهم يحاولون تعدى حدودهم المشروعة الفطرية فمنهم من يتخذ نفسه الها لغيره ويأمرهم بعادته . ومنهم من لا يتجرأ على اتخاذ نفسه الها لغيره . ولكن يظهر بمظهر السادن أو الحاجب أو الخادم لصنم أو اله وهمى . ثم يفرض على الناس طاعته والاعتراف بسلطانه متوسلا بهؤلاء الالهة ومنهم من ينصب نفسه حاكما دينيا للناس ويزعم انه يحتكر نجاتهم وفلاحهم وهكذا ينجم فى الدنيا فرق البرهمية والبنوية ومنهم من يستغل غناه المالى ورغدة عيشه ليجعل منهما وسيلة لاختيار عدة أنواع لسلب الناس أموالهم . وجملة القول أن «البغى» هو الذى يخرج الناس من حالتهم الفطرية ويغرس فيهم بذور الشقاق والخلاف من الوجهتين : الاعتقادية والاجتماعية .

(٣) البقرة : ٢١٣

والميزان » (١) . « ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس »(٢) . ويقول: « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » (٣) .

فهذه هى نظرة القرآن فى التاريخ ... أو تفسيره المعنوى للتاريخ Moral interfnstation of history الذى يفسر أسباب الخلافات الدينية بكل سهولة . وبهذه النظرة يتبين لنا بكل وضوح أن أنبياء الله ماجاءوا الى مختلف امم الأرض الا ليرجعوا بها الى منهاج الحياة الفطرى الذى كانت قد عدلت عنه بغيا وعدوانا ، ويقيموها على طريق الحق والعدالة الحقيقى .

ثم ان الدعوى التى يعرضها القرآن بعد هذا ، هى أن الاسلام الذى يدعو اليه الناس ما هو الا ذلك الدين الحقيقى الذى مازال جميع الأنبياء السابقين يدعون اليه الأمم المنتشرة فى مختلف بقاع الأرض منذ البداية . وأنه ما جاء محمد — صلى الله عليه وسلم — برسالة جديدة لا عهد بها للبشرية من ذى قبل : « قل ماكنت بدعا من الرسل» (٤) بل قد جاء بنفس تلك الرسالة التى جاء بها كل نبى الى قومه فى كل زمان : «انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده» (٥) . وانه ما بقيت ناحية من نواحى الأرض كجزيرة العرب أو مصر أو ايران أو الهند أو الصين أو اليابان وأوربا وأميركا وافريقية وما اليها محرومة من الاستنارة بنور هذه الرسالة ، حيث جاء اليها رسول الله بكتبه ولا يستبعد أن يكون بوذا، وكرشن ، وراما ، وكونفوشيوس وزرداشت ، ومانى ، وسقراط ، وفيثاغورث وغيرهم من هؤلاء

---

(١) المراد بالميزان فى هذه الآية ذلك النظام الاجتماعى المتكامل فى الاعتدال والتوازن الذى أرسله الله تعالى الى الناس بواسطة الأنبياء فى شريعته الغراء حتى يقيم بينهم العدل .

(٢) الحديد : ٢٥ (٣) طه : ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٤) الأحقاف : ٩

(٥) النساء : ١٦٣

الرسل ، الا أن الفرق بين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهؤلاء الرسل أنه قد ضاعت تعاليمهم الأصلية فى مجاهل اختلاف الناس ولاتزال تعاليمه عليه الصلاة والسلام محفوظة فى صورتها الأصليةدون أن يداخلها شيء من تحريفات الناس .

فالحقيقة أن الاسلام هو الدين الأصلى لسائر البشرية ، وما يوجد فى غيره من الأديان من الحق والصدق انما هو البقية الباقية من أثر ذلك الاسلام الذى جاء الى الجميع ولكنهم أضاعوه فى اختلافاتهم ، أما ما تختلف فيه هذه الأديان مع الاسلام فلا شك فى بطلانه ، ومن الظلم الصريح الحكم عليه بالصحة والصدق . وبدل أن تتظاهر بالتسامع الكاذب يجب علينا أن نقول بكل صراحة لجميع اخواننا فى الانسانية فى مشارق الأرض ومغاربها : «هلموا أيها الاخوة كفوا عما أنتم عليه من العصبية وضيق الصدر» ، واقبلوا الحق الصراح والصدق الخالص الذى لا تشوبه شائبة ، ولا تظلوا متشبثين بأهداف الأشياء التى قد اختلط فيها الحق مع الباطل والصدق مع الكذب واليقين مع الشك ، وليس الحق بوقف على الأمة التى تعرف اليوم بالأمة الاسلامية بل هو ميراث تشترك فيه البشرية بأجمعها . وقد كان الله سبحانه وتعالى وزعه على جميع الأقطار والأمم ، فان كان غيرنا قد أضاعوه ودسوا عليه سم (بضم السين) عبادة المخلوق والظلم والعدوان والتقاليد الزائفة والامتيازات الجائرة الغاشمة ، فانما كان ذلك من سوء حظنا وحظكم معا ، فما الذى يدعوكم اذن الى أن تبقوا متشبثين بسوء الحظ هذا لا لسبب الا لأن آباءكم كانوا قد تورطوا فى هذه الغلطة . وانه اذا كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد نال هذا الميراث ثم بلغه كما هو ، وسلم الميراث من أن يختلط به سم عبادة المخلوق والعادات القائمة على الظلم والعدوان والامتيازات الجائرة ، فذلك من عين حسن حظنا وحظكم وحظ النوع البشرى كله ، فاشكروا الله على هذه النعمة ولا ترددوا فى الاستمتاع بها بحجة انها واصلة

اليكم بواسطة رجل من العـرب ، واعلموا أن الحق من نعم الله رب العالمين كالهواء والماء والنور ، فاذا كنتم لاتأبون الاستمتاع بالهواء اذا كان آتيا اليكم من جهة الشرق ولا ترددون فى شرب الماء واستساغته بحجة أن عينه قد انبثقت فى الأرض الفلانية ولا تأبوا الاستمتاع بالنور لأنه ينبثق من مصباح فلان ، فمـا بالكم ترددون فى قبول نعمة الحق الخالص النقى التى قـد وصـلت اليكم بواسطة محمد العربى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحجة أن الـذى قد جاء بها ليس مولده فى وطنكم أنتم ؟

**ابو الأعلى المودودى**

---

**ابن القيم يصف الداعية :**

لا تملكه اشـارة ، ولا يتعبده قيد ، ولا يستولى عليـه رسـم ، حر مجرد دائر مع الأمر حيث دار بدين بدين الأمر أنى توجهت ركائبـه ويدور معـه حيث اسـتقلت مضاربه ، يأنس به كل محق ويستوحش منه كل مبطل ، كالغيث حيث وقـع نفـع ، وكالنخـلة لا يسـقط ورقها ، وكلها منفعة حتى شوكها . وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله والغضـب اذا انتهكت محارم الله . فهـو لله ، وبالله ، ومع الله ، قد صـحب الله بلا خلق ، وصحب الناس بلا نفس ، بل اذا كان مع الله عزل الخلائق عن البين وتخلى عنهم ، واذا كان من خلقـه عزل نفسـه من الوسط وتخلى عنهـا ، فواها له . ما أغربه بين الناس . وما أشد وحشته منهم ، وما أعظم انسه بالله وفرحه به ، وطمأنينته وسكونه اليه .

مدارج السالكين ـ ابن القيم ..

دراسات قرآنية :

# الغلام الحليم والأضحية

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى :

« فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر » الآيات ١٠١ ـ ١٠٧ من سورة الصافات .

## البيان

يمضى عيد الأضحى كل عام ولا يذكر المسلمون من أمره الا أنه عيد اسلامى يبتهجون فيه وينعمون بلذيذ الطعام من أضحيته ، دون أن يفكروا فى منشئه والأغراض الجليلة التى شرع من أجلها ، حتى تكون منهم موضع العبرة والادكار ، والاخلاص فى العقيدة والعمل لله رب العالمين ، والعطف على البائسين والمعوزين .

فلهذا رأينا أن نتحدث الى اخواننا المسلمين فى هذا العدد الخاص بشهر ذى الحجة الحرام ـ حيث يحجون فيه ويضحون ـ عن منشأ الأضحية ومتى شرعت ، وعن الغلام الحليم الذى هم بذبحه ابراهيم ، ثم افتداه ربه بذبح عظيم ، وعن الحكمة فى هذا كله ، حتى يكونوا منه على بينة ، ويكون فى وعيهم وادكارهم كلما مر بهم هذا العيد السعيد .

## نبذة فى ابراهيم والد الذبيح

ولما كان موضوع المقال وثيق الصلة بابراهيم عليه السلام ، فلهذا آثرنا أن نتحدث عنه حديثا قصيرا ينتهى بنا الى الموضوع ، فنقول وبالله التوفيق .

أرسل الله ابراهيم عليه السلام الى قوم من الصابئة يؤلهون الكواكب ، ويتخذون الأوثان أربابا ، زاعمين أنها ترمز الى الكواكب التى يؤلهونها ، وكان موطنه الأصلى بابل

حيث يعيش قومه من الصابئة ، فأرسله الله اليهم ، فدعاهم الى نبذ ما يؤلهون من الكواكب والأوثان ، ويخصون عباتهم بالله رب العالمين ، فلما لم ينفعهم نصح ولا ارشاد ، حطم أوثانهم بمعوله ليلا ، ليظهرهم على فساد ربوبيتها ، بعجزها عن حماية نفسها ، وفى ذلك يقول الله تعالى « فراغ عليهم ضربا باليمين » فلما اتضح لهم أنه هو الذى حطمها « أقبلوا اليه يزفون » أى يسرعون، ولما ناقشوه فيما صنع بها : « قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون • قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم • فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين » اذ نصره الله عليهم ونجاه من مكرهم ، فجعل النار عليه بردا وسلاما ، ورأى بعد يأسه من قومه ، أن يهاجر الى أرض أخرى يتمكن فيها من عبادة ربه ، فهاجر الى بيت المقدس قائلا: «انى ذاهب الى ربى سيهدين » ثم دعا ربه أن يرزقه ولدا يأنس به فى غربته فقال: «رب هب لى من الصالحين» فاستجاب الله دعاءه وبشره بغلام حليم ، وقد انطوى فيها بشريات ثلاث (١) أنه سيرزق غلاما (٢) وأنه سيكون حليما (٢) وأنه يبقى ويعيش ، لأن الصغير لا يوصف بالحلم •

### رؤيا خطيرة عن الغلام الحليم

حقق الله لابراهيم بشراه فرزقه غلاما صالحا « فلما بلغ معه السعى » أى كبر وبلغ أن يسعى مع أبيه فى دنياه معينا له على أعماله ، رأى فى منامه عن ولده رؤيا مفزعة ، فقال له : « يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى » وهذا السؤال يشعر بأن الغلام كان راجح العقل ، يحسن وزن الأمور ، ولا ينزعج لكوارثها ، بل يعطى رأيه فيها عن صواب وحكمة ولو كان هلاكه فيه •

وقد كان ابراهيم عليه السلام مترددا فى تنفيذ منامه الخطير ، لأن فيه هلاك ولده الوحيد وقتئذ ،وقد رزقه فى شيخوخته الواهنة ، قال مقاتل : رأى ابراهيم هذه الرؤيا ثلاث ليال متتابعات،ويروى أن الليلة الأولى منها كانت ليلة الثامن من ذى الحجة ، فقد رأى فيها من يقول له: ان الله يأمرك بذبح ابنك،فلما أصبح

روى فى نفسه ــ أى فكر : أهــذا الحلم من الله أم من الشيطان،فسمى هــذا اليوم يوم التروية ، فلمــا كانت الليلة الثانية ، رأى رؤياه هذه مرة أخرى ، فلمــا أصبح عرف أن ذلك من اللــه ، فسمى يوم عرفة ، ثم رأى مثله فى الليلة الثــالثة ، فهم بنحره فسمى يوم النحر ،

### موقف الغلام من رؤيا أبيه

اعتبر الغلام رؤيا أبيه وحيا وأمرا صادرا من اللــه تعــالى لا بد من تنفيذه ، فلهذا قــال لأبيه « ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » فلما رأى استجابة ولــده الوحيد لأمر ربه ، شرع فى تنفيذه ، مع أن هذا التنفيذ سيكلفه حياته .

قال محمد بن كعب : كانت الرسل يأتيهم الوحى أيقاظا ورقــودا ، فان الأنبياء لا تنــام قلوبهم ، وقال ابن عباس : رؤيا الأنبياء وحى ، واستدل بهذه الآية ، وفى حديث مرفوع قال صلى الله عليه وسلم : « انا معاشر الأنبيــاء تنـــام أعيننــا ولا تنام قلوبنا » .

### محنة الغلام وأبيه

لا يبتلى أحد من البشر بأعظم من أن يؤمر بذبــح ولده الوحيد أمرا واجب التنفيذ ، ولا نعلم أحــدا من الأنبياء قبل ابراهيم أو بعده امتحن بمثل ما امتحن به ، ومع أن هذا أمر يتجــاوز طاقــة البشر فقد احتمله ابراهيم وغلامه بصبر يتجاوز الخيال، ويفوق حد الاحتمال ، وجاءت ذروة المحنــة عند التنفيذ « فلما أسلما » أى انقادا واستسلما لأمر الله « وتله للجبين » أى صرعه على شقه فصار جبينه الى الأرض كما يفعل بالشاة ، والجبين أحد شقى الجبهة .

وقيل معناه أنه كبه على وجهــه باشارته ، لكيلا يرى منه ما يوجب رقة تحول بينه وبين تنفيذ أمر اللــه تعالى ، جاء فى الخبر أن الذبيح قال لابراهيم عليهما الســلام : يا أبت اشدُدْ رباطى حتى لا أضطرب ، واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شىء من دمى فتراه أمى فتحزن ، وأسرع مر السكين على حلقى ليكون الموت أهون على ، واقذفنى للوجه لئلا تنظر الى وجهى فترحمنى ، ولئلا أنظر الى الشفرة فأجزع ، واذا أتيت الى أمى فأقرئها منى السلام ، فلما جبر ابراهيم

السكين ضرب الله عليه صفيحة من نحاس فلم تعمل السكين شيئا ، ثم ضرب به على جبينه وحز فى قفاه فلم تعمل السكين شيئا ، فذلك قوله تعالى « وتله للجبين » فنودى « يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا » فالتفت فاذا بكبش .. الخ — ذكره المهدوى .

وهذا الكبش هو ما ذكره الله تعالى فى قوله: «وفديناه بذبح عظيم» والمراد بعظمه أنه كبير الجسم أو سمين ، أو أنه فدى به نبى ، فكان عظيما لذلك .

وحينئذ تقدم ابراهيم فذبح هذا الكبش فداء لولده عليهما السلام ، واختلف فى المكان الذى أراد ذبحه فيه ، فقيل بمكة بالمقام ، وقيل بمكان النحر بمنى عند الجمار التى رمى بها ابليس حين وسوس له — قاله ابن عباس وابن عمر وغيرهما .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : لما أمر الله ابراهيم بذبح ابنه ، عرض له الشيطان عند جمرة العقبة ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم مضى ابراهيم لأمر الله تعالى .

### من هو الذبيح ؟

ولد لابراهيم ولدان ، أولهما اسماعيل من هاجر ، وثانيهما اسحق من سارة ، واختلف العلماء فى أيهما الذبيح ، فأكثر العلماء على أنه اسحق — كما ذكره القرطبى — وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله ، وابن مسعود وعلى ابن أبى طالب وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال به من التابعين مجاهد والشعبى وعلقمة وابن جبير وغيرهم ، وعلى هذا أهل الكتاب واختاره النحاس والطبرى وغيرهما ، قال سعيد ابن جبير : أرى ابراهيم ذَبْح اسحق فى المنام ، فسار به مسيرة شهر فى غدوة واحدة ، حتى أتى به المنحر من منى ، فلما صرف الله عنه الذبح وأمره أن يذبح الكبش فذبحه سار به مسيرة شهر فى روحة : طويت له الأرض والجبال .

### الرأى الراجح أنه اسماعيل

ومع أن الجمهور يرون أن الذبيح اسحق ، فان غيرهم يرون أنه اسماعيل وممن قال بذلك أبو هريرة وأبو الطفيل ، وروى عن ابن عباس وابن

عمر فى رواية أخرى عنهما ، وقال به سعيد بن المسيب وغيره من التابعين .

وعن الأصمعى قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح ، فقال يا أصمعى : أين عزب عنك عقلك ؟ ومتى كان اسحق بمكة ؟ وانما كان اسماعيل بمكة ، وهو الذى بنى البيت مع أبيه ، والمنحر بمكة، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم روايتان ، احداهما تؤيد أنه اسماعيل والأخرى تؤيد أنه اسحق

والذى نرجحه ونرى أنه هو الحق هو أن الذبيح اسماعيل، لما تقدم فى اجابة أبى عمرو ابن العلاء للأصمعى ولأن الله وصف اسماعيل بالصبر دون اسحق ، وذلك فى قوله سبحانه : « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » ووصفه بصدق الوعد « انه كان صادق الوعد » لأنه وعد أباه أن يصبر على الذبح فوفى ، ولو كان الذبيح اسحاق لكانت محاولة الذبح ببيت المقدس لا بمنى .

ومن أقوى ما يستدل به لكون الذبيح اسماعيل ، أنه تعالى عقب قصة الذبيح فى سورة الصافات بقوله : « وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين » أى وبشرناه جزاء صبره على ذبح وحيده اسماعيل باسحاق يولد له بعد هذه القصة ، وأنه يكون نبيا من الصالحين .

## رأى وسط

وقال الزجاج : الله أعلم من هو الذبيح ؟ ولعله قال ذلك احتياطا ، لعدم ذكر اسم الذبيح صراحة ، وهو مذهب وسط يقتضى الايمان بما جاء به القرآن عن الذبيح ، ويفوض العلم بشخصه الى علام الغيوب ، وسواء أكان الذبيح هذا أم ذاك ، فان فضل الله على ابراهيم وآل بيته بفدائه لا يقادر قدره ، فقد حقن الله به دم هذا الغلام الحليم فبقى قرة عين لوالديه ، كما أنه أذهب الحرج والأسى عن ابراهيم عليه السلام ، وأدخل السرور فى قلوب هذه الأسرة الكريمة التى امتحنت بأشد ما يمتحن به البشر ، ولهذا قال الله تعالى تعظيما لهذه المنة : « انا كذلك نجزى المحسنين » يعنى أن هذه هى سنة الله تعالى مع المحسنين الصابرين ، اذ يخلصهم من الشدائد،

ويجعل لهم من ضيقهم فرجا ، ومن متاعبهم مخرجا .

ولا وجه لتعصب أهل الكتاب لاسحاق حيث جعلوه هو الذبيح حسدا لاسماعيل ، ولا داعى لترجيح هذا الرأى استنادا الى ما يقوله أهل الكتاب ، فكلنا نعلم ما صنعوه فى كتبهم ، ولا أستبيح لنفسى ولا لغيرى أن يطمئنوا الى ما قيل من أن الجمهور يرى أنه اسحاق ، فما أكثر ما نراه من الاسرائيليات والأحاديث الموضوعة مدسوسة فى كتب المفسرين زورا وبهتانا .

والرأى الأمثل أنه هو اسماعيل لما قدمناه من الأدلة ، أو ترك البحث عن شخصه ، وترك العلم به الى علام الغيوب كما جنح اليه الزجاج طلبا للاحتياط .

**الحكمة فى أمر ابراهيم بذبح ولده**

لا شك فى أنه تعالى لا يأمر بشىء يخلو عن الحكمة ، فكل ما يأمر به مشتمل على حكم قد تظهر لنا وقد تخفى علينا ، وكذلك كان الشأن فيما كلف به ابراهيم عليه السلام من ذبح ولده ، فانه عليه السلام أبو الأنبياء وامام للناس ، قال تعالى مخاطبا له : « انى جاعلك للناس اماما » ولهذا ترى أصحاب الملل فى أرض النبوات يشرفون بالانتساب اليه حتى المشركين ، فانهم يزعمون أنهم على ملته ، والغرض الأساسى من تكليفه بذبح ولده — فيما نرى والله أعلم — تذكير من جاء بعده من أصحاب الملل ، بأن امامهم ابراهيم لم يبخل على ربه بحشاشة كبده ، بل هم بذبحه مرضاة له وطاعة لأمره ، ولولا فداؤه لنفذ فيه أمره ، وأن عليهم أن يقتدوا به فى امتثال ما يأمرهم به الله وينهاهم عنه ، وكل ما شرعه لهم فهو مقدور لهم ، ولا يمكن أن يصل فى صعوبته وشدته الى هذا الذى كلف به ابراهيم فشرع فى تنفيذه ، ومن المسلمات أن قصة الذبيح هذه معلومة لجميع أصحاب الملل فى أرض النبوات وغيرها .

**العيد والأضحية والعبرة**

جعل الله اليوم الذى فدى فيه الذبيح يوم عيد للمسلمين ، ينبغى أن يذكروا فيه نعمته على هذا البيت

الكريم ، وسن فيه الأضحية والذبح اقتداء بخليله ابراهيم ، وتعبيرا عن الفرح بنجاة ولده ، وشكرا له تعالى على نعمة الفداء وبرا بالمساكين الى جانب اطعام الأسرة ، فلم تشرع الأضحية ليستأثر بها المضحون وحدهم ، ولم يشرع العيد ليكون قاصرا على المرح الأجوف والفرح الخالى من العبرة والبر •

ومن المقاصد التى شرعت لها الأضحية المشوبة بالبر ، أن يرجو المضحى أن يجعلها الله سببا لحفظه وأسرته من النوائب كما حفظ بها الذبيح ووقى من كارثة الموت ذبحا بيد أبيه ، ولذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرص على الأضحية ويحض عليها ، بل كان يذبح أيضا عن غير القادرين من أمته •

وهى واجبة عند أبى حنيفة على القادرين المقيمين من أهل الأمصار ، وسنة مؤكدة عند غيره من أصحاب المذاهب ، ولا تسن للحاج بمنى الا عند الشافعى •

ومن قال انها سنة عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما ، قال عكرمة : كان ابن عباس يبعثنى يوم الأضحى بدرهمين أشترى له لحما ويقول : من لقيت فقل : هذه أضحية ابن عباس ، وكان بعض الصحابة يرى رأيه هذا ويفعلون فعله — أى لا يضحون أحيانا — ليبينوا للأمة أنها ليست واجبة ، دفعا للحرج عن الناس ، فهم أئمتهم ، وعليهم أن يعلموهم ويرشدوهم بالقول والعمل •

واختلفوا : هل الأضحية أفضل أم التصدق بثمنها ، فعلى الأول مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل وغيرهم ، وبه قالت عائشة رضى الله عنها ، وعلى الثانى بلال والشعبى وأبو ثور وغيرهم ، روى عن بلال أنه قال أن لا أضحى الا بديك ، ولأن أضعه فى يتيم قد ترب — أى افتقر — أحب الى من أضحى به ، وحسبنا ما ذكرناه والله تعالى أعلم •

**مصطفى محمد الحديدى الطير**

# أضواء على سيرة الإمام الماوردي ومؤلفاته وعصره

للباحث الإسلامي المحقق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق

— ١ —

## ١ ـ مقدمة :

لا تظفر بالكثير عن سيرة الامام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي المتوفى عام ٤٥٠ هـ عن ست وثمانين سنة فيما رجعنا اليه من كتب التراجم وهي على ترتيب وفيات مؤلفيها: تاريخ بغداد للخطيب والأنساب للسمعاني والمنتظم لابن الجوزي ومعجم الأدباء لياقوت ووفيات الأعيان لابن خلكان والبداية والنهاية لابن كثير والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي •

وكلها باستثناء طبقات الشافعية للتاج السبكي تعد من التراجم الموجزة • وسار على هذا النهج من الاختصار المستشرق الألماني بروكلمان في مادة الماوردي التي كتبها في الموسوعة الاسلامية القديمة •

وكما يسترعي النظر أن أقدم تراجم الماوردي هي أكثرها ايجازا مع أن مؤلفها وهو الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣ هـ كان معاصرا للماوردي • اذ بعد أن ذكر الخطيب من أخذ عنهم الماوردي ومن أخذوا عنه لم يزد على القول انه كان ثقة من الثقات وانه أخذ عنه • وترى أن الخطيب مادام قد كتب عنه فالماوردي يعد شيخا من شيوخه • وعلى ذلك فقد كان من واجب الخطيب على هذا الاعتبار أن يستوفي ترجمة الماوردي قضاء لحق أستاذه •

وقد نهض بهذا الواجب أحد أعلام القرن الثامن الهجري وهو اسماعيل بن كثير المتوفى عام ٧٧٤ هـ

فقد ذكر فى كتابه البداية والنهاية فى ترجمته المختصرة للماوردى (حـ١٢ ص ٨٠) أنه استقصى ترجمة الماوردى فى كتاب الطبقات . والاسم الكامل لهذا الكتاب من كتب ابن كثير هو طبقات الشافعية كما نص عليه ابن حجر فى الدرر الكامنة ( حـ ١ ص ٤٠٠ ) .

وهذا يقودنا الى مصادر أخرى لم تتيسر لنا وهى بالاضافة الى كتاب ابن كثير الذى سبقت الاشارة اليه .

كتاب طبقات الشافعية لابن الصلاح الشهرزورى المتوفى عام ٦٤٣هـ وقد نقل عنه التاج السبكى فترة طويلة . وكتاب آخر بنفس العنوان لعبد الرحيم بن الحسن بن على الأسنوى المتوفى عام ٧٧٢ هـ . والعقد المذهب فى طبقات علماء المذهب لعمر بن على بن الملقن المتوفى عام ٨٠٤هـ ، وطبقات الشافعية لأحمد بن محمد بن عمر ابن قاضى شهبة المتوفى عام ٨٥١هـ وقد لخص ماورد فيه عن الماوردى ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب ( حـ ٣ ص ٢٨ ــ ٢٨٧ ) .

وهناك تفصيلات أخرى عن سيرة الماوردى نستمدها من مصدرين : أولهما أخبار أحداث السنوات التى وردت فى المنتظم لابن الجوزى وفى الكامل فى التاريخ لابن الأثير فهى تصور لنا العصر الذى عاش فيه الماوردى وما قام به من وساطات بين الخلفاء والعباسيين والأمراء البويهيين فضلا عما عساه يكون لهذا العصر من أثر فى تحديد اتجاهات الماوردى وآرائه . وثانيهما الدراسة النقدية لمؤلفاته .

### ٢ ــ عصر الماوردى :

تستغرق حياة الماوردى عهود ثلاثة من الخلفاء العباسيين هم الطائع لله (٣٦٣هـ ــ ٣٨١هـ) والقادر بالله ( ٣٨١هـ ــ ٤٢٢ هـ ) والقائم بأمر الله ( ٤٢٢هـ ــ ٤٥٠هـ ) والأول خلع سنة ٣٨١هـ والثالث نفى عام ٤٥٠هـ وشهد الماوردى سقوط دولة البويهيين عام ٤٤٧هـ عندما دخل طغرلبك السلجوقى بغداد فى هذه السنة .

وهذه الفترة فى تاريخ الخلافة العباسية تعد امتدادا لانحلالها

واطرادا لتقلص نفوذها فلم يبق لها سوى المظاهر والرسوم كأن يصدر الخليفة تقليدا بتولية أحد المتغلبين أو يمنحه لقبا أو خلعة استبقاء لمودته واستدامة لرعايته اياه • وصحب هذا تطاول الأقوياء وعبثهم بالأمن • وصارت أحداث السنوات لا تكاد تخلو احداها من نشوب الفتن وتفاقم الاضطرابات • والخلفاء لاحول لهم ولا طول فى الحيلولة دون وقوعها •

والدولة البويهية التى اغتصبت نفوذ الخلافة العباسية فى هذا العصر، أنشأها أبناء أبى شجاع بويه الثلاثة: على والحسن وأحمد • ودخل أحمد بغداد فى عام ٣٣٤هـ فجعله الخليفة المستكفى أميرا للأمراء • ولقبه بلقب معز الدولة ولقب أخويه على والحسن فى الوقت نفسه بلقبى عماد الدولة وركن الدولة • ومع ذلك لم يشفع للخليفة المستكفى تشريفه لهم اذ لم يلبث البويهيون أن خلعوه وسملوا عينيه •

ولعل أقدم من كتب عن بداية حكم البويهيين على بن الحسن المسعودى صاحب مروج الذهب المتوفى عام ٣٤٦ هـ فقد عاصر السنوات الأولى من حكمهم • وقد ختم كتابه الآخر التنبيه والاشراف الذى فرغ من كتابته عام ٣٤٥ هـ أى قبل وفاته بعام واحد بقوله : «والغالب على أمر الخليفة المطيع ( ٣٣٤هـ ـ ٣٦٣هـ ) والقيم بتدبير الحضرة الى هذا الوقت أحمد بن بويه الديلمى المسمى بمعز الدولة »• وأضاف قائلا « ان رسوم الخلافة قد زالت فى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥هـ ولم أعرض لوصف أخلاق المتقى والمستكفى والمطيع ومذاهبهم اذ كان هؤلاء الخلفاء كالمولى عليهم ، لا أمر ينفذ لهم • أما ما نأى عنهم من البلدان فتغلب على أكثرها المتغلبون الذين استظهروا بكثرة الرجال والأموال ، واقتصروا على مكاتبة الخلفاء بامرة المؤمنين والدعاء لهم • وأما بالحضرة فتفرد بالأمور غيرهم فصاروا مقهورين خائفين قد قنعوا باسم الخلافة ورضوا بالسلامة » •

ولدينا مثال بارز يوضح ضعف الخلفاء فى العصر البويهى حين أنفذ بختيار الى المطيع يطلب منه مالا

يخرجه فى الغزاة ذكر ابن الأثير فى الكامل (حـ٨ص٢٢٢) فى أحداث عام ٣٦١هـ أن المطيع قال : « ان الغزاة والنفقة عليها وغيرها من مصالح المسلمين تلزمنى اذا كانت الدنيا فى يدى وتجبى الى الأموال • وأما اذا كانت حالى هذه فلا يلزمنى شىء من ذلك وانما يلزم من البلاد فى يده ، وليس لى الا الخطبة ، فان شئتم أن أعتزل فعلت » •

وأضاف ابن الأثير أن الرسائل ترددت بينهما حتى بلغوا الى التهديد، فبذل المطيع أربعمائة ألف درهم واحتاج الخليفة الى بيع ثيابه وأنقاض داره •

ونظرا لأن البويهيين كانوا من الديالمة الشيعيين فقد أضافوا الى صيغة الأذان عبارة حى على خير العمل كما استحدثوا فى بغداد النوح والولولة على مقتل الحسين رضى الله عنه فى العاشر من المحرم كل عام وكذلك الاحتفال بعيدغدير خم وذلك بناء على الرواية التى جاء فيها أن النبى عليه الصلاة والسلام فى منصرفه من الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه بغدير خم : «من كنت مولاه فعلى مولاه» وذلك فى الثامن عشر من ذى الحجة (التنبيه والاشراف ص ٢٢١) •

وقد قرب البويهيون اليهم المعتزلة والفلاسفة • ومن مفارقات هذا العصر أن البويهيين على تشيعهم أبقوا على الخلافة العباسية كى يكسبوا سلطانهم صفة شرعية أى أنهم كانوا يغلبون السياسة على الدين •ويقول كلودكاهان فى هذا الصدد فى مادة بنى بويه فى الموسوعة الاسلامية : «لم يحدث أن البويهيين أقدموا على الغاء الخلافة ذلك لأن معز الدولة كان يدرك أن الشيعة ليسوا الا أقلية وأنه لو قضى على الخلافة فى بغداد لكان من المتوقع أن يعود هذا النظام فى مكان آخر • ومن ثم كان من الخير له أن يحتفظ بالخلافة فى قبضته حتى يكسب سلطانه الصفة الشرعية على السنية فى ممتلكاته ويقوى علاقاته بالعالم الخارجى بفضل السلطان الأدبى النافذ الذى كان لايزال الأمراء السنيون ينعمون

به شرعا . والحق أن البويهيين قد استمدوا سلطتهم الرسمية من الخلافة وتصرفوا تصرف من يؤمن حقا بشرعيتها » .

أى أن البويهيين اتبعوا سياسة الوفاق بين السنية والشيعة رغم تشيعهم ولم يعمدوا قط الى اضطهاد السنية . ومما ساعد على ذلك أيضا أن جيشهم كان يتألف من الفريقين : الديالمة الشيعة والأتراك السنيين

وقد بلغ البويهيون أوج نفوذهم فى عهد عضد الدولة . ولكن دب اليهم الضعف فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى بسبب ما نشب بين أفراد بيتهم من تنازع على السلطة وتمرد الجيش واخفاق سيادة الوفاق الدينى بالاضافة الى عوامل أخرى خارجية لا يتسع المقام لذكرها . وترتب على هذا الانحلال قيام كثير من الفتن والاضطرابات التى عجز البويهيون المتأخرون عن حسمها والقضاء عليها . وهذا الضعف الذى حل بالبويهين أطمع الخليفتين القادر بالله والقائم بالله فى التطلع الى استعادة نفوذ الخلافة العباسية وتتمثل هذه المحاولة فى تأليف الماوردى لكتابه الأحكام السلطانية كما سنوضحه فيما بعد .

وهذه الفتن التى كانت بغداد بصفة خاصة مسرحا لها والتى تزخر بأخبارها أحداث العصر البويهى المتأخر كما أوردها ابن الجوزى فى المنتظم وابن الاثير فى الكامل يمكن تقسيمها الى نوعين : الاول ما كان مبعثه الرغبة فى التسلط من جانب احدى الطوائف كالترك أو الديلم أو العيارين وهؤلاء فئة منحرفة من جماعة الفتوة وما يترتب على هذه الفتن من النهب والسلب وسفك الدماء . والثانى ما يرجع الى المنازعات المذهبية .

ومن أمثلة النوع الأول ما ذكره ابن الجوزى فى أحداث عام ٤٢٦هـ ( المنتظم حـ ٨ ص ٨٢ ) وقد بلغ فيها من سخط الخليفة القائم بأمر الله أن أمر القضاة بالامتناع عن الحكم والخطباء بألا يحضروا املاكا ولا يعقدوا عقدا . ومن أمثلة الفتن الدينية ما حدث فى عام ٤٠٢هـ فى عهد خلافة القادر بالله : ( المنتظم حـ ٨ ص ٤١ — ٤٣ ) .

« فقد كان يخطب فى جامع براثا فى بغـداد من يذكر فى خطبتـه مذهبا فاحشـا من مذاهب الشيعة فقبض عليه . وأسند الى أبى منصور بن تمام ان يخطب بدلا منه . فلماصعد المنبر دقه بعقب سيفه على ما جرت به العادة . والشيعة تنكـر ذلك . وخطب خطبـة قصر فيها عمـا كان يفعله من تقدمه فى ذكر على بن أبى طالب . وختم قوله بأن قال : اللهم اغفر للمسلمين ولمن زعم أن عليـا مولاه .

« فرماه العامة بالآجـر ودموا وجهه ونزل عن المنبر .. وعـرف الخليفة ذلك فغاظه وأحفظه .. فأمر بمكاتبة الحضرة الملكية والوزير أبى على بن ماكولا . ومما جاء فى كتاب الخليفة : « اذا بلغ الأمر الجرأةعلى الدين وسياسة الدولة والمملكة ــ ثبتها الله من الرعاع والأوباش ــ فلا صبر دون المبالغة بما توجبـه الحمية . وبغير شـك بلغ أمـير الجيوش ما جرى فى مسـجد براثا الذى يجمع الكفرة والزنادقة .وقد تبرأ الله منه فصار أشبه شىءبمسجد الضرار .

« وذلك أن خطيبا كان فيه يجرى الى ما لا يخـرج به عن الزندقـة والدعوى لعلى بن أبى طالب عليـه السلام ، ما لو كان حيا فسمعه لقتل قائله . وقد فعلمثل ذلك من الغواة أمثال هؤلاء الغثاء الذين يدعـون لله ما تكاد السموات يتفطرن منه . فانـه كان فى بعض ما يورده هـذا الخطيب قبحه الله ، بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيقول : وعلى أخيه أمير المؤمنين على بنأبى طالب مكلمالجمجمة ومحيىالأموات البشرى الالهى،ومكلم فتية أصحاب الكهف الى غـير ذلك من الغـلو المبتدع الذى تقشعر منـه الجلود ويتحرك منه المسلمون وتنخلع لـه قلوبهم ويرون فيه الجهاد» ثم طالب الخليفة «بعقاب الكفرة الفجرةوأخذ البرىء بالسقيم واباحـة الدمـاء الواجب سفحها » .

وتستوقفنا عبارة أخـذ البرىء بالسقيم اذ كيفيعاقب الأبرياء دون ذنب جنوه ؟ لعل الخليفة بلـغ من الحنق مبلغا يذكرنا بما جاء فىخطبة زياد بن أبيه البتراء فى البصرة عام ٤٥ هـ وقد قال فيها : « وانى أقسم

بالله لآخذن الولى بالمولى والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والصحيح منكم بالسقيم » فرد عليه أبو بلال مرداس بن أدية قائلا : أنبأنا الله بغير ما قلت . قال الله عز وجل : « وابراهيم الذى وفى . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان الا ما سعى » ( النجم ٣٧ : ٣٩ ) فوعدنا الله خيرا مما واعدت . فقال زياد : « انا لا نجد الى ما تريد أنت وأصحابك سبيلا حتى نخوض اليها الدماء ( تاريخ الطبرى حـ ٦ ص ١٢٤ ، ١٢٥ ) .

هذا ولم يأل الخليفة القادر بالله جهدا فى تبيان عقائد أهل السنة والرد على الفرق المبتدعة . فقد جاء فى سيرته أنه صنف كتابا فى الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب أصحاب الحديث وأورد فيه فضائل عمر بن عبد العزيز وانكار مقالات المعتزلة ومزاعمهم فى خلق القرآن . وكان الكتاب يقرأ فى كل جمعة فى حلقة أصحاب الحديث وكان يحضر الناس سماعه .

وفى سنة ٤٠٨ هـ استتاب القادر بالله فقهاء المعتزلة الحنفية . فأظهروا الرجوع وتبرأوا من الاعتزال . ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة فى الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للاسلام . وأخذ خطوطهم بذلك ، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم .

وامتثل محمود الغزنوى الملقب بيمين الدولة وأمين الملة أمر الخليفة واستن بسننه فى أعماله التى استخلفه عليها من خراسان وغيرها فى قتل المعتزلة والرافضة والاسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة وصلبهم وحبسهم ونفيهم . وأمر بلعنهم على منابر المسلمين وابعاد كل طائفة من أهل البدع وطردهم من ديارهم وصار ذلك سنة فى الاسلام (المنتظم حـ ٧ ص ٢٨٧ ) .

وواصل القائم بأمر الله خطة أبيه القادر فى الرد على أهل البدع والزندقة بنشر العقيدة الصحيحة كما صاغها القادر فيما يسمى بالاعتقاد القادرى . جاء فى المنتظم ( حـ ٨ ص ١٠٩ : ١١١ ) : ان الامام القائم بأمر الله فى سنة ٤٣٣ هـ أخرج الاعتقاد القادرى الذى ذكره القادر فقرىء

فى الديوان وحضر الزهاد والعلماء وكتب الفقهاء خطوطهم فيه ان هذا اعتقاد المسلمين ومن خالفه فقد فسق وكفر . ويلى ذلك نص الاعتقاد الذى أورده بطوله ابن الجوزى ويبلغ ما يقرب من ثلاث صفحات . ويعد وثيقة هامة فى تاريخ العقائد الاسلامية .

ومع جهود القادر والقائم فى مقاومة الفرق الضالة والرد عليها فقد نبغ فى هذا العصر القاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى المتوفى عام ٤١٥ هـ وله مؤلفات هامة فى أصول الاعتزال . بل كان يسكن بغداد ابو الحسين محمد بن على الطيب البصرى المتوفى عام ٤٣٦ هـ ترجم له ابن خلكان ( ٤٨٢/١ ) ووصفه بالمتكلم على مذهب المعتزلة وأن له التصانيف الفائقة منها المعتمد وهو كتاب كبير أخذ منه فخر الدين الرازى كتاب المحصول وله تصفح الأدلة فى مجلدين وغرر الأدلة فى مجلد وشرح الأصول الخمسة وكتاب الامامة وغير ذلك . وذكر ابن الجوزى فى ترجمته ( ١٢٦/٨ ) أنه كان يدرس مذهب الاعتزال فى بغداد هذا بالاضافة الى قول ابن خلكان: ان الناس انتفعوا بكتبه يدل على أن جهود الخليفتين لم تثمر الثمرة المطلوبة .

كما نهى الخليفتان عن المناظرة مع أصحاب الفرق الضالة . ومع ذلك فقد جاء فى ترجمة أبى اسحاق الاسفراينى المتوفى عام ٤١٨ هـ ( طبقات التاج السبكى ج ٣ ص ١١١ : ١١٤ ) ان مناظرة دارت بينه وبين القاضى عبد الجبار المعتزلى . ولفظها كما يلى :

قال عبد الجبار فى ابتداء جلوسه للمناظرة : سبحان من تنزه عن الفحشاء . فقال الاسفراينى مجيبا: سبحان من لا يقع فى ملكه الا ما يشاء . فقال عبد الجبار : أفيشاء ربنا أن يعصى ؟ فقال الاسفراينى : أيعصى ربنا قهرا ؟ فقال عبد الجبار: أفرأيت ان منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن الى أم أساء ؟ فقال الاسفراينى : ان كان منعك ما هو لك فقد أساء . وان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء . فانقطع عبد الجبار .

**٣ ـ وساطات الماوردى**

أجمع المترجمون للماوردى على أنه كان رجلا عظيم القدر مقدما عند السلطان . ولا يقصد بالسلطان هنا اللقب الذى اتخذه بعض الحكام وانما هو قدرة الملك أى أن مجراه مجرى المصدر كما فى تاج العروس. وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم السلطان القهر والغلبة ويستعمل فى الحجة والبرهان وهو فى القرآن أكثر استعمالا فى الحجة والبرهان وفى الآية ٨٠ من سورة الاسراء : « واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا » أى غلبة وقهرا .

وفى الآثار المروية : السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مظلوم ، وان الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن . ويؤيد هذا المعنى الذى نشير اليه ما جاء فى كتب الأدب فقد استهل كل من ابن قتيبة كتابه عيون الأخبار وابن عبد ربه كتابه العقد الفريد بكتاب السلطان فقد عرف الأخير السلطان بمعنى القهر والغلبة بقوله : السلطان زمام الأمور ونظام الحقوق والقطب الذى عليه مدار الدنيا، وهو حمى الله فى بلاده وظله الممدود على عباده ، به يمتنع حريمهم وينتصر مظلومهم وينقمع ظالمهم ويأمن خائفهم. وأضاف ابن عبد ربه :فحق على من قلده الله أزمة حكمه .. ومكن له فى سلطانه وروى أن رجلا أغلظ لمعاوية فحلم عنه . فقيل له : أتحلم عن هذا ؟ فقال انى لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا .

هذه النصوص تدل على أن المراد بالسلطان هو ما نعبر عنه باللغة الحديثة بالحكومة القائمة وليس اللقب الذى اتخذه بعض الحكام لأنفسهم وكان أول من تلقب به محمود الغزنوى المتوفى عام ٤٢١ هـ

نعود الى وساطات الماوردى :ذكر ياقوت فى معجم الأدباء ( حـ ١٥ ص ٥٣) أن الماوردى « كان ذا منزلة من ملوك بنى بويه يرسلونه فى التوسطات بينهم وبين من يناوئهم . ويرتضون بوساطته ويقفون بتقريراته » . ولم يذكر ياقوت شيئا عن أولئك المناوئين للبويهيين . ولكن كانت هناك وساطات أخرى للماوردى بين الخليفة والبويهيين كان الماوردى فيها معبرا

عن لسان حال الخليفة . جاء فى المنتظم فى أحداث عام ٤٢٣ هـ (حـ ٨ ص ٦٥) : « بعث الخليفة القائم بأمر الله القاضى أبا الحسن الماوردى ومبشرا الخادم الى الملك أبى كاليجار الى الأهواز بكتاب » .

قال الماوردى : « قدمنا عليه فتلقانا وأنزلنا دارا عامرة ... ثم جرى الخوض فيما طلبوه من اللقب . واقترحوا أن يكون اللقب السلطان المعظم مالك الأمم . فقلت هذا لا يمكن . لأن السلطان المعظم هو الخليفة وكذلك مالك الأمم .

فعدلوا الى ملك الدولة . فقلت ربما جاز . وأشرت أن يخدم الخليفة بألطاف . فقالوا يكون ذلك بعد التلقيب . فقلت : الأولى أن يقدم ففعلوا وحملوا معى ألفى دينار سابورية ... الخ » .

غير أن مسألة اللقب تجددت بعد ذلك . ذكر ابن الجوزى فى المنتظم فى أحداث عام ٤٢٩ هـ ( حـ ٨ ص ٩٧ : ٩٨ ) : أنه « فى رمضان من تلك السنة استقر أن يزاد فى ألقاب جلال الدولة لقب شاهنشاه الأعظم أى ملك الملوك . فأمر الخليفة القائم أن يخطب له به . فنفر العامة ورموا الخطباء بالآجر . فكتب الخليفة الى الفقهاء فى ذلك .

فكتب أبو عبد الله الصيمرى الحنفى أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية . وقد قال الله تعالى : ( ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ) وقال تعالى: «وكان وراءهم ملك» . واذا كان هذا فى الأرض جاز أن يكون بعضهم فوق بعض لتفاضلهم فى القوة والامكان . وجاز أن يكون بعضهم أعظم من بعض . وليس فى هذا ما يوجب التكبر ولا المماثلة بين الخالق والمخلوقين . وكتب أبو الطيب الطبرى ان اطلاق ملك الملوك جائز ويكون معناه ملك ملوك الأرض . فاذا جاز أن يقال كافى الكفاة وقاضى القضاة جاز ملك الملوك . فاذا كان فى اللفظ ما يدل على أن المراد به ملك الأرض زالت الشبهة . وفيه قولهم اللهم أصلح الملك فينصرف الكلام الى المخلوقين .

وكتب التميمى الحنبلى نحو ذلك • وذكر محمد بن عبد الملك الهمذانى أن الماوردى منع من جواز ذلك •

« وكان الماوردى مختصا بخدمة جلال الدولة • فلما امتنع عن الكتابة ( أى الامتناع عن الافتاء بتلقيبه بشاهنشاه ) استدعاه جلال الدولة • فمضى على وجل شديد يتوقع المكروه • فلما دخل على الملك قال له : أنا أتحقق أنك لو حابيت أحدا لحابيتنى لما بينى وبينك مع كونك أكثر الفقهاء ايمانا وأوفاهم جاها وحالا ، وما حملك على مخالفتى الا الدين ، وقد قربك ذلك منى وزاد محلك من قلبى وقدمتك على نظائرك عندى » •

ونفهم من هذا النص أن الماوردى كان غنيا عظيم الجاه ومع ذلك فلم يكن حريصا على رغد العيش بل كان لديه من الشجاعة الأدبية ما حمله على الامتناع عن اصدار الفتوى فى مسألة اللقب أسوة بغيره من الفقهاء وذلك ارضاء لضميره واستجابة لما يقضى به معتقده ، معرضا بذلك نفسه لاستثارة غضب جلال الدولة • غير أن جلال الدولة قدر هذه الشجاعة الأدبية حق قدرها ، فزاد تقديره له واعزازه اياه •

وهذا ينفى ما زعمه بروكلمان فى مادة الماوردى فى الموسوعة الاسلامية القديمة اذ قال : «وعندما طلب جلال الدولة البويهى فى سنة ٤٢٩هـ من الخليفة المقتدى ( أخطأ هنا بروكلمان لأن المقتدى بويع بالخلافة عام ٤٦٧ هـ أى بعد وفاة الماوردى بسبع عشرة سنة ) أن يمنحه لقب شاهنشاه أى ملك الملوك اعترض الماوردى على ذلك فى فتوى أصدرها أكسبته عداوة البويهيين والنص السابق ينفى زعم بروكلمان لأن الفتوى زادت من اعظامهم للماوردى •

وقد علق ابن الجوزى على مسأله اللقب بقوله : ان الذى ذكره الأكثرون فى جواز أن يقال ملك الملوك هو القياس اذا قصد به ملوك الدنيا الا أنى لا أرى الا ما رآه الماوردى لأنه قد صح

فى الحديث مايدل على المنع ولكن الفقهاء المتأخرين ( هم ) عن النقل بمعزل .

وأورد التاج السبكى قصة هذه الفتوى ومعارضة الماوردى اياها وعقب على ذلك قائلا (الطبقات حـ ٣ ص ٣٠٥ ) : « ما ذكره القاضى أبو الطيب الطبرى هو قياس الفقه الا أن كلام الماوردى يدل عليه حديث ابن عيينة ... عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أخنع اسم عند الله تعالى يوم القيامة رجل يسمى ملك الأملاك » . رواه الامام أحمد . وقد سئل أبو عمرو الشيبانى عن أخنع فقال أوضع .

وفى حديث عوف ... عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اشتد غضب الله تعالى على رجل تسمى بملك الملوك لا ملك الا الله تعالى » . ثم أضاف التاج السبكى « أن دولة بنى بويه لم تمكث بعد هذا اللقب الا قليلا ثم زالت كأن لم تكن . ولم يعش جلال الدولة بعد هذا اللقب الا أشهرا يسيرة ثم ولى العزيز منهم ثم انقرضت دولتهم » .

ومن وساطات الماوردى ما ذكره ابن الجوزى فى أحداث عام ٤٣٤ هـ ( المنتظم حـ ٨ ص ١١٣ : ١١٤ ) .

« أن الجوالى افتتحت فى أول المحرم ( يراد بالجوالى مال الجوالى وهو الجزية المفروضة على أهل الذمة ) فأنفذ الملك أبو طاهر من منع أصحاب الخليفة عنها وأخذ ما استخرجوه منها . وأقام فيها من يتولى جبايتها . وشق ذلك على الخليفة القائم وترددت المراسلات. ولم تنفع.فأظهر الخليفة العزم على مفارقة البلد وتقدم باصلاح الزبازب ( أى السفن ) وروسل وجوه الأطراف والقضاة والفقهاء والشهود بالتأهب للخروج فى صحبة الخليفة.وتحدث الناس بأن الخليفة قد عمل على غلق الجوامع ومنع الصلاة يوم الجمعة سابع هذا الشهر .

قال أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى :« أخرج التوقيع من الخليفة وكنت أنا الرسول ... وقلت : ليس يخفى على ذى عقل

غلط ما أتاه جلال الدولة من عدوله عن عهوده والوفاء بعقوده ، وأن الايمان المؤكدة اشتملت على ما لافسحة فى نقضه ولا سبيل الى حله • وفيما جرى من الاعتراض على الجوالى فى حياتيهما بعد تسليمها الى الوكلاء نقض لما عقده والتعويل على عهده ، فانطلقت الألسن بما لا يصان عن مثله • فان ذكر أن ضرورة دعت الى ذاك فهلا راسلنا على الوجه الأجمل • ولو أنه لما أراد ما أراد جعل الوكلاء القائمين به يحملونه اليه لكان ذلك أولى • فأما العدول عن هذه الطريقة فظاهر الغرض فيه•••ولولا ما عليه الوكلاء من الاضافة لرأينا ترك القول فى مال هذه الجوالى مع نزارة قدره• لكن للضرورة حكما يمنع من الاختيار • وان روعى الوكلاء يدفعون أيامهم والا فلهم عند الضرورات متسع فى الأرض ونحن نقاضيه الى الله تعالى وهو الحكم بيننا » •

وقد اقتنع المتغلبة بهذه الحجج ونجحت وساطة الماوردى ، لأن الجواب كان من الملك الاعتراف بوجوب الطاعة للخليفة • ثم قال الملك : « نحن نائبون عن الخدمة نيابة لا تنتظم الا باطلاق أرزاق العساكر » •

**عبد العزيز عبد الحق**

---

● قال احدهم : ما شكوت من الزمان ولا برمت بحكم السماء الا عندما حفيت قدماى ، ولم أستطع شراء حذاء فدخلت جامع الكوفة وانا ضيق الصدر فرايت رجلا بلا رجلين فحمدت الله وشكرت نعمته على .

● اذا ضاق الزمان عليك فاصبر
ولا تيأس من الفرج القريب
فطب نفسا فان الليل جلى
عسى يأتيك بالولد النجيب

● قيل لحاتم : على ماذا بنيت أمرك قال : علمت انى ميت فلم أركن الى الدنيا ، وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى فاشتغلت به ، وعلمت ان الموت ياتى بغتة فبادرت بالتوبة .

# مصر الأزهر في فكر إقبال

## رسالة إقبال إلى الشيخ المراغي وجوابها

للأستاذ سمير عبد الحميد

الحديث عن مكانة مصر – وحين أقول مصر فانني أعني مصر الأزهر – في فكر أقبال ، حديث ممتع وجذاب ويحمل أكثر من معنى ، فهو يستلزم استعراض فكر اقبال بصورة موجزة ثم عرض للوضع الثقافي لمصر ودور الأزهر في زمن اقبال . وأخيرا أثر الأزهر الواضح في فكر مسلمي شبه القارة الهندية . والشواهد الواضحة الجلية لهذا التأثير والتطلع الى المزيد ويتمثل هذا فيما سأعرضه من طلب قام به العلامة اقبال وقدمه الى شيخ الأزهر آنذاك وهو الشيخ مصطفى المراغي . يطلب فيه أحد أساتذة الأزهر للقيام بنشر الدعوة الاسلامية في شبة القارة الهندية . وهذا له دلالة واضحة لا تحتاج الى المزيد من التحليل . بل هو دليل قاطع على ذيوع صيت الأزهر ومكانته العلمية وشهرة أساتذته في أنحاء العالم الاسلامي شرقا وغربا . منارة تقشع ما حولها من ظلام كاد أن يسيطر على دنيا الاسلام على أثر هجوم وتهجم صليبي الغرب والشرق على السواء .

زار اقبال مصر قبل حضوره المؤتمر الاسلامي بالقدس في ٧ ديسمبر ١٩٣١م . وفي مصر رحب به ترحيبا طيبا وأقيمت له حفلة حضرها مفكرو مصر وعلماؤها فقد كانت شهرة العلامة اقبال قد ذاعت آنذاك وتجول العلامة اقبال في شوارع القاهرة . وزار الاهرام ورأى أبا الهول ومشى على شاطىء النيل وتحدث في الأمور التي كانت تشغل العالم الاسلامي ، وكان اقبال على دراية كاملة بكل مايدور في مصر من أفكار وحركات دينية كانت أو

سياسية أو اجتماعية . فقد كان الارتباط بين خطوط الفكر الاسلامى فى مصر وبين مثيلها فى شبه القارة الهندية واضحا جليا .

ففى عهد الخديو اسماعيل بدأ الطريق ينفتح أمام التدخل الغربى فى مصر . وقام العلامة جمال الدين الأفغانى بمحاربة هذا التدخل بكافة صوره وحين توطدت عرى الصداقة بين الشيخ محمدعبده وبين الأفغانى سنة ١٨٧٩ م انطلق محمد عبده يحذر من التقليد الأعمى للتعليم الغربى والحياة الغربية وأن هذا التقليد لا يمكن أن يحدث ثورة حقيقية اذ أن أولئك الذين يبحثون عن الرقى لدى الغرب الآن انما يحملون بداخلهم رغبة فى تقليد النظام الاجتماعى الغربى وعادات وتقاليد أهل الافرنج .

والحقيقة أن مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت تموج بمسائل تبحث عن حلول لدى المفكرين القادة . وتتلخص فى الوطنية المصرية والخلافة الاسلامية والقومية العربية والصراع بين القديم والجديد . وباختصارا غرق أهل مصر فى متاهات عبر عنها اقبال بقوله :

« غرق أهل مصر فى دوامة أمواج النيل » .

والحقيقة أن نظرة قادة المسلمين فى مصر وفى شبه القارة الهندية كانت واحدة فى هذا الصدد . فقد كان اقبال يرى أن العالم الاسلامى بالشكل الذى يدعو اليه المتفرنجة أنما هو من الناحية الحضارية « مغلوب الغرب » وقد نظم اقبال كثيرا من الأشعار يوضح فيها هذه الفكرة ويحذر المسلمين من الوقوع فريسة أضواء الغرب الخادعة . يقول اقبال فى ديوان « صليل الجرس » :

« بالأمس رأيت حلما غير بين ،
رأيت مسلمى مصر والهند وقد غرقوا فى دوامة الوطنية .

يا زائرى ديار الافرنج ، اننى أصرخ فيكم ، انهم ليسوا قادة لنا .
من الخير لكم أن تبتعدوا عنهم » .

والحقيقة أن أهم ما يميز فكر اقبال أنه بأكمله تفكير اسلامى . اذا انه جمع أفكاره مباشرة من القرآن كما أن الروح الاسلامية

واضحة فى شعره ومقالاته وكتاباته. فقد كان هدف اقبال هو بناء مجتمع انسانى متقدم سواء تقدما روحيا أو ماديا فعن طريق التقدم المادى والروحى يصل الفرد الى الصلاح والفلاح الأخروى فقام اقبال يدعو المسلمين الى تحصيل المعرفة الحقيقية الحديثة ولكن بطريقة محترمة ومستقلة مع تقدير تعاليم الاسلام فى ضوء هذه المعرفة وهكذا كان يخشى أن يتيه المسلمون وسط مجاهل الغرب ومتاهاته المادية، ففكر اقبال يتمثل فى التكامل أى الربط بين المادة والروح والفرد والمجتمع ، ويتمثل فى الوسطية أى البعد عن الطرفين الحادين للانحراف والعنف . أما الحركة فى فكر اقبال فتتمثل فى القدرة على مواجهة التطور والبعد عن الجمود وعنده أن الحركة فى الجماعة الاسلامية بالاجتهاد .

أما عن مسألة الوطنية فهى لم تعجب « اقبال » حين زار مصر ، ولذا لم يعجبه الزعماء الذين قاموا فى ذلك الحين بالدعوة الى فكرة الوطن .. وتناسوا الدعوة الى جمع شمل المسلمين بدلا من تفتيتهم تحت فكرة الوطن . ولم يكن اقبال يؤمن بفكرة القومية بمعناها المعروف فى أوربا . اذ أنها عنده تقوم على أساس مجتمع انسانى ينطوى تحت الأحكام الالهية والارشادات النبوية وتحرر الفرد من امتيازات الجنس اقبال لا يفتأ يحذر المسلمين من هذه النعرة الخادعة . وقد هاجم أحد قادة المسلمين بالهند لأنه قام يدعو الى فكرة الوطنية . يقول اقبال مخاطبا حسين أحمد الديوبندى . «يامن أعلنت على المنبر من أن الأمة بالوطن ، انك لا تدرى شيئا عن مقام محمد العربى »

وهكذا كان الحال فى مصرنا . اذ قام بعض الزعماء بالدعوة الى الوطنية وسموا فيما بعد بالوطنيين (وفى رأى اقبال أنها تسمية طيبة لأنها ميزت بينهم وبين أخوة الاسلام الداعين الى الوحدة الاسلامية ) .

وظل اقبال يوالى نصائحه للمسلمين بألا يقعوا فى شراك سحر الوطنية وأضوائها البراقة وها هو يشير الى مصر ويقول :

« أيها المسلم ما زلت فى هذه الحياة على معبر ... فاترك وانزع عنك قيد المكان ...

أترك مصر .. واترك الحجاز واترك الشام أيضا ...

ان من نزهه عمله عن كل غرض ... سينال جزاء عظيما ..

فاترك الحور .. واترك الخيام ... واترك الصبا والكأس ... »

وكان العالم الاسلامى ـ ولا يزال ـ يتطلع الى قائد يوضح له الطريق ويقوده وسط خضم الاضطرابات التى كانت ـ ولا تزال تلف العالم الاسلامى . وأوضح اقبال بكل جرأة نظريته قائلا :

مصرع : « عصا نه هو ، تو كايمى هـ ، كار بـ بنياد »

ومعناه : لو أن موسى عليه السلام موجود ولا عصا معه ، فلا أساس حينئذ لعمله »

ويكمل اقبال فكرته ويقول ولو ولد الكليم ( موسى ) مرة ثانيةفمن أين له بالعصا ـ وموسى رمز للقوة الروحية والعصا رمز للقوة المادية . والعصا هذه الأيام فى يد الجيوش الا أن هذه العصا لايمكنها أن تجعل من حاملها « كليما » آخرا . ويضغط اقبال على هذه الفكرة مرة ثانية وهو يوجه حديثه الى مصر ويقول ان القوة تظهر أحيانا فى سيف محمد وأحيانافى عصا الكليم . كما يشير الى أن أبا الهول هو نفسه أخبره بهذه الحقيقة: يقول اقبال فى نظم بعنوان الى أهل مصر:

**اهل مصر**

خودأبو الهول نيه نكته أهل مصرسكهايا مجهكو
وه أبو الهول كـه هصاحب أسرار قديم
دفعه جس سـ بدل جاتى هـ تقدير أمم
هـ وقت كـه حريف اسكى نهين عقل حكيم
هر زمان مين دكر كون هـ طبيعت اسكى
كبهى شمشير محمد هـ كبهى جوب كليم

يقول اقبال مخاطبا أهل مصر :

« ان أبا الهول نفسه هـو الذى علمنى هذه الحكمة يا أهل مصر .. أبو الهول صاحب الأسرار القديمة أن هناك قوة تتغير بها تقادير الأمم .. قوة لا يضارعها عقل أى حكيم.

قوة لهـا طبيعة تتغير مـع كل زمان .. فتظهـر أحيانا فى عصـا الكليم وأحيانا فى عصا محمد .

وجنبا الى جنب سـارت فكرة الخـلافة بمحاذاة فكرة الوطنية . واقبال فى الواقع بدأ حياته الفكرية والشعرية فى هذه الحقبة العصيبة من تاريخ المسلمين فى شبه القـارة الهندية والعالم الاسلامى فكان من الضرورى أن يطلع على ما فيه من حركات وأن يتجاوب معها وفى العصر الذى اشتدت فيه وطـأة الاستعمار الغربى على العالى الاسلامى لم ير اقبال بصيصا من الأمل الا فى تركيا على أسـاس أن فى مقدورها قيادة الأمة الاسلامية كلها . ولكن هذه الأمانى تحطمت وتحولت الى سراب بعد حركة مصطفى كمال المناهضة للاسلام ، فتحول شعر اقبـال الى شرارة ضد هـذه النزعة المناهضـة للاسلام وضـد أتاتورك والأتراك ويتحسر اقبال : « انكم أيها الأتراك أخـذتم جوار أوربا وصحبتها مـع أنكم كنتم بفضل الاسلام على مقربة من النجوم والكواكب » .

وفـكرة الجامعـة الاسـلامية panhum afsw عند اقبال كفكرة سياسية ليس لها وجود ولو أنهـا وجـدت أحيانا فان ذلك يكون فى خيال الذين يتصلون بسلطان تركيا ، وجمال الدين الأفغانى الذى يرتبط اسمه بحركة الجامعة الاسلامية كان يحلم فقط بتحقيقها فى صورة حكومة سياسية واحدة للمسلمين . ويقول اقبال : « انه من الجدير بالذكر أن نقـول انه لا توجد مثلا فى لغـة اسلامية عربيـة كانت أو فارسية أو تركية أو أردية فقرة ترادف كلمـة panhum afsw وعلى كل حال فان الاسلام نظام اجتماعى لكل البشر وهو لم يقل أبدا بحدود قومية أو جغرافية ، ولو وضع هـذا المفهوم

الانسانى نصب العين فان الانسان أى انسان سوف يفضل اللفظ البسيط الواضح « الاسلام » عن لفظة pan islamism وهنا يمكن أن نعد pan islamism موجودة وستبقى دائما . « ويستمر اقبال فى الحديث عن فكرة الجامعة الاسلامية فيقول :

« اننى أعتبر أن لفظة pon isleimism جعلت لتعنى نوعا من المكيدة فأفهم المسلمون فى العالم ضرورة التخطيط لنوع من الوحدة بين الدولة الاسلامية ضد الدول الأوربية .. أما عن الأفغانى فأنا لا أدرى هل استعمل هذا الاصطلاح نفسه أم لا ... ولكن الحقيقة أنه نصح كلا من أفغانستان وايران وتركيا أن يتحدوا ضد التوسع الأوربى وهذا يعتبر قياس دفاعى نقى وأنا شخصيا أعتقد أن جمال الدين الأفغانى كان على حق فى رأيه . وهنا وهناك حالة أخرى ينبغى استخدام هذه الكلمة فيها وهى أنها تحوى تعاليم القرآن وفى تلك الحالة فهى ليست موضوعا سياسيا ولكنها تجربة اجتماعية . والاسلام لا يعترف بالجنس أو اللون أو الطبيعة وفى هذه الحالة فان panhum afsw تعنى فقط الجماعة الاسلامية وهنا فان كل مسلم يكون panhum afsw بل نأمل أن يكون كذلك وعلينا أن نحذف كلمة pan islamism لأن الاسلام هو تعبير يغطى تماما المعنى الذى ذكرته سابقا » ولكن ماذا يقصد اقبال من كل هذا ... ؟

اقبال واضح وصريح ، والاسلام ديننا واضح لا غموض فيه ولا تعقيد ، واقبال يتخذ فكره مباشرة من القرآن الكريم والاسلام فى رأيه لا يعنى اقامة التشكيلات السياسية أو غيرها بل يعنى ببساطة تنفيذ شعائر الدين واطاعة أوامر الخالق .

واقبال حين وصل الى مصر ورأى حالها وقد مالت بعض الآراء الى اعادة الخلافة بل اتجهت الى تنصيب الملك خليفة — رأى أن يوجه خطابا مهذبا الى الملك والى أصحاب هذا الرأى ، يوضح لهم فيه أن فكرة الخلافة لا تعنى الملك والتاج فالخلافة أسلوب عمل اسلامى ينبع من داخل القلوب المؤمنة بربها

الخاشعة لخالقها . ويتساءل اقبال : من أين يأتى الفاروق « عمر » مرة ثانيــة ليفهم فاروق « ملك مصر » معنى الخلافة ... فما كان فى ذهن العلامة اقبال هــو خلافة أبى بكر وعمر .. وتســاؤل مستمر ، هل يمكن أن يعود هــذا الزمان الطاهر فى عصرنا هــذا ولأن فلسفة اقبال تقوم على الحركة ، فهــو يتمنى أن تهب رياح الصحراء من الجــزيرة العربيــة حيث نزلت الرســالة على سيد المرسلين ، وأن تثير أمواج نيل مصر، وأن تقوم هذه الرياح المحملة بعطر النبوة ونقاء الرسالة المحمدية بابلاغ رسالة الفاروق « عمر » الى ملك مصر فاروق . يقول اقبال :

( هبى يارياح الصحراء مــن جزيرة العرب .

وأثيرى موج نيل المصريين .

وبلغى فاروق رسالة الفاروق .

بأن يمزج الفقر والملك فى نفسه .

الخلافة هى أن يكون الفقر قرينا للتاج والملك .

فمــا أحسن هــذه الثروة التى لا تنتهى .

يا صاحب الحظ الفتى .

لا يفلت من يدك هذا الفقر .

فبدونه تموت المملكة بسرعة .

ان من يعرف أسرار اليقين .

يجعل النظرتين نظرة واحدة .

وقد مزجنا بنور قنديلين .

فــلا تفكر فى التفرقــة بين الملك والدين ) .

وينهى اقبــال حديثــه الى الملك قائلا :

( المسلم الذى امتحن نفسه

جعل غبار طريقه سماء

اذا كان لديك شرارة من شوق فاحتفظ بها

فيمكن أن تخلق بها شمسا )

ونلمح من خلال هذه الأشعار ما تنبأ به اقبال للملك من زوال ملكه.. وقد تحقق ما تنبأ به لأن التجافى عن

تعاليم الاسـلام كان علة العلل فى سقوط ملك مصر عن فاروق فهـو فى نصحه له يكرر على سمعه ضرورة أن يستجيب لداعى العقل والقلب ، ويوصـيه بأن يكون ذلـك المؤمن الموقن الذى تبلغ به روحانية الدين ذروتها ويريد أن يرشده الى قصد السبيل على أن يطرح القشور ويهتم باللباب • ففى نظـره أن الحصيف هو الآخذ بالجوهر لا بالمظهر•فهذا المفكر الاسلامى يريد أن يبدى برأيه فى سياسـة الملك على أسـاس من مبادىء الاسلام ومثله وهى مبادىء ومثل أخذ بهـا حكامه الأولون • فتـأتى لهم أن يقيمـوا أعظم دولة عرفها التاريخ • أثرت فيما لا يحصى من شعوب فى المشـارق والمغـارب تأثـيرا يكشف كل يوم عن مزيد وجديد •

وكما ذكرت من قبل كان العـلامة اقبـال على دراية كاملة بالحـركات السياسية التى تـدور فى العـالم الاسلامى وكمـا نعرف قاد عرابى حركته القومية الشهيرة ثم جاء بعده المهدى « السودانى » فقاد حركة اسلامية داخلية وجاءت هذه الحركة بعد حركة عرابى مباشرة ، واقبال كان يعرف أن مصر والسودان بلد واحد وهـو هنا يشير الى المهدى السـودانى قائـلا : « الدرويش المصرى » يقول اقبال :

بوى خوش ازكلشت‌جنت رسيد
روح آن درويش‌مصر آمد بديد»

أى ( انبعثت الروائح الزكية من بستان جنتـه وظهـرت روح ذلك الدرويش المصرى ) •

ولقد ضمن الدكتور عبد الودود شابى هذه القصيدة بحثه للدكتوراه وأنصح القارىء بالرجوع اليهـا • وخلاصة القول أن اقبال يذكر مصر وأحوالها فى أماكن كثيرة من أشعاره الفارسية والأردية • الا أننى الآن أنتقل الى نوع جـديد من الكتابة حيث يكون الناس على سجيته •• الا وهى كتابة الخطابات حيث يكتب الانسان الى صديقه أو زميله يعبر بصدق عن مشـاعره واحساساته ، اقتبس هنا بعض ما كتب اقبال عن ذكرياته وهو يعبر الأراضى المصرية متوجهـا الى أوربا • والسـطور

التالية مقتبسة من خطاب لاقبال كتبه الى أحد أصدقائه من كمبردج فى نوفمبر ١٩٠٥ م وهو خطاب من خمس صفحات كاملة تعبر عن مشاعره وهو فى السفينة من عدن حتى السويس :

« وصلنا الى السويس ••• طلع الينا فى السفينة عدد كبير من أصحاب الدكاكين المسلمين •• اشتريت بعض السجائر من شاب مصرى وأخذنا الحديث فقلت له اننى مسلم الا أنه لم يصدق وقال بعد أن نظر الى «الطاقية الانجليزية» على رأسى : لماذا تلبس «البرنيطة» • وكان عجيبا أن يتكلم الشاب بالأردية « المكسرة » فحين أخبرته اننى مسلم قال لى : تم بهى مسلمان هم بهى مسلمان « أنت مسلم وأنا مسلم أيضا » • وقد سررت كثيرا وقلت له مستفسرا : ألا يشرف الاسلام بوضع البرنيطة على الرأس •• فأجاب على الفور اذا كان المسلم بلا لحية فعليه أن يلبس الطاقية التركية « الطربوش » والا فما هى علامة كونه مسلما •وقلت بينى وبين نفسى : « ليت هذا المنطق الطيب ينتشر فى بلادنا ( أى الهند ) •••»

وكان هذا الصديق المصرى حافظا للقرآن فبدأت أرتل عليه بعض آيات القرآن الكريم ففرح وأمسك يدى يعتصرها بين يديه حبا والتف حولى جميع الباعة وأخذوا يرددون : ما شاء الله ما شاء الله وأخذوا يدعون لى بالتوفيق فى رحلتى •• وهكذا كانت الدقائق البسيطة التى هدفت الى بيع وشراء ليس الا •• كانت تعبيرا قويا عن قمة الأخوة الاسلامية •

ويستمر اقبال فى التعبير عن خواطره فيقول :

« ومرت بنا مجموعة من الشباب كان بينهم شاب يتكلم اللغة العربية بطريقة جميلة وكأنه يقرأ مقامات الحريرى ••• ووصلنا الى بورسعيد

حيث رأينا المدارس والمساجد وأرسلت بعض الخطابات الى بعض الأصدقاء الا أنه للأسف لم يصل أى منها حتى الآن ... » .

وعن نفس الذكريات يكتب اقبال الى أحد معاونيه فى لاهور يقول :

«وصلنا الى بورسعيد وكانت الساعة الثالثة صباحا وكنت نائما فأيقظنى دكتور مصرى اسمه سليمان فاستيقظت وجلست معه وتقابلت مع مجموعة من الشباب المصرى وكلهم أعضاء فى « جمعية الشبان المسلمين » ولقد سررت كثيرا بهذا اللقاء وأرسل الينا لطفى بيه وهو من أشهر المحامين بالقاهرة سلاما على لسان الدكتور سليمان وقدم لنا دعوة لزيارة القاهرة ...» .

وأود أن أقدم فى الصفحات التالية دليلا قاطعا وبرهانا ساطعا على ما كان لمصر وما كان للأزهر من مكانة فى قلب وفكر اقبال . فاقبال كان يعرف جيدا مكانة الأزهر ودوره فى الحفاظ على التراث الاسلامى وأترك الآن اقبال يحدث شيخ الأزهر الشيخ مصطفى المراغى :

من الدكتور محمد اقبال الى حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ مصطفى المراغى

شيخ الأزهر الشريف

أدام الله مجده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

ان الأزهر الشريف له أهمية كاملة فى العالم الاسلامى ، وهو مركز علمى وحيد ولذلك يسرع اليه كل عطشان ليغترف من بحاره وهو المشار اليه عند كل حاجة علمية ودينية ولنا أيضا حاجة اليكم ..

انا أردنا أن نؤسس فى قرية من قرى البنجاب ادارة مهمة لم يسبق اليها أحد الى الآن ويكون لها شأن مع المعاهد الدينية الاسلامية ان شاء الله ..

انا نريد أن تجمع عدة رجال من الذين فازوا فى العلوم الجديدة مع عدة من الذين تخصصوا فى العلوم الدينية ويكون فيهم صلاحية ذهنية بأعلى ما تكون وهم مستعدون لصرف وقتهم فى خدمة الدين الاسلامى ونجعل لهم رواقا متنحيا عن شعب الحضارة الجديدة والثقافة الحديثة ليكون لهم مركزا علميا اسلاميا ونرتب لهم فيه مكتبة يكون فيها كل ما يحتاج اليه من الكتب الجديدة والقديمة وما عدا ذلك يعين لهم قائد كامل صالح تكون له بصيرة تامة فى القرآن الحكيم ويكون خبيرا بما يحدث فى العالم الحاضر ليعلمهم روح كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويعاونهم على تحديد التفكر الاسلامى فى شعب الفلسفة والحكمة والاقتصاديات والسياسيات كلهم يجاهدون بعلمهم وبأقلامهم فى سبيل احياء التمدن الاسلامى .

وهذا الاقتراح لا يحتاج أن يبين أهمية لصاحب الفضيلة كمثالكم ولذلك أرجو منكم أن تتفضلوا علينا بارسال رجل عالم مصرى متطوز على نفقة جامعة الأزهر ليساعدنا فى هذا الأمر وينبغى أن يكون ماهرا فى العلوم الشرعية وفى تاريخ التمدن الاسلامى ويجب أيضا أن يكون قادرا على اللغة الانكليزية ا . هـ . »

ولقد حصلت على هذا النص العربى لخطاب اقبال من أحد الأساتذة بلاهور وهو الأستاذ رفيع الدين هاشمى محاضر اللغة الأردية . وهناك تكملة للخطاب لا توجد فى هذا النص الموجود حاليا بل توجد فى ترجمة أردية للخطاب ووردت فى « اقبال ناهه الجزء الأول ص ٢٥١ ــ ٢٥٣ » وهذه ترجمة عربية لهذه التكملة التى لم ترد فى النص الموجود لدينا :

« هذا بالاضافة الى أن أعضاء الوفد المصرى الأزهرى الذى شرفنا بزيارته منذ أيام قد أخبرنى بأن الجامع الأزهر ينوى ارسال بعض الأساتذة على نفقته الى الهند .

وانني أطلب من سيادتكم تلبية طلبنا اذ أن هذا المركز الاسلامي الذى ذكرته لفضيلتكم سابقا أحق وأولى بأن ترسلوا اليه هؤلاء الأساتذة الذين يقومون بنشر الدعوة الاسلامية . وانني اذ أتمنى بل أدعو الله أن ينبعث نور دين الحق من هذا المركز الى جميع أطراف واكناف الهند أتمنى أن تتفقوا معى فى الرأى . وسوف أكون شاكرا لكم لو تفضلتم بسرعة اطلاعى على رأيكم فى هذا الصدد . مع وافر الاحترام والسلام » .

ولكن ما هى قصة هذا الوفد الأزهرى وما قصة هذا المركز الذى يشير اليه اقبال ..

فى سنة ١٩٣٦ م عقد جماعة من الهنادكة «الاجهوت» مؤتمرا أعلنوا فيه رغبتهم فى تغيير عقيدتهم بعقيدة أخرى . فبدأت جمعية تبليغ الاسلام نشاطا كبيرا لادخالهم فى الاسلام كما قامت صحف مصر بنشر هذا الخبر الذى نال اهتماما كبيرا من الأزهر فرأى ارسال وفد من العلماء الأزهريين الى الهند لتقصى الحقائق .

وطلب شيخ الأزهر الشيخ المراغى من العلامة اقبال الاستفسار عن امكانية توفير بعض المترجمين لمرافقة الوفد أثناء زيارته للهند فكتب اقبال الى نائب رئيس جمعية حماية الاسلام بلاهور حتى توفر الجمعية المترجمين وقال فى خطابه الى نائب رئيس الجمعية :

وصلنى خطاب من الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر وقد نشر هذا الخطاب فى جريدة « احسان » اذ تنوى جامعة الأزهر ارسال وفد من العلماء الى الهند لنشر الدعوة الاسلامية وقد طلب منى الاجابة عن امكانية توفير مترجمين للوفد لترجمة خطبه وتقاريره ومرافقة الوفد فى جولته بالهند ... وسوف تكون زيارة الوفد لمدة ثلاثة أشهر ... أرجو أن تعرض الأمر على المجلس حتى أتمكن من الاجابة على شيخ الأزهر فى أسرع وقت ..»

ويصل الوفد المصرى القادم من جامعة الأزهر الى بمباى فى ١١ ديسمبر ١٩٣٦ م ومنها الى دلهى وبشاور ثم يصل الى لاهور وكان رئيس الوفد الشيخ حبيب أحمد أفندى ونائب رئيس الوفد الشيخ صلاح الدين النجار • وقد التقى الوفد بعلماء الهند والمفكرين المسلمين وقاموا بمعاينة الادارات والهيئات الاسلامية وفى لاهور التقى الوفد بالعلامة اقبال • وأقيمت للوفد مأدبة غداء فى فندق سبنسر الذى لا يزال قائما حتى الآن بلاهور وذلك فى ٢٧ يناير وبعدها التقطت بعض الصور للوفد مع علماء الهند وهى موجودة حتى الآن وفكر اقبال أن يصحب الوفد الى احدى المقاطعات الاسلامية فقد يفيد هذا فى تطوير النظم التعليمية للمقاطعة وكتب اقبال الى شمس الدين قريشى وزير التعليم فى مقاطعة بهاولبور ( وهى المقاطعة التى رفضت الانضمام الى الهند بعد التقسيم رغم ما عرضته الهند من أموال على حاكمها الذى فضل الانضمام الى باكستان الدولة التى نشأت لتطبق الحياة الاسلامية فى حرية وبعيدا عن اضطهاد الهنادكة ) •

كتب العلامة اقبال الى قريشى فى ٢٤ يناير ١٩٣٧ م قال فيه :

« ان علماء مصر ( جامعة الأزهر) قد وصلوا صباح أمس من بشاور الى لاهور ، ويهدف وفد العلماء الى دراسة الحالة التعليمية لمسلمى الهند، وفى رأيى أنه من الضرورى أن يقوم الوفد بزيارة بها ولبور ان شيوخ مصر من العلماء الأفاضل والأساتذة العلماء الدارسين • وانتى على يقين من أن سعادتكم وجميع أهل بهاولبور سوف تسرون جدا بلقائهم •

ويقيم الوفد الآن فى فندق الفلاتيز بلاهور وسوف يقيم حتى ٢٧ ــ ٢٨ ( يناير ) فاذا تفضلتم بدعوتهم فلتبرقوا اليهم على العنوان التالى: الوفد المصرى ــ فندق الفلاتيز ــ لاهور • والسلام » •

أما عن المركز الذى يشير اليه اقبال فتتلخص قصته فى أنه فى عام ١٩٣٥ م فكر رجل مسلم ويدعى

جودهرى نياز أحمد ( توفى فى ٢٤ فبراير ١٩٧٦) فى اقامة مركز اسلامى وذلك بعد تقاعده من الخدمة الحكومية حتى يتمكن من خدمة الدين الجليل • واتصل الرجل باقبال وسمع منه اقبال وفرح بالفكرة واقترح عليه أن يكون المركز فى مكان تتوفر له جميع مقومات البيئة الاسلامية ويتتلمذ فيه شباب المسلمين ممن لديهم استعداد حتى يمكنهم أن يوجدوا قيادة اسلامية صحيحة فى العالم الاسلامى • ووافق جودهرى نياز على اقتراح اقبال فاشترى قطعة من الأرض ( ٦٠ فدانا ) ووقفها لتعليم القرآن وألحق بها مسجدا ومكاتب للدرس ومكتبة ودارا لاقامة الطلبة وأماكن للسكن وغير ذلك ومما هو جدير بالذكر أن جودهرى نياز خان قد اتصل أيضا بالأستاذ أبى الأعلى المودودى وتشاور معه وقد وافقه الأستاذ المودودى على الفكرة وقدم اليه النصائح والارشادات ورأى العلامة اقبال أن يتصل بالشيخ المراغى حتى يرسل أحد أساتذة الأزهر الأفاضل ليقدم خدماته الى هذا المركز • وبسرعة تدل على ما كان عليه الأزهر من احساس بالمسئولية ــ ولا يزال ــ تجاه العالم الاسلامى يجيب شيخ الأزهر الشيخ المراغى :

حضرة الأستاذ الكامل الدكتور محمد اقبال

السلام عليكم ورحمة الله • قرأت خطابكم المؤرخ فى ٥ أغسطس سنة ١٩٣٧ ويسرنى جدا ما عزمتم عليه من انشاء معهد يضم رجالا مثقفين على الطريقة الحديثة ورجالا مهروا فى العلوم الدينية • وقد طلبتم منى ارسال عالم على نفقة الأزهر يكون ماهرا فى العلوم الشرعية وتاريخ التمدن الاسلامى وقادرا على اللغة الانجليزية •

وانى آسف جدا اذ أصرح لكم بأنه لا يوجد عندنا أحد من علماء الأزهر قادرا على اللغة الانجليزية • فلم تدخل اللغة الانجليزية الأزهر الا فى السنة الماضية لطلاب الكليات ••

ولا أظن أنى استطيع اجابةطلبكم الا بعد عودة البعثة التى أرسلت فى العام الماضى الى انجلترا،وترانى هنا مستعدا لكل ما أقدر عليه . وستجدنى صريحا معك غاية الصراحة فى كل ما تريد ..

ولك تحياتى الخالصة ..

**محمد مصطفى المراغى**

ولو عاد اقبال ثانية لرأى جامعات باكستان ومدارسها تعج بأساتذة الأزهر الكرام يحققون رغبة اقبال وأمنيته القديمة .. يعلمون اللغة العربية والعلوم الاسلامية . . يرفعون اسم مصر عاليا ويرفعون اسم أزهرها فى الآفاق .. ويرجون مرضاة الله .. حفظ الله مصر وأزهرها ووفقنا جميعا الى خدمة الاسلام والمسلمين .

**سمير عبد الحميد ابراهيم**

---

● **وقفة عند آية :**

قال تعالى:«أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » .

قال الحسن : هذا مثل قل والله من يعقله من الناس . شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه ، أفقر ما كان الى جنته وان أحدكم والله أفقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا .

وفى صحيح البخارى عن عبيد بن عمير قال : قال عمر يوما لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيم يرون هذه الآية نزلت ( أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل ).. الآية قالوا : الله أعلم . فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين فقال عمر: قل يا ابن أخى ولا تحقر بنفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلا لعمل قال عمر : أى عمل ، قال ابن عباس : لعمل. قال عمر : لرجل عمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله .

**طريق الهجرتين**

# تذكرة الحاج والمعتمر

لفضيلة الأستاذ الشيخ منشاوى عثمان عبود

**تمهيد :**

بمناسبة شهر ذى الحجة رأيت أن أذكر بعض أحكام الحج والعمرة . لتكون منارا يضىء معالم هاتين العبادتين ، وتعين على تصحيح أدائهما ، وزادا يصحبه المؤمن فى الوصول الى تقوى ربه ، والفوز برضوانه ، كما أرشد الى ذلك قوله ـ جلت حكمته ـ « وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب (١) » .

**معنى الحج :**

الحج لغة : القصد والاتجاه الى شىء معظم .

وشرعا : زيارة أماكن مخصوصة بفعل خاص فى وقت معين ، ( الأماكن المخصوصة ) المواضع التى تؤدى فيها مناسك الحج،وهى الكعبة ، والصفا والمروة ، وعرفات، والمزدلفة ، ومنى .

( والفعل الخاص ) العمل الذى حدد الشارع القيام به فى كل مكان من هذه الأمكنة مع رعاية شرطه .

( والوقت المعين ) أشهر الحج ، وهى شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذى الحجة .

**حكمة مشروعية الحج :**

شرع الله تعالى الحج لمقاصد كريمة ، وأهداف سامية نجتزىء منها بما يأتى :

١ ـ فى التجرد من الملابس المعتادة عند الاحرام بالحج ـ تذكير بأحوال الآخرة فيستعد لها المؤمن ، ويتزود من صالح الأعمال.

---

(١) سورة البقرة : آية ١٩٧

٢ ــ فيه تطبيق على لمبدأ المساواة بين الناس ، وأنه لا فضل لأحد على غيره الا بقدر التنافس فى الخير ، والاخلاص فى أداء العبادة •

٣ ــ تأليف القلوب ، واجتماعها على الطاعة ، وتوجيهها الى التعاون على البر والتقوى •

٤ ــ تعـويد النفوس الصبر ، واحتمال المشقات ، ومحاولة التغلب على الصعاب ــ بعد الايمان بنبالة القصد ، وسمو الغاية •

٥ ــ الحج مؤتمر عام يتبادل فيه المسلمون التعـرف على أحوالهم ، واقتـراح العـلاج الحاسم لحل مشاكلهم ، واعـداد العدة لسلوك الطريقة المثلى فى تحقيق عزتهم ، وعلو مكانتهم •

٦ ــ وسيلة الى أن يشاهد المسلم مهبط الرسـول الأمين ، وصحابته الأكرمين ، فيـذكر مدى ما احتمله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ من أعباء الدعوة حتى أظهر الله تعالى دينه ، وأتم نوره ، وأكمل نعمته ، ويذكر أيضا مقدار ما بذله أصحابه رضوان الله عليهم ــ من مؤازرة ومناصرة ، وتضحية وفـداء ، وفى هذا التذكر دفع الى الاعتزاز بذلك الدين ، ومواصلة الجهاد فى سبيل اعزاز شـأنه ، وتطبيق أحكامه ، ورفع رايته •

٧ ــ فى الحج شكر على ما أسبغ تعالى على عباده من نعمة العافيـة والمـال •

**حكمة الحج :**

الحج فرض فى العمر مرة واحدة على كل فرد من ذكر أو أنثى ، اذا توفرت الشروط التى سنذكرها فيما بعد •

والصحيح أنـه يجب حينئذ على الفور ، فمن قدر عليه يكون آثما بتأخيره •

**دليل فريضته :**

يدل على فرضيته الكتاب والسنة والاجماع ، أما الكتاب فقوله تعالى: « ولله على النـاس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » (١) •

---

(١) سورة آل عمران : آية ٩٧

وأما السنة : فروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله،وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة، والحج ، وصوم رمضان ) .

وأما الاجماع فقد اتفقت الأمة كلها على فرضيته ، فيكفر منكره ، لانكاره معلوما من الدين بالضرورة.

ويدل على فرضيته فى العمر مرة واحدةما رواهأحمد ومسلموالنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ( يأيها الناس ، قد فرض الله عليكم الحج ، فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو قلت : نعم لوجبت ولما استطعتم ) .

ويدل على وجوبه على الفور عند القدرة عليه ما يأتى :

١ ــ روى أحمد عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( تعجلوا الى الحج ، يعنى الفريضة ، فان أحدكم لا يدرى ما يعرض له ) .

٢ ــ روى سعيد فى سننهوالبيهقى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لقد هممت أن أبعث رجالا الى هذه الأمصار ، فينظروا كل من له جدة ولم يحج فيضربوا عليه الجزية ، ما هم بمسلمين ، ما هم بمسلمين . قوله : ( جدة ) أى غنى وقدرة .

فحديثابن عباس ظاهر فى وجوب التعجيل نظرا لما تدل عليه صيغة الأمر وأثر عمر ظاهر أيضا فىالدلالة على وجوب المبادرة ، فان التهديد بوضع الجزية على من ترك الحجمع القدرة عليه، والاخبار بنفىالاسلام عنه ــ لا يكونانالا علىتركواجب.

**شروط وجوبه :**

هى التى اذا وجدت يفترضالحج، ويلزم الانسان ، وعددها ستة :

١ ــ الاسلام ، فلا يجب الحج على الكافر ، ولا يصح منه لأن من شرط صحته النية ، ولا تصح من كافر .

٢ ــ البلوغ ، فلا يجب على الصبى ، وان فعله صح منه ان كان مميزا ، ولا يجزئه عن الفريضة بعد البلوغ ،لقوله صلى الله عليه وسلم:

( أيما صبى حج عشر حجج ، ثم بلغ فعليه حجة الاسلام ) .

٣ ــ العقل ، فلا يجب على مجنون ، ولا يصح منه .

٤ ــ الحرية ،فلا يجب على العبد.

٥ ــ الوقت ، فلا يجب الحج الا بعد دخول أشهره التى سبق ذكرها .

٦ ــ الاستطاعة ، وهى القدرة على الزاد والراحلة ،بشرط أن يكونا زائدين عن حاجياته الأصلية وعن نفقة من تلزمه نفقتهم مدة غيابه الى أن يعود .

والمراد بالراحلة ما يركبه من أراد الحج سواء كان طائرة ، أو باخرة أو سيارة ، أو دابة .

**شروط وجوب أدائه :**

هى التى اذا وجدت يلزم الشخص انجاز فعل الحج ، ويأثم بتأخيره .

ويشترط لوجوب الأداء خمسة شروط :

١ ــ صحة البدن ، فلا يجب الأداء على مقعد ، أو من أصابه شلل مثلا.

٢ ــ زوال المانع الحسى ، بألا يكون الشخص محبوسا .

٣ ــ أمن الطريق ، بأن يكون الغالب فيه السلامة ، سواء كان ذلك بحرا ، أو برا ، أو جوا .

٤ ــ كون المرأة غير معتدة من طلاق ، أو وفاة لقوله تعالى : « لا تخرجوهن من بيوتهن » (١) والحج يمكن أداؤه بعد انقضاء وقت العدة فى العام القادم .

٥ ــ وجود زوج أو محرم للمرأة، والمحرم هو الذى لا يحل له زواجها، ويشترط فيه أن يكون مأمونا ، بالغا ، عاقلا ، لأن مهمته لا تتأدى الا بتوفر هذه الشروط فيه .

---

(١) سورة الطلاق آية ١

ويدل على اشتراط الزوج أو المحرم فى أداء الحج للمرأة ـ ما رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : ( لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع ذى محرم ، فقام رجل ، فقال: يا رسول الله ، ان امرأتى خرجت حاجة ، وانى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا ، قال : فانطلق ، فحج مع امرأتك ) فليفطن لهذا من يتساهل فى خروج المرأة للحج من غير زوج ولا محرم .

**شروط صحته :**

هى التى اذا تحققت كان الحج معتبرا شرعا .

ويشترط لصحة أدائه أربعة شروط .

(١) الاسلام (٢) الاحرام (٣) الوقت المخصوص (٤) عدم الجماع قبل الوقوف بعرفة .

**أركان الحج :**

للحج ركنان فقط : الأول : الوقوف بعرفة ، ولو لحظة .

ووقته : من زوال شمس يوم عرفة الى طلوع فجر يوم النحر .

دليله : ما رواه الخمسة عن عبد الرحمن بن يعمر أن ناسا من أهل نجد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو واقف بعرفة ـ فسألوه ، فأمر مناديا ينادى : الحج عرفة ، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك .

( قوله : ليلة جمع ) أى ليلة المبيت بالمزدلفة ، وهى ليلة النحر ، فمن وقف بعرفة فى جزء من هذا الوقت أجزأه ذلك عن ركن الوقوف .

الثانى : طواف الزيارة ( ويسمى طواف الافاضة ) .

ووقته : من طلوع فجر يوم النحر الى آخر العمر .

دليله : قوله تعالى : وليطوفوا بالبيت العتيق (١) ويلاحظ أن بعض

---

(١) سورة الحج الآية ٢٩

**أئمة الفقه ذهب الى أن أركان الحج** أكثر من ذلك ، ولكن نرى الاقتصار على ما ذكر — وهو مذهب الحنفية — لما فيه من التيسير .

**وقت الحج :**

هو كما سبق — شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذى الحجة لقوله تعالى : «الحج أشهر معلومات»(٢) وقد فسرها العلماء بما ذكر .

**معنى الاحرام :**

نية الدخول فى الحج أو العمرة مع اقتران النية بالتلبية ، أو بمطلق ذكر لله تعالى — وللاحرام مواقيت لا يجوز للانسان أن يتجاوزها بدون أن يحرم بحج أو عمرة .

**مواقيت الاحرام :**

للاحرام ميقات زمانى : وهو الوقت المخصوص الذى سبق بيانه، وميقات مكانى : وهو يختلف باختلاف الجهات — فأهل مصر والشام والمغرب ميقاتهم الجحفة : وهى قرية بين مكة والمدينة ، وهى خربة الآن ، ويقوم مقامها القرية المعروفة برابغ .

وأهل العراق ميقاتهم ذات عرق، وهى قرية على مرحلتين من مكة .

وأهل المدينة ميقاتهم ذو الحليفة، وهى موضع بينه وبين المدينة خمسة أميال .

وأهل اليمن والهند ميقاتهم يلملم ، وهو جبل على مرحلتين من مكة .

وأهل نجد ميقاتهم قرن ، وهو جبل مشرف على عرفات ، وعلى مرحلتين من مكة .

وهذه المواقيت لأهل هذه الجهات المذكورة ، ولكل من مر بها أو حاذاها برا أو بحرا أو جوا وان لم يكن من أهل جهتها ، فمن مر بميقات أو حاذاه قاصدا الحج أو العمرة وجب عليه الاحرام منه ، ولا يجوز له أن يتجاوزه بدون احرام .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٩٧

**واجبات الحج :**

انشاء الاحرام من الميقات — مد الوقوف بعرفات الى الغروب — الوقوف بالمزدلفة فيما بعد فجر يوم النحر وقبل طلوع الشمس — ايقاع طواف الزيارة فى أيام النحر — السعى بين الصفا والمروة — ويشترط أن يقع السعى بعد طواف معتد به — بدء السعى من الصفا .بداءة كل طواف بالبيت من الحجر الأسود — رمى الجمار — الحلق أو التقصير — طواف الوداع .

سنن الحج : منها الاغتسال ولو لحائض أو نفساء — عند ارادة الاحرام — لبس ازار ورداء جديدين أبيضين — الاكثار من التلبية بعد الاحرام — طواف القدوم لغير المكى .

**كيفية الاتيان بافعال الحج مرتبة :**

اذا أراد الشخص الدخول فى الحج فانه يقص شعره ، وينظف بدنه ، فيغتسل ، أو يتوضأ والغسل أفضل ، لأنه أبلغ فى التنظيف ، ويخلع ملابسه المعتادة ، ويلبس الرجل ازارا يستر النصف الأسفل من بدنه ورداء يستر النصف الأعلى ، والأفضل أن يكونا جديدين أبيضين ، ويتطيب ، ويصلى ركعتين ، ثم ينوى الحج ، ويقول : اللهم انى أردت الحج فيسره لى وتقبله منى ، ويقرن النية بالتلبية ، وهى : ( لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ) (١) وبهذا يصير محرما ، فيحرم عليه الرفث ( جماع الزوجة ) والمعاصى ، وقتل صيد البر ، والاشارة اليه ، والدلالة عليه ، ولبس المخيط ، والحلق أو التقصير ، وتغطية الرأس والوجه ، ويجوز له الاغتسال ، والاستظلال بالخيمة ونحوها ، وبالمظلة — فاذا وصل مكة يقصد المسجد الحرام ملبيا فى دخوله ، خاشعا لربه ، مصليا على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يطوف حول الكعبة سبعة أشواط ، يفتتح كل شوط بالحجر الأسود ، ويختتمه به ، ويسمى هذا الطواف ( طواف القدوم ) وبعده يصلى ركعتين فى

---

(١) معنى ( لبيك اللهم لبيك ) : أجبتك الى ندائك لى بالعبادة والطاعة اجابة بعد أخرى .

مقام ابراهيم ، أو فى أى موضع آخر من المسجد ، ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط ، يبدأ بالصفا ماشيا بسكينة الا بين الميلين الأخضرين ، فيسرع ،ويختم الشوط بالمروة — وبعد السعى يقيم بمكة محرما ، ويطوف بالبيت كلما بدا له ، فاذا طلعت شمس اليوم الثامن من ذى الحجة ذهب الى منى ، وبات بها ، وبعد أن تطلع شمس اليوم التاسع يذهب الى عرفات فيقيم بها ، ويصلى مع الامام الظهر والعصر جمع تقديم بعد زوال الشمس ، ويسمى هذا جمع تقديم ، لأن صلاة العصر أديت قبل وقتها ، ثم يتوجه المحرم بالحج الى جبل عرفات ، فيقف عليه ولو لحظة ، ويطلب منه أن يستمر الى الغروب ، ثم بعد الغروب يذهب الى المزدلفة ، ويصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير ، ويبيت بها ليلة اليوم العاشر ، وفى صباح هذا اليوم يصلى الفجر ، ثم يقف بالمزدلفة ولو لحظة مجتهدا فى الدعاء كما يجتهد فيه أيضا أثناء وقوفه بعرفة — وفى أثناء وجوده بالمزدلفة يجمع منها الحصى لتيسر وجوده بها ، ثم يفيض منها قبل طلوع الشمس ، فيأتى منى ويرمى جمرة العقبة بسبع حصيات ، ثم يذبح المفرد شاة ان أحب ، ثم يحلق أو يقصر ، وحينئذ قد حل له كل شىء كلبس المخيط واستعمال الطيب الا الاتصال بالنساء — فيأتى الى مكة ، ويطوف حول الكعبة سبعة أشواط ، وهذا الطواف هو الركن الثانى — ومتى انتهى منه حل له النساء ثم يعود الى منى ، فيقيم بها ، فاذا زالت شمس اليوم الحادى عشر رمى الجمرات الثلاث : الصغرى ، فالوسطى ، فالكبرى ( جمرة العقبة ) كل جمرة بسبع حصيات ، وكذلك يفعل فى اليوم الثانى عشر •

والآن قد تم حجه ، فيرجع الى مكة ، ويطوف بالبيت طواف الوداع ، ويصلى بعده ركعتين ، ثم يأتى زمزم ، فيشرب من مائها ، وينوى بشربه ما شاء ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما اذا شربه

يقول : اللهم انى أسألك علما نافعا، ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء.

وبعد شربه يأتى الى الكعبة ، ويتشبث بأستارها ساعة يتضرع الى الله تعالى بالدعاء بحسن القبول وسعادة الدنيا والآخرة •

والمرأة كالرجل فى جميع ما تقدم غير أنها لا تكشف رأسها ، ولا تسرع فى سعيها ، ولا ترفع صوتها بالتلبية ، ولا تحلق ، ولكن تقصر، فتأخذ من رأسها بقدر الأنملة • ويحل لها لبس المخيط •

العمرة

**معناها :**

العمرة لغة الزيارة ، يقال : أعمره اذا زاره — وشرعا زيارة البيت الحرام على وجه معين سيأتى بيانه •

**حكمها :**

سنة مؤكدة فى العمر مرة واحدة ويرى بعض الأئمة فرضيتها كالحج، ولكن نختار القول الأول ، لما فيه من التيسير ، ولما يأتى من ذكر الدليل •

**دليلها :**

يدل على سنيتها وأنها ليست فرضا ما رواه ابن ماجه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( الحج مكتوب والعمرة تطوع ) •

**وقتها :**

تصح فى أى وقت من السنة ، ولكنها تكره تحريما فى يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق ، وتستحب فى رمضان ، لما رواه الجماعة الا الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( عمرة فى رمضان تعدل حجة ) والمراد تعدلها فى الثواب ، لا أنها تقوم مقامها فى اسقاط الفرض •

**ميقاتها :**

ميقات الحج لمن كان خارج مكة؛ وأما من كان بمكة؛ سواء كان من أهلها أو غريبا فان ميقاته فى العمرة الحل ، وهو ما عدا الحرم ( الذى يحرم التعرض فيه للصيد ) وأفضل الحل التنعيم ، وهو مكان يسمى الآن بمسجد عائشة •

**كيفيتها :**

أن يحرم بها من الميقات ، بأن يغتسل ، أو يتوضأ ، ويلبس ملابس الاحرام ( الازار والرداء ) ويصلى ركعتين ، وينوى العمرة ، ويقول : اللهم انى أردت العمرة فيسرها لى وتقبلها منى ، ويقرن النية بالتلبية، فيقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك. وبهذا صار محرما بها ، فاذا دخل مكة يطوف حول البيت سبعة أشواط ، ثم يصلى ركعتين ، وبعد صلاتهما يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط — على نحو ما ذكر فى الحج — ثم يحلق أو يقصر ، وبهذا تمت أعمال العمرة .

**ما يجوز لمن أراد الاحرام :**

من أراد الاحرام فهو مخير بين أمور ثلاثة : (١) الافراد (٢) التمتع (٣) القران .

**أما الافراد :**

فهو الاحرام بالحج وحده ، وتقدمت لك كيفية الأداء لمن أحرم بالحج وحده .

وأما التمتع فمعناه لغة :الارتفاق والانتفاع وشرعا : أن يحرم الشخص بالعمرة أولا فى أشهر الحج ، وبعد الاتيان بأفعالها والتحلل منها يحرم بالحج ويكون ذلك فى سفر واحد.

**كيفيته :**

أن الشخص بعد أن يغتسل أو يتوضأ ، ويلبس ملابس الاحرام ( الازار والرداء ) ويصلى ركعتين ينوى من الميقات الاحرام بالعمرة وحدها ، ويقول : اللهم انى أردت العمرة فيسرها لى ، وتقبلها منى ، ويقرن النية بالتلبية ، فيقول :لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . وبهذا صار محرما بها ، فبعد دخول مكة يؤدى أفعالها ، فيطوف حول البيت سبعة أشواط ، ثم يصلى ركعتين ، ويسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط ، ثم يحلق أو يقصر ، وبهذا تحلل من احرامه ، فيحل له كل شىء كان محظورا عليه بسبب

الاحرام ، ويبقى حلالا الى أن يأتى يوم الثامن من ذى الحجة ، فيحرم بالحج من نفس مكة ، ويأتى بجميع أفعاله على الترتيب الذى تقدم فى بيان كيفية أعمال الحج •

**هدى الشكر :**

فاذا رمى جمرة العقبة يوم النحر ( العاشر من ذى الحجة ) وجب عليه ذبح شاة ، أو اشتراك مع ستة فى ذبح بدنة ، وهى الواحدة من الابل أو البقر ، ووجب عليه هذا الذبح شكرا لله تعالى ، حيث يسر له أداء العمرة والحج فى سفر واحد ، وتلك نعمة كبرى تستوجب الشكر بالذبح ، فان لم يجد ما يذبح فعليه أن يصوم ثلاثة أيام قبل يوم النحر وسبعة بعد تمام الحج ، وان صامها بمكة بعد فراغه من الحج ، وبعد مضى أيام التشريق جاز لقوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة » (١)

وقوله تعالى : « اذا رجعتم » يراد به فرغتم من أعمال الحج ، اذ الفراغ سبب الرجوع الى الأهل ، فكان الأداء بعد السبب فيجوز •

**وأما القران :**

فمعناه لغة الجمع بين شيئين وشرعا الاحرام بحج وعمرة معا •

**كيفيته :**

أن الشخص بعد أن يغتسل أو يتوضأ ، ويلبس ملابس الاحرام (الازار والرداء) ويصلى ركعتين ينوى من الميقات الجمع فى الاحرام بين الحج والعمرة ، ويقول : اللهم انى أردت الحج والعمرة فيسرهما لى ، وتقبلهما منى ، ويقرن النية بالتلبية ، فيقول :

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ، وبهذا يصير محرما بهما ، فاذا دخل مكة بدأ بأفعال العمرة ، فيطوف حول الكعبة سبعة أشواط ، ثم يصلى ركعتين ، وبعد صلاتهما يسعى بين

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

الصفا والمروة سبعة أشواط ، ولكنه لا يحلق ولا يقصر لبقاء احرامه بالنسبة للحج فيشرع فى أعمال الحج ، فيطوف طواف القدوم ، ويصلى ركعتين ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ويتم هذه الأعمال على الترتيب الذى تقدم فى بيان كيفية أعمال الحج .

**هدى الشكر :**

فاذا رمى جمرة العقبة يوم النحر وجب عليه ذبح شاة،أو اشتراكه مع ستة فى ذبح بدنة ، وهى الواحدة من الابل أو البقر — ووجب عليه هذا شكرا لله تعالى ، حيث يسر له أداء العمرة والحج ، وتلك نعمة كبرى تستوجب الشكر بالذبح ، فان لم يجد ما يذبح فعليه أن يصوم ثلاثة أيام قبل يوم النحر وسبعة بعد تمام الحج ، وان صامها بمكة بعد فراغه من الحج ، وبعد مضى أيام التشريق جاز لقوله تعالى : «فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة » (١)

والنص وان ورد فى التمتع فالقران مثله،لأن القارن أيضا متمتع ومرتفق بأداء النسكين — وقوله تعالى « اذا رجعتم» يراد به — كما سبق — فرغتم من أعمال الحج ، اذ الفراغ سبب الرجوع الى الأهل فكان الأداء بعد السبب فيجوز .

ويدل أيضا على وجوب الهدى على القارن ما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم (ذبح عن نسائه البقر يوم النحر وكن قارنات » .

**المفاضلة بين الافراد والتمتع والقران:**

اختلف الفقهاء فى الأفضل من هذه الأنواع والذى نختاره أن التمتع أفضل من الافراد لما فيه من الجمع بين النسكين ، وأن القرآن أفضل من الافراد والتمتع ، لأن فيه مع الجمع بين النسكين أنه أشق لكونه أدوم احراما ، ولأن فيه مسارعة الى العبادة ، ولأنه الثابت من حال النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بالحج والعمرة جميعا يقول :

( لبيك عمرة وحجا ) وروى أحمد والبخارى وابن ماجة وأبو داود

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بوادى العقيق يقول : ( أتانى الليلة آت من ربى ، فقال : صل فى هذا الوادى المبارك ، وقل عمرة فى حجة ) وفى رواية أخرى للبخارى : ( وقل عمرة وحجة ) .

**« حكم من ارتكب محظورا من محظورات الاحرام » :**

محظورات الاحرام تنقسم من حيث ما يترتب على ارتكابها الى ستة أقسام .

الأول : ما يفسد الحج ، الثانى : ما يوجب ذبح بدنة ( وهى الواحدة من الابل التى مضى عليها خمس سنين ، أو من البقر التى مضى عليها سنتان وسميت بذلك لوفرة بدنها وجسمها ) .

الثالث : ما يوجب ذبح شاة (وهى الواحدة من الغنم التى مضت عليها سنة ) .

الرابع : ما يوجب صدقة قدرها نصف صاع .

الخامس : ما يوجب صدقة قدرها أقل من نصف صاع .

السادس : ما يوجب القيمة .

فأما الذى يفسد الحج فهو الجماع اذا حصل من المحرم قبل الوقوف بعرفة وأما ما يوجب بدنة فأمران : أحدهما : الجماع بعد الوقوف بعرفة وقبل الحلق ، ثانيهما أن يطوف الشخص طواف الزيارة وهو جنب ، أو تطوف المرأة وهى حائض أو نفساء .

وأما ما يوجب ذبح شاة : فهو أن يلبس الرجل الثوب المخيط ، أو أن يستر رأسه يوما كاملا ، أو يحلق ربع رأسه ، أو يقص أظافر يد أو رجل ، أو يترك أى واجب من واجبات الحج التى تقدم بيانها .

وأما ما يوجب صدقة قدرها نصف صاع فهو ما لو لبس الرجل المخيط أقل من يوم كامل ، أو ستر رأسه كذلك ، أو حلق أقل من ربع رأسه أو قص ظفرا أو ظفرين ، ويصح دفع قيمة المقدار الواجب بالنقود ، ويقدر بخمسة عشر قرشا مصريا تقريبا .

وأما ما يوجب صدقة أقل من نصف صاغ : فهو ما لو قتل المحرم قملة أو جرادة فيتصدق بما شاء .

**وأما ما يوجب القيمة :**

فهو ما لو قتل المحرم صيد البحر ، فيقومه عدلان فى مكان قتله أو فى مكان قريب منه ، فان بلغت قيمته ثمن هدى ( شاة مثلا ) خير الشخص بين أمور ثلاثة :

أحدها : أن يشترى بهذه القيمة هديا يذبحه فى الحرم .

ثانيها : أن يشترى بها طعاما يتصدق به على الفقراء فى أى مكان لكل واحد نصف صاع .

ثالثها : أن يصوم بدل كل نصف صاغ يوما ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره » (١) .

وان كانت قيمة الصيد أقل من ثمن الهدى خير الشخص بين الاطعام والصيام — وتتعدد قيمة الصيد بتعدد القاتلين المحرمين ، وان لم يقتل الجانى الصيد وانما نقصه ، فأخرجه عن القدرة على الامتناع بنفسه ، وأصبح فى متناول الأيدى — فعليه قيمته كذلك ، لأنه بعد أن صار عاجزا عن الفرار كان فى حكم المقتول .

**( مسائل )**

لأهمية بعض المسائل أحببت التنبيه عليها على الوجه الآتى :

١ — يجوز تقديم الاحرام على الميقات ، لأنه مسارعة الى الطاعة .
وان لم يخرجه النقص عن القدرة على الامتناع بنفسه — فعلى الجانى قيمة النقص فقط ، لأن جزاء كل جناية يقدر بقدرها .

**ما لا يجب بقتله شىء :**

لا يجب شىء بقتل غراب ، وحدأة ، وعقرب ، وثعبان ، وكلب عقور ،

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

لأن قتل مثل هذا لا يعتبر تعـديا ، اذ يراد به دفع الأذى .

**حكم المحرم المريض او المضطر الى فعل محظورات الاحرام :**

من كان مريضا ، أو كان مضطرا الى حلق رأسه ، أو لبس قميصه مثلا لحر أو برد ـ أبيح له ذلك ، ولزمته الفـدية ، وهى صيام ثلاثة أيام ، أو اطعام ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صـاع من بر ، أو صاع من غيره ، أو ذبح شاة ، كما قال تعالى : « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » (١) .

وروى البخارى ومسلم عن كعب ابن عجـره رضى الله عنـه قال : حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمـل يتناثر على وجهى فقال ما كنت أرى الوجع بلغ بـك ما أرى ، أتجد شـاة ؟ قلت لا ، قال : تصوم ثلاثة أيام ، وتطعم ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع) .

والحديث وان كان ظاهره تقديم النسك ( ذبح الشاة ) على النوعين الآخرين ـ اذا وجد ـ الا أن ظاهر الآيـة الكريـمة وسـائر روايات الحديث ـ تفيد التخيير بين الأنواع

٢ ـ من جاوز الميقـات بدون احرام ، ثم عاد اليه ، وأنشأ الاحرام منـه لا يلزمـه شىء ، لأن سبب المخالفة قد زال .

٣ ـ يجـوز للمحرم أن يشد على وسطه الحزام الذى يضع فيه النفقه .

٤ ـ اذا أقيمت الصلاة والمحرم يؤدى الطواف أو السـعى ، صلى وبنى بعد صلاته على ما فعله قبلها .

٥ ـ عند الطواف يستلم الشخص الحجر الأسود ويقبله بلا ايذاء لأحد وعند الازدحام يستقبله مشيرا اليه بباطن كفيه ، وتكره المزاحمـة على استلامه ـ روى الامام أحمد قولـه صلى الله عليه وسلم : ( يا عمر انك رجل قوى ، فلا تزاحم على الحجر ،

---

(١) سورة المائدة : ٩٥

فتؤذى الضعيف ، ان وجدت خلوة فاستلمه ، والا فاستقبله وهلل وكبر ) .

٦ — اذا حدث للمرأة حيض أو نفاس ، فذلك لا يمنع من الاحرام ، فتحرم وتمضى فى جميع أعمال الحج من الوقوف والرمى وغيرهما ، لكنها لا تطوف ، ولا تسعى حتى تطهر ، لأن الطواف والسعى مكانهما المسجد ، وهى فى هذه الحالة ممنوعة من دخوله .

٧ — الهدى الذى يجب ذبحه على القارن أو المتمتع يجوز لكل منهما الأكل منه ، لأنه دم شكر على الجمع بين النسكين .

وأما الهدى الذى يجب ذبحه بسبب ارتكاب محظور من محظورات الاحرام فلا يجوز الأكل منه ، لأنه دم جناية على الاحرام ، فيطعم كله للفقراء .

٨ — يجوز لمن عجز عن رمى الجمار لمرض أو كبر سن أو حمل — أن يوكل من يرمى عنه لقوله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » (1) .

ولأن زمن الرمى يفوت ، ولا يشرع قضاؤه ، بخلاف غيره من المناسك كالطواف والسعى ، فلا تجوز الاستنابة فيهما .

٩ — حصى الجمار لا يلزم لقطه من المزدلفة ، بل من أى موضع لقط المحرم منه الحصى أجزأه ذلك ، ولا يستحب غسل الحصى قبل أن يرمى به ، لأن ذلك لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أصحابه رضوان الله عليهم .

١٠ — ينبغى للمسلم أن يتمثل الاخلاص والخشوع فى جميع مراحل العبادة ويكثر من العمرة والحج ما وسعه ذلك — ليظفر بما أعد لهذا من مغفرة وتطهير ، وفضل سابغ وعطاء جزيل — روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(1) سورة التغابن : ١٦

( العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ) .

**« زيارة النبى صلى الله عليه وسلم »**

تمهيد : يجدر بمن من الله تعالى عليه بالحج أن يتجه الى زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، فان ذلك مظهر من مظاهر الود والوفاء والتكريم له صلوات الله وسلامه عليه ، فانه الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والقائد الرشيد الى كل ما يتم لنا من هدى مستنير ، وسلوك قويم ، فليس عجبا أن يعتبر التقصير فى هذه الزيارة – بعد تيسرها – لونا من ألوان الجفاء ، والتنكر للمعروف ، روى ابن عدى والطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم قال :

( من حج ولم يزرنى فقد جفانى ) .

**حكم الزيارة :**

من أفضل المندوبات والمستحبات ، ويسن لمن توجه الى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام – أن ينوى أيضا زيارة المسجد النبوى ، فانه أحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال ، وفيه يضاعف ثواب الصلاة أكثر من غيره الا المسجد الحرام .

روى الامام أحمد وابن ماجة عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عيه وسلم قال : ( صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه ) .

**منهج الزائر :**

يطلب منه أن يكثر من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الطريق الى المدينة ، وقبل دخولها يغتسل ان أمكنه ، أو يتوضأ ، ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه ، ويدخلها متواضعا عليه السكينة والوقار ، فاذا وصل الى المسجد استحب له أن يقدم رجله اليمنى عند دخوله ، ويقول – كما يقول عند دخول كل مسجد – : بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، ويصلى ركعتين تحية

المسجد ، ويدعو بعدهما بما أحب من خيرى الدنيا والآخرة ، وان صلاهما فى الروضة الشريفة فهو أفضل وأعظم أجرا — لما رواه الامام أحمد والشيخان والنسائى عن عبد الله بن زيد المازنى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ) ثم ينهض ، فيتوجه الى قبره صلى الله عليه وسلم فيقف بمقدار أربعة أذرع بعيدا عن المقصورة الشريفة ، بغاية الأدب ، مستدبر القبلة محاذيا رأسه صلى الله عليه وسلم ووجهه الأكرم ، ملاحظا نظره اليها وأنه يسمع كلامك ، ويرد عليك سلامك ، فتقول : السلام عليك يا سيدى يا رسول الله ، السلام عليك يا نبى الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا نبى الرحمة ، السلام عليك يا شفيع الأمة ، السلام عليك يا سيد المرسلين ، السلام عليك يا خاتم النبيين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين ، جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ، ورسولا عن أمته ، أشهد أنك رسول الله ، قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وأوضحت الحجة ، وجاهدت فى سبيل الله حق جهاده ، وأقمت الدين حتى أتاك اليقين ، وتبلغه سلام من أوصاك ، فتقول : السلام عليك يا رسول الله من فلان ثم تصلى عليه بما شئت .

ثم تتحول قدر ذراع حتى تحاذى رأس الصديق أبى بكر رضى الله عنه وتقول : السلام عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، السلام عليك يا صاحبه وأنيسه فى الغار ، ورفيقه فى الأسفار ، وأمينة فى الأسرار ، جزاك الله عنا أفضل ما جزى اماما عن أمة نبيه ، فقد خلفته بأحسن خلف ، وقاتلت أهل الردة والبدع ، ووصلت الأرحام ، ولم تزل قائما بالحق ناصرا للدين وأهله حتى أتاك اليقين .

ثم تتحول قدر ذراع كذلك حتى تحاذى رأس أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فتقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، السلام عليك يا مظهر الاسلام ، السلام عليك يا مكسر الأصنام ، لقد كفلت الأيتام ، ووصلت الأرحام ،

وجمع الله بك شمل المسلمين،وكنت لهم اماما مرضيا وهاديا مهـديا ، جزاك الله أفضـل الجزاء ، ويسن للزائر زيارة قبور البقيع وقبـور الشهداء ، وقبر حمزة رضى الله عنه لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يزورهم ويدعو لهم ، ولمـا أخرجه مسلم من قوله عليه الصلاة والسلام: زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة.

وأخرج مسلم أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقولوا :

السلام عليكم أهـل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لا حقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية .

ويستحب أيضـا للزائر أن يزور مسجد قباء ، ويصلى فيه ، لمـا فى ذلك من عظيم الأجر والجزاء ـ فقد روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان النبى صـلى الله عليه وسلم يزور مسجد قباء راكبا وماشيا ، ويصلى فيه ركعتين .

وروى الامام أحمد والنسـائى وابن ماجة والحاكم عن سـهل بن حنيف رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تطهر فى بيته ، ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة .

وفقنـا الله تعالى لحج مبرور ، وعمل مشكور ، ومنحنا على ذلك موفور الجزاء وسابغ العطاء .

**منشاوى عثمان عبود**

---

**استدراك :**

وقع سـهو فى الجزء الثامن من السنة الثامنة والاربعين فى ص ١٢٢٠ سطر ٩ وصـحة الآية : « ومن آياته ان خلق لـكم .. الخ الآية فوجب التنويه ، المجلة .

# رسالة من سجين أمريكى

## التحرير

أكتب اليكم هذه الرسالة من سجنى فى ولاية أوهايو بالولايات المتحدة ، وأود أولا أن أبين لكم أننى مسلم سنى ، اعتنقت الاسلام سبيلا لى فى الحياة عندما من الله على برحمته فهدانى الى الاسلام عندما دخلت هذا السجن •

ولقد قررت الكتابة اليكم بعد أن قرأت نسخة من بيان « حرب فلسطين » الذى أصدرته جمعيتكم قبل حين ، ولقد قرأت كذلك كتبا ونشرات أخرى عن الصهيونية وما يحاول الصهاينة أن يفعلوه تدريجيا وببطء فى هذا العالم وعن حقيقة أهدافهم ، كما أنى درست بروتوكولات حكماء صهيون ، ولا بد لى أن أضيف هنا أنه لو أمسكت سلطات السجن بهذه الكتب فى أيدى السجناء المسلمين لكانت ثمة مشكلة كبيرة جدا ، أما عن أهداف الصهيونية فلا يسعنى الا أن أقول ان المرء اذ ينظر الى التاريخ والى ما يجرى اليوم فى العالم يتبين كيف يحقق الصهاينة أهدافهم تدريجيا ، لا فى منطقة الشرق فحسب ، بل وفى الولايات المتحدة كذلك ، وأعتقد يقينا أن الوسيلة الوحيدة للحيلولة دون وصول الصهاينة الى أهدافهم النهائية هى أن يقف المسلمون فى سائر أنحاء العالم صفا واحدا لايقاف الصهاينة عند حدهم باستخدام القوة ، وأعتقد جازما أنه لا يمكن أن يحل السلام فى العالم الا اذا تكاتف المسلمون فى كفاح منسق ضد الصهيونية ، وانى أشعر بتعاطف كامل واتفاق فى الرأى مع أولئك الذين يقاتلون لاسترجاع فلسطين واخراج اليهود منها وآمل أن أستطيع فى يوم قريب أن أشارك

كمسلم فى الكفاح للتغلب على ما يجرى فى هذه الأيام ..

أعود فأقول اننا معشر المسلمين فى هذا السجن نشعر تماما بما يجرى فى الشرق ونحس أننا نعانى البلاء على أيدى الصهيونية والماسونية التى يديرها اليهود ، وعلى أيدى أولئك الذين يسيطرون على الولايات المتحدة بما لهم من ثروات ضخمة ، ولكن الأمر الذى يبعث الحيرة فى نفسى ولا أستطيع فهمه ، هو كيف ينخدع كثير من المسلمين فى البلاد الاسلامية بالحياة الغربية وأساليبها ، فلقد لاحظت أن الدول التى تسعى لاقامة نظام اسلامى قد تركت الغرب بما يقدم من أموال وقروض ــ يضع فى الحكم فى هذه الدول أشخاصا يعارضون قيام أية دولة اسلامية ، واننى لا أستطيع أن أفهم كيف يتنكب أبناء هذه البلاد منهاج الاسلام ويتبعون الأساليب الغربية فى الحياة ، كيف بالله يترك هؤلاء الاسلام بعد ما عرفوا عن الغرب وما فعله الغربيون فى كل أنحاء العالم ... ؟ أفلا ينظرون الى تعاطى الشباب فى الغرب المخدرات وانتشار ادمان المسكرات ، وكثرة حوادث الانتحار بين الشباب الصغار ثم ألا ينظرون الى التفرقة العرقية ، وما يعانيه السود فى أمريكا .. ؟ أو الى ما يعانيه الفقراء من البيض .. ؟ أفلا يرى أولئك المسلمون فى هذا انذارا بعاقبة من يقلدون الغرب تقليدا أعمى .. ؟ اننى اذ أسمع عن الضحايا المسلمين الذين يتساقطون فى بلدان كثيرة ، وعن الشيوخ والنساء والأطفال الذين قتلهم اليهود فى قرى فلسطين أشعر أنى أريد أن أصرخ فى وجه اخوانى المسلمين ليكفوا عن تقليد الغرب وليعملوا بما أنزل الله كى يتخلصوا مما هم فيه ، فلو أن كل الاخوة والأخوات من المسلمين فى العالم يفيقون مما هم سادرون فيه فان الله يؤيدنا وينصرنا ، ولئن نصرنا الله فأى عدو نخشاه .. ؟

بعد هذا أود أن أحدثكم شيئا عن المسلمين فى هذا السجن ، وهو حديث ينطبق الى حد كبير على سجون الولايات المتحدة كلها ، وأود أولا أن أعود الى ما قبل عام

١٩٦٩ أى الى الفترة التى بدأ فيها الاسلام يدخل الى نفوس المسلمين هنا ، ولقد كان سجننا هـذا قد افتتح حـديثا ، أما فى السـجن القـديم ، فقد كانت الحال أنه اذا ما أسلم سجين ، وحصل على نسخة مترجمة من القرآن ثم عرف عنـه المسئولون ذلك فانه يوضع فى حفرة السجن لفترة معينة ، وتصادر ترجمة القرآن منه ، واذا شـوهد يؤدى الصلاة فان جزاءه هو أن يوضع فى حفرة السجن شهورا • ثم جاء بعض الأخوة من العالم الحر فاجتمعوا بنا وشاهدوا أحوالنا فى السجن • وقد عملت زيارتهم الى تغيير الأوضاع الى ما اعتقدنا أنه أفضل ، ثم عندما دشن هذا السجن الجديد نقل اليه من بين من نقـل ، ثلاثة وستون مسلما ، لذلك طالبنـا بأن نعطى عنبرا خاصا نكون فيـه مجمـوعة اسلاميـة ، وننظم دروسا تعليمية ولكن طلبنا هـذا رفض فهـددنا بأن تنظم اضرابا داخـل السجن ، ولذلك ووفق على طلبنـا باعطائنا عنبرا خاصا ليضم مجموعة السجناء المسلمين ، وابتـدأنا تنظم دروسا لقراءة القرآن • وتعليم الصلاة فى جماعة ، واستمرت هذه الحال فترة لم تطل ، ثم سمعنا أن السجناء غير المسلمين فى السجن يبيتون لنا أمرا ، وأن مشـكلة ستنشب نكون فيها طـرفا ، فذهبنـا وتحـدثنا الى بقية السجناء غير المسلمين ، فنفوا أن يكونوا يبيتون لنا شيئا نكرهه وقالوا ان تلك اشـاعات رددها السجانون للوقيعة بيننا ، وتحققنا بعد هـذا من صـدق كلامهم ، ثم سمعنا اشـاعات عن أن بعضا منـا سيعدمون أو يقتلون لأنهم يكونون لأنفسهم زعامة داخل السجن ، ولكن هذا كان باطلا ، فكل ما كان اخواننا يفعلونه هو أن يبينوا لغير المسلمين من السجناء حقيقة الاسلام ، وما أعده الله تعالى من رحمة ونعمة لمن يؤمن به ••

وذات ليـلة •• جاء الحـراس الى عنبرنا حوالى الساعة الرابعـة صـباحا ، وأمرونا بالخـروج من زنزاناتنا ، وأخذوا يفتشـونها ، ثم زعموا أنهم وجدوا بعض الأسلحة فيهـا ولكن جميـع اخواتنـا ينكـرون أنهم كانـوا يعلمـون أى شيء عن وجـود أى سلاح ،

ومع هـذا فقد أخذ بعض الاخوة الى محكمة السجن ثم وضعوا فى حفرة السجن لفترة وعندما خرجوا منها لم يعادوا الى عنبر السجناء المسلمين ، وانما نقلوا الى عنابر أخرى ، كما أبلغنا المسئولون فى السجن أننا سنوزع على مختلف العنابر ، واننا لن نستطيع بعد الآن اقامة الصلاة جماعة ، أو أن تنظم دروسا خاصة بنا ، واننى أمسك عن أن أسطر خطيا ما عاناه بعض الأخوة فى هذه المحنة ، والسبب الرئيسى فى هذا الذى حدث هو فى رأيى أن السلطات قد أدركت أنها لن تستطيع بعد الآن أن تخدعنا ببرامجها التى تنظمها داخل السجن ، وأن محاولتها لابقاء غالبية المساجين خاضعين لها فكريا ستبوء بالفشل حتما •

اخوتى فى الاسلام ••

اننى أعرف أنكم لا تستطيعون أن تقدموا لنا أية مساعدة ، ولكن معرفتنا هنا بأن بعض اخواتنا فى أنحاء بعيدة من العالم اذ يطلعون على ظروفنا وأحوالنا فيه بعض المساعدة فلربما ينفع اطلاعكم هذا فى احباط الخدع التى ينصبها الغرب لفتن بعض المسلمين عن اسلامهم ليتبعوا منهج الحياة الغربى • فلقد كاتبت أخا من الباكستان يدرس فى نيويورك ، وحدثنى أن شخصا مسلما قد تعرض لاغراء كى يترك الاسلام مقابل آلاف من الدولارات تدفع له جزاء ذلك •

ان اقامة مجتمع مسلم فى المجتمع الأمريكى المسمى « العالم الحر » أمر شاق عسير اذ توضع العقبات الكثيرة فى سبيل ذلك لأن الاسلام يفتح أعين الناس على حقيقة ما يجرى فى هذه البلاد ، فأصحاب الثروات الذين لا يزيدون عن ١٪ من الشعب لا يريدون أن يعرف الناس الحقيقة ، ولهذا فهم يشعرون أن الاسلام خطر على نظام حياتهم •

اننى أعرف كيف كنت وأنا سجين قبل اعتناقى الاسلام ، أنه لم يكن لدى أى أمل ولم أكن أستطيع أن أرى لنفسى أى مستقبل قريب أو بعيد ، ولم أكن أعرف أين ألتفت والى من أتجه وأى سبيل

أسلك ، ولكنى بعد أن عرفت الاسلام ، ودرست تعاليمه ومنهجه ، فى السنوات القليلة الماضية ، أصبحت أعيش حياة جديدة لن يستطيع أحد أن يأخذها منى ، أو أن يبدلنى بغيرها ان شاء الله ، وأحب أن أقول لكم أن الاسلام ينمو بسرعة فى الولايات المتحدة ، وفى سجونها ، ويجدالناس فيه الأمل ، ان الذين اعتنقوا الاسلام فى هذه السجون كانوا من المجرمين ، ولكنهم قد ولدوا من جديذ بعذ أن اهتدوا الى هذا الدين وهم يحاولون الكفاح من أجل الاسلام ومن أجل اقامة منهج جديد فى الحياة .

وفى ختام هذه الرسالة أطلب منكم يا اخوتى الدعاء لنا ، وأن يهدينا الله جميعا ويثبت خطانا على صراطه المستقيم ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم فى الاسلام

سجين رقم ٢٤٢ — ١١٤
أوهايو — أمريكا

عن مجلة الغرباء

AL — GHORABA
14. Liver pool Road
LONDON — NN — LA

---

سئل أبو بكر الشبلى : ما علامات العارف بالله ؟

قال : صدره مشروح ، وقلبه مجروح ، وجسمه مطروح .

الإسلام والغرب :

# جهود المسلمين الأوائل

للدكتور عبد الجليل شلبي

لكي نقدر ما قدمه المسلمون الى الأوربيين من فكر ومنهج علمي نعرض في ايجاز عاجل ما بذل هؤلاء في تكوين فكر أو علم اسلامي فالمسلمون في الشرق بذلوا جهودا جبارة في نقل التراث العلمي من مصادر شتى ، فلما تكون لديهم فكر اسلامي يصطبغ بصبغتهم الخاصة قدموه الى الأوربيين خالصا من الشوائب مصفى من الشعبذة والخرافات .

وقامت في الأندلس وصقلية حركة نشيطة حقا في ترجمة الفكر الاسلامي ، ونقله الى اللاتينية وغير اللاتينية ، وفي قمة الذين باءوا بشرف هذه الحركة فريدريك الثاني في صقلية ، والفونس الحكيم ملك قشتالة في طليطلة ، ولا يزال الكتاب الأوربيون يشيدون بالجهد الذي بذلوه هم ومعاصروهم ، ومدارس الترجمة التي رعوها ، وهم حقا جديرون بهذه الاشادة ، ولكن ينبغي أن يذكر هؤلاء الكتاب أيضا للعرب فضلهم ، فلولا الحركة التي بذلها مسلمو الشرق ما وجد مترجمو الغرب هذه المادة التي ما كلفتهم غير النقل من لغة لأخرى . لكن هؤلاء يعنيهم دائما أن يهونوا من جهد العرب وأن يعزوا أعمالهم العلمية الى اليهود والنساطرة والمستعربين .

وقد تحدث المستشرق «رويسلر» عن نمو المكتبات في بغداد فعزاه الى البرامكة وتوجهم وحدهم بشرف هذه الحركة ، فقال : ان الوزير « البرمكي ــ وهو يعني جعفرا ــ سليل أسرة قديمة كان من أسلافها منذ قرون « الدلاي لاما » ــ أي كبير رهبان الدير البوذي ، وقد عرف هؤلاء البرامكة

كيف يرغبون الخلفاء وحاشيتهم فى تذوق الدراسات والكتب ، وجعلوا من بغداد مركزا علميا قدر له ان يطغى على سمرقند بجميع الروائع الأدبية والصينية والسنسكريتية والايرانية من الشرق ، والمؤلفات السورية والبيزنطية من الغرب فى وقت واحد (١) .

وعزوا هذه الحركة منذ عهد الرشيد الى البرامكة وحدهم مما يجحف كثيرا بحق المسلمين السابقين واللاحقين ، فلا الحركة العلمية بدأت بالبرامكة ولا توقفت بعدهم وما بذله المأمون فى هذا السبيل كان أوسع وأكبر مما بذله الرشيد .

ويقول أوليرى : « كان الخليفة المنصور هو الراعى الذى فعل أكثر ما يمكن لاجتذاب الاطباء النساطرة الى مدينة بغداد التى أسسها ، وكان كذلك أميرا يسعى جهده لتشجيع المتصدين لاعداد ترجمات المؤلفات الاغريقية والسيانية والفارسية» (٢)

واذن فالحركة قد بدأت قبل البرامكة ، ولا ننكر أنهم كانوا من المشجعين على نشر العلم ولكنهم ليسوا مبتدعيها ولاذوى الفضل الأكبر فى نشأتها .

فاذا أردنا أن نرجع بهذه الحركة الى بدايتها وجدنا خالد بن زيد الأموى كان أول من تصدى لهذا العمل ، ويقول ابن النديم انه أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء ، وكان يقول : انى طمعت فى الخلافة فاختزلت دونى فلم أجد منها عوضا الا أن أبلغ آخر هذه الصناعة » (٣) .

وقد ترجمت له هذه الكتب من اليونانية والقبطية ، وكان يسمى حكيم الأمويين (٤) .

وقد ذكر المستشرق الالمانى «روسكا» أن النشاط الذى ينسب لخالد هذا لا يعدو أن يكون قصصا ، (٥) ونجد ابن النديم

(١) الحضارة العربية ترجمة غنيم عبدون ص ٩٨ ، ٩٩
(٢) انظر ص ١٢٦ الفكر العربى .
(٣) الفهرست ( ٥١١ ط الاستقامة ) .
(٤) حتى ص ٣٢٠
(٥) المصدر نفسه . وردسكاهو يوليوس .

يتحدث عنه بشيء من التحفظ اذ يقول : ويقال والله أعلم : انه صح له عمل الصناعة ، وله فى ذلك عدة كتب ورسائل وله شعر كثير فى هذا المعنى رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ، ثم ذكر خمسة كتب أخرى رآها له . (١)

ومهما تكن المبالغة فيما نسب لخالد فان التمحيص الدقيق يثبت له نشاطا غير ضيق فى هذا المجال ويقول ابن خلكان : انه « كان من أعلم قريش بفنون العلم وله كلام فى صنعة الكيمياء والطب ، وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته ، وأخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس ، ـ وخالد توفى سنة ٨٥ هـ ( ٧٠٤) م» . ولسنا نعرف فى تاريخ أمة ما أنها بدأت هذه المعرفة قبل أن تسلخ قرنا من تاريخها غير الأمة الاسلامية .

وينسب أيضا لجعفر الصادق أحد الأئمة الاثنى عشر نشاط فى هذا المجال ، وهو استاذ جابر بن حيان . (٢)

وعلى أى حال لم تظهر فى العصر الأموى الذى تقوض عرشه نهائيا سنة ١٣٢ هـ ( ٧٥٠ ) م حركة ترجمة واسعة ، وهذا أمر طبيعى فالفترة التى مرت فترة قصيرة ، وملئت بالحروب والمنازعات الداخلية ، وما قامت به من نقل العلوم الأجنبية لا يعد شيئا هينا لأنه لم يحدث مثله فى الدول الأخرى .

ويظهر نشاط الترجمة بقوة على يد أبى جعفر المنصور ، فقد ترجم له أبو يحيى بن البطريق الكتب الكبيرة لجالينوس وأبقراط كما

---

(١) الفهرست ص ٥١٢

(٢) الامام جعفر هو ابن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين ابن على ، توفى سنة ١٤٨ هـ ( ٦٧٥ ) م . ودفن بالبقيع مع أبيه وجده والحسن بن على فى قبر واحد ، وامه هى فروة بنت محمد بن القاسم بن ابى بكر .

ترجمت فى هذه الفترة كتب قيمة لبطليموس واقلديس ، ولم تقف الترجمة عند الطب كضرورة تحمل على طلبه ، بل تعدته الى الهندسة والفلك (١) •

وفى عصر الرشيد والمأمون نهضت الترجمة حتى استوعبت التراث اليونانى كله ، ثم روجعت التراجم التى حدثت قبلهما فى عصر المنصور والى هذا العهد انتهى عصر الترجمة وبدأ عصر الزيادة والتأليف كان الرشيد قد أحضر مخطوطات من أنقرة ومن عمورية ، وكان معظمها يتناول مسائل وشئونا طبية ، وهذه عمل فى ترجمتها « يوحنا بن ماسويه » ، وهو من أقدم المترجمين ومن مشهوريهم وكان المترجمون كثرا ولكنهم كانوا مدارس مختلفة •

وكان جبريل بن بختيشوع طبيب المأمون رئيس مدرسة وهو أستاذ يوحنا بن ماسويه ، ويوحنا أستاذ حنين بن اسحق ، كما أن حنينا أيضا تلميذ لابن بختيشوع ، وأستاذ لابنه اسحق بن حنين وابن أخيه حبيش بن الحسن الأعسم ، وعيسى بن يحيى وكثيرين •

وذكر ابن النديم ليوحنا نحو عشرين كتابا (٢) وكان لعلمه بالطب مقدما عند الملوك خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل (٣)

وكان يعاصره ويشاركه فى خدمة هؤلاء بختيشوع بن جبريل ، وكان أكثر من يوحنا شهرة بالطب ولكنه أقل منه كتبا •

أما حنين فيدعى شيخ المترجمين، تعلم اليونانية عن كبر فنبغ فيها، وتفوق على أستاذه يوحنا ، وكان يعرف السريانية والعربية ، دار البلاد لجمع الكتب القديمة ، وهو الذى أرسله بنو موسى ابن شاكر للحصول على كتب أغريقية وأكثر نقوله كانت لهم ، وكانت لهم مكتبة عامة أمام بيت الحكمة وكانوا

---

(١) انظر مروج الذهب جـ ٢٩١/٨ وما بعدها

(٢) الفهرست ٤٢٥ — ٢٦

(٣) المصدر نفسه •

يدفعون للمترجم خمسمائة دينار راتبا شهريا وكان المأمون يدفع لحنين وزن ما يترجمه ذهبا ، ثم اختاره رئيسا على بيت الحكمة ، وذكر ابن النديم أن له ما يقرب من أربعين كتابا مما ألف سوى ما نقل وربما كانت هذه مبالغة ، ولكن يقال ان كثيرا من الكتب التى تنسب اليه من عمل تلاميذه ، كما أنه أحيانا كان يترجم من اليونانية الى السريانية ثم ينقل تلاميذه ترجمة الى العربية (١) ونسبة كتب التلاميذ للاساتذة معروفة ، وجائزة لأن الأستاذ كان يوجه عددا من التلاميذ لعمل كتاب واحد ويشرف هو على أعمالهم وكان اسحق ابن حنين أقدر من أبيه فى العربية (٢) وله شهرة كشهرة أبيه ، ولكن بينما استكثر حنين من ترجمة كتب الطب استكثر اسحق من كتب الفلسفة (٣) ولكل منهما كتب ونقول فى الهندسة والموسيقى والاكثار من نقل الكتب غير الطبية يدل على أن العرب كانوا يهتمون بالعلم للعلم لا للحاجة العارضة من الصحة الجسدية أو كسب المال ، وهذه تهمة ألصقها الأوربيون بالعرب الأوائل ، ولا يحتاج تفسيرها الى مجهود ، لأن من بين الكتب التى أوردها ابن النديم لهؤلاء المترجمين الأوائل كتب فى الجغرافيا والتاريخ والفلك والديانات ، وترجم حنين جزءا من الترجمة السبعينية للتوراة وعنى الأستاذ العقاد برد هذه التهمة بطريقته (٤) وهى فى واقعها نوع من الحقد والتحامل الذى أشرنا اليه .

وذكر ابن النديم أيضا مؤلفات قسطا بن لوقا البعلبكى وهى كثيرة جدا ، وقال انه يستحق أن يقدم على حنين ، ومن بين كتبه رد على رسالة لأبى عيسى بن المنجم فى نبوة محمد عليه السلام والفردوس فى التاريخ وكتب فى نوادر اليونانيين وأخرى فى شرح مذاهبهم

---

(١) انظر حتى ٣٨٩

(٢) الفهرست ٢٢٩

(٣) ابن خلكان / ٨٢

(٤) انظر The Aralis Tmpact on European Crubsation 83

وفى علل الشعر والفصل بين النفس والروح ، و « قسطا » طبيب متقدم فى صناعة الطب وله فيه كتب عديدة ومع هذا كتب فى غيره من مواد الفلسفة والأدب فلم تكن الترجمة كما ظنوا لدافع الحاجة والنفع المادى •

وحين كان هؤلاء يقومون بهذا الجهد ، كانت هناك مدرسة أخرى يرأسها ثابت بن قرة ، وهى مدرسة الحرانيين من الصائبة وبلغت هذه المدرسة قمتها فى عهد الخليفة المتوكل •واستكثرت من الرياضيات والفلك وكان من نشاطها أن راجعت أعمال المدرسة السابقة • مدرسة الحيرة التى ذكرنا ــ وكان لثابت مكانة كمكانة حنين وابنه ، فكان سنان بن ثابت ، وثابت بن سنان من بعده وابراهيم وأبو الفرج وحفدة آخرون وتلاميذ ذوى شهرة وأعمال ممتازة فى الترجمة والتنقيح •

وقبل أن ينتهى القرن الثالث الهجرى كانت مؤلفات أرسطو كلها قد نقلت الى العربية وفى يد القارىء العربى • ومن مزايا هذه الحركة أنها نقلت كتبا فقد أصلها اليونانى ولم يبق للباحثين فيها مرجع غير ما ترجم هؤلاء ، وكانت ترجماتهم هى المرجع الوحيد للدارسين الأوربيين فى عصر النهضة •

وقد نمت هذه الحركة وازدهرت فى الشرق ولكن كان الأندلسيون ينهلون منها ويعلون ، اذ كانت البعوث العلمية تتجه الى الشرق ويهاجر الطلبة الى بغداد وغيرها من العواصم الشرقية للاستفادة منها ثم يعودون الى بلادهم بعد أن تزودوا بما يشتهون •

وهذه اشارة عابرة الى هذا الجهد الذى بذله المسلمون ولمن شاء أن يتابع بقية أطرافها فهى خليقة أن تكون مؤلفا ممتعا فى تاريخ الفكر الاسلامى •

د• عبد الجليل شلبى

# الإسلام : دعوة شاملة كاملة

للدكتور يوسف القرضاوى

— ٢ —

**شمول العبادة فى الاسلام :**

وتتمثل ظاهرة الشمول الاسلامى فى عبادته كما تمثلت فى عقيدته .

فالعبادة فى الاسلام تستوعب الكيان البشرى كله ، فالمسلم لا يعبد الله بلسانه فحسب أو بيدنه فقط ، أو بقلبه لاغير أو بعقله مجردا ، أو بحواسه وحدها . بل يعبد الله بهذه كلها : بلسانه ذاكرا داعيا تاليا ، وبيدنه مصليا صائما مجاهدا ، وبقلبه خائفا راجيا محبا متوكلا ، وبحواسه كلها مستعملا لها فى طاعته سبحانه .

ان عبادة كالصلاة تتجلى فيها عبادة اللسان بالتلاوة والتكبير والتسبيح والدعاء ، وعبادة الجسم بالقيام والقعود ، والركوع والسجود ، وعبادة العقل بالتفكر والتأمل فى معانى القرآن وأسرار الصلاة ، وعبادة القلب بالخشوع والحب لله ، والشعور بمراقبة الله .

وعبادة كالحج ، يتجلى فيها عمل الجسم بالرحلة والانتقال والطواف والسعى ، وعمل اللسان بالتلبية والتهليل والتكبير والذكر والدعاء ، وعمل القلب بالنية والاخلاص ، بالاضافة الى بذل المال ، ومفارقة الأهل والوطن تقربا الى الله تعالى .

ومعنى آخر للشمول فى العبادة ، وهى أنها تتسع للحياة كلها ، فلا تقتصر على الشعائر التعبدية المعروفة من صلاة وزكاة وصيام وحج ، بل تشمل كل حركة وكل عمل ترتقى به الحياة ويسعد به الناس .

فالجهاد فى سبيل الله ، دفاعا عن الحق ، وذودا عن الحرمات ، ومنعا للفتنة ، واعلاء لكلمة الله .. عبادة لا تعدلها عبادة .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: مر رجل من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة ، فأعجبته ، فقال: لو اعتزلت الناس ، فأقمت فى هذا الشعب ! ( يعنى لأتعبد ) ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر ذلك لرسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فقال : لا تفعل . فان مقام أحدكم فى سبيل الله تعالى ، أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ! ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا فى سبيل الله . من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة (١) .

وعنه أيضا قال : قيل : يارسول الله ، ما يعدل الجهاد فى سبيل الله؟ قال : لاتستطيعونه ! فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا ، كل ذلك يقول : لا تستطيعونه. ثم قال: مثل المجاهد فى سبيل الله ، كمثل الصائم القائم ، لا يفتر من صلاة ولا صيام ، حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله (٢)

وكل عمل نافع يقوم به المسلم ، لخدمة المجتمع ، أو مساعدة أفراده ، وخصوصا الضعفاء وذوى العجز والفاقة منهم .. هو كذلك عبادة أى عبادة .

من ذلك ما جاءت به الأحاديث الكثيرة التى تحث على الصدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، حتى جعلت اماطة الأذى عن الطريق صدقة ، وحمل الرجل الضعيف على دابته صدقة ، بل تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل معروف صدقة .

ويدخل فى دائرة العبادة : سعى الانسان على معاشه ومعاش أسرته ، ليغنيهم بالحلال ، ويعفهم عن السؤال ، فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد اعتبر من فعل ذلك «فى سبيل الله » أى فى جهاد ، كجهاد الميدان وقتال أعداء الله .

وأكثر من ذلك أنه جعل من وضع شهوته فى حلال كان له بها أجر ، ولما عجب الصحابة من ذلك ، قال لهم

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم وأقره المنذرى فى الترغيب .

(٢) رواه البخارى ومسلم واللفظ له .

النبى : أليس لو وضعها فى حرام كان عليه وزر ؟ قالوا : بلى . قال : فكذلك لو وضعها فى حلال كان له أجر ! أتحتسبون بالشر ، ولا تحتسبون بالخير ! (١)

**شمول الأخلاق فى الاسلام :**

ويبرز الشمول كذلك فى ميدان الأخلاق والفضائل . فالأخلاق الاسلامية ليست هى التى تعرف عند بعض الناس «الأخلاق الدينية» التى تتمثل فى أداء الشعائر التعبدية واجتناب أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، ونحو ذلك لا أكثر . فمن صام وصلى وأقام الشعائر ، ولم يشرب الخمر ، فهو الانسان «الفاضل» والرجل «الصالح» ! وان كان قاسيا على الضعفاء ، ظالما للفقراء ، آكلا لأموال الناس بالباطل ، مضيعا لحقوق المجتمع ، متلاعبا بمناصب الدولة !!

هكذا تصور بعض الكاتبين «الأخلاق الدينية» . ولو صح هذا التصور فى معيار دين ما ، ما صح ولا كان له ذرة من قبول فى معيار الاسلام .

فالاسلام يجعل العدل والاحسان والرحمة والعفة عن الحرام وأداء الأمانات الى أهلها وغير ذلك من «الأخلاق الاجتماعية» من أعظم الفضائل التى يتقرب بها الى الله ، وتقود صاحبها الى الجنة .

كما يجعل أضدادها من الظلم والعقوق والقسوة والفجور والخيانة من كبائر الاثم ، وعظائم الذنوب ، التى تجر أصحابها الى النار ، وهى دليل على خراب القلب من الايمان الصحيح بلقاء الله وحسابه يوم الدين «أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين . فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون»

ولقد استغل بعض الكتاب هذا الجانب الأخلاقى الاجتماعى فى الاسلام ، فزعم أنه هو المقصود والمطلوب ، وليس التعبد ولا

---

(١) انظر فى شمول العبادة كتابنا : «العبادة فى الاسلام» فصل «مجالات العبادة فى الاسلام» ط ثانية أو ثالثة .

التقرب بالشعائر والفرائض والنوافل ، محاولا حشد النصوص الكثيرة لتأييد هذه الدعوى .

وكلا الاتجاهين مرفوض فى «الخلقية الاسلامية» فالاسلام لا يصف الانسان بالفضل والصلاح لمجرد الجانب الانسانى الاجتماعى فيه ، ولا لمحض الجانب التعبدى التنسكى أيضا .

ان الأخلاق الاسلامية تشمل هذا وذاك ، ولم تدع جانبا من جوانب الحياة الانسانية : روحية أو جسمية ، دينية أو دنيوية ، عقلية أو عاطفية ، فردية أو اجتماعية ، الا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع . فما فرقه الناس فى مجال الأخلاق ، باسم الدين وباسم الفلسفة ، وباسم العرف أو المجتمع ، قد ضمه القانون الأخلاقى فى الاسلام فى تناسق وتكامل وزاد عليه :

١ - ان من أخلاق الاسلام ما يتعلق بالفرد فى كافة نواحيه :

(أ) جسما له ضروراته وحاجاته . يمثل قوله تعالى : «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا»(١) وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : «ان لبدنك عليك حقا»(٢)

(ب) وعقلا له مواهبه وآفاقه ، يقول القرآن : «قل انظروا ماذا فى السموات والأرض (٣)» «قل انما أعظكم بواحدة : أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا» (٤) .

(جـ) ونفسا لها مشاعرها ودوافعها وأشواقها «قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها» (٥) .

٢ - ومن أخلاق الاسلام ما يتعلق بالأسرة :

(أ) كالعلاقة بين الزوجين «وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن

---

(١) الأعراف : ٣١
(٢) رواه الشيخان .
(٣) يونس : ١٠١
(٤) سبأ : ٤٦
(٥) الشمس : ٩ - ١٠

تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » (١) .

(ب) وكالعلاقة بين الأبوين والأولاد : « ووصينا الانسان بوالديه احسانا » (٢) « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق، نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا » (٣) .

(ج) وكالعلاقة بين الأقارب والأرحام « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى » (٤) « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل » (٥) . —

٣ — ومن أخلاق الاسلام مايتعلق بالمجتمع :

(أ) فى آدابه ومجاملاته ، مثل « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون » (٦) .

(ب) وفى اقتصاده ومعاملاته « ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » (٧) « يأيها الذين آمنو اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله » (٨) .

(ج) وفى سياسته وحكمه « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » (٩) .

---

(١) النساء : ١٩
(٢) الاحقاف : ١٥
(٣) الاسراء : ٣١
(٤) النحل : ٩٠
(٥) الاسراء : ٢٦
(٦) النور : ٢٧
(٧) المطففين : ١ — ٣
(٨) البقرة : ٢٨٢
(٩) النساء : ٥٨

٤ـ ومن أخلاق الاسلام ، ما يتعلق بغير العقلاء من الحيوان والطير ، كما فى الحديث « اتقوا الله فى البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة ، وكلوها صالحة » وفى الحديث الآخر « فى كل كبد رطبة أجر » .

٥ ـ ومن أخلاق الاسلام ما يتعلق بالكون الكبير .

من حيث انه مجال التأمل والاعتبار والنظر والتفكر والاستدلال بما فيه من ابداع واتقان ،على وجود مبدعه وقدرته، وعلى علمه وحكمته كما قال تعالى: «ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك » !

ومن حيث انه مجال للانتفاع والاستمتاع بما أودع الله فيه من خيرات وما بث فيه من قوى مسخرة لمنفعة الانسان ، وما أسبغ فيه من نعم ، تستوجب الشكر لواهبها والمنعم بها ، كما قال تعالى : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » .

« يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله» .

٦ ـ وقبل ذلك كله وفوق ذلك كله ما يتعلق بحق الخالق العظيم الذى منه كل النعم وله كل الحمد «الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . اياك نعبد واياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم » فهو وحده الحقيق بأن يحمد الحمد كله ، وأن ترجى رحمته الواسعة ، وأن يخشى عقابه العادل يوم الجزاء . وهو وحده الذى يستحق أن يعبد ويستعان وأن تطلب منه الهداية الى الصراط المستقيم .

**الشمول فى فلسفة الأخلاق الاسلامية:**

وبهذا ، يتجلى شمول الأخلاق الاسلامية ، من حيث موضوعها ومحتواها ولكن الشمول فى الأخلاق الاسلامية يبدو كذلك اذا نظرنا الى فلسفتها ومصدر الالزام بها .

فلقد رأينا المذاهب الفلسفية تختلف اختلافا بينا فى تفسير الأخلاق ، وبيان مقياس الحكم الخلقى أو مصدر الالزام الخلقى . ما بين مذاهب المثاليين من القائلين بأن المقياس هو العقل ، أو الضمير ، أو الحاسة الخلقية الخ .. ومذاهب الواقعيين من أصحاب المدارس المختلفة : مدرسة اللذة أو المنفعة ، أو التطور ، أو القوة ، أو الوضعية الاجتماعية .. الخ ..

أما الاسلام فقد شاء الله أن يكون الرسالة العامة الخالدة ، فهو هداية الله للناس كافة ، من كل الأمم ، وكل الطبقات ، وكل الأفراد ، وكل الأجيال . والناس تختلف مواهبهم وطاقاتهم الروحية والعقلية والوجدانية ، وتتفاوت مطامحهم وآمالهم ، ودرجات اهتمامهم ، ولهذا جمعت الفكرة الأخلاقية فى الاسلام ما فرقته الطوائف الدينية ، والمذاهب الفلسفية — مثالية وواقعية — فى نظرتها الى الأخلاق وتفسيرها لمصدر الالزام الخلقى . فلم يكن كل ما قالته هذه المذاهب والنظريات باطلا ، كما لم يكن كله حقا . انما كان عيب كل نظرية أنها نظرت من زاوية ، وأغفلت أخرى ، وهو أمر لازم لتفكير البشر ، الذى يستحيل عليه أن ينظر فى قضية ما نظرا يستوعب كل الأزمنة والأمكنة ، وكل الأجناس والأشخاص ، وكل الأحوال والجوانب ، فهذا يحتاج الى احاطة اله عليم حكيم .

فلا غرو اذا كانت نظرة الاسلام ، جامعة محيطة مستوعبة ، لأنها ليست نظرية بشر ، بل وحى من أحاط بكل شىء علما ، وأحصى كل شىء عددا .

لهذا أودع الله فى هذا الدين ما يشبع كل نهمة معتدلة ، وما يقنع كل ذى وجهة سليمة ، ويلائم كل تطور محمود .

فمن كان مثاليا ينزع الى الخير لذات الخير ، وجد فى أخلاقية الاسلام ما يرضى مثاليته فى العمل ابتغاء وجه الله .

ومن كان يؤمن بمقياس السعادة، وجد فى الفكرة الاسلامية ما يحقق سعادته وسعادة المجموع معه فى مثل قوله تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » .

ومن كان يؤمن بمقياس المنفعة ــ فردية أو اجتماعية ــ وجد فى الاسلام ما يرضى منفعته فى مثل قوله تعالى « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » «من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » .

ومن كان يؤمن بالترقى الى الكمال ، وجد فيه ما يحقق طلبته .

ومن كان همه التكيف مع المجتمع ، وجد فيه ما يلائم اجتماعيته .

حتى الذى يؤمن بأهمية اللذة الحسية يستطيع أن يجدها فيما أعد الله للمؤمنين فى الجنة من نعيم مادى ، ومتاع حسى « وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » (١)

وبهذا تسمع كل أذن الأنشودة التى تحبها ، وتجد كل نفس الأمنية التى تهفو اليها .

**شمول التشريع فى الاسلام :**

والتشريع فى الاسلام تشريع شامل كذلك .

انه لا يشرع للفرد دون الأسرة ، ولا للأسرة دون المجتمع ، ولا للمجتمع منعزلا عن غيره من المجتمعات .

ان تشريع الاسلام يشمل التشريع للفرد فى تعبده وصلته بربه ، وهذا ما يفصّله قسم «العبادات» فى الفقه الاسلامى ، وهو ما لا يوجد فى التشريعات الوضعية .

ويشمل التشريع للفرد فى سلوكه الخاص والعام ، وهذا يشمل ما يسمى « الحلال والحرام » أو الحظر والاباحة .

ويشمل التشريع ما يتعلق بأحوال الأسرة من زواج وطلاق ونفقات ، ورضاع،وميراث ، وولاية على النفس والمال ونحوها . وهذا يشمل ما يسمى فى عصرنا « الأحوال الشخصية » .

---

(١) الزخرف : ٧١

ويشـــمل التشريـع للمجتمـع فى علاقاته المدنية والتجارية ، وما يتصل بتبادل الأموال والمنافع ، بعـوض أو بغير عوض،من البيوع والاجارات والقـروض والمداينـات والرهن والحوالة والكفالة والضمان وغيرها، مما تتضمنه فى عصرنا القوانين المدنيه والتجارية .

ويشمل التشريع ما يتصل بالجرائم وعقوباتها المقدرة شرعا كالحـدود والقصاص ، والمتروكة لتقدير أهل الشأن كالتعازير ، وهـذا يشـمل ما يسمى الآن بـ «التشريع الجنائى» أو « الجزائى » وقوانين العقوبات.

ويشمل التشريع الاسلامى ما يتعلق بواجب الحكومة نحو المحكومين ، وواجب المحكومين نحو الحـكام ، وتنظيم الصلة بين الطرفين ، مما عنيت به كتب السياسة الشرعية والخراج، والأحـكام السلطانية فى الفقـه الاسـلامى ، وتضـمنه فى عصرنا «التشريع الدستورى» أو«الادارى» و « المـالى » .

ويشمل التشريع الاسلامى ما ينظم العلاقات الدولية فى السلم والحرب، بين المسلمين وغيرهم ، مما عنيت به كتب « السير » أو « الجهـاد » فى فقهنا الاسلامى ، وما ينظمه فى عصرنا « القانون الدولى » .

ومن هنا لا توجد ناحية من نواحى الحيـاة الا دخل فيهـا التشريع الاسلامى آمرا أو ناهيا ، أو مخيرا .

وحسبنا أن أطول آيـة نزلت فى كتاب الله تعالى ، نزلت فى تنظيـم شأن من الشئون المدنيـة ، وهـو المداينة ، وكتابة الدين .

ويبدو شمول التشريع الاسلامى فى أمر آخر ، أو بعد آخر ، وهـو النفاذ الى أعماق المشكلات المختلفة، وما يؤثر فيها ، وما يتأثر بها ، والنظر اليها نظرة محيطة مستوعبة ، مبنية على معرفة النفس الانسانية،وحقيقة دوافعها وتطلعاتها واشراقها ، ومعرفة الحياة البشرية وتنوع احتياجاتهـا وتقلباتها ، وربط التشريع بالقيـم الدينية والأخـلاقية ، بحيث يكون التشريع فى خدمتهـا وحمايتها ، ولا يكون معولا لهدمها .

ومن عرف هذا جيـدا ، استطاع أن يفهم موقف التشريع الاسـلامى وروعته من قضايا كثيرة ، كالطلاق

وتعدد الزوجات ، والميراث ، والربا ، والحدود والقصاص ، وغيرها . مما أثبتت الدراسات المقارنة ، وأثبت الاستقراء التاريخى والواقعى فضل الاسلام فيه وتفوقه على كل تشريع سابق أو لاحق .

ان عيب البشر الذى هو من لوازم ذواتهم المحدودة أنهم ينظرون الى الأمور والأشياء من جانب واحد ، غافلين عن جانب أو أكثر من جوانبها الأخرى . والحقيقة أنهم لا ذنب لهم فى هذا القصور ولا حيلة ، لأن النظرة المحيطة الشاملة ، التى تستوعب الشىء من جميع جوانبه ، وتعرف كل احتياجاته ، وتدرك كل احتمالاته وتوقعاته لا يقدر عليها الا رب البشر وخالق الكون . « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

**د. يوسف القرضاوى**

---

قيل : فما المتصوف ؟

قال : التأليف ، والاعراض عن التكلف ، وأحسن منه ، تصفية القلوب لعلام الغيوب ، وأحسن منه ، التعظيم لأمر الله ، والشفقة على عباد الله ، وأحسن منه ، من صفا من الكدر ، وخلص من العكر ، وامتلأ من الفكر ، وتساوى عنده الذهب والمدر ( أى الحجر ) .

# كلمات مضيئة

## التحرير

شهد الأنام بفضله حتى العدى
والفضل ما شهدت به الأعداء

* * *

١ ـ كلما قلبنا النظر فى القرآن تملكتنا الروعة والوجل لكننا سرعان ما نشعر نحوه بجاذبية تنتهى بنا حتما الى الاكبار فهو بين الكتب المقدسة نموذج عال رفيع وسوف يحيا تأثيره فى النفوس فى جميع الأجيال والعصور حتى يتطور العالم الى السمو والكرامة عندما يدين له ويعمل به .

**جوته**

٢ ـ الدستور الاسلامى قانون شامل يوحد بين الجميع من الرأس المتوج الى أبسط الأشخاص لأنه يقوم على حكمة أنتجتها أوسع العقول علما بهذه الحياة ..

**جيبون**

٣ ـ هناك ظاهرة فريدة فى التاريخ المحمدى هى أنه ينفرد بانشاء ثلاث مؤسسات عمرانية : أمة ، وامبراطورية ، ودين وهو الأمى الذى لم يعرف القراءة والكتابة .

**بودورث سميث**

٤ ـ ليس فى الاسلام كهنوت ولا سلطة كنائسية ولكنه يضع للحكومات دستورا يطابق روح الدين .

**لواندر كودرد**

٥ ـ من المسلم به أن محمدا لم يكتب ولم يقرأ ولم يتلق تعليما مدرسيا لكنه عرف منذ نشأته بالرجولة وسمو التفكير والأمانة وأصالة الرأى فى كل ما يقول وما يعمل وتاريخ حياته يثبت أنه كان دائما رجلا اجتماعيا وصديقا صدوقا ومخلصا ودودا .

**كارليك**

٦ ــ القرآن دستور اجتماعى مدنى تجارى حربى نضالى وهو فوق هذا كله قانون سماوى عظيم •

**دافير بورث**

٧ ــ جميع حجج القرآن طبيعية ودالة على عناية الله بالبشر ورعايته لهم وتأمين مستقبلهم •

**وليم موير**

٨ ــ لا بد أن تعتنق الامبراطورية البريطانية النظم الاسلامية قبل نهاية هذا القرن ولو أن محمدا بعث فى هذا العصر وكانت له الدكتاتورية على هذا العالم الحديث لنجح تماما فى حل جميع المشكلات العالمية وقاده الى السعادة والسلام •

**ارثر هاملتون**

٩ ــ ليدرس الهندوس الاسلام كما درسته فسيحترمونه كما احترمته ولقد أصبحت مقتنعا بأن الاسلام لم يأخذ مكانته فى الوجود بحد السيف بل انه أخذها بالبساطة وانكار الذات والشجاعة التى اتصف بها النبى محمد القائد الأمين والزعيم المخلص •

**غاندى**

١٠ ــ يجب أن نبحث عن دين أقوم من هذا الذى ندين له يجب أن يكون الدين الجديد دين أخوة ووحدة وانصاف وقوة، يربط البشر أجمع بعضه ببعض لتكن العزة لله وللمجاهدين الأحرار من البشر •

**هتلر**

١١ ــ ان اكبر كلمة تثير الحزن والأسى هى التى قادت العالم الى حالته الراهنة (انها كلمة الالحاد) ••

**تولستوى**

١٢ ــ لم يقم الاسلام بالسيف ولم ينتشر بالعنف ولم ينشىء امبراطوريته بالاستبداد ، ولكنه قام وانتشر وساد وحكم العالم بالحجة والبرهان والدليل العقلى وأخيرا استعمل السيف •

**جون كنعرى**
استاذ القانون المقارن
بجامعة اكسفورد

صوت من التاريخ :

# أمة محسودة

للأستاذ السيد حسن قرون

لا يوجد فى تاريخ الأمم أمة محسودة مثل أمتنا العربية ، فمنذ كان لها كيان وسلطان ، والقلوب تتمزق غيظا وحسدا لها فقد كانت هينة على جيرانها ، تعيش على السلب والنهب والفوضى مما جعل أرباب السلطان حولها ينتقصونها من أطرافها ويستقطبون أناسا منها يجعلونهم ملوكا ليحولوا بينهم وبين الاغارة عليها أو الأخذ بأسباب الحضارة وبناء الكيان فلما جاءهم رسول منهم بكتاب فيه دستورهم ونظام حياتهم ، والتفوا تحت لوائه ، ومشوا على صراطه المستقيم ، وصارت لهم دولة لها قائدها وعلمها زادت البغضاء فى القلوب ، والحقد فى النفوس ، والتآمر عليها للقضاء عليها حتى لا تزاحمهم فى السيادة وتنافسهم فى معالى الأمور ، والقرآن يقول : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شىء قدير (١) » .

وحين فاضت الجزيرة العربية على التخوم التى تجاورها لتخلص العرب من سلطان الأجنبى تحرش بها الطغاة من الفرس والروم بالجيوش الكثيفة ، والأسلحة المخيفة ، فخاض أبطالها الميامين ميادين الحرب والنزال راغبين فى احدى الحسنيين النصر أو الشهادة ، فأتاهم الله نصرا بعد نصر ، وعزة بعد عزة ، فسقطت حصون ، وثلت عروش ، وبرز الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قائدا أعلى للجيوش العربية الاسلامية يوجهها الى ميادين القتال

---

(١) سورة البقرة : ١٠٩

مزودا لها بارشاداته وتعليماته النيرة فأكل الحسد قلوب الفرس والروم، ولجأوا الى التآمر ، فكان أن اغتيل ذلك الخليفة وهو يقيم صلاة الصبح بيد أثيم من البلاد المفتوحة كان يعلن «لقد أكلت العرب كبدى» وكان قتل الخليفة عمر اشارة خطر يجب أن يتنبه لها الغافل ، ويصحو النائم ،ويرعوى باغى الرئاسة ، ولكن الحادث الجلل مر كأنه جرح يحتسل ، وفى عز قوة هذه الأمة الهائلة ، وصولتها الجارفة ، ووثبتها الخارقة تسلل المغرضون الحاسدون الى دائرة السلطة علهم يجدون ثغرة ينفذون منها الى نواياهم الخبيثة ، فكان الصراع على الخلافة هو المنفذ الذى بلغوا به مايريدون وانك لو نظرت الى موسم الحج سنة ٦٦ هـ لهالك ما ترى من تفرق هذه الأمة الفتية أربعة جيوش بأرباض مكة تستعد للقتال والنزال حين أداء فريضة هى ركن من أركان الاسلام المهمة التى من شأنها أن تجمع ولاتفرق ، وتوفق ولا تمزق انه الحج وموسمه،ونداء ابراهيم وابنه ، أربعة جيوش :لبنى أمية جيش ، ولعبد الله بن الزبير جيش،وللخوارج جيش ، ولمحمد بن الحنفية جيش ، كل مستعد لسحق خصمه ، ومن خصمه؟انهم المؤمنون والمؤمنون اخوة ولولا رجال عقلاء مشوا للسلم حتى تؤدى الفريضة لسالت الدماء ، وانتثرت الأشلاء وكثرت الأيامى واليتامى ، ومن هنا تسلل الموالى ليكونوا اجنودا بين هذه الجيوش ، وظهر منهم من اندمج فى جيش ( المختار بن أبى عبيدة الثقفى ) ليأخذوا بثأر الحسين رضى الله عنه .

وظهر منهم أناس ذوو ذكاء وخبث اتخذوا من الكلمة المختلفة دعاية لأغراضهم ينسبونها الى صاحب الرسلة ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ليأتوا على البناء من قواعده ، ومازالوا يتحينون الفرص ، وينضمون الى كل ناعق حتى وجدوا ضالتهم المنشودة فى حزب بنى هاشم ، وكان أن انتقلت دعوة هذا الحزب الى خراسان فوجدت مربعا ومرتعا ، وبعد أن كان الموالى تبعا صاروا رأسا ، واستغل دعاة بنى عباس هوى شعب خراسان كما استغل شعب خراسان الدعاة ، وظهر الحسد،وبدت المطامع المكبوتة،

واستغلوا مأساة الحسين استغلالا ذكيا فكانت الدعوة ( للرضا من آل محمد ) ونشروا مساوىء حكم بنى أمية ، ووصفوهم بالجور والجبروت والحكم بالهوى ، والعمل للدنيا واكتناز الأموال ، وسفك الدماء ووجه الخليفة المنتظر (ابراهيم الامام العباسى ) من ( الحميمة ) منشورا الى أبى مسلم الخراسانى وفيه : « ان استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل » وفطن والى خراسان ( نصر بن سيار ) لما يجرى حوله ، ورأى أبا مسلم يفرق بين العرب باذكاء نار الخلاف ، فأقبل العرب يقتل بعضهم بعضا ، وهنا صاح نصر بن سيار صيحته المنذرة:

ألا أبلغ ربيعة فى (مرو)واخوتهم
فليغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب

ولينصبوا الحرب ان القوم قدنصبوا
حربا يحرق فى حافاتها الحطب

ما بالكم تلقحون الحرب بينكم
كأن أهل الحجا عن رأيهم عزبوا

وتتركون عدوا قد أظلكم
بما تأشب لا دين ولا حسب

قوما يدينون دينا ما سمعت به
عن الرسول ولم تنزل به الكتب

فمن يكن سائلا عن أصل دينهم
فان دينهم أن تقتل العرب

فالأمر عند نصر والى خراسان أكبر من وضع خليفة مكان خليفة ، أو أسرة محل أسرة ، انما الأمر عنده سيادة أمة تهون ، ودين تنتهك حرماته ،ونظام دولة يخشى سقوطه، ولغة يخاف اندثارها وانهيارها ، ولذلك كان تعجبه •

فقلت من التعجب ليت شعرى
أأيقاظ أمية أو نيام ؟

ومات الرجل مقهورا مفجعا أمام زحف الجيوش التى تلبس السواد حزنا على شهداء بنى هاشم من العلويين ، واذا كان السواد حزنا على هؤلاء الشهداء فلم لم تكن الخلافة لأبنائهم ؟ انهم أمالوها لغيرهم ليشركوهم فى أمرهم ، فيكونوا القادة والسادة والولاة •

قضى الأمر ، وتم النصر للعباسيين وأنصارهم من غير العرب • فماذا أصاب العرب من الخلافة الجديدة ؟

يقول التاريخ : ان الوضع تغير تماما ، أقصى العرب عن مراكزهم ، وأسقطت أسماؤهم من ديوان الجند، وحيل بينهم وبين الوظائف المهمة ، بل ألغى ديوان بطـون قريش ، لأن تيما وعديا حرموا الهاشميين الخلافة، وكان من الطبيعى أن يتجه العـرب بما فيهم قريش الى الزراعةوالصناعة والتجارة والحرف الأخرى،وانتهزت الشعوبية هذا الاتجاه فشفت غليلها بالحط من شأن العرب فى جاهليتهم واسلامهم ، ونعـوا عليهم معيشـة البـداوة وشد الأطنـاب وامساك العصا مما دعا الجـاحظ الى الرد عليهم ، وكشف ما يملأ قلوبهم من الحسد والحقد ، وكان لهذه الحرب الكلامية آثارها فى نفوس العرب ، فخمدت فيهم الكبرياء والتمـدح بالآباء ، ونظروا الى الأعاجم نظـرة الاكبار بعد أن كانوا على عهـــد الأمويين ينكرون عليهم أن يلوا شيئا من أمور الناس ولو لامامة الصلاة، ولا يغرنك قتل أبى جعفر المنصور أبا مسلم الخراسـانى ولا نكبة البرامكة على يد الرشيد فتلك أمور مردها الى حب الاستبداد والانفراد بالسلطة والا فبم نفسر موقف أبى جعفر المنصور من عمه عبد الله بن على ؟ فقد قتله لأنه توجس منه خيفة على ملكه ، وكم له من ضحايا من العلـويين وهم هاشـميون مثله ! والشأن كما هو اقصـاء العـرب وتقريب غيرهم من الفرس والترك وغـيرهم ممن يعيشـون فى فلك الدولة .

وحين أراد العرب أن يسـتعيدوا سلطانهم على عهد محمد الأمين ثار الفرس وأفسـدوا بين الأخوين : الأمين والمأمون ، ودارت معـارك طاحنة على مـدى عامين ، وانتهت الحرب بانتصار المأمون ، أى انتصار الفرس وهزيمة العـرب . وهـذه الهزيمـة كانت القاضـية جعلت المعتصم يتخلص من العرب والفرس معا ، فاستعان بموال من الترك بنى لهم مدينـة ( سر من رأى ) فكانوا (سوء من رأى ) لم يعرفوا للخلافة حـرمة ، ولا للشريعـة مكانة ، ولا للحدود موضعا ، قتلوا الخلفاء وسملوا عيونهم ، وولوا الصـغار وأهملوا الكبار وعاثوا فى الأرض

فسادا ، مما دعا الولاة الى الانفصال بالأقطار التى يحكمونها ، وتنبه للخطر الجديد شاعر عربى أصيل هو ( يزيد المهلبى ) حين قتل المتوكل على الله ، فقال محذرا يخاطب بنى العباس وقريشا والعرب جميعا .

لما اعتقدتم أناسا لا حلوم لهم
ضعتم وضيعتم ما كان يعتقد
ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم
حمتكم السادة المذكورة الحشد
قوم هم الجذم والأنساب تجمعهم
والمجد والدين والأرحام والبلد
اذا قريش أرادوا شد ملكهم
بغير ( قحطان ) لم يبرح به أود

ولكن صرخته ذهبت أدراج الرياح،وراح العرب بالمجد يحلمون والخلفاء يتعذبون . وأشد ما آلمنى وأنا أتتبع نهاية بنى العباس والعرب معهم أنى وجدت الخليفة العباسى فى مصر يقف بين يدى(قنصوه الغورى) فى موسم ينشده شعرا يمدحه به . رجل ورث المجد والخلافة من مئات السنين يمدح مملوكا من المماليك. أى هوان بعد هذا ؟ ؟

واليوم يعيد التاريخ نفسه ، فبعد أن انتصرنا فى رمضان ١٣٩٣ أكتوبر ١٩٧٣ حربيا وسياسيا واقتصاديا على الأعداء ،وتجاوبت أندية العالم ومجتمعاته ووسائل اعلامه بالعربى بشهامته وشجاعته ووحدته عدنا الى وساوس الشيطان ، وألاعيب الحساد ، وحل الخلاف محل الاتفاق ، والفرقة مكان الوحدة وصار لبنان مستنقع الهوان ، وتركنا عقولنا ، واستجبنا لهوانا دون نظر للعواقب، وما يناله الأعداء من وراء تلك الدماء العزيزة ، انى لأسمع صوت التاريخ مدويا منذرا محذرا لنا من أعدائنا:

فمن يك سائلا عن أصل دينهم
فان دينهم أن تقتل العرب

فهل نصغى لصوت التاريخ أو أننا أمة ليس لها تاريخ ؟ .

**السيد حسن قرون**

# نحو عقيدة عسكرية إسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين

— ٨ —

أصبحت نظرية « الردع » مفتاح الاستراتيجية العسكرية فى القرن العشرين وخاصة بعد أن تحقق ما يسمى « بالتوازن الذرى » بين الكتلتين المتنافستين الشرقية والغربية، ومعنى التوازن الذرى امتلاك كل منهما لأسلحة الدمار النووية كالقنابل الذرية والهيدروجينية بقدر متكافىء تقريبا بحيث لا يكون لاحداهما تفوق محقق وساحق على الأخرى .

وقد تولد عن هذا التوازن اقتناع لدى كل من الكتلتين بعدم جدوى الحرب ، وبأن نشوبها بينهما هو عملية « انتحار » رهيبة ، وذلك لأن كلا منهما تملك القدرة على الردع والانتقام اذا تلقت الضربة المدمرة أولا ، وفى ذلك يقول كبار القادة العسكريين العالميين : ان أية حرب عالمية فى هذا العصر قد تكون انتحارا عاما ونهاية للحضارة التى نعرفها . ان كلا من الدولتين العظميين لن تخاطر بعواقب استخدام هذه الأسلحة النووية ، لأن الدمار الذى سيترتب على الضربة الانتقامية لأى منهما سيكون مروعا كما أن كلا منهما لن يكون على يقين تام من النصر .

وهكذا يتبين أن «القوة» حققت أهدافها فى منع قيام الحرب بقوة « الردع » . لكن العالم لم يصل الى تلك النظرية الا فى القرن العشرين وبعد معاناة قاسية وطويلة فى حروب طاحنة اكتوى بنارها . كما عبر عن ذلك الاستراتيجى الكبير الجنرال أندريه بوفر [1] فى قوله : « ان رجل القرن العشرين الذى تلاحقه مآسى

---

(١) فى كتابه « الردع والاستراتيجية » .

الحربين العالميتين ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ ، هذا الرجل المسلح بكل وسائل العلم الحديث ربما وجد أخيرا الوسيلة لمنع وقوع مثل هذه المآسى ، وهى استراتيجية الردع ، ــ ان العنصر الحاسم اليوم هو الردع بلا جدال •

هذه النظرية « الردع » التى لم تتبلور فى ذهن خبراء الاستراتيجية العسكرية الا فى هذا العصر هى احدى النظريات التى سبقت بها العسكرية الاسلامية منذ أربعة عشر قرنا • فان اعداد القوة واظهارها لارهاب الأعداء واخافتهم من عاقبة عدوانهم هو موقف مبدئى للاسلام تجاه أعدائه وأعداء أمته ، وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وقد طبق الرسول القائد عليه الصلاة والسلام تلك النظرية فى صراعه ضد أعدائه منذ القرن السابع الميلادى •

غير أن الدراسة المقارنة تكشف عن الكثير مما تنفرد به نظرية الردع الاسلامية من الخصائص الفاضلة والمقاصد النبيلة ، وليس هذا غريبا فهى تتفق بداهة مع جوهر الاسلام الذى هو دين السلام •

فلقد نشأت نظرية الردع الحالية مرتبطة ــ كما ذكرنا ــ بالتوازن الذرى الناشىء من تملك كل من الكتلتين لقدر متكافىء تقريبا من الأسلحة النووية ومن قدرة كل منهما على الردع والانتقام اذا ما هوجمت أولا •

وهذا الارتباط بين نظرية الردع وبين التوازن الذرى لا يوحى بالاطمئنان ، ولا يؤدى الى الثقة فى قيام سلام حقيقى فى هذا العالم• فان « فقدان » هذا التوازن أو اختلاله ــ وهو احتمال وارد ــ بحصول احدى الكتلتين على تفوق ساحق على الأخرى ، سوف يؤدى حتما الى اندلاع حرب ذرية • وهذا ما جعل الجنرال اندريه بوفر يتساءل قائلا « ولكن هل سنسير نحو السلام ؟ •• وبالتأكيد كلا •• لأن تعشق الرجال للقوة مضافا اليه القوى الغامضة التى تحكم التطور الاقتصادى والبيولوجى للانسان ،

ستفتش دائما عن مساحة للتوسع والامتداد » •

وهنا تتضح احدى حسنات نظرية الردع الاسلامية ، ذلك لأنه اذا تملكت الأمة الاسلامية القوة المتفوقة على خصومها بحيث يصبح ميزان القوى فى جانبها فان ذلك لن يغريها باستخدام القوة ضدهم ما داموا يمتنعون عن العدوان • فالأمة الاسلامية لا تتعدى حدود الردع ما دام يحقق الهدف منه وهو اخافة العدو ومنعه من استخدام القوة وذلك لسببين :

ـ أن القصد من اعداد القوة فى الاسلام هو ارهاب العدو ليمتنع عن استخدام القوة والعدوان •

ـ وأن العدوان ليس غاية من غايات الحرب فى الاسلام ، ولم يشرع القتال الا اعلاء لكلمة الله ودفاعا عن الأمة الاسلامية ضد الاعتداء •

ولعل أبلغ دليل على ذلك غزوة الفتح ، فلقد كانت كل الظروف مهيأة أمام المسلمين لتحقيق نصر عسكرى ساحق على قريش ، لكن الرسول القائد عليه الصلاة والسلام قرر أن يتم الفتح بدون قتال ، فكانت خطته العبقرية فى اظهار قوة المسلمين كفيلة « بردع » الأعداء ومنعهم من استخدام القوة وهو ما ينطق به قول زعيمهم أبى سفيان : يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم بما لا قبل لكم به •

ومن المزايا التى تنفرد بها نظرية الردع الاسلامية أيضا أنها لا تؤدى الى سباق التسلح الذى يعانى منه العالم اليوم بسبب فقدان الثقة بين الأمم ، وانتشار الأطماع التوسعية والاستعمارية ، وسيادة منطق القوة لتحقيق المصالح والغايات بأساليب لا أخلاقية •

فان استمساك الأمة الاسلامية بتوجيهات دينها الذى يحرم الاعتداء والسلب ولا يقاتل الا لرد العدوان، يبعث فى الأمم المسالمة التى تريد أن تعيش فى أمن وسلام ، كل الطمأنينة والثقة فى حسن نوايا الأمة الاسلامية ، فتتجه بطاقاتها ــ فى ظل هذا الأمن من الغدر ــ نحو ما فيه الخير لها والخير للبشرية جمعاء ، لا الى التسابق فى التسلح الذى

يرهق اقتصادها ويزيد من حـدة التوتر ويغرى باشعال الحروب •

وتهيء نظرية الردع الاسـلامية الفرص الحقيقية لحـل المنـازعات بالوسائل السلمية دون اللجوء الى الحرب ، وهو ما لا تتسامى اليـه كل اجتهادات القـادة والزعمـاء والمنظمات الدولية قديما وحديثا • فان ما تتميز به العسكرية الاسلامية من الامتناع عن العدوان ، وفى نفس الوقت ، القدرة على رد العـدوان وقهره ، يقنع الأمم الأخرى بالامتناع عن اللجوء الى القوة لحل المشكلات وبأن طريق السعى لحلها بالوسائل السلمية ليس مفتوحا فحسب ، بل هو طريق مضمون النتائج لا تحيط به الشكوك ولا تنعدم الثقة ، وليس فيه مخاطرة بالتنازل ــ تحت تهديد القوة ــ عن شيء من حق أو كرامة ، ولكن تحوطه كل معانى حب السلام والحق والعدل والتسامح وحسـن النوايا وحب الخير للبشر أجمعين ، وتلك هى شرعة الاسلام التى نفت عن القوة كل معانى العدوان والغدر والظلم •

ومن المبـادىء المعـروفة فى الاستراتيجية العسـكرية « أن التوفيق السليم بين الغاية والوسيلة قد يؤدى الى اقتصاد تام فى القوة»

والواقــع أن نظـرية الردع الاسلامية هى أرقى منهج يوفق بين الغاية وهى اعلاء كلمة الله والدفاع عن الأمة الاسلامية وبين الوسـيلة لتحقيق تلك الغاية بتطبيق نظـرية اظهار القوة لارهاب العدو واخافته من عاقبة عدوانه •

هـذا التوفيق الكامل بين الغاية والوسيلة ، يؤدى الى منع نشـوب القتال ، وبالتالى الى الاقتصاد التام فى القوة ماديا ومعنـويا • ولو لم يكن لنظرية الردع الاسـلامية من آثار فى الاقتصاد فى القوة سـوى حقن الدماء لكفاها •

لقـد كان فيلسـوف الحرب كلاوزفتيز [1] يقول : « قد يتصور

---

(١) كارل فون كلاوزفيتز ( ١٧٨٠ ــ ١٨٣١ ) قائد عسكرى المـانى مشهور ومن أبرز واضعى النظريات الحربية . ويعتبر كتابه عن الحرب من أشهر المؤلفات النظرية التى اعتمد عليها الكثيرون من القادة العسكريين فى العصر الحديث .

المحبون للخير بسهولة أنه توجد طريقة بارعة لنزع السلاح الذى فى يد العدو والتغلب عليه دون اراقة كثير من الدماء ، وأن هذا هو الاتجاه السليم لفن الحرب (٢) .. تلك غلطة يجب أن نمحوها .. ! » .

فلم يكن كلاوزفتيز يرى الا وسيلة واحدة لتحقيق الغايات هى « الحل الدموى » وكان يؤمن بأن فكرة « القتال » يجب أن تكون أساس تفكير القائد ، وكأن معنى الاستراتيجية العسكرية عنده هو « استخدام المعركة الحربية » .

ولقد تعرضت نظريته تلك للنقد الشديد من جانب رجالات الاستراتيجية العسكرية الذين أبرزوا الأخطار التى تنطوى عليها ، والتى ظهرت آثارها المفجعة فى الحروب التى قادها من أخذوا بتلك النظرية من أمثال نابليون ، كما أدى تطبيق تلك النظرية فى الحرب العالمية الأولى الى عمليات دموية تشبه المذابح . ثم ان العسكرية الاسلامية وان كانت ذات طبيعة دفاعية ، الا أنها لا تقبل الاستسلام ، فان اقتران استراتيجية الردع الاسلامية ( ترهبون ) بالقوة ورباط الخيل ( من قوة ومن رباط الخيل ) يفهم منه بكل وضوح أنه لا بد أن تتوفر فى تلك القوة القدرة الهجومية التى تقنع العدو - حين يضع حساباته وتقديراته - بأنه سوف يكون هو الخاسر لو تحرك بعدوان .

---

(٢) يطلق اصطلاح فن الحرب Military Art أو الفن العسكرى او الفن الحربى على جميع المسائل المتعلقة باعداد وادارة شئون الحرب ، وهو يحتوى على مستويات ثلاثة تتدرج نزولا من اعلى مستوى فى الدولة حتى الجندى المقاتل فى الميدان كما يلى :

- المستوى الأول يسمى الاستراتيجية العليا .
- المستوى الثانى يسمى الاستراتيجية .
- المستوى الثالث يسمى التكتيك .

ولتوضيح هذه المستويات يمكن أن نقول مثلا أن وزارة التربية والتعليم تختص باستراتيجية التعليم بينما المدرسة تختص بالجانب التكتيكى منه .

وقد أبرز الاستراتيجيون المحدثون هذا المبدأ حين أكدوا «أن العقيدة[1] العسكرية ذات الطابع الدفاعى لن تكون لها الا قيمة ضعيفة فى الردع الا اذا توفرت لديها القوة الهجومية» .

والحركة والمفاجأة — من وجهة نظر العلم العسكرى — عنصران من أهم عناصر الاستراتيجية العسكرية وخاصة فى العمليات الهجومية .. وهذان العنصران يعبر عنهما ( رباط الخيل ) من الآية الكريمة ، فالرباط هو الحراسة والاستعداد للقتال الفورى عند الخطر ، والخيل تعبير يشير الى السرعة وخفة الحركة والمباغتة ، وذلك ما يفهم أيضا من قول الله تعالى : « والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا » ( العاديات ١ — ٥ )

ففى هذه الآيات يقسم الله تعالى بخيل الجهاد المسرعات التى يسمع لأنفاسها صوت هو الضبح من شدة الجرى ، ويتطاير الشرر من تحت حوافرها من شدة قدحها للأرض الحجرية والتى يهجم بها فرسانها على العدو فى وقت الصباح فتدخل وسط جمع الأعداء فتشتته ، وتنطوى الآيات على تنبيه المؤمنين ليكونوا دائما على أهبة الاستعداد فيما بهم من تحدثه نفسه باضعافهم ، وقد فهم بعض المفسرين المحدثين معنى أوسع من الخيل وهو كل ما يعدو ويغير ويثير الغبار ويرسل الشرر .

---

(١) العقيدة العسكرية اصطلاح عسكرى Military Doctrine يعنى السياسة العسكرية المرسومة التى تعبر عن وجهات النظر الرسمية للدولة فيما يتصل بالمسائل الأساسية للصراع المسلح وما يتعلق بطبيعة الحرب وغاياتها ( من وجهة نظرها ) وطرق ادارتها وأسس اعداد البلاد والقوات المسلحة للحرب . وتحدد العقيدة العسكرية على أعلى مستوى فى الدولة أى بمعرفة القيادة السياسية والعسكرية العليا لتحقيق الأهداف والغايات القومية العليا .

وهـكذا يتضافر عنصرا الحركة والمفاجأة مع عنصر القوة لانجـاح العمليات الهجومية ، وتتجلى العبقرية العسكرية فى استغلال هذين العنصرين بحيث يؤثر كل منهما على الآخـر يمهد له طريق العمل ويدعمه :

- فالحركة تولد المفاجأة .
- والمفاجأة بدورها تمنح قـوة دفع للحركة وتمهد لها الطريق للتغلب على العدو بسرعة وفاعلية ..

**محمد جمال الدين**

---

**صوت الحق يرتفع فى شركة مصر للطـيران :**

توضيحا لموقف الطيـارين بخصوص حمـل الخمور على طائرات شركة مصر للطيران نؤكد ايماننا كطيارين بما أرساه السيد الرئيس من مبادىء سـيادة القـانون ودولة العـلم والايمـان .

وانطلاقا من هذه المبادىء ، ومن ايماننا بالتخصص الذى هو سـمة العصر . فاننا نؤكد اننا ملتزمون بمـا جاء بكتاب فضيلة الامام الاكبر شـيخ الأزهر الى السيد رئيس مجلس الادارة ، ويتضـح منه أن الطيـارين والمضـيفين يعتبرون مسئولين شرعا عن حمل الخمر على الطائرة ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وبما ان هذا الكتاب هو الوثيقة الوحيدة الموجودة طرفنا ، والصادرة من جهة لها كل الاحترام والاجلال فى نفوسنا جميعا فعلينا الالتزام بما جاء به ، وتود رابطـة الطيارين أن تشيد بروح الزمالة التى تجلت فى موقف اعضائها من الأخوة المسيحيين الذين رفضـوا حمـل الخمـور على طائراتهم مشاركة منهم لشعور زملائهم .

عن رابطـة الطيارين

**طيار / مصطفى رفعت الشقنقيرى**

مع أدب القرآن :

# اشتروا الضلالة

لفضيلة الدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٦ —

هؤلاء المنافقون الذين تأرجحت بهم الارادة ، وتذبذبت بهم الطباع ، ولعبت بهم الأهواء ، وعبثت بهم الشياطين ، فلم يستطيعوا أن يلتزموا حدا ، أو تقف بهم أقدامهم على أرض صلبة لا تهتز تحتهم ، أو تميد بهم ، اذ كانوا على أحوال متباينة ، وأشكال متناقضة ، يتابعهم الخزى ، ويلاحقهم العار ، ويفضح أمورهم التلون الذى لا يقربهم على عقيدة ، ولا يثبت بهم عند حقيقة واحدة ، من حق الانسانية أن تعاملهم بمقتضاها ، أو تحاسبهم عليها ، يصفهم الله سبحانه بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى ، وهو صنيع يدل على الحمق ، وينبىء عن السفه ، ويوحى بالطيش ، ويخفى وراءه ما كانوا عليه من قلة التمييز ، وعدم الادراك ، وخطل الرأى ، وخطأ الفهم ، وأن آدميتهم الرخيصة نزلت بهم الى مصاف العجماوات التى فقدت خواص الترجيح والاختيار والميل الى جانب الخير من الأشياء ، لأن العاقل لا يشترى الا ما ينفعه ، ولا يطلب الا ما كان فيه صلاحه وفلاحه ، وغنمه وخيره ، أما اذا انحدر به طبعه ، وجمحت به نفسه ، وأسفت به غايته ، وخانه ذوقه وعقله ، وضميره ووعيه ، وتفكيره ورأيه ، وآثر جانب الشر على جانب الخير ، وناحية الهلاك على ناحية السلامة والنجاة ، فذلك من المرضى من غير شك ، وهذا المريض أو هؤلاء المرضى الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، يحملون وحدهم وزر ضلالهم ، وجريمة انحرافهم ، وسوء مصيرهم لأن الله جل وعلا لم يتركهم سدى ، ولم يخلقهم هملا ، ولم يجردهم من وسائل الهداية ، ولم يحل بينهم وبين أسباب النجاة

والفوز .. ولهذا يصور أحوالهم المتخبطة ، وشئونهم المتضاربة ، فى أمثلة من الحمق والسفه تجعلهم أحقر من لا شيء — كما يقولون — فهم أمام النار التى قد أضاءت لهم مواضع أقدامهم ، ومسالك أمورهم ، ومسارب عيشهم ، وسبل الخير الذى كان من حق الناس أن يبتغوه ، ومن شأن الآدميين أن يطلبوه « فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون » وما كان بهم من عمى ينحرف بهم عن السبيل، أو يجعلهم يضلون الطريق ، وانما هو العناد والطيش ، والصدود والاعراض ، وعدم استعمال قواهم المدركة ، وبصائرهم النافذة، وعقولهم المميزة ، وافكارهم المرجحة، وأفئدتهم الدالة ، كأنهم كانوا قد فقدوا الوسائل وهنالك استحالت عليهم الغاية ، وليس هنالك أبلغ فى معنى الطيش والحمق ، والسفه والنزق ، من أن تتهيأ للرجل الوسيلة ثم لا يجعلها سبيلا الى غايته،أوطريقا الى هدفه ، أو سلما الى غرضه .. ويقول المتنبى :

ولم أر فى عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام

وقد كانت القدرة على التمام موفورة لهؤلاء . والنار التى استوقدوها هى العقل الذى أودعه الله فى الانسان أو القرآن الذىأنزله الله على رسوله يدعوهم به الى الهداية ، ويناديهم الى الصواب ، ويقودهم الى الحق ، ويرشدهم الى الصراط المستقيم ، لكن اعراضهم وعنادهم ونفورهم وعدم استعدادهم للاصاخة والتلقى بوأهم لعنة الله ، وغضب رسوله ..

والمثل الثانى الذى صور القرآن به حالهم الحقيرة ، وموقفهم الذليل، وصنيعهم المرذول ، ورأيهم الآفن هو قوله تبارك وتعالى: «أو كصيب» والصيب المطر المنحدر من السماء دون هوادة أو انقطاع . وهوالذى يحيى به الأرض من بعد موتها ، وشبهت به هذه الشريعة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد، ولا يشك عاقل حصيف فى أن للقرآن تلك الخصائص لانه

دستور الحياة وقانون السماء ونظام العمران ،ودليل الخير ، وعنوان السعادة ، وبشير اليمن ، ورصيد الهداية ، ومعلم الانسانية ، لا ينشد أحد أسلوبا للبر،ولا طريقا للرشاد ، ولا سبيلا للنجاح،ولا دربا يوصل الى أنبل الغايات ، الا وجده دالا عليه،وموجها اليه،ومبينا له ..

وربما كان المقصود من الظلمات والرعد والبرق التى كانت تشيع الرعب فى نفوسهم ، والقلق فى أفئدتهم ، والفزع فى ضمائرهم ، الى الحد الذى كانوا معه «يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت » هو ما كان يتضمنه من وعيدهم بالمصير الذى يترقبهم ، والنهاية التى تنتظرهم ، والعاقبة التى تلاحقهم ، وقد كانوا لتذوقهم بلاغته ، وادراكهم للحد الذى يصل اليه من التأثير والروعة يشعرون كأن جهنم تفتح فاها لتبتلعهم ، وأن عذاب الله يناديهم ، وأن الجحيم يحيط بهم من أيمانهم وشمائلهم وفوق رؤوسهم وتحت أرجلهم، وكانوا هكذا من غير وعى ولا ادراك يخرجون عن وقارهم ، ويغيب عنهم تماسك أجزائهم ، وتناسق أعضائهم ، فيأخذهم الفزع والهلع كأنما هى أمام الأمر الواقع « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت »

وعلى الرغم من أن هذه الحالة عنوان على فقدان الوعى ، وذهاب الادراك، وحيرة العقل ، فان الله لم يفقدهم هذه المعانى ، ولم يجردهم تجريدا بحتا من تلك القوى ، وقد كان هذا البرق الذى يضىء لهم يملأ يقينهم بأنهم وقد مشوا فيه سلكوا الجادة ، واهتدوا الى الغاية ، واتجهوا الى الحق ، فاذا أظلم عليهم قاموا ، ولا يضارع هذه الحيرة بين الاقدام والاحجام ، والمضى والعودة ، والاطمئنان والاضطراب ، والسكون والقلق ، الا هذه الصورة التى تجىء بها الآية:«كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا » ويعرف لها قدرها من الايلام أو العذاب هذا الذى يسير فى مغارة مظلمة لا دليل

له يرشده ، ولا أنيس معه يسلبه ، وهو مع هذه الحال التى يسيطر عليها الذعر والخوف ، يبدو له الضياء فيمشى ، ويفارقه فيقف ، ولو أنه فقد هذا الضياء الذى يلوح له تارة بعد أخرى لكان ذلك راحة له ، لأنه يقطع أمله فى المضى ، ويجعل له الحجة فى عدم مواصلة السير « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم » لكنه أراد وهى وسائل النجاة ، وأسباب الهداية ، أن تكون أسباب حيرتهم ، وعوامل قلقهم ، ودواعى شقاوتهم وايلامهم ، لأنهم حولوها عن الصراط السوى ، فجعلها حجة عليهم ، أو عدوا لدودا يناصبهم الشر ، أو يبيت لهم الكيد والأذى ، وهكذا كان الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز يضرب الأمثال للناس ارشادا لهم ، وتهذيبا لعقولهم ، وترقيقا لأفئدتهم ، وتوجيها لقلوبهم ، وتصحيحا لمسيرتهم ، ليختاروا سبيل الرشد ، وطريق الحق ، وجانب الخير ، وسعادة الدارين ، حين يستجيبون له ، وينزلون على ارادته ، ويؤمنون برسله ، الا أنهم كانوا يتمردون على الحق ، ويحاربون المنطق ، ويجادلون بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، ويقاومون الفطرة ، فى حين أن دعوة الله كانت دائما أبدا تؤيدها الفطرة ، ويؤازرها العقل ، ويواكبها المنطق ، ويساندها الحق ، والاعراض عنها لا تؤيده حجة ، ولا يقره صواب ، أو يعترف به رأى ولا ذوق .

**د/ ابراهيم على ابوالخشب**

# مجلة الأزهر والإسلام
## في التاريخ الحديث
### التحرير

في مجلة ( العربي ) العدد ( ٢١٣ ) أغسطس ١٩٧٦ مقال للأستاذ عباس محمود العقاد نقلته المجلة على أنه « من التراث الحديث » تحت عنوان «الاسلام في التاريخ الحديث» وهذا العنوان عنوان كتاب لمستشرق اسمه ( ولفريد كانتول سميث ) أستاذ الدراسات الاسلامية بجامعة ( مونتريال ) ومجلة الأزهر لا ترى بأسا في الاشارة الى هذا المقال وابراز ما جاء فيه عنها، لأن هذا المقال والكتاب الذي كان موضوعه مرآة المجلة تنظر فيه نفسها في العالم الغربي المعاصر .

أرخ العقاد لصاحب الكتاب وعلق على آرائه فقال عنه : انه أقام زمناً في لاهور بالباكستان ، وساح في بلاد الشرق الأوسط وبعض البلاد الاسلامية في القارتين الآسيوية والافريقية ، وتغلب عليه نزعة يسارية تتراءى من خلال تفسيراته المادية ولكنه يجامل الشعور الاسلامي مجاملة الرجل الذي ترتبط أعماله بالمسلمين من حين الى حين ، ويتجنب المسائل الشائكة من وراء المنازعات الطائفية أو السياسية مكتفيا من المعلومات بما يشبه الاحصاء ، والشواهد « الرسمية » وقال عن الكتاب انه اشتمل على فصول مسهبة عن الهند والباكستان وتركيا والبلاد العربية وبعض الأمم الاسلامية الأخرى بايجاز ، وأفرد جزءا من دراسته لمصر بالكلام عن (مجلة الأزهر) ورسالة العلماء على الاجمال . وينقل العقاد ملاحظات المستشرق المؤلف الذي ينفي عنه الخطأ فيها ، وان كان قد أحاطها بشيء من الاغراب يوهم القارىء

الأوربى أن هنـاك أمرا غير طبيعى فى « النفسـية » الاسـلامية عند المقابلة بينها وبين المؤثرات الدينية فى غير المسلمين . يقـول انه ما من دين استطاع أن يوحى الى المتدين به شعوراً بالقوة كالشعور الـذى يخـامر المسـلم فى غير تكلف ولا اصطناع ، وان الفخر بالعربيـة قد يمازج هذا الشعور أحيـانا فيعتبر المسلم العربى آداب المروءة قبـل الاسلام قدوة للأخـلاق والعـادات ويشترك العربى فى هذا الفخر ولو لم يكن من المسلمين ... كما صنـع جرجى زيدان وفيليب حتى وغيرهما من مؤرخى العرب المسيحيين . ولكن اعتزاز المسلم بدينه يعم المسلمين على اختلاف القومية واللغة ، وكـون الانسان مسلما باعث من بواعث الحمد تسمعه من جميع المسلمين .

وبين المسـلم المعاصر وسـائر المعاصرين من الغربيين فارق عميق فى النظر الى العالم والى المستقبل ؛ فان الأمريكى مثلا يواجه المستقبل بتجارب عصره ، ويغلب القيمة العملية الواقعية على قيم العاطفة والخيـال فى تقديره للأشياء وعلاقاته مع الناس ولكن المسلم على خلاف ذلك ينظر الى المستقبل ليقيمه على أساس من المـاضى المجدد ... وبعد أن وازن المؤلف بين العمل الاسلامى ونظرة التجديد عند المسـلمين المعاصرين أضـاف الى ذلك رأى ( جب ) المستشرق المشهور وهو أن مستقبل الاسلام فى هذه الحركة وغيرها من حركات الدفاع يستقر حيث استقر ماضيه بين أيدى حراسه وهم طائفة العلماء . ومن هنـا استطرد الى الكلام على مجلة الأزهر ، لأنها خط من خطوط هذا الدفاع يرسمه المعهد الاسلامى الذى يضـم اليه العدد الأكبر من علماء الاسلام . فماذا قال عنهم وعن مجلتهم ؟ قال ان هـذه المجلة ظهرت أولا باسم (نور الاسلام) وظهرت منها الأعداد الأولى بهـذا الاسم ، ثم سميت من عددها السادس باسم (مجلة الأزهر) ( ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠م) وأشرف على تحريرها العالم الأزهرى الشيخ الخضر حسين ، ثم أسندت رئاسة تحريرها الى المجدد العصرى الأستاذ محمد فريد وجدى ولم يزل يشرف على تحريرهـا الى سنة ١٩٥٤م ، وقد ذكر المؤلف أنه اتخذ المجلة موضـوعا لدراسـته

التى قدمها الى جامعة (برنستون)، سنة ١٩٤٨م باسم (مجلة الأزهر ــ عــرض ونقــد ) ولم ينقطــع عن مراجعتهــا بعــد ذلك الى حين اصداره الكتــاب الأخير باســم « الاسلام فى التاريخ الحــديث » ويقول الكاتب أنه لاينظر الىالآراء الخاصة التى تنشرها المجلة للعلماء ولغير العلماء الا من زاوية واحدة ، وهى الزاوية التى تشير الى اتجــاه عام يتقبله المسلمون كافة ، أوتتقبله جمهرة منهم على التعميم • ورأيه فى الاستاذ الخضر أنه يمثل المدرسة السلفية بمنهج الدفاع عن الاسلام وأن الأستاذ فريد وجدى مجــدد عصرى لاتزال طريقتــه فى التجديد على قواعد المعرفة الحديثة مقبولة عند أنصار التجديد، وانيكن بعض آرائه منظورة اليه اليوم كأنه تفكير فات أوانه وظهر بعده ما هو أوفق منه لزمنه • ولا اختلاف بينالاستاذ وجــدى وبين السلفيين أو المجددين المتأخرين فىرأى واحديتفقون عليه وهو أن العلم الحــديث لا ينقض حقائقالاسلام ــوأن القليل منهعند المتعلمين المتعجلين هو الذى يغريهم بالانصراف عن العقيدة الدينيــة ، ولكنهم لاينصرفونعنها بليزدادون ايمانا بها مع التوســع فى العــلم الحديث والتوسع فى العلم والدين.

ويقول صاحب الكتاب فى مقابلته بين منهــج الشــيخ الخضر ومنهج الاستاذوجدىأنأولهما يعتبرالاسلام وحيا تاما قد تنزل على صورتــه الكاملة منذ عصر الرسالة المحمدية فلا اضافة اليه ، ولا سيادة عليه ، ولا تحوير فيه ، وانما الايمــان بالاسلام هو الذى يحتمل القــوة والضعف كما يحتمل زيادة المعــرفة أو النقص فيها ، أو يحتمل المراجعة من عصــر الى عصــر لتفقد الآثار العصرية فيه • وليس الاستاذالخضر كما يرى المؤلف من أنصار الحنين الى المــاضى ، بل هو من أنصــار الدعوة التى لا زمان لهــا ؛ لأنهــا صالحة لكل زمان ، ومهما تتجــدد مذاهب المعــرفة ، فالمســلم يسلم أمره الى ارادة اللــه كلمــا هدته معــارفه الى فهــم تلك الارادة الالهية بالدرس أو الالهــام • وقد تساوى فى نظر الخضر كلا الطرفين من المسلمينفى الحاجة الى التصحيح والاصلاح،وهما ــ على تعبير المؤلف

ـ طرف اليسار من المتعلمين الذين جاوزوا حدود الاسلام ، وطرف اليمين من الجامدين وأتباع الطرق الصوفية الذين ضيفوا حدوده عليهم وان لم يجاوزوه ، أما الاستاذ وجدى فخطته فى الاصلاح تتجه قبل كل شىء الى احياء الشعور الروحانى فى ضمير الرجل العصرى ؛ لأنه يرى أن الفكرة المادية طغت على العقول فلم تسلم منها العقائد والأخلاق ، وان مشكلة الانسان العصرى مشكلة أخلاقية نفسية تستدعى من المصلح أن ينهض بمثله العليا فى معيشته الدينية والدنيوية معا ليعود بها الى حظيرة المثل الروحانية ، وهى الخليقة بعد ذلك أن ترده الى شعائر الدين ونصوص الكتاب والسنة النبوية .

ويعلق العقاد على هذا كله تعليقا عاما قائلا : وليس المقام يتسع هنا لشرح التعليقات التى عقب بها المؤلف على أحوال الاسلام فى الباكستان والهند ، والبلاد التركية ، والايرانية وسائر الأمم الاسلامية ، ولكن تعليقاته التى أجملناها عن مصر نموذج حسن للتعريف بمقصده من البحث وتقديره للحركات الاسلامية بين تلك الأمم : وزبدتها أن الحضارة الغربية قد أزعجت أمم الاسلام فنهضوا للدفاع عن عقيدتهم فى وجهها وشعروا بأنهم يعيشون فى عالم غير عالمهم معها ، وأنهم ليقبلون هذه الحضارة أو يرفضونها ، ولكن القليل منهم هو الذى يؤثر ترك الأسلام للسير مع الحضارة الأوربية فى ركابها . وانما يتفقون ـ معظمهم ـ على صبغ الحضارة بصبغتهم ونقلها الى عالم جديد لا ينفصلون فيه عن عالمهم القديم ولم يظهر بعد كيف يكون هذا العالم المنظور ولا كيف تكون العلاقة بينه وبين العالم العربى على اختلاف مناخه ؟ وكل ما هو واضح اليوم ـ ولا حاجة به الى المزيد من الايضاح ـ أن دعاة الحضارة الأوربية يفقدون عطف العالم الاسلامى اذا حاولوا أن يعاملوه غدا كما عاملوه أمس معاملة السيد العليم للجاهل التابع ؛ اذ لا سبيل الى التفاهم على غير أساس المساواة .

هكذا كانت دراسة هذا المستشرق لمستقبل العالم الاسلامى واتجاهه نحو المعاصرة فى ضوء ما شعت به مجلة الأزهر من اتجاه وآراء .

**اعداد : السيد حسن قرون**

# صوفيون فى رحاب الأزهر

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

**مكانة الأزهر العلمية والادبية :**

مرت على الأزهر حقبة من الزمن كان هو المنـارة الوحيدة للعلم فى الشرق ، والدرع الواقيـة للدين والملجأ الأمين لرجاله الذين توافدوا اليه من شتى الأقطار فرارا بدينهم من بطش الطغاة وجبروت الغزاة ، وجعـلوا منـه منبر ثورة وحصن مقاومة ومقر قيادة .

ومن قبل هذه الفترة كان الأزهر جامعة علمية شامخة منذ أنشأه المعز لدين الله الفاطمى قبل ألف عام من تاريخنا اليوم ، يتلقى الطلاب فيها علومهم ، ويحج اليها العلماء ينهلون من فيضـها ويقبسون من لألائهـا ويفيدون ويستفيدون ..

ومن بعد ذلك سار الأزهر على دربه يواصل رسالته فى صبر وأناة ، يتحدى العوائق ، يصبر على اللأواء حينا ويثور عليهـا حينا آخر حتى وصل الى ما وصل اليـه من تطور اتسعت فى ظلـه رسالته وتعـددت روافده ..

هـذا هـو الأزهر العتيد أقدم جامعة علمية عريقة فى العالم . تخرج فى أروقته الكثيرون الذين يستعصون على العـدو ويفوقون الحد ، ممن طبقت شهرتهم الآفاق دينا وعلمـا وورعا ..

وكما حفظ الأزهر للعـلم روعته حفظ للدين جوهره ، ولم تقف علومه عند حـد الفقـه والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة ، ولكنها تعدتها الى الطب والهندسـة والحسـاب والفلك ، والى جانب ذلك كان علم التصـوف فنا له أربابه يدرسـونه ويتحققون به ويتخلقون بأخلاقه .

**ازدهار التصوف فى رحاب الازهر :**

وقد ازدهر التصوف فى رحاب الأزهر أيما ازدهار ، فقد فهم العلماء الغاية منه ، فهموها على اعتبار أنه علم مقيد بالشريعة غير خارج عليها ، بل هو الذى يعنى بحقيقة الدين ولبه ، ولا يكمل الصوفى الا اذا كان على ميزان دقيق من الشرع ، يحكمه الورع وتحرسه الفضيلة وتلازمه التقوى .

فالصوفى — كما يقول السهروردى فى عوارف المعارف — « هو الذى يضع الأشياء فى مواضعها ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم ، يقيم الخلق مقامهم ، ويقيم أمر الحق مقامه ، ويستر ما ينبغى أن يستر ويظهر ما ينبغى أن يظهر — ويأتى بالأمور فى مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص » .

وكان علماء الأزهر لدراستهم الدينية ومعرفتهم بالأصول وفهمهم للكتاب والسنة أقرب الناس لمرمى التصوف وأهدافه ، وأولاهم بمعرفة آداب الدين التى هى أخص رسالة التصوف .

فالتصوف الصادق المستقيم — كما يقول الدكتور الشرباصى — فى دائرة معارف الشعب هو لب الاسلام وروحه وصفوة طريقته لأنه طريق الأولياء والصديقين والصالحين المحسنين الذين يقول فيهم القرآن الكريم : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» ويقول : «ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، وليس هناك تناقض لدى العلماء بين التصوف وعلماء الشرع ، يوضح ذلك الامام السيوطى بقوله : « وقد ظهر لى أن نسبة علم الحقيقة — أى التصوف — الى علم الشريعة كنسبة علم المعانى والبيان الى علم النحو ، فهو سره ومبنى عليه ، والحقيقة سر الشريعة ولبها الخالص كما أن المعانى والبيان سر النحو ولطائفه » وللامام الشعرانى عبارة تقرب من هذه وستأتى بعد .

ويؤكد هذا المعنى الامام الغزالى رضى الله عنه قائلا : وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة ، بل الحقيقة طافحة باصلاح القلوب بالمعارف والأحوال والعزوم والنيات ، فمعرفة أحكام الظواهر معرفة لجل الشرع ومعرفة أحكام الباطن معرفة لدق الشرع •

فاذا كانت علوم الشريعة تعنى بأحكام الظواهر فان علوم التصوف تعنى بأحكام البواطن • روى عن سفيان الثورى رضى الله عنه أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفى ما عرفت دقيق الرياء • وفيما نقلته دائرة المعارف الاسلامية بتحرير الشيخ مصطفى عبد الرازق ــ رحمه الله ــ قال سفيان: كتب منبه الى مكحول : انك امرؤ قد أصبت فيما ظهر من الاسلام شرفا فاطلب بما بطن من علم الاسلام عند الله محبة وزلفى •

بل لقد أصبح يطلق على التصوف علم الخلق لقيامه بشئون الأخلاق وعنايته بها ــ قال ابن القيم فى مدارج السالكين : واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم أن التصوف هو الخلق ، ويقول فى موضع آخر : ان هذا العلم مبنى على الارادة فهى أساسه ومجمع بنائه ، وهو يشتمل على تفاصيل أحكام الارادة وهى حركة القلب ولهذا سمى علم الباطن، كما أن علم الفقه يشتمل على تفاصيل أحكام الجوارح ولهذا سمى علم الظاهر ، وبذلك يتبين أن أول خطوات التصوف فى سبيل التكون العلمى كانت عبارة عن نشأة علم الأخلاق الاسلامى •

وعلى هذا فلا يكون الصوفى صوفيا حتى تزكو أعماله وتحسن أخلاقه ، وتصفو معاملته وربما أمكن تحقيق هذا الفهم من الأثر الوارد : الدين المعاملة •

كان لفهم رجال الأزهر دينهم ــ اذن ــ أثر كبير فى تصوف الكثيرين منهم حتى أصبح العديد من رجال التصوف المشهورين ينتمون الى الأزهر ويتخرجون فيه •

وربما كان منهج التصوف سلوكا عمليا لازما لطلابه فى الصدر الأول

بعد عهد الفاطميين ، حين أصبحت الدولة للأيوبيين فأشاعوا المذهب السنى وأبطلوا المذهب الشيعى ، وكان السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى صالحا متصوفا — والناس على دين ملوكهم كما يقال — فبنى الخوانق للفقراء ورسم عليها الأوقاف وأكرم الزهاد وقرب العلماء .

ولكن الأزهر — وان لم ينل عناية السلطان فى ذلك الوقت لأن السلطان كان حريصا على اخفاء كل أثر للفاطميين والأزهر فاطمى الا أن العلماء الذين سبق أن تخرجوا فيه واستظلوا بظله كانوا هم أنفسهم أساتذة المدارس التى أنشأها الأيوبيون وعلى هؤلاء العلماء تخرج تلاميذ هذه المدارس ، ولم يمنع ذلك أن أصبح هؤلاء التلاميذ يلوذون بالأزهر ويتخذ بعضهم من أروقته أماكن للعبادة ومنابر للتذكير ، ومن بين هؤلاء التلاميذ المبرزين الذين أصبحوا بدورهم علماء صوفيين عظماء نذكر منهم على سبيل المثال : عمر بن الفارض الشاعر الصوفى المشهور المتوفى سنة ٦٦٠ هـ ، وعبد الرحيم القنائى المتوفى عام ٥٩٢ هـ والسيد أحمد البدوى المتوفى سنة ٦٧٥ هـ والسخاوى المصرى صاحب التفسير المتوفى سنة ٦٤٣ هـ .

هؤلاء وغيرهم نشأوا بعيدا عن الأزهر ولكن عماد علمهم كان على يد علماء الأزهر الذين تولوا التدريس فى مختلف المدارس التى نشأت فى ظل هذه الدولة .. يقول المرحوم فضيلة الشيخ عبد الرحيم فوده فى كتاب مساجد ومعاهد : كانت هذه المدارس الكثيرة التى أنشئت من حول الأزهر امتدادا لعمله فى تنمية الثقافة العربية والاسلامية ؛ اذ ليس من السهل على أى باحث أن يرى هذه الحركة تنمو وتشتد وتزدهر وتثمر ثم يصدق مع ذلك أن الأزهر كان يعيش فى ظلام فكرى أو جمود عقلى ، وكل ما حدث هو توزيع أهله فى أماكن قريبة منه ، ولئن غاض ماء الأزهر فى بنائه فقد فاض فى أبنية أخرى ومعاهد أخرى ثم عادت اليه مكانته وزعامته . ثم يقول : ومعنى هذا أن هذا المسجد الجامع أصبح جامعة تموج بطوائف

مختلفة الجهات والأجناس ، فانه أصبح كذلك موئلا لأرباب الطرق الصوفية يقيمون فيه حلق الذكر ومجالس الوعظ .

والمتتبع لتاريخ العلماء الذين لمعت أسماؤهم فى هذا المهد يجد كل هذه الظواهر التى أشرنا اليها — فمثلا ابن الفارض الصوفى المشهور كان يقيم بالأزهر ، ووالده أبى أن يقبل وظيفة قاضى القضاة وآثر الانقطاع الى عبادة الله بقاعة الخطابة بالأزهر .

**من رجال التصوف فى الأزهر :**

ولا يجهل أحد مكانة ابن الفارض الذى أطلق عليه سلطان العاشقين .

وقد ولد فى مصر سنة ٥٧٦ هـ ونشأ بها فى ظل الدولة الأيوبية ، ورحل الى مكة وقضى بها خمسة عشر عاما عاد بعدها الى القاهرة حيث مكث بها حتى وافته منيته سنة ٦٣٢ هـ بعد أن بلغ فى العلوم الصوفية مبلغا كبيرا ، وقد ضمن خلاصة معرفته أشعاره التى سرت مسرى الشمس ووضع حولها الشراح كثيرا من الشروح والتعليقات وكان أهم أشعاره قصيدته المشهورة التائية الكبرى المسماة نظم السلوك .

ولو رحنا نعدد علماء الصوفية الذين تخرجوا فى الأزهر لأعيانا الحصر ، ولكنا نكتفى بالاشارة الى بعض المشهورين منهم فى مختلف مراحل الأزهر .. فمن هؤلاء :

**ابن عطاء الله السكندرى :**

واسمه بالكامل أحمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عطاء الله ولقبه تاج الدين ، وهو من أسرة علماء تعتز بالعلم وطلبه والحرص عليه ، وقد ولد ابن عطاء الله بالاسكندرية سنة ٦٥٨ هـ وفيها نشأ وتعلم فى معاهدها ، والتقى فيها بشيخه الصوفى أبى العباس المرسى رضى الله عنه ، ولزمه حتى أصبح علما من أعلام التصوف بارشاده ، فقد قال له : الزم يا أحمد فلئن لزمت لتصبحن مفتيا فى المذهبين .

وتحققت فراسة شيخه فيه فأفاض الله عليه من علمه ونوره وعلمه ما لم يكن يعلم .

وبعد وفاة شيخه المرسى سنة ٦٨٦ هـ رحل الى القاهرة حيث اشتغل بالتدريس فى الجامع الأزهر وظل كذلك حتى لقى ربه راضيا مرضيا سنة ٧٠٩ هـ ، وترك من بعده ثروة علمية صوفية رائعة ، يكفى أن يكون منها كتاب « الحكم » .

وقد ترجمت هذه الحكم الى مختلف اللغات نظرا لأهميتها الروحية وبلغت حدا كبيرا من الشهرة والروعة وشرحت شروحا مختلفة واحتفل بها الناس فى مختلف الأقطار واليك مقتطفات من هذه الحكم :

ـ اشتغالك بما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك .

ـ احالتك الأعمال الى وجود الفراغ من رعونات النفس .

ـ من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره .

وقد انتهت هذه الحكم الرائعة بصور من المناجاة الرائعة التى تدل على قرب من الله ومشاهدة لقيوميته ومعرفة به ، ومن ذلك قوله :

الهى أنا الفقير فى غناى فكيف لا أكون فقيرا فى فقرى ؟

الهى أنا الجاهل فى علمى فكيف لا أكون جهولا فى جهلى ؟

الهى عميت عين لا تراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا .

**الشعرانى :**

فاذا ما تخطينا القرون الى القرن العاشر الهجرى وجدنا الامام الشعرانى بقامته العلمية السامقة التى تطاول الجبال وتعنو لها الجباه وتثبت للأجيال مقدرة الرجال .

ولد الشعرانى بقرية قلقشندة فى سنة ٨٩٨ هـ ثم انتقل به أبوه الى ساقية أبى شعرة التى ينتسب اليها . نزح الى القاهرة سنة عشر وتسعمائة والتحق بالأزهر وقضى فى رحابه فترة من الزمن تلقى فيها العلم والمعرفة على يد شيخه على الشونى .

ثم سلك طريق التصوف جامعا بين علومه وعلوم الشريعة حتى بلغ

شأوا لا يلحق وأصبح قمة عالية من قمم التصوف لا سيما بعد أن التقى بشيخه على الخواص رضى الله عنه.

وللشعرانى مؤلفات عدة فى التصوف وغيره ومؤلفاته تقرب من ثلاثمائة مؤلف بعضها مبتكر ، وقد شهد له العلماء والمفكرون واعترف بفضله المستشرقون وأثنوا عليه ثناء مستطابا .

ومن أقواله عن علم التصوف : اعلم يا أخى رحمك الله أن علم التصوف عبارة عن علم انقدح فى قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسنة عنها ، نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حين عملوا بما علموه من أحكامها ، فالتصوف اذن انما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة اذا خلا من عمله العلل وحظوظ النفس ، كما أن علم المعانى والبيان زبدة علم النحو .. وقد أجمع القوم على أنه لا يصلح للتصدر فى طريق الله عز وجل الا من تبحر فى علم الشريعة وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها وتبحر فى لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها ...

وللشعرانى الفضل الأكبر فى محاولة التقريب بين مذاهب الفقهاء والأئمة ، وقد ضمن ذلك كتابه الميزان ، ومحاولة التقريب بين فقهاء الشريعة والحقيقة بكتابه كشف الغمة وهما كتابان جديران باهتمام العلماء الآن ..

**شمس الدين الديروطى :**

وقد ألف الشعرانى كتاب الطبقات الكبرى ، ذكر فيه كثيرا من شيوخه العلماء الذين تخرجوا فى الأزهر وبلغوا فى التصوف شأوا بعيدا من أمثال القطب الامام جلال الدين السيوطى صاحب المؤلفات النادرة القيمة والامام زكريا الأنصارى شارح حكم ابن عطاء الله السكندرى .

ومن أمثال الامام الصالح الورع الزاهد شمس الدين الديروطى الواعظ الذى يقول عنه :

كان فى الجامع الأزهر أيام السلطان قنصوه الغورى ، وكان

رضى الله عنه مهيبا عند الملوك والأمراء ومن دونهم ، زاهدا ورعا مجاهدا صائما قائما آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، وقد حضرت مجلس وعظه فى الجامع الأزهر مرات فرأيت مجلسه تفيض فيه العيون ، وكان اذا تكلم أنصتوا بأجمعهم ، وكان يحضر مجلسه أكابر الدولة ويقوم كل واحد منهم من مجلسه متخشعا صغيرا ذليلا .

ومن أمثلة عزة هذا الواعظ أنه حط مرة على السلطان الغورى فى ترك الجهاد وقال له بعد أن عنفه فى ترك رد السلام عليه حين ألقى السلام : لقد نسيت نعم الله عليك وقابلتها بالعصيان ، أما تذكر حين كنت نصرانيا ثم أسروك وباعوك من يد الى يد ثم من الله عليك بالحرية والاسلام ورقاك حتى صرت سلطانا على الخلق ؟

ثم ذكره بالموت والحساب حتى انزعج السلطان وحاول ترضيته وعرض عليه عشرة آلاف دينار يستعين بها على بناء برج دمياط ، ولكن الشيخ أبى قبولها وصمم على اصلاحه على نفقته الخاصة ، فلم ير أعز من الشيخ فى هذا المجلس ولا أذل من السلطان فيه .

وأنفق الشيخ على عمارة هذا البرج نحو أربعين ألف دينار لم يساعده فيها أحد وكان صاحب تجارة .. ومن مظاهر عزته أنه كان يرفض راتب وظيفة الفقهاء وينفر طلبته من أكل أموال الأوقاف وقبول الصدقة ويخبرهم ــ كما يقول أستاذنا الامام الأكبر فى كتابه عن ابن أدهم ــ أنها تسود قلوبهم ..

**عزة العلماء :**

والحديث عن عزة العلماء الصوفية يطول ، وقد صنعت لهم هذه العزة زعامتهم الشعبية الرائعة فى قلوب الجماهير حتى أرهبوا بذلك الغزاة والحكام الجائرين وأصبحوا يعملون للعلماء ألف حساب وحساب ويحاولون عن طريقهم تأليف قلوب الشعب ، ولكن هؤلاء العلماء كانوا عند حسن ظن شعوبهم فلم يستغلوا ذلك لجاه خاص أو اقتناص منصب

أو استيلاء على سلطة ومن أمثلة هذه العزة ما يرويه المرحوم الشيخ عبد الرحيم فودة فى كتاب مساجد ومعاهد عن أحد هؤلاء العلماء الصوفية ، وهو الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الحق السنباطى الذى قال عن داود باشا الذى صارت اليه ولاية مصر سنة ٩٤٥ هـ وقد مر بموكبه فى شعبان سنة ٩٥٠ :

انه رقيق ولا يجوز له أن يتولى الأحكام ، وأن أحكامه باطلة ما لم يحصل على عتقه •

وقد ثار الباشا لذلك وهم بالفتك بهولكن الجند تمردوا عليهوانحازوا للشيخ فما كان من الباشا الا أن كتب للسلطان بهذه الحادثة فأعتقه وطلب منه أن يشكر الشيخ ويترضاه ••

وأمثلة ذلك كثيرة فتاريخ الأزهر حافل بمثل هذه المواقف البطولية المستمدة من روح الدين الذى كان للتصوف أثر كبير فى تقويته ، فقد حرر التصوف الانسان من الخوف ووثق صلته بالله وعلمه أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وجعله على ثقة فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن ينفعوك بشىء ما نفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك ما ضروك الا بشىء قدكتبه الله عليك» •

**الشيخ حسن رضوان :**

واذا كان لنا أن نذكر من علماء الصوفية الذين سعد الأزهر بطلعتهم فى عصوره المتأخرة فلنذكر الشيخ حسن رضوان صاحب كتاب روض القلوب المستطاب • هذا الكتاب لم يترك صغيرة ولا كبيرة فى التصوف الا وأفاض فيها ببيان شاف وحديث واف وعبارة رائقة ، ومن العجيب أن يكون هذا الكتاب كله شعرا ، ومع ذلك فقد تمكن صاحبه أن يطوع الشعر لذلك العلم العميق الصعب ، وما هذا الا لبراعة فائقة ومقدرة نادرة وتمكن من ناصية اللغة وقوافى الشعر ولقد

كان الجانب الالهامى يسيطر على تأليف هذا الكتاب •

وقد ولد الشيخ حسن رضوان فى مدينة بيا سنة ١٢٣٩ هـ وهاجرت به أمه الى القاهرة بعد وفاة أبيه وألقته فى يم الأزهر وتخرج فيه صغيرا ، وبلغ مقام التدريس وهو ابن سبع عشرة سنة ، ثم تعرف على شيخه فى الطريق الشيخ خالد على ، حيث لزمه وأحسن ملازمته وكان بالنسبة له كابن عطاء الله بالنسبة الى المرسى ، حتى بلغ فى التصوف شأوا بعيدا ومنزلة لا تلحق ، وانتقل الى المنيا حيث أقام فى قرية اسمها : بردونة الأشراف من أعمال مركز بنى مزار وأنشأ فيها مدرسة توافد اليها الطلاب من شتى البقاع ، وكان يقوم بأودهم جميعا من مأكل ومشرب وملبس وتعليم ، ومازالت داره حتى الآن عامرة بالقرآن الكريم •

ولهذا الشيخ مؤلفات عدة غير الكتاب المشار اليه منها : رسالة فى شرح قوله صلى الله عليه وسلم : من بنى لله مسجدا •

والفتح المبين فى أحكام النون الساكنة والتنوين فى القراءات ، ونفحات فيض الرضوان فى الدلالة على سلوك طريق العرفان وغيرها••

وكان يقصده كبار العلماء للتلقى عنه والتبرك به ، ومن هؤلاء العلماء الأجلاء الذين عرفوا له قدره وزاروه مرارا فى مقره : الشيخ حسن الطويل والشيخ محمد البسيونى والشيخ محمد المغربى والشيخ محمد عبده والشيخ أحمد أبوخطوة والشيخ عبد الرحيم فودة رحمهم الله جميعا •

وبعد ، فهذه سطور يتسع الحديث فيها لكل باحث عن مكان التصوف والمتصوفة فى رحاب الأزهر المعمور ، الذى أراد الله أن يكون بنيانا شامخا للعلم والدين • نسأل الله عز وجل أن يصل حاضره بماضيه ويحفظه على الأيام ذخرا للعرفان ومنارا هاديا لأهل الصدق والاخلاص والمتحققين بالعبودية الدارجين فى مدارج الكمال •

**عبد الحفيظ فرغلى على القرنى**

# قراءات أهمتني

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

أما ما أكسبني هما وغما فذلك ما قرأته فى بعض الصحف اليومية التى تحفل صفحاتها بالقضايا الدينية فعن لبعضها أن يقتحم علم الحديث فيكتب حلقات بعنوان ثقافة حديثية. ولو كان الذى وضع كلمة ثقافة وأطلقها على المعلومات العامة وهو المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا فى السياسة الأسبوعية يعلم أنها ستطلق على علوم الحديث فى أدق فنونه وأعلى معارفه وأخصها لحدد حدودها وحجر على هذا التوسع العقيم المبتذل .

فقد جاء فى مقال لأحدهم تحت عنوان ( دفاع عن البخارى ) ما يعد فى حقيقته هجوما على البخارى واليك البيان قال :

١ ـ ان فى البخارى ثمانين رجلا من رواته ضعفوا .

٢ ـ ان فى البخارى عيوبا موضوعية فترى بابا تحته أحاديث كثيرة ومنها ما هو عنوان بدون حديث .

٣ ـ وأما الأحاديث فضعفوا نحو مائة حديث ما بين مقطوع أو موقوف أو شاذ .

أما بالنسبة للدعوى الأولى فان ما عيب على البخارى انما هو من حسناته لأن الذين أوخذ البخارى بسببهم كان من بعض الحاسدين له ولهم . ذلك أن أول من فتح باب الغلو فى اطالة اللسان بالمخالفين الخوارج فجاء قادتهم الى عامتهم من باب التكفير لتستحكم النفرة من غيرهم وتقوى رابطة عامتهم بهم ثم سرى هذا الداء الى غيرهم وأصبح غلاة كل فرقة تكفر غيرها وتفسقه أو تبدعه أو تضلله حتى قيض الله تعالى لهذه الأمة الامام

البخارى فقام فى وجه الغلاة فزيف آراءهم وعرف لخيار كل فرقة قدرهم وأقام لكل منهم ميزان أمثالهم ، فصدع بالرواية عنهم ولو كانوا ينتسبون الى الاعتزال أو الارجاء أو التشيع أو الخوارجية أو غير ذلك من أنواع الفرق ، ووضع شروطا لمن يروى عنه من أهل هذه الفرق .

١ ــ ألا يكون داعية الى نحلته أو مذهبه فى مبالغة تخرجه عن حد العدالة .

٢ ــ أن يكون اعتقاده لنفسه فى غير غلو يشين عنده ميزان عدالته ولو كان غير داعية .

٣ ــ أن تكون روايته لحديث لا يخدم معتقده ولا مقالته التى يعتنقها ولا مذهبه الذى يراه .

ومن هنا جاء فى كتابه الرواية عن بضعة وسبعين رجلا ممن لهم آراء لم يبال البخارى بطعن من طعن فيهم من أجلها بعد أن عدلهم وأوضح تاريخهم وعذره فى الرواية عنهم فى تاريخيه الكبير والصغير .

والحقيقة أن صنيع البخارى هذا من أعظم ما يرفع قدره فى الأئمة ويوضح حبه لحرية الرأى وعدم تعصبه لمذهب بعينه فخرج عن كل عالم صدوق ثبت من أى فرقة كان كعمران بن حطان وداود بن الحصين وأبى جعفر الطبرى واسماعيل بن أبى أويس ابن أخت مالك وحماد بن سلمة وخليفة بن خياط وسعيد بن أبى عروبة وأبى البخترى والقاضى شريك وعثمان بن غياث وعثمان بن فرقد وعطاء بن أبى مسلم الخراسانى ابن القائد العباسى المشهور وأبى نعيم وغندر ومحارب بن دثار ومعمر بن راشد وهشام بن عروة بن الزبير ووهب بن منبه وليس له فى البخارى سوى حديث واحد عن أخيه همام ثم يحيى بن أبى كثير وأبى بكر بن أبى موسى الأشعرى وغيرهم من الثقات والأثبات الذين عابوا عليه الرواية عنهم . وذلك لأن البخارى يرى أن كل مجتهد مأجور أخطأ أم أصاب ، وقد أجمع العلماء على أنه تعرف ثقة الراوى بالتنصيص عليه من راويه أو ذكره فى تاريخ الثقات

أو تخريج أحد الشيخين أعنى البخارى ومسلما له فى الصحيح قالوا : وان تكلم فى بعض من خرج له فلا يلتفت اليه •

فعرف بذلك تعديل رجال البخارى فقد عرف أولو العلم قدرهم وسن هو للناس طرق التعصب والتحزب والتصافح على الأخوة الايمانية وتبادل الاراء والأفكار وسماع الحكم ومدارك الاستنباط من ذويها، ولذلك قالوا : من روى له البخارى فقد اجتاز القنطرة •

٢ — أما العيوب الموضوعية فهذه فى الحقيقة لا ترجع الى عيوب فى تنظيمه فى مادته وانما يرجع ذلك الى قصور فى درك فلسفة البخارى فى تنظيم كتابه فانه أحيانا يأتى على باب من الأبواب التى كثر فيها الخلاف ويرى الأحاديث الصحيحة الواردة فيها من الكثرة بحيث ترجح وجها من أوجه الخلاف بين الناس فيوردها ثم يأتى على باب من الأبواب التى كثر فيها الخلاف فلا يجد فيها حديثا صحيحا فيأتى بترجمة خالية من الأحاديث ليدل بذلك على أن هذا الرأى لم يصح عنده فيه حديث ، فيكون خلو الترجمة من دليل نبوى أعظم من أى مقال يكتب فى زيف ذلك الرأى •

٣ — بقى الزعم الكبير والفرية العظمى أنهم ضعفوا مائة حديث فى البخارى ، ولا أدرى من هم الذين ضعفوا ؟ وأين قابلهم الكاتب، ولا أجد فى كتب المسلمين هذا الرأى ولم يقل أحد من أهل الحديث ولا من أهل الفقه ولا من أهل الكلام هذا الاحصاء العجيب اللهم الا كتاب رددنا عليه بالتفصيل وفندناه بالتحليل وأثبتنا وهمه وخطل رأيه فى أعداد مجلة الأزهر السابقة وأوضحنا خطأ من يرى رأيه ولو كان ممن يشار اليه بالنواصى والابهام •

٤ — ثم بقى الزعم بأن البخارى فيه موقوفات ومثل هذا مثل من يقول : ان سيبويه أدخل كان وأخواتها على الجملة الاسمية فرفع اسمها ونصب خبرها فهل يعاب على

البخارى أن يورد أقوالا للصحابة أو التابعين أو الأئمة أو غيرهم،وهل زعم أحد بأن الموقوف يعد المرفوع أليس من تمام الاستيعاب وكمال التقصى أن يكون للرأى مؤيدون من الصحابة أو معارضون وهو أمر منبث فى كتب السنة جميعا ومنها عرفنا مذاهب الصحابة والتابعين وبما قالوا به وأخذوا من أحكام الفروع . والقرآن وهو كلام الله تعالى روى الله تعالى فيه عن لقمان وهو يعظ ابنه وعن نوح وما قال لقومه وشعيب ولوط وما كان بين مريم والروح ولم يقل أحد أن القرآن خالف نهجه فى رواية كلام غير كلام الله تعالى .

أما القول بأن البخارى فيه منقطعات فتلك فرية لو علم الكاتب شروط البخارى فى ألا يثبت فى كتابه الا عمن ثبتت صحبته لمن يروى عنه وطالت صحبته لعرف أنه يستحيل أن يأتى فيه منقطعات.

أما القول بأن فيه الشاذ فتلك لعمرى قاصمة الظهر وقبل أن تدفع هذه التهمة نحب أن نبصر الكاتب بأن الشاذ هو المخالف للمحفوظ فأى كتاب تحت أديم السماء يروى حديثا محفوظا يخالف حديثا شاذا فى البخارى ، والقاعدة أن كل ما خالف البخارى قدم البخارى عليه لأن كل ما فيه محفوظ وكل ما خالفه فهو بين مرجوح أو شاذ أو منكر .

أما الغريب فلا ننكر أن فى البخارى كثيرا منه وليس الغريب من الضعيف وانما هو الذى روى من طريق الفرد المطلق كحديث «انما الأعمال بالنيات» فانه غريب من طرفه الأول اذ لم يروه عن النبى صلى الله عليه وسلم الا عمر بن الخطاب ولم يروه عن عمر الا علقمة بن وقاص الليثى ولم يروه عن علقمة الا محمد بن ابراهيم التيمى ولم يروه عن محمد التيمى الا يحيى بن سعيد الأنصارى ، ومع ذلك فقد قال العلماء وعلى رأسهم الامام الشافعى رضى الله عنه ان هذا الحديث ثلث العلم .

ونسأل الله أن يبصرنا بنور السنة وأن يجنبنا الزلل .

**محمد نجيب المطيعى**

# فيم يفكر الشباب

إعداد وتقديم : الدكتور عبد الودود شلبي

— ٢ —

**السؤال الاول :**

(ا) هل لليهود لغة خاصة بهم ؟

(ب) وهل صحيح أن الأرض التى يقيمون فيها ليست أرضهم ؟

(ج) واذا كان الأمر كذلك فكيف حصلوا عليها ؟

محمد سعيد على
طالب عمانى

بهجت عبد العزيز
فرانكفورت — ألمانيا الاتحادية

**السؤال الثانى :**

ما أصل الشريف ؟ وكيف يكون المرأ شريفا ؟

من أولاد النبى والحال أن أغلبية أولاده ماتوا قبل الزواج ؟

**عبد العزيز طه احمد / موظف :**
**خالد عبد العزيز / طالب :**

**الاجابة على السؤال الأول :**

(أ) نعم هناك لغة خاصة باليهود وهى اللغة العبرية التى يحاولون احياءها بشتى الوسائل كرباط ثقافى تلتزم به الجماعات اليهودية فى مختلف بلاد العالم وقد لعبت الحركة الصهيونية دورا هاما فى احياء هذه اللغة لاختلاف وجهات النظر بين المحافظين الذين كانوا يحتجون بأن استعمال اللغة العبرية التى نزلت بها التوراة كفر ما بعده كفر — وبين أساتذة المدارس الذين كانوا يطالبون بضرورة احياء اللغة العبرية كلغة قومية •

ولما كان المهاجرون اليهود قد نزحوا الى فلسطين من جميع أنحاء العالم وكانوا يتكلمون بلغات البلاد التى قدموا منها فقد تعذر التفاهم بين هؤلاء المهاجرين لاختلاف

لهجاتهم ولغاتهم .ومن ثم استجابت الوكالة اليهودية لرغبة المطالبين بتعليم اللغة العبرية كوسيلة للتفاهم بين هؤلاء المهاجرين من كل قطر ودولة ..

(ب) أما أن الأرض التى يملكها اليهود فى فلسطين ليست أرضهم فهذا من الحقائق التاريخية الثابتة، لذلك ... كان من الضرورى أن نشير الى الأصل التاريخى لهذه القضية حتى نلم بأطراف الموضوع من كل ناحية ، وحتى يعرف الأخ السائل جناية الاستعمار والصهيونية على حقوق العرب الشرعية فقد ظهرت البذور الأولى للقضية الفلسطينية فى أواخر القرن التاسع عشر اثر حملات الابادة والكراهية التى كانت تثار ضد اليهود فى دول أوربا . فقام رجل يهودى يدعى « هرتزل » بالدعوة الى انشاء وطن قومى يجمع اليهود المشتتين فى كل ناحية ، ولم يشأ هرتزل أن يحدد لهذا الوطن بقعة معينة بل ترك ذلك للرأى العام اليهودى فى أول مؤتمر يعقد لدراسة هذه القضية فلما تقرر عقد هذا المؤتمر فى منتصف عام ١٨٩٧ بمدينة «بال» فى سويسرا ، واجتمع ممثلو اليهود للمرة الأولى منذ ثمانية عشر قرنا حول مائدة واحدة ، اتجهت أنظار اليهود الى فلسطين كأفضل مكان لتحقيق هذه الفكرة ، وسميت هذه الحركة بالحركة الصهيونية نسبة الى جبل صهيون القائم فى الديار المقدسة ، ولما كانت فلسطين تابعة ـ فى هذا الوقت ـ للدولة العثمانية فقد حاول اليهود اتهاز الضائقة المالية التى كانت تمر بها هذه الدولة ، فتوجه « هرتزل » الى تركيا لمقابلة السلطان عبد الحميد وعرض عليه مساعدة اليهود المادية ودفع اتاوة سنوية معينة لقاء حصولهم على وعد بانشاء وطن قومى لهم فى البلاد الفلسطينية ، الا أن جهود هرتزل ذهبت أدراج الرياح حين رفض السلطان اعطاءهم هذا الوعد واكتفى بمنح اليهود حرية الاقامة فى الأناضول والعراق وسوريا دون فلسطين ..

وحينما شبت نيران الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ دخل الأتراك هذه الحرب بجوار المانيا

والنمسا ضد انجلترا وفرنسا ، فانتهز اليهود هذه الفرصة وكونوا منهم بعض الكتائب لتقاتل فى صفوف الحلفاء من الانجليز والفرنسيين ، حتى اذا خسرت المانيا الحرب ، وزحفت قوات الحلفاء بقيادة اللنبى على فلسطين ، لم تمض سنة واحدة حتى كانت الأراضى الفلسطينية وما وراء نهر الأردن قد ضاعت من أيدى الأتراك بعد حكم دام ثلاثة قرون ..

وتعرضت بريطانيا بعد ذلك لأزمة شديدة بسبب ضعف انتاج مادة الأستيون اللازمة لصنع المواد المتفجرة . فانتهزت الحركة الصهيونية هذه الفرصة وذهب رجل منهم يدعى « حاييم ويزمان » الى وزارة الحربية البريطانية يعرض عليها انتاج هذه المادة ، حتى اذا كللت تجاربه بالنجاح ، وأرادت الحكومة البريطانية مكافأته قال أنا لا أريد حاجة لنفسى ، أريد أن تعملوا شيئا من أجل شعبى أريد أن يكون لليهود وطن قومى فى فلسطين ..

وفى غمرة الانتصار الذى كسبته بريطانيا بالدهاء والخيانة نسيت العهود والمواثيق التى أعطتها للعرب وهم يقاتلون فى صفوف جيوشها ضد أبناء دينهم العثمانيين ، فاستجابت للحركة الصهيونية باصدار تصريح بلفور المشئوم وفيه تتعهد بريطانيا بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وكان عدد اليهود المقيمين فى فلسطين فى هذه الفترة لا يزيدون على ٧٪ من مجموع السكان الأصليين ، وكانوا يملكون من الأرض ما لا يزيد على ٦٪ والباقى فى أيدى العرب أصحاب البلاد الحقيقيين

(جـ) أما كيف تم لليهود امتلاك فلسطين ، وكيف انتزعوا أرضها من العرب بعد حين ، فان مسئولية هذه الجريمة تقع على بريطانيا التى مكنت لليهود بالقوة والغدر والتقتيل . فقد فتحت أمام اليهود أبواب الهجرة . ومنحتهم الأراضى الشاسعة فى كل مدينة وقرية ، وخصت اليهود بأكثر وظائف الدولة ، ثم حرمت العرب من

حقوقهم الشرعية المكتسبة وأغلقت فى وجوههم أبواب الوظائف، وضاعفت عليهم الضرائب ، وضيقت على الفلاحين سبل الزراعة ليتخلصوا من الأرض ، ثم جردتهم من السلاح فى الوقت الذى بدأ اليهود يكونون فيه جيشا خاصا بهم . فلما ثار العرب لرد هذا الخطر الداهم ، دمرت قراهم ومدنهم ، وقتل نساؤهم وأطفالهم ، وشنق زعماؤهم وقوادهم ، حتى اذا انتهت الحرب العالمية الثانية ، واستكمل اليهود كل ما يتصل بقيام دولة أعلنت بريطانيا فجأة أنها ستنسحب فوثب اليهود المسلحون على العرب وارتكبوا معهم أبشع وسائل التقتيل والنهب . وفى هذا يقول المؤرخ الانجليزى المعاصر « أرنولد توينبى » : ان الحكومة البريطانية مسئولة عن كارثة فلسطين وقد أوجدتها بعمد وتدبير ..

**الاجابة على السؤال الثانى :**

الشرف فى الأصل معناه الحسب والجاه ..

« فالشريف » بهذا المعنى هو الرجل المنسوب الى الحسب والجاه وقوة النفوذ والسلطان .. ولهذا كانت المجتمعات حتى منتصف القرن التاسع عشر طبقات ... طبقة الأشراف ــ وطبقات أخرى من العمال . والفلاحين . والارقاء ..

هذا من حيث المعنى الأصلى لهذه الكلمة ..

الا أن « الشريف » فى مجتمعنا الاسلامى يطلق عادة على الرجل الذى ينتهى نسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ من أولاد فاطمة الزهراء رضى الله عنها ...

* * *

فاذا كان الرجل شريفا بهذا المعنى فلابد أن يكون متحليا بالصفات الطيبة . والخلال الحميدة والتزام الطاعة والتقوى ... والا فان هذا الشرف لا يغنى عنه من الله شيئا ..

يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لفاطمة :

اعملى . . فانى لا أغنى عنك من الله شيئا ..

وحين سرقت امـرأة من قريش أراد بعض الناس أن يتوسطوا لها عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى لا يقيم عليها الحد ويقطع يدها .. فغضـب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ذلك وقال :

« انما أهلك من كان قبلـكم : انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف قطعوه »

ويرفض النبى ـ صلى الله عليه وسـلم ـ أن يعطى لأهـله بعض الامتيازات حين جاؤا يطلبون منه ذلك ويقول : « لا يجيئنى النـاس بالأعمال وتجيئوننى بالأنساب » .

انما كل واحد وعمله ، وشرف الرجل فى تقواه لا فى نسبه ..

فاذا اجتمع بعـد ذلك للرجـل شرف العمـل والتقـوى ، وشرف النسب والقرابة فذلك غاية ما يطمح اليه انسان فى هذه الدنيا ..

* * *

فاذا قيل بعد ذلك كيف يكون الرجل « شريفا » من أحفاد النبى والحال أن أغلبية أولاده ماتوا قبل الزواج ؟

فالجواب عن هذا :

ان أولاد البنت يعتبرون من ذرية الرجل وأولاده .

وقد ذهب رسول الله ـ صلى الله عليـه وسـلم ـ للصـلاة فى المسجد فصلى . حتى اذا سـجد جاء الحسـين ابن فاطمـة رضى الله عنهما وهو طفل فركبه ، فبقى النبى ساجدا حتى نزل الحسين من فوقه. فلما رفع وسـلم قال الصـحابة : ظننا أن قد حدث لك شىء ..

فقال النبى :

ان ابنى ارتحلنى فكـرهت أن أنزله حتى ينزل فسمى الحسين ابنه وهو كما نعرف ولد فاطمة الزهراء رضى الله عنها ..

والقرآن الكريم يقرر هذا :

فقد حدث أن بعض الناس انكر أن يكون أولاد فاطمـة من ذرية النبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ

والذرية انما تكون من ولد الابن لا من ولد البنت ..

فأجيب :

بأن أولاد البنت كأولاد الابن من غير فارق كما جاء بذلك القرآن عند الحديث عن ابراهيم عليه السلام وذريته فى سورة الأنعام آية ٨٤ ، ٨٥

يقول الله تعالى :

« ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين » .

فالآية تقرر أن عيسى عليه السلام من ذرية ابراهيم والثابت أنه ولد من غير أب كما هو معروف فى كل الدنيا الا أن أمه البتول الطاهرة من ذرية ابراهيم ، فاعتبر ولدها كذلك فى النسبة الى هذه الذرية .

* * *

د/ عبد الودود شلبى

# حسان الهند غلام على آزاد

للدكتور عبد المقصود محمد شلقامى

في العدد السابق كانت لنا جولة مع الشاعر حيث تحدثنا عن أصله ونشأته وشخصيته وأعماله ولقبه الشعرى « حسان الهند » وطرف من علاقاته مع العلماء والأدباء من عرب وهنود ، وهانحن على الدرب نواصل هذا الحديث .

— ٢ —

**اغراض شعره :**

قال آزاد الشعر فى أربعة أغراض رئيسية هى حسب الترتيب فى الكثرة : الغزل ، والمدح ، والرثاء ، والتقريظ ، وهناك أغراض أخرى كالوصف والطبيعة وشعر الحكم والأمثال جاءت فى درج أغراض عامة ، أما الغزل والمدح فيكادان يستأثران بانتاجه لذلك رأينا أن نتكلم عن كل منهما تحت عنوان مستقل وقد تركنا التقريظ لقلته من ناحية وكونه داخلا فى غرض المديح من ناحية أخرى .

والرثاء عند آزاد من النوع المتفجع فاذا رثى بكى وناح وفقد الصبر ونسى التأسى وكأنما الدنيا قد تخربت والفلك قد انتثر نظامه وتهاوت كواكبه كما يقول فى رثاء السيد طفيل محمد :

والدهر مد يد العدوان حيث طوى
بساط عافيتى طى الطوامير

فصار مولاى روح الكون مرتحلا
وزلزل الحزن أركان الدهارير

اذا تذكرت أيامى به هملت
عيناى كالسحب البيض المقاطير

ضاقت على الطباق السبع واضطرمت
بمارج من عذاب كالتنانير

لا يرتجى الصبر منى فى مصيبته
اذ حزنه جل عن حصر المقادير

**فى المديح النبوى :**

لما كان آزاد من أسرة تنتمى الى البيت النبوى وتقوم حياتها على الدين وخدمته ويتربى أبناؤها على مبادئه منذ نعومة أظفارهم فقد مدح آزاد رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبا منه الشفاعة والقبول كما فعل غيره من الشعراء ، ولعل بعد موطنه وتأثير ثقافته قد أججتا فيه عاصفة الحب والاعجاب ففاض قلمه بهذا المديح . يقول :

آزاد عبد عتيق من سلالته
لكنه فى ارسال الحب مجبول

وهذا المدح فى رأيه عبادة وقربى:

لله وصف الذى فاقت خلائقه
يفوح عرف البشام الرطب من قالى

ما أحسن المنطق الموزون أحسبه
يوم الموازين من أخيار أثقال

وأهم عمل يتقدم به الشعراء هو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

حصلت بالمدح الكريم سعادة
هذا أخص عبادة الشعراء

توصيف غيرك بعد مدحك مشبه
بيتا تضمن وصمة الاقواء

**منهجه فى المديح :**

اتخذ آزاد كعب بن زهير أستاذا له حيث يقول :

نسجت كابن زهير برد مدحته
لقد غدا قلم الأستاذ منوالى

وتتجلى تبعيته لكعب فى طريقة الافتتاح كما كان يفعل الجاهليون واختصار المديح وتضمين بعض ألفاظه ورغم أن آزاد مكثر فى المديح فقد جاء مديحه مختصرا مما جعل معظمه يكاد يكون متشابها ولو أنه مال الى البسط لكان أحسن ويعلل آزاد طريقة الاختصار هذه بقوله :

أوصافه من قبول الحصر آبية
ما طول مدحته أولى من القصر

كيف الموصف يقضى حق مدحته
يرى مزاياه فوق الأنجم الزهر

يمشى يراعى وينوى قصر مدحته
قصر العبادة حكم الله فى السفر

**آزاد بين المادحين :**

اطلع آزاد على مدائح الفحول وأعجب بها غير أنه رغم تبعيته يدعى

أحيانا أنه يساويهم او يتفوق عليهم حيث يقول :

أثنى عليك فحول فاق ألسنهم
كلامهم فى مقام المدح ياصول (١)

لاضير ان كنت فى الاخوان منتقصا
يوم الوغى أحسن الأرماح مهزول

ورب ذى كبر يعلوه ذو صغر
لايبلغ الخال فى الاعجاب ثؤلول(٢)

واذا طالعنا دواوين المادحين علمنا أن آزاد يغالى بنفسه وبشعره فهاهو ذا البوصيرى يقول متواضعا :

عذرا اليك رسول الله من كلمى
ان الكريم لديه العذر مقبول

لم أنتحلها ولم أغصب معانيها
وغير مدحك مغصوب ومنحول

وما على قول كعب أن توازنه
فربما وازن الدر المثاقيل

ويتأدب شمس الدين النواجى قائلا:

روضة ابن زهير طاب مغرسها
فزهرها بندى كفيه مطلول

وان نسجت على منوال بردته
طراز مدح له بالدر تكليل

ان لم أفز بقبول فى متابعتى
بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

كما نلاحظ أن شوقى فى العصر الحديث قد تواضع كثيرا أمام البوصيرى وشهد له بالسبق والابداع رغم أنه فاقه فى بعض المواضع اجادة وشمولا حيث يقول :

الله يعلم أنى لا أعارضه
من ذا يعارض صوب العارض العرم

تناول آزاد فى قصائده المختلفة أحداث السيرة النبوية من قبل الميلاد الى الوفاة باحثا عن جانب العظمة مسجلا عواطفه طالبا الشفاعة وحسن القبول وسوف تتكلم هنا عن بعض المعانى التى تفرد بها أو اشترك فيها مع غيره .

يقول آزاد فى أصحاب الفيل :

أولو الأفيال قد ذاقوا المنايا
كأن أولاء ماتوا بالأرون (٣)

بل الغاوون صاروا مثل عصف
تغيره الحرارة فى البطون

---

(١) الياصول : الاصل الذى يقوم به الشىء .
(٢) الثؤلول : بروز فى الجسم لونه أسود.
(٣) الأرون : دماغ الفيل يقال ان آكله يموت فى الحال .

فان البيت الثانى يعطى تصويرا دقيقا لأصحاب الفيل بعد هلاكهم حيث تفتتت أجسامهم مختلطة بدمائهم فشبههم الشاعر بعلف فى بطون الحيوانات لم يتم تمثيله ،ولم يتفق لشاعر ـ فيما نعلم ـ أن انتبه الى هذا المعنى وانه ليعد ـ والله أعلم ـ أقرب تفسير لقوله تعالى : « فجعلهم كعصف مأكول » .

ويقول فى المعجزة :

نسيم اعجازه لو هب لابتسمت
موتى المقابر كالأكمام فى الكفن

أومى الى فلك الدنيا بأصبعه
فالبدر خر له خرا على الذقن

كأنه نصف التفاح فى طبق
أو درهما زائفا من خازن الزمن

فان صورة الموتى يبسمون من خلف أكفانهم بعيدة عن صورة الأكمام المتفتحة للحياة ولكنها المعجزة قد قربت بينهما وناسبت على غير العادة فجاء التعبير ملائما للمقام ، وتشبيه القمر المنشق بنصفى تفاحة أو بدرهم زائف قد كسر نصفين بعيد أيضا فذلك فى السماء وهذان فى الأرض ولا مناسبة بينهما سوى الشكل الخارجى وان الذهن ليقطع المسافة بينهما بعد جهد كبير ولكنه على كل حال يجد فى الجمع بينهما طرافة من ناحية واعجازا من أخرى ولا شك أن الذى يتحكم فى الحياة والموت ويقهر الفلك ويذلله لأمره جدير به أن يعظم ويذعن لأمره .

وشاعرنا فى بحثه عن العظمة يكثر من المعجزات ويتوسع فيها ويولد أحيانا من المعجزة الواحدة معجزتين .

يقول فى انشقاق القمر :

أشار فانشق صدر البدر مؤتمرا
والالتئام لعمرى خارق ثانى

وقوله فى عودة الشمس :

وقلت للشمس عودى وهى غائبة
فطاوعت أمرك العالى على رشد

كأنما دحرجت فى طسته كرة
فقهقرت ثم عادت عود مقتصد

فقد جعل انشقاق القمر معجزة وانشقاقه أخرى ، وكذلك رجوع

الشمس عن الغروب معجزة،وعودتها الى ما كانت عليه معجزة أخـرى ، ولم يلتفت أحد المـادحين ـ فيما نعلم ـ الى مثل هذا .

ويشـير آزاد الى ما روى أنه جيء بعلى بن أبى طالب فى غـزوة خيبر وقـد تورمت عيناه فمسحهما الرسـول صلى الله عليـه وسـلم فشفيتا بقوله :

طابت شقائق صارت نرجسا نضرا
لما شفيت مريض الطرف من رمد

وفى هذا يقول البوصيرى :

وعيون مررت بهـا وهى رمـد
فأرتهـا ما لـم تـر الزرقـاء

فقد امتاز آزاد على البوصيرى فى وصف المرض بعينى على ـ رضى الله عنـه ـ حيث شبههما بشقائق النعمان فى الحرة والتورم ثم يختلف الشـاعران فى وصف العيون بعد الشـفاء فينظـر آزاد الى الناحية الجمالية فيصفها بالنرجس وينظـر البوصـيرى الى قـوة الابصـار فيضعها فوق عينى الزرقاء .

ويقول آزاد فى الاسراء والمعراج :

سرى الى الفلك الأعلى فشرفه
لقـد أتم به نور الـكمالات

ويقول الامام البرعى ٤٥٠/١٠٥٨

والعـرش يهتز من تعظيمه طربا
اذ شرف العرش والكرسى مقدمه

فرغم عـدم الدقة فى قول آزاد سرى الى الفلك الأعلى فان فى بيته شمولا للملأ الأعلى وزيادة تشريف له بجعله يقتبس مزيدا من النور من صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم .

ويقول شاعرنا آزاد فى الزهد :

آوى اليه الفقر فقرا سـاذجا
ورمى النعال على جبال العسجد

ان قيمة الانسان فوق كل قيمة ولذا فان محمـدا صـلى الله عليه وسلم ذلك الانسان الكامل لايكترث لهذا الغـالى النفيس الذى يتهافت عليه النـاس فأى صـورة أقـوى بايحائها فى احتقار المـال من هذه الصورة التى يقذف فيها بالنعـال القديمة فوق جبال من ذلك النضار الغالى المتلألىء فى أشـعة الشمس

يبهر الأبصار ويذهب بالعقول وأى بيان لقيمته واجلاء لقدره أقوى من هـذه الصورة • نعم لقـد أحسن البوصيرى حيث يقول :

وراودته الجبـال الشم من ذهب
عن نفســه فأراهــا أيمـا شمم

مصورا المـال بامرأة تراود فتاها عن نفسه فيأبى فى شمم وعفة غير أن صورة امرأة آزاد عذراء لم يفترعها أحد من قبله أو يتسامى اليهـا أحد بعـده •

وفى عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول آزاد :

سكن الملائك فى حوائط بيتــه
مثـل الحمائم فى كوى الجدران

وقفوا كما تقف الشموع بسوحه
ودموعهم فى غايــة الهمـــلان

جلســوا على بسط الوقار تأدبا
نسى الجناح طريقــة الطـيران

فقد رسم الشاعر هنا ثلاث صور للملائكة ـ الأولى : صورة الحمائم تقف فى الكوى ساكنة ، والثانية : صورة الشموع تتساقط منها حبات سائلة شفافة تحت تأثير الحـرارة والثالثة : جماعة تجلس فى خشوع وابتهار ، وهـذه الصـور الثلاث تتشابك بظلالها وتتعاون بايحاءاتها لتكون صورة رائعــة لعظمة النبى صلى الله عليه وسلم •

ويقول آزاد فى شرعية القتال :

فى رمحـه المسموم آية حكمـه
كم من عظيم النفع أودع عقربا

وقد جاء هذا المعنى فى قول شوقى :

الحرب فى حق لديـك شريعة
ومن الســموم الناقعــات دواء

**وصف الأماكن المقدسة :**

أكثر شاعرنا فى وصف الأماكن المقدســة وتشــوق اليها وتمنى أن يقضى حياته فى ربوعها ويموت بهــا ليدفن فى ترابها •

يقول فى وصــف المدينة المنورة والمسجد النبوى :

روحى الفـداء لروضة قـدسية
مملوءة بلطــافة وصــفاء

بلغ المغارب والمشارق ضـوؤها
ترنو اليهــا الشمس كالحـرباء

ما أحسن القبر الذى فى حجره
خير البرية سيد البطحاء
طوبى لطيبة حيث ضم ضريحها
جسما تسنم فوق سبع سماء
ولها شبابيك بأحسن صنعة
صادت قلوبا من أهيل ولاء
هى فى جوانبها منافذ رحمة
أو أحدقت بنواظر العرفاء
بدت القناديل اللطاف وسقفه
مثل السماء وشهبها الغراء
لا بل قلوب مضرم فيها اللظى
علقت هنا بسلاسل الأهواء

* * *

لقد أبدع آزاد فى تصوير الرسول صلى الله علية وسلم بالرحمة تشع من داخل النوافذ والمؤمنون يتزاحمون حولها ويحدقون فيها ويتعلقون بها كما كان له سبق فى وصف سقف الروضة والمصابيح معلقة فيها بالسماء تزينها النجوم ثم أبدع حين ترقى به الخيال فأضرب عن تصوير المصابيح بالنجوم بجعلها قلوبا متحرقه مقيدة بسلاسل الهوى والهيام والحب فى ذاته ولذاته، ويقول فى قصيدة أخرى:

سوح المدينة ما أجل ترابها
تجد البصائر فيه فعل الاثمد
وغبارها المحسوس فوق هوائها
كحل اليقين لمقلة المتردد
نصب لمن ضل الطريق بسوحها
علم الهدى من اصبع المتشهد
أشجارها قامت على ساق الهدى
وظلالها مأوى الرجال السجد
أملاك أطباق السماء طيورها
وصفيرها ذكر الاله السرمد

* * *

فيضفى على المدينة جلالا وقدسية ويحرك فيها معانى العبادة والتدين ويؤلف من الأرض والهواء والشجر والظلال والأحياء صورة موحية ذات لحن أبدى يثير الشوق والهيام ويوحى بالوحدة والانسجام، ثم يزيد فى هذه الحيوية بالحوار الآتى :

قالت لطرفاء الفلاة حمامة
لم تمرحين وتفخرين فأرشدى
قالت لها أو ما ترين مكانتى
قد كان منا منبر لمحمد

* * *

ولو أن شاعرنا أكمل الحوار لكانت الصورة أجمل والمنظر أمتع والحوار أنفع ، ولا شك أن من

يقرأ البوصيرى وغيره فى وصف الروضة الشريفة سوف يجد أن روضة آزاد أكثر حركة وأقوى نبضا وأعمق ايحاء وأغنى بالخلفيات الروحية ؟ نعم لقد تأثر آزاد بالبوصيرى وتطفل عليه فى معنى أو معنيين ولكن ذلك لا يغض من سبقه وتفوقه .

ولآزاد قصيدتان فى الكعبة الشريفة نذكر منهما قوله :

حسناء مكة عطلت معشوقة
شامية بالحسن والخيلاء

ان أصبحت فى الغانيات عتيقة
فجمالها أسنى من العذراء

قيس أحب جمال ليلى واحد
وقيوسها جلوا عن الاحصاء

لا تكتسى فى العام الا مرة
والوجه منكشف على العقلاء

**شعر الغزل :**

للمرأة فى شعر آزاد نصيب كبير فلا يكاد ديوان من دواوينه العشر أو قصيدة من قصائده تخلو من الغزل لكن من هذه المرة التى تغزل فيها آزاد ؟ وما مدى عاطفته نحوها ؟

ومن الاجابة على هذين السؤالين يمكن لنا أن نعرف من أى نوع غزل آزاد ، وباستعراضنا لشعره وجدنا أنه تغزل فى كثيرات مثل عزة وأسماء وسعاد ، وسلمى ، وقد يجمع بين أكثر من واحدة فى قصيدة واحدة مثل قوله :

أهلا بضيفك يا سعاد ومرحبا
هو عندنا أحلى من الانصاف

وبعد ثلاثة أبيات :

خلف المواعد شيمة مذمومة
اياك يا سلمى من الاخلاف

* * *

بل قد يجمع بينهما فى بيت واحد كقوله :

ركنت الى سلمى وعزة بعدها
فبورك فى عشق المحب المخضرم

وأكثر معشوقاته العربيات ، بيد أنه تغزل فى غيرهن ، منهن الهندية مثل قوله :

أمامة أصبحت بجمالها فى
نساء الهند صاحبة الكرامه

لقد أحببتها حبا عظيما
وودى دائما بى بى أمامه

والفارسية :

أقبلت أعجميـــة ســـحرا
فقلت بالفارسى : آنزديك (١)

فأشـــارت الى مقتلهـــا
فى حضور الرجال : لا آتيك

والتركية :

تركيـة سفكت دمى وهى التى
أسلافهـا أخنوا على المستعصم

حمراء صينت بالأسـنة والظبـا
حتم أذى الأشواك دون الحوجم(٢)

كيف العـلاج ولا أنال لقـاءها
بالصـلح أو بالحرب أو بالدرهم

* * *

ومن هذا التكثر يسوغ لنـا أن نحكم بأن غزله لم يكن عذريا كما أنه لم يكن عمريا ماجنا لأن الماجنين يمتاز شعرهم بالواقعية والتجـربة بخـلاف آزاد الذى لم ير معظم الأماكن التى شهدت لقاءه الخيالى بمعشوقاته العربيات فى نجد وتهامة واليمن ، ولهذا يمكن أن نحكم على معظم غزله بالتصنع قاله استـجابة فنية لتقاليد القصيدة العربية كمـا يقول مالك بن أبى زغبة الباهلى :

ومـا كان طبى حبهـا غير أنه
يقام بسلمى فى القوافى صدورها

* * *

واستقصاء للفن ومجاراة لغيره ، ومن أجل ذلك ظهر فى غزله العفة والمجون فجاء فاترا هزيل العاطفـة فى الغالب ، وقد طرق فى هذا التقليد للغزل معانى السابقين : فيقـــول مثلا فى لغة العيون :

ما كلمتنى أمس خوف لداتها
أدركت هذا السر من نظراتها

ألفيت مقلتها الكريمة مصقعا
متحـير سحبـان فى كلماتهـا

لا يعقـل الرقبـاء أمرا بيننا
ما أبدع التقـرير فى لحظاتها

ولسنا فى حاجة أن نذكر أن هذا المعنى معاد ومكرور ، أما الأطلال فلم يكتف آزاد فيهـا بالافتتـاح

---

(١) آ : فى الفارسية بمعنى تعالى ، نزديك بمعنى قريب اى تعالى قريبا .

(٢) الحوجم : الورد الأحمر .

وانما جعلها غرضا مستقلا وأفرد لها قصيدة سماها « القصيدة الطللية» أدار الحديث فيها حول الأطلال وقصره عليها ومطلعها :

ضاعت ربوع النقا بالوابل الهتن
وضاع قلبى اذ أقفرن بالحزن

ومنها :

أجل فى دمن الوعساء أحجرها
حتى تخيل أنى عابد الوثن

راحت عن الدار من كانت تعمرها
لايسكن الروح طول الدهر بالبدن

أطوى مسافة عمرى فى الاطلال مختزنا
يا ليتنى فى وعاء الدهر لم أكن

كادت تخر السماوات الرفيعة اذ
خرت أساطينها خرا على الذقن

لم تترك الريح من جدرانها أثرا
لكن خوالدها الأمجاد فى الأمن

لقد أغارت على الدهناء عاصفة
فأوصلت أحجرا منها الى اليمن

يا بارك الله فى توفيق صادحة
تذرى الدموع معى فى هذه الدمن

ويقول فى لحظات الفراق :

هملت دموعى يوم سارت أينق
بترنم الأجراس ثم الحادى

وكأن قلبى طائرا فى اثرها
جرس تكسر فانهوى من هادى

ويصور ما ألم به فى الفراق قائلا:

ما شخص الحكماء سقم طبيعتى
حتى ابتلوا بكثيرة الأمراض

قالوا جميعا أنت أعلم ربنا
بسقام هذا المدنف المراض

لما تكلم باسم عزة قائل
كشف الجوى نبضى على النباض

وفى الأبيات الآتية وصف دقيق لما يعانيه قلب المحب فى شوقه الى اللقاء فكل اهتزازة غصن أو لمعة برق أو شبح على الطريق صورة لحبيبته :

أرى فؤادى ذكر النجد يشفيه
يأيها القوم قولوا كيف أسليه ؟

ما باله حركات البان تزعجه
وبرق سارية الجرعاء يوريه

يخال شيئا فشيئا لا وجود له
مستيقنا أنه شىء يمليه

يرتب الشكل من أشياء سولها
مستخرجا عنه مطلوبا يرجيه

تبكى المشوق خيالات وتضحكه
يبكى أحباؤه من حالة فيه

يرى من البعد انسانا فيرصده
خياله أنها أسماء تأتيه

واها له قصر آمال مسولة
على رمال من الصحراء يبنيه

ويقول فى الصد والهجر :

بالخير أدعو للحسان وان رأت
عيناى فى حب الحسان متاعبا

غيد أغرن على فى أم القرى
وأرى اغارتهن عين مواهبا

واذا يرين الصب يجهر حبه
يقطبن بالغضب الخفى حواجبا

ورغم الجور والصد فلن يحيد :

لا أنثنى عن حب سلمى الى أبد
هى الحبيبة ان جارت وان عدلت

وفى اخلاف المواعيد يقول :

وعدت بتسلية المشوق فما وفت
واها لمعتمد على كلماتها

أمسى وأصبح راقبا لأريجها
حتام هذا المكث من نسماتها

ويقول أيضا :

عهود الغانيات لها رياش
ألم ترها تطير على الهواء

ويقول مهددا العزول :

يا عاذلا بسط الملامة فى الهوى
هل أتركن بها الغزال الأعفرا

دعنى أمت فى حب غزلان اللوى
أصبحت فى عتباتهن معمرا

انى لأقتل عاذلا لا غيره
ألفيت كل الصيد فى جوف الفرا

ويقتحم الأهوال الى محبوبته كما فعل كثير عزة ، ويخاطر بنفسه مباهيا بشجاعته كما فعل امرؤ القيس حيث يقول شاعرنا آزاد :

ذهبت الى دار الحبيبة ليلة
فقالوا سيفنى فى الغرام قتور (١)

ولا بد أن يلقى حماما معجلا
فراش على رأس السراج يدور

الى أن يقول :

يخوفنى شخص جبان عداوة
يقول ألا حول الفتاة غيور

غيور الحمى عندى رجيل معطل
أيخشى من الضأن الضئيل هصور

قتلت أسودا مارسوا حومة الوغى
اذا انتضى الصمصام فهو فرور

(١) القتور : قليل العيش قصير العمر .

أما مشـهد اللقـاء فحـافل بالأحاسيس :

قال المبشر للمشـوق كرامـة
تلقـاك من تهـوى ببرقة ثهمد

فكنست بالأهداب موطىء نعلها
ونضحت بالعينين أرض الموعـد

قدمت ويلمـع بالدلال جبينهـا
لله جلـوة كوكب متوقـــد

لمحت الى عنـاية ولمحتهــا
أما اللسـان فكل خوف الحسد

فكأن تصـويرين ثمــة صـورا
والله يعلم حالة القلب الصـدى

وقـع التكلم باللواحظ بيننـا
رعيـا لصحبتنـا بذاك المشـهد

**مقاييس الجمال فى نظر الشاعر :**

قلنا ان آزاد متصنع فى غزله ولذا تراه مرة عذريا وأخرى عمريا واذا ذهبنا نتلمس مقـاييس الجمـال فى شعره وجدنا أنه لا يكتفى بحسن الشكل وانما يطلب بالاضافة اليـه الدلال والجاذبية كما يقول :

لهـا جمـال محلى بالدلال وما
عند الجآذر غير المنظـر البهج

لا يحسب الحسن حسنا بالعيون فقط
لا بل للمقل التجلى من الغنج(١)

واذا كانت مع ذلك ممشوقة العقد سمراء كانت أجمل :

سـمراء معتـدل القـوام كأنهـا
قصـب وسـكره حـلى تدلل

ان أبصر الطاووس زينـة ثوبها
يخفض لحضرتهـا جنـاح تذلل

ويقول أيضا :

مسـكية فاقت البيضـان أجمعهم
نعـم تنزل بدر التم من زحـل

واذا كانت المرأة بيضاء أحب فيها سواد الشعر ونقطة الخال :

ذؤابتك الطولى سـواد مفصـل
لحسنك والاجمـال نقطة خالك

ومن الملاحظ أنه يصدر فى هـذا عن المتعة الحسـية ولا يلتفت الى المعـانى الروحيـة ويجـرى وراء الجزئيات من القوام والشعر واللون ونقطة الخال ولا يأخذ فى اعتباره الصورة الكليـة ولذلك وجـدناه يصف الأعضاء ويجسم الشـهوة

---

(١) الغنج بفتحتين : حسن دل المرأة ، أو ملاحة العينين .

وأجدنى بعد ذلك فى غير ما حاجة الى ايراد شىء من ذلك .

**معنى الحب**

يختلف الناس فى مدلول الحب وتباين آراؤهم حوله ولعل ذلك أنه راجع الى درجة الحب عند كل منهم ونوعه وطبيعته وقد أعطانا آزاد للحب أوصافا كثيرة فهو نار ونور :

الحب طورا ضرام وهو آونة
ماء فذلك أورانا وأروانا

وهو هدية القدر الى أصحاب القلوب وذوى الاحساس الرقيق :

يا ساليا قصد الهوى متصنعا
أو أنت تربع باليد الشلاء
ما أنت للعشق المقدس قابلا
هو جوهر مهدى الى الكملاء

ولن يتحمل أعباء الحب سوى الرجال :

لاحظ الا للرجال من الهوى
من لم يفز بالحب فهو مؤنث

والحب فى كل حالاته ألم وعذاب :

دنت سعاد الى المشتاق أو بعدت
تجرع الهم فى الحالين من شيمى
ان الفراش من الظلماء فى ألم
وحين يظفر بالمصباح فى ضرم

وهو مركب صعب :

الحب منهاج أحد من الظبا
والسير فيه كرامة المجتاز

ولكن الى الآن لم يكشف لنا الشاعر عن معنى الحب وفحواه كما لم يستطع انسان ما أن يقدم جوابا شافيا فى هذا السبيل غير أننا يمكن أن نقول : ان هناك أشياء لا ندرك حقيقتها ولكن نحس آثارها فينا فننتفع بها ونرتفق والحب من هذا القبيل كما يقول شاعرنا :

حارت عقول الناس فى سر الهوى
بعض الجلامد يجذب الفولاذا
لا تدرك الألباب سر الكهرباء
أضحى لتبن يابس أخاذا

نعم ان الحب فوق العقل ولذلك تراه لا يخضع لتفسيره :

شأن الغرام أجل من شأن الحجا
قدر العقيق عن الحصاة بعيد

ويقول أيضا :

النطق عن شرح الصبابة قاصر
سحبان فيها باقل والله

ولأن النـاس لا يدركون معنـاه
فانهـم ينسـبون المحبين الى الجنون
وهم أعقل ما يكون :

تحصيل مرتبـة الصـبابة دولة
مجنـــون ليـــلى عاقـل والله

**التعفف فى غزل آزاد :**

كمـا حاكى آزاد العمـريين قلد
العذريين وفى غزله حيزكبيرمن ذلك
قوله :

لا أشتكى والله من جفواتهـــا
أنا طالب للذات لا لصفـاتها

وقوله :

بتنـا نصـاحب فى كمـال مسرة
وذيولنـــا طهـرت عن الأدناس

وقوله :

أتحسب حب عـزة لى حديثـا
عكفت على صـبابتهـا جنينـا

أزال العشـق عن قلبى سـواها
حبـاه الله سـلطانا مبينا

لقـد أبصرت فى الدنيـا حسانا
ولم أر مثل من أهـوى حسـنا

وقوله :

محـال أن أغـادر حب ليـلى
وهل يدع المكان أبو دلامة (١)

( يتبع )

د. عبد المقصود محمد شلقامى

---

(١) ابودلامة : جبل .

رد .. على .. رد :

# حق القرآن الكريم أوجب

لفضيلة الشيخ كمال أحمد عون

ومن هـذا الحق المقدم للقرآن الكريم على كل حـق سواه ، كتبنا ما كتبناه من ملاحظات على بعض أحزاب التفسير الوسيط التى ظهرت حينذاك ( التسعة الأول ) ونشر المكتوب فى جزأى ذى القعـدة وذى الحجة من مجلة الأزهر الغراء عـام ١٣٩٥ هـ ــ وردت اللجنـة الموقرة عاتبة بل غاضبة ونشر ماكتبته اللجنـة فى جزء ربيع الأول سـنة ١٣٩٦ هـ .

وكان من اليسير التجاوز عن آثار الغضب حتى ولو بدت بعض عباراته بعيدة كل البعد عما ينبغى صدوره من لجنة تضم صفوة من كبار أهل العلم ، يعيشون فى جـو كتاب الله تعـالى وهـداه ، ومعـانى آياته النورانية .

نعم كان التجاوز يسـيرا وهينا فيمـا يتعلق بالناحيـة الشخصية ، سواء من هذا الرد ما كان خاصا ، وُجّهت صورة منه الىَّ عن طريق صـاحب الفضـيلة الأمين العـام للجمع ، وفى الرد ما فيه مما سنشير آسفين الى بعض ما فيه ، أو كان ذلك الرد عاما معروضا على قـراء مجلة الأزهر محتكما اليهم فيه أقول كان التجاوز يسيرا لو أن رد اللجنة الموقرة استوفى النقاط الأكثر أهمية، والتى وصفت الملاحظات التفسـير الوسيط فى مواضعها بأنه خطأ صراح، لا يجوز أن يحمل على معانى كتاب الله تعالى .

ولو قـد استوفت اللجنـة الرد لاستبانت وجهـة نظرها ان كانت صوابا فحمد لها ذلك ، أو سلمت بصواب الملاحظات ، وخطأ المخطأ

من التفسير الوسيط ، واستدركت ذلك الخطأ بالتنبيه القريب فى أعداد تالية : صيانة لمعانى كتاب الله من التحريف ؛ فتكون بذلك قد أنصفت كتاب الله أولا ، وأنصفت القراء الذين يطالعون هذا التفسير ثانيا ثم أنصفت كذلك مكانتها العلمية بفضيلة الرجوع الى الصواب .

وحتى لا يتشعب الحديث فى غير الضرورى نوجزه فيما يلى :

١ ــ من واقع حق القرآن الكريم على كل مسلم ، ثم على أهل العلم منهم ، ومن حق ما يصدر عن الأزهر فى علوم الدين ورسالته على أبنائه كانت العناية بالتفسير الوسيط ، ومتابعته أولا بأول ، حتى قرىء الحزب الأول فى طبعته الأولى ، وقرىء ثانية فى طبعته الثانية ، وكانت الملاحظات التى تعن أثناء المطالعة يشار اليها على هامش النسخة الخاصة .

٢ ــ مضى الحزب الأول جيدا ، لا تغض منه بعض ملاحظات ، ومضى الثانى أجود وأجمع للمعانى ، ومضى الثالث بما فيه ، وجاء الرابع كثير الأخطاء علمية ومطبعية .

وتحدثت الى بعض اخواننا فى مجلة الأزهر فقال لى أحدهم : انه محرر هذا الحزب ، وانه يرجو جمع ما يكون من ملاحظات للنظر فيها عند اعادة طبعه .

٣ ــ وظهر الخامس وفيه من الأخطاء ما لا يجوز السكوت عليه وما لا يليق بمسلم يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن يتورط فيه ، فضلا عن لجنة تضم صفوة من كبار علماء الدين ــ وتلاه السادس الى التاسع .

وتحدثت مع فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ خلف السيد الأمين العام لمجمع البحوث ، فأشار بلقاء اللجنة ومناقشتها فيما يلاحظ على التفسير خدمة لكتاب الله تعالى ، ولم أمانع ، وتفضل فكلف أحد المسئولين فى مكتبه بالاتصال تليفونيا باللجنة وكانت يومها مجتمعة ، فاعتذرت عن اللقاء بضيق وقتها ، وأرجأته الى يوم آخر لم تتكرم بتحديده .

٤ ـ وكتبت الملاحظات وبعثت بها من طنطا ـ حيث عملي واقامتي ـ الى فضيلة الأمين العام ، فحولها الى اللجنة فى حينها ، كما علمت ذلك من رد اللجنة الذى تفضلت به ، ووصلنى بعد أكثر من ستة شهور على ما تشهد به تواريخ الرد والمكاتبات .

ورأيت فى الرد اجمالا ما يلى :

أولا : لم تكن المناقشة الا فى القليل النادر مناقشة علمية منصفة ، بل كانت مناقشة من مكانة الأستاذية التى رأتها اللجنة لنفسها على كاتب الملاحظات ، ناهيك بأنها أستاذية غاضبة كما قلنا .

ثانيا : فى بعض ما ردت به لم تعن بالمراجعة الجيدة عند الرد ، ولم تتحر الدقة فيما تنسبه الىّ من الرأى ، ولا فيما تنسبه لبعض الأئمة وعلى سبيل المثال ما عزته للامامين البخارى والطبرى فى تفسير قوله تعالى : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » على ماسنبينه بعد .

ثالثا : ناقشت ما شاءت من الملاحظات ، وتركت النقاط التى وصفتها الملاحظات بأنها خطأ واضح ـ وصرحت بأنها اكتفت بما ذكرته من مناقشات حتى لا يعوق ذلك عملها ، ويوقف بعض جلساتها .

وازاء ذلك لم يكن بد من التنبيه العلمى ، أداء لبعض الواجب نحو كتاب الله الكريم .

**أين التشهير ؟**

واللجنة الموقرة ترى فى مجرد ابداء ملاحظات على عملها فى التفسير من رجل يتعلم العلم ويعلمه فى الأزهر قرابة نصف قرن والحمد لله رب العالمين «تطاولا منه على أشياخه، وتجافيا عن تصون أبناء الأزهر نحو شيوخهم ، وغضا من منازلهم وسابقتهم » كما ترى فيما نشر بمجلة الأزهر الغراء « تشهيرا باللجنة فى الصحف ـ هكذا ـ بلا مبرر ، وشغلا لها واستنزافا لوقتها بدون جدوى .. » وللمنصف أن يسأل أين التشهير ؟ وكيف تحسب الملاحظات العلمية تطاولا

واستنزافا للوقت .. ؟ وهل هناك ما هو أولى وأليق من مجلة الأزهر ميدانا للتنبيه على ما يكون فى التفسير من هنات أو ملاحظات ، وهل هناك من هو أحرى وأوفق من عالم أزهرى يستدرك على عمل علمى جليل يقوم به الأزهر وينتظره العالم الاسلامى ، ما عسى يحتاج الى استدراك .

ولو قد أخذت اللجنة الموقرة الملاحظات من أول أمرها بالروح العلمية الواجبة لأغنتنا وأغنت نفسها ، وكان فى ذلك الخير ، خدمة واجبة للتفسير الوسيط .

**على اللجنة :**

وعلى اللجنة غير مأمورة أن تبادر الى تصويب ما يجب تصويبه مما يظهر لها ، أو يتبين من استدراكات بعض أهل العلم فى أقرب الأحزاب ظهورا ، خدمة لكتاب الله ، وللقراء ، بدل أن ترجىء ذلك سنوات وسنوات حتى يتم التفسير كله على ما ذكرته فى ردها بمجلة الأزهر .

كما أن عليها أن تبدى رأيها فيما وصفته الملاحظات بأنه خطأ لم نر من تورط فيه سوى اللجنة ، وذلك من مثل تفسير النسيان فى قوله تعالى : « ربنا لا تؤخذنا ان نسينا أو أخطأنا » تفسير النسيان بالترك عمدا ، وتفسير الخطأ « بفعل أو ترك الصواب من الواجبات — أو المنهيات — كسلا أو غواية أو انحرافا » ( ص ٥٠٥ ) .

واذا كان النقل عن الفخر الرازى أو عن الألوسى على ما يبدو ببعض الألفاظ والشواهد ، فمن سوء الحظ أن كاتب التفسير الوسيط ، قد تصرف فيما نقله بزيادة ونقص من غير الدقة الواجبة ، فقلب المعنى تماما بما زاده ، وشوه باقيه بما نقصه منه . ففى كل من الفخر الرازى والألوسى ثلاثة معان فى تفسير الآية الكريمة أولها : تفسير النسيان بالترك — فزاد المفسر وصف الترك بقوله : عمدا فقلب المعنى — ونقص من العبارة فى تفسير الخطأ بما تراه مضطربا فى تفسير الوسيط . اذ يفسره بأنه : فعل أو ترك الصواب .. الخ فكيف يكون فعل الصواب خطأ ؟

والعبارة فى موضعها من التفسيرين : الرازى والألوسى سليمة ونصها فيهما :

« والمراد من الثانى ( الخطأ ) العصيان ، لأن المعاصى توصف بالخطأ الذى هو ضد الصواب ، وان كان فاعلها ( المعاصى ) متعمدا ، كأنه قيل : ربنا لا تعاقبنا على ترك الواجبات ، وفعل المنهيات » .

نعم على اللجنة أن تبدى رأيها فى بقية الملاحظات وبخاصة ما أشرنا اليه ثانية وأمثاله ، من كل ما وصف بأنه خطأ ، أو أن تسلم بصحة الملاحظات وتنبه على الصواب فى أقرب أعداد تظهر .

**أين صحة النقل ؟**

واذا كنا لا نناقش اللجنة فى كثير مما أجابت به عن الجزء الذى تعرضت له من الملاحظات ، وان كانت أجوبتها فى أكثرها مجرد رغبة فى الرد ، اكتفاء بما كتب فى الملاحظات سابقا ، ولكننا سنعرض لمسألةواحدة هامة كنموذج لما قلناه عن السرعة فى الكتابة وقد حالت دون التثبت فى النقل والدقة فى المعنى فكان الخطأ أولا ، ثم الاصرار عليه ثانيا ، وذلك فى تفسير قوله تعالى : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها .. » فقد ذكر التفسير الوسيط فى سبب نزول الآية رواية عزاها لابن جرير والبخارى عن البراء ونصها قال :

« كانوا اذا أحرموا فى الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها .. الآية — وكأنهم كانوا يتحرجون من الدخول من الباب » . فسبق الى وهم كاتب هذا الحزب من التفسير الوسيط أن المراد بالبيت هو البيت الحرام بمكة فقلنا له ان المراد هنا بيت الرجل يأتيه من بابه ، أو يأتيه من ظهره تحرجا فى زعمه ، وأما البيت الحرام فلا مجال لاتيانه من بابه أو من ظهره ، وانما يطاف حوله .

فجاء رد اللجنة عجيبا يزيد فى الرواية وصف البيت بالحرام ، واننى سلمت بورود هذه الرواية المزيد فيها من أصحاب التفسير عن

الامامين ، ثم تنكرت لها اذ بقول في جملة كلام طويل ما نصه :

« .. ان البخارى وابن جرير رويا أن دخولهم البيت الحرام من ظهره هو سبب نزول الآية الكريمة » فكيف سوغت لنفسك أن تتنكر لرواية البخارى وابن جرير فى سبب نزول الآية الى أن يقول : فكيف تجعل الصواب خطأ . وأين الاستدراك ؟ ا هـ .. وأقول : شهد الله أننى حاولت أن أجد فى أمهات كتب التاريخ والموثوق به من موسوعات السيرة ما يمكن أن يستند اليه فى أن العرب كانوا يأتون الكعبة من ظهرها كما كانوا يفعلون فى بيوتهم فلم أعثر على شىء فيما بين يدى من مراجع وأما كتب التفسير والحديث وبخاصة ابن جرير والبخارى والرواية عنهما فاليك البيان موجزا بقدر الامكان .

**جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى :**

عند تفسير الآية الكريمة قال الامام الطبرى : القول فى تأويل قوله تعالى « وليس البر .. الخ » قيل نزلت هذه الآية فى قوم كانوا لا يدخلون اذا أحرموا بيوتهم من قبل أبوابها . ثم قال على طريقته ذكر من قال ذلك : ثم ساق بسنده عن البراء قال : كانت الأنصار اذا حجوا ورجعوا لم يدخلوا البيوت من أبوابها ، فجاء رجل من الأنصار فدخل من بابه فقيل له فى ذلك فنزلت هذه الآية ..

ثم ساق بسند آخر عن البراء مثل هذا .

وساق مثله عن : قيس بن جبير، ومجاهد ، ومغيرة بن ابراهيم ، والزهرى ، وقتادة ، والسدى، وابن عباس ، والربيع ، وعطاء ، فى جملة روايات بلغت ثلاث عشرة بأسانيدها، لم تخرج واحدة عن هذا المعنى ، وليس فى بعضها ما يشير من قريب أو بعيد الى أن الكلام فى البيت الحرام .

**صحيح البخارى :**

جاء فى كتاب الحج من صحيح البخارى باب قوله تعالى : وأتوا البيوت من أبوابها .. بسنده عن

ابن اسحق قال سمعت البراء رضى الله عنه يقول : نزلت هـذه الآية فينا ، كانت الأنصار اذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها ، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه ، فكأنه عُيِّرَ بذلك فنزلت « وليس البر .. الخ » .

**مفاتيح الغيب للفخر الرازى :**

المسألة الأولى فى سبب نزول الآية قال : ذكروا وجوها .. وكلها تدور حول بيوتهم ينقبونها من ظهرها أو يتخذون سلما يصعد أحدهم عليه الى سطح داره وينحدر منه .. فاذا كان من أهل الوبر ( البادية ) خرج من خلف الخباء ..

**رواية التفسير الوسيط :**

جاءت ـ بنصها فى الألوسى عن البراء ـ كما جاءت عن البراء فى ابن كثير وليس فى السياقين وصف البيت بأنه البيت الحرام ، ولا ما يفهم منه أنه المقصود ـ بل جاءت بقية الروايات فى ابن كثير عن البراء نفسه ـ وعن الحسن البصرى ، وكلها تدفع ما سبق الى وهم كاتب التفسير الوسيط من أن المراد بالبيت البيت الحرام ، حتى جعل ما توهم أصلا ، وأنهم كانوا يفعلون فى بيوتهم مثل ما كان يحدث منهم فى البيت الحرام .

وحينئذ فالاستدراك قائم كما كان على صاحب التفسير الوسيط وعلى المراجع ، وعلى كاتب الرد ، أما الامامان ابن جرير الطبرى والبخارى ومن نهج نهجهم فلا اعتراض على رواياتهم لسلامتها . وتضافرها على المعنى الصحيح .

زيادة مسيئة : ومن مثل التصرف السريع فى النص والزيادة عليه بما يخرجه عن الصواب كما سبق أو عن اللائق فى التعبير ما قاله صاحب التفسير الوسيط فى سبب نزول قوله تعالى : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم .. » اذ قال أخرج ابن جرير أنها نزلت فى الصديق رضى الله عنه لما حلف ألا ينفق

على مسطح ابن خالته وكان من الفقراء المهاجرين حين وقع فى افك عائشة رضى الله عنها ، ولاحظنا أن التعبير باضافة الافك الى عائشة رضى الله عنها غير كريم بل هو افك من جاءوا به فجاء الرد يؤكد أن العبارة كلها لابن جرير عن ابن جريج : وأنه لا حيلة لهم فى النص، وفى آخر جوابهم « فهل هذه ملاحظة يا أستاذ ؟ »

أقول بل الملاحظة قائمة ، ونسبة النص بأكمله الى ابن جرير عن ابن جريج غير صحيحة ، والنص بتمامه عن ابن جريج هو فقط : نزلت فى أبى بكر فى شأن مسطح» اهـ : وزاد المفسر ما ظنه توضيحا فوقع هو فى التعبير المشار اليه ، وجاء من تولى الرد من أصحاب الفضيلة فظن العبارة كلها لابن جريج وليس كذلك ( راجع جـ ٢ ص ٢٢٧ ) .

**اقتراح :**

من عظيم حق القرآن الكريم علينا جميعا أقترح تأليف لجنة علمية محايدة تراجع التفسير الوسيط لا لتزنه بجهد رجل واحد من القدامى أو المحدثين ممن صدقوا خدمة كتاب الله تعالى ، وانما تراجعه : فتحسن من أسلوبه ما يحتاج الى احسان ، وتصلح من تعارضه ما تبدو المعارضة فيه ظاهرة جلية يدركها كل قارىء ، أو دقيقة خفية لا يدركها الا الخبير، وتصوب ما أخطأ فيه المفسر ، وتحذف كل نقل تراه غير جدير بأن ينقل الى تفسير يرتضيه الأزهر ، وهو امام المسلمين الأكبر لأكثر من عشرة قرون والى ما شاء الله تعالى .

**واخيرا :**

فلجنة التفسير الوسيط لها تقديرنا مجتمعة ، ولكل عضو من أعضائها تقديرنا كعالم باحث فاضل، ولعمل اللجنة فى تفسير كتاب الله تعالى مجتمعة أو منفردة حق الاهتمام به ، ولغيرهم من أهل العلم حق النقد ، والتنبيه على الخطأ حيثما يكون والاشارة بما يراه أفضل لخير العمل الجليل .

وكم رأينا لفضيلة الشيخ مصطفى الطير من بحوث ومؤلفات قيمة ، وربما كتب فى المطروق فأتى بالجديد المفيد ، وللأستاذ الجليل على عبد العظيم مكانته العلمية وقد راسلنى نيابة عن اللجنة لأحضر من طنطا اليه فى الادارة العامة بعد أكثر من عشرة شهور ، وكان فى لقائه متفهما ومقدرا ..

**عتب اللجنة :**

وشكرا للجنة الموقرة على عتبها ، وبودى لو كان غير مقرون بما يغض منه من مثل ما جاء فى ردهم بل وعيدهم وتهديدهم بتاريخ ٢١/٢/١٣٩٦هـ قبل مانشر فى عدد ربيع الأول سنة ١٣٩٦هـ بما سمى خلاصة رد اللجنة ، ولم يبدأ فيه باسم الله تعالى ، ولا باسم نبيه صلى الله عليه وسلم ، وانما بدأ فى أعلى الصفحة يمينا بالمثل العربى تسمع جعجعة ولا ترى طحنا وبأعلاها يسارا المثل الفرنسى زوبعة فى فنجان - ثم من مثل قولهم : ان المعترض ينكر ما تعلمه الطلاب فى بواكير الفصول الدراسية ، وانه يتصيد الأخطاء ، وان باقى استدراكاته أكثر اصطناعا وتهافتا ، وانه يريد التشهير بنا ، واننا لسنا من سنه ولا مناسبين له فى عمل ، ولكننا نعمل فى حقل بعيد عن سلم تدرجه ، فما وجه هجومه الظالم - ولا شك أن هذا الغضب كله خرج بالرد أو كاد عن المنهج العلمى ، وكان جديرا بالاغضاء لولا أن حق الكتاب الكريم أوجب .

**احمد كمال عون**

# التقرير السنوى لنشاط المركز الإسلامى فى اليابان

لقد مضت سنة ونصف فقط منذ أن أعلمنا اخوتنا المسلمين فى العالم أننا افتتحنا مقرا بسيطا للمركز مكونا من حجرتين صغيرتين على مقربة من مسجد طوكيو ، واننا تعمدنا اختيار المكان لربط رسالة المركز برسالة المسجد ، ومنذ ذلك الحين بدأت البذرة بالانبات ثم بالنمو تدريجيا باذن الله وأخذ المركز يشق طريقه على بركة الله يخدم الاسلام بقوة ويرفع صوته عاليا وسط دوى المصانع وضجيج الزحام وتعالى الصيحات الأخرى وقد أحدث بفضل الله حركة شملت اليابان من الجنوب الى الشمال قد يكون مردودها من الناحية العددية قليلا ولكن أثرها فى المستقبل سيكون كبيرا باذن الله .

فقبل كل شىء حرك الجمعيات الاسلامية القائمة حينئذ فى طوكيو وخارجها وعبأها للعمل الاسلامى وشارك معها فى وضع وتنفيذبرامج للدعوة ، كما أن الله سبحانه عز وجل وفق المركز الى ادخال مجموعات متعددة فى الاسلام وهذه المجموعات شكلت بمحض اختيارها جمعيات ومنظمات خاصة بها، ومنها:

١ ــ جمعية المؤتمر الاسلامى فى طوكيو .

٢ ــ الجمعية الخيرية الاسلامية فى طوكيو وخارجها .

٣ ــ حركة الشباب المسلم فى مدينة كانزاوا بغرب اليابان وأعضاؤها نخبة من الشباب المسلم الواعى الذى يحرص على تفهم

الاسلام والتدريب على الدعوة لاعداد قيادات المستقبل ان شاء الله .

٤ ــ حركة الكشاف المسلم فى جزيرة شكوكو والتى لا تزال فى مرحلة الاعداد

بالاضافة الى عدد من الأفراد هداهم الله للاسلام بواسطتنا وهم من خيرة الدعاة الى الله الآن .

**الرحلات التبليغية والمحاضرات :**

لقد بذل المركز خلال العام الماضى كل ما فى وسعه لتبليغ الدعوة الاسلامية للشعب اليابانى . وكان الهدف من ذلك تبيان حقائق الاسلام للناس أفراداً وجماعات . وفى الحقيقة أن نشاطات المركز كانت جميعها تهدف فى الأساس الى تبليغ الدعوة .

١ ــ نظم المركز بالتعاون مع جمعية الصداقة الاسلامية بكيوتو والجمعية الاسلامية فى ناروتو وطوكشيما وجمعية مسلمى اليابان فى طوكيو برنامجا للدعوة يغطى اليابان كلها نفذ الجزء الأول منه الخاص بجنوب اليابان حيث زرنا جامعة هيروشيما وجامعة ياماكوجى ومقاطعة طوكوياما وألقينا محاضرات عن الاسلام على الطلبة والأساتذة وعامة الناس وقد كان لهذه المحاضرات أثر طيب مما دفع بجامعة هيروشما الى أن تدعونا مرة ثانية بعد شهر من الزيارة الأولى فذهب فريق من المركز وعلى رأسه سعادة سفير الجزائر لدى اليابان السيد ابراهيم جافه وألقى سيادته محاضرة قيمة عن الحضارة العربية الاسلامية ومواجهة التحديات المعاصرة ، وقد استمع للمحاضرة نخبة من أساتذة الجامعة وطلابها .

كما وأن الاستعدادات والاتصالات قد تمت لتنفيذ برنامج المحاضرات للمحافظات الشمالية من اليابان خلال الشهر الثامن من هذا العام ان شاء الله .

٢ ــ نظم المركز بالتعاون مع الجمعية الخيرية الاسلامية فى طوكيو زيارات لكل من محافظة شيباومدينة

ساكو فى محافظة ناجانو ، وقد أسلم فى الأولى عدة أشخاص وكونوا نواة لأول تجمع اسلامى فى المنطقة • أما فى مدينة ساكو فقد أسلم تاجر كبير للأبقار واللحوم مع عدد من عماله ، وبدأ هؤلاء مع الجمعية الخيرية الاسلامية مشروع تزويد اللحم الحلال للمسلمين فى اليابان ولشركات الملاحة الجوية والبحرية والفنادق ودور الطلبة وبذلك حلت مشكلة توفير اللحوم الحلال فى اليبان والحمد لله ، كما اتصلنا بالمسئولين فى الادارة المحلية لمدينة ساكو ورجوناهم التعاون فى تحقيق مشروع انشاء مسجد فى المدينة ، والفكرة تحت الدراسة •

وسنزور مع الجمعية الخيرية مدينة ماياباشى فى أول أغسطس (أب) ان شاء الله للدعوة •

٣ ــ زار فريق من المركز مدينتى ناروتو وطوكشيما فى جنوب غربى اليابان وتم الاتصال مع مسلمى المنطقة والتحدث فى المسائل التى التى تعزز الدعوة الاسلامية ، والمسلمون هناك لديهم مشروع انشاء كلية اسلامية بحثناه معهم وشجعناهم على القيام به ، وقد زرنا المركز التجارى والمركز الثقافى فى طوكشيما وكذلك عمدة مدينة ناروتو • ومما هو جدير بالذكر أن المركز الثقافى يرأسه مسلم هو الأخ يوسف ناكاجيما وقد عملت الترتيبات لالقاء محاضرة عن الاسلام مع فلم ملون عن الحج فى المركز الثقافى يوم ١٩٧٦/٧/٢٧ ان شاء الله يحضرها ٣٠٠ شخص من مختلف الطبقات والقاء محاضرة أخرى فى مدينة كوجى التى تبعد حوالى ١٥٠ كيلو عن مدينة طوكشيما وذلك فى يوم ١٩٧٦/٧/٢٩ ان شاء الله •

٤ ــ دعى ممثل من المركز الاسلامى من قبل جمعية اليونسكو فى مدينة فوكوكا بجزيرة كيوشو فى أقصى جنوب اليابان فى الشهر الماضى لالقاء محاضرة عن الاسلام وقد تم بحث وسائل التعاون فى المستقبل مع هذه المنطقة ، كما دعى ممثل للمركز لالقاء محاضرة عن

الاسلام والشرق الاوسط فى طوكيو يوم ١٩٧٦/٧/٢٧ م ، والحضور هم من كبار رجال الأعمال فى اليابان ونائب رئيس الوزراء اليابانى المستر فوكودا .

٥ ــ أن المركز يقوم بتفقد ومعرفة وزيادة أماكن قدماء المسلمين اليابانيين فى طوكيو وكيوتو وناجويا ونارا وغيرها من المدن وقد أحرزنا والحمد لله بعض النتائج المشجعة .

٦ ــ زار فريق من المركز بصفة شخصية كوريا الجنوبية وشاركوا فى احتفالات افتتاح المسجد المركزى والمركز الاسلامى لتشجيع المسلمين فى ذلك البلد وكانت الزيارة ما بين ٥/٢٠ ١٩٧٦ ــ ١٩٧٦/٥/٢٦

٧ ــ بدأ المركز برنامج زيارة البيوت فى المحلة المحيطة بمقره حيث تقوم مجموعات مكونة من ٣ ــ ٥ أشخاص بزيارة البيوت واحدا واحدا حيث يجرى التعريف بالاسلام بصورة مختصرة وتقدم الكتب الاسلامية باللغة اليابانية وتجرى زيارة ٤٠ ــ ٥٠ بيتا أسبوعيا وكانت التجربة نافعة ومشجعة .

٨ ــ يقوم المركز بزيارة وتشجيع الطلبة الأجانب والمتدربين الذين يأتون من البلدان الاسلامية فى محلات اقامتهم فى طوكيو وخارجها ويزودهم بالكتب الاسلامية باللغة اليابانية لتوزيعها على معارفهم من اليابانيين وندعوهم للمشاركة فى نشاطات المركز المختلفة .

**فصول عربية ويابانية :**

يقدم المركز دروسا للغة العربية لليابانيين ويعطى دروسا للغةاليابانية للأجانب .

**فصول التعليم الاسلامى :**

يعقد المركز فصولا مستمرة ومنتظمة لتعليم الاسلام للمسلمين الجدد وخصوصا حول العقيدة والعبادات والأحكام المتعلقة بها وقد أثبتت هذه الدروس جدواها وأعطت نتائج طيبة والحمد لله .

**حلقة دراسية لمحررى الصحف الشبان :**

يعقد المركز حلقة دراسية مرة كل أسبوعين يحضرها محررو الصحف

اليابانيـة من الشـباب وكـذلك المسـلمون الجـدد والأشـخاص المهتمون بالدراسات الاسـلامية . وألقيت حتـى الآن المحـاضرات التالية :

١ ــ الاسلام ــ تعريف عام .

٢ ــ الجاهلية العالمية عندظهور الاسلام .

٣ ــ المذاهب الفقهية فىالاسلام.

٤ ــ مكانة المرأة فى الاسلام .

٥ ــ الحل الاسلامى للمشاكل الاجتماعية .

٦ ــ مقارنة الاسـلام بالأديان الأخرى .

٧ ــ الاسلام والغرب .

وستقدم محاضرات عن الجهـاد فى الاسـلام وتاريخ الدعـوة الاسـلامية فى اليابان ومواضـيع أخرى وسيتم ان شاء الله طبعهذه المحاضرات فى مجلة المركز(السلام) وفى رسائل مستقلة .

**لقاءات الجمعة والأحد :**

يزور المركز عدد من المسـلمين اليابانيين وغيرهم بعد صـلاة كل جمعـة حيث يتذاكر الجميـع فى المواضيع الاسلامية المختلفة . كما يوضح الاسلام لغير المسلمين ممن يحضر هذا اللقاء . ويجرى الحديث على فنجان من الشاى فى جو خال من الشكليات ، كما يشارك المركز فى لقاء يوم الأحد فى مسجد طوكيو بعد الظهر حيث يزور المسجد عدد من اليابانيين الذين يريدون التعرف على الاسلام أو اعتناق هذا الدين.

**رحلات تربوية :**

هيأ المركز رحلة تربوية الى منطقة هاكونى التى تبعد حـوالى ١٢٠ كيلو عن طوكيو وأجر لها «بصين» وشارك فيها ٨٥ شخصا من المسلمين اليـابانيين وغيرهم وذلك فى يـوم ٢٥/٤/٧٦ وأعد برنامج مشـوق ترفيهى برىء مع صلاة الجماعة وكان لهـذه السفرة أكبر الأثر فى تعـارف وتآلف قـلوب المسـلمين وتعميق المعانى الانسانية الاسلامية.

**الاتصال بالهيئات الدينية غير الاسلامية :**

يقوم المركز بالاتصال بالهيئات الدينية غير الاسلامية لاثبات الوجود الاسلامى فقد قمنا بزيارات متبادلة مع منظمة بوذية تدعى ( شوكوسيكاى ) وأجرينا حوارا مع زعيمها أثبتنا فيه تفوق الاسلام ( أتباع هذه الفرقة أربعة ملايين ونصف ) ونشر هذا الحوار فى مجلة المركز ( السلام ) العدد السادس • كما زرنا منظمة بوذية أخرى هى صوكو كاكاى وكذلك بعض المنظمات المسيحية •

**المشاركة فى الحلقات الدراسية والمؤتمرات :**

يشارك المركز فى مختلف الحلقات والمؤتمرات المحلية ومن هذه الحلقات الدراسية مؤتمر دولى للشباب عقد لمدة يومين فى ضواحى طوكيو وحضره أكثر من مائة شخص من مختلف الأديان وحضره عن المركز مندوبان ، وقد أحيل المؤتمر كله الى مناقشة عن الاسلام وساد انطباع عام عن سمو مبادىء الاسلام • وقد أرسلنا لكافة المشتركين مطبوعات المركز الاسلامى عن الاسلام •

كما شارك المركز فى مؤتمر عقد فى طوكيو وحضره فضيلة الشيخ محمد محمد الفحام شيخ الأزهر السابق •

**الفريق العامل فى المركز :**

ان المركز حين افتتاح مقره قبل سنة ونصف كان يعمل به متفرغ أجنبى واحد ولم يكن معه أى متفرغ يابانى ، أما الآن وبفضل الله فيعمل فى المركز خمسة أجانب متفرغين وخمسة يابانيين مسلمين

**الترجمة والطبع والنشر :**

ان توفير الكتاب الاسلامى المقروء باللغة اليابانية نال القسط الأوفر من اهتمام المركز ، وقد طبعنا والحمد لله حتى الآن الكتب التالية :

(١) ما هو الاسلام •
(٢) مبادىء الاسلام •
(٣) الصلاة •
(٤) الصوم •

(٥) حكمة الصوم .

(٦) الزكاة .

(٧) الحج .

(٨) الآداب الاسلامية .

(٩) محمد صلى الله عليه وسلم .

(١٠) الأسرة فى الاسلام .

وان الكتب التالية مترجمة وهى قيد التصحيح وتنتظر دورها فى النشر .

١ ـ مكانة المرأة فى الاسلام .

٢ ـ تعدد الزوجات فى الاسلام

٣ ـ القرآن والحديث .

٤ ـ الأنبياء والرسل .

٥ ـ تفسير القرآن الكريم ( المائدة والأنعام ) .

٦ ـ ختم النبوة .

٧ ـ هذا الدين .

٨ ـ التعاليم الاسلامية من الكتاب والسنة .

٩ ـ حكايات الصحابة .

هذا ويوجد قيد الترجمة عشرة أبحاث مهمة تشمل الجوانب المتنوعة من الاسلام لكبار الكتاب الاسلاميين سوف ننشرها ان شاء الله فى رسائل مستقلة .

ان عملية الترجمة والتأليف عن الاسلام فى اللغة اليابانية مهمةصعبة حيث أن الكتاب يمر بمراحل عديدة من التدقيق والمراجعة حتى يرى النور والأمر يقتضى نحت كلمات واصطلاحات جديدة حتى لاتختلط المعانى الاسلامية بمعانى الأديان المشركة الأخرى . وان كافة هذه الكتب توزع مجانا على الجمعيات الاسلامية القائمة وعلى الجامعات والمكتبات العامة ونوادى الشباب والجمعيات النسائية والسفارات .

**مجلة السلام :**

ان المركز يصدر مجلة باسم ( السلام ) وقد بدأت بثلاثين صفحة وهى الآن تصدر فى عددها السادس بمائة وأربع صفحات وتحتوى على أحدث المقالات والبحوث الاسلامية بأقلام يابانية وغير يابانية . وهى

واسطة بين القراء والمركز وهى المجلة الاسلامية الوحيدة من نوعها فى اليابان وتوزع مجانا كذلك . ونأمل أن نوزعها على نطاق تجارى ابتداء من هذا العدد السادس ان شاء الله فقد وصلت الى المستوى اللائق وهى باللغة اليابانية .

**التقويم الاسلامى :**

يصدر المركز تقويما بالتاريخ الهجرى وأوقات الصلاة على مدار السنة .

**المنح الدراسية :**

أنهى المركز الترتيبات اللازمة لارسال سبعة طلاب يابانيين مسلمين للدراسة فى معهد اللغة العربية بجامعة الرياض وذلك فى منتصف شهر رمضان القادم ان شاء الله .

**دعوات للأساتذة اليابانيين :**

بناء على اقتراح المركز هيأت وزارة التعليم العالى فى المملكة العربية السعودية مشكورة دعوات لأساتذة الحضارة الاسلامية اليابانيين ، فقد زار الجامعات السعودية كل من البروفسر الدكتور مياجيما البروفسير الدكتور ايتاجا لى بناء على ترتيبات اعدتها مشكورة جامعة الرياض . كما أن جامعة الملك عبد العزيز بجدة وجهت الدعوة للدكتور عمر كاوابانا والأستاذ يوسف نكاجيما لزيارة الجامعات السعودية وهذان الشخصان من زعماء المسلمين فى جنوب اليابان .

**أسبوع الفقه الاسلامى :**

قام المركز بالتعاون مع رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ومعهد القانون المقارن فى اليابان بالاعداد لاقامة أسبوع للفقه الاسلامى فى اليابان وذلك فى شهر ابريل نيسان ١٩٧٧ ان شاء الله ومن المؤمل أن يشارك فى هذا الاسبوع كبار الأساتذة والعلماء من البلدان الاسلامية المختلفة .

**مؤتمر الثقافة الاسلامية :**

ان المركز على اتصال بأساتذة الثقافة الاسلامية وقد دعونا عددا منهم وتباحثنا معهم فى مجالات التعاون واتفقنا مبدئيا على اقامة

مؤتمر للثقافة الاسلامية فى اليابان يشتركون فيه ويحضره علماء وأساتذة من البلدان الاسلامية ربما فى أواخر العام الحالى ان شاء الله .

**تعضيد الجمعيات الاسلامية والأفراد:**

ان المركز يقدم كافة المساعدات الأدبية والمادية لتعضيد أى نشاط اسلامى فى اليابان مهما كان نوعه . وانه يقدم المساعدات المادية المستمرة للمنظمات الاسلامية وكذلك لبعض المسلمين من ذوى الحاجة .

**تقديم خدمات استشارية :**

أصبح المركز والحمد لله هيئة معروفة داخل اليابان ولذا يقصده مختلف الناس لطلب الاستشارة . يأتيه التجار المسافرون للبلدان الاسلامية ليتعرفوا على عقائد وعادات الناس وعادات الشعوب المسلمة . يريدون التعرف على بلاد الاسلام . حتى أن هيئة الاذاعة اليابانية N.H.K. وهى أكبر اذاعة فى اليابان حينما أرادت تصوير حياة المسلمين فى جنوب شرق آسيا استعانت بالمركز لتسهيل مهمتها وان بعثة زراعية كانت تريد زيارة البلدان العربية والاسلامية طلبت نصائح المركز . وان وزارة الخارجية اليابانية بدأت تدرك دور المركز فى تقوية العلاقات الثقافية بين اليابان والبلدان الاسلامية وذلك لكثرة الشهادات التى نرسلها للتصديق عليها من أجل ارسال الطلبة اليابانيين والأساتذة للدراسة فى البلدان العربية والاسلامية . والمركز يقدم استشارات لسفارات الدول الاسلامية فى طوكيو وللهيئات الاسلامية والجامعات فى البلدان الاسلامية .

**الصحافة :**

ان المركز يرصد ماتكتبه الصحافة من مقالات مضادة للاسلام ويتصدى لتوضيح المغالطات فى الحال كما أن المركز يزود الصحافة اليابانية بين الحين والآخر بمقالات عن الاسلام والبلدان الاسلامية .

**معهد الدراسات العربية والاسلامية :**

قدم المركز الى معالى الشيخ حسن ابن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالى السعودى مشروع اقامة معهد دراسات عربية اسلامية فى اليابان وقد وافق معاليه على المشروع وأحاله

لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية لتنفيذه •

**التعاون مع مسلمى البلاد المجاورة :**

تردنا استفسارات وطلبات للكتب من البلدان المجاورة لليابان مثل الفلبين وكوريا وهونج كونج وحتى أندونيسيا ونقوم بتنفيذ ما نستطيع كذلك نبعث مطبوعاتنا على الخصوص الى مسلمى كوريا حتى يسهل عليهم ترجمتها ويوفر عليهم استحداث الاصطلاحات الاسلامية لأن الكتابة الكورية واليابانية بينها شبه كبير •

**توفير اللحم الحلال :**

قام المركز والحمد لله منذ أول نشوئه بتوفير اللحم الحلال للمسلمين فى طوكيو وقد هدى الله الى الاسلام مجموعة من اليابانيين قبل أكثر من شهر وبدءوا فى أداء المهمة بما يغطى احتياجات اليابان بأجمعها كما ذكرنا فى أول التقرير •

**شهادات الاسلام والزواج :**

يقوم المركز بتزويد المهتدين الجدد بشهادات عن الاسلام وكذلك شهادات الزواج •

ان مقر المركز الاسلامى ليس بناء شامخا بل غرفتان صغيرتان على بعد خمس دقائق مشيا من مسجد طوكيو والزائر له يجب ألا يتوقع أن يرى الآلاف تدخل وتخرج بل انه يرى فى أصغر الغرفتين خمسة شباب يابانيين عقلوا أرجلهم وانكبوا على مكاتبهم من الصباح الى هزيع من الليل يراجعون الترجمات ويعيدون صياغة الكتاب الاسلامى بأسلوب يابانى سلس خال من أثر الترجمة • ويشرفون على اخراج مجلة ( السلام ) وحولهم أكداس من الكتب المطبوعة التى نحتار أين نخزنها • أما الغرفة الأخرى فقد يرى فيها نهارا بعض الزوار اليابانيين جاءوا يسألون عن مصلحة لهم أو عن الاسلام • أما اذا زار المركز أحد فى ساعة متأخرة من الليل فيرى المكان قد تحول الى فندق حيث يرقد ضيفان أو ثلاثة فاذا أذن الفجر لفت الفرش ووضعت فى المخازن وهرع الضيوف وبعض

العاملين فى المركز والساكنين قربه الى مسجد طوكيو الوحيد لأداء صلاة الفجر جماعة • والحمد لله يحرص أعضاء المركز الآن على فتح المسجد لكافة الصلوات بعد أن ظل مهجورا لسنين عديدة لا يفتح الا وقت صلاة الجمعة ومساء الأحد• ان أغلب نشاطات المركز تقام خارج هاتين الغرفتين الصغيرتين •

**الاجتماع السنوى والهيئة الادارية الجديدة :**

عقد الاجتماع السنوى العام لأعضاء المركز الاسلامى يوم ٧٦/٧/١١ وانتخب أعضاء الهيئة الادارية للعام الجديد ( المدراء ) وبعد الاقتراع السرى فاز السادة التالية أسماؤهم :

١ ـ الحاج عمر ميتا ( يابانى )
٢ ـ الحاج خالد كيبا ( يابانى )
٣ ـ الأخ موسى محمد عمر ( عربى )
٤ ـ الحاج مصطفى كومورا ( يابانى )
٥ ـ الحاج أحمد سوزوكى ( يابانى )
٦ ـ الأستاذ تميم الدار محيط ( تركى )
٧ ـ الأخ رمضان صفا ( تركى )
٨ ـ الأستاذ أبوبكر تشو ( صينى )
٩ ـ الأخ مطلوب على (باكستانى)
١٠ ـ الأخ عبد الرحمن صديقى ( باكستانى )
١١ ـ الدكتور صالح مهدى السامرائى ( عربى )

وبعدها أجتمع المدراء الجدد وانتخبوا من بينهم السادة التالية أسماؤهم :

١ ـ الحاج عمر ميتا
أمين عام شرف

٢ ـ الحاج خالد كيبا
أمين عام

٣ ـ الأخ موسى محمد عمر
مساعد أمين عام

٤ ـ الأخ رمضان صفا
أمين صندوق

٥ ـ الحاج مصطفى كومورا
رئيس لجنة الدعوة والتبليغ

٦ ـ الأخ مطلوب على
رئيس لجنة الطبع والنشر

# بــاب الفــتــوى

للأســتاذ محمـود محمد رسلان

## زكاة الذهب والفضة وما فى حكمهما

**السؤال :**

كيف تخـرج الزكاة عن النقدين وما فى حكمهما ؟ وما الدليـل على ذلك ؟ مع بيان بعض الاحكام المتعلقة بهذه المعاملات ؟

**الجواب :**

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام على أشرف المرسـلين سـيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين • وبعد :

فلعل الحـديث عن الزكاة اليوم لا يأخذ حقه من العناية ، بالقـدر الكافى الذى نراه مثلا عن الصلاة ، أو الحج ، وان كانت كتب الفقـه لم تغفـل هـذا الركن الثالث من أركان الاسلام ، ولكن الحديث عنه بين المسلمين لا يكاد يكون الا فى المناسبات ، ربما لأن أنواع الزكاة كثيرة ومتشـعبة ، أو لأن اخراج الزكاة مرتبط بالمـال الذى هو قرين النفس وأثيرها مصـداقا لقول الله تعالى : « وانه لحب الخير لشديد» سورة العاديات آية ٨ ( الخير = المـال ) وقوله : « وتحبون المـال حبا جما » سورة الفجر آية ٢٠

مع أن الزكاة هى التكافـــل الاجتماعى الحقيقى لكل المجتمعات، وكان الأجدر لهذا الركن أن يأخذ حقه من العناية والتمحيص على كل المستويات الاسلامية ، ومن ثم فان هذا الباب سوف يقوم ـ ما أمكن ـ بشرح وبسـط هذا الركن بمشيئة الله ، بادئا بزكاة النقدين ، فنقول وبالله التوفيق :

الأصـل فى وجوب زكاة الذهب والفضة قول الله تعالى :

« والذين يكنـزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله

فبشرهم بعذاب أليم» وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ليس فيما دون خمس أواق من الورق ـ بكسر الراء ـ صدقة » وفى مسلم مثله من رواية جابر ، والأوقية الحجازية الشرعية أربعون درهما بالنصوص المشهورة واجماع المسلمين .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار » .

أما الاحكام ففيها مسائل .

احداها : تجب الزكاة فى الذهب والفضة بالدليل المتقدم والاجماع سواء فيهما المسكوك والتبر والحجارة منهما والسبائك وغيرها من جنسها ..

ثانيها : لا زكاة فى الذهب حتى يبلغ نصابا ، ونصاب الذهب عشرون مثقالا ، ونصاب الفضة مائتا درهم ، وهى خمس أواق بأوقية الحجاز والاعتبار بوزن مكة ، فأما المثقال فلم يختلف فى جاهلية ولا اسلام وقدره معروف ، والدراهم المراد بها دراهم الاسلام ، وهى التى كل عشرة منها سبعة مثاقيل الدرهم = ٣ جرامات .

وما الحكم اذا نقص النصاب حبة أو بعض حبة ؟

قال جمهور العلماء لا زكاة فيه..

وقال مالك : ان نقصت المائتان من الفضة حبة وحبتين ونحوهما مما يتسامح به ويروج رواج الوازنة وجبت الزكاة ، وعن أحمد نحوه ، وعنه ان نقصت دانقا أو دانقين ـ الدانق = $\frac{1}{6}$ الدرهم انظر القاموس المحيط كلمة ( دنق ) ـ وجبت الزكاة ، وعن مالك رواية أنها اذا نقصت ثلاثة دراهم وجبت الزكاة ، واحتج لهما بأنهما كالمائتين فى

المعاملة ، واحتج أصحابنا والجمهور بالحديث السابق : « ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة » . والأوقية : أربعون درهما .

ثالثها : لا يضم الذهب الى الفضة ، ولا هي اليه في اتمام النصاب بلاخلاف كما لا يضم التمر الى الزبيب ويكمل النوع من أحدهما بالنوع الآخر والجيد بالردىء .

رابعها : واجب الذهب والفضة ربع العشر ، سواء كان نصابا فقط أم زاد زيادة قليلة أم كثيرة ...

خامسها : يشترط لوجوب زكاتهما أن يملكهما حولا كاملا بلا خلاف فلو ملك عشرين معظم السنة ، ثم نقصت ولو نقصا يسيرا ثم تمت بعد ساعة انقطع الحول الأول ، ولا زكاة حتى يمضي عليها حول كامل من حين تمت نصابا وهذا لاخلاف فيه ، نص عليه الشافعي رضي الله عنه ...

سادسها : اذا كان الذهب أو الفضة الذي وجبت فيه الزكاة كله جيدا أخرج جيدا منه ، أو من غيره فان أخرج دونه معيبا أو رديئا أو مغشوشا لم يجزئه ...

سابعها : اذا كان له ذهب أو فضة مغشوشة فلا زكاة فيها حتى يبلغ خالصها نصابا ، هكذا نص عليه الشافعي رضي الله عنه ..

أما ما يفهم عن الكنز من قول الله سبحانه وتعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة » فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك » رواه الترمذي . قال حديث حسن ، وعن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة » كبر ذلك على المسلمين فقال عمر رضي الله عنه : أنا أفرج عنكم ، فانطلقوا فقالوا : يا نبي الله انه كبر على أصحابك هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها من بقي من أموالكم ، وانما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم فكبر

عمـر رضى الله عنـه ثم قال : ألا أخبركم بخـير مـا يكنز ؟ المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته ، واذا أمرهـا أطاعته ، واذا غاب عنهـا حفظته » .

وعن أم سلمـة رضى الله عنهـا قالت : « كنت ألبس أوضـاحا ـ قلادة ـ من ذهب فقلت يا رسول الله أكنز هـو ؟ فقال : ما بلغ أن تؤدى زكاتـه فزكى فليس بكنز » رواه أبو داود فى أول كتاب الزكاة باسناد حسن .

قال صـاحب الحـاوى : قال الشافعى الكنز : ما لم تؤد زكاته وان كان ظاهرا ، وما أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا ...

أما زكاة الورق ـ بفتح الراء ـ وهى العملة الرمزية التى يتعامل بها أهـل هـذا العصر على اختـلاف أجناسهم وأمصارهم فانها تقابل بما يساويها ذهبا أوفضة .

وسبب اصطلاح الناس واصطفاقهم على استعمـال الذهب والفضـة ما أودعه الله تبارك وتعالى من خصائص فى هذين المعدنيين نجملها فيما يأتى :

١ ـ ثباتهما وعدم تغيرهما بملامسة الماء أو الهواء لما فيهما من خواص تكسبهما مناعة ضد التآكل والصدأ وانطفاء البريق وقلة الجودة كالمعادن الأخرى .

٢ ـ ثبات القيمة نسبيا لأن النقل اذا كان متقلبا غير مستقر فانه يؤثر على الرخاء العام ، وعلى الحيـاة الاقتصادية فـلا تكون معيارا دقيقا ثابتا تقدر به الأشياء .

٣ ـ تجانسهما فى كل أنحاء العالم اذ لايستطيع الانسـان بالغا مابلغ حـذقه أن يميز بين الذهب الذى يستخرج من قارة استراليا والذى يستخرج من نيجيريا أو غيرها ولذا كان السعر واحدا فى جميع أسواق العالم .

٤ ـ امكان تجزئتهما مع بقـاء قيمتهما .

٥ ـ التزين بهما وامكان صنعهما على أشكال ونقوش يتزين بها النساء .

٦ ـ صعوبة الغش فيهما بسهولة تميز الزائف بمجرد الرؤية وسماع الرنين ، ثم صنعت الدول ماينوب عن هذين النقدين وهى قراطيس تتميز بنقوش أو صور وعبارات تحدد قيمة التعامل بهذه القراطيس وهى سندات يقابلها فى العادة رصيد معدنى من الذهب والفضة ، وصارت كتعهد بدفع قدر محدد من الذهب أو الفضة ، وتنحصر النقود الورقية فى ثلاثة أنواع : ـ

نائبة ، ووثيقة ، والزامية ، يقابلها على الترتيب الآتى : ـ

كمبيالة ، شيك العملة المتعامل بها ،

ولما كان التعامل بالفضة أصبح معدوما أو فى حكم المعدوم ، بقى التعامل بالذهب أوبمايعادله موجودا بين الدول وهذا من رحمة الله فبقاء العملة الذهبية معيار مضمون يقيم الناس عليه معاملاتهم فى هذه الحياة

ومن ثم فان نصاب الذهب وهو عشرون مثقالا منه تساوى عشرة دنانير ، والدينار يساوى جنيها من الذهب .

فاذا كان الجنيه من الذهب يساوى اليوم ٢١ جنيها مصريا مثلا فيكون النصاب الواجب اخراج الزكاة عنه هو ٢١ × ١٠ = ٢١٠ جنيها مصريا تقريبا والله أعلم .

ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع الى الأستاذ محمد نجيب المطيعى فى كتابه القيم ـ المجموع شرح المهذب ـ جـ ٥ ص ٤٦١ ـ ٤٧٩ فمنه استقينا المعلومات الطيبة بتصرف .

**حكم زواج المراة وعمتها**

**السؤال :**

ورد للمجلة السؤال التالى من المواطنة ... من الزرقا مركز فارسكور محافظة دمياط تقول فيه:

تزوجت من أحد المواطنين من بلدة اخميم ، وأنجبت منه ولدا وبنتا ثم تعرف على عمتى أخت والدى من الأم ، وهرب معها وعقد عليها عقد زواج وأنجب منها طفلا فما حكم هذا العقد ؟

**الجواب :**

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـد :

فقـد توجهنا بهـذا السـؤال الى الأسـتاذ العلامة محمد نجيب المطيعى فأجاب عنه مشكورا بقوله :

ان عقد زوجك ـ أيتها الأخت السائلة ـ على عمتك غير الشـقيقة باطل ، ولا يترتب عليه أى أثر من الآثار الشرعية ، ويجب التفـريق بينهما فورا ، وسبيلك الى التفريق أن ترفعى دعوى تفريق لا دعـوى طـلاق ، أمام المحـاكم الشرعيـة ( الأحوال الشخصية ) فى الدائرة التى وقع فيها التعاقد ( بين زوجك وعمتـك ) فانهـا ستحكم بالتفريق فورا ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الجمـع بين المـرأة وعمتها ، والمـرأة وخالتها حتى اذا كانت غير شقيقة ، ولو كانت عمة من الرضاع ، أو خالة من الرضاع أيضا لقوله صلى الله عليه وسلم :

« يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

كما أن هناك مسئولية جنائيـة تقوم على التزوير فى أوراق رسمية لأنهما عند التعاقد يسألان عن الموانع الشرعية فهما لاشك قد أجابا بالنفى مع وجود هذه الموانع مما يوقعهما تحت طائلة قانون العقوبات .

حتى المأذون الذى عقد العقـد يعـاقب اذا كان يعـلم بالتزوير ، وكذلك الشهود يعـاقبان اذا علما أنهما تزوجا زواجا غير شرعى .

والله أعلى وأعلم .

**محمود محمد رسلان**

من تراثنا الحديث

# كتاب الشهر:

# المحاضرة الأزهرية

للعلامة المرحوم الشيخ يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

نص المحاضرة التى ألقاها على جمهور من طلبة العلم

بالجامع الأزهر فى الرابع من المحرم سنة ١٣٣٦ هـ

# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جل سلطانه • وعظم برهانه • وأشرقت أنواره • وبهرت آثاره • تشامخ ملكه عن أن يحدده البحث ويحيط به العلم وتعاظم تدبيره عن أن يخضع لفهم أو يذل لوهم ( فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ) والصلاة والسلام على ذلك الرسول الأمين• الذى أبان الطريقين وأرشد الى السعادتين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين •

أما بعد فقد منى الاسلام من أبنائه بما شوه وجهه الجميل وكاد يذهب بروائه وبهائه ويمثله لجاهليه فى شكل المعتقدات الخرافية أو الصور الخيالية فكان من الواجب على كل عالم أن لا يألو جهدا فى بيان أسرار الدين وما اشتمل عليه من سعادة الدنيا والآخرة كما ينبغى له أن يطفىء نيران تلك الماديات التى أوغل فيها الناس حتى جهلوا الروحانيات (ومن جهل شيئا عاداه ) فحرموا بذلك من أبهى اللذات وأشرف المعلومات •

نعم يجب عليه ذلك حتى يعيد الى النفوس صحتها والى القلوب بهجتها كما يجب عليه من آن لآخر أن يستثير محبة الله تعالى من مكامن أفئدة عباده ببيان نموذج من نعمه عليهم • وشرح قليل من بدائع صنعه فى مخلوقاته حتى يتجلى لهم جماله وجلاله • وبهذا تتم انسانيتهم • وترتفع عن حضيض الحيوانات درجتهم • ويكونون بذلك قد وفوا حق ما خلق فيهم من ذلك الاستعداد الرفيع وأودع فى نفوسهم من ذلك الوجدان الرقيق وذلك العقل السامى ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون • فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ) وقد حدا بى ذلك الذى أعتقده واجبا على كل غيور على دينه محبا لأبناء وطنه أن أنشر لاخوانى المسلمين تلك المحاضرة التى ألقيتها

بالجامع الأزهر يوم أن زاره صاحب العظمة سلطان مصر (فؤاد الأول). وقد جعلتها مشتملة على ستة فصول

(١) حاجة الانسان الى الشريعة.

(٢) بيان شيء مما يغرس محبة الله تعالى فى النفوس •

(٣) مقارنة الشريعة بالقوانين الوضعية •

(٤) شهادة فلاسفة أوربا للدين الاسلامى •

(٥) تأييد المكتشفات الحديثة جاء فى ذلك الدين الحنيف •

(٦) تقرب الأوروبيين من الاسلام يوما فيوما من حيث لا يشعرون •

نعم أرى السير على ذلك النهج واجبا وتحريك ذلك الاحساس من النفوس لازما حتى يتبين أن الاسلام دين المدنية والعمران دين الدليل والبرهان والذوق والوجدان دين يحث العقول على النظر فى الكائنات ويدعوها الى التأمل فى الآيات ويوافى القلوب بمشتهياتها الروحية • والأجسام بمطالبها الطبيعية • ويحث على مصالح الدنيا كما يرغب فى ثواب الآخرة • ولا يريبنك ما عليه كثير من المسلمين الآن من سوء الحال واختلال الأعمال • فان ذلك بمقتضى أهوائهم لا من طبيعة دينهم • وان شئت فانظر اليهم فى عهدهم الأول حينما كانوا متمسكين به آخذين بتعاليمه • وانك لو نظرت ( بصرك الله ) الى ما جاء به من اصلاح النفوس ومداواتها من جميع أدوائها حتى تكون منابع خيرات تفيض على هذا المجتمع الانسانى • ومصادر بركات يترقى بها العمران ويصبح بها جميع النوع البشرى على غاية ما يكون من الصفاء والهناء لعلمت أنه تنزيل من حكيم حميد يشهد لنفسه بنفسه • ويقيم برهانا على صحته من طبيعة ذاته ولا شيء منظره دون مخبره وكل ما يقال عنه دون حقيقة جوهره مثل الاسلام • دين لو شئت أن أعرفك ما جاء فيه بالاختصار قلت لك أنه جاء بكل ماتحكم به الفطر السليمة والعقول الكبيرة والوجدانات الصافية والاذواق الرفيعة وما يقتضيه

العمران ويوجبه الاجتماع البشرى العام • وانى موقن ( لو عنيت بدرسه درسا صحيحا ) وجدت فيه أعظم المدنيات وأحسن المعاملات وأصفى الأسرار وأبهر الأنوار حتى توقن أنه بمقتضى حقيقته هذه يجب أن يكون هو الدين الباقى الذى لايعتريه نسخ ولا يطرأ عليه زوال وتعلم أنك قد عثرت على ما لم يعثر عليه ذلك الفيلسوف الذى يرى ان الديانات لابد ان تضمحل وتتلاشى قائلا : ( ان الدين كان يبقى غير قابل للزوال والتلاشى اذاكانت قواعده مطلقة عن الحدود ونواميسه مجردة عن القيود كما هو استعداد الانسان للكمال المطلق وأهليته للرقى الذى لايحده وصف الواصف ) وتعلم أن الاسلام جاء بكل ما يقول ذلك الفيلسوف بأتم معانيه وأبعد مراميه • ويتجلى لك أوضح من الشمس أن هذا ليس هو الدين الذى يقول عنه (لاروس) ان الدين يقول لمتبعيه (اعتقد وانت أعمى ) كلا ثم كلا ان الاسلام يقول لمتبعيه تفكروا تبصروا تدبروا انظروا الى كثير من أمثال ذلك مما ورد فى القرآن • ولست أدرى ماذا أقول لاخوانى من بنى الانسان الذين أحب لهم الحياة الطيبة التى تسرى فيها روح الحياة بكل معناها لا الحياة التى ظاهرها صفاء وباطنها يذيب القلوب أسفا وحسرة •

فاذا نظرت لهم وجدت جسومهم
فى جنة وقلوبهم فى نار

انا نقول لهم بصوت يملأ الخافقين • ويسمع الثقلين حاكموا هذا الدين أمام العقل حاكموه أمام الوجدان • حاكموه أمام البرهان حاكموه أمام المدنية والعمران حاكموه أمام شرائع المشرعين • وقوانين المقننين • وآداب المؤدبين • حاكموه أمام اخلاقكم ومستحسن عاداتكم • حاكموه أمام فلسفتكم وروحانيتكم قارنوا بين تاريخه وتاريخ الدول والأديان • أنظروا فيه بالمكروسكوب والتلسكوب • حللوه بما شئتم من التحليلات • امتحنوه بما أردتم من الامتحانات على شرط الانصاف وعدم التعصب فستنطق ظواهره الطبيعية والروحانية بأنه منبع كل

خير وجماع كل فضيلة قارنوا بينه وبين شرائع الأنبياء قبله . حتى تعلموا أن بعضها جثماني لاحظ للروحانيات فيه وبعضها روحاني ليس للجسمانيات فيه نصيب حتى دعا الى خراب الدنيا (وقال لايدخل الغنى ملكوت الله حتى يدخل الجمل فى سم الخياط ) وستعلمون من آياته ومعجزاته . الباهرة أن العلوم الطبيعية تخدمه على غير علم من ذويها حتى صارت نصوصه فى هذا العصر كما قال بعض الفضلاء أوضح من الضياء وأسهل جولانا فى العقل من الشعاع فى الماء فلا قاعدة دلت عليها التجارب ولا نظرية تأسست بشهادة المشاعر يكون لها أثر فى ترقية الانسان وتحسين بناء العمران الا وهى صدى صوت آية قرآنية أو حديث نبوى ( ولتعلمن نبأه بعد حين ) .

### حاجة الانسان الى الشريعة

ان النفوس الانسانية تمرض كما تمرض الأبدان بل هى مستعدة لذلك أكثر منها بمقتضى لطافتها وشدة تأثرها بكل ما تراه وتسمعه وبقوة انفعالها بميولها وشهواتها وان أمراضها لأكثر من أمراض البدن على كثرتها وقد يصل بها المرض الى حد الموت الروحانى بابطال خاصة الانسانية من العلوم والمعارف والأسرار والأنوار واذا لاينفعها الارشاد ولا يجديها التعليم ولذلك يقول القرآن : يريد النبى عليه السلام ( لينذر من كان حيا ) وقد سمى الجاهل الضال ميتا فقال (أو من كان ميتا فأحييناه) ويقول: ( يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ) كما أثبت لها المرض فى آيات كثيرة. وأن كل ضلال فى العالم وكل شر على وجه الأرض ليس منشؤه الا مرضا من أمراض النفوس وقد أرسل الله الأنبياء عليهم السلام أطباء لتلك الأمراض يعالجونها بأنواع العلاج ويرسمون لها قانون حفظ الصحة ان كانت موجودة بالحمية عن دنس الأخلاق ورذائل العادات وتعديل الميول ومراقبة النزعات والأهواء وردها ان كانت

مفقودة ، ومعلوم أن الانسان مركب من جزء علوى سماوى، وجزء سفلى أرضى أو تقول من جزء روحـانى وجزء جسمانى وان الانسان لا يسعى لمطالب الجـزء الجسـمانى من المطعم والمشرب واتقاء الحر والبرد الى غـير ذلك الا من حيث انـه حيوان لا انسان فان ذلك مشترك بينه وبين غيره من الحيوانات وان كان هو أوسع منها تفننا يسـتحق أن يسعى به سيد الحيوانات • وتعلم رعاك الله أنه لا قيمة لما تشـاركك فيه الحيوانات وان الانسان لا يكون انسانا على الحقيقة الا اذا وجدت فيه خاصة نوعه والا كان انسـانا بظاهره وصورته لا بباطنه ومعناه• فلهذا جاءت الشرائع الالهية ترقيك من حضيض الحيـوانية الى أوج الانسانية وتذيقك شيئا من حلاوة ذلك العالم الروحانى • عالم البهاء والصفاء • وتمتعك برياضه المونقة وحياضـه المتدفقة • وتنزهك فى جمال الملك والملكـوت والعظمـة والجبروت • فتنفتح عين بصيرتك لاسـتطلاع ذلك الجمـال الالهى الذى ظهر على صفحات الموجودات وتجلى بأروع ما يكون فى مرايا تلك المبدعات فتارة تقرأ فى خـلال تلك السطور من العزة القعساء والعظمة والكبرياء ما تنشرح له الصـدور وتبتهج به النفوس وتارة تطالع من حكمته تعالى فى خلقه وأسراره فى أرضه وسمائه ما تتحير فيه العقول وتخر لعظمته ساميات الأفكار وتارة تجول فى سعة الملك وعظمة الملكوت فتعرف أن أرضنا هذه جزء من ألف ألف جزء وأربعمائة ألف جزء تقريبا بالنسبة الى الشمس وأن الشعرى أكبر من الشمس بأضعاف مضاعفة وأن نور الشمس جزء من خمسين جزءا من نور الشعرى وأن المشترى يقطع فى الساعة الواحدة ثـلاثين ألف ميل وزحل يسير فى السـاعة ستين ألف ميل وأن الآلات الحديثة والنظارات المقـربة قد اضـمحلت وتلاشـت فى جنب ذلك الملـك العظيم • والاكتشافات الحديثة على عظمتها وكبريائها خرت ساجدة تنادى بالعجز والتقصير أمام تلك العظمة القاهرة والقدرة الباهرة ويعلم الله ما وراء الشعرى من العوالم والنيرات

( سبحانك ما عرفناك حق معرفتك)
هذا ولا يزال استطلاع الأسرار
واستفاضة الأنوار ومطالعة الجمال
غير المتناهى يستولى على قلوب
بعض عباد الله المستعدين لذلك حتى
أنهم ليصلون به الى حد التوله فى
محبة ذلك المبدع العظيم والتدله
بما يبهرهم من جمال ذلك القادر
الحكيم • ولا يسارعن الى انكار
ذلك بعض من تراكمت عليه الظلمات
وأحاطت به الآفات فليس من
الانصاف أن ينكر الانسان كل مالم
يصل اليه بحجة أنه لم يصل إليه •
فما أضعف ذلك احتجاجا • وأسمجه
برهانا فلعل هناك حاسة أخرى
باطنية لم تخلق فيه وفى أمثاله •

لعمرك ما هذا بهزء وانما
حديث غريب من بديع الغرائب

فاعرف قدرك أيها الانسان فما
أنت الا مخلوق ضئيل فى مخلوقاته
وكائن صغير فى جانب مكوناته واذ
كنت لست الا عالما من عوالم هذه
الأرض الكثيرة العدد وأرضك بكل
ما فيها ليست الاشيئا يسيرا بجانب
الشمس وليست الشمس الا شيئا
يسيرا بجانب الشعرى • وليس ذلك
كله الا شيئا يسيرا بجانب بقية
العوالم التى لم نعرف لها نهاية ولا
وقفنا لها على غاية • وقد قال فى
كتاب الأرواح نقلا عن الدروس
الأولية •

أقرب كوكب لنا بعد نظامنا
الشمسى يبعد عنا أكثر من
٢٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ من الأميال ومن
الكواكب ما يكون بعيدا جدا حتى
ان النور الذى يقطع فى الثانية
الواحدة مائة وستة وثمانين ألف ميل
وثلثمائة يحتاج الى الآلاف من
السنين حتى يجىء من الكوكب الى
أعيننا والمنظور بالعين المجردة فى
السماء ستة آلاف نجمة منها ثلاثة
آلاف ظاهرة ، وثلاثة آلاف خفية
ويرى بالمنظار المعظم ( التلسكوب )
خمسمائة مليون من النجوم •

وليس من المدهش ان نرى كوكبا
بأعيننا وضوؤه لا يصل الينا الا بعد
مائة سنة أو أكثر وقد عرفت سرعة
سيره وأنه يسير فى الثانية الواحدة
١٨٦و٣٠٠ ميل فتأمل هذه المسافات

العظيمة التى لا تستطيع أن تحسبها وانظر الى تلك الكواكب التى لا يعلم عددها الا الله كيف قدرت وبأى طريق خلقت وبأى علم نظمت .

وهل يعقل ان هذه النظامات العجيبة والآيات البديعة تخلق سدى وتذهب شعاعا وتكون باطلا ( ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ) .

(وقال فى محاسن المنظار المقرب (التلسكوب) يرينا نحو ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ من النجوم ) ولكن المنظر الطيفى أظهر ملايين الملايين . ثم قال : ان كثيرا من النجوم ضئيلة النور لفرط بعدها عنا فلا قبل لنا برؤيتها حتى بالمقرب (التلسكوب) ثم قال ان الشعرى اليمانية تبعد عن الشمس فى الدقيقة ألف ميل . الى أن قال ان ثلاثا من بنات نعش (مايا) و (الكترى) و ( السيون ) يفضحن الشمس ويفقنها نورا ونارا الأولى بأربعمائة ضعف والثانية بأربعمائة وثمانين والثالثة بألف ضعف . أما (سهيل) فهو أسنى من الشمس بألفين وخمسمائة مرة و ( السماك الرامح) أسطع منها بثمانية آلاف مرة .

فعلى الحقيقة ليست الشمس أم نظامنا السيارى وما هى الا نجمة صغيرة وكم حسبها الناس أكبر الأجرام السماوية وأسطعها .

ثم قال أما السماك الرامح فهو على حد علمنا أسرع النجوم سيرا وأشدها تألقا وأكبرها حجما تقدر سرعته بثلاث مائة ميل وكسور فى الثانية الواحدة ونوره ثمانية آلاف ضعف نور الشمس وحجمه ثمانون ضعف حجمها

أما بعده عنا فتخيله لنفسك عندما تعلم أن نوره لا يصلنا فى بضع دقائق كنور الشمس وهى على بعد ٩٢٥٠٠٠٠٠ ميل منا بل فى سنين كثيرة لا تقل عن مئين من السنين .

ثم قال وأما ( الشعرى ) فنورها الواصل الينا بعد سفرة طويلة مقدارها ١٦ سنة ضئيل جدا بالنسبة الى نورها وما هو الا جزء من ألفى مليون من نورها الحقيقى الى أن

قال ان النجمة المعروفة بعدد ١٨٣٠ (غرومبرودج) تسير ١٢ر٠٠٠ ألف ميل فى الدقيقة و (السماك الرامح) ٢٢٠٠٠ ميل تقريبا فى مثل هذا الوقت القصير وهناك نجوم بعيدة عنا جدا بحيث تمر آلاف من السنين ولا يكاد يظهر أدنى تغيير فى منظر القبة الزرقاء .

ولذلك قال بعض فلاسفة الأوروبيين من عظمة ذلك الملك ( يا لله ما أعظمك وأجلك وما أبهر قدرتك وأوسع علمك ليت شعرى من ذلك المجنون الذى اجترأ فسماك لأول مرة . الله . ) فماذا تكون نسبتك أيها الانسان الشامخ بأنفك الجاهل بقدرك بجانب تلك المخلوقات وعلام تتبجح كبرا وتيها وأنت الصغير ( وكبير عليك اسم الصغير ) أمام عظمة رب الأرض والسموات وليت شعرى بعد هذا ما شأن ذلك العرش الذى يصفه القرآن بالعظمة ولم نقف له على عين ولا أثر لا بأبصارنا ولا بنظاراتنا وناهيك أمر يعظمه القرآن

الله أكبر هذا البحر قد زخرا
وهيج الريح موجا يقذف الدررا

## فصل

فمن كان يحب أن يعطى الروح حظها من ذلك العلم الأعلى ويمتع بصيرته فى رياض ذلك الجمال الأسنى فليرتفع عن الانغماس فى الظلمات السفلية والغواشى الجسمانية وليربأ بنفسه أن يندرج فى سلك ذلك الفريق الذى لاخبر لديه عن مبدعه الحكيم والهه العظم ولا يدرى من أين جاء ولا الى أين يذهب ولا يعرف غير لذة الحيوانات والتغلغل فى أودية المحسوسات ولذلك يقول الله فيهم ( والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ) ويقول فى آية أخرى « ان هم الا كالأنعام بل هم أضل » فحرك من نفسك الشوق الى عالمك الأعلى عالم الصفاء والبهاء الذى هو وطنك الأصلى قبل أن تأسرك جنود الشهوات وتحيط بك تلك الظلمات فعسى ان لا تكون قد بطلت منك تلك الحاسة الفاضلة التى هى أجل حواسك وأعظم مواهبك فتعرف

معنى ذلك الصفاء وتدرك معنى تلك اللذة وتحس باشراق ذلك النور فترجع اليك سلامة فطرتك الأولى فتحيا حياة طيبة لا يشوبها كدر ولا يعتريها زوال بل تذوق من تلك اللذة التي يعرفها أربابها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما أرجو لى ولك أن يتحرك من قلوبنا محبة الله عز وجل فانها غذاء الروح وحياة القلوب وبهجة النفوس ومن وصل اليها فقد وصل الى محل الأمن من آفات الدنيا والآخرة فيسعد السعادة الأبدية ويرقى الى أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

## فصل

( فى الالماع الى ما يستثير محبة الله تعالى من النفوس المستعدة )

بادر لدرك الذى قد فات من عمرك
ولتتخذ زادك التوحيد فى سفرك

مليك الورى يا منتهى أملى
ما أشوق السر والمعنى الى خبرك

ما ظل لى أمل فى غير مشهدكم
ولا قرأت كتابا ليس فى سيرك

اذا كنت تحب أحدا لما يبهرك من علمه وسعة نظره من علماء الأمم فأحب الله تعالى الذى أتقن هذه العوالم كلها وأودع فيها من الأسرار ما أدهش فلاسفة أوروبا اشراق شعاع من نور شمسه حتى قال سبنسر الانجليزى ما ترجمته ( ليس الغرض من علم الطبيعة معرفة تلك الظواهر الطبيعية وانما الغرض الأسمى أن يشرف الانسان على ذلك السر الباهر ويستطلع تلك العظمة الالهية من وراء تلك الحدود التى ينتهى اليها علم الطبيعة ) ويكفيك ما اشتمل عليه الانسان من الأسرار المدهشة التى تكفل بها علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء مما بهر علماء الفزيولوجيا فطأطأوا له الرؤوس وعشوا أمامه كما يعشو الخفاش أمام الشموس . وان كنت تحب أحدا لمزيد شجاعته وعظيم قوته وحسن تدبيره من القادة والساسة فأحب أحكم الحاكمين

واقا ر القادرين وقيوم السموات والأرضين ورب العالمين • ومدير الخلق أجمعين • من أمره بين الكاف والنون • واذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون • وان كنت تحب أحدا لاحسانه ومزيد انعامه وعظيم تبريره فى باب الفضل والمكارم فأحب منبع النعم ومعدن الكرم وأين كل ما تتخيله اذا قسته بقطرة من بحار فضله ؟ وماذا نعدد لك من نعمه أو نسرد عليك من آثار كرمه بعد ما علمت أنه المفيض لكل نعمة فى الوجود وأنه رب الكرم والجود ( ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ) ولعمر الانصاف ان هذا لمقام يجب أن تتكسر فيه الأقلام وتخرس فيه الألسن فلن تطيق شرح نعمة واحدة من نعمه وانظر ان شئت لنعمة الهواء التى يتوقف عليها وجود كل حى الى آخر ما يتفرع منها ويتشعب عنها وان شئت فانظر الى نعمة الضياء أو الماء وما أودعه فى الأشياء من الكهرباء بباهر حكمته وعظم تدبيره ( ذلك تقدير العزيز العليم ) ( وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ) وقد أحس بتلك العظمة المدهشة وذلك الانعام الفائض على كل من فى الوجود ذلك الرجل العظيم صاحب النفس المطلقة من القيود ، الفيلسوف لينه الفزيولوجى الفرنسى الذى كان يدعوه وجدانه فيجيبه ويناجيه شعوره الحى فلا يتغافل عنه قال : ان الله الأزلى الكبير العالم بكل شىء قد تجلى لى ببديع صنائعه حتى صرت مندهشا مبهوتا فأى قدرة وأى حكمة رأى ابداع أودعه مصنوعات يده سواء فى أصغر الأشياء أو أكبرها ان المنافع التى نستمدها من هذه الكائنات تشهد بعظيم رحمة الله الذى سخرها لنا كما أن جمالها وتناسقها ينبىء بواسع حكمته وكذلك حفظها عن التلاشى وتجددها يقر بجلاله وعظمته ) ولنرجع الى أصل الموضوع فنقول

( اذا كنت تحب نفسك وكمالها فأحب من أوجدها فى أحسن تقويم وشق سمعها وبصرها وأسبغ عليها

نعمه ظاهرة وباطنة ولم يقتصر كرمه على افاضة الضروريات والحاجيات بل أعطاك من الكماليات ما تتنوع به لذتك وتتم به بهجتك فليس من الوفاء أن تعرض عنه وقد غمرتك نعماؤه وأشرق عليك ضياؤه وعذب لك ماؤه ولطف هواؤه وأنعشتك بدائع أكوانه من رياض غناء وصحارى فيحاء وأثمار شهية وألوان بهية ونغمات شجية ومناظر تطير بالقلوب الى حضرة علام الغيوب من شموس وأقمار وأطيار وأزهار وليل ونهار) أما يجب أن تقول عند رؤية تلك الآيات المدهشات والدلائل الناطقات والنعم الفائضات ما قال ذلك البدوى الذى لم تشغله المدنية وزخرفها عن أن يرجع الى قلبه ويستمع من حديث لبه حيث يقول:

هاج القلب من هواه ادكار
وليال خلالهن نهار

وجبال شوامخ راسيات
وعيون مياههن غزار

ونجوم تلوح فى جنح ليل
مشرقات فى كل يوم تدار

وشموس مضيئة للبرايا
فى نهار وفى الدجا أقمار

ورياح تهب من كل فج
وبروق وراءها أمطار

ان شأن الآله شأن كبير
جل ربا وجلت الآثار

والذى ذكرت دل على الله
نفوسا لها هدى واعتبار

أو تقول كما قال غيره مخاطبا نفسه مستحثا لها على العبرة واطالة الفكرة حيث يقول:

تبصر حيث كان لك التبصر
وفى ذات الآله دع التفكر

وان ترد المهيمن حين تذكر
تأمل فى نبات الأرض وانظر
الى آثار ما صنع المليك

فأنوار المهيمن ساطعات
وأفكار الخلائق حائرات

ولكن الأدلة واضحات
أصول من لجين زاهرات
على أغصانها ذهب سبيك

شموس في البرية مشرقات
نجوم في الدياجى لامعات

بطول الدهر دوما سابحات
الى ما لست أدرى طائرات

يطير بها له الجرم السميك

رياض مونقات منعشات
وألوان لعينك مدهشات

وأغصان تسرك ناضرات
على قضب الزبرجد شاهدات

بأن الله ليس له شريك

أو يقول كما قال ذلك القائل :

يقولون أين الله أين عجائبه
وذاالكون سفر واضح وهوكاتبه

يشكون والايمان ملء قلوبهم
ويبدون ما تلك القلوب تكذبه

فأى امرىء في الجو يرسل طرفه
اذا ما بدت أقماره وكواكبه

وليس يقول الله في عرش مجده
وهذى حواشيه وهذى مواكبه

وأى امرىء ما سبح الله مرة
اذا راقب الأزهار وهى تراقبه

عجائب ربى في الأنام عظيمة
ولكن جهل المرء لا شك غالبه

أو يقول وقد امتلأت نفسه بالوجود الحق الذى ظهر في جميع الأشياء وتجلى نوره في عوالم الأرض والسماء وان غاب عن الأبصار وجل أن يدرك بالأنظار

ظهر الوجود الحق في الأشياء
متجليا جهرا بغير خفاء

ان الوجود عن البصائر غائب
من حيث ما هو ظاهر للرائى

والفىء يكشف أن ثمة شاخصا
متحكما فيه بغير مراء

فرأيته من حيث لم تعلم به
وعلمته في رتبة الأسماء

والشمس لا تسطيع رؤية ذاتها
لتألق فيها وفرط ضياء

أو يقول ما قال ذلك الرجل الذى رآه ظاهرا في آثاره ظهور الشمس وان تعالى بحقيقته عن العقول :

حسن تراءى في المرائى
وبه تحير كل رائى

والكائنات جميعها
موج على صفحات ماء

والأمر أمر واحد
فيه التقارب والتنائى

والكـون غرس زينت ... ذى الأرض فيـه مـع السـماء
بكـواكب ومـواكب ... والـنجم خفـاق اللـواء
والطبـل أجسـام الملا ... والزمـر أرواح الفضـاء
وصـدا جميـع الكائنـا ... ت أخى من أشهى الغنـاء
هـو باطن هـو ظاهر ... فاحـذره من وجـه الخفـاء
واطلبـه من وجـه الظهـو ... ر تجـده فى كل المراء
شـمس وكـل الخلـق فى ... أنوارهـا مثـل الهبـاء
لكن اذا انكرتهـا أصـبحت من ... حمقى الخلائق لا من العقـلاء
يا قـوم كيف عقولنـا ... لا تضـمحل من البهـاء

أو يقول عندما يرى الأشجار تتهادى فى حلل الأوراق والأزهار معجبا برؤيتها متعجبا من قـدرة خالقهـا :

يا صـاحبى عجبـا لملابس ... قـد حاكها من لم يمد لها يـدا

فقل لى بعيشك هل من الحيـاء ( والحياء خلق كل كريم ) أن تتمتع بما خلق الله لك من الأضـواء . والاصباح والامساء . وما أوجـد لك من بديع الأشياء . وسخر لك من الأرض والسماء . وكان الأمر على ما يقول عـز وجل : ( وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنـة ) ثـم لا تؤدى شكره ولا تعرف قـدره

انى لأعجب ممن قد رأى طرفا ... من فرط لطفك ربى كيف ينساك

فان كان لا يؤثـر فى نفسـك فائض انعامه ومزيد احسـانه ولا ما هو عليه من قدرة يتحير فيهـا الناظرون وعظمة لا يصفها الواصفون وعلم لا يعزب عنه مثقـال ذرة فى الأرض ولا فى السماء وحكمة أتقن بها جميع الأشياء ولا ما هو متصف به عـز وجـل من نعوت الجـلال وصفات الكمال وكان لا يستولى على نفسك الا سلطان الحسن الذى تشاهده بعينك أو تلمسه بيـدك فاعلم أن كل جمال يقع عليه حسك أو يتصل به لمسك فانما هو ظل من

ظلال ذلك الجمال المطلق الذى يجل عن الحدود ويتعالى عن القيود وليس يعطيك أى مظهر من مظاهره الا بعض سرائره ولا تمثل لك أى مرآة من مراياه الا بعض مزاياه •

وأنى يسع المحدود من لا يقبل التحديد وكيف لا يضيق المقيد بمن لا يدخل فى سجن التقييد •

ان قلت هذا فان الحد يحصره
أو قلت ذا فكلام لست أدريه
أو قلت عندى جاء الظرف يطلبه
والظرف حق ولكن ليس يحويه
ما ان رأيت وجودا لست أدريه
الا الذى أنا معنى من معانيه

فطوبى لمن شم عرف شذاه أو شام برق سناه وهنيئا لمن شرب قليلا من مدامه ولو مزجا أو نظر اليه ولو شذرا • فاذا لم يدر ما هو تائق اليه ومتلهف عليه قال :

شىء به فتن الورى وهو الذى
يدعى الجمال ولست أدرى ماهو

وقد قال بعض الحكماء لتلاميذه ان الناس كلهم يشتاقون الى الله أتدرون لماذا ؟ لأنهم يتوقون الى اصلاح لا يتناهى ،وجمال لا يتناهى، وكمال لا يتناهى وليس ذلك الا الله •

فارجع الى سلامة فطرتك وحدق بصر بصيرتك وطالع ذلك الجمال الالهى الذى تجلى على صفحات الموجودات • واقرأه بين سطور تلك المبدعات ثم انظر رعاك الله الى أى حد انتهيت ولا أظنك ان كنت رقيق الوجدان لطيف الشعور قوى الاحساس بالجمال الا وقد وصلت الى معنى يصغر بجانبه اسم الحسن اذ تجدك أحسست بجمال لا يتناهى وغرقت فى بحر من الجلال لا يحد ولا يأتى عليه التغيير •

فطورا فى الجلال على التذاذ
وطورا فى التذاذ بالجمال

وعند ذلك ينطق لسان حالك منشدا :

عجبت لعاقل فى الناس أضحى
يرى هذا الجمال ولا يهيم

ويترنم بلبل روحك مغردا :

لعمرك كل الحسن من بعض حسنه
وما الحسن كل الحسن الا جماله

فاستجلى هذا الحسن رعاك الله فى كل شى تراه من العلويات والسفليات

ان شئت فى فلك أو شئت فى ملك
أو شئت فى مدر أو شئت فى حجر

فالكل ينطق أن الله خالقه
وهو المليك ورب النفع والضرر

وهل الشمس وهى أظهر ماعلمت وأبهر ما رأيت وأجمل ما وقع عليه البصر وأبهى ما وصل اليه النظر الا أثر من آثاره ونور من أنواره قد كتبت عليها سطور البهاء والجمال والعزة والجلال فنحن نقرأ فيها قدرة نخر لها ساجدين وحكمة نقف أمامها مبهوتين وجمالا يذوقه الوجدان وان كان لا يكفيه، وتمتلىء به النفوس وان كانت لا تعرفه ونطالع فيها رحمة تجعلنا قائلين بلسان الشاكرين: (تبارك الله أحسن الخالقين) وحقه وما أكبر حقه لو تفرغت من الشواغل التى أخذتك ولم تدع منك شيئا لعشقت فذقت فنطقت فقلت :

تراه ان غاب عنى كل جارحة
فى كل معنى لطيف رائق بهج

وفى مساقط أنداء الغمام على
بساط نور من الأزهار منتسج

وفى مسارح غزلان الخمائل فى
برد الأصائل والاصباح فى البلج

وفى مساحب أذيال النسيم اذا
أهدى الى سحيرا أطيب الأرج

عظم والله البرهان • وامتلأ الوجدان • ووصل الأمر الى حد العيان • وليس بعد العيان بيان • ولكن قويت الأنوار • فغشيت الأبصار • وكل ما اعتيدت مشاهدته • وتكررت رؤيته • سقط عن القلب وقعه • وان عظم نفعه • ولكن الهمة أن تكون من المستبصرين • لا ممن أخلد الى الأرض من الغافلين الجامدين :

خليلى قد طال المقام على القذا
وحال على ذا الحال ياقوم أحوال

فاطلب رعاك الله مرافقة سكان الملكوت • وعشاق الجبروت • فان

كنت تحب أحدا لما بينك وبينه من التشاكل والتناسب فأحب الملأ الأعلى سكان ملكوت الله تعالى فان فيك ما يشاكلهم تمام المشاكلة ( ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ) وليس غذاء هذا الجوهر النفيس الا العلوم والمعارف ولا مطلبه الا الصفاء والهناء ولا أمنيته الا الاطلاق من جميع التقييدات والاطلاع على جميع المغيبات . وهو من عالم التقديس والتطهير ولكنك نسيت عالمك الأول مذ فارقته واشتغلت بمطالب هذا الهيكل الجسمانى الذى لابد لهمن الفناء فأنست بالظلمات وتمرنت على احتمال الآفات :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت ايلام

ولذلك يصف القرآن من هذا حاله بالموت لأنه أمات أفضل غريزة فيه بل أمات خاصيته التى هو بها انسان على الحقيقة فيقول : ( أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ) وقد استولت عليك هذه المطالب الجسمانية حتى أنستك عالم البهجة والبهاء وصرت لا تعرفه ولا تحس به وانه لموطن روحك ومحل أنسك وليست الروح تحب هذه الملاذ الجسمانية الا لأجل بدنها لا لأجل ذاتها، وأما مطلبها الذاتى وغذاؤها الأصلى فهو الأسرار والأنوار ولما طال بها العهد وهى فى سجن الظلمات ومحل الآفات نسيت ما هى مستعدة له ومخلوقة لأجله وهو فى الحقيقة نسيان لنفسها ( نسوا الله فأنساهم أنفسهم ) فكأن لم يكن لها عهد بالصفاء ولا علاقة بعالم الجمال .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أسأل الله أن يعيد لأرواحنا صحتها الأولى ويخلصها من أمراضها التى أضعفت منها تلك الحاسة العليا التى هى مناط لذتها الكبرى وشرفها الأعلى وخاصيتها الأولى ويرزقنا محبة الله ومحبة الأنبياء الذين هم أطباء الأرواح وأساتذة النفوس بمنه وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير .

**المقارنة بين الشريعة والقوانين الوضعية**

لعل قائلا يقول ان القوانين الوضعية تغنى عن الشرائع الالهية فنقول له سر معنا على شرط الانصاف وترك الاعتساف ونحن نوقفك على فروق جوهرية اجمالية بين الشريعة والقانون بها تعرف مقدار رجحان الشريعة وتفوقها وأن كل ما عداها من النظامات والقوانين منها بمنزلة أجرام النجوم من الشمس :

قد علمت أن الشريعة جاءت بمطالب الروح والبدن جميعا وكفى بذلك فرقا كبيرا بينهما ولكنا نزيدك فروقا أخرى فان القانون لا يطلب الا حفظ النظام العام ولا يعنيه الا وحدة الأمة وراحة الحكومة ولا يهمه شؤون الأفراد ولا من وظيفته اصلاح حالهم وأما الشريعة فقد تكفلت باصلاح الأفراد كما تكفلت باصلاح الأمم فرسمت لكل انسان خطة واضحة يسير عليها فى نفسه وفى أسرته وفى جيرانه وفى الناس أجمعين وحظرت عليه أخلاقا تعوقه عن كماله ورقيه الى أحسن أحواله فطهرته من الحقد والغل والحسد والشره وسوء الظن الخ الخ حتى أمرته أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وطلبت منه أن يكون خيرا محضا وأن تكون سريرته أفضل من علانيته وعلمته أن يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة وتعلم رعاك الله أن الأمة لا تصلح فى مجموعها الا اذا صلحت أفرادها والا كانت كالبناء المرتفع أمام الأنظار من خارجه المتفتت الأجزاء فى داخله وان شئت فألق بنظرك الى ثروة أمتنا المصرية تجدها قد ذهبت ثلاثة أخماسها تقريبا فاذا بحثنا عن سبب هذا وأردنا أن نشخص ذلك الداء الذى سرى فى جسم الأمة سريان السل فى جسم الرجل العظيم وجدناه راجعا الى عدة أمور تحرمها الشريعة كل التحريم فمنها الربا الذى ورد فيه الوعيد الشديد فى القرآن والسنة ومنها المقامرة التى جعلها القرآن من عمل الشيطان وناط الفلاح

باجتنابها حيث يقول : ( انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ) ومنها المنازعات التى ما جاء الدين الا ليستأصل شأفتها من النفوس ، ومنها كثرة صرف المال فى غير محل الضرورة ولا موطن الحكمة وقد ذم الله المبذرين حتى جعلم اخوان الشياطين فقال : ( ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ) الى غير ذلك مما يعرفه المستبصر ولا يخفى على الباحث .

فلو أن الأمة تربت تربية دينية وحافظت على شريعتها لحفظت عليها ثروتها ولكانت الآن من أغنى الأمم التى على وجه الأرض .

فماذا أغنى عنها القانون وقد تركت شريعتها فذهبت ثروتها التى هى أساس مجدها ومناط حياتها على الحقيقة ؛ بل يمكننا أن نقول ان الشريعة أبلغ فيما يريده القانون أيضا من منع الناس عن ارتكاب الجرائم والتعديات،فان الانسان لا يخاف القانون ولا يرهب سلطانه الا اذا لم يكن له وسيلة الى الخلاص منه.

فاذا عممنا التربية الدينية نكون قد وطدنا دعائم الأمن العام أكبر توطيد بمقتضى ما يغرسه الدين فى القلوب من أن الله يعلم السر وأخفى وأنه يحاسب على الفتيل والنقير ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) وأن من روع أخاه لم يؤمن الله روعته يوم القيامة الى آخر ما جاء فى الكتاب والسنة وهو كثير ، فلا فرق اذا بين أن يكون الانسان فى العواصم حيث متناول الأحكام بمرأى ومسمع من الحكام وبين أن يكون فى الصحراء الكبرى حيث لا ديوان ولا سلطان .

فالخلاصة أنه لا يوجد شىء أنفع للحكومة والأمم والأفراد فى أحوالها الاقتصادية والاجتماعية من التربية الدينية ، فمن فوائدها للحكومة أنها تردع الناس عن الجرائم لأنها ترجع طمعهم فى الدنيا الى الحد المعتدل فلا يتهالكون عليها هذا التهالك الشديد . فالفرق بينها وبين القوانين

من هذه الوجهة أن القوانين لاتخفف محبة الدنيا من القلوب ( ومحبة الدنيا كما تعلم أساس المنازعات والمخاصمات ومنشأ التعدى وكل أنواع الايذاء حتى أخذ الرشوة والسرقة ) ولا تطهر النفوس من رذائلها كالحرص والحسد والشره والبغى والحقد والغضب الى غير ذلك ولا يخفى ما يترتب على تلك الرذائل فى المجتمع الانسانى من الشرور وسوء المعاملة بمقتضى تلك العوامل الخبيثة التى تسوق صاحبها الى هلاكه وهلاك غيره شاء أم أبى •
والفرق الثانى أن مراقبة الله لاتثمرها القوانين فيمكن أن يتقى الانسان غائلة القانون بالتحايل والاختفاء بخلاف الشريعة •

والفرق الثالث أن القوانين لا تكفل نظام الأفراد ولا تتعرض لشئونهم ولا لاصلاح حالهم فى أنفسهم •

والفرق الرابع أن الشريعة تعطى الروح حظها من معرفة الله وتستحث القلوب على التنزه فى الجمال المطلق الذى لأجله بحثت كل أمة عن آله تعبده • هذا ولا نزال نكرر أن الأمة المصرية لو كانت على الدين الصحيح ما ذهب شيء من ثروتها التى كادت تتلاشى بالكلية ، لأنها لم تذهب كما قلنا الا بالربا والمقامرة والاسراف والتبذير والدخول فيما لا يغنى والتفاخر والتنافس وكل ذلك يحرمه الدين ) وانظر الى الأمة الاسلامية فى بدء أمرها حيث سادت جميع الأمم فى أقل من قرن بفضل سيرها على تعاليم دينها الذى يقول لها ( علو الهمة من الايمان ) ويعلمهم أنهم يخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وأنهم لا يخافون فى الله لومة لائم وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وأن الآخرة خير وأبقى وأن الله يعلم سرهم ونجواهم ، ويعلمهم أن ينفروا اذا دعوا خفافا وثقالا وجماعات ووحدانا ، وأوجب عليهم الهجرة من أرض الذل ، وأمرهم بحسن المعاملة مع كل أحد والاعتدال فى كل شيء وحذرهم من الافراط والتفريط وحض على طاعة المرءوسين للرؤساء ومشاورة الرؤساء للمرءوسين وقد قال لنبيه عليه السلام ( وشاورهم فى الأمر ) ، بل أمر باحترام الطبقة

الدنيا للطبقة العليا عموما . فعل كل ذلك كى تتم المحبة بين الجميع وتكون الروابط على أكمل وجوهها . بالغ فى الحث على التعاون والاتحاد وطلب من كل أحد أن يعمل من الخير ما يعود على عشيرته وأمته حتى جعل اماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الايمان وهو القائل : ( وتعاونوا على البر والتقوى ) ، (يد الله مع الجماعة)، وأمر باستعمال العقل فى كل شىء ونهى عن اتباع الظن حتى قال : ( ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ) ونعى على قوم سوء حالهم بقوله : ( ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا ) وبنى عقائده على صرائح العقول ومقتضى البراهين الى آخر ما جاء فيه ولذلك كان غير قابل للنسخ، لأنه لا يتأتى أن يجىء زمان يحسن فيه ترك الاعتدال ومجاوزة الحدود والتباعد عن مكارم الأخلاق فلا غرو أن يصبحوا بفضل هذه التعاليم من أعز الأمم وأرفعها مع راحة القلوب واطمئنان النفوس وابتهاج الأرواح والتبريز فى كل خير وفضيلة فالمسلمون اليوم وان كانوا على أقبح صورة فالاسلام عند من يعرفه على أجمل صورة ولذلك نقول : ان نقص المسلمين وتأخرهم لنقص تربيتهم الدينية لا لنقص فى دينهم . وعلى الجملة فالتربية الدينية أعظم وسيلة الى توطيد الأمن العام وتحسين العلاقات الوطنية والمعاملات التجارية وجميع الشئون الاقتصادية وأكبر شىء معين على حفظ الثروة وترقية الأمة وتقوية الروابط الودية فيما بين أفرادها عند ما تكون لها تلك النفوس الطاهرة فتتمكن منها عرى المحبة والاخاء بمقتضى قول الدين : ( لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ) وانا لنتمنى تحقيق تلك الأمنية التى لا شىء أنفع للأمة منها فى هذا العصر الميمون ان شاء الله (وما ذلك على الله بعزيز) وأما التربية غير الدينية التى عنيت بها مدارسنا الآن فلا تطفىء تلك النيران المتأججة ولا تلطف من سورتها ولا تحدث مراقبة الله فى النفوس بل تجعل المتربى بها يعتقد

أنه أولى بالثروة والرفعة من غيره فيحتال لذلك بكل أنواع الحيل وتمتلىء نفسه حسدا على كل من سواه ، وربما جرت تلك التربيةالى الالحاد ونبذ المعتقدات فأصبح لا يعنيه الا الدنيا ولا يهمه الا التنافس فيها بلا مراقبة لله تعالى (لأنه لا يعرفه) ولا طمع فى الآخرة (لانه لا يؤمن بها) .

**فصل**

كنا نتمنى أن يعرف المسلمون دينهم كما عرفه فلاسفة أوروبا وأثنوا عليه الثناء العاطر مثل توماس كرليل الانجليزى . وتولستوى الروسى . والدكتور موريس الفرنسى . والكونت هنرى كاستلى . والفيلسوف كاين تيلر . وجوزيف تومبسون لوازون . والدكتور مارقس دودس . والدكتور مودسلى . والميسوتشارلس وغيرهم (انظر كتابنا الجواب المنيف فى الرد على مدعى التحريف فى القرآن الشريف) وانهم هناك ليقدسون الامام الغزالى وابن رشد وابن خلدون على حين أن المسلمين لا يعرفون عنهم شيئا ها هنا .

الاسلام أمره عظيم وشأنه جسيم وهو الضالة المنشودة لطالب السعادة ومحب الهناء ولكن فرط علماؤه فى بيان أسراره وعوامه فى التمسك بأحكامه حتى أظهروه بأقبح المظاهر وأبشع الصور ولكن هذه فى الحقيقة صورة المسلمين لا صورة الاسلام . الاسلام فقد مجده منذ زمان بعيد بسبب تفريط أبنائه وانحراف أمرائه وتقصير علمائه وقد أصبح الأوربيون يتقربون منه شيئا فشيئا من حيث يشعرون أو لا يشعرون لكون مبادئه يشهد لها العقل وتحكم بها الفطرة ولنعقد لك فصلا نذكر فيه شيئا عن هذا ونلحق به تأييد المكتشفات الجديدة لما جاء فى الدين الاسلامى فنقول :

**فصل**

الاسلام هو الدين العام لجميع الأمم الباقى فى جميع الأزمان الكفيل بحاجات الانسان الروحية والبدنية فى كل زمان ومكان بل كلما تقدمت

العصور وترقت الأمم ظهر برهان جديد على صحة الاسلام ورفعة شأنه وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • فقد كان كثير من المسائل يعتبر تعبديا فى العصور السابقة لا يعقل له معنى ولا يعرف له وجه ، فأصبح الآن بفضل تقدم العلم معقول المعنى معروف السر كتتريب الاناء الذى ولغ فيه الكلب والمبالغة فى غسله • وكتحريم لحم الخنزير الذى عرف الآن انه يولد فى الجسم أدواء كثيرة من أخصها الدودة الوحيدة والشعرة الحلزونية وعملهما فى الانسان شديد ، وكثيرا ما يكونان السبب فى موته ، وأما الكلب فكثيرا ما تكون فيه ديدان مختلفة الأنواع ومنها دودة شريطية صغيرة جدا فاذا ولغ فى اناء أو لمس انسان جسده بيده أو بلباسه انتقلت بويضات هذه الديدان اليه ووصلت الى معدته فى أكله وشربه فتثقب جدرانها وتصل الى أوعية الدم وتصل الى الأعضاء الرئيسية فتصيب الكبد ويكون استسقاء زقيا وتصيب المخ فينشأ عنه صداع شديد وقىء متوال وفقد للشعور وتشنجات وشلل فى بعض الأعضاء وتصيب القلب فربما مزقته فيموت الشخص فى الحال • وقد أوضح ذلك كله الدكتور توفيق بك صدقى •

ومن ذلك تحريم الخمر • أبان العلم أن بها أضرارا كثيرة تضعف القلب • وتفرى الكلى • وتمزق الكبد • وتضعف النسل • وتضر بالعقل • الى غير ذلك من المسائل التى جاء بها الاسلام وأيدها العلم •

وقد أصبحت أوربا تتقرب من الدين الاسلامى شيئا فشيئا وتأخذ بمبادئه وتسير على قواعده يوما فيوما من حيث تشعر أولا تشعر بعد أن عادته أشد العداء زمانا طويلا فقد كانوا يندون على مسألة الطلاق فى الاسلام فعندما رأوا أنها ضرورية للعمران ولا معنى لأن يعيش الرجل مع امرأة تباينه ميولا وأخلاقا اضطروا الى العمل بالمبدأ الاسلامى فى ذلك وعندهم الآن سجلات يزداد فيها عدد الطلاق عاما فعاما وكذلك مسألة تعدد الزوجات وهى من أشد ما كانوا ينقمونه على

الاسلام ويترنمون بحديثه ؛ هدتهم الحوادث وأرشدتهم الكوارث الى ما فيه من المصالح للوطن بازدياد رجاله وتضاعف قوته وترقية شؤونه فى كل فن من فنون الحياة وخصوصا فى تلك الحروب الآكلة التى ضاعت فيها الألوف المؤلفة من الرجال وتأيم فيها ما لا يحصى من النساء وفيه من الحكم الكثيرة ما لا أستطيع أن أذكره الآن وقد رأيت منذ زمان أن بعض الفلاسفة هناك يغبطون المسلمين الذين يصيرون ذوى عدد كثير فى زمان يسير بفضل كثرة الزواج ولذلك رأينا على صفحات بعض الصحف أنهم أصبحوا يستحسنون بل يوجبون الاكثار من الزواج تلافيا لذلك الخطر الذى يتهددهم ويكاد يأتى على بنيانهم من القواعد ؛ ومن ذلك ما اهتدت له ألمانيا من منع المضاربات الا على وجه مخصوص يقربها من الدين الاسلامى كما اهتدت انكلترا الى منع الزنا رسميا حينما رأت فيه ضياع الانساب المؤدى الى فقد العصبية وترك التناصر وادخال الغش على ذوى الأنساب بجعل الأجنبى الذى ليس منهم قريبا لهم وداخلا فيهم وتمليك الأموال بمقتضى الميراث لغير مستحقيها وضياع الولد لعدم من يربيه حق التربية وافساد الألفة الصحيحة بين الرجل والمرأة واحداث الشقاق الذى قد يؤدى الى القتل بمقتضى الغيرة الطبيعية ... الى غير ذلك من مفاسد الزنا ومن ذلك ما قال بعض المتعربين ( المستشرقين ) الفرنسيين : ( ان فى الدين الاسلامى دواء ناجعا فى تخفيف ويلات الفوضويين الذين هددوا بناء العمران وزعزعوا أركان الأمن العام فى ربوع أوربا ذلك ما فرضه الاسلام فى مال الأغنياء للفقراء كل عام وأوجب على الحاكم أن يأخذه منهم ولو بقتال كتنفيذ الأحكام القضائية ) ولو اتسعت معلوماته لعرف أن الاسلام ندبهم بعد ذلك الى الصدقات سرا وجهرا مع المبالغة فى الحث عليها حتى أوجبها بعض العلماء ثم رغب أيضا فى اقراض المحتاج حتى وعد عليه من الثواب

أكثر مما وعد على الصدقة وأوجب أن يكون ذلك من غير ربا ولا منفعة تعود على الغنى من الفقير وجعل ذلك حقا من حقوق الانسانية الى غير ذلك مما ورد فى الاسلام من مواساة الأقوياء للضعفاء ومشاركة الجميع فى تحمل أعباء الحياة وهذا الدواء بعينه كاف فى اقناع الحزب القائم هناك ضد أرباب المصارف الذين تركتهم الحكومة وشأنهم فلم تأخذ منهم شيئا بخلاف أرباب الأملاك الأخرى من الأطيان والعقارات واذا اجتمعت بالواقفين على أحوالهم عرفت أن هناك أحزابا كثيرة تدعو الى مبادىء كثيرة من مبادىء الدين الاسلامى فى مسائل وأسرار لا يسكننا فى هذه العجالة الا أن نرمز اليها رمزا ونكل تفصيلها الى الباحثين ، واجمال القول أنه قد تضافرت البراهين الحسية والعلمية والتجريبية على صدق الدين الاسلامى فيما جاء به ؛ حتى فى أشد المسائل بعدا عن المحسوس وأعظمها انكارا لدى العصور السابقة ، فقد كانوا يهزءون بما جاء به الاسلام من

فناء العالم وذهاب النيرات وطى السموات حتى أثبتت لهم الاكتشافات الحديثة أن العالم العلوى المرئى مركب من نحو أجزاء هذا العالم مثل البوتاسا التى اكتشفوا انها داخلة فى أجزاء الشمس وتبين لهم أن حرارة الشمس تتناقص شيئا فشيئا وأن نواميس هذا الكون السفلى سائدة أيضا على تلك العوالم العلوية وان كان هناك فرق بينهما . وقد سبق لك أن الاسلام دين تخدمه العلوم الطبيعية على غير علم من ذويها ؛ بل أقص عليك ما يزيدك فى أمر هذا الدين عجبا ويملأ قلبك منه روعة ؛ وهو أن المسلمين أنفسهم لم يعرفوا مغزى كثير من نصوصهم القرآنية الا بفضل تقدم العلوم الطبيعية مثل تلقيح الرياح للأشجار الذى لم يكتشف الا منذ عهد قريب وقد نص عليه كتاب ذلك النبى الأمى منذ ثلاثة عشر قرنا فى قوله : ( وأرسلنا الرياح لواقح ) فكنا نفسره على حسب ما يقتضيه استعدادنا وعلوم عصورنا الماضية

حتى جاءت الاكتشافات الحـديثة فعرفتنا ما يرمى اليه الكتاب العزيز وكان آية من آياته وكذلك ما كان يقول منـذ ذلك الزمان البعيـد ( وأنبتنا فيها ) أى الأرض ( من كل زوج بهيج ) ويقول : ( ومن كل شىء خلقنا زوجين ) ويقول:(سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسـهم وممـا لا يعلمون ) وكـان يفسره المفسرون حسب استعدادهم وما هدتهم اليه أبصارهم وعلومهم حتى أبانت لنـا العـلوم الطبيعية أن فى كل نبات ذكراوأنثى فعلمنا بذلك سر هذه الآيات ومغزاها وكان كثير منا يفهم فى مثل قـوله تعالى : ( حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مسـاكنكم لا يحطمنكم سـليمان وجنوده وهم لا يشعرون ) أن هذا ضرب من التمثيل ونوع من المجاز حتى أبان لنا علماء الحيوان شـيئا كثيرا من أعاجيب النمل فعلمنا أن الآية على حقيقتها بشهادة العلم بل رأينا فى القرآن أبلغ شىء فى هـذا الموضوع مما دهش له علماء أوربا حتى قال بعض المتعربين ليس هناك ما يبين رفعة شأن الحيوانات مثـل قول القرآن:( وما من دابة فى الأرض ولا طـائر يطير بجناحيـه الا أمم أمثالكم ) وكذلك لم نكن ندرى أى خطر للشعرى حتى يقول القرآن فى معرض الثناء عليه تعالى : ( وأنه هو رب الشعرى ) حتى أبانت لنا الاكتشافات الحديثة أن الشـمس أكبر من الأرض بما يزيد على ألف وثلثمائة • وأن الشـعرى أكبر من الشمس بأضعاف مضاعفة وأن نور الشمس جزء من خمسين جزءا من نور الشـعرى فنصر الله العـلوم الطبيعية التى عضـدت الاسـلام وعضدها الاسلام وليت شـعرى ما وراء ذلك • الا أن فى الأرواح نزوعا الى ذلك البحر الذى تسـمع عجيجه ولا تراه •

هذا ، وهناك مسائل فلكية وطبية وجغرافية عرفت حقائقها وما أراد منها القرآن بفضل تقـدم العـلوم الطبيعيـة وشـأنه فى المسـائل الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية

لا يقل عن ذلك فى انتصار المباحث العلمية له وتأييد الفلسفة الحديثة اياه ( فلماذا لا نقول بعد ذلك ان الاسلام دين تخدمه العلوم الطبيعية على غير علم من ذويها ) •

كانوا يهزءون بما جاء فى الدين الاسلامى من الحياة الأخرى وما يذكر فيه من الروحانيات واثبات عوالم أخرى غير العوالم المحسوسة ويعدون ذلك من الخرافات حتى بدا لهم شعاع ضئيل من نور شمس ذلك العالم باستحضار الأرواح الذى أصبح الآن لمس اليد ورأى العين فعرفوا أن ذلك التخريف كان منهم لا من الدين وأيقنوا بما قال القرآن ( وما يعلم جنود ربك الا هو ) وعرفوا بما شاهدوه من أفاعيل الأرواح التى خرقت لهم كل نواميس المادة سر قوله تعالى : ( قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ) ومن تلك الاكتشافات التى أيدت الاسلام غير ما تقدم النهى عن استعمال الماء المشمس فى اناء من نحاس فى بلد حار • ومن ذلك ما ورد فى بعض الروايات الاسلامية من أن أكل الملح قبل الطعام نافع من سبعين داء وقد أخبرنى بعض الأطباء أنه كان ينكر ذلك كل الانكار حتى رأى فى بعض المجلات الطبية ذلك الاكتشاف الذى يقول صاحبه : ان مصل الملح نافع من كل داء فآمن وصدق [1] •

ومن ذلك ما عرف من أسرار الوضوء وانه ينفع من أمراض الاسنان والأنف بل هو من أهم الموانع للسل الرئوى ( اذ قال بعض الأطباء ان أهم طريق لهذا المرض الفتاك انما هو الأنف ) وان أنوفا تغسل فى النهار خمس عشرة مرة لجديرة بأن لا تبقى فيها جراثيم هذا الداء الوبيل ولذا كان هذا المرض فى المسلمين قليلا وفى الافرنج كثيرا

(١) كيفية عمل ذلك المصل ان يؤخذ ثمانية جرامات من الملح وتجعل فى الف جرام من الماء ثم يحقن بها تحت الجلد .

فضلا عما فيه من الفوائد الأخرى ومما يلتحق ببالك ما بينه القرآن من أن الناس كلهم خلقوا من تراب فى وقت كانت تلك الحقيقة فيه مجهولة كل الجهل حيث يقول : ( ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ) وقد أصبح الآن ذلك واضحا لا يتمارى فيه • فان النطفة من الأغذية وهى من الحيوانات المتولدة من النبات أو النبات المتولد من الأرض • ومن ذلك ما أخبرنى به بعضهم ؛ أن بعض الأوربيين وأظنه مستشرقا قد اعتنق الاسلام لما وجده من وصف القرآن للبحر وصفا شافيا مع كون النبى صلى الله عليه وسلم لم يركب البحر طول عمره وذلك مثل قوله تعالى ( أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ) ومما يحسن ذكره فى هذا المقام أن القرآن يقول: « وينزل من السماء من جبال » وقد عرف الآن أن الثلوج تكون جبالا على وجه الماء وهى التى يسمونها ( آيزبرج ) وهى كلمة ألمانية ومعناها جبل من الثلج وقد حدث فى سنة ١٩١٢ أن اصطدمت بجبل من تلك الجبال التى كانت تسير على وجه المحيط الاطلانطيقى أكبر باخرة فى العالم وهى التى تسمى ( تيتانيك ) التابعة لشركة ( ويت سنارلاين ) أثناء سفرها لأول مرة من انجلترا الى أمريكا وكانت حمولتها (٤٦٠٠٠) طن وكان عدد الركاب بتلك الباخرة التى صدمها ذلك الجبل الهائل الذى لم تتاومه قوتها وصلابتها وهى أعظم باخرة فى العالم كما قلنا لا يقل عن ٢٥٠٠ شخص فسبحان الواحد القهار • ومن ذلك قوله تعالى ( بل هم فى لبس من خلق جديد ) وقد علم القرآن أن الانسان فى تجدد دائم وان الجسم يذهب كله ويجيء غيره كل مدة من الزمان ولا يزال فيه التحليل والتعويض على الدوام •

ومن ذلك ما أخبر الله به من تعذيب اليهود وبقائهم تحت حكم غيرهم فى الأسر والاستعباد حيث يقول ( واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم

الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) فقد تشتتوا فى أقطار العالم وعذبهم الفرنسيون فى الجزائر وغيرها وطردهم الروس وهى مبغوضون فى كل دولة • وفى القرآن من الاخبار بالمغيبات شىء كثير جدا وقد ذكرنا طرفا كبيرا من ذلك فى كتابنا رسائل السلام ورسل الاسلام مثل قوله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر) (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم) (ستدخلن المسجد الحرام ) ( وهم من بعد غلبهم سيغلبون ) ( سنريهم آياتنا فى الآفاق ) وقد أرتنا الاستكشافات الحديثة من عجائب الأرض والسماء ما لم يكن فى حسبان من المغيبات الكثيرة وقد جاء فى السنة النبوية من الاخبار عن المغيبات أيضا ما لا يكاد يحصى مما لا يسعه المقام وهو غير خاف على من طالع كتب دلائل النبوة مثل كتاب حجة الله على العالمين وغيره • هذا وقد أثنى كثير من فلاسفة الأوربيين على الدين الاسلامى وما جاء فيه (انظر كتابنا : الجواب المنيف)

ومن ذلك ما قال بنتام الانكليزى الشهير وهو من أكابر علمائهم مبينا بعض أسرار الطهارة فى الدين الاسلامى قال : من واظب على أغسال الدين الاسلامى لم يصدر منه ذنب ولا جريمة ) ومن عجيب أمر الاسلام انك لا ترى مسألة خلافية بين علماء العمران مثلا كمسألة الزواج والطلاق أو بين مقررى الآداب والعادات كمسألة استقلال المرأة وحريتها المتناهية أو بين علماء الاقتصاد أو غيرهم كعلماء القانون الا وجدته أتى على آخر رأى فيها مما رجعوا اليه بعد اختلاف وطول المطاف وناهيك أن هناك جمعية كبرى قامت تؤسس ديانة سموها « الديانة الطبيعية » كل أسسها مأخوذة من الدين الاسلامى • بل جاء بأتم منها وأوسع بما لا يقدر قدره • وينبغى أن يلتحق بهذا الفصل ما يصح حمل القرآن عليه أو استنباط اشارة منه اليه فى آيات كثيرة • فمن ذلك ما يأخذ بعضهم من الاشارة الى دوران الأرض من قوله تعالى ( كل فى

فلك يسبحون ) بعد ذكر الأرض والشمس والقمر ولذلك أتى بواو الجمع ، ومن ذلك ما يقول بعضهم : ان قوله تعالى ( وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ) بعد قوله : ( وآية لهم أنا حملنا ذريتهم ) اشارة الى المطاود ( المناطيد ) الهوائية ويكون الضمير فى قوله لهم على هذا عائدا على الذرية كما هوالظاهر منه ( على ما يقول ذلك البعض ) ويمكن أخذ المطاود والسيارات الكهربائية والجوالات ( الاتوموبيلات ) من قوله : ( والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ) فان مالايعلمون بعد ذكر الخيل مايأتى مما يؤدى عملها واستلفت نظرك الى حكمة ذكرها بعد الخيل والبغال كما أنه يسهل عليك أن تستدل على أن الأرض جزء من الشمس كما يقول الفلكيون الآن بقوله تعالى: (أولم يروا أنالسموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ) أو أن تستدل على أن السموات كانت كتلة واحدة من السديم وهو نوع من الدخان لقوله تعالى:(ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها الخ)هذا والموضوع مترامى الأطراف بعيد المدى فيكفيك منه قطرات فى طيها اشارات وبالله التوفيق .

---

# خاتمة

## فيما يجب على الامة عموما
## وعلى مشيخة الازهر خصوصا بازاء نشر تعاليم الاسلام

لسنا نريد أن نبين أن التربية الدينية يمكن أن تكون بالمعاهد الدينية أرقى مما هى عليه الآن ؛ ولا أن نفيض فى أنه يجب ادخال التربية الدينية بمدارسنا المصرية والاعتناء بها على ما يليق بشأنها ولكنا نريد فى مقالنا هذا أن نبين الوسيلة الحقة الى نشر تعاليمه الصحيحة بين أفراد الأمة وقد أفضنا القول فى كتابنا ( سبيل السعادة ) فى بيان أن الدين قد تصدى للكلام فيه من لا يحسنه ثم أتبعنا ذلك بهذه المقالة وهاك نصها :

ما أجدر مشيخة الأزهر وأرفقها بالمسلمين وأهداها الى موضع الضعف منهم لو عنيت بهذا الموضوع ( وهو أول ما يعنى به ) وما أرشد الحكومة وأغناها بحاجة الأمة لو ذللت العقبات فى ذلك السبيل فاختارت من أفاضل العلماء من يكون أوسعهم نظرا وأقواهم حجة وأعرفهم بحال معاصريهم حتى يشخصوا الداء ويصفوا الدواء ثم تخصهم بأمر الدين وبيان ما يرمى اليه من روح السعادة ومكارم الأخلاق وشرح ما يجب أبناءه فيه والخوض بهم فى كل ما يقع فيه الاشتباه أو تذكره الجرائد أو المجلات من أعداء الدين أو جهلة المسلمين ويكون من أعمال أولئك المختارين اصدار مجلة علمية دينية تأخذ الناس الى سعادتهم من حيث يعرفون لا من حيث يجهلون ومن حيث يأنسون لا من حيث ينفرون مع ايداع ذلك من روح العلم وسر الدين ولب الحق ما يأتى على أصول أمراضهم ويذهب بأسباب الشقاء من نفوسهم شأن الطبيب الحاذق الذى لا تنسيه شدة المرض ولا شغفه بمقاومته أن يلاطف المريض ولا تمنعه ملاطفة المريض أن يضع له الأدوية الحادة الفعالة فيما يستحليه ولا

يستبشعه ويسير به فى سبيل نجاته من حيث يشعر ولا يشعر فتكون تلك اللجنة هى مرجع الأمة فى كل شأن من شؤون دينهم ، اليها القول الفصل ، ولديها الحكم العدل بالأدلة المقنعة والبراهين القاطعة حتى تجهز بذلك على تلك الفوضى الدينية التى هى أضر الأشياء وأس كل بلاء .

هذا وعلى الأمة أن تعرف لذلك مكانه من الرشد والحكمة ومنزلته من حاجتها اليه واستفادتها منه .

ان الأمة كثيرا ما نراها تسخو نفوسها بالمبالغ الطائلة وتقف الأوقاف الجمة على مالا قيمة له فى نظر العقلاء وليس له من الفائدة التى يعتد بها الا ما يمليه عليها الجهل أو يحركه الغرض من وهم كاذب وخيال باطل، فلو عنيت بأمر دينها عنايتها ببعض تلك الشؤون فاختارت من فضلائها من تثق بهم فخصتهم بما يرفع شأنها ويعز به دينها . فيظهر ما فيه من الحكم والأسرار ، وما انطوى عليه من الفضائل ومكارم الأخلاق مما يورثهم حياة جديدة يعود اليهم فيها مجدهم الأول ويذوقون فيها معنى الاخلاص فى العمل ويتمتعون فيها بحلاوة الصدق والمحبة والاتحاد ويذهب عنهم هذا التفرق الذى أوهن عزائمهم وفكك روابطهم فترجع اليهم تلك القلوب التى لاتخاف غير الله ولا تخشى غير الله فيسرى فيها روح التوحيد الذى لا يبقى معه شىء من ضعة الهمة وسفاسف الأخلاق وقد قال تعالى فى حق غير الموحدين: ( سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ) ومن ذلك تعرف ما يكون فى قلب الموحد من الشجاعة والثبات واليقين لو أرشدت الأمة الى ذلك — وعسى أن يكون قد حان وقت رشدها — لوجدت من علمائها وفضلائها ما تقر به عينها ويجذبها الى سعادتها من أعماق نفوسها لا من أطراف جسومها ولرأت من مزايا دينها ما يصلح به أودها ولعرفت من حقائقه الناصعة ما تبتهج به كل الابتهاج فاذا لم تقم الحكومة — ولها العذر — بما كان يجب عليها من تأليف تلك اللجنة قامت الأمة وهى أعلم بأمراضها وأدرى بمواقع الداء منها

فاختارت من ترتضيهم لذلك وفصلتهم عن كل علاقة لهم بالحكومة ولا نجاح لعمل لا يكـون أساسـه الحرية فرتبت لهم المرتبات الكافية وطالبتهم بما تريد منهم .

نحن لا نريد من الأمة أن تسمح بما تسمح به أوربا وأمريكا لمبشريها ولا معشار عشير ذلك وانما نريد من الأمة أن تقـدم لذلك العـدد القليل الذى تختاره بمـا يكفل له حاجته ويحفظ عليه مروءته ويستعين به على ما شاء من ترجمة المجـلات العلمية والفلسفية الجديدة والآراء الأوربية .

وبالجملة كل ما يقرره العالمـون بالدين الاسلامى الذين يشـهدون له أو الجاهلون به الذين يطعنـون عليه .

وانى أعتقد أن كل ما يحـاوله الكاتبـون والمرشـدون والمقننون والمصـلحون لا يمكن أن يـأتى بنتيجة أو يكون له أثر صالح حتى ترجع الأمة الى دينهـا الصـحيح وتعاليمه الحقة ـ والا أخلت بالتنفيذ وان أصابت فى أصل التقنين ـ وكان نصيبها من ذلك كله نصـيب من يداوى الظاهر ويترك الباطن .

أما اذا رجعت الأمـة الى تعاليم دينها وصلحت أنفسـها بما يغرسه الدين فيها فلابد أن تفيض الأعمال المبرورة والآثار الجميلة من منابع تلك النفوس بلا سـائق يسـوقها ولا مسيطر يهيمن عليها وكان كل فرد منها أمة وحده والا فمهما وضعت من القواعـد وعملت من النظامات وقررت من الاصلاحات فلن تجد من يقوم به على وجهـه بل تدفعـه الأغراض الى التوسع فى التـأويل وسوء التنفيذ ـ وكل من يحيطون به من البيئة التى هو فيها على شاكلته لا تهمهم الا مآربهـم الشـخصية ومطالبهم الذاتية وان كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ـ فيكون ذلك شبحا لا روح فيه وصـورة ليس وراءهـا معنى فما لم تظهر

نفوس الأفراد من ملكاتها الخبيثـة وصفاتها الحاكمة عليها ـ ولا طهارة لها الا بالدين القويم ومراقبـة الله عز وجل فى السر والعلانية ـ فلن يفيد عناء الحكماء ولا تقنين الكبراء وكان قولا باللسان فلم يجاوز الآذان .

أسأل الله أن يعيـد للنفوس رشدها وللأمة مجدها . وهذا آخر مـا سمحت به الفرصة والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد معدن الأسرار ومنبع الأنوار وعلى آله وصحبه وسلم .

**يوسف الدجوى**

---

## اعلان عن اشتراكات المجلة

تعلن ادارة المجلة الى قرائها الكرام فى ج. م. ع والعالم الاسلامى والعربى ، انه قد تقرر ابتداء من العام الهجرى ١٣٩٧ الغاء الاشتراكات داخل ج.م.ع وخارجها نظرا لكثرة الشكاوى من عدم وصول المجلة الى الاخوة المشتركين ، ويمكن لقراء المجلة داخل ج. م. ع الحصول عليها من باعة الصحف ، أو الاتصال بشركة توزيع الأخبار بالنسبة الى الخارج .

**ادارة المجلة**

# الفهرس

# فهرس أبجدى عام

## للمجلد الثامن والأربعين من مجلة الأزهر سنة ١٣٩٦ الهجرية

صفحة

### ( ا )

صفحة



## ( ب )



## ( ت )

صفحة



( ث )



( ج )



( ح )



( خ )

صفحة

صفحة

( ط )



( ع )



( غ )



( ف )



( ق )

صفحة

## ( ك )



## ( ل )



## ( م )

صفحة



## ( ن )



## ( هـ )

## هدايا صدرت مع المجلة

١ ـ السنة الهجرية والأعياد الاسلامية من الوجهة التاريخية .
٢ ـ صور من جهاد الأزهر فى القرن الثالث عشر الهجرى ( التاسع الميلادى ) .
٣ ـ الرحمة المهداة .
٤ ـ أصول المجتمع الاسلامى من سورة الحجرات
٥ ـ الاجتهاد والثبات فى الشريعة الاسلامية
٦ ـ القانون الاسلامى فى مواجهة التحديات .

---


طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع ١٦٧ / ١٩٧٦

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٠٠٢-١٩٧٦-١٠١٠٤

and the other base, met there was the tendency for the bad to beat the good out of circulation."
(Indian Philosophy; Vol. I; p. 119; second edition).

The pecularity of the Quran is that it refused to enter into any compromises in the field of beliefs. In its unitary and transcendental concept of God; it is definite and inelastic. This rigidity however; does not prevent it from observing tolerance towards other beliefs. But it certainly refuses to enter into compromises with them.

The Quran bases its concept of God on the inherent universal urges of human nature. It has not made of this concept a riddle which only a special class of intellect alone can solve. What is the universal human feeling about life ? It is that this universe has not come into being by itself; it has been created : and so it must have a creator. What the Quran points out is only this much. Anything over and above this which it deals with does not enter into the doctrinal belief. All that is left to be thought over by man individually; or to be experienced personally.

"And whoso maketh efforts for us; in our ways we guide them : for God is assuredly with those who do righteous deeds." (Q : 26 69).

On Earth are signs for men of firm belief and also in your own selves : Will ye not then behold them ?" (Q. 51 : 21—2)

---

## ENGLISH SECTION

lerance is given the latitude to water down your own beliefs and affect your decisions, then; it ceases to be tolerance.

Compromise is a necessity of life. In fact life is one long compromise. But there should be limit to it. A line will have to be drawn somewhere, and once it is drawn; one's belief begins to live on its own. So long as you do not feel the inward urge to alter that belief, you are bound by it. You will certainly respect the beliefs of others, but you will insist on your right not to let your own belief weaken on that acount.

How numerous are the incidents of history which have followed a violation of this condition. Intensity of belief has at times led people to set aside all considerations of tolerance, and foreibly invade the beliefs and ways of life of others. At other times; tolerance has been given so great a latitude that strength of belief has ceased to bear any meaning. Example of the former may easily be furnished from the history of religious persecutions; and those of the latter from the history of India. Here in India ; the highest flights of the human mind could not remain immune from the touch of superstition. The process has gone on of compromise between knowledge and intellect on the one hand; and ignorance and supersition on the other. These compromises have disfigured the Indian intellect. The beatty of the Indian mind and all its great achievements have been clouded by super stiton and image worship. The talented Hindu writer; Dr. S. Radhakishnan ; while reviewing the impact of the non-Arayan culture of India on the culture of the Aryan settlers here observes :

"The explanation of the miscellaneous character of the Hindu religion whith embraces all the intermediate regions of thought and belief from the wandering fancies of savage superstitions to the highest daring thought; is here. From the beginning; the Aryan religion was expansive ; self-developing and tolerant. It went on accommodating itself to the new forces it met within its growth. In this can be discerned a refined sense of humility and sympathetic understanding. The Indian Aryan refused to ignore the lower religons and fight them out of existance. He did not posses the pride of the fanatic that his was the one true rligion. If a god stisfies the human mind in its own way; it is a form of truth. None can lay hold upon the whole truth. It can be won only by degrees, partially and provitionality. But they forgot that intolerance was sometimes a virtue. There is such a thing as Gresham's law in religious matters also. When the Aryan and the non-Aryan religions; one refined and the other vulagar ; the one good

observed in India between the common people and the elite was the result of the practical sense of compromise which prevailed here. Here, every form of religious belief or exercise was given a home, and every thought, the freedom to grow and develop. Religious differences, which among other nations led to internecine civil wars, came to be regarded here as but subjects of compromise. Adaptability was the spirit of life here. A vedantist knows that communion with Reality is infinitely higher than image worship. But he never sets his face against image worship; for, he thinks that this is the first stage in the journey to God, and that whatever path one may choose to traverse, the ultimate goal for one and all is but one and the same. Prof. C. E. M. Joad makes a special reference to this peculiar feature of Indian History, even as some of the earlier writers had done.

The spirit of tolerance which has characterised Indian History, no doubt, deserves a meed of praise. But life is an expression of action and inter-action, unless we draw a limit or line for every type of activity, canons of knowledge and morality will get disturbed, and we shall cease to possess any refinite sense of moral values. Tolerance is a good thing, but strength of belief and opinion, and integrity of thought are also factors of life which we cannot discard. A line of demarcation for the expression of each quality in us needs to be drawn. For, moral injunctions cannot otherwise be put into effect. Once these lines are disturbed or weakened, the edifice of morality begins to totter. Forgivenes for instance, is a good and beautiful quality. But this very forgiveness, once it oversteps its legitimate boundary, ceases to be forgiveness; it becomes timidity or cowardice. Courage is the highest human quality, but this very quality once it develops in exess, no longer remains courage; it becomes terror and oppression.

Here are two situations. You cannot deal with them in the same way. One situation is this. We are face to face with a belief. We have a firm and a definite opinion about it. The question arises : what should be our line of action in respect of it ? Shall we waver or remain firm in our attitude ? The other situation is this. Others, even like us, have reached certain definite conclusions about one and the same thing, but adopt a different line if action. What should be our attitude towards them ? Have they or have they not right to go their own way ?

Tolerance is to acknowledge the right of another to hold to his own views and follow his own way. Even when his way is clearly the wrong way, you cannot deny him the right to pursue it. But if to-

tion which the prophets occupy in the scheme of the Quran. Over and over again does the Quran point out that the prophet of Islam is but a human being and a servant of God. The very basic belif in Islam runs : "I affirm that there is no God except Allah and I affirm that Muhammad is his servant and his message-berare". In this formula the affirmation of the unity of God is as emphatic as the affirmation of the position of the Prophet as but a servant of God and the bearer of His message. Why was this made the basic doctrine of Islam ? It was done simply to prevent the Prophet from ever being hailed as an Avatar, or raised from the position of a servant of God to that of God Himself. No one can enter the fold of Islam who does not suscribe to the belief that the Prophet is but a servant of God, even as he subscribes to the belief in the unity of God.

That was the reason why notwithstanding the numerous dissensions that arose among Muslims after the death of the Prophet, no difference was entertained among them on the question of his personality. Not many hours had passed after he had passed away when Abu Bakr, the Prophet's father-in law and the first Khalif of Islam ascending the pulpit proclaimed ;

He who worshipped Muhammad, let him know that Muhammad is dead and he who worshipped God, let him know that God ever lives. He has no death."

One Concept For All Prior to the advent of the Quran distinction was made between the common people and the elite in the imparting of religious knowledge. In India, three grades were fixed. For the common people image worship was prescribed, and for the elite the method of communion with God, while for the elite of the elite the privilege of pantheistic experience. The same was the case in Greece. It was considered that the concept of an abstract deity was possible to be conceived only by those who were versed in philosophic learning and that it was safe for the common people to engage themselves in the worship of demi-gods only. The Quran brushed aside this distinction. It presented to one and all but a single way of approach to God, and afforded but a single view to them of divine attributes. It offered to both philosophers or the gnosties and the common people one and the same glow of Reality. It opened for them all but one door of belief and faith. The concept of God which it presented was intended to satisfy alike the philosopher and the gnostic, and the peasant and the shepherd.

There is another aspect of this question which calls for consideration. The distinction which was

not draw the boundary line for it. The result was that the founder of a religion or of a School of philosophy was hailed sometimes as an Avatar, sometimes as the Son of God, and sometimes as Partner of God, and where this was not possible, he was, at any rate, offered the honour and depotion usually offered to God. The Jews, for instance, after their early period of ignorance, although they did not take to image-worship, they did erect statues over the remains of their prophets and endowed them with a holiness auch as was associated with places of worship. There is absolutely no room for image-worship in the teaching of Buddha. In fact his last testament which has reached us was : "See that you do not worsip my ashes. If you do, the path of salvation will be closed for you." But what his followers have actually done is all before us. They not only erected places of worship over Buddha's ashes and relics, but as the means for propagation of his religion, they spread images of throughout the world. The fact is that a larger number of images of Buddha exist today in the world than of any other personality or deity. Likewise, as we know, the real teaching of Chrisianity concentrated on the unity of God, but within one hundred years of its advent, Christ himself was raised to the position of God.

Unity In Attributes. But the Quran gave so perfect a picture of unity in attributes that it closed the door forever for every such aberration. It did not simply lay its supreme emphasis on the unity of God, but blocked all avenues for polytheism and this is its principle peculiarity.

The Quran asserts that God alone is worthy of worship. If you turn to any other in devotion, you cease to be a believer in the unity of God. It says that He it is who answers the cry of man and fulfils his prayers, So, if you associate any other with Him in your prayers or supplications, you simply associate that other in the divinity also of God. All forms of devotion are meant to be links between man and God. If you associate anyone else in your devotion, the spirit of devotion is vitiated. Indeed, your belied iteself in the unity of God gets tainted. That is why in the Surat-ul-Fatiha, the form or prayer is set : "Thee alone do we serve and from Thee alone do we seek aid".

The emphasis is on the Thee alon. Such great stress does the Quran lay on this 'unity' of God in His attributes that there is hardly a page in the whole of the Quran where the truth is not pointedly brought to view.

The most important question with which the Quran concerns itself is that of the exact posi-

# THE 'QURANIC' CONCEPT OF THE UNITY OF GOD

*By*

(late) Maulana Abul Kalam Azad.

The Quranic concept of the unity of God is so perfect and definite that we scarcely find the like of it prevailing before. If God is unique in His essence, it follows that He must be unique in his attributes also. For, the greatness of his uniqueness cannot be sustained, if any other being is to share his attributes. Every other religion before the delivery of the Quran had emphasized the postive side of the unity of God, but had made no attempt to present the negative side of it. The positive side is that God is one. The negative is that there is none like unto Him. And when there is none like unto Him, it follows that whatever attributes that might be assigned to Him cannot be assigned at the same time to any other. The former postulate is called 'Unity in Essence', and the latter 'Unity in Attributes'. Prior to the Quranic concept, stress was no doubt laid on the concept of unity in essence, but the niceties implicit in the concept of the unity in attributes was yet to be fully appreciated.

It is why we find in every earlier religion the belief in the unity of God subsisting side by side with image and hero-worship. In India, probably from the very beginning, it was tacity admitted that hero-worship and the worship of demi-gods were indispensable for the masses, reserving the concept of the unity of God for the elite only. The same was the case in Greece. The Greek thinkers were certainly not unaware of the fact that the gods of Olympus had no reality about them. Still save Socrates none had felt the need for interfering in the people's belief in those gods. Their view was that if the worship of the gods was bot maintained, the religious life of the people would get disturbed. It is said of Pythagoras that when he completed his system of arithmetic, he, in gratitude, offered to the gods the sacrifice of a hundred bullocks.

Limits of Prophethood. In this connection, the aspect which calls for special attention is the status accorded to the founder of a religion or to the propuonder of an idea. True that no teaching can acquirethe reputation of greatness, so long as, the personality of the teacher does not itself display the quality of greatness. But there are limits to greatness of personality. It is here that many have stumbled, because they could

repenatance for the learned. This is so because knowledge gives life to the hearts from ignorance and works as a lamp for the sight during darkness. Man reaches the rank of the selected ones of God and reaches supreme heights through knowledge both in this world and Hereafter. To ponder in matters of knowledge is equivalent to fasting and studying it is equivalent to praying throughout the nights, Knowledge brings one closer to his relatives and verses him with the facts of the prohibited and permitted things. Knowledge remains the leader while actions remain the followers. It inspires the forunate and deprives the wicked.

*Fruits of Islamic Encouragement of Knowledge.*

The result of the Islamic encouragement was staggeringly great. Muslims rushed to seek knowledge in every field whether piritual, theoretical or physical. Suddenly there emerged an Islamic civilization which produced men of learning like Jabir bin Hayyan in Chemistry, Ibn el-Haysam, in physics Abu Bakr Erazi and Ibn Sina in Medicine and Philosophy, Gazzali in spiritualism, Ibn Rushd in Philosophy and Rationalism, Ibn Khaldun in Sociology and Historiography, Khawarzumi in Algebra and so many others.

*(to be continued).*

The Almighty Lord has addressed His Prophet saying.

"Say : No reward do I ask of you for this (Quran) Nor am I a pretender." XXXVII : 86
Ibn Abbas reported that the prophet said.

"Some of my people will be versing themselves with religious knowledge. They will be reading the Quran saying.

"We will approach the rich, enjoy a share of their worldy possessions and preserve our religion to ourselves. Such is impossible.

One can only pluck thorns from a thorny tree. In the same way the wealthy peaple one can never share but, according to Mohammed bin Sabbah. "sins."

Omar bin Khattab said the following to one of the Sahabas (companions of the Prophet) :

"Do you know what destroys Islam ?"

He said, "No."

Omar added, "The slip of the learned, arguments of the hypocrites in matters pertaining to the Quran and the rule of such leaders who mislead."

Abu Hurairah reports that the Messenger of Allah said,

"Any person who possess some knowledge and withholds it when asked about it, well be bridled with fire on the Day of Judgement."

*The Companions of The Prophet and Knowledge.*

The Muslims in encouraging and inducing people to pursue knowledge followed the Quran and the noble traditions of the Prophet. In reference it may suffice to quote Ma'z bin Jabal as reported by Imam el-Gazzalie in his "Ihya-el-Uloom." Ma'z Ibn Jabal reports from the Prophet as having said.

"Selk knoledge. Seeking it purely for Allah's sake is fearing Him ; pursuing it is worshipping Him ; discussing it is remembering Him; searching it is Jehad; imparting it to others is charity and spending it for the benefit of the family is affinity All this is because knowledge is the boarderline between the prohibited and permissible ; the light to the inroads to heaven; the friend in isolation ; the companion in travel, the person to discuss with in solitude; the guide in happiness and sorrow ; bringer of peace to the enemy, and an ornament to the intimate friend. With the power of knowledge Allah raises a people and make them leaders of virtues. Their footsteps and deeds are imitated and people conclude with their opinions. The angels show anxiousness in their friendship and spread their wings for them Every animate being prays for their salvation ; the fish and creatures in the sea, the animals and beasts on the land, all ask for

them and God registered them among His intimate Ones."

Moaweya reported that the Messenger of Allah said,

"With whom Allah desires goodness He endows with understanding in religion. Verily Allah is the Giver of knowledge and I am the distriboutor."

Ibn Masood reports that the Prophet said,

"May Allah brighten and cherish the person who hears my statement, remembers it, understands it and fulfils its obligations. There are many that are versed in religious understanding and yet don't understand. Many well versed is religious understanding convey my message to those who understand it better. A Muslim's heart never envies three things :

1 — Sincerity in deeds solely performed for Allah.
2 — Advice to Muslims.
3 — Loyalty to their congregational units. Their prayers disrupt those who remain aloof.

Ibn Abbas reports that the Prophet said,

"A single person endowed with understanding (learned in religion) is better than a thousand worshippers (who not understand)."

Abu Sufyan reports that Omar bin Khattab once asked Ka'b, "Who are the learned people ?"

He replied, "Those who act upon the things they know ; whose actions correspond with their knowledge."

He asked further, "What has caused knowledge to disappear from the hearts of the learned ?"

He replied, "Greed and covetousness."

Abu Hurairah reports that he treasures the following tradition from the Prophet.

"At the commencement of each century Allah raises a reformer in this nation who is responsible for its renaissance."

*Some Etiquettes and Manners of the "Ulema"*

The Prophet has warned the learned and has cautioned them. He outlined the necessary etiquettes and manners expected from people of learning and their attitude towards knowledge itself. These exhortations are many but it would suffice here to mention a few.

Abdullah bin Masood reports that the Prophet said,

"O People ! Whoever learns something should speak it out. And who has not learnt anything should say 'Allah known best' It is knowledge, in the case of a person who does not know, to say 'Allah knows best.'

observed and commemorated But every devotee turning to Allah and We send down from the sky rain charged with blessing and We produce therewith Gardens and Grain for harvest : and tall (and stately) palm-trees, with shoots of fruit stalks, piled one over another ; as sustenance for (God's) servants : and We give (new) life therewith to land that is dead ; thus will be the Resurrection." L : 6-11

"Do they not look at the camels how they are made ?" "And at the sky how it is raised high ?" "And at the mountains, How they are fixed firm ? "And at the earth how it is spread out ?"

LXXX VIII : 17-20.

We have quoted abundantly from the Quran. These verses are absolutely unambiguous in their import. They enhance and induce the Muslim nation to study the Open-Book of Nature, to make deep researches in matters pertaining to the world and its various complexities and in general, make a thorough study of the heavens and the earth and all that exist in them.

"Soon will We show them our Signs in the (furthest) Regions (of the earth) and in their own souls, until it becomes manifest to them that this the truth. Is it not enough that thy Lord doth witness All things ?"

XLI : 53.

*The Significance of Theology and Religious Learning.*

Despite the fact that we have hitherto, in general, discussed aspects of knowledge pertaining to the Natural, phenomena and matter which is observed and felt and despite the fact that various questions and verses of the Quran have been cited to show how Islam encourages learning in general, there is no doubt that there are numerous traditions that reflect on the importance and significance of theology itself. Whatlver we have mentioned in the form of quitations, speaking generally of knowledge and especially of theology is in no way a full study of the matter. We are only mentioning some highlights of it.

It is reported by Ibn Abbas that the Prophet said,

"The people who are nearest in rank to prophethood are the learned and the men of Jehad. The former guide mankind to the teachings of the prophets and the latter fight in the way of the Lord with their swords according to the dictates of the prophets."

Abu Hrairah reported that the Prophet said.

"Whenever a people gathered in any place of worship and recited the Quran and studied its contents together it has been certain that peace enveloped them, mercy overwhelmed them, the angels welcomed

same water, yet some of them We make more excellent than others to eat behold, verily in these things there are Signs for those who understand ."

Out of His Grace and Mercy by way of these verses, Gold, showers bounties upon the whole of mankind. For the intelligent and enlightened ones He illustrates examples. He does this to induce them to make researches and studies and concenrate their attention to what God says in the following verses :

"So (give) Glory to Allah when ye reach eventide and when ye rise in the morning." "To Him is all praise due in the heaven and on the earth; and in the late afternoon and when the day begins to decline." "It is He Who brings out the living from the dead and brings out the dead from the living, and Who gives life to the earth after it is dead; and thus shall ye be brought out (from the dead)." "Among His Signs is this that He created you from dust ; and the behold, ye are man scattered (far and wide)." "And among His Signs is he creation of the heavens and the earth, and the variations in your Languages and your colours : verily in that are Signs for those who know." "And among His Signs in the sleep that ye take by night and by day and the quest that ye (make for live lihood) out of His bounty ; verily in that are signs for those who hearken." "And among His Signs He shows the lightning by way both of fear and of hope, and He sends down rain from the sky and with it gives life to the earth after it is dead ; verily in that are Signs for those who are wise." "And among His Signs is this, that heaven and earth stand by His Command then when He calls you by a sigle call, from the earth behold, ye (straightway) come forth." "To Him belongs every being that is in the heavens and on earth : all are devoutly obedient to Him." "It is He Who begins (The process of) creation ; then reparts it : and for Him it is most easy to Him belongs the loftiest similitude (we can think of) in the heavens and the eath ; for He is Exalted in Might full of Wisdom."

XXX : 17-27

The Quran rounds up the whole subject by making it clear that God has made the whole universe subservient to man :—

"Seest thou not that Allah has subjected to your (use) all things in the heavens and on earth."

XXI : 20

Do they not look at the sky above them ? How We have made it and adorned it and there are no flaws in it. And the earth We have spread it out and set thereon it out mountains standing firm, and produced therein every kind of beautiful growth (in pairs) to be

## ISLAM AND KNOWLEDGE-III

*By*
**Dr. Abdul Halim Mahmoud**
*The Grand Sheikh of Al-Azhar*

As the Quran exhorted the Muslims to study the historicity of creation, to think hard and deep on the question of the stars and the planets, in the same way is has, in general, induced them to think and ponder deeply about the universe. The Quranic verses assist and co-ordinate the efforts of man in trying to discover the laws operating in the Kingdom of Nature which is God's Nature Book.

"Behold : In the creation of the heavens and the earth in the ilternation of the Night and Day in the sailing of the ships through the ocean for the profit of mankind in the rain which God sends down from the skies and the life which He gives therewith to an earth that is dead ; In the beasts of all kinds that He scatters through the earth ; in the change of the winds, and the clouds which they trail like their slaves between the sky and the earth ; (Here) indeed are Signs for a people that are wise." II : 16b

"Behold ! In the creation of the heavens and the earth and the alternation of Night and Day there are indeed Signs for man of understanding." III : 190

Chapter XIII, The Ra'd or Thtnder commences with the following Verses :

"Alif. Lam. Mim. Ra. These are the Signs (Verses) of the Book: That which hath been revealed unto thee from thy Lord is Truth; But most men believe not." "Allah is He who raised the heavens without any pillars that ye can see ; is firmly established on the throne (of Authority) He has subjected the sun and the moon (to His Law!) Each one runs (its course) for a term appointed he doth regulate all affairs, explaining the Signs in Detail that ye may melive with certainty in the meeting with your Lord." "And it is He Who spread out the earth, and set thereon mountains standing firm and (flowing) rivers ; and fruit of every kind He made in pairs two and two He draweth the Night as a veil o'er the Day. Behold, verily on these things there are Signs for those who think." And in the earth are tracts (Diverse though) neighbouring, and gardens of vines and fields sown with corn and palm trees growing out of single roots or otherwise : watered with the

away all artificial differences and fractions from the human community.

Examining the influence of Islam on humanity in general and on the destiny of mankind. the great scholar and the learned author, Amir Ali, explains the state of things existing in the world until the prophet Muhammad proclaimed the practical equality of mankind and broke the chains which had held in bond the nations of the earth to pieces.

He abolished every privilege of caste and emancipated labour : "In the West, as in the East, the condition of the masses was so miserable as to defy description. They possessed no civil rights or political privileges. These were the monopoly of the rich and powerful, or of the sacerdotal classes. The law was not the same for the weak and the strong, the rich and the poor, the great and the lowly. In Sassanide Persia, the priests and the landed proprietors, the 'Dehkans', enjoyed all power and influence, and the wealth of the country was concentrated in their hands. The peasants, and the poorer classes in general, were ground to the earth under a lawless despotism. In the Byzantine Empire, the clergy and the great magnates, courtezans and other nameless ministrants to the vices of Caesar and proconsul, were the happy possessors of wealth. influence and power. The people grovelled in the most abject misery. In the barbaric kingdoms — in fact, wherever fuedalism had esablished itself — by far the largest proportion of the population were either serfs or slaves.

Villeinage or serfdom was the ordinary status of the peasantry. At first there was little distinction between praedial and domestic slavery. Both classes of slaves, with their families, and their goods and chattels, belonged to the lord of the soil, who could deal with them at his own free will and pleasure. In latter times the serfs or villeins were either annexed to the manor, and were bought and sold with the land to which they belonged or were annexed to the person of the lord, and were transferable from one owner to another. They could not leave their Lord without his permission and if they ran away, or were purloined from him, might be claimed and recovered by action, like beast or other chattels. They held, indeed, small portions of land by way of sustaining themselves and their families, but it was at the mere will of the lord, who might dispossess them whenever he pleased. A villein could acquire no property, either in lands or goods; but if he purchased either, the lord might enter upon them, oust the villein, and seize them to his own use".

(to be continued)

and sea, and have made provision of good things for them and, have preferred them above many of those whom We have created with a marked preferment" 17 : 70. It is a common privilege for all people.

4 — Human freedom : Islam has totally rejected any kind of compulsion as means for driving people to embrace a certain religion, faith or doctrine. Forbidding such compulsion God says in His Holy Book :

« افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

It means : "Would you compel people until they are believers". 10 : 99. It has ensured all the human freedoms, namely those of faith, speech, work and residence. The general human brotherhood was recommended by Islam as a code of conduct among people of different religions, races and lands. The Quran has also strictly forbidden any interference in the affairs of non-Muslims in an Islamic State, and guarnteed their liberties in all walks of life :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » .

It means : "Allah forbids not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes, that you should show them kindness and deal justly with them. Lo ! Allah loves the just dealers" 60 : 8

5 — Human Unity : By strictly forbidding any kind of compulsion in faith, doctrine or work, by establishing necessity to believe in all prophets imperatively, and by calling the people to work for communal amity and harmony, Islam aims at establishing human brotherhood and human unity in the world. The following Quranic verse emphasises that the belief in one God and one human community is an essential part of Isamic faith. God says :

« وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون » . سورة لقمان ( آية ١٠ )

It means : "Lo (O mankind) ! This your community is one community. And I am your Lord. So keep your duty unto Me." 23 : 52.

The above principles of human relations apply to states and governments in the same way they apply to individuals and communities. In fact what an individual is required to do is also expected from a community as represented in the state. Islam, therefore, recognised human cooperation and communal amity as the spring of human brotherhood and world understanding. It also condemns the attempt of the developed country for domination over backward people or countries. In this way Islam called to sweep

principle of Unity of makind nor should it be the cause of conflict but rather of acquaintance with each other and of mutual friendship. God says :

« وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

It means : "And We have made you nations and tribes that you may know one another". 49 : 13

Islam promulgated the rules and laws of individual, social, national and international relations in the following cardinal princples :

1 — Human equality : The Holy Quran declared in clear verses that the ultimate purpose of differences among people, in races and tribes, is their acquaintance with each other and promotion of understanding and cooperation among inrividuals and societies. This acquaintance and cooperation could exist only between two equals and not between parties of differing ranks. Among the causes of human miseries in our contemporary age is unjust fanaticism and racial discrimination in the human treatment and understanding. Islam, therefore, announced the principle of relations and cooperation among people in the following words :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

It means : "Help you one another unto righteousness and pious duty. Help not one another unto sin and aggression." 5 : 2.

2 — Justice : Justice is the only criterion whereby Islam regulates relations between people in both peace and war times. It is the dominant feature of Islam in its relations with friendly or hostile people. The Holy Quran has stressed this ideal principle in the following verse :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى » .

It means : "Let not hatred of any people seduce you that deal not justice. Do justice that is nearer to your duty (towards Allah)" 5 : 8

3 — Human dignity : Islam, through its principles and teachings, foster dignity and self-respect in the hearts of its followers and educates them to respect dignity and honour of others. This honour is due for man's humanity and not because of his colour, race, or social status. To make distinction between people according to their colour or race is the fundamental cause of crisis on this earth. There could be no justice and peace in this world without respect for human dignity in every man and on every land. The Quran declares this basic principle in the following verse :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

It means : "Verily We have honoured the children of Adam and We carry them on the land

# MAJALLATU'L AZHAR

**(AL-AZHAR MAGAZINE)**

MANAGER : Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

| Dhu'l-Hijjah 1396 | ENGLISH SECTION | DECEMBER 1976 |
|---|---|---|

## ISLAM AND HUMAN RIGHTS

*By*

**Dr. Mohiaddin Alwaye**

Islam organises the course of Human relations on the basis of the 'Common Origin of all mankind. It condenms any form of discrimination whether it is class division or racial prejudices between man asd man. The Holy Quran, the eternal miracle of Islam declares that all people are one community ; they emanate from one origin and share the same end though they differ in races, colours, tongues, tribes or nations. The Holy Quran says :

« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

It means : "O mankind ! Be careful of your duty to your Lord who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain hath spread a multitude of men and women" The theory of common origin of mankind was stressed by the Prophet :

« كلكم لآدم وآدم من تراب » .

(You all are Adam's offspring, and Adam is of earth).

The differences of people, in colour, tongue, tribes and races are due to different areas and climates. The creation of earth and the skies and the difference of the colours and tongues of the people, despite their common parentage, are of the signs of God in the Universe and its aspects :

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم » .

It means : "And of His signs is the Creation of heavens and earth and the difference of your languages and colours" 30 : 22. This difference would not clash with the